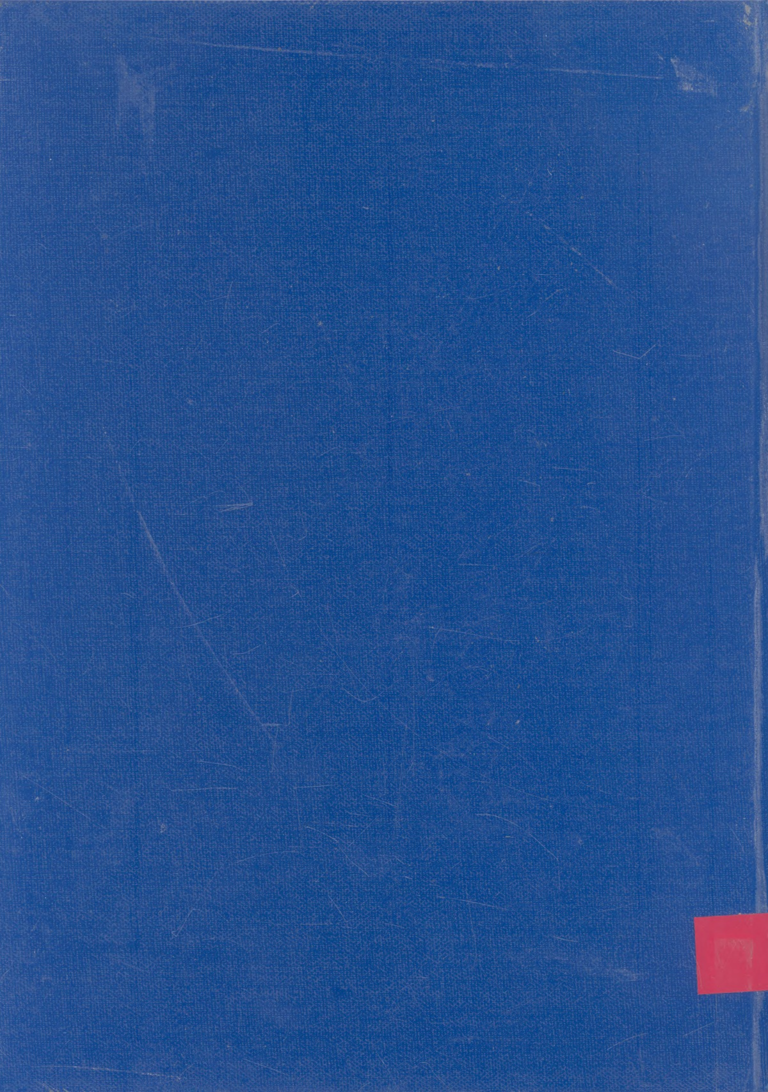
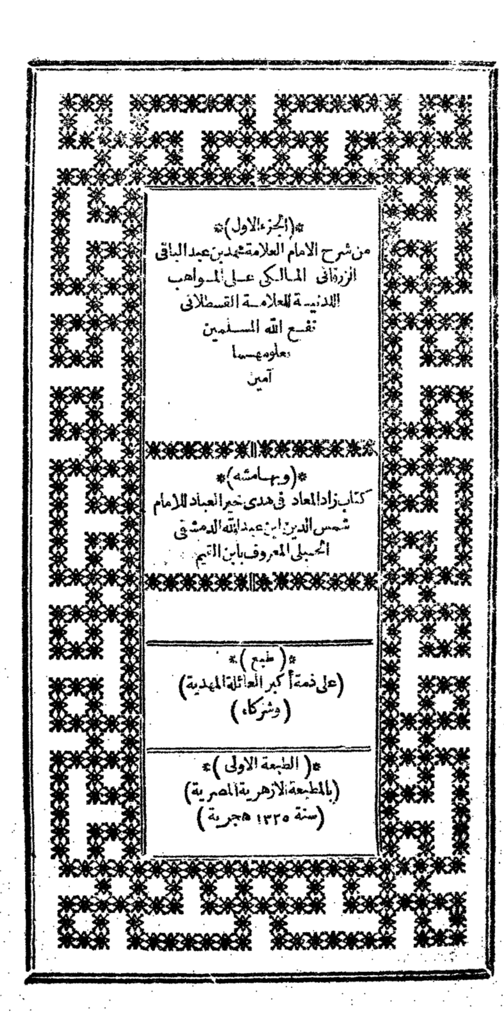




(الجزء الاول)

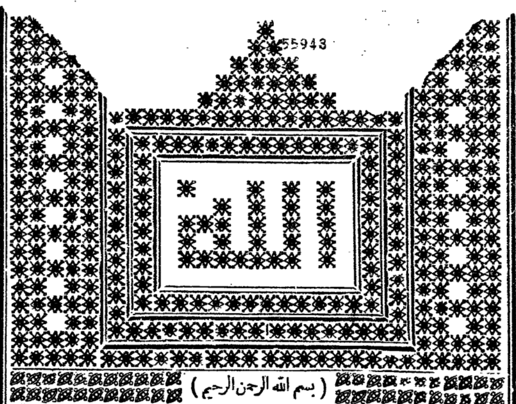
من شرح الامام العلامة محمد بن عبد الباقى
الزرقانى المالكى على المواهب
اللدنية للعلامة القسطلانى
نفع الله المسلمين
بعلومهما
آمين

(وبهامشه)

كتاب زاد المعاد فى هدى خير العباد للامام
شمس الدين ابن عبد الله الدمشقى
الحنبلى المعروف بابن القيم

(طبع)
(على ذمة أكبر العائلة المهدية)
(وشركاه)

(الطبعة الاولى)
(بالمطبعة الازهرية المصرية)
(سنة ١٣٢٥ هجرية)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى جعلنا خير أمة أخرجت للناس * ورفع منار تشريفنا على منابر صفحات الدهور ثابتة الاساس * ووضع عنا الاصر والاغلال * ومنعنا الاجتماع على الضلال * وقدمنا تقديم البسملة فى القرطاس * فنحن الآخرون السابقون تبجيلا وتكريما لمن أرسله فينا رؤفا رحيما فأقام دعائم الدين بعد طول تناس * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له تعالى عما يقول الظالمون الارجاس واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله وحبيبه وخليله الامين المأمون الطيب الانفاس * الا وهو اجل من ان يحيط به وصف واشرف من ان يضم جواهره نظم او رصف زكى المنابت طيب الاغراس أضاءت قبل كونه ارهاصاته اضاءة المقباس * وازهرت فى حمله وولادته ورضاعه زهر آى اقتبس منها النبراس * واشرقت اعلام نبوته ولمعت لوامع براهين رسالته فشيدت منار الهدى بعد ما كان فى ابلاس وبهر بالآيات البينات فشق له البدر فى دجى الاغلاس * وغلب بمعجزات بدورها فى التمام وجواهرها تروق فى الترصيع والانتظام ورياضها تتأرج بنسمات سماته وتنشق عن نور زهر شمائله ونور زهر صفاته التى كل عن احصاء رامو زها المقياس * صلى الله وسلم عليه وعلى اخوانه من الانبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته وازواجه وذريته الطيبين الطاهرين الاكياس * الناهضين باعباء المناقب الراقين فى علياء المناصب البالغين فى نصر الدين النجوم الثواقب الهادين من الكفر الجبال الرواس * حتى نسفوها نسفا وحكموا بالعدل واقاموا القسطاس

(اما بعد) فهذا الكتاب لم يطلبه منى طالب ولا رغب الى فى تصنيفه راغب وانما طلبت نفسى فيه مزج المواهب فاودعته نفائس بها يتنافس فى شرح السنة النبويه وعرائس استجليتها من مخدرات خدور السيرة المحمديه وجواهر استخرجتها من قاموس الحكم المصطفويه وزواهر اقتبستها من ارقعة السيرة الهاشميه وزهور اجتنيتها من جنات وجنات الروضة المدنيه يبهر من عقد نظامها الناظر وينادى من أين هذا لهذا القاصر فيجيبه حال اللسان الوهاب قوى قادر اما العيوب وان كثرت فما لا سبيل الى السلامة منها لغير المعصوم وقد قال

من

(بسم الله الرحمن الرحيم)
رب يسر وأعن يا كريم
وصلى الله على سيدنا محمد
الامين وعلى آله الاكرمين
الحمد لله رب العالمين
والعاقبة للمتقين ولا
عدوان الا على الظالمين
ولا اله الا انت اله الاولين
والآخرين وقيوم
السموات والارضين ومالك
يوم الدين الذى لا فوز الا
فى طاعته ولا عز الا فى
التذلل لعظمته ولا غناء
الا فى الافتقار الى رحمته
ولا هدى الا فى الاستدلال
بنوره ولا حياة الا فى رضاه
ولا نعيم الا فى [illegible] به ولا
صلاح للقلب ولا فلاح الا
فى الاخلاص له وتوحيد
حبه الذى اذا اطيع شكر
واذا عصى تاب وغفر واذا
دعى اجاب واذا عومل
اثاب والحمد لله الذى شهدت
له بالربوبية جميع مخلوقاته
واقرت له بالالهية جميع
مصنوعاته واشهد بانه
الله الذى لا اله الا هو بما
أودعها من عجائب صنعته
وبدائع آياته وسبحان
الله وبحمده عدد خلقه
ورضاء نفسه وزنة عرشه
ومداد كلماته ولا اله الا الله
وحده لا شريك فى الهيته
كما لا وزير له فى ربوبيته
ولا شبيه له فى ذاته ولا فى
افعاله ولا فى صفاته والله
اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا

من ذا الذي ما ساء قط * ومن له الحسنى فقط

وقد قال ابن عبدوس النيسابوري لا أعلم في الدنيا كتابا سلم الى مؤلفه ولم يتبعه من يليه فكيف وفهمي فاتر ونظري قاصر ووجودي في الزمان الآخر مع ما أقاسيه من تلاطم أمواج الهموم وأقاومه من ترادف جيوش الغموم لكني انتظر الفرج من الحي القيوم مستعيذا به من حسود ظلوم والله أسأل العون على اتمامه والتوفيق من امتنانه وهو حسبنا ونعم الوكيل (هذا) وجامعه الحقير الفاني محمد بن عبد الباقي الزرقاني قد أخذ الكتاب رواية ودراية عن علامة الدنيا الآخذ من بحار التحقيق بالغايتين القصوى والدنيا الاصولي النحوي النظار الفقيه النحرير الجهبذ الفهامة النبيه الشيخ علي الشبراملسي شيخ الاسلام فسح الله له وأدام به نفع الانام وكم بحمد الله صغى لي وسمع ما أقول وكتب اتقالي وحثني على احضار ما أراه من النقول اذا رأى ملالي ولم أزل عنده من نعم الله بالمحل الارفع العالي والله يعلم اني لم أقل ذلك للفخر وأي فخر لمن لا يعلم ما حاله في القبر بل امتثالا للامر بالتحدث بالنعمه كشف الله عنا كل غمه بحق روايته له عن شيخ الاسلام أحمد بن خليل السبكي اجازة عن السيد يوسف الارميوني عن المؤلف وعن البرهان ابراهيم اللقاني عن العارفين الحمد بن البنوفري وابن الترجمان عن العارف الشعراني عن مؤلفها * وعن الفقيه النور الاجهوري عن البدر القرافي والبنوفري عن عبد الرحمن الاجهوري عن مؤلفه * وقد وضع عليه حال القراءة هاتيك الحاشية الرقيقه الحاوية لجواهر ابحاثه الدقيقه وبدور الانقال الانيقه وهو مرادي بشيخنا في الاطلاق وربما عبرت عنه بالشارح لغرض صحيح لدى الحذاق (ح) وأخبرنا به اجازة أبو عبد الله الحافظ محمد العلائي البابلي قال أخبرنا بها سماعا لبعضها واجازة لباقيها شيخ الاسلام علي الزيادي عن قطب الوجود أبي الحسن البكري عن مؤلفها وهو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك بن أحمد القسطلاني القتيبي المصري الشافعي ولد كما ذكره شيخه الحافظ السخاوي في الضوء بمصر ثاني عشر ذي القعدة سنة احدى وخمسين وثمانمائة وأخذ عن الشهاب العبادي والبرهان العجلوني والفخر المقدسي والشيخ خالد الازهري النحوي والسخاوي وغيرهم وقرأ البخاري على الشهاوي في خمسة مجالس وحج مرارا وجاور بمكة مرتين وروى عن جمع منهم النجم بن فهد وكان يعظ بالغمري وغيره للجم الغفير ولم يكن له في الوعظ نظير انتهى * وتوفي ليلة الجمعة بالقاهرة سابع محرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وصلى عليه بعد صلاة الجمعة بالازهر ودفن بمدرسة العيني وله عدة مؤلفات أعظمها هذه المواهب اللدنية التي أشرقت من سطورها أنوار الابهة والجلاله وقطرت من أديمها ألفاظ النبوة والرساله أحسن فيها ترتيبا وصنعا وأحكمها ترصيعا ووضعا وكساه الله فيها رداء القبول ففاقت على كثير مما سواها عند ذوي العقول قال رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم) بدأ بها عملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع رواه الخطيب وغيره من حديث أبي هريرة وأصله في سنن أبي داود وابن ماجه والنسائي في عمل يوم وليلة وابن حبان في صحيحه بلفظ بالحمد وفي لفظ ابتر وآخر اجذم بجيم وذال معجمة تشبيه بليغ في العيب المنفر واقتداء باشرف الكتب السماويه فان العلماء متفقون على استحباب ابتدائه بالبسملة في غير الصلاة وان لم يقل بانها منه كما قاله الحطاب فسقط اعتراض مالكي على من قال ذلك من المالكية والاصح انها بهذه الالفاظ العربية على هذا الترتيب من خصائص المصطفى وأمته المحمدية وما في سورة النمل جاء على جهة الترجمة عما في ذلك الكتاب فانه لم يكن عربيا كما أتقنه بعض المحققين وعند الطبراني عن بريدة رفعه أنزل على آية لم تنزل على نبي بعد سليمان غيري بسم الله الرحمن الرحيم وحديث بسم الله الرحمن الرحيم كل كتاب رواه الخطيب في الجامع معضلا وفيه وجهان أحدهما لفظ البسملة قد افتتح به كل كتاب من الكتب السماوية المنزلة على الانبياء والثاني ان حقها ان تكون في مفتتح كل كتاب استعانة وتيمنا بها وهذا أقرب وان زعم أن المتبادر الاول فلا ينافي الخصوصية ولئن سلم فهو معضل لا حجة فيه وفي الاسم

وسبحان الله بكرة وأصيلا وسبحان من سبحت له السموات وأملاكها والنجوم وأفلاكها والارض وسكانها والبحار وحيتانها والنجوم والجبال والشجر والدواب والآكام والرمال وكل رطب ويابس وكل حي وميت فسبحان رب السموات السبع ومن فيهن وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له كلمة قامت بها الارض والسموات وخلقت لاجلها جميع المخلوقات وبها أرسل الله رسله وأنزل كتبه وشرع شرائعه ولاجلها نصبت الموازين ووضعت الدواوين وقام سوق الجنة والنار وبها تقاسمت الخليقة الى المؤمنين والكفار والابرار والفجار فهي منشأ الخلق والامر والثواب والعقاب وعليها نصبت القبلة وعليها أسست الملة ولاجلها جردت سيوف الجهاد وهي حق الله على جميع العباد فهي كلمة الاسلام ومفتاح دار السلام وعنها يسئل الاولون والآخرون فلا تزول قدم العبد بين يدي الله حتى يسئل عن مسئلتين ماذا كنتم تعبدون وماذا أجبتم المرسلين فجواب الاولى

بتحقيق لا اله الا الله معرفة واقرارا وعملا وجواب الثانية بتحقيق أن محمدا رسول الله معرفة واقرارا وانقيادا وطاعة وأشهد

أن محمدا عبده و رسوله
وأمينه على وحيه وخيرته
من خلقه وسفيره بينه
و بين عباده المبعوث
بالدين القويم والمنهج
المستقيم أرسله الله رحمة
للعالمين واماما للمتقين
وحجة على الخلائق أجمعين
أرسله على حين فترة من
الرسل فهدى به الى أقوم
الطرق وأوضح السبل
وافترض على العباد
طاعته وتعزيزه وتوقيره
ومحبته والقيام بحقوقه
وسد دون جنته الطرق
فلم تفتح لاحد الا من طريقه
فشرح له صدره ورفع له
ذكره ووضع عنه وزره
وجعل الذلة والصغار على
من خالف أمره ففي المسند
من حديث أبي منيب
الجرشي عن عبد الله بن
عمر رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بعثت بالسيف
بين يدي الساعة حتى
يعبد الله وحده لا شريك
له وجعل رزقي تحت
ظل رمحي وجعل الذلة
والصغار على من خالف
أمري ومن تشبه بقوم
فهو منهم وكما ان الذلة
مضروبة على من خالف
أمره فالعز لاهل طاعته
ومتابعته قال الله سبحانه
ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم
الاعلون ان كنتم مؤمنين

وقال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقال تعالى فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الاعلون والله

قد

لغات معلومة وفي أنه عين المسمى أوغيره كلام سيجيء ان شاء الله تعالى في أول المقصد الثاني واضافته الى الله من اضافة العام للخاص كخاتم حديد واتفق على انه أعرف المعارف وان كان علما انفرد به سبحانه فقال هل تعلم له سميا وهو عربي ونطق غير العرب به من توافق اللغات مرتجل جامد عند المحققين وقيل مشتق وعليه جمهور النحاة وهو اسم الله الاعظم كما قال جماعة لانه الاصل في الاسماء الحسنى لان سائر الاسماء تضاف اليه وعدم اجابة الدعاء به لكثير لفقد شروط الدعاء التي منها أكل الحلال البحت وحفظ اللسان والفرج * والرحمن المبالغ في الرحمة والانعام صفة الله تعالى وعورض بوروده غير تابع لاسم قبله قال تعالى الرحمن على العرش استوى والرحمن علم القرآن وأجيب بانه وصف يراد به الثناء وقيل عطف بيان ورده السهيلي بان اسم الجلالة الشريف غير مفتقر لانه أعرف المعارف كلها ولذا قالوا وما الرحمن ولم يقولوا وما الله * والرحيم فعيل محول من فاعل للمبالغة والاسمان مشتقان من الرحمة وقرن بينهما للمناسبة ومعناهما واحد عند المحققين الا ان الرحمن مختص به تعالى ولذا قدم على الرحيم لانه صار كالعلم من حيث انه لا يوصف به غيره وقول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم لا زلت رحمانا تعنت في الكفر أو شاذ أو المختص بالله تعالى المعرف باللام فالرحمن خاص لفظا لحرمة اطلاقه على غير الله عام معنى من حيث انه يشمل جميع الموجودات والرحيم عام من حيث الاشتراك في التسمي به خاص معنى لرجوعه الى اللطف والتوفيق وقد قال صلى الله عليه وسلم الله رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما رواه الحاكم وقيل اسم الله الاعظم هو الاسماء الثلاثة الله الرحمن الرحيم * وروى الحاكم في المستدرك وصححه عن ابن عباس ان عثمان بن عفان سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله تعالى وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب ولكون الحمد من أفرادها اقتصر عليها امامنا في الموطا والبخاري وأبو داود ومن لا يحصى وأيده الحافظ بان أول ما نزل اقرأ باسم ربك فطريق التأسي به الافتتاح بها والاقتصار عليها وبان كتبه صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم مفتتحة بها دون حمدلة وغيرها لكن المصنف كالاكثر أردفها به لان المقتصر عليها لا يسمى حامدا عرفا فقال (الحمد لله) وللاقتداء بالكتاب العزيز ولقوله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل يحب ان يحمد رواه الطبراني وغيره * وروى الشيخان وغيرهما مرفوعا لا أحد أحب اليه الحمد من الله عز وجل وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحمد يحمد به ليثيب حامده وجعل الحمد لنفسه ذكرا ولعباده ذخرا رواه الديلمي عن الاسود بن سريع وقوله صلى الله عليه وسلم كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أقطع رواه أبو داود وابن ماجه وغيرهما وصححه ابن حبان وأبو عوانة وان كان في سنده قرة بن عبد الرحمن تكلم فيه لانه لم ينفرد به بل تابعه سعيد بن عبد العزيز أخرجه النسائي وفي رواية أجذم لا يفتتح بذكر الله فهو أبتر أو اقطع تشبيه بليغ في العيب المنفر بحذف الاداة والاصل هو كالابتر أو الاقطع في عدم حصول المقصود منه أو استعارة ولا يضر الجمع فيه بين المشبه والمشبه به لان امتناعه اذا كان على وجه ينبئ عن التشبيه لا مطلقا للتصريح بكونه استعارة في نحو * قد زر ازراره على القمر * على ان المشبه في هذا التركيب محذوف والاصل هو ناقص كالاقطع فحذف المشبه وهو الناقص وعبر عنه باسم المشبه به فصار المراد من الاقطع الناقص وعليه فلا جمع بين الطرفين بل المذكور اسم المشبه به فقط (الذي اطلع) نعت لله والجملة الفعلية صلة الموصول وهو وصلته كالشيء الواحد وهما في معنى المشتق لان الصلة هي التي حصلت بها الفائدة وترتيب الحكم على المشتق يؤذن بعلية ما منه الاشتقاق فكأنه قال لاطلاع الى آخره فيكون حمده تعالى لذاته ولصفاته فهو واجب أي يثاب عليه ثوابه لا انه يأثم بتركه لا لفظا ولا نية وقد قام البرهان عقلا ونقلا على وجوب حمده سبحانه لان شكر المنعم واجب به للآيات والاخبار الآمرة بالتدبر الموجبة للتفكر وهو سبحانه وتعالى قد أفاض نعمه على كل موجود ظاهرة وباطنة وان كان

تكم وقال تعالى يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا يحتاجون معه

قد تفاوت بينهم فيها ولذا قيل نعمتان ما خلا موجود عنهما نعمة الايجاد ونعمة الامداد (في سماء الازل) بالتحريك القدم فهو استعارة بالكناية بتشبيه الازل من حيث وجوده قبل العالم بمكان يعلو وسماء وأثبت له السماء استعارة تخييلية والسماء المظلة للارض قال ابن الانبارى تذكر وتؤنث وقال الفراء التذكير قليل وهو على السقف وكانه جمع سماوة كسحاب وسحابة وجمعت على سموات (شمس أنوار) جمع نور أي أضواء (معارف النبوة المحمدية) ولكونها قبل العالم عبر باطلاع المشعر بأنها لم تكن موجودة ثم كانت لانتفاء القدم لغير البارى ثم بعد وجوده واشراقه بمظاهر الصفات وهي كائنة في عالم المشاهدة عبر بالاشراق الذى هو الاضاءة لهذا العالم فقال (وأشرق) أي أضاء وهو لازم كما قال تعالى وأشرقت الارض بنور ربها ويعدى في كلام المولدين حملا على اضاء لانه بمعناه والشئ يحمل على نظيره وضده وأضاء متعديا ولازما أو بتضمين معناه أو بمعنى التصيير كما قيل به في * ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * واستعماله مزيدا أكثر وثبت ثلاثيه فقيل هما بمعنى وقيل أشرقت أضاءت وشرقت طلعت (من أفق) بضم فسكون وبضمتين كما في القاموس وغيره أي ناحية (أسرار مظاهر الرسالة) جمع مظهر اسم موضع الظهور وقال في لطائف الاعلام الافق في اصطلاح القوم يكنى به عن الغاية التى ينتهى اليها سلوك المقربين وكل من حصل منهم الى الله على مرتبة قرب اليه فتلك المرتبة هي أفقه ومعراجه (تجلى الصفات) هو عند الصوفية ما يكون مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها عن الذات كذا في التوقيف وقال صاحب لطائف الاعلام في اشارات أهل الالهام يعنون بالتجلى الصفاتي تجريد القوى والصفات عن نسبتها الى الخلق باضافتها الى الحق وذلك ان العبد اذا تحقق بالفقر الحقيقى وهو انتفاء الملك بشهود العز له تعالى صار قلبه قبلة التجلى الصفاتي بحيث يصير هذا القلب التقى النقى مرآة ومجلى للتجلى الوحداني الصفاتي الشامل حكمه لجميع القوى والمدارك كما اليه الاشارة بالحديث القدسى فاذا أحببته كنت سمعه الحديث وأطال في بيان ذلك (الاحمدية) المنسوبة الى أحمد صلى الله عليه وسلم وهو اسم لم يتسم به أحد قبله قال الحافظ والمشهوران أول من سمى به بعده صلى الله عليه وسلم والد الخليل بن أحمد لكن زعم الواقدى انه كان لجعفر بن أبي طالب ابن اسمه أحمد * وحكى ابن فتحون في ذيل الاستيعاب ان اسم أبي حفص بن المغيرة الصحابي أحمد ويقال في والد أبي السفران اسمه أحمد قال الترمذى أبو السفر هو سعيد بن محمد ويقال ابن أحمد انتهى (أحمده على ان وضع أساس) أصل (نبوته) أي النبي المفهوم من نبوة أو نبوة محمد صلى الله عليه وسلم المستفاد من المحمدية والاحمدية (على سوابق أزليته) أي على الامور التى اعتبرها في الازل سابقة على غيرها قال محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازى وليس هو الفخر صاحب التفسير في كتابه مختار الصحاح الازل القدم يقال أزلى ذكر بعض أهل العلم ان أصل هذه الكلمة قولهم للقديم لم يزل ثم نسب الى هذا فلم يستقم الا باختصار فقالوا يزلى ثم أبدلت الياء ألفا لانها أخف فقالوا أزلى كما قالوا في الرمح المنسوب الى ذى يزن أزنى (ورفع دعائم رسالته) أي المعجزات عبر عنها بذلك لمشابهتها لها في اثبات رسالته وتقويتها كتقوية الجدار بما يدعم به ثم هو استعارة تصريحية شبه المعجزات بالدعائم واستعار اسمها لها أو مكنية شبه الرسالة المؤيدة بالمعجزة ببيت مشيد الاركان مدعم بما يمنع تطرق الخلل له وأثبت الدعائم تخييلا ولم تزل البلغاء تستعير الدعائم كقول ابن زيدون

أين البناء الذى ارسوا قواعده * على دعائم من عز ومن ظفر

ويقال للسيد في قومه هو دعامة القوم كما يقال هو عمادهم قال الراغب الرسالة سفارة العبد بين الله وبين خلقه وقيل ازاحة علل ذوى العقول فيما تقصر عنه عقولهم من مصالح المعاش والمعاد وجمع بعض المحققين بينهما فقال سفارة بين الله وبين ذوى الالباب لازاحة عللهم فيما يحتاجون من مصالح الدارين وهذا حد كامل جامع بين المبدا المقصود بالرسالة وهي الخصوصية وبين منتهاها وهو ازاحة عللهم انتهى (على لواحق أبديته) أي دهوره التى لا انقضاء لها فالابد الدهر الذى لا نهاية له أو الدهر وعبر هنا

الى أحد وهنا تقديران أحدهما أن تكون الواو عاطفة لمن على الكاف المجرورة ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار على المذهب المختار وشواهده كثيرة وشبه المنع منه واهية والثانى أن تكون الواو واو مع وتكون من في محل نصب عطفا على الموضع فان حسبك في معنى كافيك أي الله يكفيك ويكفى من اتبعك كما تقول العرب حسبك وزيدا درهم قال الشاعر

اذا كانت الهيجاء وانشقت العصا
فحسبك والضحاك سيف مهند

وهذا أصح التقديرين وفيها تقدير ثالث أن تكون من في موضع رفع بالابتداء أي ومن اتبعك من المؤمنين فحسبهم الله وفيها تقدير رابع وهو خطأ من جهة المعنى وهو أن يكون من في موضع رفع عطفا على اسم الله ويكون المعنى حسبك الله وأتباعك وهذا وان قال به بعض الناس فهو خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه فان الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة قال الله تعالى وان يريدوا ان يخدعوك

فان حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده

بلواحق لانه محل المعجزات وهى انما تكون بعد وجوده فى ذا العالم فناسب ان تكون على الامور اللاحقة الخارقة للعادة وفيما قبل بسوابق لانه مظهر لاساس النبوة وهو معتبر قبل وجود العالم (واشهد) أقر واعلم وأبين والشهادة الاخبار عن أمر متيقن قطعا (ان لا اله) لا معبود بحق (الا الله) أتى به لخبر أبى داود والترمذى والبيهقى وصححه مرفوعا كل خطبة ليس فيها تشهد فهى كاليد الجذماء أى القليلة البركة وان المخففة من الثقيلة لا الناصبة للفعل اذ لا فعل هنا ولان أشهد من أفعال اليقين فيجب أن يكون بعدها ان المؤكدة لتناسب اليقين (وحده) نصب على الحال بمعنى متوحدا وهو توكيد لتوحيد الذات (لا شريك) لا مشارك (له) تأكيد لتوحيد الافعال ردا على نحو المعتزلة وقد روى مالك وغيره مرفوعا أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له (الفرد) قال الراغب الفرد الذى لا يختلط بغيره وهو أعم من الوتر وأخص من الواحد وجمعه فرادى قال تعالى لا تذرنى فردا أى وحيدا ويقال فى الله فرد تنبيها على انه مخالف للاشياء كلها فى الازدواج المنبه عليها بقوله تعالى ومن كل شئ خلقنا زوجين وقيل معناه انه المستغنى عما عداه فهو كقوله تعالى ان الله لغنى عن العالمين فاذا قيل هو فرد فمعناه منفرد بوحدانيته مستغن عن كل تركيب مخالف للموجودات كلها (المنفرد) من باب الانفعال للمطاوعة والمراد بدون صنع بل بذاته واطلاقه على الله اما لثبوته كما يشعر به كلامهم أو للاكتفاء بورود ما يشاركه فى مادته ومعناه أو بناء على جواز اطلاق ما لا يوهم نقصا مطلقا أو على سبيل التوصيف دون التسمية كما ذهب اليه الغزالى (فى فردانيته بالعظمة والجلال) مرادف لجلال الله عظمته والعظمة هى جلاله وكبرياؤه لكن قال الرازى الجليل الكامل فى الصفات والكبير الكامل فى الذات والعظيم الكامل فيهما فالجليل يفيد كمال الصفات السلبية والثبوتية وقد ذهب الاصمعى الى ان الجلال لا يوصف به غير الله لغة وأكثر اللغويين على خلافه وانه يوصف به غيره كقوله

ألم على أرض تقادم عهدها * بالجذع واستلب الزمان جلالها

وكقول هدبة

فلا ذا جلال هبنه لجلاله * ولا ذا ضياع هن يتركن للعقد

(الواحد) فى ذاته وصفاته وأفعاله من الاسماء الحسنى كما فى رواية الترمذى وفى رواية ابن ماجه الاحد قال الازهرى الفرق بينهما ان الاحد بنى لنفى ما يذكر معه من العدد تقول ما جاءنى أحد والواحد اسم بنى لمفتتح العدد تقول ما جاءنى واحد من الناس ولا تقول جاءنى أحد فالواحد منفرد بالذات فى عدم المثل والنظير والاحد منفرد بالمعنى وقال غيره الاحد الذى ليس بمنقسم ولا متحيز فهو اسم لمعنى الذات فيه سلب الكثرة عن ذاته والواحد وصف لذاته فيه سلب النظير والشريك عنه فافترقا وقال السهيلى أحد أبلغ واعم ألا ترى ان ما فى الدار احد أعم وأبلغ من ما فيها واحد وقال بعضهم قد يقال انه الواحد فى ذاته وصفاته وأفعاله والاحد فى وحدانيته اذ لا يقبل التغيير ولا التشبيه بحال (المتوحد) فيه ما مر فى المنفرد ولو أبدله بالاحد لكان فيه تلميح بالروايتين (فى وحدانيته باستحقاق الكمال) اذ الكمال الخالص المطلق ليس الا له فلا يتغير سبحانه وتعالى ولما كان الواسطة فى وصول الفيض من الله الينا هو النبى صلى الله عليه وسلم وتطابق العقل والنقل على وجوب شكر المنعم عقب الشهادة لله بالشهادة لرسوله فقال (وأشهد ان سيدنا وحبيبنا) طبعا وشرعا لحب الله (محمدا عبده ورسوله) صلى الله عليه وسلم ولدخوله فى قوله كل خطبة الحديث قال تعالى ورفعنا لك ذكرك أى لا أذكر الا وتذكر معى كما ورد مفسرا عن جبريل عن الله تعالى والمصطفى هو الذى علمنا شكر المنعم وكان السبب فى كمال هذا النوع اذ لا بد من القابل والمفيد واجسامنا فى غاية الكدورة وصفات البارى فى غاية العلو والصفاء والضياء فاقتضت الحكمة الالهية توسط ذى جهتين تكون له صفات عالية جدا وهو من جنس البشر ليقبل عن الله بصفاته الكمالية ونقبل عنه بصفاتنا البشرية فلذا استوجب قرن شكره بشكره ومحمدا عطف بيان لا صفة لتصريحهم بأن العلم ينعت ولا ينعت به ولا بدل لان البدلية وان جوزت فى ذكر رحمة

وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله فاذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك فكيف يقول لرسوله حسبك الله ومن اتبعك وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه فكيف يشرك بينهم وبينه فى حسب رسوله هذا من أمحل المحال وأبطل الباطل ونظير هذا قوله ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون فتامل كيف جعل الايتاء لله ولرسوله كما قال تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وجعل الحسب له وحده فلم يقل وقالوا حسبنا الله ورسوله بل جعله خالص حقه كما قال انا الى الله راغبون ولم يقل والى رسوله بل جعل الرغبة اليه وحده كما قال تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فالرغبة والتوكل والانابة والحسب لله وحده كما ان العبادة والتقوى والسجود لله وحده والنذر والحلف لا يكون الا له سبحانه وتعالى ونظير هذا قوله تعالى أليس الله بكاف عبده فالحسب هو الكافى فاخبر سبحانه وتعالى انه وحده كاف عبده فكيف يجعل اتباعه مع ... ربك

ربك عبده زكريا لكن القصد الاصلي هنا ايضاح الصفة السابقة وتقرير النسبة تبع والبدلية تستدعي العكس وقدم العبودية المضافة لله لكونها اشرف اوصافه وله بها كمال اختصاص ولان العبد يتكفله مولاه باصلاح شانه والرسول يتكفل لمولاه باصلاح شان الامة وكم بينهما واوماء الى ان النبوة وهبية ولان العبودية في الرسول لكونها انصرافا من الخلق الى الحق اجل من رسالته لكونها بالعكس (اشرف أفراد (نوع الانسان) ذاتا وصفات والاضافة بيانية (وانسان) أي حدقة (عيون الاعيان المستخلص المنتخب (من خالص خلاصة) قال في المصباح خلاصة الشئ بالضم ما صفا منه مأخوذ من خلاصة السمن وهو ما يلقى فيه تمر او سويق ليخلص به من بقايا اللبن انتهى (ولد) بفتحتين وبضم فسكون يكون واحدا وجمعا (عدنان) احد اجداده (الممنوح) المخصوص وأصل المنحة العطية ويتعدى بنفسه وضمنه هنا معنى المخصوص فعداه بالباء في قوله (ببدائع الآيات) جمع آية ولها معان منها العلامة الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم (المخصوص بعموم الرسالة) للعالمين ومنهم الملائكة على ما رجحه جمع محققون وردوا على من حكى الاجماع على انفكاكهم عن شرعه بل زاد بعضهم والجمادات كما سيأتي ان شاء الله تعالى تفصيله في محله (وغرائب المعجزات) من اضافة الصفة للموصوف والآية والمعجزة مشتركان في الدلالة على صدقه لكن الآية اعم لانه لا يشترط فيها مقارنة النبوة والتحدي فكل معجزة آية ولا عكس فشق صدره وتسليم الحجر عليه قبل البعثة ونحوه آية لا معجزة (السر الجامع) بين ما تفرق في غيره وبين الحكم بالظاهر والباطن والشريعة والحقيقة ولم يكن للانبياء الا احدهما بدليل قصة موسى مع الخضر وقد نص عليه البدر ابن الصاحب في تذكرته وايد بحديث السارق والمصلي الذي امر بقتلهما (الفرقاني) نسبة الى الفرقان لفرقه بين الحق والباطل (المخصص بمواهب التقرب) من ربه تبارك وتعالى قرب مكانة زيادة على من سواه (من النوع الانساني) فان المقربين منهم قربهم دون قربه عليه السلام (مورد الحقائق الازلية) جمع حقيقة وهي عند ارباب السلوك العلوم المدركة بتصفية الباطن (ومصدرها) يعني ان ذاته محل لورود الحقائق عليها من الحق ومحل لصدورها عنها الى الخلق (وجامع جوامع مفرداتها ومنبرها وخطيبها اذا حضر في حظائر قدسها) بضمتين وتسكن داله أي مواضع طهارتها جمع حظيرة وهي في الاصل ما حظرته على الغنم وغيرها من الشجر للحفظ والقدس اصل معناه الطهر سمي به جبل المقدس لطهارته بالعبادة فيه وقدس الله وحظيرة قدسه الجنة قال التبريزي في شرح ديوان الحماسة واسم الجبل يقال انه غير منصرف وانشد والكثير كالمصرحي غدا فاصبح واقفا * في قدس بين مجاثم الاوعال (ومحضرها) أي محل حضورها (بيت الله المعمور) بما أورده عليه فوعاه مما لا يطيقه غيره ولم ينزله على احد قبله وسماه بيتا على التشبيه وما يروى القلب بيت الرب لا اصل له كما في المقاصد (الذي اتخذه لنفسه) مجاز عن ادخال علومه فيه واطلاق النفس على الله كقوله كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله أنت كما أثنيت على نفسك وقيل انما يرد للمشاكلة كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك (وجعله ناظما) أي جامعا (لحقائق انسه) جمع حقيقة وهي ما اقر في الاستعمال على اصل وضعه في اللغة قاله ابن جني وابن فارس وزاد من قولنا حق الشئ اذا وجب واشتقاقه من الشئ المحقق وهو المحكم وقال المرزوقي هي في كلام العرب الامور التي يحق حمايتها * والانف من تركها عن الرؤساء وقال الخليل هي ما يصير اليه حق الامر ووجوبه كما قيل ألم ترأني قد حميت حقيقتي * وباشرت حد الموت والموت دونها (مدة) بالنصب والرفع أي اصل (مداد نقطة الاكوان) أي مركزه الذي يدور عليه (ومنبع) بفتح الميم والباء مخرج (ينابيع) جمع ينبوع وهي في الاصل العين التي يخرج منها الماء فشبه بها (الحكم) جمع حكمة وهي تحقيق العلم واتقان العمل كما في الانوار وقال النووي فيها اقوال كثيرة صفا لنا منها انها العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك انتهى ملخصا قال الحافظ وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله

ثم في هذه الكفاية والادلة الدالة على بطلان هذا التأويل الفاسد اكثر من ان تذكر ههنا والمقصود ان بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة كما ان بحسب متابعته تكون الهداية والصلاح والنجاة فالله سبحانه علق سعادة الدارين بمتابعته وجعل شقاوة الدارين في مخالفته فلاتباعه الهدى والامن والفلاح والعزة والكفاية والنصرة والولاية والتاييد وطيب العيش في الدنيا والآخرة ولمخالفيه الذلة والصغار والخوف والضلال والخذلان والشقاء في الدنيا والآخرة وقد اقسم صلى الله عليه وسلم بان لا يؤمن احد حتى يكون هو احب اليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين واقسم سبحانه بان لا يؤمن من لا يحكمه في كل ما تنازع فيه هو وغيره ثم رضي بحكمه ولا يجد في نفسه حرجا مما حكم به ثم يسلم له تسليما وينقاد له انقيادا وقال تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من امرهم فقطع سبحانه وتعالى التخيير بعد امره وأمر رسوله فليس لمؤمن ان يختار شيا بعد امره صلى الله عليه وسلم بل اذا أمر فامره حتم وانما الخيرة في قول غيره اذا خفي امره وكان ذلك الغير من أهل العلم به وبسنته فبهذه الشروط يكون قول غيره سائغ الاتباع لا واجب الاتباع فلا يجب على احد اتباع

وعلى النبوة كذلك وقد تطلق على العلم فقط وعلى المعرفة فقط انتهى (والعرفان) أى العلم مصدر عرف (الممد) اسم فاعل (من بحر مدد الوفا على القائل من أهل المعارف والاصطفاء) الاختيار وعلل كونه من أهلهما بقوله (حيث خاطب) القائل (ذاته) صلى الله عليه وسلم (بالمنح) العطايا (الانفسية) أى الشريفة (بشعر من بحر الطويل) أحد بحور الشعر المعروفة (فانت رسول الله) نداء والخبر (أعظم كائن) موجود (وأنت لكل الخلق بالحق) أى الامور المطابقة للواقع (مرسل) من الله (عليك مدار) مصدر ميمى أى دوران (الخلق اذ أنت قطبه) أى أصل الخلق الذى يرجع اليه (وأنت منار الحق تعلو) ترتفع على غيرك (وتعدل) فى قضاياك بين الناس (فؤادك) قلبك أو غشاؤه وقوى بحديث ارق افئدة والين قلوبا (بيت الله) اضافة لامية على مجاز الحذف أى بيت علوم الله كما أوضحه بقوله (دار علومه) وهى لامية أيضا وقد أعلمه الله تعالى ما عدا مفاتح الغيب الخمسة وقيل حتى هى وأمره بكتمها كما فى الخصائص (و) أنت (باب عليه منه للحق) أى للامور المطابقة للواقع فحذف الموصوف أولا وأم الله فحذف المضاف (يدخل ينابيع) جمع ينبوع وهو فى الاصل العين التى تورد

(علم الله منه تفجرت * ففى كل حى منه لله منهل) بفتح الميم والهاء أى عين تورد (منحت) أى خصصت (بفيض الفضل كل مفضل * فكل له فضل) أى كل انسان ثبت له فضل فهو (به منك يفضل) فالبيت على حد قول البوصيرى

وكلهم من رسول الله ملتمس * غرفا من البحر أو رشفا من الديم

(نظمت نثار) بكسر النون بعدها مثلثة بمعنى المنثور ككتاب بمعنى مكتوب (الانبياء) أى شرائعهم (فتاجهم) مفرد تيجان وهو ما يصاغ للملوك من الذهب والجوهر وقد توجته اذا ألبسته التاج كما فى النهاية (لديك) أى عندك (بانواع الكمال مكلل) بلام بين خبر تاج أى مرصع ونسخة مكمل بالميم يأباها الطبع (فيامدة) أى زيادة (الامداد نقطة خطه وياذروة الاطلاق اذ يتسلسل محال) باطل غير ممكن الوقوع انه (يحول) يتغير (القلب عنك وانى وحقك لا اسلو) اصبر (ولا أتحول) عن حبك (عليك صلاة الله منه) متعلق بقوله (تواصلت صلاة اتصال) مفعول مطلق (عنك لا تتنصل) أى لا تزول عنك (شخصت) بفتحات نظرت (أبصار بصائر) جمع بصيرة وهى للنفس كالعين للشخص (سكان سدة المنتهى) وهم الملائكة الكرام * روى أبو يعلى والبزار وابن جرير وابن ماجه عن أبى سعيد رفعه فى حديث المعراج وغشيها من الملائكة امثال الغربان حين يقعن على الشجر وعند الحاكم وغيره عن أبى هريرة راعه ونزل على كل ورقة ملك من الملائكة (الجلال) عظمة (جماله) حسنه وفى جعله الشخوص للجلال الجمال دون الجمال نفسه لطف وايماء الى ان هؤلاء وان كانوا مقربين ما استطاعوا النظر لنفس الحسن بل شخصوا فى الجلال الحاجب له فكيف بغيرهم ولذا قال على يقول ناعته أى عند العجز عن وصفه لم أر قبله ولا بعده مثله ومن ثم لم يفتتن به مع انه أوتى كل الحسن كما قال

بجمال حجبته بجلال * طاب واستعذب العذاب هنا كا

وحنت) اشتاقت (أرواح رؤساء الانبياء) أكابرهم وهم الذين رأوه فى السموات ليلة المعراج (الى مشاهدة) أى رؤية (كماله) هو التمام فيما يفضل به الشئ على غيره فيشمل الظاهر والباطن لكن المراد هنا الظاهر لانه المشاهد بالحاسة لا الباطن لعدم تعلقها به وان تعلقت بما دل عليه وتخصيص الارواح بالذكر لان الادراك بها وان نسب للجسد فهو بواسطتها فلا يشكل بما فى تنوير الحلك من انه لا يمتنع رؤية ذاته عليه السلام بجسده وروحه وذلك لانه وسائر الانبياء صلى الله عليه وسلم ردت اليهم أرواحهم بعد ما قبضوا واذن لهم فى الخروج من قبورهم للتصرف فى الملكوت العلوى والسفلى انتهى ونحوه ما يأتى للمصنف فى غير موضع من هذا الكتاب وقد روى الحاكم فى تاريخه والبيهقى فى حياة الانبياء عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الانبياء لا يتركون فى قبورهم أربعين ليلة ولكن يصلون بين يدى الله

قول أحد سواه بل غايته أنه يسوغ له اتباعه ولو ترك الاخذ بقول غيره لم يكن عاصيا لله ورسوله فاين هذا من يجب على جميع المكلفين اتباعه ويحرم عليهم مخالفته ويجب عليهم ترك كل قول لقوله فلا حكم لاحد معه ولا قول لاحد معه كما لا تشريع لاحد معه وكل من سواه فانما يجب اتباعه على قوله اذا أمر بما أمر به ونهى عما نهى عنه فكان مبلغا محضا ومخبرا لا منشأ ومؤسسا فمن انشأ اقوالا واسس قواعد بحسب فهمه وتأويله لم يجب على الامة اتباعها ولا التحكيم اليها حتى تعرض على ما جاء به فان طابقته ووافقته وشهد لها بالصحة قبلت حينئذ وان خالفته وجب ردها واطراحها وان لم يتبين فيها أحد الامرين جعلت موقوفة وكان أحسن أحوالها ان يجوز الحكم والافتاء بها وتركه واما انه يجب ويتعين فكلا ولما و بعد فان الله سبحانه وتعالى هو المتفرد بالخلق والاختيار من المخلوقات قال الله تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار وليس المراد ههنا بالاختيار والارادة التى يشير اليها المتكلمون بانه الفاعل المختار وهو سبحانه كذلك وليس المراد بالاختيار هنا هذا المعنى وهذا الاختيار داخل فى قوله يخلق ما يشاء فانه لا يخلق الا باختياره وداخل فى قوله تعالى ما يشاء فان المشيئة هى الاختيار وانما المراد بالاختيار ههنا الاجتباء تعالى

تعالى حتى ينفخ في الصور وقال البيهقي فعلى هذا يصيرون أي يكونون حيث ينزلهم الله تعالى انتهى وهذا لا يشكل بأن الانبياء في قبورهم وان المصطفى أول من تنشق عنه الارض وأول من يقوم من قبره لان معناه لا يتركون على حالة بحيث لا يقوى تعلق روحهم بجسدهم على وجه يمنع من ذهاب الروح بعد تعلقها بالجسد حيث شاءت متشكلة بصورة الجسد وان بقي الجسد نفسه الى يوم القيامة في القبر وبهذا لا تعارض بين الاخبار وطاح زعم من ادعى بطلان كونهم لا يتركون في نفسه (وتلفتت لفتات أنفس الملأ الاعلى) أي ذواتهم وأرواحهم (الى نفائس نفحاته) أي روائحه الطيبة (وتطاولت) امتدت (أعناق) ذوي (العقول) فهو مجاز بالحذف أو مرسل باستعمال العقول في أهلها أو شبه العقول بالذوات المدركة استعارة بالكناية وأثبت لها ما هو من خواصها وهي الاعناق تخييلا وقد جوزت الاوجه الثلاثة في نحو واسأل القرية (الى أعين لمحاته) من اضافة الموصوف الى صفته أي الاعين اللامحة واللمح النظر باختلاس البصر ولمح البصر امتد الى الشيء ويمكن تنوين أعين ولمحاته (ولحظاته) بدل اشتمال واللحظ المراقبة أو النظر بمؤخر العين عن يمين وشمال (فعرج به الى المستوى) بفتح الواو الموضع المشرف وهو المصعد وقيل المكان المستوى (الاقدس وأطلعه على السر الانفس) كما قال فأوحى الى عبده ما أوحى فأبهمه للتعظيم في أحد الاقوال فلا يطلع عليه بل نتعبد بالايمان به كما قيل

بين المحبين سر ليس يفشيه * قول ولا قلم في الكون يحكيه

(في احاطته الجامعة) متعلق باطلع أي فيما تتعلق احاطته أي علمه به (وحضرات) بالضاد المعجمة (حظيرة) بالظاء المعجمة المشالة (قدسه الواسعة) وليس المراد بها هنا الجنة فان اطلاعه على السر كان حين العروج الى المستوى كما كلمه ربه وهو بعد رفعه الى السدرة ورفعه اليها كان بعد دخوله الجنة وعرض النار عليه كما فصل في المعراج (فوقفت أشخاص الانبياء) صورهم (في حرم الحرمة) التعظيم (على أقدام) جمع قدم مؤنث (الخدمة وقامت أشباح الملائكة) اضافة بيانية جمع شبح وهو الشخص كما في المصباح فغاير تفننا وللاشارة الى مغايرتها الاجسام البشر وانما هي أجسام لطيفة نورانية على الصحيح (في معارج الجلال) جمع معرج ومعراج وهو المصعد والمرقى كلها بمعنى (على ارجل) جمع رجل الانسان التي يمشي بها مؤنثة ولا جمع لها غيره كما في المصباح (الاجلال وهامت أرواح العشاق) خرجت على وجهها فلم تدر أين تتوجه (في معاناة الاشواق) جمع شوق وهو نزاع النفس الى الشيء والحنين وشوقني الى كذا هيجني وأنشد لغيره قوله (كل) استغراقية كقوله والله بكل شيء عليم وكل راع مسؤل عن رعيته ولا يستعمل الا مضافا لفظا كما رأيت أو تقديرا كقوله كل يجري قال الاخفش المعنى كلهم يجري كما تقول كل منطلق أي كلهم ومنه ما هنا أي كل الشاخصين ومن بعدهم (اليك بكله) بجملته روحا وجسما (مشتاق وعليه من رقبائه) جمع رقيب (أحداق) عيون (يهواك) تميل نفسه اليك (ما ناح الحمام بأيكة) مفرد أيك كتمر وتمرة شجر كما في المصباح أو هو مضاف للضمير لادنى ملابسة فيكون جمعا (أو لاح برق) ما يلمع من السحاب مصدر (في الدجى) الظلم (خفاق) والدجى لا يكاد ينفك عن برق وان لم يعم فان فقد في مكان وجد في غيره (شوقي) فاعل يهوى (اليه) باشباع الهاء للوزن وفيه التفات عن الخطاب وفي نسخ اليك (لا يزال يديره) يحرك الهوى (بجميعه) أي كل أو الشوق والاول أولى لانه المحدث عنه ولفظ كل واحد ومعناه متعدد فيجوز عود الضمير على اللفظ وعلى المعنى (لجميعه) أي النبي صلى الله عليه وسلم وان لم يتقدم له ذكر لدلالة الكلام عليه فكأنه مذكور كقوله ولابويه لكل واحد منهما السدس أي الميت أي كل محب (عشاق) بفتح المهملة أي كثير العشق لجميع أجزاء المصطفى فجميع متعلق به مقدم عليه (انشقاق القمر) سمي بذلك لبياضه قال الفارابي وتبعه الجوهري الهلال ثلاث ليال أول الشهر ثم هو

والاصطفاء فهو اختيار بعد الخلق والاختيار العام اختيار قبل الخلق فهو أعم وأسبق وهذا أخص وهو متأخر فهو اختيار من الخلق والاول اختيار للخلق وأصح القولين ان الوقف التام على قوله تعالى ويختار ويكون ما كان لهم الخيرة نفيا أي ليس هذا الاختيار اليهم بل هو الى الخالق وحده فكما هو المتفرد بالخلق فهو المتفرد بالاختيار منه فليس لاحد أن يخلق ولا يختار سواه فانه سبحانه أعلم بمواقع اختياره ومحال رضاه وما يصلح للاختيار مما لا يصلح له وغيره لا يشاركه في ذلك بوجه وذهب بعض من لا تحقيق عنده ولا تحصيل الى ان ما في قوله تعالى ما كان لهم الخيرة موصولة وهي مفعول ويختار أي ويختار الذي لهم الخيرة وهذا باطل من وجوه أحدها أن الصلة حينئذ تخلو من العائد لان الخيرة مرفوع بانه اسم كان ولهم خبره فيصير المعنى ويختار الذي كان الخيرة لهم وهذا التركيب محال من القول فان قيل يمكن تصحيحه بأن يكون العائد

قمر بعد ذلك وقال الازهرى القمر يسمى ليلتين أول الشهر هلالا كليلتى ست وسبع وعشرين
ويسمى قمرا فيما بين ذلك وقال غيره الهلال ثلاث ليال ثم هو قمر الى ثلاثة عشر ثم يستوى ليلة ثلاثة عشر
فتسمى تلك الليلة ليلة السواء ثم تليها الليلة البدر لانه اذا بدرت الشمس بالغروب بادرها بالطلوع وقيل
من البدرة وهى ألف دينار لتمام عدده ثم يسمى ليلة النصف قمرا وزبرقانا بكسر الزاى ومنه

تضىء بك المنابر حين ترقى * عليها مثل ضوء الزبرقان

(المشاهدته فانشق) لما سأله أهل مكة آية قبل الهجرة بنحو خمس سنين فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة
دونه (فشق مرائر الاشقياء) الكفار (الشاقين) عليه باقتراح الآيات وفى جعله انشقاقه مفرعا على
اشتياقه وقفة اذا الثابت انه انشق لطلب الكفار آية وقد تدفع الوقفة (وحن) اشتاق (لمفارقته الجذع)
الذى كان يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر (فتصدع) الجذع وانشق كما فى حديث أبى بن كعب عند الشافعى
وغيره بلفظ فلما صنع أى المنبر وضع موضعه الذى هو فيه فكان اذا بدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يخطب عليه تجاوز الجذع الذى كان يخطب عليه فلما جاوزه خار حتى تصدع وانشق فنزل فلما سمع
صوت الجذع فمسحه بيده وفى حديث أنس عند الموصلى لما قعد على المنبر خار كخوار الثور وارتج
المسجد لخواره حزنا عليه فنزل اليه فالتزمه وهو يخور فسكت فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفس محمد
بيده لو لم التزمه لما زال هكذا حتى تقوم الساعة فأمر به فدفن وفى حديث أحمد والدارمى وابن ماجه
فاخذ أبى بن كعب ذلك الجذع لما هدم المسجد فلم يزل عنده حتى بلى وعاد رفاتا قال الحافظ وهذا لا ينافى
انه دفن لاحتمال انه ظهر بعد الهدم عند التنظيف انتهى كان الحسن البصرى اذا حدث هذا الحديث
بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقا اليه لمكانه من الله فانتم أحق ان
تشتاقوا الى لقائه (فانصدعت قلوب الاغبياء) الجهال جمع غبى (المنافقين) غيظا من هذه المعجزة
الباهرة التى قال فيها الشافعى انها أعظم من احياء عيسى الموتى (وبرقت) لمعت (من مشكاة) هى
القنديل أو موضع الفتيلة منه أو معلاقه أو كوة غير نافذة والكوة بفتح الكاف وضمها اسم ما لا ينفذ وقيل
انها معرب بقمن الحبشية (بعثته بوارق طلائع الحقائق وانقادت لدعوته العامة) بالجر نعت وفاعل
انقاد (خاصة خلاصة الخلائق) ما صفاهم (ولم يزل يجاهد فى الله) بالسيف والحجة (بصدق عزماته
وينظم) يجمع (أشتات الاسلام بعد اغتراق جهاته حتى كملت) بتثليث الميم والكسر اردأها كما فى
الصحاح (كمالات دينه وحججه البالغة) بيناته الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة (وعمت على
سائر) أى جميع (أمته) والاكثر استعماله بمعنى الباقى مطلقا على الاصح أو الباقى القليل مشتق من
السور بالهمز البقية حتى قال الازهرى اتفق أهل اللغة على ان سائر الشئ باقيه قل أو كثر واستعماله
بمعنى الجميع ذهب اليه الجوهرى والجواليقى وجماعة وخطأهم فيه كثير كابن قتيبة والحريرى فى
الدرة لانه مخالف للسماع ففى الحديث أمسك أربعا وفارق سائرهن أى باقيهن والاشتقاق فانه من
السؤر فلا يصح كونه بمعنى الجميع وقال الصغانى سائر الناس باقيهم وليس معناه جميعهم كما زعم من
قصر فى اللغة وجعله بمعنى الجميع من لفظ العوام انتهى ولكن انتصر للجوهرى والجماعة قوم بانه
سمع من الفصحاء كقوله

ألزم العالمين حبك طرا * فهو فرض فى سائر الاديان

وقول عنترة   انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى وأحمى سائرى بالمنصل

وقول ذى الرمة   معرس فى بياض الصبح وقعته * وسائر السير الا ذلك السير

واشتقاقه عندهم من السير أى يسير فى هذا الاسم ويطلق عليه لا البقية (الامية) المنسوبة الى النبى

محذوفا ويكون التقدير ويختار الذى كان لهم الخيرة فيه أى ويختار الامر الذى كان لهم الخيرة فى اختياره قيل هذا يفسد من وجه آخر وهو ان هذا ليس من المواضع التى يجوز فيها حذف العائد فانه انما يحذف مجرورا اذا جر بحرف جر الموصول بمثله مع اتحاد المعنى نحو قوله تعالى يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ونظائره ولا يجوز ان يقال جاءنى الذى مررت به ورأيت الذى رغبت ونحوه الثانى انه لو أريد هذا المعنى لنصب الخيرة وشغل فعل الصلة بضمير يعود على الموصول فكانه يقول ويختار ما كان لهم الخيرة أى الذى كان هو عين الخيرة لهم وهذا لم يقرأ به أحد البتة مع انه كان وجه الكلام على هذا التقدير الثالث ان الله سبحانه يحكى عن الكفار اقتراحهم فى الاختيار وارادتهم ان تكون الخيرة لهم ثم ينفى هذا سبحانه عنهم ويبين تفرده بالاختيار كما قال تعالى وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى

الامى صلى الله عليه وسلم (نعمته السابغة) الكثيرة التامة وهو فى الاصل صفة للدرع والثوب الطويل استعير من الطول والسعة لما ذكر ثم صار حقيقة فيه لشيوعه (وخير) بين الحياة والممات (فاختار الرفيق الاعلى) أى الجماعة من الانبياء الذين يسكنون أعلى عليين اسم جاء على فعيل كصديق وخليط أو الله تعالى فانه الرفيق بعباده وعند مسلم مرفوعا ان الله رفيق يحب الرفق فهو فعيل بمعنى فاعل أو المراد حظيرة القدس وعند النسائى وصححه ابن حبان فقال صلى الله عليه وسلم أسال الله الرفيق الاسعد مع جبريل وميكائيل واسرافيل وظاهره ان الرفيق المكان الذى يحصل فيه المرافقة مع المذكورين (وآثر الآخرة على الاولى) أى الدنيا لانها أحق بالايثار منها كما قال بعض الامجاد لو كانت الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لآثر العاقل الباقى على الفانى فكيف هو النعيم السرمدى الذى لم يخطر على قلب بشر انما هو فى الاخرى (فنقله الله قائما على قدم السلامة) حسا ومعنى (الى دار السلام) الجنة لسلام الله وملائكته على من يدخلها أو لسلامتهم من الآفات (وفردوس الكرامة) التكريم والتبجيل له صلى الله عليه وسلم (وبوأه أسنى) أنزله أشرف (مراقى التكريم فى دار المقامة) بالضم الاقامة وقد تكون بمعنى القيام لانك اذا جعلته من قام يقوم فمفتوح أو من أقام يقيم فمضموم وقوله تعالى لامقام لكم أى لاموضع لكم وقرئ لامقام لكم بالضم أى لااقامة لكم قال الجوهرى (ومنحه) أعطاه أعلى (مواهب الشرف فى اليوم المشهود) يوم القيامة بحضرة جميع الخلائق (فهو الشاهد) كما قال تعالى انا أرسلناك شاهدا أى على أمته بتبليغه اليهم وعلى الامم بان أنبياءهم بلغتهم (المشهود) المنظور اليه من جميع الرسل (المحمود) الذى يحمد (بالمحامد التى يلهمها) بالبناء للفاعل فى ذلك اليوم ولم يلهمها قبل (الحامد) الذى هو النبى صلى الله عليه وسلم (المحمود) أى الله سبحانه وتعالى فاعل يلهمها (و) بوأه ومنحه (المنزلة) المرتبة (العلية) كقيامه عن يمين العرش وفى نسخ ذو المنزلة (والدرجة السنية) واحدة الدرجات وهى الوسيلة التى هى أعلى درجة فى الجنة (فى حظائر القدس الاقدسية) الجنة (والمشاهد الانفسية) ولما ذكر أن المصطفى وصل الى أعلى مراتب الكمال فى الدارين وكمل غيره انما هو بهدايته والاقتباس من نور شرعه ناسب ان يعظمه ويدعو له أداء لبعض حقه وتوسلا الى الله تعالى فى قبول حمده واتمام قصده فقال (واصل الله عليه فضائل الصلوات) قال السهيلى أصل الصلاة انحناء وانعطاف من الصلوين وهما عرقان فى الظهر ثم قالوا صلى عليه أى انحنى له رحمة له ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة اذا أرادوا المبالغة فيها فقوله صلى الله عليه أرق وأبلغ من رحمه فى الحنو والعطف فالصلاة أصلها من المحسوسات ثم عبر بها عن هذا المعنى للمبالغة ومنه قيل صليت على الميت أى دعوت له دعاء من يحنو عليه ويعطف ولهذا لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الاطلاق انتهى والصلاة من الله رحمة ومن العبد دعاء ومن الملائكة استغفار كما جاء عن الحبر ترجمان القرآن واعتراضه بقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة رد بانه أخص من مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص مفيد وخص المعصوم بلفظها تعظيما له وتمييزا (وشرائف التسليم) مصدر وجمع بين الصلاة والسلام للآية ولما رواه أحمد والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف قال خرج صلى الله عليه وسلم فاتبعته حتى دخل نخلا فسجد فأطال السجود حتى خفت أو خشيت ان يكون الله قد توفاه قال فجئت أنظر فرفع رأسه فقال مالك يا عبد الرحمن قال فذكرت ذلك له فقال ان جبريل قال لى ألا أبشرك ان الله تعالى قال من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه والاحاديث فى هذا الباب كثيرة جدا (ونوامى البركات) زوائد والاضافة بيانية فالبركة الزيادة (وعلى آله الاطهار) أصل معناه الاتباع ولم يضف فى الاكثر المطرد الا الى العقلاء الاشراف وزيد قيد الذكور والكل أغلبى لقولهم آل الله وآل البيت قال

الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون فانكر عليهم سبحانه تخيرهم عليه وأخبر أن ذلك ليس اليهم بل الى الذى قسم بينهم معايشهم المتضمنة لارزاقهم ومدد آجالهم وكذلك هو الذى يقسم فضله بين أهل الفضل على حسب علمه بمواقع الاختيار ومن يصلح له ممن لا يصلح وهو الذى رفع بعضهم فوق بعض درجات وقسم بينهم معايشهم ودرجات التفضيل فهو القاسم ذلك وحده لا غيره وهكذا هذه الآية بين فيها انفراده بالخلق والاختيار فانه سبحانه أعلم بمواقع اختياره كما قال تعالى واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته أى الله أعلم بالمحل الذى يصلح لاصطفائه وكرامته وتخصيصه بالرسالة والنبوة دون غيره الرابع انه نزه نفسه سبحانه عما اقتضاه شركهم من اقتراحهم واختيارهم فقال ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون ولم يكن شركهم

وانصر على آل الصليـب وعابديه اليوم آلك

وقيل أنهم بنوهاشم أو والمطلب أو عترته وأهل بيته أو بنو غالب أو أتقياء أمته واختير في مقام الدعاء وأيد بأنه اذا أطلق في التعاريف شمل الصحب والتابعين لهم باحسان أقوال ويجوز اضافته الى الضمير على الاصح وان زعم المبرد انه من لحن العامة (وأصحابه) جمع قلة لصاحب وان كانوا ألوفا الا ان جمع القلة والكثرة انما يعتبران في نكرات الجموع أما في المعارف فلا فرق بينهما (الابرار) روى البخاري في الادب المفرد والطبراني في الكبير عن ابن عمر رفعه انما سماهم الله تعالى الابرار لانهم بروا الآباء والامهات والابناء كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك (صلاة وسلاما) اسما مصدرين منصوبان على المفعولية المطلقة مفيدان لتقوية عاملهما مؤكدان لمعناه (لا ينقطع عنهما أمد الامد) أي زمانه والامد الغاية (ولا يحصيهما) يطيقهما (العدد) لكثرتهما (أبد الابد) أي آخر الدهر كما في الصحاح قال الراغب والامد والابد متقاربان لكن الابد عبارة عن مدة الزمان التي لا حد لها ولا تتقيد ولا يقال أبد كذا والامد له حد مجهول اذا أطلق وقد ينحصر فيقال أمد كذا كما يقال زمن كذا والفرق بين الزمان والامد أن الامد يقال باعتبار الغاية والزمن عام في المبدا والغاية ولذا قيل المدى والامد متقاربان (وبعد) ظرف مبني على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة وأجاز هشام فتحه من غير تنوين وقال ابن النحاس انه غير معروف وروى عن سيبويه رفعها ونصبها ظرف زمان كثيرا كجاء زيد بعد عمرو ومكان قليلا كدار زيد بعد دار عمرو وهي هنا كما قيل صالحة للزمان باعتبار اللفظ وللمكان باعتبار الرقم (فهذه) الفاء على توهم الناظر وجود أما في الكلام البليغ لان الشئ اذا كثر الاتيان به ترك وتوهم وجوده كقوله

بدا لي اني لست مدرك ما مضى ❊ ولا سابق شيأ اذا كان جائيا

وقد كثر مصاحبة اما البعد فاذا ترك توهم وجودها أو على تقديرها في نظم الكلام والواو عوض عنها أو دون تعويض أو لاجراء الظرف مجرى الشرط قيل وهو الوجه الوجيه فلا يشكل بان الفاء انما تدخل في جواب الشرط وذكر الدماميني ان بعد معمول لمحذوف تقديره وأقول بعد هذا الكلام ومقول القول محذوف أي تنبه لكذا فالفاء سببية وهي هنا فصيحة والاشارة الى موجود ذهنا ان كانت قبل التأليف هذا وقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اما بعد في خطبه وشبهها كما روى ذلك أربعون صحابيا كما أفاده الرهاوي في أربعينه المتباينة الاسانيد وما أدري ما وجه اقتصار كثير ين على الظرف كالمصنف ولا يكفي الاعتذار بان المدار عليه أو روما للاختصار لان المطلوب اتباع ما جاءت به السنة لاسيما والاطناب مطلوب في الخطب وكون المدار عليه يحتاج لوحي يسفر عنه وفي ان أول من نطق باما بعد داود وكانت له فصل الخطاب أو كعب أو يعرب أو قس أو سحبان أو يعقوب أو أيوب أقوال وفي غرائب مالك للدارقطني ان يعقوب أول من قالها قال الحافظ فان ثبت وقلنا ان قحطان من ذرية اسمعيل فيعقوب أول من قالها مطلقا وان قلنا ان قحطان قبل ابراهيم فيعرب أول من قالها انتهى (لطيفة) من اللطافة ضد الكثافة (من لطائف نفحات) عطايا (العواطف الرحمانية) المنسوبة الى الرحمن تبارك وتعالى (ومنحة) عطية (من منح مواهب) من اضافة الاعم الى الاخص (العطايا) بمعنى الاعطاآت فكأنه قيل منحة هي بعض المنح التي هي مواهب حاصلة باعطاء الله (الربانية) المنسوبة الى الرب المربي لعباده بنعم لا تحصى (تنبئ) تخبر (عن نبذة) بضم النون وقد تفتح يقال ذهب ماله وبقي منه نبذة أي قليل لان القليل ينبذ أي يطرح ولا يبالي به لقلته أي عن خواص قليلة (من كمال شرف نبينا محمد عليه أفضل الصلوات وأنمى التسليم وأسنى) أرفع (الصلات) بكسر الصاد جمع صلة بمعنى الاحسان

مقتضيا لاثبات خالق سواه حتى تنزه نفسه عنه فتامله فانه في غاية اللطف الخامس ان هذا نظير قوله تعالى في الحج ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره ان الله لقوي عزيز ثم قال الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ان الله سميع بصير يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم والى الله ترجع الامور وهذا نظير قوله في القصص وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ونظير قوله في الانعام الله أعلم حيث يجعل رسالته فاخبر في ذلك كله عن علمه المتضمن لتخصيصه محال اختياره بما خصصها به لعلمه بانها تصلح له دون غيرها فتدبر السياق بين هذه الآيات تجده متضمنا لهذا المعنى دائرا عليه والله أعلم السادس ان هذه الآية مذكورة عقيب قوله ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين فعميت عليهم الانباء يومئذ فهم لا يتساءلون فاما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى

من وصل والهاء عوض من الواو المحذوفة كما في النهاية وهذه النبذة وان كانت قليلة في نفسها لكنها محيطة في نوعها فريدة في فنها جامعة في شأنها (و) تنبئ عن (سبق نبوته في الازمان الازلية) القديمة وآدم بين الروح والجسد (وثبوت رسالته في الغايات الاحدية) المنسوبة للاحد قال الكاشي في لطائفه الغايات يعني بها ما يتم به ظهور الكمال المختص بكل شئ بالنسبة الى ما كان له من ذلك الكمال في حضرة العلم الازلي كما هو الحال من كون الغاية من السرير الجلوس عليه والقلم الكتابة به قال وهكذا لكل موجود انسانا أو غيره غايات انتهى (والتبشير بأحديته) أي صفاته المحمودة ومنها ان اسمه أحمد (في الازمان الخالية) وقد روى أبو نعيم والطبراني ان في التوراة عبدي أحمد المختار وفي التنزيل عن عيسى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (والتذكير بمحمديته في الامم الماضية) المتبادر بان اسمه محمد عليه السلام (و) تنبئ عن (اشراق بوارق) جمع بارق قال المجد سحاب ذو برق (لوامع أنوار آيات ولادته) من نار ينور اذا نفر ومنه نوار الظبية وبه سميت المرأة فوضع له لانتشاره أو لازالة الظلام كانه ينفر منه ويطلق على الله والمصطفى والقرآن (التي سار ضوء فجرها) قيل الضوء أبلغ من النور لقوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وعليه الزمخشري اذ قال الاضاءة فرط الانارة ورد بان ابن السكيت سوى بينهما وأجيب بان كلامه بحسب أصل الوضع وما ذكر بحسب الاستعمال كما في الاساس والتحقيق ما في الكشف ان الضوء فرع النور وهو الشعاع المنتشر ولذا أطلق النور على الذوات دون الضوء وفي الروض الانف في قول ورقة

ويظهر في البلاد ضياء نور * يقيم به البرية أن يموجا

ما يوضح الفرق بينهما وان الضياء الشعاع المنتشر عن النور فالنور أصله ومنه مبدؤه وعنه يصدر قال تعالى فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وجعل الشمس ضياء لان القمر لا ينتشر عنه ما ينتشر عنها لاسيما في طرفي الشهر ولذا سمى الله القمر نورا دون ضياء فعلم ان بينهما فرقا لغة واستعمالا وأصل الفجر الشق الواسع قال الراغب ومنه قيل للصبح فجر لكونه فاجر الليل (في سائر بريته) خليقته من برأ النسمة فيجوز همزه وتخفيفه وهو أفصح وأكثر وهو يدل على انه غير معتل من البرى بمعنى التراب كما ذهب اليه بعض اللغويين (وداربدر) اسم القمر ليلة الرابع عشر لمبادرته بالطلوع غروب الشمس أو لتمام عدده من البدرة كما مر (فخرها) بفاء وخاء معجمة مصدر كالفخار أي المباهاة (في أقطار) نواحي (ملته) قال الراغب هي اسم لما شرعه الله تعالى لعباده على لسان أنبيائه ليتوصلوا به الى جواره والفرق بينها وبين الدين ان الملة لا تضاف الى الذي تستند اليه ولا تكاد توجد مضافة الى الله ولا الى آحاد الامة ولا تستعمل الا في جملة الشرائع دون آحادها كذا قال (و) تنبئ عن (عواطف لطائف رضاعه وحضانته) بفتح الحاء وكسرها كما في المصباح (وينابيع) عيون (اسرار سر مسراه وبعثته وهجرته) من مكة الى طيبة (وعوارف معارف عبوديته الساري عرف) أي ريح (شذاها) جمع شذاة وهو في الاصل كسر العود بكسر ففتح أي العود الذي يتبخر به وهو مكسر لكونه أقوى في الرائحة ويطلق على الرائحة نفسها والمراد هنا المعنى الاول لئلا يتحد المضاف والمضاف اليه (في آفاق) نواحي (قلوب أهل ولايته) الموالين له باتباع أوامره واجتناب نواهيه واقتباس هداه (و) تنبئ عن (نفائس) جمع نفيس أي جلائل (أنفاس أحواله الزكية) التي لا يدانيه فيها مخلوق (ودقائق) جمع دقيقة من الدقة خلاف الغلظة أو صغر الجرم (حقائق سيرته العلية) هي هيئة السير جمعها سير ثم خصت بحاله في غزواته ونحوها (الى حين نقلته لروضة قدسه) الجنة (الاحدية) المنسوبة للاحد سبحانه لابتداعه لها وجعلها مختصة بالموحدين محرمة على غيرهم (و) تنبئ عن (تشريفه بشرائف

أن يكون من المفلحين وربك يخلق ما يشاء ويختار فكما خلقهم وحده سبحانه اختار منهم من تاب وآمن وعمل صالحا فكانوا صفوته من عباده وخيرته من خلقه وكان هذا الاختيار راجعا الى حكمته وعلمه سبحانه لمن هو أهل له لا الى اختيار هؤلاء المشركين واقتراحهم فسبحان الله وتعالى عما يشركون

(فصل) واذا تاملت أحوال هذا الخلق رأيت هذا الاختيار والتخصيص فيه دالا على ربوبيته تعالى ووحدانيته وكمال حكمته وعلمه وقدرته وانه الله الذي لا اله الا هو فلا شريك له يخلق كخلقه ويختار كاختياره ويدبر كتدبيره فهذا الاختيار والتدبير والتخصيص المشهود أثره في هذا العالم من أعظم آيات ربوبيته وأكبر شواهد وحدانيته وصفات كماله وصدق رسله فنشير منه الى شئ يسير يكون منبها على ما وراءه دالا على ما سواه فخلق الله السموات سبعا فاختار العليا منها فجعلها مستقر المقربين من ملائكته واختصها بالقرب من كرسيه ومن

الآيات) العلامات الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم (و) عن (تكريمه بكرائم المعجزات) الامور المعجزة للبشر الخارقة للعادة (وترفيعه فى آى التنزيل) بمد الهمزة وتخفيف اليا جمع آية أو اسم جنس جمعى لها (برفعة ذكره وعلو خطره) بفتح الخاء المعجمة وفتح الطاء المهملة قدره ومنزلته (وتعظيم) توقير وتكريم (محاسن) جمع حسن على خلاف القياس أو جمع مفرد مقدر لم يسمع كمحسن بزنة مقعد أولا واحد له وهى الامر الحسن مطلقا أو الحسن الخفى (شمائله) جمع شمال بالكسر أى أخلاقه وصفاته المحمودة (وخلائقه) جمع خلق كقول حسان * ان الخلائق فاعلم شرها البدع *
ولم يذكره صاحب القاموس فى جموع خليقة (وتخصيصه بعموم رسالته) مع الجواب عن نوح وآدم عليهما السلام (و) تنبئ عن (وجوب محبته و) وجوب (اتباع طريقته) فى غير ما اختص به (و) تنبئ عن (سيادته الجامعة لجوامع السودد) بالضم أنواع السيادة (فى مشهد مشاهد المرسلين) فى الدنيا كاقتدائهم به ليلة الاسراء والاخرى فآدم فمن سواه تحت لوائه (وتفضيله بالشفاعة العظمى) فى فصل القضاء بين الخلق (العامة لعموم الاولين والآخرين) التى يتنصل منها رؤساء الانبياء حتى يقوم لها (الى غير ذلك من عجائب آياته) جمع آية وهى العلامة (ومنحه) بكسر ففتح جمع أى عطاياه (وغرائب أعلام) جمع علم بفتحتين العلامة المنصوبة فى الطريق ليعرف بها ولذا سميت نصبا ويكون بمعنى الجبل أيضا لانه يهتدى به كما قالت الخنساء

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار

وفى قولها صخر وهو اسم أخيها الطيفة اتفاقية لمناسبة الجبل (نبوته) عرفها امام الحرمين بانها صفة كلامية هى قول الله تعالى هو رسولى وتصديقه بالامر الخارق ولا تكون عن قوة فى النفس كما قاله الحكماء ولا عن رياضة يحصل بها الصفاء فيحصل التجلى فى النفس كما قاله بعض الصوفية ولا عن قربان الهياكل السبعة كما زعمه المنجمون ولا هى بالارث كما قال بعض أهل البيت وأتباعهم ولا هى علم الانسان بربه لانه عام ولا علم النبى بكونه نبيا لتأخره بالذات انتهى (وحججه) براهينه (أوردتها حججا قاهرة) صفة لحجج أى مانعة لهم من المعارضة (على الملحدين) متعلق بحجج فلا حاجة لدعوى التضمين فى قاهرة (وذكرى نافعة) أى أسبابا مذكرة (للموحدين) خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بها كما فى قوله وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين (وتنبيها) ايقاظا (لعزائم) جمع عزيمة وعزمة اجتهاد (المهتدين) جمع مهتدى (ولم أكن والله أهلا) أى مستحقا (لذلك) التاليف من قولهم هو أهل للاكرام أى مستحق له (ولم أر نفسى فيما هنالك لصعوبة) مصدر صعب (هذا المسلك ومشقة السير فى طريق) يذكر فى لغة نجد وبه جاء القرآن فى قوله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا ويؤنث فى لغة الحجاز (لم يكن لمثلى يسلك) يقال سلكه وأسلكه قال * وهم سلكوك فى أمر عصيب * وهذا من تواضع المصنف والا فهو من العلماء العاملين أصحاب التصانيف المفيدة والباع العالى واليد المديدة الا ان عادتهم جرت بمثل هذا فى التاليف خصوصا فى باب السنة (وانما هو نكتة) كنقطة جمعها نكت كنقط ويجمع أيضا على نكات كبقعة وبقاع وعليه اقتصر القاموس وسمع أيضا نكات بالضم وهى فى الاصل فعلة من النكت وهو النبش الخفيف فى التراب بعود ونحوه وتفعل اذا فكر فى أمر خفى فنقلت للمعنى الدقيق النادر والكلام القليل الحسن لتأثيره فى النفس أو احتياجه لفكر وتامل (سر) أى خالص (قراءة فى كتاب الشفا) بتعريف حقوق المصطفى للامام الشهير المجتهد العلامة الفقيه المفسر الحافظ البليغ الاديب عياض ابن موسى بن عياض اليحصبى السبتى المالكى وشهرته تغنى عن ترجمته رحمه الله وكتابه هذا ذكر ابن المقرى اليمنى فى ديوانه انه مشهور بركته حتى لا يقع ضرر لمكان هو فيه ولا تغرق سفينة كان فيها واذا

بعرشه وأسكنها من شاء من خلقه فلها مزية وفضل على سائر السموات ولولم يكن الا قربها منه تبارك وتعالى وهذا التفضيل والتخصيص مع تساوى مادة السموات من أبين الادلة على كمال قدرته وحكمته وانه يخلق ما يشاء ويختار ومن هذا تفضيله سبحانه جنة الفردوس على سائر الجنان وتخصيصها بأن جعل عرشه سقفها وفى بعض الآثار ان الله سبحانه غرسها بيده واختارها لخيرته من خلقه ومن هذا اختياره من الملائكة المصطفين منهم على سائرهم كجبريل وميكائيل واسرافيل وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم فذكر هؤلاء الثلاثة من الملائكة لكمال اختصاصهم واصطفائهم وقربهم من الله وكم من ملك غيرهم فى السموات فلم يسم الا هؤلاء الثلاثة فجبريل

قرأه مريض شفي وقال غيره انه جرب قراءته لشفاء الامراض وفك عقد الشدائد وفيه أمان من الغرق والحرق والطاعون ببركة المصطفى واذا صح الاعتقاد حصل المراد (بحضرة) ذي (التخصيص) قال الراغب هو تفرد بعض الشئ بما لا تشاركه فيه الجملة (والاصطفا) صلى الله عليه وسلم افتعال من الصفوة بالفتح والكسر وهي الاختيار وقال في النهاية حضرة الرجل قربه وتكون بمعنى المجلس والفناء وفي النسيم استعمله الكتاب في الانشاء للتعظيم كالمقام العالي وحضرة الخليفة تأدبا باضافة ماله محله (في مكتب التأديب والتعليم) قال شيخنا أي بين روضة النبي صلى الله عليه وسلم ومنبره وكان المصنف يقرأه للناس هناك (في مشهد مشاهد المؤانسة والتكريم) ولقد صدق المصنف رحمه الله فانه في هذا الكتاب أقتبس من أنوار الشفا وتعلق بأذياله في غالب التقسيم والابواب حتى انه اقتفى أثره في صدر الخطبة فقال المنفرد مع ما فيه من النزاع منشدا بلسان حال الاتباع

وهل انا الامن غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد

(مستجليا) أي مستكشفا (في مجالي تجليات الانوار الاحمدية محاسن صفات خلقته وعظم اخلاقه الزكية) فانها قاطعة بأنه حائز لجميع صفات الحسن متصفا بها على أكمل وجه يليق به خلقا وخلقا وما بعد قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم مطلب (سائرا بسر سيرته) طريقته وهيئته وحالته (في منهاج ملته) النهج والمنهج والمنهاج الطريق الواضح (الى سماء هديه الاسنى) الارفع (راتعا) منبسطا أولاهيا أو متسعا من الرتعة قال الهروي بسكون التاء وفتحها اتساع في الخصب وكل مخصب مرتع يقال رتعت الابل وأرتعها صاحبها وقوله تعالى نرتع ونلعب قال أبو عبيد نلهو وابن الانباري أي هو مخصب لا يعدم ما يريده وغيره نسعى وننبسط وقيل نأكل انتهى ملخصا (في رياض روضة) هو الموضع المعجب بالزهور وجمعها ما أضيف اليها وروضات بسكون الواو للتخفيف كما في قوله تعالى في روضات الجنات وهذيل بفتح الواو على القياس قيل سميت بذلك لاستراضة المياه السائلة اليها أي لسكونها بها وفي الغريبين الروضة أي في الاصل الموضع الذي يستنقع فيه الماء ويقال للماء نفسه روضة قال

* وروضة سقيت منها نضرتي * أراد ما اجتمع في غدير انتهى (سننه) جمع سنة وهي الطريقة والسيرة جيدة كانت أو ذميمة (النزهة) قال الزمخشري أرض نزهة ذات نزهة وخرجوا يتنزهون يطلبون الاماكن النزهة والنزه مثل غرفة وغرف ذكره في المصباح (الحسنى) تأنيث الاحسن (مستمدا من فتح) مصدر فتح (الباري) أي من عطاء الله تعالى وفيه تورية بذكر اسم الكتاب الذي هو شرح الحافظ ابن حجر على البخاري فالاخذ منه من جملة عطاء الله ولا يشك من أحاط بهذا الكتاب وبشرح البخاري للحافظ أن نحو نصف ذا الكتاب منه بعزو ودونه (فيض) مصدر فاض الماء كثر حتى سال كالوادي (فضله الساري فنحني صاحب هذه المنح من مصون) وزنه مفعول على نقص العين كما في المصباح أي محفوظ (حقائقه) جمع حقيقة وتقدم معناها لغة وانها عند أرباب السلوك العلوم المدركة بتصفية الباطن (وأبرز) أظهر ظهورا تاما وأصله جعله على براز بالفتح أي مكان مرتفع (لي مما أكنه) أخفاه (من مكنون رقائقه) جمع رقيقة وهي اللطيفة الروحانية وتطلق على الواسطة اللطيفة الرابطة بين الشيئين كالمدد الواصل من الحق الى العبد وتطلق الرقائق على علوم الطريقة والسلوك وما يلطف به سر العبد وتزول كثافة النفس (فانفتحت بالفتح المحمدي عين بصيرة لاستبصار) قال ابن الكمال البصيرة قوة للقلب المنور بنور القدس ترى حقائق الاشياء وبواطنها بمثابة البصر للعين ترى به صور الاشياء وظاهرها وقال الراغب البصر الجارحة كلمح البصر والقوة التي فيها ويقال لقوة القلب المدركة بصيرة وبصر ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة انتهى (وتنزه الناظر في رياض) أصل التنزه

صاحب الوحي الذي به حياة القلوب والارواح وميكائيل صاحب القطر الذي به حياة الارض والحيوان والنبات واسرافيل صاحب الصور الذي اذا نفخ فيه أحييت نفخته باذن الله الاموات وأخرجتهم من قبورهم وكذلك اختياره سبحانه للانبياء من ولد آدم عليه الصلاة والسلام وهم مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا واختياره الرسل منهم وهم ثلثمائة وثلاثة عشر على ما في حديث أبي ذر الذي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه واختياره أولي العزم منهم وهم خمسة المذكورون في سورة الاحزاب والشورى في قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وقال تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه واختياره منهم الخليلين ابراهيم ومحمدا صلى الله عليه وسلم ومن هذا اختياره سبحانه ولد اسمعيل من أجناس بني آدم ثم اختار منهم بني كنانة من خزيمة ثم اختار

التباعدعن المياه والارياف ومنه فلان يتنزه عن الاقذار أى يباعد نفسه عنها ولذا قال ابن السكيت قول الناس اذا خرجوا الى البساتين خرجنا نتنزه غلط قال ابن قتيبة وليس بغلط لان البساتين فى كل بلدة انما تكون خارج البلد فاذا أراد أحد أن يأتيها فقد أراد البعد عن المنازل والبيوت ثم كثر هذا حتى استعملت النزهة فى الخضر والجنان انتهى (ارتياض رقائق الاسرار) جمع سر وهو الحديث المكتتم فى النفس وكنى به عن النكاح السر من حيث انه يكتم واستعير للخالص فقيل هو فى سر قومه (فاستجليت من ابكار) جمع بكر خلاف الثيب رجلا كان أو امرأة كما فى المصباح (مخدرات) مستورات (السنة النبوية من كل صورة) تمثال (معناها واقتبست) أصبت (من تلألؤ مصباح) القنديل أو الفتيلة ماخوذة من الصباح أو الصباحة (مشكاة المعارف من كل بارقة أضواها) أكثرها ضوأ والبارقة لغة كل مالمع والسيف للمعانه وفى اصطلاح الصوفية لائحة ترد من جانب القدس وتنطفى سريعا وهو من أوائل الكشف ومباديه ذكره فى التوقيف (واستنشقت) شممت (من كل عبقة) أى نكتة تشبه الطيب (صوفية) كلمة مولدة كما فى المصباح (شذاها) رائحتها وفى المصباح قالوا ولا يكون العبق الا الرائحة الطيبة الذكية انتهى منسوبة الى التصوف وهو تجريد القلب لله واحتقار ماعداه بالنسبة لعظمته والا فاحتقار نبى كفر وقيل فيه غير ذلك مما عبر فيه كل على مقداره وقد ألف الاستاذ أبو منصور البغدادى كتابا فى معنى التصوف والصوفى جمع فيه من أقوال الطريق زهاء ألف قول مرتبة على حروف المعجم (واجتنيت) بمعنى جنيت الثمرة كما فى المصباح (من أفنان) اغصان جمع فنن محركة وجمع الجمع أفانين كما فى القاموس (لطائف تاويل) قال ابن الكمال هو صرف الآية عن معناها الظاهر الى معنى يحتمله اذا كان المحتمل الذى يراه موافقا للكتاب والسنة كقوله يخرج الحى من الميت ان أريد به اخراج الطير من البيضة كان تفسيرا أو اخراج المؤمن من الكافر أو العالم من الجاهل كان تأويلا انتهى (آى الكتاب العزيز) القوى الغالب على كل كتاب بمعانيه واعجازه ونسخه احكامها أو العظيم الشريف أو الذى لانظير له فى الكتب أو الممتنع من مضاهاته لاعجازه أو التغيير والتحريف لحفظ الله له (من كل ثمرة) مؤنثة مفردة ثمرات مثل قصبة وقصبات (مشتهاها) مشتاقها (ولازلت) معناه ملازمة الشئ (فى جنات) جمع جنة على لفظها وتجمع أيضا على جنان أى حدائق (لطائف هذه المنح) العطايا (أغدو) اذهب وقت الغدوة وفى الاصل ما بين صلاة الصبح وطلوع الشمس ثم كثر حتى استعمل فى الذهاب والانطلاق أى وقت كان ومنه الحديث اغد يا انيس أى انطلق (وأروح) قال ابن فارس الرواح رواح العشى وهو من الزوال الى الليل (فى غبوق) بمعجمة قال فى القاموس كصبور ما يشرب بالعشى (وصبوح) بالفتح شرب الغداة (حتى انهلت غمائم) جمع غمامة أى سحائب (المعانى على أرباض) جمع ربض بفتحتين وهو ما حول المدينة وفى نسخة على أرض (رياض المبانى) ونسخة أرض انسب بقوله (فاينعت) بالالف أكثر استعمالا من ينعت أى ادركت (ازهارها) جمع زهر قالوا ولا يسمى زهرا حتى ينفتح وقال ابن قتيبة حتى يصفر (وتكللت بنفائس جواهر) جمع جوهر على زنة فوعل (العلوم أوراقها) جمع ورق بفتحتين (وطابت) لذت وحلت (لمجتنى رقائق الحقائق ثمارها) جمع ثمر بفتحتين مذكر وجمع الجمع اثمار (وتدفقت) انصبت بشدة (حياض) جمع حوض الماء ويجمع أيضا على احواض وأصل حياض الواو ولكن قلبت ياء للكسرة قبلها كما فى المصباح (بدائع الفاظها بزلال كلماتها) فى القاموس ماء زلال كغراب الى ان قال سريع المر فى الحلق بارد عذب صاف سهل (وخطب) بابه قتل وعظ (خطيب) مفرد خطباء (قلوب أبناء الهوى) بالقصر مصدر هويته اذا أحببته وعلقت به (على منبر) بكسر الميم على التشبيه باسم الآلة من النبر قال ابن فارس النبر فى الكلام الهمز وكل شئ رفع فقد

ممن ولد كنانة قريشا ثم اختار من قريش بنى هاشم ثم اختاره من بنى هاشم سيد ولد آدم محمدا صلى الله عليه وسلم وكذلك اختار أصحابه من جملة العالمين واختار منهم السابقين الاولين واختار منهم أهل بدر وأهل بيعة الرضوان واختار لهم من الدين أكمله ومن الشرائع أفضلها ومن الاخلاق أزكاها وأطيبها وأطهرها واختار أمته صلى الله عليه وسلم على سائر الامم كما فى مسند الامام أحمد وغيره من حديث بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله قال على بن المدينى وأحمد حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده صحيح وظهر أثر هذا الاختيار فى أعمالهم وأخلاقهم وتوحيدهم ومنازلهم فى الجنة ومقاماتهم فى الموقف فانهم أعلى من الناس على تل فوقهم مشرفون عليهم وفى الترمذى من حديث بريدة بن الحصيب الاسلمى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجنة

بر ومنه النبر لارتفاعه (الغرام) هو ما يصيب الانسان من شدة ومصيبة (الاقدس) الاطهر (يدعو) ينادي ويطلب الاقبال (الكمال محاسن الحبيب) في المصباح يستعمل الكمال في الذوات وفي الصفات يقال كمل اذا تمت أجزاؤه وكملت محاسنه (الارأس) بالهمز أي الشريف القدر (فترنحت) تمايلت (بسلاف) بالضم بخمر (راح) هو أيضا الخمر فالاضافة بيانية (الارتياح) الراحة (نفائس الارواح) جمع روح يذكر ويؤنث قاله ابن سيدة والجوهري وقال ابن الاعرابي وابن الانباري الروح والنفس واحد غير ان العرب تذكر الروح وتؤنث النفس (وتمايلت بطربات) من الطرب وهو الخفة لشدة حزن أو سرور (ألحان) جمع لحن قال في القاموس من الاصوات المصوغة الموضوعة ويجمع أيضا على لحون (الحنين) المشتاق (الى جمال المحبوب كرائم) جمع كريمة أي نفائس (الاشباح) الاشخاص (وزمزم) في القاموس الزمزمة الصوت البعيد له دوي (مزمزم الصفا) الخلوص من الكدر (بحضرة خلاصة) بالضم (أولى الوفا منشدا) انشاد الشعر قراءته (مرددا * حضر الحبيب وغاب عنه رقيبه *) هو الحافظ اما المراعاة رقبة المحفوظ واما لرفعة رقبته وغيبته من أجل انه نهاية الصفاء فان ملازمته أمر مضني ومرض يفني مع انه هو المبتلى لانه سهر وتعب وضاع زمانه وذاب فؤاده بلا فائده والعاشق يجد في الغرام لذة عليه عائده ولذا قال

أحب العذول لترديده * حديث الحبيب على مسمعي
وأهوى الرقيب لان الرقيب * أراه اذا كان حبي معي

(حسبي) كافي (نعيم زال) ذهب (عنه حسيبه) عاده (داوى فؤادي الوصل) ضد الهجر (من أدوائه) متعلق بفؤادي جمع داء مثل باب وأبواب (طوبى) فعلى من الطيب أي فرح وقرة عين (لقلبي والحبيب طبيبه) مداويه (صدق المحب حبيبه في حبه) بضم الحاء قال الحرالي هو احساس بوصلة لا يدرى كنهها (حباه) أعطاه (صدق الحب منه حبيبه) فاعل حبي (لباه لب) خالص (فؤاده) في المصباح لب كل شيء خالصه ولبابه مثله (فاجابه لما دعاه الى الغرام وجيبه) بالجيم أي سببه القوي وهو ميل قلبه ومحبته (وبجامع الاهواء) جمع هوى مقصور وجمع الممدود أهوية وقد تطرف من قال

جمع الهوى مع الهوى في أضلعي * فتكاملت في مهجتي ناران
فقصرت بالممدود عن وصل الظبا * ومددت بالمقصور في أكفاني

(حيعل حبه) الحاء والعين لا يجتمعان في كلمة واحدة الا أن تؤلف من كلمتين كالحيعلة قاله الدميري ونقل المازري عن المطرز في كتاب اليواقيت وغيره ان الافعال التي أخذت من أسمائها سبعة بسمل اذا قال باسم الله وسبحل اذا قال سبحان الله وحوقل اذا قال لا حول ولا قوة الا بالله وحيعل اذا قال حي على الفلاح وحمدل اذا قال الحمد لله وهيلل اذا قال لا اله الا الله وجعفل اذا قال جعلت فداك زاد الثعلبي طبقل اذا قال أطال الله بقاءك ودمعز اذا قال أدام الله عزك انتهى وفي قصيدة الشاطبي حسبل وقبله شراحه وظاهرهم انها مسموعة وقول المازري حيصل اذا قال حي على الصلاة قياسا على حيعل رده عياض بان حيعل يطلق عليهما معا لانهما من حي على كذا ولو صح قياسه لقيل في حي على الفلاح الحيفلة فكيف وهذا باب مسموع لا يقاس عليه انتهى (ولحسنه خطب القلوب خطيبه *) فلما سمعت هذه (المواهب آذان) جمع أذن بضمتين ويسكن تخفيفا مؤنثة (قلوب) ذكر ابن العماد في كشف الاسرار ان للقلب أذنين يسمع بهما كما في الرأس أذنان (أولى الالباب) جمع لب قال الراغب وهو العقل الخالص من الشوائب سمي به لكونه خالص ما في الانسان من قواه كاللباب من الشيء وقيل هو ما زكا من العقل فكل لب عقل ولا عكس ولهذا علق الله الاحكام التي لا يدركها الا العقول الزكية بأولى الالباب نحو ومن

عشرون ومائة صف ثمانون منها من هذه الامة وأربعون من سائر الامم قال الترمذي وهذا حسن والذي في الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث بعث النار والذي نفسي بيده اني لاطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة ولم يزد على ذلك فاما أن يقال هذا أصح واما أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم طمع أن تكون أمته شطر أهل الجنة فاعلمه ربه فقال انهم ثمانون صفا من مائة وعشرين صفا فلا تنافي بين الحديثين والله أعلم ومن تفضيل الله لامته واختياره لها انه وهبها من العلم والحلم ما لم يهبه لامة سواها وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي الدرداء قال سمعت أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم يقول ان الله قال لعيسى ابن مريم اني باعث من بعدك أمة ان أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا ولا حلم ولا علم قال يا رب كيف هذا ولا حلم ولا علم قال أعطيهم من حلمي وعلمي ومن هذا اختياره سبحانه

يؤت الحكمة الى وما يذكر الا أولوا الالباب وقال الحر الى اللب باطن العقل الذى شأنه أن يلحظ الحقائق من الملحوظات وقال ابن الكمال هو العقل المنور بنور القدس الصافى عن قشور الاوهام والتخيلات واللب عند الصوفية قال بعضهم ماصين من العلوم عن القلوب المعلقة بالكون (تلفتت) عطفت وصرفت قال الزمخشرى لفت رداءه على عنقه عطفه (عيون أعيانهم) جمع عين أى أعين القلوب فالقلب عين كما ان للبدن عينا قاله الراغب (لتلخيص) هو استيفاء المقاصد بكلام وجيز (خلاصة جوهر هذا الخطاب) وهو القول الذى يفهم المخاطب بالكسر المخاطب به شيأ وما أحسن جعله تلفت العيون بعد السماع فهو على حد قوله

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا بمن لا ترى تهوى فقلت لهم * الاذن كالعين تؤتى القلب ما كانا

(فى سفر) بالكسر كتاب كبير جمعه اسفار وسفر الكتاب كتبه والسفرة الكتبة ذكره الزمخشرى وقال الراغب السفر الكتاب الذى يسفر عن الحقائق انتهى (يسفر) من أسفر كشف مطلقا وقول القاموس سفرت المرأة تمثيل لا تقييد كما فى النسيم أى يكشف (عن وجه المنح النبوية) الوجه الذى به المواجهة ويكون بمعنى الجهة المقصودة ويستعار لخيار الشئ وأوله ور يسه ومفعول يسفر هو (منيع النقاب) ككتاب جمعه نقب ككتب من اضافة الصفة للموصوف أى النقاب المنيع (فأطلقت) من اطلقت الاسير اذا خليت عنه فذهب فى سبيله أى أرسلت (عنان) ككتاب لجام الدابة من عن يعن اعترض سمى به لانه يعن أى يعترض الفم فلا يدخله الا بمحاولة الادخال ويقال جاء ثانيا عنانه اذا قضى وطره وهو ذليل العنان منقاد وفلان طويل العنان اذا لم يرد عما يروم لشرفه (القلم) الذى يكتب فعل بمعنى مفعول كحفر ونفض وخبط ولذا قالوا لا يسمى قلما الا بعد البرى وقبله قصبة قال الازهرى وسمى السهم قلما لانه يقلم أى يبرى وكل ما قطعت منه شيأ بعد شئ فقد قلمته انتهى وفى كثير النسخ بدل فاطلقت فثنيت وفى المصباح ثنيته عن مراده اذا صرفته فالمعنى هنا صرفت عنان القلم عما كان مشغولا به (الى تحصيل) قال ابن فارس أصل التحصيل استخراج الذهب من المعدن انتهى وقال أبو البقاء التحصيل الادراك من حصلت الشئ أدركته وقال غيره هو اخراج اللب من القشر ومنه حصل ما فى الصدور أى أظهر ما فيها (ما ربهم) حاجتهم جمع مأربة بفتح الراء وضمها وهى والارب بفتحتين والارب بالكسر الحاجة (وتسطير) كتابة (مطالبهم) جمع مطلب فى المصباح يكون المطلب مصدرا وموضع الطلب (جانحا) مائلا (صوب) هو المطر تسمية بالمصدر وصابه المطر صوبا من باب قال كما فى المصباح وفى غيره صوب الشئ جهته (الصواب) قال الدماميني كان المراد به الاستقامة من صاب السهم اذا قصد ولم يحد عن الغرض والصوب المطر أونزوله ويمكن ان يراد هنا على الاستعارة فاما ان الصواب مشبه بالسحاب فهو استعارة بالكناية واثبات الصوب له استعارة تخييلية واما انه مشبه بالمطر وأثبت له الصوب المراد به نزول المطر ووجه التشبيه حصول النفع المبهج للنفوس وفى صوب الصواب ما يشبه جناس الاشتقاق انتهى (مودعا) بالكسر (ما كان مستودعا) بالفتح (الى فى غيابات) القاموس غيابة كل شئ ما سترك منه ومنه غيابات الجب انتهى أى فى مستورات (الغيب) وهو ما غاب عنك جمعه غيوب وغياب كما فى القاموس (فى هذا الكتاب) الحاضر فى الذهن ان كانت الخطبة قبل تأليفه والكتاب لغة يدور على الضم والجمع من جميع وجوهه وسمى الخط كتابة لجمع الحروف وضم بعضها الى بعض ويطلق على اسم الفاعل واسم المفعول قال الاردبيلى يطلق الكتاب على مطلق الخط وعلى الكلام المكتوب تسمية لاسم المفعول بالمصدر وعلى مطلق الكلام اتساعا كما

وتعالى من الاماكن والبلاد خيرها وأشرفها وهى البلد الحرام فانه سبحانه اختاره لنبيه وجعله مناسك لعباده وأوجب عليهم الاتيان اليه من القرب والبعد من كل فج عميق فلا يدخلونه الا متواضعين متخشعين متذللين كاشفى رؤسهم متجردين عن لباس أهل الدنيا وجعله حرما آمنا لا يسفك فيه دم ولا تعضد به شجرة ولا ينفر له صيد ولا يختلى خلاه ولا يلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس الا وجعل قصده مكفرا لما سلف من الذنوب ماحيا للاوزار حاطا للخطايا كما فى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه ولم يرض لقاصده من الثواب دون الجنة ففى السنن من حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد وليس للحج المبرور ثواب دون الجنة وفى الصحيحين عن أبى

فى قوله تعالى انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق ثم شاع استعماله فى التعارف فيما جمع فيه الالفاظ
الدالة على نوع من المعنى أو أكثر لما بين المصدر والمكان من التعلق الخاص فيقال أتانى كتاب
عن فلان وسيرت الى فلان كتابا ومنه اذهب بكتابى هذا وأما فى عرف المؤلفين فيطلق تارة على
مكتوب مشتمل على حكم أمر مستقل منفرد عن غيره وعن آثاره ولواحقه وتوابعه وأسبابه وشروطه
وتارة على مكتوب مشتمل على مسائل علم أو أكثر وقد يسمى ذلك المكتوب باسم خاص وهو المراد هنا
(مستعينا فى ذلك بالقوى) الذى لا يلحقه ضعف فى ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ولا يمسه نصب ولا لغب
ولا يدركه قصور ولا تعب (الوهاب) كثير النعم ذى العطايا سبحانه من الهبة وهى العطية بلا سبب
سابق ولا استحقاق ولا مقابلة ولا جزاء (حتى أتاح) بفتح الهمزة والفوقية فالف فحاء مهملة أى يسر الله
(لى ذلك وتم ما هنالك فاوضحت) كشفت وجليت (ما خفى) استتر (من الدليل) اسم فاعل وهو فى
الاصل المرشد والكاشف (ومهدت) سهلت (ما توعر) صعب (من السبيل) الطريق يذكر ويؤنث
(وسميته المواهب اللدنيه) المنسوبة للدن أى المواهب التى هى من الله لا ينسب منها لغيره شئ لان ما
جرت العادة بحصول مثله من كسب العبد ينسب له وما كان بالغا فى النفاسة ينسب الى الله اشارة الى انه
لا يمكن حصوله من غيره عادة لعزته على نحو قول العرب لله دره قال الطوفى وعلمناه من لدنا علما أى من
عندنا وهذا هو متعلق الصوفية وأهل السلوك فى اثبات العلم اللدنى نسبة الى لدن وهو الهام المعرفة
بالحقائق الغيبية وغيرها وقال غيره العلم اللدنى يراد به العلم الحاصل بلا كسب ولا عمل للعبد فيه سمى
لدنيا لحصوله من لدن ربنا لا من كسبنا وقد صنف الغزالى كتابا فى بيان هذا وبين فيه كيفية حصوله
وأنه لا يمكن أن يحصل بكسب وذكر فيه قول على لو طويت لى وسادة لحكمت بين أهل التوراة
بتوراتهم وبين أهل الانجيل بانجيلهم ولقلت فى الباء من بسم الله وقر سبعين جملا قال ومعلوم ان عليا
كرم الله وجهه انما أخذه من لدن ربه لا من تعليم بشرانتهى ولا يشكل بقوله صلى الله عليه وسلم انما
العلم بالتعلم رواه ابن أبى عاصم والطبرانى والعسكرى وغيرهم وسنده حسن كما قال الحافظ وجزم به
البخارى تعليقا لجواز أن المراد علم الاحكام والقرآن والاحاديث النبوية اذ لا طريق الى معرفتها الا
بالتعلم فال عهدية ولا شك ان عليا كان قد تعلم القرآن والسنة والاحكام قبل أن يقول ذلك (بالمنح
الكاملة (المحمديه) فال للكمال فالتعبير بها أولى بالمدح فلا يرد انه يوهم استيعابه جميعها هنا ولا كذلك
(ورتبته) أى الكتاب أى المقصود منه بالذات فلا ينافى ان الخطبة مقصودة والترتيب لغة جعل كل
شئ فى مرتبته وعرفا جعل الاشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة
الى بعضها بالتقدم والتأخر والمراد ألفته مرتبا حال كونه مشتملا (على عشرة مقاصد) جمع مقصد بالكسر
المقصود من مكان أو غيره وبما ذكر لا يرد أن ترتيبه عليها يفيد أنه غيرها ضرورة ان المرتب على شئ يغاير
ما رتب عليه (تسهيلا) تليينا (للسالك والقاصد) اسم فاعل أى الآتى أى الشارع فى قراءة ذا الكتاب
والطالب للوقوف عليه

(المقصد الاول فى) بيان (تشريف الله تعالى) حال لازمة أى متعاليا عما لا يليق بعلى جناب قدسه قال
العكبرى وهو تفاعل من علو القدر والمنزلة هنا وأصل تفاعل لتعاطى الفعل كتخاشع وكذا تفعل
كتكبر وهما فى حقه تعالى بمعنى التفرد لا بمعنى التعالى انتهى (له عليه الصلاة والسلام) أى فيما يدل
على شرفه من الاحاديث وغيرها (بسبق نبوته) أى تقدمها ولم يشتغل الاكثر بتعريف النبوة والرسالة
بل بالنبى والرسول وقد عرفها امام الحرمين انها صفة كلامية هى قول الله تعالى هو رسولى وتصديقه
بالامر الخارق كما م وقال الغزالى النبوة عبارة عما يختص به النبى ويفارق به غيره وهو يختص بانواع من

هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال
العمرة الى العمرة كفارة
لما بينهما والحج المبرور
ليس له جزاء الا الجنة
فلو لم يكن البلد الامين
خير بلاده وأحبها اليه
ومختاره من البلاد لما
جعل عرصاتها مناسك
لعباده فرض عليهم
قصدها وجعل ذلك من
آكد فروض الاسلام
وأقسم به فى كتابه العزيز
فى موضعين منه فقال
تعالى وهذا البلد الامين
وقال تعالى لا أقسم بهذا
البلد وليس على وجه
الارض بقعة يجب على
كل قادر السعى اليها
والطواف بالبيت الذى
فيها غيرها وليس على
وجه الارض موضع
يشرع تقبيله واستلامه
وتحط الخطايا والاوزار
فيه غير الحجر الاسود
والركن اليمانى وثبت
عن النبى صلى الله عليه
وسلم ان الصلاة فى المسجد
الحرام بمائة ألف صلاة
ففى النسائى والمسند
باسناد صحيح عن عبد
الله بن الزبير عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه
قال صلاة فى مسجدى
هذا أفضل من ألف
صلاة فيما سواه الا
المسجد الحرام وصلاة
فى المسجد الحرام أفضل

الخواص أحدها انه يعرف حقائق الامور المتعلقة بالله وصفاته وملائكته والدار الآخرة علما مخالفا
لعلم غيره بكثرة المعلومات وزيادة الكشف والتحقيق ثانيها ان له في نفسه صفة بها تتم الافعال الخارقة
للعادة كما أن لنا صفة تتم بها الحركات المقرونة بارادتنا وهي القدرة ثالثها أن له صفة بها يبصر الملائكة
ويشاهدهم كما أن للبصير صفة بها يفارق الاعمى رابعها ان له صفة بها يدرك ما سيكون في الغيب فهذه
كمالات وصفات ينقسم كل منها الى أقسام انتهى (في سابق أزليته) قال في التوقيف الازل القدم ليس
له ابتداء ويطلق مجازا على ماطال عمره والازل استمرار الوجود في أزمنة مقدرة غير متناهية في جانب
الماضي كما أن الابد استمراره كذلك في المآل والازلي ماليس مسبوقا بالقدم والوجود ثلاثة لارابع
لها أزلي ابدي وهو الحق سبحانه وتعالى ولا أزلي ولا أبدي وهو الدنيا وأبدي غير أزلي وهو الآخرة
وعكسه محال اذ ما ثبت قدمه استحال عدمه انتهى (ونشره) بوزن نصر مصدر نشر أي اظهاره (منشور
رسالته) أي أثرها من الاحكام التي هي حياة العالم وبهذا التفسير لا يرد أن نشر المنشور من تحصيل
الحاصل أو يراد بالمنشور ما من شأنه ان ينشر فنشره عبارة عن اخراجه من القوة الى الفعل (في مجلس
مؤانسته) أي مقام رحمته لعباده في الملا الاعلى بجعلهم آمنين غير مستوحشين فالمراد لازم المؤانسة
وبالمجلس أيضا لازمه وهو مطلق الوجود لتعاليه سبحانه عن الحسي وهو موضع الجلوس جمعه مجالس
ويطلق على أهله مجازا تسمية للحال باسم المحل (وكتبه) أي اثباته (توقيع) تعلق (عنايته) ومنه
قولهم مواقع الغيث مساقطه (في حظائر قدس كرامته) أي مواضع طهارته (وطهارة نسبه) عما كان
في الجاهلية من نحو السفاح (وبراهين) حجج (اعلام آيات) اضافة بيانية (حمله وولادته) وضعه
(ورضاعه) بفتح الراء كرضاعة مصدر ارضع يرضع بفتحتين لغة كما في المصباح قال ولغة نجد رضع
رضعا من باب تعب ولغة تهامة من باب ضرب وأهل مكة يتكلمون بها (وحضانته ودقائق حقائق بعثته
وهجرته) من مكة الى طابة بكسر الهاء لغة مفارقة بلد الى غيره فان كانت قربة لله فهي الشرعية كما وقع
لكثير من الانبياء (ولطائف معارف مغازيه) جمع مغزاة (وسراياه) جمع سرية وتجمع أيضا على
سريات كعطية وعطايا وعطيات وهي قطعة من الجيش تخرج منه وتعود اليه (وبعوثه) جمع بعث
تسمية بالمصدر وهو الجيش كما في القاموس وغيره وفي كلام المصنف الآتي انه ما افترق من السرية
(وسيرته) أي طريقته وهيئته لا ما اصطلح عليه لكونه قدمه حال كوني (مرتبا) بالكسر اسم فاعل أو
حال كونه مرتبا بالفتح اسم مفعول أو هو مفعول ثان لجعل مقدرة أي وجعلته مرتبا (على السنين)
فيقدم ماوقع في الاولى ثم الثانية وهكذا وان كان الانسب ذكره من حيث ما ينضم اليه في غيره وهذا
أغلبي اذ ذكر كفاية المستهزئين بعد الامر بالصدع لمناسبة كون آيته بعد تلك الآية وان كان غيره انما
ذكره قبيل انشقاق القمر وكذكره بعض ماوقع للمسلمين من أذى الكفار بعد اسلام حمزة وبعث
المشركين الى اليهود (من حين نشأته) أي وجوده (الى وقت) زمن (وفاته) أي موته (ونقلته) تحوله
(لرياض روضته صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه) جمع زوج على اللغة العالية التي جاء بها القرآن
نحو اسكن أنت وزوجك الجنة والهاء لغة نجدية تكلم بها أهل الحرم قاله أبو حاتم وغيره وجمعها
زوجات وقول ابن السكيت أهل الحجاز بلاهاء وباقي العرب بالهاء فيه نظر فقد قال الاصمعي لاتكاد
العرب تقول زوجة (وأصحابه) كذا في النسخ والمناسب للسجع وصحابته

(المقصد الثاني في ذكر أسمائه) في الفصل الاول منه (الشريفة) مع شرح بعضها (المنبئة) صفة لازمة
بين بها دلالة جميعها (على) وفي نسخة عن (كمال أخلاقه) سجاياه (المنيفة) الزائدة في الكمال على
غيرها من قولهم انافت الدراهم على المائة زادت و جمعه أتباعها من الاسماء التي هي صفات

من صلاة في مسجدي
هذا بمائة صلاة رواه
ابن حبان في صحيحه
وهذا صريح في ان المسجد
الحرام أفضل بقاع
الارض على الاطلاق
ولذلك كان شد الرحال
اليه فرضا ولغيره مما
يستحب ولا يجب وفي
المسند والترمذي
والنسائي عن عبد الله بن
عدي بن الحمراء انه سمع
رسول الله صلى الله عليه
وآله وسلم وهو واقف على
راحلته بالحزورة من
مكة يقول والله انك لخير
أرض الله وأحب أرض
الله الى الله ولولا اني
أخرجت منك ماخرجت
قال الترمذي هذا حديث
صحيح بل ومن
خصائصها كونها قبلة
لاهل الارض كلهم فليس
على وجه الارض قبلة
غيرها ومن خواصها
أيضا انه يحرم استقبالها
واستدبارها عند قضاء
الحاجة دون سائر بقاع
الارض وأصح المذاهب
في هذه المسألة انه لافرق
في ذلك بين الفضاء
والبنيان لبضعة عشر
دليلا قد ذكرت في غير هذا
الموضع وليس مع المفرق
مايقاومها البتة مع
تناقضهم في مقدار
الفضاء والبنيان وليس
هذا موضع استيفاء

ان أريد بها معنى الوصفية كالمرسل والمتوكل ظاهر وأما الاعلام المنقولة كحمد فباعتبار المعنى اللغوى لا سيما وقد لوحظ ذلك فى الوضع اذ جعل سبب التسمية أو باعتبار انه يفهم ذلك المعنى منها عند الاستعمال بالنظر لخصوص اسماء المصطفى وان كانت الاعلام بحسب الوضع انما تدل على مجرد الذات (و) الفصل الثانى فى ذكر (أولاده الكرام الطاهرين) صفتان كاشفتان (وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين) مع بيان هل يقال لهن أمهات المؤمنات وهو الفصل الثالث وفيه ذكر سراريه أيضا (واعمامه) جمع عم (وعماته) جمع عمة (واخوته) آثر جمع المذكر تغليبا كما فى قوله وان كان له اخوة اذ المراد ما يشمل الاناث كما يأتى فى كلامه (من الرضاعة) قيد لبيان الواقع اذ ليس له أخ ولا أخت من النسب وقد قال الواقدى المعروف عندنا وعند أهل العلم أن امنة وعبد الله لم يلدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى (وجداته) وهو الفصل الرابع (وخدمه) جمع خادم غلاما كان أو جارية وبالهاء ثيب أقليل (ومواليه وحرسه) وهو الفصل الخامس (وكتابه) جمع كاتب (وكتبه الى أهل الاسلام فى الشرائع) جمع شريعة سميت باسم الشريعة وهى مورد الناس للاستقاء لوضوحها وظهورها (والاحكام ومكاتباته الى الملوك وغيرهم من الانام) وهو الفصل السادس وفيه ذكر أمرائه ورسله (و) فى ذكر (مؤذنيه وخطبائه وحداته وشعرائه) وهو الفصل السابع (وآلات حروبه) جمع آلة وهو الفصل الثامن (و) فى ذكر (دوابه) وهو التاسع (والوافدين اليه صلى الله وسلم عليه) وهو الفصل العاشر (وفيه عشرة فصول) قد علمتها واسترحت من الكشف

(المقصد الثالث فيما فضله الله تعالى به) أى فى صفات صيره بها أفضل من غيره من فضل مخففا على غيره زاد (من كمال خلقته) ايجاد أجزاء بدنه تامة معتدلة المقادير (وجمال صورته) أى حسنها الظاهر فى جسده بتناسب أعضائه وصفاء لونه واعتدال قده وقيل المراد حسن وجهه وحسن الصورة أمر محمود يدل على حسن السريرة ويمدح به كمل الرجال ولذا أخطأ الآمدى من اعترض على أبى تمام فى وصف ممدوحه بالجمال لانه يليق بالغزل لما ذكر فقال فى كتاب الموازنة جمال الوجه وحسنه مما يتمدح به لانه يتميز به ويدل على الخصال الممدوحة ويزيد فى الهيبة والدمامة يذم بها والعكس ذلك وقد غلط فيه من توهم انه لا يدخل فى مدح العظماء انتهى وهذا هو الفصل الاول (و) الثانى فيما (كرمه) أى عظمه وميزه على غيره (سبحانه به من الاخلاق الزكية) جمع خلق وهو الوصف الذى طبع عليه واكتسبه وجمعه بناء على تعدده كما صار اليه كثيرون أو باعتبار ما ينشأ عنه من جميل الاوصاف (وشرفه) أعلاه (به) على غيره فى الكتاب العزيز وغيره (من الاوصاف المرضية) القائمة به مساو فى المعنى لما قبله (و) الفصل الثالث فى (ما تدعو ضرورة حياته اليه) متعلق بتدعو أو بضرورة أو بهما على التنازع والضرورة شدة الاحتياج باعتبار العادة البشرية وفى عبارة لطف لايمائه الى انه ليس مضطرا اليه كغيره وانما الضرورة هى التى دعته وطلبته كما قال البوصيرى

وكيف تدعو الى الدنيا ضرورة من * لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

(صلى الله وسلم عليه * وفيه ثلاثة فصول) علمت

(المقصد الرابع فى معجزاته الدالة على ثبوت نبوته) صفة لازمة لا مخصصة لان معجزاته كلها دالة على الثبوت (وصدق رسالته) أى قوتها فى القاموس الصدق بالكسر الشدة فهو مساو للثبوت فغاير تفننا أو المراد صدقه فى ادعاء الرسالة وهذا الفصل الاول (و) الثانى فى (ما خص به) أى ثبت له دون غيره من الانبياء أو أممهم وهو عطف على معجزاته عطف عام على خاص (من خصائص آياته) من اضافة

الحجاج من الطرفين ومن خواصها أيضا ان المسجد الحرام أول مسجد وضع فى الارض كما فى الصحيحين عن أبى ذر قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع فى الارض قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما وقد أشكل هذا الحديث على من لم يعرف المراد به فقال معلوم ان سليمان ابن داود الذى بنى المسجد الاقصى وبينه وبين ابراهيم أكثر من ألف عام وهذا من جهل هذا القائل فان سليمان انما كان له من المسجد الاقصى تجديده لا تأسيسه والذى أسسه هو يعقوب ابن اسحق صلى الله عليهما وسلم بعد بناء ابراهيم الكعبة بهذا المقدار ومما يدل على تفضيلها ان الله تعالى أخبر انها أم القرى فالقرى كلها تبع لها وفرع عليها وهى أصل القرى فيجب أن لا يكون لها فى القرى عديل فهى كما أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن الفاتحة انها أم القرآن ولهذا لم يكن لها فى الكتب الالهية عديل ومن

الصفة للموصوف أى آياته الخاصة به أى الفاضلة فى الشرف على غيرها فلا يرد ان شرط المبين أن يزيد على المبين اسم مفعول (وبدائع كراماته) أى كراماته البديعة التى تفرد بها من بين الكرمات فالصفة مضافة لموصوفها والكرامات أمر أكرم الله به من اصطفاه من عباده المتقين بدون تحد ودعوى نبوة فتكون للنبى والولى وأعم من المعجزة لاشتراط مقارنة النبوة والتحدى بالقوة أو بالفعل فخرج بقولهم أكرم الخ السحر وما يصدر عن الكهنة والشياطين (وفيه فصلان) علما

(المقصد الخامس فى تخصيصه عليه الصلاة والسلام بلطائف) وفى نسخة بخصائص والتخصيص قال الراغب تفرد بعض الشئ بما لا تشاركه فيه الجملة والاصوليون قصر العام على بعض أفراده بدليل مستقل مقترن به وحمله عليه شيخنا فقال أى قصره عليها يعنى قصرا اضافيا دون غيره من الانبياء فلا يشكل عليه بكثرة المعجزات فالصواب التعبير بقصرها عليه لان بحمله اضافيا ساوى ذلك (المعراج) بكسر الميم وفتح المصعد مفعال من العروج (والاسراء) قال الحافظ الدمياطى الاسراء عبارة عن سيره صلى الله عليه وسلم من مكة للمسجد الاقصى والمعراج سلم من نور أو من جوهر تصعد فيه الارواح الى السماء ويطلق كل منهما على ما يشمل الآخر (وتعميمه) تسويده من عمم الرجل بالبناء للمفعول سود أى جعل سيدا لان العمائم تيجان العرب كما فى الصحاح وهو لفظ حديث مرفوع أخرجه الديلمى عن ابن عباس والقضاعى عن على بزيادة والاحتباء حيطانها وجلوس المؤمن فى المسجد رباطه وهو ضعيف وفى نسخة تكريمه (بعموم) أى كثرة (لطائف الكريم فى حضرة التقريب) هى عند الصوفية مقام الكامل المكمل بغير واسطة بشر وهو النبى يأخذ عن الحق ما به يحصل كمال الحق المخلوق كما فى لطائف الكاشى (بالمكالمة والمشاهدة) لله سبحانه على القول بانه رآه وهما من أعظم الآيات فعطفه (والآيات الكبرى) عام على خاص وأتى بهذا لئلا يتوهم غبى أن المراد القرب المكانى

(المقصد السادس فيما ورد فى آى التنزيل) القرآن جمع آية وهى ألفاظ منه ذات مقطع ومبدأ مندرجة فى سورة (من عظم قدره) أى مقداره وشرف رتبته وتكون بمعنى التعظيم كما فى قوله وما قدروا الله حق قدره أى عظموه حق تعظيمه فى أحد الوجوه فيه (ورفعة) بكسر الراء آخره تاء تأنيث مضاف الى (ذكره) وان قرئ رفع بفتح الراء والضمير للتنزيل فذكره بالنصب (وشهادته تعالى) عما لا يليق بعلى كماله (له بصدق نبوته) والشهادة خبر قاطع كما فى القاموس (وثبوت بعثته وقسمه) بفتحتين (تعالى على تحقيق رسالته وعلو منصبه) بفتح الميم وكسر الصاد المهملة فى كلام العرب بمعنى الحسب والشرف كما ذكره اللغويون واستفاض فى كلام الفصحاء وفى المصباح يقال له منصب وزان مسجد أى علو ورفعة وفلان له منصب صدق يراد به المنبت والمحتد وامرأة ذات منصب انتهى وأما المنصب بمعنى الولايات ففى النسيم انه مولد لم يرد فى كلامهم أصلا كقوله

نصب المنصب أوهى جلدى * وعنائى من مداراة السفل

فكانه للنصب فيه للنظر فى الامور أو هو من النصب والحيلة وكذا اطلاقه على ما وضع عليه القدر مولد (الجليل) العظيم (ومكانته) عظمته عنده من قولهم كما فى المصباح مكن فلان عند السلطان مكانة وزان ضخم ضخامة عظم عنده وارتفع فهو مكين انتهى أو استقامته يقال الناس على مكانتهم أى على استقامتهم كما فى المختار وفى النسيم المكان معروف فاذا زيد فيه الهاء أريد به المرتبة المعنوية كالمنزل والمنزلة (ووجوب طاعته واتباع سنته) طريقته (وأخذه تعالى له الميثاق على سائر النبيين فضلا منه ان أدركوه ليؤمنن به ولينصرنه والتنويه به) بالجر أى بذكره يقال ناه بالشئ نوها من باب قال ونوه به تنويها رفع ذكره وعظمه وفى حديث عمر أنا أول من نوه بالعرب أى رفع ذكرهم بالديوان والاعطاء كما

خصائصها انها لا يجوز دخولها لغير أصحاب الحوائج المتكررة الا باحرام وهذه خاصية لا يشاركها فيها شئ من البلاد وهذه المسئلة تلقاها الناس عن ابن عباس رضى الله عنهما وقد روى عن ابن عباس باسناد لا يحتج به مرفوعا لا يدخل أحد مكة الا باحرام من أهلها ومن غير أهلها ذكره أبو أحمد بن عدى ولكن الحجاج بن ارطاة فى الطريق وآخر قبله من الضعفاء وللفقهاء فى المسئلة ثلاثة أقوال النفى والاثبات والفرق بين من هو داخل المواقيت ومن هو قبلها فمن قبلها لا يجاوزها الا باحرام ومن هو داخلها فحكمه حكم أهل مكة وهو قول أبى حنيفة والقولان الاولان للشافعى وأحمد ومن خواصه انه يعاقب فيه على الهم بالسيئات وان لم يفعلها قال تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم فتامل كيف عدى فعل الارادة ههنا بالباء ولا يقال أردت بكذا الا لما ضمنه معنى فعل يهم فانه يقال هممت بكذا فتوعد من هم بان يظلم فيه بان يذيقه العذاب الاليم ومن هذا تضاعف مقادير السيئات فيه

في المصباح (في الكتب السالفة) الماضية (كالتوراة والانجيل) قيل مشتقان من الورى والنجل ووزنهما تفعلة وافعيل ورد بانه تعسف لانهما أعجميان ويؤيده انه قرئ الانجيل بفتح الهمزة وهو ليس من أبنية العرب

بانه صاحب الرسالة) العامة على وجه

لم يوجد لغيره (والتبجيل) التعظيم والتوقير (وفيه عشرة انواع) الاول في آيات تتضمن عظم قدره الى آخره والثاني في أخذ الله الميثاق على النبيين فضلا والثالث في وصفه له بالشهادة وشهادته له بالرسالة والرابع في التنويه به في الكتب السالفة والخامس في أقسامه على تحقيق رسالته وفيه خمسة فصول والسادس في وصفه له بالنور والسراج المنير والسابع في وجوب طاعته والثامن فيما يتضمن الادب معه والتاسع في رده تعالى على عدوه والعاشر في ازالة الشبهات عن آيات وردت في حقه متشابهات وهذا وان لم يكن شيأ ففيه اراحة للخاطر ولئلا يتوهم انه على نسق ما قبله وعبر هنا وفي التاسع بانواع تفننا اذ المراد من الانواع والفصول واحد

(المقصد السابع في وجوب محبته و) وجوب (اتباع سنته و) وجوب (الاهتداء بهديه) ومعنى الوجوب اعتقاد حقية ما أمر به عن الله تعالى وأما مباشرة الفعل فتختلف في الوجوب والندب والاباحة ولا يشكل بان المندوب يجب بالنذر لامره صلى الله عليه وسلم بالوفاء بالنذر كالقرآن فهو من سنته وهديه (وطريقته) وهذا هو الفصل الاول (وفرض محبة آله وأصحابه وقرابته وعترته) بكسر العين وسكون الفوقية أى نسله قال الازهري وروى ثعلب عن ابن الاعرابي ان العترة ولد الرجل وذريته وعقبه من صلبه ولا تعرف العرب من العترة غير ذلك ويقال رهطه الادنون ويقال أقرباؤه ومنه قول أبي بكر نحن عترة رسول الله التي خرج منها وبيضته التي تفقأت عنه وعليه قول ابن السكيت العترة والرهط بمعنى ورهط الرجل قومه وقبيلته الاقربون وكانه ذكر فرض للاهتمام بطول الفصل وغاير في التعبير فلم يقل وجوب تفننا لانهما بمعنى عند الاكثرين ولا يصح حمله هنا على مذهب الفارقين لان المقام يأباه اذ يصير معناه محبة المصطفى بدليل ظني وآله وما عطف عليه بدليل قطعي وهذا الفصل الثالث باللام (و) الفصل الثاني بالنون في حكم (الصلاة والتسليم عليه) فرضية وسنية وفضيلة وصفة ومحلا (زاده الله فضلا وشرفا لديه) عنده (وفيه ثلاثة فصول)

(المقصد الثامن في طبه صلى الله عليه وسلم لذوى الامراض) جمع مرض وهو كما في المصباح حالة خارجة عن الطبع ضارة بالفعل ويعلم من هذا ان الآلام والاورام اعراض عن المرض وقال ابن فارس المرض كل ما خرج به الانسان عن حد الصحة من علة أو نفاق أو تقصير في أمر (والعاهات) جمع عاهة في تقدير فعلة بفتح العين أو الآفات وهذا الفصل الاول (و) الثاني في (تعبيره) تفعيل من عبرت الرؤيا مشددا للمبالغة وأنكرها الاكثرون وقالوا الوارد التخفيف كما في قوله ان كنتم للرؤيا تعبرون لكن أثبتها الزمخشري اعتمادا على بيت أنشده المبرد في الكامل حيث قال

رأيت رؤياثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

أى تفسيره (الرؤيا) بوزن فعلى وقد تسهل الهمزة ما يراه الشخص في منامه (و) الفصل الثالث في (انبائه بالانباء) اخباره الاخبار (المغيبات) بالهام أو وحي (وفيه ثلاثة فصول)

(المقصد التاسع في لطيفة) من لطف بالضم صغر جسمه لا بالفتح اذا رفق (من حقائق عباداته ويشتمل على سبعة أنواع) الطهارة والصلاة والزكاة والصوم والاعتكاف والحج والسابع نبذة من أدعيته وذكره وقراءته

لا كلها فان السيئة جزاؤها سيئة لكن سيئة كبيرة وجزاؤها مثلها وصغيرة جزاؤها مثلها

بياض بالاصل

فالسيئة في حرم الله وبلده وعلى بساطه آكد وأعظم منها في طرف من أطراف الارض ولهذا ليس من عصى الملك على بساطه كمن عصاه في الموضع البعيد من داره وبساطه فهذا فصل النزاع في تضعيف السيآت والله أعلم وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص في انجذاب الافئدة وهوى القلوب وانعطافها ومحبتها لهذا البلد الامين فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد فهو الاولى بقول القائل

محاسنه هيولى كل حسن ومغناطيس أفئدة الرجال

ولهذا أخبر سبحانه انه مثابة للناس أى يثوبون اليه على تعاقب الاعوام من جميع الاقطار ولا يقضون منه وطرا بل كلما ازدادوا له زيارة ازدادوا له اشتياقا

لا يرجع الطرف عنها حين ينظرها حتى يعود اليها الطرف مشتاقا

فلله كم لها من قتيل وسليب وجريح وكم أنفق في حبها من الاموال

(المقصد العاشر فى اتمامه تعالى نعمته عليه) قال الامام الرازى النعمة المنفعة على جهة الاحسان
الى الغير فخرج بالمنفعة المضرة المحضة والمنفعة المفعولة لاعلى جهة الاحسان الى الغير كأن قصد الفاعل
نفسه كمن أحسن الى جاريته ليربح فيها أو أراد استدراجه بمحبوب الى ألم أو أطعم غيره نحو سكر أو خبيص
مسموم ليهلك فليس بنعمة وقال الراغب النعمة ما قصد به الاحسان والنفع (بوفاته) موته وأصله من
توفيت الشئ اذا أخذته كله قاله أبو البقاء (ونقلته اليه) وهو الفصل الاول (و) الثانى فى (زيارة قبره)
هو مقر الميت وهو فى الاصل مصدر قبرته اذا دفنته وهو هنا بمعنى المقبور فيه كما فى التوقيف
(الشريف) شرفا ماناله غيره بحيث صار أفضل البقاع اجماعا (ومسجده المنيف) المرتفع فى الشرف
على غيره حتى المسجد الحرام أو الا المسجد الحرام على القولين (و) الفصل الثالث فى (تفضيله فى الآخرة
بفضائل الاوليات) أى بالامور التى يتقدم وصفه بها على جميع الخلق ككونه أول من تنشق عنه
الارض وأول شافع وأول من يقرع باب الجنة (الجامعة لمزايا) فضائل (التكريم والدرجات) جمع درجة
أى المراتب (العليات وتشريفه بخصائص الزلفى) فعلى من أزلف أى القربى (فى مشاهد الانبياء
والمرسلين وتحميده بالشفاعة) العظمى العامة (والمقام المحمود) وهو مقام يقوم فيه للشفاعة
العظمى فيحمده فيه الاولون والآخرون ولاشك انه مغاير للشفاعة وان احتوى عليها على كلام فيه
مبين (وتفرده بالسودد) بالضم المجد والشرف (فى مجمع) بكسر الميم وفتحها وجمعه (مجامع) يطلق على
الجمع وعلى موضع الاجتماع كما فى المصباح (الاولين والآخرين وترقيه فى جنة عدن) اقامة (أرقى
معارج) جمع معرج ومعراج كما مر (السعادة) وهى كما فى التوقيف معاونة الامور الالهية للانسان على
نيل الخير ويضادها الشقاوة (وتعاليه فى يوم المزيد) وهو يوم الجمعة فى الجنة كما فى مسند الشافعى عن
المصطفى عن جبريل (أعلى معالى الحسنى وزيادة) قال الراغب الزيادة ان ينضم الى ما عليه الشئ فى
نفسه شئ آخر وقد تكون زيادة مذمومة كالزيادة على الكفاية كزائد الاصابع أو قوائم الدابة وقد
تكون محمودة نحو للذين أحسنوا الحسنى وزيادة وهى النظر الى وجه الله (وفيه ثلاثة فصول) قد
علمتها (والله تعالى جل جده) بفتح الجيم وشد الدال تكون بمعنى الحظ والغنى ومنه ولا ينفع ذا الجد
منك الجد يقال جد بمعنى عظم واسناد التعالى للمبالغة كجد جده فهو اسناد مجازى أو استعارة مكنية
(وعز) غلب (مجده) المجد العز والشرف ففى اسناد العزله المبالغة والله بالنصب قدم على عامله
للتخصيص عند البيانيين والحصر عند النحاة أى والله لاغيره (أسأل بوجاهة) هى الحظ والرتبة
(وجهه الوجيه) قال بعض العلماء وجه الله مجاز عن ذاته عز وجل تقول العرب أكرم الله وجهك بمعنى
وفى التوقيف الوجيه من فيه خصال حميدة من شأنه أن يعرف ولا ينكر (ونبيه النبيه) الشريف فى
المصباح نبه بالضم نباهة شرف فهو نبيه (أن يمدنى) يعيننى (فى هذا الكتاب بمدد) بزيادة (الاقبال
والقبول) بفتح القاف وضمها لغة حكاها ابن الاعرابى وهو كما فى التوقيف ترتب الغرض المطلوب
من الشئ على الشئ (وينيلنى) يبلغنى (ومن كتبه أو قرأه أو سمعه والمسلمين) وان لم يقع منهم ذلك
(من لطائف العواطف المحمدية لطائف السول ونهاية المأمول) قال أبو البقاء النهاية ما به يصير الشئ ذا
كمية أى حيث لا يوجد وراءه شئ منه وقيل نهاية الشئ آخره أصلا من النهى وهو المنع والشئ ان بلغ آخره
امتنع من الزيادة فان قيل قد قال صلى الله عليه وسلم لا يسئل بوجه الله الا الجنة رواه أبو داود وقال ملعون
من سأل بوجه الله رواه الطبرانى قلت لما كان ما سأله يرجع الى سؤال الجنة ساغ له ذلك وقد استظهر
ان النهى للتنزيه (وعلى الله قصد السبيل) بيان مستقيم الطريق الموصل الى الحق أو اقامة السبيل
وتعديلها رحمة وفضلا (وهو حسبنا) محسبنا وكافينا من أحسبه اذا كفاه ويدل على انه بمعنى المحسب

والأرواح ورضى المحب
بمفارقة فلذ الاكباد
والاهل والاحباب
والاوطان مقدما بين
يديه أنواع المخاوف
والمتالف والمعاطب
والمشاق وهو يستلذ
ذلك كله ويستطيبه ويراه
لو ظهر سلطان المحبة فى
قلبه أطيب من نعم
المتحلية وترفههم
ولذاتهم
وليس محبا من يعد
شقاءه
عذابا اذا ما كان يرضى
حبيبه
وهذا كله سر اضافته اليه
سبحانه وتعالى بقوله
وطهر بيتى فاقتضت هذه
الاضافة الخاصة من هذا
الاجلال والتعظيم والمحبة
ما اقتضته كما اقتضت
اضافته لعبده ورسوله
الى نفسه ما اقتضت من
ذلك وكذلك اضافته
عباده المؤمنين اليه
كستهم من الجلال والمحبة
والوقار ما كستهم فكلما
أضافه الرب تعالى الى
نفسه فله من المزية
والاختصاص على غيره
ما أوجب له الاصطفاء
والاجتباء ثم يكسوه بهذه
الاضافة تفضيلا آخر
وتخصيصا وجلالة زيادة
على ما له قبل الاضافة ولم
يوفق لفهم هذا المعنى
من سوى بين الاعيان

انه لا يستفيد بالاضافة تعريفا في قولك هذا رجل حسبك (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو ذكره في الانوار وهذا اقتباس وهو جائز عند المالكية والشافعية باتفاق غير انهم كرهوه في الشعر خاصة هكذا حكى اتفاق المذهبين الشيخ داود الشاذلي الباهلي وقد نص على جواز القاضي عياض وابن عبد البر وابن رشيق والباقلاني وهم من أجلة المالكية والنووي شيخ الشافعية ورواه الخطيب البغدادي وغيره بالاسناد الى الامام مالك انه كان يستعمله قال السيوطي وهذا أكبر حجة على من يزعم ان مذهب مالك تحريمه وقد نفى الخلاف في مذهبه الشيخ داود وهو أعرف بمذهبه وأما مذهبنا فانا أعرف ان أئمته مجمعون على جوازه والاحاديث الصحيحة والآثار عن الصحابة والتابعين تشهد لهم فمن نسب الى مذهبنا تحريمه فقد فشر وأبان عن انه أجهل الجاهلين انتهى وهذا منه يقضى بغلطه فيما أورده في عقود الجمان

(المقصد الاول)

اعلم ان في أسماء الكتب والفاظ التراجم احتمالات أقربها ان المراد بها الالفاظ والمعروف انها ظروف وقوالب للمعاني فاذا عكس كما هنا فهو بتقدير مضاف أي (في) بيان (تشريف الله تعالى له عليه الصلاة والسلام) وبيان بمعنى مبين أي ما من شأنه أن يبين به ولا شك ان ما ذكره بعض ما يمكن به البيان فهو من ظرفية الكل لجزئه ويجوز انه استعارة أو تشبيه للمعاني بالظروف بجامع ان الالفاظ لا تزيد المظروف على ظرفه المشتمل عليه أو في بمعنى على والتقدير هذه ألفاظ مخصوصة دالة على تشريف أو بمعنى اللام والمراد بكونه فيه انه مقصود منه فلا ينافي ذكر غيره بطريق التبع (بسبق تقدم (نبوته) وذلك السبق موجود (في سابق أزليته) أي ما وعليه قبل خلق الاشياء فلا يقال السبق لا يكون مظروفا في السبق أو جعل الازلية ظرفا يستدعي عدم مسبوق تقدم نبوته بالاولية فيلزم أن لا أول لتقدم نبوته كما انه لا أول للازلي كذا قال شيخنا قال في المحمل الازل القدم يقال هو أزلي والكلمة ليست بمشهورة في كلام العرب وأحسب انهم قالوا في القديم لم يزل ثم نسب اليه فلم يستقم الا باختصار فقالوا يزلي ثم أبدلوا الياء ألفا وقيل الازل اسم لما يضيق القلب عن بدايته من الازل وهو الضيق فهمزته أصلية (ونشره) ظهاره واذاعته (منشور رسالته في مجلس مؤانسته) أي الله سبحانه أو النبي صلى الله عليه وسلم (وكتبه) اثباته (توقيع) تعلق (عنايته في حظائر قدس كرامته) أي في المواضع التي تظهر فيها كرامته المنزهة عن النقائص ككتبه على كل موضع في الجنة وعلى نحور العين وساق العرش كما يجيء (وطهارة نسبه) نزاهته عن دنس الجاهلية وسفاف الامور وتعاطيه الهمم العلية (وبراهين) جمع برهان وهو الدليل القوي الذي يحصل به اليقين لا المنطقي لما أوانيا وان شمله (اعلام آيات) اضافة بيانية أي براهين الاعلام التي هي آيات دالة على (حمله) واضافة براهين الى أعلام حقيقة أي البراهين الدالة على ان ما أدركته أمه من الآيات هي أمارات على الحمل حقيقة (وولادته ورضاعه وحضانته ودقائق حقائق بعثته) أراد بها ما لا يفهم انه من آثار الرسالة الا بعد النظر الدقيق كرؤية الملك في ابتداء الوحي فانه انما يدل على ذلك بعد التأمل وامعان النظر فيه (وهجرته) هي في اللغة الترك ثم خصت بترك مكان لآخر وغالب الانبياء وقع لهم الهجرة لعداوة الناس لهم (ولطائف معارف مغازيه وسراياه وبعوثه وسيرته) هيئته وحالته وطريقته لا ما غلب في لسان الفقهاء من أنها المغازي لكونه قدمها (مرتبا على السنين) غالبا (من حين شأنه الى وقت وفاته ونقلته لرياض روضته اعلم) أمر من العلم يصدر به ما يعتنى به من الكلام تقوية وتأكيدا وحثا على القاء البال لما بعده تنبيها على انه مما ينبغي ان يعلم ولا يترك وقد ورد في القرآن وكلام العرب كقوله فاعلم انه لا اله الا الله اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو ولذا التزم بعده في الغالب أن المؤكدة كقوله.

والافعال والازمان والاماكن وزعم أنه لا مزية لشئ منها على شئ وانما هو بمجرد الترجيح بلا مرجح وهذا القول باطل باكثر من أربعين وجها قد ذكرت في غير هذا الموضع ويكفي تصور هذا المذهب الباطل في فساده فان مذهبا يقتضي أن يكون ذوات الرسل كذوات أعدائهم في الحقيقة وانما التفضيل بامر لا يرجع الى اختصاص الذوات بصفات ومزايا لا تكون لغيرها وكذلك نفس البقاع واحدة بالذات ليس لبقعة على بقعة مزية ألبتة وانما هو لما يقع فيها من الاعمال الصالحة فلا مزية لبقعة البيت والمسجد الحرام ومنى وعرفة والمشاعر على أي بقعة سميتها من الارض وانما التفضيل باعتبار أمر خارج عن البقعة لا يعود اليها ولا الى وصف قائم بها والله سبحانه وتعالى قد رد هذا القول الباطل بقوله تعالى فاذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله قال الله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته أي ليس كل أحد أهلا ولا صالحا لتحمل رسالته بل لها محال مخصوصة

فاعـلم فعلم المرء ينفعه * أن سوف يأتي كل ما قدرا

(ياذا العقل) مشتق من العقل بمعنى المنع ومنه العقال لمنعه الانسان عما لا يليق ولذا أطرف في التلميح لاصله القائل

قد عقلنا والعقل أي وثاق * وصبرنا والصبر مر المذاق

(السليم) من شوائب الكدورات وانما خص ذوي العقول بالنداء لان شرف الانسان انما هو بالعقل وبه يميز الحسن من القبيح قال أبو الطيب

لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان

وفي حقيقته ومحله كلام ألم المصنف فيما يأتي بشئ منه (والمتصف) بالنصب لان تابع المناوى المعرب منصوب لا غير سواء كان التابع معرفة أم نكرة محلى باللام أم لا وأجاز الاخفش رفعه (بأوصاف الكمال) لنفسه (والتتميم) لغيره وغاير تفننا ورعاية للسجع والافهما بمعنى كما في الصحاح والقاموس وغيرهما وقال الزركشي تفسير الكمال بالتمام خطأ لقوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي وقد فرق بينهما الشيخ عبد القاهر بان الاتمام لازالة نقصان الاصل والاكمال لازالة نقصان العوارض بعد تمام الاصل وأيضا التمام يشعر بحصول نقص قبل ذلك والكمال لا يشعر به وتعقب بان الاكمال في الآية للدين والاتمام للنعمة التي من جلتها ذلك الاكمال والنصر العام على كل معاند فلم يتعاورا على شئ واحد ووظيفة اللغوي بيان أصل اللغة وأهل التفسير والمعاني النظر الى كل مقام بحسبه ولو بمعنى مجازي أو قد جزم ابن أبي الاصبع بانه قد يطلق كل منهما على الآخر ومنه اليوم أكملت لكم الآية (وفقني الله واياك) جملة دعائية والتوفيق الهداية الى وفق الشئ وقدره وما يوافقه قاله أبو البقاء وفيه تفاسير معلومة (بالهداية) الثبات عليها أو زيادتها أو حصول المراتب المرتبة عليها اذ المسلم مهتد والمراد حق الاهتداء لا الدلالة هنا والباء للتصوير والتحقيق أي وفقنا بهدايتنا أو للسببية أي رزقنا مباشرة الطاعات بسبب هدايته لنا (الى الصراط المستقيم) المستوي يعني طريق الخير أو دين الاسلام قال صاحب الانوار والهداية دلالة بلطف ولذلك تستعمل في الخير وقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وارد على التهكم ومنه الهدية وهوادي الوحش مقدماتها والفعل منه هدى وهداية الله تعالى تتنوع أنواعا لا يحصيها عد لكنها تنحصر في أجناس مترتبة الاول افاضة القوى التي بها يتمكن المرء من الاهتداء الى مصالحه كالقوة العقلية والحواس الباطنة والمشاعر الظاهرة والثاني نصب الدلائل الفارقة بين الحق والباطل والصلاح والفساد واليه أشار حيث قال وهديناه النجدين وقال فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى والثالث الهداية بارسال الرسل وانزال الكتب واياها عنى بقوله وجعلناهم أئمة يهدون بامرنا وقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم والرابع ان يكشف على قلوبهم السرائر ويريهم الاشياء كما هي بالوحي أو الالهام والمنامات الصادقة وهذا قسم يختص بنيله الانبياء والاولياء واياه عنى بقوله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فالمطلوب اما زيادة ما منحوه من الهدى أو الثبات عليه أو حصول المراتب المترتبة عليه فاذا قاله العارف الواصل عني به أرشدنا طريق السير فيك لتمحو عنا ظلمات أحوالنا وتميط بغواشي أبداننا لنستضي بنور قدسك فنراك بنورك انتهى وفي الاساس يقال هداه السبيل والى السبيل هداية وهدى وظاهره عدم الفرق بين المتعدي بنفسه والمتعدي بالحرف قال ابن كمال ومنهم من فرق بينهما بان هداه لكذا أو الى كذا انما يقال اذا لم يكن في ذلك فيصل بالهداية اليه وهداه كذا لمن يكون فيه فيزداد ويثبت ولمن لا يكون فيصل والقول بان ما تعدى بنفسه معناه الايصال الى المطلوب ولا يكون الا فعل الله تعالى

لا تليق الا بها ولا تصلح الالها والله أعلم بهذه المحال منكم ولو كانت الذوات متساوية كما قال هؤلاء لم يكن في ذلك رد عليهم وكذلك قوله تعالى وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله باعلم بالشاكرين أي هو سبحانه أعلم بمن يشكره على نعمته فيختصه بفضله ويمن عليه ممن لا يشكره فليس كل محل يصلح لشكره واحتمال منته والتخصيص بكرامته فذوات ما اختاره واصطفاه من الاعيان والاماكن والاشخاص وغيرها مشتملة على صفات وأمور قائمة بها ليست في غيرها ولاجلها اصطفاها الله وهو سبحانه الذي فضلها بتلك الصفات وخصها بالاختيار فهذا خلقه وهذا اختياره وربك يخلق ما يشاء ويختار وما أبين بطلان رأي يقتضي بان مكان البيت الحرام مساو لسائر الامكنة وذات الحجر الاسود مساوية لسائر حجارة الارض وذات رسول الله صلى الله عليه وسلم مساوية لذات غيره وانما التفضيل في ذلك بامور خارجة عن

فلا يسند الا اليه كقوله لنهدينهم وما تعدى بالحرف معناه الدلالة على ما يوصل اليه فيسند تارة الى القرآن كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم وتارة للنبى كقوله تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم ليس بتام لمجىء المتعدى بنفسه فى القرآن كثيرا مسندا الى غير الله تعالى كقوله يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد وقوله تعالى وما أهديكم الا سبيل الرشاد انتهى وفى البيضاوى أصله ان يعدى باللام أوالى فعومل فى اهدنا الصراط معاملة اختار فى قوله واختار موسى قومه انتهى والخلاف فى أنها الدلالة على ما يوصل الى المطلوب وان لم يصل وهو مذهب أهل السنة أو الموصلة عند المعتزلة مشهور كادلتهم (أنه لما تعلقت ارادة الحق) الثابت الوجود على وجه لا يقبل الزوال ولا العدم ولم يقل لما أراد لان الارادة أزلية والحادث انما هو التعلق (بايجاد خلقه) أى مخلوقه لانه الذى يتعلق به الايجاد نحو هذا خلق الله أى مخلوقه (وتقدير رزقه) أى الله أو الخلق فالمصدر مضاف للفاعل أو المفعول قال السمين والرزق لغة العطاء وهو مصدر قال تعالى ومن رزقناه منا رزقا حسنا وقيل يجوز انه فعل بمعنى مفعول كذبح بمعنى مذبوح وقيل الرزق بالفتح مصدر وبالكسر اسم للمرزوق واقتصر على الثانى فى المختار والمصباح (ابرز الحقيقة المحمدية) هى الذات مع التعين الاول كما فى التوقيف وفى لطائف الكاشى يشيرون بالحقيقة المحمدية الى الحقيقة المسماة بحقيقة الحقائق الشاملة لها أى للحقائق والسارية بكليتها فى كلها سريان الكلى فى جزئياته قال وانما كانت الحقيقة المحمدية هى صورة لحقيقة الحقائق لاجل ثبوت الحقيقة المحمدية فى خلق الوسيطة والبرزخية والعدالة بحيث لم يغلب عليه صلى الله عليه وسلم حكم اسمه أو وصفه أصلا فكانت هذه البرزخية الوسطية هى عين النور الاحدى المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام أول ما خلق الله نورى أى قدر على أصل الوضع اللغوى وبهذا الاعتبار سمى المصطفى بنور الانوار وبابى الارواح ثم انه آخر كل كامل اذ لا يخلق الله بعده مثله انتهى (من الانوار الصمدية) المنسوبة للصمد والاضافة للتشريف كما فى حديث جابر عند عبد الرزاق مرفوعا يا جابر ان الله قد خلق قبل الاشياء نور نبيك من نوره (فى الحضرة الاحدية) هى أول تعينات الذات وأول رتبها الذى لا اعتبار فيه لغير الذات كما هو المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام كان الله ولا شئ معه ذكره الكاشى (ثم سلخ) أخرج (منها العوالم كلها) بكسر اللام جمع عالم بفتحها سماعا وقياسا (علوها) بضم العين وكسرها وسكون اللام (وسفلها) بضم السين وكسرها وسكون الفاء أى عاليها وسافلها يشير الى العالم العلوى والسفلى فهو مجاز من اطلاق اسم الكل وارادة اسم الجزء (على صورة حكمه) أى التى تعلق بها خطابه الازلى لا صورة نفس الحكم لانه قديم وفى نسخ حكمته أى على الصورة التى اقتضتها حكمته وارادته والاولى أنسب بالسجعة فى قوله (كما سبق فى سابق ارادته وعلمه) على ما سيجىء بيانه فى حديث عبد الرزاق (ثم أعلمه بنبوته وبشره برسالته هذا وآدم) الواو للحال (لم يكن الا كما قال) صلى الله عليه وسلم (بين الروح والجسد ثم انبجست) تفجرت (منه صلى الله عليه وسلم عيون الارواح) أى خالصها كارواح الانبياء والمراد بالعيون الكمالات المفرغة من نوره على أرواح الانبياء عبر عنها بالعيون مجاز المشابهتها بعيون الانسان للكمال فلا يرد تأخر الاعلام والبشارة عن سلخ العوالم منه (فظهر) عليه السلام أى حقيقته (بالملأ) أى الخلق (الاعلى) وصفهم به اشارة الى أن المراد المقربون (وهو بالنظر

الاجلى) بالجيم أى الاتم فى الظهور (وكان لهم المورد) وزن مسجد تشبيه بليغ أى كالمورد الذى يرده الناس ليرتووا منه (الاحلى) بالحاء الاعذب (فهو صلى الله عليه وسلم الجنس) أى كالجنس (العالى) المرتفع (على جميع الاجناس) لتقدمه خلقا على غيره (والاب

الذات والصفات القائمة بها وهذه الاقاويل وأمثالها من الجنايات التى جناها المتكلمون على الشريعة ونسبوها اليها وهى بريئة منها وليس معهم أكثر من اشتراك الذوات فى أمر عام وذلك لا يوجب تساويها فى الحقيقة لان المختلفات قد تشترك فى أمر عام مع اختلافها فى صفاتها النفيسة وما سوى الله تعالى بين ذات المسك وذات البول أبدا ولا بين ذات الماء وذات النار أبدا والتفاوت البين بين الامكنة الشريفة واضدادها والذوات الفاضلة واضدادها أعظم من هذا التفاوت بكثير فبين ذات موسى عليه السلام وفرعون من التفاوت أعظم مما بين المسك والرجيع وكذلك التفاوت بين نفس الكعبة وبين بيت السلطان أعظم من هذا التفاوت أيضا بكثير فكيف يجعل البقعتان سواء فى الحقيقة والتفضيل باعتبار ما يقع هناك من العبادات والاذكار والدعوات ولم

بياض بالاصل

تقصد استيفاء الرد على هذا المذهب المردود والمرذول وانما قصدنا تصويره والى الله

الاكبر لجميع الموجودات والناس) من حيث ان الجميع خلقوا من نوره على ما يأتى فى حديث عبد الرزاق وأما ما ذكر أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر اليها فعرقت وذلقت فخلق الله من كل قطرة نبيا وأن القبضة كانت هى النبى صلى الله عليه وسلم وأنه كان كوكبا دريا وأن العالم كله خلق منه وانه كان موجودا قبل أن يخلق أبواه وأنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه جبريل وأمثال هذه الامور فقال الحافظ أبو العباس أحمد بن تيمية فى فتاويه ونقله الحافظ ابن كثير فى تاريخه وأقره كل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بحديثه والانبياء كلهم لم يخلقوا من النبى صلى الله عليه وسلم بل خلق كل واحد من أبويه انتهى (ولما انتهى) أى بلغ النهاية (الزمان) الحال التى كان عليها قبل خلق السموات والارض (بالاسم) متعلق بانتهى (الباطن) أى عالم الملكوت المشار اليه بقوله ابراز الحقيقة الخ (فى حقه صلى الله عليه وسلم) متعلق بباطن (الى وجود جسمه وارتباط الروح به) متعلق بانتهى أيضا (انتقل حكم الزمان الى الاسم الظاهر) يعنى عالم الملك وهو الموجود فى العناصر والباطن والظاهر وصفان للمصطفى ويجوز وهو المناسب هنا انهما وصفان لله أى الظاهر وجوده لكثرة دلائله أو الغالب على كل شئ من ظهر اذا غلب والباطن حقيقة ذاته فلا يعرف أصلا كما قال الصديق غاية معرفته القصور عن وصفه أو العالم بالخفيات والمعنى انه تعالى تصرف فيه بمقتضى علمه الخفى على جميع الكائنات الذى هو صفة الباطن الى تعلق الارادة بظهوره الى عالم العناصر فربط روحه الشريفة بجسمه فاظهره (فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته) أى بجملته (جسما وروحا) تمييز أو حال قال شيخنا ولو قال بكله كان أوضح فان الكل هو الذات المجتمعة من الاجزاء والكلية امكان الاشتراك وهى صفة الكلى وهو ما لا يمنع تصور مفهومه من وقوع الشركة فيه ويمكن توجيهه بأنه من نسبة الفرد الى كله من جهة تحقق الكل من حيث هو كل فى الواحد الشخص من حيث تشخصه فيساوى التعبير به التعبير بالكل (فهو صلى الله عليه وسلم وان تأخرت طينته) أى خلقته (فقد عرفت قيمته) أى اعتداله وحسن قوامه وطوله حسا ومعنى فى الجميع فى القاموس القيمة الشطاط وفيه أيضا الشطاط كسحاب وكتاب الطول وحسن القوام أو اعتداله (فهو خزانة) بكسر الخاء (السر) أى محل لاسراره تعالى وكمالاته حيث أفاض الله عليه ما لا يوجد فى غيره من الخلق (وموضع نفوذ الامر) أى الموضع الذى يظهر منه الكمالات التى تفاض على خاصة خلقه (فلا ينفذ أمر) شئ جمعه أمور (الا منه ولا ينقل خير) مفرد خيور وخيار أو هو بموحدة مفرد أخبار (الا عنه) اذ هو واسطة العقد وأنشد المؤلف لغيره (ألا) بفتح الهمزة والتخفيف حرف استفتاح يؤتى به للتنبيه والدلالة على تحقق ما بعده (بأبى) بكسر الباء بينهما همزة مفتوحة قال ابن الانبارى معناها بأبى هو فحذف هو لكثرة الاستعمال وأصله أفديه بأبى (من كان ملكا) بفتح الميم وسكون اللام تخفيفا لان البيت لا يتزن الا به فى المصباح ملك على الناس أمرهم اذا تولى السلطنة فهو ملك بكسر اللام وتخفف بالسكون اه وكذا كل ما كان على وزن فعل وتوهم انها لغة قرئ بها غلط لان ذاك فى مصدر ملك قال ما أخلفنا موعدك بملكنا قرئ بتثليث الميم وهى فى الاصل لغات فى مصدر ملكت الشئ (وسيدا * وآدم بين الماء والطين) أى بين العلم والجسم كذا فى أنوار المشكاة (واقف) ولما لم يستقم للناظم لفظ الوارد بتمامه عدل الى معناه الذى اشتهر فان معناهما واحد كما جزم به صاحب النسيم فلا يقال لو قال بين الروح والجسم طابقه (فذاك الرسول) فعول بمعنى مفعل وهو المرسل أى المبعوث الى غيره وقد يأتى بمعنى الرسالة كقوله

ألا أبلغ أبا عمرو رسولا * فدى لك من أخى ثقة ازارى

(الابطحى) المنسوب الى بطحاء مكة على ما يفيده الجوهرى أو الى أبطح مكة وهو مسيل واديها وهو ما

العادل العاقل الحاكم ولا يعبأ الله وعباده بغيره شيئا والله سبحانه لا يخصص شيئا ولا يفضله ويرجحه الا لمعنى يقضى تخصيصه وتفضيله نعم هو معطى ذلك المرجح وواهبه فهو الذى خلقه ثم اختاره بعد خلقه وربك يخلق ما يشاء ويختار ومن هذا تفضيله بعض الايام والشهور على بعض فخير الايام عند الله يوم النحر وهو يوم الحج الاكبر فى السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال أفضل الايام عند الله يوم النحر ثم يوم النفر وقيل يوم عرفة أفضل منه وهذا هو المعروف عند أصحاب الشافعى قالوا لانه يوم الحج الاكبر وصيامه يكفر سنتين وما من يوم يعتق الله فيه الرقاب أكثر منه فى يوم عرفة ولانه سبحانه يدنو فيه ثم يباهى ملائكته بأهل الموقف والصواب القول الاول لان الحديث الدال على ذلك لا يعارضه شئ يقاومه والصواب أن يوم الحج الاكبر يوم النحر لقوله تعالى وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر وثبت فى الصحيحين ان أبا بكر وعليا رضى الله عنهما أذنا بذلك يوم النحر لا يوم

بين مكة ومنى ومبتدؤه نحصب كما صرح به غيره وهو القياس (مجد ثناه فى العلا) الارتفاع (مجد) عز وشرف (تليد) قديم (وطارف) حادث (أى بزمان السعد) الباء للآلة (فى آخر المدى) بفتحتين يعنى الزمان الاخير من أزمنة الانبياء وهو زمن عيسى وبعثة المصطفى فى آخر زمان عيسى فالاضافة حقيقية فلا يشكل اضافة آخر للمدى مع أنه الغاية أو مطلق الزمان مجازا من تسمية الكل باسم الجزء (وكانت له فى كل عصر مواقف) أحوال لتقدم خلقه (أى لانكسار الدهر) وفى نسخة الدين من اضافة الصفة للموصوف أى الدين أو الدهر المنكسر بعبادة غير الله (يجبر صدعه) شقه أى يصلحه ويزيل فساده (فأثنت عليه ألسن) جمع لسان مذكر وهو الاكثر لغة وبه جاء القرآن قاله أبو حاتم (وعوارف) جمع عارفة ومعناه أن الامور المعروفة فى الشرع أثنت عليه لاظهاره لها وذبه عن معارضتها وهو استعارة مكنية شبه أمور الشرع فى دلالتها على صدقه وكماله بنفوس ناطقة وأثبت لها ما هو من لوازم النفوس الناطقة اذا فعل معهم الجميل وهو الثناء تخييلا (اذا رام أمرا لا يكون) يوجد (خلافه * وليس لذاك الامر فى الكون) أراد الوجود وله تعارف معلومة (صارف) مانع ثم شرع فى المقصود وحسن معه تصديره بحديث صحيح فقال (خرج مسلم) بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى أحد الاعلام مناقبه شهيرة أخذ عن البخارى وشاركه فى كثير من شيوخه وأحمد وخلف وروى عنه كثيرون روى له الترمذى حديثا واحدا مات سنة احدى وستين ومائتين فى رجب (فى صحيحه) الذى صنفه من ثلثمائة ألف حديث كما نقلوا عنه وهو يلى صحيح البخارى وتفضيله عليه مردود وفى ألفية السيوطى

ومن يفضل مسلما فانما * ترتيبه وصنعه قد أحكما

(من حديث) أحد العبادلة (عبد الله بن عمرو بن العاصى) بن وائل السهمى الصحابى ابن الصحابى أبى محمد عند الاكثر أو أبى عبد الرحمن الزاهد العابد أحد المكثرين الفقهاء اسلم قبل أبيه قيل بين مولدهما اثنتا عشرة سنة ويقال عشرون سنة روى ابن سبع والعسكرى عنه انه قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف مثل ومن ثم ذكر العسكرى فى كتاب الامثال ألف مثل عن المصطفى وحسبك أن أحفظ الصحابة أبا هريرة شهد له بانه أكثر حديثا منه لانه كان يكتب وأبا هريرة لا يكتب ولا يشكل بان المروى عنه دون المروى عن أبى هريرة بكثير لانه سكن مصر والوارد ون اليها قليل وأبو هريرة سكن المدينة والمسلمون يقصدونها من كل وجهة وفى أنه مات بالشام أو مكة أو الطائف أو مصر أقوال وهل عام خمس وستين أو ثمان وستين أو تسع وستين أو ثنتين وسبعين أو تسع وسبعين خلاف بسطه فى الاصابة وقال فى تقريبه مات فى ذى الحجة ليالى الحرة على الاصح بالطائف على الراجح والعاصى بالياء وحذفها والصحيح الاول عند أهل العربية وهو قول الجمهور كما قال النووى وغيره وفى تبصير المنتبه قال النحاس سمعت الاخفش يقول سمعت المبرد يقول هو بالياء لا يجوز حذفها وقد لهجت العامة بحذفها قال النحاس هذا مخالف لجميع النحاة يعنى انه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه اثبات الياء وحذفها والمبرد لم يخالف النحويين فى هذا وانما زعم انه سمى العاصى لانه اعيص بالسيف أى أقام السيف مقام العصا وليس هو من العصيان كذا حكاه الآمدى عنه قلت وهذا ان مشى فى العاصى بن وائل لكنه لا يطرد لان النبى صلى الله عليه وسلم غير اسم العاصى بن الاسود والد عبد الله فسماه مطيعا فهذا يدل على انه من العصيان وقال جماعة لم يسلم من عصاة قريش غيره فهذا يدل لذلك أيضا انتهى (عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق) قال البيضاوى فى شرح المصابيح أى أجرى القلم على اللوح المحفوظ وأثبت فيه مقادير الخلائق ما كان وما يكون وما هو كائن الى الابد على وفق ما تعلقت به ارادته أزلا وقال الابى المقادير بمعنى القدر وهو عبارة عن تعلق علم الله وارادته أزلا بالكائنات قبل وجودها وهو سبحانه

عرفة وفى سنن أبى داود باصح اسناد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الحج الاكبر يوم النحر وكذلك قال أبو هريرة وجماعة من الصحابة ويوم عرفة مقدمة ليوم النحر بين يديه فان فيه يكون الوقوف والتضرع والتوبة والابتهال والاستقالة ثم يوم النحر تكون الوفادة والزيارة ولهذا سمى طوافه طواف الزيارة لانهم قد تطهروا من ذنوبهم يوم عرفة ثم أذن لهم يوم النحر فى زيارته والدخول عليه الى بيته ولهذا كان فيه ذبح القرابين وحلق الرؤس ورمى الجمار ومعظم أفعال الحج وعمل يوم عرفة كالطهور والاغتسال بين يدى هذا اليوم وكذلك تفضيل عشر ذى الحجة على غيره من الايام فان أيامه أفضل الايام عند الله وقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله منه فى هذه الايام العشر قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجل خرج بنفسه

وتعالى بجميع صفاته أزلي لا يتقيد وجوده بزمان (قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة) قال القاضي عياض حد لكتب ذلك في اللوح المحفوظ أو فيما شاء الله لا للقادر فان ذلك أزلي لا أول له وهي كناية عن الكثرة كقوله وأرساناه الى مائة ألف أو يزيدون قال ويحتمل انها حقيقة ورده القرطبي وتبعه الابي بأنه لا يتقرر كونها حقيقة بوجه لان السنين يقدر بها الزمان والزمان تابع لخلق السموات لانه عبارة عن حركات الافلاك وسير الشمس فيها فقيل خلق الزمان لا سموات فالخمسون ألف سنة تقديرية أي بمدة في علم الله لو كانت السموات موجودة فيها العدت بذلك العدد انتهى وهو متعقب بقول البيضاوي وغيره في شرح المصابيح معناه ان طول الامد وتمادي الازمان بين التقدير والخلق من المدة خمسون ألف سنة مما تعدون فان قيل كيف يحمل على الزمان وهو مقدار حركة الفلك الذي لم يخلق حينئذ أجيب بانه ان سلم ان الزمان ذلك فان مقدار حركة الفلك الاعظم الذي هو العرش موجود حينئذ بدليل قوله وكان عرشه على الماء أي ماكان تحته قبل خلق السموات والارض الا الماء والماء على متن الريح كما روي عن ابن عباس وهو يدل على أن العرش والماء كانا مخلوقين قبل خلق السموات والارض انتهى وفي حديث أبي رزين الآتي ان الماء قبل خلق العرش وروى أحمد والترمذي وحسنه وابن ماجه عن أبي رزين العقيلي انه قال يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض قال في عماء ما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء وحكى في المفهم ان أول ما خلق الله ياقوتة حمراء ونظر اليها بالهيبة فصارت ماء فوضع عرشه على الماء وروى ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن سعد الطائي قال العرش ياقوتة حمراء وأخرج أبو الشيخ عن حامد قال خلق الله العرش من زمردة خضراء وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء وخلق له ألف لسان وخلق في الارض ألف أمة كل أمة تسبح بلسان من ألسن العرش وذكر الحافظ محمد بن أبي شيبة في كتاب صفة العرش عن بعض السلف ان العرش مخلوق من ياقوتة حمراء بعد ما بين قطريه مسيرة خمسين ألف سنة واتساعه خمسون ألف سنة وبعد ما بين العرش الى الارض السابعة مسيرة خمسين ألف سنة وذهبت طائفة من أهل الكلام الى أن العرش فلك مستدير من جميع جوانبه محيط بالعالم من كل جهة وربما سموه الفلك التاسع والفلك الاطلس قال ابن كثير وليس بجيد لانه قد ثبت في الشرع ان له قوائم تحمله الملائكة والفلك لا يكون له قوائم ولا يحمل وأيضا فالعرش في اللغة سرير الملك وليس هو فلكا والقرآن انما نزل بلغة العرب فهو سرير وقوائم تحمله الملائكة كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات انتهى والصحيح كما قال النعماني انه غير الكرسي وما روي عن الحسن انه عينه فضعيف بل الصحيح عنه وعن غيره من الصحابة والتابعين انه غيره اه كيف وقد روى ابن جرير وابن مردويه وأبو الشيخ عن أبي ذر قال قال صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي الا كحلقة ملقاة في أرض فلاة وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة (ومن جملة ما كتب في الذكر) وبينه بقوله وهو أم الكتاب أصل الكتب وهو اللوح المحفوظ اذ ما من كائن الا وهو مكتوب فيه وفي انه حقيقي أو تمثيل والمراد علم الله قولان الاكثر انه حقيقي وهو الاسعد بصريح الاحاديث والآثار فقد أخرج الطبراني بطريقين رجال احداهما ثقات والحاكم والحكيم الترمذي عن ابن عباس عنه صلى الله عليه وسلم ان الله خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وفي الطبراني أيضا ان عرضه ما بين السماء والارض وفي كنز الاسرار ان طوله كذلك وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ بسند جيد عن ابن عباس قال خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام وأخرج أبو الشيخ عن أنس رفعه ان لله لوحا أحد وجهيه من ياقوتة والوجه الثاني من زمردة خضراء وأخرج أيضا عن ابن عباس

ثم ماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ وهي الايام العشر التي أقسم الله بها في كتابه بقوله والفجر وليال عشر ولهذا يستحب فيها الاكثار من التكبير والتهليل والتحميد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاكثروا فيهن من التكبير والتهليل والتحميد ونسبتها الى الايام كنسبة مواضع المناسك الى سائر البقاع ومن ذلك تفضيل شهر رمضان على سائر الشهور وتفضيل عشره الاخير على سائر الليالي وتفضيل ليلة القدر على ألف شهر فان قلت أي العشرين أفضل عشر ذي الحجة أو العشر الاخير من رمضان وأي الليلتين أفضل ليلة القدر أو ليلة الاسراء قلت أما السؤال الاول فالصواب فيه ان يقال ليالي العشر الاخير من رمضان أفضل من ليالي عشر ذي الحجة وأيام عشر ذي الحجة أفضل من أيام عشر رمضان وبهذا التفصيل يزول الاشتباه ويدل عليه ان ليالي العشر من رمضان انما فضلت باعتبار ليلة القدر وهي من الليالي وعشر ذي الحجة انما فضلت باعتبار أيامه اذ فيه يوم النحر

رفعه خلق الله لوحا من درة بيضاء دفتاه من زبرجدة خضراء كتابه نور يلحظ اليه في كل يوم ثلثمائة وستين لحظة يحيي ويميت ويخلق ويرزق ويفعل ما يشاء وأخرج ابن أبي الدنيا في مكارم الاخلاق وأبو الشيخ في العظمة والبيهقي في الشعب عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله لوحا من زبرجدة خضراء تحت العرش يكتب فيه اني أنا الله لا اله الا أنا أرحم وأترحم جعلت بضعة عشرة وثلثمائة خلق من جاء بخلق منها مع شهادة أن لا اله الا الله دخل الجنة وقد جمع بين هذا الاختلاف في لونه بجواز أنه يتلون والبياض لونه الاصلي (ان محمدا خاتم النبيين) في الوجود فان قيل الحديث يفيد سبق العرش على التقدير وعلى كتابة محمد خاتم النبيين فيشكل بان نوره صلى الله عليه وسلم خلق قبل العرش وغيره أجاب شيخنا بجواز ان نوره خلق قبل العرش وكتابته لذلك واظهاره كان وقت التقدير وهو بعد خلق العرش وقبل خلق السموات اه وفي ذا الحديث اشارة الى ان الماء والعرش مبتدأ العالم لكونهما خلقا قبل كل شئ وعند أحمد وابن حبان والحاكم وصححاه عن أبي هريرة قلت يا رسول الله اني اذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني أنبئني عن أصل كل شئ قال كل شئ خلق من الماء وهذا يدل على ان الماء أصل لجميع المخلوقات ومادتها وانها كلها خلقت منه وقال الله تعالى والله خلق كل دابة من ماء قال في اللطائف والقول بان المراد النطفة التي يخلق منها الحيوانات بعيد لان النطفة لا تسمى ماء مطلقا بل مقيدا نحو من ماء دافق وقوله ألم نخلقكم من ماء مهين وأيضا من الحيوانات ما يتولد من غير نطفة كدود الخل والفاكهة فليس كل حيوان مخلوقا من نطفة فدل القرآن على ان كل ما يدب وكل ما فيه حياة من الماء ولا ينافي هذا قوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقوله صلى الله عليه وسلم وخلقت الملائكة من نور لان أصل النور والنار الماء ولا يستنكر خلق النار من الماء فقد جمع الله بقدرته بين الماء والنار في الشجر الاخضر وذكر الطبائعيون أن الماء بانحداره يصير بخارا والبخار ينقلب هواء والهواء ينقلب نارا وزعم مقاتل ان الماء خلق من النور وهو مردود بحديث أبي هريرة المتقدم وبغيره اه ملخصا وذكر نحوه المؤلف في الارشاد (وعن العرباض) بكسر العين وسكون الراء بعدها موحدة فالف فمعجمة (ابن سارية) السلمي قديم الاسلام جدا من البكائين ومن أهل الصفة ونزل حمص روى عنه خالد بن معدان وأبو امامة الباهلي وخلق مات سنة خمس وسبعين وقيل قبلها زمن فتنة ابن الزبير رضي الله عنهم (عن النبي صلى الله عليه وسلم) انه (قال اني عند الله لخاتم النبيين وان آدم) قال الطيبي الواو وما بعدها في محل نصب على الحال من المكتوب والمراد الاخبار عن كون ذلك مكتوبا في أم الكتاب في ذلك الحال قبل نفخ الروح في آدم لا انه حينئذ كتب في أم الكتاب ختمه للنبيين انتهى وبه اندفع ما يرد أن هذا ينافي رواية مسلم بخمسين ألف سنة المفيد سبق نبوته على جميع الموجودات (لمنجدل) بضم الميم وسكون النون مطاوع جدله مخففا نائبا عن جدله مشددا أي ألقاه على الجدالة وهي الارض الصلبة لا مطاوع جدل مخففا لفساد المعنى اذ معناه أخذه من الجدالة وليس بمراد هنا أشار له الطيبي قائلا (في طينته) خبر ثان لان لا متعلق بمنجدل والا لزم ان آدم مظروف في طينته مع انه ظرف له وهو حاصل فيه (رواه) الامام (أحمد) بن محمد بن حنبل الشيباني أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي أحد كبار الائمة الحفاظ الطوافين الصابر على البلوى الذي من الله به على الامة ولولاه لكفر الناس في المحنة ذو المناقب الشهيرة وحسبك قول الشافعي شيخه خرجت من بغداد فما خلفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم منه وقال أبو زرعة الرازي كان أحمد يحفظ ألف ألف حديث قيل وما يدريك قال ذاكرته ولد سنة أربع وستين ومائة ومات سنة احدى وأربعين ومائتين قال ابن خلكان وحزر من حضر جنازته من الرجال فكانوا ثمانمائة ألف ومن النساء

ونحو ذلك من الشرعة ويوم التروية وأما السؤال الثاني فقد سئل شيخ الاسلام ابن تيمية عن رجل قال ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر وقال آخر بل ليلة القدر أفضل فأيهما المصيب فأجاب الحمد لله أما القائل بان ليلة الاسراء أفضل من ليلة القدر ان أراد به أن تكون الليلة التي أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم ونظائرها من كل عام أفضل لامة محمد صلى الله عليه وسلم من ليلة القدر بحيث يكون قيامها والدعاء فيها أفضل منه في ليلة القدر فهذا باطل لم يقله أحد من المسلمين وهو معلوم الفساد بالاطراد من دين الاسلام هذا اذا كانت ليلة الاسراء تعرف عينها فكيف ولم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا عشرها ولا على عينها بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به ولا شرع للمسلمين تخصيص الليلة التي يظن انها ليلة الاسراء بقيام ولا غيره بخلاف ليلة القدر فانه قد ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفي الصحيحين

عنه كفجر والليلة القدر في العشر الاواخر من رمضان وقد أخبر سبحانه انها خير من ألف شهر فانه أنزل فيها القرآن وان أراد الليلة المعينة التي أسري فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم وحصل له فيها ما لم يحصل له في غيرها من غير ان يشرع تخصيصها بقيام ولا عبادة فهذا صحيح وليس اذا أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم فضيلة في مكان أو زمان يجب أن يكون ذلك الزمان والمكان أفضل من جميع الامكنة والازمنة هذا اذا قدر انه قام دليل على ان انعام الله تعالى على نبيه ليلة الاسراء كان أعظم من انعامه عليه بانزال القرآن ليلة القدر وغير ذلك من النعم التي أنعم عليه والكلام في مثل هذا يحتاج الى علم بحقائق الامور ومقادير النعم التي لا تعرف الا بوحي ولا يجوز لاحد أن يتكلم فيها بلا علم ولا يعرف عن أحد من المسلمين انه جعل لليلة الاسراء فضيلة على غيرها لاسيما على ليلة القدر ولا كان الصحابة والتابعون لهم باحسان يقصدون تخصيص ليلة الاسراء بأمر من الامور ولا يذكرونها ولهذا

ستون ألفا وأسلم يوم موته عشرون ألفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وفي تهذيب النووي أمر المتوكل ان يقاس الموضع الذي وقف الناس للصلاة فيه على أحمد فبلغ مقام ألفي ألف وخمسمائة ووقع المأتم في أربعة أصناف في المسلمين واليهود والنصارى والمجوس (والبيهقي) نسبة الى بيهق قرية بناحية نيسابور أحمد بن الحسين الامام الحافظ المشهور بالفصاحة والبراعة سمع الحاكم وغيره وتصانيفه نحو ألف قال الذهبي ودائرته في الحديث ليست كبيرة بل بورك له في مروياته وحسن تصرفه فيها لحذقه وخبرته بالابواب والرجال وأفتى بجميع نصوص الشافعي وخرج أحاديثها حتى قال امام الحرمين ما من شافعي الا والشافعي عليه منة الا البيهقي فله على الشافعي منة ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة (والحاكم) الامام الحافظ الكبير محمد بن عبد الله الضبي أبو عبد الله النيسابوري الثقة الثبت المجمع على صدقه ومعرفته بالحديث حق معرفته أكثر الرحلة والسماع حتى سمع بنيسابور من نحو ألف شيخ وفي غيرها أكثر ولد سنة احدى وعشرين وثلثمائة ومات بنيسابور سنة خمس وأربعمائة وتصانيفه نحو خمسمائة قاله الذهبي أو ألف قاله عبد الغافر الفارسي وقال غيرهما ألف وخمسمائة وعنه شرب ماء زمزم وسألت الله أن يرزقني حسن التصنيف (وقال) الحاكم (صحيح الاسناد) ورواه ابن حبان في صحيحه أيضا (وقوله صلى الله عليه وسلم لمنجدل يعني طريحا ملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه) لانه مأخوذ من الارض كما قد يتبادر ومن بقاعه منجدل على أصله كما مر (وعن ميسرة) بفتح الميم وسكون التحتية (الضبي) كذا في النسخ والذي في العيون والاصابة والسبل كالنور والمقاصد عن مسند أحمد ميسرة الفجر بفتح الفاء وسكون الجيم جزم به السبل وقاله في النور كذا ضبط في نسخة صحيحة من الاستيعاب بالقلم لكن بهامشه بخط ابن الامين الفجر بفتح الجيم قيده البخاري في التاريخ وهو العطاء وفي الصحاح الفجر بالفتح الكرم قال الذهبي صحابي من اعراب البصرة وزعم ابن الفرضي ان ميسرة لقبه واسمه عبد الله بن أبي الجدعاء والذي أفاده صنيع الحسيني انه غيره وهو الظاهر انتهى فيحتمل انه ضبي ويلقب بالفجر فعدل المصنف عما في المسند لبيان نسبته وقول الشارح ينافيه قول الاصابة انه تميمي وما ذكر في اللب ان ضبة في تميم فيه انه لم يذكر أن ميسرة تميمي انما قاله في ابن أبي الجدعاء وذكر في ميسرة ما يفيد انهما اثنان لانه ترجم به ثم قال وقيل انه ابن أبي الجدعاء الماضي فكأنه مقابلا وانه ضبي خلفا ونحو ذلك (قال قلت يا رسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد) فان ورد أن حقيقة آدم هذا الهيكل المخلوق من طين المنفوخ فيه الروح فمجموعهما هو آدم فما معنى البينية أجيب بانه مجاز عما قبل تمام خلقه قريبا منه كما يقال فلان بين الصحة والمرض أي في حالة تقرب منهما وقال في النسيم الظاهر انه ظرف زمان يعني ان نبوته محكوم بها ظاهرة بين خلق روح آدم وخلق جسده حيث نبأه في عالم الارواح وأطلعها على ذلك وأمرها بمعرفة نبوته والاقرار بها وهذا المعنى يفيده قوله بين الماء والطين أي بعد خلق عناصره غير مركبة ولا منفوخ فيها الروح فهو بمعنى الحديث الذي صححوه فتكون رواية بالمعنى اذا لم يثبت بهذا اللفظ وهذا مما لم يحم أحد حول حماه انتهى (هذا لفظ رواية الامام أحمد) في المسند من طريق بديل بن ميسرة عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر وأخرجه من وجه آخر بلفظ متى جعلت (ورواه البخاري) امام الفن محمد بن اسمعيل الجعفي مناقبه كالشمس (في تاريخه) الكبير صنفه وعمره ثمان عشرة سنة عند قبره صلى الله عليه وسلم قال ابن عقدة لو كتب الرجل ثلاثين ألفا ما استغنى عن تاريخ البخاري وقال السبكي تاريخه لم يسبق اليه ومن ألف بعده في التاريخ أو الاسماء أو الكنى فعيال عليه (وأبو نعيم) بالتصغير أحمد بن عبد الله الاصفهاني الحافظ المكثر أخذ عن الطبراني وغيره وعنه الخطيب وغيره مات باصفهان سنة ثلاثين

وأربعمائة

وثلاثمائة عن أربع وتسعين سنة ذكره الذهبي (في الحلية) أي في كتاب حلية الأولياء وطبقات الأصفياء وأبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني صنفه في حياته بأربعمائة دينار ورواه البغوي وابن السكن وغيرهم كلهم من هذا الوجه (وصححه الحاكم) في الاصابة سنده قوي لكن اختلف فيه على بديل بن ميسرة فرواه منصور بن سعد عنه هكذا وخالفه حماد بن زيد فرواه عن بديل عن عبد الله بن شقيق قال قيل يا رسول الله ولم يذكر ميسرة وكذا رواه حماد عن والده وعن خالد الحذاء كلاهما عن عبد الله بن شقيق أخرجه البغوي وكذا رواه حماد بن سلمة عن خالد عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال قلت يا رسول الله وأخرجه من هذا الوجه أحمد وسنده صحيح انتهى قلت هذا الاختلاف لا يقدح في الحديث لأن راويه حماد بن زيد وموافقيه المرسلة غير قادحة في رواية من وصله لصحة الاسناد وقد تابع منصورا على وصله عن بديل ابراهيم بن طهمان أخرجه ابن نجيد وهي متابعة تامة وتابعه أيضا في شيخه خالد الحذاء عند أحمد ورواية ابن سلمة غاية ما فيها ابهام الصحابي ولا يضر فيه لعدالة جميعهم واستظهر البرهان في النور أنه ميسرة قال ولم يذكره الحسيني في مبهمات المسند (وأما ما اشتهر على الالسنة) ألسنة من لا خبرة له بالحديث من أنه مروي (بلفظ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فقال شيخنا العلامة الحافظ أبو الخير) محمد بن عبد الرحمن (السخاوي) نسبة الى سخا قرية من أعمال مصر على غير قياس (في كتابه المقاصد الحسنة) في بيان كثير من الاحاديث المشتهرة على الالسنة (لم نقف عليه بهذا اللفظ انتهى) ما نقله من كلام شيخه وبقيته فضلا عن زيادة وكنت نبيا ولا آدم ولا ماء ولا طين وقد قال شيخنا يعني الحافظ ابن حجر في بعض الاجوبة عن الزيادة انها ضعيفة والذي قبلها قوي اه ولعله أراد بالمعنى والا فقد صرح السيوطي في الدرر بأنه لا أصل لهما والثاني من زيادة العوام وسبقه لذلك الحافظ ابن تيمية فأفتى ببطلان اللفظين وأنهما كذب وأقره في النور والسخاوي نفسه في فتاويه أجاب باعتماد كلام ابن تيمية في وضع اللفظين قائلا وناهيك به اطلاعا وحفظا أقر له بذلك المخالف والموافق قال وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا وقد قال فيه الحافظ الذهبي ما رأيت أشد استحضارا للمتون وعزوها منه وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة انتهى (وقال العلامة الحافظ) زين الدين عبد الرحمن بن أحمد (بن رجب) الحنبلي الواعظ المحدث الفقيه البغدادي ثم الدمشقي أكثر الاشتغال حتى مهر وشرح الترمذي والعلل له وقطعة من البخاري وله طبقات الحنابلة مات في رجب سنة خمس وتسعين وسبعمائة (في اللطائف وبعضهم يرويه) أي حديث ميسرة (متى كتبت نبيا) أي متى كتبت نبوتك أي ثبتت وحصلت (من الكتابة) لا من الكون (انتهى قلت وكذا رويناه في جزء من حديث أبي عمرو) بفتح العين وزيادة واو كما في النور (اسمعيل بن نجيد) بضم النون وفتح الجيم فتحتية ساكنة فدال مهملة ابن أحمد بن يوسف النيسابوري السلمي أحد الائمة الفصيح البارع الصوفي الشافعي حدث عن محمد بن أيوب الرازي وأبي مسلم الكجي والامام أحمد وغيرهم وصحب من أئمة الحقائق الجنيد والحيري حدث عنه خلق منهم سبطه أبو عبد الرحمن السلمي والحاكم والقشيري ومات سنة ست وستين وثلاثمائة عن ثلاث وتسعين سنة (ولفظه) يعني باسناده الى ميسرة وهو حدثنا محمد بن أيوب الرازي انبأنا أبو محمد بن سنان العوقي حدثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الله بن شقيق عن ميسرة الفجر قال قلت يا رسول الله (متى كتبت نبيا قال كتبت نبيا وآدم بين الروح والجسد) كذا ساقه على أنه من الكتابة والمذكور في العيون عنه متى كنت قال كنت من الكون كالاول لا الكتابة وهو الذي وقع لنا في جزء ابن نجيد وهو ستة وخمسون حديثا بخط امرداء التركي الناصري الحنفي تلميذ السيوطي

لا يعرف أي ليلة كانت وان كان الاسراء من أعظم فضائله صلى الله عليه وسلم ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية بل غار حراء الذي ابتدئ فيه بنزول الوحي وكان يتحراه قبل النبوة لم يقصده هو ولا أحد من أصحابه بعد النبوة مدة مقامه بمكة ولا خص اليوم الذي أنزل فيه الوحي بعبادة ولا غيرها ولا خص المكان الذي ابتدى بالوحي ولا الزمان بشئ ومن خص الامكنة والازمنة من عنده بعبادات لاجل هذا وأمثاله كان من جنس أهل الكتاب الذين جعلوا زمان أحوال المسيح مواسم وعبادات كيوم الميلاد ويوم التعميد وغير ذلك من أحواله وقد رأى عمر بن الخطاب جماعة يتبادرون مكانا يصلون فيه فقال ما هذا قالوا مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتريدون أن تتخذوا آثار أنبيائكم مساجد انما هلك من كان قبلكم بهذا فمن أدركته فيه الصلاة فليصل والا فليمض وقد قال بعض الناس ان ليلة الاسراء في حق النبي صلى الله عليه وسلم

وليلة القدر بالنسبة الى الامة أفضل من ليلة الاسراء فهذه الليلة فى حق الامة أفضل لهم وليلة الاسراء فى حق رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل له فان قيل فايهما أفضل يوم الجمعة أو يوم عرفة فقد روى ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطلع الشمس على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه أيضا حديث تميم بن أوس خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة قيل وقد ذهب بعض العلماء الى تفضيل يوم الجمعة على يوم عرفة محتجا بهذا الحديث وحكى القاضى أبو يعلى رواية عن أحمد ان ليلة الجمعة أفضل من ليلة القدر والصواب ان يوم الجمعة أفضل أيام الاسبوع و يوم عرفة و يوم النحر أفضل أيام العام وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة ولهذا كان لوقفة الجمعة يوم عرفة مزية على سائر الايام من وجوه متعددة أحدها اجتماع اليومين اللذين هما أفضل الايام الثانى انه اليوم الذى فيه ساعة محققة الاجابة وأكثر الاقوال انها آخر ساعة بعد العصر وأهل

وعليه خط السيوطى ولكن مثل هذا لا يرد على المصنف لان روايته هو وقعت كما قال ألم تر قوله ر وينا ه (فتحمل هذه الرواية مع رواية العرباض على وجوب نبوته وثبوتها) عطف تفسير وعلل الحمل بقوله (فان الكتابة تستعمل فيما هو واجب) اما شرعا كما قال تعالى كتب عليكم الصيام واما تقديرا كقوله (كتب الله لاغلبن) أى قدر (وعن أبى هريرة) تصغير هرة قيل كناه بها المصطفى لانه رآه وفى كمه هرة وقيل المكنى له غيره قال ابن عبد البر لم يختلف فى اسم فى الجاهلية والاسلام مثل ما اختلف فى اسمه على عشرين قولا وسرد ابن الجوزى فى التلقيح منها ثمانية عشر وقال النووى تبلغ أكثر من ثلاثين قال الحافظ فى الفتح وقد جمعتها فى تهذيب التهذيب فلم تبلغ ذلك فيحمل كلامه على الخلاف فى اسمه واسم أبيه معا اه واختلف فى أرجحها فذهب جمع الى أنه عمرو بن عامر وذهب كثيرون وصححه النووى الى انه عبد الرحمن بن صخر الدوسى أسلم عام خيبر وشهدها مع المصطفى ثم لزمه وواظبه حتى كان أحفظ أصحابه وأكثر المكثرين ذكر بقى ابن مخلد أنه روى عنه صلى الله عليه وسلم خمسة آلاف حديث وثلثمائة وأربعة وسبعين حديثا وتوفى بالمدينة سنة تسع أو ثمان أو سبع وخمسين وأمه اسمها ميمونة قاله الطبرانى وقال أبو موسى المدينى أميمة وقال ابن قتيبة فى المعارف أميمة بنت صفيح بن الحارث من دوس أسلمت فدعا لها المصطفى وحديث اسلامها مشهور (انهم قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة) أى حصلت وثبتت (قال وآدم بين الروح والجسد) أى وجبت فى هذه الحالة فعامل الحال وصاحبها محذوف قاله الطيبى (رواه الترمذى) بكسر التاء والميم وضمهما وبفتح التاء وكسر الميم أبو عيسى محمد بن عيسى أحد أوعية العلم والحفاظ الكبار كان يضرب به المثل فى الحفظ أخذ عن البخارى وشاركه فى شيوخه بل قال ابن عساكر كتب عنه البخارى وحسبه بذلك فخرا مات سنة تسع وثمانين ومائتين (وقال حديث حسن ورويناه فى جزء من أمالى أبى سهل القطان عن سهل بن صالح الهمدانى) بفتح الهاء وسكون الميم وفتح الدال المهملة نسبة الى همدان شعب من قحطان قال فى التبصير منها الصحابة والتابعون وتابعوهم (قال سألت أبا جعفر محمد بن على) بن الحسين بن على بن أبى طالب الملقب بالباقر قال النووى لانه بقر العلم أى شقه فعرف أصله وخفيه ولد سنة ست وخمسين وروى عنه خلق كالزهرى وعمرو بن دينار وكان سيد بنى هاشم فى زمانه علما وفضلا وسوددا ونبلا قال ابن سعد ثقة كثير الحديث مات سنة ثمان عشرة ومائة (كيف صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق) فى عالم الذر (من بنى آدم من ظهورهم) بدل اشتمال مما قبله باعادة الجار (ذرياتهم) بان أخرج بعضهم من صلب بعض من صلب آدم نسلا بعد نسل كنحو ما يتوالدون كالذر بنعمان بفتح النون يوم عرفة ونصب لهم دلائل على ربوبيته وركب فيهم عقلا والاخبار والآثار شاهدة بهذا فتعسف من جعل الآية للتمثيل (وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) قالوا بلى (كان محمد صلى الله عليه وسلم أول من قال بلى) أنت ربنا (ولذلك صار محمد صلى الله عليه وسلم يتقدم الانبياء وهو آخر من بعث) وأورد على قوله وآدم بين الروح والجسد قوله (فان قلت ان النبوة وصف) أى معنى يقوم بالمحل وهو كونه موحى اليه بأمر يعمل به فالمراد بالوصف الاثر وهو فى الاصل مصدر (ولا بد أن يكون الموصوف به موجودا وانما يكون) الوصف بالنبوة (بعد بلوغ) الموصوف بها (أربعين سنة) اذ هو سن الكمال ولها تبعث الرسل ومفاده ذا الحصر الشامل لجميع الانبياء حتى يحيى وعيسى هو الصحيح ففى زاد المعاد ما يذكر أن عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة لا يعرف به أثر متصل يجب المصير اليه قال الشامى وهو كما قال فان ذلك انما يروى عن النصارى والمصرح به فى الاحاديث النبوية انه انما رفع وهو ابن مائة وعشرين سنة أخرج الطبرانى فى الكبير

بسند رجاله ثقات عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه لفاطمة ان جبريل كان يعارضني القرآن في كل عام مرة وانه عارضني بالقرآن العام مرتين وأخبرني انه لم يكن نبي الا عاش نصف الذي قبله وأخبرني ان عيسى بن مريم عاش عشرين ومائة سنة ولا أراني الا ذاهبا على رأس الستين انتهى ملخصا وروى أبو يعلى عن فاطمة مرفوعا ان عيسى بن مريم مكث في بني اسرائيل أربعين سنة فهذا مما يؤيد ذلك ولا يرد عليه قوله تعالى في حق عيسى وجعلني نبيا الا ان معناه جعلني مباركا نفاعا للخير والتعبير بلفظ الماضي باعتبار ما سبق في قضائه أو لجعل المحقق وقوعه كالواقع ولا قوله في يحيى وآتيناه الحكم صبيا الا ان معناه الحكمة وفهم التوراة ومن فسره بالنبوة فهو مجاز لانه لظهور آثارها كانه أوتيها ولا ما في تهذيب النووي وعرائس الثعلبي ان صالحا بعثه الله الى قومه وهو شاب وأقام فيهم عشرين سنة وتوفي بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة لجواز انه على التقريب باسقاط عامي الولادة والموت فلا ينافي انه أرسل على رأس الاربعين وكونه في ذلك السن لا ينافي اطلاق الشاب عليه كما أطلق أنس لفظ الشاب على المصطفى في حديث الهجرة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وقد روى ابن مردويه والضياء في المختارة عن ابن عباس رفعه ما بعث الله نبيا الا شابا *(مهمة)* وقع للحافظ الجلال السيوطي في تكملة تفسير المحلي وشرح النقاية وغيرهما من كتبه الجزم بان عيسى رفع وهو ابن ثلاث وثلاثين ويمكث بعد نزوله سبع سنين وما زلت أتعجب منه مع مزيد حفظه واتقانه وجمعه للمعقول والمنقول حتى رأيته في مرقاة الصعود رجع عن ذلك فقال في شرح حديث فيمكث في الارض أربعين سنة قال ابن كثير يشكل عليه ما في مسلم انه يمكث سبع سنين الا ان يحمل على اقامته بعد نزوله ويكون ذلك مضافا الى مكثه قبل رفعه الى السماء وكان عمره حينئذ ثلاثا وثلاثين سنة على المشهور قلت وقد أقمت سنين أجمع بذلك ثم رأيت البيهقي قال في كتاب البعث والنشور هكذا في هذا الحديث ان عيسى يمكث في الارض أربعين سنة وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو في قصة الدجال فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ثم يلبث الناس بعده سبع سنين ليس بين اثنين عداوة قال البيهقي ويحتمل ان قوله ثم يلبث الناس بعده أي بعد موته فلا يكون مخالفا للاول اه فترجح عندي هذا التأويل لوجوه أحدها ان حديث مسلم ليس نصا في الاخبار عن مدة لبث عيسى وذلك نص فيها والثاني ان ثم تؤيد هذا التأويل لانها للتراخي والثالث قوله يلبث الناس بعده فيتجه ان الضمير فيه لعيسى لانه أقرب مذكور والرابع انه لم يرد في ذلك سوى هذا الحديث المحتمل ولا ثاني له وورد مكث عيسى أربعين سنة في عدة أحاديث من طرق مختلفة منها هذا الحديث الذي أخرجه أبو داود وهو صحيح ومنها ما أخرجه الطبراني عن أبي هريرة ان رسول صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الناس أربعين سنة ومنها ما أخرجه أحمد في الزهد عن أبي هريرة قال يلبث عيسى بن مريم في الارض أربعين سنة لو يقول للبطحاء سيلي عسلا لسالت ومنها ما أخرجه أحمد في مسنده عن عائشة مرفوعا في حديث الدجال فينزل عيسى بن مريم فيقتله ثم يمكث عيسى في الارض أربعين سنة اماما عادلا وحكما مقسطا وورد أيضا من حديث ابن مسعود عند الطبراني فهذه الاحاديث الصريحة أولى من ذلك الحديث الواحد المحتمل اه (أيضا) أي كما انه لا بد للنبوة من محل تقوم به والمتعاطفات هنا اتفقا في الاشتراط فصح لفظ أيضا (فكيف يوصف به) أي بوصف النبوة (قبل وجوده) صلى الله عليه وسلم في الخارج (وارساله) في ذكره مع ان فرض السؤال في النبوة اشعار بانهما متقاربان وهو الصحيح وقيل نبوته سابقة على ارساله (أجاب) كذا في نسخ بلا فاء وفي أخرى بها والاولى أولى اذ الفعل هنا ماض متصرف وليس مما تدخل عليه الفاء فانها تدخل في سبعة مواضع جمعها القائل

الموقف كلهم اذ ذاك واقفون للدعاء والتضرع الثالث موافقته ليوم وقفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الرابع ان فيه اجتماع الخلائق من أقطار الارض للخطبة وصلاة الجمعة ويوافق ذلك اجتماع أهل عرفة يوم عرفة بعرفة فيحصل من اجتماع المسلمين في مساجدهم وموقفهم من الدعاء والتضرع ما لا يحصل في يوم سواه الخامس ان يوم الجمعة يوم عيد ويوم عرفة يوم عيد لاهل عرفة ولذلك كره لمن بعرفة صومه وفي النسائي عن أبي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن صوم يوم عرفة بعرفة وفي اسناده نظر فان مهدي ابن حرب الهجري ليس بمعروف ومداره عليه ولكن ثبت في الصحيح من حديث أم الفضل ان ناسا تماروا عندها يوم عرفة في صيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال بعضهم هو صائم وقال بعضهم ليس بصائم فارسلت اليه بقدح لبن وهو واقف على بعيره بعرفة فشربه وقد اختلف في حكمة استحباب فطر يوم عرفة بعرفة فقالت طائفة ليتقوى على الدعاء

اسمية طلبية وبجامد * وبما وقد وبلن وبالتنفيس

وقد اشتهر أن ذا البيت للفقيه العلامة الاجهوري واه عزاه شيخنا الكنه قال للناني قراءة المعنى انه رآه لاقدم منه وهو كما قال فقد ذكره الشيخ عمر بن نجيم الحنفي في شرح الكنز في باب تعليق الطلاق فقال جواب الشرط يجب اقترانه بالفاء حيث لم يصلح جعله شرطا وذلك في مواضع جمعت في قوله طلبية واسمية الخ فلعله من توافق الخاطر (العلامة) أبو حامد حجة الاسلام محمد بن محمد (الغزالى) بفتح الغين المعجمة وشدة الزاى على المشهور كما قال ابن الاثير وفي التبيان عن الغزالى انه أنكر التشديد وقال انما أنا بالتخفيف نسبة الى غزالة من قرى طوس وفي المصباح عن بعض ذريته أخطأ الناس في تشديد جدنا لكن قال ابن الاثير انه خلاف المشهور قال وأظن انه نسبة الى الغزالى على عادة أهل جرجان وخوارزم كالعصارى الى العصار قال وحكى لى بعض من ينتسب اليه من أهل طوس انه منسوب الى غزالة بنت كعب الاحبار اه وفي طبقات السبكى كان والده يغزل الصوف ويبيعه بدكان بطوس (رحمه الله) ذكره الاسنوى في المهمات ترجمة حسنة منها هو قطب الوجود والبركة الشاملة لكل موجود وروح خلاصة أهل الايمان والطريق الموصل الى رضا الرحمن يتقرب به الى الله تعالى كل صديق ولا يبغضه الا ملحد أو زنديق قد انفرد في ذلك العصر عن الزمان كما انفرد في هذا الباب فلا يترجم معه فيه لانسان اه وله كتب نافعة مفيدة خصوصا الاحياء فلا يستغنى عنه طالب الآخرة مات بطوس سنة خمس وخمسمائة (في كتابه النفخ والتسوية عن هذا) المتقدم وهو قوله كنت نبيا وآدم الخ (وعن قوله صلى الله عليه وسلم (كنت أول الانبياء خلقا وآخرهم بعثا) رواه بهذا اللفظ ابن أبي حاتم في تفسيره وأبو اسحق الجوذقاني في تاريخه عن أبي هريرة رفعه بلفظ كنت وما يقع في نسخ بلفظ أنا فتحريف أو رواية بالمعنى (بأن المراد بالخلق هنا التقدير دون الايجاد) اذ هو خلاف الواقع (فان قيل ان والدته أمه لم يكن موجودا مخلوقا ولكن الغايات والكمالات سابقة في التقدير لاحقة في الوجود قال وهو معنى قولهم) أى المتقدمين (أول الفكرة آخر العمل آخر العمل أول الفكرة) كذا في النسخ الفكرة بالهاء في الموضعين والمذكور في كتاب الغزالى المزبور بدون هاء فيهما ونظمه القائل

نعم ما قال زمرة الدول * أول الفكر آخر العمل

(وبيانه) أى ايضاح قولهم المذكور (ان المهندس) قال الجوهرى المهندز الذى يقدر مجارى القنا والابنية والعرب صيروا زايه سينا فقالوا مهندس في كلام العرب زاى قبلها دال وفي القاموس هندوس الامر بالضم العالم به جمعه هنادسة والمهندس مقدر مجارى القنا حين تحفر والاسم الهندسة مشتق من الهنداز معرب انداز فابدلت الزاى لانهم ليس لهم دال بعده زاى اه (المقدر للدار أول ما يمثل في نفسه صورة الدار فيحصل في تقديره دارا كاملة وآخره) وزان قصبة كما في المصباح وغيره وحكى في القاموس ضم أوله أى آخر (ما يوجد في أعماله هي الدار الكاملة فالدار الكاملة هي أول الاشياء في حقه تقديرا وآخرها وجودا لان ما قبلها من ضرب اللبنات) بكسر الموحدة جمع لبنة بالكسر وتسكن للتخفيف ما يعمل من الطين ويبنى به (وبناء الحيطان) جمع حائط الجدار وقال القاموس والقياس حوطان (وتركيب الجذوع) جمع جذع وهو ساق النخلة (وسيلة الى غاية) أى نهاية (وكمال) عطف تفسير (وهى الدار الكاملة فالغاية هى الدار ولاجلها تقوم) بضم الفوقية وفتح القاف والواو المشددة أى توجد (الآلات والاعمال ثم قال) الغزالى بعد كلام (وأما قوله عليه الصلاة والسلام كنت نبيا) وآدم بين الروح والجسد (فاشارة) أى فهو اشارة (الى ما ذكرناه انه كان نبيا في التقدير قبل تمام خلقه) بكسر فسكون (آدم عليه الصلاة والسلام لانه) أى الحال والشأن (لم ينشأ خلق آدم الا لينتزع من ذريته

وهذا قول الحرلى وغيره وقال غيرهم منهم شيخ الاسلام ابن تيمية الحكمة فيه انه عيد لاهل عرفة فلا يستحب صومه لهم قال والدليل عليه الحديث الذى في السنن عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى عيدنا أهل الاسلام قال شيخنا وانما يكون يوم عرفة عيدا في حق أهل عرفة لاجتماعهم فيه بخلاف أهل الامصار فانهم انما يجتمعون يوم النحر فكان هو العيد في حقهم والمقصود انه اذا اتفق يوم عرفة يوم جمعة فقد اتفق عيدان معا السادس انه موافق ليوم اكمال الله تعالى دينه لعباده المؤمنين واتمام نعمته عليهم كما ثبت في صحيح البخارى عن طارق بن شهاب قال جاء يهودى الى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين آية تقرؤنها في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت ونعلم ذلك اليوم الذى نزلت فيه لاتخذناه عيدا قال أى آية قال اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر بن الخطاب انى لاعلم اليوم الذى

محمد) صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى لآدم لولاه ما خلقتك (ويستصفى) أي يستخلص من الكدورات كاخراج العلقة وشق الصدر (تدريجا) أي شيأ فشيأ (الى أن يبلغ كمال الصفات) من اضافة الصفة للموصوف أي الصفات الكاملة أو بمعنى الكامل من الصفات وهو أعلاها وهذا على ما في النسخ الصفات بالتاء وهو الذي في كتاب الغزالي المذكور الصفا بلا تاء (قال ولا تفهم هذه الحقيقة الا بأن يعلم أن للدار وجودين وجودا) بالنصب بدل مفصل من مجمل (في ذهن المهندس ودماغه) عطف تفسير لبيان محله عند الحكماء اذ الذهن القوى الباطنة وهي المدركة الحاصلة في مقدم الدماغ وذكره لبيان تصويره في حد ذاته فلا ينافي أن الغزالي كغيره من أهل السنة لا يقول به (والوجود الثاني انه) أي المهندس (ينظر الى صورة الدار خارج الذهن في الاعيان والوجود الذهني سبب الوجود الخارج للعين فهو سابق لا محالة) بفتح الميم أي لا بد كما في المختار (كذلك) مبتدأ حذف خبره أي كهذين الوجودين فعل الله وتصرفه في خلقه كما أشار اليه بقوله (فاعلم) وهذا جواب شرط مقدر نشأ من قوله وكذلك أي واذا أردت معرفة ذلك في حقه تعالى وفيه اشارة الى استحالة الوجود الذهني في حقه تعالى وأن التشبيه انما هو من حيث سبق التقدم ثم الايجاد فقط (ان الله تعالى يقدر) الاشياء قبل ايجادها (ثم يوجد) ذلك الذي قدره (على وفق التقدير ثانيا انتهى) واقتصر على هذين الوجودين لانهما الصالحان في مادة جوابه والا فللشئ من حيث هو وجودان آخران وجود في الكتابة ووجود في العبارة صرح به الجعبري مقدما العيني على الذهني نظرا الى الاخبار بالشئ بعد تحصيله وتعقله عند المخبر بالكسر والغزالي قدم الذهني نظرا الى صورة تحصيل الشئ في نفسه والقرافي في شرح تنقيحه قال الغزالي المختار عندي ان للشئ في الوجود أربع مراتب حقيقة في نفسه وثبوت مثاله في الذهن ويعبر عنه بالعلم التصوري الثالثة تأليف أصوات بحروف تدل عليه الرابعة تأليف رقوم تدرك بحاسة البصر دالة على اللفظ وهي الكتابة فالكتابة تبع للفظ اذ تدل عليه واللفظ تبع للعلم والعلم تبع للمعلوم فهذه الاربعة متطابقة متوازنة الا أن الاولين وجودان حقيقيان لا يختلفان في الاعصار والامم واللفظ والكتابة مختلفان فيهما لوضعهما بالاختيار (وهو) أي ما قاله الغزالي (متعقب) أي مردود (بقول الشيخ) الامام العلامة أبي الحسن علي بن عبد الكافي الملقب (تقي الدين السبكي) الفقيه الحافظ المفسر الاصولي المتكلم النحوي اللغوي الجدلي الخلافي النظار شيخ الاسلام بقية المجتهدين ولد بسبك من أعمال المنوفية في صفر سنة ثلاث وثمانين وستمائة وبرع في العلوم وانتهت اليه الرياسة بمصر وصنف تصانيف عديدة وتوفي بجزيرة الفيل على شاطئ النيل يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة سنة ست وخمسين وسبعمائة (انه قد جاء ان الله خلق الارواح قبل الاجساد) واذا كان كذلك (فقد تكون الاشارة بقوله) صلى الله عليه وسلم (كنت نبيا الى روحه الشريفة أو الى حقيقة من الحقائق) فيكون للنبوة محل قامت به وهذا جواب قول السائل لا بد للوصف من محل يقوم به وترك جواب انها انما تكون بعد الاربعين وأجاب شيخنا بجواز أن محله في النبوة المتعلقة بالجسد بعد ارتباط الروح به فلا ينافي أن افاضة النبوة على الروح ووصفها به حقيقة لعدم اشتراط المحل الذي تقوم به النبوة خارجا عن هذا قال وقد يؤخذ ذلك من اقتصاره على افاضة النبوة على روحه اذ من لازم حصولها على الروح عدم اشتراط وجود الجسد في الاعيان فضلا عن بلوغ أربعين ولما استشعر سؤال ما تلك الحقائق قال مجيبا (والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها وانما يعلمها خالقها ومن أمده الله بنور الهي) يدرك به ما يخفى من لم يمده (ثم ان تلك الحقائق يؤتي الله كل حقيقة منها ما يشاء في الوقت الذي يشاء فحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم قد تكون من حين خلق آدم) أي من وقت ابتدائه وقبل تمامه (آتاها الله) بالمد أعطاها

نزلت فيه واذ كان الذي نزلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعرفة يوم جمعة ونحن واقفون معه بعرفة السابع انه موافق ليوم الجمع الاكبر والموقف الاعظم يوم القيامة فان القيامة تقوم يوم الجمعة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها فيه عبد مسلم سأل الله خيرا الا أعطاه اياه ولهذا شرع الله سبحانه وتعالى لعباده يوما يجتمعون فيه فيذكرون المبدأ والمعاد والجنة والنار وادخر الله تعالى هذه الامة يوم الجمعة اذ فيه كان المبدأ وفيه المعاد ولهذا كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ في فجره سورتي السجدة وهل أتى على الانسان لاشتمالهما على ما كان وما يكون في هذا اليوم من خلق آدم وذكر المبدأ والمعاد ودخول الجنة والنار فكان يذكر الامة في هذا اليوم بما كان فيه وما يكون فهكذا يتذكر الانسان باعظم مواقف الدنيا وهو يوم عرفة الموقف الاعظم بين يدي

(ذلك الوصف) وصور الاعطاء بقوله (بان يكون خلقها متهيئة لذلك) أى لقبول النبوة (وأفاضه) أى ذلك الوصف (عليها من ذلك الوقت) فحقيقته سابقة على خلق آدم وحصول النبوة عند خلقه وفى اللطائف والسبل وهذه أى الصفة التى هى النبوة الثابتة مرتبة ثالثة وهى انتقاله من مرتبة العلم والكتابة الى مرتبة الوجود العينى الخارجى قال شيخنا فافاد أن نبوته مقدرة فى العلم أولا ثم تعلقت بها الكتابة ثم تعلق بها الابراز والايجاد للملائكة فى الوجود العينى وقضية مامر من ابراز حقيقته قبل سائر الموجودات أن المراتب أربع تعلق العلم بانه يصير نبيا ثم خلق نوره ثم كتبه فى أم الكتاب ثم اظهاره للملائكة وقد يشعر بهذا قوله وهى انتقاله الخ (وصار) عليه السلام أى حقيقته أو روحه (نبيا وكتب الله تعالى (اسمه) عليه السلام (على العرش وأخبر) الله (عنه بالرسالة ليعلم ملائكته وغيرهم) من العالم الموجود حينئذ أو الذى سيوجد من بنى آدم (كرامته عنده فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وان تاخر جسده الشريف) أى ايجاده (المتصف بها) وقوله (واتصاف حقيقته) مبتدأ (بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه) صفتان للاوصاف (من الحضرة الالهية) متعلقة بمفاضة بلا ريب وجعله خبر اتصاف يمجه السمع ويأباه الطبع فليس القصد الاخبار بان اتصافه كائن من الحضرة بل حصوله من ذلك الوقت وانما سقط خبر المبتدا من قلم المصنف سهوا وهو ثابت فى كلام السبكى الناقل عنه المصنف ولفظه واتصاف حقيقته بالاوصاف الشريفة المفاضة عليه من الحضرة الالهية حاصل من ذلك الوقت (وانما يتاخر البعث والتبليغ) فلا حاجة أيضا لجعل اتصاف عطفا على جسده أى تاخر اتصافه بالاوصاف فى الوجود العينى لجسده وانه أقرب بل هو تعسف أيضا يأباه قوله بعد وانما المتاخر تكونه وتنقله ويبعده الحصر فى قوله انما يتاخر الخ يصير معناه عسرا ولكن قد علمت ان منشأ هذا التحمل سقوط الخبر وانه موجود فى كلام من عزا اليه فلا معدل عنه وبه استقام الكلام بلا تعسف (وكل ماله من جهة الله ومن جهة تأهل ذاته الشريفة وحقيقته معجل لا تاخر فيه) جملة خبرية كالمفسرة لما قبلها كقوله (وكذلك استنباؤه) أى جعله نبيا فالسين للتوكيد لا للطلب (وايتاؤه الكتاب والحكم والنبوة) متقدم على ذاته (وانما المتاخر تكونه وتنقله الى أن ظهر صلى الله عليه وسلم وقد علم من هذا) الخبر الذى هو ان الله خلق الارواح قبل الاجساد (ان من فسره) أى الكون نبيا وآدم بين الروح والجسد كالغزالى (بعلم الله بانه سيصير نبيا لم يصل الى هذا المعنى لان علم الله محيط بجميع الاشياء ووصف النبى صلى الله عليه وسلم بالنبوة فى ذلك الوقت ينبغى أن يفهم منه انه أمر ثابت له فى ذلك الوقت ولو كان المراد بذلك مجرد العلم) أى علم الله (بما سيصير فى المستقبل لم يكن له) عليه (السلام خصوصية) بضم الخاء وفتحها وهو أفصح كذا فى المختار كاصله الصحاح وفى المصباح والفتح لغة وكذا أفاده القاموس بقوله وتفتح (بانه نبى وآدم بين الروح والجسد لان جميع الانبياء يعلم الله تعالى نبوتهم فى ذلك الوقت وقبله فلا بد من خصوصية) أمر ثابت (للنبى صلى الله عليه وسلم) دون غيره (لاجلها أخبر بهذا الخبر اعلاما لامته ليعرفوا قدره عند الله تعالى) الى هنا كلام السبكى بتقديم وتاخير حسبما ذكره فى رسالة لطيفة سماها التعظيم والمنه فى لتؤمنن به ولتنصرنه وفهمه المصنف ردا على الغزالى بقوله وهو متعقب وفيه انه انما عبر بالتقدير وهو مر تبة غير العلم فيجوز انه أمر اختص به قبل خلق آدم دون بقية الانبياء فلا يتم رده به ويحتمل أن مراد السبكى الرد على غير الغزالى وهو ظاهر قوله ومن فسر دون من قدر وفى نسيم الرياض قد يقال من فسره بالعلم مراده علم أظهره الله لغيره من الملائكة والارواح تشريفا له وتعظيما وكونه اشارة الى حقيقته ان أراد به روحه رجع الى ما قبله وان أراد غيره فلا يعقل عند من خلع ربقة التقليد من جيده اه (وعن الشعبى) بفتح المعجمة وسكون المهملة فموحدة نسبة الى شعب بطن من همدان

الرب سبحانه فى هذا اليوم بعينه ولا ينتصف حتى يستقر أهل الجنة فى منازلهم وأهل النار فى منازلهم الثامن ان الطاعة الواقعة من المسلمين يوم الجمعة وليلة الجمعة أكثر منها فى سائر الايام حتى ان أكثر أهل الفجور يحترمون يوم الجمعة وليلته ويرون ان من تجرى فيه على معاصى الله عز وجل عجل الله عقوبته ولم يمهله وهذا أمر قد استقر عندهم وعلموه بالتجارب وذلك لعظم اليوم وشرفه عند الله واختيار الله سبحانه له من بين سائر الايام ولا ريب ان للوقفة فيه مزية على غيره التاسع انه موافق ليوم المزيد فى الجنة وهو اليوم الذى يجمع فيه أهل الجنة فى وادفيح وينصب لهم منابر من لؤلؤ ومنابر من ذهب ومنابر من زبرجد وياقوت على كثبان المسك فينظرون ربهم تبارك وتعالى ويتجلى لهم فيرونه عيانا ويكون أسرعهم موافاة أعجلهم رواحا الى المسجد وأقربهم منه أقربهم من الامام فاهل الجنة مشتاقون الى يوم المزيد فيها لما ينالون فيه من الكرامة وهو يوم جمعة فاذا وافق يوم عرفة

بسكون الميم كما في الكواكب وصدوبه في اللب وقال ابن الاثير بطن من حمير عامر بن شراحيل الكوفي أبي عمرو التابعي الوسطولد لست مضين من خلافة عمر على المشهور وروى عن علي و السبطين وسعد وسعيد وابني عباس وعمرو وغيرهم وقال أدركت خمسمائة صحابي وما كتبت سوداء في بيضاء قط ولا حدثني أحد بحديث الا حفظته مر به ابن عمر وهو يحدث بالمغازي فقال شهدت القوم فلهو أحفظ لها وأعلم بها مني قال مكحول ما رأيت أفقه منه وابن عيينة كان أكبر الناس في زمانه مات بالكوفة سنة ثلاث ومائة أو أربع أو سبع أو عشر ومائة (قال رجل) يحتمل انه عمر (يا رسول الله متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حين أخذ مني الميثاق) وعند أبي نعيم عن الصنابحي عن عمر بن الخطاب انه قال يا رسول الله متى جعلت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد (رواه) أبو عبد الله محمد (بن سعد) بن منيع الهاشمي مولاهم البصري كاتب الواقدي روى عنه كثيرا وعن هشيم وابن عيينة وابن علية وطبقتهم وكتب الفقه والحديث والغريب والعربية وصنف الطبقات الكبير والصغير والتاريخ قال أبو حاتم وغيره صدوق مات في جمادى الآخرة سنة ثلاثين أو خمس وثلاثين ومائتين عن اثنتين وستين سنة (من رواية جابر) بن يزيد بن الحرث (الجعفي) بضم الجيم وسكون العين أبي عبد الله الكوفي عن الشعبي وأبي الطفيل وعنه شعبة والسفيانان ضعيف شيعي تركه الحفاظ ووثقه شعبة فشذ قال أبو داود ليس له في كتابي حديث سوى السهو مات سنة ثمان وعشرين ومائة (فيما ذكره ابن رجب) الحافظ عبد الرحمن (فهذا) أي مرسل الشعبي على ضعفه المعتضد بحديث عمر السابق (يدل على انه من حين صور آدم طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم ونبئ وأخذ منه الميثاق ثم أعيد الى ظهر آدم حتى يخرج وقت خروجه الذي قدر الله خروجه فيه فهو أولهم خلقا الا يقال يلزم) على ما تقدم (خلق آدم قبله) لانه استخرج من طينته فينافي خبر كنت أول الانبياء خلقا (لان آدم) تعليل لنفي القول لا للقول المنفي فهو نفس الجواب (كان حينئذ) أي حين نبئ النبي وأخذ منه الميثاق (مواتا) بفتح الميم (لا روح له) صفة كاشفة ففي الصحاح الموات بالضم الموت وبالفتح ما لا روح فيه (ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج) من طينة آدم (ونبئ وأخذ منه ميثاقه فهو أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا) كما قال (فان قلت ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه كما دل عليه أكثر الاحاديث) وأقلها انه استخرج قبل نفخ الروح روي عن سلمان وغيره قال في اللطائف ويدل له ظاهر قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم الآية على ما فسر به مجاهد وغيره ان المراد اخراج ذرية آدم من ظهره قبل أمر الملائكة بالسجود له ويحتمل أن يدل له أيضا قوله آدم بين الروح والجسد جوابا لمتى استنبئت (والذي تقرر هنا انه استخرج ونبئ وأخذ منه الميثاق قبل نفخ الروح في آدم عليه الصلاة والسلام) فهل هذا خصوصية للمصطفى أم مبني على خلاف ما دل عليه أكثر الاحاديث (أجاب بعضهم بانه صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه فان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق النوع الانساني) اذ لولاه ما خلق (وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده) بكسر العين أي الجوهر الذي في وسط القلادة وهو أجودها (والاحاديث السابقة صريحة في ذلك) الذي قلنا انه خصوصية له (والله أعلم) قال العلامة الشهاب القرافي لفظ والله أعلم لا ينبغي أن توضع هي ونحوها الا وينوي بها ذكر الله فان استعمال ألفاظ الاذكار لا على وجه الذكر والتعظيم قلة أدب مع الله تعالى ينهى عنه بل ينوي بها معناها الذي وضعت له لغة وشرعا اه (وروى) عند ابني جرير وكثير (عن علي بن أبي طالب) أمير المؤمنين زوج البتول الزهراء ربيبة من خص بالنظر ليلة الاسراء القائل في حقه من كنت مولاه فعلي مولاه رواه الترمذي والنسائي وغيرهما باسانيد صحيحة وعند مسلم وأحمد لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق

كان له تربية واختصاص وفضل ليس لغيره العاشر انه يدنو الرب تبارك وتعالى عشية يوم عرفة من أهل الموقف ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ما أراد هؤلاء أشهدكم اني قد غفرت لهم و يحصل مع دنوه منهم تبارك وتعالى ساعة الاجابة التي لا يرد فيها سائل يسأل خيرا فيقربون منه بدعائه والتضرع اليه في تلك الساعة ويقرب منهم تعالى نوعين من القرب أحدهما قرب الاجابة المحققة في تلك الساعة والثاني قربه الخاص من أهل عرفة ومباهاته بهم ملائكته فتستشعر قلوب أهل الايمان هذه الامور فتزداد قوة الى قوتها وفرحا وسرورا وابتهاجا ورجاء لفضل ربها وكرمه فبهذه الوجوه وغيرها فضلت وقفة يوم الجمعة على غيرها وأما ما استفاض على ألسنة العوام بانها تعدل ثنتين وسبعين حجة فباطل لا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عن أحد من الصحابة والتابعين والله أعلم

*(فصل) والمقصود ان الله سبحانه وتعالى اختار من كل جنس من أجناس

مناقبه شهيرة كثيرة جدا حتى قال أحمد والنسائي واسمعيل القاضي ولم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الجياد أكثر مما جاء في حق علي رضي الله عنه (انه قال) في تفسير قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين الآية (لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده) الى عيسى ان قلنا بالمشهور من انه ليس بينه وبين المصطفى نبي أو الى من بعده أيضا كخالد بن سنان (الا أخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه) المبعوث فيهم الرواية بنصب يأخذ عن عياض كما أفاده الشمني والمصنف في حواشيهما للشفاء قائلين عطفا على يؤمنن بتقدير نون التوكيد الخفيفة وردبانه حينئذ يكون من جزاء الشرط فيلزم أن الاخذ من الامة بعد بعثة المصطفى وليس المراد فالعطف على جملة لئن بعث الخ على انها في موضع مفرد والوجه أن التقدير وأمر أن يأخذ نحو علفتها تبنا (وهو مروى عن ابن عباس أيضا) موقوف عليهما لفظا مرفوع حكما لانه لا مجال للرأي فيه (كما ذكره العماد) الحافظ ذو الفضائل اسمعيل بن عمر (ابن كثير) القيسي المفتي المحدث البارع المتقن كثير الاستحضار سارت تصانيفه في البلاد في حياته مات سنة أربع وسبعين وسبعمائة عن أربع وسبعين سنة (في تفسيره) الذي لم يؤلف على نمطه مثله ورواه ابن عساكر والبغوي بنحوه ووقع للزركشي وابن كثير والحافظ في الفتح عزوه لصحيح البخاري قال الشامي ولم أظفر به فيه انتهى وقال البغوي اختلف في معنى الآية فقيل أخذ الميثاق من النبيين أن يبلغوا كتاب الله ورسالاته وان يصدق بعضهم بعضا وأخذ العهد على كل نبي أن يؤمن بمن يأتي بعده وينصره ان أدركه والا يأمر قومه بنصره فأخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى أن يؤمن بمحمد وقيل انما أخذ الميثاق عليهم في محمد صلى الله عليه وسلم واختلف على هذا فقيل الاخذ على النبيين وأممهم كلهم واكتفى بذكر الانبياء لان العهد على المتبوع عهد على التابع وهو معنى قول علي وابن عباس وقال مجاهد والربيع أخذ الميثاق انما هو على أهل الكتاب الذين أرسل منهم النبيون ألا ترى قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم الخ وانما كان مبعوثا لاهل الكتاب دون النبيين يدل عليه قراءة ابن مسعود وأبي واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب وأما القراءة المعروفة فالمراد منها أن الله أخذ عهد النبيين أن يأخذوا الميثاق على أممهم بذلك انتهى ملخصا (وقيل ان الله تعالى لما خلق نور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم) أي أكمل خلقه بافاضة الكمالات والنبوة على نوره (أمره أن ينظر الى أنوار الانبياء عليهم الصلاة والسلام) لا خلق نفس النور فلا يرد ان قضاءه خلق نور الانبياء قبل نوره لان تعليق الحكم على شئ يستدعي وجوده قبله أو المراد لما خلق نوره أخرج منه أنوار بقية الانبياء ثم أمرهم بذلك ولو قبل افاضة النبوة على ذلك النور لكن الاول أوفق بقولهم آمنا به وبنبوته اذ المتبادر افاضة النبوة عليه بالفعل (فغشيهم من نوره ما) أي الذي (أنطقهم الله به وقالوا يا ربنا من غشينا نوره فقال الله تعالى هذا نور محمد بن عبد الله ان آمنتم به جعلتكم أنبياء قالوا آمنا به وبنبوته فقال الله تعالى) لهم أ(أشهد عليكم) بحذف همزة الاستفهام المقدرة (قالوا نعم) أشهد علينا (فذلك قوله تعالى و) اذكر (اذ) حين (أخذ الله ميثاق النبيين) عهدهم (لما) بفتح اللام للابتداء وتوكيد معنى القسم الذي في أخذ الميثاق وكسرها متعلق بأخذ وما موصولة على الوجهين أي للذي (آتيتكم) اياه وقرئ آتيناكم (من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم) من الكتاب والحكمة وهو محمد صلى الله عليه وسلم (لتؤمنن به ولتنصرنه) جواب القسم وأممهم تبع لهم في ذلك (الى قوله وأنا معكم من الشاهدين) عليكم وعلى أممكم (قال الشيخ تقي الدين السبكي) في رسالة صغيرة له سماها التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه (في هذه الآية الشريفة من التنويه بالنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيم قدره العلي ما لا يخفى وفيه) كأنه ذكر على معنى نظم الآية والاقتباس سابقه وفيها

المخلوقات أطيبه واختصه لنفسه وارتضاه دون غيره فانه تعالى طيب لا يحب الا الطيب ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة الا الطيب فالطيب من كل شئ هو مختاره تعالى وأما خلقه تعالى فعام للنوعين وبهذا يعلم عنوان سعادة العبد وشقاوته فان الطيب لا يناسبه الا الطيب ولا يرضى الا به ولا يسكن الا اليه ولا يطمئن قلبه الا به فله من الكلام الطيب الذي لا يصعد الى الله تعالى الا هو وهو أشد شئ نفرة عن الفحش في المقال والتفحش في اللسان البذي والكذب والغيبة والنميمة والبهت وقول الزور وكل كلام خبيث وكذلك لا يألف من الاعمال الا أطيبها وهي الاعمال التي اجتمعت على حسنها الفطر السليمة مع الشرائع النبوية وزكتها العقول الصحيحة فاتفق على حسنها الشرع والعقل والفطرة مثل أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا ويؤثر مرضاته على هواه ويتحبب اليه بجهده وطاقته ويحسن الى خلقه ما استطاع فيفعل بهم ما يحب أن يفعلوا به

(مع ذلك أنه على تقدير مجيئه في زمانهم يكون مرسلا اليهم فتكون نبوته ورسالته عامة لجميع الخلق من آدم الى يوم القيامة) بهذا التقدير (ويكون الانبياء وأممهم كلهم من أمته) مع بقاء الانبياء على نبوتهم (ويكون قوله) صلى الله عليه وسلم في أثناء حديث رواه الشيخان وغيرهما (وبعثت الى الناس كافة) قومي وغيرهم من العرب والعجم والاسود والاحمر وفي رواية لمسلم الى الخلق كافة وهو يتناول الجن اجماعا والملائكة في أحد القولين ورجحه ابن حزم والبارزي والسبكي وغيرهم ويأتي بسطه ان شاء الله في الخصائص (لا يختص به الناس) الكائنون (من زمنه الى يوم القيامة بل يتناول من قبلهم أيضا) ونحوه للبارزي في توثيق عرا الايمان وادعى بعضهم ان ما ذكره السبكي غريب لا يوافقه عليه من يعتمد به فالجمهور على ان المراد بالكافة ناس زمنه فمن بعدهم الى يوم القيامة ودفعه شيخنا بما ذكرته له بانه لا ينافي كلام الجمهور الا اذا أريد التبليغ بالفعل اما اذا أريد بالبعث اتصافه صلى الله عليه وسلم بكونهم مأمورين في الازل بتبعيته اذا وجد كما هو صريح كلامه فلا يخالفه واحد فضلا عن الجمهور (ويتبين بذلك) وفي نسخة بهذا أي المذكور من انه نبي وأخذ الميثاق عليهم باتباعه وان الارواح قبل الاجساد (معنى قوله صلى الله عليه وسلم كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد) فقد يكون اشارة الى روحه أو حقيقة من الحقائق الى آخر ما مر ومعناه أن حقيقته ظهرت بالنبوة قبل خلق آدم وحلول الروح في جسده (ثم قال) بعد نحو ورقة من جملتها ما قدمه عنه قريبا (واذا عرف هذا فالنبي صلى الله عليه وسلم نبي الانبياء) أي مرسل الى الجميع مع بقائهم على نبوتهم (ولهذا) أي كونه نبي الانبياء (ظهر في الآخرة جميع الانبياء تحت لوائه) كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أنس عند أحمد وبيدي لواء الحمد آدم فمن دونه تحت لوائي وهو معنوي وهو انفراده بالحمد يوم القيامة وشهرته به على رؤس الخلائق كما جزم به الطيبي والسيوطي أو حقيقي مسمى بذلك وعند الله علم حقيقته ودونه تنتهي جميع المقامات ولما كان المصطفى أحمد الخلق في الدارين أعطيه ليأوي اليه الاولون والآخرون ولذا قال آدم فمن دونه الخ كما قاله التوربشتي والطيبي وأماما رواه ابن منيع والطبري وغيرهما في صفته فقال الطبري موضوع بين الوضع (وفي الدنيا كذلك ليلة الاسراء صلى بهم) اماما (ولو اتفق مجيئه في زمن آدم ونوح) سمي به لنوحه على ذنوب أمته واسمه عبد الجبار كما في حياة الحيوان أو عبد الغفار كما في الانس الجليل أو يشكر أو لكثرة بكائه على نفسه من قوله في كلب ما أوحشه فأوحي اليه أخلق أنت أحسن منه فكان يبكي اعتذارا من تلك المقالة فأوحى الله اليه يا نوح الى كم تنوح فسماه بذلك الله كما في تفسير القشيري وفي ربيع الابرار بكى نوح ثلثمائة سنة على قوله ان ابني من أهلي (وابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله وسلامه عليهم وجب عليهم وعلى أممهم الايمان به ونصرته وبذلك أخذ الله عليهم الميثاق انتهى وسيأتي ان شاء الله تعالى مزيد لذلك في المقصد السادس) وهو نقل رسالة السبكي برمتها ومن جملتها ان الانبياء نواب له بشرائعهم وأنه شرعه لا ولئلك القوم وقد عاب عليه وشنع صاحب نسيم الرياض بان النصوص العقلية والنقلية ناطقان بخلافه كقوله انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وما في معناها من الآيات والانبياء مع تعظيمهم له ومحبتهم غير مكلفين بأحكام شرعه والا لم يكونوا أصحاب شرع فما تبجح به السبكي واستحسنه هو ومن بعده لا وجه له عند من له أدنى بصيرة وكيف يتأتى قوله مع قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا فانه عكسه وقد طلب موسى أن يكون من أمته فاجابه الله بقوله استقدمت واستأخر ولكن سأجمع بينك وبينه في دار الجلال انتهى وتعسفه لا يخفى فان قوله ذلك من جملة مدخول لو في قوله لو اتفق مجيئه الخ كما هو صريح رسالته فسقط جميع ما قاله ومن أقوى تعسفه قوله غير مكلفين بأحكام شرعه فانه لم يدع تكليفهم به بل أن شرائعهم على تقدير وجوده في أزمنتهم شرع له فيهم فاعتبروا

ويعامل أمته بما يحب أن يعاملوه به ويدعهم بما يحب أن يدعوه منه وينصحهم بما ينصح به نفسه ويحكم فيهم بما يحب أن يحكم له به ويحتمل أذاهم ولا يحملهم أذاه ويكف عن أعراضهم ولا يقابلهم بما نالوا من عرضه واذا رأى فيهم حسنا أذاعه واذا رأى سيأ كتمه ويقيم أعذارهم ما استطاع فيما لا يبطل شريعة ولا يناقض لله أمرا ولا نهيا وله أيضا من الاخلاق أطيبها وأزكاها كالحلم والوقار والسكينة والرحمة والصبر والوفاء وسهولة الجانب ولين العريكة والصدق وسلامة الصدر من الغل والغش والحقد والحسد والتواضع وخفض الجناح لاهل الايمان والعزة والغلظة على أعداء الله وصيانة الوجه عن بذله وتذلله لغير الله والعفة والشجاعة والسخاء والمروءة وكل خلق اتفقت على حسنه الشرائع والفطر والعقول وكذلك لا يختار من المطاعم الا أطيبها وهو الحلال الهني المري الذي يغذي البدن والروح أحسن تغذية مع سلامة العبد من تبعته وكذلك لا يختار من المناكح الا

يا أولى الابصار (وذكر) الامام (العارف الربانى) بشد الموحدة فالف فنون ينسب هذه النسبة من يوصف بسعة العلم والديانة قاله فى التبصير (عبد الله بن أبى جمرة) المقرى المالكى العالم البارع الناسك قال ابن كثير كان قوالا بالحق أمارا بالمعروف مات بمصر فى ذى القعدة سنة خمس وتسعين وستمائة وفى التبصير فى تعداد من هو بجيم وراء بالفظه والشيخ أبو محمد عبد الله بن أبى جمرة المغربى نزيل مصر كان عالما عابدا خيرا شهير الذكر شرح منتخباله من البخارى نفع الله ببركته وهو من بيت كبير بالمغرب شهير الذكر انتهى (فى كتابه بهجة النفوس) وتحليها بمعرفة مالها وعليها وهو اسم شرحه على ما انتخبه من البخارى (ومن قبله) الامام أبو الربيع (بن سبع) باسكان الموحدة وقد تضم كما فى التبصير (فى شفاء الصدور) ورواه ابو سعد فى شرف المصطفى وابن الجوزى فى الوفاء (عن كعب الاحبار) جمع حبر بفتح الحاء وكسرها واليه يضاف كالاول لكثرة كتابته بالحبر حكاه أبو عبيد والازهرى عن الفراء وقال ابن قتيبة وغيره كعب الاحبار العلماء واحدهم حبر كما فى مشارق القاضى وتهذيب النووى ومثلثات ابن السيد والنور وغيرهم وأغرب صاحب القاموس فى قوله كعب الحبر ولا تقل الاحبار فانها دعوى نفى غير مسموعة مع مزيد عدالة المثبتين بل اضافته الى الجمع سواء قلنا انه المداد أو العلماء أى ملجؤهم أقوى فى المدح وهو كعب بن ماتع بالفوقية أبو اسحق الحميرى التابعى المخضرم أدرك المصطفى ومارآه المتفق على علمه وتوثيقه سمع عمر وجماعة وعنه العبادلة الاربعة وأبو هريرة وأنس ومعاوية وهذا من رواية الاكابر عن الاصاغر وكان يهوديا يسكن اليمن وأسلم زمن الصديق وقيل عمر وشهر وقيل زمن المصطفى على يد على حكاه المصنف وسكن الشام وتوفى فيما ذكره ابن الجوزى والحفاظ سنة اثنين وثلاثين فى خلافة عثمان وقد جاوز المائة وما وقع فى الكشاف وغيره من أنه أدرك زمن معاوية فلا عبرة به روى له الستة الا البخارى فانما له فيه حكاية لمعاوية عنه (قال لما أراد الله ان يخلق محمدا صلى الله عليه وسلم أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التى هى قلب الارض وبهاؤها) هو الحسن كما فى القاموس (ونورها قال فهبط جبريل فى ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع) بالراء والقاف السماء السابعة كما أشار اليه بقوله (الاعلى) لانها العليا وذكر مع أن السماء مؤنثة لانتفاء علامة التانيث فى الرقيع فكانه قال الجرم أو المكان الاعلى (فقبض قبضة رسول الله صلى الله عليه وسلم من موضع قبره الشريف وهى بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم) وهو أرفع شراب الجنة ويقال تسنيم عين تجرى من فوقهم تسنمهم فى منازلهم أى تنزل عليهم من عال يقال سنم الفحل الناقة اذا علاها قاله العزيزى بضم العين المهملة وزاءين معجمتين صاحب غريب القرآن هكذا سار فى الآفاق ومر الكلام فيه فى الاسماء قاله فى التبصير وملخص ما قاله فى الاسماء عزيز بالضم الى أن قال ومحمد بن عزيز السجستانى المفسر صاحب الغريب المشهور ضبطه الدارقطنى وخلق بزاى مكررة وتعقبهم ابن ناصر وخلق بانه بزاى فراء مهملة لكنهم لم يستندوا الى ضبط بالحروف وانما عولوا على الخط وضبط القلم ولا يفيد القلم بان آخره راء اذ الكاتب قد يذهل عن نقط الزاى فكيف يقطع بالوهم على الدارقطنى مع انه لقيه وأخذ عنه ثم قال وبالفتح فذكر جماعة فلا يتوهم أحد أنه لم يتعرض لكونه مكبرا أو مصغرا وانما نشأ من عدم استيفاء الكلام وفى القاموس ان كونه بالراء تصحيف (فى معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة) بضم الدال المهملة اللؤلؤة العظيمة (البيضاء لها شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش و) حول (الكرسى وفى السموات والارض والجبال والبحار) التى فى الارض وغيرها (فعرفت الملائكة وجميع الخلق) عطف عام على خاص (سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم وفضله قبل أن تعرف آدم عليه الصلاة والسلام) قال بعض العلماء وهذا لا يقال من قبل الرأى انتهى يعنى فهو اماعن الكتب القديمة

أطيبها وأزكاها ومن الرائحة الا أطيبها وأزكاها ومن الاصحاب والعشراء الا الطيبين منهم فروحه طيب وبدنه طيب وخلقه طيب وعمله طيب وكلامه طيب ومطعمه طيب ومشربه طيب وملبسه طيب ومنكحه طيب ومدخله طيب ومخرجه طيب ومنقلبه طيب ومثواه كله طيب فهذا ممن قال الله تعالى فيه الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ومن الذين يقول لهم خزنة الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وهذه الفاء تقتضى السببية أى بسبب طيبكم ادخلوها وقال تعالى الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات وقد فسرت الآية بان الكلمات الخبيثات للخبيثين والكلمات الطيبات للطيبين وفسر بان النساء الطيبات للرجال الطيبين والنساء الخبيثات للرجال الخبيثين وهى تعم ذلك وغيره فالكلمات والاعمال والنساء الطيبات لمناسبها من الطيبين والكلمات والاعمال والنساء الخبيثة

لانه

لانه حبرها أو عن المصطفى بواسطة فهو مرسل وتضعيف بعض الائمة أخرين جداله باحتمال أنه من الكتب القديمة وقد بدلت غير مسموع فان التضعيف انما هو من جهة السند لانه المرقاة كما هو معلوم عند من له أدنى المام بالفن وليس كل ماينقل من الكتب القديمة يرد ويدا بمثل هذا الاحتمال (وقيل لما خاطب الله تعالى السموات والارض بقوله أئتيا طوعا أو كرها) الى مرادى منكما (قالتا أتينا) بمن فينا طائعين (أجاب) أى كان المجيب من الارض (موضع الكعبة الشريفة ومن السماء مايحاذيها) و وافقهما على الجواب البقية فلاينافى أتينا طائعين وقال السهيلى لم يجبه الا أرض الحرم أى من الارض هو أعم مما هنا ووجه ذكر لهذا قوله (وقد قال ابن عباس) عبد الله الحبر البحر ترجمان القرآن كان الفاروق يجله ويدخله مع أشياخ بدر (أصل طينة رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرة الارض بمكة) وهذا حكمه الرفع اذ لايقال رأيا (فقال بعض العلماء) هو السهروردى صاحب العوارف (هذا) الذى قاله ابن عباس مع ماقبله (يشعر بان ما أجاب من الارض الدرة) بضم الدال المهملة اللؤلؤة العظيمة جمعها در ودرر ودرات كما فى القاموس عبر بها عن طينة (المصطفى صلى الله عليه وسلم) لنفاستها وقراءته بذال معجمة تصحيف غير لائق بالمقام فانها النملة الصغيرة جدا وقد مر قريبا قوله صارت كالدرة البيضاء ويجىء التعبير عنها بجوهرة (ومن موضع الكعبة دحيت) مدت (الارض فصار رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الاصل فى التكوين) أى الاحداث القاموس كونه أحدثه والله الاشياء أوجدها (والكائنات تبع له) حذف من كلام السهروردى ما لفظه واليه والاشارة بقوله كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفى رواية بين الروح والجسد قال (وقيل لذلك) الذى قاله ابن عباس (سمى أميا لان مكة أم القرى ودرته أم الخليقة) وانما حذف ذلك من كلامه لانه قدم انه لم يرو اللفظ الاول (فان قلت تربة الشخص مدفنه فكان مقتضى هذا أن يكون مدفنه عليه الصلاة والسلام بمكة حيث كانت تربته منها) فلا تقل ذلك وتذهل عن جوابه (فقد أجاب عنه صاحب عوارف المعارف) هو العلامة عمر شهاب الدين بن محمد بن عمر السهروردى بضم السين المهملة وسكون الهاء وضم الراء وفتح الواو وسكون الراء الثانية فدال مهملة نسبة الى سهرورد بلد عند زنجان كما فى التبصير وغيره الفقيه الشافعى الزاهد الامام الورع الصوفى أخذ عن الكيلانى وغيره وسمع الحديث من جماعة وقرأ الفقه والخلاف ثم انقطع ولازم الخلوة والصوم والذكر ثم تكلم على الناس عند علو سنه ثم كف وأقعد ومع ذلك ما أخل بذكر ولا حضور جمع ولازم الحج الى أن دخل فى عشر المائة ووصل الى الله به خلق كثير وتاب على يديه كثيرون من العصاة وكانت محفته تحمل على أعناق الرجال من العراق الى البيت الحرام ورأى من الجاه عند الملوك مالم يره أحد ولما حج آخر حجاته ورأى ازدحام الناس عليه فى المطاف واقتداءهم باقواله وأفعاله قال فى سره يا ترى أنا عند الله كما يظن هؤلاء فى فكاشفه ابن الفارض وخاطبه بقوله

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

فصرخ وخلع ما عليه وألقاه فخلع المشايخ والفقراء ما عليهم وألقوه وكان أربعمائة خلعة ولد سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وتوفى ببغداد مستهل محرم سنة اثنتين وثلاثين وستمائة (أفاض الله علينا من عوارفه) أى الله أو السهروردى فهو من التوجيه (وتعطف علينا بعواطفه بانه قيل ان الماء) الذى كان عليه العرش (لما تموج رمى الزبد الى النواحى فوقعت جوهرة) واحدة جوهر معرب كما فى الصحاح أى طينة (النبى صلى الله عليه وسلم) وفى القاموس الجوهر كل حجر يستخرج منه شئ ينتفع به انتهى وبه يعلم حسن تسميته الطينة الشريفة جوهرة كما لايخفى (الى مايحاذى تربته بالمدينة) أى وبقى منها بمكة ما أخذه جبريل حين أراد الله ابراز المصطفى (فكان صلى الله عليه وسلم مكيا) لان طينته من

لما استبها من الخبيثين فالله سبحانه وتعالى جعل الطيب بحذافيره فى الجنة وجعل الخبيث بحذافيره فى النار فجعل الدور ثلاثة دارا أخلصت للطيبين وهى حرام على غير الطيبين وقد جمعت كل طيب وهى الجنة ودارا أخلصت للخبيث والخبائث ولايدخلها الا الخبيثون وهى النار ودارا امتزج فيها الطيب والخبيث وخلط بينهما وهى هذه الدار ولهذا وقع الابتلاء والمحنة بسبب هذا الامتزاج والاختلاط وذلك بموجب الحكمة الالهية فاذا كان يوم معاذ الخليقة ميز الله الخبيث من الطيب فجعل الطيب وأهله فى دار على حدة لايخالطهم غيرهم وجعل الخبيث وأهله فى دار على حدة لايخالطهم غيرهم فعاد الامر الى دارين فقط الجنة وهى دار الطيبين والنار وهى دار الخبيثين وأنشأ الله تعالى من أعمال الفريقين ثوابهم وعقابهم فجعل طيبات أقوال هؤلاء وأعمالهم وأخلاقهم هى عين نعيمهم ولذاتهم أنشا لهم منها أكمل أسباب النعيم والسرور وجعل خبيثات أقوال الآخرين وأعمالهم وأخلاقهم هى

مكة (مدنيا) لدفنه بالمدينة كما أشار إليه بقوله (حنينه) أي شوقه (الى مكة وتربته بالمدينة انتهى) ووقع لبعض بعد نحو هذا فهبط جبريل في ملائكة الفردوس والرفيع الاعلى فقبضها من محل قبره الشريف وأصلها من مكة موج الطوفان الى هناك فتجنبت بماء التسنيم ويتعين أن المراد بالطوفان الماء الكثير الذي كان عليه العرش فانه يطلق لغة على المطر الغالب والماء الغالب يغشى كل شئ كقوله تعالى في قوم موسى فارسلنا عليهم الطوفان الا ان الكائن في زمن نوح لان أمر جبريل كان قبل وجود آدم (وفي كتاب (المولد الشريف) المسمى بالدر المنظم في مولد النبي الكريم (لابن طغربك) بطاء مهملة مضمومة وغين معجمة ساكنة وراء مضمومة وفتح الموحدة وكانه علم مركب من طغر وبك لقب للامام العلامة المحدث سيف الدين أبي جعفر عمر بن أيوب بن عمر الحميري التركماني الدمشقي الحنفي لم أراه في ابن خلكان ترجمة انما فيه آخر من الامراء بهذا الضبط وزيادة لام ساكنة بعد الراء (ويرى انه لما خلق الله تعالى آدم ألهمه) قبل أن يناديه أحد من الملائكة فيكون ألهمه القول والكنية معا أو بعد علمه بانه كنى بذلك بطريق آخر على ما يشعر به ألهمه (أن قال) اذ معناه قول (يارب لم كنيتني أبا محمد) بالتشديد والتخفيف كما في القاموس واقتصر المختار على أن الكنية بالتشديد لا غير وأن المخفف انما هو فيمن تكلم بشئ مريدا غيره (قال الله تعالى يا آدم ارفع رأسك فرفع رأسه فرأى نور محمد) أي النور الذي هو صورته فالاضافة بيانية لما مر من جعل نوره صورة روحانية (في سرادق العرش) شبهه من حيث الدلالة على كمال العظمة بسرادق حول الخباء مثلا دلالة على عظمة صاحبه فالمعنى رأى نوره في العرش الذي هو كالسرادق فهو من اضافة المشبه به الى المشبه أو هي بيانية أو المعنى رأى نوره حول العرش وسمى ما حواه سرادقا على التشبيه فشبه المحيط به بمحيط بخباء فسماه باسمه كما قال القاضي في أحاط بهم سرادقها فسطاطها شبه به ما يحيط بهم من النار قال شيخنا والاول أقرب (فقال يارب ما هذا النور قال هذا نور نبي من ذريتك اسمه) المشهور به (في السماء) بين الملائكة (أحمد و) اسمه المشهور به (في الارض) بين أهلها (محمد) فلا ينافي ان كتابة محمد على قوائم العرش واطلاع الملائكة عليها كما يجئ صريح في تسميته في السماء محمدا أيضا (لولاه ما خلقتك ولا خلقت سماء ولا أرضا ويشهد لهذا) المروي المنقول من المولد من أوله في الجملة أي يقويه (ما رواه الحاكم في صحيحه) المستدرك عن عمر رفعه (أن آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد مكتوبا على العرش وان الله تعالى قال لآدم لولا محمد ما خلقتك) وروى أبو الشيخ في طبقات الاصفهانيين والحاكم عن ابن عباس أوحى الله الى عيسى آمن بمحمد ومر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن صححه الحاكم وأقره السبكي في شفاء السقام والبلقيني في فتاويه ومثله لا يقال رأيا فحكمه الرفع وقال الذهبي في سنده عمرو بن أوس لا يدرى من هو وعند الديلمي عن ابن عباس رفعه أتاني جبريل فقال ان الله يقول لولاك ما خلقت الجنة ولولاك ما خلقت النار وذكر ابن سبع والعزفي بمهملة وزاي مفتوحتين وفاء عن علي ان الله قال لنبيه من أجلك أسطح البطحاء وأموج الموج وأرفع السماء وأجعل الثواب والعقاب قيل وهذا ليس لغيره من نبي ولا ملك

وما عجب اكرام ألف لواحد * لعين تفدى ألف عين وتكرم

(ولله در) أي عمل مجازا استعمل في المدح تعظيما أي ان اللبن الذي ربي به لا ينسب لغير الله لخروج كمال الممدوح به عن العادة (من قال) مضمنا هذا الخبر وتوسل آدم بالمصطفى في قبول توبته وهو صالح ابن حسين الشاعر قال بعض ما عمل مثلها في عصره (وكان) آدم (لدى الفردوس في زمن الصبا) أي

قين عذابهم وآلامهم وانشائهم منها أعظم أسباب العذاب والآلام حكمة بالغة وعزة باهرة قاهرة ليرى عباده كمال ربوبيته وكمال حكمته وعلمه وعدله ورحمته وليعلم أعداؤه انهم كانوا هم المفترين الكذابين لا رسله البررة الصادقون قال الله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين والمقصود ان الله سبحانه جعل للسعادة والشقاوة عنوانا يعرفان به فالسعيد الطيب لا يليق به الا الطيب ولا يأتي الا طيبا ولا يصدر منه الا الطيب ولا يلابس الا طيبا والشقي الخبيث لا يليق به الا الخبيث ولا يأتي الا خبيثا ولا يصدر منه الا الخبيث فالخبيث يتفجر من قلبه الخبث على لسانه وجوارحه والطيب يتفجر من قلبه الطيب على لسانه وجوارحه وقد يكون في الشخص مادتان فأيهما ما غلب عليه كان من أهلها فان أراد الله به خيرا طهره الله من المادة الخبيثة قبل الموافاة

في أول أمره بعد ارتباط الروح بجسده لا المعنى اللغوي وفي نسخ كالشامي الرضا أي زمن كونه في الجنة قبل هبوطه (وأثواب شمل الانس محكمة السدى) كناية عن قرب من الله السدى وزان الحصى من الثوب خلاف اللحمة (يشاهد) آدم (في عدن) الجنة وعبر به وفي سابقه بالفردوس اشارة لتعدد أسمائها والجار والمجرور حال من فاعل يشاهد أو من ضياء بناء على انه في الاصل نعت له ونعت المنكرة اذا قدم عليها أعرب حالا (ضياء) أي نورا قويا (مشعشعا) أي منتشرا كما في الشامي (يزيد على الانوار المتعارفة (في الضوء والهدى) أي زيادة النور والاهتداء فلا ينافي أن الضوء من جملة النور كما في الانوار (فقال) آدم (الهى ما) هذا (الضياء) بالنسبة لبقية الاضواء (الذي أرى * جنود السما) بالقصر للوزن (تعشو) بعين مهملة تقصده للاستضاءة به (اليه ترددا) مترددين اليه مرة بعد أخرى (فقال) الله تعالى هو (نبي) أي ضياؤه (خير من وطئ الثرى) بمثلثة التراب الندى فان لم يكن ندياً فتراب لكن المراد هنا الارض مطلقا وسماها ثرى من اطلاق الجزء على الكل (وأفضل من في) طرق (الخير راح أو اغتدى) أي أخذ فيه وحصله أي وقت ليلا أو نهارا الاستعمال العرب الغدو والرواح في السير مطلقا على نقل الازهري أي مجازا (تخيرته من قبل خلقك) يا آدم (سيدا) حال من المفعول في تخيرته (وألبسته قبل النبيين سوددا) بالضم سيادة فذكره بعد سيدا اطناب اذ حيث ثبتت قبل آدم علم ثبوتها قبل الانبياء أو المراد اخترته بتقديم السيادة له قبل خلقك ثم ألبسته اياه بالفعل قبل النبيين فهو كما في أن افاضة النبوة عليه بعد النقل من التقدير الى الكتابة ثم الى النبوة وبقي من القصيدة أبيات وهي

وأعددته يوم القيامة شافعا * مطاعا اذا ما الغير حاد وحيدا
فيشفع في انقاذ كل موحد * ويدخله جنات عدن مخلدا
وان له أسماء سميته بها * ولكنني أحببت منها محمدا
فقال الهى امتن على بتوبة * تكون على غسل الخطيئة مسعدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي * خصصت بها دون الخليقة أحمدا
أقلني عثاري يا الهى فان لي * عدو العينا جار في القصد واعتدى
فتاب عليه ربه جل امن * جناية ما أخطاه لا متعمدا

ذكرها بتمامها صاحب مصباح الظلام وغيره ثم أورد على قوله لولاه ما خلقتك (فان قلت مذهب الاشاعرة) يعني أهل السنة القائلين بما عليه امامهم أبو الحسن الاشعري من ذرية أبي موسى نسبة الى أشعر وهو نبت بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا لان أمه ولدته والشعر على بدنه (ان أفعال الله تعالى ليست معللة بالاغراض فكيف تكون خلقة محمد) اسم مصدر أي وجوده وفي نسخة خلقه محمدا أي ايجاده (علة في خلق آدم صلى الله عليه وسلم) اذ لولا حرف امتناع لوجود فتدل على امتناع جوابها لوجود شرطها وجوابها هنا وهو ما خلقتك نفي وامتناعه ثبوت فكأنه قال خلقتك لاجل خلق محمد قلت (أجيب بان الظاهر من الادلة تعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح التي هي غايات) أي ثمرات (ومنافع) عطف تفسير (لافعاله تعالى) أي تترتب عليها فاللام بمعنى على والغاية بمعنى الترتب (لا بواعث على أقدامه) أي أسباب حاملة على الفعل (ولا علل مقتضية) مستلزمة (لفاعليته) بحيث يلزم من وجودها كونه فاعلا (لان ذلك محال في حقه تعالى) علة لقوله لا بواعث الخ وعلل الاستحالة بقوله (لما فيه من استكماله) أي الله أي التكمل بمعنى صيرورته كاملا أو طلب الكمال (بغيره) وهو محال (والنصوص شاهدة بذلك) أي بتعليل بعض الافعال بالحكم والمصالح

ومواقيه يوم القيامة مطهرا فلا يحتاج الى تطهير بالنار فيطهره منها ما يوفقه له من التوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة حتى يلقى الله وما عليه خطيئة ويمسك عن الآخر مواد التطهير فيلقاه يوم القيامة بمادة خبيثة ومادة طيبة وحكمته تعالى تأبى ان يجاوره أحد في داره بخبائثه فيدخله النار طهرة له وتصفية وسبكا فاذا خلصت سبيكة ايمانه من الخبيث صلح حينئذ لجواره ومساكنة الطيبين من عباده واقامة هذا النوع من الناس في النار على حسب سرعة زوال تلك الخبائث منهم وبطئها فاسرعهم زوالا وتطهيرا أسرعهم خروجا وأبطؤهم أبطؤهم خروجا جزاء وفاقا وما ربك بظلام للعبيد ولما كان المشرك خبيث العنصر خبيث الذات لم تطهر النار خبثه بل لو خرج منها لعاد خبيثا كما كان كالكلب اذا دخل البحر ثم خرج منه فلذلك حرم الله تعالى على المشرك الجنة ولما كان المؤمن الطيب المطيب مبرأ من الخبائث كانت النار حراما عليه اذ ليس فيه ما يقتضي

يعني على سبيل الظهور فلا يخالف قوله بان الظاهر وذكره توطئة لقوله (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون) ولا ينافيه أن كثيرا لا يعبدون لانها عام خص بمؤمنيهم كما قيل أو لما ذكره بقوله (أى قرنت الخلق بالعبادة أى خلقتهم وفرضت عليهم العبادة) ولا يلزم من الغرض قيامهم بها (فالتعليل لفظى لا حقيقى) وحاصله تسليم كونها لا تعلل بالمعنى السابق وما وقع من صورة تعليل ليس المراد به ذلك لان الله تعالى مستغن عن المنافع) علة لقوله لا حقيقى (فلا يكون فعله) تعالى (لمنفعة راجعة) أى واصلة (اليه ولا الى غيره لان الله تعالى قادر على ايصال المنفعة الى الغير من غير واسطة العمل) فلا يتوقف عليه وصول المنفعة وفى نسخة فلا يكون فعله لمنفعته لان الله قادر باسقاط راجعة اليه ولا الى غيره والظاهر أن ضمير منفعته عائد للعبد المفهوم من وما خلقت الجن والانس كما يدل عليه لان الله قادر الخ (وروى عبد الرزاق) بن همام بن نافع الحميرى مولاهم الحافظ أبو بكر الصنعانى أحد الاعلام روى عن معمر وابن جريج ومالك والسفيانين والاوزاعى وخلق وعنه أحمد واسحق وغيرهما مات سنة احدى عشرة ومائتين ببغداد عن خمس وثمانين سنة (بسنده) ايضاح والا فهو مدلول روى (عن جابر بن عبد الله) بن عمرو بن حرام بمهملة وراء الانصارى الخزرجى السلمى بفتحتين الصحابى ابن الصحابى غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينة بعد السبعين وهو ابن احدى وتسعين سنة (قال قلت يا رسول الله) أفديك (بابى أنت وأمى) كلمة تستعملها العرب لتعظيم المفدى بهما (أخبرنى عن أول شئ خلقه الله تعالى قبل الاشياء قال) صلى الله عليه وسلم (يا جابر ان الله تعالى قد خلق قبل الاشياء نور نبيك) لم يقل نورى وان كان مقتضى الظاهر للتفخيم ولا يشكل بان النور عرض لا يقوم بذاته لان هذا من خرق العوائد (من نوره) اضافة تشريف واشعار بانه خلق عجيب وأن له شانا له مناسبة ما الى الحضرة الربوبية على حد قوله تعالى ونفخ فيه من روحه وهى بيانية أى من نور هو ذاته لا بمعنى انها مادة خلق نوره منها بل بمعنى تعلق الارادة به بلا واسطة شئ فى وجوده وهذا أولى من احتمال أن المراد من نور مخلوق له تعالى قبل خلق نور المصطفى وأضافه اليه لتوليه خلقه وايجاده لما يلزم عليه من سبق مخلوق على نور المصطفى وهو خلاف المنصوص والمراد ومن تجويز أنه معنى عبر عنه بالنور مشابهة أى خلق نور المصطفى من معنى يشبه النور موجود أزلا كوجود الصفات القديمة القائمة به تعالى فانها لا أول لوجودها لما فيه من اثبات ما لم يرد والقلاقة بايهامه تعدد القدماء وان كان المراد التشبيه فى مطلق الوجود (فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله ولم يكن فى ذلك الوقت لوح ولا قلم ولا جنة ولا نار) وانما خلقوا بعد وخلقت الجنة قبل النار كما رواه أبو الشيخ عن ابن عباس موقوفا وحكمه الرفع (ولا ملك) بفتح اللام (ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ولا جنى ولا انسى) ولم يقل ولم يكن فى ذلك الوقت شئ وان شمل المذكورات وغيرها لئلا يتوهم اختصاصه ببعضها فادار النص على سبق وجوده على جميعها ولان الشئ يشمل صفاته تعالى وهى موجودة قائمة بذاته لا أول لها (فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء) أى زاد فيه لا انه قسم ذلك النور الذى هو نور المصطفى اذ الظاهر أنه حيث صوره بصورة مماثلة لصورته التى سيصير عليها لا يقسمه اليه والى غيره (فخلق من الجزء الاول القلم) فهو من نور وبه صرح فى غير ما حديث كخبر ابن عباس قلمه نور وعند أبى الشيخ عن مجاهد أول ما خلق الله اليراع القصب ثم خلق من ذلك اليراع القلم فقال اكتب ما يكون الى يوم القيامة فان صح فلعل تجسمه من نور على صفة اليراع والا فما فى المرفوع أولى بالقبول وطوله خمسمائة عام رواه أبو الشيخ عن ابن عمر وعنده أيضا بسند واه ان عرضه كذلك وسنه مشقوقة ينبع منه المداد ولا يعارضه ما فى خبر مرسل انه من لؤلؤ طوله سبعمائة عام لان الاخبار بالاقل لا ينفى الاكثر

وكونه

تطهيره بها فسبحان من بهرت حكمته العقول والالباب وشهدت فطرة عباده وعقولهم بانه أحكم الحاكمين ورب العالمين لا اله الا هو

(فصل) ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة الى معرفة الرسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر فانه لا سبيل الى السعادة والفلاح لا فى الدنيا ولا فى الآخرة الا على أيدى الرسل ولا سبيل الى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل الا من جهتهم ولا ينال رضا الله البتة الا على أيديهم فالطيب من الاعمال والاقوال والاخلاق ليس الا هديهم وما جاؤا به فهم الميزان الراجح الذى على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الاقوال والاخلاق والاعمال وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال فالضرورة اليهم أعظم من ضرورة البدن الى روحه والعين الى نورها والروح الى حياتها فاى ضرورة وحاجة فرضت فضرورة العبد وحاجته الى الرسل فوقها بكثير وما ظنك بمن اذا غاب عنك هديه وما جاء به

وكونه من لؤلؤ لعله على التشبيه لشدة بياضه اذ هو نور (ومن الثاني اللوح ومن الثالث العرش ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء) مقتضى ثم تأخر خلق العرش عن اللوح والقلم وفي المشكاة تقديمه ثم الكرسي عليهما فلعلها بمعنى الواو (فخلق من الاول حملة العرش) وهم ثمانية املاك على صورة الاوعال أخرجه أبو يعلى وابن مردويه وابن خزيمة والحاكم وصححه وغيرهم عن العباس موقوفا ورواه ابن المنذر وغيره عن حسان بن عطية وهرون بن رياب بلفظ حملة العرش ثمانية وكذا رواه عبد بن حميد عن الربيع وهو معضل عن الثلاثة وقد روى ابن جرير عن ابن زيد رفعه مرسلا يحمله اليوم أربعة ويوم القيامة ثمانية وأخرجه أبو الشيخ من طريقين عن وهب معضلا وعند ابن جرير وغيره عن ابن عباس في قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدتهم الا الله (ومن الثاني الكرسي) فيه حجة للقول الصحيح انه غير العرش (ومن الثالث باقي الملائكة) وهم أكثر المخلوقات وحديث عبد الرزاق هذا مفسر لقوله صلى الله عليه وسلم في مسلم خلقت الملائكة من نور وعند أبي الشيخ عن عكرمة قال خلقت الملائكة من نور العزة وعنده عن يزيد بن رومان انه بلغه ان الملائكة خلقت من روح الله (ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول السموات) السبع (ومن الثاني الارضين) السبع وهي سابقة على خلق السموات كما فصل في فصلت وأما قوله والارض بعد ذلك دحاها فمعناه بسطها كما قال ابن عباس وغيره وكانت مخلوقة قبلها من غير دحو (ومن الثالث الجنة والنار ثم قسم الرابع أربعة أجزاء فخلق من الاول نور أبصار) يعني بصائر (المؤمنين) أو الاعم منها ومن الحسية ولم يعتبر أبصار الكفار لانهم لما فقدوا نفعها كانت ضرورة عليهم لا منفعة لهم (ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله ومن الثالث نور أنسهم وهو التوحيد) وبينه بقوله (لا اله الا الله محمد رسول الله الحديث) ولم يذكر الرابع من هذا الجزء فليراجع من مصنف عبد الرزاق مع تمام الحديث وقد رواه البيهقي ببعض مخالفة (وقد اختلف) في جواب قول السائل (هل القلم أول المخلوقات بعد النور المحمدي فقال الحافظ أبو يعلى الهمداني) بفتح الهاء وسكون الميم فمهملة العلامة شيخ الاسلام الحسن بن أحمد المتقن المتفنن في عدة علوم البارع على حفاظ عصره الذي لا يغشى السلاطين ولا يقبل منهم شيأ ولا مدرسة ولا رباطا ولا تأخذه في الله لومة لائم توفي سنة تسع وستين وخمسمائة (الاصح) وهو مذهب الجمهور (ان العرش) خلق (قبل القلم لما ثبت في الصحيح) أي صحيح مسلم (عن عبد الله بن عمرو ابن العاصي انه (قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والارض) أي شيأ منهما فلا يرد صدقه بخلقه بين خلقهما (بخمسين ألف سنة) كناية عن الكثرة أو حقيقة كما مر (وكان عرشه على الماء فهذا صريح) في (أن التقدير وقع بعد خلق العرش والتقدير) للاشياء المذكورة في قوله قدر الله (وقع عند أول خلق القلم لحديث عبادة) بضم العين (ابن الصامت) بن قيس الانصاري الخزرجي أبي الوليد المدني النقيب البدري كان طويلا جسيما جميلا فاضلا خيرا قال سعيد بن عفير كان طوله عشرة أشبار وفي الاستيعاب وجهه عمر الى الشام قاضيا ومعلما فأقام بحمص ثم انتقل الى فلسطين ومات بها وقيل بالرملة سنة أربع وثلاثين ودفن ببيت المقدس وقبره به معروف (مرفوعا) لفظة استعملها المحدثون بدل قال صلى الله عليه وسلم (أول ما) أي شيء (خلق الله القلم) بالرفع كما أفاده كلام الحافظ وغيره على الخبرية والاولية نسبية أي أول ما خلق الله بعد العرش القلم ويجوز نصبه مفعول خلق فالخبر قوله (قال له اكتب) لكن قال السيوطي في حواشي الترمذي عن ابن السيد البطليوسي الوجه الرفع وما أعلم أحدا رواه بالنصب وهو خطأ لان المراد أن القلم أول مخلوق لله كما دلت عليه الاحاديث فان ثبت رواية صحيحة بنصبه خرجت على لغة نصب ان الجزأين يعني في رواية ان أول

طرفة عين فقد قلبك وصار كالحوت اذا فارق الماء ووضع في المقلاة فحال العبد عند مفارقة قلبه لما جاء به الرسول كهذه الحال بل أعظم ولكن لا يحس بهذا الا قلب حي

وما لجرح بميت ايلام

واذا كان سعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي صلى الله عليه وسلم فيجب على كل من نصح نفسه وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به ويدخل به في عداد أتباعه وشيعته وحزبه والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

(فصل) وهذه كلمات يسيرة لا يستغني عن معرفتها من له أدنى همة الى معرفة نبيه صلى الله عليه وسلم وسيرته وهديه اقتضاها الخاطر المكدور على عجزه وبحره مع البضاعة المزجاة التي لا تنفتح لها أبواب السدد ولا يتنافس فيها المتنافسون مع تعليقها في حال السفر لا الاقامة والقلب بكل واد منه شعبة والهمة قد تفرقت

كما يجيء قريبا الاعلى وجه انه مفعول خلق لفساده في المعنى والاعراب انتهى (قال) القلم يخلق الله قوة النطق كما خلقها في الاعضاء ومحبة أحد وبغض غيره وغير ذلك فاحتمال غيره خروج عن المتبادر بلا دليل ولا طائل (رب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء) أسقط منه عند من عزاه لهما ما كان وما هو كائن الى الابد أى ما كان قبل القلم لان أوليته نسبية كما علم فلا يرد تصريحه بانه أول مخلوق والمراد بما هو كائن انقضاء هذا العالم وما بعده مما يمكن تناهيه دون نعيم الآخرة وجحيمها اذ لا نهاية له فلا يدخل تحت الكتابة وبه صرح في أبي داود بلفظ اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة (رواه أحمد) بلفظه (والترمذي) بلفظ ان أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب قال وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس مني قال شيخنا وفي الاستدلال به على ان التقدير وقع عند أول خلق القلم نظر لجواز انه انما قال له اكتب مقادير كل شيء من الاشياء التي قدرتها قبل الآن يقال القرينة دالة على أن المراد كتب مقادير الاشياء التي قد أبرزت تقديرها في الوجود الخارجي وان كانت مقدرة في علمه في الازل (ورويا أيضا) وفي نسخ وروى أحمد والترمذي وصححه أيضا (من رواية أبي رزين) بفتح الراء وكسر الزاي وسكون التحتية ونون لقيط بفتح اللام وكسر القاف بن عامر (العقيلي) بضم العين وفتح القاف نسبة الى عقيل بن كعب صحابي مشهور وغير لقيط ابن صبرة عند الاكثر كما في التقريب وعزاه في الاصابة لابن المديني وخليفة وابن أبي خيثمة وابن سعد ومسلم والبغوي والدارمي والباوردي وابن قانع وغيرهم وبه جزم المزي في الاطراف وقيل هو لقيط بن صبرة بن عامر فنسب لجده قاله ابن معين وأحمد ومال اليه البخاري وجزم به ابن حبان وابن السكن وعبد الغني وابن عبد البر وضعفا كونه غيره وجزم به المزي في التهذيب ورجح في الاصابة الاول بان ابن عامر معروف بكنيته وابن صبرة لا كنية له الا ما شذ به ابن شاهين فكناه أبا رزين أيضا وبان الرواة عن أبي رزين جماعة وابن صبرة لا يعرف له راو الا ابنه (مرفوعا ان الماء خلق قبل العرش) فهذا صريح ان القلم ليس أول المخلوقات اذ الماء قبل العرش الذي هو قبل القلم (وروى) اسمعيل بن عبد الرحمن (السدي) الكبير المفسر المشهور عن أنس وابن عباس وعنه شعبة والثوري وزائدة ضعفه ابن معين ووثقه أحمد واحتج به مسلم وفي التقريب انه صدوق يهم ويتشيع مات سنة سبع وعشرين ومائة روى له الجماعة الا البخاري وهو بضم السين وشد الدال المهملتين قال الذهبي تبعا لعبد الغني في الكمال لقعوده في باب جامع الكوفة وفي اللب كأصله لبيعه عند سدته أي بابه وفي صحاح الجوهري وسمي اسمعيل السدي لانه كان يبيع الخمر والمقانع في سدة مسجد الكوفة وهي ما يبقى من الطاق المسدودة وتبعه القاموس مقتصرا على المقانع فقعوده عند السدة كان للبيع واغرب الحافظ أبو الفتح اليعمري فقال كان يجلس بالمدينة في مكان يقال له السد فنسب اليه (باسانيد متعددة ان الله لم يخلق شيأ مما خلق) أى من جميع المخلوقات (قبل الماء فيجمع بينه وبين ما قبله) من حديثي جابر وأبي رزين (بان أولية) خلقه (القلم بالنسبة الى ما عدا النور المحمدي والماء والعرش انتهى وقيل) في الجمع أيضا (الاولية في كل) من المذكورات (بالاضافة الى جنسه أى أول ما خلق الله من الانوار نوري) الضمير له صلى الله عليه وسلم (وكذا يقال (في باقيها) أى وأول ما خلق مما يكتب القلم الذي كتب المقادير وأول ما خلق مما يصدق عليه العرش عرش الله اذ العرش يطلق على معان كما في القاموس وغيره وقيد البيضاوي الاولية باولية الاجرام لا مطلقا قال في قوله رب العرش العظيم الذي هو أول الاجرام وأعظمها والمحيط بجملتها (وفي أحكام ابن القطان) الحافظ الناقد أبي الحسن علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الكناني الفاسي سمع أبا ذر الخشني وطبقته وكان من أبصر الناس بصناعة الحديث وأحفظهم لاسماء رجاله وأشدهم عناية في الرواية معروفا بالحفظ والاتقان

شذر مذر والكتاب مفقود ومن يفتح باب العلم لمذاكرته معدوم غير موجود فعود العلم الماتع الكفيل بالسعادة قد أصبح ذاويا ورب‍عه قد أوحش من أهله وعاد منهم خاليا فلسان العالم قد ملئ بالغلول مضاربة لغلبة الجاهلين وعادت موارد شفائه وهي معاطبه لكثرة المنحرفين والمحرفين فليس له معول الا على الصبر الجميل وما له ناصر ولا معين الا الله وحده وهو حسبنا ونعم الوكيل

(فصل) في نسبه صلى الله عليه وسلم وهو خير أهل الارض نسبا على الاطلاق فلنسبه من الشرف أعلى ذروة وأعداؤه كانوا يشهدون له بذلك ولهذا شهد له به عدوه اذ ذاك أبو سفيان بين يدي ملك الروم فاشرف القوم قومه وأشرف القبائل قبيلته وأشرف الافخاذ فخذه فهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار ابن معد بن عدنان الى

صنف أوهم الايهام عن الاحكام الكبرى لعبد الحق ومات سنة ثمان عشرة وستمائة (فيما ذكره)
أى نقله عنه العلامة محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر (بن مرزوق) التلمسانى عرف بالخطيب
ولد عام عشرة وسبعمائة ومهر وبرع وشرح العمدة والشفاء والبردة والاحكام الصغرى لعبد الحق
ومختصر ابن الحاجب الفرعى ومحلات من مختصر الشيخ خليل ومات فى ربيع الاول سنة احدى
وثمانين وسبعمائة بمصر ودفن بين ابن القاسم وأشهب (عن على بن الحسين) بن على بن أبى طالب
الملقب زين العابدين التابعى الوسط قال الزهرى ما رأيت قرشيا أفضل منه ولا أفقه وقال ابن المسيب
ما رأيت أورع منه وقال ابن سعد كان ثقة مأمونا كثير الحديث عاليا رفيعا ورعا ولم يكن فى أهل البيت مثله
وكان اذا توضأ اصفر لونه واذا قام يصلى أرعد من الخوف فقيل له فى ذلك فقال أتدرون بين يدى من
أقوم ولمن أناجى وكان يصلى كل يوم وليلة ألف ركعة وكثير الصدقات سيما ليلا واذا خرج من منزله قال
اللهم انى أتصدق اليوم أو أهب عرضى اليوم لمن يغتابنى ولد سنة ثلاث وثلاثين وتوفى أول سنة أربع وتسعين
عند الجمهور أو سنة اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو تسع وتسعين وأغرب المدائنى فقال سنة مائة
ودفن فى قبر عمه بالبقيع ابن عساكر ومسجده بدمشق معروف وهو الذى يقال له مشهد على بجامع
دمشق ابن تيمية كون قبر عمه كذب انما مات بالمدينة (عن أبيه) الحسين السبط أشبه الناس بجده
كما قال أنس عند البخارى المقتول ظلما وعدوانا يوم عاشوراء سنة احدى وستين بكربلاء ودفن جسده
حيث قتل وأما رأسه ففى المشهد الحسينى بالقاهرة عند بعض المصريين ونفاه بعضهم قاله الحافظ فيما
نقله السخاوى وقال ابن تيمية اتفق العلماء كلهم على أن المشهد الذى بقاهرة مصر المسمى مشهد
الحسين باطل ليس فيه رأسه ولا شئ منه وانما أحدث بمصر فى دولة بنى عبيد القداح ملوك مصر المدعين
أنهم من ولد فاطمة والعلماء يقولون لا نسب لهم فى أثناء المائة الخامسة بناه طلائع ابن رزيك
الرافضى ونقل من عسقلان زعما أنه كان فى مشهد بها وهو باطل فان بنى أمية مع ما أظهروه من القتل
والعداوة لا يتصور أن يبنوا على الرأس مشهد الزيارة وحجة العلماء ما ذكره عالم النسب الزبير بن
بكار ان الرأس حمل الى المدينة ودفن بها قال ابن دحية لم يصح سواه انتهى ملخصا (عن جده) على كرم
الله وجهه (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كنت نورا بين يدى ربى) أى فى غاية القرب المعنوى منه
فاستعار له اليدين لان من قرب من انسان وقابله يكون بين يديه (قبل خلق آدم باربعة عشر ألف عام)
لا ينافى ما مر أن نوره مخلوق قبل الاشياء وان الله قدر مقادير الخلق قبل خلق السموات والارض
بخمسين ألف سنة لان نوره خلق قبل الاشياء وجعل يدور بالقدرة حيث شاء الله ثم كتب فى اللوح ثم
جسم صورته على شكل أخص من ذلك النور ولان التعبير بين اليدين اشارة لزيادة القرب فالمقدر
بهذه المدة مرتبة أظهرت له لم تكن قبل وروى محمد بن عمر العدنى شيخ مسلم فى مسنده عن ابن
عباس ان قريشا أى المسعدة بالاسلام كانت نورا بين يدى الله قبل ان يخلق آدم بالفى عام يسبح
ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه قال ابن القطان يجتمع من هذا مع ما فى حديث على يعنى
المذكور فى المصنف أن النور النبوى جسم قبل خلقه باثنى عشر ألف عام وزيد فيه سائر قريش
وأنطق بالتسبيح (وفى الخبر لما خلق الله تعالى آدم جعل) أودع (ذلك النور) نور المصطفى (فى
ظهره فكان) لشدته (يلمع فى جبينه فيغلب على سائر) باقى (نوره) أى نور آدم الذى فى بدنه
أو يغلب على بقية النور الذى خلقه فى غير آدم كأنوار الانبياء (ثم رفعه) أى آدم (الله تعالى
على سرير مملكته) روى الحكيم الترمذى لما أكمل الله خلق آدم رفعه على أكتاف جبريل وميكائيل
واسرافيل وعزرائيل على سرير من ذهب أو ياقوت أحمر له تسعمائة قائمة فقال طوفوا به فى سمواتى

هذا معلوم أنه متفق
عليه بين النسابين ولا
خلاف فيه البتة وما فوق
عدنان مختلف فيه ولا
خلاف بينهم ان عدنان
من ولد اسمعيل عليه
السلام واسمعيل هو
الذبيح على القول
الصواب عند علماء
الصحابة والتابعين ومن
بعدهم وأما القول بانه
اسحق فباطل باكثر من
عشرين وجها وسمعت
شيخ الاسلام ابن تيمية
قدس الله روحه يقول
هذا القول انما هو متلقى
عن أهل الكتاب مع انه
باطل بنص كتابهم فان
فيه ان الله أمر ابراهيم أن
يذبح ابنه بكره وفى لفظ
وحيده ولا يشك أهل
الكتاب مع المسلمين ان
اسمعيل هو بكر أولاده
والذى غر أصحاب هذا
القول ان فى التوراة التى
بايديهم اذبح ابنك اسحق
قال وهذه الزيادة من
تحريفهم وكذبهم لانها
تناقض قوله اذبح بكرك
ووحيدك ولكن اليهود
حسدت بنى اسمعيل على
هذا الشرف وأحبوا أن
يكون لهم وان يسوقوه
اليهم ويحتازونه دون
العرب ويأبى الله الا أن
يجعل فضله لاهله وكيف
يسوغ أن يقال الذبيح
اسحق والله تعالى قد

ليرى عجائبها ثم أمرهم ان يحولوا وجوههم الى العرش ليسجدوا قبالته ففعلوا ولذلك يحمل جنازة أولاده أربعة انتهى وكان هذا السرير مسمى فيما بينهم سرير المملكة فقول الشارح انه من باب التمثيل أى رفعه الى مكان عال وعظمه فجعل حالته تلك كحالة من مكن على سرير وطيف به فى جهات غير ظاهر فالاصل الحقيقة (وحمله على أكناف ملائكته) بالنون أى أجنحتهم وفى القاموس الكنف من الطائر جناحه ويحتمل انه بالفوقية جمع كتف لان لهم قوة التشكل (وأمرهم) أى أمر الله ملائكته (فطافوا به فى السموات ليرى) آدم (عجائب ملكوته) أى ملكه العظيم وتاؤه للمبالغة وسئل كعب كم طاف الملائكة بآدم فى السموات مكرما قال ثلاث مرات أولها على سرير الكرم والثانى على أكناف الملائكة والثالث على الفرس الميمون وهو مخلوق من المسك الاذفر وله جناحان من الدر والمرجان وجبريل آخذ بلجامها وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن يساره فطافوا به فى السموات كلها وهو يسلم على الملائكة عن يمينه وشماله فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فيردون عليه كذلك فقيل هذه تحيتك وتحية ذريتك الى يوم القيامة (قال جعفر بن محمد مكثت الروح فى رأس آدم مائة عام) من أعوام الدنيا (وفى صدره مائة عام وفى ساقيه وقدميه مائة عام) لعل المراد بالرأس مافوق الصدر وبه مافوق الساقين أو المراد بالساقين ماتحت الصدر فيدخل البطن وما يتصل به فى الصدر على الاول وفى الساقين على الثانى قال شيخنا ولعل المراد بذا العدد التكثير فلا ينافى أن المدة من ابتداء خلقه الى نزوله الى الدنيا ثلاث وثمانون سنة انتهى قلت هذا قول ابن جرير ونقص منه وأربعة أشهر وقال غيره ان المدة فوق ذلك بكثير وقد تكلف الشيخ فيما يجىء للتوفيق بينه وبين ماهنا عن جعفر بانه مبنى على ان مدة كونه طينا كانت قبل دخول الجنة او انه انما أخرج منها بعد اليوم الذى ابتدأ خلقه فيه وأن خلقه لم يتم الا بعد مدة طويلة وفيه أنه قد لا يقول جعفر بقول ابن جرير ولا يرضاه فقد قال ابن عباس مكث فى الجنة خمسمائة عام وقيل مكثت الملائكة فى سجودهم كذلك وقيل أكثر فهى أقوال متباينة فاللائق الترجيح لا تعسف الجمع بتجويز عقلى (ثم علمه الله تعالى) بالهام أو بخلق علم ضرورى فيه أو القاء فى خاطره أو على لسان ملك قال القرطبى وهو جبريل (أسماء جميع المخلوقات) كلها روى وكيع فى تفسيره عن ابن عباس فى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها قال علمه اسم كل شئ حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية (ثم أمر) الله (الملائكة بالسجود له) أى كلهم لعموم اللفظ وعدم المخصص أو ملائكة الارض أو ابليس ومن كان معه فى محاربة الجن فانه تعالى أسكنهم الارض أولا فافسدوا فيها فبعث لهم ابليس فى جند من الملائكة فدمرهم فى الجزائر والجبال وظاهر اتيان المصنف بثم اختيار القول بتراخى الامر بالسجود عن التعليم وأنبائهم بالاسماء واظهار فضله عليهم وايجاب خدمتهم له بسبب العلم وظاهر نظم البقرة يدل عليه وقيل سجدوا لما نفخ فيه الروح لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين والفاء للتعقيب والاظهر كما قال ابن عقيل وصاحب الخميس الاول والفاء تكون للتعقيب مع التراخى كقوله فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وذلك بعد مدة والقول بانهم سجدوا مرتين للآيتين رده النقاش بانه لم يقل به أحد وانما سجدوا مرة واحدة (فسجدوا الا ابليس) أى (فطرده الله تعالى) عن رحمته (وأبعده) عن جنته (وخزاه) فى الدارين بعدما كان من الملائكة من طائفة يقال لهم الجن عند ابن عباس وابن مسعود وغيرهما وعزاه القرطبى للجمهور وصححه النووى بانه لم ينقل أن غيرهم أمر بالسجود والاصل ان الاستثناء من الجنس ولكن ذهب الاكثرون كما قال عياض الى انه لم يكن منهم طرفة عين وهو أصل الجن كما أن آدم أصل الانس وانما كان من الجن الذين ظفر بهم الملائكة فاسره بعضهم صغيرا وذهب به الى السماء فالاستثناء منقطع

بشر أم اسحق به وبابنه يعقوب فقال تعالى عن الملائكة انهم قالوا لابراهيم لما أتوه بالبشرى لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فحال أن يبشرها بانه يكون له ولد ثم يأمر بذبحه ولا ريب ان يعقوب داخل فى البشارة فتناول البشارة لاسحق ويعقوب فى اللفظ واحد وهذا ظاهر الكلام وسياقه فان قيل لو كان الامر كما ذكرتموه لكان يعقوب مجرورا عطفا على اسحق فكانت القراءة ومن وراء اسحق يعقوب أى ويعقوب من وراء اسحق قيل لا يمنع الرفع أن يكون يعقوب مبشرا به لان البشارة قول مخصوص وهى أول خبر سار صادق وقوله تعالى ومن وراء اسحق يعقوب جملة متضمنة لهذه القيود فتكون بشارة بل حقيقة البشارة هى الجملة الخبرية ولما كانت البشارة قولا كان موضع هذه الجملة نصبا على الحكاية بالقول كان المعنى وقلنا لها من وراء اسحق يعقوب والقائل اذا قال بشرت فلانا بقدوم أخيه وثقله فى أثره لم يعقل منه الا

عياض والاستثناء من غير الجنس شائع في كلام العرب قال تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ورجحه السيوطي بانه الذي دلت عليه الآثار وقول النووي لم ينقل أمر غيرهم مردود بحكاية ابن عقيل في تفسيره والخميس قولا بان الملائكة وجميع العالم حينئذ أمروا وخصوا بالخطاب دون غيرهم لكونهم الاشرف حينئذ وكان من عداهم تبعا واختلف في كيفية السجود لآدم فقال الجمهور هو أمر للملائكة بوضع الجباه على الارض كسجود الصلاة لانه الظاهر من السجود شرعا وعرفا ويدل له آية فقعوا له ساجدين وعن أبي وابن عباس هو الانحناء لا الخرور على الارض أي كما يفعل في لقاء العظماء وقال قوم انما هو اللغوي من التذلل والانقياد فان الله سخرهم لآدم وذريته في انزال المطر وحفظ آثارهم وكتب أعمالهم والعروج بها الى السماء (وكان السجود لآدم سجود تعظيم وتحية) واظهار الفضله وطاعة لله (لا سجود عبادة) لانه لا عبادة الا لله تعالى (كسجود اخوة يوسف له) فانه ما كان سجود عبادة (فالمسجود له في الحقيقة هو الله تعالى) تفريع على المنفي (وآدم كالقبلة) وهذا ظاهر في أن المراد الشرعي ففيه اشارة لمذهب الجمهور وقال قتادة كان خدمة لله وحرمة لآدم كصلاة الجنازة عبادة لله ودعاء للميت وقال الحسن والاصح انه كان تحية لآدم على الخصوص ولو كان عبادة لله وآدم قبلة لما تكبر ابليس انتهى وفيه نظر فقد حكى القرطبي الاتفاق على أنه لم يكن سجود عبادة واللازم ممنوع لان تكبره من حيث انه لم يكن هو قبلة لظنه فضله عليه وعلى غيره قال الشعبي ومعنى اسجدوا لآدم الى آدم كما يقال صلى للقبلة ورد بانه يقال صلى الى القبلة لا لها ودفع بقوله في علي

أليس أول من صلى لقبلتكم * وأعرف الناس بالقرآن والسنن

(وروى عن جعفر الصادق) لقب به لصدقه في مقاله ابن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم كان من سادات أهل البيت ولد سنة ثمانين أو ثلاثين وثمانين وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة قال ابن خلكان وابن قتيبة في أدب الكاتب وكتاب الجفر جلد كتبه جعفر الصادق كتب فيه لآل البيت كل ما يحتاجون الى علمه وكل ما يكون الى يوم القيامة قال الدميري ونسبة الجفر الى علي وهم والصواب لجعفر الصادق (انه قال كان أول) بالنصب خبر (من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل) ملك الموت القابض لجميع أرواح الجن والانس والبهائم والمخلوقات خلافا لقول المبتدعة انما يقبض أرواح الجن والانس صرح به الجزولي في شرح الرسالة وكأنهم تمسكوا بما أخرجه أبو الشيخ والعقيلي في الضعفاء والديلمي عن أنس مرفوعا آجال البهائم وخشاش الارض والقمل والبراغيث والجراد والخيل والبغال والدواب كلها والبقر وغير ذلك في التسبيح فاذا انقضى تسبيحها قبض الله أرواحها وليس الى ملك الموت منها شئ وهو حديث ضعيف جدا بل قال العقيلي لا أصل له وابن الجوزي موضوع ولا حجة فيه اذ لا حجة بضعيف ولا سيما مع معارضته لعموم القاطع وهو الله يتوفى الانفس حين موتها ولذا لم يلتفت الامام مالك الى ذا الحديث بل احتج بالآية لما سأله رجل عن البراغيث أملك الموت يقبض روحها فاطرق طويلا ثم قال ألها نفس قال نعم قال فان ملك الموت يقبض أرواحها الله يتوفى الانفس حين موتها أخرجه الخطيب وأيضا أخرجه الطبراني وابن منده وأبو نعيم ان عزرائيل قال للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو أردت ان أقبض روح بعوضة ما قدرت حتى يأذن الله بقبضها (ثم الملائكة المقربون) أي ثم بقية الملائكة ونحوه قول وهب بن منبه أول من سجد لآدم جبريل فأكرمه الله بانزال الوحي على النبيين خصوصا على سيد المرسلين ثم ميكائيل ثم اسرافيل ثم عزرائيل ثم سائر الملائكة (و) روى (عن أبي الحسن النقاش ان أول من سجد اسرافيل) وهذا رواه ابن أبي حاتم عن ضمرة والسلفي عن عمر بن عبد العزيز (قال ولذا) أي لكونه أول من سجد

بشارة بالامرين جميعا هذا مما لا يستريب ذو فهم فيه ألبتة ثم يضعف الجر أمر آخر وهو ضعف قولك مررت بزيد ومن بعده عمرو لان العاطف يقوم مقام حرف الجر فلا يفصل بينه وبين المجرور كما لا يفصل بين حرف الجار والمجرور ويدل عليه أيضا ان الله سبحانه لما ذكر قصة ابراهيم وابنه الذبيح في سورة الصافات قال فلما أسلما وتله للجبين وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه في الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم قال تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين فهذه بشارة من الله تعالى له شكرا على صبره على ما أمر به وهذا ظاهر جدا في ان المبشر به غير الاول بل هو كالنص فيه فان قيل فالبشارة الثانية وقعت على نبوته أي لما صبر الاب على ما أمر به وأسلم الولد لامر الله جازاه الله على ذلك بان أعطاه النبوة قيل البشارة وقعت على المجموع على ذاته ووجوده وان يكون نبيا ولهذا نصب نبيا على الحال

(جوزى) أى جازاه الله (بتولية اللوح المحفوظ) بان جعل مطلعا عليه ومتصرفا فيه بنقل ما فيه مثلا الى الملائكة وقيل رفع رأسه وقد ظهر القرآن كله مكتوبا على جبهته كرامة له على شيعته فهذا يعارض ماروى عن جعفر و جم شيخنا بان أول من سجد بالفعل اسرافيل وأول من سجد بامتثال الامر جبريل قال ولعل الحكمة فى عدم سجودهم دفعة واحدة أن الساجد أولا فهم بالاشارة انه المخاطب به أولا وفى الجمع وقفة (وعن ابن عباس كان) زمن السجود لآدم (يوم الجمعة من وقت الزوال الى العصر) لو فرض من أيام الدنيا فلا يشكل بخبر انه خلق فى آخر ساعة من يوم الجمعة المقدر بالف سنة (ثم خلق الله تعالى له حواء) بفتح الحاء وشد الواو والمد (زوجته) كذا فى نسخ بالهاء على لغة قليلة حكاها الفراء وشاهدها قول عمار بن ياسر عند البخارى والله انى لاعلم أنها زوجته فى الدنيا والآخرة يعنى عائشة وقول الفرزدق

وان الذى يسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى يستبيلها

أى يطلب بولها وقيل يأخذ أولادها والكثير وهو لغة القرآن زوج بلا هاء حتى قال الاصمعى لا تكاد العرب تقول زوجة (من ضلع) بكسر المعجمة وفتح اللام وتسكن مذكر وقيل مؤنث وقيل يذكر ويؤنث (من أضلاعه اليسرى) قال فى الفتح أى أخرجت منه كما تخرج النخلة من النواة وجعل مكانه لحم وقال القرطبى يحتمل أن معناه انها خلقت من ضلع فهو كالضلع أى عوجاء (وهو نائم) لم يشعر بذلك ولا تألم والا لم يعطف رجل على امرأة قاله القرطبى وغيره (وسميت حواء لانها خلقت من حى) وفى القرطبى أول من سماها آدم لما انتبه قيل من هذه قال امرأة قيل وما اسمها قال حواء قيل ولم سميت امرأة قال لانها من المرء أخذت قيل ولم سميت حواء قال لانها خلقت من حى وروى ان الملائكة سألته عن ذلك لتجرب علمه وفى الفتح قيل سميت حواء بالمد لانها أم كل حى (فلما استيقظ ورآها سكن) اطمأن ومال (اليها) بالهام الله تعالى واختلف فى أنها خلقت فى الجنة فقال ابن اسحق خلقت قبل دخول آدم الجنة لقوله تعالى أسكن أنت وزوجك الجنة روى عن ابن عباس وقطع به السيوطى فى التوشيح وقيل بل خلقت فى الجنة بعد دخول آدم لانه لما أسكن الجنة مشى فيها مستوحشا فلما نام خلقت من ضلعه القصرى من شقه الايسر ليسكن اليها ويأنس بها فلما انتبه رآها قال من أنت قالت امرأة خلقت من ضلعك لتسكن الى وأسكن اليك قاله ابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة واقتصر عليه القرطبى والخازن قال ابن عقيل ونسب لاكثر المفسرين وعلى هذا قيل قال الله اسكن أنت وزوجك الجنة بعد خلقها وهما فى الجنة وقيل قبل خلقها وتوجه الخطاب للمعدوم لوجوده فى علم الله انتهى (ومد يده اليها) يريد جماعها والتلذذ بلا جماع (فقالت الملائكة مه يا آدم قال ولم وقد خلقها الله لى) وكأنه علم ذلك بالهام أو علم ضرورى أو من أخبارها بانها خلقت له (فقالوا حتى تؤدى مهرها قال وما مهرها قالوا تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات) والظاهر ان علمهم بذلك بالوحى (وذكر ابن الجوزى) العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن على الحافظ البكرى الصديقى البغدادى الحنبلى الواعظ صاحب التصانيف السائرة فى الفنون قال فى تاريخ الحفاظ ما علمت أحدا صنف ما صنف وحصل له من الحظوة فى الوعظ ما لم يحصل لاحد قط قيل حضره فى بعض المجالس مائة ألف وحضره ملوك ووزراء وخلفاء وقال على المنبر كتبت باصبعى ألف مجلد وتاب على يدى مائة ألف وأسلم على يدى عشرون ألفا مات يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة وقيل له الجوزى لجوزة كانت فى دارهم لم يكن بواسط سواها انتهى وكأن من قال الى الجوز ببيع أو غيره لم يحرره (فى كتابه سلوة الاحزان أنه لما رام القرب منها طلبت منه المهر)

المقدر أى مقدرا نبوته فلا يمكن اخراج البشارة أن تقع على الاصل ثم تخص بالحال التابعة الجارية مجرى الفضلة هذا محال من الكلام بل اذا وقعت البشارة على نبوته فوقوعها على وجوده أولى وأحرى وأيضا فلا ريب أن الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها كما جعل السعى بين الصفا والمروة ورمى الجمار تذكيرا لشأن اسمعيل وأمه واقامة لذكر الله ومعلوم ان اسمعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون اسحق وأمه ولهذا اتصل مكان الذبح وزمانه بالبيت الحرام الذى اشترك فى بنائه ابراهيم واسمعيل وكان النحر بمكة من تمام حج البيت الذى كان على يد ابراهيم وابنه اسمعيل زمانا ومكانا ولو كان الذبح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة وأيضا فان الله سبحانه سمى الذبيح حليما لانه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه ولما ذكر اسحق سماه عليما فقال تعالى هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين اذ دخلوا

أسماءها قول الملائكة أو ألهمت أو بعلم ضروري (فقال يا رب وماذا أعطيها قال) الله وحيا أو شفاها
والظاهر الاول (يا آدم صلي على حبيبي محمد بن عبد الله عشر مرة) وكأنه رام زيادة البيان من الله تعالى
فسأله بعطيها ما هذا فلا ينافي اخبار الملائكة بما يعطيها أو فهم أنهم قالوه اجتهادا فطلب أمر الله والاخبار
بالقليل لا ينفي الكثير أو قول الملائكة بأمر منهم مقدمة لحصول الالفة وقوله تعالى كان حسن ارادة
القرب كما هو ظاهر قوله لما رام فحملها المهر الثلاثة والعشرون لكن الاخير على أن مديده كان للتلذذ
لا الجماع وصح كون الصلاة مهرا لانه لما قام بقصده كان ثوابها لحواء لكونها في مقابلة مهرها فلا يرد
أن فائدة الصلاة عائدة عليه والمقصود من المهر عود فائدته الى الزوجة (ففعل) آدم ما أمر به من الصلاة
عليه صلى الله عليه وسلم وفي رواية قالت الملائكة مه يا آدم مهحتى تنكحها فزوجه الله اياها وخطب
فقال الحمد لله والعظمة ازاري والكبرياء ردائي والخلق كلهم عبيدي وامائي اشهدوا يا ملائكتي وحملة
عرشي وسكان سمواتي أني زوجت حواء أمتي عبدي آدم بديع فطرتي وصنيع يدي على صداق
تقديسي وتسبيحي وتهليلي يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الآية كذا في الخميس والعلم عند الله
(ثم ان الله تعالى أباح لهما نعيم الجنة) فقال يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة قال القرطبي وفيه تنبيه
على الخروج لان السكنى لا تكون ملكا بل مدة ثم تنقطع فدخولهما في الجنة كان دخول سكنى لا دخول
ثواب انتهى وقال ابن عطية في الحظر بقوله لا تقربا هذه الشجرة دليل على ان سكناهما بها لا تدوم
فالمخلد لا يحظر عليه شئ ولا يؤمر ولا ينهى (ونهاهما عن شجرة الحنطة) في قول ابن عباس والحسن
وعطية وقتادة والقرطبي ومحارب ومقاتل قال وهب وهي التي جعلها الله رزق أولاده في الدنيا وكانت
كل حبة ككلى البقر أحلى من العسل وألين من الزبد (وقيل) عن (شجرة العنب) وهو قول ابن
مسعود وابن جبير والسدي وجعدة بن هبيرة قالوا ولذلك حرمت الخمر على بنيه ونسبه مكي لاكثر المفسرين
(وقيل التين) عند قتادة وابن جريج وحكاه عن بعض الصحابة قال السهيلي ولذلك تعبر في الرؤيا بالندامة
لآكلها لندم آدم على أكلها وعن علي هي الكافور وانه شوري شجرة العلم وهي علم الخير والشر من أكلها
علم الاشياء وابن اسحق شجرة الحنظل وأبي مالك هي النخلة وقيل شجرة من أكل منها أحدث وقيل
غير ذلك مما يطول جلبه وقد قال ابن عطية ليس في شئ من هذا التعيين ما يعضده خبر وانما الصواب
أن يعتقد أن الله نهى آدم عن شجرة فخالف وأكل منها وقال أبو نصر القشيري كان والدي يقول نعلم
على الجملة أنها كانت شجرة المحنة وقال ابن جرير الاولى أن لا تبين فان العلم بها علم لا ينفع وجهل لا يضر قال
السيوطي وقد يقال ان فيها نفعا ما اذا قلنا انها الكرم فان فيه اشارة الى أن الخمر أم الخبائث أولا
فتجتنب لئلا يكون مانعا من العود اليها في الآخرة انتهى (فحسدهما ابليس) وزن افعيل مشتق من
الابلاس وهو اليأس من رحمة الله فلم ينصرف لانه معرفة ولا نظير له في الاسماء فشبه بالاعجمية قاله أبو
عبيدة وغيره وقال الزجاج وغيره هو أعجمي لا اشتقاق له فلم يصرف للعجمة والتعريف قال النووي
وهو الصحيح وحكى الثعلبي عن ابن عباس قال كان اسمه بالسريانية عزازيل وبالعربية الحرث وفي
الدميري قال أكثر أهل اللغة والتفسير انما سمي ابليس لانه أبلس من رحمة الله (فهو أول من حسد
وتكبر) قال القرطبي وسبب تكبره انه كان رئيس ملائكة سماء الدنيا وسلطانها وسلطان الارض
وكان من أشد الملائكة اجتهادا وأكثرهم علما وكان يسوس ما بين السماء والارض فرأى لنفسه
بذلك شرفا وعظمة فذلك الذي دعاه الى الكبر فعصى فمسخه الله شيطانا رجيما فاذا كانت خطيئة الرجل
في كبر فلا ترجه وان كانت في معصية فارجه وقيل انه عبد الله ثمانين ألف سنة وأعطي الرياسة
والخزانة على الجنة استدراجا كما أعطي المنافقون الشهادة على طرف لسانهم وكما أعطي بلعام الاسم

قليصة فقالوا سلاما قال
سلام قوم منكرون الى
أن قال قالوا لا تخف
وبشروه بغلام عليم وهذا
اسحق بلا ريب لانه من
امرأته وهي المبشرة به وأما
اسمعيل فمن السرية
وأيضا فانهما بشرا به على
الكبر واليأس من الولد
وهذا بخلاف اسمعيل
فانه ولد قبل ذلك وأيضا
فان الله سبحانه أجرى
العادة البشرية ان بكر
الاولاد أحب الى الوالدين
ممن بعده وابراهيم عليه
السلام لما سأل ربه الولد
ووهبه له تعلقت شعبة
من قلبه بمحبته والله تعالى
قد اتخذه خليلا والخلة
منصب يقتضي توحيد
المحبوب بالمحبة وان
لا يشارك بينه وبين غيره
فيها فلما أخذ الولد شعبة
من قلب الوالد جاءت غيرة
الخلة تنتزعها من قلب
الخليل فأمره بذبح المحبوب
فلما أقدم على ذبحه
وكانت محبة الله أعظم
عنده من محبة الولد
خلصت الخلة حينئذ من
شوائب المشاركة فلم يبق
في الذبح مصلحة اذ كانت
المصلحة انما هي في العزم
وتوطين النفس فيه فقد
حصل المقصود فنسخ
الامر وفدي الذبيح
وصدق الخليل الرؤيا
وحصل مراد الرب ومعلوم

الاعظم على طرف لسانه وكان في رياسته والكبر متمكن في نفسه قال ابن عباس كان يرى لنفسه فضيلة على الملائكة فلذا قال أنا خير منه (فأتى الى باب الجنة) فجلس في صورة شيخ يعبد ثلثمائة سنة من الدنيا انتظار الان يخرج منها أحد ياتيه بخبر آدم فخرج الطاوس فقال له من أين قال من حديقة آدم وبستانه قال ما الخبر عنه قال هو في أحسن الحال وأطيب العيش هنأت له الجنان ونحن من خدامه فقال هل تستطيع أن تدخلني عليه قال من أنت قال من الكروبيين عندي له نصيحة قال اذهب الى رضوان فانه لايمنع أحدا من النصيحة قال أريد أن أخفيها عنهم قال الخفية لاتكون نصيحة قال نحن معاشر الكروبيين لانقول الاسرار ان فعلت ما أقول أعلمك دعاء لن تشيب بعده أبدا فقال ما أقدر ولكن أدلك على الحية فخرجت اليه فقالت كيف أدخلك ورضوان لايمكنني فقال أنا أتحول ريحا فاجعليني بين أنيابك ففعلت وأطبقت فاها فقال اذهبي الى شجرة البر فذهبت هكذا في العرائس وغيرها واياه عنى بقوله (فاحتال حتى دخل) باب (الجنة وأتى الى آدم وحواء فوقف) عند شجرة البر وغنى بمزمار وهو في فم الحية فجاء آدم وحواء يسمعان المزمار ظنا أن الحية هي التي تغنى فقال لهما ابليس تقدما فقالا نهينا عن قرب هذه الشجرة فبكى (وناح نياحة أحزنهما) بها (فهو أول من ناح فقالا) أي آدم وحواء وفي رواية فقال له آدم (ما يبكيك قال) أبكي (عليكما) لانكما (تموتان وتفقدان) بكسر القاف هذا (النعيم) فقالا له وما الموت فقال تذهب الروح والقوة وتعدم حركة الاعضاء ولا يبقى للعين رؤية ولا للاذن سماع فوقع ذلك في أنفسهما واغتما فقال لعنه الله (ألا أدلكما على شجرة الخلد) وملك لايبلى (فكلا منها) فقالا نهينا عنها فقال ما نهاكما ربكما الآية (وحلف لهما انه ناصح) أي أقسم لهما على ذلك والمفاعلة في الآية للمبالغة وقيل أقسما عليه بالله انه ناصح فأقسم لهما فجعل ذلك مقاسمة (فهو أول من حلف كاذبا وأول من غش) ولما قاسمهما قال أيكما بادر الى الاكل فله الغلبة على صاحبه (فأكلت حواء منها) حبة واحدة (ثم زينت لآدم حتى أكل) فأتت له بثلاث حبات وقالت أنا أكلت منها واحدة فكانت طيبة الطعم وما أصابني منها مضرة فمكث آدم مائة سنة بعد أكلها ثم ناول وأخذ منها الحبات وجعل منها حبة في فيه فقبل أن يصل طعمها الى حلقه وجرمها الى جوفه طار من رأسه تاجه المكلل بالدر والياقوت والجوهر ينادي يا آدم طالت حسرتك وتزحزح السرير من تحتهما وقال أستحي من الله أن أكون سرير المذنب عصاه وتساقط ما عليهما من سوار ودملج وخلخال ومنطقة مرصعة ونزع عنهما لباسهما وكان على آدم سبعمائة حلة وكان من أمرهما ما كان (و) انما أكلا لانهما (ظنا أن أحدا لايتجاسر) لايجترئ على (أنه يحلف بالله كاذبا) لعظمته سبحانه وتعالى في قلوبهما بل لم يكن الكذب مطلقا معروفا وظاهر سياق المصنف أن اللعين شافههما بالاغواء قال القرطبي وهو قول ابن مسعود وابن عباس والجمهور لقوله تعالى وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين والمقاسمة ظاهرها المشافهة وقيل بل وسوس لهما وأغواهما بشيطانه وسلطانه الذي أعطاه الله كما قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم انتهى واختلف في صفة توصله الى أزلالهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم فقيل منع دخول التكرمة لا الوسوسة ابتلاء وروى انه قصد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية وقيل لم يدخلها بعد اخراجه منها قال الحسن رآهما ببابها وكانا يخرجان وقيل كانا يدنوان من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فناداهما وقيل نادى من الارض فسمعاه من الجنة حكاه في التعليق الوجيز وقال قبله الصحيح انه لم يدخلها بل وقف بالباب وردته الخزنة عن الدخول لكن قال السيوطي الوارد عن ابن مسعود وابن عباس وأبي العالية ووهب بن منبه ومحمد ابن قيس انه دخل في فم الحية وقاولهما بذلك كما أسنده عنهم ابن جرير ولم يسند شيئا من الاقوال

المذكورة

أن هذا الامتحان والاختبار إنما حصل عند أول مولود ولم يكن ليحصل في المولود الآخر دون الاول بل لم يحصل عند المولود الآخر من مزاحمة الخلة ما يقتضي الامر بذبحه وهذا في غاية الظهور وأيضا فان سارة امرأة الخليل صلى الله عليه وسلم غارت من هاجر وابنها أشد الغيرة فانها كانت جارية فلما ولدت اسمعيل وأحبه أبوه اشتدت غيرة سارة فأمر الله سبحانه أن يبعد عنها هاجر وابنها ويسكنها في أرض مكة ليبرد عن سارة حرارة الغيرة وهذا من رحمته ورأفته فكيف يأمره سبحانه بعد هذا أن يذبح ابنها ويدع ابن الجارية بحاله هذا مع رحمة الله لها وابعاد الضرر عنها وجبره لها ٧ فكيف يأمر بعد هذا بذبح ابنها دون ابن الجارية بل حكمته البالغة اقتضت أن يأمر بذبح ولد السرية فحينئذ يرق قلب الست على ولدها وتتبدل قسوة الغيرة رحمة ويظهر لها بركة هذه الجارية وولدها وان الله لايضيع بيتا هذه وابنها منهم ويري عباده جبره بعد الكسر ولطفه بعد الشدة وان عاقبة

المذكورة عن أحد انتهى وفيه أن كونه لم يسندها لا ينفي ورودها والله أعلم (فقال الله تعالى) ابتلاء وعتابا (يا آدم ألم يكن فيما أبحت لك من الجنة مندوحة) بفتح الميم سعة وفسحة (عن هذه الشجرة قال بلى يا رب وعزتك ولكن ظننت أن أحدا لا يحلف بك كاذبا) فهذا الذي حملني على الاكل منها (قال الله وعزتي وجلالي لاهبطنك الى الارض لا تنال العيش) الا (بالكد) بفتح الكاف ودال مهملة مشددة أي تعبا فتضرع آدم واعتذر فقال لا يجاورني من عصاني أخرج فسأله بحق محمد أن يغفر له فقال قد غفرت لك بحقه ولكن لا يجاورني من عصاني فبكى وودع كل من في الجنة حتى بكت عليه أشجارها الا العود فقيل له لم تبكي قال أبكي على عاص فنودي كما عظمت أمرنا عظمنا لك ولكن هيأناك للاحراق فقال ما هذا فنودي أنت عظمتنا فكذلك يعظمونك لكن لم يحترق قلبك على حبيبنا فلذلك يحرقونك فلما انتهى لباب الجنة ووضع احدى رجليه خارج الباب قال بسم الله الرحمن الرحيم فقال له جبريل تكلمت بكلمة عظيمة فقف ساعة فربما يظهر من الغيب لطف فنودي أن دعه يخرج فقال الهي دعاك رحيما فارحمه فقال ان أرحمه لا ينقص من رحمتي شئ وان يذهب لا يعاب علي شئ فخل عنه يذهب ثم يرجع في مائة ألوف من أولاده عصاة حتى يشاهد فضلنا على أولاده ويعلم سعة رحمتنا هذا ملخص ما ساقه أصحاب القصص (فأهبط من الجنة) بسرنديب بسين وراء مهملتين فنون فدال مهملة فتحتية فموحدة من الهند بجبل نوذ بفتح النون وذال معجمة ومعه ريح الجنة فعلق بشجرها وأوديتها فامتلأ ما هنالك طيبا وأهبطت حواء بجدة وقيل بعرفة وقيل بالمزدلفة وابليس بالابلة بضم الهمزة والموحدة وشد اللام بلد بقرب البصرة وقيل أهبط بجدة والحية ببيسان وقيل بسجستان وقيل باصفهان وقيل غير ذلك واختلف في قدر مكثه في الجنة فعن ابن عباس مكث فيها نصف يوم من الآخرة وهو خمسمائة عام وهذا قول الكلبي وقال الضحاك دخلها ضحوة وخرج بين الصلاتين وقال الحسن البصري لبث فيها ساعة من نهار وهي مائة وثلاثون سنة من سني الدنيا وعن وهب وابن جرير مكث ثلاثة وأربعين عاما من أعوام الدنيا وقيل بعض يوم من أيامها وروى أحمد ومسلم والنسائي في حديث أبي هريرة مرفوعا وخلق آدم في آخر ساعة من يوم الجمعة قال ابن كثير فان كان يوم خلقه يوم اخراجه وقلنا الايام الستة كهذه الايام فقد أقام في الجنة بعض يوم من أيام الدنيا وفيه نظر وان كان اخراجه في غير اليوم الذي خلق فيه وقلنا بان كل يوم بالف سنة كما قال ابن عباس ومجاهد والضحاك واختاره ابن جرير فقد لبث هناك مدة طويلة انتهى وهذا الحديث تكلم فيه البخاري وشيخه ابن المديني وغيرهما من الحفاظ وجعلوه من قول كعب وانما سمعه أبو هريرة منه فاشتبه على بعض رواته فرفعه (وعن ابن عباس قال الله تعالى يا آدم ما حملك على ما صنعت قال زينته لي حواء) وقد ورد النساء حبائل الشيطان (قال فاني أعقبها) بضم الهمزة وسكون المهملة وكسر القاف أجازيها (أن لا تحمل الا كرها ولا تضع الا كرها) أي بمشقة (ولادميها في الشهر مرتين) قال الشارح لعل المراد انه يدميها بحصول ذلك لها في مرة أو بامكانه لها واستحقاقها اياه وأن تخلف كما في العفو عن المعاصي المستحقة للعقوبة انتهى ولا يتم الا ان ثبت انه لم يداومها كل شهر مرتين وأنى به وقيل انما عوقبت به لكونها ادمت الشجرة وقيل بكسرها قوائم الحية ويحتمل انه لذلك كله وقد روى الحاكم وابن المنذر باسناد صحيح عن ابن عباس أن ابتداء الحيض كان على حواء بعد أن أهبطت من الجنة وروى عبد الرزاق بسند صحيح عن ابن مسعود قال كان الرجال والنساء في بني اسرائيل يصلون جميعا فكانت المرأة تتشوف للرجل فالقى الله عليهن الحيض ومنعهن المساجد وعنده عن عائشة نحوه وظاهره أن أول ارساله على نساء بني اسرائيل قال البخاري وحديث النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا أمر كتبه الله على

حبهما لمر وابنها على البعد والوحدة والغربة والتسليم الى ذبح الولد آلت الى ما آلت اليه من جعل آثارهما مواطئ أقدامهما مناسك لعباده المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم القيامة وهذه سنته تعالى فيمن يريد رفعه من خلقه أن يمن عليه بعد استضعافه وذله وانكساره قال تعالى ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ولنرجع الى المقصود من سيرته صلى الله عليه وسلم وهديه وأخلاقه ولا خلاف انه ولد صلى الله عليه وسلم بجوف مكة وأن مولده كان عام الفيل وكان أمر الفيل مقدمة قدمها الله لنبيه وبيته والا فاصحاب الفيل كانوا نصارى أهل الكتاب وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة اذ ذاك لانهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي خرج من مكة وتعظيما للبيت الحرام واختلف في وفاة أبيه عبد

بنات آدم أكثر بمثلثة أشمل وبموحدة أعظم وجمع الحافظ بأن المرسل على بنات اسرائيل طول مكثه بهن عقوبة لهن لا ابتداء وجوده وقد روى الطبراني وغيره عن ابن عباس وغيره ان قوله تعالى في قصة ابراهيم وامرأته قائمة فضحكت أي حاضت والقصة متقدمة على بني اسرائيل بلا ريب انتهى وثم أجوبة أخر لا يقال ان على بنات آدم مخرج مخرج الاغراء لانها لما خلقت من ضلعه نزلت منزلة بناته مجازا أو انه ليس قصرا حقيقيا بل اقتصر على بنات آدم لكونهن من الجنس المشارك للمخاطبة بهذا الحديث وهي عائشة تسلية لها (وقال وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون وشد الموحدة المكسورة ابن كامل الحافظ أبو عبد الله الصنعاني العلامة الاخباري الصدوق ذو التصانيف أخو همام روى عن ابن عباس وابن عمر وعنه آله وسماك بن الفضل مات سنة أربع عشرة ومائة (لما أهبط آدم الى الارض مكث يبكي ثلثمائة سنة لا يرقأ) بالهمز والقاف أي لا يسكن ولا يجف (له دمع) على ما أصابه (وقال المسعودي) عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي الحافظ قال ابن نمير ثقة اختلط آخرا وقال ابن مسعر ما اعلم أحدا أعلم بعلم ابن مسعود منه مات سنة ستين أو خمس وستين ومائة (لو أن دموع أهل الارض جمعت) وجمعت دموع آدم (لكانت دموع آدم أكثر) من دموع أهل الارض (حين أخرجه الله من الجنة) حزنا على فراقها وفراق أهلها وعلى أكله من الشجرة وان غفر له قبل الخروج كما جزم به القرطبي وغيره لشدة الخشية وكمال عظمة الله في قلبه وقول شيخنا لعل المراد الى وقت التوبة مبني على انه لم يتب عليه الا بعد خروجه منها (وقال مجاهد) بن جبير بفتح الجيم وسكون الموحدة وقيل جبير بالضم مصغرا والاول أكثر المخزومي مولاهم المكي الثقة الحافظ الامام في التفسير وفي العلم أحد الاعلام المجمع على امامته وذكر ابن حبان له في الضعفاء مردود مات بمكة وهو ساجد سنة ثلاث ومائة وقيل غير ذلك خرج له في الستة (بكى آدم مائة عام لا يرفع رأسه) حياء من ربه عز وجل (الى السماء) وبهذا القيد لا ينافي قول وهب فهذه المائة بعض الثلثمائة وخصت بالذكر للقيد (وأنبت الله من دموعه العود الرطب) لعل المراد الذي يتبخر به قال شيخنا وقد ذكروا أنه مما نزل معه من الجنة فان صح ما ترجاه فيحتمل انه ما نبت في الارض الا بدموعه (والزنجبيل) عرق يسري في الارض ونباته كالقصب والبردي له قوة مسخنة يسير اباهية مذكية وان خلط برطوبة كبد المعز وجفف وسحق واكتحل به أزال الغشاوة وظلمة البصر (والصندل) خشب معروف أجوده الاحمر أو الابيض محلل للاورام نافع للخفقان والصداع ولضعف المعدة الحارة والحميات قاله وما قبله القاموس (وأنواع الطيب) عام على خاص أي الذي له رائحة وان استعمل لغيرها (وبكت حواء حتى أنبت الله من دموعها القرنفل والافاوى) الطيب وتطلق على توابل الطعام كما في المصباح وفي القاموس الافواه التوابل الواحد فوه كسوق وجمع الجمع أفاويه ونحوه في المصباح فسقوط الهاء من المصنف تخفيف أو لغة قليلة ثم وشح المؤلف تلك القصة بمنزع صوفي على عادته فقال (يا بني آدم انظروا كيف بكى أبوكم على فعلة واحدة) بفتح الفاء اسم للمرة من الفعل وفي نسخة على صغيرة واحدة ولا يناسب ترديده الاتي كذا قيل وأنت خبير بان الترديد انما هو على لسان السائل مع الجزم بانها صغيرة في الجواب فكلتاهما مناسبة (ثلثمائة سنة) مع النسيان والتاويل (فكيف بكم يا أصحاب الكبائر العظيمة) العمد (فاعتبروا) اتعظوا وقيسوا حالكم في استحقاق العقوبة بالذنب على حال أبيكم في اخراجه من الجنة بفعلة (يا أولي الابصار) البصائر (كان آدم) عليه السلام (كلما رأى الملائكة تصعد) بفتح العين مضارع صعد بكسرها (وتهبط ازداد شوقا الى الاوطان) جمع وطن أي أماكن الجنة سماها بذلك لانه أبيح له نعيمها بلا تخصيص محل منها دون آخر وفيه أشعار بتكرر رؤيته للملائكة وأنها حقيقة وهل على

الله هل توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حملا أو توفي بعد ولادته على قولين أصحهما أنه توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم حمل والثاني أنه توفي بعد ولادته بسبعة أشهر ولا خلاف ان أمه ماتت بين مكة والمدينة بالابواء منصرفها من المدينة من زيارة أخواله ولم يستكمل اذ ذاك السبع سنين وكفله جده عبد المطلب وتوفي ولرسول الله صلى الله عليه وسلم نحو ثمان سنين وقيل ست وقيل عشر ثم كفله عمه أبو طالب واستمرت كفالته له فلما بلغ ثنتي عشرة سنة خرج به عمه الى الشام وقيل كانت سنة تسع سنين وفي هذه الخرجة رآه بحيرا الراهب وأمر عمه ان لا يقدم به الى الشام خوفا عليه من اليهود فبعثه عمه مع بعض غلمانه الى المدينة ووقع في كتاب الترمذي وغيره أنه بعث معه بلالا وهو من الغلط الواضح فان بلالا اذ ذاك لعله لم يكن موجودا وان كان فلم يكن مع عمه ولا مع أبي بكر وذكر البزار في مسنده هذا الحديث ولم يقل وأرسل معه عمه بلالا ولكن قال رجلا فلما بلغ خمسا وعشرين سنة خرج الى

صورهم الاصلية أوغيرها محل نظر وقد ذكروا أن من خصائص المصطفى رؤيته جبريل على صورته مرتين (وتذكر العهد) الامان الذى كان فيه قبل هبوطه أو المنزل فهو كالتفسير للاوطان أو أل عهدية أى تذكر عهد الله الذى نسيه فصار فى هذه الحالة (والجيران) جمع جار وهو المجاور فى السكن والمراد الملائكة وغيرهم من الحيوان سماهم جيرانا لكونهم معه فى الجنة (يا أصحاب الذنوب احذروا زلة يقون فيها الحبيب) لمحبه (هذا فراق بينى وبينك) تلميح بقصة موسى مع الخضر لان آدم لما أكل تباعد عنه أحبابه وما أواه أحد فكأنهم قالوا له ذلك (فياذا العقل السليم انظر) بعقلك (كيف جلس أبوك آدم على سرير المملكة) مر قول الحكيم انه من ذهب أو ياقوت أجزاؤه سبعمائة قائمة ونحوه فى المشكاة وذلك أى ادعاء انه تمثيل من حيث جعله سرير المملكة وان سلم فهو صورة جعلت لآدم أجلس عليها تكريما وعبر عنها بذلك مجازا فان الاصل الحقيقة واثبات الصورة يمنع التمثيل وغاية الامر أن التجوز فى الاضافة للملكة مع انه مسمى بذلك عندهم كما أفاده الخبر وما به ضرر فليس أقوى من اضافة العرش والكرسى لله فى التنزيل مع تنزهه سبحانه عن الحلول والجسم (فدليه الى لقمة نهى عنها فاخرج من الجنة فاحذروا يا بنيه عواقب المعاصى فانها من نزلت به) أى اصابته (نزلت به) أى خفضته (وحطته عن مرتبته) عطف تفسير (فان قلت هذه الفعلة) بفتح الفاء للمرة كما مر وبكسرها اسما للهيئة أى ماهيئة هذه الفعلة (التى أهبط بها آدم من الجنة) أبالغة فى المخالفة فتكون كبيرة أم لا (ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء) اجماعا لا قبل النبوة ولا بعدها (وان كانت صغيرة) وقلتم بجوازها عليهم فالصغائر مغفورة باجتناب الكبائر لآحاد الامة فكيف بنبى ولد الانبياء (فلم جرى عليه بسببها ماجرى من نزع اللباس) بمجرد تعلق الارادة لا بفعل فاعل لما مر أنه بمجرد وضع الحبة فى فيه طار عنه تاجه وتهافتت ثيابه (والاخراج من الجنة وغير ذلك) من المعاتبة بنحو قوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة والفضيحة ببدو السوأة وتهافت اللباس ووهن الجلد بعدما كان كالظفر والاخراج من الجنة مع النداء لا يجاورنى من عصانى والفرقة بينه وبين حواء مدة والعداوة بعضكم لبعض عدو والنداء بالنسيان فنسى ولم نجد له عزما وتسليط العدو على ولده وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وجعل الدنيا سجنا له وولده والتعب والشقاء فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهذه خصال ابتلى بها آدم عليه السلام وبها ابتليت حواء مع خمس عشرة معها تطلب من التواريخ قلت (أجاب الزمخشرى) أبو القاسم محمود العلامة جار الله المعتزلى قال ابن خلكان وغيره كان يتظاهر به واذا استأذن على صاحب له بالدخول يقول أبو القاسم المعتزلى بالباب وأول ما صنف الكشاف توفى ليلة عرفة سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة (بانها ما كانت الاصغيرة مغمورة) بغين معجمة مستورة (باعمال قلبه من الاخلاص والاذكار الصالحة التى هى أجل الطاعات وأعظم الاعمال) والصغيرة اذا غلبتها الطاعات لا يؤاخذ بها (وانما جرى عليه ماجرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا) بفاء معجمة اظهارا (لشأنها) أى قبحها وفى القاموس الشأن الخطب والامر فلعل الاضافة بيانية ولم يقل لها قصدا للمبالغة كما هو عادتهم (وتهويلا) تخويفا لمرتكب الخطيئة (ليكون ذلك لطفا) بضم اللام رفقا (له ولذريته فى اجتناب الخطايا) لان ذلك كان سببا لما حصل له من الكمالات فى الدنيا المفيدة لكثرة الثواب وعظم المنزلة فى الآخرة (واتقاء المآثم) جمع مأثم عطف تفسير وصريح هذا الجواب جواز وقوع الصغيرة من الانبياء قال القرطبى وهو مذهب الاكثرين والمراد نسيانا لا الدالة على خسة كسرقة لقمة بل قال الطبرى وغيره من الفقهاء المتكلمين والمحدثين تقع الصغائر منهم خلافا للرافضة لكن قال جمهور الفقهاء من أصحاب مالك وأبى حنيفة والشافعى انهم معصومون من الصغائر كلها انتهى والاخير رأى الاسفراينى وعياض والشهرستانى

الشام فى تجارة ثم وصل الى بصرى ثم رجع فتزوج عقب رجوعه خديجة بنت خويلد وقيل تزوجها وله ثلاثون سنة وقيل احدى وعشرون وسنها أربعون وهى أول امرأة تزوجها وأول امرأة ماتت من نسائه ولم ينكح عليها غيرها وأمر جبريل أن يقرئ عليها السلام من ربها ثم حبب الله اليه الخلوة والتعبد لربه وكان يخلو بغار حراء يتعبد فيه الليالى ذوات العدد وبغضت اليه الاوثان ودين قومه فلم يكن شئ أبغض اليه من ذلك فلما كمل له أربعون أشرقت عليه أنوار النبوة وأكرمه الله تعالى برسالته وبعثه الى خلقه واختصه بكرامته وجعله أمينه بينه وبين عباده ولا خلاف ان مبعثه صلى الله عليه وسلم كان يوم الاثنين واختلف فى شهر المبعث فقيل لثمان مضين من ربيع الاول سنة احدى وأربعين من عام الفيل هذا قول الاكثرين وقيل بل كان ذلك فى رمضان واحتج هؤلاء بقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن قالوا أول ما أكرمه

والتقي السبكي لكن امتهم على الله أن يصدر عنهم ذنب وقد استدل الاولون بظواهر من الكتاب والسنة ان التزموها أفضت بهم الى الكفر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلفت فيه وتقابلت الاحتمالات في معناه كما بسطه عياض في الشفاء وبذا قال شيخنا الاولى والجواب بان محل عصمتهم من الصغائر ان لم يترتب عليها تشريع ونحوه فجاز وقوع ما هو صورة صغيرة من آدم لما ترتب عليها من المنافع له ولذريته فلا ينافي انها لا تقع منهم لا عمدا ولا سهوا (يا هذا انظر كم لله من لطف وحكمة في اهباط آدم من الجنة الى الارض) الظاهر ان الحكمة هنا الفائدة المترتبة على هبوطه كما يشير اليه قوله (لولا نزوله لما ظهر جهاد المجتهدين واجتهاد العابدين) وان كانت الحكمة في الاصل تحقيق العلم واتقان العمل (ولا صعدت) بكسر العين (زفرات) بفتح الزاي والفاء وتسكن للشعر جمع زفرة أي أصوات (أنفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبين) وفي تفسير القرطبي لم يكن أخراج الله آدم من الجنة عقوبة له لانه أهبطه بعد أن تاب عليه وقبل توبته وانما أهبطه تأديبا أو تغليظا للمحنة والصحيح في اهباطه وسكناه في الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية في ذلك وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروي اذ الجنة والنار ليستا داري تكليف فكانت تلك الاكلة سبب اهباطه ولله فعل ما شاء وقد قال اني جاعل في الارض خليفة وقال أرباب المعاني في قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة اشعار بوقوع في الخطيئة والخروج من الجنة وأن سكناه لا تدوم لان المخلد لا يحظر عليه شئ ولا يؤمر ولا ينهى والدليل عليه اني جاعل في الارض خليفة انتهى وفي الاحوذي خروجه منها سبب لوجود الذرية وهذا النسل العظيم ووجود الانبياء والمرسلين والصالحين ولم يخرج منها طردا بل لقضاء أوطار ثم يعود اليها انتهى ولما تاب الله على آدم بين له بالوحي والالهام ما اطمانت به نفسه وذهب به روعه حتى كانه قال له (يا آدم ان كنت أهبطت من دار القرب) فلا تحزن (فاني قريب مجيب) فقربي لك في الجنة كهو في الارض (أجيب دعوة الداعي ان كان حصل لك من الاخراج كسر) وهو الواقع (فانا عند المنكسرة قلوبهم) اسم فاعل من انكسر مطاوع كسر من باب ضرب وبه وصف القلب به تجوز كانه شبه ضعفه وذلته بتفرق أجزاء شئ منكسر (من أجلي) وليس هذا الحديث قدسي فغاية ما في المقاصد حديث أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي جرى في البداية للغزالي (ان كان فاتك في السماء زجل) بفتح الزاي والجيم ولام أصوات (المسبحين فقد تعوضت في الارض أنين المذنبين) ولا تقل فرق بينهما (فانين المذنبين أحب الينا من تسبيحهم) أي المسبحين واذا أحب الينا فانت تحب ما نحب (زجل المسبحين) من حيث هم لا مسبحي السماء (ربما يشوبه الافتخار) فيفسده (وأنين المذنبين يزينه الانكسار) فبواسطته فاق الثاني ثم رشح هذا الوارد الصوفي المساق عن الحق جل جلاله على طريق الصوفية بقوله صلى الله عليه وسلم فيما رواه مسلم من حديث أبي هريرة بلفظ والذي نفسي بيده (لو لم تذنبوا لذهب الله بكم) أي لاماتكم بانقضاء آجالكم (ولجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون) الله تعالى (فيغفر لهم) ليكونوا مظهر المغفرة التي وصف بها ذاته كقوله فاني غفور رحيم فالغفار يستدعي مغفورا والرحيم مرحوما أي فلا تمنعكم ذنوبكم من التوبة والانابة لييأسكم من روح الله فليس اذنا في الذنب ولا حثا عليه بل المقصود منه مجرد التنبيه على عظم الفضل وسعة المغفرة والحث على التوبة قال الطيبي لم يرد به وبنحوه قلة الاحتفال بمواقعة الذنوب كما توهمه أهل الغرة بل كما انه أحب الاحسان الى المحسن أحب التجاوز عن المسيء فمراده لم يكن ليجعل العباد كالملائكة منزهين عن الذنوب بل خلق فيهم من يميل بطبعه الى الهوى ثم كلفه توقيه وعرفه التوبة بعد الابتلاء فان وفى فاجره على الله وان أخطا

الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن والى هذا ذهب جماعة منهم يحيى الصرصري حيث يقول في نونيته

وأتت عليه أربعون فاشرقت
شمس النبوة منه في رمضان

والاولون قالوا انما كان أنزل القرآن في رمضان جملة واحدة في ليلة القدر الى بيت العزة ثم أنزل منجما بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة وقالت طائفة أنزل فيه القرآن أي في شأنه وتعظيمه وفرض صومه وقيل كان ابتداء المبعث في شهر رجب وكمل الله له من مراتب الوحي مراتب عديدة (احداها) الرؤيا الصادقة وكانت مبدأ وحيه صلى الله عليه وسلم وكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح (الثانية) ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير ان يراه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله فان ما عند الله لا ينال الا بطاعته (الثالثة) أنه

فالتوبة بين يديه وسر ذلك اظهار صفة الكرم والحلم والغفران ولولم يوجد لانثلم طرف من صفة الالوهية والله يتجلى لعبده بصفات الجلال والاكرام فى القهر واللطف اهـ (سبحان من اذا لطف بعبده فى المحن) بكسر ففتح جمع محنة أى البلايا (قلبها) صيرها أو أبدلها (منحا) بكسر ففتح عطايا (واذا خذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وكان عليه) اجتهاده (وبالا) فقد (لقن الله آدم حجته) حيث قال ما ظننت أن أحدا يحلف بك كاذبا وقال قوم ان آدم وحواء ما أكلا من الشجرة المنهى عنها وانما أكلا من جنسها تأولا أن المراد العين وكان المراد الجنس حكاه القرطبى (وألقى عليه ما يقبل به توبته) هو كما قال ابن عباس والحسن وابن جبير والضحاك وابن مجاهد ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن مجاهد أيضا سبحانك اللهم لا اله الا أنت ظلمت نفسى فاغفر لى انك أنت الغفور الرحيم وقيل رأى مكتوبا على ساق العرش محمد رسول الله فتشفع به وقيل المراد البكاء والحياء والدعاء والندم والاستغفار ذكره القرطبى (وطرد ابليس اللعين بعد طول خدمته) مر عن القرطبى أنه عبد الله ثمانين ألف سنة وفى منتهى النقول تسعة ألف سنة وفى الخميس مائتين وأربعين ألف سنة ولم يبق فى السموات والارضين السبع موضع شبر الا سجد فيه فقال الهى هل بقى موضع لم أسجد فيه فقال اسجد لآدم فقال أتفضله على قال أفعل ما أشاء ولا أسئل عما أفعل فأبى فطرد ولعن وفى المشكاة قال الحسن عبد الله فى السماء سبعمائة ألف وسبعين ألفا وخمسة آلاف سنة وعبد الله فى الارض فلم يترك موضع قدم الا سجد فيه سجدة (فصار عمله هباء منثورا) هو ما يرى فى الكوى التى عليها الشمس كالغبار المفرق أى مثله فى عدم النفع به لعدم شرطه (قال) تعالى (أخرج) التلاوة فاخرج وصرح الدماميني عن ابن السبكى بجواز حذف العاطف فى الاستدلال بل والاتيان بواو وفاء لانه ليس المراد الا ما بعده وقد كتب صلى الله عليه وسلم لهرقل ويا أهل الكتاب (منها) أى فى الجنة لا السماء اذ لم يمنع منها الا بعد البعثة (فانك رجيم) مطرود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجارة أو شيطان يرجم بالشهب (وأن عليك اللعنة) هذا الطرد والابعاد (الى يوم الدين) يوم القيامة وانما غياه لانتهاء التكليف الذى هو مظنة الفعل سبب التوبة ومعلوم انه حيث انتفى سبب التوبة تأبد الطرد أو لكونه أبعد ما يتعارفه الناس فجرى على أسلوب كلامهم أو لانه لشدة العذاب يوم القيامة يذهل عن كونه مطرودا عن الرحمة بخلاف الدنيا فانه بالعيان عالم بالطرد (اذا وضع عدله على عبد) أى اذا جازاه على فعله بمقتضى عدله (لم يبق) بضم الياء أى الله وفتحها (له حسنة) بالنصب والرفع لان العبد لا يخلو من أفعال مقتضية للمؤاخذة قال تعالى ولو يؤاخذ الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة أى من يدب عليها بشؤم المعاصى وقيل المراد بالدابة الانس فقط (واذا بسط فضله على عبد) أى عامله بالرحمة والمغفرة (لم يبق له سيئة) أى لم يؤاخذه بذنوبه والمراد أن حسناته وسيئاته تمحيان من صحف الملائكة ليكون ذلك بالنسبة للحسنة أشد فى ادخال الاسف والحزن عليه لتفريطه حتى ذهبت حسناته وبالنسبة للسيئة أبلغ فى الستر عليه كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تاب العبد أنسى الله الحفظة ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى الله وليس عليه شاهد من الله بذنب رواه الاصبهانى فى الترغيب والحكيم الترمذى فى النوادر وابن عساكر وعبر فى الاول بوضع لمناسبته للوزن والمحاسبة وفى الثانى بالبسط لانه المناسب للعفو والستر (انظر) من النظر بمعنى أعمال الفكر ومزيد التدبر والتأمل قال الراغب النظر اجالة الخاطر نحو المرئى لادراك البصيرة اياه فللقلب عين كما ان للبدن عينا (لما ظهرت فضائل آدم عليه الصلاة والسلام على الخلائق) من الملائكة وغيرهم (بالعلم) المشار اليه بقوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها وبما آتاه الله من قوة العقل قال أبو امامة لو أن أحلام بنى آدم منذ خلق الله

صلى الله عليه وسلم كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه حتى يعى عنه ما يقول له وفى هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا (الرابعة) أنه كان يأتيه فى مثل صلصلة الجرس وكان أشده عليه فيلتبس به الملك حتى ان جبينه ليتفصد عرقا فى اليوم الشديد البرد وحتى ان راحلته لتبرك به الى الارض اذا كان راكبها ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها (الخامسة) أنه يرى الملك فى صورته التى خلق عليها فيوحى اليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك فى سورة النجم (السادسة) ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها (السابعة) كلام الله له منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم الله موسى بن عمران وهذه المرتبة هى ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن وثبوتها لنبينا صلى الله عليه وسلم هو فى حديث الاسراء وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة وهى تكليم الله له كفاحا من غير حجاب وهذا

الخلق الى يوم القيامة وضعت فى كفة ميزان ووضع حلم آدم فى كفة أخرى لرجحهم قال القرطبي يحتمل أن يخص من عمومه المصطفى فانه أوفر الناس حلما ويحتمل ان المعنى غير الانبياء (وكان العلم لا يكمل الا بالعمل بمقتضاه والجنة ليست دار عمل ومجاهدة وانما هى دار نعيم ومشاهدة) فيه اشارة الى جنة المأوى (قيل له يا آدم اهبط الى أرض الجهاد) اضافة بيانية أى هى جهاد النفس (وصابر جنود الهوى) بالقصر أى هوى النفس أى ميلها الى مشتهياتها (بالجد) بالكسر ضد الهزل (والاجتهاد) بذل الوسع فهو مغاير للجد مفهوما مغاير به ماصدقا على مقتضى المختار والمصباح يقتضى تساويهما (وكأنك بالعيش الماضى) أى نعيم الجنة الذى فارقته (وقد عاد) اليك بانتقالك للدار الآخرة والنعيم المقيم وفيه اشارة الى أن الدنيا وان طالت لا تعد شيأ بالنسبة لنعيم الآخرة لبقائها وفناء الدنيا والفانى كالعدم بالنسبة للباقى (على) حال (أكمل من ذلك) الحال (المعتاد) لك أولا فى الجنة (ولما أظهر) عطف على لما ظهرت (ابليس عليه اللعنة) كذا فى كثير من النسخ بالواو ووقع فى نسخة شيخنا بدونها فقال ينبغى تقديرها (الحسد) لآدم (سعى فى الاذى) له (حتى كان سببا فى اخراج السيد آدم من الجنة) فى حديث رواه اليافعى فى نفحات الازهار عن على رفعه هبط على جبريل فقال ان لكل شئ سيدا فسيد البشر آدم وسيد ولد آدم أنت فان صح ففى الفتح السيادة لا تقتضى الافضلية فقد قال عمر أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا وقال ابن عمر ما رأيت أسود من معاوية مع انه رأى العمرين (وما فهم الابله) بفتح الهمزة عديم المعرفة الاحمق الخالى من التمييز ووصفه بذلك مشعر بانه سلب العلم عند كفره قال القرطبى لا خلاف انه كان عالما بالله قبل كفره فمن قال كفر جهلا قال سلب العلم عند كفره ومن قال عنادا قال كفر ومعه علمه قال ابن عطية والكفر مع بقاء العلم مستبعد الا أنه عندى جائز لا يستحيل مع خذل الله لمن يشاء قال واختلف هل كان قبله كافر فقيل لا وهو أول من كفر وقيل كان قبله قوم كفار وهم الجن الذين كانوا فى الارض وهل كفر جهلا أو عنادا قولان لاهل السنة (أن آدم اذا أخرج من الجنة كملت فضائله ثم عاد الى الجنة على أكمل من الحال الاول) ولو فهم ذلك ماسعى فيه قال القرطبى لم يقصد ابليس اخراجه منها وانما أراد اسقاطه عن مرتبته وابعاده كما أبعد هو فلم يبلغ مقصده ولا أدرك مراده بل ازداد غبنا وغيظ نفس وخيبة ظن قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فصار خليفة الله فى أرضه بعد أن كان جاره فى داره اه (قالوا) أى الصوفية ونسبه للكل كأنه لظهوره صدر عن الجميع فليس المراد التبرى (وفيه) أى اخراج آدم من الجنة (اشارة) هى شئ يدل على النطق فهى مرادفة له (كأنه تعالى يقول لو غفرت فى الجنة لما تبين كرمى بانى أغفر) الباء سببية علة للنفى أى لا ينتفى تبين كرمى لانى انما غفرت (لنفس واحدة) والغفر لها لا يستدعى سعة الكرم وفى نسخة بان اغفر أى بسبب المغفرة (بل أؤخره) بهمزتين أولاهما مضمومة (الى الدنيا وآتى بالوف من العصاة حتى أغفر لهم وله) يوم القيامة (ليتبين) له ولغيره (جودى وكرمى) وكأن هؤلاء الذين جعلوا هذا اشارة واستنبطوه لم يقفوا عليه منصوصا وفى الخميس كغيره كأمر قول الله تعالى لجبريل ان رحمته لا ينقص من رحمتى شئ وان يذهب لا يعاب عليه شئ فخل عنه حتى يذهب ثم يرجع غدا فى مائة ألوف من أولاده عصاة حتى يشاهد فضلنا على أولاده ويعلم سعة رحمتنا (وأيضا علم الله تعالى أن فى صلبه الاولاد والجنة ليست دار توالد) أى تكثر فيها الاولاد فلا ينافى ما حكاه ابن اسحق عن بعض أهل الكتاب ان صح ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل ان يأكل من الشجرة فحملت بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما (وأيضا ليخرج) الله (من ظهره فى الدنيا من لا نصيب له فى الجنة) وهم الكفار لما سبق منه سبحانه وتعالى أن فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير وقال الاستاذ التاج فى التنوير

فكان

على مذهب من يقول انه صلى الله عليه وسلم رأى ربه تبارك وتعالى وهى مسئلة خلاف بين السلف والخلف وان كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمى اجماع الصحابة.

(فصل فى ختانه صلى الله عليه وسلم) وقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه ولد مختونا مسرورا وروى فى ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج بن الجوزى فى الموضوعات وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيرا من الناس يولد مختونا وقال الميمونى قلت لابى عبد الله مسئلة سئلت عنها ختان ختن صبيا فلم يستقص قال اذا كان الختان جاوز نصف الحشفة الى فوق فلا يعيد لان الحشفة تغلظ وكلما غلظت ارتفع الختان فاما اذا كان الختان دون النصف فكنت أرى ان يعيد قلت فان الاعادة شديدة جدا وقد يخاف عليه من الاعادة فقال لا أدرى ثم قال لى فان ههنا رجلا ولد له ابن مختون فاغتم لذلك غما

فكان مراد الحق من آدم الاكل من الشجرة ليتوله الى الارض ويستخلفه فيها فكان هبوطا في الصورة رقيا في المعنى ولذا قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي والله ما أنزل الله آدم الى الارض لينقصه انما أنزله الى الارض ليكمله ثم قال فما أنزله الى الارض الا ليكمل له وجود التعريف ويقيمه بوظائف التكليف فتكاملت في آدم العبد عبودية التعريف وعبودية التكليف فعظمت منة الله عليه وتوافر احسانه اليه اه (ياهذا الجنة ان شاء الله اقطاعنا) أي معطاة لنا نرتفق بها ونتنعم فيها بأنواع النعم أطلق الاقطاع عليها استعارة أو تشبيها والمعنى انها لنا كالاقطاع وهو ما يعطيه الامام من أرض الخراج (وقد وصل منشور الاقطاع) أي وصل خبرها الينا (مع جبريل عليه السلام الى نبينا صلى الله عليه وسلم) والدليل على وصوله قوله تعالى (وبشر الذين آمنوا) صدقوا بالله (وعملوا الصالحات) من الفروض والنوافل (أن) أي بان (لهم جنات) حدائق ذات شجر ومساكن (تجري من تحتها) أي تحت أشجارها وقصورها (الانهار) أي المياه فيها والنهر الموضع الذي يجري فيه الماء لان الماء ينهره أي يحفره واسناد الجري اليه مجاز (انما يخرج الاقطاع) بتحتية نظر اللفظ الاقطاع فانه مذكر وفوقية نظر المعناه وهي الارض اذهي مؤنثة ان أرضي واسعة (عمن خرج عن الطاعة نسأل الله التوفيق) وأتى بهذا تأكيدا لاستحقاق المؤمنين نعيم الجنة بمقتضى الوعد وتنبيها على ان استحقاقهم لذلك مشروط ببقائهم على الطاعة وامتثال الاوامر واجتناب النواهي وأنهم اذا خالفوا ذلك استحقوا العذاب بمقتضى الوعيد وقرب ذلك بما هو مشاهد من معاملة السلطان لرعاياه فيما لو أنعم على بعضهم بسبب نصحه في الخدمة فانه اذا خرج عنها عاقبه ومنعه ما أولاه من أرض ونحوها (وقد اختلف في الجنة) بالفتح واحدة الجنات قال القرطبي وهي البساتين سميت جنات لانها تجن من فيها أي تستره بشجرها ومنه المجن والجنين والجنة (التي سكنها آدم) حين قيل له اسكن أنت وزوجك الجنة (فقيل هي جنة الخلد) وهو قول جمهور الاشاعرة بل حكى ابن بطال عن بعض المشايخ اجماع أهل السنة عليه لان اللام للعهد ولا معهود غيرها ولقوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى وذلك صفة جنة الخلد ولقوله اهبطوا منها والهبوط يكون من علو الى سفل ولا يستقيم ذلك في بستان مخلوق على الارض ولان موسى لما لقي آدم عليهما السلام وقال له أنت أتعبت ذريتك وأخرجتهم من الجنة لم ينكر ذلك آدم وانما قال أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن أخلق الحديث في الصحيح ولو كانت غيرها لرد على موسى (وقيل) هي (غيرها) حكاه منذر بن سعيد زاعما كثرة الادلة عليه وحكاه الماوردي والرازي وابن عقيل والقرطبي والرماني وغيرهم واختلف القائلون به فقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الاصبهاني وحكاه الثعلبي عن القدرية هي بستان بالارض أي بارض عدن كما في القرطبي أو بارض فلسطين أو بين فارس وكرمان كما في البيضاوي قال الرازي وابن عقيل ويحمل هؤلاء الهبوط على الانتقال من بقعة الى بقعة كما في اهبطوا مصرا وقيل هي جنة أخرى كانت فوق السماء السابعة وهو قول أبي هاشم ورواية عن الجبائي قال ابن عقيل وهي دعوى بلا دليل فلم يثبت أن في السماء غير بساتين جنة الخلد اه (جعلها الله دار ابتلاء) لآدم وحواء (لان جنة الخلد انما يدخل اليها يوم القيامة) وهذه قد دخلت قبله (ولانها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهي) فلو كانت هي ما وجدوا فيها (ودار سلامة) من الآفات وكل خوف وحزن (لا دار ابتلاء وامتحان) وقد وجدا فيها (ودار قرار) لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين (لا دار انتقال) وقد انتقلوا منها فدل ذلك كله على أنها غيرها (واحتج القائلون بانها جنة الخلد) قيل هي واحدة لها أسماء وقيل سبع ورجح جماعة انها أربع لما في سورة الرحمن وتحتها افراد كثيرة لحديث الصحيح انها جنان كثيرة وعليهما فاطلاق المصنف مجاز من تسمية الكل باسم الجزء أي أجابوا عن

شديدا فقلت له اذا كان الله قد كفاك المؤنة فما عملت بهذا انتهى وحدثني صاحبنا أبو عبد الله محمد ابن عثمان الخليلي المحدث ببيت المقدس انه ولد كذلك وأن أهله لم يختنوه والناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (القول الثاني) أنه ختن صلى الله عليه وسلم يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليمة (القول الثالث) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مادبة وسماه محمدا قال أبو عمر وبن عبد البر وفي هذا الباب حديث مسند غريب حدثناه أحمد بن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن عيسى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني حدثنا الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبد المطلب ختن النبي صلى الله عليه وسلم يوم سابعه وجعل له مادبة وسماه محمدا صلى الله عليه وسلم قال يحيى بن أيوب طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته

تلك الشبه التى احتج بها القائلون بأنها غيرها والافلم يظهر مما ذكره المصنف دليل على أنها جنة الخلد فأجابوا عن الشبهة الاولى (بان الدخول العارض قد يقع قبل يوم القيامة و) دليل ذلك انه (قد دخلها نبينا صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء) ثم خرج منها وأخبر بما فيها وانها جنة الخلد حقا (وبان ماذكره) القائلون بأنها غيرها (من ان الجنة لا يوجد فيها ما وجده آدم من الحزن) بنحو تساقط اللباس (والنصب) التعب بنحو طلب ورق الجنة يستر به سوأته (فانما) الاولى حذف الفاء لانه خبر أن أوهى تعليلية لمحذوف أى ماذكروه من كذا لا يصح فانما (هو اذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فان ذلك مقرون بدخول المؤمنين اياها) يوم القيامة وسكت عن جواب الاخير لعلمه من هذا وهو أن كونها دار قرار انما هو يوم القيامة (والله أعلم اه) وظاهر المصنف بل صريحه تساوى القولين وليس كذلك فقد قال القرطبي هى جنة الخلد ولا التفات الى ماذهب اليه المعتزلة والقدرية من انه لم يكن فيها وانما كان فى جنة بعدن وذكر أدلتهم وردها بما يطول ورجح أبو القاسم الرمانى فى تفسيره انها جنة الخلد أيضا وقال هو قول الحسن وعمرو وواصل وعليه أهل التفسير (وروى انه لما خرج آدم من الجنة) أى لما أراد الخروج لما فى الخميس ان الله لما قال له اخرج لا يجاورنى من عصانى رفع آدم طرفه الى العرش فاذا هو مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يارب بحق محمد اغفر لى فقال قد غفرت لك بحقه ولكن لا يجاورنى من عصانى ويأتى للمصنف فى المقصد الثانى ما يصرح بان آدم رأى كتابة اسمه على العرش قبل تمام خلقه ومر الخلاف فى قدر مكثه فى الجنة (رأى مكتوبا على ساق العرش) وكانت الكتابة قبل خلق السموات والارض بالفى سنة كما روى عن أنس (وعلى كل موضع فى الجنة) من قصر وغرفة ونحو ورحور عين وورق شجرة طوبى وورق سدرة المنتهى وأطراف الحجب وبين أعين الملائكة رواه ابن عساكر عن كعب الاحبار نقله المصنف فى المقصد الثانى (اسم محمد) اضافة بيانية فلا يرد ان لفظ محمد وضع له اسم دال عليه فالمرئى ذلك الاسم لا لفظ محمد (صلى الله عليه وسلم) حال كونه (مقرونا باسم الله تعالى) وهو لا اله الا الله محمد رسول الله (فقال) آدم (يارب هذا) الاسم الذى هو (محمد من هو) من الذات المسماة به (فقال الله تعالى هذا ولدك الذى لولاه ماخلقتك فقال) آدم (يارب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد فنودى) على لسان ملك أمره الله بالنداء (يا آدم) قد قبلنا دعاءك و(لو تشفعت الينا بمحمد فى أهل السموات والارض لشفعناك) قبلنا شفاعتك (وعن عمر بن الخطاب) القرشى العدوى أمير المؤمنين ثانى الخلفاء ضجيع المصطفى مناقبه شهيرة كثيرة (رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اقترف) بقاف وآخره فاء أى فعل (آدم الخطيئة قال يارب أسألك بحق محمد الا ما غفرت لى) وفى نسخة لما بفتح اللام وشد الميم بمعنى الا الاستثنائية كقوله تعالى لما عليها حافظ فى قراءة شد الميم (فقال الله تعالى يا آدم وكيف عرفت محمدا ولم أخلقه) أى جسده فلا ينافى انه خلق نوره قبل جميع الكائنات وفيه اظهار فضيلة آدم حيث تنبه وسال عن صاحب الاسم بعد رؤيته مكتوبا (قال يارب لانك لما خلقتنى بيدك) أى من غير واسطة كأم وأب (ونفخت) أجريت (فى من روحك) فصيرتنى حيا واضافة الروح الى الله تشريف لآدم (رفعت رأسى فرأيت على قوائم العرش مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انك لم تضف الى اسمك الا أحب الخلق اليك) وهذا من وفور عقل آدم وبديع استنباطه (فقال الله تعالى صدقت يا آدم انه لأحب الخلق الى واذ سألتنى) تعليلية أى ولسؤالك اياى (بحقه قد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك رواه البيهقى) ونقلته (من دلائله) أى كتابه دلائل النبوة الذى قال فيه الحافظ الذهبى عليك به فانه كله هدى ونور (من حديث عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم) المدنى عن أبيه وابن المنكدر وعنه اصبغ وقتيبة وهشام ضعفوه له تفسير توفى سنة

الا عند ابن أبى السرى وقد وقعت هذه المسئلة بين رجلين فاضلين صنف أحدهما مصنفا فى أنه ولد مختونا وأجلب فيه من الاحاديث التى لا خطام لها ولا زمان وهو كمال الدين ابن طلحة فنقضه عليه كمال الدين ابن العديم وبين فيه أنه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنيا عن نقل معين فيها والله أعلم

*(فصل فى أمهاته صلى الله عليه وسلم) اللاتى أرضعنه فمنهن ثويبة مولاة أبى لهب أرضعته أياما وأرضعت معه أبا سلمة عبد الله بن عبد الاشد المخزومى بلبن ابنها مسروح وأرضعت معهما عمه حمزة بن عبد المطلب واختلف فى اسلامها فالله أعلم ثم أرضعته حليمة السعدية بلبن ابنها عبد الله أخى أنيسة وجذامة وهى الشيماء أولاد الحرث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى واختلف فى اسلام أبويه من الرضاعة فالله أعلم وأرضعت معه ابن عمه أبا سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم

اثنتين وثمانين ومائة (وقال) البيهقي (تفرد به عبد الرحمن) أي لم يتابعه عليه غيره فهو غريب مع ضعف راويه (ورواه الحاكم وصححه وذكره) أي رواه (الطبراني) الامام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي مسند الدنيا الحافظ المكثر صاحب التصانيف الكثيرة أخذ عن أكثر من ألف شيخ كأبي زرعة الرازي وطبقته وعنه أبو نعيم وغيره قال الذهبي ثقة صدوق واسع الحفظ بصير بالعلل والرجال والابواب اليه المنتهى في الحديث وعلومه مات بمصر سنة ستين وثلثمائة عن مائة سنة وعشرة أشهر (وزاد فيه) أي في آخره (وهو آخر الانبياء من ذريتك وفي حديث سلمان) الفارسي الذي تشتاق له الجنة شهد الخندق وما بعدها وعاش دهرا طويلا حتى قيل انه أدرك حوارى عيسى ويأتي ان شاء الله تحقيق ذلك في خدمه صلى الله عليه وسلم (عند ابن عساكر) الحافظ أبي القاسم على بن الحسين بن هبة الله الدمشقي الشافعي صاحب تاريخ دمشق وغيره من المصنفات الثقة الثبت الحجة المتقن غزير العلم كثير الفضل دين خير ولد سنة تسع وتسعين وأربعمائة ورحل الى بغداد وغيرها وسمع من نحو ألف وثلثمائة شيخ ونيف وثمانين امرأة وروى عنه من لا يحصى ثناء الناس عليه كثير مات سنة احدى وسبعين وخمسمائة (قال هبط جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم) أرسله سلمان فيحمل على انه حمله عن المصطفى أو ممن سمعه منه (فقال) له (ان ربك يقول لك) (ان كنت اتخذت ابراهيم خليلا) كما علمته تحقيقا (ف) اعلم وتحقق اني (قد اتخذتك حبيبا) فابشر وطب نفسا فاني بصورة الشك تطمينا له أوان بمعنى اذ فلا يرد أن استعمال ان انما هو في المشكوك فيه ولا شك هنا (وما خلقت خلقا أكرم على منك ولقد خلقت الدنيا وأهلها لاعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا وما أحسن قول) وفي نسخة ولله در (سيدي على وفي) الشاذلي العارف الكبير أبي الحسن ابن العارف الكبير ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة وكان يقظا حاد الذهن مالكي المذهب وله نظم كثير وكان أبوه معجبا به وأذن له في الكلام على الناس وهو دون العشرين مات في ذي الحجة سنة سبع وثمانمائة كذا ترجمه الحافظ ابن حجر وتبعه السخاوي والسيوطي ولا يشكل بان أباه مات وهو ابن سنة وقيل ابن ست سنين كما ادعى النجم ابن فهد لجواز أن أباه أذن له حال الطفولية في ذلك اذا بلغ هذا السن لما اطلع عليه فيه من الاسرار الربانية (في قصيدته الدالية) نسبة الى الدال لوقوعها آخر كل بيت كما هو اصطلاح العروضين (التي أولها

سكن الفؤاد فعش هنيا يا جسد * ذاك النعيم هو المقيم الى الأبد

وبعد هذا البيت

أصبحت في كنف الحبيب ومن يكن * جار الكريم فعيشه العيش الرغد
عش في أمان الله تحت لوائه * لا خوف في هذا الجناب ولا نكد
لا تختشى فقرا وعندك بيت من * كل المنى لك من أياديه مدد
رب الجمال ومرسل الجدوى ومن * هو في المحاسن كلها فرد أحد
قطب النهى غوث العالم كلها * أعلى على سائر أحمد من حمد

ومقول قوله ما أحسن قول هو قوله (روح الوجود حياة من هو واجد *) بالجيم أي هو صلى الله عليه وسلم سبب لحياة من وجدهم من الخلق أي علمهم موجودين منهم لانه (لولاه ما تم الوجود لمن وجد) فهو كالعلة لما قبله (عيسى وآدم) خصهما لان عيسى آخر الرسل قبله وآدم أولهم (والصدور جميعهم *) أي العظماء الذين يصدرون ويعظمون في المجالس من صدره في المجلس فتصدر (هم أعين) و (هو) صلى الله عليه وسلم (نورها لما ورد) أي (لو أبصر الشيطان) نظر بعين البصيرة لما روى عن ابن عباس

ثم أسلم عام الفتح وحسن اسلامه وكان عمه حمزة مسترضعا في بني سعد بن بكر فأرضعت أمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند أمه حليمة فكان حمزة رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين من جهة ثويبة ومن جهة السعدية

(وصل في حواضنه صلى الله عليه وسلم)

فمنهن أمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب * ومنهن ثويبة وحليمة والشيماء ابنتها وهي أخته من الرضاعة كانت تحضنه مع أمها وهي التي قدمت عليه في وفد هوازن فبسط لها رداءه وأجلسها عليه رعاية لحقها ومنهن الفاضلة الجليلة أم أيمن بركة الحبشية وكان ورثها من أبيه وكانت دايته وزوجها من حبه زيد بن حارثة فولدت له اسامة وهي التي دخل عليها أبو بكر وعمر بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقالا يا أم أيمن ما يبكيك فما عند الله خير لرسوله قالت اني لاعلم أن ما عند الله خير لرسوله وانما أبكي لانقطاع خبر السماء فهيجتهما على البكاء فبكيا

(فصل في مبعثه صلى الله عليه وسلم وأول ما انزل عليه) بعثه الله على رأس أربعين وهى رأس الكمال قيل ولها تبعث الرسل وأما ما يذكر عن المسيح أنه رفع الى السماء وله ثلاثة وثلاثون سنة فهذا لا يعرف له أثر متصل يجب المصير اليه وأول ما ابدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمر النبوة الرؤيا فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح قيل وكان ذلك ستة أشهر ومدة النبوة ثلاثة وعشرون سنة فهذه الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ والله أعلم ثم أكرمه الله تعالى بالنبوة فجاءه الملك وهو بغار حراء وكان يحب الخلوة فيه فاول ما أنزل عليه اقرأ باسم ربك الذى خلق هذا قول عائشة والجمهور وقال جابر أول ما أنزل عليه يا أيها المدثر والصحيح قول عائشة لوجوه (أحدها) أن قوله ما أنا بقارئ صريح فى أنه لم يقرأ قبل ذلك شيأ (الثانى) الامر بالقراءة فى الترتيب قبل الامر بالانذار فانه اذا قرأ فى نفسه أنذر ما قرأه فامره بالقراءة أولا ثم بانذار بما قرأه ثانيا (الثالث)

انه لما نفخ فى آدم الروح صار نور محمد صلى الله عليه وسلم يلمع من جبهته كالشمس المشرقة ويحتمل الحقيقة بان يكون حجب الله بصره مع شدة ظهوره عن أن يرى (طلعة نوره * فى وجه آدم كان أول من سجد) له لكنه لم يبصر ذلك لخذلان الله عز وجل له (أولو رأى النمرود) بضم النون آخره دال مهملة كما فى القاموس وبالمعجمة نقله ثعلب عن أهل البصرة وهو الموافق للضابط الذى نظمه الفارابى فرقا بينهما فى لغة الفرس حيث قال

احفظ الفرق بين دال وذال * فهو ركن فى الفارسية معظم
كل ما قبله سكون بلا وا * ى فدال وما سواه فمعجم

واختصره القائل ان تلت الدال صحيحا ساكنا * أهملها الفرس والا أعجموا

(نور جاله) فى وجه ابراهيم عليهما السلام (عبد الجليل) بالجيم (مع الخليل) ابراهيم (ولا عند) بفتح العين والنون أى خالف ورد الحق مع معرفته به وأما عند الطريق بمعنى عدل عنها فمثلث النون كما فى الراموز (لكن جال الله) كماله ونوره الحامل على الطاعة (جل) عن الابصار والبصائر (فلا يرى) بالبصائر (الا بتخصيص) باعطاء (من الله الصمد) لمن شاء فلذا لم يره ابليس وبقى من القصيدة ثلاثة أبيات

فابشر عن سكن الجوانح منك يا * انا قد ملأت من المنى عينا ويد
عين الوفا معنى الصفا سر الندى * نور الهدى روح النهى جسد الرشد
هو لله الصلاة من السلام المرتضى * الجامع المخصوص ما دام الابد

(ولما خلق الله تعالى حواء لتسكن الى آدم ويسكن اليها حين وصل) وفى نسخة صار (اليها) أى واقعا وكان ذلك بعد هبوطهما بمائة سنة وقيل مائة وعشرين حكاهما الخميس (فاضت بركاته عليها فولدت له فى تلك الاعوام الحسناء) قد بينا للشعدة الاعوام فانه عاش ألف سنة فاسقط منها مقدار مكثه فى الجنة الذى تقدم الخلاف فيه وهذه المائة أو وعشرين بعد الهبوط تعرف عدة هذه الاعوام (أربعين ولدا فى عشرين بطنا) كما اقتصر عليه البغوى قائلا وكان أولهم قابيل وتوأمته اقليميا ونقل ابن اسحق عن بعض أهل الكتاب انهما ولدا فى الجنة وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة الغيث اه وفى النسفى أولهم الحرث (ووضعت شيثا) بكسر المعجمة فتحتية ساكنة فمثلثة مصروف وفى سيرة مغلطاى ويقال شاث ومعناه هبة الله ويقال عطية الله وقال السهيلى وهو بالسريانية شاث وبالعبرانية شيث وقال ابن كثير وغيره سماه هبة الله لانهما رزقاه بعد قتل هابيل بخمس سنين ووضعته على شكل هابيل لا يغادر منه شيأ وقيل ولد بعده بأربعين سنة وقيل غير ذلك هذا ووقع فى الشامية يقال شاث بامالة الشين ورده شيخنا بان الشين مكسورة فلا تمال وقيل لا يصرف بناء على أن الثلاثى الاعجمى الساكن الوسط يجوز صرفه وعدمه قال فى الهمع وهو فاسد اذ لم يحفظ (وحده) ولا أخت معه على المشهور وقيل كان معه أخته كما فى الخميس وفى بحر النسفى أول ولد آدم الحرث ولا أخت معه ثم قابيل وأخته ثم هابيل وأخته ثم أسوت وأخته ثم شيث وحده ثم أتى بعده فى بطن فزوجها منه ثم كذا وكذا الى تمام الاربعين بطنا عند ابن اسحق وقال وهب بن منبه مائة وعشرين بطنا وقيل خمسمائة بطن لتمام ألف ولد اه (كرامة لمن اطلع الله بالنبوة سعده) وهو المصطفى فكان فى وجه شيث نور نبينا صلى الله عليه وسلم وجاءت الملائكة مبشرة لآدم به (ولما توفى آدم) عليه الصلاة والسلام وسنه ألف سنة كما فى حديث أبى هريرة وابن عباس مرفوعا وقيل الاسبعين وقيل الاستين وقيل الاأربعين بمكة يوم الجمعة وصلى عليه جبريل واقتدى به الملائكة وبنو آدم وفى رواية صلى عليه شيث بامر جبريل ودفن بمكة فى قبر بغار أبى قبيس ذكرهما الثعلبى وغيره

وعن ابن عباس لما فرغ آدم من الحج رجع الى الهند فمات وعن ثابت البنانى حفروا لآدم ودفنوه بسرنديب فى الموضع الذى أهبط فيه وصححه الحافظ ابن كثير وقيل دفن بين بيت المقدس ومسجد ابراهيم ورأسه عند الصخرة ورجلاه عند مسجد الخليل وقيل دفن عند مسجد الخيف وقال ابن اسحق وغيره دفنته الملائكة وشيث واخوته فى مشارق الفردوس عند قرية هى أول قرية كانت فى الارض وكسفت الشمس والقمر عليه أسبوعا وعاشت حواء بعده سنة وقيل ثلاثة أيام ودفنت بجنبه (كان شيث عليه الصلاة والسلام وصيا لآدم على ولده) أى أولاده وعمر أنه يكون واحدا وجمعا وأطاعه أولاد أبيه وروى عن ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ أولاده وأحفاده أربعين ألفا الصلبية منهم أربعون وفى مسند الفردوس عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه الصلاة والسلام قام خطيبا فى أربعين ألفا من ولده وولد ولده وقال ان ربى عهد الى فقال يا آدم أقلل كلامك ترجع الى جوارى وكان شيث أجل أولاده وأشبههم به وأحبهم اليه وأفضلهم وعلمه الله الساعات والعبادة فى كل ساعة منها وأنزل عليه خمسين صحيفة وزوجه الله أخته التى ولدت بعده وكانت جميلة كأمها حواء وخطب جبريل وشهدت الملائكة وكان آدم وليها ورزقه الله أولادا فى حياة أبيه وعمر تسعمائة واثنى عشرة سنة وقيل عشرين ومات لمضى ألف واثنين وأربعين سنة من هبوط آدم ودفن فى غار أبى قبيس (ثم) بعد ما أوحى الله الى شيث ان اتخذ ابنك أنوش صفيا ووصيا وعلم انه نعيت اليه نفسه (أوصى شيث) واستخلف (ولده) هو أنوش بفتح الهمزة فنون مضمومة آخره شين معجمة ويقال يانش بتحتية فنون مفتوحة فمعجمة وقيل أنش قال السهيلى ومعنى أنوش الصادق وهو بالعربية أنش وقال مغلطاى يانش ومعناه الصادق ذكره النووى انتقلت اليه رياسة الخلق بعد أبيه وقام مقامه وكان على طوله وبياضه وجماله وعاش تسعمائة وخمسين أو وعشرين أو وخمسا وستين سنة (بوصية آدم) وهى (ان لا يضع هذا النور) الذى كان فى وجه آدم كالشمس (الا فى المطهرات من النساء ولم تزل هذه الوصية جارية تنتقل من قرن الى قرن) أى من طائفة الى أخرى فان النور اذا كان فى شيث مثلا كان موجودا فى مجموع من عاصره فاذا مات وانتقل لولده انتقل النور من مجموع تلك الطائفة الى مجموع طائفة ابنه وهكذا أو المراد من واحد الى واحد وسماه قرنا تجوزا قال الحافظ والقرن أهل زمان واحد متقارب اشتركوا فى أمر من الامور المقصودة ويقال ذلك مخصوص بما اذا اجتمعوا فى زمن نبى أو رئيس يجمعهم على ملة أو مذهب أو عمل قال ويطلق القرن على مدة من الزمان اختلف فى تحديدها من عشرة أعوام الى مائة وعشرين لكن لم أر من صرح بالتسعين ولا بمائة وعشرة وما عدا ذلك فقد قال به قائل وفى حديث عبد الله بن بسر عند مسلم ما يدل على ان القرن مائة وهو المشهور وفى المحكم هو القدر المتوسط من أعمار أهل كل زمن وهذا أعدل الاقوال وبه صرح ابن الاعرابى وقال انه مأخوذ من الاقران ويمكن حمل المختلف عليه من الاقوال ممن قال ان القرن أربعون فصاعدا أما من قال انه دون ذلك فلا يلتئم على هذا القول اه (الى أن أدى) أوصل (الله النور الى عبد المطلب وولده عبد الله) أى ثم وعبر بالواو لظهوره اذ الاشتراك فى وقت واحد لا يقع أى ثم أسعد الله آمنة بذلك النور ولم يوص عبد المطلب ولده بذلك لتعاطيه تزويجه من آمنة مع علمه بكمالها من النسب وان نكاحها لا أثر فيه من الجاهلية فكفاه ذلك عن الوصية هذا وزعم ان هذا ظاهر فى من ظهر فيه النور أما من لم يظهر فيه فمن أين وصلت اليه الوصية فيه نظر ففى الخميس كغيره وذلك النور كان ينتقل من جبهة الى جبهة وكان يؤخذ فى كل مرتبة عهد وميثاق انه لا يوضع الا فى المطهرات فأول من أخذه آدم من شيث وهو من ابنه وهكذا اه فلولم يظهر فى الجميع لما قالوا كان ينتقل من جبهة الى جبهة وبفرض تسليمه فقد أجاب عنه شيخنا بان ذلك

أن حديث جابر وقوله أول ما أنزل من القرآن يا أيها المدثر قول جابر وعائشة اخبرت عن خبره صلى الله عليه وسلم عن نفسه بذلك (الرابع) أن حديث جابر الذى احتج به صريح فى أنه قد تقدم نزول الملك عليه أولا قبل نزول يا أيها المدثر فانه قال فرفعت رأسى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء فرجعت الى أهلى فقلت زملونى دثرونى فأنزل الله يا أيها المدثر وقد أخبر أن الملك الذى جاءه بحراء أنزل عليه اقرأ باسم ربك الذى خلق فدل حديث جابر على تأخر نزول يا أيها المدثر والحجة فى روايته لا فى رأيه والله أعلم

(فصل فى ترتيب الدعوة ولها مراتب)

(المرتبة الاولى) النبوة (الثانية) انذار عشيرته الاقربين (الثالثة) انذار قومه (الرابعة) انذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة (الخامسة) انذار جميع من بلغته دعوته من الجن والانس الى آخر الدهر

(فصل وأقام صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك ثلاث سنين يدعو الى الله سبحانه مستخفيا ثم

اما بعلم ضروري أودعه الله في الموصى أو بأن عدم ظهوره فيمن كان من اصوله ليس نفيا للنور من أصله
بل يجوز تفاوته فيهم في ذاته فمنهم من يظهر فيه تاما بحيث يدركه من رآه بلا مزيد تأمل ومنهم من يوجد
فيه أصل النور فلا يدرك الا بمزيد تأمل (فطهر الله تعالى هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية)
هي ما قبل البعثة سموا بذلك لكثرة جهالاتهم ويقال هي ما قبل الفتح وهو الظاهر فقد خطب صلى
الله عليه وسلم بهدم أمر الجاهلية وما كانت عليه في الفتح وقد قال ابن عباس سمعت أبي يقول في
الجاهلية اسقنا كأسا دهاقا وابن عباس ولد في الشعب بعد المبعث قاله في النور (كما ورد عنه صلى الله
عليه وسلم في الاحاديث المرضية) عند العلماء وهي الصحيحة والحسنة كالضعيفة المعتضدة وفيه اشعار
بوجه اقتصاره على ما ذكر من الاحاديث والاعراض عن غيرها مع كثرته فكأنه قال اقتصرت عليها
لثبوتها على غيرها (قال ابن عباس فيما رواه البيهقي في سننه) قال السبكي لم يصنف أحد مثله تهذيبا
وجودة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدني) أي مسني (من سفاح الجاهلية شيء ما ولدني الا
نكاح الاسلام) أي نكاح كنكاحه في كونه بعقد صحيح يبيح الوطء وان لم يجمع شرائط الاسلام الآن
فلا يرد أن نكاح الاخت كما وقع لشيث ليس من نكاح الاسلام الآن اذ المقصود نفي الفجور فشمل
الزواج وغيره ودخل فيه أم اسمعيل فانها كانت ملكا لابراهيم باتفاق المؤرخين وهبتها لها سارة
(والسفاح بكسر السين المهملة) والفاء فألف فحاء مهملة (الزنا) من سفحت الماء اذا صببته فكأنه
أراق ماءه وأضاعه وسواء كان جهرا أو سرا كما هو ظاهر اطلاقه كالقاموس والنور والمصباح وفي الانوار
تفسيره بالمجاهرات (والمراد به هنا) في الحديث (ان المرأة تسافح رجلا مدة ثم) اذا أعجبته وأعجبها
(يتزوجها بعد ذلك) والاولى كما قال شيخنا أن يراد به ما هو أعم من الزنا فان جملة الاحاديث دلت على
نفي جميع نكاح الجاهلية عن نسبه من نكاح زوجة الاب لاكبر بنيه والجمع بين الاختين ونكاح
البغايا وهو ان يطأ البغي جماعة متفرقون فاذا ولدت ألحق بمن غلب عليه شبهه منهم ونكاح الاستبضاع
وهو أن المرأة اذا طهرت من الحيض قال لها زوجها أرسلي لفلان استبضعي منه ويعتزلها زوجها حتى
يبين حملها منه فان بان أصابها زوجها ان أحب ومن نكاح الجمع وهو ان يجتمع رجال دون عشرة
ويدخلوا على بغي ذات راية كلهم يطؤها فاذا وضعت ومر لها ليال بعده أرسلت لهم فلا يتخلف رجل
منهم فتقول قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت فيلحق به
لا يستطيع نفيه وان لم يشبهه اه ملخصا (وروى ابن سعد وابن عساكر عن هشام بن محمد بن السائب
الكلبي) أبي المنذر المتوفى سنة أربع وثمانين ومائة كما قاله المسعودي قال الدارقطني هشام رافضي
ليس بثقة وذكره ابن حبان في الثقات (عن أبيه محمد) بن السائب بن بشر الكلبي أبي النضر الكوفي
المفسر النسابة الاخباري روى عن الشعبي وعنه ابنه وأبو معاوية متروك منهم بالكذب مات سنة ست
وأربعين ومائة (قال كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم) استشكل بان أمهاته لا تبلغ هذا
العدد فقال الشامي يريد الجدات وجدات الجدات من قبل أبيه وأمه اه وفي نسيم الرياض ما محصله
اذا تأملت قولهم لم يكن قبيلة من العرب الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة أو قرابة عرفت
المراد فانك اذا نظرت لقبيلة فجميع ذكورهم آباؤه وجميع نسائهم جدات أو عمات أو خالات فعمد
قرابتهم ولادته والمراد أن نسبه بحواشيه وأطرافه جميل لم يمسه دنس (فما وجدت فيهن سفاحا) زنا
(ولا شيأ مما كان في أمر الجاهلية) عطف خاص على عام لا عكسه كما زعم فانهم كانت لهم أنكحة لا يعدونها
سفاحا فحرمها الشارع كنكاح المصاخبة ونكاح المقت وهو نكاح زوجة الاب وانتقد بان النضر
خلف على زوج أبيه ورد بان هذا على تسليمه لم يكن محرما في شرع من قبلنا كما سيأتي ايضاحه في النسب

ثم نزل عليه فاصدع بما
تؤمر وأعرض عن
المشركين فاعلن صلى الله
عليه وسلم بالدعوة
وجاهر قومه بالعداوة
واشتد الاذى عليه
وعلى المسلمين حتى
أذن لهم بالهجرتين

*(فصل في أسمائه
صلى الله عليه وسلم)*
وكلها أسماء نعوت
ليست أعلاما محضة
لمجرد التعريف بل أسماء
مشتقة من صفات قائمة
به توجب له المدح والكمال
فمنها محمد وهو أشهرها
وبه سمي في التوراة
صريحا كما بيناه بالبرهان
الواضح في كتاب جلاء
الافهام في فضل الصلاة
والسلام على خير الانام
وهو كتاب فرد في معناه
لم يسبق الى مثله في كثرة
فوائده وغزارتها بينا
فيه الاحاديث الواردة
في الصلاة والسلام عليه
وصحيحها من حسنها
ومعلولها وبينا ما في معلولها
من العلل بيانا شافيا ثم
اسرار هذا الدعاء وشرفه
وما اشتمل عليه من
الحكم والفوائد ثم
في مواطن الصلاة عليه
ومحالها ثم الكلام في
مقدار الواجب منها
واختلاف أهل العلم
فيه وترجيح الراجح
وتزييف المزيف ومخبر

الشريف (و) ورد (عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح
ولم أخرج من سفاح) وذلك (من لدن آدم) أي من عند أول ولد ولده هو في أصوله عليه السلام واستمر
ذلك ممتدا (الى أن ولدني أبي وأمي) فهو متعلق بمحذوف (لم يصبني من نكاح أهل الجاهلية) أي
ما كانوا عليه من زنا وغيره (شئ رواه الطبراني) قال الهيتمي الحافظ بسند رجاله ثقات الا محمد بن جعفر
تكلم فيه وصححه الحاكم (في) معجمه (الاوسط) الذي ألفه في غرائب شيوخه يقال ضمنه ثلاثين
ألف حديث وفي تاريخ ابن عساكر وغيره أن الطبراني كان يقول هذا الكتاب روحي لانه تعب عليه
(وابن عساكر) وكذا ابن عدي (وروى أبو نعيم) أحمد بن عبد الله الحافظ (عن ابن عباس مرفوعا) له
صلى الله عليه وسلم أنه قال (لم يلتق أبواي قط على سفاح) أي أحد من آبائي مع واحدة من أمهاتي
لا خصوص أبيه وأمه الدال عليهما لفظ التثنية بدليل أنه رتب على ذلك قوله (لم يزل الله ينقلني من
الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة) حال كونه (مصفى مهذبا) صفة لازمة لتقارب التصفية والتهذيب
ففي القاموس هذبه يهذبه هذبا قطعه ونقاه وأصلحه وأخلصه كهذبه والهذب محركة الصفاء والخلوص
وفي نسخة مصطفى مهذبا بزيادة طاء من الاصطفاء (لا تتشعب شعبتان) أي لا تتفرع أي لا يولد من
أصل طائفتان (الا كنت في خيرهما و) ورد (عنه) أي عن ابن عباس (في) تفسير (قوله تعالى وتقلبك)
تفعل أي انتقالك (في الساجدين) أن المراد بهم (من) صلب (نبي الى نبي) ولو مع الوسائط وفعلت ذلك
معك (حتى أخرجتك نبيا) فلا يرد أن المطابق للآية حتى أخرجك وهذا أحد تفاسير في الآية يأتي
الكلام عليها ان شاء الله تعالى في ذكر الابوين حيث تعرض المصنف لذلك (رواه البزار) الحافظ العلامة
الشهير أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل * مات بالرملة سنة
اثنتين وتسعين ومائتين وكذا رواه ابن سعد وأبو نعيم في الدلائل بسند صحيح والطبراني ورجاله ثقات
(و) ورد (عنه) أي عن ابن عباس (أيضا في) تفسير (الآية قال ما زال النبي صلى الله عليه وسلم يتقلب)
ينتقل (في أصلاب الانبياء حتى) الى أن (ولدته أمه) آمنة (رواه أبو نعيم و) ورد (عن جعفر) الصادق
(ابن محمد عن أبيه) محمد الباقر (في) تفسير (قوله تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم قال لم يصبه شئ من
ولادة الجاهلية قال) محمد (وقال النبي صلى الله عليه وسلم خرجت من نكاح غير سفاح) وهذا مرسل لان
محمدا تابعي (و) ورد (عن أنس) بن مالك بن النضر الانصاري الخزرجي الصحابي الشهير خادم المصطفى
مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين (قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم) قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من
أنفسكم بفتح الفاء وقال أنا أنفسكم نسبا) مصدر مطلق الوصلة بالقرابة (وصهرا) أي من جهة الآباء
والامهات قال ابن السكيت كل من كان من قبل الزوج من أبيه أو أخيه أو عمه فهو أحماء ومن قبل المرأة
أختان ويجمع الصنفين الاصهار * وفي الانوار في قوله تعالى فجعله نسبا وصهرا أي قسمه قسمين ذوي
نسب أي ذكورا ينسب اليه وذوات صهر أي اناثا يصاهر بهن كقوله وجعل منه الزوجين الذكر
والانثى (وحسبا بفتحتين) أي شرفا ثابتا لي ولآبائي كما قال الازهري وقال ابن السكيت الحسب يكون
في الانسان وان لم يكن في آبائه اهـ والواقع هنا أنه فيه وفي آبائه وفي الصحاح الحسب ما يعده الانسان من
مفاخر آبائه أي أنا أنفسكم آباء وأمهات ومفاخر آباء (ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلنا) أي أنا وآبائي
(نكاح) اسناده اليهم بتأويل أي ذوو نكاح أو على التجوز في الاسناد كأنهم تجسموا من النكاح كقوله
* فانما هي اقبال وادبار * وفي رواية كلها نكاح التأنيث باعتبار الجماعة أي كل جماعة آبائي نكاح فلا
يرد أنهم عقلاء فكان يقال كلهم أو الضمير للوطآت وقضية ذا الحديث أنه لا سفاح في آبائه مطلقا
واستظهر محقق أن المراد طهارة سلسلته فقط واستشهد بالخبر المار لم يلتق أبواي قط على سفاح

الكتاب فوق وصفه * والمقصود أن اسمه محمد في التوراة صريحا بما وافق عليه كل عالم من مؤمني أهل الكتاب * ومنها أحمد وهو الاسم الذي سماه به المسيح لسر ذكرناه في ذلك الكتاب * ومنها المتوكل ومنها الماحي والحاشر والعاقب والمقفي ونبي التوبة ونبي الرحمة ونبي الملحمة والفاتح والامين ويلحق بهذه الاسماء الشاهد والمبشر والبشير والنذير والقاسم والضحوك والقتال وعبد الله والسراج المنير وسيد ولد آدم وصاحب لواء الحمد وصاحب المقام المحمود وغير ذلك من الاسماء لان أسماءه اذا كانت أوصاف مدح فله من كل وصف اسم لكن ينبغي أن يفرق بين الوصف المختص به أو الغالب عليه ويشتق له منه اسم وبين الوصف المشترك فلا يكون له اسم يخصه وقال جبير بن مطعم سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء فقال أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي والعاقب الذي ليس بعده نبي وأسماؤه

وعندى أن الصواب خلاف هذا التحقيق العقلى لظهور اطلاق نفى السفاح عنهم فى هذا الحديث ويؤيده استقراء الكلى المحمول على الحواشى كامر فاذا انتفى عن حواشيه فكيف يحتمل وقوعه فى نفس الآباء والامهات فى غير السلسلة الشريفة وأما الاستشهاد بالخبر المار فضعيف كما لا يخفى (رواه) أبو بكر الحافظ أحمد بن موسى (بن مردويه) الاصبهانى اللبيب العلامة ولد سنة ثلاث وعشرين وثلثمائة وصنف التاريخ والتفسير المسند والمستخرج على البخارى وكان فهما بهذا الشان بصيرا بالرجال طويل الباع مليح التصنيفات لست بقين من رمضان سنة عشر وأربعمائة قال الحافظ ابن ناصر فى مشتبه النسبة مردويه بفتح الميم وحكى ابن نقطة كسرها عن بعض الاصبهانيين والراء ساكنة والدال المهملة مضمومة والواو ساكنة والمثناة تحت مفتوحة تليها هاء اه (وفى الدلائل لابى نعيم) أحمد بن عبد الله الحافظ (عن عائشة) الصديقة بنت الصديق المكثرة ذات المناقب الجمة يأتى ذكرها فى الزوجات ان شاء الله تعالى قال المصنف وعائشة بالهمز وعوام المحدثين يبدلونها ياء (عنه صلى الله عليه وسلم عن جبريل) بلفظ (قال) لى جبريل (قلبت مشارق الارض ومغاربها) أى فتشتهم وبحثت عن أحوالهم سماه تقليبا تشبيها له بتحريك الشئ ظهر البطن وعكسه وفى القاموس قلب الشئ حوله ظهر البطن كقلبه والتحريك يلزمه الاحاطة بالشئ ومعرفة أحواله عرفا فاطلق التقليب وأراد لازمه (فلم أر رجلا أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم) قال الحكيم الترمذى انما طاف الارض لطلب النفوس الطاهرة الصافية المتزكية بمحاسن الاخلاق ولم ينظر للاعمال لانهم كانوا أهل جاهلية انما نظر الى أخلاقهم فوجد الخير فى هؤلاء وجواهر النفوس متفاوتة بعيدة التفاوت اه (وكذا أخرجه الطبرانى فى الاوسط) والامام أحمد والبيهقى والديلمى وابن لال وغيرهم (قال الحافظ) أبو الفضل أحمد بن على بن محمد بن محمد بن على (بن حجر) الكنانى العسقلانى ثم المصرى الشافعى ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وعانى أولا الادب وتعلم الشعر فبلغ الغاية ثم طلب الحديث فسمع الكثير ورحل وبرع فيه وتقدم فى جميع فنونه وانتهت اليه الرحلة والرياسة فى الحديث فى الدنيا بأسرها فلم يكن فى عصرها حافظ سواه وألف كتبا كثيرة وأملى أكثر من ألف مجلس وتوفى فى ذى القعدة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة قال السيوطى وختم به الفن (لوائح الصحة لائحة) ظاهرة (على صفحات هذا المتن) الحديث والصفحة لغة من كل شئ جانبه ففيه استعارة بالكناية شبه المتن بمكان له جوانب وأثبت له الصفحات تخييلا (وفى) صحيح (البخارى) فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم (عن أبى هريرة عنه صلى الله عليه وسلم بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا) حال تفصيل والفاء للترتيب فى الوجود أو الفضل نحو الاكمل فالاكمل ومنه والصافات صفا فالزاجرات زجرا (حتى كنت من القرن الذى كنت) أى وجدت (منه وفى مسلم عن واثلة) بمثلثة (ابن الاسقع) بالقاف ابن عبد العزى الكنانى الليثى من أهل الصفة غزا تبوكا وعنه مكحول ويونس بن ميسرة عاش ثمانيا وتسعين سنة ومات سنة خمس وثمانين وأبوه صحابى أيضا كما فى الاصابة (قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى) اختار (كنانة) عدة قبائل أبوهم كنانة ابن خزيمة (من ولد اسمعيل) وفى رواية الترمذى ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بنى كنانة فكان فى رواية مسلم اختصارا (واصطفى قريشا من كنانة) ورواية الترمذى واصطفى من بنى كنانة قريشا وهو قريش وفيه ابطال القول بان جماع قريش مضر وللآخر أنه الياس (واصطفى من قريش بنى هاشم) غاير أسلوب ما قبله للتعظيم (واصطفانى من بنى هاشم) زاد ابن سعد من مرسل أبى جعفر الباقر ثم اختار بنى هاشم من قريش ثم اختار ابن عبد المطلب من بنى هاشم * قال الحليمى أراد تعريف منازل المذكورين ومراتبهم كرجل يقول كان أبى

فقيها

صلى الله عليه وسلم نوعان أحدهما خاص لا يشركه فيه غيره من الرسل كمحمد وأحمد والعاقب والحاشر والمقفى ونبى الملحمة والثانى ما يشاركه فى معناه غيره من الرسل ولكن له منه كماله فهو مختص بكماله دون أصله كرسول الله ونبيه وعبده والشاهد والمبشر والنذير ونبى الرحمة ونبى التوبة وأما ان جعل له من كل وصف من أوصافه اسم تجاوزت أسماؤه المائتين كالصادق والمصدوق والرؤف الرحيم الى أمثال ذلك وفى هذا قال من قال من الناس ان لله ألف اسم وللنبى صلى الله عليه وسلم ألف اسم قاله أبو الخطاب بن دحية ومقصوده الاوصاف

(فصل فى شرح معانى أسمائه صلى الله عليه وسلم) أما محمد فهو اسم مفعول من حمد فهو محمد اذا كان كثير الخصال التى يحمد عليها ولذلك كان أبلغ من محمود فان محمودا من الثلاثى المجرد ومحمد من المضاعف للمبالغة فهو الذى يحمد أكثر مما يحمد غيره من البشر ولهذا والله أعلم سمى به

فقيها لا يريد الفخر بل تعريف حاله دون ما عداه وقد يكون أراد به الاشارة بنعمة الله عليه في نفسه وآبائه على وجه الشكر وليس ذلك من الاستطالة والفخر في شئ اه ونقله عنه البيهقي في الشعب وأقره وقال الحافظ ذكر للافادة الكفاءة والقيام بشكر النعم والنهي عن التفاخر بالآباء موضعه مفاخرة تفضي الى تكبر أو احتقار مسلم (رواه) أي حديث واثلة (الترمذي) اتم منه كما علم وقال حديث حسن صحيح غريب اه وفيه فضل اسمعيل على جميع ولد ابراهيم حتى اسحق وفضل العرب على العجم قال ابن تيمية وليس فضل العرب فقريش فبني هاشم بمجرد كون النبي صلى الله عليه وسلم منهم وان كان هذا من الفضل بل هم في أنفسهم أفضل أي باعتبار الاخلاق الكرام والخصال الحميدة واللسان العربي قال وبذلك يثبت للنبي صلى الله عليه وسلم انه أفضل نفسا ونسبا والا لزم الدور (و) روى الترمذي (عن العباس) بن عبد المطلب عم المصطفى وصنو أبيه كان يجله ويعظمه ويأتي ان شاء الله تعالى في الاعمام (قال) قلت يا رسول الله ان قريشا تذاكروا أحسابهم فجعلوا مثلك مثل نخلة في كبوة أي كناسة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق) أي المخلوقات وأل للاستغراق فتدخل الملائكة فهو نص في أفضلية جنس البشر على جنس الملك أو المراد الثقلان أو المراد بنو آدم فرقا (فجعلني) صيرني (في خير فرقهم) جمع فرقة أي أشرفها وفي نسخة فرقتهم أي فرقتيهم (و) جعلني (خير الفريقين) فهو بالنصب عطف على محل في خير كذا أعربه الواعظ فان كان رواية والا فيجوز جره عطفا على مجرور في عطف تفسير واقتصر عليه شيخنا والمراد بالفرق الذين هو خيرهم العرب (ثم تخير القبائل) من العرب أي اختار خيارهم فضلا (فجعلني في خير القبيلة) منهم وهي قريش أي قرابة وجادي في خير قبيلة (ثم تخير البيوت) أي اختارهم شرفا (فجعلني في خير بيوتهم) أي أشرفها وهم بنو هاشم واذا كان كذلك (فانا خيرهم نفسا) أي روحا وذاتا (وخيرهم بيتا) وفسره بقوله (أي أصلا) اذ جئت من طيب الى طيب الى صلب أي بفضل الله علي ولطفه في سابق علمه ولم يقل ولا فخر كما في خبر أنا سيد ولد آدم لان هذا بحسب حال المخاطبين في صفاء قلوبهم بما يعلمه من حالهم أو هذا بعد ذاك ٭ وفي حديث أبي هريرة مرفوعا ان الله حين خلق الخلق بعث جبريل فقسم الناس قسمين فقسم العرب قسما وقسم العجم قسما وكانت خيرة الله في العرب ثم قسم العرب قسمين فقسم اليمن قسما وقسم مضر قسما وقريشا قسما وكانت خيرة الله في قريش ثم أخرجني من خير من أنا منهم رواه الطبراني وحسن العراقي اسناده وهو شاهد لخبر المصنف وكالشرح له قال بعض العلماء والتفاضل في الانساب والقبائل والبيوت باعتبار حسن خلقة الذات والتفاضل فيما قام بها من الصفات حتى في الاقوات والله فضل بعضكم على بعض في الرزق وهذا جار في سائر المخلوقات فضل الله يؤتيه من يشاء فلا اتجاه لما عساه يقال الانسان كله نوع فما معنى التفاضل في الانساب اه (و) قال صلى الله عليه وسلم (في حديث رواه الطبراني) في الاوسط (عن) عبد الله (بن عمر) الخطاب أبي عبد الرحمن العالم المجتهد العابد لزوم السنة الفرور من البدعة الناصح للامة روى ابن وهب عن مالك بلغ ابن عمر ستا وثمانين سنة وأفتى ستين سنة وقال نافع ما مات حتى أعتق أكثر من ألف وشهد الخندق وما بعدها قال الحافظ ولد في السنة الثانية أو الثالثة من المبعث لانه ثبت ان كان يوم بدر ابن ثلاث عشرة سنة وهي بعد المبعث بخمس عشرة ومات في أوائل سنة ثلاث وسبعين (قال) أي المصطفى كما علم لا ابن عمر لانه مرفوع عند الطبراني لا موقوف (ان الله اختار) أي اصطفى (خلقه) ميزهم على غيرهم ممن لو تعلقت بهم الارادة ووجدوا كانوا دونهم في الفضل لكونهم لم يختاروا فلا يرد أن الاختيار انما يكون فيما يختار من شئ ولا يقال اختار شيئا اذ لا بد من مختار ومختار منه ومحصل الجواب اختيارهم عمن يقدر وجودهم (فاختار منهم بني

في التوراة لكثرة الخصال المحمودة التي وصف بها هو ودينه وأمته في التوراة حتى تمنى موسى عليه الصلاة والسلام أن يكون منهم وقد أتينا على هذا المعنى بشواهده هنالك وبينا غلط أبي القاسم السهيلي حيث جعل الامر بالعكس وان اسمه في التوراة أحمد وأما أحمد فهو اسم على زنة أفعل التفضيل مشتق أيضا من الحمد وقد اختلف الناس فيه هل هو بمعنى فاعل أو مفعول فقالت طائفة هو بمعنى الفاعل أي حمده لله أكثر من حمد غيره له فمعناه أحمد الحامدين لربه ورجحوا هذا القول بان قياس أفعل التفضيل ان يصاغ من فعل الفاعل لا من الفعل الواقع على المفعول قالوا ولهذا لا يقال ما أضرب زيدا ولا زيد أضرب من عمرو باعتبار الضرب الواقع عليه ولا ما أشربه للماء وآكله للخبز ونحوه قالوا لان أفعل التفضيل وفعل التعجب انما يصاغان من الفعل اللازم ولهذا يقدر نقله من فعل وفعل المفتوح العين ومكسورها الى فعل المضموم العين قالوا ولهذا يعدى بالهمزة الى

آدم ثم اختار من بنى آدم العرب) كذا فى نسخ وهى ظاهرة وفى أخرى ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب والمراد نظر اليهم فاختار الخ فلا يقال لا حاجة له بل لا يصح لانه عين ما قبله (ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار ألا من أحب العرب فبحبى) أى فبسبب حبه لى (أحبهم ومن أبغض العرب) أظهر للتعليم (فببغضى) بسبب بغضه لى (أبغضهم) وقد روى الترمذى وقال حسن غريب عن سلمان رفعه يا سلمان لا تبغضنى فتفارق دينك قلت يا رسول الله كيف أبغضك وبك هدانى الله قال تبغض العرب فتبغضنى وروى الطبرانى عن على رفعه لا يبغض العرب الا منافق (ثم اعلم انه عليه الصلاة والسلام لم يشركه) بفتح الياء والراء بينهما شين ساكنة (فى ولادته من أبويه أخ ولا أخت) المراد أنهما لم يلدا غيره كما قال الواقدى انه المعروف عند العلماء قال سبط ابن الجوزى لم يتزوج عبد الله قط غير آمنة ولم تتزوج آمنة غيره قال وأجمع العلماء على أن آمنة لم تحمل بغيره صلى الله عليه وسلم قال وقولها لم أحمل حملا أخف منه المفيد حملها بغيره خرج على وجه المبالغة وقال الحافظ ابن حجر جازف سبط ابن الجوزى كعادته فى نقل الاجماع ولا يمتنع أن تكون أسقطت من عبد الله سقطا فأشارت بقولها المذكور اليه اه وما أورده ونقل كما ترى بل بتجويز انما يصح على ضعيف وهو تأخر موت والده بعد ولادته لانها حملت بالمصطفى عقب التزوج كما هو صريح فى الأخبار الآتية ولم تسقط قبله شيأ ولم يتقوه به متقوه فاين المجازفة وانما لم يلدا غيره (لانتهاء صفوتهما) أى خالصهما (اليه وقصور نسبهما عليه) أى عدم مجاوزته الى غيره تكريما (ليكون مختصا بنسب جعله الله للنبوة غاية) أى خاتما للنبوة بحيث لا يولد بعده نبى (ولتمام الشرف نهاية) لا غاية بعدها (وأنت اذا اختبرت حال نسبه وعلمت طهارة مولده تيقنت انها) أى ذاته الشريفة (سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم النبى) بالهمز وتركه وهو لغته صلى الله عليه وسلم وفى المستدرك عن أبى ذر أن رجلا قال يا نبىء الله بالهمز فقال صلى الله عليه وسلم لست نبىء الله قال الزركشى أنكر الهمز لانه لم يكن لغته وقال الجوهرى والصغانى انما أنكره لان الرجل أراد يا من خرج من مكة الى المدينة يقال نبأت من أرض الى أرض اذا خرجت منها الى أخرى اه وهذا هو الاحسن لان المصطفى يخاطب كل انسان بلغته ألا ترى الى خبر ليس من امبر امصيام فى امسفر (العربى) نسبة الى العرب خلاف العجم وهم عاربة وهم الخلص وهم سبع قبائل ومتعربة وهم بنو قحطان وليسوا بخلص ومستعربة وليسوا بخلص أيضا قال ابن دحية وهم بنو اسمعيل قاله الشامى ملخصا (الابطحى) نسبة الى أبطح مكة وهو مسيل واديها وهو ما بين مكة ومنى ومبتدؤه المحصب قاله الشامى وفى المختار البطحاء كالابطح ومنه بطحاء مكة وعليه فهو نسبة الى بطحاء مكة ولكن القياس الاول (الحرمى) الى الحرمين (الهاشمى القرشى) عام بعد خاص (نخبة) بالرفع نعت النبى (بنى هاشم) وفى القاموس النخبة بالضم وكهمزة المختار وانتخبه اختاره فقوله (المختار المنتخب) لعل مراده من جميع الخلق وفى الكلام حذف هو ومعلوم انهم خير العرب فهو المختار من جميع الناس (من خير بطون العرب وأشرفها فى الحسب) أى المفاخر (وأعرقها) بالقاف أثبتها وأقواها (فى النسب وأنضرها) أحسنها (عودا) أى طيبا وأصلا كانه مأخوذ من عود البخور شبه أصله فى ظهوره بالعود واستعار له اسمه (وأطولها عمودا) أعظمها أصلا يستند اليه ويتقوى به (وأطيبها أرومة) بفتح الهمزة وتضم أى أصلا كما فى القاموس (وأعزها جرثومة) بضم الجيم أصلا كما فى القاموس فالجمع بين هذا وما قبله للاطناب اذ المراد منهما واحد (وأفصحها لسانا) لغة (وأوضحها بيانا) تبيينا واظهارا للمراد (وأرجحها ميزانا) عملا يفتخر به عبر عنه بميزان لانه آلة يتميز بها الوافى من غيره (وأصحها ايمانا) تصديقا بما يوافق الحق فى كل زمن (وأعزها نفرا) بفتحتين حشما وأعوانا تمييز محول

المفعول فهمزته للتعدية كقولك ما أظرف زيدا وأكرم عمرا وأصلهما من ظرف وكرم قالوا لان المتعجب منه فاعل فى الاصل فوجب أن يكون فعله غير متعد قالوا وأما نحو ما أضرب زيدا لعمرو فهو منقول من الفعل المفتوح العين الى فعل المضموم العين ثم عدى والحالة هذه بالهمزة قالوا والدليل على ذلك مجيئهم باللام فيقولون ما أضرب زيدا لعمرو ولو كان باقيا على تعديه لقيل ما أضرب زيدا عمرا لانه متعد الى واحد بنفسه والى الآخر بهمزة التعدية فلما أن عدوه الى المفعول بهمزة التعدية عدوه الى الآخر باللام فهذا هو الذى أوجب لهم ان قالوا انهما لا يصاغان الا من فعل الفاعل لا من الواقع على المفعول ونازعهم فى ذلك آخرون وقالوا يجوز صوغهما من فعل الفاعل ومن الواقع على المفعول وكثرة السماع به من أبين الادلة على جوازه يقول العرب ما أشغله بالشئ وهو من شغل فهو مشغول وكذلك يقولون ما أولعه بكذا وهو من أولع بالشئ فهو مولوع به

عن

عن المضاف والاصل نفره أعز فحذف المضاف وأضيف أعز الى الضمير فحصل الابهام فبين بذلك المضاف (وأكرمها عشرا) طائفة وجماعة ينتسب اليهم (و) أكرمها (من قبل) جهة (أبيه وأمه) أكرمها من قبل كونه (من أكرم بلاد الله على الله) يعني مكة (و) من أكرم (عباده) عليه وهم العرب (فهو محمد) اسم مفعول على الصفة للتفاؤل بانه يكثر حمده وسيأتي ان شاء الله تعالى ما يتعلق به في المقصد الثاني قال في الفتح المحمد الذي حمد مرة بعد أخرى أو الذي تكاملت فيه الخصال المحمودة قال الاعشى

اليك أبيت اللعن كان وجيفها * الى الماجد القرم الجواد المحمد

(ابن عبد الله) قال الحافظ لم يختلف في اسمه اهـ قال ابن الاثير وكنيته أبو قثم وقاف مثلثة وهو من أسمائه صلى الله عليه وسلم ماخوذ من القثم وهو الاعطاء أو من الجمع يقال للرجل الجموع للخير قثوم وقثم وقيل أبو محمد وقيل أبو أحمد اهـ فان قلنا بالمشهور من وفاته والمصطفى حمل فلعله كنى بالالهام وان قلنا بعد ولادته فظاهر (الذبيح) بالجر نعت لعبد الله (ابن) شيخ البطحاء (عبد المطلب) مجاب الدعوة محرم الخمر على نفسه قال ابن الاثير وهو أول من تحنث بحراء كان اذا دخل شهر رمضان صعده وأطعم المساكين وقال ابن قتيبة كان يرفع من مائدته للطير والوحوش في رؤس الجبال فكان يقال له الفياض لجوده ومطعم طير السماء لانه كان يرفع من مائدته للطير (واسمه شيبة الحمد) مركب اضافي قال

على شيبة الحمد الذى كان وجهه * يضيء ظلام الليل كالقمر البدرى

(في قول محمد بن اسحق) بن يسار المطلبي مولاهم المدني نزيل العراق الحافظ امام المغازي صدوق لكنه يدلس ورمي بالتشيع والقدر توفي سنة خمسين ومائة (وهو) كما قال السهيلي (الصحيح) وعزاه في النور والفتح للجمهور (وقيل) في سبب تسميته بشيبة الحمد (سمي به لانه ولد وفي رأسه شيبة) واحدة الشيب وأقل ما تصدق به شعرة لانها أقل ما يتحقق فيه البياض وفي رواية وكانت ظاهرة في ذوائبه وأخرى وكان وسط رأسه أبيض وقيل لان أباه أوصى أمه بذلك وبالاول جزم المصنف في شرح البخاري وسوى بينهما الشامي ولعل وجه اضافته الى الحمد رجاء انه يكبر ويشيخ ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمدهم له لانه كان مفزع قريش في النوائب وملجأهم في الامور وشريفهم وسيدهم كمالا وفعالا (وقيل اسمه عامر وهو قول) أبي محمد عبد الله بن مسلم (بن قتيبة) بقاف مصغر الدينوري بفتح الدال وتكسر النحوي اللغوي مؤلف أدب الكاتب وغيره ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات سنة سبع وستين وهذا حكاه في الفتح بلفظ زعم ابن قتيبة وقد قال أبو عمر انه لا يصح (وتابعه) أي تبعه (على ذلك المجد) مجد الدين محمد بن يعقوب (الشيرازي) بكسر الشين المعجمة وفتح الراء وزاي نسبة الى شيراز قرية بنواحي سرخس مؤلف القاموس وغيره مجدد اللغة على رأس المائة الثامنة ومهر فيها وهو شاب وتفقه وطلب الحديث وجال في البلدان وكان له فيها الحظوة التامة حتى عند الملوك وفي شيوخه كثرة وأخذ عنه الحافظ وغيره ومات سنة سبع عشرة وثمانمائة وقد جاوز التسعين ممتعا بحواسه (وكنيته) أي عبد المطلب (أبو الحرث) بابن لفظ مختص بالذكر اجماعا حكاه الفاكهاني في شرح العمدة (له أكبر ولده) أي أولاده وهو يكون واحدا وجمعا وقيل أبو البطحاء (قيل وانما قيل له عبد المطلب لان أباه هاشما قال لاخيه المطلب) بن عبد مناف (وهو بمكة حين حضرته الوفاة أدرك عبدك) استعطافا أو على عادة العرب في قولهم لليتيم المربى في حجر شخص عبده فسماه عبدا باعتبار الاول لانه رأى نفسه محتضرا وانه لا يقوم على امر نفسه (بيثرب) اسم المدينة المنورة قبل الاسلام وقد غيره النبي صلى الله عليه وسلم الى طيبة وسماها الله طابة رواه مسلم في آخر الحج (فمن ثم) أي من هنا أي من أجل قول هاشم لاخيه أدرك عبدك (سمي عبد المطلب) ولا شك أن هذا قول غير القول بانه مات بغزة فلا وجه لايراده عليه

مبني للمفعول نص الأ وكذلك قولهم ما أحبه بكذا فهو من أعجب به ويقولون ما أحبه الى فهو تعجب من فعل المفعول وكونه محبوبا لك وكذا ما أبغضه الى وأمقته الى وههنا مسئلة مشهورة ذكرها سيبويه وهي انك تقول ما أبغضني له وما أحبني له وما أمقتني له اذا كنت أنت المبغض الكاره والمحب والماقت فتكون متعجبا من فعل الفاعل وتقول ما أبغضني اليه وما أمقتني اليه وما أحبني اليه اذا كنت أنت البغيض الممقوت أو المحبوب فتكون متعجبا من الفعل الواقع على المفعول فما كان باللام فهو للفاعل وما كان بالى فهو للمفعول وأكثر النحاة لا يعللون هذا والذي يقال في علته والله أعلم ان اللام تكون للفاعل في المعنى نحو قولك لمن هذا فيقال لزيد فيؤتى باللام أما الى فتكون للمفعول في المعنى تقول الى من يصل هذا الكتاب فتقول الى عبد الله وسر ذلك ان اللام في الاصل للملك والاختصاص والاستحقاق انما يكون للفاعل الذي يملك

(وقيل ان عمه المطلب جاء به الى مكة رديفه وهو بهيئة بذة) بفتح الموحدة والذال المعجمة المشددة أى رثة وفى المنتقى كان عليه اخلاق ثياب أثرت فيه الشمس (فكان يسأل عنه فيقول هو عبدى) يقول ذلك (حياء من أن يقول ابن أخى) فيعترض عليه بكونه على تلك الهيئة وكان بها مع انه كان عند أمه بالمدينة لانه أخذه بغير علمها وهو يلعب وقيل انما أخذه بعلمها فلعله استعجل لئلا تمنعه أمه بعد (فلما أدخله) مكة (وأحسن من حاله أظهر أنه ابن أخيه فلذلك) أى قول المطلب هو عبدى (قيل له) لشيبة الحمد (عبد المطلب) وبهذا القول جزم فى شرح البخارى وجزم الحافظ بما نصه سمى عبد المطلب واشتهر بها لان أباه لما مات بغزة وكان خرج اليها تاجرا ترك أمه بالمدينة فأقامت عند أهلها من الخزرج فكبر عبد المطلب فجاء عمه المطلب فأخذه ودخل به مكة فرآه الناس مردفه فقالوا هذا عبد المطلب فغلبت عليه فى قصة طويلة ذكرها ابن اسحق وغيره اه وقيل سمى به على عادة العرب فى قولهم لليتيم المربى فى حجر انسان عبده وأتى بقوله (وهو) كما قال السهيلى (أول من خضب) بابه ضرب (بالسواد من العرب) للاشعار باستمراره على اظهار الصفات الدالة على قوته وشجاعته الى وفاته روى ابن سعد عن المسور بن مخرمة قال أول من خضب بالوسمة من قريش بمكة عبد المطلب كان اذا ورد اليمن ورد على عظيم من حمير فقال هل لك من تغيير هذا البياض فتعود شابا فقال ذلك اليك فأمر به فخضب بحناء ثم علا بالوسمة فقال له عبد المطلب زودنا من هذا فزوده فأكثر فدخل مكة بليل ثم خرج عليهم بالغد كان شعره حلك الغراب فقالت له نتيلة لو دام لك هذا لكان حسنا فقال عبد المطلب

لودام لى هذا السواد حمدته * وكان بديلا من شباب قد انصرم

تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت نتيلة أو هرم

وماذا الذى يجدى على بحفظه * ونعمته يوما اذا عرشه انهدم

فموت جهير عاجلا لا شوى له * أحب الى من مقالهم حكم

قال فخضب أهل مكة بالسواد (وعاش مائة وأربعين سنة) فيما قاله عالم النسب الزبير بن بكار كما حكاه سيد الناس عن أبى الربيع بن سالم عنه قائلا انها أعلى ما قيل فى سنه وحكاه مغلطاى وجزم به السهيلى وتبعه المصنف فى شرح البخارى فالتوقف فيه بان الشامى لم يذكره عجيب فلا يلزم من ترك مكثر الاتقان لشئ عدم وجوده ولم يحكه فى غيره فمن حفظ حجة بل أخشى أن زيادة أربعة فى قول الشامى يقال بلغ مائة وأربعة وأربعين من تحريف النساخ لقولهم أعلى ما قيل مائة وأربعين وقيل عاش مائة وعشرين سنة صدر به مغلطاى والمصنف فيما يأتى فى وفاة عبد المطلب ويأتى له مزيد ثم (ابن هاشم واسمه عمرو) قاله مالك والشافعى منقول من العمر الذى هو العمر أو العمر الذى هو من عمور الاسنان أو العمر الذى هو طرف الكم يقال سجد على عمره أى كمه أو العمر الذى هو القرط كما قال

وعمر هند كان الله صوره * عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا

وزاد أبو حنيفة وجها خامسا فقال من العمر الذى هو اسم لنحل السكر ويقال فيه عمر أيضا انتهى من من الروض (وانما قيل له) لعمرو (هاشم لانه كان يهشم الثريد) بمثلثة ما تخذ من لحم وخبز قال

اذا ما الخبز تأدمه بلحم * فذاك أمانة الله الثريد

(لقومه فى الجدب) بجيم مفتوحة ودال مهملة ساكنة خلاف الخصب وفى فتح البارى لانه أول من هشم الثريد بمكة لاهل الموسم ولقومه أولا فى سنة المجاعة وفيه يقول الشاعر

عمرو العلا هشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وأشعر اتيان المصنف بحرف المضارعة مع كان المفيد للتكرار وتكرر ذلك منه وهو كذلك ففى السبل

ويستحق والى الانتهاء الغاية والغاية منتهى ما يقتضيه الفعل فهى بالمفعول أليق لانها تمام مقتضى الفعل ومن التعجب من فعل المفعول قول كعب بن زهير فى النبى صلى الله عليه وسلم

فلهو أخوف عندى اذ أكلمه
وقيل انك محبوس ومقتول
من خادر من ليوث الاسد مسكنه
ببطن عثر غيل دونه غيل

فأخوف ههنا من خيف فهو مخوف لا من خاف وكذلك قولهم أجن زيدا من جن فهو مجنون هذا مذهب الكوفيين ومن وافقهم قال البصريون كل هذا شاذ لا يعول عليه فلا يشوش به القواعد ويجب الاقتصار منه على المسموع قال الكوفيون كثرة هذا فى كلامهم نثرا ونظما يمنع حمله على الشذوذ لان الشاذ ما خالف استعمالهم ومطرد كلامهم وهذا غير مخالف لذلك قالوا وأما تقدير كم لزوم الفعل ونقله الى فعل فتحكم لا دليل عليه وما تمسكتم به من التعدية بالهمزة

لما أصاب أهل مكة جهد وشدة رحل الى فلسطين فاشترى منها دقيقا كثيرا وكعكا وقدم به مكة فأمر به فخبز ثم نحر جزورا وجعلها ثريدا عم به أهل مكة ولا يزال يفعل ذلك بهم حتى استقلوا اهـ وفي المنتقى كان هاشم أفخر قومه وأعلاهم وكانت مائدته منصوبة لا ترفع لا في السراء ولا في الضراء وكان يحمل ابن السبيل ويؤدي الحقائق وكان نور رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه يتوقد شعاعه ويتلألأ ضياؤه ولا يراه حبر الاقبل يده ولا يمر بشيء الا سجد اليه تغدو اليه قبائل العرب ووفود الاحبار يحملون بناتهم يعرضون عليه أن يتزوج بهن حتى بعث اليه هرقل ملك الروم وقال ان لي ابنة لم تلد النساء أجمل منها ولا أبهى وجها فاقدم علي حتى أزوجكها فقد بلغني جودك وكرمك وانما أراد بذلك نور المصطفى الموصوف عندهم في الانجيل فأبى هاشم قال ابن اسحق وهو أول من مات من بني عبد مناف واختلف في سنه فقيل عشرون وقيل خمس وعشرون سنة (ابن عبد مناف) بفتح الميم وخفة النون من أناف ينيف انافة اذا ارتفع وقيل الانافة الاشراف والزيادة لقب بذلك لان أمه حبى بضم الحاء المهملة وموحدة مشددة ممالة أخدمته صنما عظيما لهم يسمى مناة ثم نظر أبوه فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف (واسمه) كما قال الشافعي (المغيرة) منقول من الوصف والهاء للمبالغة سمي به تفاؤلا انه يغير على الاعداء وساد في حياة أبيه وكان مطاعا في قريش ويدعى القمر لجماله قال الواقدي وكان فيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده لواء نزار وقوس اسمعيل وذكر الزبير عن موسى بن عقبة انه وجد كتابة في حجر أنا المغيرة بن قصي آمر بتقوى الله وصلة الرحم وإياها عنى القائل

كانت قريش بيضة فتفلقت * فالمح خالصه لعبد مناف

قال ابن هشام ومات بغزة (ابن قصي) بضم القاف (تصغير قصي) بفتح فكسر فياء اسم كنة من قصا يقصو اذا بعد قال المصنف تبعا للسهيلي وصغر على فعيل لانهم كرهوا اجتماع ياآت فحذفوا الثالثة التي تكون في فعيل فبقي على وزن فعيل مثل فليس اهـ وفسر المصغر بقوله (أي بعيد لانه بعد عن عشيرته) أي قبيلته وفي القاموس عشيرة الرجل بنو أبيه الادنون أو قبيلته جمعه عشائر (في) بلاد (قضاعة) بضم ففتح (حين احتملته أمه فاطمة) بنت سعد العذري في قصة طويلة ذكرها ابن اسحق (واسمه مجمع) اسم فاعل من جمع (قال الشاعر أبوكم قصي كان يدعى مجمعا * ذكر ثعلب في أماليه انه كان يجمع قومه يوم العروبة فذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم انه سيبعث فيهم نبي (به جمع) بالتثقيل للمبالغة (الله القبائل من) بني (فهر) في مكة بعد تفرقهم في البلدان فجمعهم وأدخلهم مكة في قصة طويلة عند ابن اسحق (وقيل) اسمه (زيد) وجزم به في السبل والتوشيح والعيون والعراقي واقتصر عليه في الفتح فقال روى السراج في تاريخه من طريق أحمد بن حنبل سمعت الشافعي يقول اسم المطلب شيبة الحمد واسم هاشم عمرو واسم عبد مناف المغيرة واسم قصي زيد (وقال) الامام (الشافعي) محمد بن ادريس المطلبي المكي نزيل مصر عالم قريش مجدد الدين على رأس المائتين حفظ القرآن ابن سبع والموطأ ابن عشر وأفتى وهو ابن خمس عشرة وكان يحيي الليل الى أن مات في رجب سنة أربع ومائتين عن أربع وخمسين سنة مناقبه جمة أفردها العلماء بالتصانيف (كما حكاه عنه الحاكم) الكبير (أبو أحمد) كنية الحاكم محمد بن محمد بن اسحق النيسابوري الامام الحافظ الجهبذ محدث خراسان سمع ابن خزيمة والباغندي والسراج وسمع منه السلمي والحاكم أبو عبد الله المشهور والموافق له في الاسم واللقب والنسبة وانما افترقا في الكنية ووصفه بانه امام عصره في الحديث كثير التصانيف مقدم في معرفة شروط الصحيح والاسامي والكنى وكان صالحا ماشيا على سنن السلف مات في ربيع الاول سنة ثمان وسبعين وثلثمائة عن ثلاث وتسعين سنة (يزيد) بزيادة ياء أوله وهذا مقول قول

الى آخره فليس الامر فيها كما ذهبتم اليه والهمزة في هذا البناء ليست للتعدية وانما هي للدلالة على معنى التعجب والتفضيل فقط كألف فاعل وميم مفعول وواوه وتاء الافتعال والمطاوعة ونحوها من الزوائد التي تلحق الفعل الثلاثي لبيان ما لحقه من الزيادة على مجرده فهذا هو السبب الجالب لهذه الهمزة لا تعدية الفعل قالوا والذي يدل على هذا ان الفعل الذي يعدى بالهمزة يجوز ان يعدى بحرف الجر والتضعيف نحو جلست به وأجلسته وقمت به وأقمته ونظائره وهنا لا يقوم مقام الهمزة غيرها فعلم انها ليست للتعدية المجردة وأيضا فانها تجامع باء التعدية نحو أكرم به وأحسن به ولا يجمع على الفعل بين تعديتين وأيضا فانهم يقولون ما أعطاه للدراهم وأكساه للثياب وهذا من أعطى وكسا المتعدي ولا يصح تقدير نقله الى عطو اذا تناول ثم أدخلت عليه همزة التعدية لفساد المعنى فان التعجب انما وقع من اعطائه لا من عطوه وهو تناوله والهمزة التي

الشافعي قول ثان له لكنه لا يساوي ما حكاه أحمد عنه لانه أجل تلامذته ثم اقتصار المذكورين عليه يفيد أنه الاصح فكان حق المصنف تقديمه وفي الخميس قصي هو الذي جمع الله به قريشا وكان اسمه زيد فسمي مجمعا لما جمع من أمرها وأنشد بيت المصنف فعليه مؤاخذة في مقابلته بزيد لان مجمعا ليس اسمه الاصلي ولا هو مقابل لكونه زيدا كيف وبعد هذا البيت كما حكاه الماوردي وغيره

وأنتم بنو زيد وزيد أبوكم ✽ به زيدت البطحاء فخرا على فخر

وكان قصي أول بني كعب أصاب ملكا طاع له به قومه وكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء وحاز شرف مكة جميعا وكان رجلا جلدا جميلا وعلم قريش وأقومها بالحق (ابن كلاب) بكسر الكاف وتخفيف اللام (وهو) كما قال السهيلي (اما منقول من المصدر الذي في معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة) وكلاهما في القاموس المكالبة المشارة والمضايقة والتكالب التواثب (واما من الكلاب جمع كلب) الحيوان المعروف (كانهم) أي العرب (يريدون الكثرة كما يسمون بسباع) وأنمار وغير ذلك (وسئل أعرابي) هو كما في الروض أبو الدقيش وفي الصحاح قال يونس لابي الدقيش الشاعر ما الدقيش قال لا أدري هي أسماء نسمعها نتسمى بها وفي حياة الحيوان الدقش بضم الدال المهملة وفتح القاف طائر صغير (لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو رزق ومرزوق ورباح) بموحدة (فقال انما نسمي أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد) الاعرابي (أن الابناء عدة للاعداء) بضم العين ما أعد لحوادث الدهر من مال وسلاح كما في المختار (وسهام في نحورهم) جمع نحر موضع القلادة من الصدر ويطلق على الصدر أيضا عطف خاص على عام على أن معنى العدة ما صدق عليه مفهوم ما أعددته الخ أو عطف جزء على كل ان أريد بالعدة مجموع ما يدخر من مال وسلاح وعلى كل هو تشبيه بليغ أي كعدة أو استعارة على نحو زيد أسد (فاختاروا لهم هذه الاسماء) دون عبيدهم لانهم لا يقصد منهم قتال غالبا بل كان عارا عند العرب (واسم كلاب حكيم) بفتح الحاء وكسر الكاف وقدمه مغلطاي في الاشارة وصححه المحب بن الشهاب بن الهائم ويقال الحكيم بزيادة أل (وقيل عروة) حكاه مغلطاي وغيره الفتح ذكر ابن سعد أن اسمه المهذب وزعم محمد بن أسعد أن اسمه حكيم وقيل عروة فحكى ما قدمه المصنف بلفظ زعم وصدر بغيره فكأنه اعتمد تصحيح ابن الهائم وتقديم مغلطاي قال الحافظ ولقب بكلاب لمحبته كلاب الصيد وكان يجمعها فمرت به فسأل عنها قيل هذه كلاب ابن مرة وقال المصنف لمحبته الصيد وكان أكثر صيده بالكلاب قاله المهلب وغيره (ابن مرة) بضم الميم منقول من وصف الرجل بالمرارة وقواه السهيلي فالتاء للمبالغة أو من وصف الحنظلة والعلقمة فالتاء للتانيث كذا في السبل وفي المختار العلقم شجر مر ويقال للحنظل ولكل مر علقم قال شيخنا فالمناسب أن يقول من وصف الحنظل والعلقم بغير تاء أو بالتاء فلا يكون للتانيث بل للوحدة أو من اسم نبات مخصوص وهو بقلة تقطع فتؤكل بالخل أو من قولهم مر الشئ اذا اشتد مرارته أو من القوة وعليهما فالظاهر أن الهاء للمبالغة فرجعهما والاول واحد وله ثلاثة أولاد كلاب وتيم ومن نسله الصديق وطلحة ويقظة وبه يكنى (ابن كعب) قال السهيلي سمي بذلك لستره على قومه ولين جانبه لهم منقول من كعب القدم وقال ابن دريد وغيره من كعب القناة سمي بذلك لارتفاعه وشرفه فيهم فكانوا يخضعون له حتى أرخوا بموته قاله الفتح أي الى عام الفيل فارخوا به ثم بموت عبد المطلب وقيل من الكعب الذي هو قطعة السمن الجامد (وهو) أي كعب (أول من جمع) الناس لمجرد الوعظ (العروبة) بفتح المهملة وضم الراء وبالموحدة ولم يكن ثم صلاة يجمعهم اليها من الاعراب التحسين لتزين الناس فيه قال

تسميه همزة التعجب والتفضيل وحذفت همزته التي في فعله فلا يصح ان يقال هي للتعدية قالوا وأما قولكم انه عدي باللام في نحو ما أضربه لزيد الى آخره فالاتيان باللام ههنا ليس لما ذكرتم من لزوم الفعل وانما أتى بها تقوية له لما ضعف بمنعه من التصرف وألزم طريقة واحدة خرج بها عن سنن الافعال فضعف عن اقتضائه وعمله فقوي باللام كما يقوى بها عند تقدم معموله عليه وعند فرعيته وهذا المذهب هو الراجح كما تراه (فلنرجع الى المقصود) فنقول تقدير أحمد على قول الاولين أحمد الناس لربه وعلى قول هؤلاء أحق الناس وأولاهم بان يحمد فيكون كمحمد في المعنى الا ان الفرق بينهما ان محمدا هو كثير الخصال التي يحمد عليها وأحمد هو الذي يحمد أفضل مما يحمد غيره فمحمد في الكثرة والكمية وأحمد في الصفة والكيفية فيستحق من الحمد أكثر مما يستحق غيره وأفضل مما يستحق غيره فيحمد أكثر حمد وأفضل حمد حمده البشر فالاسمان

النحاس لايعرفه أهل اللغة بالالف واللام وفى الارشاد قال ومعناه المبين المعظم من أعرب اذا بين ولم يزل يوم الجمعة معظما عند أهل كل ملة اهـ وقال أبو موسى فى ذيل الغريبين الافصح أن لا تدخله أل وكأنه ليس بعربى اهـ وهو اسم يوم الجمعة فى الجاهلية اتفاقا واختلف فى أن كعبا سماه الجمعة لاجتماع الناس اليه فيه وبه جزم الفراء وثعلب وغيرهما وصحح أو انما سمى بعد الاسلام وصححه ابن حزم وقيل أول من سماه به أهل المدينة لصلاتهم الجمعة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم مع أسعد بن زرارة أخرجه عبد بن حميد عن ابن سيرين وقيل غير ذلك (وكانت تجتمع اليه قريش فى هذا اليوم فيخطبهم) يعظهم وكان فصيحا خطيبا وكان يأمرهم بتعظيم الحرم ويخبرهم سيبعث فيهم نبى أخرجه الزبير بن بكار عن أبى سلمة بن عبد الرحمن مقطوعا وفى أمالى ثعلب انه قصيا كان يجمعهم كما مر ولا خلاف (ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم بانه من ولده) وعلمه هو به من الوصية المستمرة من آدم أن من كان فيه ذلك النور لا يضعه الا فى المطهرات لان ختام الانبياء منه وقد علمه ظاهرا فيه فاتمانه أو من الكتب القديمة أن من كان بصفة كذا كان محمد من ولده ووجد تلك الصفة فيه والاول أظهر (ويأمرهم باتباعه) ان أدركوه (والايمان به) عطف تفسير فاتباعه الايمان به (وينشد فى ذلك) أى معه (أبياتا منها قوله ياليتنى شاهد) حاضر (فحواء) بفاء فحاء مهملة ممدود وقصر للوزن وفيه القصر أيضا أى معنى (دعوته) الناس الى الايمان وفى نسخة نجواء بنون وجيم والمد للضرورة من اضافة الصفة للموصوف أى دعوته السر اشارة الى ما وجد فى ابتداء الدعوة من الخفاء قبل الامر بالصدع وفى نسخة فحواء كالاولى طلعته بطاء ولام وعين (اذا قريش تبغى) بضم الفوقية وفتح الموحدة وكسر الغين المعجمة من بغاء الشئ بالتخفيف طلبه شدد مبالغة وفى نسخة حين العشيرة تبغى بفتح فسكون فكسر مخففا من بغاه الشئ طلبه له (الحق خذلانا) والمراد انه يتمنى ادراك زمن دعوته صلى الله عليه وسلم للناس وقريش يعارضونه ويطلبون خذلان دينه لينصره ويظهر دينه وهذا الذى أورده المؤلف فى كعب رواه أبو نعيم فى الدلائل عن كعب الاحبار مطولا وفى آخره وكان بين موت كعب ومبعث النبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة سنة وستون سنة (ابن لؤى) بضم اللام والهمزة ويسهل بابدال همزته واوا وفى النور والارشاد الهمز أكثر عند الاكثرين (تصغير اللأى) قال ابن الانبارى تصغير لأى بوزن عصا واللأى الثور قال ويحتمل انه تصغير لأى بوزن عبد وهو البطء بالهمز ضد العجلة ويؤيده قوله

فدونكم وبنى لأى أخاكم * ودونك مالكا يا أم عمرو

انتهى واختار السهيلى الثانى وقد قال الاصمعى هو تصغير لواء الجيش زيدت فيه الهمزة وقيل منقول من لوى الرمل مقصورا وفى القاموس ولأى اسم تصغيره لؤى ومنه لؤى بن غالب قال شيخنا اقتصر عليه لان النقل عن الاسم أولى من اسم الجنس والا فكل تلك الالفاظ صالح للتصغير (وهو) كما قال ابن الانبارى وجماعة (الثور) الوحشى وقال أبو حنيفة اللأى البقرة وكنيته أبو كعب وكان له سبعة ذكور (ابن غالب) بالمعجمة وكسر اللام منقول من اسم فاعل مشتق من الغلب بفتحات أو فتح فسكون ويقال غالبه فغلبه ولد تيم وبه يكنى ولؤى (ابن فهر) بكسر الفاء وسكون الهاء فراء منقول من الفهر الحجر الطويل قاله السهيلى وقال الخشنى الفهر حجر ملء الكف يذكر ويؤنث وخطأ الاصمعى من أنثه وفى الفتح الفهر الحجر الصغير وفى الارشاد الطويل والاملس (واسمه قريش) وفى الفتح والارشاد قيل اسمه قريش ونقل عن الزهرى ان أمه سمته به وأبوه سماه فهرا وقيل فهر لقبه وقيل بالعكس (واليه تنسب قريش) فيما قاله جماعة ونسب للاكثر قال الزهرى وهو الذى أدركت عليه من أدركت من نساب العرب ان من جاوز فهرا فليس من قريش (فما كان فوقه

واقعا على المفعول وهذا أبلغ فى مدحه وأكمل معنى ولو أريد بمعنى الفاعل لسمى الحماد أى كثير الحمد فانه صلى الله عليه وسلم كان أكثر الخلق حمدا لربه فلو كان اسمه أحمد باعتبار حمده لربه لكان الاولى به الحماد كما سميت بذلك أمته وأيضا فان هذين الاسمين انما اشتقا من أخلاقه وخصائصه المحمودة التى لاجلها استحق ان يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وأحمد وهو الذى يحمده أهل السماء وأهل الارض وأهل الدنيا والآخرة لكثرة خصائله المحمودة التى تفوق عد العادين واحصاء المحصين وقد أشبعنا هذا المعنى فى كتاب الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم وانما ذكرنا ههنا كلمات يسيرة اقتضتها حال المسافر وتشتت قلبه وتفرق همته وبالله المستعان وعليه التكلان وأما اسمه المتوكل ففى صحيح البخارى عن عبد الله بن عمرو قال قرأت فى التوراة صفة النبى صلى الله عليه وسلم محمد رسول الله عبدى ورسولى سميته المتوكل ليس

بفظ ولا غليظ ولاسخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة بل يعفو و يصفح ولن أقبضه حتى أقيم به الملة أن يقولوا لا اله الا الله وهو صلى الله عليه وسلم أحق الناس بهذا الاسم لانه توكل على الله في اقامة الدين توكلا لم يشركه فيه غيره وأما الماحي والحاشر والمقفي والعاقب فقد فسرت في حديث جبير بن مطعم فالماحي الذي محا الله به الكفر ولم يمح الكفر بأحد من الخلق ما محي بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه بعث وأهل الارض كلهم كفار الا بقايا من أهل الكتاب وهم ما بين عباد أوثان ويهود مغضوب عليهم ونصارى ضالين وصابئة دهرية لا يعرفون ربا ولا معادا وبين عباد الكواكب وعباد النار وفلاسفة لا يعرفون شرائع الانبياء ولا يقرون بها فمحا الله سبحانه برسوله ذلك حتى ظهر دين الله على كل دين وبلغ دينه ما بلغ الليل والنهار وسارت دعوته مسير الشمس في الاقطار وأما الحاشر فالحشر هو الضم والجمع فهو الذي يحشر الناس على قدمه فكأنه بعث ليحشر

(فكناني) نسبة الى كنانة بن مدركة (لاقرشي) نسبة الى قريش ويقال قريشي أيضا على القياس (على الصحيح) صححه الدمياطي والعراقي وغيرهما والحجة لهم حديث مسلم والترمذي مرفوعا ان الله اصطفى كنانة من ولد اسمعيل واصطفى قريشا من كنانة الحديث وذهب آخرون الى أن أصل قريش النضر وبه قال الشافعي وعزاه العراقي للاكثرين فقال

اما قريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر

قال النووي وهو الصحيح المشهور وأيضا صححه الحافظ الصلاح العلائي وعزاه للمحققين واحتجوا بحديث الاشعث بن قيس قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد كندة فقلت ألستم منا يا رسول الله قال لا نحن بنو النضر بن كنانة رواه ابن ماجه وابن عبد البر وأبو نعيم في الرياضة وزاد فقال أشعث والله لا أسمع أحدا نفى قريشا من النضر بن كنانة الا جلدته والاحتجاج بهذا ظاهر لا خفاء فيه قال الحافظ في سيرته وعندي انه لا اختلاف في ذلك لان فهرا جماع قريش ثم ان أباه مالكا ما أعقب غيره فقريش تنتهي نسبها كلها الى مالك بن النضر وكذلك النضر ليس له عقب الا من مالك فاتفق القولان بحمد الله تعالى اه ومن خطه نقلت وقيل ان قريشا هو الياس وقيل مضر وحكى الماوردي وغيره انه قصي قال البرهان وهو قول باطل وكانه قول رافضي لاقتضائه أن أبا بكر وعمر ليسا من قريش فامامتهما باطلة وهو خلاف اجماع المسلمين اه ونقله عنه الشامي بلفظه وكثيرا ما سمعت شيخنا حافظ العصر أبا عبد الله محمد البابلي يجزم بانه قول الرافضة اخترعوه للطعن في الشيخين ولم أر الجزم به الآن لكنه كان واسع الاطلاع واختلف في سبب تسميتها بقريش فقيل منقول من تصغير قرش وهو دابة في البحر عظيمة من أقوى دوابه سميت به لقوتها لانها تاكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وكذلك قريش أخرج ابن النجار في تاريخه عن ابن عباس انه دخل على معاوية وعنده عمرو بن العاصي فقال عمرو ان قريشا تزعم انك أعلمها فلم سميت قريش قريشا فقال بامر بين فقال فسره لنا ففسره قال هل قال فيه أحد شعرا قال نعم سميت قريشا بدابة في البحر وقد قال الشمرخ بن عمرو الحميري

وقريش هي التي تسكن البحـ * ـر بها سميت قريش قريشا

تاكل الغث والسمين ولا تتـ * ـرك فيها لذي الجناحين ريشا

هكذا في البلاد حي قريش * ياكلون البلاد أكلا كميشا

ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والخموشا

يملأ الارض خيله ورجال * يحشرون المطي حشرا كشيشا

وأخرجه ابن عساكر الا انه ذكر ان السائل معاوية ووصف ابن عباس الدابة بانها أعظم دواب البحر وعزا هذه الابيات للجمحي اه وأكلا كميشا أي سريعا والخموش الخدوش كما في القاموس وغيره وقيل من التقريش وهو التفتيش لانهم كانوا يفتشون عن خلة الناس وحاجاتهم فيسدونها بما لهم وقيل بقريش بن بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة وقيل لانهم كانوا يتجرون ويأخذون ويعطون من قرش الرجل يقرش كيضرب اذا اتجر وقيل من الاقراش وهو وقوع الرايات والرماح بعضها على بعض وقيل من التقريش وهو التحريش قال الزجاجي وهو بعيد لان المعروف لغة ان التحريش هو الترقيش بتقديم الراء وقيل غير ذلك وقد حكى ابن دحية في سبب تسمية قريش ومن أول من سمي بها عشرين قولا هذا وقريش فرقتان بطاح وظواهر فالبطاح من دخل مكة مع قصي والظواهر من أقام بظاهر مكة ولم يدخل الابطح (ابن مالك) اسم فاعل من ملك يملك فهو مالك والجمع ملاك ويكنى أبا الحرث قال الخميس سمي مالكا لانه كان ملك العرب ويقع في نسخ ابن مالك قريش واليه تنسب قريش فما

فوقه شكدانى لاقرشى على الصحيح وكأنه كان بهامش مسودة المصنف فتحرف على الناسخ فخرجه
فى غير موضعه وعلى تقدير صحته فقوله قريش صفة لفهر بعد صفة لا صفة لمالك (ابن النضر) بفتح
النون واسكان الضاد المعجمة قرابه (واسمه قيس) ولقب بالنضر لنضارة وجهه واشراقه وجماله
منقول من النضر اسم الذهب الاحمر وامه من الذكور مالك والصلت ومخلد بفتح التحتية وسكون
المعجمة وضم اللام فال مهملة وبه يكنى أبوه ولكن لم يعقب الامن مالك كما مر وأم النضر برة بنت أدبن
طابخة تزوجها كنانة بعد أبيه خزيمة فولدت له النضر على ما كانت الجاهلية تفعله اذا مات الرجل خلف
على زوجته أكبر بنيه من غيرها كذا قاله الزبير بن بكار وتبعه السهيلى وزاد ولذلك قال تعالى ولا تنكحوا
ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف أى من تحليل ذلك قبل الاسلام قال وفائدة الاستثناء هنا التلا
يعاب نسب النبى صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن فى أجداده سفاح ألا ترى انه لم يقل فى شئ نهى عنه
فى القرآن الا ما قد سلف الا فى هذه الآية وفى الجمع بين الاختين فان الجمع بينهما كان مباحا فى شرع من
قبلنا وقد جمع يعقوب بين أختين وهما ليا أى بجيم كما فى السبل أو حاء مهملة كما فى القاموس وليا
فقوله الا ما قد سلف التفات الى هذا المعنى وهذه النكتة من الامام أبى بكر بن العربى الى هنا كلامه
وتعقبه الحافظ القطب عبد الكريم الحلبى ثم المصرى فى شرح السيرة لعبد الغنى بما حاصله ان هذا
غلط نشأ من اشتباه وذلك أن أبا عثمان الجاحظ قال ان كنانة خلف على زوجة أبيه فماتت ولم تلد له
ذكرا ولا أنثى فنكح ابنة أخيها وهى برة بنت مر بن أد بن طابخة فولدت له النضر قال الجاحظ وانما
غلط كثير من الناس لما سمعوا أن كنانة خلف على زوجة أبيه لاتفاق اسمهما وتقارب نسبهما قال وهذا الذى
عليه مشايخنا من أهل العلم والنسب ومعاذ الله أن يكون أصاب نسبه صلى الله عليه وسلم نكاح مقت
وقد قال ما زلت أخرج من نكاح كنكاح الاسلام ومن قال غير هذا فقد أخطأ وشك فى هذا الخبر
والحمد لله الذى طهره من كل وصم تطهيرا اه قال الدميرى وهذا أرجو به الفوز للجاحظ فى منقلبه
وأن يتجاوز عنه فيما سطره فى جميع كتبه اه وقد صوب مغلطاى كلام الجاحظ وأن خلافه غلط
ظاهر قال وهذا الذى يثلج به الصدر ويذهب وحره ويزيل الشك ويطفئ شرره قال الشامى وهو من
النفائس التى يرحل اليها والسهيلى تبع الزبير بن بكار والزبير كأنه تبع الكلبى وهو متروك بل
لو نقله ثقة لم يقبل لبعد الزمان ومخالفة الاحاديث الناطقة بخلافه اه وكذا ما قيل ان هاشما خلف
على واقدة زوجة أبيه بفرض صحته فليست جدة للنبى صلى الله عليه وسلم فان أم عبد المطلب أنصارية
ولذا كانت الانصار أخوال المصطفى (ابن كنانة) بكسر الكاف ونونين مفتوحتين بينهما ألف ثم هاء
منقول من الكنانة التى هى الجعبة بفتح الجيم وسكون العين المهملة سمى بذلك تفاؤلا بانه يصير
كالكنانة الساترة للسهام فكان سترا على قومه قاله فى السبل وفى الخميس انما سمى كنانة لانه لم يزل
فى كن من قومه وفى الفتح هو بلفظ وعاء السهام اذا كانت من جلد ونقل عن أبى عامر العدوانى
أنه قال رأيت كنانة بن خزيمة شيخا مسنا عظيم القدر يحج اليه العرب لعلمه وفضله بينهم (ابن
خزيمة تصغير خزمة) بمعجمتين مفتوحتين وهى مرة واحدة من الخزم وهو شد الشئ واصلاحه وقال
الزجاجى يجوز انه من الخزم بفتح فسكون تقول خزمته فهو مخزوم اذا أدخلت فى أنفه الخزام قاله فى
الفتح وقيل تصغير خزمة بكسر فسكون فقيل هى برة فى أنف البعير يشد فيها الزمام وقيل الحلقة التى
تجعل فى أنف البعير من شعر ونحوه قال فى الغرر ولم أر من تعرض لوجه المناسبة للنقل مما ذكر وقد
يقال الانتقال لا يقال فيه ذلك بخلاف الالقاب وفى الخميس انما سمى خزيمة تصغير خزمة لانه اجتمع
فيه نور آبائه وفيه نور رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى القاموس الخزامة كتابة للبرة ثم قال والخزمة

جاء عقب الانبياء فليس
بعده نبى فان العاقب
هو الآخر فهو بمنزلة
الخاتم ولهذا سمى
العاقب على الاطلاق
أى عقب الانبياء جاء
بعقبهم * وأما المقفى
فكذلك وهو الذى قفى
على آثار من تقدمه فقفى
الله به على آثار من سبقه
من الرسل وهذه اللفظة
مشتقة من القفو يقال
قفاه يقفوه اذا تأخر عنه
ومنه قافية الرأس وقافية
البيت فالمقفى الذى قفى
من قبله من الرسل فكان
خاتمهم وآخرهم * وأما
نبى التوبة فهو الذى فتح
الله به باب التوبة على أهل
الارض فتاب الله عليهم
توبة لم يحصل مثلها
لاهل الارض قبله وكان
صلى الله عليه وسلم أكثر
الناس استغفارا وتوبة
حتى كانوا يعدون له
فى المجلس الواحد مائة
مرة رب اغفر لى وتب على
انك أنت التواب الغفور
وكان يقول يا أيها
الناس توبوا الى الله ربكم
فانى أتوب الى الله فى اليوم
مائة مرة وكذلك توبة
أمته أكمل من توبة سائر
الامم وأسرع قبولا
وأسهل تناولا وكانت
توبة من قبلهم من
أصعب الاشياء حتى

عمر كةخوص المقل قال شيخنا فيجوز جعل خزيمة مصغر خزامة وخزمة قال ابن عباس مات خزيمة على ملة ابراهيم (ابن مدركة) بضم فسكون فكسر ففتح ثم ها عبالغة منقول من اسم فاعل من الادراك لقب به لادراكه كل عز وفخر كان في آبائه وكان فيه نور المصطفى ظاهرا بينا واسمه عمر وعند الجمهور وهو الصحيح وقال ابن اسحق عامر وضعف (ابن الياس) بتحتية والمعروف أنه اسمه وفي سيرة مغلطاي اسمه حبيب وفي الخميس انما سمي الياس لان أباه كبر ولم يولد له فولد على الكبر واليأس فسمي اليأس وكنيته أبو عمرو وله أخ يقال له الناس بنون ذكره ابن ماكولا والجوهري والياس (بكسر الهمزة) وهي همزة قطع تثبت في الابتداء والتدرج (في قول) الحافظ أبي بكر محمد بن القاسم (ابن الانباري) بفتح الهمزة وسكون النون وفتح الموحدة نسبة الى الانبار بلدة قديمة على الفرات على عشرة فراسخ من بغداد صاحب التصانيف العلامة في النحو واللغة والادب المعدود في حفاظ الحديث كان من أفراد الدهر في سعة الحفظ مع الصدق والدين ومن أهل السنة مات ببغداد ليلة عيد النحر سنة ثمان وعشرين وثلثمائة وقد وافقه على كسر الهمزة طائفة قال ابن الانباري وهو أفعال من قولهم أليس الشجاع الذي لا يفر قال الشاعر * أليس كالنشوان وهو صاحي * (و بفتحها في قول قاسم بن ثابت) حزم لعوفي الاندلسي المالكي الفقيه المحدث المشارك لابيه في رحلته وشيوخه الورع الناسك مجاب الدعوة المتوفى سنة اثنتين وثلثمائة قال وهو (ضد الرجاء واللام فيه للتعريف والهمزة للوصل) وأنشد قاسم على ذلك قول قصي * أمهتي خندف والياس أبي * وصححه المحققون كما قال بعض مشايخ البرهان (قال) الامام الحافظ العلامة ذو الفهم الدقيق والمعاني الرائقة عبد الرحمن بن عبد الله ابن أحمد بن أصبغ (السهيلي) الخثعمي الاندلسي المالكي أبو القاسم واسع المعرفة غزير العلم النحوي اللغوي الامام في لسان العرب العالم بالتفسير وصناعة الحديث ورجاله وأنسابه وبالتاريخ وعلم الكلام وأصوله وأصول الفقه الذكي النبيه عمي وهو ابن سبع عشرة سنة ولد سنة ثمان وخمسمائة وصنف كتبا منها الروض الانف ذكر فيه انه استخرجه من مائة وعشرين مصنفا ومات في شعبان سنة احدى وثمانين وخمسمائة وهو منسوب الى سهيل قرية قرب مالقة سميت سهيل بالكوكب لانه لا يرى في جميع بلاد الاندلس الا من جبل مطل على هذه القرية يرتفع نحو درجتين و يغيب (وهذا) الذي قاله قاسم (أصح) من قول ابن الانباري وصدق المصنف فلفظ السهيلي والذي قاله غير ابن الانباري أصح وقد سقط لفظ غير من بعض نسخ النور فاوهم اعتراضا على المصنف مع انه خطأ نشأ عن سقط (وهو أول من أهدى البدن الى البيت الحرام) جمع بدنة وهي البعير ذكرا كان أو أنثى والهاء فيها للوحدة لا للتأنيث وحكى ابن التين عن مالك انه كان يتعجب ممن يخص البدنة بالانثى وقال الازهري البدنة لا تكون الا من الابل وأما الهدى فمن الابل والبقر والغنم هذا لفظه في التهذيب وحكى النووي عنه أن البدنة تكون من الابل والبقر والغنم وهو خطأ نشأ عن سقط وفي الصحاح البدنة ناقة أو بقرة تنحر بمكة سميت بذلك لانهم كانوا يسمنونها قاله الحافظ ابن حجر وفي حياة الحيوان وهو أيضا أول من وضع مقام ابراهيم للناس بعد غرق البيت وانهدامه زمن نوح فكان الياس أول من ظفر به فوضعه في زاوية البيت كذا قالوا والذي في الاكتفاء وهو أول من وضع الركن للناس بعد هلاكه حين غرق البيت ومن الناس من يقول انما هلك الركن بعد ابراهيم واسمعيل وهو الاشبه ولما مات أسفت عليه زوجته خندف أسفا شديدا ونذرت أن لا تقيم في بلد مات فيه ولا يأويها بيت فتركت بنيها منه وساحت حتى هلكت حزنا ومات يوم الخميس فنذرت أن تبكيه كلما طلعت شمس يوم الخميس حتى تغيب الشمس وضربت الامثال بحزنها عليه (ويذكر) كما في الروض (انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي

كان من توبة بني اسرائيل من عبادة العجل قتل أنفسهم وأما هذه الامة فلكرامتها على الله تعالى جعل توبتها الندم والاقلاع * وأما نبي الملحمة فهو الذي بعث بجهاد أعداء الله فلم يجاهد نبي وأمته قط ما جاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته والملاحم الكبار التي وقعت وتقع بين أمته وبين الكفار لم يعهد مثلها قبله فان أمته يقتلون الكفار في أقطار الارض على تعاقب الاعصار وأوقعوا بهم من الملاحم ما لم تفعله أمة سواهم * وأما نبي الرحمة فهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين فرحم به أهل الارض كلهم مؤمنهم وكافرهم أما المؤمنون فنالوا النصيب الاوفر من الرحمة * وأما الكفار فأهل الكتاب منهم عاشوا في ظله وتحت حبله وعهده * وأما من قتله منهم هو وأمته فانهم عجلوا به الى النار وأراحوه من الحياة الطويلة التي لا يزداد بها الا شدة العذاب في الآخرة وأما الفاتح فهو الذي فتح الله به باب الهدى بعد أن كان مرتجا وفتح به الاعين العمي

صلى الله عليه وسلم بالحج) وفي المنتقى كان يسمع من ظهره أحيانا دوي تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ولم تزل العرب تعظمه تعظيم أهل الحكمة كلقمان وأشباهه وكان يدعى كبير قومه وسيد عشيرته ولا يقطع أمر ولا يقضى بينهم دونه قال الزبير بن بكار ولما أدرك الياس أنكر على بني اسمعيل ما غيروا من سنن آبائهم وسيرهم وبان فضله عليهم ولان جانبه لهم حتى جمعهم رأيه ورضوا به فردهم الى سنن آبائهم وسيرهم قال ابن دحية وهو وصي أبيه وكان ذا جمال بارع قال السهيلي ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا قال البرهان ولا أدري أنا حال هذا الحديث (ابن مضر) بضم الميم وفتح الضاد المعجمة غير مصروف للعلمية والعدل قال الحافظ قيل سمي به لانه كان يحب شرب اللبن الماضر وهو الحامض وفيه نظر لانه يستدعي انه كان له اسم غيره قبل أن يتصف بهذه الصفة نعم يمكن أن يكون هذا اشتقاقه ولا يلزم أن يكون متصفا بهذه الصفة وقيل لبياضه وقيل لانه كان يمضر القلوب لحسنه وجماله وفي الخميس لانه أخذ بالقلوب ولم يكن يراه أحد الا أحبه وفي السبل اسمه عمرو وكنيته أبو الياس ومن حكمه من يزرع شرا يحصد ندامة وخير الخير أعجله فاحملوا أنفسكم على مكروهها واصرفوها عن هواها فيما أفسدها فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق بضم الفاء وتفتح ما بين الحلبتين كما في القاموس (وهو أول من سن الحداء للابل) بضم الحاء والمد الغناء قال البلاذري وذلك انه سقط عن بعيره وهو شاب فانكسرت يده فقال يا يداه يا يداه فأتت اليه الابل من المرعى فلما صح وركب حدا (وكان من أحسن الناس صوتا) وقيل بل كسرت يد مولى له فصاح فاجتمعت اليه الابل فوضع الحداء وزاد الناس فيه انتهى كلام البلاذري وأخرج ابن سعد في الطبقات من مرسل عبد الله بن خالد قال صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر فانه كان قد أسلم (ابن نزار بكسر النون) فزاي فألف فراء مأخوذ (من النزر وهو القليل قيل) سبب ذلك (انه لما ولد ونظر أبوه الى نور محمد صلى الله عليه وسلم بين عينيه) وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الاصلاب (فرح فرحا شديدا) ونحر (وأطعم وقال ان هذا كله نزر أي قليل لحق هذا المولود فسمي نزارا لذلك) وبهذا القيل جزم السهيلي وتبعه النور والخميس وزاد أنه خرج أجمل أهل زمانه وأكبرهم عقلا وقال أبو الفرج الاصبهاني سمي بذلك لانه كان فريد عصره وعليه اقتصر الفتح والارشاد وقيل لقب به لنحافته قال الماوردي كان اسمه خلدان وكان مقدما وانبسطت اليه اليد عند الملوك وكان مهزول البدن فقال له ملك الفرس مالك يا نزار قال وتفسيره في لغة الفرس يا مهزول فغلب عليه هذا الاسم وكنيته أبو اياد وقيل أبو ربيعة وفي الوفاء يقال ان قبر نزار بذات الجيش قرب المدينة (ابن معد) بفتح الميم والمهملة وشد الدال ابن الانباري يحتمل انه مفعل من العد أو من معد في الارض اذا أفسد وقيل غير ذلك قال الفتح وسمي معدا قال الخميس لانه كان صاحب حروب وغارات على بني اسرائيل ولم يحارب أحدا الا رجع بالنصر والظفر وكنيته أبو قضاعة وقيل أبو نزار (ابن عدنان) بزنة فعلان من المعدن أي الاقامة قاله الحافظ وغيره وفي الخميس سمي به لان أعين الجن والانس كانت اليه وأرادوا قتله وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من يحفظه انتهى وروى أبو جعفر بن حبيب في تاريخه عن ابن عباس قال كان عدنان ومعد وربيعة ومضر وخزيمة وأسد على ملة ابراهيم فلا تذكروهم الا بخير وروى الزبير بن بكار مرفوعا لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين وله شاهد عند ابن حبيب من مرسل سعيد بن المسيب وحكى الزبير أن عدنان أول من وضع أنصاب الحرم وأول من كسا الكعبة أو كسيت في زمنه والبلاذري أول من كساها الانطاع عدنان وفي أول من كساها اختلاف ليس هذا موضعه ولما استشعر المصنف قول سائل لم لم توصل النسب الى آدم قال (قال) الامام الحافظ

والآذان أصم والقلوب الغلف وفتح الله به أمصار الكفار وفتح به أبواب الجنة وفتح به طرق العلم النافع والعمل الصالح ففتح به الدنيا والآخرة والقلوب والاسماع والابصار والامصار * وأما الامين فهو أحق العالمين بهذا الاسم فهو أمين الله على وحيه ودينه وهو أمين من في السماء وأمين من في الارض ولهذا كانوا يسمونه قبل النبوة الامين وأما الضحوك القتال فاسمان مزدوجان لا يفرد أحدهما عن الآخر فانه ضحوك في وجوه المؤمنين غير عابس ولا مقطب ولا غضوب ولا فظ قتال لاعداء الله لا يأخذه فيهم لومة لائم وأما البشير فهو المبشر لمن أطاعه بالثواب والنذير المنذر لمن عصاه بالعقاب وقد سماه الله عبده في مواضع من كتابه منها قوله وانه لما قام عبد الله يدعوه وقوله تبارك الذي نزل الفرقان على عبده فأوحى الى عبده ما أوحى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا وثبت عنه في الصحيح انه قال أنا سيد ولد آدم ولا فخر وسماه الله سراجا منيرا وسمى

المتقن أبو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد المشهور بانه (ابن دحية) لانه رحمه الله كان يذكر أنه من ولد الصحابي دحية الكلبي بفتح الدال وكسرها قال النووي لغتان مشهورتان الكرماني اختلف في الراجحة منهما والجوهري اقتصر على الكسر والمجد قدمه الاندلسي السبتي البصير بالحديث المعتني به ذو الحظ الوافر من اللغة والمشاركة في العربية صاحب التصانيف وطن مصر وأدب الملك الكامل ودرس بدار الحديث الكاملية مات رابع عشر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة عن نيف وثمانين سنة (أجمع العلماء والاجماع حجة) لعصمة الامة عن الخطأ لقوله صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على ضلالة (على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه اهـ ولله در القائل * ونسبة عز هاشم من أصولها * ومحتدها) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وكسر الفوقية أصلها كما في القاموس (المرضي أكرم محتد *) كمجلس (سميت) بفتحتين مخفف الميم ارتفعت (رتبة) تمييز محول عن الفاعل أي منزلة (علياء) أي مرتفعة وفي القاموس العلياء كل ما علا من شئ فالمعنى ارتفعت منزلة هذه النسبة المرتفعة فكانه قال زادت رفعة (أعظم بقدرها *) فعل تعجب أي ما أعظم قدرها (و) الحال أنها (لم تسم الا بالنبي محمد *) أي بوجوده فيها (ويرحم الله القائل) غاير تفننا وكراهة لتوارد الالفاظ وهو أبو العباس علي بن الرومي

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمري ولكن منه شيبان

(وكم أب قد علا بابن ذوي شرف * كما علا برسول الله عدنان)

ذرى بضم الذال المعجمة وخفة الراء المهملة أي أعالي شرف الواحدة ذروة بكسر الذال وضمها وأنشده المغني بلفظ ذرى حسب لكن شرف أنسب كما لا يخفى قال ابن عصفور يريد أن المتقدم قد يأتيه الشرف من جهة المتأخر (وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا انتسب لم يجاوز) في انتسابه (معد بن عدنان ثم يمسك) توطئة لقوله (ويقول كذب النسابون) بقولها (مرتين أو ثلاثا) شك من الراوي (رواه في مسند الفردوس) لأبي الخطاب المخرج على كتاب الشهاب والفردوس للامام عماد الاسلام أبي شجاع الديلمي أي محذوف الاسانيد مرتبا على الحروف ليسهل حفظه وعلم ازاءها بالحروف للمخرجين ومسنده لولده الحافظ أبي منصور شهردار بن شهرويه المتوفى سنة تسع وخمسمائة خرج سند كل حديث تحته وكذا رواه ابن سعد في الطبقات (لكن قال السهيلي الاصح في هذا الحديث) المروي مرفوعا (انه من قول) عبد الله (بن مسعود) ابن غافل بمعجمة وفاء قديم الاسلام أحد القراء هاجر الهجرتين وصلى للقبلتين وشهد بدرا والحديبية وجمع القرآن على العهد النبوي وشهد له المصطفى بالجنة مات سنة اثنتين وثلاثين وقد جاوز الستين وصلى عليه عثمان ودفن بالبقيع (وقال غيره كان ابن مسعود اذا قرأ) قوله تعالى ألم يأتكم نبأ) خبر (الذين من قبلكم قوم نوح وعاد) قوم هود (وثمود) قوم صالح (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) لكثرتهم (قال) احتجاجا (كذب النسابون يعني) ابن مسعود بذلك (أنهم يدعون علم الانساب ونفى الله علمها عن العباد) بقوله لا يعلمهم الا الله (وروى عن عمر) بن الخطاب القرشي العدوي أمير المؤمنين وعند ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم كناه أبا حفص وأخرج ابن أبي شيبة عن ابن عباس عن عمرو بن سعد عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لقبه بالفاروق وقال الزهري لقبه أهل الكتاب رواه ابن سعد وقيل جبريل رواه البغوي وفي البخاري عن ابن مسعود ما زلنا أعزة أي في الدين منذ أسلم عمر (انه قال انما ينتسب) بتحتية فنون النبي صلى الله عليه وسلم أو بنونين أي معاشر قريش (الى عدنان وما فوق ذلك) من عدنان الى اسمعيل ومن ابراهيم الى آدم (لا يدري) بياءوتون (ماهو) أي ما عدته أو ما اسمه وكلام الحافظين اليعمري والعسقلاني

الشمس سراجا وهاجا والمنير هو الذي ينير من غير احراق بخلاف الوهاج فان فيه نوع احراق وتوهج

(فصل في ذكر الهجرتين الاولى والثانية) لما كثر المسلمون وخاف منهم الكفار اشتد أذاهم له صلى الله عليه وسلم وفتنتهم اياهم فاذن لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة الى الحبشة وقال ان بها ملكا لا يظلم الناس عنده فهاجر من المسلمين اثنا عشر رجلا وأربع نسوة منهم عثمان بن عفان وهو أول من خرج ومعه زوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقاموا في الحبشة في أحسن جوار فبلغهم أن قريشا أسلمت وكان هذا الخبر كذبا فرجعوا الى مكة فلما بلغهم أن الامر أشد مما كان رجع منهم من رجع ودخل جماعة فلقوا من قريش أذى شديدا وكان ممن دخل عبد الله بن مسعود ثم أذن لهم في الهجرة ثانيا الى الحبشة فهاجر من الرجال ثلاثة وثمانون رجلا ان كان فيهم عمار فانه يشك فيه ومن النساء ثماني عشرة امرأة فاقاموا عند النجاشي على

والمصنف وغيرهم صريح فى ثبوت الخلاف فيمن بين ابراهيم وآدم فلا عبرة بمن نفاه وقال انه ثابت بلا خلاف ونقض سيرة العسقلانى اختلف فيما بين عدنان واسمعيل اختلافا كثيرا ومن اسمعيل الى آدم متفق على أكثره وفيه خلاف يسير فى عدد الآباء وفيه خلف أيضا فى ضبط بعض الاسماء انتهى ومن خطه نقلت وقد التزم فيها الاقتصار على الاصح فلا يصح زعم أن الخلاف ضعيف جدا لم يعتد به من نفاه بمجرد تجويز عقلى (وعن ابن عباس بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون) باسمائهم فلا ينافى قوله ثلاثون وقيل بينهما أربعة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة أو خمسة عشر أو عشرون أو ثمانية وثلاثون أو تسعة وثلاثون أو أربعون أو أحد وأربعون أو غير ذلك أقوال (وقال عروة بن الزبير) بن العوام القرشى الأسدى المدنى التابعى الكبير أحد فقهاء المدينة السبعة الحافظ المتوفى سنة أربع وسبعين وقيل غير ذلك (ما وجدنا أحدا يعرف بعد معد بن عدنان) هذا لا ينافى وجدان غيره من يعرف ذلك (وسئل مالك) بن أنس بن مالك أبى عامر بن عمرو الاصبحى أبو عبد الله المدنى عالم المدينة نجم الاثر العابد الزاهد الورع امام المتقين وكبير المثبتين حتى قال البخارى أصح الاسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر روى الترمذى وحسنه واللفظ له والحاكم وصححه والنسائى عن أبى هريرة رفعه يوشك أن يضرب الناس آباط المطى فى طلب العلم فلا يجدون عالما أعلم من عالم المدينة قال النووى قال سفيان ابن عيينة هو مالك بن أنس وفى الحلية عن مالك ما بت ليلة الا رأيت فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم توفى سنة تسع وسبعين ومائة أفرد مناقبه بالتأليف جمع من العلماء كالدينورى وعياض والذهبى وغيرهم (عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك) قيل له فالى اسمعيل فكره ذلك أيضا (وقال) على سبيل الانكار (من أخبره بذلك) حتى يعتمد عليه (وكذا روى عنه) أنه كره ذلك (فى رفع نسب الانبياء عليهم الصلاة والسلام) الى آدم قال السهيلى وقع هذا الكلام لمالك فى الكتاب الكبير المنسوب الى المعيطى وانما أصله لعبد الله بن محمد بن جبير وتممه المعيطى فنسب اليه واذا كان كذلك (فالذى ينبغى لنا الاعراض عما فوق عدنان لما فيه من التخليط والتغيير للالفاظ وعواصة) بعين وصاد مهملتين أى صعوبة كما فى القاموس (تلك الاسماء مع قلة الفائدة) فى ذكرها (وقد ذكر الحافظ أبو سعيد) عبد الرحمن بن الحسن الاصبهانى الاصل (النيسابورى) بفتح النون نسبة الى نيسابور وأشهر مدن خراسان صاحب المسند وكتاب شرف المصطفى الثقة المتوفى سنة سبع وثلثمائة وقلد المصنف فى قوله أبو سعيد بالياء السهيلى وقد تعقبه مغلطاى بانه انما هو سعد بسكون العين انتهى وكذا قال صاحب رونق الالفاظ وقال ان الذهبى ذكره أى بوصف الحافظ فى تاريخه وأغفله من طبقات الحفاظ (عن أبى بكر) اسمه بكير وقيل عبد السلام (بن أبى مريم) نسبة لجده للشهرة واسم أبيه عبد الله الغسانى عن خالد بن معدان ومكحول وعنه ابن المبارك وأبو اليمان قال الذهبى ضعفوه له علم وديانة توفى سنة ست وخمسين ومائة وقال العراقى ضعفه غير واحد وسرق له حلى فانكر عقله ولم يتهمه أحد بكذب (عن سعد بن عمرو ابن شرحبيل (الانصارى) السعدى من ذرية سعد بن عبادة ثقة روى عنه مالك والدراوردى (عن أبيه) عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة الانصارى الخزرجى مقبول روى عنه ابنه (عن كعب الاحبار) أى ملجأ العلماء الحميرى (ان نور النبى صلى الله عليه وسلم لما صار) أى انتقل (الى عبد المطلب وأدرك) أى بلغ (نام يوما) أى فى يوم (فى الحجر فانتبه) حال كونه (مكحولا مدهونا قد كسى حلة البهاء والجمال فبقى متحيرا لا يدرى من فعل به ذلك فاخذ أبوه بيده) أى عمه المطلب اذ العرب تسمى العم أبا حقيقة أو على التشبيه لقيامه مقامه فى تربيته فلا يرد ما نقل عن الفتح وغيره من موت أبيه بغزة وهو حمل أو بمكة على أثر ولادته على ما حكى المصنف (ثم انطلق به الى كهنة قريش) قال

أحسن حال فبلغ ذلك قريشا فارسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن الزبير المخزومى فى جماعة ليكيدوهم عند النجاشى فرد الله كيدهم فى نحورهم فاشتد أذاهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحصروه وأهل بيته فى الشعب شعب أبى طالب ثلاث سنين وقيل سنتين وخرج من الحصر وله تسع وأربعون سنة وقيل ثمان وأربعون سنة وبعد ذلك باشهر مات عمه أبو طالب وله سبع وثمانون سنة وفى الشعب ولد عبد الله بن عباس فنال الكفار منه أذى شديدا ثم ماتت خديجة بعد ذلك بيسير فاشتد أذى الكفار له فخرج الى الطائف هو وزيد بن حارثة يدعو الى الله وأقام به أياما فلم يجيبوه وآذوه وأخرجوه وقاموا له سماطين فرجموه بالحجارة حتى أدموا كعبيه فانصرف عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا الى مكة وفى طريقه لقى عداسا النصرانى فآمن به وصدقه وفى طريقه أيضا بنخلة صرف اليه نفر من الجن سبعة من أهل نصيبين فاستمعوا القرآن وأسلموا وفى طريقه تلك أرسل الى

عياض كانت الكهانة في العرب ثلاثة أضرب أحدها أن يكون للانسان ولي من الجن يخبره بما يسترق
من السمع عن السماء وهذا بطل حين البعثة الثاني ان يخبره بما يطرأ أو يكون في أقطار الارض وما
خفي عنه مما قرب أو بعد وهذا لا يبعد وجوده ونفت المعتزلة وبعض المتكلمين هذين الضربين
وأحالوهما ولا استحالة ولا بعد في وجودهما الثالث المنجمون وهذا الضرب يخلق الله فيه لبعض
الناس قوة لكن الكذب فيه أغلب ومنه العرافة وصاحبها عراف وقد نهى الشارع عن تصديقهم
كلهم والاتيان لهم (فأخبرهم بذلك فقالوا والله اعلم أن اله السموات قد أذن لهذا الغلام أن يتزوج فزوجه
قيلة) بفتح القاف وسكون التحتية فلام فهاء (فولدت له الحرث) لا ينافي هذا ما في المقصد الثاني للمصنف
كالسبل والخميس من أن أم الحرث صفية بنت جندب لجواز أنه اسمها وقيلة لقبها (ثم ماتت فزوجه
بعدها هند بنت عمرو) الظاهر أن هند تحريف صوابه فاطمة فقد نقل الخميس أن زوجات عبد المطلب
خمس صفية بنت جندب من بني عامر بن صعصعة ونثيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر
وهالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة وآمنة بنت هاجر الخزاعي وفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو
ابن مخزوم أمهرها مائة ناقة كوماء وعشرة أواق من ذهب فولدت له أولادا منهم عبد الله والده صلى الله
عليه وسلم فهي مخزومية وجدة أولى للمصطفى ذكره ابن قتيبة في المعارف ونحوه في المقصد الثاني
(وكان عبد المطلب يفوح منه رائحة المسك) بكسر الميم والمشهور أنه دم يتجمد في خارج سرة ظباء
معينة في أماكن مخصوصة وينقلب بحكمة الحكيم أطيب الطيب (الاذفر) بذال المعجمة أي الذكي
ويطلق على النتن وليس مرادا هنا وبالمهملة خاص النتن كما في المختار (وكان نور رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضيء في غرته) أي جبهته بينا واضحا (وكانت قريش اذا أصابها قحط شديد تأخذ بيد عبد
المطلب فتخرج به الى جبل ثبير) بمثلثة فموحدة كأمير (فيتقربون به الى الله) لما جربوه من قضاء الحوائج
على يده ببركة نوره صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة ما كان عليه الجاهلية بالهام من الله
وكان يأمر أولاده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور ويؤثر عنه
سنن جاء بها القرآن والسنة كالوفاء بالنذر والمنع من نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهي عن قتل
الموؤدة وتحريم الخمر والزنا وأن لا يطوف بالبيت عريان حكاه سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان
(ويسألونه أن يسقيهم الغيث) المطر (فكان) الله (يغيثهم ويسقيهم ببركة نور رسول الله) الكائن في
غرة جده (صلى الله عليه وسلم غيثا عظيما) أو ببركة وجود نفسه بعد ولادته فان عبد المطلب كان
يخرج به روى البلاذري وابن سعد عن مخرمة بن نوفل الزهري الصحابي قال سمعت أمي رقيقة بنت أبي
صيفي بن هاشم بن عبد مناف تقول تتابعت عن قريش سنون ذهبن بالاموال وأشفين على الانفس
قالت فسمعت قائلا يقول في المنام يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث منكم وهذا أبان خروجه وبه
يأتيكم الحيا والخصب فانظروا رجلا من أوسطكم نسبا طوالا عظاما أبيض مقرون الحاجبين أهدب
الاشفار جعدا أسيل الخدين رقيق العرنين فليخرج هو وجميع ولده وليخرج منكم من كل بطن
رجل فتطهروا وتطيبوا ثم استلموا الركن ثم ارقوا الى رأس أبي قبيس ثم يتقدم هذا الرجل فيستسقي
وتؤمنون فانكم ستسقون فأصبحت فقصت رؤياها عليهم فنظروا فوجدوا هذه الصفة صفة عبد
المطلب فاجتمعوا اليه وأخرجوا من كل بطن منهم رجلا وفعلوا ما أمرتهم به ثم علوا على أبي قبيس ومعهم
النبي صلى الله عليه وسلم وهو غلام فتقدم عبد المطلب وقال لاهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك
وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف وأشفت على
الانفس فاذهب عنا الجدب وائتنا بالحيا والخصب فما برحوا حتى سالت الاودية وبرسول الله صلى

الله

اليه ملك الجبال يأمره بطاعته وان يطبق على قومه أخشبي مكة وهما جبلاها ان أراد فقال لا بل أستأني بهم لعل الله يخرج من أصلابهم من يعبده لا يشرك به شيأ وفي طريقه دعا بذلك الدعاء المشهور اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي الحديث ثم دخل مكة في جوار المطعم بن عدي ثم أسري بروحه وجسده الى المسجد الاقصى ثم عرج به الى فوق السموات بجسده وروحه الى الله عز وجل فخاطبه وفرض عليه الصلوات وكان ذلك مرة واحدة هذا أصح الاقوال وقيل كان ذلك مناما وقيل بل يقال أسري به ولا يقال يقظة ولا مناما وقيل كان الاسراء الى بيت المقدس يقظة والى السماء مناما وقيل كان الاسراء مرتين مرة يقظة ومرة مناما وقيل بل أسري به ثلاث مرات وكان ذلك بعد البعث بالاتفاق وأما ما وقع في حديث شريك ان ذلك كان قبل أن يوحى اليه فهذا مما عد من أغلاط شريك الثمانية وسوء حفظه لحديث الاسراء وقيل ان هذا كان اسراء المنام قبل الوحي وأما اسراء اليقظة فبعد النبوة

الله عليه وسلم سنة واتفاقات رقيقة

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا * وقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر

فجاد بالماء جونى له سبل * دان فعاشت به الانعام والشجر

منا من الله بالميمون طائره * وخير من بشرت يوما به مضر

مبارك الامر يستسقى الغمام به * ما فى الانام عدل ولا خطر

اجلوذ بجيم ساكنة فلام مفتوحة فواو ومشددة فذال معجمة امتد وقت تأخره وانقطاعه وجونى بفتح الجيم وسكون الواو فنون فتحتية مشددة مطرها مثل وسبل بفتح السين والموحدة وباللام المطر وبشرت بالبناء للفاعل (* قصة الفيل *) أورد المصنف منها طرفا تنبيها على أن دفعهم من أجل النعم على قريش ببركته صلى الله عليه وسلم على يد جده وحاصلها أنه لما كان المحرم والنبى صلى الله عليه وسلم حمل فى بطن أمه على الصحيح حضر أبرهة بن الصباح الاشرم يريد هدم الكعبة لانه لما غلب على اليمن وملكها من قبل النجاشى رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فقال أين يذهبون فقيل يحجون بيت الله بمكة قال وما هو قيل من الحجارة قال وما كسوته قيل ما يأتى من هنا من الوصائل فقال والمسيح لأبنين لكم خيرا منه فبنى لهم كنيسة بصنعاء بالرخام الابيض والاصفر والاحمر والاسود وحلاها بالذهب والفضة وأنواع الجواهر وأذل أهل اليمن على بنائها وكلفهم فيها أنواعا من السخر ونقل لها الرخام المجزع والحجارة المنقشة بالذهب والفضة من قصر بلقيس وكان على فرسخ من موضعها ونصب فيها صلبانا من ذهب وفضة ومنابر من عاج وأبنوس وغيره وكان يشرف منها على عدن لارتفاع بنائها وعلوها ولذا سماها القليس بضم القاف وفتح اللام مشددة ومخففة فتحتية ساكنة فسين مهملة أو بفتح القاف وكسر اللام لان الناظر لها تسقط قلنسوته عن رأسه وقيل انما سماها بذلك العرب فيحتمل أنهم تبعوه واحتمال عكسه بعيد اذ لا تطيب نفسه بتبعيتهم فى تسمية ما بناه افتخارا عليهم فلما أراد صرف الحج اليها كتب النجاشى انى بنيت كنيسة باسم الملك لم يكن مثلها قبلها أريد صرف حج العرب اليها وأمنع الناس من الذهاب لمكة فلما اشتهر الخبر عند العرب خرج رجل من كنانة مغضبا فتغوط فيها ثم خرج فلحق بارضه فاغضبه ذلك هذا قول ابن عباس وقيل أججت فتية من العرب نارا وكان فى عمارة القليس خشب مموه فحملتها الريح فاحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة وهو قول مقاتل وقيل كان نفيل الخثعمى يتعرض لابرهة بالمكروه فامهله حتى اذا كانت ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلتها وجمع جيفا فالقاها فيها فاخبر بذلك فغضب غضبا شديدا وحلف لينقضن الكعبة حجرا حجرا وكتب الى النجاشى يخبره بذلك وسأله أن يبعث اليه فيله محمودا فلما قدم الفيل اليه خرج فى ستين ألفا فى سيرة ابن هشام فلما سمعت العرب بخروجه قطعوه ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج اليه رجل من ملوك اليمن يقال له ذو نفر وهو بنون ففاء فراء فقاتله فهزم هو وأصحابه وأتى به أسيرا فاراد قتله ثم تركه وحبسه عنده فى وثاق ثم مضى حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلته ومن تبعه من العرب فقاتله فهزم وأخذ نفيل أسيرا فهم بقتله فقال لا تقتلنى فانى دليلك بارض العرب فتركه وخرج به يدله حتى اذا مر على الطائف خرج مسعود بن معتب الثقفى فى رجال ثقيف فقالوا أيها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ولست تريد هذا البيت يعنون بيت اللات انما تريد الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا معه أبا رغال فخرج حتى اذا بلغ المغمس بطريق الطائف مات أبو رغال فرجمت العرب قبره فهو القبر الذى يرجم الى اليوم ثم أرسل أبرهة خيلا له الى مكة فاخذت ابلا لعبد المطلب

وقيل بل الوحى ههنا مقيد وليس بالوحى المطلق الذى هو مبدأ النبوة والمراد قبل أن يوحى اليه فى شان الاسراء فاسرى به فجاءة من غير تقدم اعلام والله أعلم فاقام صلى الله عليه وسلم بمكة ما أقام يدعو القبائل الى الله تعالى ويعرض نفسه عليهم فى كل موسم ان يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم الجنة فلم يستجب له قبيلة وذخر الله ذلك كرامة للانصار فلما أراد الله تعالى اظهار دينه وانجاز وعده ونصر نبيه واعلاء كلمته والانتقام من أعدائه ساقه الى الانصار لما أراد بهم من الكرامة فانتهى الى نفر منهم ستة وقيل ثمانية وهم يحلقون رؤسهم عند عقبة منى فى الموسم فجلس اليهم ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فاستجابوا لله ورسوله ورجعوا الى المدينة فدعوا قومهم الى الاسلام حتى فشى فيهم ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فاول مسجد قرئ فيه القرآن بالمدينة مسجد بنى زريق ثم قدم مكة فى العام القابل اثنا عشر رجلا من الانصار منهم خمسة من

فذهب له فردها عليه ثم انصرف الى قريش فأمرهم بالخروج من مكة الى الجبال والشعاب ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب

لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك
وانصر على آل الصليب * وعابديه اليوم آلك
لايغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

وزاد بعضهم بعد البيت الثاني

جروا جميع بلادهم * والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك

وأنشد ابن هشام البيت الاول والثالث فقط وقال هذا ما صح عندي اه منه ثم أرسل حلقة الباب وانطلق هو ومن معه من قريش الى الجبال ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة فمنعه الله من دخولها كما يجيء وقيل لم يخرج عبد المطلب من مكة بل أقام بها وقال لا أبرح حتى يقضي الله قضاءه ثم صعد هو وأبو مسعود الثقفي على مكان عال لينظر ما يقع وأبو رغال بكسر الراء وخفة المعجمة واللام وحكمة تقبيح حاله واظهار شناعة أمره حتى صار يرجم بعد موته دون نفيل انه انما جعل نفسه دالا له وقاية من القتل فكان كالمكره على ذلك بخلاف أبي رغال فان قومه تلقوا أبرهة بالسلم واختاروه دليلا وقول الشارح دون ذي نفر ونفيل له سبق قلم فما كان ذو نفر دالا انما كان أسيرا معه في الوثاق كما تلي عليك (ولما قدم أبرهة) بفتح الهمزة وسكون الموحدة وفتح الهاء (ملك اليمن) بكسر اللام بدل من أبرهة (من قبل) بكسر القاف وفتح الموحدة جهة (أصحمة) بوزن أربعة وحاؤه مهملة وقيل معجمة وقيل بموحدة بدل الميم وقيل صحمة بغير ألف وقيل كذلك لكن بتقديم الميم على الصاد وقيل بميم في أوله بدل الالف عن ابن اسحق في المستدرك للحاكم والمعروف عن ابن اسحق الاول ويتحصل من هذا الخلاف في اسمه ستة ألفاظ لم أرها مجموعة (النجاشي) بفتح النون على المشهور وقيل تكسر عن ثعلب وتخفيف الجيم وأخطأ من شددها وتشديد آخره وحكى المطرزي التخفيف ورجحه الصغاني قاله في الاصابة وفي قوله على المشهور رد للثاني من قول القاموس تكسر نونه أو هو الافصح قيل أصحمة هذا ومعناه بالعربية عطية كما قاله ابن قتيبة وغيره جد النجاشي الذي كان في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسبب ولايته اليمن أن بعض أهلها من أصحاب الاخدود لما أكثر القتل فيهم ملكهم وهو ذو نواس آخر ملوك اليمن من حمير فر الى قيصر ملك الشام يستغيث به فكتب له الى النجاشي ملك الحبشة ليغيثه فارسل معه أميرين ارياط وأبرهة بجيش عظيم فدخلوا اليمن وقتلوا ملكه واستولوا عليه ثم اختلفا وتقاتلا فقتل ارياط بعد ان شرم أنف أبرهة وحاجبه وعينه وشفته فبذلك سمي الاشرم فداوى جراحه فبرئ واستقل بالملك فبلغ النجاشي فغضب وأراد البطش به فترفق له أبرهة وتحيل بارسال تحف حتى رضي عنه وأقره في قصة طويلة عند ابن اسحق هذا حاصلها وفي حواشي البيضاوي للسيوطي قال الطيبي سمي الاشرم لان أباه ضربه بحربة فشرم أنفه وجبينه انتهى وكذا جزم به الانصاري دون عزو للطيبي لكن معلوم أن ابن اسحق مقدم على الطيبي في مثل هذا (لهدم بيت الله الحرام) غضبا من تغوط الكناني بكنيسته وتلطيخ الخثعمي قبلتها بالعذرة والقاء الجيف فيها واحتراقها بنار أججها بعض العرب فحنق ليهدمن الكعبة فهدمه الله وملكه (وبلغ عبد المطلب ذلك فقال يا معشر قريش) لا تفزعوا لانه (لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه) بفتح

الستة الاولين فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء عند العقبة ثم انصرفوا الى المدينة فقدم عليه في العام القابل منهم ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وهم أهل العقبة الاخيرة فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأنفسهم فترحل هو وأصحابه اليهم واختار رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم اثنى عشر نقيبا وأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة الى المدينة فخرجوا أرسالا متسللين أولهم فيما قيل أبو سلمة بن عبد الاشد المخزومي وقيل مصعب ابن عمير فقدموا على الانصار في دورهم فآووهم ونصروهم وفشا الاسلام بالمدينة ثم أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فخرج من مكة يوم الاثنين في شهر ربيع الاول وقيل في صفر وله اذ ذاك ثلاث وخمسون سنة ومعه أبو بكر الصديق وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن الاريقط الليثي فدخل غار ثور هو وأبو بكر فأقاما فيه ثلاثا ثم أخذا على

أوله يدفع عنه ممن يريد فساداً كأبرهة (ويحفظه) بفعل ما هو سبب في بقائه كعمارته وهذا أولى من جعل يحفظه عطف تفسير (ثم جاء أبرهة) أي رسوله كبنى الأمير المدينة فعند ابن اسحق فلما نزل أبرهة المغمس أمر رجلاً من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود بقاف وصاد مهملة على خيل له وأمره بالغارة فمضى حتى انتهى الى مكة فساق أموال تهامة وغيرها من قريش وأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب وهو يومئذ كبير قريش وسيدها (فاستاق) أبرهة أي رسوله (ابل قريش وغنمها) قال ابن اسحق فهمت قريش وكنانة وهذيل من كان بالحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوه (وكان لعبد المطلب فيها أربعمائة ناقة) ظاهره أن الكل أناث والظاهر أن فيها ذكوراً فغلبت الاناث لكثرتها ثم هو مخالف لما عند ابن اسحق وتبعه ابن هشام وجزم به البغوي واليعمري والدميري والشامي من قولهم فأصاب فيها مائتي بعير لعبد المطلب فيجوز أن الخاص به مائتان وباقيها لبعض خواصه فنسبت اليه والبعير يقع على الذكر والانثى فلا مخالفة ولم يذكر المصنف كغيره الغنم فيجوز أن عبد المطلب لم يكن له غنم أوله ولم تذكر لخستها بالنسبة للابل (فركب عبد المطلب في قريش حتى طلع جبل ثبير) بمثلثة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية جبل بمكة (فاستدارت دارة غرة) بضم الغين المعجمة أي بياض أي نور (رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي المختار الغرة بالضم بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم وفي المصباح الدارة دارة القمر وغيره سميت بذلك لاستدارتها فالمعنى هنا فصلت دارة غرة المصطفى على سبيل التجريد والا فالدارة هي المحيطة بالغرة فلا يصح اسناد الفعل لها لاقتضائه تعلق الاستدارة بالدارة ولا يصح (على جبهته) متعلق باستدارت وفي نسخة على جبينه (كالهلال) وجعلت على جبينه لان الغرة في الجبهة والدائرة حولها اذا وجدت تكون نازلة عن الغرة بالجنبين المحيطين بالجبهة (واشتد شعاعها) حتى صار (على البيت الحرام مثل السراج) أي الشمس مجازاً على مقتضى البيضاوي وحقيقة على مقتضى قول القاموس السراج معروف والشمس (فلما نظر) أي أبصر (عبد المطلب الى ذلك) أي استدارة النور في جبهته وكونه على البيت مثل السراج ولا يشكل بان الشخص لا يبصر جبهته لانه لما استدار كالهلال أبصر شعاعه وعلم استدارته من أحواله السابقة ويحتمل قصر اسم الاشارة على الشعاع وأخبر عنه بالاستدارة لعله من الحاضرين أو من سابق أحواله انه متى وجد كان مستديراً (قال يا معشر قريش ارجعوا) فرحين مستبشرين (فقد كفيتم هذا الامر فوالله ما استدار هذا النور مني الا) كان سبباً وعلامة على (أن يكون الظفر لنا) وأقسم عليه لوثوقه به بناء على ما اعتاده قبل أو لرؤيته على هذه الصورة الزائدة الاشراق غلب على ظنه فحلف (فرجعوا متفرقين ثم ان أبرهة أرسل) الى مكة (رجلاً من قومه) هو حناطة بحاء مهملة مضمومة ونون وطاء مهملة الحميري (ليهزم الجيش) أي يكون سبباً في هزمه بادخال الرعب على قريش أو سماهم جيشاً وان لم ينصبوا القتال ورأنه لما جاء رسوله وساق الابل همت طائفة بقتاله ثم تركوا لعدم طاقتهم له فيجوز أن من نقل أن عبد المطلب جهز جيشاً لحرب أبرهة أراد هذا (فلما دخل مكة ونظر الى وجه عبد المطلب خضع) أي ذل (وتلجلج) بلامين وجيمين تردد (لسانه) في الكلام لعجزه (وخر مغشياً عليه فكان) أي صار (يخور) يصوت (كما يخور الثور عند ذبحه) تشبيه لبيان صفة فعله من الصياح واحترز به عن صوت غيره ففي القاموس الخوار بالضم صوت البقر والغنم والظباء والبهائم (فلما أفاق خر ساجداً لعبد المطلب) أي وضع جبهته على الارض كدأبهم في التعظيم وتجويز غير هذا في ذا المقام عجيب (وقال أشهد أنك سيد قريش حقاً) وعند ابن اسحق بعث أبرهة حناطة الحميري الى مكة وقال له اسأل عن سيد أهل البلد وشريفهم ثم قل له أن الملك يقول لم آت لحرب بكم

طريق الساحل فلما انتهوا الى المدينة وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وقيل غير ذلك نزل بقباء في أعلى المدينة على بني عمرو بن عوف وقيل نزل على كلثوم ابن الهدم وقيل على سعد ابن خيثمة والاول أشهر فأقام عندهم أربعة عشر يوماً وأسس مسجد قباء ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة في بني سالم فجمع بهم بمن كان معه من المسلمين وهم مائة ثم ركب ناقته وسار وجعل الناس يكلمونه في النزول عليهم ويأخذون بخطام الناقة فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة فبركت عند مسجده اليوم وكان مربداً لسهل وسهيل غلامين من بني النجار فنزل عنها على أبي أيوب الانصاري ثم بنى مسجده موضع المربد بيده هو وأصحابه بالجريد واللبن ثم بنى مسكنه ومساكن أزواجه الى جنبه وأقرب بها اليه مسكن عائشة ثم تحول بعد سبعة أشهر من دار أبي أيوب اليها وبلغ أصحابه بالحبشة هجرته الى المدينة فرجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلاً فحبس منهم بمكة سبعة وانتهى بقيتهم الى رسول

انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بدمائكم فان هو لم يرد حربا فائتنى به فدخل فسأل فقيل له عبد المطلب فقال ما أمره به أبرهة فقال عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه قال حناطة فانطلق اليه فانه أمرنى أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه فتكلم أنيس سائس فيل أبرهة فقال أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عير مكة ويطعم الناس فى السهل والوحوش والطير فى رؤس الجبال فأذن له أبرهة وكان عبد المطلب أوسم الناس وأجلهم وأعظمهم فعظم فى عين أبرهة فأجله وأكرمه عن أن يجلس تحته وكره أن تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل عن سريره فجلس على بساطه وأجلسه معه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له حاجتى أن يرد الملك على مائتى بعير أصابها فقال لترجمانه قل له كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك أتكلمنى فى مائتى بعير وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه فقال عبد المطلب انى أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع منى قال أنت وذاك فرد عليه ابله زاد ابن الكلبى فقلدها وأشعرها وجللها وجعلها هديا للبيت وبثها فى الحرم انتهى وانصرف الى قريش وأخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبشة انتهى فظاهر هذا السياق أن حناطة لم يأت لهزم جيش كما ساق المصنف بل مخبرا بمراد أبرهة وطريق الجمع حمله على التسبب كما مر وأنه لما شاهد شيبة الحمد حصل له ما ذكر المؤلف ثم لما أفاق أخبره بمراد أبرهة قال ابن هشام وكان فيما يزعم بعض أهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة حناطة بن عمرو بن نباتة بن عدى بن الديل بن بكر بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى بكر وخويلد بن واثلة الهزلى وهو يومئذ سيد هزيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى فالله أعلم كان ذلك أم لا (وروى أنه لما حضر عبد المطلب عند أبرهة أمر سائس فيله) هو أنيس بضم الهمزة وفتح النون وسكون المثناة التحتية (الاكبر الابيض العظيم) بالجر صفات فيله (الذى كان لا يسجد للملك أبرهة كما تسجد سائر) أى باقى (الفيلة) جمع فيل ويجمع أيضا على أفيال وفيول كما فى القاموس (أن يحضره بين يديه) ليرهب به شيبة الحمد أو لعلمهم من أحبارهم أو كهانهم أن الفيل يهابه وينطق له فأحضره (فلما نظر الفيل الى وجه عبد المطلب برك كما يبرك البعير) قال السهيلى فيه نظر لان الفيل لا يبرك فيحتمل أن بروكه سقوطه الى الارض ويحتمل انه فعل فعل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبارك عن ذلك وسمعت من يقول فى الفيل صنف يبرك كما يبرك الجمل فان صح والا فتأويله ما قدمناه انتهى (وخر ساجدا) وفى الدر المنظم فتعجب أبرهة من ذلك ودعا بالسحرة والكهان فسألهم عن ذلك فقالوا انه لم يسجد له وانما سجد للنور الذى بين عينيه (وأنطق الله تعالى الفيل فقال السلام على النور الذى فى ظهرك يا عبد المطلب) ألهم الفيل أن أصله فى ظهره فلم يقل بين عينيك لانه فاض عما فى ظهره فنوره صلى الله عليه وسلم حين صار الى جده فاض حتى ظهر فى جبهته مع بقائه فى ظهره وأما السحرة والكهان فنظروا الشاهد اذ لم يلهموا وهذا والله أعلم انما يأتى على القول المردود الموهن أن ولادته صلى الله عليه وسلم بعد الفيل بأربعين أو بخمسين سنة ولذا ساقه المصنف بصيغة التمريض وتبرأ منه بقوله (كذا فى) كتاب (النطق المفهوم) لابن طغربك وقول الخميس كان عبد الله موجودا فالنور منتقل اليه مبنى على أن ولادة المصطفى بعد الفيل بسنتين فاما على المشهور من انه كان حملا فى بطن أمه فمشكل لان النور انتقل الى آمنة وأجيب بأن الله أحدث فى عبد المطلب نورا يحاكى ذلك النور المستقر فى آمنة مع زيادة حتى صار فى جبهته

كالشمس

الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ثم هاجر بقيتهم فى السفينة عام خيبر سنة سبع

(فصل فى أولاده صلى الله عليه وسلم) أولهم القاسم وبه كان يكنى مات طفلا وقيل عاش الى أن ركب الدابة وسار على النجيبة ثم زينب وقيل هى أسن من القاسم ثم رقية وأم كلثوم وفاطمة وقد قيل فى كل واحدة منهن أنها أسن من أختيها وقد ذكر عن ابن عباس أن رقية أسن الثلاث وأم كلثوم أصغرهن ثم ولد له عبد الله وهل ولد بعد النبوة أو قبلها فيه اختلاف وصحح بعضهم أنه ولد بعد النبوة وهل هو الطيب والطاهر أو هما غيره على قولين والصحيح أنهما لقبان له والله أعلم وهؤلاء كلهم من خديجة ولم يولد له من زوجة غيرها ثم ولد له ابراهيم بالمدينة من سريته مارية القبطية سنة ثمان من الهجرة وبشره به أبو رافع مولاه فوهب له عبدا ومات طفلا قبل الفطام واختلف هل صلى عليه أم لا على قولين وكل أولاده توفى قبله الا فاطمة فانها تأخرت بعده بستة أشهر فرفع الله لها بصبرها واحتسابها من الدرجات ما فضلت به

كالشمس وبنور آخر وجده في صلبه وأطلع عليه الفيل فسجد اثر اماله كما يدل عليه سياق القصة حين احتاج الى كرامة تخلصه ومااله من الجبابرة بأن النور لم ينتقل كله بل انتقل ما هو مادة المصطفى وبقي أثره في صلب أصوله تشريفا لهم ومار آه أبرهة والفيل منه غايته انه زاد اشراقه علامة على نفرهم ذلك من ارهاصاته صلى الله عليه وسلم اعزازا لقومه قلت الاول أظهر فان ظاهر كلامهم أن النور ينتقل كله ألا ترى قصة التي عرضت نفسها على الاب الشريف (ولما دخل جيش أبرهة) المغمس بضم الميم وفتح الغين المعجمة وفتح الميم الثانية مشددة وبكسرها قال في الروض عن ابن دريد وغيره وهو أصح وهو على ثلثي فرسخ من مكة انتهى وفي القاموس المغمس كعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فظاهره تساوي اللغتين فاقتصار الشامي على الثاني مراعاة لمن صححه (ومعهم الفيل) محمود وكنيته أبو العباس حكاه السمرقندي وقيل أبو الحجاج وقدمه الدميري في منظومته فقال

وفيلهم محمود ليل داجي * وكان يكنى بأبي الحجاج
وقال قوم بأبي العباس * وكان معروفا بعظم الباس

وظاهره أنهم لم يكن معهم سواه وهو ما نقله الماوردي عن الاكثر ويقال كان معهم ثلاثة عشر فيلا هلكت كلها حكاه ابن جرير وجزم به في الروض وعن الضحاك ثمانية أفيلة حكاهما البغوي وقال انما وحد في الآية لانه نسبهم الى الفيل الاعظم وقيل لوفاق رؤس الآي ونقل أعني البغوي عن الواقدي أن محمودا نجا لكونه ربض ولم يتجرأ على الحرم انتهى فقول ابن جرير هلكت كلها يريد الا محمودا وقيل كان معهم ألف فيل حكاهما الخميس (لهدم الكعبة الشريفة) قال بعضهم أن تجعل السلاسل في أركان البيت وتوضع في عنق الفيل ثم يزجر ليلقي الحائط جملة واحدة وقال مقاتل كان القصد أن يجعل الفيل مكان الكعبة ليعبد يعظم كتعظيمها وهو بعيد من السياق (برك) بفتح الراء (الفيل) وعند ابن اسحق فلما أصبح أبرهة متهيئا لدخول مكة وهيأ فيله محمودا وعبى جيشه وأجمع على هدم البيت ثم الانصراف الى اليمن فلما وجهوا الفيل الى مكة أقبل نفيل بن حبيب كذا عند ابن هشام وقال السهيلي عن البرقي كيونس عن ابن اسحق نفيل بن عبد الله بن جزي بن عامر بن مالك حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ باذنه فقال له ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك في بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل فضربوه ليقوم فأبى (فضربوه في رأسه ضربا شديدا ليقوم فأبى) نحوه قول ابن اسحق فضربوا رأسه بالطبرزين ليقوم فأبى فادخلوا محاجن لهم في مراقه فبزغوه بها ليقوم فأبى * الطبرزين بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكونها آلة عوجاء من حديد * والمحاجن جمع محجن عصا معوجة وقد يجعل في طرفها حديد * والمراق أسفل البطن * وبزغوه بفتح الموحدة وزاي مشددة فغين معجمة شرطوه بحديد المحاجن (فوجهوه راجعا الى اليمن فقام) قال ابن اسحق يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك قال امية بن أبي الصلت

ان آيات ربنا بينات * ما يماري بهن الا الكفور
جلس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور

وفي معاني القرآن للزجاج لم تسردوا بهم نحو البيت فاذا عطفوها راجعين سارت وفي رواية يونس عن ابن اسحق كما في الروض أن الفيل ربض فجعلوا يقسمون بالله انهم رادوه الى اليمن فيحرك لهم أذنيه كانه يأخذ عليهم عهدا فاذا أقسموا له قام يهرول فيردونه الى مكة فيربض فيحلفون له فيحرك لهم أذنيه كالمؤكد عليهم القسم ففعلوا ذلك مرارا (ثم) بعد بروك الفيل (أرسل الله عليهم طيرا أبابيل) قال

هي نساء العالمين وفاطمة أفضل بناته على الاطلاق وقيل انها أفضل نساء العالمين وقيل بل أمها خديجة وقيل بل عائشة وقيل بل بالوقف في ذلك

(فصل في أعمامه وعماته صلى الله عليه وسلم) فمنهم أسد الله وأسد رسوله سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب والعباس وأبو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى والزبير وعبد الكعبة والمقوم وضرار وقثم والمغيرة ولقبه حجل والعيداق واسمه مصعب وقيل نوفل وزاد بعضهم العوام ولم يسلم منهم الا حمزة والعباس وأما عماته فصفية أم الزبير ابن العوام وعاتكة وبرة وأروى وأميمة وأم حكيم البيضاء أسلم منهن صفية واختلف في اسلام عاتكة وأروى وصحح بعضهم اسلام أروى وأسن أعمامه الحارث وأصغرهم سنا العباس وعقب منه حتى ملا أولاده الارض وقيل أحصوا في زمن المامون فبلغوا ستمائة ألف وفي ذلك بعد لا يخفى وكذلك أعقب أبو طالب وأكثر والحارث وأبو لهب وجعل بعضهم

الشامي أي جماعات أمام كل جماعة طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق قيل لا واحد له وقيل واحده أبول كعجول بكسر العين والتشديد مع الفتح أو ابال كمفتاح أو ابيل كسكين البيضاوي جمع ابالة وهي الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها (من البحر) قال ابن اسحق أمثال الخطاطيف والبلسان وعن عبد المطلب أمثال اليعاسيب ابن عباس لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب عكرمة لها رؤس السباع واختلفوا في ألوانها فقال عكرمة وسعيد بن جبير كانت خضراء وقال قتادة بيضاء وقال عبيد بن عمير سوداء حكاه ابن الجوزي في زاد المسير وروى سعيد بن منصور عن عبيد بن عمير انها بلق والجمع بينها انها كانت مختلفة فاخبر كل بحسب ما رأى أو سمع وفي الشرح جمع آخر فيه تكلف (مع كل طائر منها ثلاثة أحجار حجر في منقره وحجران في رجليه) وعلى كل حجر اسم من يقع عليه واسم أبيه كما جاء عن أم هانئ (كامثال العدس) تقريبا فلا ينافي قول الشامي أكثر الاحاديث يدل على انها كانت أكبر من العدسة ودون الحمصة وفي بعضها كانت أكبر وكأنها كان فيها الكبير والصغير فحدث كل عما رأى أو سمع وعن ابن عباس انه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز حمر مخططة كالجزع الظفاري بفتح الجيم وتكسر وسكون الزاي خرز يمان فيه سواد وبياض كما في القاموس فأراد بالتشبيه أن حمرتها غير صافية أو في المقدار والشكل فلا يشكل التشبيه مع قوله حمر والظفاري قال في الفتح نسبة الى ظفار مدينة بسواحل اليمن وحكى ابن التين في ضبط ظفار كسر أوله وصرفه أو فتحه والبناء بوزن قطام انتهى (لا تصيب أحدا منهم الا أهلكته) وكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره فان كان راكبا خرج من أسفل مركبه (فخرجوا هاربين يتساقطون بكل طريق) ويهلكون على كل منهل وليس كلهم أصيب وجعلوا هاربين يبتدرون الطريق الذي جاؤا منه يسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل

أين المفر والاله الطالب ✻ والاشرم المغلوب ليس الغالب

قاله ابن اسحق ✻ وروى أبو نعيم عن عطاء بن يسار قال حدثني من كلم قائد الفيل وسائسه انه قال لهما هل نجا أحد غيركما فالا نعم ليس كلهم أصابه العذاب وقالت عائشة لقد رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس بمكة رواه ابن اسحق مسندا وانما بقي منهم بقية على حالة غير مرضية تذكيرا لمن رأى والا لمن لم ير فيزداد البيت تعظيما ويكون سببا في تصديقه صلى الله عليه وسلم والعلم بمنزلته عند الله وفي زاد المسير وبعث عبد المطلب ابنه عبد الله على فرس ينظر الى القوم فجعل يركض ويقول هلك القوم فخرج عبد المطلب وأصحابه فغنموا أموالهم وفي الروض عن تفسير النقاش أن السيل احتمل جثتهم وألقاها في البحر (وأصيب أبرهة في جسده بداء) هو الجدري وهو أول جدري ظهر قاله عكرمة أي بأرض العرب فلا ينافي ما قيل أول من عذب بالجدري قوم فرعون وقال ابن اسحق حدثني يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول ما رؤيت الحصباء والجدري بأرض العرب ذلك العام انتهى وبهذا القيد لا يرد قوم فرعون لانهم لم يكونوا بها (وتساقطت أنامله أنملة أنملة) أي انتثر جسمه والانملة طرف الاصبع لكن قد يعبر بها عن طرف غيره وعن الجزء الصغير ففي مسند الحرث بن أبي اسامة مرفوعا ان في الشجر شجرة هي مثل المؤمن لا يسقط لها أنملة ثم قال هي النخلة وكذلك المؤمن لا يسقط له دعوة قاله السهيلي (وسال منه الصديد) القيح وهو المدة الرقيقة (والقيح) يعني به المدة الغليظة (والدم) وعند ابن اسحق كلما سقطت منه أنملة تبعها مدة تمصي قيحا ودما وظاهر المصنف كغيره انه لم يصب بحجر والظاهر أن الداء الذي أصابه بعد وقوع حجر عليه ولم يعجل هلاكه بمزيد في عقوبته والمثلة به ويؤيده أن الذين أصيبوا بالحجارة لم يموتوا كلهم بل يعايل تأخر موت جمع منهم (ومامات

الحارث والمقوم واحدا وبعضهم العيداق وحجلا واحدا

(فصل في أزواجه صلى الله عليه وسلم) أولاهن خديجة بنت خويلد القرشية الاسدية تزوجها قبل النبوة ولها أربعون سنة ولم يتزوج عليها حتى ماتت وأولاده كلهم منها الا ابراهيم وهي التي وازرته على النبوة وجاهدت معه وواسته بنفسها ومالها وأرسل الله اليها السلام مع جبرائيل وهذه خاصة لا تعرف لامرأة سواها وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين ثم تزوج بعد موتها بأيام سودة بنت زمعة القرشية وهي التي وهبت يومها لعائشة ثم تزوج بعدها أم عبد الله عائشة الصديقة بنت الصديق المبرأة من فوق سبع سموات حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق وعرضها عليه الملك قبل نكاحها في سرقة من حرير وقال هذه زوجتك تزوج بها في شوال وعمرها ست سنين ولم يتزوج بكرا غيرها وما نزل عليه الوحي في لحاف امرأة غيرها وكانت أحب الخلق اليه

حتى انصدع) أى انشق (قلبه) وفى ابن اسحق وغيره حتى انصدع صدره فرقتين عن قلبه بصنعاء وفى رواية كلما دخل أرضا وقع منه عضو حتى انتهى الى بلاد خثعم وليس عليه غير رأسه فمات فيحتمل أنه مات بها وحمل الى صنعاء ميتا أو عبر بذلك مجاز القرب منه أو لظن المخبر موته لرؤيته وصل لهذه الحالة لاسيما وهم مشغولون بأنفسهم وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائره يحلق فوق رأسه وهو لا يشعر به حتى بلغ النجاشى فأخبره بما أصابهم فلما أتم كلامه رماه الطائر فوقع عليه الحجر فخر ميتا فرأى النجاشى كيف كان هلاك أصحابه (والى هذه القصة أشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم) مما عد على قريش من نعمه عليهم وفضله لبقاء أمرهم ومدتهم قاله ابن اسحق (ألم تر) استفهام تقرير أى ألم تعلم قرره على وجود علمه بما ذكر وبه جزم فى النهر وقيل تعجب لنقله نقل المتواتر وبه جزم الجلال أى قد علمت أو تعجب (كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) عبر بكيف دون ما لان المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال علم الله وقدرته وعزة بيته وشرف رسوله اقرأ (السورة الى آخرها) وقد تلاها والتى بعدها معا ابن اسحق وجعلها متعلقة بها كما هو أحد الاوجه وفى الكشاف وحياة الحيوان والى هذه القصة أشار صلى الله عليه وسلم فى الصحيح بقوله ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين انتهى وهو بيان لحالهم اذ خالفوا الله ورسوله والسورة أنسب فى تعظيم جد المصطفى وقومه لاجله صلى الله عليه وسلم فلذا اقتصر عليها المصنف (فان قلت لم قال تعالى له عليه الصلاة والسلام ألم ترمع أن هذه القصة كانت قبل البعث بزمان طويل) اذ هى عام ولادته على أصح الاقوال وهو قول الاكثر وقال مقاتل قبل مولده بأربعين سنة وقال الكلبى بثلاث وعشرين سنة وقيل بثلاثين وقيل بخمسين وقيل بسبعين وقيل غير ذلك (فالجواب ان المراد من الرؤية هنا العلم والتذكر) أى قد علمت فهو تقريرى (وهو اشارة الى ان الخبر به) أى بالواقع لاصحاب الفيل (متواتر فكان العلم الحاصل به ضرورى مساو فى القوة للرؤية) كما هو شأن المتواتر (وقد كانت هذه القصة دالة على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم و) تأسيسا لنبوته وارهاصا لها) هما متساويان والمراد أنها توطئة وتقوية لنبوته (واعزازا لقومه) أى تقوية لهم بعد الذل بما أصابهم من أبرهة واستعمال العز فيمن لم يسبق له ذل مجاز كقوله ان العزة لله جميعا (بما ظهر عليهم من الاعتناء) أى اعتناء الناس (حتى دانت) أى خضعت وذلت (لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس) بقيتهم (بحماية الله لهم ودفعه عنهم) عطف تفسير فالحماية الدفع فقالت العرب كما فى ابن اسحق أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم وقالوا فى ذلك اشعارا كثيرة (مكر أبرهة) أى ارادته السوء بهم سماه مكرا مع انه الاحتيال من حيث لا يعلم الممكور به وأبرهة جاء مجاهرا الحرب بهم نظرا للعزم على تخريب الكعبة وهم لا يشعرون (الذى لم يكن للعرب جميعا) وفى نسخة لسائر العرب وهى أيضا بمعنى الجميع عند الجوهرى فى جماعة وان خطؤه فيه لانها لغة قليلة حكاها القاموس وغيره وقد بسطه فى الديباجة (بقتاله) أى عليه متعلق بقوله (قدرته) قدم عليه لانه ظرف (وكان ذلك كله ارهاصا للنبوته عليه الصلاة والسلام) وهو فائدة ذكر القصة هنا لا لتعظيم ما كانت عليه قريش فان أصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب وكان دينهم حينئذ أقرب حالا مما كان عليه أهل مكة لانهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله نصرا لا صنع لبشر فيه فكأنه يقول لم أنصركم لخيريتكم ولكن صيانة للبيت العتيق الذى سيشرفه خير الانبياء صلى الله عليه وسلم (قال) الامام العلامة فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين البكرى الطبرستانى الاصل (الرازى) المولد المعروف بابن الخطيب فاق أهل زمانه فى علم الكلام والاوائل وتوفى سنة ست وستمائة بمدينة هراة (ومذهبنا انه يجوز تقديم

وتنزل عذرها من السماء واتفقت الامة على كفر قاذفها وهى أفقه نسائه وأعلمهن بل أفقه نساء الامة وأعلمهن على الاطلاق وكان الاكابر من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يرجعون الى قولها ويستفتونها وقيل انها أسقطت من النبى صلى الله عليه وسلم سقطا ولم يثبت ثم تزوج حفصة بنت عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وذكر أبو داود أنه طلقها ثم راجعها ثم تزوج زينب بنت خزيمة بن الحرث القيسية من بنى هلال بن عامر وتوفيت عنده بعد ضمه لها بشهرين ثم تزوج أم سلمة هند بنت أبى أمية القرشية المخزومية واسم أبى أمية حذيفة ابن المغيرة وهى آخر نسائه موتا وقيل آخرهن موتا صفية واختلف فيمن ولى تزويجها منه فقال ابن سعد فى الطبقات ولى تزويجها منه سلمة بن أبى سلمة دون غيره من أهل بيتها ولما زوج النبى صلى الله عليه وسلم سلمة بن أبى سلمة امامة بنت حمزة التى اختصم فيها على وجعفر وزيد قال هل جزيت سلمة

المعجزات على زمان البعثة تأسيسا) تقوية لما قال (ولذلك قالوا كانت الغمامة تظله عليه الصلاة والسلام يعني قبل بعثته) وأنت خبير بأن قولهم ذلك لا يلزم منه أنهم سموها معجزة الذي هو محل النزاع (وخالفه العلامة السيد) المحقق علي الجرجاني (في شرح المواقف تبعا لغيره) وهم الجمهور (فاشترط في المعجزات أن لا تتقدم على الدعوة) الى كلمة الاسلام (بل تكون مقارنة لها فالخوارق الواقعة قبل الرسالة انما هي كرامات والانبياء قبل النبوة لا يقصرون عن درجة الاولياء فيجوز ظهورها عليهم أيضا فتسمى ارهاصا صرح به السيد وهو مذهب جمهور أئمة الاصول وغيرهم كما سيأتي ان شاء الله تعالى في المقصد الرابع (فان قلت) اهلاك الله أصحاب الفيل اعزازا لنبيه وحرمه و(ان الحجاج) بن يوسف الثقفي الظلوم المختلف في كفره واختار الامام أبو عبد الله بن عرفة انه كافر قال الابي رحمه الله فأورد عليه صلاة الحسن البصري عليه فاجاب بأنها تتوقف على صحة الاسناد اليه انتهى وفي الكامل للمبرد مما كفر به الفقهاء الحجاج انه رأى الناس يطوفون حول حجرته صلى الله عليه وسلم فقال انما يطوفون بأعواد ورمة قال الدميري كفروه بهذا لانه تكذيب لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم على الارض أن تأكل أجساد الانبياء رواه أبو داود (خرب الكعبة) لما أرسله عبد الملك بن مروان الى قتال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما لينزع منه الخلافة فتحصن عبد الله منه في البيت فرمى الكعبة بالمنجنيق ثم ظفر به فقتله سنة ثلاث وسبعين ووقع قبله في زمن يزيد بن معاوية حين أرسل الحصين بن نمير السكوني لقتال ابن الزبير لامتناعه من مبايعة يزيد فنصب المنجنيق على أبي قبيس وغيره من جبال مكة ورمى الكعبة وكسر الحجر الاسود واحترقت الكعبة حتى انهدم جدارها وسقط سقفها ثم وردهم الخبر بموت يزيد عامله الله بعدله فرجعوا الى الشام (ولم يحدث شئ من ذلك) الذي وقع لاصحاب الفيل فما الفرق (فالجواب أن ذلك وقع ارهاصا) أي تأسيسا (لامر نبينا صلى الله عليه وسلم والارهاص انما يحتاج اليه قبل قدومه) أي ظهوره وثبوت نبوته (فلما) أي حيث (ظهر عليه الصلاة والسلام وتأكدت نبوته بالدلائل القطعية فلا حاجة الى شئ من ذلك) جواب لما ودخلته الفاء على قلة وايضاح هذا جواب الشامي بأنهم انما لم يمنعوا لان الدعوة قد تمت والكلمة قد بلغت والحجة قد ثبتت فأخر الله أمرهم الى الدار الآخرة وقد أخبر صلى الله عليه وسلم بوقوع الفتن وأن الكعبة ستهدم اه أي فكان عدم منعهم مظهر المعجزته من الاخبار بالغيب وأجاب النجم بأن أبرهة قصد التخريب بالكلية وعدم عودها فلذا عوجل بالعقوبة والحجاج انما قصد بالتخريب اذهاب صورة بناء ابن الزبير واعادتها على حالتها الاولى فلم يحدث له شئ وفيه نظر فانه حين قتاله لابن الزبير لم يكن قصده اذهاب صورة بنائه وانما أراد ذلك بعد قتله فكتب الى عبد الملك مستشيره كما قالوه في بناء الكعبة ولك أن تقول لا يرد الاشكال من أصله لان جيش يزيد والحجاج انما قاتلوا على الملك ولم يقصدوا هدم الكعبة ولم يسيروا اليه كأبرهة وما وقع من التخريب أدى اليه القتال ثم أعاده ابن الزبير بعد ذهاب جيش يزيد واستقراره في الخلافة بمكة وبعض البلاد على قواعد ابراهيم على ما حدثته به خالته عائشة ثم لما غزاه الحجاج وتهدم البيت أعاده الحجاج بأمر عبد الملك على ما كان عليه في الجاهلية وهو صفته اليوم (ذكر حفر زمزم والذبيحين ولما فرج الله تعالى عن عبد المطلب ورجع أبرهة خائبا فبينما هو نائم يوما) أراد به مطلق الزمان فلا ينافي قول عبد المطلب رأيت الليلة كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره وآتوا حقه يوم حصاده الى ربك يومئذ المساق لامقابل الليلة نحو وسخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام ولا مدة القتال نحو ويوم حنين ولا الدولة كقوله وتلك الايام نداولها بين الناس (في الحجر اذ رأى مناما عظيما) هو كما رواه أبو نعيم من طريق أبي بكر بن عبد الله بن أبي الجهم عن أبيه عن جده قال سمعت أبا طالب يحدث عن

يقول ذلك لان سلمة هو الذي تولى تزويجه دون غيره من أهلها ذكر هذا في ترجمة سلمة ثم ذكر في ترجمة أم سلمة عن الواقدي حدثني مجمع بن يعقوب عن أبي بكر بن محمد بن عمر بن أبي سلمة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أم سلمة الى ابنها عمر بن أبي سلمه فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ غلام صغير وقال الامام أحمد في المسند حدثنا عفان حدثنا حماد بن أبي سلمة حدثنا ثابت قال حدثني ابن عمر بن أبي سلمة عن أبيه عن أم سلمة انها لما انقضت عدتها من أبي سلمة بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مرحبا برسول الله صلى الله عليه وسلم اني امرأة غيراء واني مصبية وليس أحد من أوليائي شاهدا الحديث وفيه فقالت لابنها عمر قم فزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجه وفي هذا نظر فان عمر هذا كان سنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين ذكر ابن سعد وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال

عبد المطلب قال بينما أنا نائم فى الحجر اذ رأيت رؤيا هالتنى ففزعت منها فزعا شديدا فأتيت كاهنة
قريش فقلت لها انى رأيت الليلة كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت بأغصانها المشرق
والمغرب وما رأيت نورا أزهر منها أعظم من نور الشمس سبعين ضعفا ورأيت العرب والعجم لها
ساجدين وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ساعة تخفى وساعة تظهر ورأيت رهطا من قريش
قد تعلقوا بأغصانها ورأيت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها أخذهم شاب لم أر قط أحسن
منه وجها ولا أطيب ريحا فيكسر أظهرهم ويقلع أعينهم فرفعت يدى لاتناول منها نصيبا فلم أنل فقلت
لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا فرأيت وجه الكاهنة قد
تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب ويدين له الناس فقال
عبد المطلب لابى طالب لعلك أن تكون هو المولود فكان أبو طالب يحدث بهذا الحديث والنبى صلى الله
عليه وسلم قد خرج أى بعث ويقول كانت الشجرة والله أبا القاسم الامين فيقال له ألا تؤمن به فيقول السبة
والعار أى أخشى أو يمنعنى فهما منصوبان أو مرفوعان أو المراد بالمنام ما فى الروض فى سبب تسميته
محمدا عن على القيروانى العابر فى كتابه البستان قال زعموا أن عبد المطلب رأى فى منامه كأن سلسلة من
فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم
عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له
بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء وأهل الارض (فانتبه) حال
كونه (فزعا مرعوبا) والمراد بهما واحد فالفزع والرعب الخوف (وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه)
وهذا مخالف لقوله فى رواية أبى نعيم فأتيت كاهنة قريش فقلت لها الا أن يقال اللام فى الكهنة للجنس
والمعنى انه لما خرج قصد جملة الكهنة فاتفق انه اختار هذه للسؤال (فقالت له الكهنة) اللام للجنس أو
اشتهر قولها وبلغهم فأقروه فنسبت لهم (ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يؤمن به أهل
السموات والارض وليكونن فى الناس علما مبينا) أى كالراية الظاهرة فالعلم بفتحتين الراية كما فى
المختار (فتزوج فاطمة) بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم (وحملت فى ذلك الوقت بعبد الله الذبيح)
فيه نظر لان عبد الله أصغر أولاد فاطمة وقد ذكر اليعمرى وغيره أن أبا طالب والزبير وعبد الكعبة
أشقاء لعبد الله اللهم الا أن يكون تجوز فى قوله فى ذلك الوقت مبالغة فى قرب حملها به ثم هذا الذى ذكره
المصنف من أن الرؤيا وحفر زمزم كانا بعد الفيل انما يأتى على انه قبل المولد النبوى بأربعين أو سبعين
سنة أما على المشهور أنها كانت عامه فلا يتصور اصلا الا أن يكون مراده مجى الاخبار بقصة بعد أخرى
والمعنى بعد ما ذكرنا أن الله فرج عن عبد المطلب نقول بينما هو نائم والترامه الترتيب على السنين انما
هو من حين نشأة المصطفى كما قال فى الديباجة فلا يرد هذا عليه لكن هذا فى غاية التعسف بل لا يصح
مع قوله لما فرج وخاب أبرهة نام فرأى فتزوج فجعله جوابا لما (وقصته) أى وصفه بالذبيح (فى ذلك
مشهورة مخرجة عند الرواة مسطورة وكان سببها حفر أبيه عبد المطلب زمزم) أى اظهارها
وتجديدها كما يعلم من قوله بعد وبالغ فى طمها * ذكر البرقى عن ابن عباس سميت زمزم لانها
زمت بالتراب لئلا تأخذ يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الارض حتى تملأ كل شئ وقال الحربى
لزمزمة الماء وهى صوته وقال أبو عبيد لكثرة مائها وقيل غير ذلك وليس بخلاف حقيقى فقد
تكون التسمية بجميع ذلك وحكى المطرزى أن اسمها زمازم وزمزم قال السهيلى وتسمى أيضا همزة
جبريل بتقديم الميم على الزاى ويقال أيضا هزمة جبريل أى بتقديم الزاى لانها هزمته فى الارض
وتسمى أيضا طعام طعم وشفاء سقم اهـ والاخير لفظ حديث مرفوع عند الطيالسى عن أبى ذر وأصله

سنة أربع فيكون له من
العمر حينئذ ثلاث سنين
ومثل هذا لا يزوج قال
ذلك ابن سعد وغيره ولما
قيل ذلك للامام أحمد
فقال من يقول ان عمر
كان صغيرا قال أبو الفرج
ابن الجوزى ولعل أحمد
قال هذا قبل أن يقف
على مقدار سنه وقد ذكر
مقدار سنه جماعة من
المؤرخين ابن سعد
وغيره وقد قيل ان الذى
زوجها من رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابن
عمها عمر بن الخطاب
والحديث قم يا عمر فزوج
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونسب عمر ونسب
أم سلمة يلتقيان فى
كعب فانه عمر بن الخطاب
ابن نفيل بن عبد العزى
ابن رياح بن عبد الله بن
قرط بن رواح بن عدى
ابن كعب وأم سلمة بنت
أبى أمية بن المغيرة بن
عبد الله بن عمر بن
مخزوم بن يقظة بن مرة
ابن كعب فوافق اسم
ابنها عمر اسمه فقالت
قم يا عمر فزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فظن بعض الرواة أنه
ابنها فرواه بالمعنى وقال
فقالت لابنها وذهل
عن تعذر ذلك عليه لصغر
سنه ونظير هذا وهم
بعض الفقهاء فى هيئة

في مسلم كما ذكره السخاوي وروى الدارقطني والحاكم عن ابن عباس رفعه ماء زمزم لما شرب له ان
شربته لتستشفي شفاك الله وان شربته لشبعك أشبعك الله وان شربته لقطع ظمئك قطعه الله هي
هزمة جبريل وسقيا الله اسماعيل وفي سيرة ابن هشام هي بين صنمي قريش أساف ونائلة عند منحر
قريش كان جرهم دفنها حين ظعن من مكة وهي بئر اسمعيل التي سقاه حين ظمئ وهو صغير
فالتمست له أمه ماء فلم تجده فقامت على الصفا تدعو الله وتستغيثه لاسمعيل ثم أتت المروة ففعلت
مثل ذلك فبعث الله جبريل فهمز بعقبه في الارض وظهر الماء وسمعت أمه أصوات السباع فخافت
عليه فأقبلت نحوه فوجدته يفحص بيده عن الماء تحت خده ويشرب قال السهيلي حكمة همز
جبريل بعقبه دون يده أو غيرها الاشارة الى أنها لعقبه أي اسمعيل ووارثه وهو محمد صلى الله عليه وسلم
وأمته كما قال تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه اه وانما حفرها عبد المطلب (لان الجرهمي) بضم
الجيم وسكون الراء وضم الهاء نسبة الى جرهم حي من اليمن سموا باسم جرهم بن قحطان ابن نبي الله
هود كما في التيجان (عمرو بن الحرث) بن مضاض بكسر الميم وضمها (لما أحدث قومه) جرهم
وكانوا ولاة البيت والحكام بمكة لا ينازعهم بنو اسمعيل لخؤلتهم وقرابتهم واكراما لمكة أي يكون بها بغي
أو قتال (بحرم الله الحوادث) فبغوا بمكة وظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذي يهدى
لها فساءت حالهم (وقيض الله لهم من أخرجهم من مكة) قال القاضي تقي الدين الفاسي في شفاء الغرام
اختلف أهل الاخبار فيمن أخرج جرهما من مكة اختلافا يعسر معه التوفيق فقيل بنو بكر بن عبد
مناف بن كنانة وغبشان بن خزاعة لمنعهم بني عمرو بن عامر الاقامة بمكة حتى يصل اليهم رواؤهم وقيل
عمرو بن ربيعة بن حارثة لطلبهم حجابة البيت وقيل بنو اسمعيل بعد أن سلط الله على جرهم آفات من
رعاف ونمل حتى فني به من أصابهم بمكة وقيل سلط على ولاة البيت منهم دواب فهلك منهم في ليلة واحدة
ثمانون كهلا سوى الشبان حتى رحلوا من مكة والقول الاول ذكره ابن اسحق فقال ان بني بكر وغبشان
لما رأوا بغيهم أجمعوا لحربهم واخراجهم من مكة فآذنوا بالحرب فاقتتلوا فغلبهم بنو بكر وغبشان
فنفوهم من مكة وكانت مكة في الجاهلية لا تقر فيها بغيا ولا ظلما لا يبغي فيها أحد الا أخرجته فكانت
تسمى الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك مكانه فيقال سميت بكة لانها تبك أعناق
الجبابرة (فعمد) بفتح الميم ومضارعه بكسرها كذا المنقول ورأيت في بعض الحواشي ان في بعض
شروح الفصيح وأظنه عزاه للسبكي انه يجوز فيه العكس قاله في النور أي قصد (عمرو الى نفائس)
هي غزالان من ذهب وسيوف وأدراع وحجر الركن كما عند ابن هشام وغيره (فجعلها في زمزم) بمنع
الصرف للتأنيث والعلمية [illegible] المصباح (وبالغ في طمها) بفتح الطاء المهملة وكسر الميم المشددة بعدها
هاء قال القاموس طم الركية دفنها وسواها وفيه أيضا الركية البئر (وفر الى اليمن بقومه) فحزنوا على
ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا وقال عمرو * كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * الابيات
بتمامها في ابن اسحق قيل كانت ولاية جرهم مكة ثلثمائة سنة وقيل خمسمائة وقيل ستمائة سنة (فلم
تزل زمزم من ذلك العهد مجهولة) وفي رواية بقيت مطمومة بعد جرهم خمسمائة سنة لا يعرف
مكانها (الى أن رفعت) أزيلت (عنها الحجب) الموانع التي منعت من معرفتها (برؤيا منام رآها عبد
المطلب دلته على حفرها بامارات عليها) روى ابن اسحق بسنده عن علي قال قال عبد المطلب اني لنائم
في الحجر اذ أتاني آت فقال احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي
فنمت فيه فجاءني فقال احفر برة فقلت وما برة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فنمت
فيه فجاءني فقال احفر المضنونة فقلت وما المضنونة فذهب عني فلما كان الغد رجعت الى مضجعي

الحديث وتز وايثهم له
فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم قم يا غلام فزوج
أمك قال أبو الفرج بن
الجوزي وما عرفنا هذا
في هذا الحديث قال وان
ثبت فيحتمل أن
يكون قاله على وجه
المداعبة للصغير اذ كان
له من العمر يومئذ ثلاث
سنين لان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
تزوجها في سنة أربع
ومات ولعمر تسع سنين
ورسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يفتقر نكاحه
الى ولي وقال ابن عقيل
ظاهر كلام أحمد أن
النبي صلى الله عليه وسلم
لا يشترط في نكاحه الولي
وان ذلك من خصائصه
ثم تزوج زينب بنت
جحش من بني أسد بن
خزيمة وهي ابنة عمته
أميمة وفيها نزل قوله
تعالى فلما قضى زيد
منها وطرا زوجناكها
وبذلك كانت تفتخر
على نساء النبي صلى الله
عليه وسلم وتقول زوجكن
أهاليكن وزوجني الله
من فوق سبع سموات
ومن خواصها أن الله
سبحانه وتعالى كان هو
وليها الذي زوجها
لرسوله من فوق سمواته
وتوفيت في أول خلافة
عمر بن الخطاب وكانت

فنمت فيه فجاءنى وقال احفر زمزم قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل * برة بفتح الموحدة وشد المهملة سميت بذلك لكثرة منافعها وسعة مائها قال فى الروض هو اسم صادق عليها لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار * والمضنونة بضاد معجمة ونونين لانها ضن بها على غير المؤمن فلا يتضلع منها منافق قاله وهب ابن منبه وروى الدارقطنى مرفوعا من شرب زمزم فليتضلع فانه فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها وفى رواية الزبير بن بكار أن عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك * ولا ينزف بكسر الزاى لا يفرغ ماؤها ولا يلحق قعرها ولا تذم بمعجمة لا توجد قليلة الماء من قول العرب بئر ذمة أى قليل ماؤها وهذا لانه نفى مطلق وخبر صادق أولى من الحمل على نفى ضد المدح لانها مذمومة عند المنافقين قاله السهيلى قال والغراب الاعصم فسره صلى الله عليه وسلم بانه الذى احدى رجليه بيضاء رواه ابن شيبة وأطال فى الروض فى وجه تأويل هذه الرؤيا بما يحسن كتبه بالعسجد لكن الرهبة من التطويل تمنع من جلبه (فمنعته قريش من ذلك) ظاهره أنها منعته من أصل الحفر ونازعته ابتداء والذى رواه ابن اسحق عن على عقب ما مر فلما بين له شأنها ودل على موضعها وعرف أنه صدق غدا بمعوله ومعه ولده الحرث ليس له يومئذ ولد غيره فجعل يحفر ثلاثة أيام فلما بدا له الطى كبر وقال هذا طى اسمعيل فقاموا اليه فقالوا انها بئر أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل ان هذا الامر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم اليه قالوا كاهنة سعد بن هذيم قال نعم وكانت باشراف الشام بالقاء فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر فخرجوا حتى اذا كانوا بمفازة بين الحجاز والشام ظمئ عبد المطلب وأصحابه وغيره حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا وقالوا انا بمفازة نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت فأمرهم فحفروا قبورهم وقال من مات واراه أصحابه حتى يكون الآخر فضيعته أيسر من ركب وقعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم قال والله ان القاءنا بايدينا للموت عجز لنضربن فى الارض عسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد وركب راحلته فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين ماء عذب وكبر عبد المطلب وأصحابه ثم نزل فشربوا واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا قبائل قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاستقوا وشربوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى أسقاك هذا الماء بهذه الفلاة واسقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها (ثم آذاه من السفهاء من آذاه) هو عدى بن نوفل بن عبد مناف قال له يا عبد المطلب تستطيل علينا وأنت فذ لا ولد لك فقال أبا القلة تعيرنى فوالله لئن آتانى الله عشرة من الولد ذكورا لانحرن أحدهم عند الكعبة رواه ابن سعد والبلاذرى وفى الخميس سفه عليه وعلى ابنه ناس من قريش ونازعوهما وقاتلوهما (واشتد ذلك بلواه وكان معه ولده الحرث ولم يكن له ولد سواه فنذر) مر انه حلف فيحتمل انه المراد بالنذر أو أن صورة الالتزام تكررت مرة بالنذر وأخرى بالحلف (لئن جاءه عشر بنين وصاروا له أعوانا) أى بلغوا أن يمنعوه وبه عبر ابن اسحق وأتباعه (ليذبحن أحدهم قربانا) لله عند الكعبة (واحتفر عبد المطلب زمزم) فى عامه ذلك هو وابنه الحرث فقط فعند ابن اسحق فغدا عبد المطلب ومعه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين اساف ونائلة الذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها

أولاد زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه فلما طلقها زوجه الله اياها لتتأسى به أمته فى نكاح أزواج من تبنوه وتزوج صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار المصطلقية وكانت من سبايا بنى المصطلق فجاءته تستعين به على كتابتها فادى عنها كتابتها وتزوجها ثم تزوج أم حبيبة واسمها رملة بنت أبى سفيان صخر بن حرب القرشية الاموية وقيل اسمها هند تزوجها وهى ببلاد الحبشة مهاجرة وأصدقها عنه النجاشى أربعمائة دينار وسيقت اليه من هناك وماتت فى أيام أخيها معاوية هذا المعروف المتواتر عند أهل السير والتواريخ وهو عندهم بمنزلة نكاحه لخديجة بمكة ولحفصة بالمدينة ولصفية بعد خيبر وأما حديث عكرمة بن عمار عن أبى زميل عن ابن عباس أن أبا سفيان قال للنبى صلى الله عليه وسلم أسألك ثلاثا فاعطاه اياهن منها وعندى أجمل العرب أم حبيبة أزوجك اياها فهذا

فجاء بالمعول وقام يحفر حيث أمر فقامت اليه قريش فقالوا والله ما نتركك تحفر بين وثنينا اللذين ننحر عندهما فقال لابنه ردعني حتى أحفر فوالله لأمضين لما أمرت به فلما عرفوا انه غير تارك خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطي فكبر وعرف انه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد الغزالين والاسياف والادراع التى دفنتها جرهم فقالت قريش انا معك فى هذا شرك قال لا ولكن هلم الى أمر نصف بينى وبينكم نضرب عليها القداح قالوا كيف نصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة واسودين له وأبيضين لقريش فخرج الاصفران على الغزالين للكعبة والاسودان على الاسياف والادراع له وتخلف قدحا قريش فضرب الاسياف بابا للكعبة وضرب بالباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون ثم أتم حفر زمزم وأقام سقايتها للحاج (فكانت له فخرا وعزا) على قريش وعلى سائر العرب ذكر الزهرى فى سيرته انه اتخذ عليها حوضا يستقى منه فكان يخرب بالليل حسدا له فلما أهمه ذلك قيل له فى النوم قل لا أحلها لمغتسل وهى للشارب حل وبل فلما أصبح قالها فكان من أرادها بمكروه رمى بداء فى جسده حتى انتهوا عنه * حل بكسر الحاء أى من الحرام وبل بكسر الموحدة مباح وقيل شفاء وعند ابن أسحق فعفت زمزم على آبار كانت قبلها وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام وفضلها على ما سواها ولانها بئر اسمعيل وافتخر بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب وعند غيره فكان منها شرب الحاج وكان لعبد المطلب ابل كثيرة يجمعها فى الموسم ويسقى لبنها بالعسل فى حوض من ادم عند زمزم ويشترى لزبيب فينبذ بماء زمزم ويسقيه الحاج ليكسر غلظها وكانت اذ ذاك غليظة فلما توفى قام بالسقاية العباس وكان له كرم بالطائف فكان يحمل زبيبه اليها ويسقيه الحاج أيام الموسم فلما دخل صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح قبض السقاية منه ثم ردها اليه (فلما تكامل بنوه عشرة) بعد حفره زمزم بثلاثين سنة كما عند ابن سعد والبلاذرى زاد فى نسخ (وهم الحرث) وأمه صفية بنت جندب (والزبير) بفتح الزاى عند البلاذرى وأبى القاسم الوزير وضمها عند غيرهما وهو مفاد التبصير وأمه فاطمة بنت عمرو (وحجل) بفتح المهملة فجيم ساكنة عند الدارقطنى وتبعه النووى والذهبى والعسقلانى وهو فى الاصل القيد والخلخال وضبطه اليعمرى تبعا لابن اسحق بتقديم الجيم على الحاء الساكنة وصدر به المصنف فيما يأتى وهو السقاء الضخم وذكر المصنف ثم ان اسمه المغيرة وتبع فيه الذهبى ووهمه الحافظ وقال الذى اسمه مغيرة ابن أخيه حجل بن الزبير بن عبد المطلب انتهى وأمه هالة بنت وهيب (وضرار) بضاد معجمة وراءين بينهما ألف وهو شقيق العباس (والمقوم) بفتح الواو مشددة اسم مفعول وكسرها مشددة اسم فاعل كذا بخطى ولا أدرى الآن من أين هو وقاله فى النور وأمه هالة (وأبو لهب) عبد العزى وأمه آمنة بنت هاجر (والعباس) رضى الله عنه وأمه نتلة بفتح النون وسكون الفوقية ويقال نتيلة بضم النون وفتح الفوقية مصغرا واقتصر عليه التبصير (وحمزة) سيد الشهداء رضى الله عنه وأمه هالة بنت وهيب (وأبو طالب وعبد الله) والده صلى الله عليه وسلم وأمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمر بن مخزوم قال شيخنا وهذه النسخة لا تناسب ما يأتى أن حمزة والعباس انما ولدا بعد الوفاء بالنذر فلعلها غير صحيحة انتهى اما الاول فواضح وأما ترجى عدم صحتها فلا انه من المعلوم القول بأن أولاده عشرة فقط فيحتمل أن المراد بحمزة والعباس هنا اثنان من ولده ولده وافقا اسم ابنيه (وقر الله عينه بهم) كذا فى نسخ وسقطت الجلالة من أخرى وهى التى عند شيخنا فقال العين حاسة الرؤية مؤنثة ذكر الفعل لان تأنيثها غير حقيقى (نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى فى المنام قائلا يقول) له

الحديث غلطا ظاهرا لاخفاء به قال أبو محمد بن حزم وهو موضوع بلا شك كذبه عكرمة بن عمار وقال ابن الجوزى فى هذا الحديث هو وهم من بعض الرواة لا شك فيه ولا تردد وقد اتهموا به عكرمة بن عمار لان أهل التاريخ أجمعوا على أن أم حبيبة كانت تحت عبد الله بن جحش وولدت له وهاجر بها وهما مسلمان الى أرض الحبشة ثم تنصر وثبتت أم حبيبة على اسلامها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى يخطبها عليه فزوجه اياها وأصدقها عنه صداقا وذلك فى سنة سبع من الهجرة وجاء أبو سفيان فى زمن الهدنة فدخل عليها فثنت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يجلس عليه ولا خلاف ان أبا سفيان ومعاوية أسلما فى فتح مكة سنة ثمان وأيضا فى هذا الحديث أنه قال له وتأمرنى حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال نعم ولا يعرف أن النبى صلى الله عليه وسلم أمر أبا سفيان ألبتة وقد أكثر الناس الكلام فى هذا الحديث وتعددت

(ياعبد

(ياعبد المطلب أوف) بهمزة قطع (بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ) حال كونه (فزعا مرعوبا) أى خائفا وهما بمعنى كما مر (وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى أن قرب ماهو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا) ذكر البقر سمى ثورا لانه يثير الارض كما سميت البقرة بقرة لانها تبقرها (ثم نام فرأى أن قرب ماهو أكبر من ذلك فانتبه وقرب جملا) نحره (وأطعمه للمساكين) والفقراء لانهما اذا افترقا اجتمعا (ثم نام فنودى أن قرب ماهو أكبر من ذلك فقال وماهو أكبر من ذلك وقال قرب أحد أولادك الذى نذرته) أى نذرت ذبحه (فاغتم غما شديدا) أى أصابه كرب وحزن (وجمع أولاده وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء) بالنذر (فقالوا انا نطيعك فمن تذبح منا) أى فأى واحد تريد ذبحه لنعينك عليه (قال ليأخذ كل واحد منكم قدحا) قال المصنف (والقدح) بكسر القاف وسكون الدال وحاء مهملة (سهم بغير نصل) ولفظ القاموس القدح بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل (ثم ليكتب فيه اسمه ثم ائتونى به ففعلوا وأخذوا أقداحهم) بكسر القاف جمع قدح ويجمع أيضا على أقداح أقاديح كما فى القاموس (ودخلوا على هبل) بضم الهاء وفتح الموحدة فلام (اسم صنم عظيم) من عقيق أحمر على صورة الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فجعلوا له يدا من ذهب كذا ذكر ابن الكلبى فى كتاب الاصنام أنه بلغه (وكان فى جوف الكعبة) وكان تحته بئر يجمع فيها ما يهدى للكعبة قاله ابن اسحق وغيره (وكانوا يعظمونه ويضربون بالقداح عنده) قال ابن اسحق كان عنده قداح سبعة كل قدح فيه كتاب قدح العقل اذا اختلفوا من يحمله وقدح فيه نعم للامر اذا أرادوه وقدح فيه لا وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه اذا أرادوا حفرها فكانوا اذا أرادوا الختان أو النكاح أو دفن ميت أو شكوا فى نسب ذهبوا الى هبل بمائة درهم وجزور فأعطوها الذى يضرب بها ثم ما خرج عملوا به انتهى ملخصا ففسرها كلها وأقره عبد الملك بن هشام وأما ابن الكلبى فقال مكتوب فى أولها صريح والآخر ملصق واذا شكوا فى مولود أهدوا له هدية ثم ضربوا بالقداح فان خرج صريح ألحقوه وان كان ملصقا دفعوه وقدح على الميت وقدح على النكاح وثلاثة لم تفسر لى على ما كانت فاذا اختصموا فى أمر أو أرادوا سفرا أو عملا أتوه فاستقسموا بالقداح عنده فما خرج عملوا به وانتهوا اليه وفسر ضرب القداح بقوله (ويستقسمون بها أى يرتضون بما يقسم لهم ثم يضرب بها القيم الذى لها) والمعنى كانوا يتفقون عند القيم بالرضا بما خرج فكل من خرج اسمه على شئ رضى به (قال فدفع عبد المطلب الى ذلك القيم القداح وقام) عبد المطلب (يدعو الله تعالى) ويقول اللهم انى نذرت لك نحر أحدهم وانى أقرع بينهم فأصب بذلك من شئت ثم ضرب السادن القدح (فخرج على عبد الله وكان أحب ولده اليه فقبض عبد المطلب على يد ولده عبد الله وأخذ الشفرة) بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء وهى السكين العظيم كما فى القاموس أو العريض كما فى المصباح ولا خلف (ثم أقبل الى أساف) بكسر الهمزة وفتح المهملة مخففة (ونائلة) بنون فألف فتحتية (صنمين عند الكعبة) قال هشام الكلبى فى كتاب الاصنام اساف رجل من جرهم يقال له أساف بن يعلى ونائلة بنت زيد من جرهم وكان يتعشقها فى أرض اليمن فحجا فدخلا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة من البيت ففجر بها فيه فمسخا فأصبحوا فوجدوهما ممسوخين فوضعوهما ليتعظ بهما الناس فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها (تذبح وتنحر عندهما النسائك فقام اليه سادة قريش) وعند ابن اسحق وغيره فقامت اليه قريش فى أنديتها (فقالوا ما تريد أن تصنع) فلعل السادة هم الذين بدؤا بالقيام والقول فتبعوهم وفى ابن اسحق فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر ولا يشكل بقوله قبله فأطاعوه كقول المصنف انا نطيعك فمن تذبح

ظرفهم فى وجهه ثم منهم من قال الصحيح أنه تزوجها بعد الفتح لهذا الحديث قال ولا يرد هذا بنقل المؤرخين وهذه الطريقة باطلة عند من له أدنى علم بالسيرة وتواريخ ما قد كان وقالت طائفة بل سأله أن يجدد له العقد تطييبا لقلبه فانه كان تزوجها بغير اختياره وهذا باطل لا يظن بالنبى صلى الله عليه وسلم ولا يليق بعقل أبى سفيان ولم يكن من ذلك شئ وقالت طائفة منهم البيهقى والمنذرى يحتمل أن تكون هذه المسئلة من أبى سفيان وقعت فى بعض خرجاته الى المدينة وهو كافر حين سمع نعى زوج أم حبيبة بالحبشة فلما ورد على هؤلاء ما لا حيلة لهم فى دفعه من سؤاله أن يأمره حتى يقاتل الكفار وأن يتخذ ابنه كاتبا قالوا لعل هاتين المسئلتين وقعتا منه بعد الفتح فجمع الراوى ذلك كله فى حديث واحد والتعسف والتكلف الشديد الذى فى هذا الكلام يغنى عن رده وقالت طائفة للحديث محمل آخر صحيح وهو أن يكون المعنى أرضى أن تكون زوجتك الآن

منا الاثم وافقوه أولاثم وافقوا قريشا فى طلب الاعذار ووقع فى الشامية أن العباس جذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليذبحه فيقال انه شج وجهه شجة لم تزل فيه حتى مات اه ولا يصح لان العباس انما ولد بعد هذه القصة الا أن يقال على بعد شاركه فى اسمه غيره من بنى اخوته (فقال أوفى بنذرى) بضم الهمزة وسكون الواو وفاء خفيفة أو بفتح الواو وشدة الفاء يقال أوفى ووفى بمعنى (فقالوا الا تفعل تذبحه حتى تعذر) بضم فسكون من الاعذار يقال أعذر اذا أبدى العذر والمراد حتى تطلب عذرا (فيه) فى ذبحه (الى ربك) بان تسأل الكاهنة فانها ان ذكرت انه يذبح كان عذرا عندهم (ولئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتى بابنه فيذبحه) فما بقاء الناس على هذا وقال المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكان عبد الله بن أخت القوم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فان كان فداؤه بأموالنا فديناه هكذا فى ابن اسحق (وتكون سنة) أى طريقة مستمرة فى قومك لانك رئيسهم فيقتدون بك (وقالوا له انطلق الى فلانة الكاهنة) وعند ابن اسحق وأتباعه انطلق الى الحجاز فان به عرافة لها تابع من الجن وهو بتقدير مضاف أى أحد أرض الحجاز فلا يخالفه قول القاموس الحجاز مكة والمدينة والطائف (قيل كان اسمها قطبة كما ذكره الحافظ عبد الغنى) بن سعيد بن على الازدى الامام المتقن النسابة امام زمانه فى علم الحديث وحفظه قال البرقانى ما رأيت بعد الدارقطنى أحفظ منه له مؤلفات منها المبهمات ولد سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة ومات فى سابع صفر سنة تسع وأربعمائة (فى كتاب) الغوامض و(المبهمات وذكر ابن اسحق) فى رواية يونس عنه (ان اسمها سجاح) كذا فى النسخ والذى فى الروض سجاح (فلعلها ان تأمرك بامر فيه فرجك) لفظ رواية ابن اسحق ان أمرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بامر لك وله فيه فرج قبلته (فانطلقوا حتى) قدموا المدينة فوجدوها بخيبر فركبوا حتى (أتوها بخيبر فقص عليها عبد المطلب القصة) فقالت لهم كما فى ابن اسحق ارجعوا عنى حتى تأتينى تابعى فأساله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها (فقالت) لهم قد جاء فى الخبر (كم الدية عندكم فقالوا عشرة من الابل فقالت ارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم) أى أحضروه الى موضع ضرب القداح (ثم قربوا عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعليها القداح فان خرجت القداح على صاحبكم فزيدوا فى الابل) عشرة أخرى وهكذا على ما يظهر من أن الزيادة باشارتها أو أطلقت وزاد عبد المطلب اجتهادا نظرا الان الدية عشرة فاريد تضعيفها (ثم اضربوا أيضا هكذا حتى يرضى ربكم ويخلص صاحبكم فاذا خرجت على الابل فانحروها فقد رضى ربكم ونجا صاحبكم) وكأنه غلب على ظنها أن القداح لا محالة تخرج على الابل مرة فسكتت عن حكم ما لو لم تخرج عليها العلمه عندهم (فرجع القوم الى مكة وقربوا عبد الله وقربوا عشرة من الابل وقام عبد المطلب يدعو) الله تعالى (فخرجت القداح) أى جنسها اذ الخارج فى كل مرة قدح احد (على لنه فلم يزل يزيدا عشرا عشرا حتى بلغت الابل مائة فخرجت القداح على الابل) زاد ابن اسحق فقالت وقريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا انه قال لا والله حتى أضرب عليها بالقداح ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل فقام عبد المطلب يدعو فخرجت على الابل ثم عادوا الثانية وهو قائم يدعو فضربوا فخرجت على الابل ثم الثالثة وهو قائم يدعو فخرجت على الابل (فنحرت وتركت لا يصد عنها انسان) ذكر أو أنثى قال الجد المرأة انسان وبالهاء عامية وسمع فى شعر كانه مولد

لقد كستنى فى الهوى * ملابس الصب الغزل

* انسانة فتانة * بدر الدجى منها خجل

فانى قبل لم أكن راضية والآن فانى قد رضيت فأسألك أن تكون زوجتك وهذا وأمثاله لو لم يكن قد سودت به الاوراق وصنفت فيه الكتب وحمله الناس لكان الاولى بنا الرغبة عنه لضيق الزمان عن كتابته وسماعه والاشتغال به فانه من زبد الصدور لا من زبدها وقالت طائفة لما سمع أبو سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق نساءه لما آلى منهن أقبل الى المدينة وقال للنبى صلى الله عليه وسلم ما قال ظنا منه أنه قد طلقها فيمن طلق وهذا من جنس ما قبله وقالت طائفة بل الحديث صحيح ولكن وقع الغلط والوهم من أحد الرواة فى تسمية أم حبيبة وانما سأل أن يزوجه أختها رملة ولا يبعد خفاء التحريم للجمع عليه فقد خفى ذلك على ابنته وهى أفقه منه وأعلم حين قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك فى أختى بنت أبى سفيان فقال أفعل ماذا قالت تنكحها قال أوتحبين ذلك قالت لست لك بمخلية وأحب من يشاركنى فى الخير أختى

اذا زنت عيني بها * من الدموع تغتسل

(ولا طائر ولا سبع) بضم الموحدة وفتحها وسكونها المفترس من الحيوان قاله القاموس وعند مغلطاي أول من سن الدية مائة عبد المطلب وقيل العلمس أبو سيارة انه (ولهذا) الواقع في قصة عبد الله (روي على ما عند الزمخشري في الكشاف) في سورة والصافات استدلالا على ان الذبيح اسمعيل (انه صلى الله عليه وسلم قال أنا ابن الذبيحين) قال الزيلعي في تخريج أحاديثه غريب ثم ساق حديث الاعرابي المذكور في المتن ونحوه للحافظ فحاصل كلامهما انهما لم يجداه بهذا اللفظ كما عزاه لهما الشامي (وعند الحاكم في المستدرك) وابن جرير وابن مردويه والثعلبي في تفاسيرهم (عن معاوية بن أبي سفيان) صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الاموي أمير المؤمنين أسلم هو وأبواه وأخوه يزيد في فتح مكة وكان هو وأبوه من المؤلفة قلوبهم ثم حسن اسلامهما ومعاوية من الموصوفين بالحلم توفي بدمشق سنة ستين (قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه اعرابي فقال يا رسول الله خلفت البلاد يابسة) مجدبة لا خصب فيها (والماء) أي محلاته التي يصيبها (يابسا) لعدم الماء وفي نسخة خلفت الكلأ يابسا أي الشعب وصفه باليبس لبيان صفته التي تركه عليها فالكلأ العشب رطبا كان أو يابسا كما في المختار وزعم ان هذه النسخة هي التي في غيره والاولى تصحيف عجيب باطل فالاولى هي الثابتة في المقاصد عن المستدرك (وخلفت المال عابسا) أي كالحا أي متغيرا مهزولا وكأنه أراد بالمال الماشية (هلك المال وضاع العيال فعد علي) أعطني شيأ أستعين به (مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين قال) معاوية (فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكر عليه) فأفاد انه اسمعيل وهذا احتج به معاوية على من قال انه اسحق فان أول الحديث عند الحاكم عن الصنابحي حضرنا مجلس معاوية فتذاكر القوم اسمعيل واسحق فقال بعضهم اسمعيل الذبيح وقال بعضهم بل اسحق فقال معاوية سقطتم على الخبير وذكره (الحديث وتأتي تتمته ان شاء الله تعالى قريبا) جدا (ويعني بالذبيحين عبد الله واسمعيل بن ابراهيم) كما قاله جماعة من الصحابة والتابعين وغيرهم ورجحه جماعة وقال أبو حاتم انه الصحيح والبيضاوي انه الاظهر (وان كان قد ذهب بعض العلماء الى ان الذبيح اسحق) بل عزاه ابن عطية والمحب الطبري والقرطبي للاكثرين وأجمع عليه أهل الكتابين وقال به من الصحابة كما قال البغوي وغيره العباس وابنه وعمر وابنه وعلي وجابر وهو الصحيح عن ابن مسعود ومن التابعين علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن أبي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن أبي الهذيل والقاسم بن زيد ومكحول والحسن وذهب اليه مالك واختاره ابن جرير وجزم به عياض والسهيلي ومال اليه السيوطي في علم التفسير (فان صح هذا) في نفس الامر والا فكيف لا يصح وقد قال به من ذكر والحجة لهم قوله صلى الله عليه وسلم الذبيح اسحق رواه الدارقطني عن ابن مسعود وابن مردويه والبزار عن العباس وفيه المبارك بن فضالة ضعفه الجمهور ولكن رواه الحاكم من طرق عن العباس وقال صحيح على شرطهما وقال الذهبي صحيح ورواه ابن مردويه عن أبي هريرة قال ابن كثير وفيه الحسن بن دينار متروك وشيخه منكر وقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعا ثم رواه عن مبارك بن فضالة موقوفا وهو أشبه وأصح وتعقبه السيوطي بان مباركا قد رفعه مرة فاخرجه البزار عنه مرفوعا وله شواهد عنده وعند الديلمي عن العباس مرفوعا في حديث بلفظ وأما اسحق فبذل نفسه للذبح وللطبراني وابن أبي حاتم عن أبي هريرة مرفوعا نحوه بسند ضعيف وللطبراني أيضا بسند ضعيف عن ابن مسعود سئل صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس قال يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله وأخرج في الكبير عن أبي الاحوص قال افتخر رجل

قال فانها لا تحل لي فهذه هي التي عرضها أبو سفيان على النبي صلى الله عليه وسلم فسماها الراوي من عنده أم حبيبة وقيل بل كانت كنيتها أيضا أم حبيبة وهذا الجواب حسن لولا قوله في الحديث فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سأله فيقال حينئذ هذه اللفظة وهم من الراوي فانه أعطاه بعض ما سأل فقال الراوي أعطاه ما سأل أو أطلقها اتكالا على فهم المخاطب أنه أعطاه ما يجوز اعطاؤه مما سأل والله أعلم وتزوج صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير من ولد هرون بن عمران أخي موسى فهي ابنة نبي وزوجة نبي وكانت من أجمل نساء العالمين وكانت قد صارت له من الصفي أمة فاعتقها وجعل عتقها صداقها فصار ذلك سنة للامة الى يوم القيامة أن يعتق الرجل أمته ويجعل عتقها صداقها فتصير زوجته بذلك فاذا قال أعتقت أمتي وجعلت عتقها صداقها أو قال جعلت عتق أمتي صداقها صح العتق والنكاح وصارت زوجته

عند ابن مسعود وفى لفظ أخرج أسماء بن خارجة رجلا فقال أنا ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك
يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله واسناده صحيح موقوف اه ملخصا فهذه
أحاديث يعضد بعضها بعضا واقل مراتب الحديث الاول انه حسن فكيف وقد صححه الحاكم والذهبى
وهو نص صريح لا يقبل التأويل بخلاف حديث معاوية فانه قابل له (فالعرب تجعل العم أبا قال الله تعالى
أخبارا عن بنى يعقوب عليهم الصلاة والسلام) جمعها وان كان فيهم غير أنبياء لجواز ذلك تبعا وهو
استدلال على جعل العم أبا (أم كنتم شهداء) حضورا والخطاب لليهود فانه نزل ردا عليهم لما قالوا للنبى
صلى الله عليه وسلم ألست تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية (اذ حضر يعقوب الموت اذ)
بدل من اذ قبله (قال لبنيه ما تعبدون من بعدى) بعد موتى (قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم
واسمعيل واسحق فجعل اسمعيل أبا وهو عم) لانه بمنزلته فيحمل حديث معاوية على ذلك جمعا بين
الحديثين واما القول بانهما عبد الله وهابيل فغريب وان نقله مغلطاى ولا يصح الا بجعل العم أبا أيضا
فان المصطفى من ولد شيث (وفى حديث معاوية الموعود بتتمته قريبا) قال راويه الصنابحى فقلنا وما
الذبيحان (قال معاوية ان عبد المطلب لما أمر) بالبناء للمفعول (بحفر زمزم) وعير بقلة الولد (نذر لله ان
سهل) الله (الامر بها) وجاءه عشرة بنين (أن ينحر بعض ولده) أى واحدا منهم كما فى الاخبار يفسر
بعضها بعضا (فاخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبد الله فاراد ذبحه فمنعه أخواله من بنى مخزوم) من
ذبحه حتى يعذر فيه الى ربه وفى عن ابن اسحق ان المغيرة المخزومى قال له والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه
فان كان فداؤه بأموالنا فديناه ومثله فى الشامية وليس فيه ان المخاطب له بذلك منهم كما ادعى ولا اللفظ
يقتضى ذلك فنقل كلام عن واحد لا ينفى أن غيره قال مثله حتى يزعم الحصر (وقالوا أرض ربك) بهمزة
قطع مفتوحة (وافد ابنك) بهمزة وصل (ففداه بمائة ناقة فهو الذبيح الاول) من أبويه صلى الله عليه
وسلم سماه أولا لقربه منه وانه أبوه بلا واسطة (واسمعيل الذبيح الثانى) وهذا لم يرفعه معاوية وانما قاله
استنباطا من تبسمه صلى الله عليه وسلم بعد قول الاعرابى يا ابن الذبيحين ومعلوم أن صريح المرفوع
مقدم على الاستنباط فيرد المحتمل الى الصريح جمعا بين الدليلين (قال ابن القيم ومما يدل على أن الذبيح
اسمعيل انه لا ريب) لا شك (ان الذبيح كان بمكة ولذلك جعلت القرابين) بفتح القاف جمع قربان
بضمها وهو ما تقرب به الى الله كما فى المختار (يوم النحر بها كما جعل السعى بين الصفا والمروة) كما جعل
(رمى الجمار بها تذكيرا لشأن اسمعيل وأمه واقامة لذكر الله تعالى ومعلوم أن اسمعيل وأمه هما اللذان
كانا بمكة دون اسحق وأمه) وقد أجيب عن هذا بقول سعيد بن جبير أرى ابراهيم ذبح اسحق فى المنام
فسار به من بيت المقدس مسيرة شهر فى غدوة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى فلما صرف الله عنه الذبح
وأمره أن يذبح الكبش فذبحه وسار به مسيرة شهر فى روحة واحدة على البراق ويؤيده ما رواه الامام أحمد
بسند صحيح عن ابن عباس قال قال صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب بابراهيم الى جمرة العقبة فعرض
له الشيطان فرماه بسبع حصيات فساخ ثم أتى به الجمرة الوسطى فعرض له الشيطان فرماه بسبع
حصيات فساخ فلما أراد ابراهيم أن يذبح اسحق قال لابيه يا أبت أوثقنى لا أضطرب فينتضح دمى
عليك اذا ذبحتنى فشده فلما أخذ الشفرة وأراد ذبحه نودى من خلفه يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا (ثم قال
ابن القيم (ولو كان الذبيح بالشام كما يزعم أهل الكتاب ومن تلقى عنهم لكانت القرابين والنحر بالشام
لا بمكة) لانه هو المحل الذى أمر فيه بذبحه على ذا القول وأنت خبير بأن هذا مع ما فيه من الظن السوء
بأكثر العلماء وهو انه لا سلف لهم الا التلقى عن أهل الكتاب لا يصح دليلا اذ لا تلازم وأيضا فالدليل
ما سلمه الخصم وابن عطية حكى قولين أحدهما انه أمر بذبحه فى الشام والثانى انه انما أمر بذبحه فى

من غير احتياج الى تجديد عقد ولا ولى وهو ظاهر مذهب أحمد وكثير من أهل الحديث وقالت طائفة هذا خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو مما خصه الله به فى النكاح دون الامة وهذا قول الائمة الثلاثة ومن وافقهم والصحيح القول الاول لان الاصل عدم الاختصاص حتى يقوم عليه دليل والله سبحانه لما خصه بنكاح الموهوبة له قال فيها خالصة لك من دون المؤمنين ولم يقل هذا فى المعتقة ولا قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطع تأسى الامة به فى ذلك فالله سبحانه أباح له نكاح امرأة من تبناه لئلا يكون على الامة حرج فى نكاح أزواج من تبنوه فدل على أنه اذا نكح نكاحا فلامته التأسى به فيه ما لم يأت عن الله ورسوله نص بالاختصاص وقطع التأسى وهذا ظاهر ولتقرير هذه المسئلة وبسط الاحتجاج وتقرير أن جواز مثل هذا هو مقتضى الاصول والقياس موضع آخر وانما نبهنا عليه تنبيها * ثم تزوج ميمونة بنت الحارث الهلالية وهى

الحجاز فجاءه بمعنى البراق اهـ ومر نقله عن ابن جبير وتأييده بالمرفوع (وأيضا) مما يدل على أنه اسمعيل ظاهر القرآن الكريم (فان الله سمى الذبيح حليما) فى قوله فبشرناه بغلام حليم (لانه لا أحلم ممن سلم نفسه للذبح طاعة لربه) مع كونه مراهقا ابن ثمان سنين أو ثلاث عشرة سنة كما هما الخلاف (ولما ذكر اسحق سماه عليما) فى قوله انا نبشرك بغلام عليم وقوله وبشروه بغلام عليم وهذا غير ظاهر فلا ريب أن اسحق حليم أيضا أى مانع من جمعه الصفتين (وأيضا) دليل عقلى (فان الله تعالى أجرى العادة البشرية أن بكر الاولاد) بكسر الموحدة وسكون الكاف أول ولد الابوين (أحب الى الوالدين ممن بعده) لكونه أول فيتمكن حبه قبل رؤية غيره لكن لا ينافى انه اذا حصلت مزية لمن بعده زاد بسببها حبه كما أحب عبد المطلب الاب الشريف لرؤيته نور المصطفى فى وجهه (وابراهيم لما سأل ربه الولد ووهبه له تعلقت شعبة) بضم الشين الغصن لغة (من قلبه بمحبته) فشبه القلب بشجرة استعارة بالكناية والتعلق الحاصل به باغصانها واثبات الغصن استعارة تخييلية ولم يقل تعلق قلبه بمحبته لئلا يتوهم تعلق قلبه بجملته بمحبة ولده فلم يكن فيه محل لغيره مع أن قلبه انما هو متعلق بربه غايته أن ثمة نوع تعلق بالولد (والله تعالى قد اتخذه خليلا والخلة) بضم الخاء وتفتح الصداقة المحضة التى لا خلل فيها كذا فى القاموس (منصب) بكسر الصاد أصل (يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وأن لا يشارك فيها) عطف تفسير (فلما أخذ الولد شعبة من قلب الوالد جاءت غيرة) بفتح الغين (الخلة تنزعها من قلب الخليل) ليتمحض للجليل (فأمر بذبح المحبوب) ولا ريب ان هذا يأتى على انه اسحق أيضا فلا شك أن فى قلبه شعبة محبة له غايته ان محبة اسمعيل أكثر (فلما أقدم على ذبحه وكانت محبة الله عنده أعظم من محبة الولد خلصت الخلة حينئذ) أى حين اذ قدم على ذبحه (من شوائب المشاركة فلم يبق فى الذبح مصلحة اذ كانت المصلحة انما هى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود) أى اظهاره اذ الله عالم به (فنسخ الامر وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا اهـ) كلام ابن القيم وهى أدلة اقناعية (وأنشد بعضهم ان الذبيح هديت اسمعيل ❊ ظهر) وفى نسخة نطق أى دل (الكتاب بذاك والتنزيل عطف صفة على موصوفها أو تفسيرى كأنه يشير به الى قوله تعالى وبشرناه باسحق ولا حجة فيه فقد قال ابن عباس هى بشارته بنبوته كما قال تعالى فى موسى ووهبنا له من رحمتنا أخاه هرون نبيا وهو قد كان وهبه له قبل ذلك فانما أراد النبوة وكذلك هذه قاله ابن عطية وغيره وبه يعلم أن قول العلامة التقى السبكى يؤخذ من تعدد البشارة بهما مع وصف اسحق بانه عليم والذبيح بانه حليم القطع بأن الذبيح اسمعيل مردود فكيف يكون قطعيا مع فهم ترجمان القرآن (شرف به خص الاله نبينا ❊) أى قصره عليه لا يتجاوزه الى غيره (وأبانه) أظهره وفى نسخة وأتى به (التفسير والتأويل) عطف مساو هنا (وروى فيما ذكره المعافى ابن زكريا) بن يحيى بن حميد الحافظ العلامة المفسر الثقة النهروانى الجريرى كان على مذهب ابن جرير مات سنة تسع وثلثمائة (ان عمر بن عبد العزيز) بن مروان بن الحكم ابن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى الثقة الحافظ الورع المامون التابعى الصغير أمير المؤمنين خامس أو سادس الخلفاء الراشدين على عد مدة السبط وعدمه لانها كالتتمة لولاية أبيه ❊ روى أنس وصلى أنس خلفه وقال ما رأيت أحدا أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الفتى ولى امرة المدينة للوليد وكان مع سليمان كالوزير ثم ولى بعده باستخلافه الخلافة سنتين وخمسة أشهر ونصفا فملأ الارض عدلا ورد المظالم وزاد الخراج فى زمنه وأبدل ما كان بنو أمية تذكر به عليا كرم الله وجهه على المنبر باية ان الله يأمر بالعدل والاحسان ومناقبه كثيرة شهيرة مات مسموما يوم الجمعة لعشر بقين من رجب سنة احدى ومائة وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب (سأل رجلا أسلم من علماء اليهود) قال الطبرى

آخر من تزوج بها تزوجها بمكة فى عمرة القضاء بعد أن حل منها على الصحيح وقيل قبل حلاله هذا قول ابن عباس ووهم رضى الله عنه فان السفير بينهما بالنكاح أعلم الخلق بالقصة وهو أبو رافع وقد أخبر أنه تزوجها حلالا وقال كنت أنا السفير بينهما وابن عباس اذ ذاك نحو العشر سنين أو فوقها وكان غائبا عن القصة لم يحضرها وأبو رافع رجل بالغ وعلى يده دارت القصة وهو أعلم بها ولا يخفى أن مثل هذا الترجيح موجب للتقديم وماتت فى أيام معاوية وقبرها بسرف ❊ قيل ومن أزواجه ريحانة بنت زيد النضرية وقيل القرظية سبيت يوم بنى قريظة فكانت صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتقها وتزوجها ثم طلقها تطليقة ثم راجعها وقالت طائفة بل كانت أمته وكان يطؤها بملك اليمين حتى توفى عنها فهى معدودة فى السرارى لا فى الزوجات والقول الاول اختيار الواقدى ووافقه عليه شرف الدين الدمياطى وقال هو الاثبت عند أهل العلم

وحسن اسلامه (أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال والله يا أمير المؤمنين ان اليهود) بالدال المهملة والمعجمة كما فى القاموس (ليعلمون انه اسمعيل) لان فى التوراة على ما فى تفسير ابن كثير ان الله أمر ابراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفى نسخة بكره فحرفوا وحيده فقالوا ان اسحق كان مع أبيه وحده واسمعيل كان مع أمه بمكة قال ابن كثير وهذا تأويل وتحريف باطل فلا يقال وحيد الا لمن ليس له غيره اه وفيه نظر ففى فتح البارى ذكر ابن اسحق ان هاجر لما حملت باسمعيل غارت سارة فحملت باسحق فولدا معا ثم نقل عن بعض أهل الكتاب خلاف ذلك وأن بين مولديهما ثلاث عشرة سنة والاول أولى اه وتبعه السيوطى (ولكنهم يحسدونكم) بضم السين وحكى الاخفش كسرها (معشر) أى يا جماعة (العرب) والاضافة بيانية على (أن يكون) اسمعيل (أباكم) فيتمنون زوال نسبة ذلك اليكم ونقلها اليهم وقيل الحسد تمنى زوال نعمة الغير ان لم تصل للحاسد وهذا أقبح ولا بعد فى حمل حسدهم عليه (للفضل الذى ذكره الله عنه) كقوله انه كان صادق الوعد الآيتين (فهم يجحدون ذلك) ينكرونه مع العلم به كما هو معنى الجحد (ويزعمون انه اسحق) عطف تفسير (لان اسحق أبوهم) اذهم من أولاد يهوذا قال السمين بمعجمة وألف مقصورة غيرته العرب الى المهملة على عادتها فى التلاعب بالاسماء الاعجمية ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وهذا المروى الذى ساقه المصنف ممرضا فأفاد ضعفه ذكره تقوية لانه اسمعيل والحاصل كما قال السيوطى أن الخلاف فيه مشهور بين الصحابة فمن بعدهم ورجح كل منهما (فانظر أيها الخليل) الكامل فى الحب والصداقة لله ورسوله (ما فى هذه القصة) قصة اسمعيل مع أمه (من السر) هو لغة ما يكتم أطلق على هذه القصة لما فيها من بدائع الحكم التى خفيت على العباد (الجليل) بالجيم العظيم وبين ذلك السر بقوله (وهو أن الله تعالى يرى عباده الجبر بعد الكسر واللطف بعد الشدة فانه كان عاقبة صبر هاجر) بفتح الجيم وقد تبدل الهاء همزة اسم سريانى وكان أبوها من ملوك القبط من قرية بمصر تسمى حفنى بفتح الحاء المهملة وسكون الفاء من عمل انصنا بالبر الشرقى من الصعيد قاله فى التوشيح تبعا لغيره (وابنها على البعد) عن مواطنهم التى كانوا بها وهى بيت المقدس وأرض الشام (والوحدة) بمكة مدة فان ابراهيم حين أسكنهما لم يكن بها أحد (والغربة والتسليم) منها لابراهيم يعنى صبرها (لذبح الولد) وصبره هو بتسليم نفسه وهذا صريح فى وجود أمه حين ذلك بل لم تمت حتى تزوج زوجة ثم أخرى (آلت) رجعت (الى ما آلت اليه من جعل آثارهما وموطئ أقدامهما) أى مواضع وطئهما بأقدامهما (مناسك لعباده المؤمنين) أى متعبدات فالعطف فى قوله (ومتعبدات لهم الى يوم الدين) تفسيرى (وهذه) الحالة من ارادته تعالى الجبر بعد الكسر (سنة الله تعالى) عادته (فيمن يريد رفعته من خلقه بعد استضعافه وذله وانكساره وصبره وتلقيه القضاء بالرضا فضلا منه) متصل بقوله هذه سنة واستظهر عليه بقوله (قال الله تعالى ونريد أن نمن) نتفضل (على الذين استضعفوا فى الارض) بانقاذهم من البأس (ونجعلهم أئمة) متقدمين فى أمر الدين (ونجعلهم الوارثين) وقد استشكل بعض الناس ان عبد المطلب نذر نحر) أى ذبح (أحد بنيه) وفى نسخة بعض بنيه وأخرى نحر بنيه وهى بتقدير مضاف أى أحد أو بعض (اذا بلغوا عشرة وقد كان تزويجه هالة) من اضافة المصدر الى المفعول أى تزويج ولى هالة له فلا يرد أن الاولى تزوجه لان التزويج فعل الولى أى ايجابه النكاح والتزوج قبول الزوج (أم ابنه حمزة بعد وفائه بنذره) كما ذكره ابن اسحق والعباس ولد قبل المصطفى بثلاثة أعوام كما يأتى (فحمزة والعباس ولدا عبد المطلب انما ولدا بعد الوفاء بنذره) ولا تفهم أنهما شقيقان لانه سيذكر أن أم العباس نتلة أو نتيلة (وانما كان أولاده عشرة بهما قال السهيلى ولا

وفيما قاله نظر فان المعروف أنها من سراريه وامائه والله أعلم * فهؤلاء نساؤه المعروفات اللاتى دخل بهن وأما من خطبها ولم يتزوجها ومن وهبت نفسها له ولم يتزوجها فنحو أربع أو خمس وقال بعضهم هن ثلاثون امرأة وأهل العلم بالسيرة وأحواله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعرفون هذا بل ينكرونه والمعروف عندهم أنه بعث الى الجونية ليتزوجها فدخل عليها ليخطبها فاستعاذت منه فأعاذها ولم يتزوجها وكذلك الكلبية وكذلك التى رأى بكشحها بياضا فلم يدخل بها والتى وهبت نفسها له فزوجها غيره على سور من القرآن هذا هو المحفوظ والله أعلم * ولا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم توفى عن تسع وكان يقسم منهن لثمان عائشة وحفصة وزينب بنت جحش وأم سلمة وصفية وأم حبيبة وميمونة وسودة وجويرية وأول نسائه لحوقا به بعد وفاته صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش سنة عشرين وآخرهن موتا أم سلمة سنة اثنتين وستين فى خلافة يزيد

اشكال في هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان أعمامه عليه الصلاة والسلام اثنى عشر) التسعة السابقة والغيداق وقثم وعبد الكعبة وهو والده صلى الله عليه وسلم فأولاد شيبة الحمد ثلاثة عشر (فان صح هذا فلا اشكال في الخبر) لحمل العشرة على من عدا حمزة والعباس لكن يشكل عليه ما صرح به اليعمرى أن حمزة والمقوم وحجلا وزاد بعضهم والعوام من هالة المفيدة بوجود حمزة قبل النذر (وان صح قول من قال كانوا عشرة لا يزيدون) ويقول الغيداق هو حجل وعبد الكعبة هو المقوم وقثم لا وجود له فالاعمام تسعة فقط ولم يذكر ابن قتيبة ولا ابن اسحق ولا ابن سعد غيره فلا اشكال أيضا (فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا وكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى) بحقيقة الفاء وشدها (بنذره) وهذا أحسن لسلامته من الاشكال (ويقع أيضا في بعض السير) يعنى سيرة ابن اسحق رواية ابن هشام عن البكائى عنه وأبهمها لعدم اتفاق رواة ابن اسحق عليها (ان عبد الله كان أصغر بنى أبيه عبد المطلب وهو) كما قال الامام السهيلى في الروض (غير معروف) مشهور بينهم (ولعل الرواية أصغر بنى أمه والا) يكن كذلك لا يصح (فحمزة كان أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة) ويأتى الجواب ان معناه كان أصغر بنى أبيه حين أراد ذبحه (وروى عن العباس انه قال أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجيء به) بالنبى صلى الله عليه وسلم الى (حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لى قبل أخاك) للتأليف على العادة بين الصغار وان كان ابن أخيه (فقبلته) وحيث روى هذا عن العباس (فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الاصغر ولكن رواه) أى كونه أصغر بنى أبيه زياد بن عبد الله بن الطفيل العامرى أبو محمد البكائى أحد رواة المغازى عن ابن اسحق صدوق ثبت في المغازى أثبت الناس في ابن اسحق قال الحافظ وفى حديثه عن غيره لين ولم يثبت ان وكيعا كذبه روى له البخارى حديثا واحدا في الجهاد مقرونا بغيره وروى له مسلم والترمذى وابن ماجه مات سنة ثلاث وثمانين ومائة ويقال له (البكائى) بفتح الموحدة وشد الكاف وبعد الالف همزة نسبة الى البكاء وهو ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة كما في التبصير وغيره قال في النور وانما لقب ربيعة بالبكاء لانه دخل على أمه وهى تحت أبيه فبكى وصاح وقال انه يقتل أمى (ولروايته وجه وهو أن يكون) عبد الله (أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة) من هالة (والعباس) من نتلة أو نثيلة قال الخميس وهذا أيضا على تقدير أن أولاد عبد المطلب اثنا عشر اه أى فتكون أعمامه حين أراد نحره تسعة وأبوه عاشرهم وقد سبق السهيلى الى ذا الجمع أبو ذر الخشنى فقال اه قوله أصغر بنى أبيه يعنى في ذلك الوقت قال شيخنا وهو لا يأتى على أن الاعمام اثنا عشر فأولاده ثلاثة عشر فالموجودون حينئذ أحد عشر لا عشرة الا أن يكون المراد دفع النقص عن العشرة فلا ينافى ولادة واحد بعدهم غير حمزة والعباس

(ذكر تزوج عبد الله آمنة)

(ولما انصرف) أى فرغ (عبد الله مع أبيه من نحر الابل مر على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة واسمها) فيما صدر به مغلطاى (قتيلة بضم القاف وفتح المثناة الفوقية) فتحتية ساكنة فلام فهاء تأنيث (ويقال) اسمها (رقيقة بنت نوفل) صدر به السهيلى قال وهى أخت ورقة بنت نوفل وتكنى أم قتال وبهذه الكنية ذكرها ابن اسحق في رواية يونس قال في العيون وكانت تسمع من أخيها انه كائن في هذه الامة نبى (فقالت له حين نظرت الى وجهه) وفيه نور المصطفى وظنت أن النبى الكائن في هذه الامة منه (وكان أحسن رجل رؤى) بكسر الراء ثم همزة مفتوحة ويجوز ضم الراء وكسر الهمزة ثم ياء أى شوهد (في قريش) أدفع (لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن) أى جامعنى ولعله

والله أعلم

(فصل في سراريه صلى الله عليه وسلم)

قال أبو عبيدة كان له أربع مارية وهى أم ولده ابراهيم وريحانة وجارية أخرى جميلة أصابها في بعض السبى وجارية وهبتها له زينب بنت جحش

(فصل في مواليه)

فمنهم زيد بن حارثة بن شراحيل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتقه وزوجه مولاته أم أيمن فولدت أسامة ومنهم أسلم وأبو رافع وثوبان وأبو كبشة سليم وشقران واسمه صالح ورباح نوبى ويسار نوبى أيضا وهو قتيل العرنيين ومدعم وكركرة نوبى أيضا وكان على ثقله صلى الله عليه وسلم وكان يمسك راحلته عند القتال يوم خيبر وفى صحيح البخارى أنه الذى غل الشملة ذلك اليوم فقتل فقال النبى صلى الله عليه وسلم انها لتلتهب عليه نارا وفى الموطأ أن الذى غلها مدعم وكلاهما قتل بخيبر والله أعلم ومنهم أنجشة الحادى وسفينة ابن فروخ واسمه مهران وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم سفينة لانهم كانوا

كان من شرعهم أن المرأة تزوج نفسها بلا ولي وشهود لانها لم تكن زانية ولا مريدة له بل كانت عفيفة قالت ذلك (لما رأت في وجهه من نور النبوة ورجت أن تحمل بهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم فابى الله أن يجعله الاحيث شاء (فقال لها أنا مع أبي ولا أستطيع خلافه ولا فراقه) ولولم أكن معه لوقعت عليك بوجه جائز كتزوجي بك أو مراده دفع كلامها وأن لم يرد البغي بها ولا همه بها فلا فهم أن امتناعه لمجرد كونه مع أبيه (وقيل أجابها بقوله أما الحرام فالممات) وأنشده السهيلي بلفظ فالحمام (دونه * ومعرفته كالحلال مما بقي عندهم من شرائع ابراهيم كغسل الجنابة والحج فلا يرد أنهم كانوا في جاهلية لا يعرفون حلالا ولا حراما (والحل لا حل) موجود لعدم تزوجي بك (فأستبينه *) بالنصب في جواب النفي أي أطلب ظهوره وأعمل بمقتضاه (فكيف بالامر الذي تبغينه *) أي تطلبينه لا يكون ذلك فاستعمل كيف بمعنى النفي وهو أحد مواقعها (يحمي الكريم عرضه) هي أمور كلها التي يحمد بها ويذم من نفسه وأسلافه وكل ما لحقه نقص يعيبه خلافا لابن قتيبة في قوله عرض الانسان هو نفسه لا أسلافه لان حسان ذكر عرضه وأسلافه بالعطف في قوله

فان أبي ووالده وعرضي * لعرض محمد منكم وقاء

(ودينه) يصونهما فلا يفعل شيأ يدنسهما (وعند أبي نعيم والخرائطي وابن عساكر من طريق عطاء) ابن أبي رباح أسلم الجمحي مولاهم المكي أبي محمد التابعي الوسط الحافظ الثقة العالم الفقيه اليه انتهت فتوى أهل مكة وكان أسود أفطس أشل أعرج أعور ثم عمي وشرفه الله بالفقه وكثرة الحديث وادراك مائتين من الصحابة قدم ابن عمر مكة فسألوه فقال تسألوني وفيكم ابن أبي رباح مات سنة احدى أو خمس أو سبع ومائة (عن ابن عباس لما خرج عبد المطلب) من مكة بعد نحر الابل على ظاهر سياق المصنف (بابنه عبد الله ليزوجه مر به على كاهنة من تبالة) بفتح الفوقية فموحدة خفيفة وألف فلام مفتوحة فتاء تأنيث موضع باليمن وآخر بالطائف فيحتمل ارادة هذه وارادة تلك قاله البرهان وتبعه الشامي في الضبط وجزم بأنه موضع باليمن وضبط بعضهم تبالة بضم التاء سبق قلم (متهودة) متمسكة بدين اليهود (قد قرأت الكتب يقال لها فاطمة بنت مر) بضم الميم وراء مهملة ثقيلة زاد البرقي عن هشام الكلبي وكانت من أجمل النساء وأعفهن (الخثعمية) بفتح المعجمة وسكون المثلثة فعين مهملة نسبة الى خثعم كجعفر جبل وابن أنمار أبو قبيلة من معد ذكره المجد وظاهره أن هذه الاوصاف وهي انها من تبالة ومتهودة وخثعمية لامرأة واحدة ووقع في سيرة مغلطاي اسمها قتيلة وقيل رقيقة ويقال فاطمة بنت مر ويقال ليلى العدوية ويقال امرأة من تبالة ويقال من خثعم ويقال كانت يهودية (فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت له وذكر نحوه) نحو ما تقدم من دعائه الى نكاحها وآبائه زاد البرقي عن هشام الكلبي فلما أبى قالت

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر
فسماتها نور يضيء به * ما حوله كاضاءة الفجر
ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر
ورأيتها شرفا ينوء به * ما كل قادح زنده يوري
لله ما زهرية سلبت * منك الذي استلبت وما تدري

وفي غريب ابن قتيبة أن التي عرضت نفسها عليه ليلى العدوية ذكره في الروض (ثم خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة) بضم الزاي وسكون الهاء زعم ابن قتيبة والجوهري أنها أمه وأبوه كلاب قال السهيلي وهذا منكر غير معروف وفي الفتح المشهور عند جميع أهل النسب أن زهرة

اسم

يحملونه في السفر متاعهم فقال أنت سفينة قال أبو حاتم أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره أعتقته أم سلمة ومنهم أنيسة ويكنى أبا مشروح وأفلح وعبيدة وطهمان قيل وهو كيسان وذكوان ومهران ومروان وقيل هذا خلاف في اسم طهمان والله أعلم ومنهم حنين وسندر وفضالة يماني ومابور خصي وواقد وأبو واقد وقسام وأبو عسيب وأبو مويهبة ومن النساء سلمى أم رافع وميمونة بنت سعد وخضيرة ورضوى ورشحة وأم ضمير وميمونة بنت أبي عسيب ومارية وريحانة

(فصل في خدامه صلى الله عليه وسلم)

فمنهم أنس بن مالك وكان على حوائجه وعبد الله بن مسعود صاحب نعله وسواكه وعقبة بن عامر الجهني صاحب بغلته يقود به في الاسفار وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته وبلال بن رباح المؤذن وسعد مولى أبي بكر الصديق وأبو ذر الغفاري وأيمن بن عبيد وأمه أم أيمن موليا النبي صلى الله

اسم الرجل وشذ ابن قتيبة فزعم انه اسم امرأته وأن ولدها غلب عليهم النسبة اليها وهو مردود بقول امام أهل النسب هشام الكلبي اسم زهرة المغيرة (وهو يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة) قاله ابن عبد البر وجماعة منهم عبد الملك بن هشام عن البكائي عن ابن اسحق وقيل كانت في حجر عمها وهيب وهو المزوج لها قاله ابن اسحق في رواية واقتصر عليه اليعمري (وهي يومئذ أفضل امرأة في قريش نسبا) من جهة الاب (وموضعا) من جهة الام فامها بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ابن قصي وأم أمها أم حبيب بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب بن لؤي كما فصله ابن اسحق فليس قوله وموضعا عطف تفسير كما زعم (فزعموا) كما قال ابن اسحق (أنه دخل عليها عبد الله حين ملكها) أي تزوج بها (مكانه فوقع عليها) جامعها زاد الزبير بن بكار (يوم الاثنين من أيام منى) وقيل من شهر رجب (في شعب أبي طالب عند الجمرة) أي الوسطى كما هو المنقول عن الزبير قال النجم وهذا موافق لمن ذهب الى ان ميلاده في رمضان واما القول بانه في رجب فينطبق على أن ميلاده في ربيع (فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم) وزعم الحاكم أبو أحمد ان سن عبد الله حينئذ كان ثلاثين سنة ويأتي ان الصحيح خلافه وقد جزم السهيلي بما لفظه وكان بينه صلى الله عليه وسلم وبين أبيه ثمانية عشر عاما اه (ثم خرج من عندها) بعدما أقام عندها ثلاثا وكانت تلك السنة عندهم اذا دخل الرجل على امرأته في أهلها نقله اليعمري عن محمد بن السائب الكلبي (فأتى المرأة التي عرضت عليه ما عرضت) قال في النور تقدم الكلام على هذه المرأة اه فهو صريح في انها المختلف فيها الاختلاف السابق (فقال لها ما لك لا تعرضين علي) اليوم (ما عرضت علي بالامس قالت فارقك النور الذي كان معك بالامس فليس لي بك) بوقاعك (اليوم حاجة) لاني (انما أردت أن يكون النور في) بشد الياء (فأبى الله الا أن يجعله حيث شاء) وقد روي عن العباس انه لما بني عبد الله بآمنة أحصوا مائتي امرأة من بني مخزوم وبني عبد مناف متن ولم يتزوجن أسفا على ما فاتهن من عبد الله وأنه لم تبق امرأة في قريش الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة *(تنبيه)* ما أفاده ظاهر المصنف من أن تزوجه بآمنة عقب انصرافه من نحر الابل هو مفاد ابن اسحق وفي تهذيب ابن هشام واليعمري في العيون هنا لكن روى ابن سعد وابن البرقي والطبراني والحاكم عن ابن عباس عن أبيه ان عبد المطلب لما سافر الى اليمن في رحلة الشتاء نزل على حبر من اليهود يقرأ الزبور فقال يا عبد المطلب بن هاشم ائذن لي انظر الى بعضك قلت انظر ما لم تكن عورة قال ففتح احدى منخريه فنظر فيه ثم نظر في الآخر فقال أشهد أن في احدى يديك ملكا وفي الاخرى نبوة وانا نجد ذلك في بني زهرة قال ألك زوجة قلت أما اليوم فلا فقال فاذا رجعت فتزوج منهم فلما رجع تزوج بهالة فولدت له حمزة وصفية وزوج عبد الله بآمنة أي ابنة عمها فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش فلج عبد الله على أبيه وهو بفتح الفاء واللام والجيم أي ظفر بما طلب وفيه شيآن أحدهما ظاهر قوله نجد ذلك في بني زهرة رجوع اسم الاشارة للملك والنبوة مع أن الملك انما كان في بني العباس وأمه ليست بزهرية بل من بني عمرو بن عامر كما مر فيتعين عود الاشارة الى النبوة فقط الثاني قوله أما اليوم فلا مع ما ذكره اليعمري وغيره ان ضرارا كان شقيق العباس المفيد وجود أمه قبل قصة الذبح فيمكن أن قوله أما اليوم أي هذا الزمن فلا زوج معي بهذه الارض فلا ينافي ان له زوجة بغير ها ثم لا ينافي هذا مفاد المصنف والجماعة لجواز أنه لما رجع من اليمن رأى الرؤيا ووقعت قصة الذبيح فلما انصرف منها تزوج وزوج ابنه والعلم عند الله *ولما ذكر المصنف انه حين بني بها حملت به صلى الله عليه وسلم أراد ذكر بعض ما حصل في حملها اظهارا لشرف المصطفى مصدرا ذلك بشذا عقبة صوفية فقال (ولما حملت آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه وسلم وكان أمين على طهرته وحاجته *(فصل في كتابه صلى الله عليه وسلم)* أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والزبير وعامر بن فهيرة وعمرو بن العاص وأبي ابن كعب وعبد الله بن الارقم وثابت ابن قيس ابن شماس وحنظلة بن الربيع الاسدي والمغيرة ابن شعبة وعبد الله بن رواحة وخالد بن الوليد وخالد بن سعيد بن العاص وقيل انه أول من كتب له ومعاوية ابن أبي سفيان وزيد بن ثابت وكان ألزمهم لهذا الشأن وأخصهم به *(فصل في كتبه التي كتبها الى أهل الاسلام في الشرائع)* فمنها كتابه في الصدقات الذي كان عند أبي بكر وكتبه أبو بكر لانس ابن مالك لما وجهه الى البحرين وعليه عمل الجمهور ومنها كتابه الى أهل اليمن وهو الكتاب الذي رواه أبو بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده وكذلك رواه الحاكم في صحيحه والنسائي وغيرهما مسندا متصلا ورواه أبو داود وغيره مرسلا وهو كتاب عظيم فيه أنواع كثيرة من الفقه في الزكاة والديات والاحكام

ظهر تجمله) اللام للتوقيت أى فى مدته كلها (عجائب) فليس المراد عند ابتدائه فقط (و) لما وجد (وجد لايجاده) أى ظهوره فى العالم بولادته وغاير تفننا (غرائب) واذا أردت معرفتها (ف) نقول (ذكروا انه لما استقرت نطفته) التى خلق منها والاضافة لادنى ملابسة (الزكية) الطاهرة النامية الممدوحة (ودرته) بضم الدال عطف تفسير اشارة الى أن نطفته كالدرة التى هى اللؤلؤة العظيمة فى النفاسة ووصفها بقوله (المحمدية) بمعنى المحمودة مبالغة فى كمالها (فى صدفة) بفتحتين غشاء الدر جمعها صدف أى رحم (آمنة القرشية) فشبه رحمها لاشتماله على نطفته بالصدفة المشتملة على اللؤلؤ استعارة تصريحية وفى نسخة صدف بدون هاء فجعل كل جزء من أجزاء نطفته درة وكل جزء من أجزاء محلها صدفة مبالغة وتعظيما أو جعل محل الولد لكونه مبدأ ومحلا لمن هو بمنزلة جميع العالم بل أعظم أرحاما كثيرة فشبهها بالصدف واستعار لها اسمه استعارة تصريحية (نودى) المنادى ملك على ما يأتى (فى الملكوت) اسم مبنى من الملك كالجبروت والرهبوت من الجبر والرهبة قاله فى النهاية وقال الراغب أصل الجبر اصلاح الشئ بضرب من القهر وقد يقال الجبر فى الاصلاح المجرد كقول على ياجابر كل كسير ومسهل كل عسير وتارة فى القهر المجرد ولعل الثالث مراد ل النهاية من الجبر (ومعالم) جمع معلم (الجبروت) فعلوت من التجبر قاله الراغب والمراد نودى فى أفق السماء بذلك لانها الذى يظهر فيها كمال ملك الله وقهره لان أهلها الملائكة عالمون بذلك فهم دائما فى مقام الخشية والاجلال كما قال تعالى لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون (أن عطروا جوامع القدس) بضمتين وسكون الدال الطهارة (الاسنى) الاشرف من السناء بالمد الرفعة والمعنى طيبوا أماكن الطهارة الشريفة (وبخروا جهات الشرف الاعلى) عطف تفسير على سابقه والمراد منهما أظهروا علامات التعظيم فى السموات وما حولها فرحا بمحمد صلى الله عليه وسلم (وافرشوا) بضم الراء وكسرها كما فى المصباح (سجادات) جمع سجادة قال الجوهرى خمرة بالضم صغيرة تعمل من سعف النخل وترمل بالخيوط (العبادات فى صفف) بضم الصاد وفتح الفاء جمع صفة (الصفاء) بالمد ضد الكدر (الصوفية) كلمة مولدة كما فى المصباح نسبة للتصوف وهو تجريد القلب لله واحتقار ما سواه بالنسبة لعظمته سبحانه والافاحتقار نحو ذى كفر وقيل غير ذلك حتى أوصلها بعضهم زهاء ألف قول (الملائكة المقربين أهل الصدق والوفاء) والمراد تهيؤا للعبادة واظهار السرور بالمصطفى لانه يظهر الحق ويبطل الباطل (فقد) الفاء تعليلية أى افعلوا ذلك لانه قد (انتقل النور المكنون) المستور المخفى عن الاعين المدخر فى الاصلاب من آدم الى عبد الله (الى بطن آمنة ذات العقل الباهر) الظاهر الغالب لغيره بحيث قيل أعطاها الله من الجمال والكمال ما كانت تدعى به حكيمة قومها (والفخر) المباهاة بالمكارم من حسب ونسب (المصون) بوزن مفعول على نقص العين كما فى المصباح أى المحفوظ عما يشينه (قد خصها الله تعالى القريب المجيب) من بين النساء التى تعلقن بتزويج عبد الله (بهذا السيد المصطفى الحبيب) وعلل تخصيصها بذلك (لانها أفضل قومها حسبا وأنجب وأزكاهم أخلاقا وفرعا وأطيب) فلم تنجب امرأة قط مضارع من أنجبت ولا فرعت فى نساء الدنيا مشابه من فرعت

من لحواء انها حملت أحمد أو أنها به نفساء

وحاصل المعنى أنه تعالى لما اختار صفوة خلقه من أصوله فى كل عصر أشرفه وكانت آمنة أفضل قومها جعلها معدنا لظهور نوره وتكونه (وقال) بواو الاستئناف المبينة لما أخبر به فى قوله فذكروا فلا يرد أنه دليل على ما قدمه فيجب حذف الواو لان الدليل لا يعطف (سهل ابن عبد الله) بن يونس بن عبد الله بن رفيع (التسترى) الصالح المشهور الذى لم يسمح بمثله الدهر علما وورعا صاحب الكرامات

نوذكر الكبائر والطلاق والعتاق وأحكام الصلاة فى الثوب الواحد والاحتباء فيه ومس المصحف وغير ذلك قال الامام أحمد لاشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتبه واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات ومنها كتابه الى بنى زهير ومنها كتابه الذى كان عند عمر بن الخطاب فى نصب الزكاة وغيرها

(فصل فى كتبه ورسله صلى الله عليه وسلم)

الى الملوك لما رجع من الحديبية كتب الى ملوك الارض وأرسل اليهم رسله فكتب الى ملك الروم فقيل له انهم لا يقرؤن كتابا الا اذا كان مختوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش عليه ثلاثة أسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر وختم به الكتب الى الملوك وبعث ستة نفر فى يوم واحد فى المحرم سنة سبع فاولهم عمرو بن أمية الضمرى بعثه الى النجاشى واسمه أصحمة بن أبجر وتفسير اصحمة بالعربية عطية فعظم كتاب النبى صلى الله عليه وسلم ثم أسلم وشهد شهادة الحق وكان من أعلم الناس بالانجيل وصلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم يوم مات

الشهير المتوفى سنة ثلاث وسبعين ومائتين بالبصرة وولد سنة ماءتين أو احدى ومائتين بتستر بضم الفوقية الاولى وفتح الثانية بينهما مهملة ساكنة آخره راء مهملة كما ضبطه النووى وغيره وحكى ضم الفوقيتين وفتح الاولى وضم الثانية مدينة بالاهواز أو بخوزستان ويقال أيضا شستر بمهملتين ومعجمتين (فيما رواه الخطيب البغدادى الحافظ) أبو بكر أحمد بن على بن ثابت صاحب التصنيف الامام الكبير محدث الشام والعراق المتقن الضابط العالم بصحيح الحديث وسقيمه المتعنت فى علله وأسانيده ولد سنة اثنتين وتسعين وثلثمائة وعنى بالحديث ورحل فيه الى الاقاليم وسمع أبا الصلت الاهوازى وأبا عمر بن مهدى وخلقا وحدث عنه البرقانى أحد شيوخه وابن ماكولا وخلق وقرأ البخارى على كريمة بمكة فى خمسة أيام وعلى اسمعيل الحيرى فى ثلاثة مجالس ذكره الذهبى وقال هو أمر عجب وتوفى ببغداد سابع ذى الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة ودفن عند بشر الحافى لانه شرب ماء زمزم على ذلك واملائه بجامع المنصور وتحديثه بتاريخ بغداد فقضى اللّٰه بالثلاثة (لما أراد اللّٰه خلق محمد صلى اللّٰه عليه وسلم فى بطن آمنة ليلة) أول (رجب) وهذا كما مر عن المنجم منطبق على أن ميلاده فى ربيع يعنى على أحد الاقوال الآتية ان مدة الحمل ثمانية أشهر ورجب من الشهور مصروف كما فى المصباح وذكر التفتازانى منعه ان أريد به معين كصفر ووجه بانه معدول عن الصفر والرجب فمنعه للعلمية والعدل أو العلمية والتأنيث باعتبار المدة (وكانت ليلة جمعة) لا ينافى ذلك أن أطواره يوم الاثنين لان ذلك فى الاطوار الظاهرة كالولادة وما هنا فيما قبلها (أمر اللّٰه تعالى فى تلك الليلة رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس) الذى هو أعلى درجات الجنة وأعلاه الوسيلة اظهارا لكرامته صلى اللّٰه عليه وسلم (ونادى مناد فى السموات والارض ألا ان النور المخزون المكنون) صفة لازمة (الذى يكون منه النبى الهادى) باثبات الياء أصح من حذفها (فى هذه الليلة يستقر فى بطن آمنة الذى يتم فيه خلقه) أى فى البطن وهو خلاف الظهر مذكر كما فى القاموس (ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا) أى موصوفا بهما عند اللّٰه وان تأخر وقوعهما فى الخارج الى بعثته أو حال منتظرة فلا يرد انهما انما يكونان بعد البعثة وليست مقارنة لخروجه (وفى رواية كعب الاحبار انه نودى تلك الليلة) التى حمل فيها المصطفى (فى السماء وصفاحها) أى جوانبها (والارض وبقاعها) أى أجزائها وكأن الغرض من عطف الصفاح والبقاع الاشارة الى تعميم مواضع النداء (ان النور المكنون الذى منه رسول اللّٰه) أى تصور منه جسده (صلى اللّٰه عليه وسلم) انتقل (فى بطن أمه فيا طوبى لها ثم يا طوبى) تأكيد لما قبله (وأصبحت يومئذ أصنام الدنيا جميعها (منكوسة) أى مقلوبة على رؤسها (وكانت قريش فى) زمن (جدب) بدال مهملة ضد الخصب (شديد وضيق عظيم) شدة وكرب عطف مسبب على سبب أى ان عدم الخصب كان سببا فى شدة أمرهم (فاخضرت الارض وحملت الاشجار وأتاهم) بالقصر (الرفد) بكسر الراء الخير الكثير (من كل جانب فسميت تلك السنة التى حمل فيها برسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم سنة الفتح و) سنة (الابتهاج) أى السرور (وطوبى) فى قوله فطوبى لها ثم يا طوبى المراد بها ههنا (الطيب) فواوها بدل من الياء (والحسنى والخير والخيرة) قال المصباح بكسر الخاء وفتح الياء التخير وبفتح الخاء وسكون الياء الفاضلة من كل شئ وبكسر الخاء وسكون الياء الاختيار (قاله فى القاموس) المحيط أى البحر فى جملة معان ذكرها اقتصر منها المصنف على ما نقله لانه المناسب عنده (وقال غيره) المراد بها (فرح وقرة عين وقال الضحاك) بن مزاحم الهلالى البلخى نسبة الى بلخ مدينة بخراسان المفسر ضعفه يحيى بن سعد ووثقه أحمد وابن معين وأبو زرعة وغيرهم وفى التقريب صدوق كثير الارسال روى له أصحاب السنن الاربعة توفى سنة خمس وقيل ست ومائة (عطية وقال عكرمة) بن عبد اللّٰه البربرى مولى ابن عباس أبو عبد اللّٰه

بالمدينة وهو بالحبشة هكذا قال جماعة منهم الواقدى وغيره وليس كما قال هؤلاء فان أصحمة النجاشى الذى صلى عليه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم ليس هو الذى كتب اليه وهو الثانى ولا يعرف اسلامه بخلاف الاول فانه مات مسلما وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث قتادة عن أنس قال كتب رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم الى كسرى والى قيصر والى النجاشى وليس بالنجاشى الذى صلى عليه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم وقال أبو محمد ابن حزم ان هذا النجاشى الذى بعث اليه رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى لم يسلم والاول هو اختيار ابن سعد وغيره والظاهر قول ابن حزم وبعث دحية ابن خليفة الكلبى الى قيصر ملك الروم واسمه هرقل وهم بالاسلام وكاد ولم يفعل وقيل بل أسلم وليس بشئ وقد روى أبو حاتم وابن حبان فى صحيحه عن أنس بن مالك قال قال رسول اللّٰه صلى اللّٰه عليه وسلم من ينطلق بصحيفتى هذه الى قيصر وله الجنة فقال رجل من القوم وان لم

المدني المفسر الحافظ المتوفى سنة خمس أو ست أو سبع ومائة (نعم) جمع نعمة (وفي الحديث) الذي رواه الترمذي عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم (طوبى للشام) بهمزة ساكنة ويخفف بحذفها وفي لغة شآم بالمد حكاها جماعة قال في المطالع وأباها أكثرهم والمشهور أنه مذكر وقال الجوهري يذكر ويؤنث وفي تاريخ ابن عساكر دخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبي صلى الله عليه وسلم (فان الملائكة باسطة أجنحتها عليها) استدلال على ان طوبى تطلق على غير الجنة والشجرة (فالمراد بها هنا) في قوله فيا طوبى لها (فعلى من الطيب وغيره مما ذكر) من فرح وقرة عين وعطية ونعم (لا الجنة ولا الشجرة) لانها كانت زمن حملها في جاهلية وانما الجنة والشجرة للمؤمنين قال صاحب الخميس ويحتمل أن تفسر بالجنة والشجرة انتهى أي لانها من أهل الفترة وليسوا كلهم بمعذبين ولان المختار أن أبويه صلى الله عليه وسلم ناجيان فمآل أمرهما الى الجنة والشجرة وهذه البشارة من الملك فلا مانع أن الله أعلمه بمآل أمرها فبشرها بذلك (وفي حديث ابن اسحق) امام المغازي في سيرته بلفظ يزعمون فيما يتحدث الناس (أن آمنة كانت تحدث أنها أتيت) بضم الهمزة مبني لما لم يسم فاعله أي رأت في المنام قاله في النور ونحوه قول الشامي هي رؤيا منام وقعت في الحمل وأما ليلة المولد فرأت ذلك رؤية عين احين حملت بالنبي صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة) بل بسيد الاولين والآخرين وقصره على هذه الامة لان سيادته بالامر والنهي انما وجدت فيها (وقالت) آمنة أيضا مما رواه ابن اسحق مسندا الامن تتمة ماقبله ومن ثم لم يعطفه المصنف بالفاء (ماشعرت) قال النور بفتح أوله وثانيه أي علمت (باني حملت به ولا وجدت له ثقلا) بكسر المثلثة وفتح القاف وتسكن للتخفيف كما في المصباح والقاموس وعند الواقدي كما في العيون ثقلة قال في النور بفتح المثلثة والقاف تقول وجدت ثقلة في جسدي أي ثقلا وفتورا حكاه الكسائي (ولا وحما) بفتحتين مصدر وحم بكسر الحاء كما في المختار أي شهوة الحبلى (كما تجد النساء الا أني أنكرت رفع حيضتي) بكسر الحاء هنا الاسم من الحيض والحالة التي تلزمها الحائض من التجنب والتحيض كالجلسة وأما بالفتح فالمرة الواحدة من دفع الحيض ونوبه قاله البرهان وتبعه الشامي وهو ظاهر لان الانكار للهيئة الحاصلة للحائض عند نزول الدم من الضعف المقارن لنزوله أو المتقدم عليه الدال على حصوله (وأتاني آت وأنا بين النائمة واليقظانة) بفتح الياء وسكون القاف والذي عند ابن اسحق وأنا بين النوم واليقظة أو قالت بين النائمة واليقظانة ورواه الواقدي كما في العيون بلفظ بين النائم واليقظان قال الشامي تبعا للبرهان ذكرت آمنة اللفظين على ارادة الشخص (فقال هل شعرت) علمت (بانك قد حملت بسيد الانام ثم أمهلني حتى اذا دنت) قربت (ولادتي أتاني فقال لي قولي) اذا وضعتيه (أعيذه) أطلب عصمته وحفظه (بالواحد) في ذاته وأسمائه وصفاته (من شر كل حاسد ثم سميه محمدا) ولا يلزم من أمرها بالتسمية أن لها ولاية بل وافقها جده حين أخبرته كما صرح به المصنف في المقصد الثاني تبعا للسهيلي هنا فقال اما حامله سماه جده محمد الرؤيا رآها مع ما حدثته به أمه حين قيل لها اذا وضعتيه فسميه محمدا ثم هذا الذي قلناه كله رواية ابن اسحق (وفي رواية غير ابن اسحق وعلق عليه هذه التميمة) سماها تميمة لمشابهتها لها في التعليق والا فاصلها كما في القاموس خرزة رقطاء تنظم في السير ثم تعقد في العنق جمعها تمائم وتميم (قالت فانتبهت وعند رأسي صحيفة) قطعة (من ذهب مكتوب فيها هذه النسخة) هي لغة الكتاب المنقول لكن المراد هنا مكتوب فيها أحرف قوله (أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وكل خلق) مخلوق (رائد) طالب السوء وأصله المرسل لطلب الكلأ (من قائم وقاعد) تعميم لرائد (عن السبيل) الطريق السوي (حائد) مائل صفة ثانية الخلق (على الفساد) صفة ثالثة (جاهد) متحمل للمشقة في تحصيله حتى كأنه استعلى عليه (من نافث) ساحر (وعاقد) يعقد عقدا

يقبل قال وان لم يقبل فوافق قيصر وهو يأتي بيت المقدس فرمى بالكتاب على البساط وتنحى فنادى قيصر من صاحب الكتاب فهو آمن قال أنا قال فاذا قدمت فأتني فلما قدم أتاه فأمر قيصر بابواب قصره فغلقت ثم أمر مناديا ينادي الا ان قيصر قد اتبع محمدا وترك النصرانية فاقبل جنده وقد تسلحوا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترى اني خائف على مملكتي ثم أمر مناديه فنادى الا ان قيصر قد رضي عنكم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اني مسلم وبعث اليه بدنانير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذب عدو الله ليس بمسلم وهو على النصرانية وقسم الدنانير وبعث عبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى واسمه أبرويز بن هرمز بن أنوشروان فمزق كتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم مزق ملكه فمزق الله ملكه وملك قومه وبعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس واسمه جريج ابن مينا ملك الاسكندرية عظيم القبط فقال خيرا

في خيط وينفخ فيها بشيء يقوله بلا ريق أو معه وهذا بيان لحاصله فلا يرد أن الاولى الاتيان بالواو أي وأعيذه من كل نافث (و) أعيذه من (كل خلق مارد) عات متجبر (يأخذ بالمراصد) جمع مرصد كمذهب موضع الرصد والراصد للشيء الراقب له وبابه نصر كما في المختار والجملة صفة مارد أو خلق (في طرق الموارد) المواضع التي يجتمع فيها الناس وطرق المياه المقصودة للاستقاء (وقال الحافظ عبد الرحيم العراقي) أبو الحسين الاثري الامام الكبير العلم الشهير ولد في جمادى الاولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة وعني بالفن فبرع فيه وتقدم بحيث كان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه بالمعرفة كالسبكي وابن كثير والعلائي وغيرهم ونقل عنه الجمال الاسنوي في المهمات ووصفه بحافظ العصر وله مؤلفات في الفن بديعة قال تلميذه الحافظ ابن حجر وشرع في املاء الحديث من سنة ست وتسعين فأحيا الله به السنة بعد أن كانت داثرة فأملى أكثر من أربعمائة مجلس غالبها من حفظه متقنة مهذبة محررة كثيرة الفوائد الحديثية قال وكان جميل الصورة منور الشيبة كثير الوقار نزر الكلام سليم الصدر كثير الحياء لا يواجه أحدا بما يكره ولو آذاه صالحا متواضعا ضيق المعيشة كثير التلاوة اذا ركب حسن النادرة والفكاهة لا يترك قيام الليل بل صار له كالمألوف مات في شعبان سنة ست وثمانمائة (هكذا ذكر هذه الابيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها) يعتد به (انتهى) وقد رواه أبو نعيم وزاد عقب الابيات أنهاهم عنه بالله الاعلى وأحوطه منهم باليد العليا والكنف الذي لا يرى يد الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عاديهم لا يطردونه ولا يضرونه في مقعد ولا في منام ولا مسير ولا مقام أول الليل وآخر الايام قال الشامي وسنده واه جدا وانما ذكرته لانبه عليه لشهرته في كتب المواليد ويقع في بعض النسخ زيادة هي (نعم عند البيهقي من حديث ابن اسحق أعيذه بالواحد * من شر كل حاسد في كل بر) ضد بحر (عاهد *) اسم فاعل من عهد صفة لحاسد أي يتعهده بالحسد أي يتمادى كأنه لا ينفك عن حسده (و) أعيذه من (كل عبد رائد) طالب السوء (يرود) يطلبه له (غير رائد *) غير طالب له الكلأ كناية عن انه لا ينفعه بوجه (فانه عبد حميد ماجد) اسمان له سبحانه (حتى أراه آثر المشاهد) وهو استدراك على قوله السابق وفي رواية غير ابن اسحق كأنه قال لكن جاء قريب منه عن ابن اسحق في غير السيرة عند البيهقي (وعن شداد بن أوس) بن ثابت الانصاري أبي يعلى الصحابي ابن أخي حسان بن ثابت المتوفى بالشام قبل الستين وقيل بعدها رضي الله عنه (ان رجلا من بني عامر سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم) فقال له (ما حقيقة أمرك) حالك (فقال بدو شأني) ظهور أمري (اني دعوة أبي ابراهيم) في قوله تعالى بحكاية عنه وعن اسمعيل ربنا وابعث فيهم رسولا منهم ولعله خص ابراهيم بالذكر لمزيد شرفه أو لانه الاصل أو الداعي واسمعيل أمن (وبشرى أخي عيسى) قال تعالى ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد (واني كنت بكر أبي وأمي) أول أولادهما ومقصوده انهما ما ولدا قبله ولا يلزم منه وجود ثان فلا ينافي انهما لم يلدا غيره (وانها حملت بي كأثقل ما تحمل النساء وجعلت تشتكي الى صواحبها ثقل ما تجد) من ذلك الحمل (ثم ان أمي رأت في منامها ان الذي في بطنها نور الحديث ففيه) تصريح (ان أمه عليه الصلاة والسلام وجدت الثقل في حمله وفي سائر الاحاديث انها لم تجد ثقلا) فحصل التعارض (وجمع أبو نعيم الحافظ) أحمد بن عبد الله الاصفهاني الصوفي (بينهما) بين حديث شداد وبين سائر الاحاديث (بان الثقل به كان في ابتداء علوقها به) ولعلها حملته على أنه مرض أصابها فلا ينافي انها ما علمت به أو الابتداء نسبي وهو ما قرب من أول مدة الحمل لا حقيقي ولم يفهم هذا من اعترض جمعه بان عدم علمها به يقتضي ان الثقل لم يكن في ابتدائه (والخفة عند استمرار الحمل به فيكون) أمر حمله (على الحالين خارجا عن المعتاد المعروف) عند النساء فانه في ابتدائه خفيف فاذا

وقارب الام ولم يسلم وأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مارية وأختها سيرين وقيسرى فتسرى مارية ووهب سيرين لحسان بن ثابت وأهدى له جارية أخرى وألف مثقال ذهبا وعشرين ثوبا من قباطي مصر وبغلة شهباء وهي دلدل وحمارا أشهب وهو عفير وغلاما خصيا يقال له مابور وقيل هو ابن عم مارية وفرسا وهو اللزاز وقدحا من زجاج وعسلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ضن الخبيث بملكه ولا بقاء لملكه وبعث شجاع بن وهب الاسدي الى الحرث بن أبي شمر الغساني ملك البلقاء قاله ابن اسحق والواقدي قيل انما توجه لجبلة بن الايهم وقيل توجه لهما معا وقيل توجه لهرقل مع دحية بن خليفة والله أعلم * وبعث سليط بن عمرو الى هوذة بن علي الحنفي باليمامة فاكرمه وقيل بعثه الى هوذة والى ثمامة بن أثال الحنفي فلم يسلم هوذة وأسلم ثمامة بعد ذلك فهؤلاء الستة قيل هم الذين بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم واحد وبعث عمرو بن العاص في ذي القعدة

أستمر اشتد (انتهى) جمع أبي نعيم به يشعر قولها السابق كما تجد النساء فان الكلام اذا اشتمل على قيد فذلك كان هو المقصود كما قال عبد الله المرفكانها قالت وجدت له ثقلا ليس كالثقل الذي تجده النساء وجمع غيره بان المنفي الثقل المعنوي وهو الوجع والالم الحاصل للحوامل والمثبت الحسي وهو رزانته وزيادته مقدارا من غير ألم ولا تعب لانه صلى الله عليه وسلم وزن بجميع أمته فرجحهم وعندي ان هذا تعسف لا دليل عليه وعلته لا تفيد دعواه وان زعم صاحبه انه خير من جمع أبي نعيم (وروى أبو نعيم) المذكور في الدلائل (عن ابن عباس رضي الله عنهما) انه (قال كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم) وهذا موقوف لفظا وحكمه الرفع اذ لا يقال رأيا (ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة) وتخصيص دوابهم بالنطق لعله لاعلامهم فضله من أول الامر فلا يكون لهم شبهة ولا عذر وقت دعوته لكن لا تتم هذه النكتة الا ان كانوا اسمعوا نطق الدواب (وقالت حمل برسول الله صلى الله عليه وسلم ورب الكعبة و) قالت (هو) صلى الله عليه وسلم (امام الدنيا) بالميم قدوة أهلها ورأيته في خصائص السيوطي الكبرى عن أبي نعيم امان بالنون أي أمانها من العاهات العامة وما أرسلناك الا رحمة للعالمين (و) قالت هو (سراج أهلها) فهذا من جملة نطق الدواب الذي أخبر به ابن عباس وتجويز ان الضمير له وأن المصنف قصد به جواب سؤال هو أن ابن عباس ما شاهد ذلك ولا نقل له فمن أين علمه حتى أخبر به خطأ باطل فهذا موجود في كتاب أبي نعيم الدلائل ونقله عنه السيوطي وغيره وتشبث مجوزه بان شيخه اقتصر على قوله ورب الكعبة وعقبه بقوله ومثله لا يقال رأيا الا بحدي فلا حجة في الترك وأما جواب السؤال فهو قوله لا يقال رأيا فقصد بذلك ان حكمه الرفع كما قدمنا ومن العجيب انى لما أوردت على مبدي هذا الاحتمال قول المصنف بعد الحديث قال نعم لكن يجوز أنه جملة معترضة بين أجزاء الحديث وهو فاسد نشأ من الاحتمال العقلي فليس الادراج بالتشهي كما صرح به في فتح الباري وانما يعرف بورود رواية أخرى مبينة للقدر المدرج أو بالنص عليه من الراوي أو من امام مطلع كما في شرح النخبة وغيرها على ان هذا مغلطة لان الادراج من قول راو والدعوى انه من كلام المصنف ثم لا يصح اطلاق ان ابن عباس امام الدنيا وسراج أهلها فانما هما وصفان للنبي صلى الله عليه وسلم (ولم يبق سرير الملك) بكسر اللام (من ملوك الدنيا الا أصبح منكوسا) مقلوبا عن الهيئة التي كان عليها بان صار أعلاه أسفله فهو مجاز اذ نكس قلبه على رأسه على ظاهر المختار ان لم يكن تجوز بالرأس عن الاعلى وفي الخميس وكلت الملوك حتى لم يقدروا في ذلك اليوم على التكلم (وفرت) حقيقة ولا مانع منه (وحوش) جمع وحش حيوان البر (المشرق الى وحوش المغرب بالبشارات) بما حصل لها من الفرح والسرور وكأنها لقربها من موضع الحمل علمت ذلك بنداء الملائكة أو سماع دواب قريش أو بما شاء الله (وكذلك أهل البحار) صار (يبشر بعضهم بعضا وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء) هو (أن أبشروا فقد آن) قرب (ان يظهر أبو القاسم صلى الله عليه وسلم) حال كونه (ميمونا مباركا) الحديث وهو شديد الضعف (و) روى (عن غيره) عن غير ابن عباس (لم يبق في تلك الليلة دار الا أشرقت) أضاءت (ولا مكان) أعم من الدار (الا دخله النور) لهذه الزيادة أتى به (ولا دابة) ظاهره عموم الدواب الا أن يحمل على قوله في الرواية السابقة من دواب قريش (الا نطقت) ولم يبين في هذه الرواية ما نطقت به وبينته السابقة بقوله وقالت حمل برسول الله الخ ومن العجائب نقله من كلام غير المتن مع كونه قطعة منه وينادي على ناقله بابطال ذلك الاحتمال (وعن أبي زكريا يحيى) بن مالك (بن عائذ) بتحتية وذال معجمة نسبة لجده لشهرته به الحافظ الكبير الاندلسي سمع أبا سهل القطان ودعلج بن أحمد وابن قانع وأملى الحديث بجامع قرطبة صعد المنبر يوم

الجمعة

سنة ثمان الى جيفر وعبد ابني الجلندي الأزديين بعمان فأسلما وصدقا وخليا بين عمرو وبين الصدقة والحكم فيما بينهم فلم يزل فيما بينهم حتى بلغته وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث العلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدي ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة وقيل قبل الفتح فأسلم وصدق وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي الى الحرث بن عبد كلال الحميري باليمن فقال سأنظر في أمري وبعث أبا موسى الاشعري ومعاذ بن جبل الى اليمن عند انصرافه من تبوك وقيل بل سنة عشر من ربيع الاول داعيين الى الاسلام فأسلم عامة أهلها طوعا من غير قتال ثم بعث بعد ذلك علي بن أبي طالب اليهم ووافاه بمكة في حجة الوداع وبعث جرير بن عبد الله البجلي الى ذي الكلاع الحميري وذي عمرو يدعوهما الى الاسلام فأسلما وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وجرير عندهم وبعث عمرو بن أمية الضمري الى مسيلمة الكذاب بكتاب وكتب

الجمعة ثم خطب فمات في الخطبة فجأة في شعبان سنة ست وتسعين وثلثمائة فانزل وطلب في الحال من يخطب (بقي صلى الله عليه وسلم في بطن أمه تسعة أشهر كملا) بفتحتين مخفف الميم أي كاملة وهذا أحد أقوال خمسة في مدة الحمل تأتي في المصنف وذكره هنا لما بعده لا مقصود (لا تشكو وجعا) في رأسها من نحو الدوخة التي تعرض للحامل ولا في بدنها من استرخاء الاعضاء والمفاصل (ولا) تشكو (مغصا ولا ريحا) في بطنها (ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء) من حب بعض المأكول وبغض بعضه كما في قولها لم أجد له وحما فليس تفسيرا كما زعم (وكانت تقول والله ما رأيت) ما علمت (من حمل) لواحدة من النساء لانها ما حملت بغيره صلى الله عليه وسلم (هو أخف منه ولا أعظم بركة) كناية عن كونه أخف ما وجد من الحمل بناء على الاستعمال لا اللغة فلا يرد أنه لا ينفي رؤيتها من يساويه مع ان قصدها أنه أخف ما وجد فهو كقولهم ليس في البلد أعلم من زيد يريدون انه أعلم أهلها ثم ذكر المصنف وفاة والده صلى الله عليه وسلم توطئة لما يأتي من امتناع الرضعاء من أخذه لموت أبيه فقال (ولما تم لها) لآمنة (من حملها شهران) وقيل قبل ولادته بشهرين (توفي عبد الله) بن عبد المطلب عن خمس وعشرين سنة قال الواقدي وهو الاثبت أو عن ثلاثين سنة قاله أبو أحمد الحاكم أو عن ثمان وعشرين أو عن ثمان عشرة سنة وهو الذي صححه الحافظ العلائي والحافظ ابن حجر واختاره السيوطي (وقيل توفي) عبد الله (وهو) صلى الله عليه وسلم (في المهد) قال السهيلي وهو قول اكثر العلماء واحتج له بقول عبد المطلب لابي طالب أوصيك يا عبد مناف بعدي بمؤتم بعد أبيه فرد فارقه وهو ضجيع المهد انتهى قال السمين المهد ما يمهد للصبي ليربى فيه من مهدت له المكان أي وطأته وليّنته وفيه احتمالان أحدهما ان أصله المصدر فسمي به المكان وأن يكون بنفسه اسم مكان من غير مصدر وقد قرئ مهدا ومهادا في طه (قاله) الحافظ أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد بن سعيد الانصاري الرازي (الدولابي) سمع محمد بن بشار وهرون بن سعيد وطبقتهما ورحل وصنف وعنه ابن أبي حاتم وابن عدي وابن حبان والطبراني وغيرهم قال الدارقطني تكلموا فيه وما يظهر من أمره الا الخير وقال ابن يونس ضعيف ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ومات بالعرج بين مكة والمدينة سنة عشر وثلثمائة قال في اللب كاصله الدولابي صوابه بفتح أوله والناس يضمونه الى عمل الدولاب ودولاب قرية بالري قال ابن السمعاني وظني ان بعض أجداده نسب الى عمل الدولاب قال وأصله من الري فيمكن ان يكون من قرية دولاب انتهى وفي النور والقاموس الدولاب القرية بالضم والذي كالناعورة بالضم ويفتح (و) على كونه توفي وهو في المهد اختلف كم كان سنه صلى الله عليه وسلم فنقل (عن) الحافظ أحمد (بن أبي خيثمة) زهير بن حرب الحافظ ابن الحافظ الامام الثبت أبي بكر النسائي ثم البغدادي قال الخطيب ثقة عالم متقن حافظ بصير بأيام الناس راوية للادب أخذ علم الحديث عن أحمد وابن معين وعلم النسب عن مصعب وأيام الناس عن المدائني والادب عن محمد بن سلام الجمحي ولا أعرف اغزر فوائد من تاريخه بلغ أربعا وتسعين سنة ومات في جمادى الاولى سنة تسع وسبعين ومائتين (وهو ابن شهرين وقيل) مات (وهو) عليه الصلاة والسلام (ابن سبعة أشهر) بموحدة بعد السين حكاه في العيون وقيل ابن تسعة (وقيل) مات (وهو) صلى الله عليه وسلم (ابن ثمانية وعشرين شهرا) فكل هذه الاقوال مبنية على انه مات وهو في المهد وهو صريح العيون والسبل (والراجح المشهور) كما قال ابن كثير ورجحه الواقدي وابن سعد والبلاذري والذهبي هو (الاول) يعني انه مات وهو حمل والحجة له ما في المستدرك عن قيس بن مخرمة توفي أبو النبي صلى الله عليه وسلم وأمه حبلى به قال الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي (وكان عبد الله) فيما رجحه الواقدي وقال هو أثبت الاقاويل (قد رجع) من غزة (ضعيفا مع قريش لما رجعوا من تجارتهم ومروا بالمدينة يثرب) بدل أتى به لدفع

اليه بكتاب أخوهم السائب بن العوام أخي الزبير فلم يسلم وبعث الى فروة بن عمرو الجذامي يدعوه الى الاسلام وقيل لم يبعث اليه وكان فروة عاملا لقيصر بمعان فاسلم وكتب الى النبي صلى الله عليه وسلم باسلامه وبعث اليه هدية مع مسعود بن سعد وهي بغلة شهباء يقال لها فضة وفرس يقال له الضرب وحمار يقال له يعفور كذا قاله جماعة والظاهر والله أعلم ان عفيرا ويعفور واحد عفير تصغير يعفور تصغير الترخيم وبعث أثوابا وقباء سندس مخوص بالذهب فقبل هديته ووهب لمسعود ابن سعد اثنتي عشرة أوقية ونشا وبعث عياش ابن أبي ربيعة المخزومي بكتاب الى الحرث ومسروح ونعيم بن عبد كلال من حمير

(فصل في مؤذنيه)

وكانوا أربعة اثنان بالمدينة بلال بن رباح وهو أول من أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بن أم مكتوم القرشي العامري الاعمى وبقباء سعد القرظ مولى عمار بن ياسر وبمكة أبو محذورة واسمه أوس بن مغيرة الجمحي وكان أبو

توهم ان المراد غيرها الانها حينئذ ما كانت معروفة الا بيثرب لا المدينة سميت بيثرب بن قابل بن ارم بن سام بن نوح لانه أوّل من نزلها وقد غيره صلى الله عليه وسلم الى طيبة وسماها الله طابة رواه مسلم قال عيسى بن دينار من سماها يثرب كتبت عليه خطيئة وفى مسند أحمد عن البراء بن عازب قال قال صلى الله عليه وسلم من سمى المدينة بيثرب فليستغفر الله عز وجل هى طابة هى طابة وانما سميت فى القرآن حكاية (فتخلف عند أخواله بنى عدى بن النجار) أى اخوال أبيه لان هاشما تزوّج من بنى عدى فولدت له عبد المطلب أما أخوال عبد الله فانما هم من قريش من بنى مخزوم (فأقام عندهم مريضا شهرا فلما قدم أصحابه مكة سألهم عبد المطلب عنه فقالوا خلفناه مريضا) عند أخواله (فبعث) عبد المطلب (اليه أخاه) أخا عبد الله (الحرث) وقال ابن الاثير الزبير (فوجده قد توفى) بالمدينة (ودفن) بها (فى دار التابعة) بفوقية فموحدة فعين مهملة كما فى الزهر الباسم قال الخميس وهو رجل من بنى عدى بن النجار (وقيل دفن بالابواء) بفتح أوّله ومد آخره قرية من عمل الفرع من المدينة بينها وبين الجحفة مما يلى المدينة ثلاثة وعشرون ميلا والصحيح انها سميت بالابواء لتبوّئ السيول بها قاله ثابت بن حزم الحافظ وقيل لما فيها من الوباء قال البرهان وغيره ولو كان كذلك لقيل الاوباء أو يكون مقلوبا منه (وقالت آمنة زوجته ترثيه) شعرا (عفا جانب البطحاء) المختار عفا المنزل درس وضمنته معنى خلا فعدته بمن فى (من آل هاشم * وجعلت خلوها منه خلوا من آل هاشم مبالغة لعدم قيام غيره منهم مقامه أو الاضافة عهدية والمعهود زوجها أطلقت عليه آل لانه اسم لاهل الرجل وعياله فيطلق على الكثير والواحد (وجاور) من المجاورة (لحدا خارجا فى الغماغم) بغينين معجمتين وميمين أى الاغطية قاله الشامى وكان المراد الاكفان التى لف فيها فكأنها قالت جاور حال كونه مدرجا فى أكفانه لحدا بعيدا عن أماكن أهله (دعته المنايا) جمع منية بشد الياء الموت (دعوة) ويروى بغتة (فأجابها *) واسناد الدعوة الى المنايا تجوز وكأنها أرادت ناداه ملك الموت حيث أراد قبض روحه فأجابه بمعنى قام به المرض أو اسبابه حتى توفى (وما تركت) المنايا (فى الناس مثل ابن هاشم) عبد الله لانه كان يتلألأ نورا فى قريش وكان أجملهم فشغفت به نساؤهم وكدن أن تذهل عقولهن قال أهل السير فلقى عبد الله فى زمنه من النساء ما لقى يوسف فى زمنه من امرأة العزيز (عشية راحوا) أى ذهب المشيعون له حال كونهم (يحملون) فى الوقت المسمى عشية وهى آخر النهار (سريره *) النعش الذى هو عليه (تعاوره) تداوله (أصحابه فى التزاحم) أى مع التزاحم عليه ففى بمعنى مع كقوله ادخلوا فى أمم (فان تك غالته) أى أخذته على غفلة أى أهلكته (المنون وريبها *) أى حوادثها أى الاسباب المؤدية للموت وعبرت بان التى للشك لاستبعاد وقوع الموت به استعظاما له وجواب الشرط محذوف أى أسف الناس لموته والفاء التعليل فى قولها (فقد كان معطاء كثير الاعطاء (كثير التراحم ويذكر عن ابن عباس انه لما توفى عبد الله قالت الملائكة) يا (الهنا و) يا (سيدنا بقى نبيك يتيما) لا أب له قال الخميس أعلى اليتم ما توفى الوالد والولد فى بطن الام (فقال الله تعالى) جوابا لهم (أنا له حافظ ونصير) ومن كنت له كذلك لا يضيع وهذا حكمه الرفع لو صح لكن مرضه المصنف على عادتهم فى نقل التضعيف بيروى ويذكر وفى لفظ قالت الملائكة صار نبيك بلا أب فبقى من غير حافظ ومرب فقال الله أنا وليه وحافظه وحاميه وربه وعونه ورازقه وكافيه فصلوا عليه وتبركوا باسمه (وقيل لجعفر الصادق) لقب به لانه ما كذب قط (لم يتم) بكسر التاء كما اقتصر عليه الجوهرى وزاد المجد فتحها والمصباح ضمها (النبى صلى الله عليه وسلم) أى ما حكمة ذلك (قال لئلا يكون عليه حق لمخلوق) ولا يرد عليه بقاء أمه حتى بلغ ست سنين أو أكثر لان تعلق الحقوق انما هو بعد البلوغ (نقله عنه أبو حيان) الامام أثير الدين محمد بن يوسف بن على بن يوسف الاندلسى الغرناطى

محذورة منهم يرجع الاذان ويثنى الاقامة وبلال لا يرجع ويفرد الاقامة فاخذ الشافعى رضى الله عنه وأهل مكة باذان أبى محذورة واقامة بلال وأخذ أبو حنيفة رضى الله عنه وأهل العراق باذان بلال واقامة أبى محذورة وأخذ الامام أحمد رضى الله عنه وأهل الحديث وأهل المدينة باذان بلال واقامته وخالف مالك فى الموضعين اعادة التكبير وتثنية لفظ الاقامة فانه لا يكررها

(فصل فى أمرائه)

منهم باذان بن ساسان من ولد بهرام جور أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كلها بعد موت كسرى فهو أوّل أمير فى الاسلام على اليمن وأوّل من أسلم من ملوك العجم ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت باذان ابنه شهر بن باذان على صنعاء وأعمالها ثم قتل شهر فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صنعاء خالد بن سعيد بن العاص وولى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجر بن أبى أمية المخزومى كندة والصدف فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم

نحوى عصره ولغويه ومقريه ولد في شوال سنة أربع وخمسين وستمائة وأخذ عن ابن الصائغ وابن النحاس وغيرهما وتقدم في النحو في حياة شيوخه واشتهر اسمه وألف الكتب المشهورة وأخذ عنه أكابر عصره مات في صفر سنة خمس وأربعين وسبعمائة (في البحر) هو تفسيره الكبير وقال ابن العماد في كشف الاسرار انما رباه يتيما لان أساس كل صغير كبير وعقبى كل حقير خطير ولينظر صلى الله عليه وسلم اذا وصل الى مدارج عزه الى أوائل أمره ليعلم ان العزيز من أعزه الله تعالى وان قوته ليست من الآباء والامهات ولا من المال بل قوته من الله تعالى وأيضا ليرحم الفقير والايتام (وروى أبو نعيم عن عمرو بن قتيبة) الصورى الصدوق روى عن الوليد بن مسلم وغيره وعنه النسائى وأحمد بن المعلى (قال سمعت أبى وكان من أوعية العلم قال لما حضرت آمنة الولادة) وفى نسخة حضرت ولادة آمنة أى دخل وقت ولادتها (قال الملائكة) أى للخزان وفى نسخ قال الله لملائكته (افتحوا أبواب السماء كلها) هو ظاهر في انها مغلقة وانما تفتح لاسباب وهو ما صرحت به النصوص وبه تشهد الاخبار (و) افتحوا (أبواب الجنان) السبع وهى على ما روى عن ابن عباس جنة الفردوس وجنة عدن وجنة النعيم ودار الخلد وجنة المأوى ودار السلام وعليون لكن قال السيوطى لم أقف عليه يعنى مسندا عن ابن عباس فلا ينافى ذكره فى البدور عن القرطبى انها سبع وعدهذا الا انه قال بدل عليون دار الجلال وقيل الجنة واحدة مسماة بهذه الاسماء وقيل أربع ورجح بما فى سورة الرحمن وقال السبكى هذه الاربع أنواع تحتها أفراد كثيرة كما فى الحديث انها جنان كثيرة (وألبست الشمس يومئذ) أى زادت (نورا عظيما) على نورها (وكان قد أذن الله تعالى) أراد (تلك السنة) التى حمل فيها بالنبى صلى الله عليه وسلم (لنساء الدنيا) أى الحاملات منهن (أن يحملن ذكورا) وليس المراد أن جميع نساء الدنيا حملن اذ فيهن العزباء والكبيرة والصغيرة ومن لم تتزوج أصلا ومن زوجها غائب عنها كل ذلك (كرامة لمحمد صلى الله عليه وسلم) فهو راجع لجميع ما قبله (الحديث وهو مطعون فيه وذكر أبو سعيد عبد الملك النيسابورى) مر أنه بفتح النون نسبة الى نيسابور أشهر مدن خراسان (فى كتابه المعجم الكبير) وصرح المصنف انه غير صاحب شرف المصطفى فان اسمه عبد الرحمن كما مر والمصنف سماه عبد الملك (كما نقله عنه صاحب كتاب السعادة والبشرى عن كعب فى حديثه الطويل ورواه) أى روى ما ذكره أبو سعيد عن كعب (أبو نعيم من حديث ابن عباس) انه (قال كانت آمنة تحدث وتقول) ومعلوم انه ما سمعها فيحمل على انه سمعه ممن سمعها (أتانى آت حين مر بى من حملى ستة أشهر فى المنام وقال لى يا آمنة انك قد حملت بخير العالمين) الماضين والموجودين والآتين (فاذا ولدته) بتاء وهاء وفى نسخة بينهما ياء على لغة قليلة للاشباع (فسميه محمدا واكتمى شأنك) حتى تضعى فلا ينافى اخبارها به (قالت ثم أخذنى ما يأخذ النساء) من الطلق (ولم يعلم بى أحد لاذكر ولا أنثى) أتت به بعد أحد لدفع توهم أن المراد الذكور فقط (وانى لوحيدة) منفردة (فى المنزل وعبد المطلب فى طوافه) بالبيت الحرام (فسمعت وجبة) بسكون الجيم وفتح الموحدة أى هدة (عظيمة) وهى سقوط وقع نحو الحائط (وأمرا عظيما هالنى) أفزعنى وهو تفسيرى (ثم رأيت) رؤية عين بصرية شيأ (كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادى) هو القلب عند الجوهرى وغشاؤه عند غيره قال الزركشى وهو أحسن لحديث ألين قلوبا وأرق أفئدة (فذهب عنى الرعب) الخوف الحاصل من تلك الوجبة (وكل وجع أجده) بسبب الطلق فلا ينافى انها لم تشك ما يعرض للحوامل (ثم التفت فاذا أنا بشربة بيضاء) أى باناء فيه شربة أو أطلق الشربة على محلها وهو المشربة بكسر الميم مجازا من تسمية المحل باسم الحال فيه اذ الشربة المرة من الشرب (فتناولتها) فشربتها وفى رواية فاذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبنا وكنت عطشى فشربتها فاذا هى أحلى

ولم يتولاها فبعثه أبو بكر الى قتال أناس من المرتدين وولى زياد بن أمية الانصارى حضرموت وولى أبا موسى الاشعرى زبيد وعدن وزمع والساحل وولى معاذ بن جبل الجند وولى أبا سفيان صخر بن حرب نجران وولى ابنه يزيد تيماء وولى عتاب بن أسيد مكة واقامة الموسم بالحج بالمسلمين سنة ثمان وله دون العشرين سنة وولى على بن أبى طالب الاخماس باليمن والقضاء بها وولى عمرو بن العاص عمان وأعمالها وولى الصدقات جماعة كثيرة لانه كان لكل قبيلة وال يقبض صدقاتها فمن هنا كثر عمال الصدقات وولى أبا بكر اقامة الحج سنة تسع وبعث فى أثره عليا يقرأ على الناس سورة براءة فقيل لان أولها نزل بعد خروج أبى بكر الى الحج وقيل بل لان عادة العرب كانت انه لا يحل العقود ويعقدها الا المطاع أو رجل من أهل بيته وقيل أردفه عونا له ومساعدا ولهذا قال له الصديق أمير أو مأمور وقال بل مأمور وأما أعداء الله الرافضة فيقولون عزله بعلى وليس هذا ببدع من بهتهم

من العسل (فاصابنى نورعال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالا) بكسر الطاء جمع طويلة وأما بضمها فمفرد كرجل طوال وقال ابن الاثير جمع طولى مثل الكبر فى الكبرى وهذا البناء يلزمه أل أو الاضافة (كأنهن من بنات عبدمناف) شبهت بهن لاشتهارهن بين النساء بالطول والجمال (يحدقن) بضم الياء وكسر الدال مخففة فقاف سا كنة وبفتح الياء وكسر الدال أى يحطن بى (فبينما أتعجب وأنا أقول واغوثاه من أين علمن بى قال فى غير هذه الرواية فقلن لى) أى اثنتان منهن على أن أقل الجمع اثنان أو مجاز (نحن آسية) بالمد وكسر السين المهملة كما فى التبصير بنت مزاحم قيل انها أسرائيلية وانها عمة موسى وقيل انها ابنة عم فرعون وانها من العمالقة (امرأة فرعون) ذات الفراسة الصادقة فى موسى حين قالت قرة عين لى ومن فضائلها انها اختارت القتل على الملك وعذاب الدنيا على النعيم الذى كانت فيه (ومريم ابنة عمران) أم عيسى عليه السلام قيل انهما نبيتان بل قال القرطبى الصحيح أن مريم نبية لكن قال عياض الجمهور على خلافه وبعضهم نقل الاجماع على عدم نبوة النساء وعن الاشعرى نبئ منهن ست هاتان وحواء وسارة وهاجر وأم موسى واستعمال نحن فيهما حقيقة لانها للمتكلم ومعه غيره واحدا أو أكثر (وهؤلاء من الحور العين) ولعل حكمة شهودهم كثرة الحور له فى الجنة كما ان مريم وآسية من نسائه فى الجنة كما فى الحديث (واشتد بى الامر وانى أسمع الوجبة فى كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك اذ بديباج) بكسر الدال ويجوز فتحها نوع من الحرير قاله فى التوشيح (أبيض قد مد بين السماء والارض) تعظيما لولادته عليه السلام (واذا بقائل يقول خذاه) اذا ولد (عن أعين الناس قال ورأيت رجالا قد وقفوا فى الهواء) أى ملائكة تشكلوا بصورة الرجال (بأيديهم أباريق من فضة ثم نظرت فاذا أنا بقطعة) جماعة (من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتى) لكثرتها (مناقيرها) مبتدأ خبره (من الزمرد) بزاى معجمة فميم فراء مشددة مضمومات فدال معجمة كما صوبه الاصمعى وجزم به المجد وقال ابن قتيبة مهملة الزبرجد فارسى معرب (وأجنحتها من الياقوت فكشف الله عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة) ولعل حكمة ذلك الاشارة الى أن شرعه يعم المشارق والمغارب ويعلو على مكة ويصير بيننا واضحا كالاعلام (فأخذنى المخاض) قال البيضاوى بفتح الميم وكسرها مصدر مخضت المرأة اذا تحرك الولد فى بطنها للخروج (فوضعت محمدا صلى الله عليه وسلم) الظاهر أن الصلاة من الراوى (فنظرت اليه فاذا هو ساجد) حقيقة (قد رفع أصبعيه) أى سبابتيه قابضا بقية أصابعه كما يأتى فى رواية الطبرانى (الى السماء كالمتضرع) المتذلل (المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عنى ثم سمعت مناديا ينادى طوفوا به مشارق الارض ومغاربها) خصت الارض بذلك دون السماء لانها محل بعثته وظهور رسالته والمناسب لقوله السابق خذاه أن يقال طوفا به فيحتمل أن معهما غيرهما تعظيما له أو على أن الجمع ما فوق الواحد (وأدخلوه البحار) جميعها وهى سبعة أخرجه أبو الشيخ عن ابن عباس ووهب وأخرج أيضا عن حسان بن عطية قال بلغنى أن مسيرة الارض خمسمائة سنة بحورها منها مسيرة ثلثمائة سنة والخراب منها مسيرة مائة سنة والعمران مسيرة مائة سنة (ليعرفوه باسمه) فيها وهو الماحى كما يأتى على الاثر ولا تفهم انه عام فتتعب (ونعته وصورته) أى لتعرفه البحار نفسها ولا مانع فالله على كل شئ قدير أو أهلها أوهما جميعا (و) حين اذ عرفوه بالثلاثة (يعلمون) قالوا واستثنائية بدليل النون (انه سمى فيها) فى البحار (الماحى) لانه (لا يبقى شئ من الشرك الا محى فى زمنه) قال المصنف فى أسمائه صلى الله عليه وسلم لما كانت البحار هى الماحية للادران كان اسمه فيها الماحى انتهى وهى مناسبة لطيفة (ثم انجلت عنه) تلك السحابة (فى أسرع وقت الحديث وهو مما

واقترابه سم واختلف الناس هل كانت هذه الحجة قد وقعت فى شهر ذى الحجة أو كانت فى ذى القعدة من أجل النسىء على قولين والله أعلم

(فصل فى حرسه صلى الله عليه وسلم)

فمنهم سعد بن معاذ حرسه يوم بدر حين نام فى العريش ومحمد بن مسلمة حرسه يوم أحد والزبير بن العوام حرسه يوم الخندق ومنهم عباد ابن بشر وهو الذى كان على حرسه وحرسه جماعة آخرون غير هؤلاء فلما نزل قوله تعالى والله يعصمك من الناس خرج على الناس فاخبرهم بها وصرف الحرس

(فصل) فيمن كان يضرب الاعناق بين يديه على بن أبى طالب والزبير بن العوام والمقداد بن عمرو ومحمد ابن مسلمة وعاصم بن ثابت بن أبى أفلح والضحاك بن سفيان الكلابى وكان قيس بن سعد بن عبادة الانصارى منه صلى الله عليه وسلم بمنزلة صاحب الشرطة من الامير ووقف المغيرة ابن شعبة على رأسه بالسيف يوم الحديبية

تكلم فيه) فذكره لينبه عليه لشهرته في المواليد (وروى الخطيب) البغدادى الحافظ أحمد بن على ابن ثابت (بسنده) ايضاح فهو عندهم من أول روى (كما ذكره صاحب كتاب السعادة والبشرى أيضا كما ذكر الأول (ان آمنة قالت لما وضعته عليه الصلاة والسلام) الظاهر أن التصلية من الراوى كما مر (رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل) كما مر أصواتها كما في القاموس (وخفقان الاجنحة) مصدر خفق كضرب أى اضطرابها (وكلام الرجال) الملائكة المتشكلين بصفتهم (حتى غشيته) تلك السحابة متعلق بمقدر أى أقبلت (وغيب عنى فسمعت مناديا ينادى طوفوا بمحمد صلى الله عليه وسلم (مشارق الارض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته في جميع الارض) متعلق بيعرفوه (واعرضوه) بهمزة وصل أظهروه (على كل روحانى) بضم الراء أى من فيه روح بدليل قوله (من الجن والانس والملائكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم) بفتح الخاء وسكون اللام ففى حديث أنا أشبه الناس بأبى آدم وكان أبى ابراهيم خليل الرحمن أشبه الناس بى خلقا وخلقا (ومعرفة شيث) بن آدم نقل الثعلبى وغيره ان الله علمه ساعات الليل والنهار وعلمه عبادة الحق فى كل ساعة منها فلعل هذا هو المراد بالمعرفة هنا (وشجاعة نوح) ولو لم يكن من شجاعته الا مكثه فى قومه ألف سنة الا خمسين مع تعنتهم عليه وكفرهم وقلة من آمن معه وهو لا يبالى بهم ويقاومهم كلهم ومواطن شجاعة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تحصر (وخلة) بشد اللام (ابراهيم) لله عز وجل فى قوله واتخذ الله ابراهيم خليلا وفى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا وأخرج أبو يعلى فى حديث المعراج فقال له ربه اتخذتك خليلا وحبيبا فثبت انه خليل كابراهيم وزاد كونه حبيبا (و) أعطوه (لسان اسمعيل) أى لغته نحو وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه أخرج الزبير بن بكار بسند جيد عن على مرفوعا أول من فتق الله لسانه بالعربية البينة اسمعيل وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم أفصح الخلق على الاطلاق وقد روى أبو نعيم فى تاريخ أصبهان عن ابن عمر قال قال عمر يا نبى الله ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا فقال صلى الله عليه وسلم كانت لغة اسمعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها بل زاد على ذلك فكان يخاطب كل ذى لغة بلغته اتساعا فى الفصاحة (ورضا اسحق) بالذبح على انه الذبيح فى حديث ان داود سأل ربه مسئلة فقال اجعلنى مثل ابراهيم واسحق ويعقوب فأوحى الله اليه انى ابتليت ابراهيم بالنار فصبر وابتليت اسحق بالذبح فصبر وابتليت يعقوب فصبر الحديث وقد رضى نبينا صلى الله عليه وسلم بما هو أقوى من ذلك فقد أدمى الكفار رجليه وكسروا رباعيته وشجوا وجهه واجتمعوا على قتله وحاربوه وهو مع ذلك كله راض ويقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون (وفصاحة صالح) ذكر الثعلبى انه كان من أفصح أهل زمانه وأحسنهم منطقا قال وكان له من الحسن والجمال ما لا يقدر أحد ان يتمتع بالنظر اليه من نور وجهه وكان أشبه الناس بشيث وأعطاه الله من العلم والحلم والوقار والسكينة شيأ كثيرا وكان لباسه الصوف ونعلاه من خوص النخل انتهى والمصطفى لا يدانيه فى الفصاحة أحد (وحكمة لوط) المشار لها بقوله تعالى ولوطا آتيناه حكما وعلما قال البيضاوى أى حكمة أو نبوة أو فصلا بين الخصوم واقتصر الجلال على الثالث وما بلغه نبينا من ذلك لا مضارع له فيه (وبشرى يعقوب) لعلها بسلامة ولده أو بالفوز بدعوة أبيه دون أخيه عيصو وقد بشر نبينا صلى الله عليه وسلم من ربه بامور كثيرة (وشدة موسى) فى دين الله وفى القوة فقد حكى عنه قتل ذلك الرجل بوكزة وغير ذلك ونبينا أعطى فوق ذلك فقد قتل أبى بن خلف بأدنى شئ حتى عيره قومه فقال لو بصق على محمد لقتلنى وصارع بمكة رجلا كان لا يقدر على صرعه أحد فصرعه الى غير ذلك (وصبر أيوب) الممدوح عليه بقوله انا وجدناه صابرا وأحوال المصطفى فى

(فصل) فيمن كان على نفقاته وخاتمه ونعله وسواكه ومن كان يأذن عليه كان بلال على نفقاته ومعيقيب بن أبى فاطمة الدوسى على خاتمه وابن مسعود على سواكه ونعله وأذن عليه رباح الاسود وأنيسة مولياه وأنس ابن مالك وأبو موسى الاشعرى

(فصل) فى شعرائه وخطبائه كان من شعرائه الذين ينبون عن الاسلام كعب بن مالك وعبد الله ابن رواحة وحسان بن ثابت وكان أشدهم على الكفار حسان بن ثابت وكعب بن مالك يعيرهم بالكفر والشرك وكان خطيبه ثابت بن قيس ابن شماس

(فصل فى حداته الذين كانوا يحدون بين يديه فى السفر) منهم عبد الله بن رواحة وانجشة وعامر بن الاكوع وعمه سلمة بن الاكوع وفى صحيح مسلم كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاد حسن الصوت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رويدا يا انجشة لا تكسر القوارير يعنى ضعفة النساء

(فصل) فى غزواته وبعوثه وسراياه غزواته كلها وبعوثه وسراياه

الصبر لا يضبطها الحصر (وطاعة يونس) لله تعالى من الصغر روى أنه لما بلغ سبع سنين قال لامه أريد كسوة الصوف حتى ألحق بالعباد فلم تجبه فلم يزل بها حتى كسته وكان معهم حتى تم له خمس عشرة سنة ذكره الثعلبي وطاعة المصطفى لربه من قبل السبع فكان يخرج هو وأخوه من الرضاعة في بني سعد فيمران بالغلمان يلعبون فيلعب أخوه فاذا رآهم عليه الصلاة والسلام أخذ بيد أخيه وقال انا لم نخلق لهذا (وجهاد يوشع) بن نون قاتل الجبارين بعد موسى يوم الجمعة ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم وقد جاهد صلى الله عليه وسلم الجبارين ببدر يوم الجمعة ونصره الله عليهم ثم استمر مجاهدا في الله حق جهاده حتى توفاه الله واستمر في شرعه الجهاد الى يوم القيامة ولله الحمد (وصوت داود) المشار له بحديث لقد أوتي أبو موسى مزمارا من مزامير آل داود يعني داود نفسه ولا ريب في أن المصطفى فاقه لما رواه الترمذي من حديث أنس ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم أحسنهم وجها وأحسنهم صوتا (وجب دانيال) آتاه الله النبوة والحكمة روى ابن أبي الدنيا ان بختنصر ضرى أسدين وألقاهما في جب وأمر بدانيال فالقي عليهما الحديث وروى البيهقي ان دانيال طرح في الجب وألقيت عليه السباع فجعلت تلحسه وتبصبص اليه وأرسل الله له ملكا بطعام وروى ابن أبي الدنيا ان الملك الذي كان دانيال في سلطانه قال له منجموه يولد ليلة كذا وكذا غلام يفسد ملكك فأمر بقتل من يولد تلك الليلة فلما ولد دانيال ألقته أمه في أجمة أسد فبات الاسد ولبوته يلحسانه ونجاه الله وأقوى من ذلك مكث نبينا صلى الله عليه وسلم في الغار ليلة الهجرة وحفظ الله له من الكفار الذين هم أشد من الاسد مع أن أحدهم لو نظر الى عقبه لرآه وقد حفظه الله حين ولد من اليهودي ومكره به وتحريضه على قتله بقوله يا معشر قريش ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق والمغرب كما في قريبا (ووقار الياس) من ذرية هرون كان على صفة موسى في الغضب والقوة ونشأ نشأة حسنة يعبد الله وجعله الله نبيا ورسولا وآتاه آيات وسخر له الجبال والاسود وغيرها وأعطاه قوة سبعين نبيا ذكره الثعلبي والمصطفى صلى الله عليه وسلم لا يقاربه أحد في الوقار وقد كان أصحابه لا يستطيعون أمعان النظر فيه لقوة مهابته ومزيد وقاره ومن ثم لم يصفه الا صغارهم أو من كان في تربيته قبل النبوة كهند وعلي (وعصمة يحيى) بن زكريا من اللعب ونحوه من الصغر قال الثعلبي روى في قوله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قيل تعلم التوراة في صغره وقيل نزل عليه الوحي لثلاثين سنة وقيل ان صبيانا دعوه في صغره للعب فقال أللعب خلقنا وقد حكى ان زكريا قال ان كان هذا الولد يريد الدنيا فلا حاجة لنا فيه وان كان يريد الآخرة فرحبا به فقال جبريل انه لا يريد الا الآخرة فظهر يحيى ونشأ أحسن نشو انتهى وقد عصم نبينا من كل شيء من أول أمره ومر اجتنابه اللعب عقب فطامه وقوله انا لم نخلق لهذا وكانت همته وارادته كلها في مرضاة ربه (وزهد عيسى) بن مريم المشهور وقد فاق المصطفى كل زاهد حتى منع بعضهم من اطلاق الزهد عليه معللا بأنه لا قيمة للدنيا عنده حتى يزهد فيها وقد عرض عليه أن تسير معه الجبال ذهبا وفضة فأبى وخير بين الملك والعبودية فاختار العبودية (وأغمسوه في أخلاق النبيين) كلها ليجتمع فيه ما تفرق في غيره كيف وقد كان خلقه القرآن (قالت) آمنة (ثم انجلى عني) ما رأيته من السحابة وما فيها (فاذا به) صلى الله عليه وسلم (قد قبض على حريرة خضراء مطوية طيا شديدا ينبع) مثلث الموحدة كما في القاموس والارشاد وغيرهما أي يخرج (من تلك الحريرة ماء واذا بقائل يقول بخ بخ) الاول منون والثاني مسكن وبتسكينهما وبتنوينهما وبتشديدهما وتفردسا كنة ومكسورة ومنونة مضمومة كلمة تقال عند الرضا أي عظم الامر وفخم كما في القاموس (قبض محمد على الدنيا كلها) والاشارة الى ذلك قبضه على الحريرة بيده (لم يبق خلق من أهلها الا دخل طائعا في قبضته) حقيقة أو حكما لظهور ما معهم من

كانت بعد الهجرة في مدة عشر سنين فالغزوات سبع وعشرون وقيل خمس وعشرون وقيل تسع وعشرون وقيل غير ذلك قاتل منها في سبع بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف وقيل قاتل في بني النضير والغابة ووادي القرى من أعمال خيبر * وأما سراياه وبعوثه فقريب من ستين والغزوات الكبار الامهات سبع بدر وأحد والخندق وخيبر والفتح وحنين وتبوك وفي شأن هذه الغزوات نزل القرآن فسورة الانفال سورة بدر وفي أحد آخر سورة آل عمران من قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال الى قبيل آخرها بيسير وفي قصة الخندق وقريظة وخيبر صدر سورة الاحزاب وسورة الحشر في بني النضير وفي قصة الحديبية وخيبر سورة الفتح وأشير فيها الى الفتح وذكر الفتح صريحا في سورة النصر وجرح منها صلى الله عليه وسلم في غزوة واحدة وهي أحد وقاتلت معه الملائكة منها في بدر وحنين ونزلت الملائكة يوم الخندق

البراهين الدالة على أن امتناعهم من الايمان بمجرد عناد وظلم فلا يرد أن كثيرا آمنوا به أو باعتبار مبدأ الخلق لولادة الجميع على الفطرة (قالت ثم نظرت اليه صلى الله عليه وسلم فاذا هو كالقمر) كذا في نسخة وهي ظاهرة لان اذا الفجائية تختص بالجمل الاسمية ولا تحتاج لجواب ولا تقع في الابتداء ومعناها الحال لا الاستقبال كما في المغني وفي نسخة فاذا به كالقمر فيه خبر مقدم وكالقمر صفة لمحذوف أي نور والكاف اسم بمعنى مثل فهو من الوصف بمفرد أو الباء مزيدة في المبتدا على ان زيادتها فيه مقيسة والاصل فاذا هو كالقمر فانقلب الضمير (ليلة البدر ريحه يسطع) بفتح الطاء يظهر (كالمسك الاذفر) بذال معجمة الذكي (واذا بثلاثة نفر) بالتنوين ونفر بدل منه وبالاضافة بيانية عند البصرة أو من اضافة الصفة لموصوفها عند الكوفة كما صرح به الرضي خلافا لزعم أبي البقاء أن الصواب التنوين في مثله (في يد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الآخر طست) بفتح الطاء وكسرها وسكون السين المهملة وبمثناة وقد تحذف وهو الاكثر واثباتها لغة طيئ واخطأ من أنكرها قاله الحافظ (من زمرذ) بضمات والراء مشددة والذال معجمة على الافصح وقد (اخضر وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها) أي فردها (فاخرج منها خاتما تحار أبصار الناظرين دونه) أي في مكان أقرب منه والمراد تتحير فيما دون ذلك الخاتم لصفته الخارقة للعادة (فغسله) أي غسل الملك النبي صلى الله عليه وسلم لانه المحدث عنه (من ذلك الابريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه) أي لف الملك النبي صلى الله عليه وسلم (في الحريرة ثم احتمله فادخله بين أجنحته ساعة) الظاهر أن المراد مدة من الزمن لا الفلكية (ثم رده الى) رواه) أي هذا الحديث (أبو نعيم عن ابن عباس وفيه نكارة وروى الحافظ أبو بكر ابن عائذ في كتابه المولد كما نقله عنه الشيخ بدر الدين) محمد بن عبد الله (الزركشي) الشافعي العلامة البارع ولد سنة خمس وأربعين وسبعمائة وأخذ عن الاسنوي ومغلطاي وابن كثير وغيرهم وألف تصانيف كثيرة في عدة فنون مات في رجب سنة أربع وتسعين وسبعمائة ودفن بالقرافة الصغرى (في شرح بردة المديح) للبوصيري التي أولها * أمن تذكر جيران بذي سلم * (عن ابن عباس) رضي الله عنهما انه قال (لما ولد صلى الله عليه وسلم قال في اذنه رضوان خازن الجنان أبشر يا محمد فما بقي لنبي علم الا وقد أعطيته) واذا كان كذلك (فانت أكثرهم علما وأشجعهم قلبا) وهذا أرسله ابن عباس ومرسل الصاحب وصل في الاصل وحكمه الرفع اذ لا مجال فيه للرأي (وروى محمد بن سعد) بن منيع الهاشمي مولاهم البصري الصدوق الحافظ نزيل بغداد كاتب الواقدي مات سنة ثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتين وستين سنة (من حديث جماعة منهم عطاء) بن أبي رباح (وابن عباس ان آمنة بنت وهب) بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب والدته صلى الله عليه وسلم (قالت لما فصل) أي خرج (مني تعني) تريد آمنة (النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه نور أضاء له ما بين المشرق والمغرب ثم وقع) عليه السلام (الى الارض) زاد ابن سعد عن الواقدي جاثيا على ركبتيه (معتمدا على يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها) اشارة الى انه يغلب أهل الارض وبكون التراب من جملة معجزاته ألا ترى أنه حثا في وجوه أعدائه قبضة من تراب ليلة الهجرة ويوم بدر وأحد وحنين وللاشارة الى الاعراض عن الدنيا فكأنه حين رفع رأسه يقول لا التفت الى الدنيا وما فيها فانها كهذا التراب (ورفع رأسه الى السماء) ينظر ببصره اليها قال الجوجري وفيه اشارة دائما الى ارتفاع شانه وقدره وانه يسود الخلق أجمعين وكان هذا من آياته وهو انه أول فعل وجد منه في أول ولادته وفيه اشارة وايماء لمن تأمل الى أن جميع ما يقع له من حين ولد الى حين يقبض دال على العقل فانه لا يزال متزايد الرفعة في كل وقت وحين عالي الشأن على المخلوقات وفي رفعه رأسه اشارة وايماء الى كل سؤدد وأنه لا يتوجه قصده الا الى جهات العلو دون غيرها مما لا يناسب قصده (وروى

فهزمت المشركين وهزمتهم ورمى فيها الحصباء في وجوه المشركين فهربوا وكان الفتح في غزوتين بدر وحنين وقاتل بالمنجنيق منها في غزوة واحدة وهي الطائف وتحصن في الخندق في واحدة وهي الاحزاب أشار به عليه سلمان الفارسي

(فصل) في ذكر سلاحه وأثاثه كان له تسعة أسياف مأثور وهو أول سيف ملكه ورثه من أبيه والعضب وذو الفقار بكسر الفاء وفتح الفاء وكان لا يكاد يفارقه وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته وبكراته ونعله من فضة والقلعي والبتار والحتف والرسوب والمخذم والقضيب وكان نعل سيفه فضة وما بين ذلك حلق فضة وكان سيفه ذو الفقار تنفله يوم بدر وهو الذي أري فيها الرؤيا ودخل يوم الفتح مكة وعلى سيفه ذهب وفضة * وكان له سبعة أدرع ذات الفضول وهي التي رهنها عند أبي الشحم اليهودي على شعير لعياله وكان ثلاثين صاعا وكان الدين الى سنة وكانت الدرع من حديد وذات الوشاح

الطبرانى) سليمان بن أحمد بن أيوب الحافظ (انه) صلى الله عليه وسلم (لما وقع الى الارض) حال كونه (مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة) اللام للاستغراق أو الجنس فشمل السبابتين ليوافق قوله السابق أصبعيه (كالمسبح بها) وفى السابقة كالمتضرع المبتهل (وروى عن عثمان بن أبى العاصى) الثقفى ولى الطائف لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقره أبو بكر ثم عمر ثم استعمله عمر على عمان والبحرين سنة خمس عشرة ثم سكن البصرة حتى مات بها سنة خمس أو احدى وخمسين (عن أمه أم عثمان الثقفية) الصحابية (واسمها فاطمة بنت عبد الله) ذكرها أبو عمر وغيره فى الصحابة أنها (قالت لما حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت البيت) الذى ولد فيه (حين وقع) أى نزل من بطن أمه (قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنو) تقرب منى (حتى ظننت أنها ستقع على رواه البيهقى) والطبرى وابن عبد البر قال فى الفتح وشاهده حديث العرباض فذكره وتبعه المصنف فقال (وأخرج أحمد) بن محمد بن حنبل الامام المشهور (والبزار والطبرانى والحاكم والبيهقى عن العرباض) بكسر العين (ابن سارية) السلمى رضى الله عنه (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عند الله) بالنون مكتوب (لخاتم النبيين) باللام ويقع محرفا فى بعض نسخ انى عبد الله وخاتم النبيين بباء وواو وهو تحريف لاشك فيه فقد قدم المصنف نفسه الحديث فى أول الكتاب على الصواب وكذا الشامى وليس القصد الاخبار فى هذا الحديث بانه عبد الله بل بانه مكتوب عنده خاتم النبيين (و) الحال (ان آدم لمنجدل) أى مطروح على الارض (فى طينته) خبر ثان لان لا متعلق بمنجدل كما مر (وسأخبركم عن ذلك انى دعوة أبى ابراهيم) هى قوله ربنا وابعث فيهم رسولا منهم (و بشارة) قال فى النور بكسر الموحدة وضمها الاسم (عيسى) هى قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (ورؤيا أمى التى رأت) رؤية عين بصرية قال مغلطاى وذكر ابن حبان أن ذلك كان فى المنام وفيه نظر (وكذلك أمهات النبيين) جمع نبى (يرين) ذلك الذى رأته أمه صلى الله عليه وسلم فهو من خصائصه على الامم لا على الانبياء كما نصوا عليه وفى نسخة وكذلك أمهات الانبياء وفى بعض النسخ من المصنف ومن الشامية وكذلك أمهات المؤمنين وهو تحريف لاشك فيه ولاريب فالحديث فى الجامع الكبير والخصائص وغيرهما من الدواوين أمهات النبيين وذكر ما رأته أمه بقوله (وان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم رأت حين وضعته نورا أضاءت له قصور الشام) أى أضاء النور وانتشر حتى رأت قصور الشام وأضاءت تلك القصور من ذلك النور (قال الحافظ) أبو الفضل (ابن حجر صححه) أى الحديث (ابن حبان) بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة المشددة الامام الحافظ أبو حاتم محمد بن حبان التميمى البستى بضم الموحدة وسكون السين المهملة نسبة الى بست بلد كبير من بلاد الغور بطرف خراسان كما فى التبصير العلامة صاحب التصانيف قال الحاكم كان من أوعية العلم (والحاكم) أبو عبد الله الحافظ زاد فى الفتح وفى حديث أبى امامة عند أحمد نحوه وأخرج ابن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه وقال فيه أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام (وأخرج أبو نعيم عن عطاء بن يسار) ضد يمين الهلالى الثقة كثير الحديث القاص مولى ميمونة عن مولاته وأبى ذر وزيد بن ثابت وأبى واقد وعنه زيد بن أسلم وشريك بن أبى نمر وخلق قال فى الكاشف كان من كبار التابعين وعلمائهم وخالف ذلك فى طبقات الحفاظ فعده فى أواسط التابعين مات سنة أربع ومائة وقيل سنة أربع وتسعين وقيل تسع وتسعين عن أربع وثمانين سنة قيل بالاسكندرية (عن أم سلمة) هند بنت أبى أمية أم المؤمنين ستأتى فى الزوجات (عن آمنة) والدته صلى الله عليه وسلم (قالت لقد رأيت) رؤية عين بصرية (ليلة وضعه) عليه السلام (نورا أضاءت له قصور الشام حتى رأيتها وأخرج)

وذات الحواشى والسعدية وفضة والبترا والخرنق * وكانت له ست قسى الزوراء والروحاء والصفراء والبيضاء والكتوم كسرت يوم أحد فأخذها قتادة بن النعمان والشداد وكانت له جعبة تدعى الكافور ومنطقة من أديم منشور فيها ثلاث حلق من فضة والابزيم من فضة والطرف من فضة وكذا قال بعضهم وقال شيخ الاسلام ابن تيمية لم يبلغنا أن النبى صلى الله عليه وسلم شد على وسطه منطقة وكان له ترس يقال له الزلوق وترس يقال له الفتق قيل وترس أهدى اليه فيه صورة تمثال فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال * وكانت له خمسة أرماح يقال لاحدهم المثوى والآخر المثنى وحربة يقال لها النبعة وأخرى كبيرة تدعى البيضاء وأخرى صغيرة شبه العكاز يقال لها العنزة يمشى بها بين يديه فى الاعياد تركز امامه فيتخذها سترة يصلى اليها وكان يمشى بها أحيانا وكان له مغفر من حديد يقال له الموشح وشح بشبه ومغفر آخر يقال له المسبوغ أو ذو المسبوغ

أبو نعيم (أيضا) وكذا ابن سعد (عن بريدة) تصغير بردة ابن الحصيب بحاء وصاد مهملتين فتحتية فوحدة مصغر قال الغسانى وصحف من قاله بخاء معجمة الصحابى الاسلمى شهد خيبر وروى عنه ابناه والشعبى وعدة توفى سنة اثنتين وستين (عن مرضعته فى بنى سعد) هى أم أمه مبهمة غير حليمة المشهورة قاله الشامى (أن آمنة قالت رأيت) رؤيا نوم (كأنه خرج من فرجى شهاب) ككتاب شعلة من نار ساطعة كما فى القاموس (أضاءت له الارض حتى رأيت قصور الشام) فأول بولد يخرج منها تنور به الدنيا ويحرق أعاديه قال فى شرح الخصائص بعد ما قرر أن الرؤية الواقعة فى الاحاديث الاول بصرية مالقظة وأما الرؤية الواقعة فى رواية ابن سعد يعنى هذه فرؤيا منام لانها حين حملت به كانت طرفا للنور المنتقل اليها من أبيه وقد خلط من جعل كلا منهما فى النوم وجعل كلا منهما فى اليقظة انتهى (وعن همام بن يحيى) بن دينار العوذى الحافظ البصرى قال أبو حاتم ثقة صدوق فى حفظه شئ مات سنة ثلاث وستين ومائة (عن اسحق بن عبد الله) بن أبى طلحة الانصارى أو هو ابن الحرث بن نوفل الهاشمى أو غيرهما (ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت لما ولدته خرج من فرجى نور أضاءله قصور الشام فولدته نظيفا ما به قذر) صفة موضحة للمبالغة فى نظافته اذ القذر ضد النظافة (رواه ابن سعد) محمد قال ابن اسحق فلما وضعته أمه أرسلت الى جده انه ولد لك غلام فائته فانظر اليه فاتاه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت وما قيل لها وما أمرت أن تسميه فيزعمون ان جده أخذه فدخل به الكعبة وقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به فدفعه الى أمه وذكر ابن دريد أنه ألقيت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه (والى هذا) الواقع ليلة الميلاد من اضاءة القصور وامتلاء البيت بالنور (أشار العباس بن عبد المطلب) عمه صلى الله عليه وسلم على الصحيح وقيل حسان بن ثابت ذكره ابن عساكر فى حديث ضعيف جدا ووهم من زعم أنه العباس بن مرداس الاسلمى كما أشار له المصنف (فى شعره) الذى سيذكره المصنف كله فى غزوة تبوك (حيث قال) يخاطبه صلى الله عليه وسلم (وأنت لما ولدت) ويروى وأنت لما ظهرت (أشرقت الارض) من اشراق نورك (وضاءت بنورك الافق) بضم الفاء وسكونها الناحية جمعه آفاق مذكر أنثه العباس على تأويله بالناحية فاعتبر معناه دون لفظه ولا يبعد أنه جمع فيكون المفرد والجمع كالفلك وأن يكون مضموم الفاء جمعا لساكنها وكل هذا احتمال كذا قال أبو شامة وفيه أن اللغة لا تثبت بالاحتمال فتعين الاول (فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق) والبيتان من المدرج عند العروضيين أى الذى أدرج عجزه فى الكلمة التى فيها آخر الصدر فلم ينفرد أحدهما من الآخر بكلمة تخصه ويمتاز بها (قال) الحافظ عبد الرحمن بن رجب (فى اللطائف) أى فى كتاب لطائف المعارف فهو من التصرف فى العلم والراجح جوازه (وخروج هذا النور الحسى المدرك بالبصر حال كونه (عند وضعه اشارة الى ما يجىء به من النور) أى الاحكام والمعارف سميت نورا مجازا للاهتداء بها كالنور الحسى (الذى اهتدى به أهل الارض) حقيقة كالمؤمنين أو حكما بمعنى أنهم عرفوا الحق وامتنعوا منه عنادا كما قال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والجاهلون منهم تابعون لكبرائهم المعاندين أو نزول المشركين منزلة العدم (وزال به ظلمة الشرك) جهلا لانه لان الجهل يطلق عليه الظلمة مجازا لان الجاهل متحير فى أمره لا يعلم ما يذهب اليه كما أن الماشى فى ظلمة متحير لا يهتدى لما بين يديه وخص الشرك لشدة قبحه أو لغلبته بمكة حين البعث أو أراد به الكفر لانه اذا أفرد أريد به مطلق الكفر واذا جمع أريد به عبادة الاوثان نحو لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فهما كالفقير والمسكين (كما قال تعالى) اخبارا عما جاء به من الاحكام حيث جعله نورا (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) قال البيضاوى يعنى القرآن فانه الكاشف لظلمات الشك

وكان له ثلاث جبات يلبسها فى الحرب قيل فيها جبة سندس أخضر والمعروف ان عروة بن الزبير كان له يلمق من ديباج بطانته سندس أخضر يلبسه فى الحرب والامام أحمد فى احدى روايتيه يجوز لبس الحرير فى الحرب وكانت له راية سوداء يقال لها العقاب وفى سنن أبى داود عن رجل من الصحابة قال رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء وكانت له ألوية بيضاء وربما جعل فيها الاسود وكان له فسطاط يسمى الكن ومحجن قدر ذراع أو أطول يمشى به ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره ومخصرة تسمى العرجون وقضيب من الشوحط يسمى الممشوق قيل وهو الذى كان تداوله الخلفاء وكان له قدح يسمى الريان ويسمى مغنيا وقدح آخر مضبب بسلسلة من فضة وكان له قدح من قوارير وقدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه بالليل وركوة تسمى الصادر قيل وتور من حجارة يتوضأ منه ومخضب من شبه وقعب يسمى السعة ومغتسل من صفر ومدهن وربعة

والضلال والكتاب أوأصح الاعجاز وقيل يريد بالنور محمدا صلى الله عليه وسلم انتهى فما ذكره بناء على الاول والصحيح الثاني كما قال المصنف كغيره (يهدى به) بالكتاب (الله من اتبع رضوانه) ان آمن به (سبل السلام) طريق السلامة (ويخرجهم من الظلمات) الكفر (الى النور) الايمان (باذنه) ارادته (الآية) أتلها (وأما اضاءة قصور بصرى) بضم الموحدة وسكون الصاد المهملة وراء فالف مقصور بلد بالشام من أعمال دمشق وهي حوران قاله السيوطى وفي الفتح مدينة بين المدينة ودمشق وقيل هي حوران (بالنور الذى خرج معه) فيما رواه ابن اسحق عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما مر ورواه ابن سعد عن أبي العجفاء مرفوعا رأت أمي حين وضعتني سطع منها نور أضاءله قصور بصرى (فهو اشارة الى ما خص الشام من نور نبوته) وفي تخصيص بصرى لطيفة هي أنها أول موضع من بلاد الشام دخله ذلك النور المحمدى ولذا كانت أول ما فتح من الشام قاله في المسكة الفائحة وقال غيره اشارة الى أنه ينور البصائر ويحيى القلوب الميتة (وأنها دار ملكه كما ذكر كعب) بن ماتع المعروف بكعب الاحبار (ان في الكتب السالفة) ثابت من جملة ما يميزه عن غيره ويحقق نبوته لفظ (محمد رسول الله مولده) يكون (بمكة ومهاجره) أي هجرته (بيثرب) المدينة المعنى الى وفي نسخة حذف الباء أي مكان هجرته هو يثرب لانه اسم مكان من هاجر بزنة اسم المفعول من المزيد يشترك فيه اسم المفعول والمصدر الميمى واسم الزمان والمكان وهو المناسب هنا (وملكه بالشام) وروى البيهقي في الدلائل عن أبي هريرة رفعه الخلافة بالمدينة والملك بالشام (فمن مكة بدت) ظهرت (نبوة نبينا عليه الصلاة والسلام والى الشام انتهى ملكه) أي أولا قاله النجم وغيره زاد شيخنا أوانه صار مقرا له لانه كان محلا للخلفاء والاول أولى لانه لم يكن محل الملوك الا في مدة بني أمية ثم انتقل في البلدان بحسب الملوك (ولهذا أسرى) به (صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس) وقيل غير ذلك في حكمة الاسراء كما تقرر (كما هاجر قبله ابراهيم عليه السلام) من حران بتشديد الراء آخره نون (الى الشام) الى بيت المقدس منها في تاريخ ابن كثير ولما كان عمره تارح خمسا وسبعين سنة ولد ابراهيم بارض بابل على الصحيح المشهور وعند أهل السير ثم هاجر ابراهيم الى حران ومات بها أبوه ثم الى بيت المقدس واستقر بها (وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وهي أرض المحشر) بكسر الشين وتفتح موضع الحشر كما في القاموس وغيره وسوى بينهما في العين قال شيخنا والقياس الفتح لان فعله كنصر وضرب (والمنشر) بالفتح اسم مكان من نشر الميت فهو ناشر اذا عاش بعد الموت والمراد هنا خروج الموتى من قبورهم وانتشارهم الى الشام أي انها التي يساق اليها الموتى ويجتمعون بها (وأخرج أحمد) بن محمد بن حنبل الامام المشهور قال ابن راهويه هو حجة بين الله وبين عباده في أرضه (وأبو داود) سليمان بن الاشعث بن شداد بن عمرو الازدى السجستاني الحافظ الكبير والعلم الشهير روى عن أحمد والقعنبي وابن المديني ونظرائهم وعنه الترمذى وخلق قال الحربي ألين لابي داود الحديث كما ألين لداود الحديد وقال ابن حبان أبو داود أحد أئمة الدنيا فقها وحفظا وعلما واتقانا ونسكا وورعا جمع وصنف وذب عن السنن وقال ابن داسه سمعته يقول كتبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسمائة ألف حديث انتخبت منها ما تضمنه هذا الكتاب يعني السنن ولد سنة اثنتين ومائتين وتوفي لاربع عشرة بقيت من شوال سنة خمس وسبعين ومائتين بالبصرة وقيل غير ذلك (وابن حبان) الحافظ العلامة أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي البستي قيل كتب عن أكثر من ألفي شيخ منهم النسائي وأبو يعلى والحسن بن سفيان قال تلميذه الحاكم كان من أوعية العلم في الفقه والحديث واللغة والوعظ ومن عقلاء الرجال وكانت اليه الرحلة زاد غيره وكان عالما بالطب والنجوم وفنون العلم وقال الخطيب

يجعل فيها المرآة والمشط قيل وكان المشط من عاج وهو الذبل ٧ ومكحلة يكتحل منها عند النوم ثلاثا في كل عين بالاثمد وكان في الربعة المقراضان والسواك وكانت له قصعة تسمى الغراء لها أربع حلق يحملها أربعة رجال بينهم وصاع ومد وقطيفة وسرير قوائمه من ساج أهداه له أسعد بن زرارة وفراش من أدم حشوه ليف وهذه الجملة قد رويت متفرقة في أحاديث وقد روى الطبراني في معجمه حديثا جامعا في الآنية من حديث ابن عباس قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سيف قائمته من فضة وقبيعته من فضة وكان يسمى ذا الفقار وكانت له قوس يسمى السداد وكانت له كنانة تسمى الجمع وكانت له درع موشحة بالنحاس يسمى ذات الفصول وكانت له حربة تسمى النبعاء وكان له محجن يسمى الدقن وكان له ترس أبيض يسمى الموجز وكان له فرس أدهم يسمى السكب وكان له سرج يسمى الداج وكانت له بغلة شهباء تسمى دلدل وكانت له ناقة

كان ثقة نبيلا فهما مات في شوال سنة أربع وخمسين وثلثمائة وهو في عشر الثمانين (والحاكم) أبو عبد الله الحافظ مر بعض ترجمته دخل الحمام بنيسابور ثم خرج فقال آه وقبض وهو متزر لم يلبس قميصه في صفر سنة خمس وأربعمائة (في صحيحيهما) أي صحيح ابن حبان وصحيح الحاكم المستدرك كلهم عن عبد الله بن حوالة الصحابي (عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالشام) أي الزموا سكناها (فانها خيرة الله من أرضه) على معنى من خيرته أو من حيث الخصب ونمو البركات فيطلب سكناها قيل مطلقا لكونها أرض المحشر والمنشر وهو ظاهر سوق المصنف هنا لهذا الحديث وقيل المراد آخر الزمان عند اختلال أمر الدين وغلبة الفساد لان جيوش الاسلام تنزوي اليها وفي حديث وائلة عند الطبراني فانها صفوة بلاد الله (يجتبي) يفتعل من جبوت الشيء وجبيته جمعته أي يجمع (اليها خيرته من عباده) فهي أفضل البلاد بعد الحرمين ومسجد القدس يلي الحرمين في الفضل حتى المساجد المنسوبة له صلى الله عليه وسلم (انتهى) كلام اللطائف (ملخصا) حال (وأخرج أبو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف) بن عبد مناف بن عبد الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري أحد العشرة ذي الهجرتين البدري الذي صلى خلفه المصطفى المتصدق بأربعين ألف دينار الحامل على خمسمائة فرس في سبيل الله وخمسمائة راحلة أخرجه ابن المبارك عن معمر عن الزهري وفي الحلية لابي نعيم انه أعتق ثلاثين ألف نسمة المتوفى سنة اثنتين وثلاثين على الاشهر وله ثنتان وسبعون سنة على الاثبت مناقبه جمة رضي الله عنه (عن أمه الشفا) بنت عوف بن عبد الحرث بن زهرة وهي بنت عم أبيه قاله ابن الاثير أي عم أبي ابنها عبد الرحمن أسلمت وهاجرت قال ابن سعد ماتت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم فقال عبد الرحمن يا رسول الله أعتق عن أمي قال نعم فأعتق عنها وهي بكسر الشين المعجمة وتخفيف الفاء والقصر كما صرح به البرهان في المقتفى والحافظ في التبصير وقال ابن الاثير في الجامع بالتخفيف والمد وقال الدلجي بفتح المعجمة وشد الفاء ومد وجرى عليه البوصيري في قوله وشفتنا بقولها الشفاء (قالت لما ولدت آمنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقع على يدي) لا تعارضه الرواية السابقة ثم وقع على الارض لجواز أن ذلك بعد هذا بقرينة ثم (فاستهل) أي صاح وزعم الدلجي أن المراد عطس لا صاح بشهادة جواب لما وهو (فسمعت قائلا) أي ملكا (يقول رحمك الله) ونحا نحوه الجوجري وهو مردود بقول الحافظ السيوطي في فتاويه لم أقف في شيء من الاحاديث على أنه صلى الله عليه وسلم لما ولد عطس بعد مراجعة أحاديث المولد من مظانها كطبقات ابن سعد والدلائل للبيهقي ولابي نعيم وتاريخ ابن عساكر على بسطه واستيعابه والمستدرك للحاكم وانما الحديث الذي روته الشفاء فيه لفظ يشبه التشميت لكن لم يصرح فيه بالعطاس والمعروف في اللغة أن الاستهلال صياح المولود أول ما يولد فان أريد به هنا العطاس فمحتمل وحمل القائل على الملك ظاهر انتهى فلا دلالة في رحمك الله على أنه عطس كما زعم الدلجي لانه يشبه التشميت ولا يلزم انه تشميت بالفعل حتى يخرج به اللفظ عن مدلوله اللغوي لشيء محتمل فتبين أن قوله رحمك الله ليس تشميتا بل تعظيما بقرينة فاستهل لانه صياح المولود كما علم (قالت الشفاء وأضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت الى) بلاد (بعض قصور الروم قالت ثم ألبسته) بموحدة فسين مهملة أي ألبست النبي صلى الله عليه وسلم ثيابه هكذا في نسخ ولم يقف عليها الشارح فابعد النجعة وفي نسخ ثم ألبنته بنون بعد الباء أي سقيته اللبن لكنهم عدوا مرضعاته عشرا وما ذكره هامع أنها كانت أولى بالذكر لانها أول من دخل جوفه لبنها ويمكن صحتها بأن معناها سقيته ابن أمه بمعنى قربته الى ثديها ليشرب منه ويناسب الاولى أيضا قولها (وأضجعته فلم أنشب) أي ألبث الا قليلا (أن غشيتني ظلمة) والمعنى انها رأت هذا عقب ذلك وتجوزت بأنشب عن ألبث لان من لبث في مكان فقد

تسمى القصواء وكان له حمار يسمى يعفور وكان له بساط يسمى الكرد وكانت له عنزة تسمى القمر وكانت له ركوة تسمى الصادر وكان له مقراض اسمه الجامع ومرآة وقضيب شوحط يسمى الموت

(فصل في دوابه صلى الله عليه وسلم)

فمن الخيل السكب قيل وهو أول فرس ملكه وكان اسمه عند الاعرابي الذي اشتراه منه بعشر أواقي الضرس وكان أغر محجلا طلق اليمين كميتا وقيل كان أدهم والمرتجز وكان أشهب وهو الذي شهد فيه خزيمة ابن ثابت واللحيف واللزاز والظرب وسبحة والورد فهذه سبعة متفق عليها جمعها الامام أبو عبد الله محمد بن اسحق ابن جماعة الشافعي في بيت فقال

والخيل سكب لحيف سبحة ظرب
لزاز مرتجز ورد لها أسرار

أخبرني بذلك عنه ولده الامام عز الدين عبد العزيز أبو عمر وأعزه الله بطاعته وقيل كانت له أفراس أخر خمسة عشر ولكن مختلف فيها وكان دفتاسم جمعه من ليغ

اتصل به فكأنه أدخل نفسه فيه (ورعب) خوف (وقشعريرة) بضم القاف وفتح الشين (ثم غيب عني فسمعت قائلا) أي ملكا (يقول أين ذهبت به قال الى المشرق) وحذف من خبر أبي نعيم ما لفظه وقشعريرة عن يميني فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المغرب وأسفر عني ذلك أي انكشف ثم عاودني الرعب والقشعريرة عن يساري فسمعت قائلا يقول أين ذهبت به قال الى المشرق (قالت فلم يزل الحديث مني على بال حتى) أي الى أن (بعثه الله فكنت في أول الناس اسلاما) أي في جملة السابقين اليه ثم لا ينافي وجود الشفاء وفاطمة الثقفية عند الولادة قول آمنة المار واني لوحيدة في المنزل لجواز وجودهما عندها بعد وتأخر خروجه عليه السلام عن القول المذكور حتى نزل على يدي الشفاء لقولهم وقع على يدي جمعا بين الخبرين (ومن عجائب ولادته عليه السلام ما أخرجه البيهقي وأبو نعيم عن حسان ابن ثابت بن المنذر بن عمرو بن حرام الانصاري شاعر المصطفى المؤيد بروح القدس سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى في شعرائه عليه السلام وجوز الجوهري فيه الصرف وعدمه بناء على أنه من الحس أو الحسن قال ابن مالك والمسموع فيه منع الصرف نقله السيوطي في حواشي المغني (قال اني لغلام ابن سبع سنين أو ثمان) سنين على التقريب فقد ذكروا أنه عاش مائة وعشرين سنة كأبيه وجده وأبي جده ومات سنة أربع وخمسين (أعقل ما رأيت وسمعت اذا يهودي يصرخ) بالمدينة ففي رواية ابن اسحق يصرخ على أطمة يثرب (ذات غداة) أي في ساعة ذات غداة (يا معشر يهود) بمنع الصرف للعلمية ووزن الفعل كما في المصباح وفي نسخة اليهود أقبلوا (فاجتمعوا اليه وأنا أسمع) أي أقصد سماع ما يتكلمون به (قالوا يا ويلك) كلمة عذاب صرفهم الله عن كلمة الترحم (ما) اسم استفهام مبتدأ خبره (لك) أي أي شيء عرض لك استنكروا صراخه (قال طلع نجم أحمد الذي ولد به) عنده أو سببية لاعتقاد اليهودي تأثير النجم (في هذه الليلة) والغرض من سوقه كالذي بعده أن البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم جاءت من كل طريق وعلى لسان كل فريق من كاهن أو منجم محق أو مبطل انسي أو جني (و) من عجائب ولادته أيضا ما ورد (عن عائشة قالت كان يهودي قد سكن مكة) زاد في رواية الحاكم يتجر فيها وهو غير اليهودي الذي أخبر عنه حسان بلا ريب لان حسان كان بالمدينة فلا تغفل (فلما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اليهودي ومعلوم انها اما أدركته فهو مما روته عن غيرها ومعلوم أنها انما تروي عن الثقات فيحتمل انها سمعته من الشفاء أو أم عثمان أو غيرهما (يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا) أي فتشوا وتأملوا يقال نظرت في الامر تدبرت أي انظروا في أهاليكم ونسائكم فانه ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة) زاد الحاكم الاخيرة (بين كتفيه علامة) زاد الحاكم فيها شعرات متواترات كأنهن عرف الفرس وأسقط المصنف من رواية يعقوب هذه ما لفظه لا يرضع ليلتين لان عفريتا من الجن وضع يده على فمه هكذا ساقه في الفتح متصلا بقوله (فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام فذهب اليهودي معهم) ليستكشفوا الخبر ويتحققوه بالعلامة (الى امه) زاد الحاكم فقالوا أخرجي المولود ابنك (فاخرجته لهم) زاد الحاكم وكشفوا عن ظهره أي ورأوا العلامة (فلما رأى اليهودي العلامة خر مغشيا عليه وقال) وفي رواية الحاكم فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال (ذهبت النبوة من بني اسرائيل) قال ذلك لما هو عندهم في الكتب انه خاتم النبيين (أما) بتخفيف الميم كلمة يفتتح بها الكلام وتدل على تحقق ما بعدها وهي من مقدمات اليمين كقوله

* أما والذي لا يعلم الغيب غيره * وقوله هنا (والله ليسطون بكم سطوة) أي ليقهرنكم يبطشه بكم (يخرج خبرها من المشرق والمغرب) أي ينشر في جميع الارض حتى يتكلم به أهل المشرق والمغرب (رواه يعقوب بن سفيان) الفارسي الثقة المتقن الخير الصالح الحافظ أبو يوسف الفسوي بفاء وسين مهملة

مفتوحتين

وكان له من البغال دلدل وكانت شهباء أهداها له المقوقس وبغلة أخرى يقال لها فضة أهداها له فروة الجذامي وبغلة شهباء أهداها له صاحب ايلة وأخرى أهداها له صاحب دومة الجندل وقد قيل أن النجاشي أهدى له بغلة فكان يركبها ومن الحمير عفير وكان أشهب أهداه له المقوقس ملك القبط وحمار آخر أهداه له فروة الجذامي وذكر أن سعد ابن عبادة أعطى النبي صلى الله عليه وسلم حمارا فركبه ومن الابل القصوى قيل وهي التي هاجر عليها والعضباء والجدعاء ولم يكن بهما عضب ولا جدع وانما سميت بذلك وقيل كان باذنها عضب فسميت به وهل العضباء والجدعاء واحدة أو ثنتان فيه خلاف والعضباء هي التي كانت لا تسبق ثم جاء اعرابي على قعود فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله أن لا يرفع من الدنيا شيأ الا وضعه وغنم صلى الله عليه وسلم يوم بدر جملا مهريا لابي جهل في أنفه برة من فضة فاهداه يوم الحديبية ليغيظ به

مفتوحة بين نوا وسنة إلى فسا من بلاد فارس عن القعنبي وسليمان بن حرب وأبي عاصم وأبي نعيم والفضل وغيرهم وعنه الترمذي والنسائي وعبد الله بن درستويه وخلق قال ابن حبان ثقة والنسائي لا بأس به مات سنة سبع وسبعين ومائتين وقيل بعدها (بإسناد حسن كما قاله في فتح الباري) بشرح البخاري ورواه الحاكم أيضا عن عائشة كما سيذكره المصنف وقد بينا ألفاظه لزائدة (ومن عجائب ولادته ما روي من ارتجاس) بالسين وهو الصوت الشديد من الرعد ومن هدير البعير كما ضبطه البرهان وهو مأخوذ من كلام الجوهري والمجد في باب السين والمهملة وفي نسخ ارتجاج بجيم آخره وفي القاموس الرج التحريك والتحرك والاهتزاز فإن صحت تلك النسخ فكأنه لما صوت تحرك واهتز إذ المراد هنا تصويت (إيوان) كديوان ويقال اوان بوزن كتاب بناء أزج غير مسدود الوجه والأزج بفتح الهمزة والزاي وبالجيم بيت يبنى طولا (كسرى) بفتح الكاف وكسرها اسم ملك الفرس حتى سمع صوته وانشق لا لخلل في بنائه فقد كان بناؤه بالمدائن من العراق محكما مبنيا بالآجر الكبار والجص سمكه مائة ذراع في طول مثلها وقد أراد الخليفة الرشيد هدمه لما بلغه أن تحته مالا عظيما فعجز عن هدمه وإنما أراد الله أن يكون ذلك آية باقية على وجه الدهر لنبيه صلى الله عليه وسلم ومن ثم أفزع ذلك كسرى ودعا بالكهنة (وسقوط أربع عشرة) هكذا في نسخ وهو الصواب وفي نسخة أربعة عشر وهو تحريف لأن لفظ العدد من ثلاثة إلى عشرة يؤنث مع المذكر ويذكر مع المؤنث ولفظ العشر يجري على القياس والمعدود هنا مؤنث (شرفة) بضم الشين وسكون الراء (من شرفاته) بضم الراء وفتحها وسكونها جمع قلة لشرفه جمع سلامة قال الشامي أما لتحقير الهاء أو أن جمع القلة قد يقع موقع جمع الكثرة وفي الصحاح وشرفة وشرف كغرفة وغرف قال الخميس وكانت اثنتين وعشرين (وغيض) بعين وضاد معجمتين أي نقص (بحيرة طبرية) مصغر بحرة ممنوعة من الصرف للعلمية والتأنيث قال في ترتيب المطالع هي بالشام لزمتها الهاء وإنما هي تصغير بحرة لا بحر لأن تصغيره بحير وهي بحيرة عظيمة تخرج منها نهر بينها وبين الصخرة ثمانية عشر ميلا قال البكري طولها عشرة أميال وعرضها ستة أميال انتهى لكن المعروف بالغيض إنما هي بحيرة ساوة بسين مهملة وبعد الألف واو مفتوحة فهاء ساكنة من قرى بلاد فارس كانت بحيرة كبيرة بين همذان وقم قال الخميس وكانت أكثر من ستة فراسخ في الطول والعرض وكانت تركب فيها السفن ويسافر إلى ما حولها من البلدان انتهى فأما بحيرة طبرية فباقية إلى اليوم وغيضها علامة لخروج الدجال تيبس حتى لا يبقى فيها قطرة وأجيب بأن غيض كليهما ثابت في الأحاديث التي نقلها السيوطي وغيره غاية الأمر أن بحيرة ساوة نشف ماؤها بالكلية فأصبحت يابسة كأن لم يكن بها شيء من ماء حتى بنيت موضعها مدينة ساوة الباقية إلى اليوم وبحيرة طبرية نقصت وعلى هذا فنفي غيضها أراد أنه ما نشف بالكلية كساوة ومن أثبته أراد أنها نقصت نقصا لا ينقص مثله في زمان طويل أو أن ماءها غار ثم عاد لما فيها من العيون النابعة التي تمدها الأمطار وهو جمع حسن إلا أن المذكور في رواية من عزاه المؤلف ساوة كما في الشامية فتم الاعتراض على المصنف ووقع لبعض المتأخرين وغاضت بحيرة ساوة وتسمى بحيرة طبرية وكأن مراده الجمع أن تسمى في بعض الأحاديث بحيرة طبرية فهي واحدة فلا يعترض عليه بأن ساوة بفارس وطبرية بالشام (وخمود) مصدر خمد كنصر وسمع خمدا وخمودا كما في النور (نار فارس) التي كانوا يعبدونها (وكان لها ألف عام لم تخمد) بضم الميم وفتحها (كما رواه البيهقي وأبو نعيم والخرائطي في الهواتف وابن عساكر وابن جرير) في تاريخه كلهم من حديث مخزوم بن هانئ عن أبيه وأتت عليه مائة وخمسون سنة قال لما كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتجس إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة وخمدت نار فارس

المشركين وكانت له خمسة وأربعون لقحة وكانت له مهرية أرسل بها إليه سعد بن عبادة من نعم بني عقيل وكانت له مائة شاة وكان لا يريد أن تزيد كلما ولد له الراعي بهمة ذبح مكانها شاة وكانت له سبع أعنز منائح ترعاهن أم أيمن

(فصل في ملابسه)

كانت له عمامة تسمى السحاب كساها عليا وكان يلبسها ويلبس تحتها القلنسوة وكان يلبس القلنسوة بغير عمامة ويلبس العمامة بغير قلنسوة وكان إذا اعتم أرخى عمامته بين كتفيه كما رواه مسلم في صحيحه عن عمرو بن حريث قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وعليه عمامة سوداء قد أرخى طرفيها بين كتفيه وفي مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مكة وعليه عمامة سوداء ولم يذكر في حديث جابر ذؤابة فدل على أن الذؤابة لم يكن يرخيها دائما بين كتفيه وقد يقال إنه دخل مكة وعليه أهبة القتال والمغفر على رأسه فلبس في كل موطن ما يناسبه وكان شيخنا أبو العباس ابن تيمية

ولم تخمد قبل ذلك بألف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى الموبذان فذكر الحديث بطوله (وفي سقوط الاربع عشرة شرافة اشارة الى انه يملك منهم) من الفرس (ملوك وملكات) هذا على أن الجمع ما فوق الواحد فانه ما ملك منهم سوى امرأتين بوران وآزدميدخت كما قاله السيد بن حبيب في جهينة الاخبار (بعدد الشرفات وقد ملك منهم عشرة في أربع سنين) وأسماؤهم مذكورة في التواريخ ولا حاجة لنا بذكرهم (ذكره) محمد بن محمد (بن ظفر) بفتح الظاء المعجمة والفاء بعدها راء الصقلي المولود بها أحد الادباء الفضلاء صاحب التصانيف المليحة من أهل القرن السادس ذكر ما نقله عنه المصنف في كتاب البشر قائلا وملك الباقون الى أواخر خلافة عمر هكذا رأيته فيه في آخر حديث سطيح وكأنه لم يقع للمصنف فيه فقال (زاد ابن سيد الناس) الامام العلامة الحافظ الناقد أبو الفتح محمد بن محمد بن أحمد اليعمري الاندلسي الاصل المصري ولد في ذي القعدة سنة احدى وسبعين وستمائة ولازم ابن دقيق العيد وتخرج به وسمع من خلائق يقاربون الالف وأخذ العربية عن البهاء بن النحاس كان أحد اعلام الحفاظ أديبا شاعرا بليغا صحيح العقيدة حسن التصنيف ولي درس الحديث بالظاهرية وغيرها وألف السيرة الكبرى والصغرى وشرح الترمذي ولم يكمله فأتمه أبو الفضل العراقي مات في شعبان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة (وملك الباقون الى خلافة عثمان) ذي النورين المختص بأنه لم يتزوج أحد بنتي نبي غيره ومناقبه جمة (رضي الله عنه) وآخر ملوكهم يزدجرد هلك في سنة احدى وثلاثين كذا في تاريخ حماة وفي كلام السهيلي أنه قتل في أول خلافة عثمان قاله في النور فعلى الثاني لا مخالفة بين كلام ابن ظفر وابن سيد الناس لان آخر خلافة عمر قريب من أول خلافة عثمان أما على الاول فبينهما خلف كبير والله أعلم (ومن ذلك) أي عجائب ولادته (أيضا ما وقع من زيادة حراسة السماء بالشهب) بسبب رميهم بها وقد اختلف في أن المرجوم يتأذى فيرجع أو يحرق به لكن قد تصيب الصاعد مرة وقد لا تصيب كالموج لراكب السفينة ولذلك لا يرتدعون عنه رأسا ولا يرد أنهم من النار فلا يحترقون لانهم ليسوا من النار الصرفة كما أن الانسان ليس من التراب الخالص مع أن النار القوية اذا استولت على الضعيفة أهلكتها قاله البيضاوي وأشعر قوله زيادة بأنها حرست قبل ولادته وقد جاء عن ابن عباس أن الجن كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات كلها نقله المصنف في المعجزات وروى الزبير بن بكار في حديث طويل ان ابليس كان يخترق السموات ويصل الى أربع فلما ولد صلى الله عليه وسلم حجب من السبع ورميت الشياطين بالنجوم (وقطع رصد الشياطين) بسكون الصاد وفتحها مصدر رصد كنصر أي ترقبهم (ومنعهم من استراق السمع) أي استراقهم لاستماع ما تقول الملائكة فيخبرون به غيرهم فيقع وقضيته منعهم منه رأسا بحيث لم يقع ذلك من أحد منهم لكن قال السهيلي انه بقي من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الندور في بعض الازمنة وفي بعض البلاد ونحوه قول البيضاوي لعل المراد كثرة وقوعه أو مصيره دحورا (ولقد أحسن) أبو محمد عبد الله بن أبي زكريا يحيي بن علي (الشقراطسي) نسبة الى شقراطسة ذكر لي انها بلدة من بلاد الجريدة بافريقية قال أبو شامة في شرحه لهذه القصيدة (حيث قال) يمدح النبي صلى الله عليه وسلم من جملة قصيدة كبيرة (ضاءت) أشرقت (لمولده) لاجل ولادته أو اللام للتوقيت كقولك جئت ليوم كذا أي فيه يريد ضاءت أيام مولده (الآفاق) جمع أفق بضم الفاء وسكونها وهي نواحي الارض وأطرافها وكذلك آفاق السماء وهي أطرافها التي يراها الرائي مع وجه الارض يعني بذلك ما ظهر معه عليه السلام من النور حين ولد (واتصلت * بها (بشرى) مصدر كالبشارة (الهواتف) جمع هاتف وهو الصائح أو اتصل الينا خبر

ذلك

قدس الله روحه في الجنة يذكر في سبب الذؤابة شيأ بديعا وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم انما اتخذها صبيحة المنام الذي رآه في المدينة لما رأى رب العزة تبارك وتعالى فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا أدري فوضع يده بين كتفي فعلمت ما بين السماء والارض الحديث وهو في الترمذي وسئل عنه البخاري فقال صحيح قال فمن تلك الحال أرخى الذؤابة بين كتفيه وهذا من العلم الذي ينكره ألسنة الجهال وقلوبهم ولم أر هذه الفائدة في اثبات الذؤابة لغيره ولبس القميص وكان أحب الثياب اليه وكان كمه الى الرسغ ولبس الجبة والفروج وهو شبه القباء والفرجية ولبس القباء أيضا ولبس في السفر جبة ضيقة الكمين ولبس الازار والرداء قال الواقدي كان رداؤه وبرده طول ستة أذرع في ثلاثة وشبر وازاره من نسج عمان طول أربعة أذرع وشبر في عرض ذراعين وشبر ولبس حلة حمراء والحلة ازار ورداء ولا تكون الحلة الا اسما للثوبين معا وغلط من ظن أنها

ذلك أو اتصل بعضها ببعض لكثرتها فما يبلغنا خبر إلا ويعقبه مثله أي كثرت وتواترت يعني بذلك ما
سمع من الجن وغيرهم من بعد ولادته إلى مبعثه من تبشيرهم به ونعيم الكفر وانذارهم بهلاكه
يهتفون بذلك في كل ناحية أي ينادون به وكثر ذلك قبيل المبعث (في الاشراق) أول النهار عند انتشار
ضوء الشمس (والطفل) وذلك اذا طفلت الشمس للغروب أي دنت منه وهو عبارة عن كثرة الازمان
التي وقع فيها ذلك لانه يعبر بذلك وما في معناه عن الدوام كقوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا
(وصرح) القصر وقيل البناء المتسع الذي لا يخفى على الناظر وان بعد (كسرى تداعى) تساقط كأن
بعضه دعا بعضا للوقوع (من قواعده *) أساسه ومن لابتداء الغاية مبالغة كأن الانهدام ابتدأ من
القواعد (وانقض) بصاد مهملة سقط من أصله وبمعجمة أسرع سقوطه (منكسر الارجاء) النواحي
(ذا ميل) بفتح الياء عما كان خلقة قال ابن سيده الميل في الحادث والميل في الخلقة والبناء وهو على الثاني
ظاهر أما الاول فلانه لما لم يكن بفعل فاعل ولا مسببا عن خلل بناء نزله منزلة الخلق الطبيعي (ونار
فارس) اسم علم كالفرس لطائفة من العجم كانوا مجوسا يعبدون النار وكان لبيوتها سدنة يتناوبون
ايقادها فلم يخمد لهب في ليل ولا نهار الى ليلة مولده عليه السلام فانهم حين أوقدوها (لم توقد) بضم
التاء وفتح القاف مبني للمفعول لكنه وان صح استعمالا الا أنه لم ينتف ايقادهم لها بل ايقادها في
نفسها مع تعاطيهم الايقاد فهذا موضع الآية العجيبة وأجيب بأنه لما لم تحصل فائدة ايقادهم لها كأنها
لم توقد لان خمودها من غير سبب يطفئها لا يكون الا لعدم الايقاد ويحتمل فتح التاء وكسر القاف من
وقدت النار هاجت لكنه أصل رفضته العرب فلم تستعمله الا أن ابن السراج ذكر ان أحسن ما استعمله
الشاعر لضرورة مارد فيه الكلام الى أصله فاللفظ ضعيف المخرج صحيح قوي المعنى (وما خمدت *)
بفتح الميم وكسرها (مذ ألف) بالرفع والجر بناء على أن منذ حرف جر أو اسم ملتزم حذف المضاف اليه معه
وتقديره مدة عدم الخمود ألف (عام) قبل تلك الليلة وذلك مدة عبادتهم النار ولا ينافيه أن مدة ملكهم
ثلاثة آلاف سنة ومائة وأربع وستون سنة لانهم لم يعبدوها أول ملكهم (ونهر القوم) يعني بحيرة ساوة
عبر عنها بنهر القوم أي الفرس لانها في أرضهم ومن جملة أرض عراق العجم الذي هو في ملك كسرى
(لم يسل) أي ماؤه لانه غاض أي غار وكأنه عنى بالسيلان تحركه واضطرابه والافناء البحيرة راكدغير
جار وكانت هذه الامور امارات لخمود دولتهم ونفاد ملكهم وظهور الحق عليهم (خرت) سقطت
(لمبعثه) لاجله (الاوثان) الاصنام على وجوهها (وانبعثت *) مطاوع بعثه (ثواقب) جمع ثاقب
وهي النجوم المتوقدة المضيئة (الشهب) بسكون الهاء للتخفيف جمع شهاب أي المصابيح التي أخبر
الله انه زين بها السماء وجعلها رجوما للشياطين والاضافة من باب سحق عمامة لقول الله شهاب ثاقب
والمصابيح النجوم جعلت راجمة للشياطين بالشهب لأن النجوم تنقض بأنفسها خلف الشياطين
ولذا قال (ترمي الجن بالشعل) أي المنفصلة منها ولم يجعلها رامية بأنفسها وقد قال الحليمي ليس في
كتاب الله أن الشياطين ترمى بالكواكب أو بالنجوم ثم أطال في تقرير أن الرمي انما هو بالشهب وهو
شعل النار وجعل المصابيح كناية عن الشعل لا عن النجوم قال أبو شامة وما جاء في الاحاديث وشعر
العرب القديم من التصريح بأن الرمي بالنجوم يمكن تأويله اما بانه على تقدير مضاف أو استعمل النجم
في الشهاب مجازا انتهى ولا ينافيه ما ذكره المصنف في الخصائص عن البغوي قيل ان النجم كان ينقض
ويرمي الشياطين ثم يعود الى مكانه انتهى لجواز أن صورة الشعلة النازلة رجعت الى مكانها التي جاءت
منه وهو النجم والله أعلم (وولد صلى الله عليه وسلم معذورا) هذا هو الواقع في حديث أبي هريرة وفسره
المصنف بقوله (أي مختونا) لان العذرة الختان يقال عذر الغلام يعذره بالكسر وأعذره بالالف لغة اذا

كانت حمراء بحتا لا يخالطها
غيرها وانما الحلة الحمراء
بردان يمانيان منسوجان
بخطوط حمر مع الأسود
كسائر البرود اليمنية
وهي معروفة بهذا الاسم
باعتبار ما فيها من الخطوط
الحمر والا فالاحمر البحت
منهي عنه أشد النهي
ففي صحيح البخاري أن
النبي صلى الله عليه وسلم
نهى عن المياثر الحمر وفي
سنن أبي داود عن عبد الله
ابن عمرو أن النبي صلى
الله عليه وسلم رأى عليه
ريطة مضرجة بالعصفر
فقال ماهذه الريطة التي
عليك فعرفت ما كره
فأتيت أهلي وهم يسجرون
تنورا لهم فقذفتها فيها ثم
أتيته من الغد فقال
ياعبد الله مافعلت الريطة
فأخبرته فقال هلا كسوتها
بعض أهلك فانه لا بأس
بها للنساء وفي صحيح مسلم
عنه أيضا قال رأى النبي
صلى الله عليه وسلم على
ثوبين معصفرين فقال
ان هذا من لباس الكفار
لا تلبسهما وفي صحيحه
أيضا عن علي رضي الله
عنه قال نهى النبي صلى
الله عليه وسلم عن
اللباس المعصفر ومعلوم
أن ذلك انما يصبغ صبغا
أحمر وفي بعض السنن
أنهم كانوا مع النبي صلى
الله عليه وسلم في سفر

ختنه كما في المصباح والنور وغيرهما وفيه حسن كما في (مسرورا) من التورية لانه من السرور أو من قطع السرة كما فسره بقوله (أى مقطوع السرة) الاولى حذف التاء اذ السر بالضم ما تقطعه القابلة من سرة الصبي كما في النهاية وغيرها الا أن يكون سمى السر سرة مجاز العلاقة المجاورة أو فيه حذف أى مقطوعا منه ما يتصل بالسرة (كما روى من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم) أى انه قال ذلك ورفعه اليه وأغرب زاعم ان هذا اخبار عن صفته من غيره (عند ابن عساكر) وابن عدى (وروى الطبرانى في الاوسط وأبو نعيم وابن عساكر من طرق) متعددة (عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كرامتى على ربى أنى ولدت مختونا) أى على صورة المختون اذ هو القطع ولا قطع هنا كما أنى (ولم ير أحد سوأتى) عورتى لا الختان ولا غيره على ظاهر عموم أحد فتدخل حاضنته ويكون عدم رؤيتها مع احتياجها لذلك من جملة كرامته على ربه (وصححه) العلامة الحجة الحافظ (الضياء) أى ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد السعدى المقدسى الحنبلى الثقة الجبل الدين الزاهد الورع المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة (فى) الاحاديث (المختارة) مما ليس في الصحيحين وقد قال الزركشي وغيره ان تصحيحه أعلى مزية من تصحيح الحاكم انتهى وحسنه مغلطاى قال ورواه أبو نعيم بسند جيد عن ابن عباس (و) ورد (عن ابن عمر قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم مسرورا مختونا رواه ابن عساكر) وقد صرح الحافظ بأن أحاديث الصفات النبوية والشمائل داخلة في قسم المرفوع (قال الحاكم في المستدرك تواترت الاخبار أنه عليه السلام ولد مختونا انتهى وتعقبه) الامام (الحافظ) أبو عبد الله محمد بن عثمان (الذهبي) نسبة الى الذهب كما في التبصير الدمشقى المتوفى بها سنة ثمان وأربعين وسبعمائة (فقال) في مختصر المستدرك وفي ميزانه في ترجمة الحاكم (ما أعلم صحة ذلك) لعله أراد على شرط الشيخين والا فقد صححه الضياء وحسنه مغلطاى كما ترى (فكيف يكون متواترا وأجيب باحتمال أن يكون) الحاكم (أراد بتواتر الاخبار اشتهارها وكثرتها في السير لا من طريق السند المصطلح عليه) وهو أن المتواتر عدد كثير أحالت العادة توافقهم على الكذب ورووا ذلك عن مثلهم من الابتداء الى الانتهاء وكان مستند انتهائهم الحس وصحب خبرهم افادة العلم لسامعه كما في شرح النخبة وقد استبعد بعضهم هذا الجواب لانه خلاف المتبادر ولكنه أولى من التخطئة (وحكى الحافظ زين الدين) عبد الرحيم (العراقى ان الكمال بن العديم) عمر بن أحمد بن هبة الله الصاحب كمال الدين الحلبى الكاتب البليغ الحنفي ولد بحلب سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وبرع وساد وصار أوحد عصره فضلا ونبلا ورياسة وألف في الفقه والحديث والادب وتاريخ حلب وتوفى بمصر (ضعف أحاديث كونه) عليه السلام (ولد مختونا) في مؤلف صنفه في الرد على الكمال بن طلحة حيث وضع مصنفا في أنه ولد مختونا وجلب فيه من الاحاديث التى لا خطام لها ولا زمام كما في النور (وقال لا يثبت في هذا شئ وأقره عليه وبه) أى بتضعيف أحاديث ولادته مختونا (صرح ابن القيم) في الهدى النبوى وليس بسديد من الثلاثة لان منها ما هو صحيح أو حسن ومنها ما اسناده جيد كما مر اللهم الا أن يكون حكما على المجموع على انها وان كانت ضعيفة فقد وردت من طرق يقوى بعضها بعضا وفي مولد الحافظ ابن كثير ذكر ابن اسحق في السيرة انه عليه السلام ولد مسرورا مختونا وقد ورد ذلك في أحاديث فمن الحفاظ من صححها ومنهم من ضعفها ومنهم من رآها من الحسان (ثم قال) ابن القيم (وليس هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم فان كثيرا من الناس) الانبياء وغيرهم (ولد مختونا) وظاهره أن كونه مسرورا من خصائصه وهو مقتضى كلام السيوطى وغيره (وحكى الحافظ ابن حجر) ما فيه الجمع بين اثبات الختان ونفيه وذلك (أن العرب تزعم ان الغلام اذا ولد في القمر) كالنبي صلى الله عليه وسلم فانه ولد في سلطانه على القول أنه لاثنتى عشرة

فرأى على رواحلهم أكسية فيها خطوط حمراء فقال لا أرى هذه الحمرة قد علتكم فقمنا سراعا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نفر بعض ابلنا فأخذنا الاكسية فنزعناها عنها رواه أبو داود وفى جواز لبس الاحمر من الثياب والجوخ وغيرها نظر * وأما كراهته فشديدة جدا فكيف يظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أنه لبس الاحمر القانى كلا لقد أعاذه الله منه وانما وقعت الشبهة من لفظ الحلة الحمراء والله أعلم ولبس الخميصة المعلمة والساذجة ولبس ثوبا أسود ولبس الفروة المكفوفة بالسندس وروى الامام أحمد وأبو داود باسنادهما عن أنس بن مالك أن ملك الروم أهدى للنبي صلى الله عليه وسلم مستقة من سندس فلبسها فكأنى أنظر الى يديه باديتان قال الاصمعى المساتق فرى طوال الاكمام قال الخطابى يشبه أن يكون هذه المستقة مكفوفة بالسندس لان الفروة لا تكون سندسا

(فصل) واشترى سراويل والظاهر أنه انما اشتراها ليلبسها وقد

(فسخت قلفتـه) بضم القاف وسكون اللام وبفتحهما جلدته التى تقطع فى الختان (أى اتسعت) فتقلصت عن موضعها بحيث تصير الحشفة مكشوفة (فيصير كالمختون) كما فى عبارة غيره ان أصل قول العرب ختنه القمر أن الطفل اذا ولد فى ليلة مقمرة واتصل بحشفته ضوء القمر أثر فيها فتصلقت وانمحقت فان ضوءه يؤثر فى اللحم وغيره الا انه لا يكون قاطعا لها بالكلية قال الشاعر

انى حلفت يمينا غير كاذبة * لانت أقلف الا ما جنى القمر

فغرض الحافظ من سوقه انه بتقدير صحته فى حقه صلى الله عليه وسلم يكون سبب الوصف بذلك لكونها شابهة فى انقطاع القلفة وتقلصها أو خلقه بلا قلفة وعبر بتزعم اشارة الى أنه لا أصل له فهو القول الذى لم يقم على صحته دليل وقد قال ابن القيم الناس يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (وفى الوشاح لابن دريد) أبى بكر محمد بن الحسن اللغوى الثقة المتحرى صاحب التصانيف المولود سنة ثلاث وعشرين ومائتين المتوفى بعمان فى رمضان سنة احدى وعشرين وثلثمائة قال فى المزهر ولا يقبل فيه طعن نفطويه لانه كان بينهما منافرة عظيمة بحيث أن كلا منهما هجا الآخر قال وقد تقرر فى علم الحديث أن كلام الاقران فى بعضهم لا يقدح (قال ابن الكلبى بلغنى) وفى السبل نقل ابن دريد فى الوشاح وابن الجوزى فى التلقيح عن كعب الاحبار أنهم ثلاثة عشر فيجوز أنه الذى بلغ ابن الكلبى (ان آدم خلق مختونا) أى وجد على هيئة المختون (واثنى عشر نبيا من بعده خلقوا مختونين) أى ولدوا كذلك ولعل هذا حكمة افراد آدم بالذكر (آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم) وهم (شيث) بن آدم عليهما السلام (وادريس) قيل عربى مشتق من الدراسة لكثرة درسه الصحف وقيل سريانى ابن يارد ابن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث قال ابن اسحق الأكثرون أن أخنوخ هو ادريس وأنكره آخرون وقالوا انما ادريس هو الياس وفى البخارى يذكر عن ابن مسعود وابن عباس أن ادريس هو الياس واختاره ابن العربى وتلميذه السهيلى لقوله ليلة الاسراء مرحبا بالاخ الصالح ولم يقل بالابن وأجاب النووى باحتمال انه قاله تلطفا وتأدبا وهو أخ وان كان ابنا والابناء اخوة والمؤمنون اخوة وقال ابن المنير أكثر الطرق انه خاطبه بالاخ الصالح وقال لى ابن أبى الفضل صحت لى طريق انه خاطبه بالابن الصالح قال بعض وفى صحتها نظر (ونوح) بن لمك بفتح اللام وسكون الميم بعدها كاف ابن متوشلخ بفتح الميم وشدة الفوقية المضمومة وسكون الواو وفتح المعجمة واللام بعدها معجمة ابن خنوخ وهو ادريس قال المازرى كذا ذكره المؤرخون أن ادريس جد نوح فان قام دليل على انه أرسل لم يصح قولهم انه قبل نوح لما فى الصحيحين أنهم أتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الارض وان لم يقم دليل جاز ما قالوا وحمل على أن ادريس كان نبيا ولم يرسل انتهى قال السهيلى وحديث أبى ذر الطويل أى المروى عند ابن حبان يدل على أن آدم وادريس رسولان انتهى وأجيب بان المراد أول رسول بعثه الله بالاهلاك وانذار قومه فاما رسالة آدم فكانت كالتربية لاولاده قال القاضى عياض لا يرد على الحديث رسالة آدم وشيث لان آدم انما أرسل الى بنيه ولم يكونوا كفارا بل أمر بتبليغهم الايمان وطاعة الله وكذلك خلفه شيث بعده فيهم بخلاف رسالة نوح الى كفار أهل الارض انتهى (و) ابنه (سام) نبى على ما فى هذا الخبر وكذا رواه الزبير وابن سعد عن الكلبى وقال به أبو الليث السمرقندى ومن قلده والصحيح انه ليس بنبى كما قاله البرهان الدمشقى وغيره ولا حجة فى أثر الكلبى لانه مقطوع مع انه متروك متهم بالوضع (ولوط) ابن هاران بن تارخ ابن أخى ابراهيم (ويوسف) بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الكريم ابن الكرام قال بعضهم هو مرسل لقوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل ليس هو يوسف بن يعقوب بل يوسف بن افرايم بن يوسف بن يعقوب وحكى النقاش والماوردى أن يوسف المذكور فى الآية من

روى فى عشر حديث أنه لبس السراويل وكانوا يلبسون السراويلات باذنه ولبس الخفين ولبس النعل الذى يسمى التاسومه ولبس الخاتم واختلفت الاحاديث هل كان فى يمناه أو يسراه وكلها صحيحة السند ولبس البيضة التى تسمى الخودة ولبس الدرع التى تسمى الزردية وظاهر يوم أحد بين الدرعين وفى صحيح مسلم عن أسماء بنت أبى بكر قالت هذه جبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخرجت جبة طيالسية خسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج فقالت هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها وكان النبى صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن نغسلها للمريض يستشفى بها وكان له بردان أخضران وكساء أسود وكساء أحمر ملبد وكساء من شعر وكان قميصه من قطن وكان قصير الطول قصير الكمين وأما هذه الاكمام الواسعة الطوال التى هى كالاخراج فلم يلبسها هو ولا أحد من أصحابه ألبتة وهى مخالفة لسنته وفى جوازها نظر فانها من جنس الخيلاء وكان

الجن بعثه الله رسولا اليهم وهو غريب جدا قاله في الاتقان (وموسى) بن عمران (وسليمان) بن داود (وشعيب ويحيى وهود صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين) وزاد محمد بن حبيب زكريا وصالحا وعيسى وحنظلة بن صفوان فاجتمع من ذلك سبعة عشر نظمهم الحافظ السيوطي في قلائد الفوائد فقال وسبعة مع عشر قد روا خلقوا * وهم ختان فخذ لازلت مأنوسا

محمد آدم ادريس شيث ونو * ح سام هود شعيب يوسف موسى

لوط سليمان يحيى صالح زكريا * وحنظلة الرسي مع عيسى

(وفي هذه العبارة) وهي تسمية من ولد بلاقلفة مختونا (تجوز لان الختان هو القطع وهو غير ظاهر) هنا (لان الله تعالى يوجد ذلك على هذه الهيئة من غير قطع) فيما مضى ويأتي قال ابن القيم حدثنا صاحبنا أبو عبد الله محمد بن عثمان الخليلي المحدث ببيت المقدس انه ولد كذلك وأن أهله لم يختنوه انتهى ولذا عبر بيوجد المضارع دون الماضي اشارة الى أن الايجاد لا يقصر على من كان قبل المصطفى فلا يقال الاولى التعبير بالماضي لانهم وجدوا كذلك وتم أمرهم (فيحمل الكلام) على المجاز (باعتبار أنه على صفة المقطوع) فهو على المقدر وحاصله انه لما كانت صورته صورة المختون أطلق عليه اسمه مجازا والعلاقة المشابهة في الصورة (وقد حصل من الاختلاف) المذكور في كلامهم (في ختنه) صلى الله عليه وسلم (ثلاثة أقوال * الاول) منها في الذكر (انه ولد مختونا كما تقدم) وقال الحاكم فيه تواترت الاخبار وابن الجوزي لاشك انه ولد مختونا قال القطب الخيضري وهو الارجح عندي وأدلته مع ضعفها أمثل من أدلة غيره انتهى وقدم أن طرقا جيدة صححها الضياء وحسنه مغلطاي مع انه أوضح من جهة النظر لانه في حقه صلى الله عليه وسلم كما قال الخيضري غاية الكمال لان القلفة قد تمنع كمال النظافة والطهارة واللذة فاوجده مكملا سالما من النقائص والمعايب ولان الختان من الامور الظاهرة المحتاجة الى فعل آدمي فخلق سليما منها لئلا يكون لاحد عليه منة وبهذا الترد العلقة التي أخرجت بعد شق صدره لان محلها القلب ولا اطلاع عليه للبشر فاظهره الله على يد جبريل ليتحقق الناس كمال باطنه كظاهره انتهى ملخصا (الثاني انه ختنه جده عبد المطلب) الظاهر أن المراد أمر بختنه وأنه بالموسى اذ لو ختن بغيره لنقل لخرقه العادة والخوارق اذا وقعت توفرت الدواعي على نقلها (يوم سابعه) لان العرب كانوا يختنون لانها سنة توارثوها من ابراهيم واسمعيل لا لمجاورة اليهود كما أشير اليه في قوله في حديث هرقل أرى ملك الختان قد ظهر (وصنع له مادبة) بضم الدال وفتحها اسم لطعام الختان كما أفاده القاموس والمصباح وأفاد الثاني انه يسمى اعذارا أيضا (وسماه محمدا) وفي الخميس روى انه لما ولد صلى الله عليه وسلم أمر عبد المطلب بجزور فنحرت ودعا رجالا من قريش فحضروا وطعموا وفي بعض الكتب كان ذلك يوم سابعه فلما فرغوا من الاكل قالوا ما سميته فقال سميته محمدا فقالوا رغبت عن أسماء آبائه فقال أردت أن يكون محمودا في السماء لله وفي الارض لخلقه وقيل بل سمته بذلك أمه لما رأته وقيل لها في شأنه ويمكن الجمع بان أمه لما نقلت ما رأته لجده سماه فوقعت التسمية منه واذا كان سببها يصح القول بانها سمته به انتهى (رواه الوليد بن مسلم) القرشي مولاهم أبو العباس الدمشقي عن مالك والاوزاعي والثوري وابن جريج بخلق وعنه الليث أحد شيوخه وابن وهب وأحمد وابن راهويه وابن المديني متفق على توثيقه وانما عابوا عليه كثرة التدليس والتسوية أخرج له الستة مات أول سنة خمس وتسعين ومائة (بسنده الى ابن عباس وحكاه) شيخ الاسلام أبو عمر الحافظ يوسف بن عبد الله بن محمد (بن عبد البر) بن عاصم النمري بفتح النون والميم القرطبي الفقيه المكثر العالم بالقرآت والحديث والرجال والخلاف الدين الصين صاحب السنة والاتباع والتصانيف الكثيرة

أحب الثياب اليه القميص والحبرة وهي ضرب من البرود فيه حمرة وكان أحب الالوان اليه البياض وقال هي من خير ثيابكم فالبسوها وكفنوا فيها موتاكم وفي الصحيح عن عائشة أنها أخرجت كساء ملبدا وازارا غليظا فقالت نزع روح رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين ولبس خاتما من ذهب ثم رمى به ونهى عن التختم بالذهب ثم اتخذ خاتما من فضة ولم ينه عنه وأما حديث أبي داود أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن أشياء وذكر منها ونهى عن لبوس الخاتم الا لذي سلطان فلا أدري ما حال الحديث ولا وجهه والله أعلم وكان يجعل فص خاتمه مما يلي باطن كفه وذكر الترمذي أنه كان اذا دخل الخلاء نزع خاتمه وصححه وأنكره أبو داود وأما الطيلسان فلم ينقل عنه أنه لبسه ولا أحد من أصحابه بل قد ثبت في صحيح مسلم من حديث النواس بن سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الدجال فقال يخرج معه سبعون ألفا من يهود أصبهان عليهم الطيالسة ورأى أنس جماعة عليهم

سادة أهل الزمان في الحفظ والاتقان وانتهى اليه مع امامته علو الاسناد توفي ليلة الجمعة سلخ ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وأربعمائة عن خمس وتسعين سنة وخمسة أيام (في) كتاب (التمهيد) لما في الموطأ من المعاني والاسانيد ولمؤلفه فيه شعر

سمير فؤادي مذ ثلاثين حجة * وصقيل ذهني والمفرج عن همي
بسطت لكم فيه كلام نبيكم * لما في معانيه من الفقه والعلم
وفيه من الآثار ما يهتدى به * الى البر والتقوى وينهى عن الظلم

(الثالث انه ختن عند حليمة) السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم (كما ذكره ابن القيم) مع القولين السابقين (والدمياطي) بكسر الدال المهملة وبعضهم أعجمها وسكون الميم وخفة التحتية نسبة الى دمياط بلد مشهور بمصر كما في اللب الحافظ الامام العلامة الحجة الفقيه النسابة شيخ المحدثين شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الشافعي ولد سنة ثلاث عشرة وستمائة وتفقه وبرع وطلب الحديث فرحل وجمع فاوعى وألف وخرج بالمنذري وبلغت شيوخه ألفا وثلثمائة شيخ ضمهم معجمه قال المزي ما رأيت في الحديث أحفظ منه وكان واسع الفقه رأسا في النسب جيد العربية غزيرا في اللغة مات فجأة سنة خمس وسبعمائة (ومغلطاي) الامام الحافظ علاء الدين بن قليج بن عبد الله بن الحنفي ولد سنة تسع وثمانين وستمائة وكان حافظا عارفا بفنون الحديث علامة في الانساب وله أكثر من مائة مصنف كشرح البخاري وشرح ابن ماجه وشرح أبي داود ولم يتمه مات سنة اثنتين وستين وسبعمائة وهو بضم الميم وسكون الغين وفتح اللام كما ضبطه الحافظ بالقلم في كلام نثر وأما ابن ناصر فضبطه بفتح الغين وسكون اللام في قوله * ذاك مغلطاي فتى قليجي * ولعله للضرورة فلا تخالف وقليجي بقاف وجيم نسبة الى القليج السيف بلغة الترك (وقال ان جبريل عليه السلام ختنه) بآلة ولم يبين أمرها على الظاهر (حين طهر قلبه) بعد شقه (وكذا أخرجه الطبراني في الاوسط وأبو نعيم من حديث أبي بكرة) نفيع بن الحرث الثقفي رضي الله عنه (قال الذهبي وهذا) الحديث (منكر) وهو ما رواه غير الثقة مخالفا لغيره كما في النخبة ولا يعود اسم الاشارة على القول الثالث لانه احراج لالفاظ الحفاظ عن معناها عندهم وقد احتج للقول بانه لم يولد مختونا بانه الاليق بحاله صلى الله عليه وسلم لانه من الكلمات التي ابتلي بها ابراهيم فاتمهن وأشد الناس بلاء الانبياء والابتلاء به مع الصبر عليه مما يضاعف الثواب فالاليق بحاله أن لا يسلب هذه الفضيلة وأن يكرمه الله بها كما أكرم خليله وأجيب بانه انما ولد مختونا لئلا يرى أحد عورته كما صرح به في الخبر (واعلم ان الختان هو قطع القلفة التي تغطي الحشفة من الرجل وقطع بعض الجلدة التي في أعلى الفرج من المرأة ويسمى ختان الرجل اعذارا بالعين المهملة) الساكنة قبلها ألف وحذفها في بعض النسخ تحريف لا يوافق القاموس (والذال المعجمة والراء) بعدها ألف ويسمى أيضا عذرا كما في القاموس (وختان المرأة خفاضا) كذا في نسخ (بالخاء المعجمة المكسورة) (والفاء والضاد المعجمة أيضا) فهو كقول القاموس خفاض ككتان وزنا ومعنى وفي نسخ ختان المرأة خفضا تحريف (واختلف العلماء) في جواب قول السائل (هل هو) أي الختان لكل من الرجل والمرأة (واجب) أو سنة (فذهب أكثرهم الى أنه سنة وليس بواجب) أتى به لدفع توهم أن المراد بالسنة الطريقة (وهو قول مالك وأبي حنيفة وبعض أصحاب الشافعي وذهب الشافعي الى وجوبه) لكل من المرأة والرجل (وهو مقتضى قول سحنون) بفتح السين وضمها (من) أئمة (المالكية) واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي القير واني لقب باسم طائر حديد الذهن ببلاد المغرب لكونه كان كذلك ولد في شهر رمضان سنة ستين ومائة وتلمذ لابن القاسم وغيره وصنف المدونة

الطيالسة فقال ما أشبههم بيهود خيبر ومن ههنا كره لبسها جماعة من السلف والخلف لما روى أبو داود والحاكم في المستدرك عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تشبه بقوم فهو منهم وفي الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم ليس منا من تشبه بقوم غيرنا وأما ما جاء في حديث الهجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء الى أبي بكر متقنعا بالهاجرة فانما فعله النبي صلى الله عليه وسلم تلك الساعة ليختفي بذلك ففعله للحاجة ولم يكن عادته التقنع وقد ذكر أنس عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يكثر القناع وهذا انما كان يفعله والله أعلم للحاجة من الحر ونحوه وأيضا ليس التقنع هو التطيلس
(فصل) وكان غالب ما يلبس هو وأصحابه ما نسج من القطن وربما لبسوا ما نسج من الصوف والكتان وذكر الشيخ أبو اسحاق الاصبهاني باسناد صحيح عن جابر بن أيوب قال دخل الصلت ابن راشد على محمد بن سيرين وعليه جبة صوف وازار صوف وعمامة

التى عليها العمل ومات فى رجب سنة أربعين ومائتين (وذهب بعض أصحاب الشافعى الى أنه واجب فى حق الرجال سنة فى حق النساء) وهو مذهب أحمد وعنه الوجوب فيهما وعن أبى حنيفة واجب ليس بفرض وعنه أيضا سنة يأثم بتركه وعن الحسن الترخيص فيه (واحتج من قال انه سنة بحديث أبى المليح) بفتح الميم وكسر اللام وتحتية وحاء مهملة عامر وقيل زيد وقيل زياد (بن اسامة) التابعى عن أبيه وابن عمرو وجابر وأنس وعائشة وبريدة وغيرهم وعنه أبو قلابة وقتادة وأيوب وخلق وثقه أبو زرعة وغيره وروى له الستة مات سنة ثمان وتسعين أو أربع ومائة أو اثنتى عشرة ومائة أقوال (عن أبيه) اسامة بن عمير بن عامر الهذلى البصرى صحابى تفرد بالرواية عنه ولده أخرج له أصحاب السنن الاربعة (ان النبى صلى الله عليه وسلم قال الختان سنة للرجال مكرمة للنساء) أى انه فى حقهن دونه فى حق الرجال فهو فيهم متأكد (رواه أحمد فى مسنده والبيهقى) وفى سنده الحجاج بن ارطاة ضعيف لكن له شواهد فرواه الطبرانى فى كبيره من حديث شداد بن أوس وابن عباس وأبو الشيخ والبيهقى عن ابن عباس من وجه آخر والبيهقى أيضا عن أبى أيوب فالحديث حسن فقامت به الحجة (وأجاب من أوجبه بانه ليس المراد بالسنة هنا) فى هذا الحديث (خلاف الواجب بل المراد الطريقة) زاعمين أن ذلك المراد فى الاحاديث ورد بانه لما وقعت التفرقة بين الرجال والنساء دل على ان المراد افتراق الحكم ودفعه بانه فى حق الرجال للوجوب والنساء للاباحة لا يسمع اذ ينبو عنه اللفظ على انه قد ورد اطلاق السنة على خلاف الواجب فى أحاديث كثيرة كقوله صلى الله عليه وسلم ان الله افترض رمضان وسننت لكم قيامه رواه النسائى والبيهقى وقوله صلى الله عليه وسلم الاضحى على فريضة وعليكم سنة رواه الطبرانى قال الحافظ برجال ثقات وقوله عليه الصلاة والسلام ثلاث هن على فرائض ولكم سنة الوتر والسواك وقيام الليل فهذا الحديث من جملتها والتبادر آية الحقيقة ويقويه خبر الصحيحين وغيرهما مرفوعا خمس من الفطرة الختان والاستحداد وقص الشارب وتقليم الاظفار ونتف الابط فان انتظامه مع هذه الخصال التى ليست واجبة الا عند بعض من شذ يفيد أن الختان ليس بواجب اذ المراد بالفطرة بالكمر السنة بدليل بقية الحديث وحمله على الوجوب فى الختان والسنة فى باقيه تحكم بلا دليل (واحتجوا على وجوبه بقوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) والامر للوجوب ومن ملته الختان (و) ذلك لانه (ثبت فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختتن) بهمزة وصل (ابراهيم النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانين سنة) وعند مالك فى الموطأ والبخارى فى الادب المفرد وابن حبان عن أبى هريرة موقوفا وابن السماك وابن حبان أيضا عنه مرفوعا وهو ابن مائة وعشرين وزادوا وعاش بعد ذلك ثمانين سنة وأعل بان عمره مائة وعشرون ورد بان مثله عند ابن أبى شيبة وابن سعد والحاكم والبيهقى وصححاه وأبى الشيخ فى العقيقة من وجه آخر وزادوا أيضا وعاش بعد ذلك ثمانين فعلى هذا عاش مائتين قال الحافظ فى الفتح وتبعه السيوطى وجمع بعضهم بان الاول حسب من منذ نبوته والثانى حسب من مولده انتهى ونحوه قال الحافظ فى موضع آخر يجمع بان المراد بقوله وهو ابن ثمانين من وقت فراق قومه وهجرته من العراق الى الشام وقوله وهو ابن مائة وعشرين أى من مولده وبان بعض الرواة رأى مائة وعشرين فظنها الا عشرين أو عكسه انتهى والاول أولى اذ الثانى توهيم للرواة بلا داعية مع أن الجمع أمكن بدون توهيمهم وأما الجمع بانه عاش ثمانين غير مختون وعشرين ومائة مختونا فرده ابن القيم بانه قال اختتن وهو ابن مائة وعشرين ولم يقل لمائة وعشرين وبينهما فرق (بالقدوم) بالتخفيف عند أكثر رواة البخارى قال النووى ولم يختلف فيه رواة مسلم اسم آلة النجار يعنى الفاس كما فى رواية ابن عساكر ورواه الاصيلى والقابسى بالتشديد وأنكره يعقوب بن شيبة وقيل ليس المراد

صوف فأشار منه محمد وقال أظن أن أقواما يلبسون الصوف ويقولون قد لبسه عيسى بن مريم وقد حدثنى من لا أتهم أن النبى صلى الله عليه وسلم قد لبس الكتان والصوف والقطن وسنة نبينا أحق أن تتبع ومقصود ابن سيرين بهذا أن أقواما يرون أن لبس الصوف دائما أفضل من غيره فيتحرونه ويمنعون أنفسهم من غيره وكذلك يتحرون زيا واحدا من الملابس ويتحرون رسوما وأوضاعا وهيآت يرون الخروج عنها منكرا وليس المنكر الا التقيد بها والمحافظة عليها وترك الخروج عنها والصواب أن أفضل الطرق طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم التى سنها وأمر بها ورغب فيها وداوم عليها وهى أن هديه فى اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس من الصوف تارة والقطن تارة والكتان تارة * ولبس البرود اليمانية والبرد الاخضر ولبس الجبة والقباء والقميص والسراويل والازار والرداء والخف والنعل وأرخى الذؤابة من خلفه تارة وتركها تارة

الآية بل المكان الذي وقع فيه الختان وهو أيضا بالتخفيف و بالتشديد قرية بالشام والاكثر على انه بالتخفيف وارادة الآلة كما قاله يحيى بن سعيد أحد رواته وأنكر النضر بن شميل الموضع ورجحه البيهقي والقرطبي والزركشي والحافظ مستدلا بحديث أبي يعلى أمر ابراهيم بالختان فاختتن بقدوم فاشتد عليه فأوحى الله اليه عجلت قبل أن نأمرك بآلته قال يارب كرهت أن أؤخر أمرك انتهى وذكر الحافظ أبو نعيم نحوه وقال قد يتفق الامران فيكون قد اختتن بالآلة وفي الموضع انتهى هذا والاستدلال بما ذكر على وجوب الختان لا يصح لان معنى الآية كما ذكر البيضاوي والرازي وغيرهما أن اتبع ملة ابراهيم في التوحيد والدعوى اليه برفق وايراد الدلائل مرة بعد أخرى والمجادلة مع كل أحد بحسب فهمه أي لا في تفاصيل أحكام الفروع والا لم يكن صاحب شرع مستقل بل داعيا الى شرع ابراهيم كأنبياء بني اسرائيل فانهم كانوا داعين الى شرع موسى وهذا خلاف الاجماع على انهم قد وقعوا بهذا الاستدلال في محذور وهو أنهم لا يرون أن شرع من قبلنا شرع لنا وان ورد في شرعنا ما يقرره ولا يرد هذا على مالك القائل به ما لم يرد ناسخ لانه ليس معنى الآية كما علمت وعلى التنزل لو سلمنا أنه من شمولها فالامر فيه لغير الوجوب بدليل الحديث الناطق بالسنية (و) احتجوا أيضا (بما روى أبو داود) وأحمد والواقدي (من قوله عليه الصلاة والسلام للرجل الذي أسلم) وهو كليب الحضرمي أو الجهني (ألق) ندبا (عنك شعر الكفر) أزله بحلق أو غيره كقص ونورة من رأس وشارب وابط وعانة (واختتن) بالواو وفي رواية ثم بدلها روى الامام أحمد وأبو داود عن ابن جريج قال أخبرت عن عثيم وهو مصغر عثمان بن كثير ابن كليب عن أبيه عن جده أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد أسلمت فقال ألق عنك شعر الكفر واختتن فأفاد الامر الوجوب لانه الاصل فيه والجواب أن سنده ضعيف صرح به الحافظ وقال الذهبي منقطع وقال ابن القطان عثيم وأبوه مجهولان فلا حجة فيه وعلى فرض حجته فليس الامر للوجوب للحديث الناطق بالسنية ولان أوله محمول على الندب بلا ريب (واحتج القفال لوجوبه بان بقاء القلفة يحبس النجاسة ويمنع صحة الصلاة فتجب ازالتها) وهذا ممنوع مع قصوره على ختان الرجل دون المرأة (وقال الفخر الرازي الحكمة في الختان) سواء قلنا بوجوبه أو سنيته (أن الحشفة قوية الحس فما دامت مستورة بالقلفة تقوى اللذة) أي لذة الجماع (عند المباشرة فاذا قطعت القلفة تصلبت الحشفة فضعفت اللذة) وهذا يخالفه ما مر عن الخيضري ان القلفة تمنع كمال اللذة الا أن يريد على بعد ما يدركه المجامع من اللذة بالفعل ويراد بها عند الفخر قوة الشهوة المقتضية لاطالة الفعل وكأنه لعدم ملاقاة الحشفة محل الجماع يتأخر الانزال (وهو اللائق بشريعتنا تقليلا للذة لا قطعا لها كما تفعل المانوية) من تحريم النكاح وهو قطع لها وهم أصحاب ماني بن فاتك الزنديق الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير بعد عيسى عليه السلام وادعى النبوة وان للعالم أصلين النور خالق الخير والظلمة خالق الشر وانهما قديمان حيان دراكان فقبل سابور قوله فلما ملك بهرام بن هرمز بن سابور سلخه وحشا جلده تبنا وقتل أصحابه وبعضهم هرب الى الصين وقد أجاد أبو الطيب في قوله

وكم لظلام الليل عندي من يد * تخبر أن المانوية تكذب

(فذلك) أي فعل المانوية (افراط) اسراف ومجاوزة حد (وابقاء القلفة تفريط) تضييع وتقصير (فالعدل) فالوسط بينهما (الختان انتهى) كلام الرازي (واذا قلنا بوجوب الختان فمحل الوجوب بعد البلوغ على الصحيح من مذهبنا) يعني الشافعية ويندب عندهم في اليوم السابع بعد يوم الولادة (لما روى البخاري في صحيحه) من طريق اسرائيل عن أبي اسحق عن سعيد (عن ابن عباس انه سئل مثل) بكسر الميم وسكون المثلثة (من أنت حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأنا يومئذ

وكان يلحي بالعمامة تحت الحنك وكان اذا استجد ثوبا سماه باسمه وقال اللهم أنت كسوتني هذا القميص أو الرداء أو العمامة أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وكان اذا لبس قميصه بدأ بميامنه ولبس الشعر الاسود كما روى مسلم في صحيحه عن عائشة قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه مرط مرجل من شعر أسود وفي الصحيحين عن قتادة قلنا لانس أي اللباس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحبرة والحبرة برد من برود اليمن فان غالب لباسهم كان من نسج اليمن لانها قريبة منهم وربما لبسوا ما يجلب من الشام ومصر كالقباطي المنسوجة من الكتان التي كانت تنسجها القبط وفي سنن النسائي عن عائشة أنها جعلت للنبي صلى الله عليه وسلم بردة من صوف فلبسها فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها وكان يحب الريح الطيب وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عباس قال لقد رأيت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن

مختون) قال أبو اسحق أو اسرائيل أو من دونه (وقد كانوا لا يختتنون) بفتح التحتية وكسر الفوقية كما اقتصر عليه المصنف وظاهره انه الرواية وان جاز ضم الفوقية لغة أي كانت عادتهم لا يختتنون (حتى يدرك) الحلم فأفاد نفي الختان قبله اذ لو منذب قبله لما أطبقوا على تركه قبل البلوغ قال السخاوي في البستان والمحفوظ الصحيح ان ابن عباس ولد بالشعب قبل الهجرة بثلاث سنين فتكون له عند الوفاة النبوية ثلاث عشرة سنة وبذلك قطع أهل السير وصححه ابن عبد البر انتهى (وقال بعض أصحابنا يجب على الولي أن يختن الصبي قبل البلوغ) مقابل لما قدم أنه الصحيح (والله أعلم بحقيقة الحكم فيه) (وقد اختلف في عام ولادته صلى الله عليه وسلم فالاكثرون) من العلماء (على انه ولد عام الفيل وبه قال ابن عباس) على المحفوظ عنه ووقع عند البيهقي والحاكم عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الفيل لكن المراد مطلق الوقت لقول يحيى بن معين يعني عام الفيل انتهى كما يقال يوم الفتح ويوم بدر ويحتمل حقيقة اليوم فهو أخص من الاول وبه صرح ابن حبان في تاريخه فقال ولد عام الفيل في اليوم الذي بعث الله فيه الطير الابابيل على أصحاب الفيل ذكره الحافظ في شرح الدرر (ومن العلماء من حكى الاتفاق عليه) كابن الجوزي حيث قال في الصفوة اتفقوا على انه ولد عام الفيل وكذا ابن الجزار (وقال كل قول يخالفه) فهو (وهم) بفتح الهاء أي غلط لكن قال مغلطاي فيه نظر يعني لكثرة الخلاف وعلى الاول اختلفوا فيما مضى من ذلك العام (والمشهور انه ولد بعد الفيل بخمسين يوما واليه ذهب السهيلي في جماعة) أي معهم (وقيل بعده بخمسة وخمسين يوما وحكاه الدمياطي في) أي مع (آخرين) منهم أبو جعفر محمد بن علي قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لعشر خلون من ربيع الاول وكان قدوم الفيل للنصف من المحرم فبين الفيل ومولده خمس وخمسون ليلة نقله في المنتقى وفي العيون ذكر الخوارزمي وغيره ان قدوم الفيل مكة يوم الاحد لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم وكان أول المحرم تلك السنة يوم الجمعة (وقيل) ولد بعده (بشهر) واحد (وقيل بأربعين يوما) حكاهما مغلطاي واليعمري (وقيل) بل ولد (بعد) عام (الفيل) واختلفوا في مدته فقيل بعده بسنتين وقيل بعد الفيل (بعشر سنين) قال مغلطاي يروى هذا القول عن الزهري ولا يصح (وقيل) بل ولد (قبل الفيل) لا بعده (بخمس عشرة سنة) وسيأتي رده (وقيل غير ذلك) فقيل بعده بثلاثين عاما وقيل بأربعين عاما وقيل بسبعين عاما وقيل بثلاثة وعشرين عاما حكاها كلها مغلطاي ثم رد المصنف القول بانه ولد قبل الفيل بقوله (والمشهور أنه ولد بعد الفيل) لا قبله (لان قصة الفيل كانت توطئة) تمهيدا (لنبوته وتقدمة لظهوره) لوجوده (وبعثته) وقد وجد قبل وجوده خوارق كثيرة ككثرة الهواتف وأخبار الاحبار والكهان فلا يرد ما قيل الارهاص انما يكون بما يوجد بعد مولده وقبل البعثة اما لان التعبير بالارهاص مجاز واما لمنع تخصيص الارهاص بما بعد الوجود بل هو شامل لكل ما تقدم البعث من خوارق قبل وجوده أم بعده (والا) يكن توطئة له بل لشرف أهل مكة كان القياس العكس (فأصحاب الفيل) أي القوم الذين جاؤا به (كما قال ابن القيم كانوا نصارى أهل كتاب) وهو الانجيل (وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة اذ ذاك) ألم تر أنه صلى الله عليه وسلم كان يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشئ كما في الصحيح (لانهم كانوا عباد أوثان) أصنام لا كتاب لهم (فنصرهم الله تعالى على أهل الكتاب) مع كونهم خيرا منهم (نصرا لا صنع للبشر فيه ارهاصا وتقدمة للنبي صلى الله عليه وسلم الذي خرج) وجد (من مكة وتعظيما للبلد الحرام) لا لما كان عليه أهله (واختلف أيضا في الشهر الذي ولد فيه) أهو ربيع أم غيره (والمشهور أنه ولد في ربيع الاول وهو قول جمهور العلماء) بضم الجيم معظمهم وجلهم ونقل التلمساني فتح الجيم أيضا وأتى به بعد المشهور لان مجرد الشهرة

ما يكون من الحال وفي سنن النسائي عن أبي رمثة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب وعليه بردان أخضران والبرد الاخضر هو الذي فيه خطوط خضر وهو كالحلة الحمراء سواء فمن فهم من الحلة الحمراء الاحمر البحت فينبغي أن يقول أن البرد الاخضر أخضر بحتا وهذا لا يقوله أحد * وكان مخدته صلى الله عليه وسلم من أدم حشوها ليف فالذين يمنعون عما أباح الله من الملابس والمطاعم والمناكح تزهدا وتعبدا بازائهم طائفة قابلوهم فلا يلبسون الا أشرف الثياب ولم يأكلوا الا ألين الطعام فلا يرون لبس الخشن ولا أكله تكبرا وتجبرا وكلا الطائفتين هديه مخالف لهدي النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعض السلف كانوا يكرهون الشهرتين من الثياب العالي والمنخفض وفي السنن عن ابن عمر يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم من لبس ثوب شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوب مذلة ثم يلتهب فيه في النار وهذا لانه قصد به الاختيال والفخر فعاقبه الله بنقيض ذلك فأذله كما

لا تستلزم كثرة القائل لجواز أن يشتهر عن واحد مع مخالفة غيره له أو سكوته عنه (ونقل) العلامة الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن (ابن الجوزي الاتفاق عليه) فقال في الصفوة اتفقوا على أنه صلى الله عليه وسلم ولد بمكة يوم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل (وفيه) أي نقل الاتفاق (نظر فقد قيل في صفر وقيل في ربيع الآخر) حكاهما مغلطاي وغيره (وقيل في رجب ولا يصح) هذا القول (وقيل في شهر رمضان) حكاه العمري ومغلطاي (وروى) هذا القول بأنه في شهر رمضان (عن ابن عمر باسناد لا يصح وهو موافق لمن قال أن أمه حملت به أيام التشريق) هي ثلاثة أو يومان بعد يوم النحر سميت بذلك لأنهم يشرقون أي يقطعون فيها لحوم الاضاحي أو لصلاة العيد بعد وقت شروق الشمس يعني يوافقه على أن الحمل تسعة أشهر (وأغرب من قال) جاء بقول غريب لا يعرف (ولد في) (يوم عاشوراء) فشهر الولادة المحرم وحكاه مغلطاي فحصل في شهر الولادة ستة أقوال (وكذا اختلف أيضا في أي يوم من الشهر) ولد (فقيل انه) أي اليوم الذي ولد فيه (غير معين) بأنه آخر الشهر أو غيره (انما) ثبت عند صاحب هذا القيل أنه (ولد يوم الاثنين من ربيع الاول من غير تعيين) لكونه ثانيه أو ثامنه أو غيرهما (والجمهور على أنه معين) لكن اختلفوا في تعيينه (فقيل) ولد (لليلتين خلتا منه) من ربيع الاول فيوم ولادته ثانيه وبه صدر مغلطاي (وقيل لثمان خلت منه قال الشيخ قطب الدين) أبو بكر محمد بن أحمد بن علي المصري (القسطلاني) الشافعي جمع بين العلم والعمل وألف في الحديث والتصوف وتاريخ مصر ولد بمصر سنة أربع عشرة وستمائة ومات في محرم سنة ست وثمانين وستمائة نسبة الى قسطلينة من أقليم أفريقية كما قال هو رحمه الله في تاريخ مصر ونقله عنه ابن فرحون في الديباج في ترجمة أحمد بن علي المصري المالكي المعروف بابن القسطلاني ولم يضبطه وقال القطب الحلبي في تاريخه كأنه منسوب الى قسطلينة بضم القاف من أعمال أفريقية بالمغرب انتهى وبعضهم ضبطه بفتح القاف وشد اللام (وهو اختيار أكثر أهل الحديث ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم) النوفلي (وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشأن) يعني التاريخ (واختاره) الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الازدي (الحميدي) بضم الحاء مصغر نسبة لجده الاعلى حميد المذكور الاندلسي الظاهري من كبار تلامذة ابن حزم صاحب الجمع بين الصحيحين فريد عصره علما غزيرا وفضلا ونبلا وحفظا وورعا الثبت الامام في الحديث والفقه والأدب والعربية والترسل عن الخطيب وطبقته وسمع بالاندلس ومصر والشام والعراق والحجاز وعنه ابن ماكولا وغيره مات سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ومن نظمه كما قال شيخ الاسلام

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال

فأقلل من لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

(وشيخه) الحافظ أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد (بن حزم) الاموي مولاهم اليزيدي القرطبي الظاهري الامام العلامة الزاهد الورع له المنتهى في الذكاء والحفظ مع توسعه في علوم اللسان والبلاغة والشعر والسير والاخبار توفي سنة سبع وخمسين وأربعمائة (وحكى القضاعي) بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة نسبة الى قضاعة شعب من معد أو من اليمن أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر الفقيه الشافعي قاضي مصر صاحب الشهاب والخطط وغيرهما روى عنه الخطيب البغدادي قال ابن ماكولا كان متفننا في عدة علوم توفي بمصر ليلة الخميس سابع عشر ذي القعدة سنة أربع وخمسين وأربعمائة (في عيون المعارف اجماع أهل الزيج) بزاي مكسورة فتحتية فساكنة فجيم أي الميقات (عليه) وهو لغة خيط البناء ثم نقل وجعل لقب العمل الميقات لقولهم علا الخيط في أخذ استواء النجوم القاموس الزيج

عاقب من أطال ثيابه خيلاء بأن خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وفي الصحيحين عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وفي السنن عنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال الاسبال في الازار والقميص والعمامة من جر شيأ منها خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة وفي السنن عن ابن عمر أيضا عنه قال ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الازار فهو في القميص وكذلك لبس الدني من الثياب يذم في موضع ويحمد في موضع فيذم اذا كان شهرة وخيلاء ويمدح اذا كان تواضعا واستكانة كما أن لبس الرفيع من الثياب يذم اذا كان تكبرا وفخرا وخيلاء ويمدح اذا كان تجملا واظهارا لنعمة الله ففي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة خردل من ايمان فقال رجل يا رسول الله اني أحب أن يكون

خيط البناء معرب ومقتضاه فتح الزاى لانه اذا أطلق أراد الفتح الا فيما اشتهر بخلافه كما قال فى خطبته وقد ضبطه بعضهم بكسرها فلعله مما اشتهر (ورواه) الامام أبو بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله ابن شهاب القرشى (الزهرى) المدنى أحد الاعلام نزيل الشام التابعى الصغير المتفق على امامته وحفظه واتقانه وفقهه الموصوف بانه جمع علم جميع التابعين القائل ما استودعت قلبى شيأ فنسيه المتوفى سابع عشر شهر رمضان سنة خمس أو ثلاث أو أربع وعشرين ومائة عن ثنتين وتسعين سنة (عن محمد بن جبير بن مطعم) النوفلى الثقة أحد رجال الستة المتوفى على رأس المائة (وكان) محمد (عارفا بالنسب وأيام العرب) ووقائعهم وسيرهم فيدل على قوة هذا القول وترجيحه ومعرفة ذلك مما به يتفاخرون (أخذ ذلك) الذى عرفه من النسب وأيام العرب (عن أبيه جبير) بضم الجيم مصغر بن مطعم بن عدى ابن نوفل بن عبد مناف القرشى النوفلى الصحابى العارف بالانساب المتوفى سنة ثمان أو تسع وخمسين (وقيل لعشر) مضين من ربيع حكاه مغلطاى والدمياطى وصححه (وقيل) ولد (لاثنى عشر) من ربيع الاول (وعليه عمل أهل مكة) قديما وحديثا فى (زيارتهم موضع مولده فى هذا الوقت) أى ثانى عشر ربيع (وقيل لسبع عشرة) ليلة خلت من ربيع (وقيل لثمان عشرة) بفتح النون ويجوز كسرها كما فى الهمع والتوضيح واقتصر المصباح على الفتح حذف الياء كما هنا وهو لغة اما مع ثبوتها فى اللغة الاخرى فتسكن وتفتح وهو أفصح وقال لثمانى بثمين منه وقيل ان هذين القولين) الاخيرين (غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية) فتحصل فى تعيين اليوم سبعة أقوال (والمشهور أنه) صلى الله عليه وسلم (ولد يوم الاثنين ثانى عشر ربيع) الاول وهو القول الثالث فى كلام المصنف (وهو قول) محمد (بن اسحق) بن يسار امام المغازى (و) قول (غيره) قال ابن كثير وهو المشهور عند الجمهور وبالغ ابن الجوزى وابن الجزار فنقلا فيه الاجماع وهو الذى عليه العمل (وانما كان) مولده (فى شهر ربيع الاول (على الصحيح) من الاقوال (ولم يكن فى المحرم ولا فى رجب) بالصرف ولو أريد به معين ففى المصباح رجب من الشهور مصروف (ولا رمضان ولا غيرها من الاشهر ذوات الشرف) كبقية الاشهر الحرم وليلة نصف شعبان (لانه) كما ذكر ابن الحاج فى المدخل (عليه الصلاة والسلام لا يتشرف بالزمان وانما الزمان يتشرف به كالاماكن) لا يتشرف بها ومن ثم لم يولد فى جوف الكعبة وانما الاماكن تتشرف به كالمدينة تشرفت به حتى صارت أفضل من مكة عند كثيرين وصار فيها بقعة وضعة من رياض الجنة وأحرى خير البقاع باجماع (فلو ولد فى شهر من الشهور المذكورة لتوهم انه تشرف به فجعل الله تعالى مولده عليه السلام فى غيرها ليظهر عنايته به وكرامته عليه) وهذا وجه كونه لم يولد فى تلك الاشهر وحكمة كونه فى شهر ربيع ما فى شرعه من شبه زمن الربيع فانه أعدل الفصول وشرعه أعدل الشرائع ولان فى ظهوره فيه اشارة لمن تفطن لها بالنسبة الى اشتقاق لفظة ربيع لان فيه تفاؤلا حسنا ببشارة أمته فالربيع تنشق الارض عما فى بطنها من نعم الله ومولده فى ربيع اشارة ظاهرة الى التنويه بعظيم قدره وانه رحمة للعالمين وقد قال أبو عبد الرحمن الصقلى لكل انسان من اسمه نصيب هذا حاصل ما ذكر ابن الحاج (واذا كان يوم الجمعة الذى خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة) فى تعيينها أقوال كثيرة (لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا الا أعطاه اياه) وأخرج بالخير غيره ففى رواية أحمد ما لم يسأل اثما أو قطيعة رحم (فما بالك بالساعة التى ولد فيها سيد المرسلين) وهى فى يوم الاثنين وأقرب ما قيل انها فى أوله فينبغى الاجتهاد فيها رجاء مصادفتها لكن المصنف فى عهدة ان فيه ساعة كساعة يوم الجمعة لانه ان أراد أن ذلك اليوم ومثله الى يوم القيامة كساعة يوم الجمعة أو أفضل فدليله هذا لا ينتج ذلك وان أراد عين تلك الساعة فساعة الجمعة لم تكن موجودة حينئذ وانما جاء تفضيلها فى الاحاديث الصحيحة بعد

ذلك

ثوبى حسنا ونعلى حسنة أفمن الكبر ذاك فقال لا ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس

(فصل) وكذلك كان هديه صلى الله عليه وسلم وسيرته فى الطعام لا يرد موجودا ولا يتكلف مفقودا فما قرب اليه شئ من الطيبات الا أكله الا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم وما عاب طعاما قط ان اشتهاه أكله والا تركه كما ترك أكل الضب لما لم يعتده ولم يحرمه على الامة بل أكل على مائدته وهو ينظر وأكل الحلوى والعسل وكان يحبهما وأكل لحم الجزور والضأن والدجاج ولحم الحبارى ولحم حمار الوحش والارنب وطعام البحر وأكل الشوى وأكل الرطب والتمر وشرب اللبن خالصا ومشوبا والسويق والعسل بالماء وشرب نقيع التمر وأكل الخزيرة وهى حساء يتخذ من اللبن والدقيق وأكل القثاء بالرطب وأكل الاقط وأكل التمر بالخبز وأكل الخبز بالخل وأكل الثريد وهو الخبز باللحم وأكل الخبز بالاهالة وهى الودك وهو الشحم المذاب وأكل من

ذلك بمدة فلم يمكن اجتماعهما حتى يفاضل بينهما وتلك انقضت وهذه باقية الى اليوم وقد نص الشارع عليها ولم يتعرض لساعة مولده ولا امتنانا فوجب علينا الاقتصار على ما جاءنا عنه ولا نبتدع شيأ من عند نفوسنا القاصرة عن ادراكه الا بتوقيف (ولم يجعل الله تعالى في يوم الاثنين يوم مولده) بالجر بدل (عليه السلام من التكليف بالعبادات ما جعل في يوم الجمعة المخلوق فيه آدم من) صلاة (الجمعة والخطبة وغير ذلك) من نحو الغسل وحلق العانة (اكراما لنبيه عليه الصلاة والسلام بالتخفيف عن أمته بسبب عناية وجوده قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) مؤمنهم وكافرهم قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (ومن جملة ذلك عدم التكليف) وأبدى ابن الحاج حكمة تخصيصه بيوم الاثنين وهي خلق الاشجار فيه ومنها أرزاق العباد وأقواتهم فوجوده فيه قرة عين بسبب ما وجد من الخير العظيم لامته (واختلف أيضا في الوقت الذي ولد فيه) أهو الليل أم النهار (والمشهور انه يوم الاثنين) كما عرفنا وأفادنا انه بالنهار (فعن أبي قتادة الانصاري) الخزرجي السلمي المدني فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم حضر سائر المشاهد الا بدرا ففيه خلف وليس في الصحابة من يكنى بكنيته غيره واسمه الحرث بن ربعي بكسر الراء أو النعمان بن ربعي أو النعمان بن عمرو والاول جزم في التبصيرمات بالمدينة سنة ثمان وثلاثين أو أربع وخمسين عن سبعين سنة (انه صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام) يوم (الاثنين قال ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت على فيه النبوة) أي انه أول يوم أوحي الي فيه (رواه مسلم) من طريق شعبة عن غيلان عن عبد الله بن معبد عن أبي قتادة في حديث طويل وفيه ما لفظه وسئل عن صوم يوم الاثنين قال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أو أنزل على فيه فالمصنف نقله بمعناه ويقع في بعض نسخ المواهب عن قتادة بحذف أبي وهو تحريف فالذي في مسلم عن أبي قتادة كما رأيت وقتادة هو ابن النعمان الاوسي صحابي آخر (وهذا) الحديث (يدل) صريحا (على انه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا) لقوله ذاك يوم ولدت فيه (و) روى أحمد (في المسند عن ابن عباس قال ولد صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ) أي نبئ فالسين للتأكيد (يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ورفع) صلى الله عليه وسلم (الحجر) الاسود الى موضعه فوضعه فيه بيده المباركة (يوم الاثنين) حين بنت قريش الكعبة سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم واختصموا فيمن يرفع الحجر الى موضعه حتى أعدوا للقتال ثم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا قال ابن اسحق فزعم أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة وكان أسنهم يومئذ قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول داخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فكان صلى الله عليه وسلم أول داخل فقالوا هذا الامين رضينا وأخبروه الخبر فقال هلم الى ثوبا فأتى به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم (انتهى) ما في المسند وفيه ارسال صحابي لانه لم يدرك ذلك وكان في الهجرة ابن ثلاث سنين كما مر (وكذا فتح مكة) عند بعضهم والمعروف ما رواه البيهقي انه كان يوم الجمعة واقتصر عليه المصنف في غزوة الفتح (ونزول سورة المائدة) أي قوله فيها اليوم أكملت لكم دينكم الآية كان ذلك (يوم الاثنين) ففي بعض الطرق عند ابن عساكر وأنزلت سورة المائدة يوم الاثنين اليوم أكملت لكم دينكم وكانت وقعة بدر يوم الاثنين قال ابن عساكر المحفوظ ان وقعة بدر ونزول اليوم أكملت لكم دينكم يوم الجمعة (وقد روى انه) صلى الله عليه وسلم (ولد عند طلوع الفجر) من يوم الاثنين (فعن عبد الله بن عمرو بن العاصي) بن وائل القرشي السهمي قال النووي الجمهور على كتابة العاصي بالياء وهو الصحيح عند أهل العربية ويقع في كثير من كتب الحديث وغيرها بحذف الياء وهي لغة قرئ بها

الكبد المشوية وأكل القديد وأكل الدباء المطبوخة وكان يحبها وأكل المسلوقة وأكل الثريد بالسمن وأكل الجبن وأكل الخبز بالزيت وأكل البطيخ بالرطب وأكل التمر بالزبد وكان يحبه ولم يكن يرد طيبا ولا يتكلفه بل كان هديه أكل ما تيسر فان أعوزه صبر حتى انه ليربط على بطنه الحجر من الجوع ويرى الهلال والهلال والهلال ولا يوقد في بيته نار وكان معظم مطعمه يوضع على الارض في السفرة وهي كانت مائدته وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقها اذا فرغ وهو أشرف ما يكون من الاكلة فان المتكبر يأكل بأصبع واحدة والجشع الحريص يأكل بالخمس ويدفع بالراحة وكان لا يأكل متكئا والاتكاء على ثلاثة أنواع أحدها الاتكاء على الجنب والثاني التربع والثالث الاتكاء على احدى يديه وأكله بالاخرى والثلاث مذمومة وكان يسمي الله تعالى على أول طعامه ويحمده في آخره فيقول عند انقضائه الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفي ولا مودع

في السبع كالكبير المتعال والداع ونحوهما وقال في موضع آخر الصحيح في العاصي وابن أبي الموالي والمهادي واليماني اثبات الياء انتهى ومراده من بدأول الكتاب (قال كان بمر الظهران) موضع على مرحلة من مكة (راهب يسمى عيصا) كذا في نسخ كفتح الباري بألف منونا سواء قلنا انه أعجمي أو عربي لانه ثلاثي ساكن الوسط كنوح وهو مصروف وفي نسخ عيصي بالياء وفي الشامية عيص بلا ألف ولا ياء فهو ممنوع الصرف (من أهل الشام) زاد في رواية ابن عساكر آتاه الله علما كثيرا وجعل فيه منافع كثيرة لاهل مكة يدخل كل سنة اليها فيلقى الناس (وكان يقول يوشك) يقرب (أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب) تنقاد وتخضع وتذل (ويملك العجم هذا زمنه فكان لا يولد بمكة مولود الا يسئل) بالبناء للمفعول (عنه) ذلك الراهب لقوله لهم ذلك وفي رواية ابن عساكر وكان لا يولد بها مولود الا سأل عنه (فلما كان صبيحة) أي أول (اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى أتى عيصا) ليسأله عن هذا المولود أهو الذي قال فيه ما قال (فناداه) أي نادى عبد المطلب عيصا (فأشرف عليه فقال له عيص كن أباه) أي اتصف بكونك أباه بأن تعتقد ذلك وتسمية الجد أبا حقيقة ووقع في رواية ابن عساكر عن ابن عمرو المذكور خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيصا الخ وانما يجيء على أن أباه مات وهو في المهد لكن المخرج متحد فلعلها اشتبه (فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث) بعد ذلك الى الناس بشيرا ونذيرا (يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال) عبد المطلب (ولد لي الليلة مع الصبح مولود) فأفادت المعية انه ولد عند طلوع الفجر وهو محل الشاهد من هذا الحديث (قال) الراهب (فما سميته قال محمدا) أي عزمت على تسميته فلا ينافي ما مر انه سماه يوم سابعه (قال) الراهب (والله لقد كنت أشتهي) أتمنى أن يكون (هذا المولود فيكم) يا (أهل هذا البيت) الكعبة لما رأيته فيكم من تميزكم على غيركم من العرب بالخصال الحميدة ومكارم الاخلاق وقد علمت وجوده مطابقة لما كنت تمنيته (بثلاث) أي بسبب ثلاث (خصال تعرفه) بضم الفوقية فعين مفتوحة فراء مشددة أي تميزه تلك الخصال وتدل على انه ذلك المولود وفي نسخة نعرفه وكذا عند ابن عساكر بفتح النون أي نعرفه نحن بها (فقد أتى) مشتملا (عليهن) وهو مجاز عن أتى بكذا اذا قام عليه ففي المصباح أتى عليه ربه فكأنه لقيام الصفات به ربها (منها) أي الخصال التي علم وجوده بها (انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد رواه أبو جعفر بن أبي شيبة) محمد بن عثمان العبسي الكوفي محدثها الحافظ البارع صنف وجمع وثقه صالح جزرة وابن عدي وعبدان وقال عبد الله بن أحمد كذاب وقال ابن خراش يضع وقال المطين هو عصا موسى تلقف ما يأفكون وقال ابن البرقاني لم أزل أسمع انه مقدوح فيه مات في جمادى الاولى سنة سبع وتسعين ومائتين وما يقع في نسخ أبو جعفر وابن أبي شيبة بزيادة واو غلط من الجهلة (وخرجه أبو نعيم في الدلائل) أي في كتاب دلائل النبوة وكذا رواه ابن عساكر (بسند ضعيف) ومن ثم عبر أولا بروي تمريضا على العادة (وقيل كان مولده عليه الصلاة والسلام عند طلوع الغفر) بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء ثم راء مهملة كما ضبطه ابن باطيش وهو مقتضى القاموس (وهو ثلاثة أنجم صغار ينزلها القمر وهو مولد النبيين) أي وقت مولدهم (ووافق ذلك من الشهور الشمسية نيسان) بفتح النون وهو سابع الاشهر الرومية كما في القاموس (وهو برج الحمل) وفي النور عن الدمياطي ولد في برج الحمل وهو يحتمل ان يكون في نيسان وأن يكون في اذار انتهى لكن ما جزم به المصنف نقله في روضة الاحباب عن أبي معشر البلخي (وكان) ذلك أي مولده (لعشرين مضت منه) من نيسان قاله الخوارزمي (وقيل ولد ليلا) من غير تعيين وقت ولادته لكونه عند طلوع الغفر فغاير ما قبله (فعن عائشة) انها قالت (كان بمكة يهودي يتجر فيها فلما

ولا مستغنى عنه ربنا وربما قال الحمد لله الذي يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وأسقانا وكل بلاء حسن أبلانا الحمد لله الذي أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسى من العري وهدى من الضلالة وبصر من العمى وفضل على كثير ممن خلق تفضيلا الحمد لله رب العالمين وربما قال الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وكان اذا فرغ من طعامه لعق أصابعه ولم يكن لهم مناديل يمسحون بها أيديهم ولم يكن عادتهم غسل أيديهم كلما أكلوا وكان أكثر شربه قاعدا بل زجر عن الشرب قائما وشرب مرة قائما فقيل هذا نسخ لنهيه وقيل بل فعله لبيان جواز الامرين والذي يظهر فيه والله أعلم انها واقعة عين شرب فيها قائما لعذر وسياق القصة يدل عليه فانه أتى زمزم وهم يستقون منها فأخذ الدلو وشرب قائما والصحيح في هذه المسألة النهي عن الشرب قائما وجوازه لعذر يمنع من القعود وبهذا تجمع أحاديث الباب والله أعلم وكان اذا شرب ناول من على يمينه وان كان من

كانت الليلة التي ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال) اليهودي بهذا ما تلقته عن غيرها لان ولادتها بعد ذلك بمدة وهي لا تحدث الا عن ثقة (يا معشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلمه قال) زاد في رواية يعقوب بن سفيان السابقة انظروا فانه (ولد في هذه الليلة نبي هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة) هي خاتم النبوة (فيها شعرات متواترات) أي مجتمعات كما في رواية في صفة الخاتم وفي أخرى متراكبات (كأنهن عرف الفرس) وفي رواية يعقوب فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب غلام (فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه فقالوا لها) أي (أخرجي المولود ابنك فاخرجته) لهم (وكشفوا عن ظهره فرأى تلك الشامة فوقع اليهودي مغشيا عليه فلما أفاق قالوا مالك) أي أي شئ حصل لك (ويلك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل) يعقوب عليه السلام (رواه الحاكم) ورواه يعقوب بن سفيان عن عائشة أيضا كما قدم المصنف قريبا في عجائب ولادته وأعاده هنا استدلالا على انه ولد ليلا مع افادة انه رواه غير من عزاه له هناك فلا تكرار وان كانت القصة واحدة لان المخرج بفتح الميم متحد وهو عائشة رضي الله عنها ولا يضر اختلاف بعض الالفاظ بالزيادة والنقص لانه من اختلاف الرواة (قال الشيخ بدر الدين الزركشي والصحيح أن ولادته عليه الصلاة والسلام كانت نهارا) لا ليلا (قال وأما ما روى من تدلي النجوم ليلة مولده كالذي رواه البيهقي في حديث فاطمة بنت عبد الله الثقفية ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي (فضعفه ابن دحية لاقتضائه أن الولادة ليلا) وانما كانت نهارا على الصحيح (قال) الزركشي (وهذا لا يصلح أن يكون تعليلا) لتضعيف المروي من تدلي النجوم لا لكونه ولد ليلا بدليل قوله (فان زمان النبوة صالح للخوارق ويجوز أن تسقط النجوم نهارا انتهى) كلام الزركشي على أن في تضعيفه بتلك العلة شيأ على مقتضى الصناعة فالمحدثون انما يعللون الحديث من جهة الاسناد الذي هو المرقاة لا بمخالفة ظاهر القرآن فضلا عن معارضته بأحاديث أخر كما صرح به الحافظ ابن طاهر وغيره قال النجم وقد يقال ان الولادة عقب الفجر وللنجوم حينئذ سلطان كما في الليل فلا ينافي سقوطها انتهى (فان قلت اذا قلنا بأنه عليه السلام ولد ليلا) على القول المرجوح (فأيما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده عليه السلام) الاصل أي ليلة القدر بالهمزة لانه بدل من اسم الاستفهام وحكم المبدل منه انه يلي الهمز قال ابن مالك رحمه الله تعالى

وبدل المضمن الهمز يلي * همزا كمن ذا أسعيد أم علي

قلت (أجيب بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة أحدها أن ليلة المولد ليلة ظهوره صلى الله عليه وسلم وليلة القدر معطاة له وما) أي والذي (شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه ولا نزاع في ذلك) الذي ذكرناه من أن ما شرف الخ وحيث لا نزاع (فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر) بهذا الاعتبار (الثاني) من الوجوه الثلاثة (أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها) على أحد الاقوال في سبب تسميتها بذلك والثاني انزول القرآن فيها والثالث أن الذي يراها يصير ذا قدر والرابع لما يكتب فيها من الاقدار فيها يفرق كل أمر حكيم (وليلة المولد شرفت بظهوره صلى الله عليه وسلم ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر) وهم الملائكة (على الاصح المرتضى) عند جمهور أهل السنة من أن النبي أفضل من الملك فأما نبينا صلى الله عليه وسلم فأفضل من جميع العالمين اجماعا حكاه الامام الرازي وابن السبكي والسراج البلقيني قال الزركشي واستثنوه من الخلاف في التفضيل بين الملك والبشر فهو أفضل حتى من أمين الوحي خلافا لما وقع في الكشاف ولذا قال بعض المغاربة تجهل الزمخشري مذهبه فقد أجمع المعتزلة على استثناء المصطفى من الخلاف انتهى نعم زعم أن طائفة منهم كالرماني خرقوا

على يساره أكبر منه

(فصل في هديه في النكاح ومعاشرته صلى الله عليه وسلم أهله)

صح عنه من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال حبب الي من دنيا كم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة هذا لفظ الحديث ومن رواه حبب الي من دنيا كم ثلاث فقد وهم ولم يقل صلى الله عليه وسلم ثلاث والصلاة ليست من أمور الدنيا التي يضاف اليها وكان النساء والطيب أحب شئ اليه وكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة وكان قد أعطى قوة ثلاثين في الجماع وغيره وأباح الله له من ذلك ما لم يبحه لاحد من أمته وكان يقسم بينهن في المبيت والايواء والنفقة وأما المحبة فكان يقول اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك فقيل هو الحب والجماع ولا يجب التسوية في ذلك لانه مما لا يملك وهل كان القسم واجبا عليه أو كان له معاشرتهن من غير قسم على قولين للفقهاء فهو أكثر الامة نساء قال ابن عباس تزوجوا فان خير هذه الامة أكثرها نساء وطلق صلى الله عليه وسلم

الاجماع فتبعهم الزمخشرى وحيث كان كذلك (فتكون ليلة المولد أفضل) وهو المدعى (الثالث أن ليلة القدر يقع فيها التفضيل على أمة محمد صلى الله عليه وسلم) فقط لانها مختصة بهم ولم تكن لمن قبلهم على الصحيح المشهور الذى قطع به جمهور العلماء كما قال النووى (وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر) جميع (الموجودات) أمته وغيرهم من حيث الامن من العذاب العام كالخسف والمسخ (فهو الذى بعثه الله عز وجل رحمة للعالمين) كما قال فى الكتاب المبين (فعمت به) بمولده (النعمة على جميع الخلائق فكانت ليلة المولد أعم نفعا فكانت أفضل) من ليلة القدر بهذا الاعتبار وهذا الذى ساقه المصنف وأقره متعقب قال الشهاب الهيتمى فيه احتمال واستدلال بما لا ينتج المدعى لانه ان أريد أن تلك الليلة ومثلها من كل سنة الى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر فهذه الادلة لا تنتج ذلك كما هو جلى وان أريد عين تلك الليلة فليلة القدر لم تكن موجودة اذ ذاك وانما أتى فضلها فى الاحاديث الصحيحة على سائر ليالى السنة بعد الولادة بمدة فلم يمكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما تفضيل وتلك انقضت وهذه باقية الى اليوم وقد نص الشارع على أفضليتها ولم يتعرض لليلة مولده ولا لامثالها بالتفضيل أصلا فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء عنه ولا نبتدع شيأ من عند نفوسنا القاصرة عن ادراكه الا بتوقيف منه صلى الله عليه وسلم على انا وسلمنا أفضلية ليلة مولده لم يكن له فائدة اذ لا فائدة فى تفضيل الازمنة الا بفضل العمل فيها وأما تفضيل ذات الزمن الذى لا يكون العمل فيه فليس له كبير فائدة الى هنا كلامه وهو وجيه ثم اذا قلنا بما قال المصنف وقلنا ان الولادة نهارا فهل الافضل يوم المولد أو يوم البعث والاقرب كما قال شيخنا أن يوم المولد أفضل لمن الله به فيه على العالمين ووجوده يترتب عليه بعثه فالوجود أصل والبعثة طارئة عليه وذلك قد يقتضى تفضيل المولد لاصالته (فيا شهرا ما أشرفه) بالفاء (وأوفر حرمة لياليه كأنها) لشدة لمعانها وضوئها (لآلئ) جمع لؤلؤة (فى العقود) جمع عقد (ويا وجها ما أشرقه) بالقاف (من) وجه (مولود فسبحان من جعل مولده للقلوب ربيعا وحسنه بديعا) وأنشد المصنف لغيره بيتين هما (يقول لنا لسان الحال منه *) صلى الله عليه وسلم (وقول الحق يعذب يحلو (للسميع) ان سألت عن صفاتى وأحوالى (فوجهى والزمان وشهر وضعى *) فالفاء جواب شرط مقدر (ربيع) المراد به وجهه صلى الله عليه وسلم شبهه بالربيع فى اعتداله وحسنه ورونقه (فى ربيع) أى زمن الربيع (فى ربيع) أى شهر ربيع المولود فيه صلى الله عليه وسلم وقد قال أهل المعانى كما فى السبل كان مولده فى فصل الربيع وهو أعدل الفصول ليله ونهاره معتدلان بين الحر والبرد يسميه معتدل بين اليبوسة والرطوبة وشمسه معتدلة فى العلو والهبوط وقمره معتدل فى أول درجة من الليالى البيض وينعقد فى سلك هذا النظام ما هيأ الله تعالى ادم من أسماء مربيه ففى الوالدة والقابلة الامن والشفاء وفى اسم الحاضنة البركة والنماء وفى مرضعتيه الآتى ذكرهما الثواب والحلم والسعد (واختلف أيضا فى) قدر (مدة الحمل به) صلى الله عليه وسلم (فقيل تسعة أشهر) كاملة وبه صدر مغلطاى قال فى الغرر وهو الصحيح (وقيل عشرة) أشهر (وقيل ثمانية وقيل سبعة وقيل ستة) حكى الاقوال الخمسة مغلطاى وغيره (وولد عليه السلام) بمكة على الصحيح الذى عليه الجمهور ولكن اختلف فى مكانه منها على أقوال فقيل ولد (فى الدار التى كانت) صارت بعد (لمحمد بن يوسف) الثقفى (أخى الحجاج) الظالم المشهور وهى بزقاق المدكك بدال مهملة وكانت قبل ذلك بيد عقيل بن أبى طالب قال ابن الاثير قيل ان المصطفى وهبها له فلم تزل بيده حتى توفى عنها فباعها ولده من محمد بن يوسف أخى الحجاج وقيل ان عقيلا باعها بعد الهجرة تبعا لقريش حين باعوا دور المهاجرين وفى الخميس فأدخل محمد بن يوسف ذلك البيت الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم فى داره التى يقال لها البيضاء ولم تزل كذلك حتى حجت خيزران جارية

وراجع وآلى أى لا يموقتا بشهر ولم يظاهر أبدا وأخطأ من قال انه ظاهر خطأ عظيما وانما ذكر هنا تنبيها على قبح خطئه ونسبته الى ما برأه الله منه وكان سيرته مع أزواجه حسن المعاشرة وحسن الخلق وكان يسرب الى عائشة بنات الانصار يلعبن معها وكان اذا هويت شيأ لا محذور فيه تابعها عليه وكانت اذا شربت من الاناء أخذه فوضع فمه فى موضع فمها وشرب وكان اذا تعرقت عرقا وهو العظم الذى عليه لحم أخذه فوضع فمه على موضع فمها وكان يتكئ فى حجرها ويقرأ القرآن ورأسه فى حجرها وربما كانت حائضا وكان يأمرها وهى حائض فتتزر ثم يباشرها وكان يقبلها وهو صائم وكان من لطفه وحسن خلقه مع أهله انه يمكنها من اللعب ويريها الحبشة وهم يلعبون فى مسجده وهى متكئة على منكبيه تنظر وسابقها فى السفر على الاقدام مرتين وتدافعا فى خروجهما من المنزل مرة وكان اذا أراد سفرا أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ولم يقض للبواقى شيأ والى هذا ذهب الجمهور وكان

المهدي أم هرون الرشيد فأفردت ذلك البيت وجعلته مسجدا يصلى فيه وفي النور تبعا للروض وأما الدار التي لمحمد بن يوسف فعمرتها زبيدة يعني زوجة هرون الرشيد مسجدا حين حجت وهي عند الصفا (ويقال بالشعب) بكسر الشين أطلقه تبعا لمغلطاي وفي العيون بشعب بني هاشم وظاهر المصنف كغيره مغايرة هذا القول لما قبله ووقع في الخميس عن بعضهم ولد بمكة في الدار التي تعرف بدار محمد بن يوسف في زقاق معروف بزقاق المولد في شعب مشهور بشعب بني هاشم من الطرف الشرقي لمكة تزار ويتبرك بها الى الآن انتهى وفيه ما فيه فبين الصفا والشعب مسافة بعيدة (ويقال بالردم) بفتح الراء وسكون الدال المهملتين قال في النور أي ردم بني جمح بمكة وهو لبني قراد (ويقال) لم يولد بمكة بل (بعسفان) حكاه مغلطاي قال في النور وهي قرية جامعة على ستة وثلاثين ميلا من مكة انتهى لكن ذا القول شاذ لا يعول عليه كما في شرح الهمزية

﴿ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم ومادته﴾

(وأرضعته صلى الله عليه وسلم ثويبة) بضم المثلثة وفتح الواو وسكون التحتية فباء موحدة فتاء تأنيث توفيت بمكة سنة سبع من الهجرة قال ابن منده اختلف في اسلامها وقال أبو نعيم لا أعلم أحدا ذكره الا ابن منده وقال ابن الجوزي لا نعلم انها أسلمت والبرهان في النور لم يذكرها أبو عمر في الصحابة وقال الذهبي يقال انها أسلمت فاذا الراجح عنده انها لم تسلم وقال الحافظ في طبقات ابن سعد ما يدل على انها لم تسلم لكن لا يدفع به نقل ابن منده قال ولم أقف في شيء من الطرق على اسلام ابنها مسروح وهو محتمل انتهى وذكر الحافظ أبو بكر بن العربي في سراج المريدين انه لم ترضعه مرضعة الا أسلمت ونقله السيوطي عن بعضهم ولعله عناه (عتيقة أبي لهب) ابن ابنها مسروح بفتح الميم وسكون السين المهملة فراء مضمومة فحاء مهملتين قال البرهان لا أعلم أحدا ذكره بالاسلام أياما قبل أن تقدم حليمة بعد ارضاع أمه له وما رواه ابن سعد أول من أرضعه ثويبة فالاولية نسبية أي غير أمه وقد ذكر العلماء ان مرضعاته صلى الله عليه وسلم عشر * أمه أرضعته تسعة أيام ذكره صاحب المورد والغرر وغيرهما وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام حكاهما الخميس عن أهل السير ووقع لبعضهم سبعة أشهر وهو وهم كأنه اشتبه عليه سبعة أيام بأشهر أو تحرف ذلك على الناقل عنه * وثويبة أياما قلائل قبل قدوم حليمة وأرضعت قبله حمزة وبعده أبا سلمة المخزومي رواه ابن سعد * وحليمة السعدية التي فازت بحنايته سعدها منه قاله ابن المنذر وابن الجوزي وعياض وغيرهم * وخولة بنت المنذر بن زيد أم بردة الانصارية ذكرها ابن الامين في ذيل الاستيعاب عن العدوي وتبعه في التجريد والمورد والعيون قال الشامي وهو وهم وانما أرضعت ولده ابراهيم كما ذكر ابن سعد وابن عبد البر وغيرهما وهو الذي في الاصابة بخطه وقد صرح ابن جماعة بأن ابن الامين ذكرها في المراضع فوهم قال وتبعه على ذلك بعض العصريين وكأنه يعني به العمري * وامرأة من بني سعد غير حليمة أرضعته وهو عند حليمة ذكره في الهدى وجوز البرهان في النور أنها خولة التي قبلها لا يصح فخولة انصارية وهذه سعدية * وأم أيمن بركة الحبشية ذكرها القرطبي والمشهور أنها من الحواضن لا المراضع * وأم فروة ذكرها جعفر المستغفري * وثلاث نسوة من بني سليم قال في الاستيعاب مر به صلى الله عليه وسلم على نسوة أبكار من بني سليم فأخرجن ثديهن فوضعنها في فيه فدرت قال بعضهم ولذا قال أنا ابن العواتك من سليم انتهى لكن قال السهيلي عاتكة بنت هلال أم عبد مناف عمة عاتكة بنت مرة أم هاشم وعاتكة بنت الاوقص أم وهب جده صلى الله عليه وسلم لامه هن عواتك ولدنه صلى الله عليه وسلم ولذا قال أنا ابن العواتك من سليم وقيل في تأويل هذا الحديث ان ثلاث نسوة من بني سليم أرضعنه كل تسمى عاتكة والاول أصح انتهى * واقتصر المصنف هنا وفي

يقول خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلي وكان ربما مد يده الى بعض نسائه في حضرة باقيهن وكان اذا صلى العصر دار على نسائه فدنا منهن واستقرأ أحوالهن فاذا جاء الليل انقلب الى بيت صاحبة النوبة فخصها بالليل وقالت عائشة كان لا يفضل بعضنا على بعض في مكثه عندهن في القسم وقل يوم الا كان يطوف علينا جميعا فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هو في نوبتها فيبيت عندها وكان يقسم لثمان منهن دون التاسعة ووقع في صحيح مسلم من قول عطاء ان التي لم يكن يقسم لها هي صفية بنت حيي وهو غلط من عطاء رحمه الله وانما هي سودة وانها لما كبرت وهبت نوبتها لعائشة وكان صلى الله عليه وسلم يقسم لعائشة يومها ويوم سودة وسبب هذا الوهم والله أعلم انه كان قد وجد على صفية في شيء فقالت لعائشة هل لك أن ترضي رسول الله صلى الله عليه وسلم عني وأهب لك يومي قالت نعم فقعدت عائشة الى جنب النبي صلى الله عليه وسلم في يوم صفية فقال اليك عني يا عائشة

المقصد الثانى على ثويبة وحليمة لانه أراد من استقلت بارضاعه وهؤلاء لم يتصفن بذلك والنزاع فى خولة وأم أيمن والعواتك سلمنا ارضاع العواتك فانما هو اتفاقى خصوصا وقد كن أبكارا وثويبة وان قلت أيام رضاعها مستقلة به فيها وأما أمه وان أرضعته تلك المدة فهى فى معرض دفعه لمرضعة تستقل به (أعتقها) أبو لهب (حين بشرته بولادته عليه السلام) على الصحيح فقالت له أشعرت أن آمنة قد ولدت غلاما لأخيك عبد الله فقال لها اذهبى فأنت حرة كما فى الروض وقيل انما أعتقها بعد الهجرة قال الشامى وهو ضعيف والجمع أنه أعتقها حينئذ ولم يظهره الا بعد الهجرة مما لا يسمع فانه لما هاجر كان عدوا فلا يتأتى منه اظهار أنه كان فرح بولادته وأيضا فالقائل بالثانى لا يقول انه أعتقها للبشارة بالولادة وقد روى انه أعتقها قبل ولادته بدهر طويل (وقد رؤى) بالبناء للمفعول (أبو لهب بعد موته فى النوم) والرائى له أخوه العباس بعد سنة من وفاة أبى لهب بعد وقعة بدر ذكره السهيلى وغيره (فقيل له ما حالك قال فى النار الا أنه خفف عنى) بعض العذاب بسبب ما أسقاه من الماء (كل ليلة اثنين و) ذلك أنى (أمص) بفتح الميم أفصح من ضمها من بابى تعب وقتل كما فى المصباح (من بين اصبعى هاتين ماء) والظاهر أنهما السبابة والابهام وحكمة تخصيصهما اشارته لها بالعتق بهما وحملناه على أن التخفيف بسبب الماء ليلتئم مع ما رواه البخارى وعبد الرزاق والاسماعيلى عن قتادة ان ثويبة مولاة أبى لهب كان أبو لهب أعتقها فارضعت النبى صلى الله عليه وسلم فلما مات أبو لهب أريه بعض أهله بشر حيبة فقال ماذا لقيت قال لم ألق بعدكم زاد عبد الرزاق راحة ولفظ الاسماعيلى رخاء قال ابن بطال سقط المفعول من جميع رواة البخارى ولا يستقيم الا بغير انى لقيت فى هذه زاد عبد الرزاق وأشار الى النقرة التى تحت ابهامه بعتاقتى ثويبة حيبة بحاء مهملة مكسورة وتحتية ساكنة وموحدة مفتوحة أى سوء حال وأصلها حوبة وهى المسكنة والحاجة قلبت واوها ياء لانكسار ما قبلها وذكر البغوى انها بفتح الحاء وللمستملى بخاء معجمة مفتوحة أى فى حالة خائبة وقال ابن الجوزى انه تصحيف وروى بالجيم قال السيوطى وهو تصحيف باتفاق (وأشار) أبو لهب الى تقليل ما يسقاه (برأس أصبعه) الى النقرة التى تحت ابهامه كما مر فى رواية عبد الرزاق قال ابن بطال يعنى ان الله سقاه ماء فى مقدار نقرة ابهامه لاجل عتقها وقال غيره أراد بالنقرة التى بين ابهامه وسبابته اذا مد ابهامه فصار بينهما نقرة يسقى من الماء بقدر ما تسعه تلك النقرة وبهذا علم أن النقرة التى أشار اليها على صورة خلقته فى الدنيا الا على صورة الكفار فى جهنم والمراد بقوله سقيت من الماء انه وصل الى جوفه بسبب ما يمصه من أصابعه لانه يؤتى له به من خارج جمعا بين الروايتين وقد تعسف من قال ما يسقاه ليس من الجنة لان الله حرمها على الكافرين فانه لا يتوهم أحد أنه من الجنة سواء قلنا انه يسقى مما يمصه أو يؤتى له به من خارج حتى ينص عليه (و) أشار الى (أن ذلك باعتاقى لثويبة) وتقدمت رواية الجماعة بعتاقتى بفتح العين قال فى شرح العمدة عبر به دون اعتاق وان كان هو المناسب لانها أثره فلذا أضافها الى نفسه وعلى نقل المصنف فمعنى الاضافة ظاهر لان الاعتاق فعله والعتاقة أثر يترتب عليه (حين بشرتنى بولادة النبى صلى الله عليه وسلم وبارضاعها له) أى بأثره فلا يرد أنه ليس فعله حتى يجازى عليه ولا يعارضه قوله تعالى فجعلناه هباء منثورا لانه لما لم ينجهم من النار ويدخلهم الجنة كأنه لم يقدم أصلا كما أشار اليه البيهقى أولانه هباء بعد الحشر وهذا قبله وقال السهيلى هذا النفع انما هو نقصان من العذاب والا فعمل الكافر كله محبط بلا خلاف أى لا يجده فى ميزانه ولا يدخل به الجنة انتهى وجوز الحافظ تخفيف عذاب غير الكفر بما عملوه من الخير بناء على أنهم مخاطبون بالفروع وفى التوشيح قيل هذا خاص به اكراما للنبى صلى الله عليه وسلم كما خفف عن أبى طالب بسببه وقيل لا مانع من تخفيف العذاب عن كل كافر عمل خيرا (قال)

فانه لنفسك يوم ثم قالت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وأخبرته بالخبر فرضى عنها وانما كانت وهبتها ذلك اليوم وتلك النوبة الخاصة ويتعين ذلك والا كان يكون القسم لسبع منهن وهو خلاف الحديث الصحيح الذى لا ريب فيه أن القسم كان لثمان والله أعلم ولو اتفقت مثل هذه الواقعة لمن له أكثر من زوجتين فوهبت احداهن يومها للأخرى فهل للزوج أن يوالى بين ليلة الموهوبة وليلتها الاصلية وان لم تكن ليلة الواهبة تليها أو يجب عليه أن يجعل ليلتها هى الليلة التى كانت تستحقها الواهبة بعينها على قولين فى مذهب أحمد وغيره وكان صلى الله عليه وسلم يأتى أهله آخر الليل وأوله واذا جامع أول الليل فكان ربما اغتسل ونام وربما توضأ ونام وذكر أبو اسحق السبيعى عن الاسود عن عائشة انه كان ربما نام ولم يمس ماء وهو غلط عند أئمة الحديث وقد أشبعنا الكلام عليه فى كتاب تهذيب سنن أبى داود وايضاح علله ومشكلاته وكان يطوف على نسائه بغسل واحد وربما اغتسل عند كل

الحافظ أبو الخير شمس الدين (ابن الجزري) محمد بن محمد بن محمد الدمشقي الامام في القراآت الحافظ للحديث صاحب التصانيف التي منها النشر في القراآت العشر لم يصنف مثله ولد سنة احدى وخمسين وسبعمائة ومات سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة (فاذا كان هذا الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه) * و (ليلة مولد) وضع النبي صلى الله عليه وسلم (به) أي بالمولد (فما حال المسلم الموحد من أمته عليه السلام) حال كونه (يسر) وفي نسخة الذي يسر (بمولده ويبذل) بضم الذال يعطي بسماحة (ما تصل اليه قدرته في محبته صلى الله عليه وسلم) من الصدقات وهو استفهام تفخيم أي فحاله بذلك أمر عظيم ولله در حافظ الشام شمس الدين محمد بن ناصر في قوله

اذا كان هذا كافرا جاء ذمه * وتبت يداه في الجحيم مخلدا

أتى أنه في يوم الاثنين دائما * يخفف عنه للسرور بأحمدا

فما الظن بالعبد الذي كان عمره * بأحمد مسرورا ومات موحدا

وقوله في يوم الاثنين على حذف مضاف أي في ليلة يوم الاثنين فلا يرد عليه حديث المصنف كل ليلة اثنين الصريح في أن التخفيف ليلا فلا وجه لدعوى انه يخفف نهارا بسبب سقيه ليلا لاحتياجه لبرهان ومجرد النظم لا دلالة فيه لما علم من كثرة حذف المضاف (لعمري) بالفتح أي لحياتي فسمي كما في القاموس لغة في العمر يختص به القسم لايثار الاخف فيه لكثرة دوره على ألسنتهم كما في الانوار (انما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله العميم جنات النعيم) ويمتعه فيها برؤية وجهه العظيم (ولا زال) أي استمر (أهل الاسلام) بعد القرون الثلاثة التي شهد المصطفى صلى الله عليه وسلم بخيريتها فهو بدعة وفي أنها حسنة قال السيوطي وهو مقتضى كلام ابن الحاج في مدخله فانه انما ذم ما احتوى عليه من المحرمات مع تصريحه قبل بانه ينبغي تخصيص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الصدقات والخيرات وغير ذلك من وجوه القربات وهذا هو عمل المولد المستحسن والحافظ أبي الخطاب بن دحية وألف في ذلك التنوير في مولد البشير النذير فاجازه الملك المظفر صاحب أربل بالف دينار واختاره أبو الطيب السبتي نزيل قوص وهؤلاء من أجلة المالكية أو مذمومة وعليه التاج الفاكهاني وتكفل السيوطي لرد ما استند اليه حرفا حرفا والاول أظهر لما اشتمل عليه من الخير الكثير (يحتفلون) يهتمون (بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون في لياليه بانواع الصدقات ويظهرون السرور) به (ويزيدون في المبرات ويعتنون بقراءة) قصة (مولده الكريم ويظهر عليهم من بركاته كل فضل عميم) وأول من أحدث فعل ذلك الملك المظفر أبو سعيد صاحب أربل قال ابن كثير في تاريخه كان يعمل المولد الشريف في ربيع الاول ويحتفل فيه احتفالا هائلا وكان شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا وطالت مدته في الملك الى أن مات وهو محاصر الفرنج بمدينة عكا في سنة ثلاثين وستمائة محمود السيرة والسريرة قال سبط بن الجوزي في مرآة الزمان حكى لي بعض من حضر سماط المظفر في بعض الموالد أنه عد فيه خمسة آلاف رأس غنم شواء وعشرة آلاف دجاجة ومائة فرس ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى وكان يحضر عنده في المولد أعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطلق لهم البخور وكان يصرف على المولد ثلثمائة ألف دينار انتهى (ومما جرب من خواصه) أي عمل المولد (أنه أمان في ذلك العام وبشرى عاجلة بنيل البغية) بكسر الباء وضمها لغة الحاجة التي تبغيها وقيل بالكسر الهيئة وبالضم الحاجة قاله المصباح (والمرام) أي المطلوب فهو تفسيري الى هنا كلام ابن الجوزي في مولده المسمى عرف التعريف بالمولد الشريف (فرحم الله امرأ اتخذ ليالي شهر مولده المبارك أعيادا) جمع عيد (ليكون) الاتخاذ (أشد علة) بكسر العين في أكثر النسخ أي مرضا وفي بعضها بغين معجمة

واحدة فعل هذا وهذا وكان اذا سافر وقدم لم يطرق أهله ليلا وكان ينهى عن ذلك

(فصل في هديه وسيرته صلى الله عليه وسلم) في نومه وانتباهه كان ينام على الفراش تارة وعلى النطع تارة وعلى الحصير تارة وعلى الارض تارة وعلى السرير تارة بين (١) رماله وتارة على كساء أسود وقال عباد بن تميم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستلقيا في المسجد واضعا احدى رجليه على الاخرى وكان فراشه أدما حشوه ليف وكان له مسح ينام عليه يثني بثنيتين وثني له يوما أربع ثنيات فنهاهم عن ذلك وقال ردوه الى حاله الاول فانه منعني صلاتي الليلة والمقصود انه نام على الفراش ويتغطى باللحاف وقال لنسائه ما أتاني جبريل وأنا في لحاف امرأة منكن غير عائشة وكانت وسادته أدما حشوها ليف وكان اذا أوى الى فراشه للنوم قال باسمك اللهم أحيا وأموت وكان يجمع كفيه ثم ينفث فيهما وكان يقرأ فيهما قل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما

(١) قوله رماله رمال السرير شريط يجعل ظهاره له اهـ من محيط المحيط

مضمومة أى احتراق قلب فكلاهما صحيح (على من فى قلبه مرض وأعى) بفتح الهمزة وسكون العين مضافا الى (دا) المقصور للسجع وأصله المدعطى على أشدعله أى عما يصيبه من الغيظ الحاصل له بمولده صلى الله عليه وسلم (ولقد أطنب ابن الحاج) أبو عبد الله محمد بن محمد العبدرى الفاسى أحد العلماء العاملين المشهورين بالزهد والصلاح من أصحاب ابن أبى جمرة كان فقيها عارفا بمذهب مالك وصحب جماعة من أرباب القلوب ومات بالقاهرة سنة سبع وثلاثين وسبعمائة (فى) كتاب (المدخل) الى تنمية الاعمال بتحسين النيات والتنبيه على كثير من البدع المحدثة والعوائد المنتحلة قال ابن فرحون وهو كتاب حفيل جمع فيه علما غزيرا والاهتمام بالوقوف عليه متعين ويجب على من ليس له فى العلم قدم راسخ ان يهتم بالوقوف عليها انتهى (فى الانكار على ما أحدثه الناس) البشر وقد يكون من الانس والجن قيل مشتق من ناس ينوس اذا تحرك وقيل من النسيان والى ترجيحه يومى كلام المنجد قال أبو تمام

لا تنسين تلك العهود فانما * سميت انسانا لانك ناسى

(من البدع والاهواء) أى المفاسد التى تميل اليها النفس فهو مساو للبدع المرادة هنا (والغناء) مثل كتاب الصوت وقياسه الضم لانه صوت وغنى بالتشديد ترنم بالغناء كذا فى المصباح (بالآلات المحرمة) كالعود والطنبور (عند عمل المولد الشريف فالله تعالى يثيبه على قصده الجميل) الجنة ونعيمها (ويسلك بنا سبيل السنة) أى الطريق الموصلة اليها من فعل الطاعات واجتناب المعاصى والمراد طلب الهداية الى ذلك وفى نسخة بنا وبه والمراد سلوكه بالنسبة لابن الحاج جعله فى زمرة المتقين فى الآخرة (فانه) سبحانه (حسبنا) كافينا (ونعم الوكيل) الموكول اليه هو والحاصل أن عمله بدعة لكنه اشتمل على محاسن وضدها فمن تحرى المحاسن واجتنب ضدها كانت بدعة حسنة ومن لا فلا قال الحافظ ابن حجر فى جواب سؤال وظهر لى تخريجه على أصل ثابت وهو ما فى الصحيحين ان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم فقالوا هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى ونحن نصومه شكرا قال فيستفاد منه فعل الشكر على ما من به فى يوم معين وأى نعمة أعظم من بروز نبى الرحمة والشكر يحصل بانواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة وسبقه الى ذلك الحافظ ابن رجب قال السيوطى وظهر لى تخريجه على أصل آخر وهو ما رواه البيهقى عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه ولا تعاد العقيقة مرة ثانية فيحمل على انه فعله شكرا فكذلك يستحب لنا اظهار الشكر بمولده بالاجتماع واطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات وتعقبه النجم بانه حديث منكر كما قاله الحافظ بل قال فى شرح المهذب انه حديث باطل فالتخريج عليه ساقط انتهى (وقد ذكروا) زعم من المراد أهل الاشارة من الصوفية فاما الفقهاء والمحدثون فلم يذكروا شيأ من ذلك وفيه نظر ففى الخميس روى عن مجاهد قلت لابن عباس تنازعت الطيور فى ارضاع محمد صلى الله عليه وسلم قال أى والله وكل نساء وذلك لما نادى الملك فى السماء الدنيا هذا محمد سيد الانبياء طوبى لثدى أرضعه فتنافست الجن والطير فى ارضاعه فنوديت أن كفوا فقد أجرى الله ذلك على أيدى الانس فخص الله بتلك السعادة وشرف بذلك الشرف حليمة انتهى (أنه لما ولد صلى الله عليه وسلم قيل من يكفل هذه الدرة اليتيمة) أى نادى ملك بهذا الكلام فى سماء الدنيا حيث قال طوبى لثدى أرضعه كما مر (التى لا يوجد مثلها) أى لنفى مماثلها (قيمة) فليس المراد أن له مثلا لكن لا قيمة له لنفاسته بل المراد نفى القيمة والمثل معا (قالت الطيور) بلسان الحال على الظاهر ولا مانع منه (نحن نكفله ونغتنم خدمته العظيمة وقالت الوحوش) حيوان البر (نحن أولى بذلك) منكم أيها الطيور لكونه فى الارض ونحن بها بخلافكم (ننال شرفه وتعظيمه) العائدين على من يكفله (فنادى لسان القدرة) شبه القدرة بذى لسان

فما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات وكان ينام على شقه الايمن ويضع يده اليمنى تحت خده الايمن ثم يقول اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك وكان يقول اذا أوى الى فراشه الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى ذكره مسلم وذكر أيضا انه كان يقول اذا أوى الى فراشه اللهم رب السموات والارض ورب العرش العظيم فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر أنت آخذ بناصيته أنت الاول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك شئ وأنت الظاهر فليس فوقك شئ وأنت الباطن فليس دونك شئ اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وكان اذا استيقظ من منامه فى الليل قال لا اله الا أنت سبحانك اللهم أستغفرك لذنبى وأسألك رحمتك اللهم زدنى علما ولا تزغ قلبى بعد اذ هديتنى وهب لى من لدنك رحمة انك أنت الوهاب وكان اذا انتبه من نومه قال الحمد

يأمر به وينهى استعارة بالكناية واثبات اللسان تخييل والنداء ترشيح (أن يا جميع المخلوقات
أن الله كتب في سابق حكمته القديمة) والمراد أن قدرته تعلقت باعلامهم بذلك (ان نبيه
الكريم يكون رضيعا لحليمة الحليمة) من الحلم وقد ذكر العزفي أن عبد المطلب سمع وقت
دخول حليمة هاتفا يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا * خير الانام وخيرة الاخيار
ماان له غير الحليمة مرضع * نعم الامينة هي على الابرار
مأمونة من كل عيب فاحش * ونقية الاثواب والازرار
لا تسلمنه الى سواها انه * أمر وحكم جا من الجبار

(قالت حليمة) بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحرث وقيل الحرث بن عبد الله السعدية قال في الاستيعاب
روى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار قال جاءت حليمة بنت عبد الله أم النبي صلى الله عليه وسلم من
الرضاعة اليه يوم حنين فقام اليها وبسط لها رداءه فجلست عليه وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى
عنها عبد الله بن جعفر قال في الاصابة وحديث عبد الله بن جعفر عنها بقصة ارضاعها أخرجه أبو يعلى
وابن حبان في صحيحه وصرح فيه بالتحديث بين عبد الله وحليمة انتهى وقول ابن كثير لم تدرك البعثة
رده الحافظ بان عبد الله بن جعفر حدث عنها عند أبي يعلى والطبراني وابن حبان وهو انما ولد بعد البعثة
وزعم الدمياطي وأبي حيان النحوي انها لم تسلم مردود وقد ألف مغلطاي فيها جزأ حافلا سماه التحفة
الجسيمة في اثبات اسلام حليمة وارتضاه علماء عصره فاما أبو حيان فليس من فرسان ذا الميدان
يذهب الى زيد وعمره وأما الدمياطي فحسبنا في الرد عليه قوله وقد وهل غير واحد فذكروها في الصحابة
لانهم مثبتون لذلك فمن أين له الحكم عليهم وقد ذكرها في الصحابة ابن أبي خيثمة في تاريخه وابن عبد البر
وابن الجوزي في الحداء والمنذري في مختصر سنن أبي داود وابن حجر في الاصابة وغيرهم وحسبك بهم
حجة (فيما رواه ابن اسحق) محمد في السيرة فقال حدثني جهم مولى الحرث بن حاطب الجمحي عن عبد
الله بن جعفر أو عمن حدثه عنه قال كانت حليمة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته تحدث
أنها خرجت فذكر الحديث كما يأتي (وابن راهويه) اسحق بن ابراهيم بن مخلد التميمي أبو يعقوب
الحنظلي المروزي ساكن نيسابور أحد الائمة الاعلام اجتمع له الحديث والفقه والحفظ والصدق والورع
روى عن ابن عيينة وابن مهدي وابن علية وغيرهم وعنه الائمة الستة الا ابن ماجه قال ابن حنبل هو
أمير المؤمنين في الحديث أملى المسند والتفسير من حفظه وما كان يحدث الا من حفظه وقال ما سمعت
شيأ الا حفظته ولا حفظت شيأ فنسيته مات ليلة نصف شعبان بنيسابور سنة ثمان وثلاثين ومائتين
وراهويه براء فالف فهاء مضمومة فتحتية مفتوحة عند المحدثين قال الحافظ أبو العلاء بن العطار لانهم
لا يحبون ويه وبفتح الهاء والواو وسكون التحتية قال الكرماني وهو المشهور والنووي هو مذهب
النحويين وأهل الادب وفي الكواكب قال عبد الله بن طاهر لاسحق لم قيل لك ابن راهويه فقال اعلم
أيها الامير ان أبي ولد في طريق مكة فقال المراوزة راهوي لانه ولد في الطريق وهو بالفارسية راه (وأبو
على) الحافظ الثبت محدث الجزيرة أحمد بن على بن المثنى التميمي الموصلي صاحب المسند الكبير سمع
ابن معين وطبقته وعنه ابن حبان وغيره ذو صدق وأمانة وعلم وحلم وثقه ابن حبان والحاكم ولد في شوال
سنة عشر ومائتين وعمر وتفرد ورحل الناس اليه ومات سنة سبع وثلثمائة (والطبراني) سليمان بن
أحمد بن أيوب (والبيهقي) أحمد بن الحسين بن على (وأبو نعيم) أحمد بن عبد الله مر بعض ترجمة الثلاثة
(قدمت مكة) أي أردت قدومها (في) أي مع (نسوة) عشرة فيما ذكر (من بني سعد بن بكر) على عادة

لله الذي أحيانا بعد ما
أماتنا واليه النشور ثم
يتلو ورعا قرأ العشر
الآيات من آخر آل عمران
من قوله ان في خلق
السموات والارض الى
آخرها وقال اللهم لك
الحمد أنت نور السموات
والارض ومن فيهن ولك
الحمد أنت قيم السموات
والارض ومن فيهن
ولك الحمد أنت الحق
ووعدك الحق ولقاؤك
حق والجنة حق والنار
حق والنبيون حق ومحمد
حق والساعة حق اللهم
لك أسلمت وبك آمنت
وعليك توكلت واليك
أنبت وبك خاصمت واليك
حاكمت فاغفر لي ما قدمت
وما أخرت وما أسررت وما
أعلنت أنت الله لا اله
الا أنت وكان ينام أول
الليل ويقوم آخره وربما
سهر أول الليل في مصالح
المسلمين وكانت تنام
عيناه ولا ينام قلبه وكان
اذا نام لم يوقظوه حتى
يكون هو الذي يستيقظ
وكان اذا عرس بليل
اضطجع على شقه الايمن
واذا عرس قبيل الصبح
نصب ذراعه ووضع
رأسه على كفه هكذا قال
الترمذي وقال أبو حاتم في
صحيحه كان اذا عرس
بالليل توسد يمينه واذا
عرس قبيل الصبح

نساء القبائل التي حول مكة ونواحي الحرم من أنهن يأتينها كل عام مرتين ربيعا وخريفا للرضعاء و يذهبن بهم الى بلادهم حتى تتم الرضاعة لان عادة نساء قريش دفع أولادهن الى المراضع قال العز في كن يرين رضاع أولادهن عارا وقال غيره لينشأ الولد عربيا فيكون أنجب ولسانه أفصح كما في الحديث أنا أعربكم أنا من قريش واسترضعت في بني سعد بن بكر وكانت مشهورة في العرب بالكمال وتمام الشرف وقيل لتفرغ النساء للازواج لكنه منتف في آمنة لموت زوجها وهي حامل على الصحيح (نلتمس الرضعاء) جمع رضيع قال عبد الملك بن هشام انما هو المراضع قال تعالى وحرمنا عليه المراضع قال السهيلي وما قاله ظاهر لان المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع لكن للرواية مخرج من وجهين أحدهما حذف المضاف أي ذوات الرضعاء الثاني أن يكون المراد بالرضعاء الاطفال على حقيقة اللفظ لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه فلا بعد أن يقال التمسوا له رضيعا علما بان الرضيع لابد له من مرضع (في سنة شهباء) ذات قحط وجدب والشهباء الارض البيضاء التي لاخضرة فيها لقلة المطر من الشهبة وهي البياض سميت بذلك لبياض الارض لخلوها من النبات (على أتان لي) بفتح الهمزة والفوقية الانثى من الحمير خاصة قال الجوهري وابن السكيت ولا يقال أتانة بالهاء قال ابن الاثير وان كان قد جاء في بعض الحديث لكن في القاموس انها لغة سليمية أي لبني سليم (ومعي صبي لنا) هو عبد الله بن الحرث الذى كانت ترضعه حينئذ لا أعلم له اسلاما ولا ترجمة كذا في النور وهو قصير في الاصابة سماه بعضهم عبد الله ذكره في الصحابة وكذا سماه ابن سعد لما ذكر أسماء أولاد حليمة قال وروى ابن سعد من مرسل أسحق بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخ من الرضاعة فقال للنبي يعني بعد النبوة أترى أن يكون بعث فقال صلى الله عليه وسلم أما والذى نفسي بيده لآخذن بيدك يوم القيامة ولأعرفنك قال فلما آمن بعد النبي صلى الله عليه وسلم كان يجلس فيبكي و يقول أنا أرجو أن يأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيدي يوم القيامة فانجو هكذا أورده في ترجمة والده الحرث ثم أعاده في المخضرمين من حرف العين فقال عبد الله بن الحرث سماه الواقدي ولم يزد على ذكر خبر ابن سعد هذا الا أنه قال هذا مرسل صحيح الاسناد (وشارف لنا) بشين معجمة فالف فراء مكسورة ففاء أي ناقة مسنة وعن الاصمعي يقال للذكر والانثى شارف والمراد هنا الانثى لاغير والجمع الشرف بضم الراء وتسكن قاله النور (والله ماتبض) بفتح الفوقية وكسر الموحدة وشد الضاد المعجمة ماتندر (بقطرة) وقال أبو ذر في حواشيه ماتبض بضاد معجمة ماتسيل ولا ترشح ومن رواه بصاد مهملة فمعناه مايبرق عليها أثر لبن من البصيص وهو البريق واللمعان (وما ننام ليلنا ذلك أجمع) شدة الجوع (مع صبينا ذلك) عبد الله لاينام قال في الرواية عند ابن اسحق من بكائه من الجوع لانه (لايجد في ثديي مايغذيه) أي يكفيه (ولا في شارفنا مايغذيه) بدال مهملة عند ابن اسحق ومعجمة عند ابن هشام قال السهيلي وهو أتم من الاقتصار على الغداء دون العشاء وعند بعض الرواة يعذيه بعين مهملة وذال منقوطة وموحدة أي ماينقعه حتى يرفع رأسه و ينقطع عن الرضاع يقال منه عذبته وأعذبته اذا قطعته عن الشرب ونحوه قال والذى في الاصل يعني الروايتين المذكورتين أصح في المعنى والنقل انتهى من الروض (فقدمنا مكة) أي دخلناها (فوالله ماعلمت منا امرأة) أنا واللاتي قدمت معهن (الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم) هذا صريح في اسلامها حيث قالت رسول الله وصلت عليه (فتأباه) أي أخذه (اذ) تعليلية (قيل انه يتيم) زاد ابن اسحق وذلك أنا كنا انما نرجو المعروف من أبي الصبي فكنا نقول يتيم ماعسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكره لذلك أي أخذه (من الاب) صفة كاشفة فاليتيم من لا أب له وان كان له جد وفي نسخ حذف من الاب وهذا فائدة حسنة

ثم صب ساعده وأظن هذا وهما والصواب حديث الترمذي وقال أبو حاتم والتعريس انما يكون قبيل الصبح وكان نومه أعدل النوم وهو أنفع مايكون من النوم والاطباء يقولون هو ثلث الليل والنهار ثمان ساعات

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في الركوب ركب الخيل والابل والبغال والحمير وركب الفرس مسرجة تارة وعريا أخرى وكان يجريها في بعض الاحيان وكان يركب وحده وهو الاكثر وربما أردف خلفه على البعير وربما أردف خلفه وأركب امامه وكانوا ثلاثة على بعير وأردف الرجال وأردف بعض نسائه وكان أكثر مراكبه الخيل والابل وأما البغال فالمعروف انه كان عنده منها بغلة واحدة أهداها له بعض الملوك ولم تكن البغال مشهورة بأرض العرب بل لما أهديت له البغلة قيل ألا نرى الخيل على الحمر فقال انما يفعل ذلك الذين لا يعلمون

(فصل واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم) الغنم وكان له مائة شاة وكان لايحب أن تزيد على

سئل الحافظ عما يقع من بعض الوعاظ فى الموالد فى مجالسهم الحفلة المشتملة على الخاص والعام من الرجال والنساء من ذكر الانبياء بما يخل بكمال التعظيم حتى يظهر للسامعين فاحزن ورقة فيبقى فى حيز من يرحم لا من يعظم كقوله لم تأخذه المراضع لعدم ماله الا حليمة رغبت فى رضاعه شفقة عليه وانه كان يرعى غنما وينشد لاغنامه سار الحبيب الى المرعى * فيا حبذا راع فؤادى له مرعى وفيه * فما أحسن الاغنام وهو يسوقها * وكثير من هذا المعنى المخل بالتعظيم فأجاب بما نصه ينبغى لمن يكون فطنا أن يحذف من الخبر ما يوهم فى المخبر عنه نقصا ولا يضره ذلك بل هذا جوابه بحروفه نقله عنه السيوطى (فوالله ما بقى من صواحبى امرأة الا أخذت رضيعا غيرى) فلم آخذ لانى لم أعط لما أنا عليه من الضيق (فلما لم أجد غيره) يعطى لى (قلت لزوجى) الحرث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى يكنى أبا ذؤيب أدرك الاسلام وأسلم رواه يونس بن بكير قال حدثنا ابن اسحق حدثنى والدى عن رجال من بنى سعد بن بكر قالوا اقدم الحرث أبو رسول الله من الرضاعة عليه صلى الله عليه وسلم مكة حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش ألا تسمع يا حار ما يقول ابنك قال وما يقول قالوا يزعم أن الله يبعث من فى القبور وأن لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال أى بنى ما لك ولقومك يشكونك ويزعمون أنك تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال صلى الله عليه وسلم أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم يا أبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فاسلم الحرث بعد ذلك فحسن اسلامه وكان يقول حين أسلم لو أخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال لم يرسلنى ان شاء الله حتى يدخلنى الجنة قال ابن اسحق وبلغنى انه انما أسلم بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم هكذا فى رواية يونس قال السهيلى ولم يذكر ذلك البكائى فى روايته عن ابن اسحق ولا ذكره كثير ممن ألف فى الصحابة وقد ذكره فيهم صاحب الاصابة وذكر هذا الخبر وعقبه بخبر ابن سعد المتقدم فى ابنه وقال يحتمل أن يكون ذلك وقع للأب والابن (والله انى لاكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع لأنطلقن الى ذلك اليتيم) الذى عرضه جده على وسألنى أخذه وقلت له ألا تذرنى أراجع صاحبى فاذن لها وانتظرها حتى راجعته وعادت (فلآخذنه) زاد ابن اسحق قال لا عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قالت (فذهبت) اليه (فاذا به مدرج فى ثوب صوف) بالاضافة والتنوين حال كون الثوب (أبيض من اللبن يفوح منه المسك وتحته حرير أخضر راقد على قفاه يغط) بكسر المعجمة من باب ضرب أى يردد نفسه صاعدا الى حلقه حتى يسمعه من حوله كما فى المصباح (فاشفقت أن أوقظه) أى خفت من ايقاظه (من نومه) شفقة عليه (لحسنه وجماله فدنوت منه رويدا) قليلا بتأن (فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه لينظر الى فخرج من عينيه نور حتى دخل خلال السماء) لشدة انتشاره (وأنا أنظر فقبلته بين عينيه وأعطيته ثديى الايمن فأقبل) الثدى أى در (عليه بما شاء من لبن فحولته الى الايسر فأبى) أن يشربه (وكانت تلك) الصفة (حاله بعد) وفيه أنها فعلت ذلك معه فى مجلسها الذى وضعت فيه يدها على صدره وهذا من أول قوله فاذا به مدرج الى قوله الآتى قريبا ثم أخذته زائد على ما فى ابن سيد الناس لانه اقتصر على رواية ابن اسحق ولم يقع ذلك فيها وأما المصنف فقد نقل الحديث عن ستة من الحفاظ فلا يعترض عليه بما فى اليعمرى (قال أهل العلم) فى حكمة امتناعه صلى الله عليه وسلم من الثدى الايسر (ألهمه الله تعالى أن له شريكا فالهمه العدل) فلذا امتنع وأخذ الايمن لانه كان يحب التيمن فى أموره كلها (قالت) حليمة فى بقية حديثها الذى رواه من تقدم وأعاده قالت لفصله بقول أهل العلم (فروى وروى أخوه) ابنها عبد الله ووقع للبيهقى أن اسمه ضمرة وتوقف فيه الشامى فقال فالله أعلم (ثم أخذته بما هو) مشتمل

مائة فاذا أرادت بهمة ذبح مكانها أخرى واتخذ الرقيق من الاماء والعبيد وكان مواليه وعتقاؤه من العبيد أكثر من الاماء وقد روى الترمذى فى جامعه من حديث أبى امامة وغيره عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال أيما امرئ أعتق امرأ مسلما كان فكاكه من النار يجزى كل عضو منه عضوا منه وأيما امرئ مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضو منهما عضوا منه وقال هذا حديث صحيح وهذا يدل على ان عتق العبد أفضل وان عتق العبد يعدل عتق أمتين فكان أكثر عتقائه صلى الله عليه وسلم من العبيد وهذا أحد المواضع الخمسة التى تكون فيها الانثى على النصف من الذكر والثانى العقيقة فانه عن الانثى شاة وعن الذكر شاتان عند الجمهور وفيه عدة أحاديث صحاح وحسان والثالث الشهادة فان شهادة امرأتين بشهادة رجل والرابع الميراث والخامس الدية

*(فصل وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم

عليه من كونه مدرجا الحمار (الى أن جئت به) وفى نسخة فما هو الا أن جئت به أى فما الشأن فما
مبتدأ وما بعد الا هو الخبر وفى رواية فقالت آمنة يا حليمة قيل لى ثلاث ليال استرضعى ابنك فى
بنى سعد بن بكر ثم فى آل أبى ذؤيب قالت حليمة فان زوجى أبو ذؤيب فجئت به (رحلى) بحاء مهملة
مسكن الشخص وما يستصحبه من الاثاث والمنزل والمأوى قاله البرهان وتبعه الشامى (فأقبل
عليه ثدياى بما شاء) الله (من لبن فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى فقام صاحبى تعنى)
حليمة بقولها صاحبى (زوجها) الحرث (الى شارفنا تلك) التى ما كانت تبض بقطرة (فاذا
بها أنها (لحافل) بمهملة وفاء ممتلئة الضرع من اللبن (فحلب ما) لبنا (شرب) هو (وشربت) أنا (حتى
روينا وبتنا بخير ليلة فقال صاحبى) حين أصبحنا كما فى ابن اسحق (يا حليمة والله انى لأراك) بالفتح
أعتقدك بدليل رواية ابن اسحق تعلمى والله يا حليمة قال البرهان أى اعلمى كقوله صلى الله عليه
وسلم تعلموا أن ربكم ليس بأعور أى اعلموا (قد أخذت نسمة) بفتحات ذاتا (مباركة) زاد ابن اسحق
قالت والله انى لأرجو ذلك (ألم ترى ما بتنا به الليلة من البركة والخير حين أخذناه) قالت حليمة (فلم يزل
الله يزيدنا خيرا) ببركته صلى الله عليه وسلم (قالت) حليمة وفى نسخة بتذكير الفعل على معنى الشخص
(فى رواية ذكرها ابن طغربك) بضم الطاء والراء المهملتين بينهما معجمة ساكنة كأنه علم مركب
من طغر وبك (فى) كتاب (النطق المفهوم فلما نظر صاحبى الى هذا قال اسكتى واكتمى أمرك)
فلا تبديه لاحد خشى عليها الحسد وعلى المصطفى الناس (فمن ليلة ولد هذا الغلام أصبحت الاحبار)
جمع حبر (قواما على أقدامها لا يهنؤها) بالهمز من هنأ الطعام لذ أى لا يلذ لهم (عيش النهار ولا نوم الليل)
واخبارهم بذلك منهم لما بلغه أو شاهده من بعضهم (قالت حليمة) فلما ذهبت بمحمد الى منزلى مكثنا
بمكة ثلاث ليال كذا فى شواهد النبوة قالت (فودعت النساء بعضهن) بدليل أى ودع بعض النساء بعضا
وفى نسخة فودعت النساء بعضهم بالتذكير والاول أنسب بقوله (وودعت أنا أم النبى صلى الله عليه
وسلم ثم ركبت أتانى) حمارى الانثى وقال حمارة بالهاء على قلة (وأخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين
يدى قالت فنظرت الى الاتان قد سجدت) خفضت رأسها أو وضعت وجهها على الارض وهو الظاهر
فلا مانع (نحو) أى جهة (الكعبة ثلاث سجدات ورفعت رأسها الى السماء) ألهمها الله فعل ذلك
شكرا له أن خصها بكونه صلى الله عليه وسلم على ظهرها (ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين
كانوا معى وصار الناس يتعجبون منى) وفى رواية ابن اسحق فوالله لقد قطعت بالركب حتى ما يقدر
على شئ من حمرهم (ويقلن النساء لى) هذا نحو أسروا النجوى يتعاقبون فيكم ملائكة وسموها لغة
أكلونى البراغيث وجوز وانى نحوه أن النون فاعل والاسم الظاهر بدل منه حتى لا يكون من تلك
اللغة (وهن ورائى يا بنت أبى ذؤيب) بذال المعجمة كنية أبيها واسمه عبد الله بن الحرث بن شجنة
بكسر الشين المعجمة فجيم ساكنة فنون مفتوحة ثم تاء التأنيث هكذا فى النور ووقع فى الشامية بسين
مهملة ابن جابر بن رزام بكسر الراء ثم زاى فالف فميم ابن ناصر بن سعد بن بكر بن هوازن هكذا
فى الاستيعاب وقيل فى نسبها غير ذلك (أهذه أتانك التى كنت عليها وأنت جائية معنا تخفضك طورا)
بفتح الطاء مرة (وترفعك) مرة (أخرى) انث على معنى الطور لضعفها وعجفها (فأقول تالله انها هى
فيتعجبن منها ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت) حليمة (فكنت أسمع أتانى تنطق وتقول والله
ان لى لشأنا ثم لشأنا) وكأنه قيل ماذا الشأن فقالت (بعثنى الله بعد موتى) أعطانى قوة قدرنى على سرعة
السير بعد ما كنت كالميتة من الضعف (ورد لى سمنى بعد هزالى) بضم الهاء ضد السمن وفى نسخة بعد
هزلى بفتح الهاء وضم وسكون الزاى بلا ألف بمعنى الاولى أيضا فى القاموس الهزال بالضم نقيض

واشترى*)
وكان شراؤه بعد أن
أكرمه الله تعالى برسالته
أكثر من بيعه وكذلك
بعد الهجرة لا يكاد يحفظ
عنه البيع الا فى قضايا
يسيرة أكثرها لغيره
كبيعه القدح والحلس
فيمن يزيد وبيعه يعقوب
المدبر غلام أبى مذكور
وبيعه عبدا أسود بعبدين
وأما شراؤه فكثير وآجر
واستأجر واستئجاره أكثر
من ايجاره وانما يحفظ عنه
انه أجر نفسه قبل النبوة
فى رعاية الغنم وأجر نفسه
من خديجة فى سفره بمالها
الى الشام وان كان العقد
مضاربة فالمضارب أمين
وأجير ووكيل وشريك
فأمين اذا قبض المال
ووكيل اذا تصرف فيه
وأجير فيما يباشره بنفسه
من العمل وشريك اذا
ظهر فيه الربح وقد أخرج
الحاكم فى صحيحه من
حديث الربيع بن بدر
عن أبى الزبير عن جابر
قال آجر رسول الله صلى
الله عليه وسلم نفسه من
خديجة بنت خويلد
سفرتين الى جرش كل
سفرة بقلوص وقال
صحيح الاسناد قال فى
النهاية جرش بضم الجيم
وفتح الراء من مخاليف
اليمن وهو بفتحهما
بلد بالشام قلت ان صح

السمن بعزل تعني وهزن كنصر هزلا وبضم انتهى وأما نقيض الجد فبابه ضرب وفرح كما فيه أيضا وليس مرادا هنا كما هو معلوم والجملتان تفسير الشأن على الاستئناف البياني كما قررنا (ويحكن) بالنصب باضمار فعل كلمة ترحم وويل كلمة عذاب وقال اليزيدى هما بمعنى واحد تقول ويح لزيد وويل له فترفعهما على الابتداء ولك نصبهما كأنك قلت ألزمه الله ويحا وويلا ولك اضافتهما فتنصبهما باضمار فعل كذا ذكر العلامة الشمني ومقتضاه انه ليس لويحا فعل من لفظه وقد ذكر ابن عصفور في شرح الجمل أن من الناس من ذهب الى أنه قد استعمل من ويح فعل فهو على مذهبه منصوب بفعل من لفظه تقديره واح ويحا (يانساء بنى سعدان كن لفى غفلة وهل تدرين) بكسر الراء (من) أى الذى (على ظهرى) وقوله على ظهرى خبره مبتدؤ (خيار النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والآخرين وحبيب رب العالمين) وكأنها فرضت أنهن كلمنها بما قلنه لحليمة فاجابتهن بذلك وفى نطقها وسجودها قبل ارهاص للنبي صلى الله عليه وسلم وكرامة لحليمة (قالت فيما ذكره ابن اسحق) مسندا فى بقية الحديث السابق (وغيره ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا أعلم أرضا من أرض الله أجدب) بجيم فدال مهملة فموحدة ضد الخصب (منها فكانت غنمى تروح على) أى ترجع بعشى (حين قدمنا به) صلى الله عليه وسلم (شباعا لبنا) بضم اللام وكسرها لغتان حكاهما الجوهرى وشد الموحدة أى كثيرة اللبن جمع لبون (فنحلب) بضم اللام وكسرها لغتان كما فى النور (ونشرب وما يحلب انسان) غيرنا (قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر) هم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه ويقولون للمناهل المحاضر للاجتماع والحضور ذكره البرهان (من قومنا يقولون لرعيانهم) جمع راع وفى نسخة لرعاتهم جمع ثان قال القاموس الراعى كل من ولى أمر قوم جمعه رعاة ورعيان ورعاء ويكسر انتهى زاد ابن اسحق ويلكم (اسرحوا حيث تسرح) ظرف مكان أى اذهبوا الى المكان الذى تذهب اليه (غنم بنت أبى ذؤيب) ولفظ ابن اسحق حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب (فتروح أغنامهم جياعا ما تبض) بالضاد معجمة ومهملة (بقطرة لبن وتروح) ترجع (أغنامى شباعا لبنا) مع أن مسرحها واحد قالت فى رواية ابن اسحق فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته قال المصنف (فلله درها من بركة) تمييز للنسبة فى درها لان مرجع الضمير هنا معلوم (كثرت بها مواشى حليمة ونمت) زادت (وارتفع قدرها به وسمت) أى علت فهو مساو (فلم تزل حليمة تتعرف الخير والسعادة وتفوز منه بالحسنى وزيادة) وأنشد لغيره (لقد بلغت بالهاشمى) محمد صلى الله عليه وسلم (حليمة * مقاما علا ارتفع (فى ذروة) بكسر الذال المعجمة أعلى (العز والمجد) مستعار من ذروة الجبل أعلاه (وزادت مواشيها وأخصب ربعها *) بفتح الراء وسكون الموحدة محلها ومنزلها ويطلق على القوم مجازا (وقد عم هذا السعد كل بنى سعد) وذلك أن حليمة قالت لما دخلت به منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك وألقيت محبته فى قلوب الناس حتى ان أحدهم كان اذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله سريعا وكذا اذا اعتل لهم بعير أو شاة ولم يكن من سعدهم الا أنهم لما سبوا فى وقعة هوازن ثم جاؤا اليه صلى الله عليه وسلم وقالوا له نحن أهل وعشيرة وقام خطيبهم وقال يا رسول الله ان اللواتى فى الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك وأنت خير مكفول ثم قال

امنن علينا رسول الله فى كرم * الابيات المشهورة الآتية فى كلام المصنف فقال صلى الله عليه وسلم ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وقالت قريش ما كان لنا فهو لله ورسوله وقالت الانصار ما كان لنا فهو لله ورسوله فرد عليهم سبيهم (قال ابن الطراح رأيت فى كتاب الترقيص لابى عبد الله بن المعلى

الحديث فانما هو المقبوح الذى بالشام ولا يصح فان الربيع بن بدر هنا هو عليل ضعفه أئمة الحديث قال النسائى والدارقطنى والازدى متروك وكأن الحاكم ظنه الربيع بن بدر مولى طلحة بن عبيد الله وشارك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم عليه شريكه قال أما تعرفنى قال أما كنت شريكى فنعم الشريك كنت لا تدارئ ولا تمارى وتدارئ بالهمزة من المداراة وهى مدافعة الحق فان ترك همزها صارت من المداراة وهى المدافعة بالتى هى أحسن ووكل وتوكل وكان توكيله أكثر من توكله وأهدى وقبل الهدية وأثاب عليها ووهب واتهب فقال لسلمة بن الاكوع وقد وقع فى سهمه جارية هبها لى فوهبها له ففادى بها من أهل مكة أسارى من المسلمين واستدان برهن وبغير رهن واستعار واشترى بالثمن الحال والمؤجل وضمن ضمانا خاصا على ربه على أعمال من عملها كان مضمونا له بالجنة وضمانا عاما لديون من توفى من المسلمين ولم يدع وفاء انها عليه وهو يوفيها وقد قيل ان هذا الحكم

الازدى) البصرى ونقله أيضا عن كتاب الترقيص مغلطاى فى الزهر والحافظ فى الاصابة وأبو المظفر المقرى الواعظ فى أربعينه (ان من شعر حليمة ما كانت ترقص) بضم التاء وشد القاف المكسورة من الترقيص (به النبى صلى الله عليه وسلم يا رب اذ أعطيته فابقه * وأعله الى العلا ورقه) بدون ألف كما فى نسخ وهو ما نقله أبو المظفر وفى نسخ وأرقه بالف وكذا فى السبل والاولى أنسب كما يفيده القاموس (وادحض) بكسر الحاء حذفت همزته للضرورة أى أذل (أباطيل العدا بحقه * وعند غيره) أى غير ابن الطراح فان الزهر والاصابة وأبا المظفر نقلوه كله عن كتاب الترقيص المذكور لابن المعلى فليس ضمير غيره عائدا عليه كما زعم (وكانت الشيماء) بفتح الشين المعجمة وسكون التحتية ويقال الشيما بلا ياء ابنة الحرث بن عبد العزى السعدية ذكرها أبو نعيم وغيره فى الصحابة واسمها جدامة بضم الجيم وبالدال المهملة والميم جزم به ابن سعد وقيل حذافة بضم الحاء المهملة وفتح الذال المعجمة فالف ففاء جزم به ابن عبد البر وصوبه الخشنى وقيل خذامة بكسر الخاء والذال المعجمة ذكره السهيلى مع الثانى فقط واقتصر فى الاصابة على الاولين (أخته من الرضاعة) من جهة انه عليه السلام رضع أمها حليمة بابن أخيها (تحضنه) بضم الضاد ومن ثم تدعى أم النبى صلى الله عليه وسلم أيضا كما فى النور (وترقصه وتقول هذا أخ لى لم تلده أمى *) من أبى ولا غيره (وليس من نسل أبى) من غير أمى (و) لا من نسل (عمى *) فاسمه أخى لشدة قربه ومرادها تعميم نفى اخوة النسب ولو المجازية فان نسل العم ليس بأخ وانه انما هو أخ من غير نسبها شرفها الله تعالى بنسبتها اليه بسبب رضاعه أمها (فديته من مخول) بضم الميم وكسرها الواو من أخول على الاصل وتفتح الواو على أن غيره جعله ذا أخوال كثيرة ورجل معم مخول أى كريم الاعمال والاخوال ومنع الاصمعى الكسر فيهما وقال كلام العرب الفتح قاله المصباح (معمى *) بكسر الميم الثانية اسم فاعل أنسب بالشعر من فتحها اسم مفعول وان جاز قال المصباح أعم الرجل اذا كرم أعمامه يروى مبنيا للمفعول والفاعل وجرت من التمييز مع أنه تمييز لنسبة الفعل الى المفعول لانه ليس محولا عنه فيجوز جره نحو ما أحسنه من رجل (فانمه) بفتح الهمزة من أنماه (اللهم فيما تنمى *) بضم الفوقية المصباح نمى من باب رمى كثر وفى لغة من باب قعد ويتعدى بالهمز والتضعيف فعبر بانمه مجاز لغوى من اطلاق السبب وارادة المسبب فالكثرة يلزمها القوة فكأنها قالت قوه فيمن قويتهم وزد رفعته أو مجاز بالنقص بحذف المضاف أى أنم أتباعه وذريته وقد زاد الجماعة عن كتاب الترقيص المذكور قالت الشيماء أيضا

يا ربنا أبق أخى محمدا * حتى أراه يافعا وأمردا
ثم أراه سيدا مسودا * وا كبت أعاديه معا والحسدا
* وأعطه عزا يدوم أبدا *

قال الازدى ما أحسن ما أجاب الله دعاءها يعنى لرؤيتها اياه بجميع ما طلبت (وأخرج البيهقى و) أبو عثمان اسمعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن اسمعيل بن ابراهيم (الصابونى) شيخ الاسلام الامام المفسر المحدث الفقيه الواعظ الخطيب وعظ المسلمين ستين سنة ولد سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وتوفى فى المحرم سنة سبع أو أربع وأربعين وأربعمائة (فى) كتاب (المائتين والخطيب) البغدادى (وابن عساكر) الدمشقى (فى تاريخيهما) لبغداد ودمشق (وابن طغربك السياف فى) كتاب (النطق المفهوم عن العباس بن عبد المطلب) رضى الله عنه (قال قلت يا رسول الله دعانى الى الدخول فى دينك) أى حملنى عليه واستعماله بهذا المعنى مجاز لان الدعاء النداء (أمارة لنبوتك) علامة عليها فشبه الامارة بالداعى استعارة بالكناية واثبات الدعاء لها تخييل (رأيتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك

يفيئ

عام للائمة بعده فالسلطان ضامن لديون المسلمين اذا لم يخلفوا وفاء فانها عليه يوفيها من بيت المال وقالوا كما أنه اذا مات ولم يدع وارثا فكذلك يقضى عنه دينه اذا مات ولم يدع وفاء وكذلك ينفق عليه فى حياته اذا لم يكن له من ينفق عليه ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضا كانت له جعلها صدقة فى سبيل الله وتشفع وشفع اليه وردت بريرة شفاعته فى مراجعتها مغيثا فلم يغضب عليها ولا عتب وهو الاسوة والقدوة وحلف فى أكثر من ثمانين موضعا وأمره الله سبحانه بالحلف فى ثلاثة مواضع فقال تعالى ويستنبؤنك أحق هو قل أى وربى انه لحق وقال تعالى وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم وقال تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير وكان اسمعيل بن اسحق القاضى يذاكر أبا بكر محمد بن داود الظاهرى ولا يسميه بالفقيه فتحاكم اليه يوما هو وخصم له فتوجهت اليمين على أبى بكر بن داود فتهيأ

فحيث أشرت اليه مال) الى جهتك أى فى أى وقت فحيث هنا للزمان مجازا على مقتضى القاموس والمصباح وبه صرح المغنى فقال وهى للمكان اتفاقا قال الاخفش وقد ترد للزمان (قال انى كنت أحدثه ويحدثنى و) كان يحدثه لى (يلهينى عن البكاء و) كنت (أسمع وجبته) أى سقطته كقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها (حين يسجد تحت العرش قال البيهقى) عقب اخراجه (تفرد به أحمد بن ابراهيم) أى لم يتابعه عليه أحد (الحلبى) نسبة الى حلب البلدة الشهيرة قال فى الميزان قال أبو حاتم أحاديثه باطلة تدل على كذبه ويقع فى نسخ الجبلى بجيم وباء ولام وهو تحريف فقد استدرك الحافظ فى التبصير من ينسب هذه النسبة وما ذكره فيهم (وهو مجهول) وهو ثلاثة أنواع مجهول العين من له راو فقط ومجهول الحال وهما مردودان عند الجمهور ومجهول العدالة وفيه خلاف وظاهر كلام أبى حاتم المار أن هذا من النوع الثانى (وقال الصابونى) نسبة الى الصابون قال فى اللباب لعله لان أحد أجداده عمله فعرف به (هذا حديث غريب الاسناد) لان راويه أحمد بن ابراهيم لم يتابع عليه فهو كقول البيهقى تفرد به وزاد عليه قوله (والمتن) أى لفظ الحديث ولعل غرابته لان العباس أصغر الاعمام فحمزة أكبر منه وحمزة كان أسن من النبى صلى الله عليه وسلم بسنتين كما رواه البكائى عن ابن اسحق فرؤية العباس لذلك وروايته غريب (و) لكن الخوارق لا يقاس عليها (هو فى المعجزات حسن) ذكره لان عادة المحدثين التساهل فى غير الاحكام والعقائد ما لم يكن موضوعا وأيضا فانه يتمشى على القول بان العباس ولد قبل الفيل بثلاث سنين وبه جزم المصنف فيما يأتى ومراه أيضا روى عن العباس أنه قال أذكر مولد النبى صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فحمزة والعباس متقاربان غايته أن حمزة أسن منه بيسير (والمناغاة المحادثة وقد ناغت الام صبيها) أى (لاطفته وشاغلته بالمحادثة والملاعبة) مصدر لاعب (وفى فتح البارى) فى كتاب الانبياء فى قوله صلى الله عليه وسلم تكلم فى المهد الا ثلاثة نقلا (عن سيرة) محمد بن عمر بن واقد (الواقدى) أبى عبد الله الاسلمى مولاهم المدنى الحافظ روى عن مالك والثورى عن ابن جريج وغيرهم وعنه الشافعى وابن سعد كاتبه وخلق كذبه أحمد وتركه ابن المبارك وغيره وقال فى الميزان استقر الاجماع على وهنه وفى التقريب متروك مع سعة علمه مات سنة سبع وقيل تسع ومائتين روى له ابن ماجه (أنه صلى الله عليه وسلم تكلم فى أوائل ما ولد) وعند ابن عائذ أول ما تكلم به حين خرج من بطن أمه الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا وفى الروض عن الواقدى أول ما تكلم به لما ولد جلال ربى الرفيع وفى شواهد النبوة روى أنه صلى الله عليه وسلم لما وقع على الارض رفع رأسه وقال بلسان فصيح لا اله الا الله وانى رسول الله وطريق الجمع انه قال جميع ذلك ثم الكلام فى المهد ليس من خصائصه بل ولا من خصائص الانبياء فقد تكلم فيه ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج رواه أحمد والحاكم مرفوعا وعند مسلم فى قصة أصحاب الاخدود أن امرأة جىء بها لتلقى فى النار لتكفر ومعها صبى فتقاعست فقال لها يا أماه أصبرى فانك على الحق وفى زمنه صلى الله عليه وسلم مبارك اليمامة وقصته فى دلائل البيهقى فهؤلاء خمسة تكلموا وليسوا بانبياء ونظم جملة من تكلم السيوطى فقال

تكلم فى المهد النبى محمد * ويحيى وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريج ثم شاهد يوسف * وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى * يقال لها تزنى ولا تتكلم
وماشطة فى عهد فرعون طفلها * وفى زمن الهادى المبارك يختم

قال بعضهم وكلام الصبى فى مهده يحتمل كونه بلا تعقل كما خلق الله التكلم فى الجماد ويحتمل كونه عن

لا تحلف فقال له القاضى اسمعيل أو تحلف ومثلك يحلف يا أبا بكر فقال وما يمنعنى من الحلف وقد أمر الله تعالى نبيه بالحلف فى ثلاثة مواضع من كتابه قال أين ذلك فسردها أبو بكر فاستحسن ذلك منه جدا ودعاه بالفقيه من ذلك اليوم وكان صلى الله عليه وسلم يستثنى فى يمينه تارة ويكفرها تارة ويمضى فيها تارة والاستثناء يمنع عقد اليمين والكفارة تحلها بعد عقدها ولهذا سماها الله تحلة وكان يمازح ويقول فى مزاحه الحق ويورى ولا يقول فى توريته الا الحق مثل ان يريد جهة يقصدها فيسال عن غيرها كيف طريقها وكيف مياهها ومسلكها أو نحو ذلك وكان يشير ويستشير وكان يعود المريض ويشهد الجنازة ويجيب الدعوة ويمشى مع الارملة والمسكين والضعيف فى حوائجهم وسمع الشعر وأثاب عليه ولكن ما قيل فيه من المديح فهو جزء يسير جدا من محامده وأثاب على الحق وأما مدح غيره من الناس فاكثر ما يكون بالكذب فلذلك أمر ان يحثى فى وجوه المداحين التراب

(فصل) وباتفاق

معرفة بان خلق الله فيه الادراك ولعل كلام النبي كان كذلك (وذكر ابن سبع) باسكان الموحدة وقد تضم كما فى التبصير (فى الخصائص أن مهده) أى ماهيئ له لينام فيه (كان يتحرك بتحريك الملائكة) اه قال بعض ولم ينقل مثل ذلك لاحد من الانبياء (وأخرج البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس) أنه (قال كانت حليمة تحدث بانها أول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فقال الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا) وأفاد هذا مع ما مر عن ابن عائذ قريبا أنه تكلم بهذا فى الوقتين (فلما ترعرع) قوى على الخروج والاختلاط بالصبيان (كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيتجنبهم الحديث) وروى أنه كان يخرج هو وأخوه فيلعب أخوه مع الغلمان فيتجنبهم عليه السلام ويأخذ بيد أخيه ويقول انا لم نخلق لهذا (وقد روى محمد بن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس قال كانت حليمة لاتدعه) لاتترك النبي صلى الله عليه وسلم (يذهب مكانا بعيدا) خوفا عليه وشفقة أى فى غالب الاحوال أو فى ابتداء الامر فلا ينافى ما روى انه قال لها يا أماه مالى لا أرى اخوتى بالنهار قالت يرعون غنما النافير وحون من الليل الى الليل فقال ابعثينى معهم فكان يخرج مسرورا ويعود مسرورا (فغفلت عنه فخرج مع أخته الشيماء فى الظهيرة) أول الزوال وهو أشد ما يكون من حر النهار (الى البهم) بفتح الموحدة جمع بهيمة وهى ولد الضأن كذا فى النهاية وفى القاموس البهيمة أولاد الضأن والبقر والمعز وجمعه بهم ويحرك وفى النور يطلق على الذكر والانثى لكن يرد عليه حيث أنه عليه السلام قال للراعى ما ولدت قال بهمة قال اذبح مكانها شاة فهذا يدل على أن البهمة اسم للانثى لانه انما سأله ليعلم أذكر أم أنثى لعلمه أن المولود أحدهما (فخرجت حليمة تطلبه حتى تجده) غالبا للاغلب أو تعليل له أى الى أن تجده أو لتجده فوجدته (مع أخته) وعلى التقديرين فحتى جارة أو وقوع المضارع بعدها منصوبا وفى نسخة فوجدته وهى ظاهرة (قالت فى هذا الحر) الهمزة فيه مقدرة أى أفيه تخرجين به كقول الكميت

طربت وما شوقا الى البيض أطرب * ولا لعبا منى وذو الشيب يلعب

أراد أو ذو الشيب (قالت أخته يا أمه) الهاء بدل من تاء التأنيث والاصل يا أمة بلا تاء عند جمهور البصريين (ما وجد أخى حرا) لان الشمس لم تصبه فقد (رأيت غمامة) سحابة (تظل عليه اذا وقف وقفت واذا سار سارت) معه تظلله (حتى انتهى الى هذا الموضع) الذى نحن فيه (الحديث) وفيه اظلال الغمام له صلى الله عليه وسلم فهو حجة على من أنكره قال ابن جماعة من ذهب الى أن حديث اظلال الغمام لم يصح بين المحدثين فهو باطل نعم لم يكن كما قاله السخاوى وغيره دائما فى حديث الهجرة ان الشمس أصابته صلى الله عليه وسلم وظلله أبو بكر بردائه وثبت أنه كان بالجعرانة ومعه ثوب قد أظل عليه وأنهم كانوا اذا أتوا على شجرة ظليلة تركوها له صلى الله عليه وسلم وغير ذلك (وكان صلى الله عليه وسلم يشب) بكسر الشين من باب ضرب (شبابا لا يشبه) أى لا يشب مثله (الغلمان) كذا فى رواية ابن اسحق مجملا وفى شواهد النبوة روى انه صلى الله عليه وسلم لما صار ابن شهرين كان يتزحلف مع الصبيان الى كل جانب وفى ثلاثة أشهر كان يقوم على قدميه وفى أربعة كان يمسك الجدار ويمشى وفى خمسة حصل له القدرة على المشى ولما تم له ستة أشهر كان يسرع فى المشى وفى سبعة أشهر كان يسعى ويغدو الى كل جانب ولما مضى له ثمانية أشهر شرع يتكلم بكلام فصيح وفى عشرة أشهر كان يرمى السهام مع الصبيان (قالت حليمة فلما فصلته) بعد مضى عامين (قدمنا به على أمه) على عادة المراضع فى اتيانهن بالاولاد الى أمهاتهم بعد تمام الرضاع فاتت به موافقة لهن ثم حاولت الرجوع به لتصل الى مقصودها كما أفاده قولها (ونحن أحرص شئ على مكثه فينا لما نرى من بركته) أى حرصنا على مكثه

رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه على الاقدام وصارع وخصف نعله بيده ورقع ثوبه بيده ورقع دلوه وحلب شاته وفلى ثوبه وخدم أهله ونفسه وحمل معهم اللبن فى بناء المسجد وربط على بطنه الحجر من الجوع تارة وشبع تارة وأضاف وأضيف واحتجم فى وسط رأسه وعلى ظهر قدمه واحتجم فى الاخدعين والكاهل وهو ما بين الكتفين وتداوى وكوى ولم يكتو ورقى ولم يسترق وحمى المريض مما يؤذيه وأصول الطب ثلاثة الحمية وحفظ الصحة واستفراغ المادة المضرة وقد جمعها الله تعالى له ولامته فى ثلاثة مواضع فى كتابه فحمى المريض من استعمال الماء خشية من الضرر فقال تعالى وان كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فأباح التيمم للمريض حمية له كما أباحه للعادم وقال فى حفظ الصحة فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر فأباح للمسافر الفطر فى رمضان حفظا الصحته لئلا يجتمع على قوته الصوم ومشقة

فينا

فينا أشد من حرص كل حريص على شئ يحرص عليه فلا يرد أن أفعل التفضيل بعض ما يضاف اليه ومعلوم أن حليمة وزوجها وابنتها الشيماء كهم جميع الناس فى الحرص على مكثه فيهم (فكلمنا أمه) وبيان الكلام (وقلنا) نود (لوتركتيه عندنا حتى يغلظ) أى يعظم جسمه ويزيد قوته فلو للتمنى أو جوابها محذوف أى لكان خيرا له بدليل (فانا نخشى عليه وباء مكة) بالهمز مقصورا وممدودا كما فى النهاية والصحاح والقاموس وفسروه بانه الطاعون أو كل مرض عام والظاهر أن المراد هنا الثانى ومن ثم فسره الشامى بانه كثرة الموت والمرض (ولم نزل) نتلطف (بها حتى ردته معنا فرجعنا به فوالله انه لبعد مقدمنا بشهرين أو ثلاثة) شكت (مع أخيه من الرضاعة) عبد الله (لفى بهم لنا خلف بيوتنا جاء أخوه يشتد) يسرع فى المشى (فقال ذاك أخى القرشى قد جاءه رجلان) ملكان فى صورة رجلين (عليهما ثياب بيض فأضجعاه وشقا بطنه) بعد أن صعدا به ذروة الجبل كما فى رواية البيهقى الآتية (فخرجت أنا وأبوه) من الرضاعة وهو زوجها (نشتد نحوه فنجده قائما) من استعمال المضارع موضع الماضى ففى الكلام حذف أى ومازلنا نسرع الى أن وجدناه قائما (منتقعا لونه) بنون ففوقية فقاف مفتوحة أى متغيرا قال الكسائى انتقع مبنيا اذا تغير من حزن أو فزع قال وكذا ابتقع بالموحدة وامتقع بالميم أجود قاله الجوهرى أى مبنيا للمفعول وبه صرح المجد واقتصر البرهان والشامى وفى المصباح ما يفيد بناءه للفاعل (فاعتنقه أبوه وقال أى بنى ما شأنك) ما حالك (قال جاءنى رجلان) هما جبريل وميكائيل كما فى النور (عليهما ثياب بيض فاضجعانى وشقا بطنى) ولا ينافى هذا قوله الآتى قريبا فعمد أحدهم فاضجعنى على الارض لجواز أنه نسب الاضجاع الى مجموعهما وان كان فى الحقيقة من واحد مجازا أو نزل فعل المشارك له فى الغسل ونحوه منزلة المشارك فى نفس الاضجاع فاطلق عليه اسمه (ثم استخرجا منه شيأ) هو مضغة سوداء كما فى الحديث الآتى على الاثر (فطرحاه ثم رداه كما كان) قالت حليمة (فرجعناه معنا فقال أبوه يا حليمة قد خشيت) خفت (أن يكون ابنى قد أصيب) من الجن وأصل الخشية الخوف مع الاجلال لكنها هنا فى مجرد الخوف لان المعنى نخاف عليه ما يصيبه من الجن (فانطلقى بنا نرده الى أهله قبل أن يظهر به ما نتخوف) أى ما نتخوفه فالمفعول محذوف (قالت حليمة فاحتملناه حتى قدمنا به مكة على أمه) بعد أن ضل منا فى باب مكة حين نزلت لاقضى حاجتى فاعلمت عبد المطلب بذلك فطاف بالبيت أسبوعا ودعا الله برده فسمع مناديا ينادى معاشر الناس لا تضجوا فان لمحمد ربا لا يضيعه ولا يخذله قال عبد المطلب يا أيها الهاتف من لنا به وأين هو قال بوادى تهامة فاقبل عبد المطلب راكبا متسلحا فلما صار فى بعض الطريق لقى ورقة بن نوفل فسارا جميعا فوجدوه صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وفى رواية بينا أبو مسعود الثقفى وعمرو بن نوفل على راحلتيهما اذ هما به قائما عند شجرة الموز يتناول من ورقها فاقبل اليه عمرو وهو لا يعرفه فقال من أنت قال أنا محمد بن عبد المطلب بن هاشم فاحتمله بين يديه على الراحلة حتى أتى به عبد المطلب وعن ابن عباس لما رد الله محمدا صلى الله عليه وسلم على عبد المطلب تصدق بالف ناقة كوماء وخمسين رطلا من ذهب وجهز حليمة أفضل الجهاز كذا فى الخميس (فقالت) أمه (ما ردكما) أى شئ ردكما (به فقد كنتما حريصين عليه) أى على مقامه عندكما (قلنا نخشى عليه الاتلاف والاحداث) أى الاسباب العارضة المقتضية لاتلافه أو حصول الامراض له (فقالت ما ذاك) بكسر الكاف خطاب لحليمة أى ما خوف الاتلاف والاحداث حملكما على رده أو بفتح الكاف على أنه خطاب لزوج حليمة أو على أن الكاف المتصلة باسم الاشارة مفتوحة أبدا (فاصدقانى شأنكما) حالكما الحامل لكما على رده (فلم تدعنا) تتركنا (حتى أخبرناها خبره قالت) انكارا عليهما (أخشيتما عليه الشيطان) ابليس أو الجنس وهو أظهر زاد فى رواية ابن اسحق عن

السفر فيضعف القوة والصحة وقال فى الاستفراغ فى حلق الرأس للمحرم فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فأباح للمريض ومن به أذى من رأسه وهو محرم أن يحلق رأسه ويستفرغ المواد الفاسدة والابخرة الرديئة التى تولد عليه القمل كما حصل لكعب بن عجرة أو تولد عليه المرض وهذه الثلاثة هى قواعد الطب وأصوله فذكر من كل جنس منها شيأ وصورة تنبيها بها على نعمته على عباده فى أمثالها من حميتهم وحفظ صحتهم واستفراغ مواد أذاهم رحمة لعباده ولطفا بهم ورأفة بهم وهو الرؤف الرحيم

(فصل فى هديه فى معاملته)

كان أحسن الناس معاملة وكان اذا استلف سلفا قضى خيرا منه وكان اذا استسلف من رجل سلفا قضاه اياه ودعا له فقال بارك الله لك فى أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء واستسلف من رجل أربعين صاعا فاحتاج الانصارى فاتاه فقال صلى الله عليه وسلم ما جاءنا من شئ بعد فقال الرجل

حليمة قلت نعم قالت آمنة (كلا) ردع لهما عن خشية الشيطان عليه (والله ما للشيطان عليه سبيل)
طريق يتوصل له منها (وانه لكائن لابني هذا شأن) أي (عظيم) قالت ذلك لما شاهدته في حملها به وعند
ولادته كما صرحت به لحليمة فقالت كما في حديث ابن اسحق أفلا أخبرك خبره رأيت حين حملت به
خرج مني نور أضاءله قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف
منه ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض رافع رأسه الى السماء (قد عاد عنكما) وظاهر
هذا السياق بل صريحه ان شق الصدر ورجوعه الى أمه كانا في السنة الثالثة لقوله فيه بشهر أو
ثلاثة وقد قال ابن عباس رجع الى أمه وهو ابن خمس سنين وقال غيره وهو ابن أربع حكاهما الواقدي
وقال ابن عبد البر ردته بعد خمس سنين ويومين وقال الاموي وهو ابن ست سنين وحاول في النور
الجمع بتعدد الواقعة مستدلا بان صدره شق مرارا وفيه ما فيه وأيضا يعكر عليه ان الاموي ذكر ان
حليمة لم تره بعد الا مرتين بعد تزوج خديجة جاءته تشكو السنة وأن قومها أسنتوا فكلم
خديجة فأعطاها عشرين من الغنم وبكرات والثانية يوم حنين والراجح انه صلى الله عليه وسلم
رجع الى أمه وهو ابن أربع سنين وان شق الصدر انما كان في الرابعة كما جزم به الحافظ العراقي في نظم
السيرة وتلميذه الحافظ ابن حجر في سيرته وهي صغيرة مفيدة وذكر أنه التزم فيها الاقتصار على الاصح
مما اختلف فيه وقال العراقي

أقام في سعد بن بكر عندها * أربعة الاعوام تجني سعدها
وحين شق صدره جبريل * خافت عليه حدثا يزول
ردته سالما الى آمنة *

ولفظ سيرة ابن حجر أقام عندها أربع سنين أرضعته حولين كاملين ثم أحضرته الى أمه وسألتها
ان تتركه عندها الى أن يشب ففعلت فأتاه جبريل فشق صدره وأخرج منه علقة فقال هذا حظ
الشيطان منك فخافت عليه حليمة فرجعته الى أمه انتهى ومن خطه نقلت (وفي حديث شداد بن
أوس عن رجل من بني عامر) لا يضر ابهامه لان الصحابة كلهم عدول ولا سيما وهو من رواية صحابي
عن صحابي (عند أبي يعلى وأبي نعيم وابن عساكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت مسترضعا)
بصيغة اسم الفاعل وسين التأكيد لا الطلب وان كان الاصل فيها وليس اسم مفعول لان فعله لازم
(في بني سعد بن بكر فبينما أنا ذات يوم) تأنيث ذا بمعنى صاحب أي في ساعة ذات يوم أي منه فحذف
ذلك لوضوح المراد كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

أي مثل تضوع نسيم الصبا (في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان) جمع ترب وهو من ولد معه كما في
القاموس بان كان في سنه (اذا أنا برهط) بسكون الهاء أفصح من فتحها (ثلاثة) وسمى الملائكة رهطا
لمجيئهم على صورة الرجال اذ الرهط لغة ما دون العشرة من الرجال ليس فيهم امرأة كما في النهاية وغيرها
(معهم طست من ذهب ملئ) نعت للطست على معنى الاناء لا اللفظ لانها مؤنثة (ثلجا فأخذوني من بين
أصحابي) أترابي الذين كنت معهم (وانطلق الصبيان هربا) بكسر الهاء وتخفيف الراء جمع هارب
ويجوز ضم الهاء مع شد الراء (مسرعين) صفة لازمة ففي الصحاح هرب الرجل اذا جد في الذهاب مذعورا
فعمد (الى الحي) بفتح الميم ونقل في النور عن الليلى كسرها كما هو (أحدهم فأضجعني على
الارض اضجاعا لطيفا ثم شق ما بين مفرق) كمسجد وتكسر ميمه أيضا كما في الصحاح
(صدري) والمراد منه الموضع الذي يفترق فيه عظم الصدر وهو رأس المعدة (الى منتهى عانتي)

وأراد أن يتكلم فقال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا تقل الا خيرا فأنا
خير من تسلف فأعطاه
أربعين فضلا وأربعين
سلفه فأعطاه ثمانين
ذكره البزار واقترض
بعيرا فجاء صاحبه
يتقاضاه فأغلظ للنبي
صلى الله عليه وسلم فهم به
أصحابه فقال دعوه فان
لصاحب الحق مقالا
واشترى مرة شيأ وليس
عنده ثمنه فاربح فيه
فباعه وتصدق بالربح
على أرامل بني عبد
المطلب وقال لا أشتري
بعد هذا شيأ الا وعندي
ثمنه ذكره أبو داود وهذا
لا يناقض شراء في الذمة
الى أجل فهذا شئ وهذا
شئ وتقاضاه غريم له دينا
فأغلظ عليه فهم به عمر بن
الخطاب فقال مه يا عمر
كنت أحوج الى أن تأمرني
بالوفاء وكان أحوج الى
أن تأمره بالصبر وباعه
يهودي بيعا الى أجل
فجاءه قبل الاجل
يتقاضاه ثمنه فقال لم يحل
الاجل فقال اليهودي
انكم لمطل يا بني عبد
المطلب فهم به أصحابه
فنهاهم فلم يزده ذلك الا
حلما فقال اليهودي كل
شئ منك قد عرفته من
علامات النبوة وبقيت
واحدة وهي أنه لا يزيده

قال الأزهري وجماعة هي منبت الشعر فوق قبل المرأة وذكر الرجل والشعر النابت عليها يسمى الشعرة (وأنا أنظر اليه ثم أجد لذلك مسا) أى أثرا كأنه لم يمس ولا ينافيه وجدانه منتقعا لجواز أنه من الفزع الحاصل من مجرد رؤية الملك وشق الصدر (ثم أخرج أحشاء بطنى) جمع حشى بالقصر وهى المصارين (ثم غسلها بذلك الثلج فأنعم غسلها) أحسنه مجاز عن جعل الشئ ناعما (ثم أعادها مكانها) قال السهيلى فى حكمة الثلج لما يشعر به من ثلج اليقين وبرده على الفؤاد ولذا حصل له اليقين بالامر الذى يراد به وبوحدانية ربه انتهى (ثم قام الثانى فقال لصاحبه تنح) فتنحى فوقف مكانه (ثم أدخل يده فى جوفى وأخرج قلبى وأنا أنظر اليه وصاعه) شقه (ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها) وعند مسلم وأحمد من حديث أنس فأخرج علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ولا منافاة فقد تكون العلقة لكبرها تشبه المضغة (ثم قال بيده) أشار بها من اطلاق القول على الفعل مجاز الغويا فقد قال ثعلب وغيره العرب تطلق القول على جميع الافعال قال ابن بطال سمى الفعل قولا كما سمى القول فعلا فى حديث لاحسد الافى اثنتين حيث قال فى الذى يتلو القرآن لوأوتيت مثل ما أوتى لفعلت مثل ما فعل وتقول العرب قل لى برأسك أى أمله (يمنة ويسرة كأنه يتناول شيأ فاذا بخاتم فى يده من نور يحار الناظر دونه) أى فى مكان أقرب منه والمراد يتحير فيما دون ذلك الخاتم لصفته الخارقة للعادة (فختم به قلبى وامتلأ) قلبى (نورا وذلك نور النبوة والحكمة) قال النووى فيها أقوال كثيرة مضطربة صفا لنا منها أنها العلم المشتمل على المعرفة بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك انتهى ملخصا قال الحافظ (ثم أعاده) أى قلبى (مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرا) أى مدة طويلة واستمر ففى رواية فأنا الساعة أجد برده فى عروقى ومفاصلى قاله الشامى (ثم قال الثالث لصاحبه تنح فأمر يده بين مفرق صدرى الى منتهى عانتى فالتأم ذلك الشق باذن الله تعالى ثم أخذ بيدى فأنهضنى) أقامنى (من مكانى) الذى كان أضجعنى فيه (انهاضا لطيفا ثم قال الاول للثالث زنه بعشرة من أمته فوزنتى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فرجحتهم ثم قال زنه بألف) فوزنتى (فرجحتهم فقال) يخاطب صاحبيه (دعوه) اتركوه فهو من استعمال الجمع موضع المثنى ويجوز أنه كان معهم غيرهم (فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عينى) تبركا وايناسا (ثم قالوا يا حبيب) الله والمؤمنين (لم ترع) بضم أوله وفتح الراء فهمله مجزوم أى لم تخف بعدو لم يقصد به الامر وفى نسخة لن تراع بزيادة ألف منصوب بلن وهى أولى اذ المقصود بشارته والتسهيل عليه حتى لا يحصل له الروع فى المستقبل وبمثل النسختين ورد حديث رؤيا ابن عمر فى الصحيح وروى فيه أيضا لن ترع ووجهه ابن مالك بوجهين لا داعى لايرادهما هنا (انك لوتدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك) سكنت وبردت كناية عن السرور وقال فى الفتح قرت العين يعبر بها عن المسرة ورؤية ما يحبه الانسان ويوافقه لان عينه قرت أى سكنت حركتها عن التلفت لحصول غرضها فلا تستشرف لشئ آخر وكأنه مأخوذ من القرار وقيل معناه أنام الله عينك وهو يرجع الى هذا وقيل بل هو مأخوذ من القر وهو البرد أى ان عينه باردة لسروره ولذا قيل دمعة السرور باردة ودمعة الحزن حارة ومن ثم قيل فى ضده أسخن الله عينه انتهى (الحديث وفى رواية ابن عباس عند البيهقى قالت حليمة اذا أنا بابنى ضمرة) مر أن اسمه عبد الله وأنه وقع فى رواية البيهقى هذه ضمرة وان الشامى توقف فقال والله أعلم (يعدو فزعا) بفتح الزاى مفعول لاجله وبكسرها حال (وجبينه يرشح باكيا ينادى يا أبت يا أمت) وفى نسخة يا أماه ولعل الاصل يا أمتا باشباع الفتحة فتولد منها ألف ثم قدم الالف على التاء للقلب المكانى فصار يا أمات ثم قلبت التاء هاء كما قيل بمثله فى يا أبات (ألحقا محمدا فما تلحقانه الاميتا

شدة الجهل عليه الا حلما فأردت أن أعرفها فأسلم اليهودى

(فصل فى هديه فى مشيه وحده ومع أصحابه)

كان اذا مشى تكفأ تكفيا وكان أسرع الناس مشية وأحسنها وأسكنها قال أبو هريرة ما رأيت شيأ أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه وما رأيت أحدا أسرع فى مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الارض تطوى له وانا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مشى تكفأ تكفيا كأنما ينحط من صبب وقال مرة اذا مشى تقلع قلت والتقلع الارتفاع من الارض بجملته كحال المنحط من الصبب وهى مشية أولى العزم والهمة والشجاعة وهى أعدل المشيات وأروحها للاعضاء وأبعدها من مشية الهوج والمهانة والتماوت فان الماشى اما أن يتماوت فى مشيه ويمشى قطعة واحدة كأنه خشبة محمولة وهى مشية مذمومة قبيحة واما أن يمشى بانزعاج واضطراب

أتاه رجل) وتقدم انه قال رجلان الموافق لقول المصطفى فيه جاءني رجلان فيجوز أن المختطف الصاعد واحد فقط كما قد يدل له قوله (فاختطفه من أوساطنا وعلا) صعد (به ذروة) بكسر الذال وضمها أعلى (الجبل حتى شق صدره الى عانته وفيه) أى حديث ابن عباس هذا (انه عليه السلام قال أتانى رهط ثلاثة) هو موافق لما في حديث شداد عنه عليه السلام المار فوق هذا الحديث ومخالف كما ترى لقول ضمرة رجل أو رجلان فلعله لم ير سوى اثنين وأما المصطفى فرأى الثلاثة (بيد أحدهم ابريق من فضة وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء الحديث) بطوله وغرضه أيضا من سياقها التنبيه على ما فيه من مخالفة الحديث فوقه في ان الطست من ذهب فيحتمل والله أعلم ان الزمرد مرصع فوق الذهب (فان قلت هل غسل قلبه الشريف في الطست خاص به أو فعل بغيره من الانبياء عليهم السلام) قلت (أجيب بأنه ورد في خبر التابوت) الصندوق الذى كان فيه صور الانبياء أنزله الله على آدم قاله الجلال وقال البيضاوى هو صندوق التوراة وكان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين انتهى ولا منافاة بينهما (والسكينة) الطمأنينة الحاصلة من ذلك التابوت وقيل انها ريح هفافة لها وجه كوجه انسان أخرجه ابن جرير عن علي زاد مجاهد ورأس كرأس الهر وزاد ابن أبي الربيع عن أنس لعينيها شعاع، زاد أبو الشيخ اذا التقى الجمعان أخرجت يديها ونظرت اليهم فيهزم الجيش من الرعب (انه كان فيه الطست الذى غسلت فيه قلوب الانبياء) فليس خاصا بنبينا صلى الله عليه وسلم (ذكره الطبرى) يعنى محمد بن جرير أحد الاعلام وحكاه عنه السهيلى والحافظ في الفتح وأقره قائلا هذا يشعر بالمشاركة وذكر البرهان انه رأى بهامش الروض عن ابن دحية ان هذا أثر باطل انتهى وهو مردود فقد رواه سعيد بن منصور وابن جرير بسند ضعيف عن السدى عن أبي مالك عن ابن عباس (و) هو الذى (عزاه) العماد (بن كثير في تفسيره لرواية السدى عن أبي مالك عن ابن عباس) فحيث وجد مسندا وليس فيه وضاع ولا كذاب فمن أين يجيء بطلانه خصوصا وقد أخرجه ابن جرير وسعيد بن منصور باسناد صحيح عن السدى الكبير في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم قال طست من ذهب الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبياء وفي الفتح اختلف هل كان شق صدره وغسله مختصا به أو وقع لغيره من الانبياء فذكر المنقول عن الطبرى قال الشامى والراجح المشاركة وما صححه الشيخ يعنى السيوطى في خصائصه الصغرى من عدم المشاركة لم أر ما يعضده بعد الفحص الشديد انتهى (فان قلت ما الحكمة في ختم قلبه المقدس) صلى الله عليه وسلم (أجيب) وفي نسخة بالفاء وحذفها أولى كما مر (بأنه اشارة الى ختم الرسالة به) الاولى النبوة لان ختم الرسالة لا يستلزم ختم النبوة بخلاف العكس (وهذا مسلم ان كان الختم) أى خاتم النبوة (خاصا به أما اذا) أى حيث (ورد أنه ليس خاصا به بل بكل نبي فتكون الحكمة انه علامة يمتاز بها النبي عن غيره ممن ليس بنبي ويأتى قريبا) جدا (ان شاء الله تعالى ما في الخاتم الشريف من المباحث) ولما كان المتبادر من الوزن في الحديث الحقيقي وليس مرادا بين المراد بقوله (والمراد بالوزن في قوله) أى الملك (زنه بعشرة الخ) يريدو زنه بألف (الوزن الاعتبارى) لا الحقيقي فكأنه قال اعتبره بعشرة (فيكون المراد به الرجحان) وفي نسخة والرجحان أى المراد بالرجحان الرجحان (في الفضل وهو كذلك) ووقع في حديث ساقه الشامى ثم قال زنه بالف فوزنوني فرجحتهم فجعلت أنظر الى الالف فوقى أشفق أن يخر على بعضهم وهذا كالصريح في انه حسي اللهم الا أن يقال فيه تجوز والمراد رأيت زيادة رجحان في الاعتبار على الالف حتى صارت في الاعتبار لو كانت محسوسة لكادت أن يسقط على بعضها (وفائدة فعل الملكين ذلك ليعلم الرسول عليه السلام ذلك حتى يخبر به غيره ويعتقد اذ هو من الامور الاعتقادية) ولما نقل الشامى من أول قوله والمراد الى هنا عن بعض العلماء

مشي الجمل الأهوج وهى مشية مذمومة أيضا وهى دالة على خفة عقل صاحبها ولا سيما ان كان يكثر الالتفات حال مشيه يمينا وشمالا واما أن يمشى هونا وهى مشية عباد الرحمن كما وصفهم بها في كتابه فقال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا قال غير واحد من السلف بسكينة ووقار من غير تكبر ولا تماوت وهى مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه مع هذه المشية كان كأنما ينحط من صبب وكأنما الارض تطوى له حتى كان الماشى يجهد نفسه ورسول الله صلى الله عليه وسلم غير مكترث وهذا يدل على أمرين ان مشيته لم تكن مشية بتماوت ولا بمهانة بل مشية أعدل المشيات والمشيات عشرة أنواع هذه الثلاثة منها والرابع السعى والخامس الرمل وهو أسرع المشى مع تقارب الخطا ويسمى الخبب وفي الصحيح من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم خب في طوافه ثلاثا ومشى أربعا والسادس النسلان وهو العدو الخفيف الذى لا يزعج الماشى ولا يكربه وفي بعض المسانيد ان المشاة

قال وسألت شيخ الاسلام برهان الدين بن أبي شريف عن هذا الحديث قبل وقوفي على الكلام السابق فكتب لي بخطه هذا الحديث يقتضي أن المعاني جعلها الله تعالى ذواتا فعند ذلك قال الملك لصاحبه اجعله في كفة واجعل ألفا من أمته في كفة فلعل ترجيح ماله صلى الله عليه وسلم رجحانا طاش معه ماللالف بحيث يخيل اليه أنه يسقط بعضهم ولما عرف الملكان منه الرجحان وأنه معنى لو اجتمعت المعاني كلها التي للامة ووضعت في كفة ووضع ماله صلى الله عليه وسلم لرجح على الامة قالوا وأن أمته وزنت بماله بهم لان ما ثم خير الخلق وما وهبه الله تعالى له من الفضائل يستحيل أن يساويها غيرها (وقد وقع شق صدره الشريف واستخراج قلبه مرة أخرى) هي ثالثة (عند مجيء جبريل له بالوحي في غار حراء) كما أخرجه أبو نعيم والبيهقي في دلائلهما والطيالسي والحرث في مسنديهما من حديث عائشة وسأذكر الحديث ان شاء الله تعالى هنالك قال الحافظ والحكمة فيه زيادة الكرامة ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الاحوال من التطهير (ومرة أخرى) وهي رابعة (عند الاسراء) رواه الشيخان وأحمد من حديث قتادة عن أنس عن مالك بن صعصعة أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم فذكره الشيخان والترمذي والنسائي من طريق الزهري عن أنس عن أبي ذر مرفوعا ورواه البخاري من طريق شريك عن أنس رفعه ومسلم والبرقاني وغيرهما من طريق ثابت عن أنس رفعه بلا واسطة فلا عبرة بمن نفاه لان رواته ثقات مشاهير قال الحافظ والحكمة فيه الزيادة في اكرامه ليتأهب للمناجاة قال ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه انتهى وفيه أن هذه رابعة كما أشار له بقوله (وروى) بالبناء للفاعل (الشق أيضا وهو ابن عشر) من السنين (أو نحوها) يعني أشهرا كما في رواية في الزوائد وهي المرة الثانية وقد جزم بها الحافظ في كتاب التوحيد (مع قصة له مع عبد المطلب أبو نعيم) فاعل روى (في الدلائل) ورواها أيضا عبد الله بن أحمد في زوائد المسند بسند رجاله ثقات وابن حبان والحاكم وابن عساكر والضياء في المختارة عن أبي بن كعب ان أبا هريرة قال يا رسول الله ما أول ما ابتدئت به من أمر النبوة قال اني لفي صحراء ابن عشر حجج اذا أنا برجلين فوق رأسي يقول أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأخذاني فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على خلق قط فأقبلا الي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لاخذهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني وفي لفظ فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره ففلقاه فيما أرى بلا دم ولا وجع فكان أحدهما يختلف بالماء في طست من ذهب والآخر يغسل جوفي ثم قال شق قلبه فشق قلبي فأخرج الغل والحسد منه فأخرج شبه العلقة فنبذه فذكر الحديث قال الشامي والحكمة فيه أن العشر قريب من سن التكليف فشق قلبه وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال قال لكن هل كان في هذه المرة بختم لم أقف عليه في شيء من الاحاديث وأما الثلاث المرات ففي كل مرة منها يختم كما هو مقتضى الاحاديث انتهى ملخصا (وروى) شق صدره مرة (خامسة) وهو ابن عشرين سنة فيما قيل (ولا تثبت) فلا تذكر الا مقرونة ببيان عدم الثبوت (والحكمة في شق صدره الشريف في حال صباه) وهو عند ظئره كما قال البرهان وهو متفق عليه عند الناس (واستخراج العلقة منه) هي كما قال الحافظ (تطهيره عن حالات الصبا حتى يتصف في سن الصبا بأوصاف الرجولية ولذلك نشأ على أكمل الاحوال من العصمة) من الشيطان وغيره وخلقت هذه العلقة لانها من جملة الاجزاء الانسانية فخلقت تكملة للخلق الانساني ولا بد ونزعها كرامة ربانية طرأت بعده فاخراجها بعد خلقها أدل على مزيد الرفعة وعظيم الاعتناء والرعاية من خلقه بدونها قاله العلامة السبكي وقال غيره لو خلق سليما منها لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته فأظهره الله على

شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المشي في حجة الوداع فقال استعينوا بالنسلان والسابع الخوزلي وهي مشية التمايل وهي مشية يقال ان فيها تكسرا وتخنثا والثامن القهقرى وهي المشية الى وراء والتاسع الجمزى وهي مشية يثب فيها الماشي وثبا والعاشر مشية التبختر وهي مشية أولي العجب والتكبر وهي التي خسف الله سبحانه بصاحبها لما نظر في عطفيه وأعجبته نفسه فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة وأعدل هذه المشيات مشية الهون والتكفي وأما مشيه مع أصحابه فكانوا يمشون بين يديه وهو خلفهم ويقول دعوا ظهري للملائكة ولهذا في الحديث وكان يسوق أصحابه وكان يمشي حافيا ومنتعلا وكان يماشي أصحابه فرادى وجماعة ومشى في بعض غزواته مرة فانقطعت أصبعه وسال منها الدم فقال هل أنت الا أصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت وكان في السفر ساقة أصحابه يزجي الضعيف ويردفه ويدعو لهم ذكره أبو داود

* (فصل في هديه في

جلوسه واتكائه)*
كان يجلس على الارض وعلى الحصير والبساط وقالت قيلة بنت مخرمة أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد القرفصى قالت فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كالمتخشع فى الجلسة ارعدت من الفرق ولما قدم عليه عدى بن حاتم دعاه الى منزله فالقت اليه الجارية وسادة يجلس عليها فجعلها بينه وبين عدى وجلس على الارض قال عدى فعرفت أنه ليس بملك وكان يستلقى أحيانا وربما وضع احدى رجليه على الاخرى وكان يتكئ على الوسادة وربما اتكأ على يساره وربما اتكأ على يمينه وكان اذا احتاج فى خروجه توكأ على بعض أصحابه من الضعف

(فصل فى هديه عند قضاء الحاجة)
كان اذا دخل الخلاء قال اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث الرجس النجس الشيطان الرجيم وكان اذا خرج يقول غفرانك وكان يستنجى بالماء تارة ويستجمر بالاحجار تارة ويجمع بينهما تارة وكان اذا ذهب فى سفره للحاجة انطلق حتى يتوارى عن أصحابه

يه جبريل ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر

(ذكر خاتم النبوة)

(وقد روى أنه ختم بخاتم النبوة) قال القرطبى فى المفهم سمى بذلك لانه أحد العلامات التى يعرفها علماء الكتب السابقة ولذا الما حصل عند سلمان من علامات صدقه ما حصل كوضع بعثه ومهاجره جد فى طلبه فجعل يتأمل ظهره فعلم صلى الله عليه وسلم أنه يريد الوقوف على خاتم النبوة فأزال الرداء عنه فلما رأى سلمان الخاتم أكب عليه فقبله وقال أشهد أنك رسول الله وفى قصة بحيراء الراهب وانى أعرفه بخاتم النبوة وقال غيره اضافته للنبوة لكونه من آياتها أو لكونه ختما عليها لحفظها أو ختما عليها الاتمام لها كما تكمل الاشياء ثم يختم عليها قال السهيلى وحكمة وضعه انه لما شق صدره وأزيل منه مغمز الشيطان ملئ قلبه حكمة وايمانا فختم عليه كما يختم على الاناء المملوء مسكا انتهى وروى الحربى فى غريبه وابن عساكر فى تاريخه عن جابر قال أردفنى صلى الله عليه وسلم خلفه فالتقمت خاتم النبوة بفمى فكان ينم على مسكا وفى حديث شداد أنه من نور يحار الناظر دونه قال شيخنا فلعل المراد ان الذى ختم به شديد اللمعان حتى كأنه جسم من نور قلت بقاؤه على ظاهره أولى (بين كتفيه) وفى مسلم الى جهة كتفه اليسرى فالبينية تقريبية اذ الصحيح كما يأتى فى المتن عن السهيلى انه عند كتفه الايسر (وكان ينم مسكا) روى بضم النون وكسرها أى تظهر منه رائحة المسك قال فى المقتفى من قولهم نمت الريح اذا جلبت الرائحة انتهى وهو مستعار من النميمة ومنه سمى الريحان نماما الطيب رائحته وهى استعارة لطيفة شائعة (وانه مثل زر) بزاى فراء على المشهور وقيل بالعكس (الحجلة) بفتحتين وقيل بسكون الجيم مع ضم الحاء وقيل مع كسر الحاء ذكره غير واحد وفى المطالع ان بعضهم ضبطه بضم الحاء وفتح الجيم على انه من حجل الفرس (ذكره) أى رواه (البخارى) وكذا مسلم كلاهما من حديث السائب بن يزيد (وفى) صحيح (مسلم) ومسند أحمد من حديث عبد الله بن سرجس وهو بفتح المهملة وسكون الراء وكسر الجيم فمهملة انه (جمع عليه خيلان كأنها) أى الخيلان (الثآليل السود) فالتشبيه فى لونها الاصورتها (عند نغض) بضم النون وفتحها وسكون المعجمة آخره ضاد معجمة كما ضبطه المصنف بشرح البخارى (كتفه) اليسرى (وروى) بدل نغض (غضروف) بضم الغين وسكون الضاد المعجمتين فراء مضمومة فواو ساكنة ففاء ويقال غرضوف بتقديم الراء أيضا وهو رأس لوح (كتفه اليسرى) محذوف من الاول لدلالة الثانى وهذا نقل لما فى مسلم بالمعنى ولفظه من حديث المذكور ثم درت خلفه فنظرت الى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جماعليه خيلان كامثال الثآليل ودرت من الدوران وجمعا نصب على الحال قال السهيلى وحكمة وضعه عند النغض لانه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يدخل الشيطان وقد روى ابن عبد البر بسند قوى عن عمر بن عبد العزيز ان رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان من ابن آدم فأرى جسدا ممهى يرى داخله من خارجه وأرى الشيطان فى صورة ضفدع عند كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله فى منكبه الايسر الى قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى العبد خنس قال فى الفتح وهو مقطوع وله شاهد مرفوع عن أنس عند أبى يعلى وابن عدى ولفظه ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم الحديث وممهى بضم الميم الاولى وسكون الثانية وتخفيف الهاء اسم مفعول من أمهاه أى مصفى وفى النهاية انه رأى ذلك عنا ما قال والمها البلور وكل شئ صفى فهو ممهى تشبيها به زاد فى الفائق أو مقلوب من مموه وهو مفعل من أصل الماء أى مجعول ماء (وفى كتاب أبى نعيم) عند نغض أو غضروف كتفه (الايمن) ولاشك فى شذوذه فهذا المباين لما فى الصحيح الواجب تقديمه على من تعبيره أولا باليسرى

وثانيا بالايمن ان الكتف يذكر ويؤنث وبه صرح ابن مالك (وفى مسلم أيضا) عن جابر بن سمرة أثناء حديث بلفظ ورأيت الخاتم عند كتفه (كبيضة) نقل بالمعنى ولفظه مثل بيضة (الحمامة) يشبه جسده وأخرجه عنه أيضا من وجه آخر مختصرا بلفظ رأيت خاتما فى ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه بيضة حمام ووقع فى رواية لابن حبان كبيضة نعامة قال الحافظ الهيتمى والصواب ما فى الصحيح وقال الحافظ ابن حجر قد تبين من رواية مسلم انها غلط من بعض رواته (وفى صحيح الحاكم) المستدرك وكذا فى الترمذى وأبى يعلى والطبرانى كلهم من حديث عمرو بن أخطب قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ادن فامسح ظهرى فدنوت ومسحت ظهره ووضعت أصابعى على الخاتم فقيل له وما الخاتم قال (شعر مجتمع) عند كتفه أى ذو شعر أو فيه شعر فلا ينافى حديث أبى سعيد عند البخارى فى تاريخه والبيهقى انه لحمة نابتة وكأنه رآه على استعجال فلم ير الا الشعر فأخبر عنه (وفى البيهقى) وأحمد وابن سعد من طرق عن أبى رمثة بكسر الراء وسكون الميم فمثلثة قال انطلقت مع أبى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظرت الى (مثل السلعة) بين كتفيه بكسر فسكون فمهملة مفتوحة أى خراج كهيئة الغدة تتحرك بالتحريك ورواه قاسم بن ثابت من حديث قرة بن اياس (وفى الشمائل) للترمذى عن أبى سعيد الخدرى قال الخاتم الذى بين كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم (بضعة) بفتح الموحدة وحكى كما فى الفتح ضمها وكسرها أيضا وسكون المعجمة أى قطعة لحم (ناشزة) بنون وشين مكسورة فزاى معجمتين مرتفعة ولاحمد عنه لحم ناشز بين كتفيه وللبيهقى والبخارى فى التاريخ عنه لحمة نابتة وكلتا الروايتين تفسر رواية بضعة (وفى حديث) ابن أبى شيبة عن (عمرو بن أخطب) بفتح الهمزة وسكون المعجمة صحابى بدرى خرج له مسلم والاربعة (كشئ يختم به) لفظ ابن أبى شيبة عنه رأيت الخاتم على ظهره صلى الله عليه وسلم هكذا كأنه يختم به أى على صورة الآلة التى يختم بها وفى الشمائل عنه شعرات مجتمعات ومر لفظ الجماعة عنه شعر مجتمع فيحمل على أن مراده أن الشعرات على صورة الشئ الذى يختم به فلا منافاة (وفى تاريخ ابن عساكر) وتاريخ الحاكم وصحيح ابن حبان عن ابن عمر (مثل البندقة من اللحم) (وفى) جامع (الترمذى ودلائل البيهقى) عن أبى موسى الاشعرى (كالتفاحة) ولفظه كان خاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة (وفى الروض) الانف على قول ابن هشام كان كأثر المحجم يعنى (كأثر المحجمة) بكسر الميم (القابضة على اللحم) حتى يكون ناتئا انتهى كلام الروض قال الشامى هى الآلة التى يجتمع بها دم الحجامة عند المص والمراد من أثرها اللحم الناتئ من قبضها عليه ويأتى انه غير ثابت أى ضعيف وقد رواه أحمد والبيهقى عن التنوخى رسول هرقل فى حديثه الطويل بلفظ فاذا أنا بالخاتم فى موضع غضروف الكتف مثل المحجمة الضخمة (وفى تاريخ) أبى بكر (بن أبى خيثمة) عن بعضهم (شامة خضراء محتفرة) بالراء أى غائرة (فى اللحم) مغطاة بالجلد (وفيه أيضا) عن عائشة قالت كان خاتم النبوة (شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متراكمات) مجتمعات (كأنها عرف) بضم العين شعر عنق (الفرس) أى فى الاجتماع ويأتى انهما غير ثابتين (وفى تاريخ) أبى عبد الله محمد بن سلامة (القضاعى) بضم القاف وضاد معجمة وعين مهملة مر بعض ترجمته (ثلاث شعرات مجتمعات) بجره نعت لشعرات ورفعه نعت لثلاث (وفى كتاب) نوادر الاصول للامام الحافظ محمد بن على (الترمذى الحكيم) الصوفى سمع الكثير من الحديث بالعراق ونحوه وهو من طبقة البخارى حدث عن قتيبة بن سعيد وغيره وحسبك فيه قول الحافظ ابن النجار فى تاريخه كان اماما من أئمة المسلمين له المصنفات الكبار فى أصول الدين ومعانى الحديث لقى الائمة الكبار وأخذ عنهم وقول أبى نعيم فى الحلية له التصانيف الكثيرة فى الحديث مستقيم الطريقة تابع للاثر له حكم علية الشأن وقول

وربما كان يبعد نحو الميلين وكان يستتر للحاجة بالهدف تارة وبحائش النخل تارة وبشجر الوادى تارة وكان اذا أراد أن يبول (٣) فى عزاز من الارض وهو الموضع الصلب أخذ عودا من الارض فنكت به حتى يثرى ثم يبول وكان يرتاد لبوله الموضع الدمث وهو اللين الرخو من الارض وأكثر ما كان يبول وهو قاعد حتى قالت عائشة من حدثكم أنه كان يبول قائما فلا تصدقوه ما كان يبول الا قاعدا وقد روى مسلم فى صحيحه من حديث حذيفة أنه بال قائما فقيل هذا بيان للجواز وقيل انما فعله من وجع كان بمأبطه وقيل فعله استشفاء قال الشافعى رحمه الله والعرب تستشفى من وجع الصلب بالبول قائما والصحيح أنه انما فعل ذلك تنزها وبعدا من اصابة البول فانه انما فعل هذا لما أتى سباطة قوم وهو ملقى الكناسة ويسمى المزبلة وهى تكون مرتفعة فلو بال فيها الرجل قاعدا لارتد عليه بوله وهو صلى الله عليه وسلم استترها وجعلها بينه وبين الحائط فلم يكن بد من بوله قائما والله أعلم وقد ذكر

(٣) العزاز بعين مهملة وزايين بوزن كمال الارض الصلبة اه جوهرى

ابن عطاء الله كان الشاذلي والمرسي يعظمانه جدا ولكلامه عندهما الحظوة التامة ويقولان هو أحد الأوتاد الاربعة وأطال القشيري وغيره الثناء عليه مات سنة خمس وتسعين ومائتين (كبيضة حمامة مكتوب في باطنها) أي البيضة قال شيخنا ولعل المراد ما يلي جسده الشريف (الله وحده لا شريك له وفي ظاهرها) قال شيخنا لعل المراد ما يقابل الجهة التي خلفه (توجه حيث كنت) أي الى أي جهة أردت فلا تفرق بين مكان ومكان (فانك منصور) ورواه أبو نعيم أيضا ويأتي انه غير ثابت وقال في المورد هو حديث باطل انتهى ولا يقدح في جلالة من خرجه لان المحدثين عندهم اذا أبرزوا الحديث بسنده برؤا من عهدته (وفي كتاب المولد) النبوي (لابن عائذ) بمهملة فتحتية فمعجمة عن شداد بن أوس (كان نورا يتلألأ) أي صورة ذات نور كأنه لشدته ما يمكن من وصفه بصورة يعبر بها عنه (وفي سيرة ابن أبي عاصم عذرة كعذرة الحمام) في النهاية العذرة بالضم وجع في الحلق يهيج من الدم أو قرحة تخرج في الخرم الذي بين الانف والحلق (قال أبو أيوب يعني قرطمة الحمامة) وهي نقطة على أصل منقارها كما يأتي فليس المراد بالعذرة حقيقتها (وفي تاريخ نيسابور) بفتح النون لابي عبد الله الحاكم وكذا في صحيح ابن حبان من طريق اسحق بن ابراهيم قاضي سمرقند حدثنا ابن جريج عن عطاء عن ابن عمر قال كان خاتم النبوة على ظهره صلى الله عليه وسلم (مثل البندقة من اللحم مكتوب فيه باللحم) يحتمل ان اللحم بارز أو غائر بحروف (محمد رسول الله) ولا يتوهم أحد انه بمداد مع قوله باللحم ويأتي انه ضعيف وانما قصر عزوه لتاريخ الحاكم لزيادته على ابن حبان لفظ اللحم ولقوله (و) فيه أيضا (عن عائشة) رضي الله عنها (كتينة صغيرة تضرب الى الدهمة) بضم الدال السواد (وكان مما يلي الفقار) بفتح الفاء وكسرها كما في القاموس واقتصر المصباح الفتح فقال جمع فقارة كسحاب جمع سحابة عظام الظهر (قالت فالتمسته حين توفي فوجدته قد رفع) أي ظهوره فاختفى في جسده كما تتقلص الانثيان عند الوفاة لانه نزع من جسده فلا ينافي قول شيخ الاسلام الولي ابن العراقي في جواب سؤال وأما دفنه معه فلا شك فيه لانه قطعة من جسده انتهى وعليه فهل يبعث به يوم القيامة تظاهرا في جسده كالدنيا اظهارا لشرفه بتلك العلامة التي لم تكن لغيره فان شامات الانبياء كانت في أيديهم أم لا فان قيل النبوة والرسالة باقيتان بعد الموت كما هو مذهب الاشعري وعامة أصحابه لان الانبياء أحياء في قبورهم فلم رفع ما هو علامة على ذلك أجيب بأنه لما وضع لحكمة هي تمام الحفظ والعصمة من الشيطان وقد تم الامن منه بالموت لم يبق لبقائه في جسده فائدة لكن توقف العلامة الشامي في رفعه عند الوفاة المروي هنا عن عائشة فقال لا أظنه صحيحا فينظر سنده قال وروى أبو نعيم والبيهقي من طريق الواقدي عن شيوخه قالوا اشكوا في موته صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم مات وبعضهم لم يمت فوضعت أسماء بنت عميس يدها بين كتفيه صلى الله عليه وسلم فقالت قد مات قد رفع الخاتم من بين كتفيه قال والواقدي متروك بل كذبه جماعة (حكى هذا) الذي ساقه المصنف من اختلاف الروايات في قدر الخاتم (كله الحافظ مغلطاي) في الزهر الباسم مقراله ومن قبله الحافظ القطب الحلبي وبقي من الروايات أنه كركبة عنز رواه الطبراني وابن عبد البر وأبو نعيم في المعرفة من حديث عباد بن عبد عمرو وزاد وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يرى الخاتم وسنده ضعيف وزواه ابن عساكر من طريق أبي يعلى وقال كركبة البعير قال في الاصابة وفي سنده من لا يعرف وقال الشامي هو وهم من بعض رواته كأنه تصحف عليه كركبة عنز بركبة بعير وأنه بين كتفيه كدارة القمر مكتوب فيها سطران الاول لا اله الا الله وفي السطر الاسفل محمد رسول الله رواه أحمد بن اسمعيل الدمشقي قال في المورد والغرور وهو باطل بين البطلان وأنه كبيضة نعامة رواه ابن حبان ومر انه غلط (لكن قال) شيخ الاسلام الحافظ ابن حجر (في فتح الباري ما ورد من أن الخاتم كان كأثر المحجم) كما في الروض

الترمذي عن عمر بن الخطاب قال رآني النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما قال فما بلت قائما بعد قال الترمذي وانما رفعه عبد الكريم ابن أبي المخارق وهو ضعيف عند أهل الحديث وفي مسند البزار وغيره من حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من الجفاء أن يبول الرجل قائما أو يمسح جبهته قبل أن يفرغ من صلاته أو ينفخ في سجوده ورواه الترمذي وقال هو غير محفوظ وقال البزار لا نعلم رواه عن عبد الله بن بريدة الا سعيد ابن عبيد الله ولم يجرحه بشئ وقال ابن ابي حاتم هو بصري ثقة مشهور * وكان يخرج من الخلاء فيقرأ القرآن وكان يستنجي ويستجمر بشماله ولم يكن يصنع شيأ مما يصنعه المبتلون بالوسواس من نتر الذكر والنحنحة والقفز ومسك الحبل وطلوع الدرجة وحشو القطن في ثقب الاحليل وصب الماء فيه وتفقده الفينة بعد الفينة ونحو ذلك من بدع أهل الوسواس وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم

وغيره (أو الشامة السوداء أو الخضراء) كما في تاريخ ابن أبي خيثمة (أو المكتوب عليها محمد رسول الله) كما في تاريخ الحاكم وغيره (أو سر فانك المنصور) كما في النوادر (لم يثبت منها شيء) بل بعضها باطل وبعضها ضعيف ولا معنى لذكرها مع السكوت عليها قال أعني الحافظ وقد أطنب الحافظ قطب الدين في استيعابها في شرح السيرة وتبعه مغلطاي ولم يبينا شيأ من حالها والحق ما ذكرته قال (ولا تغتر بشيء مما وقع منها في صحيح ابن حبان فانه غفل) بفتح الفاء وتكسر ذكره الانصاري (حيث صحح ذلك) بايراده في صحيحه المسمى بالانواع والتقاسيم (وقال) الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان (الهيثمي) رفيق أبي الفضل العراقي ولد سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ورافق العراقي في سماع الحديث ولازمه وألف وجمع ومات في تاسع عشر رمضان سنة سبع وثمانمائة وفي نسخة وقال شيخه الهيثمي والضمير لصاحب فتح الباري لانه شيخه ذكره في مشايخه (في موارد الظمآن) الى زوائد ابن حبان (بعد أن أورد الحديث ولفظه مثل البندقة من اللحم مكتوب عليه محمد رسول الله اختلط على بعض الرواة خاتم النبوة بالخاتم الذي كان يختم به) صلى الله عليه وسلم (ونحوه) تلميذه (الحافظ ابن حجر على الهامش البعض المذكور وهو اسحق بن ابراهيم) راويه عن ابن جريج (قاضي سمرقند) بفتح المهملة والميم وسكون الراء وفتح القاف وسكون النون ودال مهملة مدينة عظيمة يقال لها اثنا عشر بابا بين كل بابين فرسخ وهي معرب شمر كند بالمعجمة والكاف قال المجد واسكان الميم وفتح الراء لحن (وهو ضعيف) فلا يعول على مروياته ثم أخذ في تفسير بعض ما مر على عادتهم فقال (وقوله زر الحجلة بالزاي والراء) بعدها في المشهور وبه جزم عياض وغيره وقيل قبلها حكاه الخطابي وفسره بأنه البيض يقال رزت الجرادة بفتح الراء وشد الزاي غرزت ذنبها في الارض لتبيض قال التوربشتي وهو أوفق بظاهر الحديث لكن الرواية لا تساعده وقال في المفهم العرب لا تسمي البيضة رزة ولا تؤخذ اللغة قياسا والمصنف محتمل للقولين (والحجلة بالحاء المهملة والجيم) المفتوحتين أو وسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرها (قال النووي) في شرح مسلم (هي واحدة الحجال وهي بيت كالقبة لها ازرار كبار وعرا) جمع عروة وقال السيوطي وغيره هي المعروفة الآن بالبشخانة (هذا هو الصواب) في تفسيرها وبه جزم الازهري فقال في التهذيب الحجلة بيت كالقبة يستر بالثياب ويجعل له باب من جنسه فيه زر وعروة تشد اذا غلقت قال القرطبي وهو المشهور والاشبه بالمعنى وبه جزم السهيلي فالزر على هذا حقيقة لانها ذات أزرار وعرا (وقال بعضهم المراد بالحجلة الطائر المعروف وزرها بيضها وأشار اليه الترمذي) فقال في جامعه المراد بالحجلة هذا الطائر وزرها بيضها وأنكره عليه العلماء لان اللغة لا تساعد على الزر بمعنى البيض وحمله على الاستعارة تشبيها البيضة بأزرار الحجال انما يصار اليه اذا ورد ما يصرف اللفظ عن ظاهره لكن قال ابن الاثير يشهد له حديث مثل بيضة الحمامة وقيل المراد بالحجلة من حجل الفرس نقله البخاري في الصحيح عن محمد بن عبيد الله واستبعده السهيلي بأن التحجيل انما يكون في القوائم وأما الذي في الوجه فهو الغرة قال الحافظ وهو كما قال الا أن منهم من يطلقه على ذلك مجازا وكأنه أراد أنها قدر الزر والا فالغرة لا زر لها انتهى وفيه ما قد يجاب به عن قول ابن قرقول ان كان سمى البياض بين عيني الفرس حجلة لكونها بياضا كما سمى بياض القوائم تحجيلا فما معنى الزر مع هذا لا يتجه لي فيه وجه (وقوله جمع بضم الجيم) جزم به ابن الاثير وغيره وحكى ابن الجوزي وابن دحية كسرها وجزم به في المفهم (واسكان الميم أي كجمع الكف وهو صورته بعد أن تجمع الاصابع وتضمها) أي الاصابع الى باطن الكف كالقابض على شيء هذا المتبادر واحتمال أن ذلك مع انتشارها بعيد جدا بل يمنعه جواب عياض الآتي في المتن وتفسير المصنف هذا حكاه في الروض عن القتيبي وصدر بقوله يعني

أنه كان اذا بال نتر ذكره ثلاثا وروى أنه أمر به ولكن لا يصح من فعله ولا أمره قال أبو جعفر العقيلي وكان اذا سلم عليه أحد وهو يبول لم يرد عليه ذكره مسلم في صحيحه عن ابن عمر وروى البزار في مسنده في هذه القصة أنه رد عليه ثم قال انما رددت عليك خشية أن تقول سلمت عليه فلم يرد علي سلاما فاذا رأيتني هكذا فلا تسلم علي فاني لا أرد عليك السلام وقد قيل لعل هذا كان مرتين وقيل حديث مسلم أصح لانه من حديث الضحاك بن عثمان عن نافع عن ابن عمر وحديث البزار من رواية أبي بكر رجل من أولاد عبد الله ابن عمر عن نافع عنه قيل وأبو بكر هذا هو أبو بكر ابن عمر بن عبد الرحمن ابن عبد الله بن عمر روى عنه مالك وغيره والضحاك أوثق منه وكان اذا استنجى بالماء ضرب يده بعد ذلك على الارض وكان اذا جلس لحاجته لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض

* (فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) *

في الفطرة وتوابعها قد سبق الخلاف هل ولد صلى الله عليه وسلم مختونا أو ختنته الملائكة يوم شق

كالمحجمة لا كجمع الكف ومعناه كمعنى الاول أى كأثر الجمع كذا قال وهو تكلف والمتبادر تفسير ابن قتيبة وقد تبعه عليه عياض والنووى والمصنف وغيرهم الآتى (وقوله خيلان بكسر الخاء المعجمة واسكان التحتية جمع خال وهو الشامة على الجسد) جمعها شام وشامات (وقوله نغض بالنون) تضم وتفتح (والغين) الساكنة (والضاد المعجمتين قال النووى النغض) بضم النون (والنغض) بفتحها (والناغض) بألف بين النون والغين (أعلى الكتف) وهو رأس لوحه (وقيل هو العظم الرقيق الذى على طرفه وقيل ما يظهر منه عند التحرك بأعضاء التحرك) وفى شرح مسلم للأبى قال المازرى قال شمر الناغض من الانسان أصل العنق حيث ينغض رأسه ونغض الكتف هو العظم الرقيق على طرفه وقال غيره الناغض فرع الكتف سمى ناغضا للحركة ومنه قيل للظليم ناغض لانه يحرك رأسه اذا عدا أى جرى وقال النووى ناغض الكتف مارق منه سمى بذلك لنغوضه أى لتحركه نغض رأسه حركه ومنه قوله تعالى فسينغضون اليك رؤسهم أى يحركونها استهزاء (وقوله بضعة ناشزة بالمعجمة) المكسورة (والزاى قطعة لحم مرتفعة على جسده و بيضة الحمام تمعر وفة انتهى) كلام النووى (والثآليل بالمثلثة جمع ثؤلول) بهمزة ساكنة وزان عصفور ويجوز تخفيف الهمزة بابدالها واوا (وهو حب يعلو ظاهر الجسد واحدته كالحمصة فما دونها) وفى المفهم الخيلان جمع خال وهى نقط سود كانت على الخاتم شبهها لسعتها بالثآليل لأنها كانت ثآليل انتهى (وفى القاموس وقرطمتا الحمام) قال المصنف (أى بكسر القاف) لان صاحب القاموس عطفه على قوله وقرطمة بالكسر بلدة بالاندلس وقرطمتا الحمام (نقطتان على أصل منقاره وقال بعض العلماء اختلفت أقوال الرواة فى خاتم النبوة) على نحو عشرين قولا (وليس ذلك باختلاف) حقيقى (بل كل شبه بما سنح) ظهر (له) لانه صلى الله عليه وسلم كان يستره وواصفه امارآه من غير قصد كما فى حديث عمرو بن أخطب أو أراه له عليه السلام كما فى قصة سلمان مع مزيد ما حواه صلى الله عليه وسلم من المهابة (وكلها ألفاظ مؤداها واحد وهو قطعة لحم) بارزة عليها شعرات (فمن قال شعر فلان الشعر حوله متراكم) مجتمع (عليه كما فى الرواية الاخرى) عن عائشة فان أشكل برواية محتفرة فى اللحم أجيب بأنها ان صحت يجوز أن حولها احتفار ليزداد ظهورها وتميزها عن الجلد (وقال) أبو العباس أحمد بن عمر بن ابراهيم الانصارى (القرطبى) المالكى الفقيه المحدث نزيل الاسكندرية ومدرسها ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وتوفى فى ذى القعدة سنة ست وخمسين وستمائة واختصر الصحيحين وصنف المفهم فى شرح صحيح مسلم فقال فيه (الاحاديث الثابتة دالة) وفى نسخة تدل (على أن خاتم النبوة كان شيأ بارزا أحمر عند كتفه الايسر اذا قلل) قيل فيه هو (قدر بيضة الحمامة واذا كثر) قيل فيه هو (جمع اليد) أى قدره فقدر وجمع مرفوعان ويجوز النصب بتقدير كان وحاصله أن اختلافه باختلاف الاحوال وكذا يقال فى الاختلاف فى لونه (قال القاضى) أبو الفضل (عياض) بن موسى بن عياض السبتى الدار والبلاد الاندلسى الاصل حافظ مذهب مالك الاصولى العلامة الحافظ امام المحدثين وأعرف الناس بعلومه وبالتفسير وفنونه وبالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم شاعر بليغ حليم صبور جواد كثير الصدقة صاحب التصانيف المشهورة كشرح مسلم والشفاء والاعلام والمشارق وهو كتاب لو وزن بالجوهر أو كتب بالذهب كان قليلا فيه وفيه أنشد

مشارق أنوار تبدت بسبتة * ومن عجب كون المشارق بالغرب

ولد بسبتة سنة ست وسبعين وأربعمائة وتوفى متغربا عن وطنه فى شهر رمضان أو جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة ودفن بمراكش وقيل مات مسموما سمه يهودى (وهذه الروايات) الاشارة الى جملة

بعذره الاوّل أوختنه جده عبد المطلب وكان يعجبه التيمن فى تنعله وترجله وطهوره وأخذه وعطائه وكانت يمينه لطعامه وشرابه وطهوره ويساره لخلائه ونحوه من ازالة الاذى وكان هديه فى حلق الرأس تركه كله أو أخذه كله ولم يكن يحلق بعضه ويدع بعضه ولم يحفظ عنه حلقه الا فى نسك وكان يحب السواك وكان يستاك مفطرا وصائما ويستاك عند الانتباه من النوم وعند الوضوء وعند الصلاة وعند دخول المنزل وكان يستاك بعود الاراك وكان يكثر التطيب ويحب الطيب وذكر عنه أنه كان يطلى بالنورة وكان أولا يسدل شعره ثم فرقه والفرق أن يجعل شعره فرقتين كل فرقة ذؤابة والسدل أن يسدله من ورائه ولا يجعله فرقتين ولم يدخل حماما قط ولعله ماراه بعينه ولم يصح فى الحمام حديث وكان له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ثلاثا عند النوم فى كل عين واختلف الصحابة فى خضابه فقال أنس لم يخضب وقال أبو هريرة خضب وقد روى حماد بن سلمة عن حميد عن أنس قال رأيت شعر

روايات ذكرها في شرح مسلم هي مثل بيضة الحمامة وبضعة ناشزة ومثل السلعة وزر الحجلة عند ناغض كتفه اليسرى جمعا ثم قال وهذه الروايات كلها (متقاربة) في المعنى (متفقة على أنه شاخص) بارز مرتفع (في جسده قدر بيضة الحمامة وزر الحجلة) أي وعليه شعر ولما كان ذا الجمع شاملا للروايات السابقة كلها ذكره المصنف عقبها ولم يبال بأن عياضا انما ذكره عقب الروايات المذكورة عنه (وأما رواية جمع الكف فظاهرها المخالفة فتتأول) تحمل (على وفق الروايات الكثيرة ويكون معناه على هيئة جمع الكف لكنه أصغر منه في قدر بيضة الحمامة) وتبعه على ذا الجمع النووي (قال) يعني عياضا (وهذا الخاتم هو أثر شق الملكين بين كتفيه قال النووي هذا الذي قاله ضعيف بل باطل لان شق الملكين انما كان في صدره وبطنه انتهى) وفي المفهم هذا غلط من عياض لان الشق انما كان في صدره وأثره انما كان خطا راضحا من صدره الى مراق بطنه كما في الصحيح ولم يرد قط في رواية انه بلغ بالشق حتى نفذ من وراء ظهره ولو ثبت لزم عليه ان يكون مستطيلا من بين كتفيه الى أسفل بطنه لانه الذي يحاذي الصدر من مسربته الى مراق البطن قال فهذه غفلة من القاضي قال ولعل هذا الغلط وقع من بعض الناسخين لكتابه فانه لم يسمع عليه فيما علمت انتهى (ويشهد له قول أنس في حديث عند مسلم يأتي في ذكر قلبه الشريف من المقصد الثالث ان شاء الله تعالى فكنت أرى أثر المخيط) بكسر الميم ما يخاط به (في صدره) صلى الله عليه وسلم وظاهره انه كان باقيا له كالشق ويدل له قول الملك في حديث أبي ذر خط بطنه فخاطه وقوله في حديث عتبة بن عبد حصه فخاصه وقد وقع السؤال عن ذلك ولم يجب عنه أحد ولم أر من تعرض له بعد التتبع وأما قوله وأتيت بالسكينة فوضعت في صدري فالصواب كما قال ابن دحية تخفيف السكينة لذكرها بعد شق البطن خلافا للخطابي ذكره الشامي (لكن أجيب) عن عياض كما ذكره الحافظ متبرئا من الاعتراض عليه (بأن في حديث عتبة بن عبد) بلا اضافة (السلمي) أبي الوليد صحابي شهير أول مشاهده قريظة مات سنة سبع وثمانين ويقال بعد السبعين وقد قارب المائة رضي الله عنه (عند أحمد والطبراني) وغيرهما ويأتي لفظه قريبا (ان الملكين لما شقا صدره) صلى الله عليه وسلم وهو في بني سعد بن بكر (قال أحدهما للآخر خطه فخاطه) نقل بالمعنى والافالرواية حصه فخاصه قال الشامي بمهملة مضمومة أي خطه يقال حاص الثوب يحوصه حوصا اذا خاطه (وختم عليه بخاتم النبوة فلما ثبت أن خاتم النبوة كان بين كتفيه حمل القاضي عياض ذلك على ان الشق لما وقع في صدره ثم خيط حتى التأم) عاد (كما كان ووقع الختم بين كتفيه كان ذلك أثر) عقب (الختم وفهم النووي وغيره) كالقرطبي (منه قوله بين كتفيه متعلق بالشق) فغلطوه (وليس كذلك) أي كما فهموه (بل هو متعلق بأثر الختم) قال الحافظ ويؤيده ما في حديث شداد عند أبي يعلى وأبي نعيم ان الملك لما أخرج قلبه وغسله ثم أعاده ختم عليه بخاتم في يده من نور فامتلأ نورا وذلك نور النبوة والحكمة فيحتمل أن يكون ظهر من وراء ظهره عند كتفه الايسر لان القلب في تلك الجهة وفي حديث عائشة عند الطيالسي والحرث وأبي نعيم ان جبريل وميكائيل لما تراءيا له عند المبعث هبط جبريل فسبقني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم غسله في طشت من ذهب بماء زمزم ثم أعاده مكانه لأمه ثم ألقاني وختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي وقال اقرأ وذكر الحديث فهذا مستند القاضي (وحينئذ فليس ما قاله القاضي عياض باطلا) انتهى جواب الحافظ رحمه الله وأجاب أبو عبد الله الابي بأنه نص في حديث أبي ذر أن وضع الخاتم كان بعد الشق قال فلفظة أثر في كلام القاضي ليست بفتح الهمزة والثاء وانما هي بكسر الهمزة وسكون الثاء ويتخرج الكلام على حذف مضاف تتعلق به لفظة بين أي وضع هذا الخاتم بين كتفيه أثر شق الصدر والكلام مستقيم دون غلط ولا بطلان وانما جاء

رسول الله صلى الله عليه وسلم مخضوبا قال حماد وأخبرني عبد الله بن محمد ابن عقيل قال رأيت شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أنس بن مالك مخضوبا وقالت طائفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يكثر الطيب قد احمر شعره فكان يظن مخضوبا ولم يخضب وقال أبو رمثة أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابن لي فقال ابنك فقلت نعم اشهد به فقال لا تجني عليه ولا يجني عليك قال ورأيت الشيب احمر قال الترمذي هذا أحسن شيء روي في هذا الباب وأفسره لان الروايات الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الشيب قال حماد بن سلمة عن سماك ابن حرب قيل لجابر بن سمرة أكان في رأس النبي صلى الله عليه وسلم شيب قال لم يكن في رأسه شيب الا شعرات في مفرق رأسه اذا ادهن وأراهن الدهن قال أنس وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه ولحيته ويكثر القناع كأن ثوبه ثوب زيات وكان يحب الترجل وكان يرجل نفسه تارة وترجله عائشة تارة وكانت شعره فوق الجمة ودون

ما فهما من قبيل التصحيف انتهى وفي نسيم الرياض حديث أبي ذر المذكور موافق لكلام عياض سواء قرئ أثر بفتحتين أو بكسر فسكون أما الثاني فظاهر وأما على الأول فلانه لما وقع بعده وسببه جعل أثرا انتهى وأجاب بعضهم بان قوله بين كتفيه خبر بعد خبر لقوله هو فقد تحامل من اعترض عياضا لان مثل هذا ظاهر جدا (قال السهيلي والصحيح انه يعني خاتم النبوة كان عند نغض كتفه الايسر) كما في مسلم ففيه رد رواية الايمن ووقع في حديث شداد في مغازي ابن عائذ في قصة شق صدره وهو في بلاد بني سعد بن بكر وأقبل الملك وفي يده خاتم له شعاع فوضعه بين كتفيه وثدييه قال الحافظ وتبعوه وهذا قد يؤخذ منه ان الختم وقع في موضعين من جسده ومنعه شيخنا بجواز أن الختم وقع بين كتفيه في مقابلة ما بين الثديين فيكون الغرض تعيين موضعه عنده قلت وهو وجيه لولا مباينته لما في مسلم أنه عند نغض كتفه المفسر بأعلى الكتف (واختلف) في جواب قول السائل (هل ولد وهو به أو وضع بعد ولادته على قولين) فقيل ولد به نقله ابن سيد الناس ورده في الفتح بان مقتضى الاحاديث السابقة أن الخاتم لم يكن موجودا حين ولادته قال ففيها تعقب على من زعم أنه ولد به واختلف القائلون بالثاني فقيل حين ولد نقله مغلطاي عن يحيى بن عائذ وزد به حديث ابن عباس عند أبي نعيم وغيره وفيه نكارة قيل عند شق صدره وهو في بني سعد وورد في حديث عتبة بن عبد عند أحمد والطبراني وقطع به عياض قال الحافظ وهو الاثبت وفي حديث عائشة المار قريبا انه عند المبعث وعند أبي يعلى وابن جرير الحاكم في حديث المعراج من حديث أبي هريرة ثم ختم بين كتفيه بخاتم النبوة وطريق الجمع أن الختم تكرر ثلاث مرات في بني سعد ثم عند المبعث ثم ليلة الاسراء كما دلت عليه الاحاديث ولا باس بهذا الجمع فان فيه اعمال الاحاديث كلها اذ لا داعي لرد بعضها واعمال بعضها لصحة كل منها واليه أشار الشامي كما مر وأما روايته بعد الولادة فضعيفة وأما انه ولد به فضعيف أيضا بطلب زاعمه بدليله (وقد وقع التصريح بوقت وضع الخاتم وكيف وضع ومن وضعه في حديث أبي ذر) جندب بن جنادة أو يزيد ابن جنادة أو جندب بن سكن أو خلف بن عبد الله الغفاري قديم الاسلام ذي الزهد الزائد والفضل المنوه عليه بقول خير شاهد ما أظلت الخضراء وما أقلت الغبراء بعد النبيين امرأ أصدق لهجة من أبي ذر أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وذكر ابن الربيع انه سكن مصر مدة ثم خرج منها لما رأى اثنين تنازعا في موضع لبنة كما أمره صلى الله عليه وسلم وحديثه في مسلم وغيره مات بالربذة في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين (عند البزار وغيره) كالدارمي وابن أبي الدنيا وابن عساكر والروياني والضياء في المختارة (قال قلت يا رسول الله) اخبرني (كيف علمت أنك نبي وبم) باي دليل (علمت أنك نبي حتى استيقنت) أي تيقنت أي علمت (أتاني آتيان وفي رواية ملكان) هما جبريل وميكائيل كما في النور أتياه في صورة طائرين فروى أحمد والدارمي والحاكم وصححه والطبراني والبيهقي وأبو نعيم عن عتبة بن عبد انه صلى الله عليه وسلم قال كانت حاضنتي من بني سعد بن بكر فانطلقت أنا وابن لها في بهم لنا ولم نأخذ معنا زادا فقلت يا أخي اذهب فأتنا بزاد من عند أمنا فانطلق أخي ومكثت عند البهم فأقبل الى طيران كأنهما نسران فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال نعم فأقبلا يبتدراني فأخذاني فبطحاني للقفا فشقا بطني ثم استخرجا قلبي فشقاه فأخرجا منه علقتين سوداوين فقال أحدهما لصاحبه ائتني بماء ثلج فغسلا به جوفي ثم قال ائتني بماء برد فغسلا به قلبي ثم قال ائتني بالسكينة فذراها في قلبي ثم قال أحدهما لصاحبه حصه فخاصه وختم عليه بخاتم النبوة الحديث ولابن اسحق ورواه البيهقي عن يحيى بن جعدة مرسلا يرفعه أن ملكين جاآني في صورة كركيين معهما ثلج وبرد وماء بارد فشق أحدهما بمنقاره صدري ومج الآخر بمنقاره فيه فغسله قلت فان صحت هذه الرواية أفادت آلة الشق في هذه المرة لكن قال السهيلي

الوفرة وكانت جمته تضرب شحمة أذنيه واذا طال جعله غدائر اربعا قالت أم هانئ قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة قدمة وله أربع غدائر والغدائر الضفائر وهذا حديث صحيح وكان صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب وثبت عنه في حديث صحيح مسلم أنه قال من عرض عليه ريحان فلا يرده فانه طيب الرائحة خفيف المحمل هذا لفظ الحديث وبعضهم يرويه من عرض عليه طيب فلا يرده وليس بمعناه فان الريحان لا تكثر المنة بأخذه وقد جرت العادة بالتسامح في بذله بخلاف المسك والعنبر والغالية ونحوها ولكن الذي ثبت عنه من حديث عروة بن ثابت عن ثمامة قال أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد الطيب وأما حديث ابن عمر يرفعه ثلاث لا ترد الوسائد والدهن واللبن فحديث معلول رواه الترمذي وذكر علته ولا أحفظ الآن ما قيل فيه الا أنه من رواية عبد الله بن مسلم بن جندب عن أبيه عن ابن عمر ومن مراسل أبي عثمان النهدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

هي رواية غريبة ذ تبرها يونس بن ابن اسحق (وأنا ببطحاء مكة) أي بنواحيها الا انه كان في بني سعد وليست بمكة اذ الابطح بمكة اخص من نواحيه قال ذلك ليبين انه في ابتداء أمره اذ جوابه لابي ذر كان بالمدينة وبهذا اندفع قول السهيلي انه وهم من بعض الرواة ولم يقع في رواية البزار ببطحاء مكة انتهى (فوقع نزل (أحدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال زنه برجل الحديث) أسقط منه ما لفظه فوزنني برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزنني بعشرة فرجحتهم ثم قال زنه بألف فوزنني فرجحتهم فجعلوا ينتثرون على من كفة الميزان فقال أحدهما للآخر لو وزنته بأمته رجحها (وفيه) عقب هذا (ثم قال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني فأخرج قلبي فأخرج منه مغمز الشيطان) بفتح الميمين وأسكان الغين المعجمة كذا ضبطه البرهان وضبطه الشامي بكسر الميم الثانية فالله أعلم قال في العيون وهو الذي يغمزه الشيطان من كل مولود الا عيسى وأمه لقول أمها حنة اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ولانه لم يخلق من مني الرجال وانما خلق من نفخة روح القدس قال السهيلي ولا يدل هذا على فضله على المصطفى صلى الله عليه وسلم لانه عند نزع ذلك منه ملئ حكمة وايمانا بعد أن غسله روح القدس بالثلج والبرد زاد البرهان وقوله مغمز الشيطان محل نظر فان جاء بسند صحيح فمقبول وقد رواه مسلم وقال هذا حظ الشيطان منك انتهى قلت لا شك في صحة اسناده فقد صححه الضياء وقد قال العلماء ان تصحيحه أعلى من تصحيح الحاكم وتأويله سهل هو أن هذا محل الغمز والغمز عبارة عما يؤلمه ويؤذيه فهو من الامراض الحسية التي الانبياء فيها كغيرهم وقد قال السهيلي انما كان ذلك المغمز فيه لموضع الشهوة المحركة للمني وذلك المغمز راجع الى الأب دون الابن المطهر صلى الله عليه وسلم انتهى وقوله وقد رواه أي الحديث من حيث هو لا حديث أبي ذر كما قد يوهمه فان مسلما انما رواه من حديث أنس انه صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشق عن قلبه واستخرج القلب ثم شق القلب فاستخرج منه علقة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه فأعاده مكانه وجعل الغلمان يسعون الى أمه يعني ظئره فقالوا ان محمدا قد قتل فجاؤا وهو منتقع اللون قال أنس فلقد كنت أرى أثر المخيط في صدره ورواه أحمد أيضا عنه وفي الصحيحين عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان فيستهل صارخا من نخسة الشيطان الا ابن مريم وأمه قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم اني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم قال عياض يريد أن الله قبل دعاءها مع أن الانبياء معصومون وفي رواية فذهب ليطعن في خاصرته فطعن في الحجاب قال النووي أشار عياض الى أن جميع الانبياء يشاركون عيسى في هذه الخصوصية انتهى وقد تعقب الابي عياضا بان هذا الطعن من الامراض الحسية والانبياء فيها كغيرهم فيحمل الحديث على العموم الا فيما استثنى ولا يحتاج لقوله الانبياء معصومون انتهى قال الطيبي النخس عبارة عما يؤلمه ويؤذيه لا كما زعمت المعتزلة انه تخييل واستهلاله صارخا منه تصوير لطعمه فيه انتهى وقول الزمخشري المراد بالمس الطمع في اغوائه واستثناء مريم وابنها لعصمتهما ولما لم يختص هذا المعنى بهما عم الاستثناء كل من يكون على صفتهما شنع عليه التفتازاني بانه اما تكذيب للحديث بعد صحته واما قول بتعليل الاستثناء والقياس عليه وليت شعري من أين ثبت تحقق طمع الشيطان ورجائه في أن هذا المولود محل لاغوائه ليلزمنا اخراج كل ما لا سبيل له الى اغوائه فلعله يطمع في اغواء من سوى مريم وابنها ولا يتمكن منه وقال قبل ذلك طعن الزمخشري في الحديث بمجرد انه لم يوافق هواه والا فاي مانع من أن يمس الشيطان المولود حين يولد بحيث يصرخ كما يرى ويسمع وليست تلك المسة للاغواء انتهى

اذا أعطى أحدكم الريحان فلا يرده فانه خرج من الجنة وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم سكة يتطيب منها وكان أحب الطيب اليه المسك وكان يعجبه الفاغية قيل وهي نور الحناء

(فصل في هديه في قص الشارب)

قال أبو عمر بن عبد البر روى الحسن بن صالح عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقص شاربه ويذكر أن ابراهيم كان يقص شاربه ووقفه طائفة على ابن عباس وروى الترمذي من حديث زيد بن أرقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يأخذ من شاربه فليس منا وقال حديث صحيح وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قصوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم خالفوا المشركين ووفروا اللحى واحفوا الشوارب وفي صحيح مسلم عن أنس قال وقت لنا النبي صلى الله عليه وسلم في قص الشارب وتقليم الاظفار

(وعلق الدم فطرحهما) صريح في أنه غير المغمز وفي حديث عتبة بن عبد ثم استخرجا قلبي فشقاه
ثم أخرجا منه علقتين سوداوين قال الشامي فتكون احداهما محل غمز الشيطان والأخرى منشأ الدم
الذي قد يحصل منه اضرار في البدن وعلى هذا فلا حاجة لما أجيب به عن حديث العلقتين باحتمال
انها علقة واحدة انقسمت عند خروجها فسمي كل جزء منها علقة مجازا (فقال أحدهما
لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء) جمع ملاءة بالضم والمد الثوب الذي يتغطى
به وأسقط المصنف من حديث أبي ذر هذا لفظه ثم دعا بسكينة كأنها برهرهة بيضاء فادخلت قلبي قال
السهيلي البرهرة بصيص البشرة وزعم الخطابي انه أراد بها سكينة بيضاء صافية الحديد متمسكا بانه
عثر على رواية فيها فدعا بسكينة كأنها درهمة بيضاء قال ابن الانباري هي السكينة المعوجة الرأس
التي تسميها العامة المنجل بالجيم قال ابن دحية والصواب السكينة بالتخفيف لذكرها بعد شق البطن
فانما عني بها فعيلة من السكون وهي أكثر ما أتى في القرآن بمعنى السكون والطمأنينة (ثم قال
أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطني) هذا لفظ حديث أبي ذر وحديث عتبة حصه فخاصه كما
(وجعل الخاتم بين كتفي كما هو الآن) فصرح بانه ما ولد بالخاتم وان واضعه الملك وكيفية وضعه (ووليا
عني وكأني أرى الأمر) الآن (معاينة) أي عيانا اشارة الى شدة استحضاره وهذا الحديث وان أورده
الشامي في أحاديث فيها ذكر شق الصدر من غير تعيين زمان لكن سياق الحديث يدل على انه كان
في بني سعد وبه صرح في حديث عتبة بن عبد فيحمل المطلق على المقيد فان قيل فكيف جعله صلى
الله عليه وسلم علامة على النبوة وانما كانت بعد الاربعين أجاب شيخنا بجواز انه صلى الله عليه وسلم
لما رأى تلك الحالة العجيبة في صغره علم انه يكون له شأن وصار مطمئنا لما يرد عليه فلما جاءه الوحي
علم بالمقدمات المستقرة في نفسه أن هذا أمر من الله ليس للشيطان فيه سبيل (وعند أبي نعيم في الدلائل)
في حديث طويل مر في ولادته عن ابن عباس (انه صلى الله عليه وسلم لما ولد ذكرت أمه أن الملك غمسه
في الماء الذي أنبعه) أي أحضره الملك ذلك الوقت في الابريق الفضة كما مر في حديث أبي نعيم (ثلاث
غمسات ثم أخرج سرقة) بفتح المهملة والراء والقاف أي قطعة (من حرير أبيض) قال القاموس في باب
القاف السرقة محركة شقق الحرير الابيض أو الحرير عامة الواحدة بهاء انتهى وبالقاف ضبط به
الحافظ والمصنف والسيوطي وغيرهم قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة أريتك في المنام في سرقة من حرير
فابعد من ضبط ما هنا بالفاء ناقلا قول القاموس في باب السرف بضمتين شئ أبيض كأنه نسج دود القز
فجعلها من حرير مجاز لمشابهتها له في الهيئة انتهى لاحتياجه الى دعوى المجاز الذي لا قرينة له الا الوقوف
مع النقطة (فاذا فيها خاتم) زاد فيما مر يحار أبصار الناظرين دونه (فضرب على كتفه) فاثر فيه ما صورته
(كالبيضة المكنونة تضيء كالزهرة) بضم الزاي وفتح الهاء النجم قاله النووي وغيره فأفاد في ذا الخبر
أن الخاتم وضع عقب الولادة فهو دليل القائل به لكن فيه نكارة كما قدم المصنف كغيره (وقيل ولد به)
كذا وجد في نسخ والصواب حذفه الاستغناء عنه لقوله المار قريبا واختلف الخ (وروى الحاكم في
المستدرك عن وهب بن منبه) بضم الميم وفتح النون فشد الموحدة المكسورة انه (قال لم يبعث الله نبيا
الا وقد كان عليه شامات) علامات (النبوة في يده اليمنى الا أن يكون) النبي المبعوث (نبينا فان شامة
النبوة كانت بين كتفيه) صلى الله عليه وسلم (وعلى هذا فيكون وضع الخاتم بين كتفيه بازاء) أي
حذاء (قلبه مما اختص به على سائر الانبياء) وبه جزم الجلال فقال وجعل خاتم النبوة بظهره بازاء قلبه
حيث يدخل الشيطان وسائر الانبياء كان الخاتم في يمينهم والله أعلم

(باب وفاة أمه وما يتعلق بأبويه صلى الله عليه وسلم)

(ولما

أن لا نترك أكثر من
أربعين يوما وليلة
واختلف السلف في
قص الشارب وحلقه
أيهما أفضل فقال مالك
في موطئه يؤخذ من
الشارب حتى يبدو
أطراف الشفة وهو
الاطار ولا يجزه فيمثل
بنفسه وذكر ابن عبد
الحكم عن مالك قال يحفى
الشارب ويعفى اللحى
وليس احفاء الشارب
حلقه وأرى أن يؤدب
من حلق شاربه وقال ابن
القاسم عنه احفاء الشارب
وحلقه عندي مثله قال
مالك وتفسير حديث
النبي صلى الله عليه وسلم
في احفاء الشارب انما هو
الاطار وكان يكره أن
يأخذ من أعلاه وقال
أشهد في حلق الشارب
أنه بدعة وأرى أن يوجع
ضربا من فعله قال مالك
وكان عمر بن الخطاب اذا
أكربه أمر نفخ فجعل رجله
بردائه وهو يفتل شاربه
وقال عمر بن عبد العزيز
السنة في الشارب الاطار
وقال الطحاوي ولم أجد
عن الشافعي شيأ منصوصا
في هذا وأصحابه الذين
رأينا المزني والربيع
كانا يحفيان شواربهما
ويدل ذلك على أنهما
أخذاه عن الشافعي رحمه
الله قال وأما أبو حنيفة

(ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربع سنين) فيما حكاه العراقي وصدر به مغلطاي فتبعه المصنف (وقيل خمسا) حكاه مغلطاي ومثله في بعض نسخ الشامي ويأتي دليله وفي بعضها بدله عشر وما أراه الا تحريفا (وقيل ستا) وبه قطع ابن اسحق ويأتي قريبا دليله ووقع في نقل الخميس عن المصنف التصدير به وهو الاولى فقد قدمه العراقي واقتصر عليه الحافظ وقد التزم الاقتصار على الاصح غير أن الاول قال ومائة يوم والثاني وثلاثة أشهر فالمراد ستا ونحوها (وقيل سبعا) حكاه ابن عبد البر (وقيل تسعا) حكاه مغلطاي ويقع في بعض النسخ خمس ست سبع تسع بدون ألف وذكر أن خط المصنف كذلك فيخرج على انه بالفتح على نية حذف المضاف اليه وابقاء المضاف أي خمس سنين أو كتب بصورة المرفوع على لغة ربيعة (وقيل اثنتي عشرة سنة وشهرا وعشرة أيام) حكاه مغلطاي وبقي قول محمد بن حبيب وهو ابن ثمان سنين حكاه أبو عمر (ماتت أمه بالابواء) بفتح الهمزة والمد واد بين مكة والمدينة (وقيل بشعب) بكسر المعجمة ما انفرج بين جبلين أو الطريق في الجبل قاله المصنف وغيره (أبي ذئب) رجل من سراة بني عمرو (بالحجون) بفتح المهملة وضم الجيم قال المجد جبل بمعلاة مكة (وفي القاموس) في فصل الراء من باب العين المهملتين في روع (ودار رائعة) براء وبعد الالف تحتية (بمكة فيه مدفن آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم) وفي ذخائر العقبي قال ابن مسعود دفنت أمه صلى الله عليه وسلم بمكة وأهل مكة يزعمون أن قبرها في مقابر أهل مكة في الشعب المعروف بشعب أبي ذئب رجل من سراة بني عمرو وقيل في دار رائعة في المعلاة اه (وروى ابن سعد) محمد (عن ابن عباس) عبد الله (وعن الزهري) محمد بن مسلم بن شهاب (وعن عاصم بن عمرو بن قتادة) بن النعمان المدني الانصاري الاوسي العالم الثقة كثير الحديث العلامة بالمغازي مات سنة عشرين ومائة خرج له الجماعة (دخل حديث بعضهم في بعض) قال السيوطي تبعا لغيره معناه ان اللفظ لمجموعهم فعند كل منهم ما انفرد به عن الآخر انتهى (قالوا) أرسله الثلاثة الا ان مرسل ابن عباس في حكم الموصول لانه مرسل صحابي (لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين خرجت به أمه الى أخواله بني عدي بن النجار) باضافة الاخوال اليه مجازا لانهم أخوال جده عبد المطلب لان أمه سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن عدي بن النجار النجارية (بالمدينة تزورهم) نسب الزيارة لها لانها المرادة لها وهي المباشرة وعند ابن اسحق تزيره اياهم بضم الفوقية وكسر الزاي وسكون الياء من أزاره اذا حمله على الزيارة أي انها قصدت بزيارتها نقل المصطفى اليهم واراءته لهم (ومعه) أضافها اليه لكونها حاضنته وفي نسخة ومعها (أم أيمن) بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن أعتقها أبو المصطفى وقيل بل هو صلى الله عليه وسلم وقيل كانت لامه أسلمت قديما وهاجرت الهجرتين مناقبها كثيرة وفي صحيح مسلم وابن السكن عن الزهري أنها ماتت بعده صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر وقيل بستة قال البرهان وبه يرد قول الواقدي انها ماتت في خلافة عثمان وقد صرح بعضهم بأنه شاذ منكر انتهى لكن أيده في الاصابة بما رواه ابن سعد بسند صحيح عن طارق بن شهاب لما قتل عمر بكت أم أيمن فقيل لها فقالت اليوم وهى الاسلام وهذا موصول فهو أقوى من خبر الزهري المرسل واعتمد ابن منده وغيره قول الواقدي وزاد ابن منده انها ماتت بعد عمر بعشرين يوما وجمع ابن السكن بين القولين بان التي ذكرها الزهري هي مولاة النبي صلى الله عليه وسلم والتي ذكرها طارق هي مولاة أم حبيبة واسم كل منهما بركة ويكنى أم أيمن وهو محتمل على بعده انتهى (فنزلت به دار التابعة) بفوقية فموحدة فمهملة رجل من بني عدي بن النجار كما مر (فأقامت به عندهم شهرا فكان صلى الله عليه وسلم يذكر أمورا كانت في مقامه) بضم الميم (ذلك) الخطاب لكل من صلح له أو للجماعة المخاطبين به لتأويلهم بنحو القبيل أو الجمع أو القوم أو هو

وزفر وأبو يوسف ومحمد فكان مذهبهم في شعر الرأس والشوارب ان الاحفاء أفضل من التقصير وذكر ابن خويز منداد المالكي عن الشافعي أن مذهبه في حلق الشارب كمذهب أبي حنيفة وهذا قول أبي عمر وأما الامام أحمد فقال الاثرم رأيت الامام ابن حنبل يحفي شاربه شديدا وسمعته يسأل عن السنة في احفاء الشارب فقال يحفي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أحفوا الشوارب وقال حنبل قيل لابي عبد الله ترى الرجل يأخذ شاربه أو يحفيه أم كيف يأخذه قال ان أحفاه فلا بأس وان أخذه قصا فلا بأس وقال أبو محمد في المغني وهو مخير بين أن يحفيه وبين أن يقصه من غير احفاء قال الطحاوي وروى المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ من شاربه على سواك وهذا لا يكون معه احفاء واحتج من لم ير احفاءه بحديثي عائشة وأبي هريرة المرفوعين عشر من الفطرة فذكر منها قص الشارب وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه الفطرة خمس وذكر منها قص الشارب واحتج

يجري على أن الكاف المتصلة باسم الاشارة تفتح مطلقا (ونظر) صلى الله عليه وسلم (الى الدار) وهو بالمدينة بعد الهجرة وهذا قد يشعر بأن ابن عباس حمل الحديث هذا عنه صلى الله عليه وسلم ويحتمل انه حمله عن غيره وحدث به (فقال ههنا نزلت بى أمى) وفى الرواية وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله (وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار) استدل به السيوطى على انه صلى الله عليه وسلم عام رادا على القائل من معاصريه الظاهر انه لم يعم لانه لم يثبت انه سافر فى بحر ولا بالحرمين بحر قال السيوطى و روى أبو القاسم البغوى وابن عساكر مرسلا وابن شاهين موصولا عن ابن عباس سبح صلى الله عليه وسلم هو وأصحابه فى غدير فقال ليسبح كل رجل الى صاحبه فسبح صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر حتى عانقه وقال أنا وصاحبى أنا وصاحبى (وكان قوم من اليهود يختلفون ينظرون الى قالت أم أيمن فسمعت أحدهم يقول هو نبى هذه الامة وهذه) الدار وهى المدينة (دار هجرته فوعيت) حفظت (ذلك كله من كلامهم) عبر بالجمع لان اليهودى لما خاطب به أصحابه وأقروه نسب اليهم وفى نقل الشامى فوعيت ذلك منه وهى ظاهرة لان الضمير للاحد (ثم رجعت به أمه) قاصدة (الى مكة) سريعا خوفا عليه صلوات الله عليه من اليهود ففى رواية أبى نعيم قال صلى الله عليه وسلم فنظر الى رجل من اليهود يختلف ينظر الى فقال يا غلام ما اسمك قلت أحمد و نظر الى ظهرى فأسمعه يقول هذا نبى هذه الامة ثم راح الى اخوانه فأخبرهم فأخبروا أمى فخافت على فخرجنا من المدينة وقدرنا قاصدة ليلا فى قوله (فلما كانت بالابواء توفيت) ودفنت فيها على المشهور وهو قول ابن اسحق وجزم به العراقى وتلميذه الحافظ و يعارضه ما مر كالاحاديث من انها بالحجون وجمع بعض كما فى الخميس بأنها دفنت أولا بالابواء وكان قبرها هنالك ثم نبشت ونقلت بمكة (وروى أبو نعيم) فى دلائل النبوة بسند ضعيف (من طريق) محمد (الزهرى) ابن شهاب (عن أسماء بنت رهم) بضم الراء وفى نسخة بنت أبى رهم وفى كتب السيوطى نقلا عن أبى نعيم عن أم سماعة بنت أبى رهم فلعل اسمها أسماء وكنيتها أم سماعة فتصرف المصنف لافادة اسمها (عن أمها قالت آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها) بسببها صورة وفى نسخة فيها (ومحمد عليه الصلاة والسلام غلام) هو الطار الشارب أو من حين يولد الى أن يشب كما فى القاموس وغيره والمراد هنا الثانى وفى الاساس الغلام الصغير الى حد الالتحاء فان قيل له بعد الالتحاء غلام فهو مجاز (يفع) بفتح الفاء كما فى القاموس وغيره أى مرتفع (له خمس سنين) هذا دليل القول به كما قدمنا وان أبيت الا الجمع بينه وبين الحديث فوقه فقل المراد خمس ونحوها ولعلها جمعت بين هذا ولفظ غلام مع ان هذا يغنى عنه اشارة الى ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من النجابة الظاهرة فان غلام يشعر بذلك بخلاف مجرد ذكر السن (عند رأسها فنظرت أمه الى وجهه ثم قالت بارك فيك الله من غلام * يا ابن الذى من حومة الحمام) فى القاموس حومة القتال وغيره معظمه أو أشد موضع فيه والحمام الموت وقيل قدر الموت وقضاؤه من حم كذا أى قدر انتهى والمعنى هنا يا ابن الذى من سبب الموت (نجا بعون الملك العلام *) وفى نسخة المنعام وهو ما أنشده السيوطى (فودى) بالواو من فاداه مزيدا قلبت الالف واوا لانضمام ما قبلها حين بنى للمجهول وفى نسخة فدى بلا واو من فداه مجردا أى أعطى فداءه (غداة) صبيحة (الضرب بالسهام) والمراد به الضرب بالقداح بينه وبين اخوته حين أراد عبد المطلب وفاء نذره (بمائة من ابل سوام *) بالفتح جمع سام أو سامية بمعنى مرتفع أو مرتفعة أى فدى حين خرج عليه السهم بمائة ابل مرتفعة القيمة ثم سوام بدون ياء فى أكثر النسخ وهو الذى فى كتب السيوطى وفى بعضها ثبوت الياء قال شيخنا وهو القياس لان الياء أصلية (ان صح ما أبصرت فى المنام) خصته لتقدمه وتحققه عندها حتى كان ما رأته يقظة بعد كالدليل على صحة المنام فلا يرد انها رأت ما يدل على

الحفون بأحاديث الامر بالاحفاء وهى صحيحة وبحديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجز شاربه قال الطحاوى وهذا الاغلب فيه الاحفاء وهو يحتمل الوجهين وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة يرفعه جزوا الشوارب وارخوا اللحى قال وهذا يحتمل الاحفاء أيضا وذكر باسناده عن أبى سعيد وأبى أسيد ورافع ابن خديج وسهل بن سعد وعبد الله بن عمر وجابر وأبى هريرة انهم كانوا يحفون شواربهم وقال ابراهيم بن محمد بن حاطب رأيت ابن عمر يحفى شاربه كانه ينتفه وقال بعضهم حتى يرى بياض الجلد قال الطحاوى ولما كان التقصير مسنونا عند الجميع كان الحلق فيه أفضل قياسا على الرأس وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم للحالقين ثلاثا وللمقصرين واحدة فجعل حلق الرأس أفضل من تقصيره فكذلك الشارب

(فصل فى هديه فى كلامه وسكوته وضحكه وبكائه)

كان صلى الله عليه وسلم

ذلك يقظة فكان ذكره أولى لقوته على المنام وعبرت ان دون اذالان المقصود تعليق ما أولت به الرؤيا ولا يلزم من كونها محققة ان ما أولت به محقق وهذا من كمال فطنتها وفهمها حيث لم تجزم في التعليق بصحة ما رأته (فأنت مبعوث الى الانام *) الجن والانس أو جميع من على وجه الارض ولعله المراد هنا لكونه أبلغ في التعظيم وقد بعث صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن اجماعا والى الملائكة عند كثير واختاره جمع محققون (تبعث في) بيان (الحل) أي الحلال (وفي) بيان (الحرام) أو تبعث في أرض الحل والبلد الحرام فكأنها قالت تبعث في جميع الارض وليست بعثتك قاصرة على بلدة دون بلدة كما كانت الرسل (تبعث في) أي لبيان (التحقيق) الحق من الباطل وبهذا يجاب عن قول السيوطي كذا هو في النسخة وعندي انه تصحيف وانما هو بالتخفيف انتهى فحيث صح المعنى لا تصحيف (و) بيان (الاسلام *) وانه الدين (دين) بالجر بدل من الاسلام (أبيك البر) المحسن المطيع (ابراهام) بدل من أبيك وهو لغة في ابراهيم قرأ بها ابن عامر في مواضع والصرف لمناسبة القوافي لا القصد تنكيره لعدم نعته لانها انما أرادت معينا وهو الخليل بنص قولها أبيك (فالله أنهاك) نصب على التوسع أي فأنهاك مقسمة عليك بالله (عن) عبادة (الاصنام * أن لا تواليها) لا تناصرها من الموالاة ضد المعاداة أي لا تعظمها بنحو عبادتها او الذبح لها او الاستقسام عندها (مع الاقوام) جمع قوم الجماعة من رجال ونساء معا في أحد الاقوال وبه صدر المجد وهو المراد هنا لانه كان يواليها من القوم يقين (ثم قالت كل حي ميت) بالتشديد أي سيموت وأما بالتخفيف فمن حل به الموت كما في القاموس وغيره وليس مرادا هنا (وكل جديد بال وكل كبير) بالموحدة (يفنى) وفي نسخة بالمثلثة قال شيخنا وهي أظهر لدلالتها على فناء جميع الاشياء (وأنا ميتة) بالتشديد أي سأموت قال الخليلي أنشد أبو عمرو

أيا سائلي تفسير ميت وميت * فدونك قد فسرت ان كنت تعقلي

فمن كان ذا روح فذلك ميت * وما الميت الا من الى القبر يحمل

(وذكري باق وقد تركت خيرا) عظيما كثيرا أي خيرا وهو المصطفى وكأنه كالتعليل لبقاء ذكرها (وولدت طهرا) أي طاهرا أطلق المصدر على اسم الفاعل مبالغة وهذا أولى من تقدير ذا طهر ومن استعماله بمعنى اسم الفاعل (ثم ماتت) رضي الله عنها وهذا القول منها صريح في انها موحدة اذ ذكرت دين ابراهيم وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بالاسلام من عند الله ونهيه عن الاصنام وموالاتها وهل التوحيد شيء غير هذا التوحيد الاعتراف بالله والهيته وانه لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف في التبري من الكفر وثبوت صفة التوحيد في الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر زائد على هذا بعد البعثة وقد قال العلماء في حديث الذي أمر بنيه عند موته أن يحرقوه ويسحقوه ويذروه في الريح وقوله ان قدر الله علي فيعذبني ان هذه الكلمة لا تنافي الحكم بايمانه ولكن جهل فظن انه اذا فعل ذلك لا يعاد ولا يظن بكل من كان في الجاهلية انه كافر فقد تحنف فيها جماعة فلا بدع أن تكون أمه صلى الله عليه وسلم منهم كيف وأكثر من تحنف انما كان سبب تحنفه ما سمعه من أهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من أنه قرب بعث نبي من الحرم صفته كذا وأمه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك أكثر مما سمعه غيرها وشاهدت في حمله وولادته من آياته الباهرة ما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذي خرج منها أضاء له قصور الشام حتى رأتها كما ترى أمهات النبيين وقالت لحليمة حين جاءت به وقد شق صدره أخشيتما عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وانه لكائن لابني هذا شأن في كلمات أخر من هذا النمط وقدمت به المدينة عام وفاتها وسمعت اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة فماتت في الطريق فهذا كله مما يؤيد انها تحنفت

أفصح خلق الله وأعذبهم كلاما وأسرعهم أداء وأحلاهم منطقا حتى أن كلامه يأخذ بالقلوب ويسبي الارواح ويشهد له بذلك أعداؤه وكان اذا تكلم تكلم بكلام مفصل مبين يعده العاد ليس بهذر مسرع لا يحفظ ولا منقطع تخلله السكتات بين أفراد الكلام بل هديه فيه أكمل الهدي قالت عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بينه فصل يحفظه من جلس اليه وكان كثيرا ما يعيد الكلام ثلاثا ليعقل عنه وكان اذا سلم سلم ثلاثا وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة يفتتح الكلام ويختتمه باشداقه ويتكلم بجوامع الكلام فصل لا فضول ولا تقصير وكان لا يتكلم فيما لا يعنيه ولا يتكلم الا فيما يرجوا ثوابه واذا كره الشيء عرف في وجهه ولم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا وكان جل ضحكه التبسم بل كله التبسم فكان نهاية ضحكه ان تبدو نواجذه وكان يضحك مما يضحك منه وهو مما يتعجب من مثله ويستغرب وقوعه ويستندر

في حياتها ذكره العلامة الحافظ السيوطي في كتاب الفوائد وهو المسمى أيضا التعظيم والمنة شكر الله مسعاه (فكنا نسمع نوح) مصدر ناح أي صياح (الجن عليها) أسفا (فحفظنا من ذلك) أبياتا هي (نبكي الفتاة) الشابة فإنها ماتت في حدود العشرين تقريبا ذكره السيوطي (البرة) المحسنة المطيعة (الامينة) كيف وهي قرشية أما وأبا (ذات الجمال) البارع (العفة) بفتح العين وشد الفاء (الرزينة) أي ذات الوقار (زوجة عبد الله والقرينة *) عطف تفسير ومنه قوله تعالى وزوجناهم بحور عين أي قرناهم بهن (أم نبي الله ذي السكينة) الثبات والطمأنينة (وصاحب المنبر بالمدينة * صارت لدى) أي في (حفرتها) قبرها (رهينة) مرهونة زاد في رواية

لوفوديت لفوديت ثمينه * وللمنايا شفرة سنينه
لاتبقى ظعانا ولاظعينة * الا أتت وقطعت وتينه
أماحللت أيها الحزينه * عن الذي ذو العرش يعلي دينه
فكلنا والهة حزينه * نبكيك للعطلة أو للزينه
والضعيفات والمسكينه

ولما ذكر وفاة أمه وما يدل على موتها على التوحيد جره ذلك الى حديث احيائها واحياء أبيه لكن قدمها لكثرة الروايات فيها فقال (وقد روى ان آمنة آمنت به صلى الله عليه وسلم بعد موتها) أتى به ممرضا لضعفه أي روى ذلك جماعة فصلهم بقوله (فروى) الحافظ محب الدين أحمد بن عبد الله بن محمد أبو العباس المكي (الطبري) الامام المحدث الصالح الزاهد الشافعي فقيه الحرم ومحدث الحجاز المتوفى في جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وستمائة (بسنده) فقال في سيرته أنبأنا أبو اسحق بن المقير أنبأنا الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي اجازة أنبأنا أبو منصور محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرزاق الحافظ الزاهد أنبأنا القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن الاخضر حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه (عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل الحجون كئيبا حزينا) صفة لازمة لكئيبا (فأقام به ماشاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا قال) يخاطب عائشة بعد سؤالها له عن اختلاف حاليه كما في الحديث التالي (سألت ربي) احياء أمي بدليل الحديث الآتي ولا محيص عن هذا الخبر ما فسرته بالوارد (فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها) الى ما كانت عليه من الموت (ورواه) أي حديث عائشة هذا بنحوه (أبو حفص بن شاهين) الحافظ الكبير الامام المفيد عمر بن أحمد بن عثمان البغدادي الثقة المأمون صنف ثلثمائة وثلاثين مصنفا منها التفسير الكبير ألف جزء والمسند ألف وثلثمائة جزء مات في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلثمائة (في كتاب الناسخ والمنسوخ له) بعد أن أورد قبله حديث الزيارة والنهي عن الاستغفار وجعله منسوخا وروى بعده هذا الحديث فقال حدثنا محمد بن الحسين بن زياد مولى الانصار حدثنا أحمد ابن يحيى الحضرمي بمكة حدثنا أبو غزية محمد بن يحيى الزهري حدثنا عبد الوهاب بن موسى الزهري عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نزل الى الحجون كئيبا حزينا فأقام به ماشاء الله عز وجل ثم رجع مسرورا فقلت يارسول الله نزلت الى الحجون كئيبا حزينا فأقمت به ماشاء الله ثم رجعت مسرورا قال سألت الله ربي فأحيا لي أمي فآمنت بي ثم ردها هذا لفظ ابن شاهين كما في كتب السيوطي وغيرها وأما قوله (بلفظ قالت عائشة) فانما عزاه القرطبي والسيوطي وغيرهما للخطيب فلعله سقط من قلم المؤلف والخطيب في السابق واللاحق قال أغنى الخطيب أنبأنا أبو العلاء الواسطي حدثنا الحسين بن محمد الحلبي حدثنا أبو طالب عمر بن

والضحك أسباب عديدة هذه أحدها والثاني ضحك الفرح وهو أن يرى ما يسره أو يباشره والثالث ضحك الغضب وهو كثير ما يعتري الغضبان اذا اشتد غضبه وسببه تعجب الغضبان مما أورد عليه الغضب وشعور نفسه بالقدرة على خصمه وانه في قبضته وقد يكون ضحكه لملكه نفسه عند الغضب واعراضه عمن أغضبه وعدم اكتراثه به وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة ولكن كان تدمع عيناه حتى تهملا ويسمع لصدره أزيز وكان بكاؤه تارة رحمة للميت وتارة خوفا على أمته وشفقة وتارة من خشية الله وتارة عند سماع القرآن وهو بكاء اشتياق ومحبة واجلال مصاحب للخوف والخشية ولما مات ابنه ابراهيم دمعت عيناه وبكى رحمة له وقال تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى ربنا وأنا بك يا ابراهيم لمحزونون وبكى لما شاهد احدى بناته ونفسها تفيض وبكى لما قرأ عليه ابن

الربيع الزاهد حدثنا علي بن أيوب الكعبي حدثنا محمد بن يحيى الزهري عن أبي غزية حدثنا
عبد الوهاب ابن موسى حدثنا مالك بن أنس عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن عائشة قالت
(حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر بي على عقبة الحجون) أي الطريق الموصل الى
الحجون أو الاضافة بيانية (وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه) لفظ الخطيب لبكاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم (ثم انه نزل فقال يا حميراء) تصغير حمراء أي بيضاء للتحبب كقولهم يا بني يا أخي وروى النسائي
من طريق أبي سلمة عن عائشة دخلت الحبشة المسجد يلعبون فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم
يا حميراء أتحبين أن تنظري اليهم فقلت نعم قال الحافظ اسناده صحيح ولم أر حديثا صحيحا فيه ذكر الحميراء
غيره انتهى وروى الحاكم عن أم سلمة قالت ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات
المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظري يا حميراء ان لا تكوني أنت ثم التفت الى علي فقال ان وليت من
أمرها شيأ فارفق بها قال الحاكم صحيح على شرطهما قال الذهبي لكن عبد الجبار لم يخرجا له قال في الفلك
المشحون هذا حديث فيه يا حميراء صحيح انتهى أي وان لم يكن على شرط الشيخين لان الصحيح مراتب
(استمسكي) أي تمسكي بشيء يمنعك السقوط (فاستندت الى جنب البعير فمكث مليا) بشد الياء زمانا
طويلا ولفظ الخطيب فمكث عني طويلا (ثم عاد الي وهو فرح متبسم) أسقط من لفظ ابن شاهين ما تلي
عليك ومن رواية الخطيب ما لفظه فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك
حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم انك عدت الي وأنت فرح متبسم فمم ذاك يا رسول الله (فقال ذهبت لقبر
أمي فسألت ربي) ولفظ الخطيب فسألت الله (أن يحييها فأحياها فآمنت بي وردها الله) الى الموت
وأخرج الدارقطني هذا الحديث من هذا الوجه وقال باطل وابن عساكر وقال منكر وهشام لم يدرك عائشة
فلعله سقط من كتابي عن أبيه قال في اللسان ثبت في رواية عن أبيه التي ظن انها سقطت فهو كما ظن
يشير الى روايتي الطبري وابن شاهين الثابت فيهما عن أبيه كما قدمنا وذكره ابن الجوزي في الموضوع
ولم يتكلم على رجاله وفي الميزان ان عمر بن الربيع كذاب ورده في اللسان بأن الدارقطني ضعفه فقط وقال
مسلمة بن قاسم تكلم فيه قوم ووثقه آخرون وكان كثير الحديث والكعبي قال الذهبي لا يكاد يعرف
وكأنه تبع قول ابن عساكر مجهول ورده في اللسان بأن الدارقطني عرفه وسماه علي بن أحمد ويأتي
الكلام على باقي رجاله فلا يتصور كونه موضوعا بل هو ضعيف فقط وكذا أورد رواية ابن شاهين في
الموضوعات وقال محمد بن زياد هو النقاش ليس بثقة ومحمد بن يحيى وأحمد بن يحيى مجهولان ورده
السيوطي بأن محمد بن يحيى ليس مجهولا فقد قال الدارقطني متروك والازدي ضعيف ومن ترجم بهذا
انما يكون حديثه ضعيفا لا موضوعا وكذا أحمد بن يحيى ليس بمجهول فقد ذكره في الميزان وقال روى
عن حرملة التجيبي وكنيته أبو سعيد ومن ترجم بهذا انما يعتبر بحديثه قال وأما محمد بن زياد فان كان هو
النقاش كما ذكر فهو أحد علماء القرآت وأئمة التفسير قال في الميزان صار شيخ المقرئين في عصره على
ضعف فيه أثنى عليه أبو عمرو الداني وحدث بمناكير ومع ذلك لم ينفرد به فله طريقان آخران عن أبي
غزية فذكر طريق الطبري وطريق الخطيب قال وأعله الذهبي بجهالة عبد الوهاب بن موسى وليس كما
قال بل هو معروف من رواة مالك وقد وثقه الدارقطني وأقره الحافظ ابن حجر ولم ينقل عن أحد فيه جرح
فتلخص أن الحديث غير موضوع قطعا لانه ليس في روايته من أجمع على جرحه فان مداره على أبي غزية
عن عبد الوهاب وقد وثق ومن فوقه من مالك فصاعدا لا يسأل عنهم لجلالتهم والساقط بين هشام وعائشة
هو عروة كما ثبت في طريق آخر وأبو غزية قال فيه الدارقطني منكر الحديث وابن الجوزي مجهول
وترجمه ابن يونس ترجمة جيدة أخرجته عن حد الجهالة والكعبي أكثر ما قيل فيه مجهول وقد عرف

شعود سورة النساء
وانتهى فيها الى قوله
تعالى فكيف اذا جئنا
من كل أمة بشهيد وجئنا
بك على هؤلاء شهيدا
وبكى لما مات عثمان بن
مظعون وبكى لما كسفت
الشمس وصلى صلاة
الكسوف وجعل يبكي في
صلاته وجعل ينفخ
ويقول رب ألم تعدني أن
لا تعذبهم وأنا فيهم وهم
يستغفرون ونحن
نستغفرك وبكى لما
جلس على قبر احدى
بناته وكان يبكي أحيانا
في صلاة الليل والبكاء
أنواع أحدها بكاء الرحمة
والرقة والثاني بكاء
الخوف والخشية
والثالث بكاء المحبة
والشوق والرابع بكاء
الفرح والسرور
والخامس بكاء الجزع
من ورود المؤلم وعدم
احتماله والسادس بكاء
الحزن والفرق بينه وبين
بكاء الخوف أن بكاء
الحزن يكون على ما مضى
من حصول مكروه أو
فوات محبوب وبكاء
الخوف يكون لما يتوقع
في المستقبل من ذلك
والفرق بين بكاء السرور
والفرح وبكاء الحزن
ان دمعة السرور باردة
والقلب فرحان ودمعة
الحزن حارة والقلب

وعمر بن الربيع نقل مسلمة توثيقه عن آخرين وانه كان كثير الحديث فهذا الطريق بهذا الاعتبار
ضعيف لا موضوع على مقتضى الصنعة فكيف وله متابع أجود منه وهو طريق أحمد الحضرمي عن
أبي غزية من حيث ان طريق الكعبي فيها رجال على أولاء تكلم فيهم بخلاف طريق الحضرمي حيث
اقتصر فيه عليه وقد عرف لما نسب بالسين وهي من ألفاظ التعديل الذي يحكم لصاحبه بالحسن اذا
توبع فالحديث اذن مداره على أبي غزية وهو من أفراده ولولا تفرده به لحكمت له بالحسن انتهى
ملخصا فلله دره (وكذا روى من حديث عائشة أيضا احياء أبويه صلى الله عليه وسلم) معا (حتى آمنا به
أورده السهيلي) في الروض فقال روى حديث غريب لعله يصح وجدته بخط جدي القاضي أحمد بن
الحسن بسند فيه مجهولون ذكر انه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ الزاهد يرفعه الى أبي الزناد عن
عروة عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له فآمنا به ثم أماتهما
قال السهيلي والله قادر على كل شئ وليس يعجز رحمته وقدرته عن شئ ونبيه صلى الله عليه وسلم أهل ان
يختصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته (وكذا الخطيب في السابق واللاحق) أي
المتقدم والمتأخر بمعنى المنسوخ والناسخ (وقال السهيلي ان في اسناده مجاهيل) وهو يفيد ضعفه فقط
وبه صرح في موضع آخر من الروض وأيده بحديث ولا ينافي هذا ترجيه صحته كما مر عنه لان مراده من غير
هذا الطريق ان وجدا وفي نفس الامر لان الحكم بالضعف وغيره انما هو في الظاهر (وقال ابن كثير انه
حديث منكر جدا وسنده مجهول) وان كان ممكنا بالنظر الى قدرة الله تعالى لكن الذي ثبت في الصحيح
يعارضه هذا كله كلام ابن كثير وهو أيضا صريح في انه ضعيف فقط فالمنكر من قسم الضعيف ولذا قال
السيوطي بعد ما أورد قول ابن عساكر منكر هذا حجة لما قلته من انه ضعيف لا موضوع لان المنكر
من قسم الضعيف وبينه وبين الموضوع فرق معروف في الفن فالمنكر ما انفرد به الراوي الضعيف
مخالفا لرواية الثقات وهذا كذلك ان سلم مخالفته لحديث الزيارة ونحوه فان انتفت كان ضعيفا فقط
وهي مرتبة فوق المنكر أصلح حالا منه (وقال ابن دحية هذا الحديث موضوع يرده القرآن والاجماع)
قال تعالى ولا الذين يموتون وهم كفار وقال فيمت وهو كافر فمن مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة
بل لو آمن عند المعاينة لم ينفعه فكيف بعد الاعادة وفي التفسير انه عليه السلام قال ليت شعري ما فعل
أبواي فنزل ولا تسأل عن أصحاب الجحيم (انتهى) كلام ابن دحية بما زدته كما نقله القرطبي عنه
وقد عابه السيوطي بأن تعليله بمخالفة ظاهر القرآن ليس طريقة المحدثين لان الحفاظ انما يعللون
الحديث من طريق الاسناد الذي هو المرقاة اليه كما صرح به الحافظ ابن طاهر المقدسي انتهى وهذا مراد
الشامي بقوله لو اقتصر أبو الخطاب على قوله موضوع وسكت عن قوله يرده القرآن والاجماع لكان
جيدا وتأدبا مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى أي لكان جيدا من حيث ان له دعوى وضعه سلفا
وان لم تسلم دعواه وكان فيه زيادة هي التأدب فليس قوله وتأدبا عطف علة على معلول كما زعم قال في
الفرائد وأما حديث ليت شعري فمعضل ضعيف لا تقوم به حجة (وقد جزم بعض العلماء بأن أبويه
صلى الله عليه وسلم (ناجيان وليسا في النار) بل في الجنة (تمسكا بهذا الحديث وغيره) ظاهره أن البعض
واحد ونحوه ويصرح به قوله الآتي وتعقبه عالم آخر مع أن القائل بنجاتهما قوم كثير فأما الذين تمسكوا
بالحديث فقال السيوطي في سبل النجاة مال الى أن الله أحياهما حتى آمنا به طائفة من الائمة
وحفاظ الحديث واستندوا الى حديث ضعيف لا موضوع كما قال ابن الجوزي وقد نص ابن الصلاح
وأتباعه على تسامحه في الموضوعات فأورد أحاديث ضعيفة فقط وربما تكون حسنة أو صحيحة
قال الحافظ العراقي وأكثر الجامع فيه اذ خرج * لمطلق الضعف عني أبا الفرج

حزين ولهذا يقال لمن يفرح
به هو قرة عين وأقر الله به
عينه ولما يحزن هو
سخينة العين وأسخن
الله عينه به والسابع
بكاء الخور والضعف
والثامن بكاء النفاق
وهو أن تدمع العين
والقلب قاس فيظهر
صاحبه الخشوع وهو
من أقسى الناس قلبا
والتاسع البكاء المستعار
والمستأجر عليه كبكاء
النائحة بالاجرة فانها
كما قال عمر بن الخطاب
تبيع عبرتها وتبكي
بشجو غيرها والعاشر
بكاء الموافقة وهو أن
يرى الرجل الناس
يبكون لامر ورد عليهم
فيبكي معهم ولا يدري
لاي شئ يبكون ولكن
يراهم يبكون فيبكي
وما كان من ذلك دمعا بلا
صوت فهو بكا مقصور
وما كان معه صوت فهو
بكاء ممدود على بناء
الاصوات وقال الشاعر
بكت عيني وحق لها
بكاها
وما يغني البكاء ولا
العويل
وما كان منه مستدعى
متكلفا فهو التباكي
وهو نوعان محمود ومذموم
فالمحمود أن يستجلب
لرقة القلب ولخشية الله
لا للرياء والسمعة

وحديثنا هذا خالفه فيه كثير من الحفاظ فذكروا أنه ضعيف تجوز روايته في الفضائل والمناقب لا موضوع كالخطيب وابن عساكر وابن شاهين والسهيلي والمحب الطبري والعلامة ناصر الدين بن المنير وابن سيد الناس ونقله عن بعض أهل العلم ومشى عليه الصلاح الصفدي في نظم له والحافظ بن ناصر في أبيات له قال وأخبرني بعض الفضلاء أنه وقف على فتيا بخط شيخ الاسلام ابن حجر أجاب فيها بهذا مع أن الحديث الذي أورده السهيلي لم يذكره ابن الجوزي وانما أورد حديثا آخر من طريق آخر في احياء أمه فقط وفيه قصة بلفظ غير لفظ الحديث الذي أورده السهيلي فعلم أنه حديث آخر مستقل قال وقد جعل هؤلاء الأئمة هذا الحديث ناسخا للاحاديث الواردة بما يخالفه ونصوا على أنه متأخر عنها فلا تعارض بينه وبينها انتهى وقال في الدرج المنيفة جعلوه ناسخا ولم يبالوا بضعفه لان الحديث الضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وهذه منقبة هذا كلام هذا الجهبذ وهو في غاية التحرير وأغرب الشهاب الهيتمي فقال في مولده بعدما ذكر قول ابن كثير منكر وليس كما قال لان حافظ الشام ابن ناصر أثبت منه وقد حسنه بل صححه وسبقه الى تصحيحه القرطبي وارتضى ذلك بعض الحفاظ الجامعين بين المعقول والمنقول انتهى وما في تذكرة القرطبي ولا مولد ابن ناصر ما نقله عنهما فان الذي في التذكرة هو ما سينقله المصنف قريبا والذي في مولد ابن ناصر انما هو التصريح بضعف الحديث في الابيات الآتية التي آخرها وان كان الحديث به ضعيفا وأغرب من ذلك قوله في شرح الهمزية صححه غير واحد من الحفاظ ولم يلتفتوا لمن طعن فيه انتهى وليت شعري من أين يصح وهو ما بلغ درجة الحسن ومن الحفاظ والسيوطي غاية ما وصل الى القول بضعفه والذي يظهر لي أن مراده أنهم صححوا العمل به في الاعتقاد وان كان ضعيفا لكونه في منقبة فيرجع لكلام السيوطي ووقع للتلمساني في حواشيه روى اسلام أمه بسند صحيح وروى اسلام أبيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له حتى أسلما فان أراد اسناد الحديث المتقدم فلا يسلم له وان أراد غيره فعليه البيان ولولا قوله بسند لاولته كالسابق هذا وفي الدرج المنيفة أيد بعضهم ذا الحديث بالقاعدة المتفق عليها انه ما أوتي نبي معجزة الا وأوتي صلى الله عليه وسلم مثلها وقد أحيا الله لعيسى الموتى من قبورهم فلا بد أن يكون لنبينا مثل ذلك ولم يرد من هذا النوع الا هذه القصة فلا يبعد ثبوتها وان كان له من هذا النمط نطق الذراع وحنين الجذع لكنه غير ما وقع لعيسى فهو أشبه بالمماثلة ولا شك أن من الطرق التي يعتضد بها الحديث الضعيف موافقته للقواعد المقررة انتهى وهو منابذ لما قاله القرطبي ان الله أحيا على يد المصطفى جماعة وقد أقره هو أعني السيوطي وغيره وذكر المصنف في المعجزات ان الله أحيا على يده خمسة منهم الابوان ويمكن أن لا ينابذه لان غاية ما صرح به أن الله أحيا على يده والمؤيد به أن الله أحياهم لعيسى من قبورهم وهذا لم يرد لنبينا منه الا هذه القصة كما قال مع قصة أخرى تأتي قريبا لكنها مرسلة فكأنه لم يعتبرها أو اعتبرها لكنها واحدة ومراده أن يدل لما يوافق ما اتفق لعيسى (وتعقبه) أي القائل بنجاتهما الا أنهما آمنا بعد الموت (عالم آخر) رأيت بهامش أنه أراد به السخاوي شيخه وبالبعض الذي أبهمه أولا السيوطي (بانه لم ير أحدا صرح بان الايمان بعد انقطاع العمل بالموت ينفع صاحبه فان ادعى أحد الخصوصية فعليه الدليل انتهى) ويلزمه اما أن يقول بوضع الحديث فيرد بان أكثر الحفاظ قالوا ليس بموضوع وهو الحق الابلج الذي أسفر عنه النظر في أسانيده كما مر تفصيله أو بضعفه ولا يعمل به فيرد بان طريقة الحفاظ العمل به لانه في منقبة أو يبقى التعارض بين الاحاديث وليس شأن أهل الفن ولا أهل الاصول وأما الدليل على الخصوصية فواضح من سياق الاحاديث لقوله سألت ربي أن يحييها فأحياها فآمنت بي وقد صرح في فتح الباري بانه لا يلزم التنصيص على لفظ الخصوصية (وقد سبقه) أي هذا المتعقب (لذلك) التعقب

والمنموم أن يجتلب لاجل الخلق وقد قال عمر ابن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقد رآه يبكي هو وأبو بكر في شأن أسارى بدر أخبرني ما يبكيك يا رسول الله فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم وقد قال بعض السلف ابكوا من خشية الله فان لم تبكوا فتباكوا

(فصل في هديه في خطبته خطب صلى الله عليه وسلم)

على الارض وعلى المنبر وعلى البعير وعلى الناقة وكان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويفرق بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة وكان لا يخطب خطبة الا افتتحها بحمد الله وأما قول كثير من الفقهاء أنه يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار وخطبة العيد بالتكبير فليس معهم فيه سنة عن النبي صلى الله عليه

بمعناه (أبو الخطاب) الحافظ عمر (ابن دحية وعبارته) عقب قوله السابق يرده القرآن والاجماع وتلاوة الآيتين (فمن مات كافرا لم ينفعه الايمان بعد الرجعة بل لو آمن عند المعاينة) لاسباب العذاب (لم ينفعه ذلك فكيف بعد الاعادة انتهى) وقدمت ذلك تتميما لعبارته ولبيان أن قوله فمن الخ تفسير لقوله والاجماع (وتعقبه) تعقب ابن دحية ومن لازمه تعقب من وافقه (القرطبي) الامام المفسر محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح باسكان الراء وبالحاء المهملة كما في الديباج أبو عبد الله الانصاري الورع الزاهد صاحب التصانيف العديدة المشغول بما يعنيه أوقاته معمورة ما بين توجه وعبادة وتصنيف سمع أبا العباس القرطبي صاحب المفهم وأبا على الحسن بن محمد البكري وغيرهما واستقر بمنية ابن خصيب وبها توفى ودفن في شوال سنة احدى وسبعين وستمائة (في) كتاب (التذكرة) بامور الآخرة (بان فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى وتتتابع) عطف تفسير (الى حين مماته فيكون هذا) أي احياؤهما (مما فضله الله به وأكرمه) فلا يرد حديث احيائهما قرآن ولا اجماع لان محلهما في غير الخصوصية وقد أخرج ابن شاهين والحاكم عن ابن مسعود قال جاء ابنا مليكة فقالا يا رسول الله ان أمنا كانت تكرم الضيف وقد وأدت في الجاهلية فاين أمنا فقال أمكما في النار فقاما وقد شق عليهما فدعاهما صلى الله عليه وسلم فقال ان أمي مع أمكما فقال منافق ما يغني هذا عن أمه الا ما يغني ابنا مليكة عن أمهما فقال شاب من الانصار لو أن أبويك فقال صلى الله عليه وسلم ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما واني لقائم المقام المحمود ففيه كما قال السيوطي ان قوله أمي مع أمكما كان قبل أن يسأل ربه فيهما فلا ينافي حديث احيائهما وايمانهما وأنه جوز صلى الله عليه وسلم انه اذا سأل ربه يعطيه وأن أصحابه جوزوا ذلك عليه واعتقدوا أن من خصائصه ما يقتضيه وقال بعد ان أورد أحاديث امتحان أهل الفترة وبها يرد على ابن دحية لان الايمان اذا كان ينفع أهل الفترة في الآخرة التي ليست دار تكليف وقد شاهدوا أجهنم بشهادة الاحاديث فلأن ينفعهم بالاحياء عن الموت من باب أولى انتهى فقد حصل للمطالب بدليل الخصوصية أدلة كالنهار (قال) القرطبي (وليس احياؤهما وايمانهما بممتنع عقلا) لانه يجوز مثل ذلك فلا يدعى وضع الحديث لان العقل يحيله (ولا شرعا فقد ورد في الكتاب العزيز احياء قتيل بني اسرائيل وأخباره بقاتله) وذلك انه قتل لهم قتيل لا يدري قاتله فسألوا موسى أن يدعو الله يبينه لهم فاوحى الله اليه أن يامرهم بذبح بقرة فذبحوها بعدما قص الله وضربوها ببعضها أي لسانها أو عجب ذنبها أو بالبضعة التي بين كتفيها أو بفخذها أو بالعظم الذي يلي الغضروف أو بذنبها أو بعظم من عظامها اقوال حكاها في المبهمات ففي وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه اوابني اخيه ومات فحرما الميراث وقتلا (وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى) بنص القرآن فاحيا العازر بفتح الزاي صديقا له بعد موته ودفنه بثلاثة أيام وابن العجوز وهو محمول على نعشه في أكفانه وابنة العاشر فعاشوا امدة وولد لهم وعزيرا وسام بن نوح ومات في الحال (وكذلك نبينا صلى الله عليه وسلم أحيا الله على يده جماعة من الموتى) فاحيا ابنة الرجل الذي قال لا أومن بك حتى تحيي لي ابنتي فجاء الى قبرها وناداها فقالت لبيك وسعديك رواه البيهقي في الدلائل وأباه وأمه وتوفي شاب من الانصار فتوسلت أمه وهي عجوز عمياء بهجرتها لله ورسوله فاحياه الله رواه البيهقي وابن عدي وغيرهما ولما مات زيد بن حارثة من سراة الانصار كشفوا عنه فسمعوا على لسانه قائلا يقول محمد رسول الله الحديث رواه ابن أبي الدنيا في كتاب من عاش بعد الموت وأخرج ابن الضحاك ان انصاريا توفي فلما كفن وحمل قال محمد رسول الله هذا ملخص ما ذكره المصنف في المعجزات (قال واذا) أي حيث (ثبت هذا فما يمتنع ايمانهما بعد احيائهما ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته) مع ما ورد من الخبر في ذلك ويكون ذلك مخصوصا بمن مات كافرا هذا

وسلم البتة وسنته تقتضي خلافه وهو افتتاح جميع الخطب بالحمد لله وهو أحد الوجوه الثلاثة لاصحاب أحمد وهو اختيار شيخنا قدس الله سره وكان يخطب قائما وفي مراسيل عطاء وغيره أنه كان صلى الله عليه وسلم اذا صعد المنبر أقبل بوجهه على الناس ثم قال السلام عليكم قال الشعبي وكان أبو بكر وعمر يفعلان ذلك وكان يختم خطبته بالاستغفار وكان كثيرا ما يخطب بالقرآن وفي صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة قالت ما أخذت ق والقرآن المجيد الا عن لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس وذكر أبو داود عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا تشهد قال الحمد لله نستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا

أصحابه

أسقطه المصنف من كلام القرطبي (قال فقوله من مات كافرا الخ كلام مردود بما روى فى الخبر ان الله رد الشمس على نبيه صلى الله عليه وسلم بعد مغيبها ذكره) أى رواه الامام العلامة الحافظ صاحب التصانيف البديعة أبو جعفر أحمد بن محمد بن سالم الازدى (الطحاوى) المصرى الحنفى الثقة الثبت الفقيه ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين ومات مستهل ذى القعدة سنة احدى وعشرين وثلثمائة (وقال انه حديث ثابت) أى صحيح أو حسن قال السيوطى

وهل يخص بالصحيح الثابت * أو يشمل الحسن نزاع ثابت

ووجه الرد أنه كما ان احياء الموتى وانتفاعهم بالحياة بعد موتهم بعيد عقلا العدم وقوعه كذلك عود الشمس بعد غروبها وحصول الانتفاع بها كما كانت قبل الغروب بعيد غير متوقع وقد أعيدت وحصل الانتفاع بها مع استحالة مثله عادة فلا مانع من جواز احياء الميت وانتفاعه بحياته بعده خرقا للعادة والى هذا أشار بقوله (فلو لم يكن رجوع الشمس نافعا وأنه) لو لم يكن (لا يتجدد الوقت) بل استمر عدم تجدده (لما ردها عليه) وفى نسخة وانه يتجدد بدون لا عطفا على نافعا بتفسيرى (فكذلك يكون احياء أبوى النبى صلى الله عليه وسلم نافعا لايمانهما وتصديقهما النبى صلى الله عليه وسلم) قال فى التعظيم والمنة واستدلاله على عدم تجدد الوقت بقصة رجوع الشمس فى غاية الحسن ولهذا حكم بكون الصلاة أداء والا لم يكن لرجوعها فائدة اذ كان يصح قضاء العصر بعد الغروب قال وقد ظفرت باستدلال أوضح منه وهو ما ورد أن أصحاب الكهف يبعثون آخر الزمان ويحجون ويكونون من هذه الامة تشريفا لهم بذلك وروى ابن مردويه عن ابن عباس مرفوعا أصحاب الكهف أعوان المهدى فقد اعتد بما يفعله أهل الكهف بعد احيائهم عن الموت ولا بدع فى أن يكون الله تعالى كتب لابوى النبى صلى الله عليه وسلم عمرا ثم قبضهما قبل استيفائه ثم أعادهما لاستيفاء تلك اللحظة الباقية وآمنا فيها فيعتد به ويكون تأخير تلك اللحظة الباقية بالمدة الفاصلة بينهما لاستدراك الايمان من جملة ما أكرم الله به نبيه كما ان تأخير أصحاب الكهف هذه المدة من جملة ما أكرموا به ليحوزوا شرف الدخول فى هذه الامة (انتهى) ما نقله من كلام القرطبى وبقيته وقد قبل الله ايمان قوم يونس وتوبتهم مع تلبسهم بالعذاب كما هو أحد الاقوال وهو ظاهر القرآن وأما الجواب عن الآية فيكون ذلك قبل ايمانهما وكونهما فى العذاب انتهى ومراده بالآية ما روى فيها من التفسير الذى احتج به ابن دحية وكانه يفرض التسليم للمروى والا فقد مر قول السيوطى فى الفوائد انه معضل ضعيف لا تقوم به حجة وصرح فى مسالك الحنفاء بانه لم يخرج فى شئ من كتب الحديث المعتمدة وانما ذكر فى بعض التفاسير بسند منقطع لا يحتج به ولا يعول عليه قال ثم ان هذا السبب مردود من وجوه أخر من جهة الاصول والبلاغة وأسرار البيان وأطال فى بيان ذلك قال شيخنا ولعل المصنف أسقط اشارة القرطبى لقصة قوم يونس لعدم صراحتها فى نفع الايمان بعد الاسباب المحققة للعذاب كصراحة أحياء الموتى ورد الشمس انتهى وعلى كل حال هى شاهد حسن فى المدعى وان لم تكن صريحة وقد نقل الحافظ ابن سيد الناس نحو ما أشار له القرطبى من الخصوصية فقال فى العيون بعد أن ذكر رواية ابن اسحق فى أن أبا طالب أسلم عند الموت ما نصه وقد روى ان عبد الله بن عبد المطلب وآمنة بنت وهب أبوى النبى صلى الله عليه وسلم أسلما أيضا وان الله أحياهما له فآمنا به وروى ذلك فى حق جده عبد المطلب وهو مخالف لما أخرجه أحمد عن أبى رزين العقيلى قال قلت يا رسول الله أين أمى قال أمك فى النار قلت فأين من مضى من أهلك قال أما ترضى أن تكون أمك مع أمى وذكر بعض أهل العلم فى الجمع بين هذه الروايات ما حاصله أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل راقيا فى المقامات السنية صاعدا الى الدرجات العلية الى أن قبض الله روحه الطاهرة اليه وأزلفه بما خصه به

نفسه ولا يضر الله شيأ وقال أبو داود عن يونس أنه سأل ابن شهاب عن تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة فذكر نحو هذا الا أنه قال ومن يعصهما فقد غوى قال ابن شهاب وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا خطب كل ما هو آت قريب لا بعد لما هو آت ولا يعجل الله لعجلة أحد ولا يخف لامر الناس ما شاء الله لا ما شاء الناس يريد الله شيأ ويريد الناس شيأ ما شاء الله كان ولو كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله ولا يكون شئ الا باذن الله وكان مدار خطبه على حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده وتعليم قواعد الاسلام وذكر الجنة والنار والمعاد والامر بتقوى الله وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه فعلى هذا كان مدار خطبه وكان يقول فى خطبه أيها الناس انكم لن تطيقوا أو لن تفعلوا كل ما أمرتم به ولكن سددوا وأبشروا وكان يخطب فى كل وقت بما يقتضيه حاجة المخاطبين ومصلحتهم ولم يكن يخطب خطبة الا افتتحها بحمد الله

لديه من الكرامات الى حين القدوم عليه فمن الجائز أن تكون هذه درجة حصلت له صلى الله عليه وسلم بعد ان لم تكن وأن يكون الاحياء والايمان متأخرا عن تلك الاحاديث فلا تعارض انتهى وهو حسن الا أن ما ذكره في عبد المطلب باطل كما يأتي (وقد طعن بعضهم في حديث رد الشمس) الذي أشار له القرطبي وهو الامام أحمد فقال لا أصل له وتبعه ابن الجوزي فأورده في الموضوعات وكذا صرح ابن تيمية بوضعه (كما سيأتي ان شاء الله تعالى في مقصد المعجزات) لكن رد مغلطاي والحافظ ابن حجر والقطب الخيضري والسيوطي وغيرهم على ابن الجوزي وقالوا انه أخطأ فقد أخرجه ابن منده وابن شاهين من حديث أسماء بنت عميس وابن مردويه من حديث أبي هريرة واسنادهما حسن ومن ثم صححه الطحاوي والقاضي عياض قال العلامة الشامي وأما قول الامام أحمد وجماعة من الحفاظ بوضعه فالظاهر أنه وقع لهم من طريق بعض الكذابين والا فطرقه السابقة أي في كلامه يتعذر معها الحكم عليه بالضعف فضلا عن الوضع انتهى وأما المتمسكون بغير الحديث فاليهم أشار بقوله (وقد تمسك القائل بنجاتهما أيضا بأنهما ماتا قبل البعثة في زمن الفترة) التي عم الجهل فيها طبق الارض وفقد فيها من يبلغ الدعوة على وجهها خصوصا وقد ماتا في حداثة السن فان والده صلى الله عليه وسلم صحح الحافظ صلاح الدين العلائي انه عاش من العمر نحو ثمان عشرة سنة ووالدته ماتت وهي في حدود العشرين تقريبا ومثل هذا العمر لا يسع الفحص عن المطلوب في مثل ذلك الزمان وحكم من لم تبلغه الدعوة انه يموت ناجيا ولا يعذب ويدخل الجنة قاله في سبل النجاة (ولا تعذيب قبلها) أي البعثة (لقوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) يبين لهم الحجج ويمهد لهم الشرائع ففيه دليل على أن لا وجوب قبل الشرع (قال وقد أطبقت الائمة الاشاعرة من أهل الاصول والشافعية من الفقهاء على ان من مات ولم تبلغه الدعوة يموت ناجيا) ويدخل الجنة قال السيوطي هذا مذهب لا خلاف فيه بين الشافعية في الفقه والاشاعرة في الاصول ونص على ذلك الشافعي في الام والمختصر وتبعه سائر الاصحاب فلم يشر أحد منهم لخلاف واستدلوا على ذلك بعدة آيات منها وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وهي مسئلة فقهية مقررة في كتب الفقه وهي فرع من فروع قاعدة أصولية متفق عليها عند الاشاعرة وهي قاعدة شكر المنعم وانه واجب بالسمع لا بالعقل ومرجعها الى قاعدة كلامية وهي التحسين والتقبيح العقليين وانكارهما متفق عليه بين الاشاعرة كما هو معروف في كتب الكلام والاصول وأطنب الائمة في تقريرها تين القاعدتين والاستدلال عليهما والجواب عن حجج المخالفين اطنابا عظيما خصوصا امام الحرمين في البرهان والغزالي في المستصفى والمنخول والكيا الهراسي في تعليقه والرازي في المحصول وابن السمعاني في القواطع والباقلاني في التقريب وغيرهم من أئمة لا يحصون كثرة وترجع مسئلة من لم تبلغه الدعوة ثانية أصولية وهي ان الغافل لا يكلف وهذا هو الصواب في الاصول لقوله تعالى ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ثم اختلفت عبارة الاصحاب فيمن لم تبلغه الدعوة فأحسنها من قال انه ناج واياها اختار السبكي ومنهم من قال على الفترة ومنهم من قال مسلم قال الغزالي والتحقيق أن يقال في معنى مسلم وقد مشى على هذا السبيل في والدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قوم من العلماء فصرحوا بأنهما لم تبلغهما الدعوة حكاه عنهم سبط ابن الجوزي في مرآة الزمان وغيره ومشى عليه الابي في شرح مسلم وكان شيخنا شيخ الاسلام شرف الدين المناوي يعول عليه ويجيب به اذا سئل عنهما قال وقد ورد في أهل الفترة أحاديث أنهم موقوفون الى أن يمتحنوا يوم القيامة فمن أطاع منهم دخل الجنة ومن عصى دخل النار وهي كثيرة والصحيح منها ثلاثة الاول حديث الاسود بن سريع وأبي هريرة معا مرفوعا أربعة يحتجون يوم

ثم يتشهد فيها بكلمتي الشهادة ويذكر فيها نفسه باسمه العلم وثبت عنه أنه قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء ولم يكن له شاوش يخرج بين يديه اذا خرج من حجرته ولم يكن يلبس لباس الخطباء اليوم لا طرحة ولا زيقا واسعا وكان منبره ثلاث درجات فاذا استوى عليه واستقبل الناس أخذ المؤذن في الاذان فقط ولم يقل شيئا قبله ولا بعده فاذا أخذ في الخطبة لم يرفع أحد صوته بشئ البتة لا مؤذن ولا غيره وكان اذا قام يخطب أخذ عصا فتوكأ عليها وهو على المنبر كذا ذكره عنه أبو داود عن ابن شهاب وكان الخلفاء الثلاثة بعده يفعلون ذلك وكان أحيانا يتوكأ على قوس ولم يحفظ عنه أنه توكأ على سيف وكثير من الجهلة يظن أنه كان يمسك السيف على المنبر اشارة الى أن الدين انما قام بالسيف وهذا جهل قبيح من وجهين أحدهما أن المحفوظ أنه صلى الله عليه وسلم توكأ على العصا وعلى القوس الثاني ان الدين انما قام بالوحي وأما السيف فلمحق أهل الضلال والشرك

القيامة رجل أصم لا يسمع شيأ ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة الحديث أخرجه أحمد وابن
راهويه والبيهقي وصححه وفيه وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك رسول فيأخذ مواثيقهم
ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها سحب اليها
والثاني حديث أبي هريرة موقوفا وله حكم الرفع لان مثله لا يقال من قبل الرأي أخرجه عبد الرزاق وابن
جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر في تفاسيرهم اسناده صحيح على شرط الشيخين والثالث حديث ثوبان
مرفوعا أخرجه البزار والحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي ورابع عند
البزار وابن أبي حاتم عن أبي سعيد مرفوعا وفيه عطية العوفي وفيه ضعف الا أن الترمذي يحسن حديثه
خصوصا اذا كان له شاهد وهذا له عدة شواهد كما ترى وخامس عند البزار وأبي يعلى عن أنس مرفوعا
وسادس عند الطبراني وأبي نعيم عن معاذ وسند كل منهما ضعيف والعمدة على الثلاثة الاول الصحيحة
قال وهذا السبيل نقل حافظ العصر ابن حجر عن بعضهم انه مشى عليه فيما نحن فيه ثم قال والظن
با آله صلى الله عليه وسلم كلهم الذين ماتوا في الفترة أن يطيعوا عند الامتحان لتقر بهم عينه وذكر
الحافظ ابن كثير قضية الامتحان في والديه صلى الله عليه وسلم وسائر أهل الفترة وقال منهم من يجيب
ومنهم من لا يجيب الا انه لم يقل الظن في الوالدين أن يجيبا ولا شك أن الظن ان الله يوفقهما للاجابة
بشفاعته كما رواه تمام في فوائده بسند ضعيف عن ابن عمر انه صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة
شفعت لابي وأمي الحديث وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم سئل عن أبويه
فقال ما سألتهما ربي فيعطيني فيهما واني لقائم يومئذ المقام المحمود فهذا تلويح بأنه يرتجي أن يشفع لهما
في ذلك المقام ليوفقا للطاعة عند الامتحان وينضم الى ذلك ما أخرجه أبو سعد في شرف النبوة وغيره عن
عمران مرفوعا سألت ربي أن لا يدخل النار أحد من أهل بيتي فاعطاني ذلك وما أخرجه ابن جرير عن ابن
عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال من رضا محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يدخل أحد من
أهل بيته النار فهذه الاحاديث يشد بعضها بعضا لان الحديث الضعيف اذا كثرت طرقه أفاد ذلك
قوة كما تقرر في علوم الحديث وأمثلها حديث ابن مسعود فان الحاكم صححه قال وهذا السبيل قد يعد
مغايرا للاول يعني انهما لم تبلغهما الدعوة كما مشيت عليه هنا وفي الكتاب المطول لان مقتضى الاول
الجزم بنجاة من لم تبلغه الدعوة ودخوله الجنة من غير توقف على الامتحان وقد يعد مرادفا له كما مشيت
عليه في مسالك الحنفاء وفي الدرج المنيفة وفي المقامة السندسية وهو أقرب الى التحقيق ويكون معنى
قولهم انه ناج أي بشرط لا مطلقا وقولهم لا يعذب أي ابتداء كما يعذب من عاند بل يجري فيه الامتحان
ويكون امتحانه في الآخرة منزلا منزلة بلوغه دعوة الرسل في الدنيا وعصيانه في الآخرة بمنزلة مخالفته
للرسل ويؤيد ذلك ان أبا هريرة راوي حديث أهل الفترة استدل في آخره بالآية التي استدل بها
الائمة على انتفاء التعذيب قبل البعثة ولفظه فيما أخرجه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر
الثلاثة من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال اذا كان يوم
القيامة جمع الله أهل الفترة والمعتوه والاصم والابكم والشيوخ الذين لم يدركوا الاسلام ثم أرسل اليهم
رسلا أن ادخلوا النار فيقولون كيف ولم تأتنا رسل قال وايم الله لو دخلوها لكانت عليهم بردا وسلاما
ثم يرسل اليهم فيطيعه من كان يريد أن يطيعه ثم قال أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وما كنا معذبين حتى
نبعث رسولا ففهم رضي الله عنه من الآية ما هو أعم من رسل الدنيا والرسول المبعوث اليهم يوم القيامة
أن ادخلوا النار ولا يستنكر هذا الفهم العظيم من مثله وعلى هذين السبيلين فالجواب عن الاحاديث
الواردة في الابوين بما يخالف ذلك انها وردت قبل ورود الآيات والاحاديث المشار اليها فيما مر كما أجيب

ومدينة النبي صلى الله عليه وسلم التي كان يخطب فيها انما افتتحت بالقرآن ولم تفتتح بالسيف وكان اذا عرض له في خطبته عارض اشتغل به ثم رجع الى خطبته وكان يخطب فجاء الحسن والحسين يعثران في قميصين أحمرين فقطع كلامه فنزل فحملهما ثم عاد الى منبره ثم قال صدق الله العظيم انما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين يعثران في قميصيهما فلم أصبر حتى قطعت كلامي فحملتهما وجاء سليك الغطفاني وهو يخطب فجلس فقال له قم يا سليك فاركع ركعتين وتجوز فيهما ثم قال وهو على المنبر اذا جاء أحدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين ويتجوز فيهما وكان يقصر خطبته أحيانا ويطيلها أحيانا بحسب حاجة الناس وكانت خطبته العارضة أطول من خطبته الراتبة وكان يخطب النساء على حدة في الاعياد ويحرضهن على الصدقة والله أعلم

* فصول هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات

(فصل في هديه في الوضوء)

كان صلى الله عليه وسلم يتوضأ لكل صلاة في

عن الاحاديث الواردة فى أطفال المشركين انهم فى النار بأنها قبل ورود قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر أخرى وسائر الاحاديث المخالفة لتلك وقال بعض أئمة المالكية فى الجواب عن تلك الاحاديث الواردة فى الابوين انها أخبار آحاد فلا تعارض القاطع وهو قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ونحوها من الآيات فى معناها قلت مع ضميمة ان أكثرها ضعيف الاسناد والصحيح منها قابل للتأويل الى هنا كلام هذا الامام اذا قالت حذام ولا تقل طولت بنقله فكله طائل ولا أكثرت فكم رجعت منه بنائل (قال وقال الامام فخر الدين الرازى فى كتابه أسرار التنزيل) اسم تفسير مايصرح بأنهما كانا على الحنيفية دين ابراهيم كما كان زيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه وهو سبيل آخر ثالث فى نجاتهما فانه قال (مانصه قيل ان آزر لم يكن والد ابراهيم بل كان عمه واحتجوا عليه بوجوه منها ان آباء الانبياء ما كانوا كفارا) تشريفا لمقام النبوة وكذلك أمهاتهم كما جزم به الفوائد واستدل عليه بالاستقراء وذكر أدلة ذلك تفصيلا واجمالا (ويدل عليه) أى على ان آزر لم يكن والد ابراهيم (وجوه منها قوله تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين قيل معناه انه كان ينتقل نوره من ساجد الى ساجد) من آدم الى ان ظهر صلى الله عليه وسلم ولهذا يتضح قوله (قال) أى الرازى (ففيه دلالة) وانما قال فالآية دالة (على ان جميع آباء محمد كانوا مسلمين) والافمجرد انتقاله من ساجد الى ساجد لايقتضى ذلك لجواز كونه فى بعض أصوله (ثم قال) أشار الى انه حذف منه ولفظه وحينئذ يجب القطع بان والد ابراهيم ما كان من الكافرين أقصى مافى الباب أن يحمل قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين على وجوه أخرى واذا وردت الروايات بالكل ولا منافاة بينها وجب حمل الآية على الكل ومتى صح ذلك ثبت ان والد ابراهيم ما كان من عبدة الاوثان (ومما يدل على ان آباء محمد صلى الله عليه وسلم ما كانوا مشركين قوله عليه الصلاة والسلام) فيما رواه أبو نعيم عن ابن عباس (لم أزل أنقل من اصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وقال تعالى انما المشركون نجس) واذا قيل ان فيهم مشركا نافى الحديث (فوجب أن لايكون أحد من أجداده مشركا) وقد ارتضى ذلك العلامة المحقق السنوسى والتلمسانى محشى الشفا فقالا لم يتقدم لوالديه صلى الله عليه وسلم شرك وكانا مسلمين لانه عليه الصلاة والسلام انتقل من الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة ولا يكون ذلك الامع الايمان بالله تعالى وما نقله المؤرخون قلة حياء وأدب انتهى وهذا لازم فى جميع الآباء وان قصراه على الابوين والا لزم المحذور وقال السيوطى وقد وجدت لكلام الرازى أدلة قوية مابين عام وخاص فالعام مركب من مقدمتين احداهما انه ثبت فى الاحاديث الصحيحة ان كل جد من أجداده صلى الله عليه وسلم خير قرنه كحديث البخارى بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه والثانية انه قد ثبت ان الارض لم تخل من سبعة مسلمين فصاعدا يدفع الله بهم عن أهل الارض أخرج عبد الرزاق وابن المنذر بسند صحيح على شرط الشيخين عن على قال لم يزل على وجه الدهر سبعة مسلمون فصاعدا فلولا ذلك هلكت الارض ومن عليها وأخرج أحمد فى الزهد والخلال فى كرامات الاولياء بسند صحيح على شرط الشيخين عن ابن عباس قال ماخلت الارض من بعد نوح من سبعة يدفع الله بهم عن أهل الارض واذا قرنت بين هاتين المقدمتين أنتج ماقاله الامام لانه ان كان كل جد من أجداده من جملة السبعة المذكورين فى زمانه فهو المدعى وان كانوا غيرهم لزم أحد أمرين اما أن يكون غيرهم خيرا منهم وهو باطل لمخالفته الحديث الصحيح واما ان يكونوا خيرا وهم على الشرك وهو باطل بالاجماع وفى التنزيل ولعبد مؤمن خير من مشرك فثبت انهم على التوحيد ليكونوا خير أهل الارض فى زمانهم وأما الخاص فأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال مابين نوح الى آدم من الآباء كانوا على الاسلام وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر والبزار والحاكم وصححه عن ابن عباس قال كان بين

غالب أحيانه وربما صلى الصلوات بوضوء واحد وكان يتوضأ بالمد تارة وبثلثيه تارة وبازيد منه تارة وذلك نحو أربع أواق بالدمشقى الى أوقيتين وثلاث وكان من أيسر الناس صبا لماء الوضوء وكان يحذر أمته من الاسراف فيه وأخبر أنه يكون فى أمته من يتعدى فى الطهور وقال ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاتقوا وسواس الماء ومر على سعد وهو يتوضأ فقال له لاتسرف فى الماء فقال وهل فى الماء من اسراف قال نعم وان كنت على نهر جار وصح عنه أنه توضأ مرة مرة ومرتين مرتين وثلاثا ثلاثا وفى بعض الاعضاء مرتين وبعضها ثلاثا وكان يتمضمض ويستنشق تارة بغرفة وتارة بغرفتين وتارة بثلاث وكان يصل بين المضمضة والاستنشاق فيأخذ نصف الغرفة لفمه ونصفها لانفه ولا يمكن فى الغرفة الا هذا وأما الغرفتان والثلاث فيمكن فيهما الفصل والوصل الا أن هديه صلى الله عليه وسلم كان الوصل بينهما كما فى الصحيحين من حديث عبد الله بن زيد أن رسول

آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين قال وكذلك هي في قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا وفي التنزيل حكاية عن نوح رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وسام بن نوح مؤمن بنص القرآن والاجماع بل ورد أثر أنه نبي وولده ارفخشذ صرح بايمانه في أثر عن ابن عباس أخرجه ابن عبد الحكم في تاريخ مصر وفيه انه أدرك جده نوحا ودعا له أن يجعل الله الملك والنبوة في ولده وروى ابن سعد من طريق الكلبي أن الناس ما زالوا ببابل وهم على الاسلام من عهد نوح الى أن ملكهم نمروذ فدعاهم الى عبادة الاوثان وفي عهد نمروذ كان ابراهيم وآزر وأما ذرية ابراهيم فقد قال تعالى واذ قال ابراهيم لابيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه أخرج عبد بن حميد عن ابن عباس ومجاهد في الآية انها لا اله الا الله باقية في عقب ابراهيم وأخرج عن قتادة في الآية قال شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده وقال تعالى واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد الآية أخرج ابن جرير عن مجاهد فيها قال فاستجاب الله لابراهيم دعوته في ولده فلم يعبد أحد من ولده صنما بعد دعوته وأخرج ابن أبي حاتم عن سفيان بن عيينة انه سئل هل عبد أحد من ولد اسمعيل الاصنام قال لا ألم تسمع قوله واجنبني وبني أن نعبد الاصنام قيل فكيف ما يدخل ولد اسحق وسائر ولد ابراهيم قال لا لانه دعا لاهل البلد أن لا يعبدوا اذا أسكنهم اياه فقال اجعل هذا البلد آمنا ولم يدع لجميع البلدان بذلك فقال واجنبني وبني أن نعبد الاصنام فيه وقد خص أهله وقال ربنا اني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي قال فلن تزال من ذرية ابراهيم ناس على الفطرة يعبدون الله وقد صحت الاحاديث في البخاري وغيره وتظافرت نصوص العلماء بان العرب من عهد ابراهيم على دينه لم يكفر أحد منهم الى أن جاء عمرو بن عامر الخزاعي وهو الذي يقال له عمرو بن لحي فهو أول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان قريبا من كنانة جد النبي عليه السلام ثم ساق أدلة تشهد بان عدنان ومعدو ربيعة ومضر وخزيمة وأسدا والياس وكعبا على ملة ابراهيم ثم قال فتلخص من مجموع ما سقناه ان أجداده من آدم الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان ولد ابراهيم فانه يستثنى وان كان عمه كما هو أحد القولين فهو خارج عن الاجداد وسلمت سلسلة النسب وبقي بين مرة وعبد المطلب أربعة لم أظفر فيهم بنقل وعبد المطلب فيه خلاف حكاه السهيلي عن المسعودي والاشبه فيه انه لم تبلغه الدعوة والى هذا أشار الحافظ شمس الدين ابن ناصر الدمشقي فقال

تنقل أحمد نورا عظيما * تلألأ في جباه الساجدين
تنقل فيهم قرنا فقرنا * الى ان جاء خير المرسلينا

انتهى كلامه في سبل النجاة وذكر في الفوائد أدلة تشهد بان عبد المطلب كان على الحنيفية والتوحيد وكذا في الدرج المنيفة وزاد وفيه قول ساقط ان الله أحياه حتى آمن به صلى الله عليه وسلم حكاه ابن سيد الناس وغيره وهو مردود لا أعرفه عن أحد من أئمة السنة انما يحكى عن بعض الشيعة وهو قول لا دليل عليه ولم يرد فيه قط حديث لا ضعيف ولا غيره انتهى وأغرب المصنف فتبرأ من كلام الامام بقوله (كذا قال) الرازي (وهو متعقب بانه لا دلالة في قوله تعالى وتقلبك في الساجدين على ما) الذي (ادعاه و) الحال أنه (قد ذكر البيضاوي) ما يعارضه (في تفسيره ان معنى الآية وترددك في تصفح) تأمل (أحوال المتهجدين) في العبادة ينحل عنها مرة بعد أخرى مأخوذ من تصفحت الكتاب اذا قلبت وجوه أوراقه لتنظر اليها (كما روى أنه لما نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابه لينظر

الله صلى الله عليه وسلم تمضمض واستنشق من كف واحد فعل ذلك ثلاثا وفي لفظ تمضمض واستنثر بثلاث غرفات فهذا أصح ما روى في المضمضة والاستنشاق ولم يجئ الفصل بين المضمضة والاستنشاق في حديث صحيح ألبتة لكن في حديث طلحة ابن مصرف عن أبيه عن جده رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفصل بين المضمضة والاستنشاق ولكن لا ندري الا من طلحة عن أبيه عن جده ولا يعرف لجده صحبة وكان يستنشق بيده اليمنى ويستنثر باليسرى وكان يمسح رأسه كله وتارة يقبل بيديه ويدبر وعليه يحمل حديث من قال مسح برأسه مرتين والصحيح أنه لم يكرر مسح رأسه بل كان اذا كرر غسل الاعضاء أفرد مسح الرأس هكذا جاء عنه صريحا ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم خلافه ألبتة بل ما عدا هذا اما صحيح غير صريح كقول الصحابي توضأ ثلاثا ثلاثا وكقوله مسح برأسه مرتين وأما صريح غير صحيح كحديث ابن البيلماني عن أبيه عن عمر أن النبي صلى الله

مايصنعون حرصا على كثرة طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير) جمع زنبور بضم الزاى أى الدبابير (لما سمع لها من دندنتهم) أصواتهم الخفية وما موصول والعائد محذوف ومن دندنتهم بيان لما أى للاصوات التى سمعها (بذكر الله تعالى) وهذا التعقب بيت العنكبوت اذ ليس فى كلام البيضاوى نفى لغير ما ذكره من التفسير ولا حكاية اجماع عليه بل ذكر بعده تفسيرا آخر ان المراد بهم المصلون والرازى أيضا لم ينف غير التفسير الذى ذكره بل قال أقصى ما فى الباب حمل الآية على وجوه أخرى لا منافاة بينها فتعقبه باحد تفاسير اعترف هو بها وأشار الى الجمع بينها مما لا يليق تسطيره على ان ما فسر به الرازى هو الاولى بالقبول فقد أخرج ابن سعد والبزار والطبرانى وأبو نعيم عن ابن عباس فى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين قال من نبى الى نبى ومن نبى الى نبى حتى أخرجتك نبيا ففسر تقلبه فى الساجدين بتقلبه فى أصلاب الانبياء ولو مع الوسائط قال فى الفوائد وحمل الآية على أعم منهم وهم المصلون الذين لم يزالوا فى ذرية ابراهيم أوضح لانه ليس فى أجداده صلى الله عليه وسلم أنبياء بكثرة بل اسمعيل وابراهيم ونوح وشيث وآدم وادريس فى قول انتهى (وقد ورد النص بان أبا ابراهيم عليه الصلاة والسلام مات على كفر كما صرح به البيضاوى وغيره) ممن استروح وتساهل وذكر ما زعم انه النص بقوله (قال تعالى) وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه (فلما تبين له انه عدو لله) بالموت على الكفر أو أوحى اليه انه لن يؤمن ذكرهما البيضاوى واقتصر الجلال على الاول (تبرأ منه) وترك الاستغفار له واستشعر نقض قوله النص بانه ليس نصا لان العرب تسمى العم أبا وبلغتهم جاء القرآن فقال (وأما قوله انه كان عمه) وفيه انه لم يقله بل نقله وهو امام ثبت حجة فى النقل ثم قد وجد عن السلف (فعدول عن الظاهر من غير دليل) بل دليله كالشمس فقد صرح الشهاب الهيتمى بان أهل الكتابين والتاريخ أجمعوا على أنه لم يكن أباه حقيقة وانما كان عمه والعرب تسمى العم أبا كما جزم به الفخر بل فى القرآن ذلك قال تعالى واله آبائك ابراهيم واسمعيل مع انه عم يعقوب بل لو لم يجمعوا على ذلك وجب تاويله بهذا جمعا بين الاحاديث قال وأما من أخذ بظاهره كالبيضاوى وغيره فقد استروح وتساهل انتهى وقال فى الدرج المنيفة الارجح ان آزر عم ابراهيم كما قال الرازى لا أبوه وقد سبقه الى ذلك جماعة من السلف فروينا بالاسانيد عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج والسدى قالوا ليس آزر أبا ابراهيم انما هو ابراهيم بن تارخ ووقفت على أثر فى تاريخ ابن المنذر صرح فيه بانه عمه انتهى وبه تعلم ما تحامل به بعض المتأخرين جدا فخطأ من قال انه عمه وزعم انه تبع الشيعة وانه مخالف الكتاب والسنة وأهلها وغيرهم وزعم اتفاق المفسرين وغيرهم على ان والد ابراهيم كان كافرا وانما الخلاف فى اسمه وأطال فى بيان ذلك بما لا طائل تحته وحاصله انه احتجاج فقيه بمحل النزاع وتخطئته هى الخطأ وحصره القول به للشيعة هو ضنو قول أبى حيان انهم الرافضة ويأتى رده ولا دخل للرفض ولا للتشيع فى ذلك وزعمه الاتفاق باطل كيف وقد قال أولئك السلف انه عمه وحكاه الرازى ونقله حافظ السنة فى عصره وأقصره وأيده بما لا محيص عنه ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار (وأجاب صاحب العقائق) عن احتجاج الرازى بالآية (بانهم كانوا ساجدين بعضهم للصمد) الذى لا جوف له أو المقصود فى الحوائج على الدوام سبحانه وتعالى (وبعضهم للصنم) كذا رأيت هذا الجواب فى بعض نسخ المتن العتيقة وأكثرها سقوطه وهو لا يساوى فلسا ولا ينبغى كتبه فان سياق الآيات للامتنان على النبى صلى الله عليه وسلم واطلاع ربه على تنقله حالا وماضيا فكيف يليق أن يمتن عليه بانه رأى تقلبه فى بعض آبائه الساجدين للصنم ان هذا الجمود عظيم (ونقل أبو حيان فى البحر عند تفسير قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين أن الرافضة هم القائلون ان آباء النبى صلى الله عليه وسلم كانوا مؤمنون مستدلين بقوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وبقوله عليه الصلاة والسلام

لم

عليه وسلم قال من توضأ فغسل كفيه ثلاثا ثم قال ومسح برأسه ثلاثا وهذا لا يحتج به وابن البيلمانى وأبوه مضعفان وان كان الاب أحسن حالا وكحديث عثمان الذى رواه أبو داود أنه صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ثلاثا وقال أبو داود أحاديث عثمان الصحاح كلها تدل على أن مسح الرأس مرة ولم يصح عنه فى حديث واحد أنه اقتصر على مسح بعض رأسه البتة ولكن كان اذا مسح بناصيته كمل على العمامة فاما حديث أنس الذى رواه أبو داود رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوضأ وعليه عمامة قطرية فادخل يده من تحت العمامة فمسح مقدم رأسه ولم ينقض العمامة فهذا مقصود أنس به أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ينقض عمامته حتى يستوعب مسح الشعر كله ولم ينف التكميل على العمامة وقد أثبته المغيرة بن شعبة وغيره فسكوت أنس عنه لا يدل على نفيه ولم يتوضأ صلى الله عليه وسلم الا تمضمض واستنشق ولم يحفظ عنه انه أخل به مرة واحدة وكذلك كان وضوءه

لم أزل أتعجب من أصحاب الظاهرين انتهى) ومراده من نقله تقوية تعقبه على الرازى وقد عرض به وشدد عليه النكير الشهاب الهيثمى فقال وقول بعضهم أبو حيان الخ سوء تصرف منه لانه أعنى ناقل هذا الكلام عن أبى حيان لو كان له أدنى مسكة من علم أو فهم لتعقب قوله ان الرافضة هم القائلون بذلك وقال له هذا الحصر باطل منك أيها النحوى البعيد عن مدارك الاصول والفروع كيف والائمة الاشاعرة من الشافعية وغيرهم على ما مرّ اتصريح به فى نجاة سائر آبائه صلى الله عليه وسلم كبقية أهل الفترة فلو كنت ذا المام بذلك لما حصرت نقله از افضة وزعمت انهم المستدلون بالآية والحديث وهذا الفخر من أكابر أئمة أهل السنة قد استدل بهما ونقل ذلك عن غيره فليتك أيها الناقل عن أبى حيان سكت عن ذلك ووقيت عرضه وعرضك من رشق سهام الصواب فيهما انتهى وقد وافقه على الاستدلال بالآية لهذا المعنى الماوردى من أئمة الشافعية وناهيك بهما ثم أيد المصنف تعقبه بأحاديث وقبل أخذك الجواب عنها واحدا واحدا مفصلا فقد علمت انا أسلفنا لك عنها جوابين انها اخبار آحاد فلا تعارض القاطع كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا مع ضعف أكثرها وقبول صحيحها للتأويل وانها منسوخة بما ورد فى الابوين مما يخالفها فلا تغفل فقال (وقد روى) محمد (بن جرير) بن يزيد بن كثير الامام الحافظ الفرد أبو جعفر الطبرى أحد الاعلام المجتهد المطلق صاحب التصانيف المتوفى سنة عشر وثلثمائة (عن علقمة بن مرثد) بفتح الميم وسكون الراء وفتح المثلثة الحضرمى أبى الحرث الكوفى الثقة (عن سليمان بن بريدة) بن الحصيب الاسلمى المروزى قاضيها الثقة المتوفى سنة خمس ومائة عن تسعين سنة (عن أبيه) بريدة بن الحصيب بحاء وصاد مهملتين مصغر قال الغسانى وصحف من قاله بخاء معجمة (ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم مكة) سنة الفتح كما رواه ابن سعد وابن شاهين من هذا الوجه (أتى رسم قبر) أثره لانمحاء صورته (فجلس اليه) عنده (فجعل يخاطب) بكسر الطاء وفى حديث ابن مسعود فناجاه طويلا (ثم قام مستعبرا) بوحدة جارى الدمع (فقلنا يا رسول الله انا رأينا ما صنعت قال انى استأذنت ربى فى زيارة قبر أمى فاذن لى ثم استأذنته فى الاستغفار لها فلم يأذن لى فما رؤى باكيا أكثر من يومئذ) ورواه ابن سعد وابن شاهين عن بريدة بنحوه وابن جرير من وجه آخر عنه بلفظ لما قدم مكة وقف على قبر أمه حتى سخنت عليه الشمس رجاء أن يؤذن له فيستغفر لها فنزلت الآية قاله السيوطى وله علتان مخالفته الحديث الصحيح فى نزول الآية فى أبى طالب والثانية قال ابن سعد فى الطبقات هذا غلط ليس قبرها بمكة قبرها بالابواء انتهى ويأتى قريبا الجواب عن عدم الاذن فى الاستغفار وعن البكاء (وروى ابن أبى حاتم) الامام الحافظ الناقد عبد الرحمن بن الحافظ الكبير محمد بن ادريس بن المنذر بن داود الرازى الحنظلى التميمى الثقة الزاهد الذى يعد فى الابدال البحر فى العلوم ومعرفة الرجال كساه الله بهاء ونورا يسر به من نظر اليه مات فى محرم سنة سبع وعشرين وثلثمائة (فى تفسيره) وكذا الحاكم (عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوما) أشار (الى المقابر) انه يريد الذهاب اليها (فاتبعناه فجاء حتى جلس الى) جانب (قبر منها) وفى رواية الحاكم خرج ينظر فى المقابر وخرجنا معه فأمرنا فجلسنا ثم تخطى القبور حتى انتهى الى قبر منها (فناجاه طويلا ثم بكى) وفى رواية الحاكم ثم ارتفع نحيبه باكيا (فبكينا لبكائه ثم قام فقام اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فدعاه ثم دعانا فقال ما أبكاكم فقلنا بكينا لبكائك) وفى رواية الحاكم ثم أقبل الينا فتلقاه عمر فقال يا رسول الله ما الذى أبكاك فقد أبكانا وأفزعنا فجاء فجلس الينا فقال أفزعكم بكائى قلنا نعم (فقال ان القبر الذى جلست عنده قبر آمنة) زاد الحاكم بنت وهب (وانى استأذنت ربى فى زيارتها فأذن لى وانى استأذنته فى الدعاء) وفى رواية الحاكم فى الاستغفار لها (فلم يأذن لى وأنزل على ما كان للنبى والذين آمنوا

مرة بتمامه واليابس يخلل به مرة واحدة البتة وكان يمسح على رأسه تارة وعلى العمامة تارة وعلى الناصية والعمامة تارة وأما اقتصاره على الناصية مجردة فلم يحفظ عنه كما تقدم وكان يغسل رجليه اذا لم يكونا فى خفين ولا جوربين ويمسح عليهما اذا كانا فى الخفين وكان يمسح أذنيه مع رأسه وكان يمسح ظاهرهما وباطنهما ولم يثبت عنه انه أخذ لهما ماء جديدا وانما صح ذلك عن ابن عمر ولم يصح عنه فى مسح العنق حديث البتة ولم يحفظ عنه انه كان يقول على وضوئه شيأ غير التسمية وكل حديث فى اذكار الوضوء الذى يقال عليه فكذب مختلق لم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ منه ولا علمه لامته ولا ثبت عنه غير التسمية فى أوله وقوله أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فى آخره وفى حديث آخر فى سنن النسائى مما يقال بعد الوضوء أيضا سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا اله الا أنت أستغفرك

أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى فأخذني ما يأخذ الولد للوالد) من الرقة والشفقة قال الحاكم
هذا حديث صحيح ورده الذهبي في اختصار المستدرك بأن فيه أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين قال
السيوطي فهذه له تقدح في صحته والعجب من الذهبي كيف صححه في الميزان اعتمادا على تصحيح
الحاكم مع أنه خالفه في مختصره قال وله علة ثانية هي مخالفته لما في البخاري وغيره من ان هذه الآية
نزلت بمكة عقب موت أبي طالب واستغفار النبي صلى الله عليه وسلم له ووردت أحاديث أخر في الترمذي
وغيره فيها سبب غير قصة آمنة فان كان الذهبي رد حديث الاحياء لمخالفته هذا الحديث فهذا الحديث
يرد لمخالفته المقطوع بصحته في صحيح البخاري وغيره انتهى (ورواه الطبراني من حديث ابن عباس)
بلفظ ان النبي صلى الله عليه وسلم لما أقبل من غزوة واعتمر هبط من ثنية عسفان فنزل على قبر أمه
فذكر نحو حديث ابن مسعود وفيه نزول الآية قال السيوطي وله علتان مخالفة الحديث الصحيح كما
سبق واسناده ضعيف ثم قال فبان بهذا أن طرق الحديث كلها معلولة خصوصا قصة نزول الآية
الناهية عن الاستغفار لانه لا يمكن الجمع بينها وبين الاحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في قصة أبي
طالب وغيره وأصح طرق هذا الحديث ما أخرجه الحاكم وصححه على شرط الشيخين عن بريدة
ان النبي صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه في ألف مقنع فما رؤي باكيا أكثر من يومئذ هذا القدر لا علة له
وليس فيه مخالفة لشئ من الاحاديث ولا نهي عن الاستغفار وقد يكون البكاء لمجرد الرقة التي تحصل
لزيارة الموتى من غير سبب تعذيب ونحوه انتهى والحافظ ابن حجر لما أبدى احتمالا لان لنزول الآية
سببين متقدم وهو أمر آمنة رده بان الاصل عدم تكرار النزول ثم لا يشكل بأن موت أبي طالب قبل
الهجرة بنحو ثلاث سنين وبراءة من أواخر ما نزل بالمدينة لان هذه الآية مستثناة من كون السورة مدنية
كما نقله في الاتقان عن بعضهم وأقره فلا حاجة لجواب الطيبي ونحوه بجواز أنه صلى الله عليه وسلم كان
يستغفر له الى نزولها فان التشديد مع الكفار انما ظهر في هذه السورة لانه مجرد تجويز مبني على أن
جميع السورة مدني (وفي مسلم) من حديث أبي هريرة مرفوعا (استأذنت ربي أن أستغفر لامي فلم يأذن لي
واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فانها تذكر الآخرة) وكذا رواه ابن ماجه الا انه
قال فانها تذكر الموت فهذا حديث صحيح معارض لحديث احيائهما وكلام الرازي وهذا الذي أراده
المصنف أورده في الفوائد بطريق السؤال فقال كيف قررت انها كانت موحدة في حياتها ومتحنفة
وهذا الحديث في انه استغفر لها فلم يؤذن له وقوله في الحديث الآخر أبي مع أمكما يؤذنان بخلاف ذلك
وهبك أجبت عنهما فيما يتعلق بحديث الاحياء بأنهما متقدمان في التاريخ وذاك متأخر وكان ناسخا
فما تقول في هذا فان الموت على التوحيد ينفي التعذيب البتة وأجاب بأن حديث عدم الاذن في
الاستغفار لا يلزم منه الكفر بدليل انه صلى الله عليه وسلم كان ممنوعا في أول الاسلام من الصلاة على
من عليه دين لم يترك له وفاء ومن الاستغفار له وهو من المسلمين وعلل بان استغفاره مجاب على الفور فمن
استغفر له وصل عقب دعائه الى منزله في الجنة والمديون محبوس عن مقامه حتى يقضى دينه كما في
الحديث فقد تكون أمه مع كونها متحنفة كانت محبوسة في البرزخ عن الجنة لامور أخرى غير الكفر
اقتضت أن لا يؤذن له في الاستغفار الى أن أذن الله له في بعد ذلك قال وأما حديث أبي مع أمكما على
ضعف اسناده فلا يلزم منه كونها في النار لجواز أنه أراد بالمعية كونهما معها في دار البرزخ أو غير ذلك
وعبر بذلك تورية وليهاما تطييبا لقلوبهما قال وأحسن منه انه صدر ذلك منه قبل أن يوحى اليه انهما من
أهل الجنة كما قال في تبع لا أدري تبعا ألعينا كان أم لا أخرجه الحاكم وابن شاهين عن أبي هريرة وقال بعد
أن أوحي اليه في شأنه لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم أخرجه ابن شاهين في الناسخ والمنسوخ عن سهل

وأتوب اليك ولم يكن
يقول في أوله نويت رفع
الحدث ولا استباحة
الصلاة لا هو ولا أحد من
أصحابه البتة ولم يرو عنه
في ذلك حرف واحد
لا باسناد صحيح ولا ضعيف
ولم يتجاوز الثلاث قط
وكذلك لم يثبت عنه انه
تجاوز المرفقين والكعبين
ولكن أبو هريرة كان
يفعل ذلك ويتأول
حديث اطالة الغرة
* وأما حديث أبي هريرة
في صفة وضوء النبي صلى
الله عليه وسلم انه غسل
يديه حتى أشرع في
العضدين ورجليه حتى
أشرع في الساقين فهو
انما يدل على ادخال
المرفقين والكعبين في
الوضوء ولا يدل على مسألة
الاطالة ولم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
يعتاد تنشيف أعضائه
بعد الوضوء ولا صح عنه
في ذلك حديث البتة بل
الذي صح عنه خلافه
* وأما حديث عائشة كان
للنبي صلى الله عليه وسلم
خرقة ينشف بها بعد
الوضوء وحديث معاذ بن
جبل رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا
توضأ مسح على وجهه
بطرف ثوبه فضعيفان
لا يحتج بمثلهما في الأول
سليمان بن أرقم متروك

وابن عباس فكأنه أولا لم يوح اليه في شأنها بشيء ولم يبلغه القول الذي قاله عند موتها ولا تذكره فأطلق القول بأنها مع أمها جريا على قاعدة أهل الجاهلية ثم أوحي اليه أمرها بعد ويؤيد ذلك أن في آخر الحديث نفسه ما ساء التمارني قال ويمكن الجواب عن الحديثين بأنها كانت موحدة غير أنها لم يبلغها شأن البعث والنشور وذلك أصل كبير فأحياها الله له حتى آمنت بالبعث وبجميع ما في شريعته وإذا تأخر احياؤها الى حجة الوداع حتى تمت الشريعة ونزل اليوم أكملت لكم دينكم فأحييت حتى آمنت بجميع ما أنزل عليه قال وهذا معنى نفيس بليغ (قال القاضي عياض بكاؤه عليه السلام) ليس لتعذيبها انما هو أسف (على ما فاتها من ادراك أيامه والايمان به) وقد رحم الله تعالى بكاءه فأحياها له حتى آمنت به وما ألطف هذه العبارة من القاضي فانها صريحة في ان البكاء انما هو لكونها لم تحز شرف الدخول في هذه الامة لا لكونها على غير الحنيفية (وفي مسلم أيضا) وأبي دواد كلاهما من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس (ان رجلا) هو أبو رزين العقيلي فيما قاله ابن أبي خيثمة أو حصين بن عبيد والد عمران فيما ذكره ابن رشيد وتعقب البرهان الاول بأن والد أبي رزين أسلم واسمه عامر بن صبرة (قال يا رسول الله أين أبي قال في النار) وفي مسند أحمد ان أبا رزين سأل عن أمه أين هي فقال كذلك وجمع البرهان بأنه سأل عن أبيه مرة وعن أمه أخرى ويتأكد بما قدمه ان أباه أسلم (فلما قفا) بقاف ففاء مخففة أي انصرف عنه وولى بأن جعل قفاه الى جهته صلى الله عليه وسلم ولا يرد ان قفا انما هو بمعنى تبع على مقتضى الصحاح لانه هنا بمعنى اتبع الجهة التي جاء منها منصرفا اليها ومن لازمها تولية عن المصطفى (دعاه فقال ان أبي وأباك في النار) فهذا صريح في رد حديث الاحياء وكلام الرازي ومن قال انهما أهل فترة لم تبلغهما دعوة والجواب انه منسوخ بالآيات والاحاديث الواردة في أهل الفترة وأراد بأبيه عمه أبا طالب لان العرب تسمي العم أبا حقيقة ولانه رباه والعرب تسمي المربي أبا أو انه خبر آحاد فلا يعارض القاطع وهو نص وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا واستظهر في شرح الهمزية الثاني فلم يتم مراد المصنف من سوقه على ان حديث مسلم هذا كما قال السيوطي لا يصلح للاحتجاج به فانه انفرد به عن البخاري وفي افراده أحاديث تكلم فيها وشك ان هذا منها وذلك ان ثابتا وان كان اماما ثقة فقد ذكره ابن عدي في الضعفاء وقال وقع في أحاديثه نكرة من الرواة عنه لانه روى عنه ضعفاء وقد أعل السهيلي هذا الحديث بان معمر بن راشد في روايته عن ثابت عن أنس خالف حمادا فلم يذكر ان أبي وأباك في النار بل قال اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وهو كما قال فمعمر أثبت في الرواية من حماد لاتفاق الشيخين على تخريج حديثه ولم يتكلم في حفظه ولم ينكر عليه شيء من حديثه وحماد وان كان اماما عالما عابدا فقد تكلم جماعة في روايته ولم يخرج له البخاري شيأ في صحيحه وما خرج له مسلم في الاصول الا من حديثه عن ثابت وأخرج له في الشواهد عن طائفة صرح به الحاكم في المدخل وقال الذهبي حماد ثقة له أوهام ومنا كير كثيرة وكانوا يقولون انها دست في كتبه من ربيبه ابن أبي العوجاء وكان حماد لا يحفظ فحدث بها فوهم ومن ثم لم يخرج له البخاري فحديث معمر أثبت وقد وجدناه ورد بمثل رواية معمر عن ثابت عن أنس من حديث سعد بن مالك ومن حديث ابن عمر أخرج البيهقي والبزار والطبراني في الكبير بسند رجاله رجال الصحيح عن سعد بن أبي وقاص أن اعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أين أبي قال في النار قال فأين أبوك قال حيثما مررت بقبر كافر فبشره بالنار زاد الطبراني والبيهقي فأسلم الاعرابي بعد فقال لقد كلفني رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار وروى ابن ماجه عن ابن عمر قال جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان أبي كان يصل الرحم وكان وكان فأين هو قال في النار فكأنه وجد من ذلك فقال أين أبوك أنت فقال حيثما مررت

وفي الثاني الافريقي ضعيف قال الترمذي ولا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب شيء ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم ان يصب عليه الماء كلما توضأ ولكن تارة يصب على نفسه وربما عاونه من يصب عليه احيانا لحاجة كما في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة انه صب عليه في السفر لما توضأ وكان يخلل لحيته احيانا ولم يكن يواظب على ذلك * وقد اختلف أئمة الحديث فيه فصحح الترمذي وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يخلل وقال أحمد وأبو زرعة لا يثبت في تخليل اللحية حديث وكذلك تخليل الاصابع لم يكن يحافظ عليه وفي السنن عن المستورد بن شداد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذا توضأ يدلك أصابع رجليه بخنصره وهذا ان ثبت عنه فانما يفعله احيانا ولهذا لم يروه الذين اعتنوا بضبط وضوئه كعثمان وعلي وعبد الله ابن زيد والربيع وغيرهم على ان في اسناده ابن لهيعة وأما تحريك خاتمه فقد روي فيه حديث ضعيف من رواية معمر ابن محمد بن عبيد الله بن

بقبر كافر فبشره بالنار فاسلم الاعرابى بعد فقال لقد كلفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم تعبا ما مررت بقبر كافر الا بشرته بالنار فبين أن السائل أعرابى وهو مظنة خشية الفتنة والردة والمصطفى كان اذا سأله أعرابى وخاف من افصاح الجواب له فتنته واضطراب قلبه أجاب بجواب فيه تورية وابهام وهذا كذلك اذ لم يصرح فيه بالأدب الكريم انما قال حيثما مررت الخ وهذه جملة لا تدل بالمطابقة على ذلك فكره صلى الله عليه وسلم أن يفصح له بحقيقة الحال ومخالفة أبيه لابيه فى المحل الذى هو فيه خشية ارتداده لما جلبت عليه النفوس من كراهة الاستئثار عليها ولما كانت عليه العرب من الجفاء وغلظ القلوب فاورد له جوابا موهما تطمينا لقلبه فتعين الاعتماد على هذا اللفظ وتقديمه على غيره وقد أوضحت الزيادة بلا شك أن هذا اللفظ العام هو الصادر من النبى صلى الله عليه وسلم ورآه الاعرابى بعد اسلامه أمرا مقتضيا للامتثال فلم يسعه الا امتثاله ولو كان الجواب باللفظ الاول لم يكن فيه أمر بشئ البتة فعلم أنه تصرف الرواة وأن هذه الطريق فى غاية الاتقان ولذا قال بعض الحفاظ لو لم نكتب الحديث من ستين وجها ما عقلناه أى لاختلاف الرواة فى اسناده وألفاظه فهذا الحديث معلل من هذه الحيثية وليس ذلك قدحا فى صحته من أصله بل فى هذه اللفظة فقط ثم لو فرض اتفاق الرواة على لفظ مسلم كان معارضا بالادلة القرآنية والادلة الواردة فى أهل الفترة والحديث الصحيح اذا عارضه أدلة أخرى وجب تأويله وتقديم تلك الادلة عليه كما هو مقرر فى الاصول انتهى ملخصا وقد تقدم تأويله فان قيل حيث قررت ان أهل الفترة لا يقضى عليهم بشئ حتى يمتحنوا فكيف حكم صلى الله عليه وسلم على أبى السائل بأنه فى النار أجاب السيوطى بجواز أنه يعصى عند الامتحان وأوحى اليه بذلك فحكم بأنه من أهل النار وبأن حديثه متقدم على أحاديث أهل الفترة فيكون منسوخا بها وبجواز أنه عاش حتى أدرك البعثة وبلغه وأصر ومات فى عهده وهذا لا عذر له البتة انتهى وفى الثالث نظر لانه لو كان كذلك لما كان السؤال عن الأب الكريم وجه اذ الفرق لائح لان أباه بلغته البعثة والاب الشريف لم تبلغه اللهم الا أن يجاب بأن الاعرابى توهم أنه لا يكفى بلوغ البعثة حتى يشاهد النبى ولا ينكر هذا منه لانه لم يكن حينئذ تفقه فى الدين بل لم يكن أسلم كما صرح به فى حديث سعد وابن عمر (قال النووى فيه) أى حديث مسلم افادة (أن من مات على الكفر فهو فى النار ولا ينفعه قرابة المقربين) قال السيوطى ينبغى عندى أن النووى أراد الحكم على أبى السائل وكلا مساكت عن الحكم على الأب الشريف (وفيه) أيضا افادة (أن من مات فى الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان فهو فى النار) ووجه استفادة هذا منه أن أبا الاعرابى كان فى الفترة بدليل سؤاله عن الأب الكريم (وليس فى هذا مؤاخذة قبل بلوغ الدعوة فان هؤلاء كانت بلغتهم دعوة ابراهيم وغيره من الانبياء) وهذا خلاف ما أطبقت عليه الاشاعرة من أهل الكلام والاصول والشافعية من أن أهل الفترة لا يعذبون كما تقدم بسطه وقد رد السيوطى كلام النووى هذا بما محصله انا لو اعتبرنا مطلق وجود بعثة الانبياء لاستحال وجود من تبلغهم الدعوة اذ ما من فترة الا وقبلها نبى الى آدم وهو أول الانبياء ولسقطت الاحاديث والآثار الواردة فى أهل الفترة بأسرها على كثرتها وصحتها ولحكم عليهم أجمعين بأنهم فى النار من غير امتحان وفى هذا الغاء ورد للاحاديث الصحيحة بلا دليل كيف وفى حديث ثوبان اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم وذكر بقية الحديث فى الامتحان فهذا نص فى المسئلة واذا لم يكن أهل الفترة هم الذين لم تبلغهم الدعوة فليت شعرى من هم وهل يمكن أن يوجد فى الارض من لم يبلغها أن الله بعث نبيا لدن آدم وبعثة أنبياء الله ووقائعهم مع أممهم واهلاكهم مشهورة ولو لم يكن الا بعثة نوح واقامته ألف سنة والطوفان الذى غرق أهل الارض جميعا لكفى على أن العرب ما كانوا مكلفين بشريعة ابراهيم ولا غيره كما دلت عليه الاحاديث وبه صرح القرآن قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث

رسولا

أبى رافع عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ حرك خاتمه ومعمر وأبوه ضعيفان ذكر ذلك الدارقطنى

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى المسح على الخفين)

صح عنه أنه مسح فى الحضر والسفر ولم ينسخ ذلك حتى توفى ووقت للمقيم يوما وليلة وللمسافر ثلاثة أيام ولياليهن فى عدة أحاديث حسان وصحاح وكان يمسح ظاهر الخفين ولم يصح عنه مسح أسفلهما الا فى حديث منقطع والاحاديث الصحيحة على خلافه ومسح على الجوربين والنعلين ومسح على العمامة مقتصرا عليها ومع الناصية وثبت عنه ذلك فعلا وأمرا فى عدة أحاديث لكن فى قضايا أعيان يحتمل أن يكون خاصة بحال الحاجة والضرورة ويحتمل العموم كالخفين وهو أظهر والله أعلم ولم يكن يتكلف ضد حاله التى عليها قدماه بل ان كانتا فى الخف مسح عليهما ولم ينزعهما وان كانتا مكشوفتين غسل القدمين ولم يلبس الخف ليمسح عليه وهذا أعدل

رسولا وقال تعالى وهذا كتاب أنزلناه مبارك الآيتين أخرج ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن مجاهد
قال الطائفتين اليهود والنصارى خاف أن تقوله قريش انتهى وحكى في شرح الهمزية الاتفاق على
أن العرب ما كانوا مكلفين بشرع أحد ورد به كلام النووي هذا وكلام الرازي الذي ذكره المصنف بقوله
(وقال الامام فخر الدين من مات مشركا فهو في النار وان مات قبل البعثة لان المشركين كانوا قد غيروا)
الملة (الحنيفية) أي المائلة الى الحق (دين ابراهيم) بدل من الحنيفية (واستبدلوا بها الشرك) أي أخذوه
بدلها فالباء داخلة على المتروك وقول الشارح على المأخوذ سبق قلم لان مادة استبدل وتبدل انما تدخل
الباء فيهما على المتروك كقوله تعالى أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ومن يتبدل الكفر بالايمان
فقد ضل (وارتكبوه وليس معهم حجة من الله به ولم يزل معلوما من دين الرسل كلهم من أولهم الى
آخرهم قبح الشرك والوعيد عليه) بالتعذيب (في النار وأخبار عقوبات الله) عليه (لاهلها متداولة
بين الامم قرنا بعد قرن فلله الحجة البالغة) التامة (على المشركين في كل وقت وحين ولو لم يكن الا ما فطر
الله عباده) أي خلقهم مشتملين (عليه من توحيد ربوبيته وأنه يستحيل في كل فطرة وعقل) عطف
تفسير (أن يكون معه اله آخر) أي أنه خلقهم قابلين لذلك وجواب لو محذوف أي لكفى ذلك في الحجة
(وان كان سبحانه وتعالى لا يعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها) لان الصحيح أن الايمان انما يجب
بالشرع لا العقل فهم وان أدركوا بعقولهم لكن لا يعذبهم على عدم الجري على مقتضى ما أدركوه (فلم
تزل دعوة الرسل الى التوحيد في الارض معلومة لاهلها فالمشرك) بعبادة الاوثان (مستحق للعذاب في
النار لمخالفته دعوى الرسل وهو مخلد فيها دائما) لكن بعد الامتحان فمن عصى خلد فيها ومن أطاع ففي
الجنة كما صرحت به الاحاديث وان كانت عبارته لا تؤدي ذلك (كخلود أهل الجنة في الجنة انتهى)
كلام الرازي (وقد تعقب العلامة أبو عبد الله) محمد بن خلف (الأبي من) أجل علماء (المالكية)
المتأخرين أخذ عن ابن عرفة واشتهر في حياته بالمهارة والتقدم في العلوم وكثر انتقاده لشيخه مشافهة
وربما رجع اليه كما قال أحمد بابا في ذيل الطبقات وقال الحافظ في التبصير الأبي بالضم منسوب الى أبة
من قرى تونس عصرينا بالمغرب محمد بن خلف الأبي الاصولي عالم المغرب بالمعقول سكن تونس انتهى
(فيما وضعه على صحيح مسلم) يعني شرحه المسمى باكمال الاكمال (قول النووي الماضي وفيه أن
من مات في الفترة على ما كانت عليه العرب من عبادة الاوثان في النار الخ بما معناه تأمل ما في كلامه من
التنافي فان من بلغتهم الدعوة ليسوا باهل فترة) وهو قد صرح أولا بأنهم أهل فترة فهو تناف (لان أهل
الفترة هم الامم الكائنة بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل اليهم الاول ولا أدركوا الثاني كالاعراب الذين
لم يرسل اليهم عيسى عليه السلام ولا لحقوا النبي) محمدا (صلى الله عليه وسلم) وأجيب عن التنافي بان
النووي لكن وافقه وان كان مرجوحا يكتفي في وجوب الايمان على كل أحد ببلوغه دعوة من قبله
من الرسل وان لم يكن مرسلا اليه وانما يتأتى التنافي لو ادعى أن الخليل وغيره أرسلوا اليهم وهو لم يدع ذلك
(والفترة بهذا التفسير تشمل ما بين كل رسولين كالفترة) التي (بين نوح وهود لكن الفقهاء اذا تكلموا
في الفترة) وأطلقوا (انما يعنون) الفترة (التي بين عيسى ونبينا عليهما الصلاة والسلام وذكر) أي روى
(البخاري عن سلمان) الفارسي موقوفا عليه (انها كانت ستمائة سنة) قال ابن كثير وهو المشهور
وقال قتادة خمسمائة وستون والكلبي وأربعون وغيرهما أربعمائة (ولما دلت القواطع) القرآنية
نحو أن تقولوا انما أنزل الكتاب وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (على انه لا تعذيب حتى تقوم
الحجة) ببعث الرسل (علمنا انهم غير معذبين) اذ لا يجب ايمان ولا يحرم كفر (فان قلت) يرد على هذا
انه (قد صحت أحاديث بتعذيب) بعض (أهل الفترة كحديث) البخاري ومسلم عن أبي هريرة مرفوعا

الاقوال في مسئلة الافضل من المسح والغسل قاله شيخنا والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في التيمم)

كان صلى الله عليه وسلم يتيمم بضربة واحدة للوجه والكفين ولم يصح عنه انه تيمم بضربتين ولا الى المرفقين قال الامام أحمد من قال ان التيمم الى المرفقين فانما هو شيء زاده من عنده وكذلك كان يتيمم بالارض التي يصلي عليها ترابا كانت أو سبخة أو رملا وصح عنه انه قال حيثما أدركت رجلا من أمتي الصلاة فعنده مسجده وطهوره وهذا نص صريح في ان من أدركته الصلاة في الرمل فالرمل له طهور ولما سافر هو وأصحابه في غزوة تبوك قطعوا تلك الرمال في طريقهم وماؤهم في غاية القلة ولم يرو عنه انه حمل معه التراب ولا أمر به ولا فعله أحد من أصحابه مع القطع بان في المفاوز الرمال أكثر من التراب وكذلك أرض الحجاز وغيره ومن تدبر هذا قطع بانه كان يتيمم بالرمل والله أعلم وهذا قول الجمهور وأما ما ذكر في صفة التيمم من وضع

(رأيت عمر بن لحى) بضم اللام وفتح الحاء المهملة وشد الياء وفى روايتهما أيضا رأيت عمرو بن عامر الخزاعى قال عياض والمعروف فى نسبته الاول وأجاب الابى أخذا من كلام ابن عبد البر السهيلى بان عامرا اسم أبيه ولحى لقب عرف به قال وكونه خزاعيا لا ينافى انه من ولد الياس بن مضر لان خزاعة من مضر ومضر أبو خزاعة وعزو الشارح لكتاب المناقب من البخارى عمرو بن عامر المخزومى سبق قلم فالذى فيه انما هو الخزاعى وضبطه المصنف فى شرحه بضم الخاء وفتح الزاى المخففة وبالمهملة (يجر قصبه) قال النووى بضم القاف وسكون الصاد قال الاكثرون يعنى أمعاءه (فى النار) بقية الحديث وكان أول من سيب السائبة (و) كحديث مسلم والامام أحمد عن جابر مرفوعا فى حديث أوله يا أيها الناس ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله فذكر الحديث وفيه و (رأيت صاحب المحجن فى النار) وزان مقود خشبة فى طرفها اعوجاج مثل الصولجان قال ابن دريد كل عود معطوف الرأس فهو محجن والجمع المحاجن قاله المصباح (وهو الذى يسرق الحاج) أى متاعه (بمحجنه فاذا بصر) بضم الصاد وتكسر أى علم (به) أحدفا الضمير فى به لصاحب وفى بصر للحاج أى جنسه (قال انما تعلق بمحجنى) لينفى عن نفسه السرقة ولفظ الحديث عند أحمد ومسلم ورأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار كان يسرق الحاج بمحجنه فان فطن به قال انما تعلق بمحجنى وان غفل عنه ذهب به (أجيب باجوبة أحدها انها أخبار آحاد) انما تفيد الظن (فلا تعارض القطع) بأنهم غير معذبين وهو القرآن فوجب تقديمه عليها وان صحت (الثانى قصر التعذيب على هؤلاء) اتباعا للوارد ولا نقيس غيرهم عليهم فلا تنافى القاطع (والله أعلم بالسبب) الموقع لهم فى العذاب وان كنا نحن لا نعلمه (الثالث قصر التعذيب المذكور فى هذه الاحاديث على من بدل وغير من أهل الفترة) كابن لحى (بما لا يعذر به من الضلال كعبادة الاوثان وتغيير الشرائع فان أهل الفترة ثلاثة أقسام الاول من أدرك التوحيد ببصيرته) أى بعلمه وخبرته فنعمه هذا التبصر عن عبادة غير الله ولا يلزم الاتصاف بالصحبة ولا بالاجزاء ولا بغيرهما (ثم من هؤلاء من لم يدخل فى شريعة) بل طلب التوحيد وعبادة الله وانتظر خروج النبى صلى الله عليه وسلم (كقس بن ساعدة) الايادى أول من آمن بالبعثة من أهل الجاهلية وأول من اتكأ على عصا فى الخطبة وأول من قال اما بعد وأول من كتب من فلان الى فلان وعاش ثلثمائة وثمانين سنة وذكر كثير من أهل العلم انه عاش ستمائة سنة وكان خطيبا حكيما عاقلا له نباهة وفضل ذكره المرزبانى وأخرج أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس ان قس بن ساعدة كان يخطب قومه فى سوق عكاظ فقال فى خطبته سيعلم حق من هذا الوجه وأشار بيده نحو مكة قالوا له وما هذا الحق قال رجل من ولد لؤى بن غالب يدعوكم الى كلمة الاخلاص وعيش الابد ونعيم لا ينفد فان دعاكم فاجيبوه ولو علمت انى أعيش الى مبعثه لكنت أول من يسعى اليه وروى الازدى وغيره من طرق عن أبى هريرة رفعه رحم الله قسا كانى أنظر اليه على جمل أورق تكلم بكلام له حلاوة لا أحفظه فقال بعض قومه نحن نحفظه فقال هاتوه فذكر واخطبته المشحونة بالحكم والمواعظ وروى ابن شاهين عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال رحم الله قسا كانى أنظر اليه على جمل أورق تكلم بكلام لا أحفظه فقال أبو بكر أنا أحفظه قال أذكره فذكره وأخرج عبد الله بن أحمد فى زيادات الزهد لما قدم وفد بكر بن وائل على النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم ما فعل قس بن ساعدة الايادى قالوا مات يا رسول الله قال كانى أنظر اليه فى سوق عكاظ على جمل أحمر الحديث قال فى الاصابة قال الجاحظ فى كتاب البيان لقس وقومه فضيلة ليست لاحد من العرب لان رسول الله صلى الله عليه وسلم روى كلامه وموقفه على جمله بعكاظ وموعظته وعجب من حسن كلامه وأظهر تصويبه وهذا شرف تعجز عنه الامانى وتنقطع دونه الآمال وانما وفق الله ذلك لقس لتوحيده واظهاره الاخلاص وايمانه بالبعث ومن ثم كان قس

يطلون أصابع يده اليسرى على ظهو راليمنى ثم أمرارها الى المرفق ثم ارادة بطن كفه على بطن الذراع واقامة ابهامه اليسرى كالمؤذن الى ان يصل الى ابهامه اليمنى فيطبقها عليها فهذا مما يعلم قطعا أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يفعله ولا علمه أحدا من أصحابه ولا أمر به ولا استحسنه وهذا هديه اليه التحاكم وكذلك لم يصح عنه التيمم لكل صلاة ولا أمر به بل أطلق وجعله قائما مقام الوضوء وهذا يقتضى أن يكون حكمه حكمه الا فيما اقتضى الدليل خلافه

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الصلاة)

كان صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة قال الله أكبر ولم يقل شيأ قبلها ولا يلفظ بالنية البتة ولا قال أصلى لله صلاة كذا مستقبل القبلة أربع ركعات اماما أو مأموما ولا قال أداء ولا قضاء ولا فرض الوقت وهذه عشر بدع لم ينقل عنه أحد قط باسناد صحيح ولا ضعيف ولا مسند ولا مرسل لفظا واحدة منها البتة بل ولا عن أحد من أصحابه ولا استحسنه أحد من التابعين ولا الائمة الاربعة

خطيب العرب قاطبة (وزيد بن عمرو بن نفيل) بضم النون وفتح الفاء والد سعيد بن زيد أحد العشرة وعم عمر بن الخطاب فانه كان ممن طلب التوحيد وخلع الاوثان وجانب الشرك ومات قبل المبعث فروى ابن سعد والفاكهى عن عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب قال قال لى زيد بن عمرو انى خالفت قومى واتبعت ملة ابراهيم واسمعيل وما كانا يعبدان وكان يصليان الى هذه القبلة وأنا أنتظر نبيا من بنى اسمعيل يبعث ولا أرانى أدركه وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبى وان طالت بك حياة فاقرءه منى السلام قال عامر فلما أعلمت النبى صلى الله عليه وسلم بخبره رد عليه السلام وترحم عليه وقال رأيته فى الجنة يسحب ذيولا وروى الزبير بن بكار عن عروة قال بلغنا أن زيدا كان بالشام فبلغه مخرج النبى صلى الله عليه وسلم فاقبل يريده فقتل بأرض البلقاء وقال ابن اسحق لما توسط بلاد لخم قتلوه وقيل مات قبل المبعث بخمس سنين وفى حديث البزار والطبرانى عن سعيد بن زيد سألت أنا وعمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال غفر الله له ورحمه فانه مات على دين ابراهيم انتهى من فتح البارى ملخصا وكذا عامر بن الظرب العدوانى وقيس بن عاصم التميمى وصفوان بن أبى أمية الكنانى وزهير ابن أبى سلمى فى جماعة ذكرهم الشهرستانى فلا بدع أن يكون الابوان الشريفان كذلك بل هما أولى كما تقدم (ومنهم من دخل فى شريعة حق قائمة الرسم) أى الاثر (كتبع وقومه من حمير وأهل نجران) بفتح النون وسكون الجيم بلد قريب من اليمن (وورقة بن نوفل وعمه عثمان بن الحويرث) فانهم تنصروا فى الجاهلية قبل نسخ دين النصرانية

*(القسم الثانى من أهل الفترة وهم من بدل وغير فاشرك ولم يوحد وشرع لنفسه فحلل وحرم وهم الاكثر) *من العرب (كعمرو بن لحى) بن قمعة بن الياس بن مضر (أول من سن للعرب عبادة الاصنام) روى الطبرانى عن ابن عباس مرفوعا أول من غير دين ابراهيم عمرو بن لحى بن قمعة ابن خندف أبو خزاعة وخندف بكسر الخاء المعجمة آخره فاء هى زوج الياس كما مر فى النسب الشريف فنسب قمعة لامه وقد ذكر ابن اسحق فى سبب ذلك أنه خرج الى الشام وبها يومئذ العماليق وهم يعبدون الاصنام فاستوهبهم واحدا منها وجاء به الى مكة فنصبه الى الكعبة وهو هبل وذكر محمد بن حبيب عن ابن الكلبى ان سبب ذلك انه كان له تابع من الجن يقال له أبو ثمامة فاتاه ليلة فقال أجب أبا ثمامة فقال لبيك من تهامة أدخل بلا ملامة فقال ائت سيف جدة تجد آلهة معدة فخذها ولا تهب وادع الى عبادتها تجب قال فتوجه الى جدة فوجد الاصنام التى كانت تعبد زمن نوح فحملها الى مكة ودعا الى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة الاصنام فى العرب ذكره فى فتح البارى وقال السهيلى فى الروض كان عمرو بن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهما من مكة جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسو فى الموسم فنحر فى موسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة وقد ذكر ابن اسحق انه أول من أدخل الاصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها قال وكانت التلبية من عهد ابراهيم لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحى فبيناهو يلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فانكر ذلك عمرو فقال ما هذا فقال قل تملكه وما ملك فانه لا بأس بهذا فقالها عمرو فدانت بها العرب (وشرع الاحكام فبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحام) روى البخارى من طريق الزهرى عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التى يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة التى كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شئ والوصيلة الناقة البكر تبكر فى أول نتاج الابل بأنثى ثم تثنى بعد بأنثى فكانوا يسيبونها لطواغيتهم ان وصلت احداهما بالاخرى ليس بينهما ذكر والحام فحل الابل يضرب الضراب

ولقد اغتر بعض المتأخرين قول الشافعى رضى الله عنه فى الصلاة انها ليست كالصيام ولا يدخل فيها أحد الا بذكر فظن ان الذكر تلفظ المصلى بالنية وانما أراد الشافعى رحمه الله بالذكر تكبيرة الاحرام ليس الا وكيف يستحب الشافعى أمرا لم يفعله النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة واحدة ولا أحد من خلفائه وأصحابه وهذا هديهم وسيرتهم فان أوجدنا أحد حرفا واحدا عنهم فى ذلك قبلناه وقابلناه بالتسليم والقبول ولا هدى أكمل من هديهم ولا سنة الا ما تلقوه عن صاحب الشرع صلى الله عليه وسلم وكان دأبه فى احرامه لفظة الله أكبر لا غيرها ولم ينقل أحد عنه سواها وكان يرفع يديه معها ممدودة الاصابع مستقبلا بها القبلة الى فروع أذنيه وروى الى منكبيه فابو حميد الساعدى ومن معه قالوا حتى يحاذى بهما المنكبين وكذلك قال ابن عمرو قال وائل ابن حجر الى حيال أذنيه وقال البراء قريبا من أذنيه وقيل هو من العمل المخير فيه وقيل كان أعلاها الى فروع أذنيه وكفاه الى منكبيه فلا يكون اختلافا ولم يختلف عنهم

المعدودفاذاقضى ضرابه ودعوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شئ وسموه الحام وفى الانوار اذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أى شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب زاد فى المدارك ولا تطرد من ماء ولا مرعى وسموها البحيرة وكان الرجل منهم يقول ان شفيت من مرضى أو قدمت من سفرى فناقتى سائبة ويجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا أعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث وفى الصحاح السائبة الناقة التى كانت تسيب فى الجاهلية اذا ولدت عشرة أبطن كلها أناث فلا تركب ولا يشرب لبنها الا ولدها والضيف حتى تموت فاذا ماتت أكلها الرجال والنساء جميعا وبحرت أى شقت أذن بنتها الاخيرة فتسمى البحيرة وهى بمنزلة أمها فى أنها سائبة وفى القاموس الناقة كانت تسيب فى الجاهلية لنذر ونحوه أو كانت اذا ولدت عشرة أبطن كلهن أناث سيبت أو كان الرجل اذا قدم من سفر بعيد أو نجت دابته من مشقة أو حرب قال هى سائبة أو كان ينزع من ظهرها فقارة أو عظما وكانت لا تمنع عن ماء ولا كلا ولا تركب وفى الانوار واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وذكرا فهو لآلهتهم وان ولدتهما وصلت الانثى أخاها فلا يذبح لها الذكر واذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولم يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمى ظهره وفى المدارك اذا ولدت الشاة سبعة أبطن والسابع ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فهى معنى الوصيلة (وتبعته العرب فى ذلك و) فى (غيره مما يطول ذكره) كعبادة الجن والملائكة وخرق البنين والبنات واتخذوا بيوتا لها سدنة وحجاب يضاهون بها الكعبة كاللات والعزى ومنات

*(القسم الثالث من أهل الفترة وهم من لم يشرك ولم يوحد ولا دخل فى شريعة نبى ولا ابتكر لنفسه شريعة ولا) ابتكر (اختراع دين بل بقى عمره) أى مدته (على حين غفلة عن هذا كله وفى الجاهلية من كان على ذلك واذا) وحيث (انقسم أهل الفترة الى الثلاثة الاقسام فيحمل من صح تعذيبه على أهل القسم الثانى لـ) أجل (كفرهم بما) بسبب ما (تعدوا به من الخبائث والله تعالى قد سمى جميع هذا القسم كفارا ومشركين فانا نجد القرآن كلما حكى حال أحدهم سجل عليهم بالكفر والشرك كقوله تعالى) فى مقام الرد والانكار لما ابتدعوه (ماجعل) ماشرع (الله من بحيرة ثم قال تعالى ولكن الذين كفروا الآية) يريد يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون أى يفترون عليه فى ذلك ونسبته اليه ولا يعقلون ان ذلك افتراء لانهم قلدوا فيه آبائهم (والقسم الثالث هم أهل الفترة حقيقة وهم غير معذبين) اتفاقا ومنهم والداه صلى الله عليه وسلم فانهما لم تبلغهما دعوة لتأخر زمانهما وبعد ما بينهما وبين الانبياء السابقين وكونهما فى زمن جاهلية عم الجهل فيها شرقا وغربا وفقد فيها من يعرف الشرائع ويبلغ الدعوة على وجهها الا نفرا يسيرا من أحبار أهل الكتاب مفرقين فى أقطار الارض كالشام وغيرها وما عهد لهما تقلب فى الاسفار سوى المدينة ولا أعطيا عمرا طويلا يسع الفحص عن المطلوب مع زيادة ان أمه صلى الله عليه وسلم مخدرة مصونة محجبة فى البيت عن الاجتماع بالرجال لا تجد من يخبرها واذا كان النساء اليوم مع فشو الاسلام شرقا وغربا لا يدرين غالب أحكام الشريعة لعدم مخالطتهن الفقهاء فاظنك بزمان الجاهلية والفترة الذى رجاله لا يعرفون ذلك فضلا عن نسائه ولهذا لما بعث صلى الله عليه وسلم تعجب أهل مكة وقالوا أبعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا أنزل ملائكة فلو كان عندهم علم من بعثة الرسل ما أنكروا ذلك وربما كانوا يظنون ان ابراهيم عليه السلام بعث بما هم عليه فانهم لم يجدوا من يبلغهم شريعته على وجهها لدثورها وفقد من يعرفها اذ كان بينهم وبينه أزيد من ثلاثة آلاف سنة قاله فى مسالك الحنفاء والدرج المنيفة ملخصا وتقدم له مزيد (وأما أهل القسم الاول كقس وزيد بن عمرو فقد قال عليه السلام فى كل منهما انه يبعث أمة وحده) فاخرج الطيالسى عن سعد بن زيد انه قال للنبى صلى الله

عليه

فى محل هذا الرفع ثم يضع اليمنى على ظهر اليسرى وكان يستفتح تارة باللهم باعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد اللهم نقنى من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وتارة يقول وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا مسلما وما أنا من المشركين ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين اللهم أنت الملك لا اله الا أنت أنت ربى وأنا عبدك ظلمت نفسى واعترفت بذنبى فاغفر لى ذنوبى جميعها انه لا يغفر الذنوب الا أنت واهدنى لاحسن الاخلاق لا يهدى لاحسنها الا أنت واصرف عنى سيئ الاخلاق لا يصرف عنى سيئها الا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك والشر ليس اليك أنا بك واليك تباركت ربنا وتعاليت أستغفرك وأتوب اليك ولكن المحفوظ أن هذا الاستفتاح انما كان يقوله فى قيام الليل وتارة يقول اللهم رب جبرائيل

عليه وسلم ان أبي كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده وروى اليعمري عن ابن عباس مرفوعا رحم الله قسا انى أرجو أن يبعثه الله أمة وحده وصرح العلماء بان الرجاء من الله ومن نبيه واقع وروى الطبرانى فى كبيره وأوسطه بسند رجاله ثقات عنه صلى الله عليه وسلم رحم الله قسا قيل يا رسول الله تترحم على قس قال نعم انه كان على دين أبى اسمعيل ابن ابراهيم وأخرج البزار عن جابر قال سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد بن عمرو بن نفيل فقلنا يا رسول الله انه كان يستقبل القبلة ويقول دينى دين ابراهيم والهى اله ابراهيم قال ذاك أمة وحده يحشر بينى و بين عيسى ابن مريم وقد عدا فى الصحابة لكن قال الذهبى فناكد من أورد قسا فى الصحابة كعبدان وابن شاهين وأما زيد فذكره ابن منده والبغوى وغيرهما فى كتب الصحابة قيل واراد البخارى يميل اليه ورده البرهان بما حاصله ان الثابت انه رأى النبى صلى الله عليه وسلم قبل البعثة ومات قبلها فلم ينطبق عليه حد الصحابى وقال فى الاصابة فيه نظر لانه مات قبل البعثة بخمس سنين ولكنه يجئ على أحد الاحتمالين فى تعريف الصحابى وهو من رأى النبى مؤمنا به هل يشترط كونه رآه بعد البعثة فيؤمن به حين يراه أو بعد ذلك أو يكفى كونه مؤمنا بأنه سيبعث كما فى قصة هذا وغيره انتهى (وأما عثمان بن الحويرث وتبع وقومه وأهل نجران فحكمهم حكم أهل الدين الذين دخلوا فيه مالم يلحق أحدهم الاسلام الناسخ لكل دين) يريد غير تبع فانه لم يدرك الاسلام فقد تقدم حديث لا أدرى تبعا ألعينا كان أم لا وحديث لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وأخرج أبو نعيم عن عبد الله بن سلام قال لم يمت تبع حتى صدق النبى صلى الله عليه وسلم لما كانت يهود يثرب يخبرونه (انتهى) كلام الابى (ملخصا وسيأتى ما قيل فى ورقة فى حديث المبعث ان شاء الله تعالى) من انه صحابى وانه أول من أسلم مطلقا (فهذا ما تيسر من البحث فى مسئلة الوالديه) والاقوى عند المؤلف توقفه قال (وقد كان الاولى ترك ذلك) تبعا لقول شيخه السخاوى الذى أراه الكف عن ذلك اثباتا أو نفيا (وانما جرنا اليه ما وقع من المباحثة فيه مع علماء العصر) وقد أحسن الامام السيوطى فى قوله ثم انى لم أدع ان المسئلة اجماعية بل هى مسئلة ذات خلاف فحكمها كحكم سائر المسائل المختلف فيها غير انى اخترت أقوال القائلين بالنجاة لانه الانسب بهذا المقام (ولقد أحسن الحافظ شمس الدين) محمد (بن ناصر) أى ناصر الدين أبى بكر بن عبد الله بن محمد (الدمشقى) بكسر الدال وفتح الميم و بكسرهما ولد سنة سبع وسبعين وسبعمائة وطلب الحديث وصنف تصانيف حسنة وصار محدث البلاد الدمشقية ومات فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة (حيث قال) فى كتابه مورد الصادى بمولد الهادى بعد ان خرج الحديث فى احياء أمه من طريق الخطيب

(حبا الله النبى مزيد فضل ❊ على فضل وكان به رؤفا
فاحيا أمه وكذا أباه ❊ لايمان به فضلا لطيفا
فسلم فالقديم بذا قدير ❊ وان كان الحديث به ضعيفا)

فصرح بضعف الحديث ولم يلتفت لزعم وضعه وكفى به حجة وحبا بمهملة فموحدة أعطى والباء فى بذا قدير بمعنى على كما تفيده اللغة ولما ساق المصنف تلك الاحاديث خاف أن يستروح منها انتقاصهما فقال (والحذر الحذر من ذكرهما بما فيه نقص فان ذلك قد يؤذى النبى صلى الله عليه وسلم لان العرف جار بانه اذا ذكر أبو الشخص بما ينقصه) بفتح أوله وسكون النون أفصح من ضم الياء وفتح النون وشد القاف (أو وصف بوصف) قائم (به وذلك الوصف فيه نقص تأذى ولده بذكر ذلك له عند المخاطبة) كيف وقد روى ابن منده وغيره عن أبى هريرة قال جاءت سبيعة بنت أبى لهب الى النبى صلى الله عليه

وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم وتارة يقول اللهم لك الحمد أنت نور السموات والارض ومن فيهن الحديث وسيأتى فى بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كبر ثم قال ذلك وتارة يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا الحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا سبحان الله بكرة وأصيلا اللهم انى أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه وتارة يقول الله أكبر عشر مرات ثم يسبح عشر مرات ثم يحمد عشرا ثم يهلل عشرا ثم يستغفر عشرا ثم يقول اللهم اغفر لى واهدنى وارزقنى عشرا ثم يقول اللهم انى أعوذ بك من ضيق المقام يوم القيامة عشرا فكل هذه الانواع صحت عنه صلى الله عليه وسلم وروى انه كان يستفتح سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك

وسلم فقالت يارسول الله ان الناس يقولون أنت بنت حطب النار فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو مغضب فقال ما بال أقوام يؤذونني في قرابتي ومن آذاني فقد آذى الله (وقد قال عليه السلام
لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات رواه الطبراني في) معجمه (الصغير) وهو عن كل شيخ له حديث واحد
من شيوخه وقد أبعد المصنف النجعة فقد رواه أحمد والترمذي عن مغيرة بن شعبة رفعه بلفظ لا تسبوا
الاموات فتؤذوا الاحياء (ولا ريب ان أذاه عليه السلام كفر يقتل فاعله ان لم يتب عندنا) أي الشافعية
احترازا عمن يحتم قتله ولو تاب كالمالكية لانه حده فان أنكر ماشهد به عليه أو تاب غسل وصلى عليه
ودفن في مقابر المسلمين والا قتل كفرا ودفن بمقابر الكفار بلا غسل وصلاة هذا وقد دينا لك أيها المالكي
حكم الابوين فاذا سئلت عنهما فقل هما ناجيان في الجنة اما لانهما أحييا حتى آمنا كما جزم به الحافظ
السهيلي والقرطبي وناصر الدين بن المنير وان كان الحديث ضعيفا كما جزم به أولهم ووافقه جماعة من
الحفاظ لانه في منقبة وهي يعمل فيها بالحديث الضعيف واما لانهما ماتا في الفترة قبل البعثة
ولا تعذيب قبلها كما جزم به الابي واما لانهما كانا على الحنيفية والتوحيد لم يتقدم لهما شرك كما قطع به
الامام السنوسي والتلمساني المتأخر محشي الشفاء فهذا ما وقفنا عليه من نصوص علمائنا ولم نر لغيرهم
ما يخالفه الا مايشم من نفس ابن دحية وقد تكفل برده القرطبي (وسيأتي مباحث ذلك ان شاء الله
تعالى في الخصائص من مقصد المعجزات) وقد قال السيوطي ومن العلماء من لم تقو عنده هذه
المسالك فابقوا أحاديث مسلم ونحوها على ظاهرها من غير عدول عنها بنسخ ولا غيره ومع ذلك قالوا
لا يجوز لاحد ان يذكر ذلك قال السهيلي بعد ايراد حديث مسلم وليس لنا نحن ان نقول ذلك في أبويه صلى
الله عليه وسلم لقوله لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات والله تعالى يقول ان الذين يؤذون الله ورسوله الآية
وسئل القاضي أبو بكر أحد أئمة المالكية عن رجل قال ان أبا النبي صلى الله عليه وسلم في النار فأجاب
بانه ملعون لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا
ولا أذى أعظم من أن يقال أبوه في النار ومن العلماء من ذهب الى الوقف روى التاج الفاكهاني في
الفجر المنير الله أعلم بحال أبويه وأخرج ابن عساكر وأبو نعيم والهروي في ذم الكلام ان رجلا من كتاب
الشام استعمل رجلا على كورة من كوره وكان أبوه يزن بالمنانية فبلغ ذلك عمر بن عبد العزيز فقال
ما حملك على أن تستعمل رجلا على كورة من كور المسلمين كان أبوه يزن بالمنانية فقال أصلح الله
أمير المؤمنين وما على من كان أبوه كان أبو النبي صلى الله عليه وسلم مشركا فقال عمر آه ثم سكت ثم
رفع رأسه ثم قال أأقطع لسانه أأقطع يده ورجله أأضرب عنقه ثم قال لا تل لي شيأ ما بقيت وعزله عن
الدواوين (ولقد أطنب بعض العلماء في الاستدلال لايمانهما فالله يثيبه على قصده الجميل) وقد
بذل السيوطي في ذلك جهده فألف فيه ست مؤلفات حفلة ولذا قيل لعل المصنف أراده فان ذلك
عادته في النقل عنه قال في مسالك الحنفاء وقد سئلت أن أنظم في هذه المسئلة أبياتا أختم بها
هذا التأليف فقلت

ان الذي بعث النبي محمدا * أنجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وأبيه حكم شائع * أبداه أهل العلم فيما صنفوا
فجماعة أجروهما مجرى الذي * لم يأته خبر الدعاة المسعف
والحكم فيمن لم تجئه دعوة * أن لا عذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم * والاشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الاسراء فيه حجة * وبنحو ذا في الذكر آي تعرف

ولا اله غيرك ذكر ذلك
أهل السنن من حديث
علي بن علي الرفاعي عن
أبي المتوكل عن أبي سعيد
على انه ربما أرسل وقد
روى مثله من حديث
عائشة رضي الله عنها
والاحاديث التي قبله
أثبت منه ولكن صح
عن عمر بن الخطاب رضي
الله عنه انه كان يستفتح
به في مقام النبي صلى الله
عليه وسلم ويجهر به
ويعلمه الناس وقال
الامام أحمد أما أنا فاذهب
الى ماروي عن عمر ولو أن
رجلا استفتح ببعض
ماروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم من
الاستفتاح كان حسنا
وانما اختار الامام أحمد
هذا لعشرة أوجه قد
ذكرتها في مواضع أخر
منها جهر عمر به يعلمه
الصحابة ومنها اشتماله
على أفضل الكلام بعد
القرآن فان أفضل
الكلام بعد القرآن
سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله أكبر
وقد تضمنها هذا
الاستفتاح مع تكبيرة
الاحرام ومنها انه استفتاح
أخلص للثناء على الله
وغيره متضمن للدعاء
والثناء أفضل من الدعاء
ولهذا كانت سورة
الاخلاص تعدل ثلث

ولبعض أهل الفقه في تعليله * معنى أرق من النسيم وألطف
ونحا الامام الفخر رازى الورى * منحى به للسامعين تشنف
انهم على الفطر التى ولدوا و لم * يظهر عناد منهم وتخلف
قال الاولى ولدوا النبى المصطفى * كل من التوحيد اذ يتحنف
من آدم لأبيه عبد الله ما * فيهم أخو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة * نجس وكلهم بطهر يوصف
وبسورة الشعراء فيه تقلبا * فى الساجدين فكلهم متحنف
هذا كلام الشيخ فخر الدين فى * أسراره هبطت عليه الذرف
فجزاه رب العرش خير جزائه * وحباه جنات النعيم تزخرف
فلقد تدين فى زمان الجاهلية فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمرو وابن نوفل هكذا الصديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكى بذاك مقالة * للاشعرى وما سواه مزيف
اذ لم تزل عين الرضا منه على الصديق وهو بطول عمر أحنف
عادت عليه صحبة الهادى فما * فى الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وأبوه أحرى سيما * ورأت من الآيات ما لا يوصف
وجماعة ذهبوا الى احيائه * أبويه حتى آمنوا لا تخرفوا
وروى ابن شاهين حديثا مسندا * فى ذاك لكن الحديث مضعف
هذى مسالك لو تفرد بعضها * لكفى فكيف بها اذا تتألف
وبحسب من لا يرتضيها صمته * أبدا ولكن أين من هو منصف
صلى الاله على النبى محمد * ما جدد الدين الحنيف محنف
وعلى صحابته الكرام وآله * أوفى رضاه يدوم لا يتوقف

(وقد قال الحافظ ابن حجر فى بعض كتبه والظن بآله صلى الله عليه وسلم يعنى الذين ماتوا قبل البعثة انهم يطيعون عند الامتحان) يوم القيامة أخرج البزار وأبو يعلى عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بأربعة يوم القيامة بالمولود والمعتوه ومن مات فى الفترة والشيخ الفانى كلهم يتكلم بحجته فيقول الرب تعالى لعنق من النار ابرز ويقول لهم انى كنت أبعث الى عبادى رسلا من أنفسهم وانى رسول نفسى اليكم ادخلوا هذه فيقول من كتب عليه الشقاء يا رب أندخلها ومنها كنا نفر ومن كتبت عليه السعادة يمضى فيقتحم فيها مسرعا فيقول الله قد عصيتمونى فأنتم لرسلى أشد تكذيبا ومعصية فيدخل هؤلاء الجنة وهؤلاء النار وأخرج أحمد وابن راهويه والبيهقى صححه عن الاسود بن سريع وأبى هريرة معا رفعاه أربعة يحتجون يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيأ ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات فى فترة فأما الاصم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أسمع شيأ وأما الاحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفوننى بالبعر وأما الهرم فيقول رب لقد جاء الاسلام وما أعقل شيأ وأما الذى مات فى الفترة فيقول رب ما أتانى لك رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل اليهم أن ادخلوا النار فمن دخلها كانت عليه بردا وسلاما ومن لم يدخلها يسحب اليها وأخرج البزار عن أبى سعيد رفعه الهالك فى الفترة والمعتوه والمولود يقول الهالك فى الفترة لم يأتنى كتاب ويقول المعتوه رب لم تجعل لى عقلا أعقل به خيرا

القرآن لانها أخلصت لوصف الرحمن تبارك وتعالى والثناء عليه ولهذا كان سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر أفضل الكلام بعد القرآن فيلزم ان ما تضمنها من الاستفتاحات أفضل من غيره من الاستفتاحات ومنها ان غيره من الاستفتاحات عامتها انما هى فى قيام الليل فى النافلة وهذا كان عمر يفعله ويعلمه الناس فى الفرض ومنها ان هذا الاستفتاح انشاء للثناء على الرب تعالى متضمن للاخبار عن صفات كماله ونعوت جلاله والاستفتاح بوجهت وجهى اخبار عن عبودية العبد وبينهما من الفرق ما بينهما ومنها ان من اختار الاستفتاح بوجهت وجهى لا يكمله وانما يأخذ بقطعة من الحديث ويذر باقيه بخلاف الاستفتاح بسبحانك اللهم فان من ذهب اليه يقوله كله الى آخره وكان يقول بعد ذلك أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة وكان يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم تارة ويخفيها أكثر مما يجهر بها ولا ريب انه لم يكن يجهر بها دائما فى كل يوم وليلة خمس مرات

ولاشرا ويقول المولود رب لم أدرك العقل فترفع لهم نار فيردها من كان في علم الله سعيدا ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو أدرك العمل وروى البزار عن ثوبان والطبراني وأبو نعيم عن معاذ رفعاه اذا كان يوم القيامة جاء أهل الجاهلية يحملون أوثانهم على ظهورهم فيسألهم ربهم فيقولون ربنا لم ترسل الينا رسولا ولم يأتنا لك أمر ولو أرسلت الينا رسولا لكنا أطوع عبادك فيقول لهم ربهم أرأيتم ان أمرتكم بأمر أتطيعوني وذكر نحو ما تقدم وفي الباب أحاديث أخر كما مرت الاشارة اليه فاذا أطاع جماعة كما هو صريح الاحاديث فما الظن بالآل الا انهم يطيعون ويدخلون الجنة (اكراما له صلى الله عليه وسلم) وكفى بظن هذا الحافظ حجة اذ لا يقوله الا عن أدلة كالنهار (وقال في الاحكام) وكذا في الاصابة (ونحن نرجو ان يدخل عبد المطلب وآل بيته الجنة في جملة من يدخلها طائعا فينجو) لانه ورد ما يدل على انه كان على الحنيفية والتوحيد حيث تبرأ من الصليب وعابديه فقد روى ابن سعد عن ابن عباس أنه قال لما قدم أصحاب الفيل

لاهم ان المرء يمنع رحله ❊ فامنع رحالك

لا يغلبن صليبهم ❊ ومحالهم عدوا محالك

وأورده جماعة بلفظ

وانصر على آل الصليب ❊ وعابديه اليوم آلك

وفي طبقات ابن سعد بأسانيده ان عبد المطلب قال لأم أيمن يا بركة لا تغفلي عن ابني فاني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وان أهل الكتاب يقولون ان ابني نبي هذه الامة وقال الشهرستاني مما يدل على اثباته المعاد والمبدأ أنه كان يضرب بالقداح على ابنه ويقول

يا رب أنت الملك المحمود ❊ وأنت ربي الملك المعيد

من عندك الطارف والتليد

ومما يدل على معرفته بحال الرسالة وشرف النبوة ان أهل مكة لما أصابهم ذلك الجدب أمر أبا طالب ان يحضر بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير فاستسقى به (الا أبا طالب) لا ينجو (فانه أدرك البعثة ولم يؤمن) وقد ثبت في الصحيح انه أهون أهل النار عذابا قال السيوطي فهذا مما يدل على ان أبوي النبي صلى الله عليه وسلم ليسا في النار اذ لو كانا فيها أهون عذابا منه لانهما أقرب منه مكانا وأبسط عذرا فانهما لم يدركا البعثة ولا عرض عليهما الاسلام فامتنعا بخلافه وقد أخبر الصادق المصدوق أنه أهون أهل النار عذابا فليس أبواه من أهلها وهذا يسمى عند أهل الاصول دلالة الاشارة ولم يقل والا أبا لهب للقطع بكفره فلا يحتاج لاخراجه (وقد كانت أم أيمن) بفتح الهمزة وسكون التحتية وفتح الميم وبالنون ابن عبيد الخزرجي المستشهد يوم حنين (بركة) الحبشية (دايته وحاضنته بعد موت أمه وكان عليه السلام يقول لها أنت أمي بعد أمي) أي كأمي في رعايتك لي وتعظيمي والشفقة علي أو في رعايتي لك واحترامك وقد كانت تدل عليه صلى الله عليه وسلم وكان العمران يزورانها بعده وكانت تبكي وتقول أنا أبكي لخبر السماء كيف انقطع عنا ومن مناقبها الشريفة ما رواه ابن سعد قال حدثنا أبو أسامة حماد بن أسامة عن جرير بن حازم قال سمعت عثمان بن القاسم يحدث قال لما هاجرت أم أيمن أمست بالمنصرف دون الروحاء فعطشت فدلي عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فاخذته فشربت منه حتى رويت فكانت تقول ما أصابني بعد ذلك عطش ولقد تعرضت للصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة (ومات جده عبد المطلب كافله) بعد أمه روى انها لما ماتت ضمه جده اليه ورق عليه رقة لم يرقها على ولده وكان يقربه ويدخل عليه اذا خلا واذا نام ويجلس على فراشه وأولاده لا يجلسون عليه وذكر ابن اسحق أنه كان

أبدا حضرا وسفرا وتحقق ذلك على خلفائه الراشدين وعلى جمهور أصحابه وأهل بلده في الاعصار الفاضلة هذا من أمحل المحال حتى يحتاج الى التشبث فيه بألفاظ مجملة وأحاديث واهية فصحيح تلك الاحاديث غير صريح وصريحها غير صحيح وهذا موضع يستدعي مجلدا ضخما وكانت قراءته مدا يقف عند كل آية ويمد بها صوته فاذا فرغ من قراءة الفاتحة قال آمين فان كان يجهر بالقراءة رفع بها صوته وقالها من خلفه وكان سكتتان سكتة بين التكبير والقراءة وعنها سأله أبو هريرة واختلف في الثانية فروى انها بعد الفاتحة وقيل انها بعد القراءة وقبل الركوع وقيل هي سكتتان غير الاولى فتكون ثلاثا والظاهر انما هي اثنتان فقط وأما الثالثة فلطيفة جدا لاجل تراد النفس ولم يكن يصل القراءة بالركوع بخلاف السكتة الاولى فانه كان يجعلها بقدر الاستفتاح والثانية قد قيل انها لاجل قراءة المأموم فعلى هذا ينبغي تطويلها بقدر قراءة الفاتحة وأما الثالثة فللراحة والنفس فقط

يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه من بنيه أحد اجلالا له وكان صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فتذهب أعمامه يؤخرونه فيقول عبد المطلب دعوا ابني ويمسح على ظهره بيده ويقول ان لابني هذا لشأنا (وله) صلى الله عليه وسلم (ثمان سنين) فيما جزم به ابن اسحق وتبعه العراقي وتلميذه الحافظ (وقيل) مات وله (ثمان سنين وشهر وعشرة أيام وقيل) وله (تسع وقيل عشر وقيل ست) حكاها مغلطاي وغيره (وقيل ثلاث) حكاه ابن عبد البر ومغلطاي قال (وفيه نظر) لان أقل ما قيل انه كان في موت أمه ابن أربع سنين واتفقوا على أن جده كفله بعدها فكيف يتأتى ان يكون ابن ثلاث (وله) لعبد المطلب (عشرة ومائة سنة) قدمه مغلطاي فتبعه المصنف هنا (وقيل مائة وأربعون سنة) قاله الزبير بن بكار عالم النسب وقال انها أعلى ما قيل في سنه وجزم به السهيلي والمصنف فيما مر وقيل وله مائة وعشرون لكن قال الواقدي ليس ذلك بثبت وقيل خمس وتسعون وقيل ثنتان وثمانون وقيل خمس وثمانون وعمي قبل موته ودفن على ما ذكر ابن عساكر بالحجون (وكفله أبو طالب واسمه عبد مناف) عند الجميع وشذ من قال عمران بل هو قول باطل نقله ابن تيمية في كتاب الرد على الروافض فقال زعم بعض الروافض في قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران ان آل عمران هم آل أبي طالب وأن اسمه عمران ذكره الحافظ في الفتح وقال الحاكم تواترت الاخبار أن اسمه كنيته قال ووجدت بخط علي الذي لا شك فيه وكتب علي بن أبي طالب قال البرهان وقد رأيت بحلب بحارة المغاربة في مسجد يقال له مسجد غوث فيه عمود أسود مكتوب عليه كتبه علي بن أبي طالب وقد ذكر هذا العمود الكمال بن العديم في أوائل تاريخ حلب وأنه خط علي رضي الله عنه انتهى (وكان عبد المطلب أوصاه بذلك لكونه شقيق عبد الله) والده دون الحرث ونحوه فالقصر اضافي فلا يرد أن الزبير شقيقه أيضا وقد قيل شاركه في كفالته وخص أبو طالب بالذكر لامتداد حياته فان الزبير لم يدرك الاسلام وقيل أقرع عبد المطلب بينهما فخرجت القرعة لابي طالب وفي أسد الغابة للحافظ عز الدين بن الاثير كفله أبو طالب لانه شقيق أبيه وكذلك الزبير لكن كفالة أبي طالب اما لوصية عبد المطلب واما لان الزبير كفله حتى مات ثم كفله أبو طالب وهذا غلط لان الزبير شهد حلف الفضول وللمصطفى نيف وعشرون سنة وأجمع العلماء على أنه شخص مع أبي طالب الى الشام بعد موت عبد المطلب بأقل من خمس سنين فهذا يدل على ان أبا طالب هو الذي كفله انتهى وذكر الواقدي ان عيال أبي طالب كانوا اذا أكلوا جميعا أو فرادى لم يشبعوا واذا أكل المصطفى معهم شبعوا فكان أبو طالب اذا أراد أن يغديهم أو يعشيهم يقول كما أنتم حتى يأتي ابني فيأتي فيأكل معهم فيفضل من طعامهم واذا كان لبنا شرب أولهم ثم يشربون فيروون كلهم من قعب واحد وان كان أحدهم ليشرب قعبا وحده فيقول أبو طالب انك لمبارك وروى أبو نعيم وغيره عن ابن عباس قال كان بنو أبي طالب يصبحون عمشا رمصا ويصبح محمد صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا وكان أبو طالب يحبه حبا شديدا لا يحب أولاده كذلك ولذا لا ينام الا الى جنبه ويخرج به متى خرج وذكر ابن قتيبة في غريب الحديث انه كان يوضع له الطعام ولصبية أبي طالب فيتطاولون اليه ويتقاصر هو وتمتد أيديهم وتنقبض يده تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب ويصبحون عمصا رمصا مصفرة ألوانهم ويصبح هو صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا كأنه في أنعم عيش وأعز كفاية لطفا من الله به (وقد أخرج ابن عساكر عن جلهمة) بضم الجيم وتفتح كما في القاموس (ابن عرفطة) بضم العين والفاء (قال قدمت مكة وهم في قحط) بسكون الحاء وحكى الفراء فتحها أي وأهل مكة في زمن شدة لاحتباس المطر عنهم (فقالت قريش) بعد أن تشاوروا فلفظ الحديث عند ابن عساكر قدمت مكة وقريش في قحط فقائل منهم

وهي نكتة لطيفة فمن لم يذكرها فلقصرها ومن اعتبرها جعلها سكتة ثالثة فلا اختلاف بين الروايتين وهذا أظهر ما يقال في هذا الحديث وقد صح حديث السكتتين من رواية سمرة وأبي ابن كعب وعمران بن حصين ذكر ذلك أبو حاتم في صحيحه وسمرة بن جندب وقد قال تبين بذلك ان أحد من روى حديث السكتتين سمرة بن جندب وقد قال حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم سكتتين سكتة اذا كبر وسكتة اذا فرغ من قراءة غير المغضوب عليهم ولا الضالين وفي بعض طرق الحديث فاذا فرغ من القراءة سكت وهذا كالمجمل واللفظ الاول مفسر مبين ولهذا قال أبو سلمة بن عبد الرحمن للامام سكتتان فاغتنموا فيهما القراءة بفاتحة الكتاب اذا افتتح الصلاة واذا قال ولا الضالين على ان تعيين محل السكتتين انما هو من تفسير قتادة فانه روى الحديث عن الحسن عن سمرة قال سكتتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكر ذلك عمران فقال

يقول أعمدوا اللات والعزى وقائل منهم أعمدوا مناة الثالثة الاخرى فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأى أنى تؤفكون وفيكم باقية ابراهيم وسلالة اسمعيل قالوا كانك عنيت أبا طالب قال أيها فقاموا باجمعهم فقمت فدققنا عليه الباب فخرج الينا فثاروا اليه فقالوا (يا أبا طالب أقحط) بالبناء للفاعل والمفعول (الوادى) أصابه القحط (وأجدب العيال فهلم) اسم فعل يستعمل متعديا كقوله تعالى هلم شهداءكم ولازما كما هنا (فاستسق فخرج أبو طالب ومعه غلام) هو النبى صلى الله عليه وسلم (كأنه شمس دجن) بضم الدال المهملة والجيم وشد النون على مفاد قول القاموس كعتل الظلمة والغيم المطبق الريان المظلم لامطر فيه ثم يحتمل تنوين دجن على الوصف أى كأنه شمس كشيت ظلمة والاضافة أى شمس ذات ظلمة أو ذات يوم دجن أى مظلم (تجلت عنه سحابة قتماء) بفتح القاف وسكون الفوقية والمد تأنيث أقتم أى سحابة يعلوها سواد غير شديد وهذا من بديع التشبيه فان شمس يوم الغيم حين ينجلى سحابها الرقيق تكون مضيئة مشرقة مقبولة للناس ليست محرقة (وحوله أغيلمة) تصغير أغلمة جمع غلام ويجمع أيضا على غلمة وغلمان كما فى القاموس وصغر اشارة الى صغرهم لان الغلام قد يطلق على البالغ كما مر (فأخذه) أى الغلام (أبو طالب فألصق ظهره) أى ظهر الغلام (بالكعبة ولاذ) التجأ (الغلام باصبعه) أى اصبع نفسه السبابة على الظاهر لانه الذى يشار به غالبا ولعل المعنى أشار به الى السماء كالمتضرع الملتجئ وفسر الشامى لاذ بطاف والاول أولى وأغرب من رجع ضمير أصبعه لابى طالب أى أمسك المصطفى أصبعه لانه خلاف الظاهر من معنى لاذ لانه انما جاء بمعنى التجأ ودنا وطاف (وما فى السماء قزعة) بقاف فزاى فعين مهملة مفتوحات فهاء أى قطعة من السحاب كما فى القاموس (فأقبل السحاب من ههنا وههنا) أى من جميع الجهات لا من جهة دون أخرى (وأغدق) السحاب أى كثر ماؤه والاسناد مجازى (واغدودق) مرادف ففى القاموس أغدق المطر واغدودق كثر قطره (وانفجر له) للسحاب (الوادى) أى جرى الماء فيه وسال (وأخصب النادى) بالنون أهل الحضر (والبادى) بالموحدة أهل البادية أى أخصبت الارض للفريقين (وفى هذا يقول أبو طالب) يذكر قريشا حين التماثوا ايه صلى الله عليه وسلم يده وبركته عليهم من صغره (وأبيض) بفتح الضاد مجرور برب مقدرة كما صدر به الحافظ كالكرمانى والسيوطى وجزم به فى المغنى أو منصوب قال الحافظ باضمار أعنى أو أخص قال والراجح انه بالنصب عطفا على سيدا المنصوب فى البيت قبله وهو

وما ترك قوم لا أبالك سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل

انتهى وبه قطع الدمامينى فى مصابيحه ورد به على ابن هشام واستظهره فى شرح المغنى وقال هو من عطف الصفات التى موصوفها واحد أو مرفوع خبر مبتدا محذوف وقاله الكرمانى وأفاده المصنف عن ضبط الشرف اليونينى فى نسخته من البخارى أى هو أبيض فقوله سيدا معمول ترك بسكون الراء والذمار بكسر الذال المعجمة ما يحق على الانسان حمايته والذرب بذال معجمة وموحدة على زنة كتف سكنت راؤه تخفيفا وهو الحاد والمواكل المتكل على غيره وفى رواية بدل وأبيض وأبلج من البلج بفتحتين وهو نقاء ما بين الحاجبين من الشعر (يستسقى) بالبناء للمفعول (الغمام) السحاب (بوجهه *) أى يطلب السقى من الغمام بوجهه والمراد ذاته أى يتوسل الى الله به (ثمال اليتامى عصمة للارامل) قال الدمامينى بنصب ثمال وعصمة ويجوز رفعهما على انهما خبرا محذوف زاد المصنف وجرهما على ان أبيض مجرور (يلوذ) يلتجئ (به الهلاك) جمع هالك أى المشرفون على الهلاك (من آل هاشم *) واذا التجأ اليه هؤلاء السراة فغيرهم أولى (فهم عنده فى نعمة) يدومنة على حذف مضاف أى فى ذوى نعمة أى سعة وخير أو جعل النعمة ظرفا لهم مبالغة (وفواضل) عطف خاص على عام ففى القاموس

بحفظناها سكتة فكتبنا الى أبى بن كعب بالمدينة فكتب أبى ان قد حفظ سمرة قال سعيد فقلنا لقتادة ما هاتان السكتتان قال اذا دخل فى الصلاة واذا فرغ من القراءة ثم قال بعد ذلك واذا قال ولا الضالين قال وكان يعجبه اذا فرغ من القراءة ان يسكت حتى يتراد اليه نفسه ومن يحتج بالحسن عن سمرة يحتج بهذا فاذا فرغ من الفاتحة أخذ فى سورة غيرها وكان يطيلها تارة ويخففها لعارض من سفر اوغيره ويتوسط فيهما غالبا وكان يقرأ فى الفجر بنحو ستين آية الى مائة آية وصلاها بسورة ق وصلاها بالروم وصلاها باذا الشمس كورت وصلاها باذا زلزلت فى الركعتين كليهما وصلاها بالمعوذتين وكان فى السفر وصلاها فافتتح بسورة المؤمنين حتى بلغ ذكر موسى وهرون فى الركعة الاولى أخذته سعلة فركع وكان يصليها يوم الجمعة بالم تنزيل السجدة وسورة هل أتى على الانسان كاملتين ولم يفعل ما يفعله كثير من الناس اليوم من قراءة بعض هذه وبعض هذه وقراءة

الفواصل الايادى الجسيمة أو الجميلة اذ المراد بالنعمة النعم الكثيرة الشاملة للنعم العظيمة والرقيقة وثبت البيت الثانى فى بعض النسخ وأكثرها حذفه ويدل له قوله الآتى وهذا البيت حيث لم يقل وهذان البيتان (والثمال بكسر المثلثة) وتخفيف الميم هو (الملجأ والغياث) اسم مصدر من أغاثه أى أعانه ونصره والمراد أنه يلتجأ اليه ويستعان به فهما متساويان معنى (وقيل المطعم فى الشدة) ويصح ارادتهما معا هنا ومن ثم قال الحافظ الثمال العماد والملجأ والمطعم والمغيث والمعين والكافى قد أطلق على كل من ذلك (و) قوله (عصمة للارامل) أى (يمنعهم من الضياع والحاجة) عطف تفسير أى الاحتياج وما ألطف قول الفتح أى يمنعهم مما يضرهم (والارامل المساكين من رجال ونساء) قاله ابن السكيت قال ويقال لهم وان لم يكن فيهم نساء (ويقال لكل واحد من الفريقين على انفراده أرمل) قال جرير

هذى الارامل قد قضيت حاجتها * فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

(وهو بالنساء أخص) أليق (وأكثر استعمالا) عطف تفسير (والواحد أرمل و) الواحدة (أرملة) بالهاء وفى الفتح الارامل جمع أرملة وهى الفقيرة التى لا زوج لها وقد يستعمل فى الرجل أيضا مجازا ومن ثم لو أوصى للارامل خص النساء دون الرجال انتهى وفى هذا الحديث من الفوائد أن أبا طالب منشئ البيت وأنه قال يستسقى الغمام بوجهه عن مشاهدة فلا يرد أن الاستسقاء انما كان بعد الهجرة وهو قد مات قبلها وقد شاهده مرة أخرى قبل ذلك فروى الخطابى حديثا فيه ان قريشا تتابعت عليهم سنو جدب فى حياة عبد المطلب فارتقى هو ومن حضره من قريش أبا قبيس فقام عبد المطلب واعتضده صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قرب ثم دعا فسقوا فى الحال فقد شاهد أبو طالب ما دله على ما قال ذكره السهيلى فى الروض وقول الفتح يحتمل انه مدحه بذلك لما رأى من مخايل ذلك فيه وان لم يشاهد وقوعه عجيب كما قال فى شرح الهمزية وغفلة عن رواية ابن عساكر هذه اذ لو استحضرها لم يبد هذا الاحتمال انتهى وأعجب منه جزم السيوطى به وبنحو هذا لوح المصنف فى المقصد التاسع فقال بعد ذكره احتمال الحافظ قلت قد أخرج ابن عساكر فذكره (وهذا البيت من أبيات فى قصيدة لابى طالب) على الصواب وقول الدميرى وتبعه جماعة انه لعبد المطلب غلط فقد أخرج البيهقى عن أنس قال جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أتيناك وما لنا صبى يغط ولا بعير يئط وأنشد أبياتا فقام صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فرفع يديه الى السماء ودعا فما رد يديه حتى التقت السماء بأبراقها وجاؤا يضجون الغرق فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من ينشدنا قوله فقال على يا رسول الله كأنك تريد قوله وأبيض يستسقى وذكر أبياتا فقال صلى الله عليه وسلم أجل فهذا نص صريح من الصادق بأن أبا طالب منشئ البيت نبه عليه فى شرح الهمزية وقد ساق المصنف خبر البيهقى بتمامه فى المقصد التاسع (ذكرها ابن اسحق بطولها وهى) عنده (أكثر من ثمانين بيتا) بثلاثة أبيات فى رواية ابن هشام عن البكائى عنه وقال هذا ما صح له من هذه القصيدة وبعض علماء الشعر ينكر أكثره وفى شرح المصنف للبخارى وعدة أبياتها مائة بيت وعشرة أبيات وفى المزهر قال محمد بن سلام زاد الناس فى قصيدة أبى طالب التى فيها وأبيض يستسقى الغمام بوجهه وطولت بحيث لا يدرى أين منتهاها وقد سألنى الاصمعى عنها فقلت صحيحة فقال أتدرى منتهاها قلت لا وذكر ابن اسحق انه (قالها لما تمالأت) اجتمعت (قريش على) أذى (النبى صلى الله عليه وسلم ونفروا عنه من يريد الاسلام) لا عقب استسقائه فى صغره به ولذا قلت فى قوله السابق وفى ذلك يقول أبو طالب يذكر قريشا حين تمالؤا عليه

السجدة وحدها فى الركعتين وهو خلاف واما ما يظنه كثير من الجهال ان صبح يوم الجمعة فضلت بسجدة فجهل عظيم ولهذا كره بعض الأئمة قراءة سورة السجدة لاجل هذا الظن وانما كان صلى الله عليه وسلم يقرأ هاتين السورتين لما اشتملتا عليه من ذكر المبدأ والمعاد وخلق آدم ودخول الجنة والنار وذلك مما كان ويكون فى يوم الجمعة فكان يقرأ فى فجرها ما كان ويكون فى ذلك اليوم تذكيرا للامة بحوادث هذا اليوم كما كان يقرأ فى المجامع العظام كالاعياد والجمعة بسورة ق واقتربت وسبح والغاشية

(فصل واما الظهر فكان يطيل قراءتها أحيانا)

حتى قال أبو سعيد كانت صلاة الظهر تقام فيذهب الذاهب الى البقيع فيقضى حاجته ثم يأتى أهله فيتوضأ ويدرك النبى صلى الله عليه وسلم فى الركعة الاولى مما يطيلها رواه مسلم وكان يقرأ فيها تارة بقدر الم تنزيل وتارة بسبح اسم ربك الاعلى والليل اذا يغشى وتارة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق

بله وبركته من صغره ليلتئم مع كلام ابن أسحق هذا فلا يصح زعم أنه أنشد البيت اثر هذه الواقعة ثم كلها بعد البعث اذ مجرد قوله وفي ذلك يقول لا يستلزم كونه قاله عقب الاستسقاء (وأولها) عند ابن اسحق وتبعه في الفتح (لما رأيت) علمت (القوم) قريشا (لاود عندهم*) لنا ولفظ ابن اسحق فيهم وهو ما في الفتح (وقد قطعوا كل العرا) جمع عروة قال الشامي أراد بها العهود (والوسائل) جمع وسيلة وهي القربة يقال وسل الى ربه وسيلة اذا تقرب بعمل اليه والوسيلة المنزلة عند الملك انتهى (وقد جاهرونا) معشر بني هاشم (بالعداوة والاذى*وقد طاوعوا) فينا (أمر العدو المزايل) قال الشامي هو المحاول المعالج وقال شيخنا هو المفارق ففي المختار المزايلة المفارقة وبعد هذين البيتين

وقد حالفوا قوما علينا أظنة * يعضون غيظا خلفنا بالاثامل

صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة * وأبيض عضب من تراث المقاول

فقوله صبرت الخ جواب لما ومر الناظم في غرضه الى أن قال ما أنشده المصنف وهو (أعبد) الهمزة للنداء بتقدير مضاف أي يا آل عبد (مناف أنتم خير قومكم*فلا تشركوا في أمركم كل واغل) هو الضعيف النذل الساقط المقصر في الاشياء والمدعي نسبا كاذبا والداخل على القوم في طعامهم وشرابهم كما في القاموس وفيه النذل أي بذال معجمة الخسيس من الناس المحتقر في جميع أحواله (فقد خفت ان لم يصلح الله أمركم*) بالايمان به صلى الله عليه وسلم (تكونوا كما كانت) تصيروا كما صارت (أحاديث وائل أعوذ برب الناس) خالقهم ومالكهم وخصوا بالذكر في التنزيل وكلام العرب تشريفا لهم (من كل طاعن *علينا بسوء أو ملح) أي متماد (بباطل) يقال ألح على الشيء اذا واظب عليه وبعد هذا البيت عند ابن اسحق

ومن كاشح يسعى لنا بعيبة * ومن ملحق في الدين مالم نحاول

وبعده قوله (وثور) بمثلثة مفتوحة فواو فراء جبل (ومن أرسى) أثبت (ثبيرا) بمثلثة مفتوحة فموحدة مكسورة فتحتية فراء (مكانه*وراق) صاعد (لبر) بموحدة ضد الاثم (في حراء) بالمد (ونازل) فيه من النزول هكذا رواه ابن اسحق وغيره وأما ابن هشام فقال وراق ليرقى من الرقي قال السهيلي وهو وهم منه أو من شيخه البكائي وقد قال البرقي وغيره الصواب الاول وفي الشامية انه تصحيف ضعيف المعنى فمعلوم ان الراقي يرقى فانما أقسم بطالب البر يصعد في حراء للتعبد فيه وبالنازل فيه (وبالبيت) الكعبة (حق البيت في بطن بكة*) بموحدة لغة جاء بها التنزيل (وبالله) كرر القسم به تأكيدا فانه أقسم به في قوله ومن أرسى (ان الله ليس بغافل) عما تعملون من عداوتكم لنا وللنبي صلى الله عليه وسلم وعما التكم عليه وتنفيركم من يريد الاسلام فيجازيكم على ذلك أشد النكال ان لم ترجعوا وبعد هذا البيت عند ابن اسحق أربعة عشر بيتا وبعدها قوله (كذبتم وبيت الله) في قولكم (نبزى) بضم النون وسكون الموحدة وفتح الزاي نقهر ونغلب (محمدا*) كذا ضبطه الشامي لكن في النهاية انها بالتحتية بدل النون ورفع محمد على انه نائب فاعل يبزى ولفظه يبزى أي يقهر ويغلب أراد لا يبزى فحذف لا من جواب القسم وهي مرادة أي لا يقهر (ولما نطاعن) مجزوم بلما وحذف المفعول ليعم أي نطاعنكم وغيركم (دونه ونناضل) بنونين وضاد معجمة (ومنها) قوله بلصق هذا البيت فالاولى حذف ومنها كما هو في نسخ (ونسلمه) لكم معشر قريش تفعلون به ما شئتم كما قلتم لا (حتى نصرع حوله*و) حتى (نذهل) نغفل (عن أبنائنا والحلائل) الزوجات واحدها حليلة (ومعنى نناضل نجادل ونخاصم وندافع) عنه وقال الشامي نرامي بالسهام (ونبزى هو بالباء الموحدة والزاي نقهر) وقال الشامي معناه نسلب ونغلب انتهى وما أحلى قوله في ختامها عند ابن اسحق

لعمري لقد كلفت وجدا بأحمد * وأحببته حب المحب المواصل

* وأما العصر فعلى النصف من قراءة صلاة الظهر اذا طالت وبقدرها اذا قصرت *وأما المغرب فكان هديه فيها خلاف عمل الناس اليوم فانه صلاها مرة بالاعراف فرقها في الركعتين ومرة بالطور ومرة بالمرسلات قال أبو عمر بن عبد البر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأ في المغرب بالمص وأنه قرأ فيها بالصافات وأنه قرأ فيها بحم الدخان وأنه قرأ فيها بسبح اسم ربك الاعلى وأنه قرأ فيها بالتين والزيتون وأنه قرأ فيها بالمعوذتين وأنه قرأ فيها بالمرسلات وأنه كان يقرأ فيها بقصار المفصل قال وهي كلها آثار صحاح مشهورة انتهى* وأما المداومة فيها على قراءة قصار المفصل دائما فهو فعل مروان بن الحكم ولهذا أنكر عليه زيد بن ثابت وقال مالك تقرأ في المغرب بقصار المفصل وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بطولى الطوليين قال قلت وما طولى الطوليين قال الاعراف وهذا حديث صحيح رواه أهل السنن وذكر النسائي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه

قرأ في المغرب بسورة الاعراف فرقها في الركعتين فالمحافظة فيها على الآية القصيرة والسورة من قصار المفصل خلاف السنة وهو فعل مروان بن الحكم * وأما العشاء الآخرة فقرأ فيها صلى الله عليه وسلم بالتين والزيتون ووقت لمعاذ فيها بالشمس وضحاها وسبح اسم ربك الاعلى والليل اذا يغشى ونحوها وأنكر عليه قراءته فيها بالبقرة بعد ما صلى معه ثم ذهب الى بني عمرو بن عوف فادعاها لهم بعد ما مضى من الليل ما شاء الله وقرأ البقرة ولهذا قال له أفتان أنت يا معاذ فتعلق النقادون بهذه الكلمة ولم يلتفتوا الى ما قبلها ولا ما بعدها * وأما الجمعة فكان يقرأ فيها بسورة الجمعة والمنافقين كاملتين وسورة سبح والغاشية * وأما الاقتصار على قراءة أواخر السورتين من يا أيها الذين آمنوا الى آخرها فلم يفعله قط وهو مخالف لهديه الذي كان يحافظ عليه * وأما قراءة الاعياد فتارة كان يقرأ سورة ق واقتربت كاملتين وتارة سورة سبح والغاشية وهذا هو الهدي الذي استمر الخ

فمن مثله في الناس أي مؤمل * اذا قاسه الحكام عند التفاضل

حليم رشيد عادل غير طائش * يوالي الها ليس عنه بغافل

فوالله لولا أن أجيء بسبة * تجر على أشياخنا في المحافل

لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل

لقد علموا أن ابننا لا مكذب * لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

فأصبح فينا أحمد في أرومة * تقصر عنها سورة المتطاول

حديث بنفسي دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرى والكلاكل

(قال) الامام عبد الواحد (بن التين) السفاقسي في شرح البخاري قال البرهان في مبحث انشقاق القمر والنطق به كالنطق بالتين المأكول (ان في شعر أبي طالب هذا دليلا على انه كان يعرف نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما أخبره به بحيرا) الراهب (وغيره من شأنه) وكأنه أخذ ذلك من كون الاستسقاء به في صغره وليس بلازم كما (و) لذا (تعقبه الحافظ أبو الفضل بن حجر) في الفتح (بأن ابن اسحق ذكر ان انشاء أبي طالب لهذا الشعر كان بعد المبعث) ووصفه فيه بما شاهده من أحواله ومنها الاستسقاء به في صغره (ومعرفة أبي طالب بنبوته عليه السلام جاءت في كثير من الاخبار) فلا حاجة الى أخذها من شعره هذا (وتمسك بها الشيعة) بكسر الشين اسم لطائفة من الفرق الاسلامية شايعوا عليا رضي الله عنه وقالوا انه الامام بعده صلى الله عليه وسلم بالنص اما جليا واما خفيا واعتقدوا أن الامامة لا تخرج عنه وعن أولاده وان خرجت فاما بظلم من غيرهم واما بتقية منه ومن أولاده وهم اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا أصولهم ثلاث فرق غلاة وزيدية وامامية قاله في المواقف وشرحها وفي مقدمة فتح الباري التشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فقال في تشيعه ويطلق عليه رافضي والا فشيعي فان انضاف الى ذلك السب أو التصريح بالبغض فقال في الرفض وان اعتقد الرجعة الى الدنيا فأشد في الغلو انتهى (في انه كان مسلما) وهو تمسك واه لان مجرد المعرفة بالنبوة لا يستلزم الاسلام (قال ورأيت لعلي بن حمزة البصري) الرافضي (جزأ جمع فيه شعر أبي طالب وزعم انه كان مسلما وانه مات على الاسلام و) زعم (ان الحشوية) بفتح الحاء والشين وبضم الحاء وسكون الشين وهم المنتمون للظاهر قيل سموا بذلك لقول الحسن البصري لما رأى سقوط كلامهم وكانوا يجلسون في حلقته ردوا هؤلاء الى حشا الحلقة أي جانبها (تزعم انه مات كافرا وانهم بذلك يستجيزون لعنه ثم بالغ في سبهم والرد عليهم (واستدل لدعواه بما لا دلالة فيه) قال وقد بينت فساد ذلك كله في الاصابة (انتهى) كلام الحافظ في كتاب الاستسقاء وقال في باب قصة أبي طالب انه وقف على جزء جمعه بعض أهل الرفض أكثر فيه من الاحاديث الواهية الدالة على اسلام أبي طالب ولا يثبت من ذلك شيء انتهى (ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنتي عشرة سنة) قاله الاكثر وقيل تسع سنين قاله الطبري وغيره وقيل ثلاثة عشر حكاه أبو عمر وقال ابن الجوزي قال أهل السير والتواريخ لما أتت عليه صلى الله عليه وسلم اثنتا عشرة سنة وشهران وعشرة أيام وفي سيرة مغلطاي وشهر ويمكن حمل القول الاول عليه بأن المراد وما قاربها (خرج مع عمه أبي طالب) قاصدا (الى الشام) وسبب ذلك كما في ابن اسحق أن أبا طالب لما تهيأ للرحيل صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فرق له أبو طالب وقال والله لاخرجن به معي ولا يفارقني ولا أفارقه أبدا فخرج به معه وصب بصاد مهملة فموحدة قال السهيلي الصبابة رقة الشوق يقال صببت بكسر الباء أصب وقرئ أصب اليهن وعند بعض الرواة ضبث به أي لزمه قال الشاعر

كان فؤادي في يد ضبثت به * محاذرة أن يقضب الحبل قاضبه

انتهى وفى النور ضبثت بفتح الضاد المعجمة والموحدة و بالمثلثة انتهى فهما روايتان فقصر من اقتصر على الثانية وسار (حتى بلغ بصرى) بضم الموحدة مدينة حوران فتحت صلحا لخمس بقين من ربيع الاول سنة ثلاث عشرة وهى أول مدينة فتحت بالشام ذكره ابن عساكر و ردها عليه السلام مرتين (فرآه بحيرا الراهب) وكان اليه علم النصرانية قال ابن اسحق (واسمه جرجيس) بكسر الجيمين بينهما راء و بعد الثانية تحتية فسين مهملة هكذا رأيته بخط مغلطاى فى الزهرى وصحح عليه وكذا فى الاصابة غير مصروف للعجمة والعلمية وهو فى الاصل اسم نبى قاله الشامى قال السهيلى وصاحب الاصابة وقع فى سيرة الزهرى أن بحيرا كان حبرا من أحبار يهود تيما وفى مروج الذهب للمسعودى أنه كان نصرانيا من عبد القيس واسمه سرجس قال البرهان هكذا فى نسخة صحيحة من الروض وأخرى قريبة من الصحة وفى الشامية قال المسعودى اسمه جرجس كذا فيما وقفت عليه من نسخ الروض (فعرفه بصفته فقال وهو آخذ بيده) كما رواه الترمذى والبيهقى فى الدلائل والخرائطى وابن أبى شيبة عن أبى موسى قال خرج أبو طالب الى الشام ومعه النبى صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب يعنى بحيرا هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم وكان قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت قال فنزل وهم يحلون رحالهم فجعل يتخللهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال (هذا سيد المرسلين هذا سيد العالمين) ذكره لافادة تعميم السيادة نصا وان استلزمه ما قبله (هذا يبعثه الله رحمة للعالمين) كما قال تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين ففيه أن معنى الآية كان عندهم فى الكتب القديمة (فقيل له) وفى رواية الترمذى والجماعة فقال له الاشياخ من قريش (وما علمك بذلك) أى علم لك به نحوو ما علمى بما كانوا يعملون (قال انكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبى وانى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه) بضم الغين وسكون الضاد المعجمتين فراء مضمومة فواو ساكنة وهو رأس لوح الكتف و يقال غرضوف بتقديم الراء وقدمه الجوهرى (مثل التفاحة وانا نجده فى كتبنا وسأل أبا طالب أن يرده خوفا عليه من اليهود رواه ابن أبى شيبة) عن أبى موسى الاشعرى قال السخاوى وهو اما أن يكون تلقاه من النبى صلى الله عليه وسلم فيكون أبلغ أو من بعض كبار الصحابة أو كان مشهورا أخذه بطريق الاستفاضة (وفيه انه صلى الله عليه وسلم أقبل وعليه غمامة تظله) ولفظه ثم رجع يصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو فى رعية الابل فقال أرسلوا اليه فأقبل وغمامة تظله الحديث وتأتى بقيته فى كلام المصنف وساق ابن اسحق الحديث بلفظ انه صنع اليهم طعاما وأرسل اليهم أن احضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم فقال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك اليوم لشأنا ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شأنك اليوم قال له بحيرا صدقت ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلوا منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحالهم فلما نظر بحيرا فى القوم لم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن منكم أحد عن طعامى فقال له يا بحيرا ما تخلف عن طعامك أحد ينبغى له أن يأتيك الا غلام أحدث القوم سنا فتخلف فى رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر معكم فقال رجل من قريش ان كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا فقام الحرث بن عبد المطلب فأتى به الحديث وفيه انه أحضرهم للطعام وأن المصطفى تخلف لحداثته وفى السابق انه أتى لهم بالطعام وأن النبى عليه السلام كان فى رعية الابل واسناده صحيح فوجب تقديمه على خبر ابن اسحق لانه معضل وعلى تقدير

أن نبى الله عز وجل لم ينسخه شئ ولهذا أخذ به خلفاؤه الراشدون من بعده فقرأ أبو بكر رضى الله عنه فى الفجر بسورة البقرة حتى سلم منها قريبا من طلوع الشمس فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم كادت الشمس تطلع فقال لو طلعت لم تجدنا غافلين وكان عمر رضى الله عنه يقرأ فيها بيوسف والنحل وبهود وبنى اسرائيل ونحوها من السور ولو كان تطويله صلى الله عليه وسلم منسوخا لم يخف على خلفائه الراشدين ويطلع عليه النقادون * وأما الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن عن جابر بن سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى الفجر ق والقرآن المجيد وكانت صلاته بعد تخفيفا فالمراد بقوله بعد أى بعد الفجر أى انه كان يطيل قراءة الفجر أكثر من غيرها وصلاته بعدها تخفيفا ويدل على ذلك قول أم الفضل وقد سمعت ابن عباس يقرأ والمرسلات عرفا فقالت يا بنى لقد ذكرتنى بقراءتك هذه السورة انها لآخر ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ

نبوته فيحتمل على بعد أنه صنع لهم الطعام مرتين (و بحيرا بفتح الموحدة وكسر) الحاء (المهملة وسكون المثناة التحتية آخره راء مقصورا) قاله غير واحد قال الشامي ورأيت بخط مغلطاى والمحب بن الهائم وغيرهما عليها مدة وقال البرهان رأيته ممدود الخط الامام شهاب الدين بن المرحل (قال الذهبي في تجريد الصحابة رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل المبعث وآمن به) كما أفاده هذا الخبر وأصرح منه ما في الاصابة عن أبي سعد في شرف المصطفى انه صلى الله عليه وسلم مر ببحيرا أيضا لما خرج في تجارة خديجة ومعه ميسرة وان بحيرا قال له قد عرفت العلامات فيك كلها الا خاتم النبوة فاكشف لي عن ظهرك فكشف له عن ظهره فرآه فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد انك رسول الله النبي الامي الذي بشر به عيسى بن مريم ولا يشكل على ما مر أنه رأى الخاتم وهو مع عمه لاحتمال انه نسي صورة ما رآه أو تردد في انه الخاتم فأراد التثبت (وذكره ابن منده) بفتح الميم والدال المهملة بينهما نون ساكنة كما ضبطه ابن خلكان (وأبو نعيم في الصحابة) لهما (وهذا) الذي قاله الذهبي (ينبني على تعريفهم الصحابي بمن رآه صلى الله عليه وسلم هل المراد حال النبوة) وهو ظاهر كلامهم وعليه صاحب الاصابة اذ قال لا ينطبق عليه تعريف الصحابي وهو مسلم لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك فقولنا مسلم أظن أنه يخرج من لقيه مؤمنا به قبل أن يبعث كبحيرا هذا ولا أدري أدرك البعثة أم لا (أو أعم من ذلك حتى يدخل من رآه قبل النبوة ومات قبلها على دين الحنيفية) كزيد بن عمرو بن نفيل وأضرابه (وهو محل نظر) أي بحث بينهم (وسيأتي البحث فيه ان شاء الله تعالى في المقصد السابع وخرج الترمذي وحسنه) فقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه (والحاكم وصححه) فقال على شرطهما وكذا خرجه البيهقي وأبو نعيم والخرائطي وابن عساكر في حديث أبي موسى السابق صدره وكان المناسب لو أتى بالحديث دون تقطيع ثم عقبه بالتكلم على بحيرا وعلى أشكاله الآتي (ان في هذه السفرة أقبل سبعة من الروم يقصدون قتله عليه السلام) ولفظه عقب قوله السابق فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فيء الشجرة فلما جلس مال فيء الشجرة عليه فقال انظروا الى فيء الشجرة مال عليه قال فبينا هو قائم عليهم وهو يناشدهم أن لا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا سبعة قد أقبلوا من الروم (فاستقبلهم بحيرا فقال ما جاء بكم فقالوا ان هذا النبي) الذي بشر به في كتبنا فاللام للعهد (خارج في هذا الشهر) أي الى السفر لا الى النبوة لانه حينئذ كان صغيرا (فلم يبق طريق الا بعث) بالبناء للمفعول أي بعث ملكهم (اليها ناس) وأسقط من الحديث ما لفظه وانا قد أخبرنا خبره بعثنا الى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم قالوا انما أخبرنا خبره بطريقك هذا (فقال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه) بفتح الياء خبر لا أمر قال ابن سيد الناس ان كان المراد فبايعوا بحيرا على مسالمة النبي صلى الله عليه وسلم فقريب وان كان غير ذلك فلا أدري ما هو وقال المحب بن الهائم الاول هو الظاهر لتوافق الضمير فيه وفي (وأقاموا معه) ومعناه بايعوه على أن لا يأخذوا النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤذوه على حسب ما أرسلوا فيه وأقاموا مع بحيرا خوفا على أنفسهم اذا رجعوا بدونه قال وهذا وجه حسن جدا انتهى وخفي هذا على الحافظ الدمياطي فقرأه بكسر الياء أمرا وحكم بانه وهم (ورده) أي النبي صلى الله عليه وسلم (أبو طالب) بامر بحيرا ففي حديث الترمذي والجماعة بعده فاقاموا معه فقال أنشدكم بالله أيكم قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب (وبعث معه أبو بكر بلالا) بقية الحديث وزوده الراهب من الكعك والزيت (قال البيهقي هذه القصة مشهورة عند أهل المغازي انتهى وضعف) الحافظ محمد بن أحمد (الذهبي الحديث لقوله في آخره وبعث معه أبو بكر بلالا فان أبا بكر اذ ذاك لم يكن

بها في المغرب فهذا في آخر الامر وأيضا فان قوله وكانت صلاته بعد غاية قد حذف ما هي مضافة اليه فلا يجوز اضمار ما لا يدل عليه السياق وترك اضمار ما يقتضيه السياق والسياق انما يقتضي أن صلاته بعد الفجر كانت تخفيفا ولا يقتضي أن صلاته كلها بعد ذلك اليوم كانت تخفيفا هذا ما لا يدل عليه اللفظ ولو كان هو المراد لم يخف على خلفائه الراشدين فيتمسكون بالمنسوخ ويدعون الناسخ * وأما قوله صلى الله عليه وسلم أيكم أم الناس فليخفف وقول أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخف الناس صلاة في تمام فالتخفيف أمر نسبي يرجع الى ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم وواظب عليه لا الى شهوة المأمومين فانه صلى الله عليه وسلم لم يكن يأمرهم بأمر ثم يخالفه وقد علم أن من وراءه الكبير والضعيف وذا الحاجة فالذي فعله هو التخفيف الذي أمر به فانه كان يمكن أن تكون صلاته أطول من ذلك باضعاف مضاعفة فهي خفيفة بالنسبة الى أطول منها

متأهلا) قال ابن سيد الناس لانه حينئذ لم يبلغ عشر سنين فان المصطفى أزيد منه بعامين وكان له يومئذ تسعة أعوام على ماقاله الطبرى وغيره أو اثنا عشر عاما على ماقاله آخرون (ولا اشترى بلال) قال اليعمرى لانه لم ينتقل لابى بكر الا بعد ذلك بأزيد من ثلاثين عاما فانه كان لبنى خلف الجمحيين وعندما عذب فى الله اشتراه أبو بكر رحمة له واستنقاذا له من أيديهم وخبره بذلك مشهور انتهى ولفظ الذهبى فى الميزان فى ترجمة عبد الرحمن بن غزوان كان يحفظ وله مناكير وأنكر ماله حديث عن يونس بن أبى اسحق عن أبى بكر بن أبى موسى عن أبى موسى فى سفر النبى صلى الله عليه وسلم وهو مراهق مع أبى طالب الى الشام وقصة بحيرا ومما يدل على انه باطل قوله وبعث معه أبو بكر بلالا وبلال لم يكن خلق وأبو بكر كان صبيا وقال فى تلخيص المستدرك بعد ماذكر قول الحاكم على شرطهما قلت أظنه موضوعا فبعضه باطل انتهى ورد قوله بلال لم يكن خلق بان ابن حبان قال فى الثقات ان بلالا كان ترب الصديق أى قرينه فى السن (قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة الحديث رجاله ثقات) من رواة الصحيح وعبد الرحمن بن غزوان ممن خرج له البخارى ووثقه جماعة من الائمة والحفاظ قال السخاوى ولم أر لاحد فيه جرحا (وليس فيه منكر سوى هذه اللفظة فتحمل على انها مدرجة) ملحقة (فيه) من أحد رواته من غير تمييز لها من الحديث (مقتطعة من حديث آخر وهما) بفتح الهاء غلطا (من أحد رواته) فلا يحكم على جميع الحديث بالضعف ولا بغيره لاجلها بل عليها فقط لكون رجاله ثقات (وفى حديث عند البيهقى) فى الدلائل (وأبى نعيم) فى حديث أبى موسى السابق (ان بحيرا رأى) تأمل (وهو فى صومعته فى الركب) لعلمه بخروج المصطفى للسفر حينئذ من الكتب القديمة وهذا أولى من تقدير المفعول وجعل رأى بصرية وفى نسخة رآه أى رأى بحيرا النبى عليه السلام والصومعة منزل الراهب قال البرهان يقال أتانا بشر بصمعة اذا دققت وحددت رأسها وصومعة النصارى فوعلة من هذا لانها دقيقة الرأس (حين أقبلوا وغمامة بيضاء تظله من بين القوم ثم أقبلوا حتى نزلوا بظل شجرة قريبا منه) من بحيرا (فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت) قال البرهان بالصاد المهملة المشددة أى مالت وتدلت الشجرة (على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها الحديث) وفى الزهر الباسم عن الواقدى انه صلى الله عليه وسلم لما فارق تلك الشجرة التى كان جالسا تحتها وقام انقلعت من أصلها حين فارقها (وفيه أن بحيرا قام فاحتضنه) صلى الله عليه وسلم (وانه جعل يسأله عن أشياء) وعند ابن اسحق انه قال له ياغلام أسألك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال صلى الله عليه وسلم لا تسألنى بهما شيأ فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسألك عنه فقال له سلنى عما بدا لك فجعل يسأله عن أشياء (من حاله ونومه وهيئته وأموره) ليعلم هل هو هو أو غيره (ويخبره صلى الله عليه وسلم فيوافق ذلك) الذى يخبره به (ما عند بحيرا من صفته) وانما سأله بحق اللات والعزى اختبارا كما فى الشفاء وهو أنسب من قول ابن اسحق لانه سمع قومه يحلفون بهما (ورأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده) وعند ابن اسحق فلما فرغ أقبل على عمه فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال ما هو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به الى بلاده فخرج به أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام (وتقدم) فى حديث اقامته صلى الله عليه وسلم فى بنى سعد بعد الفطام (أن أخته الشيما بنت حليمة رأته فى الظهيرة) هى انتصاف النهار مطلقا أو انما ذلك فى القيظ حكاهما المجد (وغمامة تظله اذا وقف وقفت واذا سار سارت رواه أبو نعيم وابن

بهديه الذى كان واظب عليه هو الحاكم على كل ما تنازع فيه المتنازعون ويدل عليه ما رواه النسائى وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات فالقراءة بالصافات من التخفيف الذى كان يأمر به والله أعلم

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم لا يعين سورة فى الصلاة بعينها لا يقرأ الا بها الا فى الجمعة والعيدين * وأما فى سائر الصلوات فقد ذكر أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال ما من المفصل سورة صغيرة ولا كبيرة الا وقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤم الناس بها فى الصلاة المكتوبة وكان من هديه قراءة السورة كاملة وربما قرأها فى الركعتين وربما قرأ أول السورة * وأما قراءة أواخر السور وأوساطها فلم يحفظ عنه * وأما قراءة السورتين فى ركعة فكان يفعله فى النافلة * وأما فى الفرض فلم يحفظ عنه * وأما حديث ابن مسعود رضى الله عنه انى لاعرف النظائر التى كان رسول

عساكر وابنه در القائل ان قال نوما) المراد ان دخل فى وقت القيلولة وان لم ينم فيه سائرا أوغير سائر
(ظللته غمامة * سحابة (هى فى الحقيقة تحت ظل القائل) أى فى كنفه وستره من قولهم فلان يعيش
فى ظل فلان أى كنفه والمعنى أن الغمامة هى المحتاجة له المتبركة به وليس هو محتاجا لها (ونقل الشيخ
بدر الدين الزركشى عن بعض أهل المعرفة انه صلى الله عليه وسلم كان معتدل الحرارة والبرودة فلا
يحس) بضم الياء من أحس بالشئ اذا شعر (بالحر ولا بالبرد وانه كان فى ظل غمامة) ناشئة (من اعتداله)
كأنها أخذت منه والقصد المبالغة فى كماله حتى صلح لان تؤخذ الغمامة منه ثم تظله فلا يعترض عليه
بأن كلامه يقتضى انه تمثيل فيخالف ما شوهد من تظليل الغمام أو من بمعنى الى أى الى كمال اعتداله
بالنبوة دون ما بعدها أو المعنى أنها ظللته لكمال الاعتدال فيه اكراما له لا لاحتياجه اليها (كذا قال رحمه
الله) تبرأ منه لانه بعد هذه العنايات فى فهمه منابذ لما تشهد به الاحاديث من انه عليه السلام كان يحس
بالبرد والحر ففى حديث الهجرة عند البخارى ان الشمس أصابته صلى الله عليه وسلم وظلله أبو بكر بردائه
وفى البخارى أيضا انه كان بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به وروى ابن منده والبيهقى مرفوعا لانصبع على
حر ولا برد وروى أحمد بسند جيد أنه صلى الله عليه وسلم وضع يده فى طعام حار فاحترقت أصابعه فقال
حس (وأخرج) أبو عبد الله محمد بن اسحق بن محمد بن يحيى (بن منده) الاصبهانى الحافظ الجوال ختام
الرحالين وفرد المكثرين مع الحفظ والمعرفة والصدق وكثرة التصانيف سمع ألفا وسبعمائة وعاد من
من رحلته وكتبه أربعون حملا قال المستغفرى ما رأيت أحفظ منه مات سنة خمس وخمسين وثلثمائة
(بسند ضعيف عن ابن عباس ان أبا بكر الصديق صحب النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمان عشرة)
سنة (والنبى صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة) فهو أسن منه بعامين وهذا قول الجمهور وما رواه
حبيب بن الشهيد عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الاصم مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لابى بكر
من أكبر أنا أو أنت فقال أنت أكبر وأكرم وخير منى وأنا أسن منك فقال فى الاستيعاب لا نعرفه الا بهذا
الاسناد وأحسبه وهما القول جمهور أهل العلم بالاخبار والسير والآثار ان أبا بكر استوفى بمدة خلافته
سن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهم يريدون الشام فى تجارة حتى نزلا منزلا فيه سدرة فقعد) عليه
السلام (فى ظلها ومضى أبو بكر الى راهب يقال له بحيرا يسأله عن شئ فقال له من الرجل الذى فى ظل
الشجرة قال) هو (محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قال) بحيرا (هذا والله نبى ما استظل تحتها بعد عيسى
عليه السلام الا محمد) وكأنه علم ذلك من رؤيته فى كتبهم أو بقرائن قوية ويأتى قريبا مزيد لذلك عن
السهيلى (ووقع فى قلب أبى بكر التصديق فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم اتبعه) سريعا فكان
أول الناس ايمانا (قال الحافظ أبو الفضل بن حجر فى الاصابة ان صحت هذه القصة) فى نفس الامر
أو بورودها من طريق آخر قال ذلك لضعف اسنادها (فهى سفرة أخرى بعد سفرة أبى طالب انتهى)
وفيه توهين قول بعضهم هذا السفر هو الذى كان مع أبى طالب فان أبا بكر حينئذ كان معه انتهى
للاتفاق على انه فى ذلك السفر ما بلغ هذا السن ولا قاربه فان غاية ما قيل انه كان فى الثالثة عشر

(تزوجه عليه السلام خديجة)

(ثم خرج صلى الله عليه وسلم أيضا) الى الشام مرة ثانية وسبب ذلك كما رواه الواقدى وابن السكن أن
أبا طالب قال يا ابن أخى أنا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان علينا وألحت علينا سنون منكرة وليس لنا
مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة تبعث رجالا من قومك يتجرون
فى مالها ويصيبون منافع فلو جئتها لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت أكره
ان تأتى الشام وأخاف عليك من يهود ولكن لا نجد من ذلك بدا فقال صلى الله عليه وسلم لعلها ترسل الى

الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن السورتين فى الركعة الرحمن والنجم فى ركعة واقتربت والحاقة فى ركعة والطور والذاريات فى ركعة واذا وقعت ونون فى ركعة الحديث فهذا حكاية فعل لم يعين محله هل كان فى الفرض أو فى النفل وهو محتمل وأما قراءة سورة واحدة فى ركعتين معا فقلما كان يفعله وقد ذكر أبو داود عن رجل من جهينة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الصبح اذا زلزلت فى الركعتين كلتيهما قال فلا أدرى أنسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم قرأ ذلك عمدا

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم يطيل الركعة الاولى على الثانية من صلاة الصبح ومن كل صلاة وربما كان يطيلها حتى لا يسمع وقع قدم وكان يطيل صلاة الصبح أكثر من سائر الصلوات وهذا لان قرآن الفجر مشهود يشهده الله تعالى وملائكته وقيل يشهده ملائكة الليل والنهار والقولان مبنيان على أن النزول الالهى هل يدوم الى انقضاء صلاة الصبح

فى ذلك فقال أبو طالب انى أخاف أن تولى غيرك فبلغ خديجة ما كان من محاورة عمه له وقبل ذلك صدق
حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه فقالت ما علمت انه يريد هذا وأرسلت اليه وقالت دعانى الى
البعثة اليك ما بلغنى من صدق حديثك وعظم أمانتك وكرم أخلاقك وأنا أعطيك ضعف ما أعطى
رجلا من قومك فذكر ذلك صلى الله عليه وسلم لعمه فقال ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج (ومعه
ميسرة غلام خديجة) قال فى النور لاذكر له فى الصحابة فيما أعلمه وظاهر أنه توفى قبل البعث ولو
أدركه لأسلم وفى الاصابة لم أقف على رواية صحيحة صريحة فى أنه بقى الى البعثة فكتبته على الاحتمال
وفيه أن الصحبة لا تثبت بالاحتمال بل كما قاله هو فى شرح نخبته بالتواتر والاستفاضة أو الشهرة أو
باخبار بعض الصحابة أو بعض ثقات التابعين أو باخباره عن نفسه بانه صحابى اذا دخل تحت
الامكان (بنت خويلد بن أسد فى تجارة لها) وعند الواقدى وغيره وكانت خديجة تاجرة ذات شرف ومال
كثير وتجارة تبعث بها الى الشام فتكون عيرها كعامة عير قريش وكانت تستأجر الرجال وتدفع اليهم
المال مضاربة وكانت قريش قوما تجارا ومن لم يكن منهم تاجرا فليس عندهم بشئ فسار صلى الله عليه
وسلم (حتى بلغ سوق بصرى) رواه الواقدى وابن السكن وغيرهما (وقيل سوق حباشة) بحاء مهملة
مضمومة فموحدة فألف فشين معجمة فتاء تأنيث قال فى الروض سوق من أسواق العرب انتهى وهذا
القول رواه الدولابى عن الزهرى ولفظه استأجرته خديجة الى سوق حباشة وهو سوق (بتهامة) بكسر
التاء اسم لكل ما نزل عن نجد الى بلاد الحجاز ومكة من تهامة قال ابن فارس فى مجمله سميت تهامة
من التهم بفتح التاء والهاء وهو شدة الحر وركود الريح وفى المطالع سميت بذلك لتغير هوائها يقال تهم
الدهن اذا تغير وذكر الحازمى فى مؤتلفه انه يقال فى أرض تهامة تهائم انتهى وقيد بذلك لان حباشة
مشترك ففى القاموس حباشة كثمامة سوق تهامة القديمة وسوق آخر كان لبنى قينقاع (وله) صلى الله
عليه وسلم (خمس وعشرون سنة) فيما رواه الواقدى وابن السكن وصدر به ابن عبد البر وقطع به عبد
الغنى قال فى الغرر وهو الصحيح الذى عليه الجمهور وقيل غير ذلك كما يأتى (لاربع عشرة ليلة بقيت من
ذى الحجة فنزل تحت ظل شجرة) فى سوق بصرى قريبا من صومعة نسطورا الراهب فاطلع الى ميسرة
وكان يعرفه (فقال نسطورا الراهب) بفتح النون وسكون السين وضم الطاء المهملتين قال فى النور
وألف مقصورة كذا أحفظه ولم أر أحدا ضبطه ولا تعرض لعده فى الصحابة وينبغى أن الكلام فيه
كالكلام فى بحيرا وعند الواقدى وابن اسحق فقال يا ميسرة من هذا الذى تحت هذه الشجرة فقال رجل
من قريش من أهل الحرم فقال له الراهب (ما نزل تحت هذه الشجرة) زاد ابن اسحق قط (الا نبى وفى
رواية بعد عيسى) قال السهيلى يريد ما نزل تحتها هذه الساعة ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبى لبعد العهد
بالانبياء قبل ذلك وان كان فى لفظه قط فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى والشجر لا يعمر فى العادة
هذا العمر الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى أو غيره من الانبياء ويبعد فى العادة أيضا ان
تخلو شجرة من نزول أحد تحتها نبى الا ان تصح رواية من قال فى هذا الحديث أحد بعد عيسى ابن مريم
وهى رواية عن غير ابن اسحق فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية انتهى وأقره مغلطاى والبرهان
وتعقبه العز بن جماعة بانه مجرد استبعاد لا دلالة فيه على امتناع ولا استحالة وبأنه استبعاد يعارضه
ظاهر الخبر وكون متعلقات الانبياء مظنة لخرق العادة فلا يكون ذلك حينئذ من طول البقاء وصرف
غير الانبياء عن النزول تحتها بعيدا وذلك واضح انتهى وأبعد ما ذكره أبو سعد فى الشرف ان الراهب
دنا اليه صلى الله عليه وسلم وقبل رأسه وقدميه وقال آمنت بك وأنا أشهد انك الذى ذكر الله فى
التوراة فلما رأى الخاتم قبله وقال أشهد انك رسول الله النبى الامى الذى بشر بك عيسى فانه

أو الى طلوع الفجر وقد
ورد فيه هذا وهذا وأيضا
فانها لما نقصت عدد
ركعاتها جعل تطويلها
عوضا عما نقصته من
العدد وأيضا فانها تكون
عقيب النوم والناس
مستريحون وأيضا فانهم
لم يأخذوا بعد فى استقبال
المعاش وأسباب الدنيا
وأيضا فانها تكون فى
وقت تواطأ فيه السمع
واللسان والقلب لفراغه
وعدم تمكن الاشتغال
فيه فيفهم القرآن ويتدبره
وأيضا فانها أساس العمل
وأوله فاعطيت فضلا
من الاهتمام بها
وتطويلها * وهذه أسرار
انما يعرفها من له التفات
الى أسرار الشريعة
ومقاصدها وحكمها
والله المستعان

* (فصل) * وكان صلى
الله عليه وسلم اذا فرغ
من القراءة سكت بقدر
ما يترادّ اليه نفسه ثم رفع
يديه كما تقدم وكبر راكعا
ووضع كفيه على ركبتيه
كالقابض عليهما ووتر
يديه فنحاهما عن
جنبيه وبسط ظهره
ومده واعتدل ولم ينصب
رأسه ولم يخفضه بل
يجعله حيال ظهره معادلا
له وكان يقول سبحان
ربى العظيم وتارة يقول
مع ذلك أو مقتصرا عليه

قال

قال لاينزل بعدي تحت هذه الشجرة الا النبي الامي الهاشمي العربي المكي صاحب الحوض والشفاعة ولواء الحمد وعند الواقدي وابن السكن ثم قال له في عينيه حمرة قال ميسرة نعم لا تفارقه أبدا قال الراهب هو هو وهو آخر الانبياء ويا ليت اني أدركه حين يؤمر بالخروج فوعى ذلك ميسرة ثم حضر صلى الله عليه وسلم سوق بصرى فباع سلعته التي خرج بها واشترى وكان بينه وبين رجل اختلاف في سلعة فقال الرجل أحلف باللات والعزى فقال ما حلفت بهما قط فقال الرجل القول قولك ثم قال لميسرة وخلا به هذا نبي والذي نفسي بيده انه لهو الذي تجده أحبارنا منعوتا في كتبهم فوعى ذلك ميسرة ثم انصرف أهل العير جميعا (وكان ميسرة يرى في الهاجرة ملكين يظلانه في الشمس) فيه جواز رؤية الملائكة وبه وبرؤية الجن صرح في الحديث الصحيح وأما قوله انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الغالب ولو كانت رؤيتهم محالة لما قال صلى الله عليه وسلم في الشيطان لقد هممت ان أربطه حتى تصبحوا تنظروا اليه كلكم (ولما رجعوا الى مكة في ساعة الظهيرة وخديجة في علية) بكسر العين والضم لغة كما في المصباح وسوى بينهما في النور أي غرفة والجمع العلالي بالتشديد والتخفيف (لها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بعير وملكان يظلان عليه رواه أبو نعيم) زاد غيره فأرته نساءها فعجبن لذلك ودخل عليها صلى الله عليه وسلم فأخبرها بما ربحوا فسرت فلما دخل عليها ميسرة أخبرته بما رأت فقال قد رأيت هذا منذ خرجنا من الشام وأخبرها بقول نسطورا وقول الآخر الذي خالفه في البيع وقدم صلى الله عليه وسلم بتجارتها فربحت ضعف ما كانت تربح وأضعفت له ما كانت سمته له (وتزوج صلى الله عليه وسلم خديجة بعد ذلك) أي قدومه من الشام (بشهرين وخمسة وعشرين يوما) قاله ابن عبد البر وزاد ان ذلك عقب صفر سنة ست وعشرين (وقيل كان سنه) صلى الله عليه وسلم (احدى وعشرين سنة) قاله الزهري (وقيل ثلاثين) سنة حكاه ابن عبد البر عن أبي بكر بن عثمان وغيره وقال ابن جريج كان سبعا وثلاثين سنة وقال البرقي تسعا وعشرين قد راهق الثلاثين وقيل غير ذلك (وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة) لشدة عفافها وصيانتها وفي الروض كانت تسمى الطاهرة في الجاهلية والاسلام وفي سير التيمي كانت تسمى سيدة نساء قريش (وكانت تحت أبي هالة ابن زرارة التميمي) بميمين نسبة الى تميم كما صرح به اليعمري وغيره واختلف في اسم أبي هالة فقيل مالك حكاه الزبير والدارقطني وصدر به في الفتح وقيل زرارة حكاه ابن منده والسهيلي وقيل هند جزم به العسكري واقتصر عليه في العيون وصدر به في الروض وقيل اسمه النباش قطع به أبو عبيد وقدمه مغلطاي واقتصر عليه المصنف في الزوجات وهو بفتح النون فموحدة ثقيلة فشين معجمة وفي فتح الباري مات أبو هالة في الجاهلية (فولدت له هندا) الصحابي راوي حديث صفة النبي صلى الله عليه وسلم شهد بدرا وقيل أحدا روى عنه الحسن بن علي فقال حدثني خالي لانه أخو فاطمة لامها وكان فصيحا بليغا وصافا وكان يقول أنا أكرم الناس أبا وأما وأخا وأختا أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخي القاسم وأختي فاطمة وأمي خديجة رضي الله عنهم قتل مع علي يوم الجمل قاله الزبير بن بكار والدارقطني وقيل مات بالبصرة في الطاعون قال التجاني والصحيح ان الذي مات في الطاعون ولده واسمه هند كأبيه انتهى وهو المذكور في الروض عن الدولابي وفي فتح الباري لهند هذا ولد اسمه هند ذكره الدولابي وغيره فعلى قول العسكري ان اسم أبي هالة هند فهو ممن اشترك مع أبيه وجده في الاسم انتهى (وهالة) التميمي قال أبو عمر له صحبة وأخرج المستغفري عن عائشة قدم ابن لخديجة يقال له هالة والنبي صلى الله عليه وسلم قائل فسمعه فقال هالة هالة وأخرج الطبراني عن هالة بن أبي هالة انه دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو راقد فاستيقظ فضم هالة الى صدره وقال هالة هالة هالة (وهما ذكران) خلافا لمن وهم

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وكان ركوعه المعتاد مقدار عشر تسبيحات وسجوده كذلك وأما حديث البراء بن عازب رضي الله عنه رمقت الصلاة خلف النبي صلى الله عليه وسلم فكان قيامه فركوعه فاعتداله فسجدته فجلسته ما بين السجدتين قريبا من السواء فهذا قد فهم منه بعضهم أنه كان يركع بقدر قيامه ويسجد بقدره ويعتدل كذلك وفي هذا الفهم شيء لانه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في الصبح بالمائة آية أو نحوها وقد تقدم أنه قرأ في المغرب بالاعراف والطور والمرسلات ومعلوم أن ركوعه وسجوده لم يكن قدر هذه القراءة ويدل عليه حديث أنس الذي رواه أهل السنن أنه قال ما صليت وراء أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم الا هذا الفتى يعني عمر بن عبد العزيز قال فحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات هذا مع قول أنس أنه كان يؤمهم بالصافات فمراد البراء والله أعلم أن صلاته صلى الله عليه وسلم كانت

فزعم أن هالة أنثى (ثم) بعد أن هلك عنها أبو هالة (تزوجها عتيق بن عابد) بالموحدة والدال المهملة كما في الاكمال وتبعه التبصير وقال اليعمري انه الصواب ووقع في جامع ابن الاثير أنه بتحتية وذال معجمة وهو مردود فانه عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وقد صرح علامة النساب الزبير بن بكار بان من كان من ولد عمر بن مخزوم فهو عابد يعني بموحدة ودال مهملة ومن كان من ولد أخيه عمران بن مخزوم فعائذ يعني بتحتية وذال معجمة نقله الامير في اكماله والحافظ في تبصيره وأقراه (المخزومي) نسبة الى جده مخزوم المذكور (فولدت له هندا) أسلمت وصحبت ولم تروشيأ قاله الدارقطني فهو أنثى وبه صرح المصنف في الزوجات وغيره تبعا للزبير وروى الدولابي عن الزهري انها أم محمد بن صيفي المخزومي وهو ابن عمها قال ابن سعد ويقال لولد محمد بنو الطاهرة لمكان خديجة وفي النور عن بعضهم ولدت لعتيق عبد الله وقيل عبد مناف وهذا ثم ما ذكره المصنف من أن عتيقا بعد أبي هالة هو ما نسبه ابن عبد البر للاكثر وصححه ولذا جزم به هنا وصدر به في المقصد الثاني وقال قتادة وابن شهاب وابن اسحق في رواية يونس عنه تزوجها وهي بكر عتيق بن عابد ثم هلك عنها فتزوجها أبو هالة واقتصر عليه في العيون والفتح وحكى القولين في الاصابة (وكان لها حين تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم) مصدر مضاف لمفعوله أي حين تزويجه صلى الله عليه وسلم اياها منه وفي نسخة تزوجها باضافة المصدر لفاعله (من العمر أربعون سنة) رواه ابن سعد واقتصر عليه اليعمري وقدمه مغلطاي والبرهان قال في الغرر وهو الصحيح وقيل خمس وأربعون وقيل ثلاثون وقيل ثمانية وعشرون حكاها مغلطاي وغيره وأما قول المصنف هنا وفي المقصد الثاني أربعون (وبعض أخرى) فينظر ما قدر البعض (وكانت عرضت نفسها عليه) بلا واسطة فعند ابن اسحق فعرضت عليه نفسها فقالت يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك وسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك أو بواسطة كما رواه ابن سعد من طريق الواقدي عن نفيسة بنت منية قالت كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما أراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصا على نكاحها لو قدر على ذلك طلبوها وبذلوا لها الاموال فارسلتني دسيسا الى محمد صلى الله عليه وسلم بعد أن رجع في عيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنعك أن تتزوج فقال ما بيدي ما أتزوج به قلت فان كفيت ذلك ودعيت الى المال والجمال والشرف والكفاءة ألا تجيب قال فمن هي قلت خديجة قال وكيف لي بذلك فذهبت فاخبرتها فارسلت اليه أن ائت لساعة كذا (فذكر ذلك لاعمامه) والجمع ممكن بانها بعثت نفيسة أولا لتعلم هل يرضى فلما علمت ذلك كلمته بنفسها قال الشامي وسبب عرضها ما حدثها به غلامها ميسرة مع ما رأته من الآيات وما ذكره ابن اسحق في المبتدا قال كان لنساء قريش عيد يجتمعن فيه فاجتمعن يوما فيه فجاءهن يهودي فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فايتكن استطاعت أن تكون فراشاله فلتفعل فحصبنه وقبحنه وأغلظن له وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها فلما أخبرها ميسرة بما رآه من الآيات وما رأته هي قالت ان كان ما قال اليهودي حقا ما ذاك الا هذا انتهى وحصبنه رمينه بالحصباء وأغضت بغين وضاد معجمتين سكتت (فخرج معه منهم حمزة) كذا عند ابن اسحق ونقل السهيلي عن المبرد أن أبا طالب هو الذي نهض معه وهو الذي خطب خطبة النكاح قال في النور فلعلهما خرجا معه جميعا والذي خطب أبو طالب لانه أسن من حمزة (حتى دخل على) أبيها (خويلد) بضم الخاء مصغر (ابن أسد) بن عبد العزى بن قصي بن كلاب (فخطبها اليه) أي خطبها من خويلد له صلى الله عليه وسلم (فتزوجها عليه السلام) وظاهر سياقه هذا انه عليه السلام ذكر ذلك لاعمامه من غير طلبها حضور واحد بعينه وعند

معتدلة فكان اذا أطال القيام أطال الركوع والسجود واذا خفف القيام خفف الركوع والسجود وتارة يجعل الركوع والسجود بقدر القيام ولكن كان يفعل ذلك أحيانا في صلاة الليل وحدها وفعله أيضا قريبا من ذلك في صلاة الكسوف وهديه الغالب صلى الله عليه وسلم تعديل الصلاة وتناسبها وكان يقول أيضا في ركوعه سبوح قدوس رب الملائكة والروح وتارة يقول اللهم لك ركعت وبك آمنت ولك أسلمت خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وهذا انما حفظ عنه في قيام الليل ثم كان يرفع رأسه بعد ذلك قائلا سمع الله لمن حمده ويرفع يديه كما تقدم وروى رفع اليدين عنه في هذه المواطن الثلاثة نحو من ثلاثين نفسا واتفق على روايتها العشرة ولم يثبت عنه خلاف ذلك البتة بل كان ذلك هديه دائما الى أن فارق الدنيا ولم يصح عنه حديث البراء ثم لا يعود بل هي من زيادة يزيد فليس ترك ابن مسعود الرفع مما يقدم على هديه المعلوم فقد ترك من فعل ابن مسعود

ابن سعد في الشرف أنها قالت له اذهب الى عمك فقل له عجل الينا بالغداة فلما جاء قالت يا أبا طالب ادخل على عمي فقل له يزوجني من ابن أخيك فقال هذا صنع الله فذكر الحديث ولا منافاة أصلا فذكره عرضها لاعمامه لا ينافي كونها عينته واحدا منهم وفي الروض ذكر الزهري في سيرته وهي أول سيرة ألفت في الاسلام انه صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة هلم فلنتحدث عند خديجة وكانت تكرمهما وتتحفهما فلما قاما من عندها جاءت امرأة فقالت له جئت خاطبا يا محمد قال كلا فقالت ولم فوالله ما في قريش امرأة وان كانت خديجة الا تراك كفؤا لها فرجع صلى الله عليه وسلم خاطبا لخديجة مستحيا منها وكان أبوها خويلد سكران من الخمر فلما كلم في ذلك أنكحها فألقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل انك أنكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه وأمضاه وقال راجز من أهل مكة في ذلك

لا تزهدي خديج في محمد * نجم يضيء كما أضاء الفرقد

وأصدقها عشرين بكرة من ماله صلى الله عليه وسلم زيادة على ما دفعه أبو طالب وبأتي له مزيد قريبا (وحضر أبو طالب) هذا هو الصواب المذكور في الروض وغيره وما في نسخ أبو بكر رضي الله عنه لا أصل له وقد صرح المصنف نفسه بالصواب في المقصد الثاني فقال وزاد ابن اسحق من طريق آخر وحضر أبو طالب (ورؤساء مضر فخطب أبو طالب) لا ينافيه قوله السابق فخرج معه منهم حمزة لما مر عن النور (فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم) خصه دون نوح لانه شرفهم وأسكنهم البيت الحرام أما نوح وآدم فيشاركهم فيه جميع الناس (وزرع اسمعيل) والد العرب الذين هم أشرف الناس لا زرع اسحق ولا مدين ولا غيرهما من ولد ابراهيم أي حرثه وعقبه والمراد ذريته غاير تفننا وكراهة لتوارد الالفاظ وأطلق عليها اسم الزرع لمشابهتها له في النضارة والبهجة أو لتسببه في تحصيلها بفعل الزرع من القاء الحب وفعل ما يحتاج لتحصيل الانبات (وضئضئ معد) بكسر الضادين المعجمتين وبهمزتين الاولى ساكنة ويقال ضيضئ بوزن قنديل وضؤضؤ بوزن هدهد وضؤضوء بوزن سرسور ويقال أيضا بصادين وسينين مهملتين وهو في الجميع الاصل والمعدن ذكره الشامي (وعنصر مضر) بضم العين المهملة وسكون النون وضم الصاد المهملة وقد تفتح الاصل أيضا وغاير تفننا والاضافة فيهما بيانية أي أصل هو معد ومضر وخصهما لشرفهما وشهرتهما أو لما ورد أنهما ماتا على ملة ابراهيم لكن وروده كان بعد ذلك بمدة فلعله كان مشهورا في الجاهلية قال شيخنا ويجوز أن المراد بالاصل الشرف والحسب والمعنى من أشراف معد ومضر (وجعلنا حضنة بيته) الكعبة (وسواس حرمه) مدبريه القائمين به (وجعل لنا بيتا محجوجا) أي مقصودا بالحج اليه (وحرما آمنا) لا يصيبنا فيه عدو كما قال تعالى أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شيء (وجعلنا الحكام على الناس) حكم معروف وطوع وانقياد لمكارم أخلاقهم وحسن معاملاتهم لا حكم ملك وقهر فلا ينافي قول صخر لقيصر ليس في آبائه من ملك (ثم ان ابن أخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به) زاد في رواية شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وعداه بالباء وفيما مر عداه صلى الله عليه وسلم بنفسه في قوله فوزنني بهم فرجحتهم فيفيد جواز الامرين (فان) وفي نسخة وان بالواو وهي أولى لان ما ذكر لا يتفرع على ما قبله (كان في المال) اللام عوض عن المضاف اليه أي ماله (قل) بضم القاف مشترك بين ضد الكثرة وهو الوصف والشيء القليل كما في القاموس (فان المال ظل زائل) تشبيه بليغ أي كالظل السريع الزوال (وأمر) أي شيء (حائل) لا بقاء له لتحوله من شخص لآخر ومن صفة الى أخرى فمآل زائل وحائل واحد زاد في رواية وعارية مسترجعة (ومحمد ممن) من الذين (قد عرفتم قرابته) أفراد

في الصلاة أشياء ليس معارضها مقاربا ولا مدانيا للرفع فقد ترك من فعله التطبيق والافتراش في السجود ووقوفه اماما بين الاثنين في وسطهما دون التقدم عليهما وصلاته الفرض في البيت بأصحابه بغير أذان ولا اقامة لاجل تأخير الامراء وأين الاحاديث في خلاف ذلك من الاحاديث التي في الرفع كثرة وصحة وصراحة وعملا وبالله التوفيق وكان دائما يقيم صلبه اذا رفع من الركوع وبين السجدتين ويقول لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل صلبه في الركوع والسجود ذكره ابن خزيمة في صحيحه وكان اذا استوى قائما قال ربنا ولك الحمد وربما قال ربنا لك الحمد وربما قال اللهم ربنا لك الحمد صح ذلك عنه وأما الجمع بين اللهم والواو فلم يصح وكان من هديه اطالة هذا الركن بقدر الركوع والسجود فصح عنه أنه كان يقول سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت

ضميره رعاية للفظ من وفي نسخ اسقاط من أي وبمحمد الذين قد عرفتم قرابته هاشم وعبد المطلب والآباء الكرام فالحسب أعظم من كثرة المال (وقد خطب خديجة بنت خويلد) أي جاءها خاطبا (وبذل) أعطى بسماحة (لها ما آجله وعاجله من مالي كذا) هو ما يأتي عن الدولابي ففي رواية ان أبا طالب قال وقد خطب اليكم راغبا كريمتكم خديجة وقد بذل لها من الصداق ما حكم عاجله وآجله اثنتا عشرة أوقية ذهبا ونشا وقال المحب الطبري في السمط الثمين في أزواج الامين أصدقها المصطفى عشرين بكرة ولا تضاد بين هذا وبين ما يقال أبو طالب أصدقها لجواز انه صلى الله عليه وسلم زاد في صداقها فكان الكل صداقا وذكر الدولابي وغيره انه صلى الله عليه وسلم أصدقها اثنتى عشرة أوقية من ذهب وفي المنتقى الصداق أربعمائة دينار فيكون ذلك أيضا زيادة على ما تقدم ذكره الخميس (وهو والله بعد هذا) الذي قلته فيه (له نبأ) خبر (عظيم) لا تعلمونه اشارة الى ما شاهده من بركته عليه في أكله مع عياله وما أخبر به بحيرا وغير ذلك (وخطر جليل) عظيم (جسيم فزوجها) بالبناء للمفعول وفي رواية فتزوجها صلى الله عليه وسلم وفي المنتقى فلما أتم أبو طالب الخطبة تكلم ورقة بن نوفل فقال الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن سادة العرب وقادتها وأنتم أهل ذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم وقد رغبنا في الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا علي يا معاشر قريش باني قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبد الله على أربعمائة دينار ثم سكت فقال أبو طالب قد أحببت أن يشركك عمها فقال عمها اشهدوا علي يا معاشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد وشهد على ذلك صناديد قريش (والضنضئ) بجميع وجوهه المتقدمة معناه (الاصل وحضنة بيته أي الكافلين له والقائمين بخدمته) أي هم المعروفون بذلك والاقالاولى الرفع لان حضنته مبتدأ فهو مرفوع وان قصد حكاية ما سبق (وسواس حرمه أي متولو أمره) من ساس الرعية (قال ابن اسحق وزوجها أبوها خويلد) للنبي صلى الله عليه وسلم أعاده للعزو وهذا جزم به ابن اسحق هنا وصدر به في آخر كتابه وقابله بقوله ويقال أخوها عمرو وفي الفتح زوجه اياها أبوها خويلد ذكره البيهقي من حديث الزهري باسناده عن عمار بن ياسر وقيل عمها عمرو بن أسد ذكره الكلبي وقيل أخوها عمرو بن خويلد ذكره ابن اسحق انتهى وكأنه لم يعتبر قول الواقدي الثبت عندنا المحفوظ من أهل العلم أن أباها مات قبل حرب الفجار وان عمها عمرا هو الذي زوجها لمزيد حفظ الثبت وهو الزهري خصوصا وقد رواه عن صحابي من السابقين لكن قال الشامي الذي ذكره أكثر علماء السير أن الذي زوجها عمها قال السهيلي وهو الصحيح لما روى الطبري ان عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن خويلدا كان قد مات قبل حرب الفجار ورجحه الواقدي وغلط من قال بخلافه وحكى عليه المؤملي الاتفاق (وقد ذكر) الحافظ أبو بشر بموحدة مكسورة فشين معجمة محمد بن أحمد الانصاري (والدولابي) قال في اللب كأصله بفتح الدال المهملة والناس يضمونها نسبة الى عمل الدولاب شبه الناعورة لكن في النور والقاموس ان القرية دولاب بالضم والذي كالناعورة بالضم وقد يفتح وقدم ذلك مع بعض ترجمته (وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم أصدق خديجة) من مال أبي طالب على ما مر فنسب اليه لوقوع النكاح له (اثنتى عشرة أوقية ذهبا ونشا) وظاهر كلام الطبري حمله على ظاهره وأن الذي من أبي طالب غيره (قالوا وكل أوقية أربعون درهما) قال المحب الطبري فتكون جملة الصداق خمسمائة درهم شرعي انتهى أي ذهبا ولا ينافيه تعبيره بدرهم لانه بيان للوزن فلا يستلزم كونه فضة فأراد الشرعي وزنا وهو خمسون وخمسا حبة من مطلق الشعير أي لا طبري ولا بغلي ثم هذا لا ينافي أن صداق الزوجات لم يزد على خمسمائة درهم فضة

ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وصح عنه أنه كان يقول فيه اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبرد ونقني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الدنس وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب وصح عنه أنه كرر فيه قوله لربي الحمد لربي الحمد حتى كان بقدر الركوع وصح عنه أنه كان اذا رفع رأسه من الركوع يمكث حتى يقول القائل قد نسي من اطالته لهذا الركن وذكر مسلم عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده قام حتى نقول قد أوهم ثم يسجد ثم يقعد بين السجدتين حتى نقول قد أوهم وصح عنه في صلاة الكسوف أنه أطال هذا الركن بعد الركوع حتى كان قريبا من ركوعه وكان ركوعه قريبا من قيامه * فهذا هديه المعلوم الذي لا معارض له بوجه وأما حديث البراء بن عازب كان ركوع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجوده وبين السجدتين واذا رفع رأسه من الركوع ما خلا القيام

تحمله على ما بعد البعثة أو على ما إذا كان منه عليه السلام أما هذا فشاركه فيه أبو طالب (والنش) بفتح النون وبالشين المعجمة (نصف أوقية) لأن النش لغة نصف كل شيء روى مسلم عن عائشة كان صداقه صلى الله عليه وسلم لأزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشا أتدري ما النش قلت لا قالت نصف أوقية فذلك خمسمائة درهم وهذا أولى من قول ابن اسحق صداقه لأكثر زوجاته أربعمائة درهم لأن فيه زيادة ومن ذكر الزيادة معه زيادة علم ولصحته (تتميم) ذكر الملا في سيرته أنه صلى الله عليه وسلم لما تزوجها ذهب ليخرج فقالت له الى أين يا محمد اذهب وانحر جزورا أو جزورين وأطعم الناس ففعل وهو أول وليمة أولمها صلى الله عليه وسلم وفي المنتقى فأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن الدفوف وقالت مر عمك يتحر بكرا من بكرانك وأطعم الناس وهلم فقل مع أهلك فأطعم الناس ودخل صلى الله عليه وسلم فقال معها فقر الله عينه وفرح أبو طالب فرحا شديدا وقال الحمد لله الذي أذهب عنا الكرب ودفع عنا الهموم وسيأتي شيء من فضائلها ان شاء الله في المقصد الثاني وقبله في المبعث

(بنيان قريش الكعبة)

(ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة) فيما جزم به ابن اسحق وغير واحد من العلماء وقيل خمسا وعشرين سنة رواه ابن عبد البر عن محمد بن جبير وعبد الرزاق عن ابن جريج عن مجاهد وجزم به موسى بن عقبة في مغازيه ويعقوب بن سفيان في تاريخه قال الحافظ والاول أشهر ويمكن الجمع بأن الحريق تقدم وقته على الشروع في البناء وحكى الازرقي انه كان غلاما قال الحافظ ولعل عمدته ما رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال لما بلغ صلى الله عليه وسلم الحلم أجمرت الكعبة امرأة فطارت شرارة من مجمرها في ثياب الكعبة فاحترقت فذكر القصة وقيل ابن خمس عشرة سنة حكى الاخير المصنف ولعله غلط قائله وأما قول الشامي ما حاصله وسن المصطفى خمس وثلاثون وقيل قبل المبعث بخمس عشرة سنة وقيل ابن خمس وعشرين وغلط قائله فعجيب فان الثالث هو عين الثاني وليس بغلط بل هو قوي ولذا احتاج الحافظ للجمع بينه وبين الاول كما ترى وممن ذكر جمعه الشامي وأما ما رواه ابن راهويه عن علي أنه صلى الله عليه وسلم كان حينئذ شابا فهو يأتي على جميع الاقوال (خافت قريش أن تنهدم الكعبة من السيول) فيما حكاه في العيون والفتح عن موسى بن عقبة قال انما حمل قريشا على بنائها أن السيل أتى من فوق الردم الذي بأعلى مكة فأخربه فخافوا أن يدخلها الماء وقيل سبب ذلك احتراقها فروى يعقوب بن سفيان باسناد صحيح عن الزهري ان امرأة أجمرت الكعبة فطارت شرارة في ثيابها فأحرقتها وروى الفاكهي عن عبد الله بن عبيد بن عمير قال كانت الكعبة فوق القامة فأرادت قريش رفعها وتسقيفها وروى ابن راهويه عن علي في حديث فمر عليه الدهر فبنته قريش حكاه في الفتح وقيل أن السيل دخلها وصدع جدرانها بعد توهينها وقيل ان الا نفرا سرقوا حلي الكعبة وغزالين من ذهب وقيل غزالا واحدا مرصعا بدر وجوهر وكان في بئر في جوف الكعبة فأرادوا أن يشيدوا بنيانها ويرفعوه حتى لا يدخلها الا من شاؤا وجمع بأنه لا مانع أن سبب بنائهم ذلك كله وقال شيخنا يجوز أن خشية هدم السيل حصل من الحريق حتى أوهن بناءها ووجدت السرقة بعد ذلك أيضا (فأمروا باقوم) بموحدة فألف فقاف مضمومة فواو ساكنة فميم) ويقال باقول باللام الصحابي كما في الاصابة (القبطي) بالقاف نسبة الى القبط نصارى مصر (مولى سعيد بن العاصي) بن أمية وفي الاصابة روى ابن عيينة في جامعه عن عمرو بن دينار عن عبيدة ابن عمير قال اسم الرجل الذي بنى الكعبة لقريش باقوم وكان روميا وكان في سفينة حبسها الريح فخرجت اليها قريش وأخذوا خشبها وقالوا له ابنها على بناء الكنائس رجاله ثقات مع ارساله انتهى فيحتمل انهما اشتركا جميعا في بنائها أو أحدهما بنى

والقعود قريبا من السواء رواه البخاري فقد تشدث به من ظن تقصير هذين الركنين ولا متعلق له فان الحديث مصرح فيه بالتسوية بين هذين الركنين وبين سائر الاركان فلو كان القيام والقعود المستثنيين هو القيام بعد الركوع والقعود بين السجدتين لناقض الحديث الواحد بعضه بعضا فتعين قطعا أن يكون المراد بالقيام والقعود قيام القراءة وقعود التشهد وهذا كان هديه صلى الله عليه وسلم فيهما اطالتهما على سائر الاركان كما تقدم بيانه وهذا بحمد الله واضح وهو مما خفي من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته على من شاء الله أن يخفى عليه * قال شيخنا وتقصير هذين الركنين مما تصرف فيه امراء بني أمية في الصلاة وأحدثوا فيها كما أحدثوا فيها ترك اتمام التكبير وكما أحدثوا التأخير الشديد وكما أحدثوا غير غير ذلك مما يخالف هديه عليه السلام وربي في ذلك من ربي حتى ظن أنه من السنة

(فصل) ثم كان يكبر ويخر ساجدا ولا يرفع

والا خو سقف وانهما واحد وهو رومي في الاصل ونسب الى القبط حلفا ونحوه وهذا هو الظاهر من
كلام الاصابة فانه بعدما جزم بأنه مولى بني أمية وذكر الرواية التى صرحت بأنه مولى سعيد منهم ذكر
رواية بنائه الكعبة وعمله المنبر وقال في آخره يحتمل انه الذي عمل المنبر بعد ذلك ولم يقع عنده أنه
قبطي وهو يؤدي ما في بعض نسخ المصنف النبطي بفتح النون والموحدة قال في الفتح هذه النسبة الى
استنباط الماء واستخراجه والى نبيط بن هانب بن أميم بن لاود بن سام بن نوح انتهى فيحتمل انه كان
يستخرج الماء فنسب اليه وان كان روميا ويؤيده قول بعضهم وكان نجارا بناء فان من جملة حرف
البناء معرفة استخراج الماء من المواضع بأن يقول الماء يوجد هنا أقرب من هنا فليست بتحريف
(وصانع المنبر الشريف) النبوي المدني في أحد الاقوال كما يجيء ان شاء الله تعالى وأخرج أبو نعيم بسند
ضعيف عن صالح مولى التوأمة حدثني باقوم مولى سعيد بن العاص قال صنعت لرسول الله صلى الله
عليه وسلم منبرا من طرفاء الغابة ثلاث درجات المقعد ودرجتين (بأن بني الكعبة المعظمة) وذلك أنه
كان بسفينة ألقاها الريح بجدة فتحطمت فخرج الوليد بن المغيرة في نفر من قريش اليها فابتاعوا
خشبها وأعدوه لتسقيف الكعبة وكلموا باقوم الرومي في بنائها فقدم معهم قال ابن اسحق وكان بمكة
رجل قبطي نجار فهيأ لهم أنفسهم بعض ما يصلحها قال فهاب الناس هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن
المغيرة أنا أبدؤكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام وهو يقول اللهم لم ترع بفوقية مضمومة مفتوحة أي
لم تفزع الكعبة فأضمرها التقدم ذكرها وهذا أولى من اعادة السهيلي الضمير لله قائلا لا روع هنا
فينبغي لكن الكلمة تقتضي اظهار قصد البر فيجوز التكلم بها في الاسلام واستشهد بحديث
فاغفر فداك ما أبقينا قال وفي رواية لم نزغ أي بفتح النون وكسر الزاي وغين معجمة قال وهو جلي
لا يشكل أي لم نمل عن دينك ولا خرجنا عنه اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين الاسود
واليماني وتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان
لم يصبه شئ هدمنا فقد رضي الله ما صنعنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا الى عمله فهدم وهدم الناس معه
حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم أفضوا الى حجارة خضر كالاسنمة جمع سنام وهو
أعلى الظهر للبعير ومن رواه كالاسنة جمع سنان شبهها بالاسنة في الخضرة أخذ بعضها ببعض فادخل
رجل ممن كان يهدم عتلته بين حجرين منها ليقلع بها بعضها فلما تحرك الحجر تنغضت مكة بأسرها
وأبصر القوم برقة خرجت من تحت الحجر كادت تخطف بصر الرجل فانتهوا عن ذلك الاساس وبنوا
عليه وفي رواية لما شرعوا في نقض البناء خرجت عليهم الحية التى كانت في بطنها تحرسها سوداء البطن
فمنعتهم من ذلك فاعتزلوا عند مقام ابراهيم فتشاوروا فقال لهم الوليد ألستم تريدون بها الاصلاح قالوا
بلى قال فان الله لا يهلك المصلحين ولكن لا تدخلوا في بيت ربكم الا طيب أموالكم وتجنبوا الخبيث
فان الله طيب لا يقبل الا طيبا وعند موسى بن عقبة انه قال لا تجعلوا فيها مالا أخذ غصبا ولا قطعت فيه
رحم ولا انتهكت فيه حرمة وعند ابن اسحق أن الذي أشار عليهم بذلك هو أبو وهب بن عمرو بن عامر
ابن عمران بن مخزوم ففعلوا ودعوا وقالوا اللهم ان كان لك في هدمها رضا فأتمه وأشغل عنا هذا
الثعبان فأقبل طائر من جو السماء كهيئة العقاب ظهره أسود وبطنه أبيض ورجلاه صفراوان
والحية على جدار البيت فأخذها ثم طار بها فقالت قريش انا لنرجو أن الله قبل عملكم ونفقتكم
وفي التمهيد عن عمرو بن دينار لما أرادت قريش بناء الكعبة خرجت منها حية فحالت بينهم وبينها
فجاء عقاب أبيض فأخذها ورمى بها نحو أجياد انتهى وعن ابن عباس انها الدابة التى تخرج في
آخر الزمان تكلم الناس اختطفها العقاب فألقاها الحجون فابتلعتها الارض وقيل الخارجة

فصيل

يديه وقد روى عنه أنه
كان يرفعهما أيضا
وصححه بعض الحفاظ
كأبي محمد بن حزم رحمه الله
وهو وهم فلا يصح ذلك
عنه ألبتة والذي غره أن
الراوي غلط من قوله
كان يكبر في كل خفض
ورفع الى قوله كان يرفع
يديه عند كل خفض
ورفع وهو ثقة ولم يفطن
لسبب غلط الراوي
ووهمه فصححه والله
أعلم وكان صلى الله عليه
وسلم يضع ركبتيه قبل
يديه ثم يديه بعدهما ثم
جبهته وأنفه هذا هو
الصحيح الذي رواه شريك
عن عاصم بن كليب عن
أبيه عن وائل بن حجر
رأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سجد
وضع ركبتيه قبل يديه
واذا نهض رفع يديه قبل
ركبتيه ولم يرو في فعله
ما يخالف ذلك * وأما
حديث أبي هريرة يرفعه
اذا سجد أحدكم فلا يبرك
كما يبرك البعير وليضع
يديه قبل ركبتيه
فالحديث والله أعلم قد
وقع فيه وهم من بعض
الرواة فان أوله يخالف
آخره فانه اذا وضع يديه
قبل ركبتيه فقد برك كما
يبرك البعير فان البعير
انما يضع يديه أولا ولما
علم أصحاب هذا القول

فصيل ناقة صالح وهما غريبان وروى ابن راهويه في حديث عن علي فلما أرادوا أن يضعوا الحجر الاسود اختصموا فيه فقالوا نحكم بيننا أول من يخرج من هذه السكة فكان صلى الله عليه وسلم أول من خرج فحكم بينهم أن يجعلوه في ثوب ثم يرفعه من كل قبيلة رجل وذكر الطيالسي أنهم قالوا نحكم أول من يدخل من باب بني شيبة فكان صلى الله عليه وسلم أول من دخل منه فأخبروه فأمر بثوب فوضع الحجر في وسطه وأمر كل فخذ أن يأخذوا بطائفة من الثوب فرفعوه ثم أخذه فوضعه بيده وذكر الفاكهي وابن اسحق ان الذي أشار عليهم أن يحكموا أول داخل أبو أمية المخزومي أخو الوليد وعند موسى بن عقبة أن المشير أخوه الوليد قال السهيلي وذكر أن ابليس كان معهم في صورة شيخ نجدي فصاح بأعلى صوته يا معشر قريش أقد رضيتم أن يضع هذا الركن وهو شرف كم غلام يتيم دون ذوي أسنانكم فكاد يثير شرا بينهم ثم سكتوا وحكى في الروض أنها كانت تسعة أذرع من عهد اسماعيل يعني طولا ولم يكن لها سقف فلما بنتها قريش زادوا فيها تسعة أذرع ورفعوا بابها على الارض فكان لا يصعد اليها الا في درج أو سلم وقال الازرقي كان طولها سبعة وعشرين ذراعا فاقتصرت قريش منها على ثمانية عشر ونقصوا من عرضها أذرعا أدخلوها في الحجر (وحضر صلى الله عليه وسلم) بناءها (وكان ينقل معهم الحجارة) من أجياد (وكانوا يضعون أزرهم) جمع أزار يذكر ويؤنث (على عواتقهم ويحملون الحجارة ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم) بأمر العباس فروى الشيخان عن جابر قال لما بنيت الكعبة ذهب النبي صلى الله عليه وسلم والعباس ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل ازارك على رقبتك يقيك من الحجارة ففعل فخر الى الارض وطمحت عيناه الى السماء ثم أفاق فقال ازاري ازاري فشد عليه ازاره فما رؤي بعد ذلك عريانا (فلبط به بالموحدة كعني) فهو من الافعال التي جاءت بصيغة المبني للمفعول وهي بمعنى المبني للفاعل (أي سقط من قيامه كما في القاموس ونودي) يا محمد غط (عورتك) روى عبد الرزاق والطبراني والحاكم عن أبي الطفيل قال كانت الكعبة في الجاهلية مبنية بالرضم ليس فيها مدر وكانت ذات ركنين فاقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانوا قريبا من جدة انكسرت فخرجت قريش ليأخذوا خشبها فوجدوا الرومي الذي فيها نجارا فقدموا به وبالخشب ليبنوا به البيت فكانوا كلما أرادوا القرب لهدمه بدت لهم حية فاتحة فاها فبعث الله طيرا أعظم من النسر فغرز مخاليبه فيها فألقاها نحو أجياد فهدمت قريش الكعبة وبنوها بحجارة الوادي فرفعوها في السماء عشرين ذراعا فبينما النبي صلى الله عليه وسلم يحمل الحجارة من أجياد وعليه نمرة فضاقت عليه النمرة فذهب يضعها على عاتقه فبدت عورته من صغرها فنودي يا محمد خمر عورتك فلم ير عريانا بعد ذلك ففي قول السراج بن الملقن في شرح البخاري لعل جزء الانكشاف جسده وليس في الحديث يعني حديث جابر المتقدم أنه انكشف شئ من عورته تقصير لانه وان لم يكن فيه فقد ورد في غيره وخير ما فسرته بالوارد نعم ليس المراد العورة المغلظة (فكان ذلك أول ما نودي) زاد في رواية أبي الطفيل فما رؤيت له عورة قبل ولا بعد وذكر ابن اسحق في المبعث وكان صلى الله عليه وسلم يحدث عما كان الله يحفظه في صغره أنه قال لقد رأيتني في غلمان من قريش ننقل الحجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لاقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمني لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك ازارك فشددته علي ثم جعلت أحمل وازاري علي من بين أصحابي قال السهيلي انما وردت هذه القصة في بنيان الكعبة فان صح ان ذلك كان في صغره فهي قصة أخرى مرة في الصغر ومرة بعد ذلك قلت قد يطلق على الكبير غلام اذا فعل فعل الغلمان فلا يستحيل اتحاد القصة اعتمادا على التصريح بالاولية في حديث أبي الطفيل كذا في فتح الباري وجمع في كتاب الصلاة بحمل ما عند ابن

ذلك قالوا ركبتا البعير في يديه لا في رجليه فهو اذا برك وضع ركبتيه أولا فهذا هو المنهي عنه وهو فاسد لوجوه * أحدها أن البعير اذا برك فانه يضع يديه أولا وتبقى رجلاه قائمتين فاذا نهض فانه ينهض برجليه أولا وتبقى يداه على الارض وهذا هو الذي نهى عنه صلى الله عليه وسلم وفعل خلافه وكان أول ما يقع منه على الارض الاقرب منها فالاقرب وأول ما يرتفع عن الارض منها الاعلى فالاعلى وكان يضع ركبتيه أولا ثم يديه ثم جبهته واذا رفع رفع رأسه أولا ثم يديه ثم ركبتيه وهذا عكس فعل البعير وهو صلى الله عليه وسلم نهى في الصلوات عن التشبه بالحيوانات فنهى عن بروك كبروك البعير والتفات كالتفات الثعلب وافتراش كافتراش السبع واقعاء كاقعاء الكلب ونقر كنقر الغراب ورفع الايدي وقت السلام كاذناب الخيل الشمس فهدي المصلي مخالف لهدي الحيوانات * الثاني أن قولهم ركبتا البعير في يديه كلام لا يعقل ولا يعرفه أهل اللغة وانما الركبة في الرجلين وان أطلق على اللتين في يديه

اسحق على غير الضرورة العادية وما في حديث جابر على الضرورة العادية والنفي فيهما على الاطلاق أو بتقييد بالضرورة الشرعية كحالة النوم مع الاهل أحيانا انتهى (فقال له أبو طالب أو العباس) شك من الراوى (يا ابن أخي اجعل ازارك على رأسك) وكأنه توهم ان سقوطه من جعله على رقبته لا من كشف عورته ولا يشكل أنه نودي عورتك لجواز أنه لم يسمع النداء وانما سمعه المصطفى (فقال ما) نافية (أصابني ما) الذى (أصابني) من السقوط (الا من التعرى) * (خاتمة) * اختلف في أول من بنى الكعبة فذكر المحب الطبرى في منسكه قولا ان الله وضعه أولا لا ببناء أحد وروى الازرقى عن على بن الحسين ان الملائكة بنته قبل آدم وروى عبد الرزاق عن عطاء قال أول من بنى البيت آدم وعن وهب بن منبه أول من بناه شيث بن آدم وفي الكشاف أول من بناه ابراهيم وجزم به ابن كثير زاعما انه أول من بناه مطلقا اذ لم يثبت عن معصوم انه كان مبنيا قبله قلت ولم يثبت عن معصوم انه أول من بناه وقد روى البيهقى في الدلائل عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قصة بناء آدم لها ورواه الازرقى وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن عباس موقوفا وحكمه الرفع اذ لا يقال رأيا وأخرج الشافعي عن محمد بن كعب القرظى قال حج آدم فلقيته الملائكة فقالوا بر نسكك يا آدم وقد روى ابن أبي حاتم من حديث ابن عمر أن البيت رفع في الطوفان فكان الانبياء بعد ذلك يحجونه ولا يعلمون مكانه حتى بوأه الله لابراهيم فبناه على أساس آدم وجعل طوله في السماء سبعة أذرع بذراعهم وذرعه في الارض ثلاثين ذراعا بذرعهم وأدخل الحجر في البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا عند بابه يلقى فيها ما يهدى للبيت فهذه الاخبار وان كانت مفرداتها ضعيفة لكن يقوى بعضها بعضا ثم العمالقة ثم جرهم رواه ابن أبي شيبة وابن راهويه وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقى في الدلائل عن على أن بناء ابراهيم لبث ما شاء الله أن يلبث ثم انهدم فبنته العمالقة ثم انهدم فبنته جرهم ثم قصى بن كلاب نقله الزبير بن بكار وجزم به الماوردى ثم قريش فجعلوا ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا وفي رواية عشرين ولعل راويها جبر الكسر ونقصوا من طولها ومن عرضها أذرعا أدخلوها في الحجر لضيق النفقة بهم ثم لما حوصر ابن الزبير من جهة يزيد تضعضعت من الرمى بالمنجنيق فهدمها في خلافته وبناها على قواعد ابراهيم فأعاد طولها على ما هو عليه الآن وأدخل من الحجر الاذرع المذكورة وجعل لها بابا آخر فلما قتل ابن الزبير شاور الحجاج عبد الملك في نقض ما فعله ابن الزبير فكتب اليه أما ما زاده في طولها فأقره وأما ما زاده في الحجر فرده الى بنائه وسد بابه الذى فتحه ففعل ذلك كما في مسلم عن عطاء وذكر الفاكهى أن عبد الملك ندم على اذنه للحجاج في هدمها ولعن الحجاج وفي مسلم نحوه من وجه آخر واستمر بناء الحجاج الى الآن وقد أراد الرشيد أو أبوه أو جده أن يعيده على ما فعله ابن الزبير فناشده مالك وقال أخشى أن يصير ملعبة للملوك فتركه ولم يتفق لاحد من الخلفاء ولا غيرهم تغيير شئ مما صنعه الحجاج الى الآن الا في الميزاب والباب وعتبته وكذا وقع الترميم في الجدار والسقف وسلم السطح غير مرة وجدد فيها الرخام قال ابن جريج أول من فرشها بالرخام الوليد بن عبد الملك فالمتحصل من الآثار كما أفاده الفتح والارشاد والسبل وشفاء الغرام انها بنيت عشر مرات وقد علمتها وذكر بعضهم أن عبد المطلب بناها بعد قصى وقبل بناء قريش قال الفاسي ولم أر ذلك لغيره وأخشى أن يكون وهما قال واستمر بناء الحجاج الى يومنا هذا وسيبقى على ذلك الى أن تخربها الحبشة وتقلعها حجرا حجرا كما في الحديث وقد قال العلماء ان هذا البنيان لا يغير انتهى والله أعلم

* (بسم الله الرحمن الرحيم باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم) *

(ولما بلغ صلى الله عليه وسلم أربعين سنة) قاله جمهور العلماء السهيلي هو الصحيح عند أهل السير والعلم

أشم الركبة فعلى سبيل التغليب * الثالث أنه لو كان كما قالوه لقال فليبرك كما يبرك البعير وان أول ما يمس الارض من البعير يداه وسر المسئلة أن من تأمل بروك البعير وعلم أنه نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بروك كبروك البعير علم أن حديث وائل بن حجر هو الصواب والله أعلم وكان يقع لي أن حديث أبي هريرة كما ذكرنا مما انقلب على بعض الرواة متنه وأصله ولعله وليضع ركبتيه قبل يديه كما انقلب على بعضهم حديث ابن عمر ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم فقال ابن أم مكتوم يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال وكما انقلب على بعضهم حديث لا يزال يلقى في النار فتقول هل من مزيد الى ان قال * وأما الجنة فينشئ الله لها خلقا يسكنهم اياها فقال وأما النار فينشئ الله لها خلقا يسكنهم اياها حتى رأيت أبا بكر بن أبي شيبة قد رواه كذلك فقال ابن أبي شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الله بن سعيد عن جده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله

والعلم بالاثر النووى هو الصواب وهو المروى فى الصحيحين عن ابن عباس وأنس وروى أيضا عن عطاء وابن المسيب وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم الصحابى (وقيل أربعين يوما وقيل وعشرة أيام وقيل وشهرين) حكاه فى الروض شرضا بلفظ روى وقيل ويوم واحد حكاه المنتقى وفى تاريخ يعقوب بن سفيان وغيره عن مكحول انه بعث بعد ثنتين وأربعين سنة وقال الواقدى وابن عاصم والدولابى وهو ابن ثلاث وأربعين وفى كتاب العتقى ابن خمس وأربعين قال مغلطاى وجمع بأن ذلك حين حمى الوحى وتتابع وقال البرهان هما شاذان والثانى أشد شذوذا وفى الفتح حديث ابن عباس فمكث بمكة ثلاث عشرة أصح مما عند أحمد من وجه آخر عنه أنزل على النبى صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وأربعين فمكث بمكة عشرا وأصح مما أخرجه مسلم من وجه آخر عنه انه أقام بمكة خمس عشرة سنة (يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من شهر رمضان) رواه ابن سعد واقتصر عليه المصنف فى ارشاده (وقيل لسبع) منه (وقيل لاربع وعشرين ليلة) من رمضان على ما فى حديث واثلة الآتى ثم كون البعث فيه هو قول الاكثر والمشهور عند الجمهور وقاله الحافظان ابنا كثير وحجر وصححه الحافظ العلائى قال فى الفتح فعلى الصحيح المشهور أن مولده فى ربيع الاول يكون حين أنزل عليه ابن أربعين سنة وستة أشهر وكلام ابن الكلبى يؤذن بأنه ولد فى رمضان وبه جزم الزبير بن بكار وهو شاذ انتهى (وقال ابن عبد البر) والمسعودى بعث (يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول سنة احدى وأربعين من) عام (الفيل) وبه صدر ابن القيم وعزاه للاكثرين ثم حكى انه كان فى رمضان عكس النقل الاول فعلى هذا يكون له أربعون سنة سواء قاله الفتح وجمع بين النقلين بما فى حديث عائشة أول ما بدئ به من الوحى الرؤيا الصالحة وحكى البيهقى ان مدتها ستة أشهر فيكون نبئ بالرؤيا فى ربيع الاول ثم أتاه جبريل فى رمضان وحمل عليه بعضهم الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة لان مدة الوحى كانت ثلاثا وعشرين سنة فيها ستة أشهر منام وذلك جزء من ستة وأربعين وأما الجمع بان نزول اقرأ فى رمضان وأول المدثر فى ربيع فاعترض بأن نزول المدثر بعد ثلاث سنين (وقيل فى أول ربيع بعثه الله رحمة للعالمين) أوحى اليه وأمره بتبليغ ما أوحاه فنزل ذلك منزلة الارسال فعبر عنه بالبعث مجازا والا فحقيقة ارسال شخص من مكان لآخر يتعدى اليه الفعل بنفسه ان وصل بنفسه كما هنا والا فبالباء كبعثت بالكتاب عند أكثر اللغويين وبه قطع المصباح (ورسولا الى كافة الثقلين) الانس والجن (أجمعين) وكانه اقتصر عليهم الان آثار الارسال انما يتعلق بهما والملائكة وان كان مرسلا اليهم فى الراجح غير مكلفين بشرعه وأشعر المصنف بتقارن الرسالة والنبوة قال شيخنا وهو الصحيح كما قال بعض مشايخنا وقيل النبوة متقدمة على الرسالة وعليه ابن عبد البر وغيره واقتصر عليه المصنف فيما يجىء (ويشهد لبعثه يوم الاثنين ما رواه مسلم) مختصرا من طريق مهدى بن ميمون عن غيلان عن عبد الله بن معبد (عن أبى قتادة) الخزرجى السلمى الحرث بن ربعى بكسر الراء شهد المشاهد الا بدرا ففيها خلف (أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم) يوم (الاثنين فقال فيه ولدت وفيه أنزل على) ورواه مسلم قبل ذلك فى حديث طويل من طريق شعبة عن غيلان عن ابن معبد عن أبى قتادة بلفظ وسئل عن صوم يوم الاثنين فقال ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه أو قال أنزل على فيه فصدق كل من المصنف والشامى فى العزو لمسلم لانهما روايتان فيه (وقال ابن القيم فى الهدى) بفتح الهاء وسكون الدال (النبوى) يعنى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد لان تراجمه كلها يقول هديه عليه السلام فى كذا (واحتج القائلون بأنه كان فى رمضان) وان اختلفوا فى تعين أى يوم منه على ما مر وأما حديث واثلة وأنزل الله القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان على تسليم أن المراد على المصطفى فانما هو دليل للقائل به اذ المعنى احتج المتفقون على انه كان فى رمضان

عليه وسلم قال اذا سجد أحدكم فليبدأ بركبتيه قبل يديه ولا يبرك كبروك الفحل ورواه الاثرم فى سننه أيضا عن أبى بكر كذلك وقد روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يصدق ذلك ويوافق حديث وائل بن حجر قال ابن أبى داود حدثنا يوسف بن عدى حدثنا فضل عن عبد الله ابن سعيد عن جده عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا سجد بدأ بركبتيه قبل يديه وقد روى ابن خزيمة فى صحيحه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه قال كنا نضع اليدين قبل الركبتين فأمرنا بالركبتين قبل اليدين وعلى هذا فان كان حديث أبى هريرة محفوظا فانه منسوخ وهذه طريقة صاحب المغنى وغيره ولكن للحديث علتان (أحدهما) انه من رواية يحيى بن سلمة بن كهيل وليس ممن يحتج به قال النسائى متروك وقال ابن حبان منكر الحديث جدا لا يحتج به وقال ابن معين ليس بشئ (الثانية) ان المحفوظ من رواية مصعب بن سعد عن أبيه هذا انما هو قصة التطبيق وقول سعد كنا نضع هذا

(بقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) أى ابتدئ فيه انزاله (قالوا أول ما أكرمه الله تعالى بنبوته أنزل عليه القرآن) وهو انما أنزل فى رمضان فيكون ابتداء نزوله فيه (وقال آخرون انما أنزل القرآن جملة واحدة) من اللوح المحفوظ (فى ليلة القدر الى بيت العزة) فى سماء الدنيا كما جاء عن ابن عباس فلا دلالة فى الآية على أن ابتداء نزوله على المصطفى فى رمضان ولا أن ابتداء نبوته فيه لكن روى أحمد وابن جرير والطبرانى والبيهقى عن واثلة مرفوعا أنزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزل الانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وأنزل الزبور لثمان عشرة خلت من رمضان وأنزل الله القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان قال الحافظ فى الفتح هذا الحديث مطابق لقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ولقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر فيحتمل أن تكون ليلة القدر فى تلك السنة كانت تلك الليلة فأنزل فيها جملة الى سماء الدنيا ثم أنزل فى اليوم الرابع والعشرين أى صبيحتها الى الارض أول اقرأ باسم ربك انتهى قال فى الاتقان لكن يشكل على ذا الحديث ما عند ابن أبى شيبة عن أبى قلابة قال أنزلت الكتب كاملة ليلة أربع وعشرين من رمضان انتهى ولا اشكال فالمقطوع لا يعارض المرفوع (ثم نزل نجوما) قطعا متفرقة لان كل جزء منه يسمى نجما (بحسب الوقائع) خمس آيات وعشر أو أكثر وأقل وصح نزول عشر آيات فى قصة الافك جملة وصح نزول عشر آيات من أول المؤمنين جملة وصح نزول غير أولى الضرر وحدها وهى بعض آية وكذا وان خفتم عيلة الى آخر الآية نزل بعد نزول أول الآية وذلك بعض آية وأخرج ابن أبى شيبة عن عكرمة أنزل الله القرآن نجوما ثلاث آيات وأربع آيات وخمس آيات وما عند البيهقى عن عمر تعلموا القرآن خمس آيات خمس آيات فان جبريل كان ينزل بالقرآن على النبى صلى الله عليه وسلم خمسا خمسا ومن طريق ضعيف عن على أنزل القرآن خمسا خمسا الا سورة الانعام فمعناه ان صح القاؤه الى النبى هذا القدر حتى يحفظه ثم يلقى الباقى لا انزاله بهذا القدر خاصة ويوضح ذلك ما عند البيهقى عن أبى العالية كان صلى الله عليه وسلم يأخذ القرآن من جبريل خمسا خمسا قاله فى الاتقان (فى ثلاث وعشرين سنة) على قول الجمهور انه صلى الله عليه وسلم بعث لاربعين وعاش ثلاثا وستين ولا ينافيه أن الفترة التى لم ينزل فيها قرآن بعد نزول اقرأ ثلاث سنين لانه نزل قبلها أول اقرأ فصدق انه نزل ثلاث وعشرين لانه لم يقل كان ينزل عليه كل يوم ولا كل شهر وقيل نزل فى عشرين بناء على أنه عاش ستين أو على الغاء الفترة قال الاصفهانى اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله منزل واختلفوا فى معنى الانزال فقيل اظهار القراءة وقيل ألهم الله تعالى كلامه جبريل وهو فى السماء وهو عال من المكان وعلمه قراءته ثم جبريل أداه فى الارض وهو يهبط فى المكان وقال القطب الرازى المراد بانزال الكتب على الرسل أن يتلقفها الملك من الله تلقفا روحانيا أو يحفظها من اللوح المحفوظ وينزل بها فيلقيها عليهم وقال غيره فى المنزل على النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثة أقوال أحدها اللفظ والمعنى وأن جبريل حفظ القرآن من اللوح المحفوظ كل حرف منها بقدر جبل قاف وتحت كل حرف منها معان لا يحيط بها الا الله الثانى أن جبريل نزل بالمعانى خاصة وعلم صلى الله عليه وسلم تلك المعانى وعبر عنها بلغة العرب لظاهر قوله نزل به الروح الامين على قلبك الثالث ان جبريل ألقى عليه المعنى وعبر بهذه الالفاظ بلغة العرب وان أهل السماء يقرؤنه بالعربية ثم نزل به كذلك بعد ويؤيد الاول ما رواه الطبرانى عن النواس بن سمعان مرفوعا اذا تكلم الله بالوحى أخذت السماء رجفة شديدة من خوف الله فاذا سمع أهل السماء صعقوا وخروا سجدا فيكون أولهم يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد وينتهى به على الملائكة كلما مر بسماء سأله أهلها ماذا قال ربنا

فأمرنا أن نضع أيدينا على الركب * وأما قول صاحب المغنى عن أبى سعيد قال كنا نضع اليدين قبل الركبتين فأمرنا أن نضع الركبتين قبل اليدين فهذا والله أعلم وهم فى الاسم وانما هو عن سعد وهو أيضا وهم فى المتن كما تقدم وانما هو فى قصة التطبيق والله أعلم وأما حديث أبى هريرة المتقدم فقد علله البخارى والترمذى والدارقطنى قال البخارى محمد بن عبد الله بن حسن لا يتابع عليه وقال لا أدرى أسمع من أبى الزناد أم لا وقال الترمذى غريب لا نعرفه من حديث أبى الزناد الا من هذا الوجه وقال الدارقطنى تفرد به الدراوردى عن محمد بن عبد الله بن الحسن العلوى عن أبى الزناد وقد ذكر النسائى عن قتيبة حدثنا عبد الله بن نافع عن محمد بن عبد الله بن الحسن العلوى عن أبى الزناد عن الاعرج عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يعمد أحدكم فى صلاته فيبرك كما يبرك الجمل ولم يزد قال أبو بكر بن أبى داود وهذه سنة تفرد بها أهل المدينة ولهم فيها اسنادان هذا أحدهما والآخر

قال الحق فيه تهى بحيث أمر وقال البيهقي انا أنزلناه في ليلة القدر يريد والله أعلم انا أسمعنا الملك وأفهمناه اياه وأنزلناه بما سمع فيكون الملك منتقلا من علو الى سفل قال أبو شامة هذا المعنى مطرد في جميع ألفاظ الانزال المضافة الى القرآن أو الى شيء منه يحتاج اليه أهل السنة المعتقدون قدم القرآن وانه صفة قائمة بذاته تعالى وقال العلامة الخوبي بضم الخاء المعجمة كلام الله المنزل قسمان قسم قال الله لجبريل قل للنبي الذي أنت مرسل اليه ان الله يقول لك كذا وكذا وأمر بكذا وكذا ففهم جبريل ما قاله ربه ثم نزل على ذلك النبي وقال له ما قال ربه ولم تكن العبارة تلك العبارة كما يقول الملك لمن يثق به قل لفلان يقول لك الملك اجتهد في الخدمة واجمع جندك للقتال فان قال الرسول يقول لك الملك لا تتهاون في خدمتي ولا تترك الجند يتفرق وحثهم على المقاتلة لا ينسب الى كذب وتقصير في أداء الرسالة وقسم آخر قال الله لجبريل اقرأ على النبي هذا الكتاب فنزل بكلام الله من غير تغيير كما يكتب الملك كتابا ويسلمه الى أمين ويقول اقرأه على فلان فهو لا يغير منه كلمة ولا حرفا انتهى والقرآن هو القسم الثاني والاول هو السنة كما ورد أن جبريل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن وقد رأيت ما يعضد كلامه فروى ابن أبي حاتم عن الزهري أنه سئل عن الوحي فقال الوحي ما أوحى الله الى نبي من أنبيائه فيثبته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لاحد ولا يأمر بكتابته ولكنه يحدث به الناس حديثا ويبين لهم ان الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم اياه قاله في الاتقان ببعض اختصار وذكر في فتاويه عن شيخه الكافيجي أن التلقف الروحاني لا يكيف (وقيل كان ابتداء المبعث في رجب) حكى مغلطاي وغيره عن العتقي أنه بعث وهو ابن خمس وأربعين سنة لسبع وعشرين من رجب قال شيخنا فيحتمل أن هذا اليوم هو المراد لصاحب هذا القول وهو واضح ان ثبت انه يقول سنة خمس وأربعون سنة (وروى البخاري في) كتاب (التعبير) من صحيحه وفي التفسير وفي بدء الوحي والايمان لكنه اختاره في التعبير لان سياقه فيه أتم فذكر الحزن والتردي الى آخر الحديث انما هو فيه دون تلك المواضع ودون كتاب مسلم ولذا لم يعزه لهما أو اما جعل نكتة ذلك أنه كان بصدد ما وقع له يقظة والآن بصدده أوقع له قبل ذلك فناسب نقله من التعبير فبادرة لا تحصل لها والتعبير تفعيل من عبرت مشددا قال المصنف وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذي اعتمده الاثبات وأنكروا التشديد لكن أثبته الزمخشري اعتمادا على بيت أنشده المبرد في الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤياثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

وقال غيره يقال عبرت الرؤيا بالتخفيف اذا فسرتها وعبرتها بالتشديد للمبالغة انتهى وهو تفسير الرؤيا لانه يعبر من ظاهرها الى باطنها والعبر والعبور الدخول والتجاوز وقيل لانه ينظر فيها ويعتبر بعضها ببعض حتى تفهم فهو من الاعتبار وسيأتي بسط القول فيه ان شاء الله تعالى في مقصد الرؤيا بحول الله وقوته (من حديث عائشة) مرسلا لانها لم تدرك ذلك الوقت فاما سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم أو صحابي آخر عنه قال الحافظ تبعا للطيبي ويؤيد سماعها منه قولها في أثناء الحديث قال فأخذني فغطني (أول مابدئ) بضم الموحدة وكسر المهملة فهمزة (به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي) أي من أقسامه فمن للتبعيض وقول القزاز لبيان الجنس كأنها قالت من جنس الوحي وليست منه أي فهي مجاز لا فيه المشابهة للوحي في أنه لا دخل للشيطان فيها رده عياض بحديث انها جزء من النبوة (الرؤيا الصادقة) هكذا في التعبير والتفسير أي التي لا كذب فيها أو لا تحتاج لتعبير أو ما يقع بعينه أو ما يعبر في المنام أو يخبر به صادق وفي بدء الوحي ومسلم الصالحة قال المصنف وهما بمعنى بالنسبة الى الآخرة في حق الانبياء وأما بالنسبة الى أمور الدنيا فالصالحة في الاصل أخص فرؤيا الانبياء كلها صادقة وقد تكون

عبد الله عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم (قلت) أراد الحديث الذي رواه أصبغ بن الفرج عن الدراوردي عن عبيد الله عن نافع عن ابن عمر انه كان يضع يديه قبل ركبتيه ويقول كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك رواه الحاكم في المستدرك من طريق محمد بن سلمة عن الدراوردي وقال على شرط مسلم وقد رواه الحاكم من حديث حفص ابن غياث عن عاصم الاحول عن أنس قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم انحط بالتكبير حتى سبقت ركبتاه يديه قال الحاكم على شرطهما ولا أعلم له علة (قلت) قال عبد الرحمن بن أبي حاتم سألت أبي عن هذا الحديث فقال هذا الحديث منكر انتهى وانما أنكره والله أعلم لانه من رواية العلاء ابن اسمعيل العطار عن حفص بن غياث والعلاء هذا مجهول لا ذكر له في الكتب الستة فهذه الاحاديث المرفوعة من الجانبين كما ترى * وأما الآثار المحفوظة عن الصحابة فالمحفوظ عن عمر بن الخطاب رضي الله

صالحة وهي الاكثر وغير صالحة بالنسبة للدنيا كرؤيا يوم أحد انتهى (في النوم) زيادة للايضاح أو لتخرج رؤية العين يقظة مجازا قاله الحافظ وغيره ويأتي ان شاء الله تعالى الخلاف فيه في الاسراء حيث تكلم فيه المصنف ثم فلا نطيل به هنا قال الحافظ وبدئ بذلك ليكون توطئة وتمهيدا لليقظة ثم مهد له في اليقظة أيضا رؤية الضوء وسماع الصوت وسلام الحجر انتهى (فكان لا يرى رؤيا الا جاءت) في بيانها وللحموي والمستملي الا جاءته مجيئا (مثل) فنصب نعت مصدر محذوف (فلق) بفتحتين (الصبح) أي شبيهة له في الضياء والوضوح أو التقدير مشبهة ضياء الصبح فالنصب على الحال وقدمه الفتح واقتصر عليه النووي وأكثر الشراح وقال العيني الاول أولى لانه مطلق والحال مقيد قال الحافظ وخص بالشبه لظهوره الواضح الذي لا يشك فيه أو للتنبيه على انه لم يكن في باعث النشر أو كون ذلك من باعث الاوهام وقال المصنف لان شمس النبوة كانت مبادى أنوارها الرؤيا الى ظهور أشعتها وتمام نورها وقال البيضاوي شبه ما جاءه في اليقظة ووجده في الخارج طبقا لما رآه في المنام بالصبح في انارته ووضوحه والفلق الصبح لكنه لما استعمل في ذا المعنى وغيره أضيف اليه للتخصيص والبيان اضافة العام للخاص (وكان يأتي حراء) بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء والمد والتذكير والصرف على الصحيح وحكى الفتح والقصر وهي لغية مصروف على ارادة المكان ممنوع على ارادة البقعة فيذكر ويؤنث جبل بينه وبين مكة نحو ثلاثة أميال على يسار الذاهب الى منى وزعم الخطابي خطأ المحدثين في قصره وفتح حائه والاربعة في قباء أيضا وجمعهما القائل

حرا وقبا ذكر وانثهما معا ❊ ومد أو اقصر واصرفن وامنع الصرفا

(فيتحنث فيه) بحاء مهملة آخره مثلثة أي يتجنب الحنث أي الاثم فهو من الافعال التي معناها السلب وهو اجتناب فاعلها لمصدرها مثل تأثم وتحوب اذا اجتنب الاثم والحوب بضم المهملة أي الذنب العظيم أو هو بمعنى رواية ابن هشام في السيرة يتحنف بفاء خفيفة أي يتبع الحنيفية دين ابراهيم والفاء تبدل ثاء في كثير من كلامهم وقدمه الفتح وفي كتاب الاضداد للصغاني تحنث اذا أتى الحنث واذا تجنبه (وهو التعبد) من تسمية المسبب باسم السبب على التفسير الاول لان التعبد سبب لازالة الاثم وليس نفسه وعلى الثاني ظاهر (الليالي) نصب على الظرفية متعلق بيتحنث لا بالتعبد لانه لا يشترط فيه الليالي بل مطلق التعبد (ذوات العدد) مع أيامهن واقتصر عليهن تغليبا لانهن أنسب للخلوة ووصفها بذلك للتقليل كما في دراهم معدودة أو للتكثير لاحتياجها الى العدد وهو المناسب للمقام والتفسير للزهري أدرجه في الخبر كما جزم به الطيبي قال الحافظ ورواية البخاري في التفسير تدل عليه وأبهم العدد لاختلافه بالنسبة الى المدد التي يتخللها مجيئه الى أهله وللبخاري ومسلم جاورت بحراء شهرا ولابن اسحق انه شهر رمضان ولم يصح عنه أكثر منه وروى سوار بن مصعب أربعين يوما لكنه متروك الحديث قاله الحاكم وغيره وفي تعبده قبل البعثة بشريعة أم لا قولان الجمهور على الثاني واختار ابن الحاجب والبيضاوي الاول ففي أنه بشريعة ابراهيم أو موسى أو عيسى أو نوح أو آدم أو بشريعة من قبله دون تعيين أو بجميع الشرائع ونسب للمالكية أو الوقف أقوال ولم يأت تصريح بصفة تعبده بحراء فيحتمل انه أطلق على الخلوة بمجردها تعبدا فان الانعزال عن الناس ولا سيما من كان على باطل عبادة وعن ابن المرابط وغيره كان يتعبد بالفكر وهذا على قول الجمهور (ويتزود) بالرفع عطفا على يتحنث أي يتخذ الزاد (لذلك) أي للتعبد (ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها) أي الليالي كما اقتصر عليه الفتح في بدء الوحي ورجحه في التعبير وان رجح غيره في التفسير لان مدة الخلوة كانت شهرا فكان يتزود لبعض ليالي الشهر فاذا نفد رجع الى أهله فيتزود قدر ذلك ولم يكونوا في سعة بالغة من العيش

عنه انه كان يضع ركبتيه قبل يديه ذكره عنه عبد الرزاق وابن المنذر وغيرهما وهو المروي عن ابن مسعود رضي الله عنه ذكره الطحاوي عن فهد عن عمر بن حفص عن أبيه عن الاعمش عن ابراهيم عن أصحاب عبد الله علقمة والاسود قالا حفظنا عن عمر في صلاته انه خر بعد ركوعه على ركبتيه كما يخر البعير ووضع ركبتيه قبل يديه ثم ساق من طريق الحجاج بن ارطاة قال قال ابراهيم النخعي حفظ عن عبد الله بن مسعود ركبتيه كانتا تقعان على الارض قبل يديه وذكر عن أبي مرزوق عن وهب عن شعبة عن مغيرة قال سألت ابراهيم عن الرجل يبدأ بيديه قبل ركبتيه اذا سجد قال أو يضع ذلك الا أحمق أو مجنون قال ابن المنذر وقد اختلف أهل العلم في هذا الباب فمن رأى ان يضع ركبتيه قبل يديه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبه قال النخعي ومسلم بن يسار والثوري والشافعي وأحمد واسحق وأبو حنيفة وأصحابه وأهل الكوفة وقالت طائفة يضع يديه قبل ركبتيه

وكان غالب أدمهم اللبن واللحم ولا يدخر منه كفا يقشهر لسرعة فساده لاسيما وقد وصف بأنه كان يطعم من يرد عليه وفيه أن الانقطاع الدائم عن الاهل ليس من السنة لانه صلى الله عليه وسلم لم ينقطع بالغار بالكلية بل كان يرجع الى أهله لضرورتهم ثم يرجع لتحنثه (حتى) على بابها من انتهاء الغاية أي واستمر يفعل ذلك حتى (فجئه) بفتح الفاء وكسر الجيم وتفتح كما في الديباج فهمزة أي جاءه كما في رواية بدء الوحي بغتة فانه لم يكن متوقعا له (الحق) بالرفع صفة لمحذوف أي الامر الحق وهو الوحي سمي حقا لمجيئه من عند الله أو رسول الحق وهو جبريل فاصله الجر بتقدير مضاف لكنه حذف وأقيم مقامه فاعطى في الاعراب (وهو في غار حراء) فترك ذلك التحنث والجملة حالية (فجاءه الملك) جبريل اتفاقا (فيه) واللام لتعريف الماهية لا العهد الا أن يكون المراد ما عهده عليه السلام لما كلمه في صباه أو اللام لعائشة وقصدت به ما يعهده من تخاطبه به قال الاسماعيلي هي عبارة عما يعرف بعد أنه ملك وانما الاصل فجاءه جاء وكان الجائي ملكا فاخبر عنه المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم أخبر بحقيقة جنسه والحامل عليه انه لم يتقدم له معرفة به انتهى وهو ظاهر ولا ينافيه ان اللفظ لعائشة لانها حكت ما سمعته وفاء فجاءه تفسيرية كقوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم لا تعقيبية قال الحافظ لان مجيء الملك ليس بعد مجيء الوحي حتى يعقب به بل هو نفسه ولا يلزم منه تفسير الشيء بنفسه بل التفسير عين المفسر به من جهة الاجمال وغيره من جهة التفصيل انتهى ولا سببية لان المسبب غير السبب (فقال) له (اقرأ) أمر لمجرد التنبيه والتيقظ لما سيلقى اليه أو على بابه من الطلب فهو دليل على تكليف ما لا يطاق في الحال وان قدر عليه بعد قال الحافظ وهل سلم قبل قوله اقرأ أم لا وهو الظاهر لان المقصود حينئذ تفخيم الامر وتهويله وابتداء السلام متعلق بالبشر لا الملائكة وتسليمهم على ابراهيم لانهم كانوا في صورة البشر فلا يرد هنا ولا سلامهم على أهل الجنة لان أمور الآخرة مغايرة لامور الدنيا غالبا نعم في رواية الطيالسي ان جبريل سلم أولا لكن لم يرد أنه سلم عند الامر بالقراءة انتهى (فقلت) هذه رواية الاكثر في البخاري في التعبير وفي رواية أبي ذر فيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم وفي بدء الوحي قال بدون فاء وفي رواية فيه أي بدء الوحي قلت بلا فاء أيضا (ما أنا بقارئ) وجعل المصنف في التعبير متنه الاحمر رواية أبي ذر وعقبها بقوله ولغير أبي ذر فقلت ما أنا بقارئ ما أحسن أن أقرأ انتهى فلم يتنبه لذلك الشارح فوهم حيث أشار للاعتراض على المصنف هنا بما حاصله أن لفظ فقلت لم يقع في التعبير ولا بدء الوحي مع انك قد علمت انه رواية الاكثر وما نافية وقيل استفهامية وضعفه عياض وابن قرقول بدخول الباء في خبرها وهي لا تدخل على ما الاستفهامية وأجيب بأن رواية أبي الاسود عن عروة كيف أقرأ وابن اسحق عن عبيد بن عمير ماذا أقرأ دلتا على أنها استفهامية وقد جوز الاخفش دخول الباء على الخبر المثبت وجزم به ابن مالك في بحسبك زيد فجعل الخبر حسبك والباء زائدة (فأخذني فغطني) بغين معجمة فطاء مهملة مشددة أي ضمني وعصرني وفي رواية الطبري وابن اسحق فغتني بالتاء الفوقية وهو حبس النفس وللطيالسي بسند جيد فاخذ بحلقي (حتى بلغ مني الجهد) قال الحافظ روي بالفتح والنصب أي بلغ الغط مني غايته وسعي وروي بالضم والرفع أي بلغ مني الجهد مبلغه (ثم أرسلني) أي أطلقني (فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ) أي حكمي كسائر الناس من أن حصول القراءة انما هو بالتعلم وعدمه بعدمه فلذا كرر غطه ليخرجه عن حكم سائر الناس ويستفرغ منه البشرية ويفرغ فيه من صفات الملكية قاله شارح المشكاة الطيبي (فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني) كذا رواه الكشميهني ولغيره بحذف فأخذني (الثالثة حتى بلغ مني الجهد) كذا ثبت الغط ثلاثا في التعبير والتفسير وسقطت في بدء الوحي الثالثة قال الحافظ ولعل

قاله مالك وقال الاوزاعي أدركنا الناس يضعون أيديهم قبل ركبهم قال ابن أبي داود وهو قول أصحاب الحديث (قلت) وقد روي حديث أبي هريرة بلفظ آخر ذكره البيهقي وهو اذا سجد أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه على ركبتيه قال البيهقي فان كان محفوظا كان دليلا على انه يضع يديه قبل ركبتيه عند الاهواء الى السجود وحديث وائل بن حجر أولى لوجوه (أحدها) انه ثبت من حديث أبي هريرة قاله الخطابي وغيره (الثاني) ان حديث أبي هريرة مضطرب المتن كما تقدم فمنهم من يقول فيه وليضع يديه قبل ركبتيه ومنهم من يقول بالعكس ومنهم من يقول وليضع يديه على ركبتيه ومنهم من يحذف هذه الجملة رأسا (الثالث) ما تقدم من تعليل البخاري والدارقطني وغيرهما (الرابع) انه على تقدير ثبوته قد ادعى فيه جماعة من أهل العلم النسخ قال ابن المنذر وقد زعم بعض أصحابنا ان وضع اليدين قبل الركبتين منسوخ وقد تقدم ذلك (الخامس) انه الموافق لنهي النبي

الحكمة في تكرير اقرأ الاشارة الى انحصار الايمان الذي ينشأ عنه الوحي بسببه في ثلاث القول والعمل والنية وأن الوحي يشتمل على ثلاث التوحيد والاحكام والقصص ويأتي حكمة الغط في كلام المصنف قال في الروض وانتزع شريح القاضي التابعي أن لا يضرب الصبي الا ثلاثا على القرآن كما غط جبريل محمدا صلى الله عليهما وسلم ثلاثا (ثم أرسلني فقال اقرأ باسم ربك) استدل به القائل بأن البسملة ليست آية من كل سورة فهذه أول سورة نزلت وليست فيها وقال السهيلي نزلت بعد ذلك مع كل سورة لانها وقد ثبتت في المصحف باجماع الصحابة وما ذكره البخاري عن مصحف الحسن البصري شذوذ ولا نلتزم قول الشافعي انها آية من كل سورة ولا أنها آية من الفاتحة بل آية من القرآن مقترنة مع السورة وهو قول داود وأبي حنيفة وهو قول بين لمن أنصف انتهى وهو اختيار له مخالف للمعتمد من مذهب مالك (الذي خلق) وصف مناسب مشعر بعلية الحكم بالقراءة (حتى) هي رواية أبي ذر ولغيره ثم (بلغ ما لم يعلم فرجع بها) قال الحافظ أي بالآيات أو بالقصة (ترجف) بضم الجيم تضطرب (بوارده) بفتح الموحدة وخفة الواو وفا الف فدال مهملة فراء قال المصنف جمع بادرة وهي اللحمة بين العنق والمنكبين وقال ابن برى ما بين المنكب والعنق أي لا تختص بعضو واحد وذلك لما فجأه من الامر المخالف للعادة اذ النبوة لا تزيل طباع البشرية كلها وفي بدء الوحي يرجف فؤاده قال المصنف أي قلبه أو باطنه أو غشاؤه انتهى فعلى الثالث عدل عن القلب لان الغشاء اذا حصل له الرجفان حصل للقلب ففي ذكره من تعظيم الامر ما ليس في ذكر القلب (حتى دخل على خديجة) التي ألف تأنيسها له فاعلمها بما وقع له (فقال زملوني زملوني) بكسر الميم مع التكرار مرتين من التزميل وهو التلفيف أي غطوني بالثياب ولفوني بها قال ذلك لشدة ما لحقه من هول الامر والعادة جارية بسكون الرعدة بالتلفيف (فزملوه) بفتح الميم أي لفوه أي خديجة ومن معها فلذا لم يؤنث أو خديجة وحدها وعبر بجمع الذكور للتعظيم كقوله * وان شئت حرمت النساء سواكم * وقوله

وكم ذكرتك لو أجزى بذكركم * يا أشبه الناس كل الناس بالقمر

(حتى ذهب عنه الروع) بفتح الراء الفزع (فقال يا خديجة ما) استفهام تعجب أي أي شئ ثبت (لي) حتى حصل لي ما حصل (وأخبرها الخبر) جملة حالية (وقال قد خشيت علي) بتشديد الياء في رواية الحموي والمستملي للصحيح في التعبير ولغيرهما كالتفسير وبدء الوحي على نفسي (فقالت له) وفي بدء الوحي فقالت خديجة (كلا) نفي وابعاد أي لا تقل ذلك أو لا خوف عليك بدليل رواية فقالت معاذ الله قال الشامي ومن اللطائف أن هذه الكلمة التي ابتدأت خديجة النطق بها عقب ما ذكر لها من القصة هي التي وقعت عقب الآيات فجرت على لسانها اتفاقا لانها لم تنزل الا بعد في قصة أبي جهل على المشهور (أبشر) بقطع الهمزة أمر أريد به الخبر والمقصود منه تعجيل المسرة بالبشرى أي اني مبشرة لك بخير أو بأنك رسول الله (فوالله لا يخزيك الله أبدا) بضم أوله وسكون المعجمة وكسر الزاي فتحتية ساكنة أي لا يفضحك وللكشميهني يحزنك بفتح أوله وسكون الحاء وضم الزاي كما اقتصر عليه الحافظ زاد المصنف وغيره أو بضم أوله مع كسر الزاي وبالنون يقال حزنه وأحزنه أوقعه في بلية (انك) بكسر الهمزة لوقوعها في الابتداء قال الدماميني فصلت هذه الجملة عن الاولى لكونها جوابا عن سؤال اقتضته وهو عن سبب خاص فحسن التأكيد وذلك أنها لما أثبتت القول بانتفاء الخزي عنه وأقسمت عليه انطوى ذلك على اعتقادها أن ذلك بسبب عظيم فيقدر السؤال عن خصوصه حتى كأنه قيل هل سبب ذلك الاتصاف بمكارم الاخلاق ومحاسن الاوصاف كما يشير اليه كلامك فقالت انك (لتصل الرحم) أي القرابة بالاحسان اليهم على حسب حال الواصل والموصول اليه فتارة

بالمال

صلى الله عليه وسلم عن بروك كبروك الجمل في الصلاة بخلاف حديث وائل بن حجر (السادس) انه الموافق للمنقول عن الصحابة كعمر بن الخطاب وابنه وعبد الله بن مسعود ولم ينقل عن أحد منهم ما يوافق حديث أبي هريرة الا عن عمر رضي الله عنه على اختلاف عنه (السابع) ان له شواهد من حديث ابن عمر وأنس كما تقدم وليس لحديث أبي هريرة شاهد فلو تقاوما لقدم حديث وائل ابن حجر من أجل شواهده فكيف وحديث وائل أقوى كما تقدم (الثامن) ان أكثر الناس عليه والقول الآخر انما يحفظ عن الاوزاعي ومالك وأما قول ابن أبي داود انه قول أهل الحديث فانما أراد به بعضهم والا فاحمد والشافعي واسحق على خلافه (التاسع) انه حديث فيه قصة محكية سيقت بحكاية فعله صلى الله عليه وسلم فهو أولى أن تكون محفوظة لان الحديث اذا كان فيه قصة محكية دل على انه حفظ (العاشر) ان الافعال المحكية فيه كلها ثابتة صحيحة من

بالمال والخدمة والزيارة والسلام وغير ذلك (وتصدق الحديث) فما كذب قط ولا اتهم به قبل النبوة كما اعترف به أبو سفيان عند هرقل وكان حينئذ عدوّه وثبتت هذه الخصلة في التعبير والتفسير وسقطت في بدء الوحي وهي من أشرف الخصال (وتحمل الكل) بفتح الكاف وشد اللام من لا يستقل بأمره كما قال تعالى وهو كل على مولاه أو الثقل بكسر المثلثة وسكون القاف وقال الداودي الكل المنقطع ويدخل فيه الانفاق على الضعيف واليتيم والعيال وغير ذلك من الكل وهو الاعياء زادها في بدء الوحي كما علم (وتكسب المعدوم) بفتح التاء في الأشهر وروى بضمها أي تعطي الناس ما لا يجدونه عند غيرك فحذف أحد المفعولين يقال كسبت الرجل مالا وأكسبته بمعنى أو ما يعجز عنه غيرك تصيبه وتكسبه ثم تجود به في الوجود التي ذكرت وعلى رواية ضم التاء قال الخطابي الصواب المعدم بلا واو ورده الحافظ بأنه لا يمتنع ان يطلق على المعدم المعدوم لكونه كالميت الذي لا تصرف له فكأنها قالت اذا رغب غيرك أن يستفيد مالا موجودا رغبت أنت أن تستفيد رجلا عاجزا فتعاونه (وتقري الضيف) بفتح الفوقية من غير همز ثلاثيا قال الابي وسمع بضمها رباعيا أي تهيئ له طعامه وتنزله قال المصنف في بدء الوحي وفيه افادة أن الرواية الأولى ولذا اقتصر عليه في التعبير (وتعين على نوائب الحق) جمع نائبة أي حوادثه وهذه جامعة لافراد ما سبق ولغيره وقيدت بالحق لانها تكون فيه وفي الباطل قال لبيد

نوائب من خير وشر كلاهما ※ فلا الخير ممدود ولا الشر لازب

أي فلا يصيبك مكروه لما جمع الله فيك من مكارم الاخلاق ومحاسن الشمائل وفيه دلالة على أن ذلك سبب للسلامة من مصارع السوء ومدح الانسان في وجهه لمصلحة تطرأ وأما خبر احثوا في وجوه المداحين التراب ففي مدح بباطل أو يؤدي الى باطل وتأنيس من حصلت له مخافة وتبشيره وذكر اسباب السلامة له وكمال خديجة وجزالة رأيها وعظم فقهها فقد جمعت كل أنواع المحاسن وأمهاتها فيه عليه السلام لان الاحسان اما الى الاقارب واما الى الاجانب واما بالمال أو البدن واما لمن يستقل بأمره أو غيره واجابته بجواب فيه قسم وتأكيد بان واللام لتذهب حيرته ودهشته واستدلت على ذلك بأمر استقرائي جامع لاصول المكارم (ثم) قبل أن تأتي به ورقة انطلقت خديجة على ما عند سليمان التيمي وموسى بن عقبة حتى أتت غلاما لعتبة بن ربيعة نصرانيا من أهل نينوى بكسر النون وفتحها وتحتية ساكنة فنون يقال له عداس بفتح العين وشد الدال وبسين مهملات فقالت له أذكرك الله الا ما أخبرتني هل عندك علم من جبريل فقال عداس قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش ما شأن جبريل يذكر بهذه الارض التي أهلها أهل الاوثان فقالت أخبرني بعلمك فيه قال هو أمين الله بينه وبين النبيين وهو صاحب موسى وعيسى فرجعت من عنده ثم (انطلقت به) أي مضت معه فالباء للمصاحبة قاله الحافظ وسارت به (خديجة) مصاحبة له (حتى أتت به ورقة) بفتح الواو والراء والقاف (ابن نوفل) بفتح النون والفاء (ابن أسد بن عبد العزى) تأنيث الاعز وهو الصنم (ابن قصي) بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤي وانتهى الحديث نسبه الى قصي لانه الذي يشترك فيه مع المصطفى عليه السلام توفي ولم يعقب ويأتي قريبا الكلام في أنه صحابي عند قول المتن وقيل أول من أسلم ورقة (وهو ابن عم خديجة) لانها بنت خويلد بن أسد وهو (أخو أبيها) بالرفع خبر مبتدا محذوف ولابن عساكر أخي بالجر صفة لعم وفائدته رفع المجاز في اطلاق العم (وكان امرأ) ترك عبادة الاوثان و(تنصر) قال الحافظ أي صار نصرانيا (في الجاهلية) وذلك انه خرج هو وزيد بن عمرو بن نفيل لما كرها عبادة الاوثان الى الشام وغيرها يسألون عن الدين فاعجب ورقة النصرانية وكأنه لقي من بقي من الرهبان على دين عيسى ولذا أخبر بشأنه صلى الله عليه وسلم والبشارة به الى

رواية غيره فهي أفعال معروفة صحيحة وهذا واحد منها فله حكمها ومعارضه ليس مقاوما له فيتعين ترجيحه والله أعلم ※ وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسجد على جبهته وأنفه دون كور العمامة ولم يثبت عنه السجود على كور العمامة من حديث صحيح ولا حسن ولكن روى عبد الرزاق في المصنف من حديث أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على كور عمامته وهو من رواية عبد الله بن محرز وهو متروك وذكره أبو أحمد من حديث جابر ولكنه من رواية عمرو بن شمر عن جابر الجعفي متروك عن متروك وقد ذكر أبو داود في المراسيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يصلي في المسجد فسجد بجبينه وقد اعتم على جبهته فحسر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبهته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد على الارض كثيرا وعلى الماء والطين وعلى الخمرة المتخذة من خوص النخل وعلى الحصير المتخذ منه وعلى الفروة المدبوغة وكان اذا سجد

غير ذلك مما أفسده أهل التبديل انتهى وذكر ابن عبد البر أنه تهود ثم تنصر (وكان يكتب الكتاب العربي فيكتب بالعربية) أي باللغة العربية (من الانجيل ما شاء الله أن يكتب) أي الذي شاء الله كتابته فحذف العائد هكذا في التعبير كمسلم وفي بدء الوحي العبراني وبالعبرانية فرجح الزركشي الرواية الاولى لاتفاقهما وجمع النووي وتبعه الحافظ بأنه تمكن من دين النصارى وكتابهم بحيث صار يتصرف في الانجيل فيكتب ان شاء بالعربية وان شاء بالعبرانية انتهى فعلم ان الانجيل ليس عبرانيا قال الكرماني وهو المشهور خلافا للتيمي انتهى وانما هو سرياني والتوراة عبرانية بكسر العين قال الحافظ وانما وصفته بكتابة الانجيل دون حفظه لان حفظ التوراة والانجيل لم يكن متيسرا كتيسر حفظ القرآن الذي خصت به هذه الامة فلهذا جاء في صفتها أناجيلها في صدورها انتهى (وكان شيخا كبيرا قد عمي فقالت له خديجة أي ابن عم) نداء على حقيقته ووقع في مسلم أي عم قال الحافظ وهو وهم لانه وان صح بجواز ارادة التوقير لكن القصة لم تتعدد ومخرجها متحد فلا يحمل على انها قالت ذلك مرتين فتعين الحمل على الحقيقة وانما جوزنا ذلك في العبراني والعربي لانه من كلام الراوي في وصف ورقة انتهى وفي الديباج وعندي انها قالت ابن عم على حذف حرف النداء فتصحفت ابن بأي انتهى (اسمع) بهمزة وصل (من ابن أخيك) تعني النبي صلى الله عليه وسلم لان الاب الثالث لورقة وهو عبد العزى هو الاخ للأب الرابع للمصطفى وهو عبد مناف كأنها قالت من ابن أخي جدك فهو مجاز بالحذف قال الحافظ أو لان والده عبد الله في عدد النسب الى قصي الذي يجتمعان فيه سواء فكان من هذه الحيثية في درجة اخوته أو قالته على سبيل التوقير لسنه قال وفيه ارشاد الى أن صاحب الحاجة يقدم بين يديه من يعرف بقدره ممن يكون أقرب منه الى المسؤل وذلك مستفاد من قولها أرادت أن يتأهب لسماع كلامه وذلك أبلغ في التعظيم (فقال ورقة ابن أخي) بالنصب منادى مضاف (ماذا ترى) قال الحافظ فيه حذف دل عليه السياق وصرح به في دلائل أبي نعيم بسند حسن بلفظ فأتت به ورقة ابن عمها فاخبرته بالذي رأى فقال ماذا ترى (فاخبره النبي صلى الله عليه وسلم ما رأى) وفي بدء الوحي خبر ما رأى فهنا مضاف مقدر (فقال ورقة هذا) أي الملك الذي ذكره عليه السلام نزله منزلة القريب لقرب ذكره كما في الفتح (الناموس) بنون وسين مهملة وهو صاحب السر كما جزم به البخاري في أحاديث الانبياء أي مطلقا عند الجمهور وهو الصحيح خلافا لمن زعم أن صاحب سر الشر يقال له الجاسوس وقال ابن دريد هو صاحب سر الوحي والمراد جبريل وأهل الكتاب يسمونه الناموس الاكبر (الذي أنزل) بالبناء للمفعول في التعبير والتفسير وفي بدء الوحي نزل الله وللكشميهني أنزل الله (على موسى) لم يقل عيسى مع انه كان نصرانيا تحقيقا للرسالة لان نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتابين بخلاف عيسى فكثير من اليهود ينكر نبوته أو لاشتمال كتاب موسى على أكثر الاحكام ككتاب نبينا بخلاف الانجيل فأمثال ومواعظ أو لان النصارى يتبعون أحكام التوراة ويرجعون اليها قال الحافظ أو لان موسى بعث بالنقمة على فرعون وأتباعه بخلاف عيسى وكذلك وقعت النقمة على يده صلى الله عليه وسلم لفرعون هذه الامة ومن معه ببدر قال وأما ما تمحل به السهيلي من أن ورقة كان على اعتقاد النصارى في عدم نبوة عيسى ودعواهم انه أحد الاقانيم فهو محال لا يعرج عليه في حق ورقة وأشباهه ممن لم يدخل في التبديل أو أخذ عمن لم يبدل على انه قد ورد عند الزبير بن بكار بلفظ عيسى ولا يصح نعم لابي نعيم في الدلائل بسند حسن أن خديجة أتت ابن عمها ورقة فأخبرته الخبر فقال ان كنت صدقتني انه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو اسرائيل أبناءهم فعلى هذا فكان ورقة يقول تارة ناموس موسى فعند اخبار خديجة له بالقصة قال لها ناموس عيسى بحسب ما هو فيه من النصرانية وعند اخبار النبي صلى الله عليه وسلم

مكن جبهته وأنفه من الارض ونحى يديه عن جنبيه وجافى بهما حتى يرى بياض أبطيه ولو ولو شاءت بهمة وهي الشاة الصغيرة ان تمر تحتها لمرت وكان يضع يديه حذو منكبيه وأذنيه وفي صحيح مسلم عن البراء انه عليه السلام قال اذا سجدت فضع كفيك وارفع مرفقيك وكان يعتدل في سجوده ويستقبل باطراف أصابع رجليه القبلة وكان يبسط كفيه وأصابعه ولا يفرج بينهما ولا يقبضهما وفي صحيح ابن حبان كان اذا ركع فرج أصابعه فاذا سجد ضم أصابعه وكان يقول سبحان ربي الاعلى وأمر به وكان يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وكان يقول سبوح قدوس رب الملائكة والروح وكان يقول سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت وكان يقول اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وكان يقول اللهم لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد

قال له ناموس موسى والكل صحيح انتهى (ياليتني) أكون (فيها) أي مدة النبوة أو الدعوة (جذعا) بفتح الجيم والمعجمة شابا قوياً بالنصب وهو المشهور في الصحيحين خبراً كون المقدرة كذا أعربه الخطابي والمازري وابن الجوزي على رأي الكوفيين في نحوانه وأخبرالكم وضعف بأن كان لاتضمر الا اذا كان في الكلام لفظ يقتضيه نحو ان خيراً فخير أو على الحال من الضمير المستكن في خبر ليت وهو فيها أي كائن فيها حال الشبيبة والقوة لأبالغ في نصرك ورجحه عياض ثم النووي وعزاه للمحققين قال السهيلي والعامل في الحال ما يتعلق به الخبر من معنى الاستقرار أو على ان ليت تنصب الجزأين كقوله

* ياليت أيام الصبا رواجعا * وقال ابن برى بفعل محذوف والتقدير ياليتني جعلت ورواه الاصيلي في البخاري وابن ماهان في مسلم بالرفع خبر ليت قال ابن برى المشهور عند أهل اللغة والحديث جذع بسكون العين قال السيوطي هو رجز مشهور وعندهم يقولون * ياليتني فيها جذع * أخب فيها وأضع (ليتني أكون حياً حين يخرجك قومك) هكذا وفي التعبير بلفظ حين وفي بدء الوحي اذ بدلها باستعمال اذ في المستقبل تنزيلا له منزلة الماضي لتحقق وقوعه كقوله وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر قال الحافظ فيه دليل على جواز تمني المستحيل اذا كان في خير لان ورقة تمني ان يعود شابا وهو مستحيل عادة ويظهر لي أن التمني ليس على بابه بل المراد التنبيه على صحة ما أخبره والتنويه بقوة تصديقه فيما يجيء به انتهى وقيل هو تحسر لتحققه عدم عود الشباب (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو) بفتح الواو (مخرجي) بشد الياء مفتوحة خبر مقدم لقوله (هم) جمع مخرج قاله ابن مالك وأصله مخرجون لي حذفت اللام تخفيفاً ونون الجمع للاضافة الى ياء المتكلم فصار أومخرجوي اجتمعت الواو والياء وسبقت الواو بالسكون فقلبت ياء ثم أدغمت في ياء المتكلم وقلبت الضمة كسرة لمناسبة الياء والهمزة للاستفهام ولم يقل وأمخرجي مع أن الاصل أن يجاء بالهمزة بعد العاطف نحو فاين تذهبون لاختصاص الهمزة بتقديمها على العاطف تنبيها على اصالتها نحو أولم يسيروا هذا مذهب سيبويه والجمهور وقال الزمخشري وجماعة الهمزة في محلها الاصلي والعطف على جملة مقدرة بينها وبين العاطف والتقدير أمعادي هم ومخرجي هم واذا دعت الحاجة لمثل هذا التقدير فلا يستنكر وعطفه مع انه انشاء على قول ورقة حين يخرجك قومك وهو خبر لان الاصح كما قال المصنف جوازه عند النحويين وانما منعه البيانيون فاحتاجوا التقدير المذكور فالتركيب سائغ عند الجميع وأما كونه عطف جملة على جملة والمتكلم مختلف فسائغ معروف في القرآن والكلام الفصيح واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال اني جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتي ثم الاستفهام انكاري لانه استبعد صلى الله عليه وسلم اخراجه من الوطن لاسيما حرم الله وبلد أبيه اسمعيل من غير سبب يقتضيه فانه كان جامعا لانواع المحاسن المقتضية لاكرامه وانزاله منهم منزلة الروح من الجسد ويؤخذ منه كما قال السهيلي ان مفارقة الوطن على النفس شديدة لاظهاره الانزعاج لذلك بخلاف ما سمعه من ورقة من ايذائهم وتكذيبهم اه ففي مرسل عبيد بن عمير ان ورقة قال له لتكذبنه ولتؤذينه ولتقاتلنه بهاء السكت (فقال ورقة نعم لم يأت رجل قط) بفتح القاف وشد الطاء مضمومة في أفصح اللغات ظرف لاستغراق الماضي فتختص بالنفي (بما) وللكشميهني في التعبير كبدء الوحي بمثل ما (جئت به الا عودي) وفي التفسير الا أوذي فذكر ورقة أن علة ذلك مجيئه لهم بالانتقال عن مألوفهم ولانه علم من الكتب انهم لا يجيبونه وأنه يلزم ذلك منابذتهم فتنشأ العداوة وفيه دليل على انه يلزم المجيب اقامة الدليل على جوابه اذا اقتضاه المقام (وان يدركني) بالجزم بان الشرطية (يومك) فاعل يدرك أي يوم انتشار نبوتك زاد في التفسير حيا (أنصرك) بالجزم جواب الشرط (نصرا) بالنصب على المصدرية ووصفه بقوله (مؤزرا) بضم الميم وفتح الزاي المشددة آخره

وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره تبارك الله أحسن الخالقين وكان يقول اللهم اغفر لي ذنبي كله دقه وجله وأوله وآخره وعلانيته وسره وكان يقول اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي واسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت الهي لا اله الا أنت وكان يقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وامامي نورا وخلفي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا واجعل لي نورا وأمر بالاجتهاد في الدعاء في السجود وقال انه قمن ان يستجاب لكم وهل هذا أمر بان يكثر الدعاء في السجود أو أمر بان الداعي اذا دعا في محل فليكن في السجود وفرق بين الامرين وأحسن ما يحمل عليه الحديث ان الدعاء نوعان دعاء ثناء ودعاء مسألة والنبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر في سجوده من النوعين والدعاء الذي أمر به في السجود يتناول النوعين

راء مهموز من الازر أى قويا بليغا وانكار القزاز الهمز لغة رد بقول الجوهرى أزرت فلانا عاونته والعامة تقول وازرته وقال أبو شامة يحتمل انه من الازار اشارة الى تشميره فى نصرته قال الاخطل قوم اذا حاربوا اشدوا مآزرهم * البيت وفى رواية ابن اسحق من مرسل عبيد بن عمير ان أدرك ذلك اليوم قال السهيلى والقياس رواية الصحيح لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذى يدركه من يأتى بعده كما جاء أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى قال ولرواية ابن اسحق وجه لان المعنى ان أر ذلك اليوم فسمى رؤيته ادراكا وفى التنزيل لا تدركه الابصار أى لا تراه على أحد القولين انتهى (ثم لم ينشب) بفتح التحتية والمعجمة أى لم يلبث (ورقة) بالرفع فاعل ينشب (أن توفى) بفتح الهمزة وخفة النون بدل اشتمال من ورقة أى لم تتأخر وفاته وتجويز أن محله جر بجار مقدر أى عن الوفاة أو نصب بنزع الخافض لا يلتفت اليه اذ الاول شاذ والثانى مقصور على السماع فلا يخرج عليه كلام الفصحاء قال الحافظ وأصل النشوب التعلق أى لم يتعلق بشئ من الامور حتى مات وهذا يخالف ما فى سيرة ابن اسحق ان ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب وذلك يقتضى تأخيره الى زمن الدعوة ودخول بعض الناس فى الاسلام فان تمسكنا بالترجيح فما فى الصحيح أصح وان لحظنا الجمع أمكن أن الواو فى وفتر الوحى ليست للترتيب ولعل الراوى لم يحفظ لورقة ذكرا بعد ذلك فى أمر من الامور فجعل هذه القصة انتهاء أمره بالنسبة الى علمه لا الى ما هو الواقع انتهى واعتمده فى الاصابة وأول قوله أن توفى بأن معناه قبل اشتهار الاسلام والامر بالجهاد انتهى وقد أرخ الخميس موت ورقة فى السنة الثالثة من النبوة وقيل الرابعة وأما قول الواقدى انه قتل ببلاد لخم وجذام بعد الهجرة فغلط بين فانه دفن بمكة كما نقله البلاذرى وغيره (وفتر الوحى) أى احتبس جبريل عنه بعد أن بلغه النبوة (فترة) سيذكر المصنف قدرها (حتى حزن) بكسر الزاى (النبى صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا) جزم عياض بأن هذا قول معمر وخالفه السيوطى والمصنف تبعا للحافظ وقالوا هو شيخه الزهرى (حزنا غدا) بغين معجمة من الذهاب وبمهملة من العدو وهو الذهاب بسرعة (منه) أى الحزن (مرارا كى يتردى) يسقط (من رؤس شواهق الجبال) أى طوالها جمع شاهق وهو العالى الممتنع وعند ابن سعد من حديث ابن عباس مكث أياما بعد مجئ الوحى لا يرى جبريل فحزن حزنا شديدا حتى كان يغدو الى ثبير مرة والى حراء أخرى يريد أن يلقى نفسه (فكلما أوفى) بفتح الهمزة والفاء وسكون الواو أشرف (بذروة) بكسر الذال المعجمة وتفتح وتضم أعلى (جبل لكى يلقى نفسه) اشفاقا أن تكون الفترة لامر أو سبب منه فخشى أن تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهى عنه فيعترض به أو لما أخرجه من تكذيب من بلغه كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك الآية ذكرهما عياض وقول المصنف أو حزن على ما فاته من بشارة ورقة ولم يخاطب عن الله بانه رسول الله ومبعوث الى عباده فيه أن فى مرسل عبيد بن عمير عند ابن اسحق انه ناداه أنت رسول الله وأنا جبريل بعد الغط وقبل أن يأتى الى خديجة (تبدى له جبريل فقال يا محمد انك رسول الله حقا) وفى حديث ابن عباس عند ابن سعد فبينما هو عامد لبعض تلك الجبال اذ سمع صوتا فوقف فزعا ثم رفع رأسه فاذا جبريل على كرسى بين السماء والارض متربعا يقول يا محمد أنت رسول الله حقا وأنا جبريل (فيسكن لذلك جأشه) بجيم فهمزة ساكنة ويجوز تسهيلها فشين معجمة أى اضطراب قلبه (وتقر) بفتح الفوقية والقاف (نفسه) والعطف تفسيرى (فيرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فاذا أوفى بذروة جبل تبدى) وفى رواية بدا فى الموضعين بدل تبدى (له جبريل فقال له مثل ذلك) يا محمد انك رسول الله حقا وهذا البلاغ ليس بضعيف كما ادعى عياض متمسكا بانه لم يسنده لان عدم اسناده لا يقدح فى صحته بل الغالب على الظن انه بلغه من الثقات لانه ثقة ثم ان معمرا لم

والاستجابة أيضا نوعان استجابة دعاء الطالب باعطائه سؤاله واستجابة دعاء المثنى بالثواب وبكل واحد من النوعين فسر قوله تعالى أجيب دعوة الداع اذا دعان والصحيح انه يعم النوعين

(فصل) وقد اختلف الناس فى القيام والسجود أيهما أفضل فرجحت طائفة القيام لوجوه أحدها ان ذكره أفضل الاذكار فكان ركنه أفضل الاركان والثانى قوله تعالى قوموا لله قانتين الثالث قوله عليه السلام أفضل الصلاة طول القنوت وقالت طائفة السجود أفضل واحتجت بقوله صلى الله عليه وسلم أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد وبحديث معدان بن أبى طلحة قال لقيت ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت حدثنى بحديث عسى الله ان ينفعنى به فقال عليك بالسجود فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد سجد لله سجدة الا رفع الله له بها درجة وحط عنه بها خطيئة قال معدان ثم لقيت أبا الدرداء فسألته فقال لى

ينفرد به عن الزهري بل تابعه عليه يونس بن يزيد عند الدولابي ورواه ابن سعد من حديث ابن عباس بنحوه وفي بعض النسخ التي متنها وفي رواية أبي داود سليمان بن الاشعث السجستاني قال جاورت بحراء شهرا فذكر حديث جابر الآتي الى قوله ولم تكن الرجفة وهي خطأ محض لتكررها مع الآتي وقصر عزوها لأبي داود مع انه أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي والذي في النسخ الصحيحة المقروءة انما هو ما يأتي لا ما هنا ولم يتعرض شيخنا لهذا انما كتب على الآتي وأيضا فالمناسب ذكره ثم لانه شرع هنا يتكلم على بعض حديث البخاري فقال (وقد تكلم العلماء في معنى قوله عليه السلام لخديجة قد خشيت على) لان ظاهره مشكل لاقتضائه الشك في أن ما أتاه من الله ولا يجوز ذلك في حقه صلى الله عليه وسلم فهو محتاج للتكلم في معناه فاختلفوا فيه على اثني عشر قولا (فذهب) الامام الحافظ الثبت أبو بكر أحمد بن ابراهيم بن اسمعيل بن العباس (الاسماعيلي) الجرجاني قال الحاكم كان واحد عصره وشيخ المحدثين والفقهاء وأجلهم رياسة ومروءة وسخاء علا اسناده وتفرد ببلاد العجم ومات في رجب سنة احدى وسبعين وثلثمائة (الى) حمله على ظاهره ولا ضير فيه لجواز (ان هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم الضروري بان الذي جاءه ملك من عند الله) وأما بعد حصوله فلا (وكان أشق) بالنصب خبر (شئ عليه) والاسم (أن يقال) أي قولهم (عليه مجنون) فكان يكره ذلك في نفسه وان لم يقل عليه حين نشأ فاتهم انما قالوه بعد دعائهم الى الايمان لتنفير الناس عنه أو علم بنور أودعه الله في قلبه انه يقال عليه وحاصل هذا القول ما لخصه الحافظ بقوله أولها انه خشي الجنون وأن يكون ما جاءه من جنس الكهانة جاء مصرحا به في عدة طرق وأبطله أبو بكر بن العربي وحق له ان يبطل لكن حمله الاسماعيلي على ذلك انتهى قال السهيلي ولم ير الاسماعيلي أن هذا المحال في مبدأ الامر لان العلم الضروري لا يحصل دفعة واحدة وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله فلا تدري أنظم هو أم نثر فاذا استمر الانشاد علمت قطعا انه قصد به الشعر كذلك لما استمر الوحي واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعي وقد أثنى الله عليه بهذا العلم فقال آمن الرسول الى قوله ورسله (وقيل ان خشيته كانت من قومه ان يقتلوه) وان كان عالما بأن ما جاءه من ربه (ولا غرو) بغين معجمة مفتوحة فراء فواو ولا عجب في خشيته ذلك وان كان سيد أهل اليقين لان ذلك مما يرجع للطبع (فانه بشر يخشى من القتل والاذية كما يخشى البشر) ثم يهون عليه الصبر في ذات الله كل خشية ويجلب الى قلبه كل شجاعة وقوة قاله في الروض ثالثها خشي الموت من شدة الرعب رابعها تعبيرهم اياه قال الحافظ وهذان أولى الاقوال بالصواب وأسلمها من الارتياب وما عداهما معترض خامسها خشي المرض وبه جزم ابن أبي جمرة سادسها دوامه سابعها العجز عن رؤية الملك من الرعب ثامنها مفارقة الوطن تاسعها عدم الصبر على أذى قومه عاشرها تكذيبهم اياه حادي عشرها ألا يقوم بهذا الامر وحمل أعباء النبوة فتزهق نفسه أو ينخلع قلبه لشدة ما لقيه أولا عند لقاء الملك ثاني عشرها انه هاجس قال الحافظ وهو باطل لانه لا يستقر وهذا استقر وحصلت بينهما المراجعة وأما قول عياض هذا أول ما رأى التباشير في النوم واليقظة وسمع الصوت قبل لقاء الملك وتحقق رسالة ربه أما بعد أن جاءه بالرسالة فلا يجوز عليه الشك فضعفه النووي بانه خلاف تصريح الحديث بان هذا بعد الغط واتيانه اقرأ وأجاب العيني بان مراده اخبارها بما حصل له لانه خاف حال الاخبار فلا يكون ضعيفا (وقوله ما أنا بقارئ أي اني أمي فلا أقرأ الكتب) فما نافية لا استفهامية لوجود الباء في الخبر وان جوزه الاخفش فهو شاذ والباء زائدة لتأكيد النفي أي ما أحسن القراءة قال السهيلي فلما قال ذلك ثلاثا قيل له اقرأ باسم ربك أي لا بقوتك ولا بمعرفتك لكن بحول ربك واعانته فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع علق الدم ومغمز الشيطان منك في الصغر بعد ما خلقه فيك كما خلقه في كل انسان فالآيتان

مثل ذلك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لربيعة بن كعب الاسلمي وقد سأله مرافقته في الجنة أعني على نفسك بكثرة السجود وأول سورة أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة اقرأ على الاصح وختمها بقوله واسجد واقترب وبان السجود لله يقع من المخلوقات كلها علويها وسفليها وبان الساجد أذل ما يكون وأخضع له وذلك أشرف حالات العبد فلذا كان أقرب ما يكون من ربه في هذه الحالة وبان السجود هو سر العبودية فان العبودية هي الذل والخضوع يقال طريق معبد اى ذللته الاقدام ووطأته وأذل ما يكون العبد وأخضع اذا كان ساجدا وقالت طائفة طول القيام بالليل أفضل وكثرة الركوع والسجود بالنهار أفضل واحتجت هذه الطائفة بان صلاة الليل قد خصت باسم القيام لقوله تعالى قم الليل وقوله صلى الله عليه وسلم من قام رمضان ايمانا واحتسابا ولهذا يقال قيام الليل ولا يقال قيام النهار قالوا وهذا كان هدى النبي صلى الله عليه وسلم فانه ما زاد في

المتقدمتان لمحمد صلى الله عليه وسلم والاخريان لامته وهما الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم لانها كانت أمة أمية لا تكتب فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم فتعلموا القرآن بالقلم وتعلمه نبيهم تلقيا من جبريل عليهما السلام (وقال القاضي عياض وغيره انما ابتدئ عليه السلام بالرؤيا لئلا يفجأه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتة فلا تحتملها قوى البشر فبدئ بأوائل خصال النبوة وتباشير الكرامة) من المرائى الصادقة الصالحة الدالة على ما يؤول اليه أمره وقد روى ابن اسحق فى مرسل عبيد بن عمير جاءنى جبريل وأنا نائم بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قلت ما أقرأ فغتنى حتى ظننت انه الموت وذكر أنه فعل به ذلك ثلاث مرات وهو يقول ما أقرأ ما أقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لى بمثل ما صنع فقال اقرأ باسم ربك الى قوله مالم يعلم فقرأتها ثم انصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كتب فى قلبى كتابا فذكر الحديث وذكر السهيلى عن بعض المفسرين ان الاشارة فى قوله تعالى ذلك الكتاب للذى جاءه به جبريل حينئذ) انتهى) واعترض على المصنف بأن الاولى تقديم هذا على قوله تكلم العلماء ورده شيخنا بأن الغرض منه بيان ما يوهم خلاف المراد فكان الاعتناء ببيانه أهم (فان قلت فلم كرر قوله ما أنا بقارئ ثلاثا فأجاب) الاولى حذف الفاء كما فى الفتح (أبو شامة) الامام الحافظ العلامة أبو القاسم عبد الرحمن بن اسمعيل بن ابراهيم بن عثمان المقدسى ثم الدمشقى الشافعى المقرى النحوى المتوفى تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وستمائة ومولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة (كما فى فتح البارى) بأن ذلك لحكمة (بأن يحمل قوله أولا على الامتناع وثانيا على الاخبار بالنفى المحض وثالثا على الاستفهام) بدليل روايتى كيف أقرأ وماذا أقرأ كما مر فهو حجة للاخفش فى جواز دخول الباء فى الخبر المثبت وبه جزم بعض الشراح ومرت حكمة تكرير اقرأ (والحكمة فى الغط ثلاثا شغله عن الالتفات لشئ آخر واظهار الشدة والجد فى الامر) وأن يأخذ الكتاب بقوة (تنبيها على ثقل القول) القرآن (الذى سيلقى اليه) فانه لما فيه من التكاليف ثقيل على المكلفين سيما النبى صلى الله عليه وسلم فانه كان يتحملها ويحملها أمته قاله البيضاوى (وقيل ابعاد الظن التخيل والوسوسة) اللذين ظنهما عليه الصلاة والسلام قبل كما فى رواية يونس عن ابن اسحق بسنده الى أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل انه صلى الله عليه وسلم قال لخديجة انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل بك ذلك انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث (لانهما ليسا من صفات الاجسام فلما وقع ذلك الغط ثلاثا (بجسمه علم أنه من أمر الله) فاطمأن وقيل الغطة الاولى للتخلى عن الدنيا والثانية لما يوحى اليه والثالثة للمؤانسة وقيل اشارة الى الشدائد الثلاث التى وقعت له وهى الحصر فى الشعب وخروجه الى الهجرة وما وقع له يوم أحد وفى الارسالات الثلاث اشارة الى حصول الفرج والتيسير له عقب الثلاث أو فى الدنيا والبرزخ والآخرة وقيل للمبالغة فى التنبيه ففيه انه ينبغى للمعلم الاحتياط فى تنبيه المتعلم وأمره باحضار قلبه (فان قلت من أين عرف صلى الله عليه وسلم ان جبريل ملك من عند الله وليس من الجن) وبم عرف انه حق لا باطل (فالجواب من وجهين أحدهما) يجوز (ان الله تعالى أظهر على يدى جبريل عليه السلام معجزات عرفه بها) ولم تذكر لانها مما لا تحيط بها عقولنا أولا يتعلق لنا بها غرض (كما أظهر الله تعالى على يدى محمد صلى الله عليه وسلم معجزات عرفناه بها) وعلى هذا اقتصر فى الكوكب وعمدة القارى (وثانيهما أن الله خلق فى محمد صلى الله عليه وسلم علما ضروريا بأن جبريل من عند الله ملك لا جنى ولا شيطان) عطف مباين بالصفة على ما ذكر الحافظ أن من كان كافرا سمى شيطانا والا فهو جنى أو بالذات على ما فى المقاصد أن الغالب على الجن عنصر الهواء وعلى الشياطين عنصر النار (كما أن الله تعالى خلق فى جبريل علما ضروريا

ماں

الا يسلم على أحد عشرة ركعة أو ثلاث عشرة ركعة وكان يصلى الركعة فى بعض الليالى بالبقرة وآل عمران والنساء وأما بالنهار فلم يحفظ عنه شئ من ذلك بل كان يخفف السنن * وقال شيخنا الصواب انهما سواء والقيام أفضل بذكره وهو القراءة والسجود أفضل بهيأته فهيأة السجود أفضل من هيأة القيام وذكر القيام أفضل من ذكر السجود وهكذا كان هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان اذا أطال القيام أطال الركوع والسجود كما فعل فى صلاة الكسوف وفى صلاة الليل وكان اذا خفف القيام خفف الركوع والسجود وكذلك كان يفعل فى الفرض كما قاله البراء بن عازب كان قيامه وركوعه وسجوده واعتداله قريبا من السوء والله أعلم

(فصل) ثم كان صلى الله عليه وسلم يرفع رأسه مكبرا غير رافع يديه ويرفع منه رأسه قبل يديه ثم يجلس مفترشا يفرش رجله اليسرى ويجلس عليها وينصب اليمنى وذكر النسائى عن ابن عمر قال من سنة الصلاة ان ينصب القدم اليمنى

بان المتكلم معه هو الله تعالى وأن المرسل له رب تعالى لا غيره) ولعل الثاني أولى (وقول ورقة
باليتني فيها جذعا الضمير للنبوة) أي مدة النبوة زاد الحافظ أو الدعوة والعيني أو الدولة واستشكل هذا
النداء بان لا منادى ثم يطلب اقباله بياو بأن ليت حرف وحرف النداء لا يدخل على فعل أبو البقاء
والا كثر المنادى محذوفا أي يا محمد وضعفه ابن مالك بأن قائل ليتني قد يكون وحده فلا يكون معه
منادى كقول مريم باليتني مت وأجيب بانه يجوز أن يجرد من نفسه نفسا يخاطبها كان مريم قالت
يا نفسي ليتني فكذا يقدر هنا وضعف ابن مالك دعوى الحذف أيضا بانه انما يجوز اذا كان الموضع الذى
ادعى فيه حذفه مستعملا فيه ثبوته كحذف المنادى قبل أمر نحو ألا يا اسجدوا في قراءة الكسائي أي
يا قوم أو دعاء نحو ألا يا اسلمي أي ألا يا دار فحسن حذف المنادى قبلها اعتياد ثبوته نحو يا يحيى خذ
الكتاب ياموسى ادع لنا ربك بخلاف ليت فلم تستعمله العرب ثابتا قبلها فادعاء حذفه باطل ورده
العيني بانه لا ملازمة بين جواز الحذف وبين ثبوت استعماله قلت وهو رد لين والذى اختاره ابن مالك
أن يا هذه لمجرد التنبيه مثل الا في ألا ليت شعري هو الوجيه وفسر جذعا بقوله (أي ليتني كنت شابا عند
ظهورها حتى أبالغ في نصرتها وحمايتها) بنصرك وحمايتك وفي مرسل عبيد بن عمير لئن أنا أدركت
ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه (وأصل الجذع) قال ابن سيده مفرد جذعان وجذاع بالكسر
والضم وأجذاع قال الازهرى ويسمى الدهر جذعا لانه شاب لا يهرم (من أسنان الدواب) واستعير
للانسان ومعناه على التشبيه حيث أطلق الجذع الذى هو الحيوان المنتهى الى القوة وأراد به الشاب
الذى فيه قوة الرجل وتمكنه من الامر و (وهو ما كان منها شابا فتيا) قال ابن سيده قيل الجذع من
المعز الداخل في السنة الثانية ومن الابل فوق الحق وقيل منها الاربع ومن الخيل لسنتين ومن الغنم
لسنة وقيل معناه يا ليتني أدرك أمرك فأكون أول من يقوم بنصرك كالجذع الذى هو أول الاسنان
قال صاحب المطالع والقول الاول أبين (وأخرج البيهقي من طريق العلاء بن جارية) بجيم وراء وتحتية
(الثقفي) صحابي كما في الاصابة وغيرها لكن الراوى هنا انما هو حفيده فالذى عند البيهقي من طريق
ابن اسحق قال حدثني عبد الملك بن عبد الله بن أبي سفيان العلاء بن جارية الثقفي وكان واعية أي للعلم
فسقط على المصنف اسمه واسم أبيه وكنية جده المسمى بالعلاء وأتى باسمه وليس هو الراوى لان ابن
اسحق ليس تابعيا بل من صغار الخامسة وقد قال حدثني فانما الراوى حفيد العلاء وهو عبد الملك (عن
بعض أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد الله كرامته وابتداءه) عطف تفسير (بالنبوة كان
لا يمر بحجر ولا شجر الا سلم عليه وسمع منه) ذكره لانه لا يلزم من السلام أن يسمعه وكان ابتداء ذلك قبل
النبوة بسنتين على ما روى ابن الجوزى عن ابن عباس قال أقام صلى الله عليه وسلم بمكة خمس عشرة
سنة سبعا يرى الضوء والنور ويسمع الصوت وثمان سنين يوحى اليه قال الخزن وهذا ان صح يحمل
على سنتين قبل النبوة فيما كان يراه من تباشيرها وثلاث سنين بعدها قبل اظهار الدعوة وعشر سنين
معلن بالدعوة بمكة انتهى وهو محمل مناف لقوله ثمانية اللهم الا أن يقال الحق سنتين من ابتداء العشر
بما قبلها لعدم ظهور الدعوة فيهما كل الظهور (فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه وعن
يمينه وعن شماله فلا يرى الا الشجر وما حوله من الحجارة وهي تحية بتحية النبوة) التي لم تكن معروفة
قبلها اكراما واعلاما بانه سيوحى اليه بالرسالة تقول (السلام عليك يا رسول الله الحديث) وأفاد
المصنف فيما يأتي استمرار السلام بعد النبوة قال السهيلي الاظهر انهما نطقا بذلك حقيقة وليست
الحياة والعلم والارادة شرطا له لانه صوت وهو عرض عند الاكثر لا جسم كما زعم النظام وان قدر
الكلام صفة قائمة بنفس الشجر والحجر فلا بد من شرط الحياة والعلم مع الكلام فيكونان مؤمنين به

واستقباله بأصابعه القبلة والجلوس على اليسرى ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم في هذا الموضع جلسة غير هذه وكان يضع يديه على فخذيه ويجعل مرفقه على فخذه وطرف يده على ركبته وقبض ثنتين من أصابعه وحلق حلقة ثم رفع أصبعه يدعو بها ويحركها هكذا قال وائل ابن حجر عنه واما حديث أبي داود عن عبد الله بن الزبير ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يشير باصبعه اذا دعا ولا يحركها فهذه الزيادة في صحتها نظر وقد ذكر مسلم الحديث بطوله في صحيحه عنه ولم يذكر هذه الزيادة بل قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه وفرش قدمه اليمنى ووضع يده اليسرى على ركبته اليسرى ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى وأشار باصبعه وأيضا فليس في حديث أبي داود عنه ان هذا كان في الصلاة وأيضا لو كان في الصلاة لكان نافيا وحديث وائل بن حجر مثبتا وهو مقدم وهو حديث صحيح ذكره أبو حاتم في

ويحتمل انه مضاف في الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن فهو مجاز كاسأل القرية وفي كلها علم على النبوة لكن لا يسمى معجزة الاما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته انتهى ملخصا (وعن جابر) بن عبد الله الانصاري الخزرجي الصحابي ابن الصحابي (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء) أقمت فيه والفرق بينه وبين الاعتكاف انه لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارجه قاله ابن عبد البر وغيره ولذا لم يسمه اعتكافا لان حراء ليس من المسجد (شهرا) في مدة الفترة غير الشهر الذي نزل عليه فيه جبريل بسورة اقرأ في مرسل عبيد بن عمير عند البيهقي انه كان يجاور في كل سنة شهرا وهو رمضان فلا حجة في الحديث على أن أول ما نزل المدثر (فلما قضيت جواري) بكسر الجيم وخفة الواو أي مجاورتي (هبطت) وفي مسلم نزلت فاستبطنت بطن الوادي أي صرت في باطنه (فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيأ ونظرت عن شمالي فلم أر شيأ ونظرت خلفي فلم أر شيأ فرفعت رأسي فرأيت شيأ) هو جبريل كما قال في بدء الوحي والتفسير فرفعت بصري فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض وهو معنى رواية التفسير أيضا وهو جالس على عرش بين السماء والارض (فلم أثبت له) وفي بدء الوحي فرعبت منه قال الحافظ فدل على بقية بقيت معه من الفزع الاول ثم زالت بالتدريج (فأتيت خديجة فقلت دثروني دثروني) مرتين هكذا في الصحيحين في التفسير وفي البخاري في بدء الوحي زملوني زملوني والاول أولى لاتفاقهما عليه ولانه كما قال الزركشي أنسب بنزول المدثر (وصبوا على ماء باردا) أي على جميع بدني على ظاهره (فنزلت) ايناسا له واعلاما بعظيم قدره وتلطفا (يا أيها المدثر) بثيابه قاله الجمهور وعن عكرمة بالنبوة وأعبائها (قم) من مضجعك أو هو مجاز أي قم مقام تصميم (فأنذر) حذر من العذاب من لم يؤمن بك وحذف المفعول تفخيما وفيه انه أمر بالانذار عقب نزول الوحي للاتيان بفاء التعقيب واقتصر على الانذار وان كان بشيرا ونذيرا لان التبشير انما يكون لمن دخل في الاسلام ولم يكن حينئذ من دخل فيه (وربك فكبر) عظمه ونزهه عما لا يليق به وقيل المراد تكبير الصلاة واعترض (الآية) أل للجنس بدليل رواية بدء الوحي فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر الى قوله والرجز فاهجر يعني وثيابك فطهر من النجاسة أو قصرها أو طهر نفسك من كل نقص أي اجتنب النقائص والرجز فاهجر الرجز لغة العذاب وفسر في الحديث بالاوثان لانها سبب العذاب وقيل الشرك وقيل الظلم وكلها أفراد فالمراد دم على ما أنت عليه من التوحيد ويؤول الى العذاب (وذلك قبل ان تفرض الصلاة) التي هي ركعتان بالغداة وركعتان بالعشي لانها المحتاجة للتنبيه عليها وأما الخمس فمتأخرة عن ذلك لكونها ليلة الاسراء (رواه البخاري) في التفسير والأدب وبدء الوحي (ومسلم) في التفسير (والترمذي والنسائي ولم يكن جواره عليه الصلاة والسلام لطلب النبوة) لانه ولو علم بالبشارات الحاصلة قبل ولادته واخبار الكهنة وبحيرا وغيرهم بانه نبي آخر الزمان لكن صانه الله سبحانه عن اعتقاد ما يخالف ما عنده تعالى من أنها لا تنال بطلب فانه صلى الله عليه وسلم قبل النبوة منشرح الصدر بالتوحيد والايمان وكذلك الانبياء فانهم كما قال عياض معصومون قبلها من الشك في ذلك والجهل به اتفاقا فانما كان جواره مجرد عبادة وانعزال عن الناس واقتفاء لآثار جده فانه كما مر أول من تحنث بحراء لا للنبوة (لانها أجل من أن تنال بالطلب والاكتساب) عطف تفسير (وانما هي موهبة) بكسر الهاء (من الله وخصوصية يخص بها من يشاء من عباده) ولو كانت تنال بذلك لنالها كثير من العباد سنين كثيرة (و) قد قال سبحانه (الله أعلم حيث يجعل رسالاته) أي المكان الذي يضعها فيه وغرض المصنف دفع ما يتوهم أن الجوار للنبوة التي الكلام فيها فأين اشعاره بأن الولاية مكتسبة حتى يعترض عليه بنص بعض المحققين على امتناع اكتساب الولاية أيضا لكن

بتحيته ثم يقول اللهم اغفر لي وارحمني واجبرني واهدني وارزقني هكذا ذكره ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم وذكر حذيفة انه كان يقول رب اغفر لي رب اغفر لي وكان هديه صلى الله عليه وسلم اطالة هذا الركن بقدر السجود وهكذا الثابت عنه في جميع الاحاديث وفي الصحيح عن أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد بين السجدتين حتى نقول قد أوهم وهذه السنة تركها أكثر الناس من بعد انقراض عصر الصحابة ولهذا قال ثابت وكان أنس يصنع شيأ لا أراكم تصنعونه يمكث بين السجدتين حتى نقول قد نسي أو قد أوهم وأما من حكم السنة ولم يلتفت الى ما خالفها فانه لا يعبأ بما خالف هذا الهدى

(فصل) ثم كان صلى الله عليه وسلم ينهض على صدور قدميه وركبتيه معتمدا على فخذيه كما ذكر عنه وائل وأبو هريرة ولا يعتمد على الارض بيديه وقد ذكر عنه مالك بن الحويرث أنه كان لا ينهض حتى يستوي جالسا وهذه هي التي

لا يكفر الاعجوزا كتساب النبوة ثم لا يقتصر كما قال بعض المتأخرين شأن مجوزا اكتساب الولاية عن التصديع (ولم تكن الرجفة المذكورة) فى قوله فلما أبصرته وفى رواية فرعبت منه وفى أخرى فجئثت بضم الجيم وكسر الهمزة وسكون المثلثة فقوله وفى أخرى فجثثت بمثلثتين من جئث كعنى وفيه روايات أخر والكل فى الصحيح (خوفا من جبريل عليه السلام فانه صلى الله عليه وسلم أجل من ذلك وأثبت جنانا) بفتح الجيم أى قلبا (وانما رجف) بفتحتين (غبطة) بكسر الغين فرحا (بحاله) وهى فى الاصل حسن الحال كما فى القاموس (واقباله على الله عزوجل خشى أن يشتغل بغير الله عن الله) وقد آمن الله خوفه فلم يكن يشغله عن الله شئ (وقيل) لم يخش ذلك بل (خاف من ثقل أعباء النبوة) أثقالها جمع عب مهموز فالاضافة بيانية (وفى رواية البيهقى فى الدلائل أن خديجة قالت لابى بكر) الصديق قال الزمخشرى لعله كنى بذلك لابتكاره الخصال الحميدة (يا عتيق) ظاهر فى القبول بأنه اسمه الاصلى لان أمه استقبلت به الكعبة لما ولدته وقالت اللهم هذا عتيقك من الموت لانه كان لا يعيش لها ولد وقيل سمى به لقول المصطفى من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر وبينهما تناف فان قول خديجة قبل ظهور النبوة وقد يتعسف التوفيق بأنه اسمه ابتداء لكن لم يشتهر به الا بعد قول المصطفى والصحيح ما جزم به البخارى وغيره أن اسمه عبد الله بن عثمان (اذهب به الى ورقة فأخذه أبو بكر فقص عليه ما رأى) ووفق العينى بين هذا ونحوه وبين ما فى الصحيح انها ذهبت معه الى ورقة بأنها أرسلته مع الصديق مرة وذهبت به أخرى وسألت عداسا بمكة وسافرت الى بحيرا كما رواه التيمى كل ذلك من شدة اعتنائها به صلى الله عليه وسلم ورضى عنها انتهى وبين ما قصه بقوله (فقال عليه الصلاة والسلام اذا خلوت وحدى سمعت نداء يا محمد فأنطلق هاربا) خوفا أن يكون من الجن (فقال لا تفعل اذا قال) المنادى ذلك (فاثبت حتى تسمع) ما بعد يا محمد (ثم ائتنى فأخبرنى فلما خلا ناداه) على عادته التى كان يفعلها معه (يا محمد فثبت فقال قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الى آخرها) أى الفاتحة (ثم قال قل لا اله الا الله الحديث) وغرضه من سياقه انه معارض بحديث الصحيح فى أن أول ما نزل اقرأ كما أرشد الى ذلك قوله الآتى فقال البيهقى هذا منقطع الخ كذا قوله (واحتج بذلك من قال بأولية نزول الفاتحة) أولية مطلقة والصحيح أن أول ما نزل عليه صلى الله عليه وسلم من القرآن) أول سورة (اقرأ) الى قوله ما لم يعلم (كما صح ذلك عن عائشة) مرفوعا (وروى عن أبى موسى الاشعرى وعبيد بن عمير) بن قتادة بن سعد أبى عاصم الليثى المكى قاضيها الثقة الحافظ أحد كبار التابعين (قال النووى وهو الصواب الذى عليه الجماهير من السلف والخلف وأما ما روى عن جابر وغيره أن أول ما نزل) مطلقا أول سورة (يا أيها المدثر) الى قوله والرجز فاهجر (فقال النووى ضعيف بل باطل) بطلانا ظاهرا ولا تغتر بجلالة من نقل عنه فان الحق لقين له هم الجماهير ثم ليس ابطاله لقوله تقليدا للجماهير بل تمسكا بالدلائل الظاهرة ومن أصرحها حديث عائشة (وانما نزلت) يا أيها المدثر (بعد فترة الوحى) بعد نزول اقرأ كما صرح به فى مواضع من حديث جابر نفسه كقوله وهو يحدث عن فترة الوحى الى أن قال فأنزل الله يا أيها المدثر وقوله فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسيه بين السماء والارض وقوله فحمى الوحى وتتابع أى بعد فترته انتهى كلام النووى كله فى شرحه للبخارى وهو قطعة من أوله فلا حجة فى حديث جابر على الاولية المطلقة وان استدل به جابر عليه ففى البخارى ومسلم من طريق يحيى بن أبى كثير قال سألت أبا سلمة ابن عبد الرحمن أى القرآن أنزل أول فقال يا أيها المدثر فقلت أنبئت انه اقرأ باسم ربك فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله أى القرآن أنزل أول فقال يا أيها المدثر فقلت أنبئت انه اقرأ باسم ربك قال لا أخبرك الا بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاورت بحراء الحديث المتقدم فى المصنف ولذا قال

تسمى جلسة الاستراحة واختلف الفقهاء فيها هل هى من سنن الصلاة فيستحب لكل أحد أن يفعلها أو ليست من السنن وانما يفعلها من احتاج اليها على قولين هما روايتان عن أحمد رحمه الله قال الخلال رجع أحمد الى حديث مالك بن الحويرث فى جلسة الاستراحة وقال أخبرنى يوسف بن موسى أن أبا امامة سئل عن النهوض فقال على صدور القدمين على حديث رفاعة وفى حديث ابن عجلان ما يدل على أنه كان ينهض على صدور قدميه وقد روى عن عدة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وسائر من وصف صلاته صلى الله عليه وسلم لم يذكر هذه الجلسة وانما ذكرت فى حديث أبى حميد ومالك بن الحويرث ولو كان هديه صلى الله عليه وسلم فعلها دائما لذكرها كل واصف لصلاته صلى الله عليه وسلم ومجرد فعله صلى الله عليه وسلم لها لا يدل على أنها من سنن الصلاة الا اذا علم انه فعلها سنة يقتدى به فيها وأما اذا قدر أنه فعلها للحاجة لم يدل على كونها سنة فهذا من تحقيق

الكرماني استخرج جابر أن أول ما نزل يا أيها المدثر باجتهاده وليس هو من روايته فالصحيح ما في حديث عائشة من ان أول ما نزل اقرأ انتهى لانها رفعته والمرفوع مقدم على الاستنباط ولا سيما مع قبوله للتأويل بل هو الظاهر منه وبهذا علمت صعوبة قول السيوطي والمصنف مراد جابر اولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي أو بالامر بالانذار أو بقيد السبب وهو ما وقع من التشديد وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب انتهى لان هذا انما يصح لو لم يقل له السائل أثبت أن أوله اقرأ نعم هي أجوبة عن دليله فان قلت كيف حكم النووي وغيره بالضعف بل بالبطلان على المروي عن جابر مع صحة الطريق اليه كيف وهو في أرفع الصحيح مروي الشيخين قلت حكمه انما هو على نفس القول الذي صحت نسبته لقائله بصحة اسناده ونظير هذا في القرآن كثير قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون فلا شك ان قولهم باطل ولا في القطع بأنهم قالوه (وأما حديث البيهقي) المار (أنه الفاتحة كقول بعض المفسرين فقال البيهقي هذا منقطع) فلا حجة فيه لانه من أقسام الضعيف (فان كان محفوظا) من غير هذا الوجه (فيحتمل أن يكون خبرا عن نزولها بعد ما نزلت عليه اقرأ باسم ربك ويا أيها المدثر) فلا حجة فيه للاولية المطلقة وبهذا يسقط زعم ان رواية البيهقي قبل أن يرى المصطفى جبريل بالمرة (وقال النووي بعد ذكر هذا القول بطلانه أظهر من أن يذكر) لمخالفته للمرفوع مع صحته وعدم تطرق الاحتمال اليه لصراحته ولذا جزم به الجمهور (انتهى) فتحصل ثلاثة أقوال في أول ما نزل اقرأ المدثر الفاتحة وقيل المزمل وقيل ن والقلم وهما ضعيفان أيضا (وقد روى ان جبريل عليه السلام أول ما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن أمره بالاستعاذة كما رواه الامام) المجتهد المطلق (أبو جعفر) محمد (بن جرير) الطبري البغدادي الحافظ (عن ابن عباس قال أول ما نزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم قال يا محمد استعذ قال أستعيذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم) يحتمل انه فهم منه هذا اللفظ أو قال له قل ذلك كما (قال) له (قل بسم الله الرحمن الرحيم) فقالها (ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق قال عبد الله) بن عباس (وهي أول سورة أنزلها على محمد صلى الله عليه وسلم) ولو صح لكان حكمه الرفع اذ لا مجال للرأي فيه لكن (قال الحافظ عماد الدين بن كثير بعد أن ذكره وهذا الاثر غريب وانما ذكرناه ليعرف فان في اسناده ضعفا وانقطاعا) ولا يقدح ذلك في جلالة مخرجه ابن جرير لان المحدثين اذا أوردوا الحديث بسنده برئوا من عهدته (والله أعلم) بصحته في نفس الامر وضعفه (وقد أورد) الامام (ابن أبي جمرة) بجيم وراء (سؤالا وهو انه لم اختص صلى الله عليه وسلم بغار حراء) الباء داخلة على المقصور عليه أي لم قصر نفسه على الخلوة به دون غيره وفي نسخة لم خص غار حراء أي لم ميزه والمعنى واحد (فكان يخلو فيه ويتحنث دون غيره من المواضع وأجاب بأن) المصطفى خصه لان (هذا الغار له فضل زائد على غيره من جهة أنه منزو مجموع) صفة كاشفة في المختار زوى الشئ جمعه ولعل المعنى هنا منعطف مثل عن مرور الناس عليه فيتمكن من عدم مخالطتهم فيتخلى للعبادة صالح (لتحنثه) فهو متعلق بمحذوف أو مجموع على انه نعت سببي أي مجموع حواس من يختلي به (وهو يبصر) فيه (بيت ربه) الكعبة (والنظر الى البيت عبادة) كما في الخبر ان الله ينزل عليه عشرين رحمة (فكان له فيه اجتماع ثلاث عبادات الخلوة) هي أن يخلو عن غيره بل وعن نفسه بربه وعند ذلك يكون خليقا بأن يكون قالبه محل الواردات من علوم الغيب وقلبه مقرا لها قاله المصنف (والتحنث والنظر الى البيت وغيره ليس فيه هذه الثلاث) وناهيك بالخلوة من عبادة لانها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق والراحة من أشغال الدنيا والتفرغ لله فيجد الوحي فيه متمكنا كما قيل * وصادف قلبا خاليا فتمكنا * ولذا حببت للمصطفى ثم هذا الجواب أولى من قول المصنف في شرح البخاري انما كان يخلو بحراء دون غيره لان جده عبد المطلب أول من كان يخلو

فيه

الصلاة فهذا من تحقيق المناط في هذه المسئلة وكان اذا نهض افتتح القراءة ولم يسكت كما كان يسكت عند افتتاح الصلاة فاختلف الفقهاء هل هذا موضع استعاذة أولا بعد اتفاقهم على أنه ليس موضع استفتاح وفي ذلك قولان هما روايتان عن أحمد وقد بناهما بعض أصحابه على أن قراءة الصلاة هل هي قراءة واحدة فيكفي فيها استعاذة واحدة أو قراءة كل ركعة مستقلة برأسها ولا نزاع بينهم ان الاستفتاح لمجموع الصلاة والاكتفاء باستعاذة واحدة أظهر للحديث الصحيح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نهض من الركعة الثانية استفتح القراءة ولم يسكت وانما يكفي استفتاح واحد لانه لم يتخلل القراءتين سكوت بل تخللهما ذكر فهي كالقراءة الواحدة اذا تخللها حمد الله أو تسبيح أو تهليل أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الثانية كالاولى سواء الا في أربعة أشياء السكوت والاستفتاح وتكبيرة الاحرام وتطويلها

فيه من قريش وكانوا يعظمونه لجلالته وسنه فتبعه على ذلك فكان يخلو به كان جده وكان الزمن الذي يخلو فيه شهر رمضان فان قريشا كانت تعظمه كما كانت تصوم شهر عاشوراء انتهى (ولله در المرجاني) عبد الله بن محمد القرشي الامام القدوة الواعظ المفسر أحد الاعلام في الفقه والتصوف قدم مصر ووعظ بها واشتهر في البلاد وامتحن وأفتى العلماء بتكفيره ولم يؤثر وافيه فعملوا عليه الحيلة فقتل بتونس سنة تسع وتسعين وستمائة ذكره في اللواقح (حيث قال في فضائل حراء وما اختص به) أبياتا هي (تأمل حراء) بالمد على اللغة الفصحى فيه ولا يقصر هنا الا وزن (في جمال محياه) هو الوجه (فكم من أناس من حلى) بضم الحاء (حسنه تاه) باشباع الهاء للروي (فما حوى) الظاهر أن مبتدأ بمعنى بعض على حد ما قيل في نحو قوله تعالى ومن الناس من يقول آمنا بالله ما موصول وصلته جملة حوى والعائد محذوف أي فبعض الذي حواه (من) فاعل حوى (جا) صلته (لعلياه) متعلق به (زائرا *) حال من الفاعل للتبرك بحلول المصطفى وجبريل فيه كما نزل صلى الله عليه وسلم في أماكن حل بها أنبياء ليلة الاسراء والخبر هو قوله (يفرج عنه الهم في حال مرقاه) بالبناء للمفعول أي يفرج الله كل همه في حال صعوده ذلك الجبل الذي أجل فضائله أنه كانت (به خلوة الهادي الشفيع محمد *) قبل النبوة وبعدها في مدة الفترة (وفيه له غاراه) كررها التقوية والاشارة الى اختصاصه به حتى كأنه ملكه (كان يرقاه) فجاءه فيه جبريل (وقبلته للقدس كانت بغاره *) فيه نظر فانه انما صلى للقدس بعد الاسراء وفرض الصلاة وأول ما صلى الى الكعبة كما يجيء ضمنا في تحويل القبلة ويحتمل انه بناه على انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا قبل النبوة بشرع موسى وكانت قبلته القدس (وفيه أتاه الوحي في حال صبراه) من الصبر حبس النفس على الخلوة به والتعبد فيه وفي نسخ مبداه والاولى احسن لعدم الايطاء فانه سيقول مبداه رابع بيت بعد هذا (وفيه تجلى الروح الموقف الذي * به الله في وقت البداءة سواه) تحت تخوم الارض) جمع تخم كفلس وفلوس وهو منتهى كل قرية أو أرض أو حدودها وقال ابن السكيت تخوم مفرد وجمعه تخم مثل صبور وصبر كما في الصحاح وغيره (في السبع أصله *) أي أن أصله تحت الارض السابعة (ومن بعد هذا اهتز) تحرك طربا بمن علاه (بالسفل) أي بسبب تحرك اسفله وفاعل اهتز (أعلاه) معجزة روى مسلم عن أبي هريرة انه صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير فتحركت الصخرة فقال صلى الله عليه وسلم اسكن حراء فما عليك الا نبي أو صديق أو شهيد ووقع ذلك لاحد وثبير أيضا ويأتي ان شاء الله تفصيله في المعجزات (ولما تجلى الله قدس ذكره *) أي أظهر من نوره قدر نصف أنملة الخنصر كما في حديث صححه الحاكم (لطور تشظى) أي تفلق وتطاير منه قطع فصارت جبالا (فهو احدى شظاياه) جمع شظي وهو كل فلقة من شيء وتشظى العود تطاير شظايا كما في القاموس (ومنها) أي شظاياه (ثبير) بمثلثة فموحدة فتحتية فراء بوزن أمير جبل مقابل حراء وبينهما الوادي وهما على يسار السالك الى منى حراء قبلي ثبير مما يلي شمال الشمس (ثم ثور) بمثلثة جبل (بمكة *) به الغار المذكور في التنزيل دخله صلى الله عليه وسلم في الهجرة (كذا قد أتى في نقل تاريخ مبداه) أي حراء والله أعلم بصحته (وفي طيبة أيضا) تشظى الطور (ثلاث فعدها * فعيرا) أي فتشظى عيرا بفتح العين وسكون التحتية وراء مهملة بلفظ مرادف الحمار جبل قبلي المدينة قرب ذي الحليفة قال فيه صلى الله عليه وسلم وعير يبغضنا ونبغضه وانه على باب من أبواب النار رواه البزار وغيره لكن الناظم في عهدة ان عيرا منها فالذي رواه الواحدي مرفوعا كما يأتي وحكاه البغوي عن بعض التفاسير بدل عير رضوى وهو بفتح الراء وسكون الضاد المعجمة جبل بالمدينة على ما في الصحاح وفي حديث رضوى رضي الله عنه وقدس فهذا المناسب لكونه من شظايا الطور ومع

كالاولى فانه صلى الله عليه وسلم كان لا يستفتح ولا يسكت ولا يكبر للاحرام فيها ويقصرها عن الاولى فتكون الاولى أطول منها في كل صلاة كما تقدم فاذا جلس للتشهد وضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ووضع يده اليمنى على فخذه اليمنى وأشار باصبعه السبابة وكان لا ينصبها نصبا ولا ينيمها بل يحنيها شيأ ويحركها كما تقدم في حديث وائل ابن حجر وكان يقبض أصبعين وهما الخنصر والبنصر ويحلق حلقة وهي الوسطى مع الابهام ويرفع السبابة يدعو بها ويرمي ببصره اليها ويبسط الكف اليسرى على الفخذ اليسرى ويتحامل عليها وأما صفة جلوسه فكما تقدم بين السجدتين سواء يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى ولم يروعنه في هذه الجلسة غير هذه الصفة وأما حديث عبد الله ابن الزبير رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا قعد في الصلاة جعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه وفرش قدمه اليمنى فهذا في التشهد الاخير كما يأتي وهو أحد الصفتين

انه الوارد لا غير المبغوض (و ورقانا) بفتح الواو وكسر الراء وسكنها النظم فقاف قال فى القاموس ورقان بكسر الراء جبل أسود بين العرج والرويثة بيمين المصعد من المدينة الى مكة حرسهما الله تعالى (وأحدا) بضم الهمزة والحاء وسكنها الوزن الجبل المشهور الذى قال فيه المصطفى أحد جبل يحبنا ونحبه (رويناه) أخرج الواحدى عن أنس رفعه لما تجلى ربه للجبل جعله دكا طار لعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة بالمدينة أحد وورقان ورضوى ووقع بمكة ثور وثبير وحراء وقال البغوى وفى بعض التفاسير فذكره ولم يرفعه فى فتح البارى أخرجه ابن أبى حاتم عن أبى مالك رفعه وهو غريب مع ارساله (ويقبل فيه) فى حراء (ساعة الظهر) دعاء (من دعا به وينادى من دعانا أجبناه وفى أحد الاقوال فى عقبة حرا *) بالقصر والصرف وسكون قاف عقبة للشعر قال القاموس العقبة بالتحريك أى بفتح العين والقاف مرقى صعب من الجبال والجمع عقاب (أتى ثم) جاء هنالك (قابيل) بن آدم (هابيل) اخيه (غشاه) أى قتله قال الثعلبى كان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا فى مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل ثور وقال بعضهم على عقبة حراء وقال جعفر الصادق بالبصرة فى المسجد الاعظم انتهى وذكر السدى بأسانيده ان سبب قتله ان آدم كان يزوج ذكر كل بطن من ولده بأنثى الآخر وكانت أخت قابيل أحسن من أخت هابيل فأراد قابيل أن يستأثر بأخته فمنعه آدم فلما ألح عليه به أمرهما أن يقربا قربانا فقرب قابيل حزمة من زرع وكان صاحب زرع وقرب هابيل جذعة سمينة وكان صاحب مواش فنزلت نار فأكلت قربان هابيل دون قابيل فكان ذلك سبب الشر بينهما قال فى فتح البارى هذا هو المشهور ونقل الثعلبى بسند واه عن جعفر الصادق أنه انكر ان يكون آدم زوج ابناله بابنة له وانما زوج قابيل جنية وزوج هابيل حورية فغضب قابيل فقال له يا بنى ما فعلته الا بامر الله فقربا قربانا وهذا لا يثبت عن جعفر ولا عن غيره ويلزم منه أن بنى آدم من ذرية ابليس لانه أبو الجن كلهم أو من ذرية الحور العين وليس لذلك أصل ولا شاهد انتهى (ومما حوى) حراء (سرا) هو لغة ما يكتم ويستعار للشئ النفيس (حوته صخوره *) أى حراء (من التبر) بالكسر الذهب والفضة اوفتاتهما قبل ان يصاغا فاذا صيغا فهما ذهب وفضة أو ما استخرج من المعدن قبل ان يصاغ قاله القاموس (اكسيرا) بالكسر الكيمياء كما فى القاموس (يقام) يصاغ ومعنى البيت (سمعناه) أى روينا عن غيرنا تسبيحا ونصدقه أنى (سمعت به) بحراء (تسبيحها) أى صخوره (غير مرة * وأسمعته جمعا فقالوا سمعناه) أى نفس التسبيح بآذاننا فاندفع الايطاء بوجه بديعى (به مركز موضع) النور الالهى (مثبتا *) ثابتا (فلله ما أحلى) أعذب (مقاما) بضم الميم وفتحها على ما فى القاموس أى اقامة (بأعلاه) وجعل الجوهرى الضم للاقامة من أقام يقيم والفتح للموضع قال وقوله تعالى لا مقام لكم أى لا موضع لكم وقرئ بالضم أى لا اقامة لكم انتهى واعلم ان قوله ولله در المرجانى الى هنا ساقط فى أكثر النسخ لكنه ثابت فى بعض النسخ القديمة المقروءة (وروى أبو نعيم) أحمد بن عبد الله الاصبهانى فى دلائل النبوة من حديث عائشة (ان جبريل وميكائيل شقا صدره وغسلاه ثم قال) جبريل (اقرأ باسم ربك) وفى نسخة قالا فان كان محفوظا فلعله نسبه لهما وان كان القائل جبريل لاقرار ميكائيل مقالة جبريل ورضاه بها (الآيات) الى قوله ما لم يعلم (الحديث وفيه فقال ورقة أبشر أشهد بأنك الذى بشر بك المسيح بن مريم) فى قوله ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد (وأنك على مثل) أى صفة مماثلة لصفة (ناموس موسى) من مجيء الوحى لك كما جاءه (وانك نبى مرسل) وفيه دلالة ظاهرة على ايمانه (وكذا روى شق صدره الشريف هنا) عند مجيء الوحى (أيضا) وفاعل روى (الطيالسى) أبو داود سليمان بن الجارود البصرى الحافظ الثقة كثير الحديث روى عن ابن عون وشعبة وخلق وعنه أحمد وابن المدينى وغيرهما علق له البخارى وأخرج له مسلم والاربعة توفى سنة ثلاث أو أربع ومائتين عن ثنتين وسبعين

اثنتين روينا عنه وفى الصحيحين من حديث أبى حميد فى صفة صلاته صلى الله عليه وسلم فاذا جلس فى الركعتين جلس على رجله اليسرى ونصب الاخرى واذا جلس فى الركعة الاخيرة قدم رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته فذكر أبو حميد أنه كان ينصب اليمنى وذكر ابن الزبير أنه كان يفرشها ولم يقل أحد عنه صلى الله عليه وسلم ان هذه صفة جلوسه فى التشهد الاول ولا أعلم أحدا قال به بل من الناس من قال يتورك فى التشهدين وهذا مذهب مالك رضى الله عنه ومنهم من قال يفترش فيهما فينصب اليمنى ويفترش اليسرى ويجلس عليها وهو قول أبى حنيفة رضى الله عنه ومنهم من قال يتورك فى كل تشهد يلى السلام ويفترش فى غيره وهو قول الشافعى رضى الله عنه ومنهم من قال يتورك فى كل صلاة فيها تشهدان فى الاخير منهما فرقا بين الجلوسين وهو قول الامام أحمد رحمه الله ومعنى حديث ابن الزبير رضى الله عنه أنه فرش قدمه اليمنى أنه كان يجلس فى هذا

الجلوس على مقعدته فيكون قدمه اليمنى مفروشة وقدمه اليسرى بين فخذه وساقه ومقعدته على الارض فوقع الاختلاف في قدمه اليمنى في هذا الجلوس هل كانت مفروشة أو منصوبة وهذا والله أعلم ليس اختلافا في الحقيقة فانه كان لا يجلس على قدمه بل يخرجها عن يمينه فتكون بين المنصوبة والمفروشة فانها تكون على باطنها الايمن فهي مفروشة بمعنى أنه ليس ناصبا لها جالسا على عقبه ومنصوبة بمعنى أنه ليس جالسا على باطنها وظهرها الى الارض فصح قول أبي حميد ومن معه وعبد الله بن الزبير أو يقال أنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل هذا وهذا فكان ينصب قدمه وربما فرشها أحيانا وهذا أروح لها والله أعلم ثم كان صلى الله عليه وسلم يتشهد دائما في هذه الجلسة ويعلم أصحابه أن يقولوا التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وقد

سنة (والحرث) بن محمد بن أبي اسامة واسمه داهر الحافظ أبو محمد التميمي البغدادي ولد سنة ست ومائتين ومائة وسمع يزيد بن هرون وغيره وعنه ابن جرير الطبري وعدة وثقه ابن حبان والحربي مع علمه بأنه يأخذ على الرواية وضعفه الازدي وابن حزم وقال الدارقطني صدوق وأما أخذه على الرواية فكان فقيرا كثير البنات توفي يوم عرفة سنة اثنتين وثمانين ومائتين (في مسنديهما) والبيهقي وأبو نعيم في دلائلهما كلهم عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم نذر أن يعتكف شهرا هو وخديجة فوافق ذلك شهر رمضان فخرج ذات ليلة فقال السلام عليك قالت فظننت أنها جاءة الجن فجئت مسرعا حتى دخلت على خديجة فقالت ما شأنك فأخبرتها فقالت أبشر فان السلام خير ثم خرجت مرة أخرى فاذا أنا بجبريل على الشمس جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب فهلت منه فجئت مسرعا فاذا هو بيني وبين الباب فكلمني حتى أنست منه ثم وعدني مواعدا فجئت له فابطأ على فأردت أن أرجع فاذا أنا به وبميكائيل قد سد الافق فهبط جبريل وبقي ميكائيل بين السماء والارض فأخذني جبريل فألقاني لحلاوة القفا ثم شق عن قلبي فاستخرجه ثم استخرج منه ما شاء الله أن يستخرج ثم غسله في طست من ماء زمزم ثم أعاده مكانه ثم لأمه ثم كفأني كما يكفأ الاناء ثم ختم في ظهري حتى وجدت مس الخاتم في قلبي (والحكمة فيه) أي الشق حينئذ هي كما قال في الفتح (ليتلقى النبي صلى الله عليه وسلم ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الاحوال من التطهير) وهذا الشق ثالث مرة والاولى عند حليمة والثانية وهو ابن عشر سنين والرابعة ليلة الاسراء ولم تثبت الخامسة كما مر ذلك مبسوطا

(مراتب الوحي)

(قال ابن القيم وغيره وكمل الله تعالى له) أي أعطاه (من الوحي مراتب) جمع مرتبة أي منازل أي أنواعا انحصرت في مراتب (عديدة) هي هذه المراتب لا ما يتبادر من لفظ كمل وهو حصول وحي قبلها العدم وجود شيء من الوحي قبل نزوله وعبر بمراتب دون أنواع وان عبر به الشامي اشارة لشرفها وتعبير الحافظ كاليعمري بحالات توهم أنها غير الوحي ضرورة أن المضاف غير المضاف اليه الا أن تكون الاضافة بيانية ومن في من الوحي ابتدائية أو بيانية فلا وحي غير المراتب أو تبعيضية لانه عليه السلام لم يقع له ما روي أن من الانبياء من يسمع صوتا ولا يراه فيكون نبيا في أنه صوت ليس بحرف يخلق في الجو ويخلق في سامعه علم ضروري يعلم به المراد أو بحرف يسمعه من قصدت نبوته مع خلق علم ضروري أنه من الله احتمالان وأيضا فهو لم يستوف المراتب لقوله الآتي ويزاد الخ (احداها) أي المراتب وفي نسخة أحدها بالتذكير نظرا الى أن المراد بالمراتب الانواع والتأنيث فيما بعدها نظر اللفظ والاولى أنسب (الرؤيا الصادقة) بعد النبوة أو قبلها لانها مقررة لما بعدها نعم المختص بما بعدها الوحي بالاحكام التي يعمل بها (فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح) كما مر عن عائشة واستدل السهيلي وغيره على أنها من الوحي بقول ابراهيم يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك الآية فدل على أن الوحي يأتيهم مناما كما يأتيهم يقظة وبرواية ابن اسحق أن جبريل أتاه ليلة النبوة وغطه ثلاثا وقرأ عليه أول سورة اقرأ ثم أتاه وفعل ذلك معه يقظة وفي الصحيح عن عبيد بن عمير رؤيا الانبياء وحي وقرأ يا بني الآية (الثانية ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه) واطلاق الوحي على ذلك مجاز من اطلاق المصدر بمعنى اسم المفعول وحقيقة الوحي هنا الاعلام في خفاء أو الاعلام بسرعة وشرعا الاعلام بالشرع قاله الشامي (من غير أن يراه) وعلم أنه وحي دون الالهام الذي لا يستلزم الوحي بعلم ضروري أنه وحي لا بمجرد الهام كما خلق في جبريل بل أن المخاطب له الحق تعالى وأنه أمره بتبليغ من أراد على نحو مامر (كما قال صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث) بفاء فمثلثة (في روعي) أي ألقى الوحي في خلدي وبالي

أوفى نفسي أوقلبي أوعقلي من غير أن أسمعه ولا أراه ومفعول نفث قوله (لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها) الذى كتبه لها الملك وهي فى بطن أمها فلا وجه للوله والكد والتعب والحرص فانه سبحانه قسم الرزق وقدره لكل أحد بحسب ارادته لا يتقدم ولا يتأخر ولا يزيد ولا ينقص بحسب علمه القديم الازلى نحن قسمنا بينهم معيشتهم فلا يعارض هذا ما ورد الصدقة تمنع الرزق والكذب ينقص الرزق وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وغير ذلك مما فى معناه أوان الذى يمنعه و ينقصه هو الحلال أو البركة فيه لا أصل الرزق وفى حديث أبى امامة عند الطبرانى وأبى نعيم ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها وتستوعب رزقها وفى حديث جابر عند ابن ماجه أيها الناس اتقوا الله وأجملوا فى الطلب فان نفسا لن تموت حتى تستوفى رزقها وان أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم وقال صلى الله عليه وسلم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله رواه البيهقى وغيره وقال عليه السلام والذى بعثنى بالحق ان الرزق ليطلب أحدكم كما يطلبه أجله رواه العسكرى وقال صلى الله عليه وسلم لا تستبطئوا الرزق فانه لم يكن عبد يموت حتى يبلغ آخر الرزق فاجملوا فى الطلب رواه البيهقى وغيره (فاتقوا الله) أى ثقوا بضمانه لكنه امرنا تعبدا بطلبه من حله فقال (واجملوا فى الطلب) بأن تطلبوه بالطرق الجميلة المحللة بلا كد ولا حرص ولا تهافت على الحرام والشبهات أوغير منكبين عليه مشتغلين عن الخالق الرازق به أو بان تعينوا وقتا ولا قدرا لانه تحكم على الله أو ما فيه رضا الله لا حظوظ الدنيا أو لا تستعجلوا الاجابة وقد أبدى العلامة العارف ابن عطاء الله فى التنوير فى معناه وجوها عديدة هذه منها وفى أن طلب نحو المغفرة يمنع تعيينه نظر استظهر شيخنا المنع لجواز انه تعالى يريد مغفرته على سبب لم يوجد وعلم انه سيوجد فطلب تعيينها تحكم (الحديث) بقيته ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق ان يطلبه بمعصية الله فان الله تعالى لا ينال ما عنده الا بطاعته (رواه) بتمامه (ابن أبى الدنيا) عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الاموى مولاهم أبو بكر البغدادى الحافظ صاحب التصانيف المشهورة المفيدة وثقه أبو حاتم وغيره مات سنة احدى وثمانين ومائتين (فى) كتاب (القناعة) والحاكم من حديث ابن مسعود (وصححه الحاكم) من طرق ورواه ابن ماجه عن جابر وملفظه والطبرانى وأبو نعيم فى الحلية من حديث أبى امامة الباهلى بنحوه قال الطيبى والاستبطاء بمعنى الابطاء والسين للمبالغة وفيه أن الرزق مقدر مقسوم لابد من وصوله الى العبد لكنه اذا سعى وطلب على وجه مشروع فهو حلال والا فحرام فقوله ما عنده اشارة الى أن الرزق كله من عنده الحلال والحرام وقوله أن يطلبه بمعصية الله اشارة الى أن ما عنده اذا طلب بها سمى حراما وقوله الا بطاعته اشارة الى أن ما عنده اذا طلب بطاعته مدح وسمى حلالا وفيه دليل ظاهر لاهل السنة أن الحرام يسمى رزقا والكل من عند الله خلافا للمعتزلة انتهى وفيه أن الطلب لا ينافى التوكل وأما حديث ابن ماجه والترمذى والحاكم وصححاه عن عمر رفعه لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا فقال الامام أحمد فيه ما يدل على الطلب لا القعود أراد لو توكلوا على الله فى ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم وعلموا أن الخير بيده ومن عنده لم ينصرفوا الا سالمين غانمين كالطير لكنهم يعتمدون على قوتهم وكسبهم وهذا خلاف التوكل وفى الاحياء ان أحمد قال فى القائل أجلس لا أعمل شيأ حتى يأتينى رزقى هذا رجل جهل العلم أما سمع قول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله جعل رزقى تحت ظل رمحى وقوله تغدو خماصا وتروح بطانا وكان الصحابة يتجرون فى البر والبحر و يعملون فى نخيلهم وبهم القدوة (والروع بضم الراء) لا بفتحها لان معناه الفزع ولا دخل له هنا ورعى لفظ الحديث فقال (أى نفسى) والا فالظاهر والروع النفس فهو مجاز شبه القاء جبريل بالنفث الذى هو دون التفل بالفوقية لعدم ظهوره ولا ينافيه قول المصباح نفث الله الشئ فى القلب

ألقاه

ذكر النسائى من حديث أبى الزبير عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن بسم الله وبالله التحيات لله والصلوات والطيبات السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أسأل الله الجنة وأعوذ بالله من النار ولم تجئ التسمية فى أول التشهد الا فى هذا الحديث وله علة غير عنعنة أبى الزبير وكان صلى الله عليه وسلم يخفف هذا التشهد جدا حتى كانه على الرضف وهى الحجارة المحماة ولم ينقل عنه فى حديث قط أنه صلى عليه وعلى آله فى هذا التشهد ولا كان أيضا يستعيذ فيه من عذاب القبر وعذاب النار وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال ومن استحب ذلك فانما فهمه من عمومات واطلاقات قد صح تبيين موضعها وتقييدها بالتشهد الاخير ثم كان ينهض مكبرا على صدور قدميه وعلى ركبتيه معتمدا على فخذه كما تقدم وقد

القاه لانه بيان للمعنى المجازى اذا أسنده الله لاستحالة الحقيقة عليه وهذا يقتضى ان المراد به غير القلب قال شيخنا والظاهر أن المراد بهما واحد وهو محل الادراك وقد يشعر به لفظ الحديث (و روح القدس جبريل عليه السلام) سمى به لانه يأتى بما فيه حياة القلوب فانه المتولى لانزال الكتب الالهية التى بها تحيا الارواح الربانية والقلوب الجسمانية كالمبدأ لحياة القلب كما أن الروح مبدأ لحياة الجسد وأضيف الى القدس لانه مجبول على الطهارة والنزاهة من العيوب وخص بذلك وان كانت جميع الملائكة كذلك لان روحانيته أتم وأكمل ذكره الامام الرازى وعليه يحمل قول الشامى سمى به لانه خلق من محض الطهارة وقال الراغب خص بذلك لاختصاصه بنزوله بالقدس من الله أى بما يطهر به نفوسنا من القرآن والحكمة والفيض الالهى * المرتبة (الثالثه) خطاب الملك له حين (كان يتمثل له الملك رجلا فيخاطبه) و يديم خطابه (حتى يعى) أى يفهم (عنه ما يقول له) فحتى غائية (فقد) ثبت انه (كان يأتيه فى صورة دحية) بكسر الدال وفتحها لغتان مشهورتان كما فى النور واقتصر الجوهرى على الكسر وقنعه ابجد وفى التبصير اختلف فى الراجحة منهما وهو بلسان أهل اليمن رئيس الجند ابن خليفة بن فضالة بن فروة (الكلبى) شهد المشاهد كلها بعد بدر (رواه النسائى) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على الخراسانى ثم المصرى الحافظ أحد الائمة المبرزين والاعلام الطوافين والحفاظ المتقنين حتى قال الذهبى هو أحفظ من مسلم مات سنة ثلاث وثلثمائة (بسند صحيح من حديث ابن عمر) و زعم أن مجىء جبريل على صورة دحية كان بعد بدر اذ يبعد مجيئه على صورته قبل اسلامه ممنوع وسند أنه لا ضير فى التمثل بصورته لجمالها وان قبل اسلامه لعلم الله أزلا بأنه من السعداء وخير القرون فكان يأتى على صفته فلما رأى المصطفى دحية أخبر بأنه يأتيه فى صورته والامور النقلية لا دخل فيها للعقول (وكان دحية جميلا وسيما) أى حسن الوجه ولذا كان (اذا قدم لتجارة تخرجت الظعن) بضم الظاء المعجمة والعين المهملة جمع ظعينة سميت بذلك لان زوجها يظعن بها (لتراه) وفى النور حكوا أنه كان اذا قدم من الشام لم تبق معصر الا خرجت تنظر اليه والمعصر التى بلغت سن المحيض (فان قلت اذا لقى جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فى صورة دحية) مثلا والمراد فى غير صورته التى خلق عليها (فأين تكون روحه فان كانت فى الجسد الذى له ستمائة جناح) حقيقة من لؤلؤ أخرجه ابن منده وقول السهيلى انها فى حقهم صفة ملكية وقوة روحانية لا كاجنحة الطير قال الحافظ ممنوع فلا مانع من الحمل على الحقيقة الا قياسه الغائب على المشاهد وهو ضعيف وقال غيره هذا التأويل لا يليق بالامام السهيلى بل هو أشبه بكلام الفلاسفة والحشوية ولا ينكر الحقيقة الا من ينكر وجود الملائكة (فالذى أتى لا روح جبريل) لان الفرض انها فى جسده الاصلى (ولا جسده) لانه لم يأت (وان كانت فى هذا الجسد الذى هو صورة دحية) بقى جسده الاصلى بلا روح (فهل يموت) ذلك (الجسد العظيم أم) لا يموت ولكن (يبقى خاليا من الروح المنتقلة عنه الى الجسد المشبه بجسد دحية) ولا يلزم من انتقالها موت الجسد العظيم (فأجيب) باختيار ما بعد أم كما سيتقرر (كما ذكره العينى) بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى الحنفى ولد فى رمضان سنة اثنتين وستين وسبعمائة وتفقه واشتغل بالفنون وبرع وولى الحسبة مرارا وقضاء الحنفية وغير ذلك ومات فى ذى الحجة سنة خمس وخمسين وثمانمائة وفى بناء أجيب للمفعول اشعار بأن الجواب ليس له بل نقله فقط وهو كذلك فقد نقله بمعناه عن العز الحافظ فى الفتح ونقل السؤال بعينه والجواب أصاحب الحبائك عنه أى الشيخ عز الدين بن عبد السلام (بانه لا يبعد أن لا يكون انتقالها موجبا موته فيبقى الجسد حيا لا ينقص من معارفه شئ ويكون انتقال روحه الى الجسد الثانى كانتقال أرواح الشهداء الى أجواف طيور خضر) مع اتصالها بقبورها (وموت الاجساد بمفارقة الارواح ليس بواجب عقلا) لتجويزه

ذكر مسلم فى صحيحه من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان يرفع يديه فى هذا الموضع وهى فى بعض طرق البخارى أيضا على أن هذه الزيادة ليست متفقا عليها فى حديث عبد الله ابن عمر فأكثر رواية لا يذكرونها وقد جاء ذكرها مصرحا به فى حديث أبى حميد الساعدى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة كبر ثم رفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه و يقيم كل عضو فى موضعه ثم يقرأ ثم يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه ثم يركع و يضع راحتيه على ركبتيه معتدلا لا يصوب رأسه ولا يقنع ثم يقول سمع الله لمن حمده و يرفع يديه حتى يحاذى بهما منكبيه حتى يقر كل عضو الى موضعه ثم يهوى الى الارض ويجافى يديه عن جنبيه ثم يرفع رأسه ويثنى رجليه فيقعد عليهما و يفتح أصابع رجليه اذا سجد ثم يسجد ثم يكبر و يجلس على رجله اليسرى حتى يرجع كل عضو الى موضعه ثم يقوم فيصنع فى الاخرى مثل ذلك ثم اذا قام من الركعتين رفع يديه حتى

ذهاب الروح ولا بموت الجسد (بل بعادة أجراها الله تعالى فى بنى آدم فلا تلزم فى غيرهم انتهى) وحاصله انه يزول الزائد دون فناء وقال امام الحرمين معناه أن الله أفنى الزائد من خلقه أو أزاله عنه ثم يعيده اليه بعده والسراج البلقينى يجوز أن الآتى هو جبريل بشكله الاول الا أنه انضم فصار على قدر هيئة الرجل ومثال ذلك القطن اذا جمع بعد نفشه وهذا على سبيل التقريب قال فى فتح البارى والحق أن تمثل الملك رجلا ليس معناه ان ذاته انقلبت رجلا بل معناه انه ظهر بتلك الصورة أنيسا لمن يخاطبه والظاهر أن القدر الزائد لا يزول ولا يفنى بل يخفى على الرائى فقط انتهى وفى الحبائك أجاب العلاء القونوى بجواز أن خصه بقوة ملكية يتصرف فيها بحيث تكون روحه فى جسده الاصلى مدبرة له ويتصل أثرها بجسم آخر يصير حيا بما اتصل به من ذلك الاثر وقد قيل انما سمى الابدال أبدالا لانهم قد يرحلون الى مكان ويقيمون فى مكانهم شبحا آخر شبيها بشبحهم الاصلى بدلا عنهم وأثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الاجساد والارواح سموه عالم المثال وقالوا أنه ألطف من عالم الاجساد وأكثف من عالم الارواح وبنوا على ذلك تجسد الارواح وظهورها فى صورة مختلفة من عالم المثال وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى فتمثل لها بشرا سويا ويجوز أن جسمه الاول بحاله لم يتغير وقد أقام شبحا آخر وروحه متصرفة فيهما جميعا فى وقت واحد قال والجواب بأنه كان يندمج الى أن يصغر حجمه فيصير بقدر دحية ثم يعود كهيئته الاولى تكلف وما ذكره الصوفية أحسن وقال القاضى أبو يعلى الحنبلى لا قدرة للملائكة والجن على تغيير خلقهم والانتقال فى الصورة وانما يجوز أن يعلمهم الله كلمات وضربا من ضروب الافعال ان فعلوه وتكلموا به نقلهم الله من صورة الى صورة * الحالة (الرابعة كان يأتيه) مخاطبا له بصوت (فى مثل) أى صفة (صلصلة) بمهملتين مفتوحتين بينهما لام ساكنة (الجرس) بجيم ومهملتين الجلجل الذى يعلق فى رؤس الدواب قاله الحافظ والمصنف وقال الشامى الجرس مثال يشبه الجلجل الذى يعلقه الجهال فى رؤس الدواب انتهى قال فى الفتح والصلصلة المذكورة قيل صوت الملك بالوحى وقال الخطابى صوت متدارك يسمعه ولا يثبته أول ما يسمعه حتى يفهمه بعد وقيل صوت حفيف أى بمهملة وفاءين دوى أجنحة الملك والحكمة فى تقدمه أن يقرع سمعه الوحى فلا يبقى فيه مكان لغيره (وكان أشده عليه) لانه يردفيه من الطباع البشرية الى الاوضاع الملكية فيوحى اليه كما يوحى الى الملائكة كما يأتى فى حديث أبى هريرة ولان الفهم من كلام مثل الصلصلة أثقل من كلام الرجل بالتخاطب المعهود ودل اسم التفضيل على أن الوحى كله شديد قال الحافظ وفائدة هذه الشدة ما يترتب على المشقة من زيادة الزلفى ورفع الدرجات وقال شيخنا شيخ الاسلام يعنى البلقينى سبب ذلك أن الكلام العظيم له مقدمات تؤذن بتعظيمه للاهتمام به كما فى حديث ابن عباس وكان يعالج من التنزيل شدة وقال بعضهم انما كان شديدا عليه ليستجمع قلبه فيكون أوعى لما سمع وقيل نزوله هكذا اذا نزلت آية وعيد وفيه نظر والظاهر أنه لا يختص بالقرآن كما فى قصة المتضمخ بالطيب بالحج ففيه أنه رآه صلى الله عليه وسلم حالة نزول الوحى عليه وانه ليغط فان قيل صوت الجرس مذموم لصحة النهى عنه والتنفير من مرافقة ما هو معلق فيه والاعلام بان الملائكة لا تصحبهم كما فى مسلم وأبى داود وغيرهما والمحمود وهو الوحى هنا لا يشبه بالمذموم اذ حقيقة التشبيه الحاق ناقص بكامل فالجواب انه لا يلزم من التشبيه تساوى المشبه بالمشبه به فى الصفات كلها بل ولا فى أخص وصف له بل يكفى اشتراكهما فى صفة ما والمقصود هنا بيان الجنس فذكر ما ألف السامعون سماعه تقريبا لافهامهم والحاصل ان للصوت جهتين جهة قوة وبها وقع التشبيه وجهة طنين وبها وقع التنفير عنه وعلل بكونه مزمار الشيطان انتهى ببعض اختصار وقال التوربشتى لما سئل عليه السلام عن كيفية الوحى وكان من المسائل العويصة التى لا يماط نقاب التعزز عن وجهها

تحاذى بهما منكبيه كما صنع عند افتتاح الصلاة ثم يصلى بقية صلاته هكذا حتى اذا كانت السجدة التى فيها التسليم أخرج رجليه وجلس على شقه الايسر متوركا هذا سياق أبى حاتم فى صحيحه وهو فى صحيح مسلم أيضا وقد ذكره الترمذى مصححا له من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يرفع يديه فى هذه المواطن أيضا ثم كان يقرأ الفاتحة وحدها ولم يثبت عنه انه قرأ فى الركعتين الاخيرتين بعد الفاتحة شيأ وقد ذهب الشافعى فى أحد قوليه وغيره الى استحباب القراءة بما زاد على الفاتحة فى الاخيرتين واحتج لهذا القول بحديث أبى سعيد الذى فى الصحيح حزرنا قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الظهر فى الركعتين الاولين قدر قراءة الم تنزيل السجدة وحزرنا قيامه فى الركعتين الاخيرتين قدر النصف من ذلك وحزرنا قيامه فى الركعتين الاولين من العصر على قدر قيامه فى الركعتين الاخيرتين من الظهر وفى الاخيرتين من

لكل أحد ضرب لها فى الشاهد مثلا بالصوت المتدارك الذى يسمع ولا يفهم منه شئ تنبيها على أن اتيانها يرد على القلب فى هيئة الجلال وأبهة الكبرياء فتأخذ هيبة الخطاب حين ورودها بمجامع القلب وتلاقى من ثقل القول ما لا علم له به مع وجود ذلك فاذا سرى عنه وجد القول المقول بينا ملقى فى الروع واقعا موقع المسموع وهذا الضرب من الوحى شبيه بما يوحى الى الملائكة على ما رواه أبو هريرة مرفوعا اذا قضى الله فى السماء أمرا ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير انتهى هذا وقد روى أحمد والحاكم وصححه والترمذى والنسائى عن عمر قال كان صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى سمع عنده دوى كدوى النحل الحديث فافهم قوله عنده أن ذلك بالنسبة للصحابة ولذا قال الحافظ انه لا يعارض صلصلة الجرس لان سماع الدوى بالنسبة للحاضرين كما شبهه به عمر والصلصلة بالنسبة اليه كما شبهه به صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى مقامه انتهى وجزم فى فتح القريب بأن سماعه كدوى النحل حين كان يتمثل له رجلا انتهى وبه تعلم الصفة التى كان عليها حين خطابه بذلك الصوت (حتى) ابتدائية غائية متعلقة بمحذوف أى فتناوله مشقة عظيمة حتى (ان) بكسر الهمزة (جبينه ليتفصد) بفاء وصاد مهملة مشددة أى يسيل (عرقا) بفتح الراء والنصب على التمييز شبه جبينه بالعرق المفصود مبالغة فى كثرة العرق من كثرة معاناة التعب والكرب عند نزوله لطروه على طبع البشر وذلك ليبلو صبره فيرتاض لما كلفه من اعباء النبوة وقراءته بالقاف تصحيف قاله العسكرى وغيره قال الدماميني والجبين غير الجبهة وهو فوق الصدغ والصدغ ما بين العين والاذن فللانسان جبينان يكتنفان الجبهة والمراد والله أعلم أن جبينيه معا يتفصدان وأفرده لجواز أنه يعاقب التثنية فى كل اثنين يغنى أحدهما عن الآخر كالعينين والاذنين تقول عين حسنة وتريد عينيه معا (فى اليوم الشديد البرد) قال المصنف الشديد صفة جرت على غير من هى له لانه صفة البرد لا اليوم (حتى) الاولى بالواو كما فى الشامية لانه عطف غاية على غاية لا غاية للغاية (ان راحلته لتبرك) بضم الراء (به فى) أى على (الارض) كما رواه البيهقى فى الدلائل فى حديث عائشة بلفظ وان كان ليوحى اليه وهو على ناقته فتضرب بجرانها من ثقل ما يوحى اليه (ولقد جاءه الوحى مرة كذلك وفخذه) بكسر الخاء وتسكن تخفيفا (على فخذ زيد بن ثابت) الانصارى النجارى أحد كتاب الوحى ومن كان يفتى فى العصر النبوى وروى أحمد بسند صحيح أو ضعكم زيد مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين (فثقلت) بضم القاف (عليه حتى كادت ترضها) بفتح الفوقية وشد المعجمة تكسرها كما رواه البخارى عن زيد أنزل الله على رسوله وفخذه على فخذى فثقلت على حتى خفت أن ترض فخذى ولما ذكر ابن القيم دليل المرتبتين الاولتين وكانت الثالثة والرابعة غير محتاجين لذكر الدليل لشهرته فى الصحيحين والموطأ عن عائشة أن الحرث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى فقال صلى الله عليه وسلم احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشد على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فاعى ما يقول قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا ولم يذكر دليل قوله حتى ان راحلته تبرك به المصنف تقوية لابن القيم فقال (قلت وروى الطبرانى عن زيد بن ثابت قال كنت أكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان اذا نزل عليه) الوحى (أخذته برحاء) بضم الباء وفتح الراء وحاء مهملة والمد شدة أذى الحمى وغيرها (شديدة وعرق) بكسر الراء (عرقا) بفتحها أى رشح جلده رشحا (شديدا مثل الجمان) بضم الجيم وخفة الميم قال فى الدر اللؤلؤ الصغار وقيل خرز يتخذ من الفضة مثله (ثم سرى) بضم السين المهملة وكسر الراء الثقيلة أى انكشف الوحى (عنه وكنت أكتب وهو يملى على) وربما وضع فخذه على فخذى حال الكتابة (فما أفرغ حتى

العصر على النصف من ذلك وحديث أبى قتادة المتفق عليه ظاهر فى الاقتصار على فاتحة الكتاب فى الركعتين الاخيرتين قال أبو قتادة رضى الله عنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فيقرأ فى الظهر والعصر فى الركعتين الاوليين بفاتحة الكتاب وسورتين ويسمعنا الآية أحيانا زاد مسلم ويقرأ فى الاخيرتين بفاتحة الكتاب والحديثان غير صريحين فى محل النزاع وأما حديث أبى سعيد فانما هو حزر منهم وتخمين ليس اخبارا عن تفسير نفس فعله صلى الله عليه وسلم وأما حديث أبى قتادة فيمكن أن يراد به انه كان يقتصر على الفاتحة وأن يراد به أنه لم يكن يخل بها فى الركعتين الاخيرتين بل كان يقرؤها فيهما كما كان يقرأ فى الاوليين فكان يقرأ الفاتحة فى كل ركعة وان كان حديث أبى قتادة فى الاقتصار أظهر فانه فى معرض التقسيم فاذا قال كان يقرأ فى الاوليين بالفاتحة والسورة وفى الاخيرتين بالفاتحة كان كالتصريح فى اختصاص كل قسم

تكاد رجلي تنكسر من ثقل الوحي حتى أقول لا أمشي على رجلي أبدا) لظني كسرها (ولما نزلت عليه سورة المائدة) لعل المراد بعضها نحو اليوم أكملت لكم دينكم الآية فإنها نزلت وهو صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة على راحلته كما في الصحيح (كادت) هي أي ناقته (أن ينكسر) والاصل كادت ناقته أي ينكسر عضدها لكنه لما حول الاسناد عن الاسم الظاهر الى الضمير لم يبق له مرجع نبه عليه بقوله (عضد ناقته) فلا يرد أن المناسب كادتا التذكير لتأويل الفعل بعده بمصدر أي كادا نكسارا على أنه اسم كاد (من ثقل السورة) رواه أحمد والبيهقي في الشعب) وهذه المراتب ثلاث من صفات الوحي وواحدة من صفات حامله وهي تمثله رجلا * المرتبة (الخامسة) وهي من صفات حامله أيضا (أن يرى الملك) جبريل (في صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح) كل جناح منها يسد أفق السماء حتى ما يرى في السماء شئ (فيوحي) يوصل (اليه ما شاء الله أن يوحيه وهذا وقع له مرتين) احداهما في الارض حين سأله ان يريه نفسه فرآه في الافق الاعلى قال الحافظ ابن كثير كانت والنبي بغار حراء أوائل البعثة بعد فترة الوحي والثانية عند سدرة المنتهى (كما) دل عليه قوله تعالى (في سورة النجم) ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى روى أحمد وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن مسعود لم ير صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الاصلية الا مرتين أما واحدة فانه سأله أن يريه نفسه فأراه نفسه فسد الافق وأما الاخرى فليلة الاسراء عند السدرة قال في الفتح وهو مبين لما في صحيح مسلم عن عائشة لم يره يعني جبريل على صورته التي خلق عليها الا مرتين وللترمذي من طريق مسروق عن عائشة لم ير محمد جبريل في صورته الا مرتين مرة عند سدرة المنتهى ومرة في أجياد وهو يقوي رواية ابن لهيعة عن أبي الاسود عن عروة عن عائشة كان صلى الله عليه وسلم أول ما رأى جبريل بأجياد وصرخ يا محمد فنظر يمينا وشمالا فلم ير شيأ فرفع بصره فاذا هو على أفق السماء فقال جبريل يا محمد فهرب فدخل في الناس فلم ير شيأ ثم خرج عنهم فناداه فهرب ثم استعلن له جبريل من قبل حراء فذكر قصة اقرائه اقرأ باسم ربك ورأى حينئذ جبريل له جناحان من ياقوت يختطفان البصر فتكون هذه المرة غير المرتين واتمام تضمها عائشة اليهما لاحتمال أن لا يكون رآه فيها على تمام صورته والعلم عند الله انتهى ووقع عند أبي الشيخ عن عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل وددت اني رأيتك في صورتك الاصلية قال وتحب ذلك قال نعم قال موعدك كذا وكذا من الليل ببقيع الغرقد فلقيه موعده فنشر جناحا من أجنحته فسد أفق السماء حتى ما يرى في السماء شئ وفي مرسل الزهري عند ابن المبارك في الزهد أنه سأله أن يتراءى له في صورته الاصلية قال انك لن تطيق ذلك قال اني أحب أن تفعل فخرج الى المصلى في ليلة مقمرة فأتاه جبريل في صورته فغشي عليه حين رآه ثم أفاق الحديث فان صحا فيمكن انه أراه بعض صورته الاصلية كما هو صريح قوله فنشر جناحا الخ لا أنها مرة ثالثة على تمام الصفة فلا يخالف ما في الصحيح ولا ما عدوه من خصائصه من رؤيته له مرتين على صورته الاصلية وقد كنت أبديت هذا قبل وقوفي على كلام الفتح الذي سقته فحمدت الله على الموافقة * المرتبة (السادسة) وهي واللتان بعدها من صفات الوحي (ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها) كالجهاد والهجرة والصدقة وصوم رمضان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما صرح به في حديث أبي سعيد عند البيهقي ان الله قال له ذلك ليلة الاسراء وساقه المصنف في المقصد السادس وفي نسخة وغيره قال شيخنا وهي أولى لشمولها السنن وفرض غير الصلوات * المرتبة (السابعة كلام الله تعالى منه اليه بلا واسطة ملك كما كلم موسى) ولا ينافي ذلك قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا الآية لان معناه كما قال البيضاوي كلاما خفيا يدرك بسرعة لانه ليس في ذاته مركبا من حروف مقطعة يتوقف على تموجات متعاقبة أو هو ما يعم

بما ذكر فيه وعلى هذا فيمكن أن يقال ان هذا أكثر فعله وربما قرأ في الركعتين الاخيرتين بشئ فوق الفاتحة كما دل عليه حديث أبي سعيد وهذا كما أن هديه صلى الله عليه وسلم تطويل القراءة في الفجر وكان يخففها أحيانا وتخفيف القراءة في المغرب وكان يطيلها أحيانا وترك القنوت في الفجر وكان يقنت فيها أحيانا والاسرار في الظهر والعصر بالقراءة وكان يسمع الصحابة الآية فيها أحيانا وترك الجهر بالبسملة وكان يجهر بها أحيانا والمقصود أنه كان يفعل في الصلاة شيأ أحيانا العارض لم يكن من فعله الراتب ومن هذا لما بعث صلى الله عليه وسلم فارسا طليعة ثم قام الى الصلاة وجعل يلتفت في الصلاة الى الشعب الذي يجيء منه الطليعة ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم الالتفات في الصلاة وفي صحيح البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة قال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وفي الترمذي من حديث

المشافهة به كما في حديث المعراج وما وعد به في حديث الرؤية والمهتف كما اتفق لموسى في طوى والطور ولكن عطف قوله أو من وراء حجاب عليه يخصه بالاول فالآية دالة على جواز الرؤية لا على امتناعها انتهى ❊ (وزاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا) بكسر الكاف أي مواجهة (بغير حجاب انتهى) كلام ابن القيم (قال شيخ الاسلام) عبر به على عادتهم أن من ولي قاضي القضاة يطلقون عليه ذلك (الولي) أي ولي الدين فهو من التصرف في العلم والراجح جوازه واسمه أحمد (بن عبد الرحيم ابن الحسين (العراقي) المصري قاضيها الامام العلامة الحافظ ابن الحافظ الاصولي الفقيه ذو الفنون والتصانيف النافعة المشهورة تخرج في الفن بأبيه واعتنى به أبوه فاسمعه الكثير من أصحاب الفخر وغيره واستعلى على أبيه ولازم البلقيني في الفقه وأملى أكثر من ستمائة مجلس توفي في سابع عشري شعبان سنة ست وعشرين وثمانمائة (وكأن ابن القيم أخذ ذلك) المذكور من المراتب الخمسة الاول (من روض السهيلي) فانه عدها سبعا فذكر الخمسة وكلام الله من وراء حجاب اما في اليقظة أو المنام ونزول اسرافيل فدع عنك احتمالات العقول لا تغتر بها في روض النقول (لكنه لم يذكر نزول اسرافيل اليه بكلمات من الوحي) بعدما أوحى اليه جبريل أول سورة اقرأ أو (قبل) تتابع مجيء (جبريل) مع انه ذكره في الروض بقوله (فقد ثبت في الطرق الصحاح) بفتح الصاد وكسرها (عن عامر الشعبي) التابعي (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به) أي قرن كما هو المنقول عن الشعبي فيما يأتي بلفظ فقرن بنبوته (اسرافيل) على الثابت عن الشعبي لا ميكائيل وان جزم به ابن التين قاله الشامي كالحافظ (فكان يتراءى) أي يظهر (له) بحيث يراه النبي صلى الله عليه وسلم (ثلاث سنين) بناء على الظاهر من الرؤية وقيل كان يسمعه ولا يراه فان صح فيحتمل انه قبل النبوة وانه بعدها ولا يلزم من التراءي الرؤية بل مجرد الالتقاء نحو فلما تراءت الفئتان أي التقت (ويأتيه بالكلمة) أي اللفظ الذي يخاطبه به (والشيء) الافعال والآداب التي يعلمه اياها وهذا أولى من أن الشيء تفسيري (ثم وكل) قرن (به جبريل) ليوحي اليه ما يؤمر بتبليغه له (فجاءه بالقرآن) والوحي هكذا بقية كلام الروض وكان المصنف حذفه لانه لم يقع في المسند عن الشعبي كما يأتي فلعه اقتصر على القرآن لانه الذي انفرد به جبريل ولانه أعظم المعجزات وظاهر هذا الاثر أن جبريل لم يأته تلك المدة وقد ورد انه لم ينقطع عنه وجمع بانه كان يأتيه فيها أحيانا واسرافيل قرن به ليفعل معه كل ما يحتاج له فقد اجتمعا في المجيء اليه فيها لكن أثر الشعبي هذا وان صح اسناده اليه مرسل أو معضل وقد عارضه ما هو أصح منه كما يأتي قريبا وقد أنكر الواقدي كون غير جبريل وكل به قال الشامي وهو المعتمد انتهى فلذا لم يذكره ابن القيم (وأما قوله أعني ابن القيم السادسة ما أوحاه الله اليه فوق السموات يعني ليلة المعراج) مع قوله (السابعة كلام الله بلا واسطة) فلا يظهر التغاير بينهما حتى يجعلهما مرتبتين فلا يخلو من ارادة أحد أمرين (فان أراد ما أوحاه اليه جبريل) أي ما أوحاه الله اليه على لسانه (فهو داخل فيما تقدم) له من المراتب وذلك (لانه اما أن يكون جبريل في تلك الحالة على صورته الاصلية أو على صورة الآدمي وكلاهما قد تقدم ذكره) في كلامه فلا يصح كونها مرتبة مستقلة (وان أراد وحي الله اليه بلا واسطة) ملك (وهو الظاهر) المتبادر من قوله أوحاه الله اليه (فهي الصورة التي بعدها) وهي السابعة واجاب شيخنا بانه أراد الشق الاول ويمنع دخوله فيما قبله لجواز أنه أوحاه اليه بصفة من صفات الملائكة وليست صفته الاصلية فانه كما هو متمكن من مجيئه على صورة بني آدم متمكن من مجيئه على صورة ليست مألوفة ولا هي صورته الاصلية (وأما قوله وزاد بعضهم مرتبة ثامنة وهي تكليم الله له كفاحا بغير حجاب فهذا) بناه (على مذهب من يقول انه عليه السلام رأى ربه

سعيد بن المسيب عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني اياك والالتفات في الصلاة فان الالتفات في الصلاة هلكة فان كان ولا بد ففي التطوع لا في الفرض ولكن للحديث علتان ❊ احداهما أن رواية سعيد عن أنس لا تعرف ❊ الثانية ان على طريقه علي بن زيد بن جدعان وقد ذكر البزار في غير مسنده من حديث يوسف ابن عبد الله بن سلام عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم لا صلاة للملتفت فاما حديث ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يلحظ في الصلاة يمينا وشمالا ولا يلوي عنقه خلف ظهره فهذا حديث لا يثبت قال الترمذي فيه حديث غريب ولم يزد وقال الخلال أخبرني الميموني أن أبا عبد الله قيل له ان بعض الناس أسند أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يلاحظ في الصلاة فانكر ذلك انكارا شديدا حتى تغير وجهه وتغير لونه وتحرك بدنه ورأيته في حال ما رأيته في حال قط سواها وقال النبي كان يلاحظ في الصلاة يعني أنه أنكر ذلك

تعالى) وأما على مذهب من قال لم يره فلا يصح عدها مرتبة زائدة لدخولها فى السابعة هذا تقريره قال شيخنا ولا يتعين لجواز أنهما حالتان وان قلنا بمنع الرؤية بأن يكون سمع الكلام بمجرده لكن مرة على وجه على غاية القرب اللائق به من كونه بعد مجاوزة الرفرف ومرة فيما دون ذلك قال ويجوز التغاير أيضا وان قلنا رآه بأن يكون كلمه مرة بدون واسطة ملك بلا رؤية ومرة بعد مجاوزة الرفرف برؤية (وهى مسئلة خلاف) الراجح منه عند أكثر العلماء أنه رآه كما قال النووى (يأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى) فى المقصد الخامس ويأتى فيه ذكر الحجب وكم هى فى نفس كلام المصنف وأنها بفرض صحتها انما هى بالنسبة الى المخلوقين أما هو تعالى فلا يحجبه شئ ولذا قال ابن عطية ونقله عنه السبكى معنى من وراء حجاب أن يسمع كلامه من غير أن يعرف له جهة ولا حيزا أى من خفاء عن المتكلم لا يحده السامع ولا يتصور بذهنه وليس كالحجاب الشاهد انتهى (ويحتمل) فى وجه التغاير بين السادسة والسابعة (ان ابن القيم رحمه الله أراد بالمرتبة السادسة وحى جبريل) لا ما هو الظاهر منه (و) لكنه (غاير بينه وبين ما قبله) من المراتب الخمسة (باعتبار محل الايحاء أى كونه فوق السموات بخلاف ما تقدم فان كان فى الارض) والاولى جواب شيخنا المار انه باعتبار الصفة (ولا يقال يلزم) على هذا الاحتمال (أن تتعدد أقسام) أى أنواع (الوحى باعتبار البقعة) بضم الباء أكثر من فتحها القطعة من الارض وجمعها على الضم بقع كغرف وعلى الفتح بقاع ككلاب وأول جنسية فيصدق بجميع الاماكن التى نزل عليه فيها فلا يرد أن الاولى التعبير بالجمع (التى جاء فيها الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو غير ممكن) لكثرة نزوله عليه فى أماكن لا تحصى (لانا نقول الوحى الحاصل فى السماء باعتبار ما فى تلك المشاهد من الغيب نوع غير الارض على اختلاف بقاعها انتهى) كلام الولى العراقى ومحصله أن جميع بقاع الارض نوع واحد وما فى السماء نوع واحد فلم يلزم تعدد أنواعه باعتبار البقعة (قلت ويزاد أيضا كلامه تعالى له فى المنام) فقد عده فى الروض منها قال فى الاتقان وليس فى القرآن من هذا النوع شئ فيما أعلم نعم يمكن ان يعد منه آخر سورة البقرة وبعض سورة الضحى وألم نشرح واستدل على ذلك بأخبار (كما فى حديث الزهرى) نسبة الى جده الاعلى زهرة بن كلاب القرشى من رهط آمنة أم النبى صلى الله عليه وسلم اتفقوا على اتقانه وامامته بسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (أتانى الليلة (ربى) تبارك وتعالى (فى أحسن صورة) أى صفة هى أحسن الصفات وفى الرواية أحسبه قال فى المنام (فقال يا محمد أتدرى) وفى رواية هل تدرى (فيم يختصم الملأ الاعلى) قال فى النهاية أى فيم تتقاول الملائكة المقربون سؤالا وجوابا فيما بينهم وقال التوربشتى المراد بالاختصام التقاول الذى كان بينهم فى الكفارات والدرجات شبه تقاولهم فى ذلك وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين انتهى أى واستعير له اسمه ثم اشتق منه يختصم فهو استعارة تصريحية تبعية وقال البيضاوى هو اما عبارة عن تبادرهم الى كتب تلك الاعمال والصعود بها الى السماء واما عن تقاولهم فى فضلها وشرفها وانافتها على غيرها واما عن اغتباطهم الناس بتلك الفضائل لاختصاصهم بها وتفضيلهم على الملائكة بسببها مع تفاوتهم فى الشهوات وتماديهم فى الجنايات انتهى (الحديث) تمامه قلت لا فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السموات وما فى الارض فقال يا محمد هل تدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الكفارات والدرجات فالكفارات المكث فى المساجد بعد الصلوات والمشى على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء فى المكاره وقال صدقت يا محمد ومن فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان فى خطيئته كيوم ولدته أمه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وتتوب على

وأحسبه قال ليس له اسناد وقال من روى هذا انما هذا من سعيد بن المسيب ثم قال لى بعض أصحابنا ان أبا عبد الله وهن حديث سعيد هذا وضعف اسناده وقال انما هو عن رجل عن سعيد وقال عبد الله بن أحمد حدثنى أبى حديث حسان بن ابراهيم عن عبد الملك الكوفى قال سمعت العلاء قال سمعت مكحولا يحدث عن أبى أمامة وواثلة كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة لم يلتفت يمينا ولا شمالا ورمى ببصره فى موضع سجوده فانكره جدا وقال اضرب عليه فأحمد رحمه الله أنكر هذا وهذا وكان انكاره للاول أشد لانه باطل سندا ومتنا والثانى انما أنكره بسنده والا فمتنه غير منكر والله أعلم ولو ثبت الاول لكان حكاية فعل فعله لعله كان لمصلحة تتعلق بالصلاة ككلامه عليه السلام هو وأبو بكر وعمر وذو اليدين فى الصلاة لمصلحتها أو لمصلحة المسلمين كالحديث الذى رواه أبو داود عن أبى كبشة السلولى عن سهيل بن الحنظلية قال ثوب بالصلاة يعنى صلاة الصبح فجعل رسول الله

واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام رواه بتمامه عبد الرزاق وأحمد والترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعا والترمذي وابن مردويه والطبراني من حديث معاذ (ثم مرتبة أخرى وهي العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند الاجتهاد في الاحكام) على القول بأنه يجتهد وانما عد اجتهاده من مراتب الوحي (لانه اتفق على أنه عليه الصلاة والسلام اذا اجتهد أصاب قطعا) اما لظهور الحق له ابتداء واما بالتنبيه عليه ان فرض خلافه فلا يقدح فيه القول بجواز وقوع الخطا في اجتهاده لكن لا يقر عليه (وكان معصوما من الخطا) فلا يقع منه أصلا على الصحيح (وهذا خرق للعادة في حقه دون الامة وهو) أي العلم الحاصل بالاجتهاد (يفارق النفث) أي ما يحصل به (في الروع) فالمشبه به ليس نفس النفث لانه القاء الملك في الروع ولا يحسن تشبيه العلم به (من حيث حصوله بالاجتهاد) حصول (النفث) أي أثره لانه الحاصل في الروع (بدونه) أي الاجتهاد (ومرتبة أخرى وهي مجيء جبريل في صورة رجل غير دحية) كما في الصحيحين عن أبي هريرة كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا للناس فأتاه رجل فقال ما الايمان الحديث وفي رواية فأتاه جبريل وفي آخره هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم ورواه مسلم أيضا عن عمر بلفظ بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم اذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فهذا صريح في أنه تمثل بصورة رجل غير دحية (لان دحية كان معروفا عندهم ذكره) أي هذا النوع (ابن المنير) والاوفق ذكرها بالتأنيث لقوله مرتبة ولقوله (وان كانت داخلة في المرتبة الثالثة التي ذكرها ابن القيم) لانه صدرها بقوله كان يتمثل له الملك رجلا ولا ترد هذه على قول السبكي في تائيته

ولازمك الناموس اما بشكله ۞ واما بنفث أو بحلية دحية

لان هذه الاحوال الثلاثة لما غلبت لم يعتد بغيرها ولذا قال ولازمك على انه يمكن انه أراد لازمك على الصورة التي تعلم منها حين المجيء أنه وحي وأما هذه فلم يعلم انه جبريل حتى ولى كما دل عليه قوله في الصحيح ثم أدبر فقال ردوه فلم يروا شيأ وصرح به في حديث أبي عامر بلفظ والذي نفس محمد بيده ما جاءني قط الا وأنا أعرفه الا أن تكون هذه المرة وفي رواية سليمان التيمي وابن حبان والذي نفسي بيده ما شبه على منذ أتاني قبل مرتي هذه وما عرفته حتى ولى (وذكر الحليمي) بالتكبير نسبة الى جد أبيه فانه العلامة البارع المحدث القاضي أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الشافعي الفقيه صاحب اليد الطولى في العلوم والأدب والتصانيف المفيدة مات في ربيع الاول سنة ثلاث وأربعمائة (ان الوحي كان يأتيه على ستة وأربعين نوعا فذكرها وغالبها) كما قال في فتح الباري (من صفات حامل الوحي ومجموعها) أي جملتها (يدخل فيما ذكر والله أعلم) ومنها ما في الاتقان أن الملك يأتيه في النوم وهل نزل عليه فيه قرآن أم لا والاشبه انه نزل كله يقظة وفهم قاهمون من خبر مسلم وأبي داود والنسائي عن أنس بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا اذ أغفي اغفاءة ثم رفع رأسه متبسما فقلنا ما أضحكك يا رسول الله فقال أنزل على آنفا سورة فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا أعطيناك الكوثر الى آخرها ان الكوثر نزلت في تلك الاغفاءة لان رؤيا الانبياء وحي وأجاب الرافعي بانه خطر له في النوم سورة الكوثر المنزلة في اليقظة أو عرض عليه الكوثر الذي نزلت فيه السورة فقرأها عليهم وفسرها لهم أو الاغفاءة ليست نوما بل هي البرحاء التي كانت تعتريه عند الوحي قال صاحب الاتقان والاخير أصح من الاول لان قوله أنزل على آنفا يدفع كونها نزلت قبل ذلك انتهى ووهم من ذكر هذا عند قوله المار كلامه تعالى له في المنام لانه في الاتقان انما ذكره في مجيء الملك منا ما وما ذكر في تلك المرتبة الا ما قدمته

صلى الله عليه وسلم يصلي وهو يلتفت الى الشعب قال أبو داود يعني وكان أرسل فارسا الى الشعب من الليل يحرس فهذا الالتفات من الاشتغال بالجهاد في الصلاة وهو يدخل في مداخل العبادات كصلاة الخوف وقريب منه قول عمر اني لاجهز جيشي وأنا في الصلاة فهذا جمع بين الجهاد والصلاة ونظيره التفكر في معاني القرآن واستخراج كنوز العلم منه في الصلاة فهذا جمع بين الصلاة والعلم فهذا لون والتفات الغافلين اللاهين وأفكارهم لون آخر وبالله التوفيق فهديه الراتب صلى الله عليه وسلم اطالة الركعتين الاولين من الرباعية على الاخيرتين واطالة الاولى من الاولين على الثانية ولهذا قال سعد لعمر أما أنا فاطيل في الاولين وأحذف في الاخريين ولا آلو أن اقتدي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك كان هديه صلى الله عليه وسلم اطالة صلاة الفجر على سائر الصلوات كما تقدم قالت عائشة رضي الله عنها فرض الله الصلاة ركعتين ركعتين فلما هاجر رسول الله صلى الله

عنه ومنها تصوره بصورة فحل من الابل فاتحافاه ليلتقم أباجهل لما أراد أن يلقى على النبي صلى الله عليه وسلم حجرا كبيرا وهو يصلي وأخبر عليه السلام أنه جبريل ولما اقتضى منه دين الاراشي الذي مطله بثمن ابله وشكى لقريش فدلوه على المصطفى استهزاء لعلمهم بشدة عداوته فلما أتاه قال لا تبرح حتى يأخذ حقه فعيره قريش فقال رأيت فحلا من الابل لو امتنعت لا كلني ذكرهما ابن اسحق (وذكر) القاضي ناصر الدين أحمد بن محمد بن منصور المعروف بأنه (ابن المنير) الجروي الجذامي الاسكندري قاضيها وخطيبها المصقع الامام العلامة البارع الفقيه الاصولي المفسر المتبحر في العلوم ذو التصانيف الحسنة المفيدة والباع الطويل في التفسير والقرآ آت والبلاغة والانشاء توفي أول ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وستمائة عن ثلاث وستين سنة قال العز بن عبد السلام الديار المصرية تفتخر برجلين في طرفيها ابن دقيق العيد بقوص وابن المنير بالاسكندرية (أن الحال كان يختلف في الوحي باختلاف مقتضاه فان نزل بوعد) خاص بالخير حيث أطلق كالعدة كما قال الفراء ولذا عطف عليه (وبشارة) بكسر الباء وتضم مختصة بالخير حيث أطلقت أيضا البيان المراد به ولعله أراد بهما ما قابل التخويف بالعذاب فيشمل القصص والاحكام وغيرها مما لم يصرح فيه بالعذاب على أن القصص باعتبار ما سيقت له فيها ايماء بأن من لم يؤمن ربما يصيبه ما أصاب من فيهم القصص (نزل الملك بصورة الآدمي وخاطبه من غير كد) اتعاب في تلقي الوحي (وان نزل بوعيد) بشر لاختصاصه به كالايعاد (ونذارة كان حينئذ كصلصلة الجرس) وظاهره انه لا فرق في انقسام ما نزل به الى القسمين بين القرآن وغيره ولعله أشار الى أن هذا مراد ابن المنير والا فالذي في كلامه تقسيم ما جاء به من القرآن الى هذين وتنظر فيه الحافظ بأن الظاهر أنه لا يختص بالقرآن ولما ذكر مراتب الوحي ناسب أن يذكر عددهم أنه وذكر غير المصطفى بيانا لزيادة كرامته على ربه وهذا أولى من جعله استطرادا ولوقوعه في كلام الناقل عنه فقال (وقد ذكر ابن عادل في تفسيره أن جبريل عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم أربعة وعشرين ألف مرة ونزل على آدم اثنتي عشرة مرة ونزل على ادريس أربع مرات وعلى نوح خمسين مرة وعلى ابراهيم اثنتين وأربعين مرة) وفي كلام الحافظ عثمان الديمي أربعين فقط (وعلى موسى أربعمائة مرة وعلى عيسى عشر مرات) وقال بعضهم ثلاث مرات في صغره وسبع مرات في كبره وزاد الحافظ الديمي كما نقله عنه تلميذه الشمس التتائي في شرح الرسالة وعلى يعقوب أربعا وعلى أيوب ثلاثا وظاهره كابن عادل انه لم يبلغهما عدد في غيرهم وظاهرهما أيضا أن نزوله على المذكورين يقظة وفي الاتقان عن بعضهم أن الوحي الى جميعهم مناما الا أولي العزم المصطفى ونوحا وابراهيم وموسى وعيسى فانه كان يأتيهم يقظة ومناما وقال بعض للملك صورتان حقيقية ومثالية فالحقيقية لم تقع الا للمصطفى والمثالية هي الواقعة لبقية الانبياء بل شاركهم فيها بعض الصحابة انتهى (كذا قال رحمه الله) تبرأ منه لانه لم يسنده ومثله يحتاج لتوقيف (وقد روى) مرضه لان له طرقا لا تخلو من مقال لكنها متعددة يحصل باجتماعها القوة واعتضاد بعضها ببعض فيفيد أن للحديث أصلا (أن جبريل بدا) أي ظهر وفي نسخة تبدى والاولى أوفق باللغة (له صلى الله عليه وسلم) وهو بأعلى مكة كما عند ابن اسحق أي بجبل حراء كما في الخميس وهو يفسر قول زيد بن حارثة عند ابن ماجه وغيره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحى اليه أتاه جبريل فعلمه الوضوء (في أحسن صورة وأطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك) بضم الياء والهمزة من أقرأ (السلام ويقول لك أنت رسولي الى الجن والانس) لعله اقتصر عليهما لقوله (فادعهم الى قول لا اله الا الله) أي ومحمد رسول الله فلا ينافي أنه مبعوث الى الملائكة أيضا على الاصح عند جمع محققين منهم البارزي وابن حزم والسبكي أو لاختصاص الدعوة في الابتداء بهما وفي ان شاء الله تعالى بسط ذلك في الخصائص (ثم ضرب برجله الارض) من

عليه وسلم زيد في صلاة الحضر الا الفجر فانها أقرت على حالها من أجل طول القراءة والمغرب لانها وتر النهار رواه أبو حاتم وابن حبان في صحيحه وأصله في صحيح البخاري وهذا كان هديه صلى الله عليه وسلم في سائر صلاته اطالة أولها على آخرها كما فعل في الكسوف وفي قيام الليل لما صلى ركعتين طويلتين طويلتين طويلتين ثم ركعتين وهما دون اللتين قبلهما ثم ركعتين وهما دون اللتين قبلهما حتى أتم صلاته ولا يناقض هذا افتتاحه صلى الله عليه وسلم صلاة الليل بركعتين خفيفتين وأمره بذلك لان هاتين الركعتين مفتاح قيام الليل فهي بمنزلة سنة الفجر وغيرها وكذلك الركعتان اللتان كان يصليهما أحيانا بعد وتره تارة جالسا وتارة قائما مع قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا فان هاتين الركعتين لا تنافي هذا الامر كما أن المغرب وتر النهار وصلاة السنة شفعا بعدها لا يخرجها عن كونها وتر النهار كذلك الوتر لما كان عبادة مستقلة وهو وتر الليل كان الركعتان بعده جارية

اطلاق الكل على الجزء بدليل رواية ابن اسحق وغيره فهمز بعقبه بفتح العين وكسر القاف مؤخر القدم (فنبعت عين ماء فتوضأ منها جبريل) زاد ابن اسحق ورسول الله ينظر اليه ليريه كيف الطهور الى الصلاة (ثم أمره ان يتوضأ) كما رآه يتوضأ وروى أحمد وابن ماجه والحرث وغيرهم عن أسامة بن زيد عن أبيه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحى اليه فأراه الوضوء والصلاة فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه (وقام جبريل يصلي وأمره ان يصلي معه) زاد في رواية أبي نعيم عن عائشة فصلى ركعتين نحو الكعبة (فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا مدر) محركة جمع مدرة قطع الطين اليابس أو العلك الذى لا رمل فيه والمدن والحضر كما في القاموس (ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يا رسول الله) يحتمل انه صلى الله عليه وسلم كان يرد عليها مكافأة وان لم يكن واجبا قاله الدلجى ورد بان السلام شرع للتحية وليست من أهلها وبأنه يتوقف على نقل وفيه نظر فان المكافأة تكون ولو لغير الاهل وهو لم يجزم به حتى يطالب بنقل انما أبداه احتمالا وهو كاف في مثل هذا وسار صلى الله عليه وسلم (حتى أتى خديجة فأخبرها فغشى عليها من الفرح) زاد في رواية ثم أخذ بيدها وأتى بها الى العين فتوضأ ليريها الوضوء (ثم أمرها فتوضأت وصلى بها كما صلى به جبريل) زاد في رواية وكانت أول من صلى وفي رواية أبي نعيم فقالت أرني كيف أراك فأراها فتوضأت ثم صلت معه وقالت أشهد أنك رسول الله (فكان ذلك أول فرضها) أي الصلاة من حيث هي لا الخمس لان فرضها انما كان صبح الاسراء وهذه وقعت عقب الوحي كما مر والمراد أول تقديرها (ركعتين) فلا يخالف ما يجيء عن النووي من أنه لم يفرض قبل الخمس الا قيام الليل (ثم ان الله تعالى أقرها) أي شرعها على هيئة ما كان يصليها قبل (في السفر كذلك ركعتين (وأتمها في الحضر) أربعا وبهذا التقرير اندفع الاشكال (وقال مقاتل) بن سليمان البلخى المفسر قال ابن المبارك ما أحسن تفسيره لو كان ثقة وقال وكيع كان كذابا وقال النسائي يضع الحديث مات سنة خمس ومائة وقيل بعدها (كانت الصلاة أول فرضها ركعتين بالغداة) وهي أول النهار والمتبادر أنه كان يصليها قبل طلوع الشمس كما يأتي عن الفتح (وركعتين بالعشى) قبل غروبها ويحتمل انه كان يقرأ فيهما ما تيسر أى ما أتاه من سورة اقرأ حتى نزلت الفاتحة (لقوله تعالى وسبح) صل ملتبسا (بحمد ربك بالعشى والابكار) قيل يرده ما جاء ان تاجرا قدم الحج في الجاهلية فأتى العباس ليبتاع منه فرأى النبي صلى الله عليه وسلم وخديجة وعليا خرجوا من خباء وصلى بهم حين زالت الشمس وسأل التاجر العباس فأخبره بهم وان هذا الفعل صلاة مشروعة لهم ولا رد فيه فقد قيل العشى ما بين الزوال الى الغروب ومنه قيل للظهر والعصر صلاتا العشى وقيل هو آخر النهار وقيل من الزوال الى الصباح وقيل من المغرب الى العتمة (قال في فتح البارى كان صلى الله عليه وسلم قبل الاسراء يصلي قطعا وكذلك أصحابه ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شئ من الصلاة أم لا فقيل ان الفرض كان صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها والحجة فيه) أى الدليل له (قوله تعالى وسبح) أى صل حال كونك ملتبسا (بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها انتهى وقال النووي) الامام الفقيه الحافظ الاوحد القدوة المتقن البارع الورع الزاهد الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر التارك لجميع ملاذ الدنيا حتى الزواج المهاب عند الملوك شيخ الاسلام علم الاولياء محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مرى المبارك له في علمه وتصانيفه لحسن قصده المتوفى في رابع عشرى رجب سنة ست وسبعين وستمائة عن ست وأربعين سنة (أول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد) لقوله تعالى يا أيها المدثر قم فأنذر (ثم فرض الله تعالى من قيام الليل) عليه وعلى أمته (ما ذكره في أول سورة المزمل) بقوله يا أيها المزمل قم

مجرى سنة المغرب من المغرب ولما كان المغرب فرضا كانت محافظته عليه السلام على سنتها أكثر من محافظته على سنة الوتر وهذا على أصل من يقول بوجوب الوتر ظاهر جدا وسيأتي مزيد كلام في هاتين الركعتين ان شاء الله تعالى وهي مسئلة شريفة لعلك لا تراها في مصنف وبالله التوفيق

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم اذا جلس في التشهد الاخير جلس متوركا)

وكان يفضي بوركه الى الارض ويخرج قدميه من ناحية واحدة (فهذا) أحد الوجوه الثلاثة التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم في التورك ذكره أبو داود في حديث أبي حميد الساعدي من طريق عبد الله بن لهيعة وقد ذكر أبو حاتم في صحيحه هذه الصفة من حديث أبي حميد الساعدي من غير طريق ابن لهيعة وقد تقدم حديثه (الوجه الثاني) ذكره البخاري في صحيحه من حديث أبي حميد أيضا قال واذا جلس في الركعة الآخرة قدم رجله اليسرى ونصب اليمنى وقعد على مقعدته فهذا هو الموافق

الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه (ثم نسخه بما في آخرها) من قوله فاقرؤا ما تيسر منه اذ المراد صلوا ما تيسر لكم (ثم نسخه بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة) فقد حكى الشيخ أبو حامد عن نص الشافعي أن قيام الليل كان واجبا أوّل الاسلام عليه وعلى أمته ثم نسخ عنه بما في آخر سورة المزمل وعن أمته بالصلوات الخمس قال النووي وهو الاصح أو الصحيح وفي مسلم عن عائشة ما يدل عليه انتهى لكن الذي عليه الجمهور وأكثر أصحاب الشافعي وغيرهم انه لم ينسخ لقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك أي عبادة زائدة في فرائضك ثم نسخ الوجوب في حق الامة وبقي الندب لاحاديث كثيرة (وأما ما ذكره في هذه الرواية من أن جبريل علمه الوضوء وأمره به فيدل على أن فرضية الوضوء كانت قبل الاسراء) قال السهيلي فالوضوء على هذا الحديث مكي بالفرض مدني بالتلاوة لان آية الوضوء مدنية وانما قالت عائشة فأنزل الله آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهي هي لان الوضوء كان مفروضا قبل غير أنه لم يكن قرآنا يتلى حتى نزلت آية المائدة انتهى ثم عقب المصنف هذا المبحث بفترة الوحي لبيان أن الوضوء والصلاة كانا عقب الوحي قبل الفترة خلافا لمن توهم أنهما بعد نزول المدثر فقال (ثم فتر الوحي فترة حتى شق عليه صلى الله عليه وسلم وأحزنه) خوفا أن يكون لتقصير منه أو لما أخرجه من تكذيب من بلغه كما ذكر عن عياض (وفترة الوحي) كما قال في الفتح (عبارة عن تأخره مدة من الزمان وكان ذلك ليذهب عنه ما كان يجده عليه السلام من الروع) بفتح الراء الفزع (وليحصل له التشوق الى العود) فقد روى البخاري من طريق معمر ما يدل على ذلك انتهى كلام الفتح يعني البلاغ المذكور آخر الحديث السابق (وكانت مدة فترة الوحي ثلاث سنين) وقال السهيلي جاء في بعض الاحاديث المسندة أنها سنتان ونصف وفي رواية أخرى أن مدة الرؤيا ستة أشهر فمن قال مكث بمكة عشرا حذف مدة الرؤيا والفترة ومن قال ثلاث عشرة أضافهما قال في الفتح ولا يثبت وقد عارضه ما جاء عن ابن عباس أن مدة الفترة كانت أياما انتهى وقال مغلطاي في الزهر يخدش فيه ما في تفسير ابن عباس انها كانت أربعين يوما وفي تفسير ابن الجوزي ومعاني الزجاج خمسة عشر وفي تفسير مقاتل ثلاثة أيام ولعل هذا هو الاشبه بحاله عنده به لا ما ذكره السهيلي وجنح لصحته انتهى وعلى فرض الصحة جمع بأنها كانت سنتين ونصفا فمن قال ثلاثة تجبر الكسر ومن قال سنتان ألغاه والمراد بأربعين فما دونها ان مدة الانقطاع بحيث لا يأتيه فيها اسرافيل ولا جبريل اختلفت فأقلها ثلاثة أيام وأكثرها أربعون وفي بعضها خمسة عشر وبعضها اثنا عشر وقوله (كما جزم به) أي بأنها ثلاث سنين (ابن اسحق) مخالف لقول العيون تبعا للروض وفترة الوحي لم يذكر لها ابن اسحق مدة معينة انتهى وهو الصواب وتبع المصنف في ذلك الحافظ كما تبعه السيوطي ورد على الثلاثة جميعا بالصراحة الشامي فقال هذا أوهم بلا شك وعزو ذلك بالجزم لابن اسحق أشد انتهى (و) دليل كونها ثلاث سنين ما (في تاريخ الامام أحمد) بن حنبل (ويعقوب بن سفيان) الحافظ (عن الشعبي) عامر بن شراحيل التابعي أنه قال (أنزلت عليه) صلى الله عليه وسلم (النبوة وهو ابن أربعين سنة فقرن بنبوته اسرافيل ثلاث سنين وكان يعلمه الكلمة) اللفظ الذي يخاطبه به (والشئ) الافعال والآداب التي يعلمها له (ولم ينزل عليه القرآن على لسانه) لان انزال الكتب الالهية من خصائص جبريل (فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبريل عليه السلام فنزل عليه القرآن) وغيره (على لسانه) ومر أنه خص القرآن بالذكر لاختصاص جبريل به (عشرين سنة وكذا رواه) أي أثر الشعبي (ابن سعد والبيهقي) وأثر الشعبي هذا وان صح اسناده اليه مرسل أو معضل وكلاهما من أقسام الضعيف وقد أنكره الواقدي وقال لم يكرم به من الملائكة الا جبريل قال الشامي وهو المعتمد انتهى وتوقف الحافظ فيه بأن المثبت مقدم على النافي ان لم يصحبه دليل نفيه وجوابه قول

الاول في الجلوس على الورك وفيه زيادة وصف في هيأة القدمين لم تتعرض الرواية الاولى لها (الوجه الثالث) ما ذكره مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الزبير أنه صلى الله عليه وسلم كان يجعل قدمه اليسرى بين فخذه وساقه ويفرش قدمه اليمنى وهذه هي الصفة التي اختارها أبو القاسم الخرقي في مصنفه مختصره وهذا يخالف للصفتين الاوليين في اخراج اليسرى من جانبه وفي نصب اليمنى ولعله كان يفعل هذا تارة وهذا تارة وهذا أظهر ويحتمل أن يكون من اختلاف الرواة ولم يذكر عنه عليه السلام هذا التورك الا في التشهد الذي يلي السلام قال الامام أحمد ومن وافقه هذا مخصوص بالصلاة التي فيها تشهدان وهذا التورك فيها جعل فرقا بين الجلوس في التشهد الاول الذي يسن تخفيفه فيكون الجالس فيه متهيأ للقيام وبين الجلوس في التشهد الثاني الذي يكون الجالس فيه مطمئنا وأيضا فتكون هيأة الجلوسين فارقة بين التشهدين مذكر للمصلي

الحافظ السيوطي قد وردما يوهى أثر الشعبي وهو ما أخرجه مسلم والنسائي والحاكم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وعنده جبريل اذ سمع نقيضا من السماء من فوق فرفع جبريل طرفه الى السماء فقال يا محمد هذا ملك قد نزل لم ينزل الى الارض قط فجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة قال جماعة من العلماء هذا الملك اسرافيل وأخرج الطبراني عن ابن عمر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقد هبط على ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي ولا يهبط على أحد بعدي وهو اسرافيل فقال أنا رسول ربي اليك أمرني أن أخبرك ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فأومأ الى أن تواضع فلو أني قلت نبيا ملكا لسارت معي الجبال ذهبا قال وهاتان القضيتان بعد ابتداء الوحي بسنين كما يعرف من سائر طرق الاحاديث وهما ظاهرتان في أن اسرافيل لم ينزل اليه قبل ذلك فكيف يصح قول الشعبي انه أتاه في ابتداء الوحي انتهى وفي شرح البخاري للمصنف تبعا للفتح قول الشعبي معارض بما روى عن ابن عباس أن الفترة المذكورة كانت أياما فلا يحتج بمرسله لاسيما مع ما عارضه انتهى فلم تكن الفترة الا أياما كما قال مغلطاي انه الاشبه وصريح قوله في حديث البخاري المار وفتر الوحي فترة حتى حزن حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل الخ وورد انه لم ينقطع عنه كما رأى الا أياما على انه لو صح ان اسرافيل أتاه في الابتداء لم يمنع مجيء جبريل فكانا يختلفان في المجيء اليه زيادة اكرام له من ربه وقد صرح في فتح الباري بأنه ليس المراد بفترة الوحي المقدرة بثلاث سنين بين نزول اقرأ ويا أيها المدثر عدم مجيء جبريل اليه بل تأخر نزول القرآن فقط اهـ (فقد تبين) من جملة ما ساقه (أن نبوته عليه الصلاة والسلام كانت متقدمة على ارساله) لان نزول قم فأنذر انما كان بعد الفترة الواقعة بعد النبوة (كما قال أبو عمر) بن عبد البر (وغيره كما حكاه أبو اسامة بن النقاش وكان) الاولى الفاء لانه بيان لسبق نبوته (في نزول سورة اقرأ نبوته وفي سورة المدثر ارساله بالنذارة والبشارة والتشريع وهذا قطعا متأخر عن الاول) فيفيد المدعي وهو سبق النبوة (لانه لما كانت سورة اقرأ متضمنة لذكر أطوار) جمع طور أي أحوال (الآدمي من الخلق والتعليم والافهام ناسب أن تكون أول سورة نزلت وهذا هو الترتيب الطبيعي وهو أن يذكر سبحانه وتعالى ما أسداه الى نبيه عليه الصلاة والسلام من العلم والفهم والحكمة والنبوة ويمن عليه بذلك في معرض) بفتح الميم وكسر الراء اى موضع ظهور (تعريف عباده بما أسداه) أوصله (اليهم من نعمة البيان الفهمي والنطقي والخطي ثم يأمره سبحانه وتعالى ان يقوم فينذر عباده) فلهذه النكتة كانت النبوة سابقة وقيل هما متقارنان وذكر شيخنا فيما مر عن بعض شيوخه أنه الصحيح قال ويؤيده أن الوضوء والصلاة كانا أول الوحي مع نزول اقرأ فان مفاده انه لم يأمر خديجة وعليا بهما الا بعد الوحي اليه بذلك وهذا عين الرسالة وتأخر اظهارها لا يضر لجواز أنه أمر بالتبليغ حالا لمن علم ابتداء وعدم ابائه كما كان يصلي مستخفيا (والله أعلم) بحقيقة ذلك

(ذكر أول من آمن بالله ورسوله)

(وكان أول) بالنصب (من آمن بالله وصدق) عطف تفسير فالايمان التصديق (صديقة) بالرفع اسم كان ويجوز عكسه والاول أولى اذ المجهول الاولية وأضافها لقوله (النساء) أي الدائمة الصدق منهن مع اختصاص الصديقة بالنساء دفعا لتوهم أنها صديقة الامة فيوهم تميزها على أبي بكر (خديجة) قاله ابن اسحق وموسى ابن عقبة والواقدي والاموي وغيرهم قال النووي عند جماعة من المحققين وحكى الثعلبي وابن عبد البر والسهيلي عليه الاتفاق وقال ابن الاثير لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين

حاله فيهما وأيضا فان أبا حميد انما ذكر هذه الصفة عنه صلى الله عليه وسلم في الجلسة التي في التشهد الثاني فانه ذكر صفة جلوسه في التشهد الاول وانه كان يجلس مفترشا ثم قال واذا جلس في الركعة الآخرة وفي لفظ فاذا جلس في الركعة الرابعة * وأما قوله في بعض ألفاظه حتى اذا كانت الجلسة التي فيها التسليم أخرج رجليه وجلس على شقه متوركا فهذا قد يحتج به من يرى التورك يشرع في كل تشهد يليه السلام فيتورك في الثانية وهو قول الشافعي رضي الله عنه وليس بصريح في الدلالة بل سياق الحديث يدل على ان ذلك انما كان في التشهد الذي يلي السلام من الرباعية والثلاثية فانه ذكر صفة جلوسه في التشهد الاول وقيامه فيه ثم قال حتى اذا كانت السجدة التي فيها التسليم جلس متوركا فهذا السياق ظاهر في اختصاص هذا الجلوس بالتشهد الثاني

(فصل) وكان صلى الله عليه وسلم اذا جلس في التشهد وضع يده اليمنى على فخذه اليمنى وضم أصابعه الثلاث

(فقامت بأعباء) أي بالمشاق التي يطلب تحملها وفاء بحقوق (الصديقية) والاعباء في الاصل الثقل فشبه الاحوال بها مبالغة ودليل قيامها بتلك الحقوق أنه (قال لها عليه الصلاة والسلام) لما رجع يرجف فؤاده بعد مجيء جبريل اليه (خشيت على نفسي فقالت له أبشر) بهمزة قطع (فوالله لا يخزيك الله أبدا ثم استدلت) على ذلك (بما فيه من الصفات) الحميدة كقرى الضيف وحمل الكل (والاخلاق) الزكية المرضية أي الملكات الحاملة على الافعال الحسنة (والشيم) بمعنى الاخلاق فالعطف مساو وعطفهما على الصفات عطف سبب على مسبب (على أن من كان كذلك لا يخزى أبدا) وهو من بديع علمها وقوة عارضتها قال ابن اسحق وازرته على أمره فخفف الله بذلك عنه فكان لا يسمع شيأ يكرهه من رد وتكذيب الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس ولهذا السبق وحسن المعر وف جزاها الله سبحانه فبعث جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بغار حراء كما في رواية الطبراني وقال له اقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب كما في الصحيح وفي الطبراني فقالت هو السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام وفي النسائي وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته وهذا من وفور فقهها حيث جعلت مكان رد السلام على الله الثناء عليه ثم غايرت بين ما يليق به وما يليق بغيره قال ابن هشام والقصب هنا اللؤلؤ المجوف وأبدى السهيلي لنفي الصخب والنصب لطيفة هي انه صلى الله عليه وسلم لما دعا الى الايمان أجابت طوعا ولم تحوجه لرفع صوت ولا منازعة ولا نصب بل أزالت عنه كل تعب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل عسير فناسب أن تكون منزلتها التي بشرها بها ربها بالصفة المقابلة لفعلها وصورة حالها رضي الله عنها واقرأ السلام من ربها خصوصية لم تكن لسواها ولم تسؤه صلى الله عليه وسلم قط ولم تغاضبه وجازاها فلم يتزوج عليها مدة حياتها وبلغت منه ما لم تبلغه امرأة قط من زوجاته (وكان أول) بالنصب والرفع على ما مر رجل (ذكر آمن بعدها صديق الامة) لسبقه بتصديق النبي صلى الله عليه وسلم وروى الطبراني برجال ثقات أن عليا كان يحلف بالله ان الله أنزل اسم أبي بكر من السماء الصديق وحكمه الرفع فلا مدخل فيه للرأي وقيل كان ابتداء تسميته بذلك صبيحة الاسراء (وأسبقها) أي الامة بعد خديجة (الى الاسلام أبو بكر) بدل أو عطف بيان لصديق على انه اسم كان وعلى انه خبرها فهو خبر مبتدا محذوف أي وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان أبي قحافة على المشهور ويقال كان اسمه قبل الاسلام عبد الكعبة قاله الفتح وفي جامع الاصول يقال كان اسمه في الجاهلية عبد رب الكعبة فغيره صلى الله عليه وسلم الى عبد الله وينافيه ما روى ابن عساكر عن عائشة أن اسمه الذي سماه به أهله عبد الله ولكن غلب عليه اسم عتيق الا أن يكون سمي بهما حين الولادة لكن اشتهر في الجاهلية بذاك وفي الاسلام بعبد الله فمعنى سماه النبي عليه السلام قصر اسمه على عبد الله قال في الفتح وكان يسمى أيضا عتيقا واختلف في أنه اسم أصلي له أولانه ليس في نسبه ما يعاب به أو لقدمه في الخير ولسبقه الى الاسلام أو لحسنه أو لان أمه استقبلت به البيت وقالت اللهم هذا عتيقك من الموت لانه كان لا يعيش لها ولد أو لان النبي صلى الله عليه وسلم بشره بأن الله أعتقه من النار كما في حديث عائشة عند الترمذي وصححه ابن حبان انتهى قال الزمخشري ولعله كني بأبي بكر لابتكاره الخصال الحميدة انتهى ولم أقف على من كناه به هل المصطفى أو غيره (فآزره) بالهمز أي واساه وعاونه وبالواو شاذ كما في القاموس (في) نصر دين (الله) بنفسه وماله (وعن ابن عباس انه أول الناس اسلاما واستشهد) ابن عباس وفي لفظ وتمثل (بقول حسان بن ثابت) الانصاري (اذا تذكرت شجوا) أي هما وحزنا بريد مما كابده أبو بكر فأطلق عليه شجوا لاقتضائه ذلك أو أراد حزنه مما جرى على المصطفى (من أخي

ونصب السبابة وفي لفظ وقبض أصابعه الثلاث ووضع يده اليسرى على فخذه اليسرى ذكره مسلم عن ابن عمر وقال وائل ابن حجر جعل حد مرفقه الايمن على فخذه اليمنى ثم قبض ثنتين من أصابعه وحلق حلقة ثم رفع أصبعه فرأيته يحركها يدعو بها وهو في السنن وفي حديث ابن عمر في صحيح مسلم عقد ثلاثا وخمسين وهذه الروايات كلها واحدة فان من قال قبض أصابعه الثلاث أراد به ان الوسطى كانت مضمومة لم تكن منشورة كالسبابة ومن قال قبض ثنتين من أصابعه أراد أن الوسطى لم تكن مقبوضة مع البنصر بل الخنصر والبنصر متساويتان في القبض دون الوسطى وقد صرح بذلك من قال وعقد ثلاثا وخمسين فان الوسطى في هذا العقد تكون مضمومة ولا تكون مقبوضة مع البنصر (وقد) استشكل كثير من الفضلاء هذا اذ عقد ثلاث وخمسين لا يلائم واحدة من الصفتين المذكورتين فان الخنصر لابد أن تركب البنصر في هذا العقد (وقد) أجاب عن هذا بعض الفضلاء

ثقة *) أي صديق أو صاحب ائتمان والمعنى إذا تذكرت من يقتدى به في تحمل المشاق القلبية والبدنية لاجل صديقه (فاذكر أخاك أبو بكر بما فعلا) صلة أذكر وما مصدرية أي تذكر بفعله الجميل (خير البرية) بالنصب بدل من أبا بكر أو صفة له (أتقاها) صفة بعد صفة والعاطف مقدر (وأعدلها بعد النبي) تنازعه خير البرية وما عطف عليه وأل للعهد وهو المصطفى فالمراد بالبرية أمته والبعدية في رتبة الفضل لا الزمنية فإن خيريته وما بعدها كان ثابتا في حياته صلى الله عليه وسلم هكذا نبهنا عليه شيخنا العلامة البابلي لما قرأ قول البخاري باب فضل أبي بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم أو أل للاستغراق فالمراد بها من عدا الانبياء (وأوفاها) اسم تفضيل من وفى بالعهد أي أحفظها (بما حملا) أي بالذي حمله عنه عليه السلام من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والقيام بحقوق الله وآدابه وعطف على خير قوله (والثاني) للنبي صلى الله عليه وسلم في الغار و(التالي) التابع له باذلا نفسه مفارقا أهله وماله وبأسته في طاعة الله ورسوله وملازمته ومعاداة الناس فيه جاعلا نفسه وقاية عنه وغير ذلك من سيره الحميدة التي لا تحصى بحيث قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر وقال ما أحد أعظم عندي يدا من أبي بكر واساني بنفسه وماله رواه الطبراني وقال ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجني ابنته وواساني بنفسه رواه ابن عساكر وقال الشعبي عاتب الله أهل الارض جميعا في هذه الآية أي آية الا تنصروه غير أبي بكر وقد جوزي بصحبة الغار الصحبة على الحوض كما في حديث ابن عمر رفعه أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار فيا نعم الجزاء (المحمود مشهده *) بفتح الهاء أي المدوح مكان حضوره من الناس لانه كما قال ابن اسحق كان رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بها وبما كان فيها من خير وشر وكان تاجرا ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال من قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم بدعوته جماعة عدهم كما يأتي (وأول الناس قدما) بكسر القاف وسكون الدال تخفيفا وأصلها الفتح أي قديما أو بضم القاف وسكون الدال أي تقدما وهو معمول لقوله (صدق الرسلا) بالجمع لان تصديقه تصديق لجميعهم كما في نحو كذبت قوم نوح المرسلين وفي نسخة منهم بدل قدما أي حال كونه معدودا منهم لمهماتهم فصرح بأنه أول من بادر لتصديق المرسلين وهو محل الاستشهاد من الابيات والالف في آخر كل منها للاطلاق وهو اشباع حركة الروي فيتولد منها حرف مجانس لها (رواه أبو عمر) بن عبد البر وكذا الطبراني في الكبير وروى الترمذي عن أبي سعيد قال قال أبو بكر ألست أول من أسلم (وممن وافق ابن عباس وحسانا) بالصرف ومنعه على أنه من الحسن أو الحس قاله الجوهري لكن قال ابن مالك المسموع فيه منع الصرف (على ان الصديق أول الناس اسلاما أسماء بنت أبي بكر) ذات النطاقين زوج الزبير المتوفاة بمكة سنة ثلاث وسبعين وقد بلغت المائة ولم يسقط لها سن ولم يتغير لها عقل (و) ابراهيم بن يزيد بن قيس (النخعي) بفتح النون والخاء المعجمة نسبة الى النخع قبيلة الكوفي الفقيه الحافظ التابعي الوسط المتوفى وهو مختف من الحجاج سنة ست وتسعين (وابن الماجشون) بفتح الجيم وكسرها وضم الشين لفظ فارسي لقب به لانه تعلق من الفارسية بكلمة اذا لقي الرجل يقول شوني شوني قاله الامام أحمد أو لانه لما نزل المدينة كان يلقى الناس ويقول جوني جوني قاله ابن أبي خيثمة أو لحمرة وجنتيه سمي بالفارسية لما يكون فعربه أهل المدينة ذلك قاله الحربي وقال الغساني هو بالفارسية الماهكون فعرب ومعناه المورود ويقال الابيض الاحمر وقال الدارقطني لحمرة وجهه ويقال ان سكينة بالتصغير بنت الحسين بن علي لقبته بذلك وقال البخاري في تاريخه الاوسط الماجشون هو يعقوب بن أبي سلمة أخو عبد الله يجري على بنيه وبني أخيه (ومحمد بن

بأن الثلاثة لها صفة ان في هذا العقد قديمة وهي التي ذكرت في حديث ابن عمر تكون فيها الاصابع الثلاث مضمومة مع تحليق الابهام مع الوسطى وحديثة وهي المعروفة اليوم بين أهل الحساب والله أعلم وكان يبسط ذراعه على فخذه ولا يجافيها فيكون حد مرفقه عند آخر فخذه وأما اليسرى فممدودة الاصابع على الفخذ اليسرى وكان يستقبل باصابعه القبلة في رفع يديه في ركوعه وفي سجوده وفي تشهده ويستقبل أيضا باصابع رجليه القبلة في سجوده وكان يقول في كل ركعتين التحيات *وأما المواضع التي كان يدعو فيها في الصلاة فسبعة مواطن (أحدها) بعد تكبيرة الاحرام في محل الاستفتاح (الثاني) قبل الركوع وبعد الفراغ من القراءة في الوتر والقنوت العارض في الصبح قبل الركوع ان صح ذلك فان فيه نظرا (الثالث) بعد الاعتدال من الركوع كما ثبت ذلك في صحيح مسلم من حديث عبد الله ابن أبي أوفى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من

المنكدر) بن عبد الله التيمي التابعي الصغير كثير الحديث عن أبيه وجابر وابن عمر وابن عباس وأبي أيوب وأبي هريرة وعائشة وخلق وعنه الزهري ومالك وأبو حنيفة وشعبة والسفيانان قال ابن عيينة كان من معادن الصدق ويجتمع اليه الصالحون مات سنة ثلاثين وقيل احدى وثلاثين ومائة (والاخنس) بفتح الهمزة وخاء معجمة ساكنة ونون مفتوحة وسين مهملة ابن شريق بفتح المعجمة وكسر الراء وتحتية وقاف الثقفي واسم الاخنس أبي حليف بني زهرة صحابي من مسلمة الفتح وشهد حنينا وأعطي مع المؤلفة وتوفي في أول خلافة عمر ذكره الطبري وابن شاهين هذا على ما في النسخ والذي عند البغوي بدله والشعبي وكذا رواه عنه في المستدرك و وقوع اسلام الصديق عقب خديجة لانه كان يتوقع ظهور نبوته عليه السلام لما سمعه من ورقة وكان يوما عند حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة له فقالت ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان زوجها نبي مرسل مثل موسى فانسل أبو بكر حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وروى ابن اسحق بلاغا ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبي بكر ما عكم عنه حين ذكرته له قال ابن هشام قوله ما عكم أي تلبث قال في الروض وكان من أسباب توفيق الله له انه رأى القمر نزل بمكة ثم تفرق على جميع منازلها وبيوتها فدخل في كل بيت منه شعبة ثم كان جمعه في حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بأن النبي المنتظر الذي قد أظل زمانه يتبعه ويكون أسعد الناس به فلما دعاه صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وذكر ابن الاثير في أسد الغابة وابن ظفر في البشر عن ابن مسعود أن أبا بكر خرج الى اليمن قبل البعثة قال فنزلت على شيخ قد قرأ الكتب وعلم من علم الناس كثيرا فقال أحسبك حرميا قلت نعم وأحسبك قرشيا قلت نعم وأحسبك تيميا قلت نعم قال بقيت لي فيك واحدة قلت وما هي قال تكشف لي عن بطنك قلت لا أفعل أو تخبرني لم ذاك قال أجد في العلم الصحيح الصادق أن نبيا يبعث في الحرم يعاونه على أمره فتى وكهل اما الفتى فخواض غمرات ودفاع معضلات وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه شامة وعلى فخذه اليسرى علامة وما عليك أن تريني ما سألتك فقد تكاملت لي فيك الصفة الا ما خفي علي فكشفت له بطني فرأى شامة سوداء فوق سرتي فقال أنت هو ورب الكعبة واني متقدم اليك في أمره قلت وما هو قال اياك والميل عن الهدى وتمسك بالطريق الوسطى وخف الله فيما خولك وأعطاك فقضيت باليمن أربي ثم أتيت الشيخ لاودعه فقال أحامل أنت مني أبياتا الى ذلك النبي قلت نعم فذكر أبياتا فقدمت مكة وقد بعث صلى الله عليه وسلم فجاءني صناديد قريش فقلت نابكم أو ظهر فيكم أمر قالوا أعظم الخطب يتيم أبي طالب يزعم انه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به والكفاية فيك فصرفتهم على أحسن شئ وذهبت الى النبي فقرعت عليه الباب فخرج الي فقلت يا محمد قد حدت منازل أهلك وتركت دين آبائك فقال اني رسول الله اليك والى الناس كلهم فآمن بالله قلت وما دليلك قال الشيخ الذي لقيته باليمن قلت وكم لقيت من شيخ باليمن قال الذي أفادك الابيات قلت ومن أخبرك بهذا يا حبيبي قال الملك المعظم الذي يأتي الانبياء قبلي قلت مد يدك فانا أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله فانصرفت وقد سر صلى الله عليه وسلم باسلامي وفي سياقه نكارة فان كان محفوظا أمكن الجمع بان سفره لليمن قبل البعثة كما صرح به ورجوعه عقب اسلام خديجة واجتمع بحكيم وسمع الخبر عنده ولقيه الصناديد وقالوا له ما ذكر فأتاه صلى الله عليه وسلم وآمن به بعد حصول الامرين وأما الجمع بأنه آمن به أولا ثم سافر الى اليمن ولم يظهر اسلامه لقومه فلما رجع وأخبروه بذلك أتى المصطفى وأظهر اسلامه بين يديه ثانيا ففاسد لتصريحه بأن سفره قبل البعثة ولانه لو كان آمن ما خاشنه في الخطاب بقوله يا محمد قد حدت الخ على انه مما لا يليق التفوه به في هذا المقام كيف وقد صرح غير واحد منهم ابن اسحق بانه لما أسلم أظهر اسلامه ودعا الى الله ورسوله

الركوع قال سمع الله لمن حمده اللهم ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شئ بعد اللهم طهرني بالثلج والبرد والماء البارد اللهم طهرني من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الابيض من الوسخ (الرابع) في ركوعه كان يقول سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي (الخامس) في سجوده وكان فيه غالب دعائه (السادس) بين السجدتين (السابع) بعد التشهد وقبل السلام وبذلك أمر في حديث أبي هريرة وحديث فضالة بن عبيد وأمر أيضا بالدعاء في السجود * وأما الدعاء بعد السلام من الصلاة مستقبل القبلة أو المأمومين فلم يكن ذلك من هديه صلى الله عليه وسلم أصلا ولا روي عنه باسناد صحيح ولا حسن * وأما تخصيص ذلك بصلاتي الفجر والعصر فلم يفعل ذلك هو ولا أحد من خلفائه ولا أرشد اليه أمته وانما هو استحسان رآه من رآه عوضا من السنة بعدهما والله أعلم وعامة الادعية المتعلقة بالصلاة انما فعلها فيها وأمر بها فيها وهذا هو

(وقيل ان على بن أبي طالب) الهاشمي (أسلم بعد خديجة) قبل الصديق قطع به ابن اسحق وغيره محتجين بحديث أبي رافع صلى النبي صلى الله عليه وسلم أول يوم الاثنين وصلت خديجة آخره وصلى على يوم الثلاثاء رواه الطبراني وبمعناه في المستدرك نبئ النبي يوم الاثنين وأسلم على يوم الثلاثاء وروى ابن عبد البر أن محمد بن كعب القرظي سئل عن أولهما اسلاما فقال سبحان الله على أولهما اسلاما وانما اشتبه على الناس لان عليا أخفى اسلامه عن أبيه وأبو بكر أظهره (وكان) مما أنعم الله به عليه كما قال ابن اسحق انه كان (في حجر) مثلث الحاء أي منع (النبي صلى الله عليه وسلم) وكفالته وحفظه مما لا يليق به وذلك ان قريشا أصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة فقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان من أيسر بني هاشم يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ أنت رجلا فنكفهما عنه قال العباس نعم فانطلقا حتى أتياه وأخبراه بما أرادا فقال اذا تركتما لي عقيلا ويقال وطالبا فاصنعا ما شئتما فأخذ المصطفى عليا فلم يزل معه حتى بعثه الله فاتبعه وآمن به وصدقه وأخذ العباس جعفرا فلم يزل عنده حتى أسلم واستغنى عنه (فعلى هذا) المذكور من كونه في حجر النبي لا تنافي بين القولين في أيهما بعد خديجة لامكان الجمع كما قال السهيلي بانه (يكون أول من أسلم من الرجال) البالغين (أبو بكر ويكون على أول صبي أسلم لانه كان صبيا لم يدرك) أي لم يبلغ (ولذا قال) على ما حكى أن معاوية كتب اليه يا أبا حسن ان لي فضائل أنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتبه فقال على والله ما أكتب اليه الاشعرا فكتب

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي * يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي * مشوب لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ابناى منها * فمن منكم له سهم كسهمي
(سبقتكم الى الاسلام طرا * صغيرا ما بلغت أوان حلمي)

فلما قرأ معاوية الكتاب قال مزقه يا غلام لا يراه أهل الشام فيميلوا الى ابن أبي طالب قال البيهقي هذا الشعر مما يجب على كل متوان في على حفظه ليعلم مفاخره في الاسلام وطرا بضم الطاء المهملة وفتحها أي جميعا وما بلغت بيان للمراد من صغيرا لان الصغر يتفاوت وحلمي بضم المهملة وسكون اللام على احدى اللغتين والثانية بضمهما أي احتلامي أي خروج المني وزعم المازني وصوبه الزمخشري انه لم يقل غير بيتين هما

تلكم قريش تمناني لتقتلني * فلا وربك ما بروا ولا ظفروا
فان هلكت فرهن ذمتي لهم * بذات ودقين لا يعفو لها أثر

وذات ودقين الداهية كأنها ذات وجهين ذكره القاموس وهو مردود بما في مسلم فقال على أي مجيبا لمرحب اليهودي

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره
أوفيهم بالصاع كيل السندره

وروى الزبير بن بكار في عمارة المسجد النبوي عن أم سلمة وقال على بن أبي طالب

لا يستوي من يعمر المساجدا * يدأب فيها قائما وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائدا

الثلاثة بحال المصلي فانه مقبل على ربه يناجيه مادام في الصلاة فاذا سلم منها انقطعت تلك المناجاة وزال ذلك الموقف بين يديه والقرب منه فكيف يترك سؤاله في حال مناجاته والقرب منه والاقبال عليه ثم يسأل اذا انصرف عنه ولا ريب ان عكس هذا الحال هو الاولى بالمصلي الا ان ههنا (نكتة لطيفة) وهو ان المصلي اذا فرغ من صلاته وذكر الله وهلله وسبحه وحمده وكبره بالاذكار المشروعة عقيب الصلاة استحب له ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ويدعو بما شاء ويكون دعاؤه عقيب هذه العبادة الثانية لا لكونه دبر الصلاة فان كل من ذكر الله وحمده وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم استجيب له الدعاء عقيب ذلك كما في حديث فضالة بن عبيد اذا صلى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه وليصل على النبي صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء قال الترمذي حديث صحيح * (فصل) * ثم كان صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه السلام عليكم ورحمة

(وكان سن على اذذاك عشر سنين فيما حكاه الطبرى) وهو قول ابن اسحق واقتصر المصنف عليه لقول الحافظ أنه أرجح الاقوال وروى ابن سفيان باسناد صحيح عن عروة قال أسلم على وهو ابن ثمان سنين وصدر به فى العيون لكن ابن عبد البر بعد أن حكاه عن أبى الاسود يتيم عروة قال لا أعلم أحدا قال كقوله وقيل اثنتى عشرة وقيل خمس عشرة وقيل ست وقيل خمس حكاهما العراقى (وقال ابن عبد البر وممن ذهب الى أن عليا أوّل من أسلم من الرجال) أى الذكور وان كان صبيا (سلمان) الفارسى (وأبو ذر) جندب بن جنادة الغفارى الزاهد أحد السابقين روى الطبرانى عنهما قالا أخذ صلى الله عليه وسلم بيد على فقال ان هذا أوّل من آمن بى (وخباب) بفتح المعجمة وشد الموحدة فألف فوحدة ابن الارث بشد الفوقية التميمى البدرى أحد السباق روى عنه علقمة وقيس بن أبى حازم توفى سنة سبع وثلاثين (وجابر) بن عبد الله الانصارى رضى الله عنهما (وأبو سعيد) سعد بن مالك بن سنان (الخدرى) بدال مهملة (وزيد بن الارقم) بن زيد بن قيس الخزرجى أوّل مشاهده الخندق وأنزل الله تصديقه فى سورة المنافقين مات سنة ست أو ثمان وستين والروايات عن هؤلاء بكونه أوّل من أسلم عند الطبرانى بأسانيده ورواه أعنى الطبرانى بسند صحيح عن ابن عباس موقوفا وبسند ضعيف عنه مرفوعا ورواه الترمذى من طريق آخر عنه موقوفا (وهو قول) محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله (ابن شهاب) نسب الى جد جده لشهرته (وقتادة) بن دعامة الاكمه (وغيرهم) بالرفع أى غير سلمان ومن عطف عليه كأبى أيوب ويعلى بن مرة وعفيف الكندى وخزيمة بن ثابت وأنس كما أسنده عنهم الطبرانى قال الحافظ فى التقريب ورجحه جمع وجملة وهو قول معترضة ويصح جره بناء على أن الجمع ما فوق الواحد وأنشد المرزبانى لخزيمة فى على

ألیس أوّل من صلى لقبلتكم * وأعلم الناس بالقرآن والسنن

وقال كعب بن زهير من قصيدة يمدحه بها

ان عليا لميمون نقيبته * بالصالحات من الافعال مشهور
صهر النبى وخير الناس مفتخرا * فكل من رامه بالفخر مفخور
صلى الطهور مع الامى أوّلهم * قبل المعاد ورب الناس مكفور

(واتفقوا على أن خديجة أوّل من أسلم مطلقا) من جملة كلام ابن عبد البر ووافقه على حكاية الاتفاق الثعلبى والسهيلى (وقيل أوّل رجل) خرجت خديجة لانها آمنت قبل ذهابها بالمصطفى اليه (اسلم ورقة ابن نوفل) قال جماعة ومنعه آخرون (و) لكن (من يدعى) انه أوّل من أسلم (يدعى) تأخر الرسالة عن النبوة و (أنه أدرك نبوته عليه السلام لا رسالته) التى لا يحكم بالاسلام الا لمن آمن بعدها (لكن) لا تسلم له هذه الدعوى فقد (جاء فى السير) كما فى زيادات المغازى من رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق عن عمرو بن أبى اسحق عن أبيه عن أبى ميسرة التابعى الكبير مرسلا (وهى زواية أبى نعيم المتقدمة) قريبا قبيل مراتب الوحى مسندة عن عائشة (انه) أى ورقة (قال ابشر فانا أشهد) أقر وأذعن (انك) الرسول (الذى بشر به ابن مريم وانك على مثل) أى صفة مماثلة لصفة (ناموس موسى وانك نبى مرسل) تأكيد وزيادة فى تطمينه (وانك ستؤمر بالجهاد) علم ذلك من الكتب القديمة لتبحره فى علم النصرانية (وان أدرك ذلك لأجاهدن معك) وفى آخر هذا الحديث فلما توفى قال صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس فى الجنة عليه ثياب الحرير لانه آمن بى وصدقنى وأخرجه البيهقى فى الدلائل ايضا وروى ابن عدى عن جابر مرفوعا رأيت ورقة فى بطنان الجنة عليه السندس ورواه ابن السكن بلفظ رأيت ورقة على نهر من أنهار الجنة (فهذا تصريح منه بتصديقه برسالة محمد صلى الله عليه وسلم) لكن يجوز أنه قاله قبل الرسالة

الله وعن يساره كذلك هذا فعله لراتب رواه عنه خمسة عشر صحابيا وهم عبد الله بن مسعود وسعد بن أبى وقاص وسهل بن سعد الساعدى ووائل بن حجر وأبو موسى الاشعرى وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر وعبد الله بن عمرو وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وأبو مالك الاشعرى وطلق بن على وأوس بن أوس وأبو رمثة وعدى ابن عميرة رضى الله عنهم وقد روى عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يسلم تسليمة واحدة تلقاء وجهه ولكن لم يثبت عنه ذلك من وجه صحيح وأجود ما فيه حديث عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة السلام عليكم يرفع بها صوته حتى يوقظنا وهو حديث معلول وهو فى السنن لكنه كان فى قيام الليل والذين رووا عنه التسليمتين رووا ما شاهدوه فى الفرض والنفل على ان حديث عائشة ليس صريحا فى الاقتصار على التسليمة الواحدة بل أخبرت انه كان يسلم تسليمة واحدة يوقظهم بها ولم تنف الاخرى بل سكتت عنها

لعلمه بما تقرر أن الله على ذلك فيكون كبحيرا سيما وقد مر أن ذهاب خديجة لورقة كان عقب نزول اقرأ وبتأخر وفاته والى هذا أشار الحافظ فقال حديث الصحيح ظاهر في أنه أقر بنبوته ولكنه مات قبل أن يدعو الناس الى الاسلام فيكون مثل بحيرا وفي اثبات الصحبة له نظر وتعقبه تلميذه البرهان البقاعي فقال هذا من العجائب كيف يماثل من آمن بأنه قد بعث بعد ما جاءه الوحي فانطبق عليه تعريف الصحابي الذي ذكره في نخبته بمن آمن انه سيبعث ومات قبل ان يوحى اليه قال العلامة البرماوي ليس ورقة من هذا النوع لانه اجتمع به بعد الرسالة لما صح في الاحاديث انه جاءه بعد مجيء جبريل وانزال اقرأ او بعد قوله أبشر يا محمد أنا جبريل أرسلت اليك وانك رسول هذه الامة وقول ورقة أبشر وذكر ما ساقه المصنف وقال بعده ورؤيته له عليه السلام لورقة في الجنة وعليه ثياب خضر وجاء انه قال لا تسبوه فاني رأيت له جنة أو جنتين رواه الحاكم في المستدرك واما قوله الذهبي في التجريد قال ابن منده اختلف في اسلامه والاظهر أنه مات بعد النبوة وقيل الرسالة فبعيد لما ذكرناه فهو صحابي قطعا بل أول الصحابة كما كان شيخنا شيخ الاسلام يعني البلقيني يقرره انتهى ونقل كلام البلقيني بقوله (قال) شيخ الاسلام علامة الدنيا سراج الدين أبو حفص عمر بن رسلان بن نصر (البلقيني) الحافظ الفقيه البارع المجتهد المفتي المصنف المتوفى سنة خمس وثمانمائة بضم الموحدة وسكون اللام والياء وكسر القاف نسبة الى قرية بمصر قرب المحلة كما في اللب والمراصد والنسخ المعتمدة من القاموس خلاف ما في بعضها من أن بلقين كغرنيق (بل يكون بذلك أول من أسلم من الرجال) وذكره وان استفيد مما قدمه لانه على انه بعد الرسالة ولم يتقدم تصريح به (وبه قال العراقي) الحافظ أبو الفضل عبد الرحيم (في نكته على) كتاب (ابن الصلاح) في علوم الحديث وبه جزم في نظم السيرة حيث قال فهو الذي آمن بعد ثانيا وكان براصاد قاموا تيا (وذكره ابن منده في الصحابة) حاكيا الخلاف كما مر وذكره فيهم أيضا الطبري والبغوي وابن قانع وابن السكن وغيرهم كما في الاصابة وحسبك بهم حجة ومر أن الصحيح أن النبوة والرسالة متقارنان وروى الزبير بن بكار عن عروة أن ورقة مر ببلال وهو يعذب برمضاء مكة ليشرك فيقول أحد أحد فقال ورقة أحد أحد يا بلال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا قال في الاصابة وهذا مرسل جيد يدل على أن ورقة عاش الى أن دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام والجمع بينه وبين قول عائشة فلم ينشب ورقة أن توفي أي قبل أن يشتهر الاسلام ويؤمر المصطفى بالجهاد قال وما روى في مغازي ابن عائذ عن ابن عباس انه مات على نصرانيته فضعيف انتهى باختصار وقد أرخ الخميس وفاة ورقة في السنة الثالثة من النبوة قال وفي المنتقى في السنة الرابعة قلت وما وقع في الخميس من قوله وفي الصحيحين عن عائشة أن الوحي تتابع في حياة ورقة فغلط اذ الذي فيهما عنها فلم ينشب ورقة ان توفي (وحكى العراقي كون علي أول من أسلم عن أكثر العلماء) وقال الحاكم لا أعلم فيه خلافا بين أصحاب التواريخ قال والصحيح عند الجماعة ان أبا بكر أول من أسلم من الرجال البالغين لحديث عمرو بن عبسة يعني حيث قال للنبي صلى الله عليه وسلم من معك على هذا قال حر وعبد يعني أبا بكر وبلالا رواه مسلم ولم يذكر عليا لصغره (وحكى ابن عبد البر الاتفاق عليه) فقال اتفقوا على أن خديجة أول من آمن ثم علي بعدها (وادعى الثعلبي) أحمد بن محمد بن ابراهيم أبو اسحق النيسابوري صاحب التفسير والعرائس في قصص الانبياء قال الذهبي وكان حافظا رأسا في التفسير والعربية متين الديانة والزهادة مات سنة سبع وعشرين أو سبع وثلاثين وأربعمائة ويقال له الثعلبي والثعالبي) اتفاق العلماء على أن أول من أسلم خديجة وان اختلافهم انما هو فيمن اسلم بعدها) هل الصديق أو علي أو ورقة لانها آمنت قبل مجيئها المصطفى له لما أخبرها عن صفة ما رأى في الغار لما ثبت عندها قبل ذلك عن بحيرا وغيره أنه النبي المنتظر وقيل

وليس يسكرتها عنها مقدما على رواية من حفظها وضبطها وهم أكثر عددا وأحاديثهم أصح وكثير من أحاديثهم صحيح والباقي حسان قال أبو عمر بن عبد البر روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يسلم تسليمة واحدة من حديث سعد بن أبي وقاص ومن حديث عائشة ومن حديث أنس الا انها معلولة ولا يصححها أهل العلم بالحديث ثم ذكر علة حديث سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسلم في الصلاة تسليمة واحدة قال وهذا وهم وغلط وانما الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن يساره ثم ساق الحديث من طريق ابن المبارك عن مصعب بن ثابت عن اسمعيل بن محمد بن سعد عن عامر بن سعد عن أبيه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسلم عن يمينه وعن شماله حتى كأني أنظر الى صفحة خده فقال الزهري ما سمعنا هذا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اسمعيل بن محمد أكل حديث رسول الله قد سمعته قال لا قال فنصفه

زيدبن حارثة ذكره معمر عن الزهرى وقدمه ابن اسحق على الصديق فقال أوّل من آمن خديجة ثم على ثم زيد ثم أبو بكر انتهى وقيل بلال وذكر عمر بن شبة ان خالد بن سعيد بن العاصى أسلم قبل على وذكر ابن حبان أنه أسلم قبل الصديق (قال) شيخ الاسلام تقى الدين أبو عمرو عثمان (بن الصلاح) بن عبد الرحمن بن عثمان الكردى الشهرزورى الامام الحافظ المتبحر فى الاصول والفروع والتفسير والحديث الزاهد وافر الجلالة المتوفى سنة ثلاث وأربعين وستمائة (والاورع) أى الادخل فى الورع والاسلم من القول بما لا يطابق الواقع (أن) لا يطلق القول فى تعيين أوّل المسلمين على الحقيقة لكونه هجوما على عظيم وتعارض الادلة فيه وعدم وجود قاطع يستند عليه بل يذكر قول يشمل جميع الاقوال بأن (يقال أوّل من أسلم من الرجال الاحرار أبو بكر ومن الصبيان أو الاحداث) تنويع فى العبارة (على ومن النساء خديجة) وسبق ابن الصلاح لهذا الجمع الى هنا الخبر فأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال أوّل من أسلم من الرجال أبو بكر ومن الصبيان على ومن النساء خديجة فتبعه العسكرى وابن الصلاح وزادا العبيد والموالى فقالا (ومن الموالى زيد بن حارثة) حب المصطفى والذى به أسر فى الجاهلية فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بأربعمائة درهم فاستوهبه النبى صلى الله عليه وسلم منها فوهبته له وجاء أبوه وعمه كعب مكة وطلبا أن يفديا ه فخيره عليه السلام بين أن يدفعه اليهما أو يثبت عنده فاختار أن يبقى عنده فلاماه فارجع وقال لا أختار عليه أحدا فقام صلى الله عليه وسلم الى الحجر وقال اشهدوا أن زيدا ابنى يرثنى وأرثه فطابت نفسهما وانصرفا فدعى زيد بن محمد حتى جاء الله بالاسلام فصدقه وأسلم فى قصة مطولة ذكرها ابن الكلبى وابن اسحق هذا حاصلها (ومن العبيد بلال) المؤذن (والله أعلم) بحقيقة الاوّلية المطلقة (انتهى وقال) نحوه الحافظ المحب (الطبرى) بفتح الطاء والموحدة وراء نسبة الى طبرستان على غير قياس (الاولى التوفيق بين الروايات كلها وتصديقها فيقال أوّل من أسلم مطلقا خديجة) لكنه خالف فيها ابن الصلاح لقوة الادلة كيف وقد قال ابن الاثير لم يتقدمها رجل ولا امرأة باجماع المسلمين (وأوّل ذكر أسلم على ابن أبى طالب وهو صبى لم يبلغ الحلم وكان مستخفيا باسلامه) من أبيه (وأوّل رجل عربى بالغ أسلم وأظهر اسلامه أبو بكر بن أبى قحافة) عبد الله بن عثمان (وأوّل من أسلم من الموالى زيد) بن حارثة بن شرحبيل بن كعب الكلبى (قال وهو متفق عليه لا اختلاف فيه) اطناب للتأكيد (وعليه يحمل قول من قال أول من أسلم من الرجال البالغين الاحرار) لا مطلقا (ويؤيد هذا ما روى عن الحسن أن على بن أبى طالب قال) لما جاءه رجل فقال يا أمير المؤمنين كيف سبق المهاجرون والانصار الى بيعة أبى بكر وأنت أسبق سابقة وأورى منه منقبة فقال على ويلك (ان أبا بكر سبقنى الى أربع لم أوتهن) ولم اعتض منهن بشئ كما فى الرواية (سبقنى الى افشاء الاسلام) هذا محل التأييد وقد يمنع بأن السبق على افشائه لا يلزم منه السبق على الاسلام نفسه (وقدم الهجرة) لانه هاجر مع المصطفى وتأخر على بعده حتى أدى عنه الودائع التى كانت عنده صلى الله عليه وسلم ثم لحقه بقباء (ومصاحبته فى الغار وأقام الصلاة وأنا يومئذ بالشعب) بالكسر شعب بنى هاشم بمكة (يظهر اسلامه وأخفيه الحديث) تتمته يستحقرنى قريش وتستوفيه والله لو أن أبا بكر زال عن مزيته ما بلغ الدين العبرين يعنى الجانبين ولكان الناس كرعة ككرعة طاولت ويلك ان الله ذم الناس ومدح أبا بكر فقال الا تنصروه فقد نصره الله الآية كلها (خرجه صاحب فضائل أبى بكر وخيثمة) ابن سليمان بن حيدرة الامام الحافظ أبو الحسن القرشى الطرابلسى أحد الثقات الرحالة جمع فضائل الصحابة ولد سنة خمس وأربعين وثلثمائة قال ابن منده كتبت عنه بطرابلس ألف جزء (بمعناه) ورواه الدارقطنى فى الغرائب وضعفه قال فى الرياض النضرة بعد سوق الحديث تاما

قال لا قال فاجعل هذا من النصف الذى لم تسمع قال وأما احاديث عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسلم تسليمة واحدة فلم يرفعه أحد الا زهير بن محمد وحده عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رواه عنه عمرو بن أبى سلمة وغيره وزهير بن محمد ضعيف عند الجميع كثير الخطأ لا يحتج به وذكر ليحيى بن معين هذا الحديث فقال حديث عمرو بن أبى سلمة وزهير ضعيفان لا حجة فيهما قال وأما احاديث أنس فلم يأت الا من طريق أيوب السختيانى عن أنس ولم يسمع أيوب عن أنس عندهم شيأ قال وقد روى مرسلا عن الحسن أن النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما كانوا يسلمون تسليمة واحدة وليس مع القائلين بالتسليمة غير عمل أهل المدينة قالوا وهو عمل قد توارثوه كابرا عن كابر ومثله لا يصح الاحتجاج به لانه لا يخفى لوقوعه فى كل يوم مرارا وهذه طريقة قد خالفهم فيها سائر الفقهاء (والصواب) معهم والسنن الثابتة عن رسول الله صلى الله

وأورى من ورى الزند خرجت ناره وظهرت أى أظهر منقبة وأنور تستوفيه أى توفيه حقه من الاعظام والاكرام والمزية الفضيلة أى لو زال عن فضيلته بالتقديم على الناس اماما وكرعة جمع كارع كركبة وراكب من كرع بالفتح يكرع اذا شرب الماء من فيه دون اناء ولعله أراد لولا أبو بكر لخالف الناس الدين كما خالفه كرعة طالوت بالشرب من النهر الذى نهوا عنه انتهى (وأما ما روى) عند ابن منده بسند ضعيف عن ابن عباس (من صحبة الصديق للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة وهم يريدون الشام فى تجارة وحديث بحيرا) أى سؤاله لابى بكر من الذى تحت الشجرة وقوله هو محمد بن عبد الله فقال هذا نبى (وانه وقع فى قلب أبى بكر اليقين) من ذلك (وقول ميمون بن مهران) بكسر فسكون الكوفى أبى أيوب الجزرى نزيل الرقة الثقة الفقيه التابعى الوسط كثير الحديث والى الجزيرة لعمر بن عبد العزيز المتوفى سنة سبع عشرة ومائة وله سبع وسبعون سنة (والله لقد آمن أبو بكر بالنبى صلى الله عليه وسلم زمن بحيرا فالمراد بهذا الايمان) اللغوى وهو (اليقين بصدقه وهو ما وقر) ثبت (فى قلبه) فلا ينافى انه أول المسلمين أو ثانيهم أو ثالثهم بعد النبوة (والا فالنبي صلى الله عليه وسلم تزوج خديجة وسافر) مع غلامها ميسرة (الى الشام قبل المبعث) بعد تلك السفرة التى كان فيها أبو بكر وكان ذلك سبب التزوج بها وسنه صلى الله عليه وسلم خمس وعشرون سنة كما مر فالواو عطفت سابقا على لاحق على انه لا يصح ايراد قصة صحبته له فى تلك السفرة لان فى بقية خبرها كما مر ووقع فى قلب أبى بكر التصديق فلما بعث النبي اتبعه (ثم أسلم بعد زيد بن حارثة عثمان بن عفان) أمير المؤمنين ذو النورين لانه كما قال المهلب لم يعلم أحد تزوج ابنتى نبى غيره أو لانه كان يختم القرآن فى الوتر فالقرآن نور وقيام الليل نور أو لانه اذا دخل الجنة برقت له برقتين أخرج أبو سعد فى الشرف عنه كنت بفناء الكعبة فقيل أنكح محمد عتبة ابنته رقية فدخلتنى حسرة أن لا أكون سبقت اليها فانصرفت الى منزلى فوجدت خالتى سعدى بنت كريز أى الصحابية العبشمية فأخبرتنى ان الله أرسل محمدا وذكر حثها له على اتباعه مطولا قال وكان لى مجلس من الصديق فأصبته فيه وحده فسألنى عن تفكرى فأخبرته بما سمعت من خالتى فذكر حثه له على الاسلام قال فما كان باسرع من ان مر صلى الله عليه وسلم ومعه على يحمل له ثوبا فقام أبو بكر فساره فقعد صلى الله عليه وسلم ثم أقبل على فقال أجب الله الى جنته فانى رسول الله اليك والى جميع خلقه فوالله ما تمالكت حين سمعته ان أسلمت ثم لم ألبث أن تزوجت رقية (والزبير ابن العوام) بن خويلد القرشى الاسدى الحوارى وهو ابن ثنتى عشرة سنة عند الاكثر وقيل خمس عشرة وقول عروة وهو ابن ثمان سنين أنكره ابن عبد البر وكان عمه يعلقه فى حصير ويدخن عليه بالنار ويقول ارجع فيقول لا أكفر أبدا (وعبد الرحمن بن عوف) القرشى الزهرى أحد العشرة والثمانية والستة (وسعد بن أبى وقاص) مالك الزهرى أحد العشرة وآخرهم موتا أحد الستة والثمانية أسلم بعد ستة هو سابعهم وهو ابن تسع عشرة سنة كما قاله ابن عبد البر وغيره وأما قوله لقد رأيتنى وأنا ثالث الاسلام أخرجه البخارى فحمل على ما اطلع هو عليه (وطلحة بن عبيد الله) التيمى أحد العشرة والثمانية السابقين الى الاسلام والستة أصحاب الشورى ويقال ان سبب اسلامه ما أخرجه ابن سعد عنه قال حضرت سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم قال طلحة نعم أنا فقال هل ظهر أحمد قلت من أحمد قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الانبياء ومخرجه من الحرم ومهاجره الى نخيل وحرة وسباخ فاياك وان تسبق اليه فوقع فى قلبى فخرجت سريعا حتى قدمت مكة فقلت هل كان من حدث قالوا نعم محمد الامين تنبأ وقد تبعه ابن أبى قحافة فخرجت حتى أتيت أبا بكر فخرج بى اليه فأسلمت فأخبرته بخبر الراهب (بدعاء أبى بكر

عليه وسلم لا تدفع ولا ترد بعمل أهل بلد كائنا من كان وقد أحدث الامراء بالمدينة وغيرها فى الصلاة أمورا استمر عليها العمل ولم يلتفت الى استمراره وعمل أهل المدينة الذى يحتج به ما كان فى زمن الخلفاء الراشدين وأما عملهم بعد موتهم وبعد انقراض عصر من بها من الصحابة فلا فرق بينهم وبين عمل غيرهم والسنة تحكم بين الناس لا عمل أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه وبالله التوفيق

* (فصل) * وكان صلى الله عليه وسلم يدعو فى صلاته فيقول اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات اللهم انى أعوذ بك من المأثم والمغرم وكان يقول فى صلاته أيضا اللهم اغفر لى ذنبى ووسع لى فى دارى وبارك لى فيما رزقتنى وكان يقول اللهم انى أسألك الثبات فى الامر والعزيمة على الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم

وأنت تغفرك لما تعلم وكان يقول في سجوده رب اعط نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها وقد تقدم ذكر بعض ما كان يقول في ركوعه وسجوده وجلوسه واعتداله في الركوع

(فصل والمحفوظ في أدعيته صلى الله عليه وسلم)

في الصلاة كلها بلفظ الافراد كقوله رب اغفرلي وارحمني واهدني وسائر الادعية المحفوظة عنه ومنها قوله في دعاء الاستفتاح اللهم اغسلني من خطاياي بالثلج والبرد والماء البارد اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب الحديث وروى الامام أحمد رحمه الله وأهل السنن من حديث ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة فان فعل فقد خانهم قال ابن خزيمة في صحيحه وقد ذكر حديث اللهم باعد بيني وبين خطاياي الحديث قال في هذا دليل على رد الحديث الموضوع لا يؤم عبد قوما فيخص نفسه بدعوة دونهم فان فعل فقد خانهم وسمعت شيخ الاسلام

الصديق) لانه كان محببا في قومه فجعل يدعو من وثق به فأسلموا بدعائه (فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له) أي أجابوا دعاءه اياهم (فأسلموا وصلوا) أي أظهروا اسلامهم عند المصطفى على ما أفادته الفاء في قوله فجاء بهم من انه كان عقب اسلامهم والاظهر أن المراد انقادوا لدعائه فأسلموا حين جاء بهم لقصة عثمان وطلحة (ثم أسلم) أمين هذه الامة (أبو عبيدة عامر) بن عبد الله (ابن الجراح) القرشي الفهري اشتهر بجده (وأبو سلمة عبد الله بن عبد الاسد) القرشي المخزومي البدري توفي في حياته صلى الله عليه وسلم فخلفه على زوجه أم سلمة وأولاده منها وهم أربعة حال كون اسلامهما جميعا (بعد تسعة أنفس) فيكون أبو سلمة الحادي عشر كما قال ابن اسحق وهم خديجة وعلى وزيد والصديق والخمسة المسلمون على يده وأبو عبيدة وأبو سلمة (والارقم بن أبي الارقم) عبد مناف ابن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي (المخزومي) البدري وشهد أحدا والمشاهد كلها وأقطعه صلى الله عليه وسلم دارا بالمدينة قيل أسلم بعد عشرة وفي المستدرك أسلم سابع سبعة وتوفي سنة خمس أو ثلاث وخمسين وهو ابن خمس وثمانين سنة وأوصى أن يصلي عليه سعد بن أبي وقاص فصلى عليه (وعثمان بن مظعون) بظاء معجمة وغفل من أهملها كما في النور بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي (الجمحي) بضم الجيم وفتح الميم وحاء مهملة نسبة الى جده المذكور قال ابن اسحق أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الى الحبشة روى ابن شاهين والبيهقي عنه قلت يا رسول الله اني رجل يشق على العزبة في المغازي فأذن لي في الخصي فقال لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصوم وشهد بدرا وتوفي بعدها في السنة الثانية وأول مهاجري مات بالمدينة وأول من دفن بالبقيع منهم روى الترمذي عن عائشة قبل صلى الله عليه وسلم عثمان بن مظعون وهو ميت وهو يبكي وعيناه تذرفان فلما توفي ابنه ابراهيم قال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون (وأخواه قدامة) يكنى أبا عمر من السابقين الاولين هاجر الهجرتين وشهد بدرا وكانت تحته صفية بنت الخطاب أخت عمر واستعمله على البحرين فشرب فاحضره عمر فلما أراد حده قال لو شربت كما قالوا أي الذين شهدوا عليه ما كان لكم أن تحدوني قال الله ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح الآية فقال عمر أخطأت التأويل انك اذا اتقيت الله اجتنبت ما حرم ثم حده فلما حجا وقفلا من الحج قال عمر عجلوا بقدامة فوالله لقد أتاني آت في منامي فقال لي سالم قدامة فانه أخوك فأبى قدامة ان يأتي عمر ان أبي فجروه فأتى اليه فكلمه واستغفر له رواه عبد الرزاق وغيره مطولا مات سنة ست وثلاثين أو ست وخمسين وهو ابن ثمان وستين سنة (وعبد الله) يكنى أبا محمد هاجر الى الحبشة وشهد بدرا (وعبيدة) بضم العين وفتح الموحدة (ابن الحرث بن المطلب) أخي هاشم (ابن عبد مناف) بن قصي المستشهد يوم بدر (وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل) بضم النون القرشي العدوي أحد العشرة (وامرأته فاطمة ابنة الخطاب) بن نفيل المذكور فهي ثانية النساء اسلاما (وقال ابن سعد أول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل) لبابة الكبرى بضم اللام وخفة الموحدتين بنت الحرث الهلالية (زوج العباس) وأم بنيه الستة النجباء ورده في الفتح بانها وان كانت قديمة الاسلام لكنها لا تذكر في السابقين فقد سبقتها سمية والدة عمار وأم أيمن (وأسماء بنت أبي بكر) ذات النطاقين (وعائشة أختها) وهي صغيرة (كذا قاله ابن اسحق وغيره) ممن تبعه فلا يخالف قول العراقي * كذا ابن اسحق بذاك انفردا * (وهو وهم) غلط (لانه لم تكن عائشة ولدت بعد) أي في ذلك الزمن وهو أول البعثة (فكيف أسلمت وكان مولدها سنة أربع) وبه جزم في العيون والاصابة وقال ابن اسحق سنة خمس (من النبوة قاله مغلطاي وغيره) وقد قالت لم أعقل أبوي الا وهما يدينان الدين كما في الصحيح ولم يذكر بناه انه صلى الله عليه وسلم لانه لا شك في تمسكهن قبل البعثة بهديه وسيرته وقد روى

ابن

ابن اسحق عن عائشة لما أكرم الله نبيه بالنبوة أسلمت خديجة وبناته وكان أبو العاصي زوج زينب عظيما في قريش فكلمته قريش في فراقها على أن يتزوج من أحب من نسائهم فأبى وفي الشامية أسلمت رقية حين أسلمت أمها خديجة وبايعت حين بايع النساء وأم كلثوم حين أسلمت أخواتها وبايعت معهن اهـ وفاطمة لا يسأل منها لولادتها بعد النبوة أو قبلها بخمس سنين والحاصل انه لا يحتاج للنص على سبقهن للاسلام لانه معلوم هذا ولا يشكل تزوج زينب بأبي العاصي ورقية وأم كلثوم بولدي أبي لهب مع صيانة النبي صلى الله عليه وسلم من قبل البعثة عن الجاهلية لان تحريم المسلمة على الكافر لم يكن ممنوعا حتى نزل قوله تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وقوله تعالى فلا ترجعوهن الى الكفار بعد صلح الحديبية كما صرح به العلماء وقد كفاه الله ولدى أبي لهب فطلقاهما قبل الدخول واستمرت زينب حتى أسر أبو العاصي ببدر فأرسلت في فدائه فلما عاد بعثها اليه صلى الله عليه وسلم فلم تزل حتى أسلم وهاجر فردها اليه صلى الله عليه وسلم ووقع في حديث عائشة عند ابن اسحق ان الاسلام فرق بينهما لكنه صلى الله عليه وسلم لم يقدر على نزعها منه حينئذ (ودخل الناس في الاسلام) أي تلبسوا به فالظرفية مجازية حال كونهم (ارسالا) جماعات متتابعين (من الرجال والنساء) وقد عد العراقي وغيره من كل جملة صالحة (ثم) بعد ذلك وفشو ذكره بمكة وتحدث الناس به كما عند ابن اسحق (أمر الله رسوله بأن يصدع بما جاءه) منه (أي يواجه) يخاطب (المشركين) على وجه العموم فلا يخص بعضا دون بعض لانه صلى الله عليه وسلم بلغ ما أمر به لمن ظن اجابته دون مبالغة في التعميم فآمن به من جمع كثيرين ثم أمر بالمبالغة في اظهار الدعوة بقوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين (وقال مجاهد هو) أي الصدع المفهوم من فاصدع (الجهر بالقرآن في الصلاة) ومن لازمه المواجهة بما جاءه وخص الصلاة لانها كانت أعظم ما يخفيه لكنه على طريق الدلالة والاول شفاها كما صرح به قول ابن اسحق ينادي الناس بأمره ويدعوهم اليه (وقال أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود) الكوفي الثقة مشهور بكنيته قال الحافظ والاشهر أنه الاسم له غيرها ويقال اسمه عامر والراجح انه لا يصح سماعه من أبيه مات بعد سنة ثمانين (مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا) هو والمسلمون في دار الارقم (حتى نزلت فاصدع بما تؤمر فخرج هو وأصحابه) ثم بعد بيان المراد من الآية ذكر ما أخذها بقوله (وقال البيضاوي) في تفسير قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به (من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا) وعطف على فاجهر الذي حذفه المصنف من كلامه قوله (أو) يعني وقيل معناه (افرق به بين الحق والباطل) لان الصدع الفرق بين الشيئين فالصدع بالحجة يفرق كلمة من ظهرت عليه وقهر بها وكأنه صدع على جهة البيان والتشبيه لظلمة الجهل والشرك بظلمة الليل ولنور القرآن بنور الفجر لان الفجر يسمى صديعا قال الشاعر

ترى السرحان مفترشا يديه * كأن بياض غرته صديع

(و) هو مجاز من صدع الشئ شقه اذ (أصله) لغة (الابانة والتمييز) وفي القاموس صدعه كمنعه شقه أو شقه نصفين أو شقه ولم يفترق ولا منافاة لجواز أن يراد بالابانة الشق مع الفصل وهو مستفاد من شقه أي مطلقا وبالتمييز الشق بلا فاصل وهو مستفاد من الاول والثالث (وما مصدرية) أي بأمرنا لك (أو موصولة والعائد) على انها موصولة (محذوف أي بما تؤمر به من الشرائع انتهى) ولا يشكل بان شرط حذف عائد الموصول أن يجر بمثل ما جر به الموصول لفظا ومتعلقا نحو ويشرب مما تشربون أي منه لان الصدع بمعنى الامر المؤثر ولا تشترط المناسبة اللفظية (قالوا وكان ذلك بعد ثلاث سنين من النبوة) تبرأ منه لجزم الحافظ في سيرته بأن نزول الآية كان في السنة الثالثة (وهي المدة التي أخفى رسول الله صلى الله عليه

ابن تيمية يقول هذا الحديث عندي في الدعاء الذي يدعو به الامام لنفسه وللمأمومين ويشتركون فيه كدعاء القنوت ونحوه والله أعلم

(فصل وكان صلى الله عليه وسلم)

اذا قام في الصلاة طأطأ رأسه ذكره الامام أحمد رحمه الله وكان في التشهد لا يجاوز بصره اشارته وقد تقدم وكان قد جعل الله تعالى قرة عينيه ونعيمه وسروره وروحه في الصلاة وكان يقول يا بلال أرحنا بالصلاة وكان يقول جعلت قرة عيني في الصلاة ومع هذا لم يكن يشغله ما هو فيه من ذلك عن مراعاة أحوال المأمومين وغيرهم مع كمال اقباله وقربه من الله تعالى وحضور قلبه بين يديه واجتماعه عليه وكان يدخل في الصلاة وهو يريد اطالتها فيسمع بكاء الصبي فيخففها مخافة أن يشق على أمه وأرسل مرة فارسا طليعة له فقام يصلي وجعل يلتفت الى الشعب الذي يجئ منه الفارس ولم يشغله ما هو فيه عن مراعاة حال فارسه وكذلك كان يصلي الفرض وهو حامل امامة بنت أبي

وسلم أمره الى أن أمره الله تعالى باظهاره فبادى) قال البرهان الظاهر أنه بموحدة أى جاهر (قومه بالاسلام و) لم يقتصر على مجرد المجاهرة بالدعوة بل كرر ذلك وأكده وبالغ فى اظهار الحجة حتى كأنه (صدع به) قلوبهم بما أورده عليهم من الحجج والبراهين التى عجزوا عن دفعها (كما أمره الله تعالى و) مع ذلك (لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه) بل كانوا كما قال الزهرى غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم فى مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمروا على ذلك (حتى ذكر آلهتهم وعابها) لما دخل المسجد يوما فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال أبطلتم دين أبيكم ابراهيم فقالوا انما نسجد لها التقربنا الى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم (وكان ذلك فى سنة أربع) من النبوة (كما قاله العتقى) بضم المهملة وفتح الفوقية وقاف وقيل سنة خمس وجمع بأن ابتداء الاظهار والمعاداة فى الرابعة وكماله واشتداده فى الخامسة (فأجمعوا على خلافه) أى عزموا على مخالفته وصمموا عليه (و) على (عداوته الامن عصم الله منهم بالاسلام) وهم قليل مستخفون كما فى العيون ولا ينافيه قول الزهرى استجاب له من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به (وحدب) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين فموحدة أى عطف (عليه عمه أبو طالب ومنعه) وأصل الحدب انحناء فى الظهر ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له كما فى الشامية (وقام دونه) كناية عن منعهم من الوصول له يقال هذا دون ذلك أى أقرب منه أى قام فى مكان قريب منه حاجزا بينه وبينهم (فاشتد الامر وتضارب القوم) ضرب بعضهم بعضا بالفعل كما جاء أن سعد بن أبى وقاص كان فى نفر من قريش يصلون فى بعض شعاب مكة فظهر عليهم نفر من المشركين فعابوا صنعهم حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا منهم بلحى بعير فشجه فهو أول دم اهريق فى الاسلام أو المعنى أرادوا التضارب وعزموا عليه اشارة الى ما كان بين أبى طالب وقومه (وأظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت قريش) بذال معجمة حض بعضهم بعضا كما فى النور وغيره وفى نسخة تؤامرت بالواو أى تشاورت والاولى أنسب بقوله (على من أسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله بعمه أبى طالب وبنى هاشم) ما عدا أبا لهب (وبنى المطلب) أخى هاشم بن عبد مناف بطلب أبى طالب لذلك منهم لما رأى ما صنعوا بالمسلمين فاجتمعوا اليه وأقاموا معه وفى بعض نسخ العيون وبنى عبد المطلب قال النور والصواب الاول (وقال مقاتل كان صلى الله عليه وسلم عند أبى طالب يدعوه الى الاسلام فاجتمعت قريش الى أبى طالب يريدون بالنبى صلى الله عليه وسلم سوأ) هو أنهم أتوه بعمارة ابن الوليد ليتخذه ولدا ويعطيهم النبى صلى الله عليه وسلم ليقتلوه (فقال أبو طالب) والله لبئس ما تسوموننى أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا وقال (حين تروح الابل) ترجع من مراعيها (فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم) تعليق على محال على طريق الزامهم انها لا تحن الى غيره مع كونها عجماء فكيف أنا مع كونى من ذوى اللب والمعرفة (وقال) شعرا فى النبى تطمينا له

(والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا

(فاصدع بامرك) جهرا بالشئ الذى أمرت بتبليغه أو الامر مصدر بمعنى الطلب أى أصدع بسبب أمر الله لك (ما عليك غضاضة *) بفتح الغين وضادين معجمات ذلة ومنقصة (وابشر) بحذف الهمزة للضرورة وأصله بقطع الهمزة كقوله تعالى وأبشروا بالجنة (وقر بذاك منك عيونا) بفتح القاف من قرت عينه سكنت أو بردت لكنه حول الاسناد من العين الى ذاته الكريمة ونصب عيونا تمييزا للنسبة ولغة نجد كسر القاف وبهما قرئ وقرى عينا (ودعوتنى) طلبت منى الدخول فى دينك (وزعمت) ذكرت لى (أنك ناصحى *) فلم يستعمل الزعم فى معناه المشهور أنه القول الذى لا دليل عليه بدليل قوله

العاص بن الربيع ابنة بنته على عاتقه اذا قام حملها واذا ركع وسجد وضعها وكان يصلى فيجيء الحسن أو الحسين فيركب ظهره فيطيل السجدة كراهية ان يلقيه عن ظهره وكان يصلى فتجيء عائشة من حاجتها والباب مغلق فيمشى فيفتح لها الباب ثم يرجع الى الصلاة وكان يرد السلام بالاشارة على من يسلم عليه وهو فى الصلاة وقال جابر بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة ثم أدركته وهو يصلى فسلمت عليه فاشار الى ذكره مسلم فى صحيحه وقال أنس رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم يشير فى الصلاة ذكره الامام أحمد رحمه الله وقال صهيب مررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فسلمت عليه فرد اشارة قال الراوى لا أعلمه قال الاشارة باصبعه وهو فى السنن والمسند وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنهما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قباء يصلى فيه قال فجاءته الانصار فسلموا عليه وهو فى الصلاة فقلت لبلال كيف رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

(ولقد صدقت وكنت ثم) فيما دعوتني اليه (أمينا) لم تزد فيما أمرت بتبليغه ولم تنقص (وعرضت)
أظهرت لنا (دينا لا محالة) بفتح الميم لا حيلة في دفع (انه * من خير أديان البرية دينا) اذ هو حق
ثابت بالحجج القاطعة (لولا الملامة) العذل (أو حذاري) بكسر الحاء مصدر حاذر أي خوفي (سبة *)
بضم السين عارا أو فتح الحاء تعسف لانه يكون اسم فعل أمر ولا يصح هنا الا بتقدير أو خوفي من أن يقال لي
حذار أي أحذر العار مع جعل الياء للاشباع (لوجدتني سمحا بذاك) الذي دعوتني اليه (مبينا) ولما
تكلم على المراد من آية الصدع جره ذلك الى ذكر الآية الثانية وان كان اليعمري أعاد ذكره بعد ذلك
قبل انشقاق القمر فقال على ما في بعض النسخ (وقد كفى الله تعالى نبيه المستهزئين كما قال تعالى وأعرض
عن المشركين أي لا تلتفت الى ما يقولون) وهذا كان قبل الامر بالجهاد (انا كفيناك المستهزئين) بك
ومن استهزاء الحرث قوله غر محمد نفسه وصحبه اذ وعدهم أن يحيوا بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر
ومرور الايام والحوادث رواه ابن جرير عن قتادة (يعني بقمعهم) مصدر قمع كمنع أي بقهرهم واذلالهم
(واهلاكهم) حكم على المجموع فلا ينافي ان من أسلم لم يهلك (وقد قيل للتحقيق لان قول الجمهور)
ومنهم ابن عباس في أكثر الروايات عنه (انهم كانوا خمسة من أشراف قريش الوليد بن المغيرة) بن
عبد الله بن عمر بن مخزوم قال البغوي وكان رأسهم (والعاصي بن وائل) السهمي (والحرث بن قيس)
ابن عدي السهمي ابن عم العاصي كان أحد أشراف قريش في الجاهلية واليه كانت الحكومة
والاموال التي كانوا يسمونها قال ابن عبد البر أسلم وهاجر الى الحبشة مع بنيه الحرث وبشر ومعمر
وتعقبه ابن الاثير بأن الزبير بن بكار وابن الكلبي ذكر انه كان من المستهزئين وزاد الذهبي في التجريد
لم يذكر أحد انه أسلم الا أبو عمر ورده في الاصابة بانه ذكره في الصحابة أيضا أبو عبيد ومصعب والطبري
وغيرهم ولا مانع أن يكون تاب وصحب وهاجر والآية ليست صريحة في عدم توبة بعضهم انتهى وأمه
كنانية واسمها الغيطلة وينسب اليها روى ابن جرير عن أبي بكر الهذلي قال قيل للزهري ان سعيد بن
جبير وعكرمة اختلفا في رجل من المستهزئين فقال سعيد الحرث بن غيطلة وقال عكرمة الحرث بن
قيس فقال صدقا جميعا كانت أمه غيطلة وكان أبوه قيسا وما ذكر من أنه الحرث هو ما وقفت عليه
في نسخ صحيحة وفي بعضها وعدي بن قيس وهو وان قيل بأنه منهم لكن يعين الاول قوله الآتي فأشار
الى أنف الحرث (والاسود بن عبد يغوث) ابن وهب بن زهرة الزهري ابن خاله صلى الله عليه وسلم من
استهزائه انه كان يقول أما كلمت اليوم من السماء يا محمد (والاسود بن المطلب) بن أسد بن عبد العزى
(وكانوا يبالغون في ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به) فكان جبريل عليه السلام مع النبي صلى
الله عليه وسلم فمر واحد بعد واحد فشكاهم الى جبريل (فقال جبريل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم أمرت أن أكفيكهم فأومأ الى ساق الوليد فمر بنبال) يريش نبله ويصلحها (فتعلق بثوبه
سهم) وفي البغوي فعرضت شظية من نبل (فلم ينعطف) ينثن (تعظيما لاخذه فأصاب عرقا في عقبه)
زاد البغوي فمرض (فمات) كافرا (وأومأ) جبريل (الى أخمص) بفتح أوله واسكان الخاء المعجمة
فميم فصاد مهملة (العاصي) فخرج يتنزه فنزل شعبا (فدخلت فيه شوكة) من رطب الضريع
(فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى) وفي البغوي كعنق البعير فمات مكانه (وأشار الى أنف الحرث
فامتخط قيحا فمات) وقيل أكل حوتا مملوحا فما زال يشرب عليه حتى انقد بطنه وقيل أخذه الماء
الاصفر في بطنه حتى خرج خرؤه من فيه فمات وعلى القول باسلامه فمعنى كفيناك باسلامه وهو الذي
يظهر من الاصابة ترجيحه فانه أورده في القسم الاول ورد على من جزم بخلافه (و) أشار جبريل (الى
الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد في أصل شجرة فجعل ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى

يرد عليهم حين كانوا
يسلمون عليه وهو يصلي
قال يقول هكذا وبسط
جعفر بن عون كفه
وجعل بطنه أسفل
وجعل ظهره الى فوق
وهو في السنن والمسند
وصححه الترمذي ولفظه
كان يشير بيده وقال عبد
الله بن مسعود رضي الله
عنه لما قدمت من
الحبشة أتيت النبي صلى
الله عليه وسلم وهو يصلي
فسلمت عليه فأومأ
برأسه ذكره البيهقي وأما
حديث أبي غطفان عن
أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من أشار
في صلاته اشارة تفهم
عنه فليعد صلاته فحديث
باطل ذكره الدارقطني
وقال قال لنا ابن أبي داود
أبو غطفان هذا رجل
مجهول والصحيح عن
النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يشير في صلاته
رواه أنس وجابر وغيرهما
وكان صلى الله عليه وسلم
يصلي وعائشة معترضة
بينه وبين القبلة فاذا
سجد غمزها بيده
فقبضت رجلها واذا قام
بسطتها وكان صلى الله
عليه وسلم يصلي فجاءه
الشيطان ليقطع عليه
صلاته فأخذه فخنقه
حتى سال لعابه على يده

مات) على كفره وقيل أشار جبريل الى بطنه باصبعه فاستسقى بطنه فمات رواه الطبراني بسند ضعيف وقيل خرج في رأسه قروح فمات ويمكن انها بسبب نطحه الشجرة وروى الطبراني والبيهقي والضياء باسناد صحيح ان جبريل أومأ الى رأسه فضربته الاكلة فامتخض رأسه قيحا بخاء وضاد معجمتين أي تحرك شديدا وعند ابن أبي حاتم والبلاذري بسند صحيح عن عكرمة انه حنى ظهره حتى احقوقف صدره فقال صلى الله عليه وسلم خالي خالي فقال جبريل دعه عنك فقد كفيته احقوقف انحنى وقيل خرج من عند أهله فأصابته السموم حتى صار حبشيا فأتى أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فرجع وصار يطوف بشعاب مكة حتى مات عطشا ويقال انه عطش فشرب الماء حتى انشق بطنه ويجمع باحتمال أن جميع ذلك وقع له (و) أشار جبريل (الى عيني الاسود بن المطلب) قال ابن عباس رماه بورقة خضراء (فعمي) بصره كما عميت بصيرته فلم يميز بين الحسن والقبيح ووجعت عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلني رب محمد وقال ابن عباس في رواية كانوا ثمانية وصححه في الغرر وجزم به ابن عبد البر والعراقي فزادوا أبا لهب هلك بالعدسة وهي ميتة شنيعة بعد بدر بأيام كما يأتي وعقبة ابن أبي معيط قتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر والحكم بن العاصي بن أمية أسلم يوم الفتح وتوفي في آخر خلافة عثمان قال العراقي

ثامنهم أسلم وهو الحكم * فقد كفاه شره اذ يسلم

وأسقط الشامي ابن أبي معيط وأبدله بمالك ابن الطلاطلة وهو خلاف ما في العيون ونظم السيرة على أن اليعمري سماه قبل ذكر المستهزئين بقليل في المجاهرين بالظلم الحرث بن الطلاطلة الخزاعي بطاءين مهملتين الاولى مضمومة والثانية مكسورة بينهما لام خفيفة ثم لام مفتوحة ثم تاء تانيث وهي لغة الداء العضال الذي لا دواء له وعند ابن اسحق ان الحرث هذا مر به صلى الله عليه وسلم فأشار الى رأسه فامتخض قيحا فقتله كافرا (وكان صلى الله عليه وسلم) كما رواه عبد الله في زوائد المسند والحاكم وقال على شرطهما عن ربيعة ابن عباد بكسر العين مخففا الديلي الكناني الصحابي قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم (يطوف على الناس) في أول أمره (في منازلهم يقول ان الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأبو لهب) عمه على المحفوظ ويروى أبو جهل قال ابن كثير وقد يكونون وهما ويحتمل انهما تناوبا على ايذائه صلى الله عليه وسلم قال الشامي وهو الظاهر (وراءه) يتبعه اذا مشى (يقول يا أيها الناس ان هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم) وذلك عار عليكم فانظر هذا الابتلاء في الله فلو كان من غير قريب كان أسهل لان العرب كانت تقول قوم الرجل اعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما أوذي أحد ما أوذيت (ورماه الوليد بن المغيرة بالسحر) مع اعترافه بانه باطل لكنه لعنه الله لما ضاقت عليه المذاهب قال انه أقرب القول فيه لتنفير الناس عنه (وتبعه قومه عن ذلك) بعد التشاور فيما يرمونه به فعند ابن اسحق والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه اجتمع الى الوليد نفر من قريش وكان ذا سن فيهم فقال لهم يا معشر قريش قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم وقد سمعوا بأمر صاحبكم فاجمعوا فيه رأيا ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا قالوا فأنت فأقم لنا رأيا نقول به فقال بل أنتم فقولوا أسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا بسجعه قالوا فنقول مجنون قال والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه قالوا ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما تقول قال والله ان لقوله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناه وما أنتم بقائلين من هذا شيأ الا أعرف انه باطل وأن أقرب

وكان يصلي على المنبر ويركع عليه فاذا جاءت السجدة نزل القهقرى فسجد على الارض ثم صعد عليه وكان يصلي الى جدار فجاءه بهيمة تمر من بين يديه فما زال يداريها حتى لصق بطنه بالجدار ومرت من ورائه يداريها يفاعلها من المداراة وهي المدافعة وكان يصلي فجاءته جاريتان من بني عبد المطلب قد اقتتلتا فأخذهما بيده فنزع احداهما من الاخرى وهو في الصلاة ولفظ أحمد فيه فأخذتا بركبتي النبي صلى الله عليه وسلم فنزع بينهما أو فرق بينهما ولم ينصرف وكان يصلي فمر بين يديه غلام فقال بيده هكذا فرجع ومرت بين يديه جارية فقال بيده هكذا فمضت فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هن أغلب ذكره الامام أحمد وهو في السنن وكان ينفخ في صلاته ذكره الامام أحمد وهو في السنن * وأما حديث النفخ في الصلاة كلام فلا أصل له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما رواه سعيد في سننه عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله إن صح وكان يبكي في

القول فيه أن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون لسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه اياه وذكروا لهم أمره فصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها وفي سيرة الحافظ فانتشر بذلك ذكره في الآفاق وانقلب مكرهم عليهم حتى كان من أمر الهجرة ما كان وقدم عليه عشرون من نجران فأسلموا فبلغ أبا جهل فسبهم وأقذع في القول فقالوا له سلام عليكم وفيهم نزل واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه الآيات انتهى قال السهيلي رواية ابن اسحق لعذق بفتح المهملة وسكون المعجمة استعارة من النخلة التى ثبت أصلها وهى العذق أفصح من رواية ابن هشام لغدق بفتح المعجمة وكسر المهملة من الغدق وهو الماء الكثير ومنه يقال غيدق الرجل اذا كثر بصاقه لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله وان فرعه لجناه استعارة من النخلة التى ثبت أصلها وقوى وطاب فرعها اذا جنى انتهى وفي حواشي أبي ذر لجناه أي فيه ثمر يجنى انتهى فانظر هذا اللعين كيف تيقنت نفسه الحق وحمله البطر والكبر على خلافه وقد ذمه الله ذما بليغا في قوله ولا تطع كل حلاف مهين حتى قوله على الخرطوم وقوله ذرني ومن خلقت حتى قوله سأصليه سقر (وآذته قريش) أشد الاذية (ورمته بالشعر والكهانة والجنون) وبرأه الله من جميع ذلك في الكتاب العزيز (ومنهم من كان يحثو التراب على رأسه) روى أن فرعون هذه الامة أبا جهل رآه صلى الله عليه وسلم عند الحجون فصب التراب على رأسه ووطئ برجله على عاتقه (ويجعل الدم على بابه) كما قال صلى الله عليه وسلم كنت بين شر جارين بين أبي لهب وعقبة بن أبي معيط ان كانا ليأتيان بالفروث فيطرحانها على بابي حتى انهم ليأتون ببعض ما يطرحونه من الاذى فيطرحونه على بابي رواه ابن سعد عن عائشة (ووطئ عقبة بن أبي معيط على رقبته الشريفة وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان) وروى البخاري في كتاب خلق أفعال العباد وأبو يعلى وابن حبان عن عمرو بن العاصي ما رأيت قريشا أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم الا يوم أغروا به وهم في ظل الكعبة جلوس وهو يصلي عند المقام فقام اليه عقبة فجعل رداءه في عنقه ثم جذبه حتى وجب لركبتيه وتصايح الناس وأقبل أبو بكر يشتد حتى أخذ بضبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من ورائه وهو يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه فلما قضى صلاته مر بهم فقال والذي نفسي بيده ما أرسلت اليكم الا بالذبح فقال له أبو جهل يا محمد ما كنت جهولا فقال أنت منهم (وخنقوه خنقا) بفتح الخاء وكسر النون وتسكن للتخفيف كما في المصباح (شديدا) قويا ونسبه اليهم مع أن الفعل من عقبة فقط كما في البخاري الآتية على الاثر لاقرارهم عليه ومعاونتهم له ان لم نقل بتعدد القصة (فقام أبو بكر دونه فجذبوا رأسه ولحيته صلى الله عليه وسلم) وسقطت الصلاة في نسخة (حتى سقط أكثر شعره فقام أبو بكر دونه وهو) يبكي و(يقول أتقتلون رجلا) لاجل (أن يقول ربي الله) فقال صلى الله عليه وسلم دعهم يا أبا بكر فوالذي نفسي بيده انى بعثت اليهم بالذبح ففرجوا عنه عليه السلام (وقال) عبد الله (بن عمرو) بفتح العين ابن العاصي الصحابي ابن الصحابي (كما في البخاري) في مناقب أبي بكر وفي باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من المشركين بمكة عن عروة بن الزبير قال سألت ابن عمرو بن العاصي قلت أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي صلى الله عليه وسلم قال (بينا) بلا ميم وفي رواية بالميم (رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة) لفظ البخاري في الباب المذكور يصلي في حجر الكعبة (اذ اقبل عقبة ابن أبي معيط فاخذ بمنكب النبي صلى الله عليه وسلم فلف ثوبه) أى ثوب النبي صلى الله عليه وسلم (في عنقه) الشريف (فخنقه) بفتح النون (خنقا) بكسرها وتسكن (شديدا فجاء أبو بكر فاخذ بمنكبه) أي بمنكب عقبة بفتح الميم وكسر الكاف (ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم)

صلاته وكان يتنحنح في صلاته قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة آتيه فيها فاذا أتيته استأذنت فان وجدته يصلي تنحنح دخلت وان وجدته فارغا أذن لي ذكره النسائي وأحمد ولفظ أحمد كان لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم مدخلان بالليل والنهار وكنت اذا دخلت عليه وهو يصلي تنحنح رواه أحمد وعمل به فكان يتنحنح في صلاته ولا يرى النحنحة مبطلة للصلاة وكان يصلي حافيا تارة ومنتعلا أخرى كذلك قال عبد الله بن عمرو عنه وأمر بالصلاة بالنعل مخالفة لليهود وكان يصلي في الثوب الواحد تارة وفي الثوبين تارة وهو أكثر * وقنت في الفجر بعد الركوع شهرا ثم ترك القنوت ولم يكن من هديه القنوت فيها دائما ومن المحال أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في كل غداة بعد اعتداله من الركوع يقول اللهم اهدني فيمن هديت وتولني فيمن توليت الخ ويرفع بذلك صوته ويؤمن عليه أصحابه

زاد ابن اسحق وهو يبكي ثم جزم عبد الله بأن هـذا أشد ما صنعه المشركون بالمصطفى يخالف ما في البخاري عن عائشة قلت هل أتى عليك يوم أشد من أحد قال لقد لقيت من قومك فذكر قصته بالطائف مع ثقيف لما ذهب اليهم بعد موت أبي طالب ويأتي الحديث في محله قال الحافظ والجمع بينهما أن عبد الله استند الى ما رآه ولم يكن حاضرا للقصة التي وقعت بالطائف (وفي رواية) للبخاري أيضا (ثم قال) الصديق (أتقتلون رجلا) كراهية لـ(أن يقول ربي الله) بقية الرواية في الباب الآتي وفي المناقب وقد جاءكم بالبينات من ربكم استفهام انكاري وفي الكلام ما يدل على حسن هـذا الانكار لانه ما زاد على أن قال ربي الله وجاءكم بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة (وقد ذكر العلماء) وفي شرحه للبخاري بعضهم فكان أصله لبعضهم وسكت الباقون عليه فنسب للعلماء (ان أبا بكر أفضل من مؤمن آل فرعون) رجل من أقاربه وقيل غريب بينهم يظهر دينهم خوفا منهم وهو مؤمن باطنا قال الحافظ اختلف في اسمه فقيل هو يوشع بن نون وهو بعيد لانه من ذرية يوسف لا من آل فرعون وقد قيل ان قوله من آل فرعون متعلق بيكتم ايمانه والصحيح انه من آل فرعون قال الطبري لانه لو كان من بني اسرائيل لم يصغ اليه فرعون ولم يسمعه وقيل اسمه شمعان بالشين المعجمة وصححه السهيلي وقيل حيزر وقيل حزبيل وقيل جالوت وقيل حبيب ابن عم فرعون وقيل حبيب النجار وهو غلط وقيل خوتكه بن سود بن أسلم بن قضاعة اهـ باختصار (لان ذلك اقتصر حين انتصر) لموسى حين أراد فرعون قتله (على اللسان) فقال أتقتلون رجلا الآية (وأما أبو بكر رضي الله عنه فاتبع اللسان يدا ونصر بالقول والفعل محمدا صلى الله عليه وسلم) والمراد أن هذا من جملة ما فضل به أبو بكر لا أن فضله انما جاء من هذه الحيثية ضرورة أن الحكم يدور مع العلة كذا أفاده بعض شيوخنا وأصل هذا المنسوب للعلماء جاء عن علي كرم الله وجهه بمعناه فقد روى البزار وأبو نعيم من رواية محمد بن علي عن أبيه أنه خطب فقال من أشجع الناس قالوا أنت قال أما اني ما بارزني أحد الا انتصفت منه ولكنه أبو بكر لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش فهذا يجؤه وهذا يتلببه ويقولون أنت جعلت الآلهة الها واحدا فوالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا ويدفع هذا ويقول ويلكم أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم بكى علي ثم قال أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون أفضل أم أبو بكر فسكت القوم فقال علي والله لساعة من أبي بكر خير من مثل مؤمن آل فرعون ذاك رجل يكتم ايمانه وهذا أعلن ايمانه (وفي رواية البخاري أيضا) في الطهارة والصلاة والجزية والجهاد والمغازي والمذكور هنا لفظه في الصلاة عن عبد الله يعني ابن مسعود (كان عليه الصلاة والسلام) نقل بالمعنى فلفظه بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم (يصلي عند الكعبة وجمع من قريش في مجالسهم اذ قال قائل منهم) هو أبو جهل كما في مسلم وفي رواية قالوا ولا منافاة لجواز انه قاله ابتداء وتبعوه عليه (ألا تنظرون الى هذا المرائي) يتعبد في الملا دون الخلوة (أيكم يقوم الى جزور) بفتح الجيم وضم الزاي يقع على الذكر والانثى وفي الفائق الجزور بفتح الجيم قبل النحر فاذا نحر قيل جزور بالضم (آل فلان) زاد مسلم وقد نحرت جزور بالامس (فيعمد) بكسر الميم وتفتح مرفوع عطفا على يقوم وفي رواية بالنصب جوابا للاستفهام (الى فرثها) بفتح الفاء وسكون الراء ومثلثة ما في كرشها (ودمها وسلاها) بفتح المهملة والقصر وعاء جنين البهيمة كالمشيمة للآدميات وبه يعلم أن الجزور كانت أنثى قال في المحكم ويقال للآدميات أيضا سلى (فيجيء به ثم يمهله حتى اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم) وفي رواية الطهارة أشقى القوم وبه يفسر هذا الضمير وهو عقبة بن أبي معيط كما في الصحيحين أي بعثته نفسه الخبيثة من دونهم فاسرع السير وانما كان أشقاهم مع أن فيهم أبا جهل وهو أشد كفرا وايذاء للمصطفى منه لاشتراكهم في الكفر والرضا وانفراد عقبة بالمباشرة

ولذا

دائما الى أن فارق الدنيا ثم لا يكون ذلك معلوما عند الامة بل يضيعه أكثر أمته وجمهور أصحابه بل كلهم حتى يقول من يقول منهم انه محدث كما قاله سعيد بن طارق الاشجعي قلت لابي يا أبت انك قد صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ههنا وبالكوفة منذ خمس سنين فكانوا يقنتون في الفجر فقال أي بني محدث رواه أهل السنن وأحمد وقال الترمذي حديث حسن صحيح وذكر الدارقطني عن سعيد بن جبير قال أشهد اني سمعت ابن عباس يقول ان القنوت في صلاة الفجر بدعة وذكر البيهقي عن أبي مجلز قال صليت مع ابن عمر صلاة الصبح فلم يقنت فقلت له لا أراك تقنت فقال لا أحفظه عن أحد من أصحابنا ومن المعلوم بالضرورة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان يقنت كل غداة ويدعو بهذا الدعاء ويؤمن الصحابة لكان نقل الامة لذلك كلهم كنقلهم لجهره بالقراءة فيها وعددها ووقتها وان جاز عليهم

ولذا قتلوا فى الحرب وقتل هو صبرا وحكى ابن التين عن الداودى انه أبو جهل فان صح احتمل أن عقبة لما انبعث حمل أبا جهل شدة كفره فانبعث على أثره والذى جاء به عقبة وفى رواية فانبعث أشقى قوم بالتنكير وفيه مبالغة ليست فى المعرفة لان معناه أشقى كل قوم من أقوام الدنيا قال الحافظ لكن المقام يقتضى التعريف لان الشقاء هنا بالنسبة الى أولئك القوم فقط (فلما سجد عليه السلام وضعه بين كتفيه وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا) لا يرفع رأسه كما فى رواية (وضحكوا حتى مال بعضهم على) وفى رواية الى (بعض من الضحك) استهزاء لعنهم الله (فانطلق منطلق) قال الحافظ يحتمل أن يكون هو ابن مسعود انتهى أى وأبهم نفسه لغرض صحيح ولا ينافيه رواية فهبنا أن نلقيه عنه لما لا يخفى (الى فاطمة) بنته سيدة نساء هذه الامة ذات المناقب الجمة (وهى) يومئذ (جويرية صغيرة) السن لانها ولدت سنة احدى وأربعين من مولد أبيها صلى الله عليه وسلم على الصحيح (فأقبلت تسعى وثبت النبى صلى الله عليه وسلم ساجدا حتى ألقته) أى الذى وضعوه (عنه وأقبلت عليهم تسبهم) وفى رواية للشيخين ودعت على من صنع ذلك زاد البزار فلم يردوا عليها شيأ قال فى الفتح وفيه قوة نفس فاطمة الزهراء من صغرها الشرفها فى قومها ونفسها لكونها صرحت بشتمهم وهم رؤس قريش فلم يردوا عليها (فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال اللهم عليك بقريش) اللهم عليك بقريش اللهم عليك بقريش هكذا كرره البخارى فى الصلاة لفظا وذكره فى غيره بلفظ اللهم عليك بقريش ثلاث مرات وفى رواية مسلم وكان اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا والمراد اهلاك كفارهم على حذف المضاف أو الصفة بقريش الكفار أو من سمى منهم بعد فهو عام أريد به الخصوص وفى البخارى فشق عليهم اذ دعا عليهم وفى مسلم فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك وخافوا دعوته وصريح الحديث ان الدعاء بعد الفراغ من الصلاة وفى رواية فسمعته يقول وهو قائم يصلى اللهم اشدد وطأتك على مضر سنين كسنى يوسف فيمكن انه دعا به فى الصلاة وبعدها وهذا خير من تجويز ان معنى قضى صلاته قارب الفراغ منها وقوله وهو قائم ثابت فى صلاته وان لم يكن فى خصوص القيام لان فيه مع تعسفه اخراج المتبادر من لفظ كل من الحديثين مع امكان الجمع بدون ذلك (ثم سمى) أى عين فى دعائه وفصل من أجل (فقال اللهم عليك بعمرو بن هشام) المخزومى الاحوال المأبون فرعون هذه الامة كنته العرب بابى الحكم وكناه الشارع بابى جهل ذكره غير واحد وللبخارى أيضا اللهم عليك بابى جهل قال الحافظ فلعله سماه وكناه (وعتبة بن ربيعة و) أخيه (شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة) بن ربيعة ثانى المذكورين قال الحافظ لم تختلف الروايات فى انه بعين مهملة بعدها مثناة ساكنة ثم موحدة لكن عند مسلم من رواية زكريا بالقاف بدل المثناة وهو وهم قديم نبه عليه ابن سفيان الراوى عن مسلم اه قيل وسبب الوهم أن الوليد بن عقبة بالقاف لم يكن حينئذ موجودا أو كان صغيرا جدا قال فى النور ويوضح فساده ان الزبير وغيره من علماء السير والخبر ذكروا أن الوليد وعمارة ابنى عقبة خرجا ليردا أختهما عن الهجرة بعد الحديبية ولا خلاف ان قوله تعالى ان جاءكم فاسق نزلت فيه فالظاهر انه كان كبيرا كما قال بعضهم انتهى يعنى فهو وهم بلا سبب (وأمية بن خلف) وفى بعض روايات البخارى أبى بن خلف قال فى الفتح وهو وهم والصواب وهو ما أطبق عليه أصحاب المغازى أمية لانه المقتول ببدر وأما أخوه أبى فانما قتل بأحد (وعقبة بن أبى معيط) أشقى القوم واسم والده أبان بن أبى عمرو واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس (وعمارة) بضم العين وخفة الميم (ابن الوليد) هكذا رواه البخارى فى الصلاة جزما من طريق اسرائيل عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله ورواه فى الوضوء من رواية اسحق وشعبة عن أبى اسحق عن عمرو عن ابن مسعود بلفظ وعد السابع فلم يحفظه ولمسلم من رواية الثورى قال أبو

تضييع أمر القنوت منها جاز عليهم تضييع ذلك ولا فرق وبهذا الطريق علمنا أنه لم يكن هديه الجهر بالبسملة كل يوم وليلة ست مرات دائما مستمرا ثم يضيع أكثر الامة ذلك ويخفى عليها وهذا من أمحل المحال بل لو كان ذلك واقعا لكان نقله كعدد الصلوات وعدد الركعات والجهر والاخفاء وعدد السجدات ومواضع الاركان وترتيبها والله الموفق والانصاف الذى يرتضيه العالم المصنف أنه جهر وأسر وقنت وترك وكان أسراره أكثر من جهره وتركه القنوت أكثر من فعله وانما قنت عند النوازل للدعاء لقوم وللدعاء على آخرين ثم تركه لما قدم من دعا لهم وتخلصوا من الاسر وأسلم من دعا عليهم وجاؤا تائبين فكان قنوته لعارض فلما زال ترك القنوت ولم يختص بالفجر بل كان يقنت فى صلاة الفجر والمغرب ذكره البخارى فى صحيحه عن أنس وقد ذكره مسلم عن البراء وذكر الامام أحمد عن ابن عباس قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا فى الظهر والعصر

اسحق ونسيت السابع قال الحافظ ففيه أن فاعل عد عمرو بن ميمون ولم يحفظه أبو اسحق خلاف تردید الكرمانی فی فاعل عد بین النبی وابن مسعود وفاعل فلم يحفظه بين ابن مسعود وعمرو بن ميمون على ان أبا اسحق تذكره مرة كما عند البخاری فی الصلاة وسماع اسرائیل منه فی غاية الاتقان للزومه اياه لانه جده وكان خصيصا به قال ابن مهدی ما فاتنی الذی فاتنی من حدیث الثوری عن أبی اسحق الا اتكالا على اسرائیل لانه یاتی به أتم وقال اسرائیل كنت أحفظ حدیث أبی اسحاق كما أحفظ سورة الحمد انتهى ملخصا (قال عبد الله) بن مسعود (فوالله لقد رأيتهم) وفى رواية فوالذی نفسی بيده لقد رأيت الذين عد رسول الله صلى الله عليه وسلم (صرعى) موتى مطروحين على الارض (يوم بدر ثم سحبوا) أى جروا (الى القليب) بفتح القاف وكسر اللام البئر قبل ان تطوى أى تبنى بالحجارة ونحوها أو العادية القديمة التى لا يعرف صاحبها (قليب بدر) الرواية بالجر على البدل ويجوز الرفع بتقدير هو والنصب باعنى كما أفاده المصنف وغيره قال العلماء وانما أمر بالقائهم فيه لئلا يتأذى الناس بريحهم والا فالحربى لا يجب دفنه والظاهر ان البئر لم يكن فيها ماء معين قاله الحافظ قال المصنف وتحقير الشأنهم (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب القليب لعنة) بضم الهمزة ورفع أصحاب أخبار منه صلى الله عليه وسلم بعد القائهم فى القليب بان الله أتبعهم أى كما انهم مقتولون فى الدنيا فهم مطرودون فى الآخرة عن رحمة الله وزواه أبو ذر بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب عطفا على عليك بقريش كانه قال أهلكهم فى حياتهم وأتبعهم اللعنة فى مماتهم وهذا الحديث أخرجه أيضا مسلم والنسائى والبزار وغيرهم قال الحافظ رحمه الله وفيه جواز الدعاء على الظالم لكن قال بعضهم محله اذا كان كافرا فاما المسلم فيستحب الاستغفار له والدعاء بالتوبة ولو قيل لا دلالة فيه على الدعاء على الكافر ما بعد لاحتمال اطلاعه صلى الله عليه وسلم على ان المذكورين لا يؤمنون والاولى أن يدعى لكل أحد بالهداية وفيه حلمه صلى الله عليه وسلم عمن آذاه ففى رواية الطيالسى عن ابن مسعود لم أره دعا عليهم الا يومئذ وانما استحقوا الدعاء حينئذ لما اقدموا عليه من الاستخفاف به حال عبادة ربه وفيه استحباب الدعاء ثلاثا وغير ذلك (واستدل بهذا الحديث على أن من عرض له فى صلاته ما يمنع انعقادها ابتداء) لان من شروطها طهارة الخبث عند الاكثرين (لا تبطل صلاته فلو كانت نجاسة فازالها فى الحال) أو لم تستقر عليه ولا أثر لها (صحت صلاته اتفاقا) وقال الخطابى لم يكن اذ ذاك حكم بنجاسة ما ألقى عليه كالخمر فانهم كانوا يلاقون بثيابهم وأبدانهم الخمر قبل نزول التحريم ورده ابن بطال بأنه لا شك انها كانت بعد نزول قوله تعالى وثيابك فطهر لانها أول ما نزل قبل كل صلاة اللهم الا أن يقال المراد بها طهارة القلب ونزاهة النفس عن الدنايا والآثام (واستدل به أيضا على طهارة فرث ما يؤكل لحمه) وتعقب بأن الفرث لم يفرد بل كان مع الدم كما فى رواية اسرائيل والدم نجس اتفاقا وأجيب بأن الفرث والدم كانا داخل السلى وجلدة السلى الظاهرة طاهرة فكان كحمل القارورة المرصصة ورد بانها ذبيحة عبدة أوثان فجميع أجزائها نجسة لانها ميتة وأجيب بان ذلك كان قبل التعبد بتحريم ذبائحهم وتعقب بأنه يحتاج الى تاريخ ولا يكفى فيه الاحتمال (و) استدل به أيضا (على ان ازالة النجاسة ليست بفرض) بل سنة (وهو) أى الاستدلال (ضعيف) لانها قضية عين مع احتمال كون النجاسة داخل الجلدة (وأجاب النووى) قائلا انه الجواب المرضى (بانه عليه السلام لم يعلم ما وضع على ظهره فاستمر فى سجوده استصحابا للاصل الطهارة) ولا يرد عليه انه كان صلى الله عليه وسلم يرى من خلفه كما ينظر امامه لجواز ان هذه الخصوصية انما كانت بعد هذه الواقعة ويكن تعقب بانه يدل على علمه بما وضع عليه ان فاطمة ذهبت به قبل أن يرفع رأسه وعقب هو فى صلاته بالدعاء عليهم (وتعقب) أيضا (بأنه مشكل على قولنا بوجوب الاعادة فى مثل هذه

في دبر كل صلاة اذا قال سمع الله لمن حمده من الركعة الاخيرة يدعو على حى من بنى سليم على رعل وذكوان وعصية ويؤمن من خلفه رواه أبو داود وكان هديه صلى الله عليه وسلم القنوت فى النوازل خاصة وتركه عند عدمها ولم يكن يخصه بالفجر بل كان أكثر قنوته فيها لاجل ما شرع فيها من الطول ولاتصالها بصلاة الليل وقربها من السحر وساعة الاجابة والتنزل الالهى ولانها الصلاة المشهودة التى يشهدها الله وملائكته أو ملائكة الليل والنهار كما روى هذا وهذا فى تفسير قوله تعالى ان قرآن الفجر كان مشهودا * وأما حديث ابن أبى فديك عن عبد الله بن سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع رأسه من الركوع من صلاة الصبح فى الركعة الثانية يرفع يديه فيها فيدعو بهذا الدعاء اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت انك تقضى

الصورة) على الصحيح (وأجيب عنه بأن الاتنقاء انما يجب في الفريضة) فلعل صلاته كانت نافلة (فان ثبت انها فريضة فالوقت متسع فلعله أعاد) صلاته (وتعقب بأنه لو أعاد لنقل ولم ينقل وبأن الله لا يقره على صلاة فاسدة) وقد خلع نعليه وهو في الصلاة لما أخبره جبريل ان فيهما قذرا ويمكن الانفصال عنه هنا بأنه أقره لمصلحة اغاظة الكفار باظهار ثباته وعدم التفاته الى فعلهم كما أقر على السلام من ركعتين لتشريع عدم بطلانها بالسلام سهوا (وقد استشكل بعضهم عد عمارة بن الوليد في المذكورين لانه لم يقتل ببدر بل ذكر أصحاب المغازي انه مات بأرض الحبشة وله قصة مع النجاشي اذ تعرض لامرأته فأمر النجاشي ساحرا فنفخ في احليل) مجرى بول (عمارة من سحره عقوبة له فتوحش وصار مع البهائم) وذلك كما ذكره أبو الفرج الاموي الاصبهاني وغيره ان المسلمين لما هاجروا الهجرة الثانية الى الحبشة بعثت قريش عمرا وعمارة الى النجاشي بهدية فالقى الله بينهما العداوة في مسيرهما لان عمرا كان دميما ومعه امرأته وعمارة جميلا فهوى امرأة عمرو وهويته فعزما على دفع عمرو في البحر فدفعاه فسبح ونادى أصحاب السفينة فأخذوه فرفعوه اليها فأضمرها في نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلي ابن عمك عمارة لتطيب نفسه فلما أتيا الحبشة وردهما الله خائبين مكر عمرو بعمارة فقال له أنت جميل والنساء يحببن الجمال فتعرض لامرأة النجاشي لعلها ان تشفع لنا عنده في قضاء حاجتنا ففعل وتكرر تردده اليها وأخذ من عطرها فأتى عمرو للنجاشي فاخبره فادركته عزة الملك وقال لولا انه جاري لقتلته ولكن أفعل به ما هو شر من القتل فأمر الساحرات فنفخن في احليله نفخة طار منها هائما على وجهه حتى لحق بالوحوش في الجبال وكان اذا رأى آدميا ينفر منه (الى ان مات في خلافة عمر) لما جاءه ابن عمه عبد الله ابن أبي ربيعة الصحابي بعد ان استأذن عمر بن الخطاب في السير اليه لعله يجده فاذن له فسار الى الحبشة فأكثر الفحص عنه حتى أخبر انه في جبل يرد مع الوحوش ويصدر معها فسار اليه حتى كمن له في طريقه الى الماء فاذا هو قد غطاه شعره وطالت أظفاره وتمزقت عليه ثيابه حتى كأنه شيطان فقبض عليه وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه ويقول أرسلني أرسلني حتى مات بين يديه ذكره أيضا أبو الفرج في كتاب الاغاني وكان عمرو قال يخاطب عمارة

اذا المرء لم يترك طعاما يحبه * ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منها وغادر سبة * اذا ذكرت أمثالها تملا الفما

(وأجيب بأن كلام ابن مسعود انه رآهم صرعى في القليب محمول على الاكثر ويدل عليه ان عقبة بن أبي معيط لم يصرع في القليب) لانه لم يقتل ببدر بل أسر (وانما قتل) أي قتل عاصم ابن ثابت أو علي بأمر النبي صلى الله عليه وسلم (صبرا) أي بعد حبسه ففي المصباح كل ذي روح يوثق حتى يقتل فقد قتل صبرا (بعد أن) أسرو (رحلوا عن بدر مرحلة) بمحل يقال له عرق الظبية (وأمية بن خلف لم يطرح في القليب كما هو بل مقطعا) فانه كان رجلا بادنا فبل ان يبلغ به اليه (كما سيأتي ان شاء الله تعالى) في غزوة بدر وفي ذكره تبعا للفتح أمية شئ لان كلام ابن مسعود يصدق على انه رآه ولو مقطعا اذ لم يقل رأيتهم فيه بلا تقطيع (وقوله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتبع أصحاب القليب لعنة يحتمل ان يكون من تمام الدعاء الماضي) فيكون عطفا على قوله عليك بقريش (فيكون فيه علم عظيم من أعلام النبوة) هو انه اطلع على انهم سيلقون في القليب وأخبر بذلك في ضمن دعائه وجاء كما قال وهذا على رواية أبي ذر أتبع بفتح الهمزة وكسر الموحدة ونصب أصحاب (ويحتمل ان يكون قاله صلى الله عليه وسلم بعد ان ألقوا في القليب) فيكون اخبارا بان الله أتبعهم وهذا على رواية الباقين أتبع بالبناء للمفعول

(اسلام حمزة)

ولا ينقضي عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت فما أبين الاحتجاج به لو كان صحيحا أو حسنا ولكن لا يحتج بعبد الله هذا وان كان الحاكم صحح حديثه في القنوت عن أحمد بن عبد الله المزني حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن أبي فديك فذكره * نعم يصح عن أبي هريرة أنه قال والله لانا أقربكم صلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان أبو هريرة يقنت في الركعة الاخيرة من صلاة الصبح بعد ما يقول سمع الله لمن حمده فيدعو للمؤمنين ويلعن الكفار ولا ريب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل ذلك ثم تركه فاحب أبو هريرة أن يعلمهم أن مثل هذا القنوت سنة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله وهذا رد على أهل الكوفة الذين يكرهون القنوت في الفجر مطلقا عند النوازل وغيرها ويقولون هو منسوخ وفعله بدعة فاهل الحديث متوسطون بين هؤلاء وبين من استحبه عند النوازل وغيرها وهم أسعد

(ثم أسلم حمزة بن عبد المطلب) سيد الشهداء أسد الله وأسد رسوله خير أعمام المصطفى وأخوه من الرضاعة أرضعتهما ثويبة كما في الصحيح ولا يشكل بانه أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بسنتين أو أربع لانها أرضعتهما في زمانين كما قال البلاذري وقريبه من أمه أيضا لان أمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة عم آمنة أم النبي صلى الله عليه وسلم يكنى أبا عمارة بضم العين بابن له من امرأة من بني النجار وقيل هي بنت له كنى بها وقيل كنيته أبو يعلى وقدمه بعضهم قال السهيلي ولم يعش لحمزة ولد غير يعلى وأعقب خمسة بنين ثم انقرض عقبهم فيما ذكر مصعب (وكان) كما قال ابن اسحق (أعز فتى) أي أقوى شاب (في قريش وأشده) أي أشد فتى والمراد به الجنس لان اسم التفضيل بعض ما يضاف اليه فلا بد من حمل فتى على ما يشمله وغيره ليكون الاعز والاشد واحدا منهم (شكيمة) بفتح المعجمة وكسر الكاف يقال كما في الصحاح وغيره لمن كان عزيز النفس ابيا قويا وأصله من شكيمة اللجام الحديدة المعترضة في فم الفرس التي فيها الفاس ويقال شكيم أيضا والجمع شكائم (وكان اسلامه فيما قاله العتقي) وابن الجوزي (سنة ست) من النبوة وقيل في السنة الثانية بالنون قطع به في الاصابة وصدر به في الاستيعاب وتبعه المصنف في ذكر الاعمام وسببه ان أبا جهل آذى النبي صلى الله عليه وسلم وبالغ في تنقيصه وما جاء به عند الصفا كما لابن اسحق ولغيره عند الحجون ولا مانع من تكرره فأخبر به مولاة ابن جدعان كما عند ابن اسحق ولغيره صفية أخته ولا منافاة فعند ابن أبي حاتم فأخبره امرأتان فغضب حمزة لما أراد الله من اكرامه فجاء المسجد فعلا رأس اللعين بقوسه فشجه شجة منكرة وقال أتشتمه وأنا على دينه فرد ذلك على ان استطعت فقام رجال من بني مخزوم لنصره فقال دعوا أبا عمارة فاني والله لقد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وعند ابن أبي حاتم فقال حمزة ديني دين محمد ان كنتم صادقين فامنعوني فوثبت اليه قريش فقالوا يا أبا يعلى يا أبا يعلى أي ما هذا الذي تصنع فانزل الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية الى قوله والزمهم كلمة التقوى (فعز به رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفت عنه قريش قليلا) أي بعض ما كانوا ينالون منه كما عبر به ابن اسحق لشدته وعلمهم انه يمنعه (وقال حمزة حين أسلم حمدت الله حين هدى فؤادي * الى) الثبات على (الاسلام) بعد ترددي في البقاء عليه فعند يونس بن بكير عن ابن اسحق ثم رجع حمزة أي بعد اسلامه وشجه أبا جهل الى بيته فقال أنت سيد قريش اتبعت هذا الصابئ وتركت دين آبائك للموت خير لك مما صنعت وقال اللهم ان كان هذا رشدا فاجعل تصديقه في قلبي والا فاجعل لي مما وقعت فيه مخرجا فبات بليلة لم يبت مثلها من وسوسة الشيطان حتى أصبح فغدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي اني قد وقعت في أمر لا أعرف المخرج منه واقامة مثلي على ما لا أدري أهو رشد أم لا غي شديد فحدثني حديثا فقد اشتهيت يا ابن أخي ان تحدثني فاقبل صلى الله عليه وسلم فذكره ووعظه وخوفه وبشره فالقى الله في قلبه الايمان بما قاله صلى الله عليه وسلم فقال أشهد انك الصادق فاظهر دينك فوالله ما أحب أن لي ما اظلته السماء واني على ديني الاول وتم حمزة اسلامه وعلى ما بايع عليه النبي صلى الله عليه وسلم (والدين الحنيف) عطف تفسير بجعل الاسلام نفس الاحكام أو مغاير بحمله على الانقياد الباطني والدين على الاحكام المشروعة والمعنى حمدت الله حين دلني على حقيقة هذا الدين فانقدت اليه باطنا وتلبست به ظاهرا فيكون جمع التصديق والاذعان والاقرار والانقياد الظاهري (لدين) بدل من قوله الى الاسلام (جاء من رب عزيز *) ممتنع لا يدرك ولا ينال أو غالب أو جليل القدر أو لا نظير له أو معز لغيره وفي اتيانه بهذا الاسم هنا لطافة ومناسبة ظاهرة للايماء الى ان المشركين وان عاندوا وجحدوا ما لهم الى الذل بالقتل والاسر وما ل هذا الدين الحنيف الى العزة والظهور لمجيئه من العزيز (خبير بالعباد) مطلع على حقيقة الشئ عالم به أو مخبر أنبياءه

ورسله

بالحديث من الطائفتين فانهم يقنتون حيث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتركونه حيث تركه فيقتدون به في فعله وتركه ويقولون فعله سنة وتركه سنة ومع هذا فلا ينكرون على من داوم عليه ولا يكرهون فعله ولا يرونه بدعة ولا فاعله مخالفا للسنة كما لا ينكرون على من أنكره عند النوازل ولا يرون تركه بدعة ولا تاركه مخالفا للسنة بل من قنت فقد أحسن ومن تركه فقد أحسن ولكن الاعتدال محل الدعاء والثناء وقد جمعهما النبي صلى الله عليه وسلم فيه ودعاء القنوت دعاء وثناء فهو أولى بهذا المحل فاذا جهر به الامام أحيانا ليعلم المأمومين فلا بأس بذلك فقد جهر عمر بالاستفتاح ليعلم المأمومين وجهر ابن عباس بقراءة الفاتحة في صلاة الجنازة ليعلمهم أنها سنة ومن هذا أيضا جهر الامام بالتأمين وهذا من الاختلاف المباح الذي لا يعنف فيه من فعله ولا من تركه وهذا كرفع اليدين في الصلاة وتركه وكالخلاف في أنواع التشهدات وأنواع الاذان والاقامة وأنواع النسك

و رسله بكلامه المنزل عليهم وعباده يوم القيامة بأعمالهم اذلا يعزب عن علمه شئ وفى ذكره ايماء الى ان سبهم للمصطفى وايذاءهم سيسألون عقابه من الخبير (بهم) متعلق بقوله (لطيف) مقدم عليه أى لطيف بعباده برهم وفاجرهم حيث لم يهلكهم جوعا وعطشا بمعاصيهم وفى ذكره رمز الى ان المشركين لا يغتروا بالنعم وقد كذبوا المرسلين لان هذا من لطف الله بهم فى الدنيا ومتاعها قليل (اذا تليت رسائله) أى أحكام الرب التى أمرنا بها (علينا *) وسمى ما جاء به من الله رسالة لان جبريل بلغها اياه عن الله وأمره بتبليغه الناس (تحدر) تساقط (دمع ذى اللب) العقل (الحصيف) بحاء وصاد مهملتين أى الكامل المحكم لينا اليها وتفكرا فيها وفى أحكامها بعجيب النظم وبديع المعانى وتفصيلها بالاحكام والقصص والمواعظ (رسائل جاء أحمد من) أجل (هداها *) أى الرشاد بها أو الدلالة عليها (بآيات) ظاهرة (مبينة الحروف) يعنى القرآن (وأحمد مصطفى) مختار من الخلق (فينا) متعلق بقوله (مطاع *) أى واجب الطاعة لما ظهر على يديه من الآيات فلا عبرة بمخالفة المنكرين ولا اعتداد بها لظهور بطلانها (فلا تغشوه) تغطوا ما جاء به من الحق (بالقول العنيف) الباطل الموقع فى المشقة والتعب من العنف بالضم ضد الرفق (فلا والله نسلمه لقوم *) ولا نترك نصرته (ولما نقض) بالنون والبناء للفاعل نحكم (فيهم) أى نستأصلهم قتلا (بالسيوف) بل نقاتل دونه الى منتهى الطاقة وهذا أولى من قراءة يقض بتحتية مبنيا للمفعول وبعده

ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف
اله الناس شر جزاء قوم * ولا أسقاهم صوب الخريف

الورد بكسر الواو وسكون الراء والعكوف بضم العين أى ان الطير مستديرة على القتلى كالقوم المجتمعين على الماء المستديرين حوله (وعند مغلطاى) بضم الميم وسكون الغين (وسألوه يعنى النبى صلى الله عليه وسلم) حين أسلم حمزة ورأوا الصحابة يزيدون كما أخرجه ابن اسحق عن ابن عباس رضى الله عنهما وسمى السائلين ان عتبة وشيبة وابن حرب ورجلا من بنى عبد الدار وأبا البخترى والاسود بن المطلب وزمعة والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أبى أمية وأمية بن خلف والعاصى بن وائل ونبيها ومنبها اجتمعوا فقالوا يا محمد ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الاحلام وشتمت الآلهة فما من قبيح الا وقد جلبته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا و (ان كنت تطلب الشرف فينا فنحن نسودك علينا) زاد فى رواية حتى لا نقطع أمرا دونك (وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا) فانظر الى حمقهم وجهلهم رضوه ملكا مع ان الغالب من الملوك التجبر وسلب الاموال بغير حق ولم يرضوا به نبيا رسولا يدعوهم الى الصراط المستقيم ويوصلهم جنات النعيم (وان كان هذا الامر الذى يأتيك رئيا قد غلب عليك بذلنا أموالنا فى طلب الطب لك) مثلث الطاء العلاج فى النفس والجسم كما فى النور والقاموس (حتى نبرئك منه أو نعذر) بفتح النون وضمها من عذر واعذر أى يرتفع عنا اللوم كما فى المصباح وروى ابن أبى شيبة وغيره عن ابن عمر وأبو يعلى بسند جيد عن جابر اجتمع نفر من قريش يوما فقالوا انظروا أعلمكم بالسحر والكهانة والشعر فليأت هذا الرجل الذى فرق جماعتنا وشتت أمرنا وعاب ديننا فليكلمه ولينظر ماذا يرد عليه قالوا ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة وعند ابن اسحق والبيهقى وغيرهما عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت ان عتبة قال يوما وكان جالسا فى نادى قريش والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده يا معشر قريش الا أقوم الى محمد فأكلمه

من الافراد والقران والتمتع وليس مقصودنا الا ذكر هديه صلى الله عليه وسلم الذى كان يفعله هو فانه قبلة القصد واليه التوجه فى هذا الكتاب وعليه مدار التفتيش والطلب وهذا شئ والجائز الذى لا ينكر فعله وتركه شئ فنحن لم نتعرض فى هذا الكتاب لما يجوز ولما لا يجوز وانما مقصودنا فيه هدى النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يختاره لنفسه فانه أكمل الهدى وأفضله فاذا قلنا لم يكن من هديه المداومة على القنوت فى الفجر ولا الجهر بالبسملة لم يدل ذلك على كراهية غيره ولا أنه بدعة ولكن هديه صلى الله عليه وسلم أكمل الهدى وأفضله والله المستعان * وأما حديث أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس قال ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقنت فى الفجر حتى فارق الدنيا وهو فى المسند والترمذى وغيرهما فابو جعفر قد ضعفه أحمد وغيره وقال ابن المدينى كان يخلط وقال أبو زرعة كان يهم كثيرا وقال ابن حبان كان ينفرد بالمناكير عن المشاهير * وقال لى شيخنا ابن تيمية قدس

وأعرض عليه أمور العله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا فقام حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخي انك منا حيث قد علمت من السطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها العلك تقبل منا بعضها فقال صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخي ان كنت فذكر الامور الاربع حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله يسمع منه قال له أقد فرغت أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال افعل قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده الرحم أن يكف ثم انتهى الى السجدة سجد ثم قال قد سمعت أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك الحديث في عدم رجوع عتبة لقومه وظنهم اسلامه وذهابهم له وغضبه لذلك وحلفه لا يكلم محمدا أبدا وقال قد علمتم انه لا يكذب فخفت نزول العذاب عليكم فاطيعوني واعتزلوه فان يصبه غيركم كفيتموه وان ظهر فملكه ملككم وعزه عزكم فقال سحرك والله يا أبا الوليد قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم والظاهر أن هذه القصة في مرة ثانية قبل مجيء عتبة ثم الجماعة أو بعده فأجابه المصطفى بما ذكر وأما مع الجماعة فأجابهم (فقال لهم عليه الصلاة والسلام ما بي ما تقولون) أي ولا شيء منه بدليل قوله (ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا) بالجنة ان صدقتم (ونذيرا) منذرا بالنار ان كذبتم (فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوا علي أصبر) بالجزم جواب الشرط (لامر الله بيني وبينكم) وفي بقية حديث ابن عباس هذا فقالوا له فان كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت انه ليس أحد من الناس أضيق بلادا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل ربك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كالشام والعراق ويبعث لنا من مضى من آبائنا ويكون فيهم قصي فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أهو حق أم باطل وسله يبعث معك ملكا يصدقك ويراجعنا عنك ويجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عن المشي في الاسواق والتماس المعاش فان لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فانا لن نؤمن لك الا أن يفعل فقام صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه فأقسم أبو جهل ليرضخن رأسه بحجر غدا فلما دنا منه رجع منهزما ممتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده وقال عرض لي فحل ابل ما رأيت مثله فهم ان يأكلني قال ابن اسحق فذكر لي انه صلى الله عليه وسلم قال ذاك جبريل لو دنا لاخذه (والرئي) بزنة كمي (بفتح الراء وقد تكسر) لاتباعها ما بعدها (ثم همزة فياء مشددة جني يرى فيحب) فعيل أو مفعول سمي به لانه يتراءى لمتبوعه أو هو من الرأي من قولهم فلان رأي قومه اذا كان صاحب رأيهم كما في النور (و) قيل الراء (المكسورة للمحبوب منها) أي جماعة الجن الا ان لفظ القاموس منهم وهو أصرح (قاله في القاموس) اللغوي (ثم ان النضر) بنون وضاد معجمة ساكنة (ابن الحرث) بن علقمة ابن كلدة بفتح الكاف واللام العبدري المشترى لهو الحديث القائل اللهم ان كان هذا هو الحق الخ أسر ببدر وقتل كافرا بالصفراء باجماع أهل السير ووهم ابن منده وأبو نعيم فقالا شهد حنينا مع النبي وأعطاه مائة من الابل وكان من المؤلفة وقلبا نسبه فقالا كلدة بن علقمة وأطنب الحافظ العز بن الأثير وغيره من الحفاظ في تغليظهما والرد عليهما وتعقب باحتمال أن يكون له أخ سمي باسمه فهو الذي ذكراه لا هذا المقتول كافرا كذا في الاصابة وفي مغازي ابن عبد البر ذكر في المؤلفة قلوبهم النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة أخو النضر بن الحرث المقتول ببدر صبرا انتهى بجزم بأنه أخوه (وعقبة)

أنه روحه وهذا الاسناد نفسه هو اسناد حديث واذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم حديث أبي بن كعب الطويل وفيه كان روح عيسى عليه السلام من تلك الارواح التي أخذ عليها العهد والميثاق في زمن آدم فارسل تلك الروح الى مريم عليها السلام حين انتبذت من أهلها مكانا شرقيا فارسله الله في صورة بشر فتمثل لها بشرا سويا قال فحملت الذي يخاطبها فدخل من فيها وهذا غلط محض فان الذي أرسل اليها الملك الذي قال لها انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا ولم يكن الذي خاطبها بهذا هو عيسى بن مريم هذا محال * والمقصود أن أبا جعفر الرازي صاحب مناكير لا يحتج بما تفرد به أحد من أهل الحديث البتة ولو صح لم يكن فيه دليل على هذا القنوت المعين البتة فانه ليس فيه أن القنوت هذا الدعاء فان القنوت يطلق على القيام والسكوت ودوام العبادة والدعاء والتسبيح والخضوع كما قال تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون وقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل

بقاف (ابن أبي معيط) احدرؤس الكفر لعنه الله قتل بعد بدر (ذهبا) الى المدينة يبعث قريش لهما
بعد مراجعة بينهم وبين النضر كما رواه ابن اسحق والبيهقي عن ابن عباس قال أن النضر كان من
شياطين قريش فقال يامعشر قريش والله قد نزل بكم امر ما أتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم
وأصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم الشيب في صدغيه وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله
ماهو بساحر وقلتم كاهن لا والله ماهو بكاهن وقلتم شاعر لا والله ماهو بشاعر وقلتم مجنون لا والله
ماهو بمجنون فلما قال ذلك بعثوه مع عتبة (الى أحبار) بفتح الهمزة جمع حبر بفتح الحاء وكسرها أى
علماء (يهود) علم لمن دخل دين اليهودية غير مصروف للعلمية ووزن الفعل ويجوز دخول أل فلا يمتنع
التنوين لنقله من وزن الفعل الى باب الاسماء (فسألاهم عنه عليه السلام) بعد اخبارهما لهم بصفته
وبعض قوله وقولهما انكم أهل الكتاب الاول أى التوراة وعندكم علم ليس عندنا من علم الانبياء وقد
أتيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا كما في حديث ابن عباس (فقالوا لهما سلوه عن ثلاثة فان أخبركم
بهن) على طريق الحقيقة والاجمال لانه لم يجب عن الروح الا اجمالا لانها مما استأثر الله بعلمه وفي
بعض التفاسير ان أجابكم عن البعض فهو نبي وفي كتابهم ان الروح من الله وفي رواية ان أجابكم عن
حقيقة الروح فليس بنبي وان اجابكم بأنها من أمر الله فهو نبي وفي رواية ان أجاب عن كلها أو لم يجب عن
شئ فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحد (فهو نبي مرسل) تأسيس اذلا يلزم من النبوة
الرسالة على المشهور (وان لم يجب) عن شئ منها بأن سكت أو اجاب عن جميعها تفصيلا (فهو متقول)
اسم فاعل من تقول أى ذاكر ما لا حقيقة له سلوه امر من سال مخفف سأل (عن فتية ذهبوا في الدهر
الاول) اى الزمان المتقدم سموه أول بالنظر لتقدمه على زمانهم بمدة طويلة وبقية الرواية ماكان من
امرهم فانه كان لهم حديث عجيب (وعن رجل طواف) قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ماكان
نبؤه (وعن الروح) يذكر وقد يؤنث ولذا قال (ماهو) فأقبل النضر وعقبة وقالا قد جئناكم بفصل
ما بينكم وبين محمد فجاؤا رسول الله فسألوه (فقال لهم عليه السلام أخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فلبث
الوحي أياما) خمسة عشر يوما كما عند ابن اسحق عن ابن عباس وفي سير التيمي وابن عقبة انما ابطأ
ثلاثة ايام وعن مجاهد اثنا عشر وقيل اربعة وقيل اربعين حتى أرجف اهل مكة وقالوا قد قلاه ربه وتركه
وقالت حمالة الحطب ما أرى صاحبك الا وقد ودعك وقلاك وفي رواية فقالت امرأة قريش أبطأ عليه
شيطانه حتى أحزنه ذلك صلى الله عليه وسلم وقد نزل في الرد عليهم والضحى والليل اذا سجى ما ودعك
ربك وما قلى وأفتاه الله تعالى في سورة الكهف والاسراء عن مسائلهم (ثم نزل قوله تعالى) عتابا لنبيه
(ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله) استثناء من النهى اى لا تقولن لشئ تعزم عليه
انى فاعله في المستقبل الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وقيل المراد وقت ان يشاء الله أن تقوله بمعنى
أن يأذن لك فيه والاول أوفق بكونه عتابا على عدم الاستثناء (وأنزل الله تعالى ذكر الفتية) جمع قلة
لفتى آثره على جمع الكثرة وهو فتيان لكونهم دون عشرة (الذين ذهبوا) ولا يعلمهم الا قليل قال ابن
عباس أنا من القليل وذكر انهم سبعة وفي رواية عنه ثمانية أخرجهما ابن ابى حاتم وفي التلفظ
باسمائهم خلف تركته لقول الحافظ في النطق بها اختلاف كثير لا يقع الوثوق من ضبطها بشئ انتهى
وعن ابن عباس لم يبق منهم شئ بل صاروا ترابا قبل البعث وقيل لم تأكلهم الارض ولم تغيرهم وفي
معجمات الاقران أكثر العلماء على انهم كانوا بعد عيسى وذهب ابن قتيبة الى انهم كانوا قبله وانه أخبر
قومه خبرهم وان يقظتهم بعد رفعه زمن الفترة وفي تفسير ابن مردويه عن ابن عباس اصحاب الكهف
أعوان المهدى قال الحافظ وسنده ضعيف فان ثبت حمل على انهم لم يموتوا بل هم في المنام الى ان يبعثوا

ساجدا وقائما يحذر
الآخرة ويرجو رحمة ربه
وقال تعالى وصدقت
بكلمات ربها وكتبه
وكانت من القانتين
وقال صلى الله عليه وسلم
أفضل الصلاة طول
القنوت وقال زيد بن
أرقم لما نزل قوله تعالى
وقوموا لله قانتين أمرنا
بالسكوت ونهينا عن
الكلام وأنس رضى الله
عنه لم يقل لم يزل يقنت
بعد الركوع رافعا صوته
اللهم اهدنى فيمن
هديت الى آخره ويؤمن
من خلفه ولا ريب أن
قوله ربنا ولك الحمد ملء
السموات وملء الارض
وملء ما شئت من شئ
بعد أهل الثناء والمجد
أحق ما قال العبد الى
آخر الدعاء والثناء الذي
كان يقوله قنوت وتطويل
هذا الركن قنوت
وتطويل القراءة قنوت
وهذا الدعاء المعين قنوت
فمن أين لكم أن أنسا انما
أراد هذا الدعاء المعين
دون سائر أقسام القنوت
ولا يقال تخصيصه
القنوت بالفجر دون
غيرها من الصلوات دليل
على ارادة الدعاء المعين
اذ سائر ما ذكرتم من
أقسام القنوت مشترك
بين الفجر وغيرهما
وأنس خص الفجر دون

لاعانة المهدي وقد ورد في حديث آخر بسند واه انهم يحجون مع عيسى بن مريم انتهى (وهم اصحاب الكهف) الغار الواسع في الجبل الرقيم اسم الجبل أو الوادي الذي فيه كهفهم او الصخرة التي أطبقت على الوادي أو اسم قريتهم او كلبهم او لوح من رصاص كتب فيه اسماؤهم وجعل على باب الكهف او كتب فيه شرعهم الذي كانوا عليه أو الدواة واختلف في مكان الكهف فالذي تظافرت به الاخبار انه في بلاد الروم وروى الطبري باسناد ضعيف عن ابن عباس انه بالقرب من ايلة وقيل قرب طرسوس وقيل بين ايلة وفلسطين وقيل بقرب زابزا وقيل بغرناطة من الاندلس انتهى ملخصا من فتح الباري وذكر غيره أن اسم البلد الذي هو بها بالروم عريسوس وفي الفتح أيضا وقد روى عبد بن حميد باسناد صحيح عن ابن عباس قصة أصحاب الكهف مطولة غير مرفوعة وملخصها انهم كانوا في مملكة جبار يعبدون الاوثان فخرجوا منها فجمعهم الله على غير ميعاد فأخذ بعضهم على بعض العهود والمواثيق فجاء اهاليهم يطلبونهم ففقدوهم فأخبروا الملك فامر بكتابة أسمائهم في لوح من رصاص وجعله في خزائنه ودخل الفتية الكهف فضرب الله على آذانهم فناموا فأرسل الله من يقلبهم ويحول الشمس عنهم فلو طلعت عليهم لاحرقتهم ولولا انهم يقلبون لاكلتهم الارض ثم ذهب ذلك الملك وجاء آخر فكسر الاوثان وعبد الله وعدل فبعث الله أصحاب الكهف فبعثوا احدهم يأتيهم بما يأكلون فدخل المدينة مستخفيا فرأى هيئة وناسا انكرهم لطول المدة فدفع درهما للخباز فاستنكر ضربه وهم بأن يرفعه الى الملك فقال أتخوفني بالملك وأبي دهقانه فقال من أبوك قال فلان فلم يعرفه فاجتمع الناس فرفعوه الى الملك فسأله فقال علي باللوح وكان قد سمع به فسمى أصحابه فرفعهم من اللوح فكبر الناس وانطلقوا الى الكهف وسبق الفتى لئلا يخافوا من الجيش فلما دخل عليهم عمى الله على الملك ومن معه المكان فلم يدر أين ذهب الفتى فاتفقوا على أن يبنوا عليهم مسجدا فجعلوا يستغفرون لهم ويدعون لهم انتهى (وذكر الرجل الطواف وهو ذو القرنين) الاكبر الحميري المختلف في نبوته والاكثر وصح أنه كان من الملوك الصالحين وذكر الازرقي وغيره انه حج وطاف مع ابراهيم وآمن به واتبعه وكان الخضر وزيره وعن علي لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبدا صالحا دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرني رأسه ضربتين وفيكم مثله يعني نفسه رواه الزبير بن بكار وابن عيينة في جامعه باسناد صحيح وصححه الضياء في المختارة وقيل كان من الملائكة حكاه الثعلبي وقيل من بنات آدم وأبوه من الملائكة حكاه الجاحظ في كتاب الحيوان لقب بذي القرنين واسمه الصعب على الراجح كما في الفتح أو المنذر او هرمس او هرديس أو عبد الله أو غير ذلك وفي اسم أبيه أيضا خلاف لطوافه قرني الدنيا شرقها وغربها كما في حديث أو لانقراض قرنين من الناس في ايامه او لانه كان له ضفيرتان من شعر والعرب تسمي الخصلة من الشعر قرنا أو لان لتاجه قرنين او على رأسه ما يشبه القرنين أو لكرم طرفيه أما وأبا أو لرؤياه انه اخذ بقرني الشمس أو لغير ذلك اقوال قال البيضاوي ويحتمل لشجاعته كما يقال الكبش للشجاع لانه ينطح أقرانه واما ذو القرنين الاصغر فهو الاسكندر اليوناني قتل دارا وسلبه ملكه وتزوج بنته واجتمع له الروم وفارس ولذا سمي بذلك قال السهيلي ويحتمل انه لقب به تشبيها بالاول لملكه ما بين المشرق والمغرب فيما قيل أيضا واستظهره الحافظ وضعف قول من زعم ان الثاني هو المذكور في القرآن كما أشار اليه البخاري بذكره قبل ابراهيم لان الاسكندر كان قريبا من زمن عيسى وبين ابراهيم وعيسى أكثر من الفي سنة قال والحق ان الذي قص الله نبأه في القرآن هو المتقدم والفرق بينهما من وجوه احدها ان الذي يدل على تقدم ذي القرنين ما روى الفاكهي طريق عبيد بن عمير احد كبار التابعين حج ماشيا فسمع به ابراهيم فتلقاه ومن طريق عطاء عن ابن عباس ان ذا القرنين دخل المسجد الحرام فسلم على ابراهيم

وصافحه

سائر الصلوات بالقنوت ولا يمكن أن يقال انه الدعاء على الكفار ولا الدعا للمستضعفين من المؤمنين لان أنسا قد أخبر أنه كان يقنت شهرا ثم تركه فتعين أن يكون هذا الدعاء الذي داوم عليه هو القنوت المعروف وقد قنت أبو بكر وعمر وعثمان وعلي والبراء بن عازب وأبو هريرة وعبد الله بن عباس وأبو موسى الاشعري وأنس بن مالك وغيرهم * والجواب من وجوه * أحدها أن أنسا قد أخبر أنه صلى الله عليه وسلم كان يقنت في الفجر والمغرب كما ذكره البخاري فلم يخصص القنوت بالفجر وكذلك ذكر البراء بن عازب سواء فما بال القنوت اختص بالفجر فان قلتم قنوت المغرب منسوخ قال لكم منازعوكم من أهل الكوفة وكذلك قنوت الفجر سواء ولا تأتون بحجة على نسخ قنوت المغرب الا كانت دليلا على نسخ قنوت الفجر سواء ولا يمكنكم أبدا أن تقيموا دليلا على نسخ قنوت المغرب وأحكام قنوت الفجر فان قلتم قنوت المغرب كان قنوتا للنوازل لا قنوتا راتبا قال منازعوكم من أهل الحديث * نعم كذلك

وصافحه ويقال انه أوّل من صافح ومن طريق عثمان بن ساج انه سأل ابراهيم أن يدعوله فقال وكيف وقد أفسدتم بئرى فقال لم يكن ذلك عن أمرى يعنى ان بعض الجند فعل ذلك بغير علمه وذكر ابن هشام فى التيجان أن ابراهيم تحاكم الى ذى القرنين فى بئر فحكم له وروى ابن أبى حاتم من طريق علباء بن أحمر قدم ذو القرنين مكة فوجد ابراهيم واسمعيل يبنيان الكعبة فاستفهمهما عن ذلك فقالا نحن عبدان مأموران فقال من يشهد لكما فقامت خمسة اكبش فشهدت فقال صدقتما قال وأظن الا كبش المذكورة حجارة ويحتمل أن تكون غنما فهذه الآثار يشد بعضها بعضا وتدل على قدم عهد ذى القرنين الوجه الثانى قال الفخر الرازى كان ذو القرنين نبيا والاسكندر كافرا ومعلمه ارسطاطاليس وكان يأتمر بأمره وهو من الكفار بلا شك ثالثها كان ذو القرنين من العرب والاسكندر من اليونان من ولد يافث بن نوح على الارجح والعرب كلها من ولد سام بن نوح باتفاق وان اختلف هل كلهم من ولد اسمعيل أم لا فافترقا وشبهة من قال ان ذا القرنين هو الاسكندر ما أخرجه ابن جرير ومحمد بن الربيع الجيزى ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذى القرنين فقال كان من الروم فأعطى ملكا فسار الى مصر فبنى الاسكندرية فلما فرغ أتاه ملك فعرج به فقال انظر ما تحتك فقال أرى مدينتى ومدائن حولها ثم عرج به فقال انظر ما تحتك قال أرى مدينة واحدة قال تلك الارض كلها وانما أراد الله تعالى ان يريك وقد جعل الله لك فى الارض سلطانا فسر فيها وعلم الجاهل وثبت العالم وهذا لو صح لرفع النزاع لكنه ضعيف انتهى وذكر نحوه الحافظ ابن كثير وصوب أيضا أن ذا القرنين غير الاسكندر فعض عليه بالنواجذ (وقال فيما سألوه) ما مصدرية أى فى جواب سؤالهم (عن الروح) ولعل حكمة المغايرة بينه وبين ما قبله انه بين فيه نفس المسؤل عنه وهو الفتية والرجل ولم يبينه هنا بل رد علمه اليه سبحانه فقال تعالى (قل الروح من أمر ربى) أى علمه لا تعلمونه (وفى البخارى) فى العلم والتفسير والاعتصام والتوحيد ما يعارض ما علم من أن السؤال من قريش بمكة فانه أخرج (من حديث عبد الله بن مسعود قال بينا أنا) أمشى (مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حرث) بفتح الحاء وراء مهملتين فمثلثة أى زرع وفى العلم فى خرب المدينة بمعجمة مفتوحة وراء مكسورة وموحدة قال الحافظ والاول أصوب لرواية مسلم فى نخل زاد فى العلم بالمدينة وابن مردويه للانصار (وهو متكئ) معتمد وفى العلم وهو يتكئ (على عسيب) بفتح العين وكسر السين المهملتين وسكون التحتانية وموحدة وهى الجريدة التى لا خوص فيها ولابن حبان ومعه جريدة (اذ مر اليهود) كذا فى التفسير بالرفع على الفاعلية وفى المواضع الثلاثة فمر بنفر من اليهود وكذا رواه مسلم قال الحافظ فيحمل على أن الفريقين تلاقوا فيصدق أن كلا مر بالآخر ولم أقف فى شئ من الطرق على تسمية أحد من هؤلاء اليهود (فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح) وفى الاعتصام والتوحيد وقال بعضهم لا تسألوه (فقالوا) وفى العلم والتفسير قال بالافراد أى بعضهم (ما رابكم اليه) بلفظ الفعل الماضى بلا همز من الريب قال عياض أى ما شككم فى أمر الروح أو ما الريب الذى رابكم حتى احتجتم الى معرفته والسؤال عنه أو ما دعاكم الى شئ يسوءكم عقباه ألا ترى قوله لا يستقبلكم الخ انتهى وللحموى ما رأبكم بهمزة مفتوحة وموحدة مضمومة من الرأب وهو الاصلاح يقال فيه رأب بين القوم اذا أصلح بينهم قال الحافظ وفى توجيهه هنا بعد وقال الخطابى الصواب ما أربكم بتقديم الهمزة وفتحتين من الارب وهو الحاجة وهذا واضح المعنى لو ساعدته الرواية نعم رأيته فى رواية المسعودى عن الاعمش عند الطبرى كذلك قال وفى رواية القابسى قال المصنف ورأيته عن الحموى أيضا ما رأيكم بسكون الهمزة وتحتية بدل الموحدة من الرأى (وقال بعضهم لا يستقبلكم) بالرفع على الاستئناف أى لا تسألوه لئلا يستقبلكم لا بالجزم لانتفاء شرطه وهو صحة وقوع ان الشرطية قبل أداة النهى

هو وكذلك قنوت الفجر واه وما الغرق قالوا ويدل على أن قنوت الفجر كان قنوت نازلة لا قنوتا راتبا ان أنسا نفسه أخبر بذلك وعمدتكم فى القنوت الراتب انما هو أنس وأنس أخبر أنه كان قنوت نازلة ثم تركه ففى الصحيحين عن أنس قال قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا يدعو على حى من أحياء العرب ثم تركه * الثانى أن شبابة روى عن قيس بن الربيع عن عاصم بن سليمان قال قلنا لانس ابن مالك ان قوما يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل يقنت بالفجر قال كذبوا وانما قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا واحدا يدعو على حى من أحياء المشركين وقيس بن ربيع وان كان يحيى ضعفه فقد وثقه غيره وليس بدون أبى جعفر الرازى فكيف يكون أبو جعفر حجة فى قوله لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا وقيس ليس بحجة فى هذا الحديث وهو أوثق منه أو مثله والذين ضعفوا أبا جعفر أكثر من الذين ضعفوا قيسا فانما يعرف تضعيف قيس عن يحيى وذكر سبب تضعيفه

مع استقامة المعنى اذلا يستقيم هنا ان لا تسألوه يستقبله كم قال في الفتح ويجوز السكون وكذا النصب أيضا انتهى ولعل الجزم على النهي مبنى على رأى من لا يشترط ذلك (بشئ) وفي العلم لا تسألوه لا يجيء بشئ (تكرهونه) ان لم يفسره لانهم قالوا ان فسره فليس بنبي لان في التوراة ان الروح مما انفرد الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من عباده فاذا لم يفسره دل على نبوته وهم يكرهونها وقامت الحجة عليهم في نبوته وفي الاعتصام لا يسمعكم ما تكرهون (فقالوا اسلوه فسألوه عن الروح فامسك فلم يرد عليهم شيأ) وللكشميهني عليه بالافراد أى السائل وفي العلم فقال بعضهم لنسألنه فقام رجل منهم فقال يا أبا القاسم ما الروح فسكت وفي الاعتصام فقاموا اليه فقالوا يا أبا القاسم حدثنا عن الروح ثم قام ساعة ينظر قال ابن مسعود (فعلمت) وفي التوحيد فظننت وفي الاعتصام فقلت (انه يوحى اليه) وهي متقاربة واطلاق العلم على الظن مشهور وكذا اطلاق القول على ما يقع في النفس كما في الفتح (فقمت مقامي) أى مكثت بمحلي الذي كنت فيه وفي العلم فقمت فقط أى حتى لا أكون مشوشا عليه أو فقمت حائلا بينه وبينهم كما في المصنف وفي الاعتصام فتأخرت قال الحافظ أى أدبا معه لئلا يتشوش بقربي منه انتهى ولا ينافيه رواية مقامي لانه تأخر قليلا فكأنه فيه (فلما نزل الوحى) وفي العلم فلما انجلى عنه أى الكرب الذي كان يغشاه حال الوحى (قال) وفي الاعتصام حتى صعد الوحى فقال (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) أى من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة وتولد عن أصل واقتصر على هذا الجواب كما اقتصر موسى في جواب وما رب العالمين بذكر بعض صفاته لكونها مما استأثر الله بعلمه ولان في عدم بيانها تصديقا لنبوته زاد البخاري في التوحيد وما أوتيتم من العلم الا قليلا فقال بعضهم لبعض قد قلنا لكم لا تسألوه (قال الحافظ ابن كثير وهذا يقتضي فيما يظهر من بادئ الرأى) بالهمز أى أوّله من غير تثبت وتفكر فيه أو ظاهره دون تفكر فيه باطنا (أن هذه آية مدنية وانها انما نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية) وقيل الا قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الى آخر ثمان آيات كما في الانوار وبه جزم الجلال (وقد يجاب عن هذا) الاختلاف (بأنه قد تكون نزلت عليه مرة ثانية بالمدينة كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك ومما يدل على نزولها بمكة ما روى الامام أحمد من حديث ابن عباس قال قالت قريش ليهود أعطونا) بفتح الهمزة (شيأ نسأل عنه هذا الرجل فقالوا اسلوه عن الروح فسألوه فنزلت الحديث انتهى وهذا الحديث) الذي عزاه ابن كثير لاحمد (رواه الترمذي أيضا) وقال انه صحيح فقصر ابن كثير بل عليه مغمز في عزوه لاحمد فقط لان الحديث اذا كان في أحد الستة لا ينقل من غيرها الا لزيادة أو صحة كما قال مغلطاى فكيف وقد صرح الترمذي بصحته وهو ظاهر لانه (باسناد رجاله رجال مسلم) فهو من المرتبة السادسة من مراتب الصحيح كما في الالفية وان كان لا يلزم انه كصحة ما رواه مسلم نفسه كما نبه على ذلك ابن الصلاح في مقدمة شرح مسلم فقال من حكم لشخص بمجرد رواية مسلم عنه في الصحيح بأنه من شرط الصحيح عند مسلم فقد غفل وأخطأ بل ذلك يتوقف على النظر في كيفية روايته عنه وعلى أى وجه أخرج حديثه (فيحمل على تعدد النزول كما أشار اليه ابن كثير) وكذا الحافظ ابن حجر وحيث قلنا بذلك فالعلم حاصل فاوجه ترك المبادرة بالجواب (و) جهه كما قال الحافظ انه (يحمل سكوته في المرة الثانية على توقع مزيد بيان في ذلك) قال أعني الحافظ فان ساغ هذا والا فاني الصحيح أصح وفي الاتقان اذا استوى الاسنادان صحة رجح أحدهما بحضور راوية القصة ونحو ذلك من وجوه الترجيحات ومثل بحديثي ابن مسعود وابن عباس المذكورين ثم قال وحديث ابن عباس يقتضي نزولها بمكة والاول خلافه وقد رجح بأن ما رواه البخاري أصح وبأن ابن مسعود كان حاضر القصة لكنه نقل في الاتقان نفسه بعد قليل عن الزركشي في البرهان قد ينزل الشئ مرتين تعظيما لشأنه

وتذكيرا

ثم قال أحمد بن سعيد بن أبي مريم سألت يحيى عن قيس بن الربيع فقال ضعيف لا يكتب حديثه كان يحدث بالحديث عن عبيدة وهو عنده عن منصور ومثل هذا لا يوجب رد حديث الراوي لان غاية ذلك أن يكون غلط ووهم في ذكر عبيدة بدل منصور ومن الذي سلم من هذا من المحدثين الثالث أن أنسا أخبر أنهم لم يكونوا يقنتون وان بدء القنوت هو قنوت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو على رعل وذكوان ففي الصحيحين من حديث عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين رجلا لحاجة يقال لهم القراء فعرض لهم حيان من بني سليم رعل وذكوان عند بئر يقال له بئر معونة فقال القوم والله ما إيا كم أردنا وانما نحن مجتازون في حاجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا في صلاة الغداة فذلك بدء القنوت وما كنا نقنت فهذا يدل على أنه لم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم القنوت دائما وقول أنس فذلك بدء القنوت مع قوله قنت

وتذكيرا عند حدوث سببه خوف نسيانه ثم ذكر منه آية الروح فان سورة الاسراء مكية وسبب نزولها يدل على أنها نزلت بالمدينة ولذا أشكل ذلك على بعضهم ولا اشكال لانها نزلت مرة بعد مرة انتهى (وقد اختلف في المراد بالروح المسؤل عنه في هذا الخبر) لان الروح جاء في التنزيل على معان (فقيل روح الانسان) الذي يحيا به البدن وقيل روح الحيوان (وقيل جبريل) كقوله فارسلنا اليها روحنا (وقيل عيسى) كقوله وروح منه وقيل القرآن كقوله وكذلك أوحينا اليك روحا وقيل الوحي كقوله يلقي الروح من أمره (وقيل ملك يقوم وحده صفا يوم القيامة وقيل غير ذلك) فقيل ملك له أحد عشر ألف جناح ووجه وقيل ملك له سبعون ألف لسان وقيل سبعون ألف وجه في كل وجه سبعون ألف لسان لكل لسان ألف لغة يسبح الله بكلها يخلق بكل تسبيحة ملكا يطير مع الملائكة وقيل ملك رجلاه في الارض السفلى ورأسه عند قائمة العرش وقيل خلق كخلق بني آدم يقال لهم الروح يأكلون ويشربون لا ينزل ملك من السماء الا ومعه واحد منهم وقيل خلق يرون الملائكة ولا تراهم الملائكة كالملائكة لبني آدم كذا ذكره ابن التين بزيادات من كلام غيره قال الحافظ وهذا انما اجتمع من كلام أهل التفسير في معنى لفظ الروح الوارد في القرآن لا في خصوص هذه الآية فمنه نزل به الروح وكذلك أوحينا اليك روحا يلقي الروح من أمره وأيدهم بروح منه يوم يقوم الروح تنزل الملائكة والروح فالاول جبريل والثاني القرآن والثالث الوحي والرابع القوة والخامس والسادس محتمل لجبريل ولغيره وورد اطلاق روح الله على عيسى وروى اسحق يعني ابن راهويه في تفسيره باسناد صحيح عن ابن عباس قال الروح من أمر الله وخلق من خلق الله وصور كبني آدم لا ينزل ملك الا ومعه واحد من الروح انتهى (قال القرطبي الراجح) وهو قول الاكثر (انهم سألوه عن روح الانسان لان اليهود لا تعترف بأن عيسى روح الله) واضح وأما قوله (ولا تجهل أن جبريل ملك وأن الملائكة أرواح) فغير واضح اذ سؤالهم تعنت وامتحان لا استفهام كما هو معلوم وجنح ابن القيم في كتاب الروح الى ترجيح أن الروح المسؤل عنه ما وقع في قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال فأما أرواح بني آدم فلم تسم في القرآن الا نفسا قال الحافظ ولا دلالة فيه لما رجحه بل الراجح الاول فقد أخرج الطبري من طريق العوفي عن ابن عباس انهم قالوا أخبرنا عن الروح وكيف يعذب الروح الذي في الجسد وانما الروح من الله فنزلت الآية (وقال الامام فخر الدين) الرازي (المختار انهم سألوه عن الروح الذي هو سبب الحياة وأن الجواب وقع على أحسن الوجوه وبيانه أن السؤال عن الروح يحتمل) انه عن (ماهيته) أي حقيقته (وهل هي متميزة) منفصلة عن البدن غير حالة فيه تتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق وتدبر أمره على وجه لا يعلمه الا الله كما قاله الغزالي والحكماء وكثير من الصوفية (أم لا) بل حالة فيه حلول الزيت في الزيتون كما قال جمهور أهل السنة (وهل هي حالة في متحيز أم لا وهل هي قديمة) كما قال الزنادقة (أم حادثة) مخلوقة كما أجمع عليه أهل السنة وممن نقل الاجماع محمد بن نصر المروزي وابن قتيبة ومن الادلة عليه قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة والمجندة لا تكون الا مخلوقة (وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد) بالموت وهو الصحيح والاخبار به طافحة ففي فنائها عند القيامة ثم عودها توفية بظاهر قوله تعالى كل من عليها فان وعدمه بل تكون مما استثنى الله في قوله الا من شاء الله قولان حكاهما السبكي في تفسيره وقال الاقرب الثاني (أو تفنى) كما قال الفلاسفة وشرذمة قليلة من الاندلسيين وشدد عليهم النكير ورد عليهم بما أخرجه ابن عساكر عن سحنون انه ذكر عنده رجل يذهب الى أن الارواح تموت بموت الاجساد فقال معاذ الله هذا قول أهل البدع وقال ابن القيم الصواب انه أن أريد بذوقها للموت مفارقتها للجسد فنعم هي ذائقة الموت بهذا المعنى وان أريد أنها تعدم فلا بل هي باقية باجماع

شهرا ثم تركه فدل على أنه أراد بما أثبته من القنوت قنوت النوازل وهو الذي وقته بشهر وهذا كما قنت في صلاة العتمة شهرا كما في الصحيحين عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت في صلاة العتمة شهرا يقول في قنوته اللهم أنج الوليد بن الوليد اللهم أنج سلمة بن هشام اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة اللهم أنج المستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف قال أبو هريرة وأصبح ذات يوم فلم يدع لهم فذكرت ذلك له فقال أوما تراهم قد قدموا فقنوته في الفجر كان هكذا سواء لاجل أمر عارض ونازلة ولذلك وقته أنس بشهر وقد روى عن أبي هريرة أنه قنت لهم أيضا في الفجر شهرا وكلاهما صحيح وقد تقدم ذكر حديث عكرمة عن ابن عباس قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا متتابعا في الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح ورواه أبو داود وغيره وهو حديث صحيح

في تعيم أو عذاب (وما حقيقة تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك من متعلقاتها قال وليس في السؤال ما يخصص أحد هذه المعاني الا أن الاظهر أنهم سألوه عن الماهية وهل الروح قديمة أو حادثة والجواب) الصادر من الله لنبيه (يدل على انها شئ موجود مغاير للطبائع) جمع طبيعة وهي مزاج الانسان المركب من الاخلاط كما في المصباح ونحوه في القاموس (والاخلاط) جمع خلط قال في القاموس أخلاط الانسان أمزجته الاربعة (وتركيبها فهو جوهر بسيط مجرد لا يحدث الا بمحدث وهو قوله تعالى كن) قيل هو عبارة عن سرعة الحصول أي متى تعلقت ارادته تعالى بشئ كان وقيل اذا أراد شيأ قال قولا نفسانيا له كن فيكون وعليه فكن علامة وسبب لوجود ما أراده تعالى (فكأنه قال هي موجودة محدثة بأمر الله وتكوينه) ايجاده فهو تفسير للامر (ولها تأثير في افادة الحياة للجسد) بجعل الله تعالى اياها سببا في وجود الحياة فلا ينافي أن التأثير انما هو بارادته تعالى وخلقه (ولا يلزم من عدم العلم بكيفيتها المخصوصة نفيه قال ويحتمل أن يكون المراد بالامر في قوله من أمر ربي الفعل كقوله تعالى وما أمر فرعون برشيد) أي مرشد أو ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح (أي فعله فيكون الجواب انها حادثة ثم قال سكت السلف على البحث في هذه الاشياء والتعمق فيها انتهى) كلام الرازي (وقال في فتح الباري) في التفسير بعد نقله كلامي القرطبي والرازي المذكورين (وقد تنطع قوم) من جميع الفرق أي تعمقوا وبالغوا في الكلام وخرجوا عن الحد في معرفة ماهية الروح (فتباينت أقوالهم) قال بعضهم وما ظفروا بطائل ولا رجعوا بنائل (فقيل هي النفس الداخل الخارج) وعزي للاشعري (وقيل جسم لطيف يحل) بضم الحاء (في جميع البدن) ويسري فيه سريان ماء الورد فيه وهذا اعتمده عامة المتكلمين من أهل السنة كما قال المصنف وهو أقرب الاقوال (وقيل هي الدم) أسقط من الفتح وقيل هي عرض قبل قوله (وقيل ان الاقوال فيها بلغت المائة) وقيل هي أكثر من ألف قول قال ابن جماعة وليس فيها قول صحيح بل هي قياسات وتخيلات عقلية (ونقل ابن منده عن بعض المتكلمين أن لكل نبي خمسة أرواح) فانه حياتهم روح وما ثبت في قلوبهم من الايمان روح وما ترقوا به من معرفة الله وهداياتهم الى الاعمال الصالحة واجتنابهم المناهي روح ويشاركهم المؤمنون في الثلاثة وهو المراد بقوله (ولكل مؤمن ثلاثة) وأيدت الانبياء زيادة عليهم بقبول وحي الله ويسمى روح الحياة القلوب به وبقوة خلقها الله فيهم فيتمكنون بها من سماع كلامه تعالى بلا واسطة فيتحققون انه ليس من جنس كلام البشر ذكر الخمسة هذه ابن القيم في كتاب الروح ملخصا ولا تشكل الاخيرة بأن الكلام لم يقع للجميع لانه لا يلزم من خلق القوة وقوعه بالفعل وهذا أولى من تفسير ثلاثة المؤمن بما ذكره الانصاري في شرح الرسالة القشيرية ان في باطن الجسد روح اليقظة وهي التي مادامت فيه كان متيقظا فاذا فارقته نام ورأى المرائي وروح الحياة التي مادامت فيه كان حيا فاذا فارقته مات فالنوم انقطاع الروح عن ظاهر البدن فقط والموت انقطاعه عن ظاهره وباطنه وروح الشيطان ومقرها الصدر لقوله تعالى الذي يوسوس في صدور الناس انتهى لان هذه الثلاثة لا تخص المؤمن بل يشاركه الكافر (ولكل حي واحدة) بقية نقل ابن منده كما في الفتح وان سقط في كثير من نسخ المصنف ونقل ابن القيم عن طائفة ان للكافر والمنافق روحا واحدة وقال أما الروح التي تتوفى وتقبض فواحدة وما زاد عليها انما سمي روحا مجاز والمراد خاصة نسبتها الى الروح الحياة كنسبة الروح الى الجسد فانه انما يحس ويدرك ويقوى بحلولها فيه فاذا فقدها كان بمنزلة الجسد اذا فقد روحه قال ويسمى قوى البدن روحا فيقال الروح الباصر والسامع والشام ويطلق على أخص من هذا كله وهو قوة معرفة الله والانابة اليه وانبعاث الهمة الى طلبه وارادته فللعلم روح وللاجساد روح وللاخلاص روح انتهى زاد البقاعي ولكل من التوكل والمحبة والصدق

وقد ذكر الطبراني في معجمه من حديث محمد ابن أنس حدثنا مطرف ابن طريف عن أبي الجهم عن البراء بن عازب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلي صلاة مكتوبة الا قنت فيها قال الطبراني لم يروه عن مطرف الا محمد بن أنس انتهى وهذا الاسناد وان كان لا يقوم به حجة فالحديث صحيح من جهة المعنى لان القنوت هو الدعاء ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصل صلاة مكتوبة الا دعا فيها كما تقدم وهذا هو الذي أراده أنس في حديث أبي جعفر ان صح أنه لم يزل يقنت حتى فارق الدنيا ونحن لا نشك ولا نرتاب في صحة ذلك وان دعاءه استمر في الفجر الى أن فارق الدنيا * الوجه الرابع ان طرق أحاديث أنس تبين المراد ويصدق بعضها بعضا ولا تتناقض وفي الصحيحين من حديث عاصم الاحول قال سألت أنس بن مالك عن القنوت في الصلاة قال نعم فقلت كان قبل الركوع أو بعده قال قبله قلت وان فلانا أخبرني عنك انك قلت قنت بعده قال كذب انما قلت قنت رسول الله صلى الله

روح والناس متفاوتون فمن غلب عليه الارواح صار روحانيا ومن فقدها أو أكثرها صار أرضيا مهينا (وقال) القاضي محمد أبو بكر (بن العربي) الحافظ المشهور (اختلفوا في الروح والنفس فقيل متغايران) كما عليه فرقة محدثون وفقهاء وصوفية قال السهيلي ويدل عليه فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقوله تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك فانه لا يصح جعل أحدهما موضع الآخر ولولا التغاير لساغ ذلك ولذا رجحه ابن العربي فقال (وهو الحق) فالنفس تخرج في النوم والروح في الجسد والنفس لا تريد الا الدنيا والشيطان معها والروح تدعو الى الآخرة والملك معها (وقيل هما شئ واحد) قاله الاكثرون وهو الصحيح كما قال ابن القيم والسيوطي وسبقهما الامام أبو الوليد بن رشد أحد أئمة المالكية فقال انه الصواب وجزم به ابن السبكي وأقره شارحوه وقيل لابن آدم نفس مطمئنة ولوامة وأمارة قال الصفوي والتحقيق انها واحدة لها تسمى باعتبار كل صفة باسم (قال) أى ابن العربي (وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس) حقيقة على الثاني ومجازا على الاول قال ابن العربي كما يعبر عن الروح وعن النفس بالقلب وبالعكس حتى يتعدى ذلك الى غير العقلاء بل الجماد مجازا (قال) العلامة أبو الحسن على بن خلف (بن بطال القرطبي شارح البخاري أحد شيوخ ابن عبد البر كان من أهل العلم والمعرفة والفهم عني بالحديث العناية التامة وأتقن ما قيد ومات سنة أربع وأربعين وأربعمائة (معرفة حقيقتها مما استأثر الله بعلمه بدليل هذا الخبر) كالقرآن وتلك الاقوال تنطع (قال والحكمة في ابهامه) أى عدم بيان حقيقته (اختبار) بموحدة (الخلق ليعرفهم عجزهم عن علم ما لا يدركونه حتى يضطرهم) يلجئهم (الى رد العلم اليه) وأبدلت التاء طاء لوقوعها بعد الضاد (وقال القرطبي الحكمة في ذلك اظهار عجز المرء لانه اذا لم يعلم حقيقة نفسه مع القطع بوجوده كان عجزه عن ادراك حقيقة الحق من باب اولى) ذكره بعد سابقه اشارة الى أن الاختبار اذا نسب الى الحق كان مستعملا في لازمه وهو اظهار عجز المخبر لان الاختبار الامتحان والقصد به طلب بيان ما عليه المختبر وانما يكون ممن لا يعلم حقيقة الحال لا من العليم بما في الصدور (وقال بعضهم ليس في الآية) ولا في الحديث (دلالة على أن الله لم يطلع نبيه على حقيقة الروح بل يحتمل أن يكون أطلعه ولم يامره ان يطلعهم) بل أمره بعدم اطلاعهم وذكر في الانموذج هذا الاحتمال قولا قال شارحه والصحيح خلافه (وقد قالوا في علم الساعة) وباقي الخمس المذكورة في آية ان الله عنده علم الساعة (نحو هذا) يعني انه أوتي علمها ثم أمر بكتمها قال بعضهم وظاهر الاحاديث يأباه (فالله أعلم) بحقيقة ذلك (انتهى) كلام الفتح (ملخصا) وفيه بعد هذا وممن راى الامساك عن ذلك الاستاذ أبو القاسم القشيري فقال بعد كلام الناس في الروح وكان الاولى الامساك عن ذلك والتأدب بأدبه صلى الله عليه وسلم وقد قال الجنيد انها مما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه فلا تجوز العبارة عنه بأكثر من موجود وعلى ذلك جرى ابن عطية وجمع من أهل التفسير وأجاب من خاض في ذلك بأن اليهود سألوا عنها سؤال تعجيز وتغليط لكونه يطلق على أشياء فأضمروا انه بأى شئ أجاب قالوا ليس هذا المراد فرد الله كيدهم وأجابهم جوابا مجملا كسؤالهم المجمل وقال السهروردي يجوز أن من خاض فيها سلك التأويل لا التفسير اذ لا يسوغ الا نقلا أما التأويل فتمتد العقول اليه بذكر ما تحتمل الآية من غير قطع بأنه المراد وقد خالف الجنيد ومن تبعه جماعة من متأخري الصوفية فأكثروا من القول في الروح وصرح بعضهم بمعرفة حقيقتها وعاب من أمسك عنها انتهى ثم ذكر المصنف بعض ما أوذي به المسلمون سنة الله في الذين خلوا من قبل كما قال تعالى الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم الآية يقال نزلت في عمار وفي البخاري عن خباب أتيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم بعد الركوع شهرا وقد ظن طائفة ان هذا الحديث معلول تفرد به عاصم وسائر الرواة عن أنس خالفوه فقالوا عاصم ثقة جدا غير انه خالف أصحاب أنس في موضع القنوتين والحافظ قد يهم والجواد قد يعثر وحكوا عن الامام أحمد تعليله فقال الاثرم قلت لابي عبد الله يعني أحمد بن حنبل أيقول أحد في حديث أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قنت قبل الركوع غير عاصم الاحول فقال ما علمت أحدا يقوله غيره قال أبو عبد الله خالفهم عاصم كلهم هشام عن قتادة عن أنس والتيمي عن أبي مجلز عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قنت بعد الركوع وأيوب عن محمد قال سألت أنسا وحنظلة السدوسي عن أنس أربعة وجوه وأما عاصم فقال قلت له فقال كذبوا انما قنت بعد الركوع شهرا قيل له من ذكره عاصم قال أبو معاوية وغيره قيل لابي عبد الله وسائر الاحاديث أليس انما هي بعد الركوع فقال بل كلها عن خفاف بن ايماء ابن رحضة وأبي هريرة قلت لابي عبد الله فلم

عليه وسلم وهو متوسد برده فى ظل الكعبة ولقد لقينا من المشركين شدة شديدة فقلت يا رسول الله ألا تدعو الله لنا فقعد محمرا وجهه فقال انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ويوضع المنشار على مفرق رأس أحدهم فيشق ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الله والذئب على غنمه انتهى الا أن المصنف يشعر بأنه بعد اسلام حمزة وبعث المشركين الى اليهود وليس بمراد لان اسلام حمزة فى السادسة والهجرة الاولى فى الخامسة نعم يأتى على ان اسلامه فى الثانية فقال (ولما كثر المسلمون وظهر الايمان) لم يقل الاسلام مع أنه أنسب بالمسلمون ايماء الى أن ما صدقهما واحد اذ لا اعتداد بأحدهما دون الآخر شرعا فالاسلام النافع هو الانقياد ظاهرا وباطنا لاجابة النبى صلى الله عليه وسلم ولا يتحقق بدون الايمان كما أن الايمان الذى هو التصديق لا اعتداد به شرعا بدون انقياد (أقبل كفار قريش) أى التفتوا وسعوا الا الاقبال بالوجه (على من آمن) باغراء أبى جهل (يعذبونهم) بأنواع العذاب ان لم يكن لهم قوة ومنعة (ويؤذونهم) التوبيخ بالكلام ونحوه لمن له منعة كما روى ان أبا جهل كان اذا سمع برجل أسلم وله شرف ومنعة لامه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنغلبن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال لنكسدن تجارتك ولنهلكن مالك وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به واستمر الملعون فى اذاه (حتى انه) بكسر الهمزة (مر عدو الله أبو جهل بسمية) بضم المهملة مصغرا احدى السابقات كانت سابع سبعة فى الاسلام (أم عمار بن ياسر وهى تعذب) هى وابناها عمار وعبد الله وأبوهما ياسر بن عامر كما رواه البلاذرى عن أم هانئ قالت فمر بهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال صبرا آل ياسر فان موعدكم الجنة فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية لابى جهل (فطعنها فى فرجها) بحربة وهى عجوز كبيرة (فقتلها) ورمى عبد الله فسقط وقد روى ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد ان سمية أول شهداء الاسلام وروى ابن عبد البر عن ابن مسعود ان أبا جهل طعن بحربة فى فخذ سمية ام عمار حتى بلغت فرجها فماتت فقال عمار يا رسول الله بلغ منا أو بلغ منها العذاب كل مبلغ فقال صلى الله عليه وسلم اصبر أبا اليقظان اللهم لا تعذب من آل ياسر أحد بالنار وأما عمار ففرج الله عنه بعد طول تعذيبه فقد جاء انه كان يعذب حتى لا يدرى ما يقول ورئى فى ظهره أثر كالمخيط فسئل فقال هذا ما كانت تعذبنى قريش فى رمضاء مكة وجاء انهم أحرقوه بالنار فمر صلى الله عليه وسلم به فامر يده عليه وقال يا نار كونى بردا وسلاما على عمار كما كنت على ابراهيم (وكان الصديق اذا مر بأحد من العبيد يعذب) أراد ما يشمل الاناث لكونهن فيهم (اشتراه منهم) من ساداتهم المعذبين لهم (وأعتقه) ابتغاء وجه ربه الاعلى (منهم) من العبيد الذين اشتراهم (بلال) بن رباح براء مفتوحة فموحدة خفيفة فألف فمهملة الحبشى على المشهور وهو ما رواه الطبرانى وغيره عن أنس وقيل النوبى ذكر ابن سعد أنه كان من مولدى السراة وكان مولى بعض بنى جمح ثم مولى الصديق روى ابن أبى شيبة بسند صحيح عن قيس بن أبى حازم أن أبا بكر اشتراه بخمس أواق وهو مدفون بالحجارة (وعامر بن فهيرة) بضم الفاء وفتح الهاء واسكان التحتانية وفتح الراء فتاء تأنيث أسلم قديما روى الطبرانى عن عروة انه كان ممن يعذب فى الله فاشتراه أبو بكر وأعتقه وكذا اشترى أبا فكيهة ذكر ابن اسحق انه أسلم حين أسلم بلال فعذبه أمية بن خلف فاشتراه أبو بكر فأعتقه واشترى أيضا حمامة بفتح المهملة وخفة الميم أم بلال وجارية بنى المؤمل قال فى الاصابة وردت فى غالب الروايات غير مسماة وسماها البلاذرى لبينة أى بلام وموحدة تصغير لبنة والنهدية وابنتها وزبيرة وأمة بنى زهرة (وعن أبى ذر كان أول من أظهر الاسلام) اظهارا تاما لا اخفاء معه بحيث لا يبالى بمن علم به (سبعة) فلا ينافى اسلام

يرخص اذا فى القنوت قبل الركوع وانما صح الحديث بعد الركوع فقال القنوت فى الفجر بعد الركوع وفى الوتر يختار بعد الركوع فلا بأس لفعل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واختلافهم فاما فى الفجر فبعد الركوع فيقال من العجب تعليل هذا الحديث الصحيح المتفق على صحته ورواه أئمة ثقات اثبات حفاظ والاحتجاج بمثل حديث أبى جعفر الرازى وقيس ابن الربيع وعمرو بن أيوب وعمرو بن عبيد ودينار وجابر الجعفى وقل من تحمل مذهبا وانتصر له فى كل شئ الا اضطر الى هذا المسلك فنقول وبالله التوفيق أحاديث أنس كلها صحاح يصدق بعضها بعضا ولا تتناقض والقنوت الذى ذكره قبل الركوع غير الذى ذكره بعده والذى وقته غير الذى أطلقه فالذى ذكره قبل الركوع هو اطالة القيام للقراءة الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة طول القنوت والذى ذكره بعده هو اطالة القيام للدعاء فعله شهرا يدعو على قوم ويدعو لقوم ثم

كثير بن غيرهم واظهار بعضهم لبعض خفاء (رسول الله صلى الله عليه وسلم) دعا الى الله وليس ثم من يوحده وهذا من أقوى شجاعته (أبو بكر) كانت له اليد العليا في الاسلام وعادى قومه بعدما كان محببا فيهم ودفع عن المصطفى قولا ويدا ودعا الى الله وحسبه أن فضلاء الصحابة أسلموا على يده (وعمار) ابن ياسر المملوء ايمانا الصابر على البلوى أولا وآخرا المجاهد في الله حق جهاده وروى الطبراني في الكبير عنه قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن والانس أرسلني الى بئر بدر فلقيت الشيطان في صورة الانس فصارعني فصرعته فجعلت أدقه بفهير أو حجر معي فقال صلى الله عليه وسلم عمار لقي الشيطان عند البئر فقاتله فرجعت فأخبرته فقال ذاك الشيطان (وأمه سمية) بنت سلم قاله ابن سعد وقال شيخه الواقدي بنت خباط بمعجمة مضمومة وموحدة ثقيلة ويقال بمثناة تحتية وعند الفاكهي بنت خبط بفتح أوله بلا ألف مولاة أبي حذيفة بن المغيرة وكان ياسر حليفا له فزوجه سمية فولدت عمارا فأعتقه (وصهيب) بضم المهملة وفتح الهاء وتحتية ساكنة فموحدة ابن سنان الرومي مولى عبد الله بن جدعان أسلم هو وعمار في يوم واحد بعد بضع وثلاثين رجلا على يد المصطفى ومكثا عنده بقية يومهما ثم خرجا مستخفيين فدخل عمار على أبويه فسألاه أين كان فأخبرهما باسلامه وقرأ عليهما ما حفظ من القرآن في يومه ذلك فأعجبهما فأسلما على يده فكان صلى الله عليه وسلم يسميه الطيب المطيب (وبلال) المؤذن (والمقداد) بن عمرو المعروف بابن الاسود لانه تبناه شهد بدرا والمشاهد كلها (فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله) من أذية الكفار البالغة المتوالية فلا ينافي وطء عقبة رقبته وسب أبي جهل ونحو ذلك (بعمه أبي طالب) وبغيره كبعث جبريل في صورة فحل ليلتقم أبا جهل لما أراد أذاه ورؤيته أفق السماء سد عليه لما نذر أن يطأ عنقه الشريف ورؤيته رجالا عن يمينه وعن شماله معهم رماح حتى قال لو خالفته لكانت اياها أي لأتوا على نفسه لما أخذ صلى الله عليه وسلم بظلامة الزبيدي في جماله التي كان أكسدها عليه وظلمه فأقبل اليه المصطفى وقال يا عمرو اياك أن تعود لمثل ما صنعت فترى مني ما تكره فجعل يقول لا أعود لا أعود كما بين في الأخبار وكسترها له بجناحه لما أرادته امرأة أبي لهب فلم تره وغير ذلك من الآيات البينات (وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه) من الاذى المتوالي (وأما سائرهم) أي باقيهم (فأخذهم المشركون يعذبونهم فألبسوهم أدراع الحديد) جمع درع ولعل الاضافة للاحتراز عن نحو القمص (وصهروهم) بفتح الهاء مخففا طرحوهم (في الشمس) لتؤثر حرارتها فيهم (وان بلالا) بكسر الهمزة استئناف (هانت نفسه عليه في الله عز وجل) فلم يبال بتعذيبهم وصبر على أذاهم (وهان على قومه) أي مواليه (فأخذوه فأعطوه الولدان) جمع وليد (فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول أحد أحد) قال البرهان مرفوع منون كذا أحفظه وكذا هو في أصلنا من سنن ابن ماجه خبر مبتدا محذوف أي الله أحد كانه يشير الى اني لا أشرك بالله شيأ ويحتمل انه مرفوع غير منون أي يا أحد قال شيخنا وأما النطق به حكاية لكلام بلال فالظاهر أنه بالسكون لكونه موقوفا عليه غير موصول بما يقتضي تحريكه (رواه أحمد في مسنده وعن مجاهد مثله) وفيه انه نزل فيهم ثم ان ربك الآية وأخرجه بقي بن مخلد في مسنده لكنه أبدل المقداد بخباب (وزاد) مجاهد (في قصة بلال وجعلوا في عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل في عنقه) ليرجع الى الكفر والله يعينه وحسبه بهذا منقبة قال عمر أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا وقال صلى الله عليه وسلم لبلال سمعت دق نعليك في الجنة رواهما البخاري (فتأمل كيف) تأمل صفته مع صبره فليست كيف للاستفهام أوهي له بتقدير مضاف أي انظر جواب السائل عن حاله بقوله كيف (فعل ببلال ما فعل من الاكراه على الكفر) بيان لما (وهو يقول أحد أحد فمزج) خلط (مرارة العذاب) مشقته وألمه (بحلاوة الايمان) أي الراحة الحاصلة به فهو

استمر يطيل هذا الركن للدعاء والثناء الى أن فارق الدنيا كما في الصحيحين عن ثابت عن أنس قال اني لا أزال أصلي بكم كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بنا قال وكان أنس يصنع شيأ لا أراكم تصنعونه كان اذا رفع رأسه من الركوع انتصب قائما حتى يقول القائل قد نسي واذا رفع رأسه من السجدة مكث حتى يقول القائل قد نسي فهذا هو القنوت الذي مازال عليه حتى فارق الدنيا ومعلوم انه لم يكن يسكت في مثل هذا الوقوف الطويل بل كان يثني على ربه ويمجده ويدعوه وهذا غير القنوت الموقت بشهر فان ذلك دعاء على رعل وذكوان وعصية وبني لحيان ودعاء للمستضعفين الذين كانوا بمكة وأما تخصيص هذا بالفجر فبحسب سؤال السائل فانما سأله عن قنوت الفجر فاجابه عما سأله عنه وأيضا فانه كان يطيل صلاة الفجر دون سائر الصلوات ويقرأ فيها بالستين الى المائة وكان كما قال البراء بن عازب ركوعه واعتداله وسجوده وقيامه متقاربا

استعارية تبصر بحبية فشبه تحمله ألم العذاب بين خلط الصبر ونحوه بنحو سكر فسهل عليه تناوله على أن في كون هذه الحلاوة حقيقية لاولياء الله أو استعارة خلافا بسطه المصنف في مقصد المحبة (وهذا كما وقع له أيضا عند موته كانت امرأته تقول واحرباه) روى بفتح الحاء والراء المهملتين والموحدة من الحرب بالتحريك وهو كما في النهاية نهب مال الانسان وتركه لاشئ له و بفتح الحاء والزاى ونون و بضم الحاء وسكون الزاى وروى واحوباه بفتح الحاء وسكون الواو فموحدة من الحوب وهو الاثم والمراد انها بشدة جزعها وقلقها في المصيبة أومن الحوبة بمعنى رقة القلب وهو تكلف كما في النسيم (وهو يقول واطرباه) أي فرحاه (غدا ألقى الاحبه *) الذين طال شوقي اليهم (محمدا وصحبه * فمزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در أبي محمد الشقراطسي حيث قال) في قصيدته المشهورة (لاقى بلال بلاء من أمية قد *) وروى اذا (أحله) من الحلول بالمكان (الصبر فيه) أي أحله الصبر على البلاء الذي كان يعذب به لما أسلم ليرجع عن دينه فما أعطاهم كلمة مما يريدون ففي بمعنى على (أكرم) بالنصب على الظرف مواضع (النزل) وهو طعام الضيف الذي يكرم به اذا نزل وأكرم تلك المواضع هو الجنة قال تعالى الذي أحلنا دار المقامة من فضله وفسر ما لاقاه بقوله (اذ) ظرف لقوله لاقى أو أحله (اجهدوه) حملوه فوق طاقته من العذاب من الجهد وهو المشقة (بضنك) ضيق (الاسر وهو على * شدائد الازل) بفتح الهمزة وبالزاى واللام الحبس والتضييق (ثبت) مصدر بمعنى اسم الفاعل (الازر) بزاى فراء القوة أي ثابت القوة (لم يزل) بفتح الزاى من زال أخت كان وبضمها أي لم يزل عن ذلك و بين سبب ذلك بقوله (ألقوه بطحا) مفعول مطلق أي القاء و بطح على وجهه أو حال من ضمير الفاعل أي باطحين أو المفعول أي مبطوحا (برمضاء) بفتح الراء وسكون الميم وضاد معجمة ممدود أي بارض اشتد وقع الشمس فيها سواء كان بها رمل أو حصى أو غيرهما قاله أبو شامة وفي النور الرمضاء الرمل اذا اشتدت حرارته (البطاح) جمع بطحاء أو أبطح على غير القياس اذ قياس أبطح أباطح و بطحاء بطحاوات والكل مستعمل والاضافة من الاعم الى الاخص كشجر أراك أي في أرض شديدة الحر هي أودية واسعة (وقد * عالوا) مثل أعلوا أي رفعوا (عليه صخورا راجحة الثقل) أي كثيرته وألقوها عليه وأخرج الزبير بن بكار وأبو الفتح اليعمري عن عروة قال مر ورقة بن نوفل على بلال وهو يعذب يلصق ظهره برمضاء البطحاء في الحر وهو يقول أحد أحد فقال يا بلال صبرا يا بلال صبرا لم تعذبونه فوالذي نفسي بيده لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا يقول لا تمسحن به واستأنف قوله (فوحد الله) حال كون توحيده (اخلاصا) أو هو مفعول مطلق في موضع توحيدا لأنه بمعنى يوحد قال ابو شامة و يجوز ان يكون فوحد الله في موضع الحال من ألقوه أو من عليه أي في حال توحيده لله ورده شيخنا بان الحال لا تقع جملة الاخبر بغير مصدرة بعلم استقبال مرتبطة بالواو والضمير أو بالواو فقط كما هو مقرر (و) الحال انه (قد ظهرت * بظهره كندوب) جمع ندب بفتح الدال أي آثار وقيل أثر الجرح اذا لم يرتفع عن الجلد (الطل) المطر الضعيف (في الطلل) ما شخص من آثار الديار على وجه الارض وقد يعبر به عن محل القوم ومنزلهم وهو مراده هنا فكأنه يقول أثر التعذيب في ظهره كما أثر المطر في الاطلال فخدد أرضها ومحا وسومها قاله الطرابلسي قال أبو شامة واذا كان المطر ضعيفا ظهرت آثار نقطه في الارض (ان قد نظهر ولي الله من دبر * قد قد قلب عدو الله من قبل) فيه كما قال أبو شامة من البديع اللفظي والمعنوي ذكر المتصفين في الآيتين ان كان قميصه قد من قبل وان كان قميصه قد من دبر وجعل صفة بلال الصفة التي كان عليها نبي الله يوسف والصفة المكروهة صفة الكافر أمية فاضاف الى كل ما يليق بحاله والتجانس بين قد وقد و بين قلب عدو الله ومن قبل وذكر القلب دون غيره من أعضاء الجسد مبالغة في تقطيعه بالسيوف أي انها وصلت الى قلبه فقدته والمقابلة بين ولي الله

وكان يظهر من تطويله بعد الركوع في صلاة الفجر ما لا يظهر في سائر الصلوات بذلك ومعلوم انه كان يدعو ربه ويثني عليه ويمجده في هذا الاعتدال كما تقدمت الاحاديث بذلك وهذا قنوت منه لا ريب فنحن لم نشك ولا نرتاب انه لم يزل يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا ولما صار القنوت في لسان الفقهاء وأكثر الناس هو هذا الدعاء المعروف اللهم اهدني فيمن هديت الى آخره وسمعوا انه لم يزل يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا وكذلك الخلفاء الراشدون وغيرهم من الصحابة حملوا القنوت في لفظ الصحابة على القنوت في اصطلاحهم ونشأ من لا يعرف غير ذلك فلم يشك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه كانوا مداومين عليه كل غداة وهذا هو الذي نازعهم فيه جمهور العلماء وقالوا لم يكن هذا من فعله الراتب بل ولا يثبت عنه انه فعله وغاية ما روى عنه في هذا القنوت انه علمه لحسن بن علي كما في المسند والسنن الاربع عنه قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات

وعدوّ الله وظهر وقلب اذا انقلب من أعضاء الباطن والظهر بخلافه والاشارة بقوله من دبر الى أن تعذيبه كانت صورته صورة من أتى من وراء غيلة لانه عذب بعد أن بطح وألقى عليه الصخر وعدوّ الله أتى من قبل وجهه لاغيلة ولاخديعة (يعنى ان كان ظهر ولى الله بلال قد ظهر فيه التعذيب بقده فقد جوزى عدوّ الله أمية وقد قلبه ببدر لانه قتل يومئذ) وكان السيف وصل الى قلبه فقده كما مر وأشار الى أن حذف الفاء للضرورة لانه من المواضع التى يجب اقتران الجواب فيها بالفاء لان الشرط ماض مقرون بقد وبه جزم الطرابلسى وقال أبو شامة أو هو جواب قسم محذوف فلا تلزم الفاء نحو وان أطعتموهم انكم لمشركون لكن حذف لام القسم أى لقد قد وجواب الشرط محذوف لانه اذا قدر القسم قبله يكون مما اجتمع فيه الشرط والقسم فيحذف جواب المتأخر منهما اه قال ويجوز انه عبر بقد قلبه عن همه ووجعه وتألمه وجزعه باخبار سعد بن معاذ اياه بمكة ان النبى صلى الله عليه وسلم يقتله ففزع لذلك فزعا شديدا ولم يخرج لبدر الا كرها كما فى الصحيح أو عبر بقد قلبه عن انفلاقه وتقطعه حسرة وغيظا لمشاهدته قتل صناديدهم يوم بدر واختلال أمرهم وعلو كلمة الاسلام وأسره هو ثم قتله وعذاب بلال كان غير مشعر بشئ من ذلك فكانه من وراء وعذاب أمية مباشرة مواجهة فقال فيه من قبل وفى بلال من دبر وهذا معنى دقيق انتهى (وكان عبد الرحمن بن عوف قد أسره يومئذ وأراد استبقاءه لاخوة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح بأعلى صوته) وكان حسنا نديا فصيحا وما روى سين بلال عند الله شين انكره الحافظ المزى وغيره (يا أنصار الله) خصهم لمزيد اعتنائهم بالنصرة ومعاهدتهم المصطفى عليها وخشية أن المهاجرين لايعينونه عليه اكراما لعبد الرحمن (رأس الكفر) قال السيوطى وغيره بالنصب على الاغراء والرفع على حذف المبتدأ أى هذا (أمية بن خلف لانجوت ان نجا) وفى البخارى عن عبد الرحمن فلما خشيت أن يلحقونا خلفت لهم ابنه عليا لاشغلهم فقتلوه ثم تبعونا وكان رجلا ثقيلا فلما أدركونا قلت له ابرك فبرك فألقيت عليه نفسى لامنعه (فنهسوه) تناولوه (بأسيافهم حتى قتلوه) ففيه استعارة تصريحية تبعية شبه ضربهم بالسيوف بالنهس بالمهملة أخذ اللحم بمقدم الاسنان للاكل وبالمعجمة أخذه بالاسنان والاضراس وفى نسخة فنهبوه بموحدة وهو استعارة أيضا شبه ماذكر بالنهب وهو أخذ المال بالغلبة والقهر فظهر مصداق واعلم ان النصر مع الصبر صبر على تعذيبه له فكان قتله على يديه قبل فهناه الصديق بأبيات منها

هنيئا زادك الرحمن فضلا * فقد أدركت ثارك يا بلال

(وأخرج البيهقى عن عروة ان أبا بكر أعتق ممن كان يعذب فى الله سبعة) هم بلال وعامر بن فهيرة وأم عنيس بعين مهملة مضمومة فنون وقيل بموحدة فتحتية فسين مهملة أمة لبنى زهرة كالاسود بن عبد يغوث يعذبها وزنيرة والنهدية وبنتها والمؤملية كما فى سيرة ابن هشام وذكر ابن اسحق انه أعتق أبا فكيهة وابن عبد البر وغيره انه أعتق أم بلال فاقتصار عروة على سبعة باعتبار ما بلغه فلا ينافى انهم تسعة وأخرج الحاكم عن عبد الله بن الزبير قال قال أبو قحافة لابى بكر أراك تعتق رقابا ضعافا فلو انك أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال يا أبت انى انما أريد له عند الله فنزلت هذه الآية فيه فأما من أعطى واتقى الى آخر السورة (منهم الزنيرة) الرومية أمة عمر بن الخطاب أسلمت قبله فكان يضربها (فذهب بصرها) عميت من شدة العذاب (وكانت ممن يعذب فى الله) وروى الواقدى أن عمر وأبا جهل كانا يعذبانها (فتأبى الا الاسلام) وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون الى هؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى محمد خيرا وحقا ما سبقونا اليه أفتسبقنا زنيرة الى رشد وأخرج ابن المنذر عن عون بن أبى شداد قال كان لعمر أمة أسلمت قبله يقال لها زنيرة فكان يضربها على اسلامها حتى يفتر وكان كفار قريش يقولون لو كان خيرا

أخرجه أبو داود وغيره عن الحسن فى قنوت الوتر

اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت وتولنى فيمن توليت وبارك لى فيما أعطيت وقنى شر ما قضيت فانك تقضى ولا يقضى عليك انه لايذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت قال الترمذى حديث حسن ولا نعرف فى القنوت عن النبى صلى الله عليه وسلم شيأ أحسن من هذا وزاد البيهقى بعد ولا يذل من واليت ولا يعز من عاديت ومما دل على ان مراد أنس بالقنوت بعد الركوع هو القيام للدعاء والثناء ما رواه سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال حدثنا حنظلة امام مسجد قتادة قلت هو السدوسى قال اختلفت أنا وقتادة فى القنوت فى صلاة الصبح فقال قتادة قبل الركوع وقلت أنا بعد الركوع فأتينا أنس بن مالك فذكرنا له ذلك فقال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم فى صلاة الفجر فكبر وركع ورفع رأسه ثم سجد ثم قام فى الثانية فكبر وركع ثم رفع رأسه فقام ساعة ثم وقع ساجدا وهذا مثل حديث ثابت عنه سواء وهو يبين مراد أنس بالقنوت فانه ذكره دليلا

ماسبقتنا اليه زنيرة فأنزل الله في شأنها وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا الآية وروى نحوه ابن سعد عن الضحاك والحسن (فقال المشركون ما أصاب بصرها الا اللات والعزى) وعند البلاذري فقال لها أبو جهل انهما فعلا بك ما ترين فيحتمل انهم تبعوه في قوله (فقالت) وهي لا تبصر (والله ماهو كذلك) وما يدري اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربي قادر على أن يرد على بصري (فرد الله عليها بصرها) صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها أبو بكر فأعتقها (والزنيرة بكسر الزاي وتشديد النون المكسورة فتحتية فراء) (كسكينة كما في القاموس) قال الشامي وهي لغة الحصاة الصغيرة وروي زنيرة بفتح الزاي وسكون النون فوحدة انتهى وفي الاصابة زنيرة بكسر الزاي وشد النون المكسورة بعدها تحتية ساكنة الرومية ووقع في الاستيعاب زنبرة بنون وموحدة وزن عنبرة وتعقبه ابن فتحون وحكى عن مغازي الاموي بزاي ونون مصغرة من السابقات الى الاسلام وممن يعذب في الله انتهى والله أعلم

(الهجرة الاولى الى الحبشة)

(ثم أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه في الهجرة للحبشة) بالجانب الغربي من بلاد اليمن ومسافتها طويلة جدا وهم أجناس وجميع فرق السودان يعطون الطاعة لملك الحبشة وقال انهم من ولد حبش بن كوش بن حام قال ابن دريد جمع الحبش أحبوش بضم أوله وأما قولهم الحبشة فعلى غير قياس وقد قالوا أيضا حبشان وأحبش وأصل التحبيش التجميع ذكره في فتح الباري وعند ابن اسحق ان سبب الهجرة أنه صلى الله عليه وسلم لما رأى المشركين يؤذون أصحابه ولا يستطيع أن يكفهم عنهم قال لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة في الاسلام وروى عبد الرزاق عن معمر عن الزهري قال لما كثر المسلمون وظهر الاسلام أقبل كفار قريش على من آمن من قبائلهم يعذبونهم ويؤذونهم ليردوهم عن دينهم فبلغنا انه صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين تفرقوا في الارض فان الله سيجمعكم قالوا الى أين نذهب قال الى ههنا وأشار بيده الى أرض الحبشة (وذلك في رجب) بالصرف ولو كان معينا في المصباح رجب من الشهور مصروف (سنة خمس من النبوة) كما قاله الواقدي زاد فأقاموا شعبان وشهر رمضان وفيه كانت السجدة وقدموا في شوال من سنة خمس (فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا أحد عشر رجلا) عثمان بن عفان وعبد الرحمن والزبير بن العوام وأبو حذيفة بن عتبة هاربا من أبيه بدينه ومصعب وأبو سلمة بن عبد الاسد وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وأبو سبرة بن أبي رهم وحاطب بن عمرو العامري وابن مسعود كذا قال الحافظ قال في الفتح وهو غير مستقيم مع قوله أول كلامه كانوا احدى عشر فالصواب ما قال ابن اسحق انه اختلف في الحادي عشر هل هو أبو سبرة أو حاطب وجزم ابن اسحق بأن ابن مسعود انما كان في الهجرة الثانية ويؤيده ما عند أحمد باسناد حسن عنه قال بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ونحن نحو من ثمانين رجلا انتهى وقال أبو عمر اختلف في هجرة أبي سبرة الى الحبشة ولم يختلف في شهوده بدرا قال في النور ولم أر أحدا سماه (وقيل اثنى عشر رجلا) وجزم به في العيون والحافظ في سيرته الا أن الاول ترك الزبير وذكر سليط بن عمرو وأهمل الثاني حاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء وذكر بدلهما حاطب بن الحرث وهاشم بن عمرو (وأربع نسوة) السيدة رقية مع زوجها عثمان وسهلة بنت سهيل مع زوجها أبي حذيفة مراغمة لابيها فارة عنه بدينها فولدت له بالحبشة محمد بن أبي حذيفة وأم سلمة مع زوجها وليلى العدوية مع زوجها عامر بن ربيعة (وقيل وخمس نسوة) هؤلاء

لمن قال انه قنت بعد الركوع فهذا القيام والتطويل هو كان مراد أنس فاتفقت أحاديثه كلها وبالله التوفيق وأما المروي عن الصحابة فنوعان أحدهما قنوت عند النوازل كقنوت الصديق رضي الله عنه في محاربة الصحابة لمسيلمة وعند محاربة أهل الكتاب وكذلك قنوت عمر وقنوت علي عند محاربته لمعاوية وأهل الشام الثاني مطلق مراد من حكاه عنهم به تطويل هذا الركن للدعاء والثناء والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم) في سجود السهو ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وكان سهوه في الصلاة من اتمام نعمة الله على أمته واكمال دينهم ليقتدوا به فيما شرعه لهم عند السهو وهذا معنى الحديث المنقطع الذي في الموطأ انما أنسى أو أنسى لابين وكان صلى الله عليه وسلم ينسى فيترتب على سهوه أحكام شرعية تجري على سهو أمته الى يوم القيامة فقام صلى الله عليه وسلم من

الاربع وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو زوج أبي سبرة وبهذا جزم الحافظ كاليعمرى قائلا لم يذكرها ابن اسحق وذكر ابن عبد البر وتبعه ابن الاثير في المهاجرات أم أيمن بركة الحاضنة قال البرهان وأظنها هاجرت مع رقية لانها جارية أبيها انتهى فلعل من أسقطها لكونها تبعا (وقيل وامرأتين) بالياء عطفا على أحد عشر وفي نسخة بالالف أى ومعهم امرأتان أو على لغة من يلزم المثنى الالف وقيل كانوا اثنى عشر رجلا وثلاث نسوة وقيل عشرة رجال وأربع نسوة (وأميرهم) قال ابن هشام فيما بلغني (عثمان ابن مظعون) بالظاء المعجمة (وأنكر ذلك الزهرى) محمد بن مسلم (وقال لم يكن لهم أمير) ويحتمل انهم أمروه بعد سيرهم باختيارهم ولم يؤمر المصطفى عليهم أحدا فلا خلف (وخرجوا) سرا من مكة (مشاة) ثم عرض لبعضهم الركوب بأنهوا في خروجهم (الى البحر) فهو متعلق بمحذوف لا صلة مشاة أو غلب المشاة لكثرتهم على الراكبين فلا تنافي بينه وبين قول العيون والمنتقى والسبل خرجوا متسللين سرا حتى انتهوا الى الشعيبة منهم الراكب ومنهم الماشى والشعيبة بمعجمة مضمومة ومهملة مفتوحة ساكنة فموحدة فتاء تأنيث واد كما قال الصغانى وانغد كما في النور وفي السبل مكان على ساحل البحر بطريق اليمن لكن وقع في بعض نسخة الشعيبية بزيادة ياء بعد الموحدة وهو تحريف من النساخ لقوله تصغير شعبة اذ تصغيره بلا ياء وهو الذى في الذيل والقاموس (فاستأجروا سفينة) جزم به تبعا لفتح البارى والذى في العيون وغيرها فوفق الله ساعة للمسلمين جاؤا سفينتين للتجار حملوهم فيهما (بنصف دينار) وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا منهما أحدا ويحتمل الجمع بأنهم استأجروا سفينة واحدة لقلتهم فضاقت عنهم لشحنها بالتجار وتجارتهم فحملوهم في اثنتين واستئجار واحدة لا ينافى الحمل في اثنتين وهذا أقرب من امكان انهم استأجروا صاحب السفينتين على حملهم الى مقصودهم في السفينتين أو مجموعهما فاتفق حملهم بواحدة فالمصنف نظر الى الحمل وغيره لما وقع عليه التوافق لان فيه قصر حملهم في واحدة وأتى به مع قولهم حملوهم فيهما (وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) وقيل حاطب ابن عمرو وقيل سليط بن عمرو حكاهما اليعمرى هنا وذكر في أزواج المصطفى وتبعه المصنف ثمة أن أم سلمة وزوجها أول من هاجر فهى أربعة أقوال (وأخرج يعقوب بن سفيان) الحافظ الفسوى بالفاء (بسند موصول الى أنس) وأما بعده فمرسل صحابى (قال أبطأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرهما فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال) صلى الله عليه وسلم صحبهما الله كما في نفس رواية يعقوب قبل قوله (ان عثمان لاول من هاجر بأهله بعد لوط) نبى الله هاجر من كوثى الى حران ولما وصلوا الحبشة أقاموا عند النجاشى آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيأ نكرهه (فلما رأت قريش استقرارهم في الحبشة وأمنهم أرسلوا عمرو بن العاصى) القرشى السهمى الصحابى أسلم بعد ذلك على يد النجاشى وهى لطيفة صحابى أسلم على يد تابعى ولا يعلم مثله (وعبد الله بن أبى ربيعة) عمرو بن المغيرة المخزومى المكى أسلم بعد وصحب وكان حسن الوجه ولاه صلى الله عليه وسلم الجند ومخاليفها فلما حوصر عثمان جاء لينصره فوقع عن راحلته بقرب مكة فمات (بهدايا وتحف من بلادهم الى النجاشى) بفتح النون وتكسر وخفة الجيم فياء ثقيلة وتخفف لقب قديم لملك الحبشة قال الحافظ وأما اليوم فيقال له الحطى بفتح الحاء وكسر الطاء الخفيفة المهملتين وتحتانية خفيفة (واسمه) كما في البخارى (أصحمة) بمهملتين بوزن أربعة وفي مصنف ابن أبى شيبة صحمة بحذف الهمزة وحكى الاسماعيلى أصخمة بخاء معجمة وقيل أصحبة بموحدة بدل الميم وقيل صحبة بلا ألف وقيل مصحمة بميم أوله بدل الهمزة ابن أبجر وقيل اسمه مكحول بن صصه قال مغلطاى ولقب

اثنتين في الرباعية ولم ولم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين قبل السلام ثم سلم فأخذ من هذا قاعدة أن من ترك شيأ من أجزاء الصلاة التى ليست بأركان سهوا سجد له قبل السلام وأخذ من بعض طرقه انه اذا ترك ذلك وشرع في ركن لم يرجع الى المتروك لانه لما قام سبحوا فأشار اليهم ان قوموا واختلف عنه في محل هذا السهو ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن بحينة انه صلى الله عليه وسلم قام من اثنتين من الظهر ولم يجلس بينهما فلما قضى صلاته سجد سجدتين ثم سلم بعد ذلك وفي رواية متفق عليها يكبر في كل سجدة وهو جالس قبل أن يسلم وفي المسند من حديث يزيد بن هارون عن المسعودى عن زياد ابن علاقة قال صلى بنا المغيرة بن شعبة فلما صلى ركعتين قام ولم يجلس فسبح به من خلفه فأشار اليهم ان قوموا فلما فرغ من صلاته سلم ثم سجد سجدتين ثم سلم وقال هكذا صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وصححه الترمذى وذكر البيهقى من حديث عبد الرحمن بن شماسة المهرى

ملك الترك خاقان والروم قيصر واليمن تبع واليونان بطليموس واليهود القيطون فيما قيل
والمعروف مالخ وملك الصابئة النمرود ودهمز وملك الهند يعفور والزنج زغانة ومصر والشام
فرعون فان أضيف اليهما الاسكندرية تسمى العزيز ويقال المقوقس وملك العجم كسرى وملك
فرغانة الاخشيد وملك العرب من قبل العجم النعمان وملك البربر جالوت (وكان معهما عمارة
ابن الوليد) بن المغيرة المخزومي والذى فى العيون وكان عمرو بن العاصي رسولا فى الهجرتين ومعه فى
أحدهما عمارة وفى الاخرى عبد الله ثم قال فى الهجرة الثانية ولم يذكر ابن اسحق مع عمرو الا عبد الله فى
رواية زياد وفى رواية ابن بكير لعمارة ذكر وفى الشامية الصحيح أن فى الاولى عمارة وفى الثانية عبد
الله انتهى وهو خلاف ما اقتصر عليه الحافظ فى سيرته من أن عمرا وعمارة ذهبا فى الهجرة الثانية انتهى
ورواه أحمد عن ابن مسعود (ليردهم) أى ليرد النجاشي المهاجرين (الى قومهم فأبى ذلك وردهما) أى
عمرا وعبد الله خائبين لم يجبهما الى ما طلبا ولم يقبل هديتهما ولم يذكر عمارة لانه تبع لهما الا لما تقدم أنه
توحش ولم يعد لان المتقدم انما هو فى الهجرة الثانية نعم على ما صححه الشامي ان ثبت يكون المعنى لم يجبهما
وزاد عمارة خيبة بفعله ذلك معه

(اسلام عمر الفاروق)

(وأسلم عمر بن الخطاب) بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بكسر الراء وتحتية وقيل بكسرها وموحدة وهو
بعيد ابن عبد الله بن قرط بضم القاف واسكان الراء وطاء مهملة ابن رزاح بفتح الراء والزاى كما قاله
الدارقطني وابن ماكولا وخلق وقيل بكسر الراء ابن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب يجتمع مع النبي
صلى الله عليه وسلم فى كعب قال فى الفتح وعدد ما بينهما من الاباء متفاوت بواحد فبين المصطفى وكعب
سبعة آباء وبينه وبين عمر ثمانية قال ابن اسحق أسلم عقب الهجرة الاولى الى الحبشة وذكر ابن سعد
عن ابن المسيب فى ذى الحجة سنة ست من المبعث وحكى عليه ابن الجوزى فى بعض كتبه الاتفاق
لكنه قال فى التلقيح سنة ست وقيل سنة خمس (بعد حمزة بثلاثة أيام) لا أشهر كما قيل (فيما قاله أبو نعيم)
لانه قد رواه عن ابن عباس قال سألت عمر عن اسلامه قال خرجت بعد اسلام حمزة بثلاثة أيام فذكر
القصة وهو موافق لما حكاه ابن سعد أما على قول ابن اسحق فلا يجيء لان الهجرة فى الخامسة واسلام
حمزة فى السادسة كما أنه لا يأتى على القول بأن اسلام حمزة فى الثانية بالنون (بدعوته صلى الله عليه وسلم)
كما رواه الترمذى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال (اللهم أعز الاسلام بابى جهل) بن هشام
(أو بعمر بن الخطاب) قال فأصبح فغدا عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ورواه أحمد
والترمذى وقال حسن صحيح وابن سعد والبيهقى عن ابن عمر رفعه بلفظ اللهم أعز الاسلام بأحب هذين
الرجلين اليك بابى جهل أو بعمر بن الخطاب صححه ابن حبان ورواه أبو نعيم من وجه آخر عن ابن عمر
قال قال صلى الله عليه وسلم اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك عمر أو بابى جهل وأخرجه خيثمة فى
فضل الصحابة من حديث على به والحاكم عن ابن مسعود بلفظ أيد بدل أعز والبغوى من ربيعة السعدى
وابن سعد من مرسل ابن المسيب وغيرهم الجميع بلفظ أبى جهل وفى حديث خباب عند البزار مرفوعا
اللهم أيد الاسلام بابى الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فيمكن أنه قال هذا مرة وهذا أخرى ودعوى
أن بابى جهل رواية بالمعنى لا تصح لانها رد الروايات المتعددة الطرق لرواية واحدة وأخرج الحاكم
وصححه عن نافع عن ابن عمر عن ابن عباس رفعه اللهم أيد الاسلام بعمر بن الخطاب خاصة وأخرجه ابن
ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبي من حديث عائشة وجمع
ابن عساكر بانه صلى الله عليه وسلم دعا بالاول أولا فلما أوحى اليه أن أبا جهل لن يسلم خص عمر
بدعائه انتهى ثم بحديث عائشة هذا الصحيح يرد ما نقل عن الدارقطني أن عائشة قالت انما قال

قال صلى بنا عقبة بن عامر
الجهني فقام وعليه جلوس
فقال الناس سبحان
الله سبحان الله فلم يجلس
ومضى على قيامه فلما
كان فى آخر صلاته سجد
سجدتين وهو جالس
فلما سلم قال انى سمعتكم
آنفا تقولون سبحان الله
لكيما أجلس لكن السنة
التى صنعت وحديث
عبد الله بن بحينة أولى
لثلاثة وجوه * أحدها
انه أصح من حديث
المغيرة * الثانى انه أصرح
منه فان قول المغيرة
وهكذا صنع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يجوز
أن يرجع الى جميع ما فعل
المغيرة ويكون قد سجد
النبى صلى الله عليه وسلم
فى هذا السهو مرة قبل
السلام ومرة بعده فحكى
ابن بحينة ما شاهده
وحكى المغيرة ما شاهده
فيكون كلا الامرين جائزا
ويجوز أن يريد المغيرة
انه صلى الله عليه وسلم
قام ولم يرجع ثم سجد
للسهو * الثالث ان
المغيرة لعله نسى السجود
قبل السلام وسجد بعده
وهذه صفة السهو وهذا
لا يمكن أن يقال فى السجود
قبل السلام والله أعلم
(فصل) وسلم صلى
الله عليه وسلم من ركعتين
فى احدى صلاتى العشى

صلى الله عليه وسلم اللهم أعز عمر بالاسلام لان الاسلام يعز ولا يعز وقد قال السخاوى مازعمه
أبو بكر التاريخى أن عكرمة سئل عن قوله اللهم أيد الاسلام فقال معاذ الله دين الاسلام أعز
من ذلك ولكنه قال اللهم أعز عمر بالدين أو أبا جهل فأحسبه غير صحيح انتهى وفى الدرقد اشتهر
هذا الحديث الآن على الالسنة بلفظ بأحب العمرين ولا أصل له فى شئ من طرق الحديث بعد
الفحص البالغ (وكان المسلمون اذ ذاك بضعة) بكسر الباء وقد تفتح من ثلاثة الى سبعة ولا تستعمل
فيما زاد على عشرين الا عند بعض المشايخ كما فى المصباح (وأربعين رجلا) كما قاله السهيلى وزادوا احدى
عشرة امرأة لكنه مخالف لقول فتح البارى فى مناقب عمر روى ابن أبى خيثمة عن عمر لقد رأيتنى وما اسلم
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسعة وثلاثون فكملتهم أربعين فأظهر الله دينه وأعز الاسلام وروى
البزار نحوه من حديث ابن عباس وقال فيه فنزل جبريل فقال يا أيها النبى حسبك الله ومن اتبعك من
المؤمنين انتهى اللهم الا أن يكون عمر لم يطلع على الزائد لان غالب من أسلم كان يخفيه خوفا من المشركين
لاسيما وقد كان عمر عليهم شديدا فلذا أطلق انه كملهم أربعين ولم يذكر النساء لانه لا اعزاز بهن لضعفهن
(وكان سبب اسلامه فيما ذكره أسامة بن زيد) بن أسلم العدوى مولاهم المدنى ضعيف من قبل حفظه
مات فى خلافة المنصور وروى له ابن ماجه (عن أبيه) زيد ابن أسلم العدوى مولاهم المدنى أبو أسامة أو أبو
عبد الله الفقيه العالم المفسر الثقة الحافظ التابعى المتوفى سنة ست وثلاثين ومائة روى له الستة (عن جده
أسلم) مولى عمر اشتراه سنة احدى عشرة كنيته أبو خالد ويقال أبو زيد التابعى الكبير قيل انه من سبى عين
التمر وقيل حبشى روى عن مولاه والصديق ومعاذ قال أبو زرعة ثقة مات سنة ثمانين وهو ابن أربع عشرة
ومائة سنة أخرج له الجماعة (عن عمر أنه قال بلغنى) من نعيم بن عبد الله النحام القرشى الصحابى كما فى رواية
ابن اسحق وجزم به ابن بشكوال وقال ان فى كلام أبى القاسم البغوى شاهده أو من سعد بن أبى وقاص
كما فى الصفوة ويحتمل أن يكونا معا بلغاه ذلك فى سيره مريدا قتل النبى كما اتفق مع قريش على ذلك (اسلام
أختى) فاطمة عند الاكثر وقيل أميمة حكاه الدارقطنى قال فى الاصابة فكأن اسمها فاطمة ولقبها
أميمة وكنيتها أم جميل وقيل اسمها رملة لها حديث أخرجه الواقدى عن فاطمة بنت الخطاب انها
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال أمتى بخير مالم يظهر فيهم حب الدنيا فى علماء فساق
وقراء جهال وجورة فاذا ظهرت خشيت أن يعمهم الله بعقاب وحذف المصنف صدر حديث أسلم
فلفظه قال لنا عمر أتحبون أن أعلمكم كيف كان بدو اسلامى قلنا نعم قال كنت من أشد الناس على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبينا أنا فى يوم حار شديد الحر بالهاجرة فى بعض طرق مكة اذ لقينى رجل من قريش
فقال أين تذهب انك تزعم انك هكذا وقد دخل عليك هذا الامر فى بيتك قلت وما ذاك قال اختك قد
صبأت فرجعت مغضبا وقد كان صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة
فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى زوج أختى رجلين فجئت حتى قرعت الباب فقيل من
هذا قلت ابن الخطاب قال وكان القوم جلوسا يقرؤن صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا
أو قال نسوا الصحيفة من أيديهم فقامت المرأة ففتحت لى (فدخلت عليها فقلت يا عدوة نفسها قد بلغنى
عنك أنك صبوت) أى خرجت من دينك (ثم ضربتها) وفى الصفوة فوثب عمر على ختنه سعيد بن زيد
وبطش بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءته أخته لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج
بها وجهها (فسال الدم فلما رأت الدم بكت) وغضبت (وقالت) زاد فى الصفوة أتضربنى يا عدو الله على
أن أوحد الله لقد أسلمنا على رغم أنفك (يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل فقد أسلمت) وفى رواية
ابن عباس عن عمر عند ابن عساكر والبيهقى فوجدت همهمة فدخلت فقلت ما هذا فما زال الكلام

أما الظهر وأما العصر ثم
تكلم ثم أتمها ثم سلم ثم
سجد سجدتين بعد
السلام والكلام يكبر
حين يسجد ثم يكبر حين
يرفع ثم سلم ثم سجد
سجدتين وذكر أبو داود
والترمذى أن النبى صلى
الله عليه وسلم صلى بهم
فسجد سجدتين ثم تشهد
ثم سلم وقال الترمذى
حسن غريب وصلى يوما
فسلم وانصرف وقد بقى
من الصلاة ركعة فادركه
طلحة بن عبيد الله فقال
نسيت من الصلاة ركعة
فرجع فدخل المسجد
وأمر بلالا فأقام الصلاة
فصلى للناس ذكره الامام
أحمد رحمه الله وصلى
الظهر خمسا فقيل له زيد
فى الصلاة قال وما ذاك
قالوا صليت خمسا فسجد
سجدتين بعد ما سلم متفق
عليه وصلى العصر ثلاثا
ثم دخل منزله فذكره
الناس فخرج فصلى بهم
ركعة ثم سلم ثم سجد
سجدتين ثم سلم * فهذا
مجموع ما حفظ عنه صلى
الله عليه وسلم من سهوه
فى الصلاة وهو خمسة
مواضع وقد تضمن
سجوده فى بعضه قبل
السلام وفى بعضه بعده
فقال الشافعى رحمه الله
كله قبل السلام وقال
أبو حنيفة رضى الله عنه

بيننا حتى أخذت برأس ختني فضربته وأدميته فقامت الى أختي فأخذت برأسي وقالت قد كان ذلك على رغم انفك فاستحييت حين رأيت الدماء (قال فدخلت وأنا مغضب) زاد في الرواية فجلست على السرير فنظرت (فاذا كتاب في ناحية) جانب من جوانب (البيت) أسقط من رواية أسلم فقلت ما هذا الكتاب اعطينيه فقالت لا أعطيكه لست من أهله أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذا لا يمسه الا المطهرون قال فلم أزل بها حتى أعطتنيه وفي الصفوة قال أعطوني هذا الكتاب اقرؤه وكان عمر يقرأ الكتب قالت أخته لا أفعل قال ويحك وقع في قلبي مما قلت فاعطينيها انظر اليها وأعطيك من المواثيق أن لا أخونك حتى تحوزيها حيث شئت قالت انك رجس فانطلق فاغتسل أو توضأ فانه كتاب لا يمسه الا المطهرون فخرج ليغتسل فخرج خباب فقال أتدفعين كتاب الله الى كافر قالت نعم اني ارجو أن يهدي الله أخي فدخل خباب البيت وجاء عمر فدفعته اليه (فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت) بضم الذال المعجمة وكسر المهملة أفزعت زاد في رواية البزار فجعلت أفكر من أي شئ اشتق (ورميت بالصحيفة من يدي ثم رجعت) لفظ الرواية ثم رجعت الى نفسي أي فأخذت الصحيفة (فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض) زاد البزار فجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله هذا لفظ رواية البزار كما في الروض ولفظ رواية غيره فاذا فيها سبح لله ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم فكلما مررت باسم من أسماء الله ذعرت ثم ترجع الى نفسي حتى بلغت آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه الى قوله تعالى ان كنتم مؤمنين (فقلت أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله) وفي رواية ابن عساكر وأبي نعيم عن ابن عباس والدارقطني عن انس كلاهما عن عمر فقلت أروني هذا الكتاب فقالوا انه لا يمسه الا المطهرون فقمت فاغتسلت فأخرجوا الى صحيفة فيها بسم الله الرحمن الرحيم فقلت أسماء طيبة طاهرة طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى الى قوله تعالى له الاسماء الحسنى فعظمت في صدري وقلت من هذا فرت قريش فاسلمت وعند الدارقطني فقام فتوضأ ثم أخذ الصحيفة وكذا ذكره ابن اسحق وأنه تشهد لما بلغ فلا يصدنك عنها وزاد يونس عنه انه كان فيها مع سورة طه اذا الشمس كورت وأن عمر انتهى في قراءتها الى قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت فيمكن انه توضأ ثم اغتسل أو عكسه وانه وجد السور الثلاث في صحيفة أو صحيفتين فقرأها وتشهد عقب بلوغ كل من الآيتين وفي الصفوة فلما بلغ انني أنا الله لا اله الا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري قال ما ينبغي لمن يقول هذا أن يعبد معه غيره دلوني على محمد (فخرج القوم) الذين كانوا عند أخته يعني زوجها سعيد بن زيد وخباب بن الارت أحد الرجلين اللذين ضمهما المصطفى الى سعيد وكان خباب يقرؤهما القرآن والرجل الثاني قال في النور لا أعرفه (يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني) وحمدوا الله ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال اللهم أعز الاسلام بعمرو أو بعمر وانا نرجو أن تكون دعوته لك فأبشر فلما عرفوا مني الصدق قلت أخبروني بمكانه صلى الله عليه وسلم قالوا هو في أسفل الصفا (فجئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت في أسفل الصفا) هي دار الارقم الصحابي كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها عن معظم المسلمين قال المحب الطبري ويقال لها اليوم دار الخيزران وفي الصفوة فقال عمر يا خباب انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام خباب وسعيد معه وفي حديث أسلم فقرعت الباب قيل من هذا قلت ابن الخطاب قال وقد عرفوا شدتي على رسول الله ولم يعلموا باسلامي فما اجترأ أحد منهم ان يفتح الباب فقال صلى الله عليه وسلم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يهده وأخرجه ابن عائذ من حديث ابن عمر وقال هذا وهم انما الذي قال فان يرد الله به خيرا يهده والا كفيتموه باذن الله حمزة وتجويز أن الوهم انما هو في نسبة قوله والا كفيتموه للنبي صلى الله عليه وسلم

كله بعد السلام وقال مالك رضي الله عنه كل سهو كان نقصانا في الصلاة فان سجوده قبل السلام وكل سهو كان زيادة في الصلاة فان سجوده بعد السلام واذا اجتمع سهوان زيادة ونقصان فالسجود لهما قبل السلام قال أبو عمر بن عبد البر هذا مذهبه لا خلاف عنه فيه ولو سجد أحد عنده لسهوه بخلاف ذلك فجعل السجود كله بعد السلام أو كله قبل السلام لم يكن عليه شئ لانه عنده من باب قضاء القاضي باجتهاده لاختلاف الآثار المرفوعة والسلف من هذه الامة في ذلك وأما الامام أحمد رضي الله عنه فقال الاثرم سمعت أحمد بن حنبل يسأل عن سجود السهو قبل السلام أم بعده فقال في مواضع قبل السلام وفي مواضع بعده كما صنع النبي صلى الله عليه وسلم حين سلم من اثنتين ثم سجد بعد السلام على حديث أبي هريرة في قصة ذي اليدين ومن سلم من ثلاث سجد أيضا بعد السلام على حديث عمران بن حصين وفي التحري يسجد بعد السلام على حديث ابن مسعود وفي

فلا ينافي ما في الشامي من ان فان يرد الله به خيرا يهده من كلام المصطفى فيه نظر اذ كيف يأتي هذا مع قول ابن عائذ انما الذي الى آخره والشامي انما هو في مقام سياق الحديث الذي حكم ابن عائذ على هذه القطعة منه بالوهم ولذا احسن من المصنف اسقاطها وفي رواية فلما رأى حمزة وجل القوم منه قال فانه يرد الله به خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك كان قتله علينا هينا والنبي صلى الله عليه وسلم يوحى اليه ففتح الباب (فدخلت عليه وأخذ رجلان) قال البرهان لا أعرفهما ولعل حمزة أحدهما الا انه الذي أذن في دخوله (بعضدي) بشد الياء تثنية عضد وفي هامش أن حمزة أخذ بيمينه والزبير بيساره (حتى دنوت من النبي صلى الله عليه وسلم فقال أرسلوه) بفتح الهمزة أطلقوه (فأرسلوني فجلست بين يديه فاخذ بمجمع ثيابي) لفظ رواية أسلم بمجمع قميصي وعند ابن اسحق بحجزته أو بمجمع ردائه (فجذبني اليه جذبة شديدة) كما في الرواية وفي رواية فاستقبله النبي صلى الله عليه وسلم في صحن الدار فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل سيفه وفي لفظ أخذه ساعة وهزه فارتعد عمر من هيبته وجلس وفي آخر أخذ بمجامع ثيابه فنثره نثرة فما تمالك أن وقع عمر على ركبتيه وقال له فما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك ما أنزل بالوليد بن المغيرة يعني الخزي والنكال ولعله صلى الله عليه وسلم فعل معه ذلك ليثبته الله على الاسلام ويلقى حجه الطبيعي في قلبه ويذهب عنه رجز الشيطان فكان كذلك حتى كان الشيطان يفر منه وليكون شديدا على الكفار وفي الدين فصار كذلك وعند ابن اسحق فقال ما جاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى ان تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال يا رسول الله جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله (ثم قال) صلى الله عليه وسلم بعد أخذه بمجامع ثوبه وهزه وقوله ما ذكر (أسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه) لفظ رواية أسلم اهده كما في العيون والارشاد للمصنف فلعله هنا بالمعنى اوجمع بينهما وفي رواية اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم أعز الدين بعمر ابن الخطاب (قلت أشهد ان لا اله الا الله وأنك رسول الله فكبر المسلمون) بعد تكبير النبي صلى الله عليه وسلم كما في رواية (تكبيرة واحدة سمعت بطرق مكة وكان الرجل اذا أسلم استخفى) باسلامه زاد أبو نعيم وابن عساكر في رواية ابن عباس عن عمر فقلت يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان حييتم فقلت ففيم الخفاء يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق وهم على الباطل فقال يا عمر انا قليل قد رأيت ما لقينا فقال والذي بعثك بالحق نبيا لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان ثم خرج في صفين أنا في أحدهما وحمزة في الآخر حتى دخلنا المسجد فنظرت قريش الينا فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها فسماه رسول الله يومئذ الفاروق ثم خرجت فذهبت بعد كراهتي عدم ضربي كمن آمن واخباري لخالي ورجل من عظماء قريش باسلامي وقول رجل قال في النور لا أعرفه ويظهر أنه مسلم تحب أن يعلم اسلامك فأرشدني (الى رجل لم يكتم السر) هو جميل بفتح الجيم وكسر الميم ابن معمر بفتح الميم بينهما مهملة ساكنة ثم راء ابن حبيب الجمحي أسلم يوم الفتح وقد شاخ وشهد حنينا وفتح مصر ومات في خلافة عمر فحزن عليه حزنا شديدا (فقلت له) سرا (اني صبوت) ملت من دين الى دين (قال فرفع صوته بأعلاه ألا ان ابن الخطاب) عمر وكانه لم يسمه لشهرته فيهم (قد صبا) وروى ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر لما أسلم عمر قال اي قريش أنقل للحديث فقيل له جميل فغدا عليه وغدوت اتبع أثره وانا غلام أعقل ما رأيت حتى جاءه فقال أعلمت يا جميل أني قد أسلمت ودخلت في دين محمد فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت أبي حتى اذا قام على باب المسجد صرخ بأعلى صوته يا معشر قريش وهم في أنديتهم حول الكعبة ألا ان ابن الخطاب قد صبا ويقول عمر من خلفه كذب ولكني أسلمت وشهدت أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فتعبير عمر بجميل أولا بقوله صبوت يعني على زعمكم (فما زال الناس يضربوني وأضربهم

القيام من اثنتين يسجد قبل السلام على حديث ابن بحينة وفي الشك يبني على اليقين ويسجد قبل السلام على حديث أبي سعيد الخدري وحديث عبد الرحمن بن عوف قال الاثرم فقلت لاحمد بن حنبل فما كان سوى هذه المواضع قال يسجد فيها كلها قبل السلام لانه يتم ما نقص من صلاته قال ولولا ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم لرأيت السجود كله قبل السلام لانه من شأن الصلاة فيقضيه قبل السلام ولكن أقول كل ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سجد فيه بعد السلام فانه يسجد فيه بعد السلام وسائر السهو يسجد فيه قبل السلام وقال داود لا يسجد أحد للسهو الا في الخمسة المواضع التي سجد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى وأما الشك فلم يعرض له صلى الله عليه وسلم بل أمر فيه بالبناء على اليقين واسقاط الشك والسجود قبل السلام فقال الامام أحمد الشك على وجهين اليقين والتحري فمن رجع الى اليقين ألغى الشك وسجد سجدتي السهو قبل السلام على

فقال خالي) يحتمل انه أبو جهل أو أخوه الحرث بن هشام لانهما خالاه مجازا لان عصبة الام اخوال الابن وأمه حنتمة بفتح المهملة وسكون النون وفتح الفوقية فتاء التأنيث ابنة هاشم بن المغيرة المخزومي وهاشم وهشام أخوان فهما ابنا عم أمه ومن قال انها بنت هشام فقد أخطأ وصحف هاشما بهشام كما قاله ابن عبد البر والسهيلي والحافظ وغيرهم ويحتمل أنه أراد غيرهما من بني مخزوم كما قال البرهان فالجزم بانه أبو جهل يحتاج لبرهان واختيار أنه خاله حقيقة مبني على خطا مخالف لما نبه عليه الحفاظ وأقره ختام مهم في فتح الباري (ماهذا قالوا ابن الخطاب فقام) خالي (على الحجر) بكسر الحاء وغلط من فتحها كما في النور (وأشار بكمه فقال ألا اني قد أجرت ابن أختي) قال في النور أي هو في ذمامي وعهدي وجواري (قال فانكشف الناس عني) لجلالة خاله عندهم وعند ابن اسحق في حديث ابن عمر أن العاصي بن وائل اجاره منهم حينئذ فيحتمل انهما معا أجاراه وروى البخاري عن ابن عمر قال بينا عمر في الدار خائفا اذ جاءه العاصي بن وائل السهمي أبو عمرو وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال مابالك قال زعم قومك انهم سيقتلونني لاني أسلمت قال لاسبيل اليك بعد أن قال آمنت فخرج العاصي فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون قالوا نريد ابن الخطاب الذي قد صبا قال لاسبيل اليه فكر الناس وانصرفوا عنه وطريق الجمع أن العاصي أجاره مرتين مرة مع خاله والاخرى بعد كونه في الدار والله أعلم (فمازلت) بعد رد جوار خالي كراهة أن لا أكون كالمسلمين وقول خالي لاتفعل يا ابن أختي فقلت بلى هو ذاك قال فماشئت كما في حديث أسلم قال فمازلت (أضرب) بالبناء للفاعل (وأضرب) للمفعول (حتى أعز الله الاسلام) روى حديث أسلم عن عمر هذا بطوله البزار والطبراني وأبو نعيم والبيهقي ورواه الدارقطني من حديث أنس وابن عساكر والبيهقي عن ابن عباس وأبو نعيم عن طلحة وعائشة كلهم عن عمر نحوه فهذه طرق يعضد بعضها بعضا فانجبر مافيه من ضعف اسامة وفي فتح الباري المح البخاري بايراد قصة سواد ابن قارب في باب اسلام عمر الى ماجاء عن عائشة وطلحة عن عمر أن هذه القصة كانت سبب اسلامه انتهى ومن جملة القصة التي رواها البخاري آخر حديث سواد قال عمر بينا انا عند آلهتهم اذ جاء رجل بعجل فذبحه فصرخ به صارخ لم أسمع قط أشد صوتا منه يقول يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا أنت فوثب القوم قلت لا أبرح حتى أعلم ماوراء هذا ثم نادى يا جليح أمر نجيح رجل فصيح يقول لا اله الا الله فما نشبنا ان قيل هذا نبي وروى أبو نعيم في الدلائل عن طلحة وعائشة عن عمر ان أبا جهل جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة حمراء أو سوداء وألف أوقية من فضة فقلت له يا أبا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلدا السيف متنكبا كنانتي أريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه فقمت انظر اليه فاذا صائح يصيح من جوف العجل يا آل ذريح أمر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعو الى شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت في نفسي ان هذا الامر مايراد به الا انا ثم مررت بصنم فاذا هاتف من جوفه يقول

يا أيها الناس ذوو الاجسام * ما أنتم وطائش الاحلام
ومسند الحكم الى الاصنام * أصبحتم كراتع الانعام
أما ترون ما أرى أمامي * من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظر من تهام * وقد بدا للناظر الشامي
محمد ذو البر والاكرام * أكرمه الرحمن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام * يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام * ويزجر الناس عن الآثام

واذا رجع الى التحري وهو أكثر الوهم سجد سجدتي السهو بعد السلام على حديث ابن مسعود الذي يرويه منصور انتهى * وأما حديث أبي سعيد فهو اذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ثلاثا أم أربعا فليطرح الشك وليبن على مااستيقن ثم يسجد سجدتين قبل ان يسلم وأما حديث ابن مسعود فهو اذا شك أحدكم في صلاته فليتحر الصواب ثم ليسجد سجدتين متفق عليهما وفي لفظ الصحيحين ثم يسلم ثم يسجد سجدتين وهذا هو الذي قال الامام أحمد واذا رجع الى التحري سجد بعد السلام والفرق عنده بين التحري واليقين أن المصلي انما كان اماما بنى على غالب ظنه وأكثر وهمه وهذا هو التحري فيسجد له بعد السلام على حديث ابن مسعود وان كان منفردا بنى على اليقين وسجد قبل السلام على حديث أبي سعيد هذه طريقة أكثر أصحابه في تحصيل ظاهر مذهبه وعنه روايتان أخريان احداهما انه يبني على اليقين مطلقا

فبادر

فبادروا سبقا الى الاسلام * بلا فتور وبلا احجام

قال عمر فقلت والله ما أراه الا أرادني ثم مررت بالضمار فاذا هاتف من جوفه يقول

أودى الضمار وكان يعبد مدة * قبل الكتاب وقبل بعث محمد

ان الذي ورث النبوة والهدى * بعد ابن مريم من قريش مهتدي

سيقول من عبد الضمار ومثله * ليت الضمار ومثله لم يعبد

أبشر أبا حفص بدين صادق * تهدى اليه وبالكتاب المرشد

واصبر أبا حفص فانك آمر * يأتيك عز غير عز بني عدي

لا تعجلن فأنت ناصر دينه * حقا يقينا باللسان وباليد

قال عمر فوالله لقد علمت انه أرادني فلقيني نعيم وكان يخفي اسلامه فرقا من قومه فقال أين تذهب قلت أريد هذا الصابي الذي فرق أمر قريش فأقتله فقال نعيم يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على وجه الارض وبالغ في منعه ثم قال ألا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم فذكر دخوله على اخته القصة بطولها ولا تنافي بينهما فهو حديث واحد طوله مرة واختصره أخرى وفي رواية عند ابن اسحق ان سبب اسلامه انه دخل المسجد يريد الطواف فرأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فقال لو سمعت لمحمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت ان دنوت منه استمع لاروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابه أي البيت فجعلت أمشي حتى قمت في قبلته وسمعت قراءته فرق له قلبي فبكيت ودخلني الاسلام فكثت حتى انصرف فتبعته فالتفت في أثناء طريقه فرآني فظن انما تبعته لأوذيه فنهمني ثم قال ما جاء بك في هذه الساعة قلت جئت لأومن بالله ورسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله ثم قال قد هداك الله ثم مسح صدري ودعا لي بالثبات ثم انصرفت عنه ودخل بيته * نهمني بالنون أي زجرني والنهم زجر الاسد كما في الروض ففيه من شجاعته صلى الله عليه وسلم ما لا يخفى وروى ابن سنجر في مسنده عن عمر خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن فقلت هو شاعر كما قالت قريش فقرأ انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون فقلت كاهن علم ما في نفسي فقرأ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون الى آخر السورة فوقع الاسلام في قلبي كل موقع قال اليعمري وقد ذكر غير هذا في خبر اسلامه والله أعلم أي ذلك كان انتهى والجمع بتعدد الواقعة تكفل شيخنا برده (قال ابن عباس لما أسلم عمر قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد لقد استبشر أهل السماء باسلام عمر) لان الله أعز به الدين ونصر به المستضعفين قال ابن مسعود كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر رواه ابن أبي شيبة والطبراني وقال صهيب لما أسلم عمر قال المشركون انتصف القوم منا رواه ابن سعد وروى انه لما أسلم قال يا رسول الله لا ينبغي ان يكتم هذا الدين أظهر دينك فخرج ومعه المسلمون وعمر أمامهم معه سيف ينادي لا اله الا الله محمد رسول الله حتى دخل المسجد فقالت قريش لقد أتاكم عمر مسرورا ما وراءك يا عمر قال ورائي لا اله الا الله محمد رسول الله فان تحرك أحد منكم لامكنن سيفي منه ثم تقدم امامه صلى الله عليه وسلم يطوف ويحميه حتى فرغ من طوافه (رواه ابن ماجه) أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني الثقة المتفق عليه المحتج به له معرفة بالحديث وحفظه ومصنفات في السنن والتفسير والتاريخ والسماع بعدة امصار مات سنة ثلاث وثمانين ومائتين ورواه أيضا الحاكم وصححه ورده الذهبي بأن فيه عبد الله بن خراش ضعفه الدارقطني انتهى وضعفه أيضا غيره ورواه ابن سعد عن الزهري وداود بن الحصين مرسلا والله أعلم

وهو مذهب الشافعي ومالك والاخرى على غالب ظنه مطلقا وظاهر نصوصه انما يدل على الفرق بين الشك وبين الظن الغالب القوي فمع الشك يبني على اليقين ومع أكثر الوهم أو الظن الغالب يتحرى وعلى هذا مدار أجوبته وعلى الحالين حمل الحديثين والله أعلم وقال أبو حنيفة رحمه الله في الشك اذا كان أول ما عرض له استأنف الصلاة فان عرض له كثيرا فان كان له ظن غالب بنى عليه وان لم يكن له ظن بنى على اليقين *(فصل)* ولم يكن من هديه صلى الله عليه وسلم تغميض عينيه في الصلاة وقد تقدم انه كان في التشهد يومئ ببصره الى أصبعه في الدعاء ولا يجاوز بصره اشارته ذكره البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال كان قرام لعائشة سترت به جانب بيتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم أميطي عني قرامك هذا فانه لا تزال تصاويره تعرض لي في صلاتي ولو كان يغمض عينيه في صلاته لما عرضت له في صلاته وفي الاستدلال بهذا الحديث نظر لان الذي كان يعرض له في

ه(دخول الشعب وخبر الصحيفة)*

(ولما رأت قريش) كما قال ابن اسحق وابن عقبة وغيرهما بمعناه (عزة النبي صلى الله عليه وسلم بمن معه واسلام) بالجر أي وباسلام (عمر) وأحسن المصنف في تعقيب هذا الانه في آخر السادسة عند غير ابن اسحق ودخولهم في أول المحرم من السابعة (وعزة أصحابه بالحبشة) يريد بهم أهل الهجرة الثانية فان عود الاولين كان في الخامسة كما مر (وفشو الاسلام في القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبي صلى الله عليه وسلم) وقالوا قد أفسد أبناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منا ديه مضاعفة ويقتل رجل من غير قريش فتريحوننا وتريحون أنفسكم (فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بني هاشم و بني) أخيه (المطلب) فامرهم (فأدخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم شعبهم) بكسر الشين كان منزل بني هاشم غير مساكنهم و يعرف بشعب ابن يوسف كان لهاشم فقسمه عبد المطلب بين بنيه حين ضعف بصره وصار للنبي صلى الله عليه وسلم فيه حظ أبيه كذا في المطالع وتعقبه في النور بأن عبد الله مات في حياة أبيه وما أظنهم كانوا يخالفون شرعنا قال ويحتمل انه وصل اليه حصة أبيه بطريق آخر انتهى قال شيخنا في تقريره بجواز أن عبد المطلب قسمه في حياته على أولاده في حياة عبد الله فلما مات صار للمصطفى حظ أبيه وهو حسن وان كان شيخنا البابلي يتوقف فيه بأن القسم لم ينقل عن عبد المطلب في حياة عبد الله لانه احتمال يكفي في الجواب ويمكن أنهم جعلوا له بعد موت جده حصة أبيه أن لو كان حيا فهو ابتداء عطية من أعمامه وهذا حسن جدا وكل هذا على تسليم ظن البرهان انهم لا يخالفون شرعنا ومن أين ذلك الظن (ومنعوه ممن أراد قتله) لما سألهم أبو طالب (فأجابوه لذلك حتى كفارهم فعلوا ذلك حمية على عادة الجاهلية فلما رأت قريش ذلك اجمعوا وائتمروا) تشاوروا في (أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني المطلب أن لا ينكحوا اليهم) بفتح حرف المضارعة أي لا يتزوجوا منهم فالى بمعنى من (ولا ينكحوهم) بضمها الا يزوجوهم (ولا يبيعوا منهم شيأ ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحا أبدا) زاد في العيون ولا تأخذهم بهم رأفة (حتى يسلموا) من اسلم أو سلم مثقلا (رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل) أي يخلو بينه وبينهم (وكتبوه في صحيفة بخط منصور بن عكرمة) كما ذكره ابن اسحق قائلا فشلت يده فيما يزعمون وصدر به في الفتح قال في النور والظاهر هلاكه على كفره (وقيل) بخط (بغيض) بموحدة ومعجمتين بينهما تحتية (ابن عامر) بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي قاله ابن سعد (فشلت) بفتح الشين المعجمة واللام المشددة وضم الشين خطأ أو قليل أو لغة رديئة والشلل نقص في الكف وبطلان لعملها وليس معناه القطع كما زعم بعضهم قاله المصنف وفي الفتح يجوز ضمها في لغة ذكره الحياني وقال ابن درستويه هي خطأ (يده) أي الكاتب سواء قيل منصور أو بغيض لان القائل بالاول قال شلت كالثاني قال في النور الظاهر أنه لم يسلم وهو بغيض كاسمه قال ابن هشام ويقال بخط النضر بن الحرث فدعا عليه صلى الله عليه وسلم فشلت بعض أصابعه وقتل كافرا بعد بدر وقيل بخط هشام بن عمرو بن الحرث العامري وهو من الذين سعوا في نقضها قاله ابن اسحق وابن عقبة وغيرهما أسلم وكان من المؤلفة وقيل طلحة بن أبي طلحة العبدري حكاه في الفتح وقيل منصور بن عبد شرحبيل ابن هاشم حكاه الزبير بن بكار مع القول بأنه بغيض فقط قال السهيلي والزبير أعلم بالانساب وجمع البرهان وتبعه الشامي باحتمال ان يكون كتب بها نسخ (وعلقوا الصحيفة في جوف الكعبة) وتمادوا على العمل بما فيها وكان ذلك (هلال المحرم سنة سبع من النبوة) قال ابن سعد وابن عبد البر وغيرهما وبه جزم في الفتح وقيل سنة ثمان حكاه الحافظ في سيرته وكان ذلك بخيف بني كنانة كما في الصحيح وهو المحصب

(فانحاز

صلاته هل هو تذكر تلك التصاوير بعد رؤيتها أو نفس رؤيتها هذا محتمل وأبين دلالة منه حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في خميصة لها اعلام فنظر الى اعلامها نظرة فلما انصرف قال اذهبوا بخميصتي هذه الى أبي جهم وأتوني بانجانية أبي جهم فانها ألهتني آنفا عن صلاتي وفي الاستدلال بهذا أيضا ما فيه اذ غايته انه حانت منه التفاتة اليها فشغلته تلك الالتفاتة ولا يدل حديث التفاته الى الشعب لما أرسل اليه الفارس طليعة لان ذلك النظر والالتفات منه كان للحاجة لاهتمامه بامور الجيش وقد يدل على ذلك مد يده في صلاة الكسوف ليتناول العنقود لما رأى الجنة وكذلك رؤيته النار وصاحبة الهرة فيها وصاحب المحجن وكذلك حديث مدافعته للبهيمة التي أرادت ان تمر بين يديه ورده الغلام والجارية وحجزه بين الجاريتين وكذلك أحاديث رد السلام بالاشارة على من سلم عليه وهو في الصلاة فانه انما كان يشير الى من يراه

(فانحاز بنوهاشم وبنوالمطلب الى أبي طالب فدخلوا معه في شعبه) أضافه له لانه كبيرهم كذا نسبه في الفتح لابن اسحق وهو ظاهر في أن انحيازهم بعد كتابة الصحيفة للعطف بالفاء وفي العيون ودخلوا شعبهم مؤمنهم وكافرهم فالمؤمن دينا والكافر حمية فلما رأت قريش انه قد منعه قومه أجمعوا على كتابة صحيفة وهذا صريح في ان كتابتها بعد دخولهم (الا أبالهب فكان مع قريش) وأما المؤمنون من غير بني هاشم والمطلب فظاهر العيون أنهم ذهبوا كلهم الى الحبشة (فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثا) قاله ابن اسحق وأو تحتمل الشك والاشارة الى قول وجزم موسى بن عقبة بأنها ثلاث سنين (وقال ابن سعد سنتين حتى جهدوا) بالبناء للمفعول لقطعهم عنهم الميرة والمادة (وكان لا يصل اليهم شئ الا سرا) ولا يحجون الامن موسم الى موسم وكان يصلهم فيه حكيم بن حزام وهشام بن عمرو العامري وهو أوصلهم لبني هاشم وكان أبو طالب مدة اقامتهم في الشعب يأمره صلى الله عليه وسلم فيأتي فراشه كل ليلة حتى يراه من أراد به شرا أو غائلة فاذا نام الناس امر أحد بنيه أو اخوته أو بني عمه فاضطجع على فرش المصطفى وامره أن يأتي بعض فرشهم فيرقد عليها (وقدم) في شوال سنة خمس كما مر (نفر من مهاجرة الحبشة) فخالف شرطه في الترتيب على السنين ولو رعاه لذكرها قبل اسلام عمر كما فعل اليعمري والشامي وغيرهما وهذا انما يعطى ان الشرط اغلبي ثم كلامه يقتضي أنهم لم يقدموا كلهم وهو خلاف قول اليعمري والحافظ وغيرهما كان سبب رجوع الاثني عشر وفي لفظ قدم أولئك الفقراء مكة (حين قرأ عليه الصلاة والسلام) وهو يصلي أو خارج الصلاة على اختلاف الروايات كما يأتي عن عياض وأما ما عند ابن مردويه والبيهقي عن ابن عمر صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ النجم فسجد بنا فاطال السجود فلم يذكر فيه هذه القصة فلا معنى لذكره هنا الموهم أن ابن عمر روى هذه القصة ولا قائل به لما يأتي انها لم ترو عن صحابي سوى ابن عباس (والنجم اذا هوى حتى بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان في أمنيته أي في قراءته) يقال تمنى اذا قرأ قال حسان يمدح عثمان

تمنى كتاب الله أول ليله * تمني داود الزبور على رسل

لان أصل معناه تفعل من المنى بمعنى القدر ومنه المنية وقوله الا أماني أي تلاوة بلا معرفة فأجرى مجرى التمني لما لا وجود له (تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى) ويروى لترتضى ويروى ان شافعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق الاولى وفي أخرى والغرانقة العلى ذكره في الشفاء (فلما ختم السورة سجد صلى الله عليه وسلم وسجد معه المشركون) والجن والانس كما في الصحيحين غير أمية بن خلف كما في تفسير سورة النجم من البخاري أخذ كفا من تراب فسجد عليه وقال يكفيني هذا وقيل الوليد بن المغيرة وقيل ابولهب وفيهما نظر لانهما لم يقتلا وقيل عتبة بن ربيعة قال المنذري وما رواه البخاري أصح وقول ابن بزيزة كان منافقا وهم قال في النور لان النفاق انما كان بالمدينة انتهى وقيل انه المطلب بن أبي وداعة وهو باطل لانه صحابي أسلم في الفتح والجمع بأنه لا مانع انهم فعلوه جميعا بعضهم تكبرا وبعضهم عجزا لا يصح فالمانع موجود وهو قول راوي الحديث الذي شاهده وهو ابن مسعود فما بقي أحد الا سجد الا رجلا فلقد رأيته قتل كافرا بالله يعني يوم بدر (لتوهمهم انه ذكر آلهتهم بخير) كما ارتضاه الحافظ لا خوفا من مخالفة المسلمين في ذلك المجلس كما جوزه الكرماني اذ لا يظهر له وجه بل الظاهر العكس انتهى فرضوا وقالوا قد عرفنا ان يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فاما اذا جعلت لها نصيبا فنحن معك فكبر ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس في البيت (وفشا ذلك في الناس وأظهره الشيطان حتى بلغ أرض الحبشة و) بلغ (من بها من

وكذلك حديث تعرض الشيطان له فاخذه فخنقه وكان ذلك رؤية عين فهذه الاحاديث وغيرها يستفاد من مجموعها العلم بانه لم يكن يغمض عينيه في الصلاة * وقد اختلف الفقهاء في كراهته فيكرهه الامام أحمد وغيره وقالوا هو فعل اليهود وأباحه جماعة ولم يكرهوه وقالوا قد يكون أقرب الى تحصيل الخشوع الذي هو روح الصلاة وسرها ومقصودها والصواب أن يقال ان كان تفتيح العين لا يخل بالخشوع فهو أفضل وان كان يحول بينه وبين الخشوع لما في قبلته من الزخرفة والتزويق أو غيره مما يشوش عليه قلبه فهنالك لا يكره التغميض قطعا والقول باستحبابه في هذا الحال أقرب الى أصول الشرع ومقاصده من القول بالكراهة والله أعلم

(فصل) فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله بعد انصرافه من الصلاة وجلوسه بعدها وسرعة الانتقال منها وما شرعه لامته من الاذكار والقراءة بعدها كان اذا سلم استغفر ثلاثا وقال اللهم أنت السلام ومنك السلام

المسلمين عثمان بن مظعون وأصحابه وتحدثوا أن أهل مكة قد أسلموا كلهم وصلوا من النبي صلى الله عليه وسلم وقد أمن المسلمون بمكة) من الاذى فقال القوم عشائرنا أحب الينا (فأقبلوا) حال كونهم (سراعا) أي مسرعين (من الحبشة) حتى اذا كانوا دون مكة بساعة من نهار لقوا ركبا من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد آلهتهم بخير فتابعه الملأ ثم عاد لشتم آلهتهم وعادوا له بالشر فتركناهم على ذلك فائتمر القوم في الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل فننظر ما فيه قريش ويحدث عهدا من أراد بأهله ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل أحد منهم الا بجوار الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى الحبشة كذا في العيون وروى ابن اسحق عن صالح بن ابراهيم عمن حدثه عن عثمان بن مظعون انه لما رجع من الهجرة الاولى الى الحبشة دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة فلما رأى المشركين يؤذون المسلمين وهو آمن رد عليه جواره فبينما هو في مجلس لقريش وفد عليهم لبيد بن ربيعة قبل اسلامه فقعد ينشدهم من شعره فقال لبيد

* ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فقال عثمان صدقت فقال * وكل نعيم لا محالة زائل * فقال كذبت نعيم الجنة لا يزول فقال لبيد متى كان يؤذى جليسكم يا معشر قريش فقام رجل منهم فلطم عثمان فاخضرت عينه فلامه الوليد على رد جواره فقال قد كنت في ذمة منيعة فقال عثمان ان عيني الاخرى الى ما أصاب أختها في الله لفقيرة فقال له الوليد فعد الى جوارك فقال بل أرضى بجوار الله تعالى (والغرانيق) بغين معجمة المراد بها هنا الاصنام وهي (في الاصل الذكور من طير الماء) وقيل طير الماء مطلقا اذا كان أبيض طويل العنق وهي جمع (واحدها غرنوق) بضم الغين والنون و بكسر الغين واسكان الراء وفتح النون ذكرهما في النور (وغرنيق) بضم المعجمة وفتح النون كما في النور والقاموس وفي الشامي بكسر الغين وفتح النون (سمي به لبياضه وقيل هو الكركي والغرنوق أيضا الشاب الابيض الناعم وكانوا يزعمون أن الاصنام تقربهم من الله وتشفع لهم) عنده كما في التنزيل ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ونقل الحليمي في تفسير قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ان مشركي العرب زعمت في اللات والعزى ومناة أنها بنات الله تقربهم له لسماعهم كلامها وانما كان يكلمهم شياطين الجن من أجوافها (فشبهت الاصنام (بالطيور) التي تعلو في السماء وترتفع) تشبيها بليغا بحذف الاداة أو استعارة بحذف المشبه والاصل تلك آلهتهم تعلو كالغرانيق في ارتفاعها فحذف المشبه واستعمل اسم المشبه به فيه بجامع الارتفاع فيهما المعنوي للاصنام الحسي للطيور (ولما تبين للمشركين عدم ذلك) الذي توهموه من تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم لآلهتهم حاشاه (رجعوا الى أشد ما كانوا عليه) من ايذائه وايذاء أصحابه ولقي مهاجروا الحبشة منهم الاذى الشديد (وقد تكلم القاضي عياض في الشفاء على هذه القصة) لاشكالها اذ مدح اله غير الله كفر ولا يصح نسبته الى نبي فذكر لها محامل على تقدير الصحة (و) تكلم على (توهين) تضعيف (أصلها) من جهة الرواة (بما يشفي ويكفي لكن تعقب في بعضه) وهو دعواه بطلانها وفي بعض المحامل (كما سيأتي ان شاء الله تعالى) قريبا (وقال الامام فخر الدين الرازي) نحو كلام عياض (ما لخصته من تفسيره هذه القصة باطلة وموضوعة ولا يجوز القول بها) الا مع بيان بطلانها كما هو شان الموضوع (قال الله تعالى وما ينطق) بما يأتيكم به (عن الهوى) هوى نفسه (ان) ما (هو الا وحي يوحى) اليه (وقال تعالى سنقرئك فلا تنسى) فانه كان صلى الله عليه وسلم اذا أتاه جبريل بالوحي لم يفرغ جبريل من الوحي حتى يتكلم صلى الله عليه وسلم بأوله مخافة ان ينساه فأنزل الله سنقرئك فلا تنسى رواه الطبراني وابن أبي حاتم عن ابن عباس باسناد ضعيف (وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل ثم أخذ يتكلم في أن رواة هذه القصة مطعونون) من الحذف والايصال أي مطعون أي مقدوح فيهم (وأيضا فقد روى

تبارك ياذا الجلال والاكرام ولم يمكث مستقبل القبلة الا مقدار ما يقول ذلك بل يسرع الانتقال الى المأمومين وكان ينفتل عن يمينه وعن يساره وقال ابن مسعود رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ينصرف عن يساره وقال أنس أكثر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينصرف عن يمينه والاول في الصحيحين والثاني في مسلم وقال عبد الله بن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفتل عن يمينه وعن يساره في الصلاة ثم كان يقبل على المأمومين بوجهه ولا يخص ناحية منهم دون ناحية وكان اذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس وكان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وكان يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ولا حول ولا قوة الا بالله لا اله الا الله ولا نعبد

البخاري في صحيحه) وكذا مسلم عن ابن مسعود (أنه عليه الصلاة والسلام قرأ سورة النجم وسجد معه المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث الغرانيق) فدل على خطا من ذكرها (بل روى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها ألبتة) بهمزة قطع على غير قياس (حديث الغرانيق) فهذا دليل بطلانها من جهة الاسناد والرواية (و) أما من جهة النظر فانه (لاشك ان من جوز على الرسول تعظيم الاوثان فقد كفر لان من المعلوم بالضرورة ان أعظم سعيه كان في نفي الاوثان ولو جوزنا ذلك ارتفع الامان عن شرعه) وعطف سببا على مسبب قوله (وجوزنا في كل واحد من الاحكام والشرائع أن يكون كذلك) أي مما ألقاه الشيطان على لسانه (و يبطل قوله) أي فائدة قوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) أي فلم تكن عاملا بالآية اذا العمل بها تبليغ ما أنزل اليه فلو زاد انتفى التبليغ (فانه لافرق في الفعل بين النقصان في الوحي والزيادة فيه فبهذه الوجوه) النقلية والعقلية (عرفنا على سبيل الاجمال أن هذه القصة موضوعة وقد قيل ان هذه القصة من موضوع الزنادقة لا أصل لها انتهى) وقال عياض لاشك في ادخال بعض شياطين الانس او الجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس على ضعفاء المسلمين انتهى (وليس كذلك بل لها أصل) قوي فقد خرجها ابن أبي حاتم الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن ادريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي صاحب التصانيف الكثيرة الثقة كان بحرا في العلوم ومعرفة الرجال وزاهدا يعد من الابدال توفي سنة سبع وعشرين وثلثمائة وقد ناهز التسعين (والطبري) محمد ابن جرير البغدادي عالم الدنيا (و) محمد بن ابراهيم بن المنذر النيسابوري نزيل مكة صاحب التصانيف الحافظ كان غاية في معرفة الخلاف والدليل فقيها مجتهدا لا يقلد أحدا مات سنة تسع أو عشر أو ست عشرة أو ثمان عشرة وثلثمائة من طرق عن شعبة بضم المعجمة وسكون المهملة ابن الحجاج الواسطي ثم البصري أمير المؤمنين في الحديث كان من سادات زمانه حفظا واتقانا وورعا وفضلا قال الشافعي لولا شعبة ما عرف الحديث بالعراق ولد سنة اثنتين وثمانين ومات بالبصرة سنة ستين ومائة (عن أبي بشر) بكسر الموحدة وسكون المعجمة جعفر بن أبي وحشية بفتح الواو وسكون المهملة وكسر المعجمة وشد التحتية اسمه اياس بالكسر وخفة التحتية الواسطي الثقة من رجال الصحيح توفي سنة أربع أو خمس أو ست وعشرين ومائة (عن سعيد بن جبير) التابعي المشهور المقتول ظلما (وكذا) خرجها الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى (ابن مردويه) بفتح الميم وتكسر كما مر (والبزار) الحافظ العلامة الشهير أبو بكر أحمد بن عمر بن عبد الخالق البصري صاحب المسند الكبير المعلل مات بالرملة سنة اثنين وتسعين ومائتين (وابن اسحق) محمد (في السيرة وموسى بن عقبة) بالقاف ابن أبي عياش القرشي مولاهم المدني التابعي الصغير الثقة الثبت الحافظ الفقيه توفي سنة احدى وأربعين ومائة (في المغازي) له التي كان تلميذه مالك اذا سئل عنها قال عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة فانها أصح المغازي وقال الشافعي ليس في المغازي أصح من كتاب موسى مع صغره وخلوه من أكثر ما يذكر في كتب غيره رواه الخطيب (وأبو معشر) بفتح الميم واسكان المهملة وفتح المعجمة نجيح بن عبد الرحمن الهاشمي مولاهم السندي قال أحمد صدوق لا يقيم الاسناد وابن معين ليس بالقوي وابن عدي يكتب حديثه مع ضعفه مات سنة سبعين ومائة (في السيرة) وقد قال مغلطاي أبو معشر من المعتمدين في السير (كما نبه عليه الحافظ عماد الدين بن كثير وغيره لكن قال) ابن كثير (ان طرقها كلها مرسلة وانه لم يرها مسندة) أي موصولة (من وجه صحيح وهذا متعقب بما سيأتي) قريبا من اخراج جماعة لها عن ابن عباس وجوابه انه قيد عدم رؤيته بالصحة والآتي لم يبلغها فلا يتعقب به (وكذا نبه على ثبوت أصلها شيخ الاسلام والحفاظ أبو الفضل) أحمد بن علي بن حجر (العسقلاني فقال أخرج ابن أبي حاتم) الحافظ

ألا إياه له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون وذكر أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا سلم من الصلاة قال اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا اله الا أنت هذه قطعة من حديث علي الطويل الذي رواه مسلم في استفتاحه عليه الصلاة والسلام وما كان يقوله في ركوعه وسجوده ولمسلم فيه لفظان أحدهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوله بين التشهد والتسليم وهذا هو الصواب والثاني كان يقوله بعد السلام ولعله كان يقوله في الموضعين والله أعلم وذكر الامام أحمد عن زيد بن أرقم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في دبر كل صلاة اللهم ربنا ورب كل شئ ومليكه أنا شهيد انك الرب وحدك لا شريك لك اللهم ربنا ورب كل شئ أنا شهيد أن محمدا عبدك ورسولك اللهم

الكبير ابن الحافظ الشهير (والطبري) محمد بن جرير وابن المنذر بضم الميم واسكان النون وكسر المعجمة ثم راء (من طرق عن شعبة) ابن الحجاج ابن الورد وليس الثقفي الظالم (عن أبي بشر) جعفر بن اياس (عن سعيد بن جبير) تقدم الستة قريبا (قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة والنجم) في رمضان سنة خمس من المبعث وكان خروج أهل الحبشة اليها في رجب وقدومهم في شوال قاله الواقدي قال في النور فهذا تباين لكن يحتمل انه تحدث بذلك قبل وقوعه وفيه ما فيه انتهى وقد يقال لا تباين لان الحبشة باليمن كما مر فيمكن وصول الخبر في تلك المدة ولا سيما البحر قد يقطع فيه مسافات كثيرة في أيام قليلة (فلما بلغ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فقال المشركون ما ذكر آلهتنا بخير قبل اليوم فسجد) لما ختم السورة (وسجدوا) معه وكبر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم (فنزلت هذه الآية) تسلية له (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) أي في قراءته بين كلمات القرآن (الآية) أنزلها (وأخرجه البزار وابن مردويه من طريق أمية ابن خالد) ابن الاسود العنسي أبي عبد الله البصري مات سنة مائتين أو واحدى (عن شعبة فقال في اسناده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب) أي أظن (ثم ساق الحديث) المذكور (وقال البزار) عقب تخريجه (لا يروى متصلا الا بهذا الاسناد وتفرد بوصله امية ابن خالد وهو ثقة مشهور) أخرج له مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي مع كون سعيد لم يجزم بوصله انما ظنه كما علم (وقال) البزار أيضا (انما يروى هذا من طريق الكلبي عن أبي صالح) باذان بنون أو باذام بميم وذاله معجمة عن مولاته أم هانئ وعلي وعنه السدي وغيره أخرج له أصحاب السنن وقال أبو حاتم لا يحتج به وفي التقريب انه مقبول (عن ابن عباس انتهى والكلبي) وهو محمد بن السائب (متروك لا يعتمد عليه) بل قال ابن الجوزي انه من كبار الوضاعين وشيخه أبو صالح فيه مقال وقال ابن حبان يروي الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير وأبو صالح لم ير ابن عباس ولا سمع الكلبي من أبي صالح الا الحرف بعد الحرف فلما احتيج اليه اخرجت الارض افلاذ كبدها لا يحل ذكره في الكتب فكيف الاحتجاج به (وكذا أخرجه النحاس) الحافظ الامام الصدوق أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى المصري نزيل نيسابور ذو الرحلة الواسعة والمعرفة الجيدة روى عنه الحاكم وقال حافظ يتحرى الصدق في مذاكراته مات سنة ست وسبعين وثلثمائة عن خمس وثمانين سنة (بسند آخر فيه الواقدي) محمد بن عمر بن واقد الاسلمي المدني الذي استقر الاجماع على وهنه كما في الميزان (وذكرها ابن اسحق في السيرة) ذكرا (مطولا وأسندها عن محمد بن كعب) القرظي (وكذلك) ذكرها (موسى بن عقبة في المغازي عن) شيخه (ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري (وكذا أبو معشر في السيرة له عن محمد بن كعب القرظي) بضم القاف وفتح الراء وظاء معجمة نسبة الى بني قريظة نزل الكوفة ثقة عالم ولد سنة أربعين ووهم من قال في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال البخاري ان أباه كان ممن لم يثبت في سبي قريظة مات محمد سنة عشرين ومائة وقيل قبل ذلك (ومحمد بن قيس) شيخ أبي معشر ضعيف ووهم من خلطه بمحمد بن قيس المدني القاص الثقة كما في التقريب (وأورده من طريقه) أي أبي معشر (الطبري) محمد بن جرير (وأورده ابن أبي حاتم من طريق أسباط) بن نصر الهمداني بسكون الميم قال في التقريب صدوق كثير الخطا يغرب (عن السدي) بضم السين وشد الدال المهملتين اسمعيل بن عبد الرحمن (ورواه ابن مردويه من طريق عباد بن صهيب) قال البخاري والنسائي وأبو حاتم متروك وابن المديني ذهب حديثه وقال ابن حبان يروي المناكير عن المشاهير حتى يشهد المبتدئ في الصناعة أنها موضوعة وقال زكريا الساجي كانت كتبه ملأى من الكذب وقال أبو داود هو صدوق فيما قد روى وقال أحمد ما كان بصاحب كذب

بشهيد أن العباد كلهم اخوة اللهم ربنا ورب كل شئ اجعلني مخلصا لك وأهلي في كل ساعة من الدنيا والآخرة ياذا الجلال والاكرام اسمع واستجب الله أكبر الله الاكبر الله نور السموات والارض الله أكبر الاكبر حسبي الله ونعم الوكيل الله أكبر الاكبر رواه أبو داود وندب أمته الى أن يقولوا في دبر كل صلاة سبحان الله ثلاثا وثلاثين والحمد لله كذلك والله أكبر كذلك وتمام المائة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وفي صفة أخرى التكبير أربعا وثلاثين فتتم به المائة وفي صفة أخرى خمسا وعشرين تسبيحا ومثلها تحميدا ومثلها تكبيرا ومثلها لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وفي صفة أخرى عشر تسبيحات وعشر تحميدات وعشر تكبيرات وفي صفة أخرى احدى عشرة كما في صحيح مسلم في بعض روايات حديث أبي هريرة ويسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين احدى

عشرة واحدى عشرة واحدى عشرة فذلك ثلاثة وثلاثون والذي يظهر في هذه الصفة أنها من تصرف بعض الرواة وتفسيره لان لفظ الحديث يسبحون ويحمدون ويكبرون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وانما مراده بهذا أن يكون الثلاث والثلاثون في كل واحدة من كلمات التسبيح والتحميد والتكبير أي قولوا سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين لان راوي الحديث موهي عن أبي صالح وبذلك فسر أبو صالح قال قولوا سبحان الله والحمد لله والله أكبر حتى يكون منهن كلهن ثلاثا وثلاثين وأما تخصيصه باحدى عشرة فلا نظير له في شيء من الاذكار بخلاف المائة فان لها نظائر والعشر لها نظائر أيضا كما في النسائي من حديث أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال في دبر صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب له عشر

وجمع الحافظ في الامالي بأنه كان لا يتعمد الكذب بل يقع ذلك في روايته من غلطه وغفلته ولذا تركوه (عن يحيى بن كثير) أبي النضر ضعيف (عن الكلبي عن أبي صالح) البصري اشتهر بكنيته و اسمه (وعن أبي بكر الهذلي) قيل اسمه سلمى بضم السين المهملة ابن عبد الله وقيل روح الاخباري متروك الحديث كما في التقريب مات سنة سبع وستين ومائة روى له ابن ماجه (وأيوب) بن كيسان البصري التابعي الصغير قال فيه شعبة أيوب سيد الفقهاء ما رأيت مثله وقال ابن سعد كان ثقة ثبتا حجة عدلا جامعا ولد سنة أربع وستين ومات سنة احدى وثلاثين ومائة بالبصرة و يقال له السختياني بفتح المهملة على الصحيح وحكي ضمها أو كسرها وفتح الفوقية كما في اللباب و كسرها كما في المطالع نسبة الى بيع السختيان وهو الجلد أو الى عمله (عن عكرمة) بن عبد الله البربري ثم المدني مولى ابن عباس أحد الاعلام الكبار كان بحرا من البحار ونسبته للكذب على سيده او البدعة أو سوء العقيدة لا تثبت كما بسطه الحافظ في مقدمة الفتح مات سنة ست أو سبع ومائة (و) رواه ابن مردويه أيضا عن (سليمان) بن بلال (التيمي) مولاهم المدني أحد علماء البصرة قال ابن سعد كان بربريا جميلا حسن الهيئة عاقلا ثقة كثير الحديث مات سنة اثنتين وسبعين ومائة (عمن حدثه ثلاثتهم) يعني أبا صالح وعكرمة والذي حدث سليمان (عن ابن عباس و أورده الطبري من طريق العوفي) بسكون الواو وبالفاء عطية بن سعد بن جنادة بجيم مضمومة فنون خفيفة الجدلي بفتح الجيم والمهملة الكوفي أبي الحسن صدوق شيعي مدلس يخطئ كثيرا الا ان الترمذي يحسن حديثه خصوصا مع الشاهد وهذا له شواهد كما ترى مات سنة احدى عشرة ومائة أخرج له أبو داود والنسائي والترمذي وتحوبز ان المراد سليمان بن يحيى قاضي مرو لانه يروي عن ابن عباس وابن عمر مردود فقد جزم في الانساب من التقريب بأن العوفي عطية بن سعد (عن ابن عباس ومعناهم كلهم في ذلك واحد وكلها) اي كل طريق منها (سوى طريق سعيد بن جبير) اما ضعيف واما منقطع لكن كثرة الطرق تدل على ان للقصة أصلا) وان كان فيها ذلك (مع ان لها طريقين آخرين مرسلين رجالهما على شرط الصحيح احدهما) أي الطريقين والطريق يذكر ويؤنث (ما أخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد) بتحتية وزاي الايلي الحافظ روى عن الزهري ونافع وغيرهما وعنه الليث وابن وهب والاوزاعي وخلق مات بمصر سنة سبع وخمسين ومائة على الصحيح روى له الجميع ووثقه الجمهور مطلقا حتى بالغ أحمد بن صالح فقال لا نقدم على يونس في الزهري احدا (عن) محمد بن مسلم (بن شهاب) الزهري العلم الشهير قال (حدثني أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام) بن المغيرة المخزومي المدني الثقة أحد الفقهاء السبعة التابعي الكبير كثير الحديث من سادات قريش قيل اسمه محمد وقيل المغيرة وقيل أبو بكر وكنيته أبو عبد الرحمن وقيل اسمه وكنيته واحد ولد في خلافة عمر ومات سنة ثلاث او اربع أو خمس وتسعين (فذكر نحوه) وهذا رجاله على شرط الشيخين (والثاني ما أخرجه) ابن جرير (أيضا من طريق المعتمر بن سليمان) بن طرخان التيمي الثقة الحافظ البصري المتوفى بها سنة سبع وثمانين ومائة روى له الستة (وحماد بن سلمة) بفتحات ابن دينار البصري أحد الائمة الاثبات العابد الزاهد الحافظ مجاب الدعوة كان يعد من الابدال تزوج سبعين امرأة فلم يولد له لانه لا يولد للبدل احتج به مسلم والاربعة والبخاري في التاريخ وعلق له في الصحيح قال الحافظ ولم يخرج له فيه احتجاجا ولا مقرونا ولا متابعة الا في موضع واحد في الرقاق لانه ساء حفظه في الآخر مات سنة سبع وستين ومائة (كلاهما عن داود بن أبي هند) القشيري مولاهم ابو بكر أو أبو محمد ثقة متقن أخرج له مسلم والاربعة مات سنة أربعين ومائة فهذا على شرط مسلم (عن أبي العالية) بمهملة وتحتية رفيع بضم الراء وفتح

الفاء ابن مهران الرياحي براء وتحتية ومهملة البصري التابعي الكبير أسلم بعد الوفاة النبوية بسنتين وقيل فيه ليس بعد الصحابة أعلم منه بالقرآن مات سنة تسعين وقيل ثلاث وقيل غير ذلك (قال الحافظ ابن حجر) أيضا اذ ما قبله كلامه (وقد تجرأ ابن العربي) الحافظ المتبحر في العلوم محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الاشبيلي المالكي القاضي يكنى أبا بكر له التصانيف الحسنة والمناقب الجمة والرحلة الى عدة بلاد في طلب العلوم توفي سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة (كعادته) في التجرؤ (فقال ذكر الطبري) يعني ابن جرير (في ذلك روايات كثيرة) باطلة كما في الفتح عنه قبل طواه (لا أصل لها وهو اطلاق مردود عليه) لكثرة الطرق مع المراسيل الثلاثة الصحيحة (وكذا قول القاضي عياض) في الشفاء (هذا الحديث لم يخرجه أهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم) أي سالم من الطعن فيه (متصل) قال وانما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض أهل الاهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون (مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع أسانيده) واختلاف كلماته فقائل تقول في الصلاة وآخر في نادي قومه حين أنزلت عليه السورة وآخر يقول بل حدث نفسه فسها وآخر قالها الشيطان على لسانه وأن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي ذلك قال والله ما هكذا أنزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة (وكذا قوله) أي عياض عقب ما زدته منه (ومن حكيت عنه هذه القصة من التابعين) كالزهري وابن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن (والمفسرين) كابن جرير وابن أبي حاتم وابن المنذر (لم يسندها أحد منهم) الى النبي صلى الله عليه وسلم (ولا رفعها الى صاحب) من أصحابه (وأكثر الطرق عنهم في ذلك ضعيفة واهية) ساقطة غير مرضية (قال) ابن عياض (وقد بين البزار أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره الا طريق شعبة عن) (أبي بشر عن سعيد بن جبير مع الشك الذي وقع في وصله) من سعيد وهو قوله عن ابن عباس فيما أحسب قال ولم يسنده عن شعبة الا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد وانما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال القاضي (وأما الكلبي فلا تجوز الرواية عنه لقوة ضعفه) وكذبه كما أشار اليه البزار انتهى كلامه في الشفاء قال شارحه وفي قوله لقوة ضعفه طباق بديع جدا فهذا رده من حيث الاسناد (ثم رده) أي عياض (من طريق النظر) أي الفكر الصادر عن عقل سليم مستقيم (بأن ذلك لو وقع لارتد كثير ممن أسلم) انهم اذ سمعوه مع قرب عهدهم بالاسلام اعتقدوا في الاصنام النفع فيميلون لها (قال ولم ينقل ذلك انتهى) قال الحافظ ابن حجر (وجميع ذلك لا يتمشى على القواعد فان الطرق اذا كثرت وتباينت مخارجها) جمع مخرج أي محل خروجها (دل ذلك على ان لها أصلا) اذ يبعد اتفاق طوائف متباينين على ما لا أصل له (وقد ذكرنا ان ثلاثة أسانيد منها على شرط الصحيح) ولو لاحدهما وهي طريق ابن جبير وطريق أبي بكر بن عبد الرحمن وطريق أبي العالية (وهي مراسيل يحتج بمثلها من يحتج بالمراسيل) لصحتها (وكذا من لا يحتج بها) الاعتضاد بعضها ببعض فحصلت لها القوة فقامت بها الحجة عند الفريقين (واذا تقرر ذلك تعين تأويل ما وقع فيها مما يستنكر وهو قوله ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى فان ذلك لا يجوز) أي يحرم باجماع (حمله على ظاهره لانه يستحيل عليه صلى الله عليه وسلم أن يزيد في القرآن عمدا ما ليس فيه) كيف وقد قال تعالى ولو تقول علينا الخ وقال اذا لاذقناك الآية (وكذا سهوا اذا كان مغايرا لما جاء به من التوحيد لمكان عصمته) وهذا يؤذن بجواز زيادته على ما في القرآن سهوا ان وافق ما جاء به من التوحيد وفيه ما فيه فلا يقع منه ذلك ولا سهوا اجماعا حكاه

تحسنات ومحي عنه عشر سيآت ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم الا الشرك بالله قال الترمذي حديث صحيح وفي مسند الامام أحمد من حديث أم سلمة أنه صلى الله عليه وسلم علمه ابنته فاطمة لما جاءت تسأله الخادم فأمرها أن تسبح الله عند النوم ثلاثا وثلاثين وتحمده ثلاثا وثلاثين وتكبره ثلاثا وثلاثين واذا صلت الصبح أن تقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات وبعد صلاة المغرب عشر مرات وفي صحيح ابن حبان عن أبي أيوب الانصاري يرفعه من قال اذا أصبح لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير عشر مرات كتب له بهن عشر حسنات ومحي عنه بهن عشر سيآت ورفع له بهن عشر درجات وكن له عدل عتاقة أربع رقاب وكن له حرزا من الشيطان حتى يمسي ومن قالهن اذا صلى المغرب دبر صلاته فمثل ذلك حتى يصبح وقد

عياض وغيره (وقد سلك العلماء في ذلك مسالك) عبر عن تلبسهم بالاجوبة المختلفة بالدخول في الطرق المختلفة مجازا اذ سلوك الطريق الدخول فيه والمسالك الطرق التي يدخل فيها وقد أنصف في الشفاء حيث قال وأجاب عن ذلك أئمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين (فقيل جرى ذلك على لسانه حين أصابته) أي عرضت له (سنة) فتور مع أوائل النوم قبل الاستغراق فيه (وهو لا يشعر فلما علم الله) أظهر علمه للناس (بذلك أحكم آياته وهذا أخرجه الطبري عن قتادة) ونقله عياض عنه وعن مقاتل (ورده القاضي عياض بانه لا يصح) وقوعه منه (لكونه لا يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ولا ولاية للشيطان عليه في النوم) ولذا احتاجوا للجواب عن نومه في الوادي وأجاب شارح الهمزية بان هذا لا يثبت له الولاية عليه غاية الامر أن الشيطان لما رآه اصابته تلك السنة حكى قراءته بصوت يشبه صوته ودفعه شيخنا بان عياضا لم يرد بالولاية عليه السلطنة بحيث يصير فاعلا لما أمره به بل مراده بنفي الولاية انه لا تسلط له عليه في شيء مما يريد فعله بوجه ما اعم من ان يكون بحمله موافقته أو بحكاية شيء عنه على وجه الكذب والبهتان (وقيل ان الشيطان ألجاه الى ان قال ذلك بغير اختياره ورده) محمد (ابن العربي بقوله تعالى حكاية عن الشيطان وما كان لي عليكم من سلطان الآية قال فلو كان للشيطان قوة على ذلك لما بقي لاحد قوة على طاعة) لانه اذا قدر على الجائه وحاشاه من ذلك فالناس بعده فهذا الجواب أقبح من القصة (وقيل ان المشركين كانوا اذا ذكروا آلهتهم وصفوها بذلك فعلق ذلك) بكسر اللام أي تعلق (بحفظه صلى الله عليه وسلم فجرى على لسانه لما ذكرهم سهوا وقد رد ذلك القاضي عياض فاجاد) حيث قال هذا انما يصح فيما لم يغير المعاني ويبدل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل الجائز عليه السهو عن اسقاط آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر عليه بل ينبه عليه ويذكر به الحين انتهى (وقيل لعله صلى الله عليه وسلم (قال ذلك توبيخا للكفار) كقول ابراهيم هذا ربي على أحد التأويلات وقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته (قال القاضي عياض وهذا جائز اذا كانت هناك قرينة تدل على المراد) مع بيان الفصل وانه ليس من المتلو (ولا سيما وقد كان الكلام في ذلك الوقت في الصلاة جائزا) لفظ عياض ولا يعترض هذا بما روى أنه كان في الصلاة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع (والى هذا نحا) مال القاضي أبو بكر محمد بن الطيب (الباقلاني) البصري ثم البغدادي الملقب بشيخ السنة ولسان الامة الاصولي الاشعري المالكي مجدد الدين على رأس المائة الرابعة على الصحيح كما قال الزناتي في طبقات المالكية وفي الديباج انتهت اليه رياسة المالكية في وقته وكان حسن الفقه عظيم الجدل وكان له بجامع المنصور حلقة عظيمة وحدث عنه أبو ذر وتوفي يوم السبت لسبع بقين من ذي القعدة سنة ثلاث وأربعمائة (وقيل انه لما وصل الى قوله ومناة الثالثة الاخرى خشي المشركون أن يأتي بعدها بشيء يذم آلهتهم به) كعادته اذا ذكرها (فبادروا الى ذلك الكلام فخلطوه في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم على عادتهم في قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرأ (والغوا فيه) أظهروا اللغو برفع الاصوات تخليطا وتشويشا عليه بما يشغل عنه الخواطر لعجزهم عن مثله زاد في الشفاء وأشاعوا ذلك وأذاعوه فحزن النبي صلى الله عليه وسلم من كذبهم عليه فسلاه الله بقوله وما أرسلنا من قبلك الآية وبين للناس الحق من ذلك الباطل وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر الآية (ونسب ذلك للشيطان) ابليس (لكونه الحامل لهم على ذلك) كما جزم به عياض (أو المراد بالشيطان شيطان الانس) أي جنسه قال شيخنا وهذا الجواب أقرب الاجوبة فيما ينبغي وان قال في شرح الهمزية انه تعسف (وقيل) واستظهره عياض والمراد (بالغرانيق العلا الملائكة) كما قاله الكلبي بناء على رواية مجاهد

تقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم في الاستفتاح الله أكبر عشرا والحمد لله عشرا وسبحان الله عشرا ولا اله الا الله عشرا ويستغفر الله عشرا ويقول اللهم اغفر لي واهدني وارزقني عشرا ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة عشرا فالعشر في الاذكار والدعوات كثيرة وأما الاحدى عشرة فلم يجئ ذكرها في شيء من ذلك ألبتة الا في بعض طرق حديث أبي هريرة المتقدم والله أعلم وقد ذكر أبو حاتم في صحيحه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول عند انصرافه من صلاته اللهم أصلح لي ديني الذي جعلته عصمة أمري وأصلح دنياي التي جعلت فيها معاشي اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بعفوك من نقمتك واعوذ بك منك لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وذكر الحاكم في مستدركه عن أبي أيوب أنه قال ما صليت وراء نبيكم صلى الله عليه وسلم الا سمعته حين ينصرف من صلاته يقول اللهم اغفر لي خطاي وذنوبي كلها اللهم انعشني وأحيني وارزقني

والغرانقة العلا كما قال عياض لا على رواية تلك لانه لم يتقدم للملائكة ذكر حتى يرجع اليه اسم الاشارة (وكان الكفار يقولون الملائكة بنات الله ويعبدونها) قال القاضي فلا يبعد انه على هذا كان قرآنا (فنسق ذكر الكل) أتى به على نظام واحد فقال أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى والغرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى (ليرد عليهم بقوله ألكم الذكر وله الانثى فلما سمعه المشركون حملوه على الجميع) جهلا أو عنادا أو تلبيسا (وقالوا قد عظم آلهتنا ورضوا بذلك) مع انه انما يعود للغرانقة أى الملائكة لان استعارة الطير لهم أظهر من استعارته للاصنام قال عياض ورجاء الشفاعة منهم صحيح (فنسخ الله تينك الكلمتين) اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس وهما والغرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى عبر عنهما بالكلمتين مجازا من تسمية الكل باسم الجزء (وأحكم آياته) كما نسخ كثير من القرآن وكان فى كل من انزالهما ونسخهما حكمة ليضل به من يشاء ويهدى من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفى شقاق بعيد وليعلم الذين أوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ذكره القاضي عياض (وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يرتل القرآن) ترتيلا ويفصل الآيات تفصيلا فى قراءته كما رواه عنه الثقات (فارتصده الشيطان فى سكتة من تلك السكتات ونطق بتلك الكلمات محاكيا نغمة) أى صوت (النبي صلى الله عليه وسلم) والنغمة فى الاصل الصوت الخفى كما فى القاموس (بحيث سمعه من دنا اليه فظنها من قوله) أى مما تلاه من القرآن (وأشاعها) ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل على ما أنزلت وتحققهم حال النبي صلى الله عليه وسلم فى ذم الاوثان بل حكى ابن عقبة ان المسلمين لم يسمعوها وانما ألقى الشيطان ذلك فى اسماع المشركين وقلوبهم ويكون حزنه صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة ذكره عياض مريدا به بيان القرينة القائمة على انه ليس من قوله ولا مما أوحى اليه فسقط الاعتراض عليه بانه لا سبيل للشيطان عليه حتى يتمكن من ادخاله فى كلامه ومتلوه ما ليس منه (وقال) أى عياض ما معناه (وهذا أحسن الوجوه) وهو الذى يظهر ويترجح (ويؤيده ما ورد عن ابن عباس من تفسير تمنى بتلا) قال تعالى لا يعلمون الكتاب الا امانى أى تلاوة (وكذا استحسن ابن العربى) الحافظ محمد (هذا التأويل وقال معنى قوله فى أمنيته أى فى تلاوته فاخبر الله تعالى أن سنة الله فى رسله) عليهم الصلاة والسلام (اذا قالوا قولا زاد الشيطان فيه من قبل) بكسر ففتح جهة (نفسه فهذا نص فى أن الشيطان زاد فى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله) حتى يحتاج للعذر بشيء مما سبق (وقد سبق) عياضا وابن العربى (الى ذلك) أبو جعفر بن جرير (الطبرى مع جلالة قدره وسعة علمه) بحيث قال فيه امام الائمة ابن خزيمة ما أعلم على أديم الارض اعلم منه وقال الخطيب كان أحد الائمة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره حافظا للقرآن بصيرا بالمعانى فقيها فى أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين بصيرا بايام الناس واخبارهم له تاريخ الاسلام والتفسير الذى لم يصنف مثله (وشدة ساعده فى النظر) وله فى الاصول والفروع كتب كثيرة وعده السيوطى فى العشرة الذين دونت مذاهبهم وكان لهم أتباع يفتون بقولهم ويقضون ولم ينقرضوا الا بعد الخمسمائة لموت العلماء لكن قال ابن فرحون فى الديباج انقطعت أتباع الطبرى بعد الاربعمائة (فصوب هذا المعنى انتهى) كلام فتح البارى فى التفسير وكذا ارتضاه الامام الرازى وقال انه الجواب السديد واختاره أيضا فى المواقف والمدارك والانوار وغيرها والله أعلم

واهدنى لصالح الاعمال والاخلاق انه لا يهدى لصالحها ولا يصرف سيئها الا أنت وذكر ابن حبان فى صحيحه عن الحارث ابن مسلم التميمى قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم اذا صليت الصبح فقل قبل أن تكلم اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك ان مت من يومك كتب الله لك جوارا من النار واذا صليت المغرب فقل قبل أن تكلم اللهم أجرنى من النار سبع مرات فانك ان مت من ليلتك كتب الله لك جوارا من النار وقد ذكر النسائى فى الكبير من حديث أبى أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى فى دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا أن يموت وهذا الحديث تفرد به محمد بن حمير عن محمد بن زياد الالهانى عن أبى أمامة ورواه النسائى عن الحسين بن بشر عن محمد بن حمير وهذا الحديث من الناس من يصححه ويقول الحسين بن بشر قد قال فيه النسائى لا بأس به وفى موضع آخر ثقة وأما المحمدان فاحتج بهما البخارى فى صحيحه قالوا فالحديث على رسمه ومنهم من

(الهجرة الثانية الى الحبشة ونقض الصحيفة)

(ثم هاجر المسلمون) الهجرة (الثانية الى أرض الحبشة) باذنه صلى الله عليه وسلم كما فى رواية لما استقبلوهم حين رجعوا بالاذى والشر فرجع الاولون ومعهم خلق سواهم (وعدتهم ثلاثة وثمانون رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم) فقد شك فيه ابن اسحق وقال السهيلى الاصح عند أهل السير كالواقدى وابن عقبة وغيرهما انه لم يكن فيهم انتهى وجزم فى الاستيعاب بهجرته وكلام العيون كما فى النسو يقتضى اختياره لانه قال فى تعدادهم وعمار بن ياسر وفيه خلاف وقيل ان أباموسى كان فيهم وليس كذلك ولكنه خرج فى طائفة من قومه الى أرضهم باليمن يريدون المدينة فركبوا البحر فرمتهم الريح الى الحبشة فأقام هنالك حتى قدم مع جعفر انتهى و روى أحمد باسناد حسن عن ابن مسعود بعثنا صلى الله عليه وسلم الى النجاشى ونحن نحو من ثمانين رجلا فيهم ابن مسعود وجعفر وعبد الله بن عرفطة وعثمان بن مظعون وأبو موسى الاشعرى الحديث واستشكل ذكر أبى موسى لان الذى فى الصحيحين عنه بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن باليمن فركبنا سفينة فالقتنا سفينتنا الى النجاشى بالحبشة فوافقنا جعفر بن أبى طالب فأقمنا معه حتى قدمنا المدينة فوافقنا النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح خيبر فقال لكم أنتم يا أهل السفينة هجرتان قال الحافظ يمكن الجمع بأن أباموسى هاجر أولا الى مكة فأسلم فبعثه صلى الله عليه وسلم مع من بعث الى الحبشة فتوجه هو الى بلاد قومه وهم مقابل الحبشة من الجانب الشرقى فلما تحققوا استقراره صلى الله عليه وسلم وأصحابه بالمدينة هاجر هو ومن أسلم من قومه الى المدينة فالقتهم السفينة لاجل هيجان الريح الى الحبشة فهذا محتمل وفيه جمع بين الاخبار فليعتمد وعلى هذا فقول أبى موسى بلغنا مخرج النبى صلى الله عليه وسلم أى الى المدينة لا بلغنا مبعثه لانه يبعد كل البعد أن يتأخر علم مبعثه الى مضى نحو عشرين سنة ومع الحمل على مخرجه الى المدينة فلا بد من زيادة استقراره بها وانتصافه ممن عاداه ونحو ذلك اذ يبعد أيضا ان يخفى عنهم خبر خروجه الى المدينة ست سنين و يحتمل ان اقامة أبى موسى بالحبشة طالت لتأخر جعفر عن الحضور الى المدينة حتى يؤذنه صلى الله عليه وسلم بالقدوم وذكر ابن مظعون فيهم وان كان مذكورا فى الاولى لانهم رجعوا معهم كما ذكره ابن اسحق وابن عقبة وغيرهما (وثمانى عشر امرأة) احدى عشرة قرشيات وسبع غرباء كما فى العيون فالجملة مائة أو واثنان ان عد عمار وأبو موسى قال ابن اسحق فلما سمعوا بمهاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة رجع منهم ثلاثة وثلاثون رجلا وثمان نسوة فمات منهم رجلان بمكة وحبس سبعة وشهد منهم بدرا أربعة وعشرون (وكان منهم عبيد الله) بضم العين (ابن جحش) أخو عبد الله بفتح العين المستشهد باحد (مع امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان فتنصر هنالك) روى ابن سعد عنها رأيت فى المنام كان زوجى عبيد الله باسوأ صورة ففزعت فاصبحت فاذا به قد تنصر فأخبرته بالمنام فلم يحفل به وأكب على الخمر حتى مات فأتانى آت فى نومى فقال يا أم المؤمنين ففزعت فما هو الا ان انقضت عدتى فما شعرت الا برسول النجاشى يستأذن فاذا هى جارية يقال لها أبرهة فقالت ان الملك يقول لك وكلى من يزوجك فوكلت خالد بن سعيد بن العاصى الحديث (ثم مات على دين النصرانية وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ام حبيبة) رملة على الاصح وقيل هند اشتهرت بابنتها حبيبة من عبيد الله المذكور وهى صحابية ربيبة المصطفى اختلف هل ولدت بمكة أو الحبشة (بنت أبى سفيان) صخر بن حرب رضى الله عنه (سنة سبع من الهجرة الى المدينة) متعلق بالهجرة (وهى بالحبشة كما سيأتى ان شاء الله تعالى فى المقصد الثانى عند ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم) وروى أحمد باسناد حسن عن ابن مسعود قال بعثت قريش عمرو بن العاصى وعمارة بن الوليد بهدية فقدما على النجاشى فدخلا عليه وسجدا له وابتدراه فقعد واحد عن

يقول هو موضوع وأدخله أبو الفرج ابن الجوزى فى كتابه فى الموضوعات وتعلق على محمد بن حمير وان أباحاتم الرازى قال لا يحتج به وقال يعقوب بن سفيان ليس بقوى وأنكر ذلك عليه بعض الحفاظ ووثقوا محمدا وقال هو أجل من أن يكون له حديث موضوع وقد احتج به أجل من صنف فى الحديث الصحيح وهو البخارى ووثقه أشد الناس مقالة فى الرجال يحيى بن معين وقد رواه الطبرانى فى معجمه أيضا من حديث عبد الله بن حسن عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ آية الكرسى فى دبر الصلاة المكتوبة كان فى ذمة الله الى الصلاة الاخرى وقد روى هذا الحديث من حديث أبى طالب وعبد الله بن عمرو والمغيرة ابن شعبة وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وفيها كلها ضعف ولكن اذا انضم بعضها الى بعض مع تباين طرقها واختلاف مخارجها دلت على أن الحديث له أصل وليس بموضوع وبلغنى عن شيخنا أبى العباس ابن تيمية قدس الله

عينه والآخر عن شماله فقالا ان نفرا من بني عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال وأين هم قال
هم بأرضك فأرسل في طلبهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فدخل فسلم فقالوا مالك لا تسجد
للملك فقال انا لا نسجد الا لله عز وجل قالوا ولم ذلك قال ان الله أرسل فينا رسولا وأمرنا أن لا نسجد الا لله
وأمرنا بالصلاة والزكاة قال عمرو فانهم يخالفونك في ابن مريم وأمه قال فما تقول فيهما قال نقول كما قال الله
روح الله وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول التي لم يمسها بشر ولم يعرضها ولد فرفع النجاشي عودا من
الارض فقال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان ما تزيد على ما تقولون أشهد انه رسول الله وانه
الذي بشر به عيسى في الانجيل والله لولا ما أنا فيه من الملك لاتيته فأكون انا الذي احمل نعليه وأوضئه
وقال انزلوا حيث شئتم وأمر بهدية الآخرين فردت عليهما وتعجل ابن مسعود فشهد بدرا وفي رواية
فقال النجاشي مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده وأنا أشهد أنه رسول الله وتوفي النجاشي بعد الهجرة سنة تسع
عند الاكثر وقيل سنة ثمان قبل فتح مكة كما ذكره البيهقي في الدلائل (وخرج أبو بكر الصديق) كما في
الصحيح عن عائشة لم أعقل أبوي الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا يأتينا فيه رسول الله صلى الله
عليه وسلم طرفي النهار بكرة وعشية فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر (رضي الله عنه) مهاجرا (الى
الحبشة) ليلحق بمن سبقه من المهاجرين اليها (حتى بلغ برك) بفتح الموحدة وحكي كسرها وسكون الراء
فكاف (الغماد) بكسر المعجمة على المشهور من الروايات وجزم ابن خالويه بضمها وخطأ الكسر وجوز
أبو عبيد وغيره الضم والكسر والقزاز وغيره الفتح أيضا وذكره ابن عديس في المثلث وأغرب من حكى
اهمال العين وميم خفيفة فألف فدال مهملة قال الحازمي موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن
وقال البكري هي أقاصي هجر وقال الهمداني في اقصى اليمن قال الحافظ والاول أولى انتهى وعورض
هذا بما رواه ابن اسحق عن الزهري عن عروة عن عائشة استأذن أبو بكر رسول الله في الهجرة فأذن له
فخرج أبو بكر مهاجرا حتى اذا سار يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة الحديث وسنده حسن أو صحيح وبين
برك الغماد وبين يوم أو يومين تباين كثير وجمع بأنهما لم تعن المكان المخصوص بل مكانا بعيدا فانها تقال
فيما تباعد كسعفات هجر وحوض الثعلب أو أرادت حتى بلغ أقصى المعمور من مكة فان برك الغماد
فسرت بذلك أو حديث الصحيح فيه زيادة فيؤخذ بها (ورجع في جوار سيد القارة) بقاف وراء
خفيفة قبيلة مشهورة من بني الهون بضم الهاء والتخفيف ابن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر
وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش ويضرب بهم المثل في قوة الرمي قال الشاعر
* قد أنصف القارة من راماها * (ابن الدغنة) قال في النور لا أعلم له اسلاما (بفتح الدال المهملة وكسر
الغين المعجمة وتخفيف النون) كما نسبه الحافظ للرواة وقال قال الاصيلي قرأه لنا المروزي بفتح الغين
والصواب الكسر (وبضم الدال والغين وتشديد النون) عند أهل اللغة وبه رواه أبو ذر في الصحيح ولذا
قال النووي روي بهما في الصحيح وفي الفتح ثبت بالتخفيف والتشديد من طريق وهي أمه وقيل أم
أبيه وقيل دايته وقيل لاسترخاء كان في لسانه ومعنى الدغنة المسترخية وأصلها الغمامة الكثيرة المطر
واختلف في اسمه فعند البلاذري من طريق الواقدي عن معمر عن الزهري انه الحرث بن يزيد وحكى
السهيلي انه مالك وقول الكرماني سماه ابن اسحق ربيعة بن رفيع وهم فالذي ذكره ابن اسحق شخص
غير هذا اسلمي وهذا من القارة وأيضا انما ذكره في غزوة حنين وانه صحابي ولم يذكر في قصة
الهجرة وكان رجوعه بطلب ابن الدغنة ففي الصحيح خرج أبو بكر مهاجرا نحو أرض الحبشة حتى
بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة فقال أين تريد يا أبا بكر فقال أبو بكر أخرجني قومي
فأريد أن أسيح في الارض وأعبد ربي فقال ابن الدغنة فان مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج انك

زوجه أنه قال ما تركتها
عقيب كل صلاة وفي المسند
والسنن عن عقبة بن
عامر قال أمرني رسول الله
صلى الله عليه وسلم
أن أقرأ بالمعوذات في دبر
كل صلاة رواه أبو حاتم
وابن حبان في صحيحه
والحاكم في المستدرك وقال
صحيح على شرط مسلم
ولفظ الترمذي بالمعوذتين
وفي معجم الطبراني
ومسند أبي يعلى الموصلي
من حديث عمر بن نبهان
وقد تكلم فيه عن جابر
يرفعه ثلاث من جاء بهن
مع الايمان دخل من
أي أبواب الجنة شاء
وزوج من الحور العين
حيث شاء من عفا عن
قاتله وأدى دينا خفيا
وقرأ في دبر كل صلاة
مكتوبة عشر مرات قل
هو الله أحد فقال أبو بكر
رضي الله عنه أو احداهن
يا رسول الله قال أو احداهن
وأوصى معاذا أن يقول
في دبر كل صلاة اللهم
أعني على ذكرك وشكرك
وحسن عبادتك ودبر
الصلاة يحتمل قبل
السلام وبعده وكان
شيخنا يرجح أن يكون
قبل السلام فراجعته
فيه فقال دبر كل شيء منه
كدبر الحيوان
* (فصل) * وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم

تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق فانا لك جار ارجع واعبد ربك ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية فى اشراف قريش فقال ان أبا بكر لا يخرج مثله ولا يخرج أتخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مر أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن به فانا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابى بكر فلبث أبو بكر بذلك (يعبد ربه فى داره) ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره قال الحافظ ولم يقع لى بيان المدة التى أقام فيها أبو بكر على ذلك (وابتنى) لفظ عائشة ثم بدا لابى بكر فابتنى (مسجدا بفناء داره) بكسر الفاء وخفة النون والمد أى أمامها (وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن) أى ما نزل منه كله أو بعضه (فيتقصف) بتحتية ففوقية فقاف فصاد مهملة ثقيلة مفتوحتين أى يزدحم (عليه نساء المشركين وابناؤهم) حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر قال الحافظ وأطلق يتقصف مبالغة يعنى لانهم لم يصلوا الى هذه الحالة وفى رواية المستملى والمروزى ينقذف بتحتية مفتوحة فنون ساكنة فقاف مفتوحة فذال معجمة مكسورة ففاء قال الخطابى ولا معنى له والمحفوظ الاول الا أن يكون من القذف أى يتدافعون فيقذف بعضهم بعضا فيتساقطون عليه فيرجع الى معنى الاول وفى رواية الكشميهنى والجرجانى فينقصف بنون ساكنة بدل الفوقية وكسر الصاد أى يسقط (ويعجبون منه وكان أبو بكر رجلا بكاء) بشد الكاف كثير البكاء (لا يملك عينيه) قال الحافظ أى لا يطيق امساكهما عن البكاء من رقة قلبه (اذا قرأ القرآن) اذا ظرفية والعامل فيه لا يملك أو شرطية والجزاء مقدر (فأفزع ذلك) أى أخاف ما فعله أبو بكر (أشراف قريش من المشركين) لما يعلمونه من رقة قلوب النساء والشباب أن يميلوا الى الاسلام قال فى الرواية فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم (فقالوا انا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه فى داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فاعلن بالصلاة والقراءة فيه و(انا قد خشينا أن يفتن) بفتح أوله أبو بكر (نساءنا وأبناءنا) بالنصب مفعول كذا رواه أبو ذر ورواه الباقون يفتن ضم أوله نساؤنا بالرفع على البناء للمجهول قاله الحافظ (فانهه) عن ذلك (فان أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه فى داره فعل وان أبى الا أن يعلن فسله) بفتح السين وسكون اللام بلا همز نسب هذا الحافظ للكشميهنى وصدر بقوله فاسأله بالهمز (ان يرد اليك ذمتك) أمانك له (فانا قد كرهنا ان نخفرك) بضم النون وسكون المعجمة وكسر الفاء يقال خفره اذا حفظه وأخفره اذا غدر أى نغدرك قال فى الرواية ولسنا مقرين لابى بكر الاستعلان فأتى ابن الدغنة الى أبى بكر قال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على ذلك واما أن ترجع الى ذمتى فانى لا أحب ان تسمع العرب أنى أخفرت فى رجل عقدت له (فقال أبو بكر لابن الدغنة فانى أرد اليك جوارك) بكسر الجيم وضمها أو داره (وأرضى بجوار الله) عز وجل أى بحمايته (الحديث رواه البخارى) فى باب الهجرة الى المدينة مطولا وليس فى بقيته غرض يتعلق بما هنا فانما أراد المصنف افادة ان ما ذكره قطعة منه ورواه البخارى أيضا فى مواضع مختصرا قال الحافظ وفيه من فضائل الصديق أشياء كثيرة قد امتاز بها عمن سواه ظاهرة لمن تأملها قال وفى موافقة ابن الدغنة فى وصف الصديق لخديجة فيما وصفت به النبى صلى الله عليه وسلم ما يدل على عظيم فضل الصديق واتصافه بالصفات البالغة فى أنواع الكمال انتهى ونحوه فى النور وزاد وفى الحديث كنت أنا وأبو بكر كفرسى رهان فسبقته الى النبوة وقد خلق النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر من طينة واحدة (ثم) فى السنة العاشرة أو التاسعة (قام رجال فى نقض الصحيفة) التى كتبت على بنى هاشم والمطلب أشدهم فى ذلك صنيعا

اذا صلى الى نجد ارجعل بينه وبينه قدر ممر الشاة ولم يكن يتباعد منه بل أمر بالقرب من السترة وكان اذا صلى الى عودة أو عمود أو شجرة جعله على حاجبه الايمن أو الايسر ولم يصمد له صمدا وكان يركز الحربة فى السفر والبرية فيصلى اليها فتكون سترته وكان يعرض راحلته فيصلى اليها وكان يأخذ الرحل فيعدله فيصلى الى آخرته وأمر المصلى أن يستتر ولو بسهم أو عصا فان لم يجد فليخط خطا فى الارض قال أبو داود سمعت أحمد بن حنبل يقول الخط عرضا مثل الهلال وقال عبد الله الخط بالطول وأما العصا فتنصب نصبا فان لم يكن سترة فانه صح عنه أنه يقطع صلاته المرأة والحمار والكلب الاسود وثبت ذلك عنه من رواية أبى ذر وأبى هريرة وابن عباس وعبد الله ابن مغفل ومعارض هذه الاحاديث قسمان صحيح غير صريح وصريح غير صحيح فلا يترك لمعارض هذا شأنه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وعائشة رضى الله عنها نائمة فى قبلته وكان ذلك

هشام بن عمرو بن الحرث العامري أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وكانت أم أبيه تحت هاشم بن عبد مناف قبل أن يتزوج جده وكان يصلهم في الشعب أدخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاما فعلمت قريش فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال اني غير عائد لشئ خالفكم فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فادخل عليهم حملا أو حملين فغالظته قريش وهمت به فقال أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهل رحمه أما اني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا ثم مشى هشام الى زهير بن أبي أمية وأسلم بعد وأمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أرضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت فقال ويحك يا هشام فماذا أصنع فانما أنا رجل واحد والله لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها فقال أنا معك فقال ابغنا ثالثا فمشيا جميعا الى المطعم بن عدي فقالا له أرضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد فقال انما أنا واحد فقالا انا معك فقال ابغنا رابعا فذهب الى أبي البختري القاضي ابن هشام فقال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود فقعدوا ليلا بأعلى مكة وتعاقدوا على ذلك فلما جلسوا في الحجر تكلموا في ذلك وأنكروه فقال أبو جهل هذا أمر قضي بليل وفي آخر الامر أخرجوا الصحيفة ومزقوها وأبطلوا حكمها وهذا ملخص ما ذكر ابن اسحق (فأطلع الله نبيه عليه الصلاة والسلام على ان الارضة) بفتح الهمزة والراء والضاد المعجمة دويبة صغيرة كالعدسة تأكل الخشب (أكلت جميع ما فيها من القطيعة والظلم فلم تدع الا أسماء الله فقط) فيما ذكر ابن هشام وأما ابن اسحق وابن عقبة وعروة فذكروا عكس ذلك وهو ان الارضة لم تدع اسما لله الا أكلته وبقي ما فيها من الظلم والقطيعة قال البرهان ما حاصله وهذا أثبت من الاول فعلى تقدير تساوي الروايتين يجمع بأنهم كتبوا نسختين فأبقت في احداهما ذكر الله وفي الاخرى خلافه وعلقوا احداهما في الكعبة والاخرى عندهم فأكلت من بعضها اسم الله ومن بعضها ما عداه لئلا يجتمع اسم الله مع ظلمهم انتهى قال في الرواية فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لعمه فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال لا والثواقب ما كذبني قط فانطلق في عصابة من بني هاشم والمطلب حتى أتوا المسجد فأنكر قريش ذلك وظنوا انهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال أبو طالب جرت بيننا وبينكم أمور لم تذكر في صحيفتكم فأتوا بها لعل أن يكون بيننا وبينكم صلح وانما قال ذلك خشية ان ينظروا فيها قبل أن يأتوا بها فأتوا بها معجبين لا يشكون أنه صلى الله عليه وسلم يدفع اليهم فوضعوها بينهم وقالوا لابي طالب قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال انما أتيتكم في أمر هو نصف بيننا وبينكم ان ابن أخي أخبرني ولم يكذبني أن الله بعث على صحيفتكم دابة فلم تترك فيها اسما لله الا لحسته وتركت فيها غدركم وتظاهركم علينا بالظلم فان كان كما قال فأفيقوا فلا والله لا نسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا دفعناه اليكم فقتلتم أو استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه وسلم فقالوا هذا سحر ابن أخيك وزادهم ذلك بغيا وعدوانا والجمع بين هذا وبين ما مر من سعي رجال في نقضها باحتمال أنهم لما جلسوا في الحجر وتكلموا وافق قدوم أبي طالب وقومه عليهم بهذا الخبر فزادهم ذلك رغبة فيما هم فيه (فلما أنزلت لتمزق) اللام للعاقبة (وجدت كما قال عليه الصلاة والسلام) لا للتعليل فلا يرد أنها لم تنزل وقت سؤال أبي طالب لتمزق بل لينظر ما فيها فقطوان القائمين في نقضها لم يستندوا فيه الى أخباره صلى الله عليه وسلم وأجاب شيخنا بأن انزالها لتمزق كان بفعل المجتهدين لا نزالها الا لسؤال أبي طالب (وكان ذلك في السنة العاشرة) من النبوة بناء على ما صدر به فيما مر أن اقامتهم بالشعب ثلاث سنين أما على قول ابن سعد سنتين فيكون في التاسعة والله أعلم

(وفاة خديجة وأبي طالب)

ليس كالمار فان الرجل يحرم عليه المرور بين يدي المصلي ولا يكره له أن يكون لابثا بين يديه وهكذا المرأة يقطع مرورها الصلاة دون لبثها والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في السنن الرواتب) كان صلى الله عليه وسلم يحافظ على عشر ركعات في الحضر دائما وهي التي قال فيها ابن عمر حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم عشر ركعات ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب في بيته وركعتين بعد العشاء في بيته وركعتين قبل صلاة الصبح فهذه لم يكن يدعها في الحضر أبدا ولما فاتته الركعتان بعد الظهر قضاهما بعد العصر وداوم عليهما لانه صلى الله عليه وسلم كان اذا عمل عملا أثبته وقضاء السنن الرواتب في أوقات النهي عام له ولامته وأما المداومة على تلك الركعتين في وقت النهي فمختص به كما سيأتي تقرير ذلك في ذكر خصائصه ان شاء الله تعالى وكان يصلي أحيانا قبل الظهر أربعا كما في صحيح البخاري عن عائشة

(ولما أتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما) كما حرره بعض المتقنين (مات عمه أبو طالب) بعد خروجهم من الشعب في ثاني عشر رمضان سنة عشر من النبوة (وقيل مات) بعد ذلك بقليل (في شوال من السنة العاشرة) متعلق بكل من القولين كما علم (وقال ابن الجزار قبل هجرته عليه الصلاة والسلام بثلاث سنين) وهذا يأتي على كلا القولين قبله لانه اذا مات في ذلك كان قبلها بثلاث وفي الاستيعاب خرجوا من الشعب في أول سنة خمسين وتوفي أبو طالب بعده بستة أشهر فتكون وفاته في رجب وفي سيرة الحافظ مات في السنة العاشرة بعد خروجهم من الشعب بثمانية أشهر وعشرين يوما (وروى) مرضه لان مجموع رواية ابن اسحق ضعيف فلا يرد أن صدر الحديث الى قوله فلما رأى أبو طالب صحيح فقد أخرجه البخاري في الجنائز والتفسير وباب قصة أبي طالب عن سعيد بن المسيب عن أبيه أي المسيب بن حزن بفتح المهملة وسكون الزاي (أنه صلى الله عليه وسلم كان يقول له عند موته) قبل الغرغرة (ياعم) وفي رواية أي عم وأي هنا للنداء القريب (قل لا اله الا الله) أي ومحمد رسول الله لان الكلمتين صارا كالكلمة الواحدة ويحتمل أن يكون أبو طالب كان يتحقق أنه رسول الله ولكن كان لا يقر بتوحيد الله ولذا قال في الابيات النونية

ودعوتني وعلمت أنك صادق * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

فاقتصر على أمره له بقوله لا اله الا الله فاذا أقر بالتوحيد لم يتوقف على الشهادة له بالرسالة قاله الحافظ (كلمة) نصب بدل من مقول القول وهو لا اله الا الله أو على الاختصاص قال الطيبي والاول احسن ويجوز الرفع أي هي كلمة (أستحل لك بها الشفاعة) وفي الوفاة أحاج وفي الجنائز أشهد لك بها عند الله قال الطيبي مجزوم على جواب الامر أي ان تقل أشهد وقال الزركشي في موضع نصب صفة كلمة قال الحافظ كأنه صلى الله عليه وسلم فهم امتناعه من الشهادة في تلك الحالة أنه ظن ان ذلك لا ينفعه لوقوعه عند الموت أو لكونه لم يتمكن عن سائر الاعمال كالصلاة وغيرها فلهذا ذكر له المحاجة واما لفظ الشهادة فيحتمل أن يكون ظن أن ذلك لا ينفعه اذ لم يحضره حينئذ أحد من المؤمنين مع النبي صلى الله عليه وسلم فطيب قلبه بأنه يشهد له بها فينفعه (يوم القيامة) والشفاعة لا تستلزم أن تكون عن ذنب بل تكون في نحو رفع الدرجات في الجنة فلا يشكل بأن الاسلام يجب ما قبله فأي ذنب يشفع فيه لو أسلم ويتعسف الجواب بأنها فيما يحصل من الذنوب بتقدير وقوعها (فلما رأى أبو طالب حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم) على ايمانه (قال له يا ابن أخي لولا مخافة) قول (قريش اني انما قلتها جزعا) بجيم وزاي خوفا كما نقله النووي عن جميع روايات المحدثين وأصحاب الاخبار أو بخاء معجمة وراء مفتوحتين كما قاله الهروي وثعلب وشمر واختاره الخطابي والزمخشري قال عياض ونبهنا غير واحد من شيوخنا على أنه الصواب أي خورا وضعفا وقال شمر دهشا (من الموت لقلتها) ولو قلتها (لا أقولها الا لاسرك بها) لا اذعانا حقيقة حكمة بالغة (فلما تقارب من أبي طالب الموت نظر العباس اليه يحرك شفتيه فأصغى اليه باذنه فقال يا ابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها) لم يصرح بها العباس لانه لم يكن أسلم حينئذ (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع) وثبت في نسخة زيادة ولم يكن العباس حينئذ مسلما وهي وان صحت في نفسها لكنها ليست عند ابن اسحق (كذا في رواية ابن اسحق) عن ابن عباس باسناد فيه من لم يسم (انه) أي افادة انه (أسلم عند الموت) من قول العباس لقد قال لم يروه بلفظ انه أسلم عند الموت كما توهم فقد ساق ابن هشام في السيرة والحافظ في الفتح لفظه وما فيه ذلك وبهذا احتج الرافضة ومن تبعهم على اسلامه (وأجيب) كما قال الامام السهيلي في الروض (بأن شهادة العباس لابي طالب لو أداها بعد ما أسلم كانت مقبولة ولم ترد) شهادته (بقوله عليه السلام لم أسمع

رضي الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يدع أربعا قبل الظهر وركعتين قبل الغداة فاما أن يقال انه صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى في بيته صلى أربعا واذا صلى في المسجد صلى ركعتين وهذا أظهر واما أن يقال كان يفعل هذا ويفعل هذا فحكى كل من عائشة وابن عمر ما شاهده والحديثان صحيحان لا يطعن في واحد منهما وقد يقال ان هذه الاربع لم تكن سنة الظهر بل هي صلاة مستقلة كان يصليها بعد الزوال كما ذكره الامام أحمد عن عبد الله بن السائب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي أربعا بعد أن تزول الشمس وقال انها ساعة تفتح فيها أبواب السماء فاحب أن يصعد لي فيها عمل صالح وفي السنن أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا لم يصل أربعا قبل الظهر صلاهن بعدها وقال ابن ماجه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فاتته الاربع قبل الظهر صلاها بعد الركعتين بعد العصر وفي الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي

لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع) قال السهيلي لان عدم السماع يحتمل اسبابا منعت الشاهد من السمع (ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم) فلا تقبل شهادته (مع ان الصحيح من الحديث قد أثبت لابى طالب الوفاة على الكفر والشرك كما رويناه فى صحيح البخارى) فى مواضع (من حديث سعيد بن المسيب) عن أبيه أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبى صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة فقال أى عم قل لا اله الا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا يرادانه (حتى قال أبو طالب آخر) نصب على الظرفية (ما كلمهم) وفى رواية آخر شئ كلمهم به (على ملة عبد المطلب) خبر مبتدا محذوف أى هو وثبت ذلك فى طريق أخرى قاله الحافظ قال السهيلي فى الروض ظاهر الحديث يقتضى أن عبد المطلب مات مشركا وحكى المسعودى فيه خلافا وأنه قيل مات مسلما لما رأى من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلم أنه انما يبعث بالتوحيد لكن روى البزار والنسائى عن عبد الله بن عمرو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة وقد عزت قوما من الانصار عن ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى قالت لا قال لو كنت بلغت معهم الكدى ما رأيت الجنة حتى يراها جد أبيك قال وقد رواه أبو داود ولم يذكر فيه حتى يراها جد أبيك وفى قوله جد أبيك ولم يقل جدك تقوية الحديث الضعيف ان الله أحيا أباه وأمه وآمنا به قال ويحتمل انه أراد تخويفها بذلك لان قوله صلى الله عليه وسلم حق وبلوغها معهم الكدى لا يوجب خلودا فى النار انتهى لكن يؤيد القول باسلامه ان النبى صلى الله عليه وسلم انتسب اليه يوم حنين فقال أنا ابن عبد المطلب مع نهيه عن الانتساب الى الآباء الكفار فى عدة أحاديث وان كان حديث البخارى المذكور مصادما قويا لا يوجد له تأويل قريب والبعيد يأباه اهل الاصول ولذا وقف السهيلي عن الترجيح قال السيوطى وخطر لى فى تأويله وجهان بعيدان فتركتهما واما حديث النسائى فتأويله قريب وقد فتح السهيلي بابه ولم يستوفه انتهى قلت التأويل وان كان بعيدا لكنه قد يتعين هنا جمعا بينه وبين حديث البخارى عن أبى هريرة رفعه بعثت من خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى بعثت من القرن الذى كنت فيه وفى مسلم واصطفى من قريش بنى هاشم ومعلوم ان الخيرية والاصطفاء من الله تعالى والافضلية عنده لا تكون مع الشرك وفى التنزيل ولعبد مؤمن خير من مشرك وقد أورده فى الاصابة أعنى عبد المطلب وقال ذكره ابن السكن فى الصحابة لما جاء عنه انه ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم سيبعث كما ذكر واخبرا الراهب أنظاره ممن مات قبل البعثة انتهى (وأبى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله) وفى رواية مسلم أما والله بزيادة أما قال النووى بالف ودونها وكلاهما صحيح قال ابن الشجرى فى أماليه ما الزائدة للتوكيد ركبوها مع همزة الاستفهام واستعملوا مجموعهما على وجهين احدهما ان يراد به معنى حقا فى قولهم أما والله لافعلن والآخر ان يكون افتتاحا للكلام بمنزلة ألا كقولك أما ان زيدا منطلق واكثر ما تحذف الالف اذا وقع بعدها القسم ليدل على شدة اتصال الثانى بالاول لان الكلمة اذا بقيت على حرف لم تقم بنفسها فعلم بحذف ألف ما افتقارها الى الاتصال بالهمزة انتهى (لاستغفرن لك) كما استغفر ابراهيم لابيه (ما لم انه) بضم الهمزة وسكون النون مبنى للمفعول (عنك) اى ان لم ينهنى الله عن الاستغفار لك (فأنزل الله ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى) ما صح الاستغفار فى حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم أصحاب الجحيم اى ظهر لهم انهم ماتوا على الشرك فهو كالعلة للمنع من الاستغفار ولا يشكل بان براءة من أواخر ما نزل بالمدينة وهذه القصة قبل الهجرة بثلاث سنين لان هذه الآية مستثناة من كون السورة مدنية كما نقله فى الاتقان عن بعضهم وأقره فلا

الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى أربعا قبل الظهر وبعدها ركعتين وذكر ابن ماجه أيضا عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى أربعا قبل الظهر يطيل فيهن القيام ويحسن فيهن الركوع والسجود فهذه والله أعلم هى الاربع التى أرادت عائشة أنه كان لا يدعهن وأما سنة الظهر فالركعتان اللتان قال عبد الله بن عمر يوضح ذلك ان سائر الصلوات سنتها ركعتان ركعتان والفجر مع كونها ركعتين والناس فى وقتها أفرغ ما يكونون ومع هذا سنتها ركعتان وعلى هذا فتكون هذه الاربع التى قبل الظهر وردا مستقلا سببه انتصاف النهار وزوال الشمس وكان عبد الله ابن مسعود يصلى بعد الزوال ثمان ركعات ويقول انهن يعدلن بمثلهن من قيام الليل وسر هذا والله أعلم ان انتصاف النهار مقابل لانتصاف الليل وأبواب السماء تفتح بعد زوال الشمس ويحصل النزول الالهى بعد انتصاف الليل فهما وقتا قرب ورحمة هذا يفتح فيه

حاجة

حاجة لتجويز أنه كان يستغفر له الى نزولها لان التشديد مع الكفار انما ظهر في هذه السورة ثم لفظ
البخاري في التفسير فأنزل الله بعد ذلك وقال في الفتح الظاهر نزولها بعده بمدة لرواية التفسير انتهى
وكأنه لم يقف على القول باستثنائها من كونها مدنية فان صح فلا يعارضه قوله بعد ذلك لكون المعنى
بعد موته والاستغفار له بمكة أو بالمدينة فالبعدية محتملة وأما قول السيوطي في التوشيح المعروف
انها نزلت لما زار صلى الله عليه وسلم قبر أمه واستأذن في الاستغفار لها كما رواه الحاكم وغيره فتساهل
جدا لا يليق بمثله فانها لا تعادل رواية الصحيح وقد رد الذهبي في مختصر المستدرك تصحيح الحاكم بأن
في اسناده أيوب بن هانئ ضعفه ابن معين وتعجب السيوطي نفسه في الفوائد من الذهبي كيف أقر
الحديث في ميزانه مع رده في مختصر المستدرك قال وله علة ثانية وهي مخالفته للمقطوع بصحته في
البخاري من نزولها عقب موت أبي طالب ثم قال السيوطي بعد طعنه في جميع أحاديث نزولها في
آمنة فبان بهذا أن طرقه كلها معلولة خصوصا قصة نزول الآية الناهية عن الاستغفار لانه لا يمكن
الجمع بينها وبين الاحاديث الصحيحة في تقدم نزولها في أبي طالب انتهى وقد تقدم ذلك مبسوطا
بما يشفي ثم هذه الآية وان كان سببها خاصا عامة في حقه وحق غيره ولذا استشكل قوله صلى الله عليه
وسلم يوم أحد اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وأجيب بأنه أراد الدعاء لهم بالتوبة من الشرك حتى
يغفر لهم بدليل رواية من روى اللهم اهد قومي وبأنه أراد مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من
مسخ وخسف (وأنزل الله في أبي طالب) أيضا (فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من
أحببت) هدايته أو لقرابة أي ليس ذلك اليك (ولكن الله يهدي من يشاء) وانما عليك البلاغ ولا
ينافيه قوله تعالى وانك لتهدي الى صراط مستقيم لان الذي أثبته وأضافه اليه هداية الدعوة والدلالة
والمنفي هداية التوفيق (وفي الصحيح) للبخاري ومسلم (عن العباس انه قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ان أبا طالب كان يحوطك) بضم الحاء المهملة من الحياطة وهي المراعاة وفي رواية يحفظك
(وينصرك ويغضب لك) يشير الى ما كان يرد به عنه من قول وفعل وفيه تلميح الى ما ذكره ابن اسحق
قال ثم ان خديجة وأبا طالب هلكا في عام واحد وكانت خديجة وزيرة صدق له على الاسلام يسكن
اليها وكان أبو طالب له عضدا وناصرا على قومه فلما هلك نالت قريش منه من الاذى ما لم تطمع به في
حياته حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا فحدثني هشام بن عروة عن أبيه قال
فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته يقول ما نالتني قريش شيأ أكرهه حتى مات أبو طالب ذكره في
الفتح (فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فأخرجته الى ضحضاح) بضادين معجمتين
مفتوحتين وحاءين مهملتين أولاهما ساكنة وأصله ما رق من الماء على وجه الارض الى نحو الكعبين
فاستعير للنار قاله المصنف وغيره وفي الفتح هو من الماء ما يبلغ الكعب ويقال أيضا لما قرب من الماء
وهو ضد الغمر والمعنى انه خفف عنه العذاب انتهى زاد في رواية ولولا أنا لكان في الدرك الاسفل
من النار وصريح هذا الحديث انه خفف عنه عذاب القبر في الدنيا كما يومئ اليه كلام الحافظ ويوم
القيامة يكون في ضحضاح أيضا كما في الحديث الآتي ففي سؤال العباس عن حاله دليل على ضعف
رواية ابن اسحق لانه كانت تلك الشهادة عنده لم يسأل لعلمه بحاله وقد قال الحافظ هذا الحديث
لو كانت طريقه صحيحة لعارضه هذا الحديث الذي هو أصح منه فضلا عن أنه لا يصح ويضعف ما ذكره
السهيلي انه رأى في بعض كتب المسعودي أنه أسلم لان مثل ذلك لا يعارض ما في الصحيح وروى أبو
داود والنسائي وابن الجارود وابن خزيمة من علي لما مات أبو طالب قلت يا رسول الله ان عمك الشيخ
الضال قد مات قال اذهب فواره قلت انه مات مشركا قال اذهب فواره فلما واريته رجعت الى النبي صلى

أبواب السماء وهذا ينزل
فيه الرب تبارك وتعالى
الى سماء الدنيا وقد روى
مسلم في صحيح من
حديث أم حبيبة قالت
سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول من
صلى في يوم وليلة اثنتى
عشرة ركعة بنى له بهن
بيت في الجنة وزاد
النسائي والترمذي
فيه أربعا قبل الظهر
وركعتين بعدها
وركعتين بعد المغرب
وركعتين بعد العشاء
وركعتين قبل صلاة
الفجر قال النسائي
وركعتين قبل العصر بدل
وركعتين بعد العشاء
وصححه الترمذي وذكر
ابن ماجه عن عائشة
ترفعه من ثابر على اثنتى
عشرة ركعة من السنة
بنى الله له بيتا في الجنة
أربعا قبل الظهر وركعتين
بعدها وركعتين
بعد المغرب وركعتين
بعد العشاء وركعتين
قبل الفجر وذكر أيضا
عن أبي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم
نحوه وقال ركعتين قبل
الفجر وركعتين قبل
الظهر وركعتين بعدها
وركعتين أظنه قال قبل
العصر وركعتين بعد
المغرب أظنه قال
وركعتين بعد العشاء

الله عليه وسلم فقال لي اغتسل وفي الحديث جواز زيارة القريب المشرك وعيادته وأن التوبة مقبولة
ولو في شدة مرض الموت حتى يصل الى المعاينة فلا تقبل لقوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا
بأسنا وأن الكافر اذا شهد شهادة الحق نجا من العذاب لان الاسلام يجب ما قبله وأن عذاب الكفار
متفاوت والنفع الذي حصل لابي طالب من خصائصه ببركة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ان أهون
أهل النار عذابا أبو طالب رواه مسلم انتهى ملخصا (وفي صحيح) البخاري ومسلم (أيضا) عن أبي سعيد
الخدري (انه صلى الله عليه وسلم قال) وذكر عنده عمه أبو طالب (لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل
في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي) بفتح أوله وسكون المعجمة وكسر اللام (منه دماغه) وفي رواية
أم دماغه أي رأسه من تسمية الشيء بما يقاربه ويجاوره وقد صرح العلماء بأن الرجاء من الله ومن
نبيه للوقوع نبئ في النور عن بعض شيوخه اذا وردت عن الله ورسله وأوليائه معناها التحقيق (وفي
رواية يونس) بن بكير الشيباني الحافظ قال ابن معين صدوق وقال أبو داود ليس بحجة لكن احتج به
مسلم وقال أبو حاتم محله الصدق وعلق له البخاري قليلا (عن ابن اسحق زيادة فقال يغلي منه دماغه حتى
يسيل على قدميه) واستشكل الحديث بقوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين وأجاب البيهقي بانه
خص لثبوت الخبر ولذا عد في الخصائص النبوية والقرطبي بأن المنفعة في الآية الاخراج من النار وفي
الحديث بالتخفيف وقيل يجوز أن الله يضع عن بعض الكفار بعض جزاء معاصيهم تطييبا لقلب
الشافع وقيل شفاعته صلى الله عليه وسلم في أبي طالب بالحال لا بالمقال (قال السهيلي من باب النظر في
حكمة الله تعالى ومشاكلة الجزاء للعمل ان أبا طالب كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بجملته
متحيزا) ناصرا (له) وحده ويجمع بني هاشم والمطلب لنصرته (الا أنه كان مثبتا لقدميه على ملة عبد
المطلب حتى قال عند الموت) آخر كل شئ كلمهم (أنا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه
خاصة لتثبيته اياهما على ملة آبائه) ولا يعارض هذا بقول الامام الرازي آباء الانبياء ما كانوا كفارا
وأيده السيوطي بأدلة عامة وخاصة كما مر لان هذا بعد نسخ جميع الملل بالملة المحمدية فليس في الحديث
ولا كلام السهيلي أن عبد المطلب وآباءه كانوا مشركين (ثبتنا الله على الصراط المستقيم) قال في الفتح
ولا يخلو كلام السهيلي عن نظر انتهى فان كان وجهه أن الثبات على الدين انما هو بالقلب لانه اعتقاد
فلا يحسن ماذكر توجيها لتخصيص القدم بالعذاب أجاب شيخنا بأنه لما لازم ما كان عليه ولم يتحول
عنه شبه بمن وقف في محل ولم يتحول عنه الى غيره وذلك يستدعي ثبوت القدم في المحل الذي وقف فيه
خصت العقوبة بالقدم (وفي شرح التنقيح) في الاصول والمتن والشرح (للقرافي) العلامة شهاب
الدين أبي العباس أحمد بن ادريس بن عبد الرحمن الصنهاجي البهنسي المصري البارع في العلوم ذي
التصانيف الشهيرة كالقواعد والذخيرة وشرح المحصول مات في جمادى الآخرة سنة أربع وثمانين
وستمائة ودفن بالقرافة (الكفار على أربعة أقسام فذكر منها من آمن بظاهره وباطنه وكفر بعدم
الاذعان للفروع كما حكي عن أبي طالب انه كان يقول اني لاعلم ان ما يقوله ابن أخي لحق ولولا أخاف
أن تعيرني نساء قريش لاتبعته وفي شعره يقول) في قصيدته المشهورة * (لقد علموا أن ابننا
لا مكذب * يقينا ولا يعزى لقول الاباطل) وفي شعره من هذا النحو كثير (قال) القرافي (فهذا تصريح
باللسان واعتقاد بالجنان غير أنه لم يذعن) وحبه للمصطفى كان طبيعيا فكان يحوطه وينصره لا شرعيا
فسبق القدر فيه واستمر على كفره ولله الحجة البالغة (انتهى) والاربعة حكاها ابن الاثير في النهاية
وكذا البغوي وهي كفر انكار وهو أن لا يعرف الله بقلبه ولا يعترف باللسان وكفر جحود وهو من

الآخرة وهذا التفسير يحتمل أن يكون من كلام بعض الرواة مدرجا في الحديث ويحتمل أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم مرفوعا والله أعلم * وأما الاربع قبل العصر فلم يصح عنه عليه السلام في فعلها شئ الا حديث عاصم بن ضمرة عن علي الحديث الطويل أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي في النهار ست عشرة ركعة يصلي اذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا لصلاة الظهر أربع ركعات وكان يصلي قبل الظهر أربع ركعات وبعد الظهر ركعتين وقبل العصر أربع ركعات وفي لفظ كان اذا زالت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا عند العصر صلى ركعتين واذا كانت الشمس من ههنا كهيئتها من ههنا عند الظهر صلى أربعا أو صلى قبل الظهر أربعا وبعدها ركعتين وقبل العصر أربعا ويفصل بين كل ركعتين بالتسليم على الملائكة المقربين ومن تبعهم من المؤمنين والمرسلين وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية ينكر هذا الحديث ويدفعه

عرفه بقلبه دون لسانه كابليس واليهود وكفر نفاق وهو المقر باللسان دون القلب وكفر عناد وهو
أن يعرفه بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين به كأبي طالب قال البغوي وجميع الأربعة سواء في أن الله
لا يغفر لأصحابها إذا ماتوا انتهى وأقبحها على الراجح كفر النفاق لجمعه بين الكفر والاستهزاء بالاسلام
ولذا كان المنافقون في الدرك الأسفل من النار وقيل أقبحها الكفر ظاهرا وباطنا وقيل الكفر صنفان
أحدهما الكفر بأصل الايمان وهو ضده والآخر الكفر بفرع من فروع الاسلام فلا يخرج به عن
أصل الاسلام وبهذا صدر في النهاية وقابله بقوله وقيل الكفر على أربعة أنحاء فذكرها (وحكى عن
هشام ابن السائب) نسبه لجده لأنه ابن محمد بن السائب (الكلبي) أبي المنذر الكوفي وثقه ابن حبان
وقال الدارقطني هشام رافضي ليس بثقة مات سنة أربع ومائتين وهو ثقة (أو أبيه) محمد شك (انه قال
لما حضرت أبا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش) وروى ابن اسحق عن ابن عباس لما اشتكى أبو طالب
وبلغ قريشا ثقله قال بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد أسلما وفشا أمر محمد فانطلقوا بنا الى أبي طالب
يأخذ لنا على ابن أخيه ويعطه منا فمشى اليه عتبة وشيبة وأبو جهل وأمية وابن حرب في رجال من
أشرافهم فأخبروه بما جاؤا له فبعث أبو طالب اليه صلى الله عليه وسلم فجاءه فأخبره بمرادهم فقال عليه
الصلاة والسلام نعم كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل
نعم وأبيك وعشر كلمات فعرض عليهم الاسلام فصفقوا وعجبوا ثم قالوا ما هو بمعطيكم شيأ ثم تفرقوا
فيحتمل أن أبا طالب جمعهم بعد ذلك أو قال لهم ما حكى الكلبي في هذه المرة قبل عرض الاسلام أو بعده
وقبل تفرقهم (فأوصاهم فقال يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه) وقلب العرب فيكم السيد
المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيبا الا أحرزتموه
ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى
حربكم الب واني أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعني الكعبة فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة
صلوا أرحامكم فان في صلة الرحم منسأة أي فسحة في الاجل وزيادة في العدد واتركوا البغي والعقوق
ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعي وأعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم
بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام (الى أن قال) عقب ما ذكرته
(واني أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين في قريش والصديق) الكثير الصدق (في العرب) فلم يعرفوه
من ابتداء نشأته الا بالامانة والصدق ومن ثم لما كذبوه قال بعضهم والله قد ظلمنا محمدا (وهو الجامع لكل
ما أوصيتكم به) من هذه الخصال الحميدة التي ذكرها في وصيته لهم ومدحهم بها (وقد جاءنا بأمر قبله
الجنان) بالجيم (وأنكره اللسان مخافة الشنآن) أي البغض لما تعيرونه به من تبعيته لابن أخيه تربيته
(وأيم الله) بهمزة وصل عند الجمهور ويجوز القطع مبتدأ حذف خبره أي قسمي وقال الهروي بقطع
الهمزة ووصلها وهي حلف ووهم الشارح فقال عبارة الشامي أما والله ثم قال قال النووي فذكر كلامه
ظانا منه أنه في هذه الوصية مع ان ذلك اللفظ انما ذكره الشامي كغيره شرحا لقوله صلى الله عليه وسلم في
رواية مسلم أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك (كأني انظر الى صعاليك) أي فقراء (العرب) جمع
صعلوك كعصفور كما في القاموس (وأهل الاطراف) النواحي جمع طرف بفتحتين (والمستضعفين
من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت) وقد وقع ذلك
يوم بدر (فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا) اتباعا وسفلة جمع صنديد وهو السيد الشجاع
أو الحليم أو الجواد أو الشريف كما في القاموس (ودورها خرابا) حيث قتل سبعون وأسر سبعون
(وضعفاؤها أربابا) ملوكا قال القاموس رب كل شئ مالكه ومستحقه أو صاحبه والجمع أرباب وربوب

بعد أو يقول انه موضوع ويذكر عن أبي اسحق الجوزجاني انكاره وقد روى أحمد وأبو داود والترمذي عن حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا * وقد اختلف في هذا الحديث فصححه ابن حبان وعلله غيره قال ابن أبي حاتم سمعت أبي يقول سألت أبا الوليد الطيالسي عن حديث محمد بن مسلم بن المثنى عن أبيه عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعا فقال دع ذا فقلت ان أبا داود قد رواه فقال أبو الوليد كان ابن عمر يقول حفظت عن النبي صلى الله عليه وسلم عشر ركعات في اليوم والليلة فلو كان هذا لعده قال أبي كان يقول حفظت ثنتي عشرة ركعة وهذا ليس بعلة أصلا فان ابن عمر انما أخبر بما حفظه عن فعل النبي صلى الله عليه وسلم لم يخبر عن غير ذلك فلا تنافي بين الحديثين البتة * وأما الركعتان قبل المغرب فانه لم ينقل عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يصليهما وصح عنه انه أقر أصحابه عليهما وكان

(واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه) كما وقع يوم فتح مكة (وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته) بمهملة فمعجمة أخلصت له (العرب ودادها وأصفت) بالفاء (له فؤادها) أزالت ما فيه من حسد وبغض وفي نسخة بالغين أي استمعوا بقلوبهم أي أمالوها له (وأعطته قيادها) كما انقادله العرب لما سار بهم الى فتح مكة وكما وقع في مجيء هوازن منقادين لحكمه فمن عليهم برد سباياهم (يا معشر قريش) كذا في النسخ وفيها سقط فلفظه كما في الروض عن الكلبي دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم (كونوا له ولاة) موالين ومناصرين (ولحزبه حماة) من أعدائهم وتأمل ما في قوله ابن أبيكم من الترقيق والتقريع والتصريح بأنه منهم فعزه عزهم ونصره نصرهم فكيف يسعون في خذلانه فانما هو خذلان لانفسهم وهذا من حيث النظر الى مجرد القرابة فكيف وهو على الصراط المستقيم ويدعو الى ما يوصل الى جنات النعيم كما أشار اليه مؤكدا بالقسم فقال (والله لا يسلك أحد سبيله الا رشد) بكسر الشين وفتحها والكسر أولى بالسجع (ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد) في الدارين (ولو كان لنفسي مدة ولاجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز) بهاءين وزاءين منقوطين بعد أولاهما ألف قال الجوهري الهزاهز الفتن تهتز فيها الناس وفي القاموس الهزاهز تحريك البلايا والحروب في الناس (ولدفعت عنه الدواهي ثم هلك) على كفره فانظر واعتبر كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف هذه المعرفة التامة بالحق وسبق فيه قدر القهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ولهذا الحب الطبيعي كان أهون أهل النار عذابا كما في مسلم وفي فتح الباري تكملة من عجائب الاتفاق ان الذين أدركهم الاسلام من اعمام النبي صلى الله عليه وسلم أربعة لم يسلم منهم اثنان وأسلم اثنان وكان اسم من لم يسلم ينافي أسامي المسلمين وهما أبو طالب واسمه عبد مناف وأبو لهب واسمه عبد العزى بخلاف من أسلم وهما حمزة والعباس (ثم بعد ذلك بثلاثة أيام وقيل بخمسة) وقيل بشهر وقيل بشهر وخمسة أيام وقيل بخمسين يوما وقيل بخمسة أشهر وقيل ماتت قبله (في رمضان بعد البعث بعشر سنين على الصحيح) كما قال الحافظ وزاد وقيل بعده بثمان سنين وقيل بسبع (ماتت) الصديقة الطاهرة (خديجة رضي الله عنها) ودخل عليها صلى الله عليه وسلم وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك وقد يجعل الله في الكره خيرا رواه الزبير بن بكار وأطعمها من عنب الجنة رواه الطبراني بسند ضعيف وأسند الواقدي عن حكيم بن حزام انها دفنت بالحجون ونزل صلى الله عليه وسلم في حفرتها وهي ابنة خمس وستين سنة ولم تكن يومئذ الصلاة على الجنازة (وكان عليه الصلاة والسلام يسمي ذلك العام) الذي ماتا فيه (عام الحزن) وقالت له خولة بنت حكيم يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة قال أجل كانت أم العيال وربة البيت وقال عبيد بن عمير وجد عليها حتى خشي عليه حتى تزوج عائشة رواهما ابن سعد (فيما ذكره صاعد) ابن عبيد البجلي أبو محمد وأبو سعيد الحراني مقبول من كبار العاشرة كما في التقريب يعني الطبقة التي أخذت عن تبع التابعين كما أفصح عنه في خطبته (وكانت مدة اقامتها معه خمسا وعشرين سنة على الصحيح) كما في الفتح وزاد وقال ابن عبد البر أربعا وعشرين سنة وأربعة أشهر (ثم بعد أيام من موت خديجة) الواقع في رمضان (تزوج عليه السلام) في شوال (بسودة بنت زمعة) بفتح الزاي واسكان الميم وتفتح كما في القاموس وبه يرد قول المصباح لم أظفر بسكونها في شيء من كتب اللغة وفي سيرة الدمياطي ماتت خديجة في رمضان وعقد على سودة في شوال ثم على عائشة وبنى بسودة قبل عائشة والله أعلم

(خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف)

(ثم خرج عليه السلام الى الطائف) قال ابن اسحق يلتمس النصر من ثقيف والمنعة ورجاء أن يقبلوا

يراهم يصلونهما فلم يأمرهم ولم ينهاهم وفي الصحيحين عن عبد الله المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلوا قبل المغرب قال في الثالثة لمن شاء كراهة ان يتخذها الناس سنة وهذا هو الصواب في هاتين الركعتين انهما مستحبتان مندوب اليهما وليستا بسنة راتبة كسائر السنن الرواتب وكان يصلي عامة السنن والتطوع الذي لا سبب له في بيته لا سيما سنة المغرب فانه لم ينقل عنه انه فعلها في المسجد البتة وقال الامام أحمد في رواية حنبل السنة أن يصلي الرجل الركعتين بعد المغرب في بيته كذا روي عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال السائب بن يزيد لقد رأيت الناس في زمن عمر بن الخطاب اذا انصرفوا من المغرب انصرفوا جميعا حتى لا يبقى في المسجد أحد كأنهم لا يصلون بعد المغرب حتى يصيروا الى أهليهم انتهى كلامه فان صلى الركعتين في المسجد فهل يجزي عنه وتقع موقعها اختلف قوله فروى عنه ابنه عبد الله انه قال بلغني عن رجل سماه انه

منه ما طمعه من الله تعالى قال المقريزي لانهم كانوا أخواله قال غيره ولم يكن بينه وبينهم عداوة (بعد موت خديجة بثلاثة أشهر في ليال بقين من شوال سنة عشر من النبوة) هذا على موتها في رجب لا على ما جزم به أنه في رمضان وعادة العلماء أنهم اذا مشوا في محل على قول وفي آخر على غيره لا يعد تناقضا (لما ناله) صلة خرج واللام للتعليل أي خرج للاذى الذي ناله (من قريش بعد موت أبي طالب وكان معه زيد بن حارثة) فيما رواه ابن سعد عن جبير بن مطعم وذكر ابن عقبة وابن اسحق وغيرهما انه خرج وحده ماشيا فيمكن أن زيدا الحقه بعد ولا يؤيده ما يأتي انه صار يقيه بنفسه ولم يحك فيه خلافا كما زعم لان الآتي انما هو كلام ابن سعد وحده الذي روى أنه كان معه (فأقام به شهرا) وقال ابن سعد عشرة أيام وجمع في أسنى المطالب بأن العشرة في نفس الطائف والعشرين فيه أحوالها وطرقها وأقرب منه كما قال شيخنا ان الشهر كله في الطائف لكنه مكث عشرين قبل اجتماعه بعبد ياليل وعشرة بعده لانه لم يرجع عقب دعائه بل مكث (يدعو أشراف ثقيف الى الله) ويدور عليهم واحدا واحدا راجيا أن أحدا يجيبه (فلم يجيبوه) لا الى الاسلام ولا الى النصرة والمعاونة وعند ابن اسحق والواقدي وغيرهما أنه صلى الله عليه وسلم عمد الى عبد ياليل ومسعود وحبيب بني عمرو بن عوف وهم أشراف ثقيف وساداتهم وعند أحدهم صفية بنت معمر القرشي الجمحي فجلس اليهم وكلمهم بما جاءله من نصرته على الاسلام والقيام على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك والثاني أما وجد الله أحدا يرسله غيرك والثالث والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسول الله لانت أعظم خطرا من ان أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان أكلمك فقام صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خيرهم وقال اذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا علي وكره أن يبلغ قومه عنه ذلك فيزيدهم عليه فلم يفعلوا وقد أسلم مسعود وحبيب بعد ذلك وصحبا كما جزم به في الاصابة وفي عبد ياليل خلف يأتي فيحتمل ان المصنف أراد باشرافهم هؤلاء الثلاثة وكانه لم يعتد بغيرهم أو لانه دعاهم أولا لكونهم العظماء ثم عم الدعوة ففي رواية انه لم يترك أحدا من أشرافهم الا جاء اليه وكلمه فلم يجيبوه وخافوا على أحداثهم منه فقالوا يا محمد اخرج من بلدنا والحق بمحابك من الارض (وأغروا) بفتح الهمزة سلطوا (به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه) زاد ابن اسحق ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس (قال موسى ابن عقبة ورموا عراقيبه) جمع عرقوب كحقته لفظا كعريض الحواجب (بالحجارة) فقعدوا له صفين على طريقه فلما مر بين صفيهم جعل لا يرفع رجليه ولا يضعهما الا رضخوهما بالحجارة (حتى اختضبت نعلاه بالدماء) زاد غيره (وهو سليمان التيمي (وكان اذا أزلقته) بمعجمة وقاف آلمته (الحجارة تعقد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه) مبالغة في أذاه اذ لم يمكنوه من القعود ليخف تعبه وليتمكنوا من ادامة رميه بالحجارة في المراق والمفاصل التي ألم اصابتها أشد من غيرها (فاذا مشى رجموه وهم يضحكون) قال ابن سعد (وزيد بن حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج) زيد أي جرح (في رأسه) احترازا عن الوجه اذ الجراحة انما تسمى شجة اذا كانت في أحدهما (شجاجا) بكسر المعجمة جمع شجة بفتحها ويقال أيضا شجات كما في المصباح (وفي البخاري) في ذكر الملائكة من بدء الخلق تاما وفي التوحيد مختصرا (ومسلم) في المغازي والنسائي في البعوث (من حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم) غزوة (أحد قال لقد لقيت من قومك) قريش وسقط المفعول في رواية مسلم وثبت في البخاري بلفظ لقيت من قومك ما لقيت وأبهمه تعظيما (وكان أشد) بالرفع والنصب خبر كان واسمه عائد الى مقدر هو مفعول لقد لقيت (ما لقيت منهم) من قومك قريش اذ كانوا سببا لذهابي الى ثقيف فهو من اضافة الشيء الى سببه فلا يرد أن ثقيفا ليسوا قومها (يوم العقبة) ظرف جزم المصنف بأنها التي

قال ابن آن رجلا صلى الركعتين بعد المغرب في المسجد أجزأه فقال ما أحسن ما قال هذا الرجل وما أجود ما انتزع قال أبو حفص ووجهه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة في البيوت وقال المروزي من صلى ركعتين بعد المغرب في المسجد يكون عاصيا قال ما أعرف هذا قلت له يحكى عن أبي ثور أنه قال هو عاص قال لعله ذهب الى قول النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في بيوتكم قال أبو حفص ووجهه أنه لو صلى الفرض في البيت وترك المسجد أجزأه فكذلك السنة انتهى كلامه وليس هذا وجهه عند أحمد رحمه الله وانما وجهه ان السنن لا يشترط لها مكان معين ولا جماعة فيجوز فعلها في البيت والمسجد والله أعلم وفي سنة المغرب سنتان احداهما انه لا يفصل بينها وبين المغرب بكلام قال أحمد رحمه الله في رواية الميموني والمروزي يستحب أن لا يكون قبل الركعتين بعد المغرب الى ان يصليهما كلام وقال الحسن بن محمد رأيت أحمد اذا سلم من صلاة المغرب قام ولم

بمنى وفيه مافيه فأين منى والطائف ولذا قال شيخنا لعل المراد بها هنا موضع مخصوص اجتمع فيه مع عبد ياليل لا عقبة منى التى اجتمع فيها مع الانصار (اذ) اى حين (عرضت نفسى على ابن عبد ياليل بن عبد كلال) كذا فى الحديث والذى ذكره أهل المغازى ان الذى كلمه صلى الله عليه وسلم عبد ياليل نفسه وعند أهل النسب ان عبد كلال أخوه لا أبوه قاله الحافظ وغيره (فلم يجبنى الى ما أردت) منه من النصرة والمعاونة والاسلام (فانطلقت وأنا مهموم على وجهى) قال المصنف أى الجهة المواجهة لى وقال الطيبى أى انطلقت حيران هائما لا أدرى أين أتوجه من شدة ذلك (فلم أستفق) أى أرجع (مما أنا فيه) من الغم (الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى واذا أنا بسحابة قد أظلتنى فنظرت) اليها (فاذا فيها جبريل) على غير صورته الاصلية لما مر انه لم يره عليها الا بغار حراء وعند سدرة المنتهى (فنادانى فقال ان الله قد سمع قول قومك) لك كما فى الصحيحين فسقط من قلم المؤلف والاحسن انه يعنى بقومه قريشا وغيرهم لا خصوص ثقيف لانهم وان كانوا قومه لانه بعث اليهم كغيرهم لكنهم ليسوا بمكة والاخشبان محيطان بها (وما ردوا به عليك) ظاهر فى انه اخبار عما قاله أشراف ثقيف ويحتمل انه أراد قريشا لما دعاهم للايمان فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون وغير ذلك (وقد بعث اليك) وفى رواية الكشميهنى وقد بعث الله اليك (ملك الجبال) الذى سخرت له وبيده أمرها قال الحافظ لم أقف على اسمه (لتأمره بما شئت) فيهم قال صلى الله عليه وسلم (فنادانى ملك الجبال فسلم على ثم قال يا محمد ان الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك وأنا ملك الجبال وقد بعثنى اليك ربك لتأمرنى بأمرك) هذا لفظ مسلم زاد الطبرانى فما شئت ولفظ البخارى ثم قال يا محمد ذلك فيما شئت قال المصنف ذلك كما قال جبريل أو كما سمعت منه فيما ولابى ذر عن الكشميهنى مما شئت استفهام جزاؤه مقدر أى فعلت وعزا المصنف لفظه هنا فى شرح البخارى للطبرانى مع انه لفظ مسلم كما علمت لانه كما فى الفتح أخرجه من طريق شيخ البخارى فيه (ان شئت أن أطبق) بضم الهمزة وسكون الطاء وكسر الموحدة (عليهم الاخشبين) بمعجمتين جبلى مكة أبا قبيس ومقابله قعيقعان كما جزم به المصنف وغيره وبه صدر البرهان وفى الفتح وكأنه قعيقعان وقال الصغانى بل هو الجبل الاحمر المشرف وجهه على قعيقعان انتهى وجرى ابن الاثير على الثانى وقول الكرمانى ثور وهم وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما ويقال هما الجبلان اللذان تحت العقبة بمنى فوق المسجد قال الحافظ والمراد باطباقهما أن يلتقيا على من بمكة ويحتمل ان يصيرا طبقا واحدا وجزاء ان مقدر أى فعلت (قال النبى صلى الله عليه وسلم) لا أشاء ذلك (بل أرجو) وللكشميهنى انا أرجو (ان يخرج الله) بضم الياء من الاخراج (من أصلابهم من يعبد الله) بوحده قوله (وحده لا شريك له) تفسيره وهذا من مزيد شفقته وحلمه وعظيم عفوه وكرمه وعن عكرمة رفعه مرسلا جاءنى جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام وهذا ملك الجبال قد أرسله وامره أن لا يفعل شيأ الا بأمرك فقال له ان شئت دممت عليهم الجبال وان شئت خسفت بهم الارض قال يا ملك الجبال فانى آتى بهم لعله أن يخرج منهم ذرية يقولون لا اله الا الله فقال ملك الجبال أنت كما سماك ربك رؤف رحيم ولعل هذين الاسمين كانا معلومين له عند الملائكة قبل نزول الآية فلا ينافى انها من أواخر ما نزل وبقى انه قيد فيها بالمؤمنين وهؤلاء كفار فكيف قول الملك ولعله باعتبار ما رجاه من ربه لانه محقق (وعبد ياليل بتحتانية وبعدها ألف ثم لام مكسورة ثم تحتانية ساكنة ثم لام) بزنة هابيل كما فى القاموس قال فى الاصابة عبد ياليل بن عمرو الثقفى قال ابن حبان له صحبة وكان من الوفد وقال غيره انما هو ولده مسعود اختلف فيه كلام ابن اسحق وقال موسى بن عقبة ان القصة لمسعود انتهى منه فى النوع الرابع فيمن ذكر فى الصحابة غلطا (ابن عبد كلال بضم الكاف وتخفيف اللام آخره لام) بعد الالف بوزن غراب (وكان ابن عبد ياليل) مسعود أو كنانة (من

يتكلم ولم يركع فى المسجد قبل أن يدخل الدار وقال أبو حفص ووجهه قول مكحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين بعد المغرب قبل أن يتكلم رفعت صلاته فى عليين ولانه يتصل النفل بالفرض انتهى كلامه والسنة الثانية ان تفعل فى البيت فقد روى النسائى وأبو داود والترمذى من حديث كعب بن عجرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بنى عبد الاشهل فصلى فيه المغرب فلما قضوا صلاتهم رآهم يسبحون بعدها فقال هذه صلاة البيوت رواه ابن ماجه من حديث رافع بن خديج وقال فيها اركعوا هاتين الركعتين فى بيوتكم والمقصود ان هدى النبى صلى الله عليه وسلم فعل عامة السنن والتطوع فى بيته كما فى الصحيح عن ابن عمر حفظت من النبى صلى الله عليه وسلم عشر ركعات ركعتين قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين بعد المغرب فى بيته وركعتين بعد العشاء فى بيته وركعتين قبل صلاة الصبح وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله

أكابر أهل الطائف من ثقيف) كأبيه وعمه وقد روى عبد بن حميد عن مجاهد في قوله تعالى على رجل من القريتين عظيم قال نزلت في عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل الثقفي ورواه ابن أبي حاتم عن مجاهد وزاد يعني كنانة وقال قتادة هما الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود رواه عبد بن حميد قال ابن عبد البر وفد كنانة وأسلم مع وفد ثقيف سنة عشر وكذا قال ابن اسحق وموسى بن عقبة وغير واحد وقال المدايني وفد في قومه فأسلموا الا كنانة فقال لا يرثني رجل من قريش وخرج الى نجران ثم الى الروم فمات بها كافرا قال في الاصابة ويقويه ما حكاه ابن عبد البر ان هرقل دفع ميراث أبي عامر الفاسق الى كنانة بن عبد ياليل لكونه من أهل المدر كأبي عامر انتهى فقول النور لا أعلم له اسلاما تقصير شديد (وقرن الثعالب) بفتح القاف واسكان الراء اتفاقا وحكى عياض ان بعض الرواة ذكره بفتح الراء قال وهو غلط وذكر القابسي ان من سكن الراء أراد الجبل ومن حركها أراد الطريق التي تتفرق منه وغلط الجوهري في فتحها ونسبة او يس اليها وانما هو الى قرن بفتح الراء بطن من مراد (هو ميقات أهل نجد) تلقاء مكة على يوم وليلة منها (ويقال له) أيضا (قرن المنازل) قال في النور والفتح وأصله الجبل الصغير المستطيل المنقطع عن الجبل الكبير (وأفاد ابن سعد) محمد (ان مدة اقامته عليه الصلاة والسلام بالطائف كانت عشرة أيام) خلاف ما مر انها شهر وهو الجمع (ولما انصرف عليه السلام عن أهل الطائف ولم يجيبوه) ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف كما عند ابن اسحق (مر في طريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة) الكافرين المقتولين ببدر (وهما في حائط) بستان اذا كان عليه جدار كما في النور وغيره وأطلق المصباح (لهما) بشراء أو غيره وهو من بساتين الطائف المنسوبة اليه كما يفيده قول موسى بن عقبة فخلص منهم ورجلاه تسيلان دما فعمد الى حائط من حوائطهم فاستظل في ظل حبلة منه وهو مكروب موجع وكذا قول ابن اسحق فاجتمعوا عليه وألجؤه الى حائط لعتبة وشيبة والحبلة بفتح المهملة والموحدة وتسكن الاصل أو القضيب من شجر العنب كما في النهاية وغيرها ولا ينافي استظلاله قوله في الحديث فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب لجواز انه لم يعد استظلاله مكروبا موجعا محزونا مفكرا فيما أصابه افاقة (فلما رآيا مالقي تحركت له رحمهما) قرابتهما لانهما من بني عبد مناف (فبعثا له مع عداس) بفتح العين وشد الدال فألف فسين مهملات (النصراني غلامهما قطف) بكسر القاف عنقود (عنب) وعند ابن عقبة ووضعه عداس في طبق بأمرهما وقالا له اذهب الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل ولم يذكر زيد بن حارثة لان هذا من كلام ابن عقبة وهو ممن قال انه خرج وحده أو لانه تابع والحامل على بعث القطف انما هو المصطفى فخص بتقديمه له وخطابه (فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده في القطف) ليأكل (قال بسم الله) فقط كما عند ابن عقبة وابن اسحق ووقع في الخميس الرحمن الرحيم (ثم أكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من أي البلاد أنت وما دينك قال نصراني من نينوى) بكسر النون وسكون التحتية فنون مفتوحة على الاشهر قال أبو ذر وروى بضمها فواو مفتوحة فألف قال ياقوت ممالة بلد قديم مقابل الموصل خرب وبقي من آثار مشي وبه كان قوم يونس وقال الصغاني هي قرية يونس بالموصل (فقال له صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى) بفتح الميم وشد الفوقية مقصور واسم أبيه وفي تفسير عبد الرزاق انه اسم أمه وتبعه صاحب تاريخ حماة قائلا لم يشتهر بأمه غيره وغير عيسى ورده الحافظ بحديث ابن عباس عند البخاري لا ينبغي لعبد أن يقول اني خير من يونس بن متى ونسبه الى أبيه فان فيه اشارة الى الرد على من زعم ان متى اسم أمه وهو محكي عن وهب بن منبه وذكره الطبري وتبعه ابن الاثير في الكامل والذي في الصحيح أصح وقيل سبب قوله ونسبه الى أبيه انه كان في الاصل يونس بن فلان فنسي الراوي اسم أبيه وكنى عنه بفلان فقال الذي

عليه وسلم يصلي في بيتي أربعا قبل الظهر ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيصلي ركعتين وكان يصلي بالناس المغرب ثم يدخل فيصلي ركعتين ويصلي بالناس العشاء ثم يدخل بيتي فيصلي ركعتين وكذلك المحفوظ عنه في سنة الفجر انما كان يصليهما في بيته كما قالت حفصة وفي الصحيحين عن حفصة وابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الجمعة في بيته وسيأتي الكلام على ذكر سنة الجمعة بعدها والصلاة قبلها عند ذكر هديه في الجمعة ان شاء الله تعالى وهو موافق لقوله صلى الله عليه وسلم أيها الناس صلوا في بيوتكم فان أفضل صلاة المرء في بيته الا المكتوبة وكان هدي النبي صلى الله عليه وسلم فعل السنن والتطوع في البيت الا لعارض كما ان هديه كان فعل الفرائض في المسجد الا لعارض من سفر أو مرض أو غيره مما يمنعه من المسجد وكان تعاهده ومحافظته على سنة الفجر أشد من جميع النوافل ولذلك لم يكن يدعها هي والوتر سفرا وحضرا وكان في السفر



نبي يونس بن متى وهي أمه ثم اعتذر فقال ونسبه أي شيخه الى أبيه أي سماه فنسبته ولا يخفى بعد هذا التأويل وتكلفه قال ولم أقف في شيء من الاخبار على اتصال نسبه وقد قيل انه كان في زمن ملوك الطوائف من الفرس انتهى من فتح الباري ويؤيده ما نقله الثعلبي عن عطاء سألت كعب الاحبار عن متى فقال هو أبو يونس واسم أمه برورة أي صديقة بارة قانتة وهي من ولد هرون انتهى فقول السيوطي التأويل عندي أقوى وان استبعده الحافظ فيه نظر (فقال) عداس (وما يدريك) ما يونس ابن متى كما في الرواية وعند التيمي فقال عداس والله لقد خرجت من نينوى وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن أين عرفته وأنت أمي في أمة أمية (قال ذاك أخي وهو نبي مثلي) عند ابن عقبة والتيمي كان نبيا وأنا نبي (فأكب عداس على يديه ورأسه ورجليه يقبلها وأسلم) رضي الله عنه وهو معدود في الصحابة وفي سير التيمي انه قال أشهد أنك عبد الله ورسوله وعند ابن اسحق ونظر اليه ابنا ربيعة فقال أحدهما للآخر أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد أعلمني بأمر لا يعلمه الا نبي قالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فانه خير من دينه وفي الروض ذكر وان عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر أمراه بالخروج معهما فقال أقتال ذلك الرجل الذي رأيت بحائطكما تريدان والله ما تقوم له الجبال فقالا له ويحك يا عداس سحرك بلسانه وفي الاصابة عن الواقدي قيل قتل عداس ببدر وقيل لم يقتل بل رجع فمات

(ذكر الجن)

(ولما نزل) صلى الله عليه وسلم في منصرفه من الطائف سنة عشر وهو ابن خمسين سنة تقريبا (نخلة) غير مصروف للعلمية والتأنيث وفي مسلم بنخل قال البرهان والصواب نخلة ويحتمل ان يقال الوجهان انتهى (وهو موضع على ليلة من مكة صرف اليه) بالبناء للمفعول للعلم به قال الله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن (سبعة) كما رواه الحاكم في المستدرك وابن أبي شيبة وأحمد بن منيع من طريق عاصم عن زر عن عبد الله قال هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا وكانوا سبعة أحدهم زوبعة واسناده جيد وقيل تسعة وقيل غير ذلك (من جن نصيبين) بنون مفتوحة وصاد مهملة مكسورة فتحتية ساكنة فوحدة مكسورة فتحتية ساكنة أيضا فنون بلد مشهور ويجوز صرفه وتركه وفي خبر ان جبريل رفعها للنبي صلى الله عليه وسلم ورآها قال فسألت الله أن يعذب ماءها ويطيب ثمرها ويكثر مطرها وهي بالجزيرة كما في مسلم وبه جزم غير واحد قال البرهان ووهم من قال باليمن وقوله (مدينة بالشام) تبع فيه ابن التين السفاقسي قال الحافظ وفيه تجوز فان الجزيرة بين الشام والعراق انتهى وفي تفسير عبد بن حميد أنهم من نينوى وقيل ثلاثة من نجران وأربعة من نصيبين وعن عكرمة كانوا اثني عشر ألفا من جزيرة الموصل (وكان عليه السلام قد قام في جوف الليل يصلي) كما ذكره ابن اسحق ولا يعارضه ما في الصحيحين عن ابن عباس وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر لانه كان قبل في أول مرة عند المبعث لما منعوا من استراق السمع نعم وقع لبعض من ساق القصة التي هنا وهو يصلي الفجر فان صح فيكون أطلق على وقت الفجر جوف الليل لاتصاله به أو ابتدأ الصلاة في الجوف واستمر حتى دخل وقت الفجر أو صلى فيهما وسمعوه هما معا والمراد بالفجر الركعتان اللتان كان يصليهما قبل طلوع الشمس واطلاق الفجر عليهما صحيح لوقوعهما بعد دخول وقته فسقط اعتراض البرهان بأن صلاة الفجر لم تكن فرضت وقال الحافظ في حديث ابن عباس وهو يصلي بأصحابه لم يضبط من كان معه في تلك السفرة غير زيد بن حارثة فلعل بعض

يواظب على سنة الفجر والوتر أشد من جميع النوافل دون سائر السنن ولم ينقل عنه في السفر أنه صلى الله عليه وسلم صلى سنة راتبة غيرهما ولذلك كان ابن عمر لا يزيد على ركعتين ويقول سافرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فكانوا لا يزيدون في السفر على ركعتين وهذا وان احتمل أنهم لم يكونوا يربعون الا أنهم لم يصلوا السنة لكن قد ثبت عن ابن عمر انه سئل عن سنة الظهر في السفر فقال لو كنت مسبحا لاتممت وهذا من فقهه رضي الله عنه فان الله سبحانه وتعالى خفف عن المسافر في الرباعية شطرها فلو شرع له الركعتان قبلها أو بعدها لكان الاتمام أولى به وقد اختلف الفقهاء أي الصلاتين آكد سنة الفجر أو الوتر على قولين ولا يمكن الترجيح باختلاف الفقهاء في وجوب الوتر فقد اختلفوا أيضا في وجوب سنة الفجر وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول سنة الفجر تجري مجرى بداية العمل والوتر خاتمته

الصحابة تلقاه لما رجع انتهى وكأنه بناه على تسليم اتحاد مجيء الجن (فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن) قاله ابن اسحق وأقره اليعمري ومغلطاي واعترضه البرهان بما في الصحيح أنها انما نزلت بعد استماعهم وجوابه أن الذي في الصحيح كان في المرة الاولى عند المبعث كما هو صريحه وهذه بعده بمدة فلا تعترض به (وفي الصحيح) عن ابن مسعود (أن الذي آذنه) أي أعلمه صلى الله عليه وسلم (بالجن ليلة الجن شجرة) هي كما في مسند اسحق بن راهويه سمرة بفتح السين وضم الميم من شجر الطلح جمعه كرجل وفيه معجزة باهرة (وأنهم سألوه الزاد) أي ما يفضل من طعام الانس وقد يتعلق به من يقول الاشياء قبل الشرع على الحظر حتى ترد الاباحة ويجاب عنه بمنع الدلالة على ذلك بل لا حكم قبل الشرع على الصحيح قاله في فتح الباري وقال شيخنا أي نوعا يخصهم به كما جعل للانس في المطعوم حلالا وحراما ولعلهم قبل السؤال كانوا يأكلون ما اتفق لهم أكله بغير قيد نوع مخصوص أو ما لم يذكر اسم الله عليه من طعام الانس (فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه) هو زادكم (يقع في يد أحدكم أوفر ما كان لحما) ولابي داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه وجمع بان رواية مسلم في حق المؤمنين وهذه في حق شياطينهم قال السهيلي وهو صحيح يعضده الاحاديث (وكل بعر علف لدوابكم) زاد ابن سلام في تفسيره ان البعر يعود خضرا لدوابهم واعترض على المؤلف ومتبوعه السهيلي في سياق حديث الصحيح هنا بما صرح به الحافظ الدمياطي انه صلى الله عليه وسلم لم يشعر بهم حين استمعوا في رجوعه من الطائف حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك نفرا الآية قال وسؤالهم الزاد كان في قصة أخرى (وفي هذا) دليل على ان الجن يأكلون ويشربون و (رد على من زعم ان الجن لا تأكل ولا تشرب) لان ضيرورته لحما انما تكون للاكل حقيقة ثم اختلف هل أكلهم مضغ وبلع أو يتغذون بالشم وقوله عليه الصلاة والسلام ان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله مجاز أي يحبه الشيطان ويزينه ويدعو اليه قال ابن عبد البر وهذا ليس بشيء فلا معنى لحمل شيء من الكلام على المجاز اذا أمكنت فيه الحقيقة بوجه ما انتهى وهو الراجح عند جماعة من العلماء حتى قال ابن العربي من نفى عن الجن الاكل والشرب فقد وقع في حبالة الحاد وعدم رشاد بل الشيطان وجميع الجان يأكلون ويشربون وينكحون ويولد لهم ويموتون وذلك جائز عقلا وورد به الشرع وتظافرت به الاخبار فلا يخرج عن هذا المضمار الا حمار ومن زعم أن أكلهم شم فما شم رائحة العلم انتهى وروى ابن عبد البر عن وهب بن منبه الجن أصناف فخالصهم ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون وصنف يفعل ذلك ومنهم السعالى والغيلان والقطرب قال الحافظ وهذا ان ثبت كان جامعا للقولين ويؤيده ما روى ابن حبان والحاكم عن أبي ثعلبة الخشني مرفوعا الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون في الهواء وصنف حيات وعقارب وصنف يحلون ويظعنون ويرحلون وروى ابن أبي الدنيا عن أبي الدرداء مرفوعا نحوه لكن قال في الثالث وصنف عليهم الحساب والعقاب انتهى قال السهيلي ولعل هذا الصنف الطيار هو الذي لا يأكل ولا يشرب ان صح القول به انتهى وقال صاحب آكام المرجان وبالجملة فالقائلون الجن لا تأكل ولا تشرب ان أرادوا جميعهم فباطل لمصادمة الاحاديث الصحيحة وأن أرادوا صنفا منهم فمحتمل لكن العمومات تقتضي ان الكل يأكلون ويشربون (وذكر صاحب الروض) السهيلي فيه هنا (من أسماء السبعة الذين أتوه عليه السلام عن ابن دريد منشى) بميم فنون فمعجمة (وناشي) بنون (وشاصر) بشين معجمة فألف فصاد فراء (وماضر) بميم فألف فمعجمة ضبطهما في الاصابة (والاحقب) قال في الروض (لم يزد) ابن دريد (على تسمية هؤلاء الخمسة وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم يعني قبيل المبعث اذ قال وعمرو بن جابر وسرق انتهى وفي الاصابة الارقم الجني أخذ من استمع القرآن من جن نصيبين ذكر اسمعيل بن زياد في تفسيره عن ابن

وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بسنة الفجر والوتر بسورتي الاخلاص وهما الجامعتان لتوحيد العلم والعمل وتوحيد المعرفة والارادة وتوحيد الاعتقاد والقصد انتهى فسورة الاخلاص متضمنة لتوحيد الاعتقاد والمعرفة وما يجب اثباته للرب تعالى من الاحدية المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم الصمدية وغناه وأحديته ونفي الكفؤ المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل والتنظير فتضمنت هذه السورة اثبات كل كمال له ونفي كل نقص عنه ونفي اثبات شبيه أو مثيل له في كماله ونفي مطلق الشريك عنه وهذه الاصول هي مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه جميع فرق الضلال والشرك ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن فان القرآن مداره على الخبر والانشاء والانشاء ثلاثة أمر ونهي واباحة والخبر نوعان خبر عن

عباس انهم تسعة سليط وشاصر وماضر وحسا ونسا و بجم والارقم والادرس وحاضر نقلته مجودا
من خط مغلطاى ثم ضبطا فى الاصابة حاضر بالحاء وضاد معجمتين وآخره راء وسرق بضم السين
وفتح الراء المشددة المهملتين وقاف قال وضبطه العسكرى بتخفيف الراء على وزن عمر وأنكر على
أصحاب الحديث شد الراء انتهى فهؤلاء أربعة عشر صحابة من الجن وترجم فى الاصابة أبيض الجنى
ذكره فى كتاب السنن لابى بكر بن الاشعث أحد المتروكين المتهمين فأخرج باسناده أنه صلى الله عليه
وسلم قال لعائشة أخزى الله شيطانك الحديث وفيه ولكن الله أعانني عليه حتى أسلم واسمه أبيض
وهو فى الجنة وهامة بن الهيم بن الاقيس بن ابليس فى الجنة انتهى وفى التجريد هامة بن الهيم حديثه
موضوع انتهى وسمحج بسين مهملة أوله بوزن أحمر آخره جيم وسماه المصطفى عبد الله رواه الفاكهى
وغيره كما فى الاصابة وعد أبو موسى المدينى فى الصحابة عمرو بن جابر المتقدم ومالك بن مالك وعمرو بن
طارق وزوبعة ووردان قال الذهبى وزوبعة اما لقب لواحد منهم أو اسم له والمذكور لقب ولم يذكر
ذلك صاحب الاصابة بل ترجم لكل منهم فاقتضى ان زوبعة اسم علم على جنى غير الاربعة وهو الاصل
وذكر فى عمرو بن طلق ويقال ابن طارق أخرج الطبرانى فى الكبير عن عثمان بن صالح قال حدثنى عمرو
الجنى قال كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ سورة والنجم فسجد وسجدت معه وأخرج ابن
عدى عن عثمان بن صالح قال رأيت عمرو بن طلق الجنى فقلت له رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال نعم وبايعته وأسلمت معه وصليت خلفه الصبح فقرأ سورة الحج فسجد فيها سجدتين وعثيم الجنى
وعرفطة بن سمراح الجنى من بنى نجاح ذكره الخرائطى فى الهواتف عن سلمان الفارسى بسند ضعيف
جدا انتهى وعبد النور الجنى قال الذهبى روى شيخنا ابن حمويه عن رجل عنه وهذه خرافة مهتوكة
انتهى وامرأة اسمها رفاعة وفى رواية عفراء قال ابن الجوزى حديثها موضوع ولو صح لعدت فى
الصحابيات ولم أر أحدا ذكرها الا فى رفاعة ولا فى عفراء ثم ذكر الحديث من وجه آخر وسماها الفارعة
بنت المستورد وترجم لها فى الاصابة الفارعة وذكر حديثها وقال فى سنده من لا يعرف وأورده ابن
الجوزى فى الموضوعات وقال أعنى صاحب الاصابة فى ترجمة زوبعة أنكر ابن الاثير على أبى موسى
المدينى ترجمة الجن فى الصحابة ولا معنى لانكاره لانهم مكلفون وقد أرسل اليهم النبى صلى الله عليه
وسلم وأما قوله كان الاولى أن يذكر جبريل ففيه نظر لان الخلاف فى أنه أرسل الى الملائكة مشهور
بخلاف الجن وفى فتح البارى الراجح دخول الجن لانه صلى الله عليه وسلم بعث اليهم قطعا وهم مكلفون
فيهم العصاة والطائعون فمن عرف اسمه منهم لا ينبغى التردد فى ذكره فى الصحابة وان كان ابن الاثير عاب
ذلك على أبى موسى فلم يستند فى ذلك الى حجة وأما الملائكة فيتوقف عدهم فيهم على ثبوت بعثته اليهم
فان فيه خلافا بين الاصوليين حتى نقل بعضهم الاجماع على ثبوته وعكس بعضهم انتهى (قال الحافظ
ابن كثير وقد ذكر ابن اسحق خروجه عليه السلام الى أهل الطائف ودعاءه اياهم وأنه لما انصرف
عنهم بات بنخلة فقرأ تلك الليلة من القرآن) أى بعضه وهو كما مر سورة الجن وقيل اقرأ وقيل الرحمن
وجمع بان اقرأ فى الاولى والرحمن فى الثانية أى والجن فى الثالثة (فاستمعه الجن من أهل نصيبين) من
العرب من يجعله اسما واحدا ويلزمه الاعراب كالاسماء المفردة الممنوعة الصرف والنسبة نصيبين
باثبات النون ومنهم من يجريه مجرى الجمع والنسبة نصيبى بحذف النون وعكس ذلك الجوهرى
فاعترض لان المثنى والجمع وما ألحق بهما ان جعلا علمين وبقى اعرابهما بالحروف ثم نسب اليهما ردا
الى مفردهما وان جعلا اسمين تامين اعربا بالحركات على النون ونسب اليهما على لفظهما بلا خلاف
(قال وهذا صحيح لكن قوله ان الجن كان استماعهم تلك الليلة فيه نظر فان الجن كان استماعهم

بالخالق تعالى وأسمائه
وصفاته وأحكامه وخبر
عن خلقه فاخلصت
سورة الاخلاص الخبر
عنه وعن أسمائه
وصفاته فعدلت ثلث
القرآن وخلصت قارئها
المؤمن بها من الشرك
العلمى كما خلصت
سورة قل يا أيها الكافرون
من الشرك العملى
الارادى القصدى ولما
كان العلم قبل العمل
وهو امامه وقائده وسائقه
والحاكم عليه ومنزله
منازله كانت سورة قل
هو الله أحد تعدل ثلث
القرآن والاحاديث
بذلك تكاد تبلغ مبلغ
التواتر وقل يا أيها
الكافرون تعدل ربع
القرآن والحديث بذلك
فى الترمذى من رواية
ابن عباس رضى الله
عنهما يرفعه اذا زلزلت
تعدل نصف القرآن
وقل هو الله أحد تعدل
ثلث القرآن وقل يا أيها
الكافرون تعدل ربع
القرآن رواه الحاكم فى
المستدرك وقال صحيح
الاسناد ولما كان الشرك
العملى الارادى أغلب
على النفوس لاجل
متابعتها هواها وكثير
منها تركبه مع علمها
بضرته وبطلانه لما لها
فيه من نيل الاغراض

فى ابتداء الايحاء) ولا نظر فهذه المرة بعد تلك وقد جزم فى فتح البارى بأن كلام ابن اسحق ليس صريحا فى أوليته قدوم بعضهم قال والذى يظهر من سياق الحديث الذى فيه المبالغة فى رمى الشهب لحراسة السماء من استراق الجن السمع دال على ان ذلك كان عند المبعث النبوى وانزال الوحى الى الارض فكشفوا عن ذلك الى ان وقفوا على السبب ولذا لم يقيد البخارى الترجمة بقدوم ولا وفادة أى وانما قال باب ذكر الجن لما انتشرت الدعوة وأسلم من أسلم قدموا فسمعوا فأسلموا وكان ذلك بين الهجرتين ثم تعدد مجيئهم حتى فى المدينة انتهى ونقله الشامى عن ابن كثير نفسه أيضا (ويدل له حديث ابن عباس عند أحمد قال كان الجن يستمعون الوحى) هو ما كانت تسمعه الملائكة مما ينزل الارض فيتكلمون به (فيسمعون الكلمة فيزيدون فيها عشرا فيكون ما سمعوه حقا وما زادوه باطلا وكانت النجوم لا يرمى بها قبل ذلك) البعث النبوى (فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحدهم لا يأتى مقعده الا رمى بشهاب يحرق ما أصابه منه) ولا يشكل هذا بما مر أن السماء حرست بمولده صلى الله عليه وسلم لجواز أنه بقى لهم بعض قدرة على الاستماع كاللص فلما بعث زال ذلك بل قال السهيلى انه بقى منه بقايا يسيرة بدليل وجوده نادرا فى بعض الازمنة وبعض البلاد وقال البيضاوى لعل المراد منعهم من كثرة وقوعه (فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هذا الا من أمر قد حدث فبث جنوده) فى الارض وفى الصحيحين فاضربوا مشارق الارض ومغاربها فمن النفر جماعة أخذوا نحو تهامة (فاذا هم بالنبى صلى الله عليه وسلم يصلى بين جبلى نخلة فأخبروه) أى ابليس (فقال هذا الحدث الذى حدث فى الارض و رواه النسائى وصححه الترمذى) ورواه الشيخان بنحوه ولم يعزه لهما لزيادة فيما ذكر على روايتهما (قال) ابن كثير (وخروجه عليه السلام الى الطائف كان بعد موت عمه) أبى طالب الواقع فى السنة العاشرة من النبوة والاستماع كان عقب البعثة فلا يصح ما فى ابن اسحق وقد علم جوابه (و روى ابن أبى شيبة عن عبد الله بن مسعود قال) ان الجن (هبطوا على النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ القرآن) وفى نسخة وهو يقرأ الجن أى سورة الجن لكن الاولى هى المعزوة فى لباب النقول لابن أبى شيبة (ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا أنصتوا) حذف من رواية ابن أبى شيبة بعد قوله أنصتوا قالوا صه وكانوا تسعة أحدهم زوبعة (فأنزل الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية) يريد جنسها فلفظ ابن أبى شيبة فأنزل الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الى قوله ضلال مبين وقولهم من بعد موسى قيل لانهم كانوا يهودا وفى الجن ملل كالانس وقيل لم يسمعوا بعيسى واستبعد وقيل لانهم كانوا يعلمون بشارة موسى به وكانهم قالوا هذا الذى بشر به موسى ومن بعده (فهذا) أى حديث ابن مسعود (مع حديث ابن عباس) الذى قبله (يقتضى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يشعر بحضورهم فى هذه المرة وانما استمعوا قراءته ثم رجعوا الى قومهم) وبهذا جزم الدمياطى فقال فلما انصرف من الطائف راجعا الى مكة ونزل نخلة قام يصلى من الليل فصرف اليه نفر سبعة من أهل نصيبين فاستمعوا له وهو يقرأ سورة الجن ولم يشعر بهم حتى نزل عليه واذ صرفنا اليك انتهى و به تعقب قول من قال لما وصل فى رجوعه الى نخلة جاءه الجن وعرضوا اسلامهم عليه (ثم بعد ذلك وفدوا اليه أرسالا) بفتح الهمزة وأبدل منه قوله (قوما بعد قوم وفوجا) أى جماعة جمعه فووج وأفواج وجمع الجمع أفاوج وأفاويج كما فى القاموس (بعد فوج) كما تفيده الاحاديث العديدة ففى حديث انهم كانوا على ستين راحلة وآخر ثلثمائة وآخر خمسة عشر وعن عكرمة اثنى عشر ألفا فهذا الاختلاف دليل على تكرر وفادتهم كما أشار اليه البيهقى وابن عطية وقال انه التحرير بمكة والمدينة فالمتحصل من الاخبار انهم وفدوا عليه لما خرجوا يضربون مشارق الارض ومغاربها لاستكشاف الخبر عن حراسة السماء بالشهب

وازالته وقلعه منها أصعب وأشد من قلع الشرك العلمى وازالته لان هذا يزول بالعلم والحجة ولا يمكن صاحبه أن يعلم الشئ على غير ما هو عليه بخلاف شرك الارادة والقصد فان صاحبه يرتكب ما يدله العلم على بطلانه وضرره لاجل غلبة هواه واستيلاء سلطان الشهوة والغضب على نفسه فجاء من التأكيد والتكرار فى سورة قل يا أيها الكافرون المتضمنة لازالة الشرك العملى ما لم يجئ مثله فى سورة قل هو الله أحد ولما كان القرآن شطرين شطرا فى الدنيا وأحكامها ومتعلقاتها والامور الواقعة فيها من أفعال المكلفين وغيرها وشطرا فى الآخرة وما يقع فيها وكانت سورة اذا زلزلت قد أخلصت من أولها وآخرها لهذا الشطر فلم يذكر فيها الا الآخرة وما يكون فيها من أحوال الارض وسكانها كانت تعدل نصف القرآن فاحرى بهذا الحديث أن يكون صحيحا والله أعلم ولهذا كان يقرأ بهاتين السورتين فى ركعتى الطواف ولانهما سورتا الاخلاص والتوحيد

فوافوه صلى الله عليه وسلم بنخلة عامدا سوق عكاظ يصلي بأصحابه الفجر فسمعوا القرآن وقالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء فرجعوا الى قومهم فقالوا ياقومنا انا سمعنا قرآنا عجبا فأنزل الله قل أوحي الي وما قرأ عليهم ولا رآهم كما قاله ابن عباس في الصحيحين وغيرهما وأخرى بنخلة وهو عائد من الطائف وأخرى بالحجون وفي لفظ بأعلى مكة بالجبال لما أتاه داعي الجن فذهب معه وقرأ عليهم القرآن ورجع لأصحابه من جهة حراء وأخرى ببقيع الغرقد وفي هاتين حضر ابن مسعود وخط عليه خطا بأمر المصطفى وأخرى خارج المدينة وحضرها الزبير وأخرى في بعض أسفاره وحضرها بلال بن الحرث بل حديث أبي هريرة في الصحيح يحتمل انهم أتوه حين حمل أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم الاداوة وانما قدم أبو هريرة في سابعة الهجرة وبهذا لا يبقى تعارض بين الاخبار ويحصل الجمع كما قال الحافظ بين نفي ابن عباس رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لهم قال المصنف وهو ظاهر القرآن وبين ما أثبته غيره من رؤيته لهم والله أعلم (وفي طريقه عليه السلام هذه) لما اطمأن في ظل الحبلة أي الكرمة (دعا بالدعاء المشهور) المسمى كما قال بعضهم بدعاء الطائف وهو (اللهم اليك أشكو) قدم المعمول ليفيد الحصر أي لا الى غيرك فان الشكوى الى الغير لا تنفع (ضعف قوتي) بضم الضاد أرجح من فتحها وهما لغتان كما في الانوار وفي المصباح الضم لغة قريش وفي القاموس الضعف بالفتح والضم ويحرك ضد القوة (وقلة حيلتي) في مخلص أتوصل به الى القيام بما كلفتني (وهواني على الناس) احتقارهم لي واستهانتهم بي واستخفافهم بشأني واستهزاءهم والشكوى اليه عز وجل لا تنافي أمره بالصبر في التنزيل لان اعراضه عن الشكوى لغيره وجعلها اليه وحده هو الصبر والله سبحانه يمقت من يشكوه الى خلقه ويحب من يشكو ما به اليه (يا أرحم الراحمين) أي يا موصوفا بكمال الاحسان (أنت أرحم الراحمين) وصف له تعالى بغاية الرحمة بعد ما ذكر لنفسه ما يوجبها واكتفى بذلك عن عرض المطلوب بصريح اللفظ تلطفا في السؤال وأدبا وأكد ذلك ولمح للمرادفة ل (وأنت رب المستضعفين) ففي ذكر لفظ رب والاضافة اليهم مزيد الاستعطاف فطوى في ضمن هذه الالفاظ العذبة البديعة نحو ان يقول فقوني واجعل لي المخلص وأعزني في الناس وعدل الى الثناء على ربه بها ثم من الجملتين الثابتتين عند ابن اسحق الساقطتين في رواية الطبراني لان الكريم بالثناء يعطى المراد ولأكرم منه سبحانه وتعالى (الى من تكلني) تفوض أمري (الى عدو بعيد) وسقط في رواية الطبراني لفظ بعيد (يتجهمني) بتحتية ففوقية فجيم فهاء مشددة مفتوحات والاستفهام للاستعطاف بحذف الاداة أي اتكلني الى عدو (أم الى صديق قريب ملكته أمري) جعلته مسلطا على ايذائي ولا أستطيع دفعه والجملة دالة على المدعو به أي لا تجعل لي ذلك (ان لم تكن غضبانا) وفي رواية ان لم تكن ساخطا وأخرى ان لم يكن بك سخط وأخرى ان لم يكن بك غضب (علي فلا أبالي) بما صنع بي أعدائي وأقاربي من الايذاء طلبا لمرضاتك ووثوقا بما عندك (غير ان عافيتك) وهي السلامة من البلايا والاسقام مصدر جاء على فاعلة (أوسع لي) فيه ان الدعاء بالعافية مطلوب محبوب ونحوه لا تمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية وهكذا عادة الانبياء عليهم السلام انما يسألون بعد البلاء عنهم (أعوذ بنور وجهك) أي ذاتك زاد الطبراني الكريم أي الشريف والكريم يطلق على الشريف النافع الدائم نفعه قال السهيلي وأتى بالوجه ايذانا بأن بغيته الرضا والقبول والاقبال لان من رضي عنك أقبل عليك بوجهه لا صلة للتأكيد كما زعم من غلظ طبعه ولو قال بنورك لحسن ولكنه توصل اليه بما أودع قلبه من نوره فتوسل الى نعمته بنعمته والى فضله ورحمته بفضله ورحمته انتهى (الذي) زاد الطبراني أضاءت له السموات والارض و (أشرقت) بالبناء للفاعل أي أضاءت (له الظلمات) أي أزيلت وعطفه عليه في رواية الطبراني مع انه بمعناه لان اختلاف

كان يفتتح بهما عمل النهار ويختمه بهما ويقرأ بهما في الحج الذي هو شعار التوحيد

* (فصل) * وكان صلى الله عليه وسلم يضطجع بعد سنة الفجر على شقه الايمن هذا الذي ثبت عنه في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها وذكر الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا صلى أحدكم الركعتين قبل صلاة الصبح فليضطجع على جنبه الايمن قال الترمذي حديث حسن صحيح غريب وسمعت ابن تيمية يقول هذا باطل وليس بصحيح وانما الصحيح عنه الفعل لا الامر بها والامر تفرد به عبد الواحد بن زياد وغلط فيه وأما ابن حزم ومن تابعه فانهم يوجبون هذه الضجعة ويبطل ابن حزم صلاة من لم يضطجعها بهذا الحديث وهذا مما تفرد به عن الامة ورأيت مجلدا لبعض أصحابه قد نصر فيه هذا المذهب وقد ذكر عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين أن أبا موسى ورافع بن

اللفظ سوغ العطف ولذا غاير فى التعبير كراهة توالى لفظين بمعنى ولم يسقطه للاطناب المطلوب فى الدعاء وضبط بعضهم أشرقت بالبناء للمفعول لقول الزمخشرى فى قراءة وأشرقت الارض بنور ربها بالمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به مردود فانما هو ظاهر فى الآية لا الحديث اذ لا يظهر فيه امتلاءت الظلمات بالضوء الا بتعسف قال فى الروض النور هنا عبارة من الظهور وانكشاف الحقائق الالهية وأشرقت الظلمات أى محالها وهى القلوب التى كانت فيها ظلمات الجهالات والشكوك فاستنارت بنور الله تعالى قال وقد تكون الظلمات هنا أيضا المحسوسة واشراقها دلالتها على خالقها وكذلك الانوار المحسوسة الكل دال عليه فهو نور النور أى مظهره ومنور الظلمات أى جاعلها نورا فى حكم الدلالة عليه سبحانه انتهى والحمل على ما يشمل الحسى والمعنوى اولى وان أخره وقلله فيكون من استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه أو عموم المجاز ثم لا يشكل الحديث بان المعروف انه لا ظلمة فى الملأ الأعلى لانه انما هو به تعالى وله وما أحسن قول صاحب الحكم الكون كله ظلمة وانما أناره ظهور الحق فيه فمن رأى الكون ولم يشهده فيه أو قبله أو عنده أو بعده فقد أعوزه وجود الانوار وحجبت عنه شموس المعارف بسحب الآثار انتهى (وصلح) بفتح اللام وتضم استقام وانتظم (عليه أمر الدنيا والآخرة أن ينزل بى غضبك أو يحل) بكسر الحاء يجب وضمها أى ينزل وبهما قرئ فيحل عليكم غضبى (بى سخطك) أى غضبك فهو من عطف الرديف مرفوعان فاعل ينزل ويحل بالتحتية ومنصوبان على المفعولية لكن بالفوقية فى الفعلين مضمومة مع كسر حاء تحل فقط وأفاد بعضهم ان الوجهين رواية فى لفظ الطبرانى ان يحل على غضبك او ينزل على سخطك (ولك العتبى) بضم العين وألف مقصورة أى أطلب رضاك (حتى ترضى) قال فى النهاية استعتب طلب ان يرضى عنه وقال الهروى يقال عتب عليه وجد فاذا فاوضه ما عتب عليه قيل عاتبه والاسم العتبى وهو رجوع المعتوب عليه الى ما يرضى المعاتب انتهى ولا يظهر تفسير الشامى العتبى بالرضا لركة قولنا لك الرضا حتى ترضى (ولا حول) أى تحول عن المعاصى (ولا قوة) على فعل الطاعات (الا بك) بتوفيقك واستعاذ بهما بعد الاستعاذة بذاته تعالى للاشارة الى انه لا توجد حركة ولا سكون فى خير أو شر الا بأمره تعالى التابع لمشيئته انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون (أو رده ابن اسحق) محمد فى السيرة بلفظ فلما اطمأن قال فيما ذكر فساقه (ورواه الطبرانى) سليمان بن أحمد بن أيوب (فى كتاب الدعاء) وهو مجلد وكذا رواه فى معجمه الكبير (عن عبد الله بن جعفر) بن أبى طالب الصحابى ابن الصحابى (قال) وهذا مرسل صحابى لانه ولد بالحبشة فلم يدرك ما حدث به لقوله (لما توفى ابو طالب خرج النبى صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف) بلد معروف سمى بذلك لان رجلا من حضرموت أصاب دما فى قومه وفر اليه فقال لهم ألا أبنى لكم حائطا يطيف ببلدكم فبناه أو لان الطائف المذكور فى القرآن وهو جبريل اقتلع الجنة التى كانت بصوران على فراسخ من صنعاء فأصبحت كالصريم وهو الليل وأتى بها الى مكة فطاف بها ثم وضعها به فكان الماء والشجر بالطائف دون ما حولها او لغير ذلك أقوال (فدعاهم الى الاسلام) أو الى نصره وعونه حتى يبلغ رسالة ربه (فلم يجيبوه) لا الى الاسلام ولا الى غيره (فأتى ظل شجرة) من عنب فعند ابن اسحق جلس الى ظل حبلة بمهملة فموحدة مفتوحة قال السهيلى وسكونها ليس بالمعروف أى كرمة اشتق اسمها من الحبل لانها تحبل بالعنب ولذا فتح حمل الشجرة والنخلة فقيل حمل بفتح الحاء تشبيها بحمل المرأة وقد يقال حمل بكسرها تشبيها بالحمل على الظهر انتهى (فصلى ركعتين) قبل الدعاء ليكون أسرع اجابة وليزول غمه وهمه بمناجاة ربه فيها (ثم قال اللهم اليك أشكو فذكره) بنحو ما أورده ابن اسحق وقد بينا ألفاظه التى زادها ونقصها (وقوله يتجهمنى بتقديم الجيم على الهاء)

خديج وأنس بن مالك رضى الله عنهم كانوا يضطجعون بعد ركعتى الفجر ويأمرون بذلك وذكر عن معمر عن أيوب عن نافع أن ابن عمر كان لا يفعله ويقول كفانا التسليم وذكر عن ابن جريج أخبرنى من أصدق أن عائشة رضى الله عنها كانت تقول ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يضطجع لسنة ولكنه كان يدأب ليلته فيستريح قال وكان ابن عمر يحصبهم اذا رآهم يضطجعون على أيمانهم وذكر ابن أبى شيبة عن أبى الصديق الناجى أن ابن عمر رأى قوما اضطجعوا بعد ركعتى الفجر فارسل اليهم فنهاهم فقالوا نريد بذلك السنة فقال ابن عمر ارجع اليهم وأخبرهم أنها بدعة وقال أبو مجلز سألت ابن عمر عنها فقال يلعب بكم الشيطان قال ابن عمر رضى الله عنه ما بال الرجل اذا صلى الركعتين يفعل كما يفعل الحمار اذا تمعك وقد غلا فى هذه الضجعة طائفتان وتوسط فيها طائفة ثالثة فاوجبها جماعة من أهل الظاهر وأبطلوا الصلاة بتركها كابن حزم ومن وافقه وكرهها جماعة من الفقهاء وسموها

المشددة (أي يلقاني بالغلظة والوجه الكريه) قاله في النهاية وقال الزمخشري وجه جهم غليظ وهو الباسر الكريه ويوصف به الاسد وتجهمت الرجل وجهمته استقبلته بوجه كريه وقيل هو أن يغلظ له في القول ومن المجاز الدهر يتجهم الكرام وتجهمه أمله اذا لم يصبه (ثم دخل عليه السلام مكة في جوار المطعم بن عدي) بعد ان أقام بنخلة أياما وقال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم وهم قد أخرجوك فقال يا زيد ان الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ثم انتهى الى حراء وبعث عبد الله بن الاريقط الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث الى سهيل بن عمرو فقال ان بني عامر لا تجير على بني كعب فبعث الى المطعم بن عدي فأجابه فدخل صلى الله عليه وسلم فبات عنده فلما أصبح تسلح المطعم هو وبنوه وهم ستة أو سبعة فقالوا له صلى الله عليه وسلم طف واحتبوا بحمائل سيوفهم بالمطاف فقال أبو سفيان للمطعم أمجير أم تابع قال بل مجير قال اذن لا تخفر قد أجرنا من أجرت فقضى صلى الله عليه وسلم طوافه وانصرفوا معه الى منزله ذكر ابن اسحق هذه القصة مبسوطة وأوردها الفاكهي باسناد حسن مرسل لكن فيه انه أمر أربعة من أولاده فلبسوا السلاح وقام كل واحد عند ركن من الكعبة فقالت له قريش أنت الرجل الذي لا تخفر ذمتك ويمكن الجمع بأن الاربعة عند الاركان والمطعم وباقيهم في المطاف قال في النور وفي جواب سهيل والاخنس نظر لانهما لو لم يكونا ممن يجير لما سألهما النبي صلى الله عليه وسلم كيف وعامر الذي هو جد سهيل وكعب اخوان ولدا لؤي انتهى قيل ولذا قال صلى الله عليه وسلم في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له وقيل لقيامه في نقض الصحيفة ولا مانع انه لكليهما وسماهم نتنى لكفرهم كما في النهاية وغيرها وقول المصنف المراد قتلى بدر الذين صاروا جيفا يرده قول الحديث في اسارى بدر وهذا من شيمه صلى الله عليه وسلم الكريمة تذكر وقت النصر والظفر للمطعم هذا الجميل ولم يذكر قوله صبيحة الاسراء كل أمرك كان قبل اليوم أمما غير قولك اليوم أنا أشهد انك كاذب وقد قال واصفه لا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولما مات المطعم قبل وقعة بدر رثاه حسان بن ثابت كما ساذكره ان شاء الله في غزوتها ولا ضير فيه لان الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب ان فعله مع المصطفى من أجلها فلا مانع منه ومن ذكر نحو كرم أصله وشرفهم هذا وذكر ابن الجوزي في دخوله صلى الله عليه وسلم في جوار كافر وقوله في المواسم من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي حكمتين احداهما اختبار المبتلى أي معاملته معاملة من يختبر ليسكن قلبه الى الرضا بالبلاء فيؤدي القلب ما كلف به من ذلك والثانية ان بث الشبهة في خلال الحجج لثبات المجتهد في دفع الشبهة انتهى

(وقت الاسراء)

(ولما كان في شهر ربيع الاول) أو الآخر أو رجب أو رمضان أو شوال أقوال خمسة (أسري بروحه وجسده يقظة) لا مناما مرة واحدة في ليلة واحدة عند جمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة ولا ينبغي العدول عنه وقيل وقع الاسراء والمعراج في مرتين مناما ويقظة وقيل الاسراء في ليلة والمعراج في ليلة وقيل الاسراء يقظة والمعراج منام وقيل الخلاف في انه يقظة أو منام خاص بالمعراج لا بالاسراء وقيل الاسراء مرتان يقظة الاولى بلا معراج والثانية به (من المسجد الحرام) عند البيت في الحطيم أو الحجر وفي رواية فرج سقف بيتي وفي أخرى انه أسري به من شعب أبي طالب وفي أخرى من بيت أم هانئ وجمع الحافظ بأنه كان في بيت أم هانئ وهو عند شعب أبي طالب ففرج سقف بيته وأضافه اليه لانه كان يسكنه فنزل منه الملك فأخرجه منه حتى أتى المسجد وبه أثر النعاس ثم أخرجه الى باب المسجد فأركبه البراق (الى المسجد الاقصى) وصرحت السنة بأنه دخله واليه أشار بقوله

بدعة وتوسط فيها مالك وغيره فلم يروا بها بأسا لمن فعلها راحة وكرهوها لمن فعلها استنانا واستحبها طائفة على الاطلاق سواء استراح بها أم لا واحتجوا بحديث أبي هريرة والذين كرهوها منهم من احتج بآثار الصحابة كابن عمر وغيره حيث كان يحصب من فعلها ومنهم من أنكر فعل النبي صلى الله عليه وسلم لها وقال الصحاح ان اضطجاعه كان بعد الوتر وقبل ركعتي الفجر كما هو مصرح به في حديث ابن عباس قال وأما حديث عائشة فاختلف على ابن شهاب فيه فقال مالك عنه فاذا فرغ يعني من قيام الليل اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن فيصلي ركعتين خفيفتين وهذا صريح أن الضجعة قبل سنة الفجر وقال غيره عن ابن شهاب فاذا سكت المؤذن من أذان الفجر وتبين له الفجر وجاءه المؤذن قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الايمن قالوا واذا اختلف أصحاب ابن شهاب فالقول ما قاله مالك لانه أثبتهم فيه وأحفظهم وقال الآخرون بل الصواب في هذا مع من خالف مالكا وقال

(ثم عرج به من المسجد الاقصى الى فوق سبع سموات) الى حيث شاء العلى الأعلى (ورأى ربه بعيني رأسه) على ما رجحه جمع ونفتها عائشة وابن مسعود ورجح في المفهم القول بالوقف وعزاه لجماعة من المحققين وقول عائشة موافق لابن جسده انما احتج به من قال ان الاسراء كان مناما كما سيأتي بسط ذلك للمصنف في مقصده (وأوحى اليه ما أوحى) أبهم للتعظيم فلا يطلع عليه بل يتعبد بالايمان به أو ألم أجدك يتيما فآوى ويتلك الخ او الجنة حرام على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك أو تخصيصه بالكوثر أو الصلوات الخمس أقوال (وفرض عليه الصلاة ثم انصرف في ليلته الى مكة فاخبر بذلك) الناس مؤمنهم وكافرهم (فصدقه الصديق) قيل فلقب بذلك يومئذ (وكل من آمن بالله تعالى ايمانا قويا لا تعرض له الشكوك والاوهام فلا ينافي انه ارتد كثير استبعادا للخبر (وكذبه الكفار وزادوا عليه عتوا) (واستوصفوه مسجد بيت المقدس) فسألوه عن أشياء لم يثبتها قال صلى الله عليه وسلم فكربت كربا شديدا لم اكرب مثله قط ومن جملة الاشياء قولهم كم للمسجد من باب قال ولم أكن عددتها (فمثله الله له) وعند ابن سعد فخيل الى بيت المقدس وطفقت أخبرهم عن آياته قال الحافظ يحتمل ان المراد مثل قريبا منه كما قيل في حديث أريت الجنة والنار وفي البخاري فجلى الله لي بيت المقدس أي كشف الحجب بيني وبينه حتى رأيته ويحتمل أنه حمل حتى وضع حيث يراه ثم أعيد ففي حديث ابن عباس عند أحمد والبزار فجيء بالمسجد وأنا أنظر اليه حتى وضع عند دار عقيل فنعته وانا انظر اليه وهذا أبلغ في المعجزة ولا استحالة فيه فقد أحضر عرش بلقيس في طرفة عين انتهى ملخصا (فجعل ينظر اليه ويصفه) فيطابق ما عندهم ولكن من يضلل الله فما له من هاد (قال الزهري) الاولى العطف بالواو لانه مقابل ما أفاده قوله في شهر ربيع الاول من انه من سنة احدى عشرة من المبعث لانه يرتب الوقائع على السنين (وكان ذلك) الاسراء (بعد المبعث) كذا في النسخ والذي في الفتح عن الزهري قبل الهجرة (بخمس سنين) فيكون بعد المبعث بثمان لانه أقام بمكة ثلاث عشرة سنة اللهم الا ان يكون المصنف ألغى مدة الفترة على انها ثلاث سنين وهذا ان أمكن به صحته لكن المنقول عن الزهري كما ترى خلافه (حكاه عنه القاضي عياض) ورجحه كما في الفتح عنه (و) كذا (رجحه القرطبي والنووي) تبعا لعياض ثلاثتهم في شرح مسلم (واحتج) عياض وتابعاه (بأنه لا خلاف أن خديجة صلت معه بعد فرض الصلاة ولا خلاف أنها توفيت قبل الهجرة اما بثلاث أو بخمس ولا خلاف أن فرض الصلاة كان ليلة الاسراء وتعقب بأن موت خديجة بعد المبعث بعشر سنين على الصحيح في رمضان وذلك قبل أن تفرض الصلاة) فبطل قولهم صلت معه الخمس اتفاقا (ويؤيده) اى الصحيح (اطلاق حديث عائشة أن خديجة ماتت قبل أن تفرض الصلوات الخمس ويلزم منه أن يكون موتها قبل الاسراء وهو المعتمد وأما تردده) أي عياض وتابعيه (في سنة وفاتها) بقوله اما بثلاث أو بخمس (فيرده جزم عائشة) عند البخاري (بأنها ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين قاله الحافظ ابن حجر) في فتح الباري وقال فيه في باب المعراج في جميع ما نفاه أي عياض وتابعاه من الخلاف نظر أما أولا فقد حكى العسكري انها ماتت قبل الهجرة بسبع سنين وقيل بأربع وعن ابن الاعرابي انها ماتت عام الهجرة وأما ثانيا فان فرض الصلاة اختلف فيه فقيل كان من أول البعثة وكان ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي وأما الذي فرض ليلة الاسراء فالصلوات الخمس وأما ثالثا فقد جزمت عائشة بأن خديجة ماتت قبل ان تفرض الصلاة المكتوبة فالمعتمد ان مراد من قال بعد أن فرضت الصلاة ما فرض قبل الصلوات الخمس ان ثبت ذلك ومراد عائشة الصلوات الخمس فيجمع بين القولين بذلك ويلزم منه انها ماتت قبل الاسراء انتهى (وقيل) كان الاسراء (قبل الهجرة بسنة وخمسة أشهر قاله السدي وأخرجه من طريقه)

أبو بكر الخطيب روى مالك عن الزهري عن عروة عن عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل احدى عشرة ركعة يوتر منها بواحدة فاذا فرغ منها اضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن فيصلي ركعتين خفيفتين وخالف مالكا عقيل ويونس وشعيب وابن أبي ذويب والاوزاعي وغيرهم فرووا عن الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يركع الركعتين للفجر ثم يضطجع على شقه الايمن حتى يأتيه المؤذن فيخرج معه فذكر مالك أن اضطجاعه كان قبل ركعتي الفجر وفي حديث الجماعة أنه اضطجع بعدهما فحكم العلماء أن مالكا أخطأ وأصاب غيره انتهى كلامه وقال أبو طالب قلت لاحمد حدثنا أبو الصلت عن أبي كريب عن أبي سهيل عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اضطجع بعد ركعتي الفجر قال شعبة لا يرفعه قلت فان لم يضطجع عليه شيء قال لا عائشة ترويه وابن عمر ينكره قال الخلال وأنبانا المروزي أن أبا عبد الله قال

بحديث أبي هريرة ليس بذاك قلت ان الأعمش يحدث به عن أبي صالح عن أبي هريرة قال عبد الواحد وحده يحدث به وقال ابراهيم بن الحارث ان أبا عبد الله سئل عن الاضطجاع بعد ركعتي الفجر قال ما أفعله وان فعله رجل فحسن انتهى فلو كان حديث عبد الواحد بن زياد عن الأعمش عن أبي صالح صحيحا عنده لكان أقل درجاته عنده الاستحباب وقد يقال ان عائشة رضي الله عنها روت هذا فكان يفعل هذا تارة وهذا تارة فليس في ذلك خلاف فانه من المباح والله أعلم وفي اضطجاعه على شقه الأيمن سر وهو ان القلب معلق في الجانب الأيسر فاذا نام الرجل على الجنب الأيسر استثقل نوما لانه يكون في دعة واستراحة فيثقل نومه فاذا نام على شقه الأيمن فانه يقلق ولا يستغرق في النوم لقلق القلب وطلبه مستقره وميله اليه ولهذا استحب الأطباء النوم على الجانب الأيسر لكمال الراحة وطيب المنام وصاحب الشرع يستحب النوم على الجانب الأيمن لئلا

أي عنه (الطبري) ابن جرير (والبيهقي فعلى هذا كان في شوّال) لما يجيء انه خرج الى المدينة لهلال ربيع الأول وقدمها لاثنتي عشرة خلت منه وقال الحافظ فعلى هذا كان في رمضان أو شوّال على الغاء الكسرين (وقيل كان في رجب حكاه) أبو عمر يوسف (بن عبد البر) النمري بفتحتين القرطبي الحافظ المشهور ساد أهل الزمان في الحفظ والاتقان ولد في ربيع الآخر سنة ثمان وستين وثلثمائة ومات سنة ثلاث وستين وأربعمائة مر بعض ترجمته (و) حكاه (قبله) بسكون الباء ظرف أبو محمد عبد الله بن مسلم (بن قتيبة) الدينوري بفتح الدال وتكسر النحوي اللغوي مؤلف أدب الكاتب وغيره ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ومات سنة سبع وستين ومائتين (وبه جزم النووي في الروضة) تبعا للرافعي (وقيل قبل الهجرة بسنة) واحدة قاله ابن سعد وغيره وبه جزم النووي (وقاله ابن حزم) و بالغ (وادعى فيه الاجماع) قال الحافظ وهو مردود ففي ذلك خلاف يزيد على عشرة أقوال (وقيل قبل الهجرة بسنة وثلاثة أشهر فعلى هذا يكون في ذي الحجة) لما مر في خروجه من المدينة (وبه جزم) أحمد (بن فارس) اللغوي أبو الحسين الرازي الامام في علوم شتى المالكي الفقيه غلب عليه علم النحو ولسان العرب فشهر به له مصنفات وأشعار جيدة مات سنة تسعين وقيل خمس وسبعين وثلثمائة (وقيل قبل الهجرة بثلاث سنين ذكره ابن الأثير) وقيل قبلها بثمانية أشهر وقيل بستة أشهر حكاهما ابن الجوزي وقيل بسنة وشهرين حكاه ابن عبد البر (وقال) ابراهيم بن اسحق (الحربي) نسبة الى محلة الحربية ببغداد البغدادي الحافظ شيخ الاسلام الامام البارع في العلوم الزاهد مات في ذي الحجة سنة خمس وسبعين ومائتين (انه كان في سابع عشري ربيع الآخر) قبل الهجرة بسنة واحدة ورجحه ابن المنير في شرح سيرة ابن عبد البر كذا نسبه للحربي جمع منهم الحافظ في الفتح وابن دحية في الابتهاج والذي نقله ابن دحية في التنوير والمعراج الصغير وأبو شامة في الباعث والحافظ في فضائل رجب عن الحربي ربيع الأوّل (وكذا قال النووي في فتاويه) على ما في بعض نسخها (لكن قال في شرح مسلم) على ما في بعض نسخه (ربيع الأوّل) وفي أكثر نسخ الشرح ربيع الآخر والذي في النسخ المعتمدة من الفتاوى الأوّل وهكذا نقله عنها الاسنوي والأذرعي والدميري (وقيل كان ليلة السابع والعشرين من رجب) وعليه عمل الناس قال بعضهم وهو الأقوى فان المسئلة اذا كان فيها خلاف للسلف ولم يقم دليل على الترجيح واقترن العمل بأحد القولين أو الأقوال وتلقي بالقبول فان ذلك مما يغلب على الظن كونه راجحا (و) لذا (اختاره الحافظ عبد الغني) ابن عبد الواحد بن علي (بن سرور المقدسي) فنسبه لجد أبيه الحنبلي الامام أوحد زمانه في الحديث والحفظ الزاهد العابد صاحب العمدة والكمال وغير ذلك نزل مصر في آخر عمره وبها مات يوم الاثنين ثالث عشري ربيع الآخر سنة ستمائة وله تسع وخمسون سنة وقال ابن عطية بعد نقل الخلاف والتحقيق انه كان بعد شق الصحيفة وقبل بيعة العقبة وقيل كان قبل المبعث قال الحافظ وهو شاذ الا ان حمل على انه وقع حينئذ في المنام (وأما اليوم الذي يسفر) بفتح الياء وكسر الفاء من سفرت الشمس طلعت (عن ليلتها) أي الذي يطلع فجره بعد ليلتها وبضمها من أسفر الصبح اسفارا أضاء أي الذي يضيء بعد ليلتها وعن بمعنى بعد عليهما (فقيل) هو (الجمعة) أي اليوم المسمى به (وقيل) هو (السبت) أي يومه (وعن ابن دحية) الحافظ أبي الخطاب عمر بفتح الدال وكسرها نسبة الى جده الأعلى دحية بن خليفة الكلبي الصحابي لانه كان يقول انه من ولده (يكون ان شاء الله تعالى يوم الاثنين ليوافق المولد والمبعث والمعراج والهجرة والوفاة فان هذه أطوار الانتقالات وجودا ونبوة ومعراجا وهجرة ووفاة) لكن في عده المعراج شئ لانه محل النزاع فكيف يستدل به وحاصله كما قال الشامي انه استنبطه بعد ما مات حساب من تاريخ الهجرة وحاول موافقته لتلك الأطوار وقال يكون الاثنين في حقه كالجمعة لآدم (وسيأتي ان شاء

الله تعالى قصة الاسراء والمعراج وما فيهما من المباحث) في المقصد الخامس وانما ذكرها هنا زمن وقوعه مراعاة لالتزامه ترتيب الوقائع (والله الموفق) للخير (والمعين) عليه لا غيره

(ذكر عرض المصطفى نفسه على القبائل ووفود الانصار)

(ولما أراد الله تعالى اظهار دينه) انتشاره بين الناس ودخولهم فيه (واعزاز نبيه) تصييره عزيزا معظما عند جميع الناس ومنع من يريده بسوء بعد ما لقي من قومه (وانجاز موعده) تعالى (له) صلى الله عليه وسلم أي نصره على أعدائه فهو تفسير لما قبله وقد قال الله تعالى ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وفي الصحيح ان الله زوى لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها (خرج صلى الله عليه وسلم في الموسم) وكان في رجب كما في حديث جابر عند أصحاب السنن (الذي لقي فيه الانصار) جمع ناصر كاصحاب وصاحب على تقدير حذف ألف ناصر لزيادتها فهو ثلاثي يجمع على أفعال قياسا ويقال جمع نصير كشريف وأشراف على القياس وجمعوا جمع قلة وان كانوا ألوفا لان جمع القلة والكثرة انما يعتبران في نكرات الجموع أما في المعارف فلا فرق بينهما وتسميتهم بالانصار حينئذ باعتبار المآل والا فهو اسم اسلامي لما فازوا به دون غيرهم من نصره صلى الله عليه وسلم وايوائه ومن معه ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم (الاوس والخزرج) بنصبهما على البدلية وفي نسخة برفع عطف التفسير سموا باسم جديهما الاعليين الاوس والخزرج الاكبر ولدي حارثة بن ثعلبة قال السهيلي الاوس في الاصل الذئب والعطية والخزرج الريح الباردة وفي الصحاح الاوس العطية والذئب وبه سمي الرجل وفيه أيضا الخزرج ريح قال الفراء الجنوب غير مجراة فلم يقيده بالباردة وتبعه القاموس لكنه قال الاوس الاعطاء وبينه وبين العطية التي عبر بها فرق (فعرض صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب) بامر الله تعالى كما في حديث علي الآتي (كما كان يصنع في كل موسم) ذكر الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم مكث ثلاث سنين مستخفيا ثم أعلن في الرابعة فدعا الناس الى الاسلام عشر سنين يوافي المواسم كل عام يتبع الحاج في منازلهم بعكاظ ومجنة وذي المجاز يدعوهم الى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه فلا يجد أحدا ينصره ولا يجيبه حتى انه ليسأل عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة فيردون عليه أقبح الرد يؤذونه ويقولون قومك أعلم بك فكان ممن سمي لنا من تلك القبائل بنو عامر بن صعصعة ومحارب وفزارة وغسان ومرة وحنيفة وسليم وعبس وبنو نصر والبكاء وكندة وكعب والحرث بن كعب وعذرة والحضارمة وذكر نحوه ابن اسحق بأسانيد متفرقة وقال موسى بن عقبة عن الزهري كان قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل ويكلم كل شريف قوم لا يسألهم الا أن يؤووه ويمنعوه ويقول لا أكره أحدا منكم على شيء بل أريد أن تمنعوا من يؤذيني حتى أبلغ رسالات ربي فلا يقبله أحد بل يقولون قوم الرجل أعلم به وأخرج أحمد والبيهقي وصححه ابن حبان عن ربيعة بن عباد بكسر المهملة وخفة الموحدة قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوق ذي المجاز يتبع الناس في منازلهم يدعوهم الى الله تعالى وروى أحمد وأصحاب السنن وصححه الحاكم عن جابر كان صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول هل من رجل يحملني الى قومه فان قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي فأتاه رجل من همدان فأجابه ثم خشي أن لا يتبعه قومه فجاء اليه فقال آتي قومي فأخبرهم ثم آتيك من العام المقبل فانطلق الرجل وجاء وفد الانصار في رجب وأخرج الحاكم وأبو نعيم والبيهقي باسناد حسن عن ابن عباس حدثني علي ابن أبي طالب قال لما أمر الله نبيه أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبو بكر الى منى حتى

شغل في نومه فيستيقظ عن قيام الليل فالنوم على الجانب الايمن أنفع للقلب وعلى الجانب الايسر أنفع للبدن والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في قيام الليل) وقد اختلف السلف والخلف في أنه هل كان فرضا عليه أم لا والطائفتان احتجوا بقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك قالوا فهذا صريح في عدم الوجوب قال الآخرون أمره بالتهجد في هذه السورة كما أمره في قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ولم يجئ ما ينسخه عنه وأما قوله تعالى نافلة لك فلو كان المراد به التطوع لم يخصه بكونه نافلة له وانما المراد بالنافلة الزيادة ومطلق الزيادة لا تدل على التطوع قال تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة أي زيادة على الولد وكذلك النافلة في تهجد النبي صلى الله عليه وسلم زيادة في درجاته وفي أجره ولهذا خصه بها فان قيام الليل في حق غيره مباح ومكفر للسيآت وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه

دفعنا الى مجلس من مجالس العرب وتقدم أبو بكر وكان نسابة فقال من القوم قالوا من ربيعة قال من
أى ربيعة أنتم قالوا من ذهل فذكر حديثا طويلا فى مراجعتهم وتوقفهم أخيرا عن الاجابة قال ثم دفعنا
الى مجلس الاوس والخزرج وهم الذين سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار لكونهم أجابوه
الى ايوائه ونصره قال فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم (فبينما هو عند العقبة) الاولى
كما فى ابن اسحق أى عقبة الجمرة كما جزم به غير واحد واستظهره البرهان تبعا للمحب الطبرى اذ ليس
ثم عقبة أظهر منها ويجوز أن المراد بها المكان المرتفع عن يسار قاصد منى ويعرف عند أهل
مكة بمسجد البيعة وعليه فالمعنى فى مكان قريب من العقبة (لقى رهطا) رجالا دون عشرة (من
الخزرج) لا ينافى قوله أولا الاوس والخزرج لجواز أنه لقيهم من جملة القبائل قبل لقى أولئك الرهط
من الخزرج (أراد الله بهم خيرا) هو الهداية للدين القويم (فقال لهم من أنتم قالوا نفر)
بفتحتين (من الخزرج) زاد ابن اسحق قال أمن موالى يهود قالوا نعم يعنى من خلفائهم لانهم
كانوا تحالفوا على التناصر والتعاضد (قال أفلا تجلسون أكلمكم) بالجزم جواب الطلب وجازمه
شرط مقدر على الصحيح ويجوز الرفع على الاستئناف (قالوا بلى) زاد فى رواية من أنت فانتسب لهم
وأخبرهم خبره (فجلسوا معه) وفى رواية وجدهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم (فدعاهم الى الله)
وبين المراد منه بقوله (وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن) أى بعضه (وكان من صنع الله ان
اليهود كانوا معهم) مع الاوس والخزرج (فى بلادهم وكانوا أهل كتاب) وعلم وكانوا هم أصحاب شرك
أصحاب أوثان وكانوا قد عزوهم ببلادهم كما عند ابن اسحق (وكان الاوس والخزرج أكثر منهم فكانوا
اذا كان بينهم شئ) من خصومة أو محاربة (قالوا) أى اليهود (ان نبيا سيبعث) السين لتخليص
الفعل عن وقت التكلم فلا تنافى بينه وبين قوله (الآن) أى الزمان الذى فيه الحروب والمخالفة
بينهم وان امتد وأطلق اسم الآن عليه للعرف فى مثله ولفظ المصنف هو ما فى الفتح عن ابن اسحق
ولفظ العيون عنه ان نبيا مبعوث الآن (قد أظل) قرب (زمانه نتبعه فنقتلكم معه) قتل عاد وارم
كما فى ابن اسحق أى نستأصلكم (فلما كلمهم النبى صلى الله عليه وسلم عرفوا النعت) الوصف الذى
كانوا يسمعونه قبل من اليهود (فقال بعضهم لبعض) بادروا الاتباعه (لا تسبقنا اليهود اليه)
وفى رواية فلما سمعوا اقوله أيقنوا به واطمأنت قلوبهم الى ما سمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون
من صفته فقال بعضهم لبعض يا قوم تعلموا والله انه للنبى الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقونكم
اليه (فأجابوه الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام) وكانوا من أسباب الخير
الذى سبب له صلى الله عليه وسلم (فأسلم منهم ستة نفر) وقيل ثمانية ذكره غير واحد (وكلهم من
الخزرج) أتى به مع علمه من قوله لقى رهطا من الخزرج لما قد يتوهم انه انضم اليهم وقت الاسلام
بعض الاوس أولدفع توهم التغليب لما جرت به عادتهم من تغليب الخزرج على الاوس والخزرج معا
قال شيخنا البابلى ولم يعكس ذلك فرارا من اشعار لفظ الاوس بالذم لانه معناه لغة الذئب والزجر
البقر والمعز بخلاف لفظ الخزرج فانما يشعر بالمدح لانه الريح أو الريح الباردة (وهم أبو أمامة أسعد)
بألف قبل السين الساكنة (ابن زرارة) بضم الزاى النجارى شهد العقبات الثلاث وكان أول من صلى
الجمعة على قول وأول من مات من الصحابة بعد الهجرة وأول ميت صلى عليه النبى صلى الله عليه وسلم
هذا قول الانصار أما المهاجرون فقالوا أول ميت صلى عليه عثمان بن مظعون رواه الواقدى قال
فى الاصابة واتفق أهل المغازى والاخبار على ان أسعد مات فى حياته صلى الله عليه وسلم بالمدينة
سنة احدى من الهجرة فى شوال (وعوف بن الحرث بن رفاعة) بكسر الراء وبالفاء النجارى

ثم ما تأخر فهو يعمل فى
زيادة الدرجات وعلو
المراتب وغيره يعمل فى
التكفير قال مجاهد انما
كان نافلة للنبى صلى الله
عليه وسلم لانه قد غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تأخر
فكانت طاعته نافلة أى
زيادة فى الثواب ولغيره
كفارة لذنوبه قال ابن
المنذر فى تفسيره حدثنا
على بن أبى عبيد حدثنا
الحجاج عن ابن جريج
عن أبى كثير عن مجاهد
قال ما سوى المكتوبة
فهو نافلة من أجل أنه
لا يعمل فى كفارة الذنوب
وليست للناس نوافل
انما هى للنبى صلى
الله عليه وسلم خاصة
والناس جميعا يعملون
ما سوى المكتوبة لذنوبهم
فى كفارتها حدثنا محمد
حدثنا نصر حدثنا
عبد الله حدثنا عمرو عن
سعيد وقبيصة عن
سفيان عن أبى عثمان
عن الحسن فى قوله تعالى
ومن الليل فتهجد به نافلة
لك قال لا يكون نافلة الا
للنبى صلى الله عليه وسلم
وذكر عن الضحاك قال
نافلة للنبى صلى الله عليه
وسلم خاصة وذكر سليمان
ابن حبان حدثنا أبو
غالب حدثنا أبو أمامة
قال اذا وضعت الطهور
مواضعه قمت مغفورا

استشهد ببدر (وهو ابن عفراء) بنت عبيد النجارية الصحابية وهي أم معاذ ومعوذ وانها ينسبون (ورافع بن مالك بن العجلان) ضد المثاني الزرقي بزاي فراء فقاف العقبي اختلف في شهوده بدرا قال ابن اسحق هو أول من قدم المدينة بسورة يوسف وروى الزبير بن بكار عن عمر بن حنظلة ان مسجد بني زريق أول مسجد قرئ فيه القرآن وأن رافع بن مالك لما لقيه صلى الله عليه وسلم بالعقبة أعطاه ما أنزل عليه في العشر سنين التي خلت فقدم به رافع المدينة ثم جمع قومه فقرأ عليهم في موضعه قال وتعجب صلى الله عليه وسلم من اعتدال قبلته استشهد باحد (وقطبة) بضم القاف وسكون المهملة (ابن عامر بن حديدة) بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أبو الوليد السلمي حضر العقبات الثلاث وبدرا والمشاهد قال أبو حاتم مات في خلافة عمر وقال ابن حبان في خلافة عثمان (وعقبة) بضم العين وسكون القاف (ابن عامر بن نابي) بنون فألف فوحدة منقوص كالقاضي قال ابن دريد من نبا ينبو اذا ارتفع كما في النور وفي سبل الرشاد بنون فالف فوحدة فتحتية السلمي حضر بدرا وسائر المشاهد واستشهد باليمامة (وجابر بن عبد الله بن رياب) بكسر الراء فتحتية خفيفة فألف فوحدة ضبطه ابن ماكولا وغيره ابن النعمان بن سنان السلمي شهد بدرا وما بعدها له حديث عند الكلبي عن أبي صالح عنه رفعه في قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت قال يمحو من الرزق قال ابن عبد البر لا أعلم له غيره ورده في الاصابة بأن البغوي وابن السكن وغيرهما رووا عنه انه صلى الله عليه وسلم قال مر بي ميكائيل في نفر من الملائكة الحديث قال البغوي لا أعرف له غيره وهو مردود أيضا بالحديث قبله وبأن البخاري في التاريخ روى عنه قصة أبي ياسر بن أخطب والاحاديث الثلاثة طرقها ضعيفة انتهى ملخصا (وليس) جابر هذا (بجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام) بفتح المهملة الانصاري الصحابي بن الصحابي وجابر بن عبد الله في الصحابة خمسة الثالث جابر بن عبد الله العبدي من عبد القيس الرابع جابر بن عبد الله الراسبي نزل البصرة روى ابن منده عنه رفعه من عفا عن قاتله دخل الجنة قال ابن منده غريب ان كان محفوظا وقال أبو نعيم قوله الراسبي وهم انما هو الانصاري الخامس جابر بن عبد الله الانصاري استصغره النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرده وليس بالذي يروى عنه الحديث رواه ابن سعد عن زيد بن حارثة وذكره الطبري وكذا اليعمري في المغازي كما في الاصابة فقصر البرهان في قوله انهم اربعة فترك الخامس مع ان من ذكره اليعمري الذي حشاه هو ونبه على انه غير راوي الحديث لكن البرهان قال في غزوة أحد هو اما الراسبي أو العبدي انتهى وفيه نظر للتصريح بأنه أنصاري وايضا فالعبدي من وفد عبد القيس وانما وفدوا سنة تسع ولهم قدمة قبلها سنة خمس واحد سنة ثلاث باتفاق وقوله أيضا لا أعلم رواية لغير جابر بن عبد الله بن عمرو تقصير فقد علمت أن لابن رياب ثلاثة أحاديث وكذا العبدي فقد روى أحمد والبغوي عنه قال كنت في وفد عبد القيس مع أبي فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن الشرب في الاوعية الحديث (ومن أهل العلم بالسير) كما قال أبو عمر (من يجعل فيهم عبادة بن الصامت) أبا الوليد البدري وحضر سائر المشاهد مات بفلسطين ودفن ببيت المقدس عن الاشهر وقيل بالرملة سنة أربع وثلاثين وحكى ابن سعد أنه بقي الى خلافة معاوية وأمه قرة العين بنت عبادة أسلمت وبايعت (ويسقط جابر بن رياب) نسبة لجده كما علم ولكن الاول قول ابن اسحق وتبعه جماعة وبه صدر في الفتح ثم قال وقال موسى بن عقبة عن الزهري وأبو الاسود عن عروة هم أسعد ورافع ومعاذ ابن عفراء ويزيد ابن ثعلبة وأبو الهيثم بن التيهان وعويم بن ساعدة ويقال كان فيهم عبادة ابن الصامت وذكوان انتهى واختلف في أول الانصار اسلاما فقال ابن الكلبي وغيره أولهم رافع بن مالك وقال ابن عبد البر جابر بن عبد الله بن رياب وقال مغلطاي لما ذكر ابتداء اسلام الانصار فاسلم منهم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد

لك فان قمت تصلي كانت لك فضيلة وأجرا فقال رجل يا أبا أمامة أرأيت ان قام يصلي يكون له نافلة قال لا انما النافلة للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون له نافلة وهو يسعى في الذنوب والخطايا يكون له فضيلة وأجرا قلت والمقصود أن النافلة في الآية لم يرد بها ما يجوز فعله وتركه كالمستحب والمندوب وانما المراد بها الزيادة في الدرجات وهذا قدر مشترك بين الفرض والمستحب فلا يكون قوله نافلة لك نافيا لما دل عليه الامر من الوجوب وسيأتي مزيد بيان لهذه المسئلة ان شاء الله تعالى عند ذكر خصائص النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن صلى الله عليه وسلم يدع قيام الليل حضرا ولا سفرا وكان اذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة فسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول في هذا دليل على أن الوتر لا يقضى لفوات محله فهو كتحية المسجد وصلاة الكسوف والاستسقاء ونحوها لان المقصود به أن يكون آخر صلاة الليل وترا كما أن المغرب آخر صلاة النهار

قيس فلما كان من العام المقبل فى رجب أسلم منهم ستة وقيل ثمانية فذكرهم انتهى ويمكن الجمع بأن أسعد
ما أظهره الام الخمسة أو السبعة المذكورين معه وان رافعا وابن رباب أوّل من أظهره من الستة (فقال
لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهرى حتى أبلغ رسالة ربى فقالوا يا رسول الله انما كانت بعاث) بضم
الموحدة وحكى القزاز فتحها وبتخفيف المهملة فألف فمثلثة وذكر الازهرى ان الليث صحفه عن الخليل
بغين معجمة وذكر عياض أن الاصيلى رواه بالمهملة والمعجمة وأن رواية أبى ذر بالمعجمة فقط ويقال ان
أبا عبيدة ذكره بالمعجمة أيضا وهو مكان ويقال حصن ويقال مزرعة عند بنى قريظة على ميلين من المدينة
كانت به وقعة بين الاوس والخزرج قتل فيها كثير منهم وكان رئيس الاوس حضير والد أسيد الصحابى
ويقال له رئيس الكتاب ورئيس الخزرج عمرو بن النعمان البياضى وقتلا يومئذ وكان النصر فيها أوّلا
للخزرج ثم ثبتهم حضير فرجعوا وانتصرت الاوس ذكره الفتح قال فى المطالع يجوز صرف بعاث وتركه
قال العينى اذا كان اسم يوم صرف واذا كان اسم بقعة منع للتأنيث والعلمية انتهى (عام أوّل) بالاضافة
ومنعها ابن السكيت وأجازه غيره كالعام الاوّل وهو (يوم من أيامنا اقتتلنا به) ذكر أبو الفرج الاصبهانى
فى الاغانى ان سبب ذلك أنه كان من قاعدتهم أن الاصيل لا يقتل بالحليف فقتل أوسى حليفا للخزرج
فأرادوا أنه يقتدوه فامتنعت فوقعت الحرب بينهم لاجل ذلك فقتل فيها من أكابرهم من كان لا يؤمن
أى يتكبر ويأنف أن يدخل فى الاسلام حتى لا يكون تحت حكم غيره والى ذلك أشارت عائشة رضى
الله عنها بقولها فى الصحيح كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله صلى الله عليه وسلم فقدم رسول الله وقد
افترق ملؤهم وقتلت سرواتهم وجرحوا قال الحافظ وقد كان بقى منهم من هذا النحو عبد الله بن أبى ابن
سلول وكانت هذه الوقعة قبل الهجرة بخمس سنين على الاصح وقيل بأربعين سنة وقيل بأكثر (فان
تقدم ونحن كذلك لا يكون لنا عليك اجتماع فدعنا حتى نرجع الى عشائرنا لعل الله أن يصلح ذات
بيننا) وقد فعل كما أشار اليه صلى الله عليه وسلم يوم خطبهم بقوله ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بى وكنتم
متفرقين فألفكم الله بى (وندعوهم) أى عشائرنا (الى ما دعوتنا فعسى الله أن يجمعهم عليك فان
اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا أحد) بالنصب اسم لا النافية للجنس (أعز منك) بالرفع خبرها
وهو أظهر من رفع أحد ونصب أعز على انها نافية للوحدة لافادة النافية للجنس التنصيص على العموم
(وموعدك الموسم العام المقبل وانصرفوا الى المدينة ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم) لتحدثهم بما علموا منه فظهر وانتشر (فلما كان العام المقبل لقيه اثنا عشر
رجلا وفى الاكليل) اسم كتاب للحاكم بكسر الهمزة وسكون الكاف وهو فى الاصل كما فى الفتح العصابة
التى تحيط بالرأس وأكثر استعماله اذا كانت العصابة مكللة بالجوهر وهى من سمات ملوك الفرس
وقيل أصله ما أحاط بالظفر من اللحم ثم أطلق على كل ما أحاط بشئ ما (احد عشر وهى العقبة الثانية)
وعدها أولى ابن اسحق وغيره باعتبار المبايعة أو بالنسبة الثالثة كما فى نحو ادخلوا الاوّل فالاوّل فسمى
غير الاوّل أوّلا بالنسبة لمن بعده (فأسلموا فيهم خمسة من الستة المذكورين) فى الاولى (وهم أبو أمامة)
أسعد ابن زرارة (وعوف بن عفراء ورفع بن مالك وقطبة بن عامر بن حديدة وعقبة بن عامر بن نابى
ولم يكن منهم جابر بن عبد الله بن رباب لم يحضرها) صفة لازمة لمجرد التأكيد (والسبعة تتمة
الاثنى عشر وهم معاذ بن الحرث بن رفاعة) كما فى العيون وأقره البرهان وبه جزم فى الاصابة
وأبدل الشامى معاذا بأخيه معوذ وضبطه بصيغة اسم الفاعل ولكن لم يذكر ذلك فى الاصابة
فى ترجمة معوذ (وهو) أى معاذ المشهور بأنه (ابن عفراء) أمه (أخو عوف المذكور)
وأخو معوذ أيضا الثلاثة أشقاء وأخوتهم لامهم اياس وعاقل وخالد وعامر بنو البكير الليثى

فاذا انقضى الليل
وصليت الصبح لم يقع
الوتر موقعه هذا معنى
كلامه وقد روى أبو دواد
وابن ماجه من حديث
أبى سعيد الخدرى عن
النبى صلى الله عليه
وسلم من نام عن الوتر
أو نسيه فليصله اذا
أصبح أو ذكر ولكن
لهذا الحديث عدة علل
* أحدها أنه من رواية
عبد الرحمن بن زيد بن
أسلم وهو ضعيف * والثانى
أن الصحيح فيه أنه
مرسل له عن أبيه عن
النبى صلى الله عليه وسلم
قال الترمذى هذا أصح
يعنى المرسل * الثالث
أن ابن ماجه حكى عن
محمد بن يحيى بعد أن روى
حديث أبى سعيد الصبح
أن النبى صلى الله عليه
وسلم قال أوتروا قبل
أن تصبحوا قال فهذا
الحديث دليل على أن
حديث عبد الرحمن واه
وكان قيامه صلى الله
عليه وسلم بالليل احدى
عشرة ركعة أو ثلاث
عشرة كما قاله ابن عباس
وعائشة فانه ثبت عنهما
هذا وهذا فى الصحيحين
عنها ما كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يزيد فى رمضان ولا غيره
على احدى عشرة ركعة
وفى الصحيحين عنها

وشهد السبعة بدرا وهل جرح معاذ بأحد فمات بالمدينة من جراحته أو شهد جميع المشاهد ومات في خلافة عثمان أو في خلافة علي أقوال حكاها أبو عمر قال ابن الأثير وزعم ابن الكلبي أنه استشهد ببدر لم يوافق عليه (وذكوان) بفتح المعجمة واسكان الكاف (ابن عبد قيس) البدري (الزرقي) بتقديم الزاي المضمومة على الراء وكذا كل ما في نسب الانصار قاله ابن ماكولا وغيره نسبة الى جده زريق الخزرجي يكنى أبا السبع (وقيل انه رحل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فسكنها معه فهو مهاجري أنصاري) وبه جزم أبو عمر وتبعه الذهبي وروى الواقدي عن حبيب بن عبد الرحمن قال خرج أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس الى عتبة بن ربيعة بمكة فسمعا برسول الله صلى الله عليه وسلم فأتياه فأسلما ولم يقربا عتبة وكانا أول من قدم المدينة بالاسلام (قتل يوم أحد) قتله أبو الحكم بن الاخنس بن شريق فشد علي رضي الله عنه على أبي الحكم فقتله وقال صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى رجل يطأ بقدمه غدا خضرة الجنة فلينظر الى هذا رواه ابن المبارك (وعبادة) بمهملة مضمومة فوحدة (ابن الصامت بن قيس) بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف بن الخزرج (وأبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة) بن خزمة بفتح المعجمتين ضبطه الدارقطني كالطبري وقال ابن اسحق والكلبي بسكون الزاي ابن أصرم بن عمرو بن عمارة بفتح العين وشد الميم ابن مالك بن فران بفتح الفاء وتخفيف الراء وتشديدها ويقال فيه أيضا فاران بن بلي (البلوي) بفتحتين نسبة الى جده بلي هذا حليف الخزرج ذكر ابن اسحق أنه شهد العقبة الثانية وقال الطبري شهد العقبتين (والعباس بن عبادة بن نضلة) بنون مفتوحة وضاد معجمة ابن مالك بن العجلان روى ابن اسحق أنه قال انكم تأخذون محمدا على حرب الاحمر والاسود فان كنتم ترون أنكم اذا نهكتكم الحرب أسلمتموه فمن الآن فاتركوه وان صبرتم على ذلك فخذوه وقال عاصم بن عمر والله ما قال ذلك الا ليشد العقد وقال عبد الله بن أبي بكر ليحضر ابن سلول وأقام العباس بمكة حتى هاجر معه صلى الله عليه وسلم فكان انصاريا مهاجريا واستشهد بأحد (وهؤلاء من الخزرج ومن الاوس رجلان أبو الهيثم) مالك ويقال عبد الله (ابن التيهان) بفتح الفوقية فتحتية مخففة عند أهل الحجاز مشددة عند غيرهم قال السهيلي واسمه أيضا مالك لكن في الاصابة يقال التيهان لقب واسمه مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعوراء الانصاري الاوسي وزعوراء أخو عبد الاشهل شهد العقبة وبدرا والمشاهد كلها وشهد صفين مع علي في قول الاكثر ويقال قتل بها سنة سبع وثلاثين ويقال مات سنة عشرين ويقال سنة احدى وعشرين قال أبو أحمد الحاكم ولعلها أصوب وقد قال الواقدي لم أر من يعرف أنه قتل بصفين ولا يثبته وقيل مات في حياة النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو عمر هذا لم يتابع عليه قائله انتهى ملخصا (من بني عبد الاشهل) على حذف مضاف أي بني أخي عبد الاشهل وفي الاستيعاب حليف بني عبد الاشهل ونسبه أوسيا قال السهيلي وأنشد فيه ابن رواحة

فلم أر كالاسلام عزا لاهله * ولا مثل أضياف الاراشي معشرا

فجعله أراشيا نسبة الى اراشة في خزاعة والى أراش بن لحيان بن الغوث وقيل انه بلوي من بني اراشة بن فاران بن بلي والهيثم لغة العقاب وضرب من العشب وبه او بالاول سمي الرجل انتهى (وعويم) بضم المهملة وفتح الواو وسكون التحتية فميم ليس بعدها راء (ابن ساعدة) ابن عائش بتحتية وشين معجمة بن قيس بن النعمان شهد العقبتين وبدرا وباقي المشاهد ومات في خلافة عمر عن خمس أو ست وستين سنة ووقف عمر على قبره وقال لا يستطيع أحد أن يقول أنا خير من صاحب هذا القبر ما نصبت لرسول الله صلى الله عليه وسلم راية الا وعويم تحت ظلها أخرجه البخاري في التاريخ وبه جزم غير واحد

أيضا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل ثلاث عشرة ركعة يوتر من ذلك بخمس لا يجلس في شئ الا في آخرهن والصحيح عن عائشة الاول والركعتان فوق الاحدى عشرة هما ركعتا الفجر جاء ذلك مبينا في هذا الحديث بعينه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ثلاث عشرة ركعة بركعتي الفجر ذكره مسلم في صحيحه وقال البخاري في هذا الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ثم يصلي اذا سمع النداء بالفجر ركعتين خفيفتين وفي الصحيحين عن القاسم بن محمد قال سمعت عائشة رضي الله عنها تقول كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل عشر ركعات ويوتر بسجدة ويركع ركعتي الفجر وذلك ثلاث عشرة ركعة فهذا مفسر مبين وأما ابن عباس فقد اختلف عليه ففي الصحيحين عن أبي جمرة عنه كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة يعني بالليل لكن قد جاء عنه هذا مفسرا

وهو أصح من قول الواقدي مات عويم في حياته صلى الله عليه وسلم كما في الاصابة (فأسلموا وبايعوا)
كما رواه ابن اسحق عن عبادة قال كنت فيمن حضر العقبة وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم (على بيعة النساء أي على وفق بيعتهم) أي المذكورين من اضافة المصدر لمفعوله أي ان
بيعة النساء (التي أنزلت عند فتح مكة) وفق بيعة هؤلاء النفر وجعل بيعة النساء موافقة لتأخرها عن
هذه (وهي أن لا نشرك بالله شيأ) عام لانه نكرة في سياق النهي كالنفي وقدم على ما بعده لانه الاصل
(ولا نسرق) بحذف المفعول ليدل على العموم كان فيه قطع أم لا (ولا نزني ولا نقتل أولادنا) خصهم
بالذكر لانهم كانوا غالبا يقتلونهم خشية الاملاق ولانه قتل وقطيعة رحم فصرف العناية اليه اكثر
(ولا نأتي ببهتان) قال المصنف وغيره أي بكذب يبهت سامعه أي يدهشه لفظاعته كالرمي بالزنا
والفضيحة والعار (نفتريه) نختلقه (بين أيدينا وأرجلنا) أي من قبل أنفسنا فكنى باليد والرجل عن
الذات لان معظم الافعال بهما أو ان البهتان ناشئ عما يختلقه القلب الذي هو بين الايدي والارجل ثم
يبرزه بلسانه أو المعنى لا نبهت الناس بالمعايب كفاحا مواجهة انتهى (ولا نعصيه) صلى الله عليه وسلم
(في معروف) قيد به تطييبا لقلوبهم اذ لا يأمر الا به أو تنبيها على انه لا يجوز طاعة مخلوق في معصية الخالق
(و) نعطيه (السمع والطاعة) فهما بالنصب بفعل محذوف أو بالجر عطف على بيعة النساء أو على
معروف قال الباجي السمع هنا يرجع الى معنى الطاعة (في العسر واليسر) أي عسر المال ويسره
(والمنشط) بفتح الميم والمعجمة بينهما نون ساكنة أي ما تنشط له النفوس مما يسرها (والمكره) ما تكرهه
النفوس مما يشق عليها والمراد انهم يطيعونه صلى الله عليه وسلم في كل أمره ونهيه سهل أو شق (وأثرة)
بضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحهما وبكسر الهمزة وسكون المثلثة كما ذكره المصنف في حديث
ستلقون بعدي اثرة وهو بالجر والنصب أيضا أي وعلى اثرة أو نعطيه اثرة (علينا) بأن نرضى بفعله
استبد لنفسه أو لغيره لكن لم يقع استيثاره لنفسه الشريفة في الامور الدنيوية عليهم ولا على غيرهم
الا في نحو الزوجات ولسن بدنيوية محضة (وأن لا ننازع الامر) الملك والامارة (أهله) فلا نتعرض لولاة
الامور حيث كانوا على الحق قال الباجي في شرح الموطا يحتمل انه شرط على الانصار ومن ليس من
قريش أن لا ينازعوا قريشا ويحتمل عمومه في جميع الناس أن لا ينازعوا من ولاه الله الامر منهم وان كان
فيهم من يصلح له اذا صار لغيره قال السيوطي والصحيح الثاني ويؤيده ان في مسند أحمد زيادة وان
رأيت ان لك في الامر حقا ولابن حبان وان أكلوا مالك وضربوا ظهرك وزاد البخاري الا ان تروا كفرا بواحا
أي ظاهرا باديا انتهى (وان نقول) ضمنه معنى نعترف فعداه بالباء (بالحق) أي نعترف به (حيث
كنا لا نخاف في الله لومة لائم) بل نتصلب في ديننا واللومة المرة من اللوم وفيها وفي تنكير لائم مبالغتان
(ثم قال عليه الصلاة والسلام) بعد هذه المبايعة (فان وفيتم فلكم الجنة) فضلا من الله (ومن غشي)
بغين وشين معجمتين أي فعل (من ذلك شيأ كان أمره) مفوضا (الى الله ان شاء عذبه) بعدله (وان
شاء عفا عنه) بفضله (ولم يفرض يومئذ القتال) فلم يبايعهم عليه وهذا الحديث أخرجه الشيخان
وغيرهما بألفاظ متقاربة لكن لم يقع في رواية الشيخين التصريح بأن المبايعة هذه ليلة العقبة نعم اخراج
البخاري الحديث في وفود الانصار ظاهر في وقوعها ليلتئذ وبه جزم عياض وغيره لكن رجح الحافظ أن
المبايعة ليلة العقبة انما كانت على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك وأما على الصفة المذكورة فانما هي بعد
فتح مكة وبعد نزول آية الممتحنة بدليل ما في البخاري في حديث عبادة هذا أنه صلى الله عليه وسلم لما
بايعهم قرأ الآية كلها ولمسلم فتلا علينا آية النساء وله أيضا أخذ علينا كما أخذ على النساء وعند النسائي
ألا تبايعوني على ما أبايع عليه النساء وفي حديث أبي هريرة ما أدري الحدود كفارة لاهلها أم لا واسلام أبي

انها ركعتي الفجر قال الشعبي سألت عبد الله ابن عباس وعبد الله ابن عمر رضي الله عنهما عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل فقالا ثلاث عشرة ركعة منها ثمان ويوتر بثلاث وركعتين قبل صلاة الفجر وفي الصحيحين عن كريب عنه في قصة مبيته عند خالته ميمونة بنت الحارث أنه صلى الله عليه وسلم صلى ثلاث عشرة ركعة ثم نام حتى نفخ فلما تبين له الفجر صلى ركعتين خفيفتين وفي لفظ فصلى ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم ركعتين ثم أوتر ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج يصلي الصبح فقد حصل الاتفاق على احدى عشرة ركعة واختلف في الركعتين الاخيرتين هل هما ركعتا الفجر أو هما غيرهما فاذا انضاف ذلك الى عدد ركعات الفرض والسنن الراتبة التي كان يحافظ عليها جاء مجموع ورده الراتب بالليل والنهار أربعين ركعة كان يحافظ عليها دائما سبعة عشر فرضا

هريرة تأخر عن ليلة العقبة وعند ابن أبي خيثمة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال صلى الله عليه وسلم أبايعكم على أن لا تشركوا بالله شيأ فذكر نحو حديث عبادة ورجاله ثقات فاذا كان عبد الله بن عمرو ممن حضر البيعة وليس انصاريا ولا ممن حضر بيعتهم وانما أسلم قرب اسلام أبي هريرة وضح تغاير البيعتين وانما حصل الالتباس من جهة ان عبادة حضر البيعتين معا وكانت بيعة العقبة من أجل ما يتمدح به فكان يذكرها اذا حدث تنويها بسابقيته فلما ذكر هذه البيعة التى صدرت على مثل بيعة النساء توهم من لم يقف على حقيقة الحال أن بيعة العقبة وقعت على ذلك وانما وقعت على الايواء والنصر وما يتعلق بذلك انتهى ملخصا وقال المصنف الراجح ان التصريح بذلك أى بأن بيعة العقبة وقعت على وفق بيعة النساء وهم من بعض الرواة والذى دل عليه الاحاديث ان البيعة ثلاثة العقبة وكانت قبل فرض الحرب والثانية بعد الحرب على عدم الفرار والثالثة على نظير بيعة النساء انتهى (ثم انصرفوا الى المدينة فأظهر الله الاسلام وكان أسعد بن زرارة يجمع بالمدينة بمن أسلم) وروى أبو داود عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كان أبي اذا سمع الاذان للجمعة استغفر لاسعد ابن زرارة فسألته فقال كان أول من جمع بنا بالمدينة (وكتب الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم أبعث الينا من يقرئنا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير) وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين وكان يسمى بالمدينة المقرئ والقارئ ونزل على أسعد بن زرارة وذلك أن الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمهم بعض هكذا ذكره ابن اسحق فى رواية وذكر فى رواية أخرى أنه صلى الله عليه وسلم بعث مع الاثنى عشر رجلا مصعب بن عمير العبدرى وهو الذى ذكره ابن عقبة قال البيهقى وسياق ابن اسحق أتم انتهى وجمع بجواز أنه أرسله معهم ابتداء واتفق أنهم كانوا كتبوا اليه قبل علمهم بارساله وفيه بعد (وروى الدارقطنى عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كتب الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم الحديث) ولفظه عن ابن عباس أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ولم يستطع أن يجمع بمكة ولا يبدى ذلك لهم فكتب الى مصعب بن عمير * أما بعد فانظر اليوم الذى تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا زال النهار عن شطره فتقربوا الى الله بركعتين قال فهو أول من جمع حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمع عند الزوال وأظهر ذلك ولا تنافى بين هذا وبين قوله قبل كان أسعد يجمع بهم الموافق لقول كعب بن مالك أول من جمع بهم أسعد لان جمع مصعب بمعاونته لانه لما نزل عليه وكان يقوم بأمره وسعى فى التجميع نسب اليه لكونه سببا فى الجمع (وكانوا أربعين رجلا) كما رواه أبو داود وصريح هذا انهم انما جمعوا بأمره صلى الله عليه وسلم وروى عبد بن حميد باسناد صحيح عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل أن يقدم رسول الله المدينة وقبل ان ينزل بهم الجمعة فقال الانصار ان لليهود يوما يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلى ونشكره فجعلوه يوم العروبة واجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ وأنزل الله بعد ذلك اذا نودى للصلاة الآية قال الحافظ فهذا يدل على انهم اختاروه بالاجتهاد وقال السهيلى تجميع الصحابة الجمعة وتسميتهم اياها بهذا الاسم هداية من الله لهم قبل أن يؤمروا بها ثم نزلت سورة الجمعة بعد ان هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ولذا قال صلى الله عليه وسلم أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله له قال الحافظ ولا يبعد انه صلى الله عليه وسلم علم بالوحى وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها وقد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطنى ولذا جمع بهم أول ما قدم المدينة كما حكاه ابن اسحق وغيره وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتى البيان والتوقيف انتهى يعنى انهم لما اجتهدوا

وعشر ركعات أو ثمان عشرة سنة راتبة واحدى عشرة أو ثلاث عشرة ركعة قيامه بالليل والمجموع أربعون ركعة وما زاد على ذلك فعارض غير راتب كصلاة الفتح ثمان ركعات وصلاة الضحى اذا قدم من سفر وصلاته عند من يزوره وتحية المسجد ونحو ذلك فينبغى للعبد أن يواظب على هذا الورد دائما الى الممات فما أسرع الاجابة وأعجل فتح الباب لمن يقرعه كل يوم وليلة أربعين مرة والله المستعان

(فصل) فى سياق صلاته صلى الله عليه وسلم بالليل ووتره وذكر صلاة أول الليل قالت عائشة رضى الله عنها ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العشاء قط فدخل على الا صلى أربع ركعات أو ست ركعات ثم يأوى الى فراشه وقال ابن عباس لما بات عنده صلى العشاء ثم جاء ثم صلى ثم نام ذكرهما أبو داود وكان اذا استيقظ بدأ بالسواك ثم يذكر الله تعالى وقد تقدم ذكر ما كان يقوله عند استيقاظه ثم يتطهر ثم يصلى ركعتين خفيفتين كما فى صحيح مسلم عن عائشة قالت

فيه واجمعوا على فعله يوم الجمعة قدم عليهم الكتاب النبوى الى مصعب بالجمع بهم فوافق اجتهادهم النص
فلذا قال هدا كم الله له (فأسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار وأسلم فى جماعتهم سعد بن معاذ)
بذال معجمة ابن النعمان بن امرئ القيس بن عبد الاشهل الانصارى الاوسى سيدهم وافق حكمه
حكم الله واهتز عرش الرحمن لموته (وأسيد) بضم الهمزة وفتح السين (ابن حضير) بضم المهملة وفتح
المعجمة ابن سماك بن عتيك الانصارى الاوسى الاشهلى المتوفى فى خلافة عمر سنة عشرين على الاصح
وصلى عليه عمر أسلما فى يوم واحد أسيد أولا ثم سعد والقصة مبسوطة فى السير (وأسلم باسلامهما جميع
بنى عبد الاشهل) بفتح الهمزة والهاء بينهما معجمة ساكنة آخره لام ابن جشم ابن الحرث بن الخزرج
الاصغر بن عمرو بن مالك بن الاوس قال ابن دريد زعموا أن الاشهل صنم (فى يوم واحد الرجال
والنساء ولم يبق منهم أحد الا أسلم) وذلك ان سعدا لما ذهب لمصعب وأسلم أقبل الى نادى قومه ومعه
أسيد فقال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان
كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله قال فى الرواية فوالله ما أمسى فيهم رجل
ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة (حاشى الاصيرم) بصاد مهملة تصغير اصرم وبه يلقب أيضا وقدمه بعض
على المصغر (وهو عمرو) بفتح العين (ابن ثابت) بمثلثة (ابن وقش) بفتح الواو وسكون القاف وتفتح
وشين معجمة ويقال أقيش وقد ينسب الى جده فيقال عمرو بن أقيش (فانه تأخر اسلامه الى يوم أحد
فأسلم واستشهد) بأحد (ولم يسجد لله سجدة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من أهل الجنة)
رواه ابن اسحق باسناد حسن مطولا عن أبى هريرة انه كان يقول حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يصل
صلاة قط فاذا لم يعرفه الناس قال هو أصيرم بنى عبد الاشهل فذكر الحديث (ولم يكن فى) بنى (عبد
الاشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء مخلصين رضى الله عنهم) وهذه منقبة عظيمة (ثم قدم
على النبى صلى الله عليه وسلم فى العقبة الثالثة فى العام المقبل فى ذى الحجة أوسط أيام التشريق منهم)
أى الانصار (سبعون رجلا) كما ورد من حديث جابر وأبى مسعود الانصارى وقطع به الحافظ فى سيرته
وقدمه مغلطاى (وقال ابن سعد يزيدون رجلا أو رجلين وامرأتان) عطف على سبعون (وقال ابن
اسحق ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان) وعينهما ابن اسحق فقال نسيبة أى بفتح النون وكسر المهملة
بنت كعب بن عمرو بن عوف المازنى البخارى شهدت هذه العقبة مع زوجها زيد بن عاصم وولديها
حبيب وعبد الله والثانية أسماء بنت عمرو بن عدى بن نابى وقد صدر فى الاستيعاب بقول ابن اسحق
قال اليعمرى هذا العدد هو المعروف وان زاد فى التفصيل على ذلك فليس بزيادة فى الجملة وانما هو محل
الخلاف فيمن شهد فبعض الرواة يثبته وبعضهم يثبت غيره بدله وقد وقع ذلك فى أهل بدر وشهداء أحد
وغير ذلك انتهى وبينهم هو وغيره بما يطول ذكره (وقال الحاكم خمسة وسبعون نفسا) هو عين ما قبله ان لم
يثبت انه كان فيهم أكثر من امرأتين (فكان) كما روى الحاكم من طريق ابن اسحق عن عكرمة عن ابن
عباس (أول من ضرب على يده عليه السلام) فى البيعة ليلة العقبة (البراء) بفتح الباء والراء ممدودا مخففا
(ابن معرور) بميم مفتوحة فمهملة ساكنة فراء مضمومة فواو فراء ثانية قال السهيلى معناه مقصود بن
صخر الخزرجى السلمى ابن عمة سعد بن معاذ كان سيد قومه وأفضلهم قدم فى هذه العقبة مسلما وصلى
فى سفره ذلك الى الكعبة مع نسخها باجتهاد منه وخالفه غيره فلما سأله صلى الله عليه وسلم قال له قد
كنت على قبلة لو صبرت عليها ولم يأمره بالاعادة قال السهيلى لانه كان متأولا ثم أمره أن يستقبل المقدس
فأطاع فلما حضر موته أمر أهله أن يوجهوه قبل الكعبة ومات فى صفر قبل قدومه صلى الله عليه وسلم
بشهر قاله ابن اسحق وغيره وأوصى بثلث ماله الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبله ثم رده على ولده

وهو

كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا قام من
الليل افتتح صلاته
بركعتين خفيفتين وأمر
بذلك فى حديث أبى
هريرة رضى الله عنه
قال اذا قام أحدكم من
الليل فليفتتح صلاته
بركعتين خفيفتين رواه
مسلم وكان يقوم تارة اذا
انتصف الليل أو قبله
بقليل أو بعده بقليل
وربما كان يقوم اذا سمع
الصارخ وهو الديك وهو
انما يصيح فى النصف
الثانى وكان يقطع ورده
تارة ويصليه تارة وهو
الاكثر ويقطعه كما قال
ابن عباس فى حديث
مبيته عنده أنه صلى الله
عليه وسلم استيقظ
فتسوك وتوضأ وهو يقول
ان فى خلق السموات
والارض واختلاف
الليل والنهار لآيات
لاولى الالباب فقرأ هؤلاء
الآيات حتى ختم السورة
ثم قام فصلى ركعتين
أطال فيهما القيام
والركوع والسجود ثم
انصرف فنام حتى نفخ ثم
فعل ذلك ثلاث مرات
بست ركعات كل ذلك
يستاك ويتوضأ ويقرأ
هؤلاء الآيات ثم أوتر
بثلاث فأذن المؤذن
فخرج الى الصلاة
وهو يقول اللهم اجعل

وهو أوّل من أوصى بثلثه (ويقال) كما نقله ابن اسحق عن بني عبد الاشهل (أسعد بن زرارة) ورواه العدني
عن جابر وزاد وهو أصغر السبعين الا أنا وأخرج ابن سعد عن سليمان بن نجيم قال تفاخرت الاوس
والخزرج فيمن ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة أوّل الناس فقالوا لا أحد أعلم به
من العباس ابن عبد المطلب فسألوه فقال ما أحد أعلم بهذا مني أوّل من ضرب على يده صلى الله عليه وسلم
تلك الليلة أسعد بن زرارة ثم البراء بن معرور ثم أسيد بن الحضير (على انهم يمنعونه مما يمنعون منه نساءهم
وأبناءهم وعلى حرب الاحمر والاسود) قال في النور يعني العرب والعجم والظاهر انه لا يجيء فيه ما جاء في
بعثه صلى الله عليه وسلم الى الاسود والاحمر العجم والعرب أو الجن والانس لانه مبعوث للكل بخلاف
الحرب (وكانت أوّل آية نزلت في الاذن بالقتال اذن للذين يقاتلون الآية) كما قاله الزهري عن عروة عن
عائشة أخرجه النسائي (وفي الاكليل) أوّل آية نزلت في الاذن به (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم
وأموالهم الآية) وهذه فائدة استطرادية هنا المناسبة المبايعة على الحرب (ونقب عليهم اثني عشر
نقيبا) قال السهيلي اقتداء بقوله تعالى في قوم موسى وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا قال ابن اسحق تسعة
من الخزرج أسعد بن زرارة وعبد الله بن رواحة وسعد بن الربيع ورافع بن مالك وأبو جابر عبد الله بن
عمرو والبراء بن معرور وسعد بن عبادة والمنذر بن عمرو وعبادة بن الصامت وثلاثة من الاوس
أسيد بن حضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر قال ابن هشام وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم
ابن التيهان بدل رفاعة وروى البيهقي عن الامام مالك حدثني شيخ من الانصار ان جبريل كان يشير له الى
من يجعله نقيبا وقال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للنقباء أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم قالوا نعم (وفي حديث جابر) بن عبد الله
(عند أحمد باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث صلى الله عليه وسلم) بمكة (عشر سنين يتبع
الناس في منازلهم بمنى وغيرها يقول من يؤويني من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي وله الجنة) أن أسلم
(حتى بعثنا) معشر الانصار (الله له من يثرب) المدينة المنوّرة (فذكر الحديث) وهو فصدقناه فرحل
اليه منا سبعون رجلا فواعدناه شعب العقبة فقلنا علام نبايعك فقال على السمع والطاعة في النشاط
والكسل وعلى النفقة في العسر واليسر وعلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر (وفيه) عقب هذا
(وعلى أن تنصروني اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم
ولكم الجنة الحديث) ولاحمد من وجه آخر عن جابر قال كان العباس آخذ بيد رسول الله فلما فرغنا قال
صلى الله عليه وسلم أخذت وأعطيت وللبزار عن جابر قال قال صلى الله عليه وسلم للنقباء من الانصار
تؤووني وتمنعوني قالوا نعم فما لنا قال الجنة وروى البيهقي باسناد قوي عن الشعبي ووصله الطبري
من حديث أبي مسعود الانصاري قال انطلق صلى الله عليه وسلم معه العباس عمه الى السبعين من
الانصار عند العقبة فقال له أبو امامة يعني أسعد بن زرارة سل يا محمد لربك ولنفسك ما شئت ثم أخبرنا
ما لنا من الثواب قال أسألكم لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ وأسألكم لنفسي ولاصحابي ان تؤوونا
وتنصرونا وتمنعونا مما تمنعون منه أنفسكم قالوا فما لنا قال الجنة قالوا ذلك لك وأخرجه أحمد من الوجهين
جميعا وعند ابن اسحق فقال أبو الهيثم يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال أي اليهود حبالا وانا قاطعوها
فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم
قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم (وحضر العباس
العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على أهل يثرب وكان يومئذ على دين
قومه) الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه فلما جلس كان أوّل متكلم فقال ان محمدا منا حيث قد علمتم

في قلبي نورا وفي لساني نورا
واجعل في سمعي نورا
واجعل في بصري نورا
واجعل من خلفي نورا
ومن امامي نورا واجعل
لي من فوقي نورا ومن
تحتي نورا اللهم أعطني
نورا رواه مسلم ولم يذكر
ابن عباس افتتاحه
بركعتين خفيفتين كما
ذكرته عائشة فاما انه كان
يفعل هذا تارة وهذا تارة
واما أن تكون عائشة
حفظت ما لم يحفظ
ابن عباس وهو الاظهر
لمواظبتها له ولمراعاتها
ذلك ولكونها أعلم
الخلق بقيامه بالليل
وابن عباس انما شاهده
ليلة المبيت عند خالته
واذا اختلف ابن عباس
وعائشة في شئ من أمر
قيامه بالليل فالقول
ما قالت عائشة وكان
قيامه بالليل ووتره أنواعا
* فمنها هذا الذي ذكره
ابن عباس * النوع
الثاني الذي ذكرته
عائشة أنه يفتتح صلاته
بركعتين خفيفتين ثم
يتمم ورده احدى عشرة
ركعة يسلم من كل
ركعتين ويوتر بركعة
* النوع الثالث ثلاث
عشرة ركعة كذلك
* النوع الرابع يصلي
ثمان ركعات يسلم من
كل ركعتين ثم يوتر

وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد أبى الا الانحياز
اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فأنتم وما تحملتم
وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه
وبلده فقالوا قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لربك ولنفسك ما أحببت الحديث ذكره ابن
اسحق والله أعلم

(باب هجرة المصطفى وأصحابه الى المدينة)

قال صلى الله عليه وسلم رأيت في المنام أني أهاجر من مكة الى أرض بها نخل فذهب وهلي الى انها اليمامة
أو هجر فاذا هي المدينة يثرب رواه الشيخان وروى البيهقي عن صهيب رفعه أريت دار هجرتكم
سبخة بين ظهراني حرتين فاما أن تكون هجر أو يثرب ولم يذكر اليمامة وأخرج الترمذي والحاكم عن
جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله أوحى الي أي هؤلاء الثلاثة نزلت هي دار هجرتك المدينة
أو البحرين أو قنسرين زاد الحاكم فاختار المدينة صححه الحاكم وأقره الذهبي في تلخيصه لكنه قال
في الميزان حديث منكر ما أقدم الترمذي على تحسينه بل قال غريب وقال الحافظ في ثبوته نظر
لمخالفته ما في الصحيح من ذكر اليمامة لان قنسرين من الشام من جهة حلب واليمامة الى جهة اليمن
الا أن حمل على اختلاف المأخذ فالاول جرى على مقتضى الرؤية والثاني خير بالوحي فيحتمل انه أرى
أولا ثم خير ثانيا فاختار المدينة وفي الصحيح مرفوعا أريت دار هجرتكم بين لابتين قال الزهري وهما
الحرتان قال ابن التين رأى صلى الله عليه وسلم دار هجرته بصفة تجمع المدينة وغيرها ثم رأى الصفة
المختصة بالمدينة فتعينت انتهى (قال ابن اسحق ولما تمت بيعة هؤلاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة وكانت سرا) عن كفار قومهم و(عن كفار قريش) هكذا عند ابن اسحق انها كانت سرا
عن الفريقين فكأنه سقط من قلم المصنف أو لم يتعلق به غرضه أي كفار الانصار الذين قدموا معهم
حجاجا قال الحاكم وكانوا أخماسا ثم ظهرت لهم بعد ففي حديث عائشة وأبي امامة ابن سهل لما صدر
السبعون من عنده صلى الله عليه وسلم طابت نفسه وقد جعل الله له منعة أهل حرب ونجدة وجعل
البلاء يشتد على المسلمين من المشركين لما يعلمون من الخروج فضيقوا على أصحابه وتعبوهم ونالوا
منهم ما لم يكونوا ينالون من الشتم والاذى فشكوا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال قد أريت دار هجرتكم
سبخة ثم مكث أياما ثم خرج مسرورا فقال قد أخبرت بدار هجرتكم وهي يثرب فمن أراد منكم أن يخرج
فليخرج اليها فجعلوا يتجهزون ويترافقون ويتواسون ويخرجون ويخفون ذلك وهذا معنى قوله
(أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان معه بالهجرة) بعد الاذى والشكوى الرؤيا والاخبار
بالوحي انها يثرب خلاف مقتضى جعله جواب لما من اتصاله بالبيعة وأنهما في زمن واحد (الى المدينة)
علم على النبوية بحيث اذا أطلق لا يتبادر الى غيرها سميت بذلك في القرآن وبالدار ودار الايمان وفي
التوراة بطابة وطائب وطيبة والمسكينة والجابرة والمحبة والمحبوبة والقاصمة والمجبورة والعذراء
والمرحومة وفي مسلم ان الله سمى المدينة طابة وفي الطبراني ان الله أمرني ان أسمي المدينة طيبة ومن
أسمائها دار الاخيار والاسلام ودار الابرار وغير ذلك الى نحو مائة اسم وكثرة الاسماء آية شرف المسمى
وألف في ذلك المجد الشيرازي مؤلفا حافلا (فخرجوا أرسالا) بفتح الهمزة أي أفواجا وفرقا متقطعة
وأحدهم رسل بفتح الراء والسين كما في النور وقال شيخنا وفيه تغليب فقد خرج كثير منهم منفردين
مستخفين (وأقام) صلى الله عليه وسلم (بمكة ينتظر أن يؤذن له في الخروج فكان أول من هاجر من
مكة الى المدينة) بنصب أول خبر كان واسمها (أبو سلمة) عبد الله (بن عبد الاسد) بسين ودال المهملتين

بخمس سردا متوالية
لا يجلس في شئ الا في
آخرهن * النوع الخامس
تسع ركعات يسرد منهن
ثمانيا لا يجلس في شئ
منهن الا في الثامنة يجلس
يذكر الله تعالى ويحمده
ويدعوه ثم ينهض
ولا يسلم ثم يصلي التاسعة
ثم يقعد ويتشهد ويسلم
ثم يصلي ركعتين جالسا
بعدما يسلم * النوع
السادس يصلي سبعا
كالتسع المذكورة ثم
يصلي بعدها ركعتين
جالسا * النوع السابع
انه كان يصلي مثنى مثنى
ثم يوتر بثلاث لا يفصل
بينهن فهذا رواه الامام
أحمد رحمه الله عن عائشة
انه كان يوتر بثلاث
لا فصل فيهن وروى
النسائي عنها كان لا يسلم
في ركعتي الوتر وهذه
الصفة فيها نظر فقد روى
أبو حاتم وابن حبان في
صحيحه عن أبي هريرة
عن النبي صلى الله عليه
وسلم لا توتروا بثلاث
أوتروا بخمس أو سبع
ولا تشبهوا بصلاة المغرب
قال الدارقطني رواته
كلهم ثقات قال مهنى سألت
أبا عبد الله الى أي شئ
تذهب في الوتر تسلم
في الركعتين قال نعم
* قلت لاي شئ قال لان
الاحاديث فيه أقوى

كمافى السبل أبن هلال المخزومى البدرى أخو المصطفى من الرضاعة وابن عمته برة وقال فيه أول من يعطى كتابه بيمينه أبو سلمة بن عبد الاسد رواه ابن أبى عاصم توفى سنة أربع عند الجمهور وهو الراجح وفى الاستيعاب سنة ثلاث وفى التجريد تبعا لابن منده سنة اثنتين (قبل بيعة العقبة بسنة) وذلك انه (قدم من الحبشة لمكة فآذاه أهلها وبلغه اسلام من أسلم من الانصار) وهم الاثنا عشر أصحاب العقبة الثانية كما قال ابن عقبة (فخرج اليهم) وكلام المصنف متناف اذ أوله صريح فى ان خروج أبى سلمة بعد العقبة الثالثة وهذا صريح فى انه قبلها الا أن تكون الفاء بمنزلة الواو وليست مرتبة على أمره صلى الله عليه وسلم بل غرضه مجرد الاخبار عن أول من هاجر وهذا قول ابن اسحق وبه جزم ابن عقبة وانه أول من هاجر مطلقا وفى الصحيح عن البراء أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم قال الحافظ فيجمع بينهما بحمل الاولية على صفة خاصة هى ان أبا سلمة خرج لا لقصد الاقامة بالمدينة بل فرارا من المشركين بخلاف مصعب فكان على نية الاقامة بها وجمع شيخنا بأن خروج مصعب لما كان لتعليم من أسلم بالمدينة لم يعده من الخارجين لاذى المشركين بخلاف أبى سلمة انتهى وفى النور حاصل الاحاديث فى أول من هاجر هل هو مصعب وبعده ابن أم مكتوم أو أبو سلمة أو عبد الله بن جحش وحاصلها فى النسوة أم سلمة أو ليلى بنت أبى حثمة أو أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط أو الفارعة بنت أبى سفيان (ثم عامر بن ربيعة) المذحجى أو العنزى بسكون النون من عنز بن وائل أحد السابقين الاولين هاجر الى الحبشة بزوجته أيضا شهد بدرا وما بعدها وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين وغيرهما توفى سنة ثلاث أو اثنتين وثلاثين وقيل غير ذلك (و) معه (امرأته ليلى) بنت أبى حثمة بفتح المهملة وسكون المثلثة ابن غانم قال أبو عمر هى أول ظعينة قدمت المدينة وقال موسى بن عقبة وغيره أولهن أم سلمة وجمع بان ليلى أول ظعينة مع زوجها وأم سلمة وحدها فقد ذكر ابن اسحق ان أهلها بنى المغيرة حبسوها عن زوجها سنة ثم أذنوا لها فى اللحاق به فهاجرت وحدها حتى اذا كانت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة العبدرى وكان يومئذ مشركا فشيعها حتى اذا أوفى على قباء قال لها زوجك فى هذه القرية ثم رجع الى مكة فكانت تقول ما رأيت صاحبا قط أكرم من عثمان كان اذا بلغ المنزل أناخ بى ثم استأخر عنى حتى اذا نزلت استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده بالشجر ثم يضطجع تحت شجرة فاذا دنا الرواح قام الى البعير فرحله ثم استأخر عنى وقال اركبى فاذا استويت عليه أخذ بخطامه فقادنى قال البرهان ويكفيه من مناقبه هذه التى يثاب عليها فى الاسلام على الصحيح لحديث حكيم أسلمت على ما سلف لك من خير انتهى (ثم عبد الله بن جحش) بأهله وأخيه أبى أحمد عبد بلا اضافة الصحيح كما قال السهيلى تبعا لابن عبد البر وقيل اسمه ثمامة ولا يصح وقيل عبد الله وليس بشئ كان ضريرا يطوف أعلى مكة وأسفلها بلا قائد فصيحا شاعرا وعنده الفارعة بمهملة بنت أبى سفيان ومات بعد العشرين وكان منزلهما ومنزل أبى سلمة على مبشر بن عبد المنذر بقباء فى بنى عمرو بن عوف قال أبو عمر هاجر جميع بنى جحش بنسائهم فعدا أبو سفيان على دارهم فتملكها زاد غيره فباعها من عمرو بن علقمة العامرى فذكر ذلك عبد الله بن جحش لما بلغه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألا ترضى يا عبد الله ان يعطيك الله بها دارا فى الجنة خيرا منها قال بلى قال فذلك لك فلما افتتح مكة كلمه أبو أحمد فى دارهم فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس يا أبا أحمد انه صلى الله عليه وسلم يكره ان ترجعوا فى شئ أصيب منكم فى الله فأمسك أبو أحمد عن كلام رسول الله هكذا فى العيون وسقط فى الشامية فاعل أمسك فأوهم انه أمر وانما هو فعل مات (ثم المسلمون ارسالا) ومنهم عمار بن ياسر وبلال وسعد بن أبى وقاص كما فى الصحيح انهم هاجروا قبل عمر (ثم عمر بن الخطاب) أمير المؤمنين تقدم قول ابن مسعود كان اسلام عمر عزا وهجرته نصرا وامارته رحمة وأخرج ابن عساكر وابن السمان فى الموافقة عن على قال ما علمت ان

وأخرج عن النبى صلى الله عليه وسلم فى الركعتين الزهرى عن عروة عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم سلم من الركعتين وقال حارث سئل أحمد عن الوتر قال يسلم فى الركعتين وان لم يسلم رجوت أن لا يضره الا أن التسليم أثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم وقال أبو طالب سألت أبا عبد الله الى أى حديث تذهب فى الوتر قال اذهب اليها كلها من صلى خمسا لا يجلس الا فى آخرهن ومن صلى سبعا لا يجلس الا فى آخرهن وقد روى فى حديث زرارة عن عائشة كان يوتر بتسع يجلس فى الثامنة قال ولكن أكثر الحديث وأقواه ركعة فانا أذهب اليها قلت ابن مسعود يقول ثلاث قال نعم قد عاب على سعد ركعة فقال له سعد أيضا شيأ يرد عليه * النوع الثامن ما رواه النسائى عن حذيفة انه صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فى رمضان فركع فقال فى ركوعه سبحان ربى العظيم مثل ما كان قائما ثم جلس يقول رب اغفر لى رب اغفر لى مثل ما كان قائما فما صلى الا أربع ركعات حتى جاء بلال

أحدا من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه وتنكب قوسه وأنفض
بدنه أي أخرج أسهما من كنانته وجعلها في يده معدة للرمي بها واختصر عنزته أي حملها مضمومة الى
خاصرته ومضى قبل الكعبة والملأ من قريش بفنائها فطاف بالبيت سبعا ثم أتى المقام فصلى ركعتين
ثم وقف على الحلق واحدة واحدة فقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس من أراد أن
تثكله أمه أو يؤتم ولده أو ترمل زوجته فليلقني وراء هذا الوادي فما تبعه أحد الا قوم من المستضعفين
علمهم ما أرشدهم اليه ثم مضى لوجهه (وأخوه زيد) بن الخطاب أسن من عمر وأسلم قبله وشهد بدرا
والمشاهد واستشهد باليمامة وراية المسلمين بيده سنة ثنتي عشرة وحزن عليه عمر شديدا وقال سبقني
الى الحسنيين أسلم قبلي واستشهد قبلي (وعياش) بفتح المهملة وشد التحتية وشين معجمة (ابن أبي
ربيعة) واسمه عمرو ويلقب ذا الرمحين ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي من
السابقين الاولين وهاجر الهجرتين ثم خدعه أبو جهل الى أن رجع من المدينة الى مكة فحبسوه فكان
صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت كما في الصحيحين وقول العسكري شهد بدرا غلطوه مات بالشام
سنة خمس عشرة وقيل استشهد باليمامة وقيل باليرموك (في عشرين راكبا) كما في الصحيح عن البراء
وسمى ابن اسحق منهم زيدا وعياشا المذكورين وعمرا وعبد الله ابني سراقة بن المعتمر العدوي وخنيس
ابن حذافة السهمي وسعيد بن زيد وواقد بن عبد الله وخولي بن أبي خولي ومالك بن أبي خولي واسم أبي
خولي عمرو بن زهير وبنو البكير أربعتهم اياس وعاقل وعامر وخالد وزاد ابن عائذ في مغازيه الزبير قال
في الفتح فلعل بقية العشرين كانوا من أتباعهم (فقدموا المدينة فنزلوا) على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر
بقباء كما قاله ابن اسحق وهو بيان قوله تبعا لابي عمر (في العوالي) جمع عالية قال السمهودي وهي ما كان
في جهة قبلتها من قباء وغيرها على ميل فاكثر لما قالوه في السنح بضم المهملة وسكون النون وتضم وحاء
مهملة انه بالعوالي على ميل من المسجد النبوي وهو أدناها وأقصاها عمارة ثلاثة اميال أو اربعة
وأقصاها مطلقا ثمانية أميال أو ستة (ثم خرج عثمان بن عفان) ذو النورين أمير المؤمنين وتتابع
الناس بعده (حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم الا علي بن أبي طالب وأبو بكر) الصديق (كذا قال ابن
اسحق) وغيره (قال مغلطاي وفيه نظر لما يأتي بعده) في كلام مغلطاي من انه لما رأى ذلك أي هجرة
الجماعة من كان بمكة يطيق الخروج خرجوا فطلبهم ابو سفيان وغيره فردوهم وسجنوهم فافتتن منهم
ناس ولما ذكر ابن هشام وغيره ان صهيبا لما أراد الهجرة قال له الكفار أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك
عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال صهيب أرأيتم ان
جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي قالوا نعم قال فاني جعلت لكم مالي فتركوه فسار حتى قدم المدينة على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال له ربح بيعك ثلاثا والجواب ان المعنى لم يبق ممن قدر على الخروج وقد عبر
اليعمري وغيره بلفظ لم يتخلف معه أحد من المهاجرين الا من حبس بمكة أو افتتن الا علي وأبو بكر قال
البرهان الحلبي هذا صحيح لا اعتراض عليه (وكان الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الهجرة) الى المدينة بعد ان رد على ابن الدغنة جواره كما في حديث عائشة في البخاري قالت
وتجهز أبو بكر قبل المدينة ولابن حبان عنها استأذن أبو بكر النبي صلى الله عليه وسلم في الخروج من
مكة (فيقول لا تعجل لعل الله أن يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر ان يكون هو) عند البخاري فقال له
صلى الله عليه وسلم على رسلك فاني أرجو ان يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي قال
نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق
السمر وهو الخبط أربعة أشهر ورسلك بكسر الراء مهلك والرسل السير الرفيق وفي رواية ابن حبان

يذكوه الى الغداة وأوتر
أول الليل ووسطه وآخره
وقام ليلة تامة بآية يتلوها
ويرددها حتى الصباح
وهي ان تعذبهم فانهم
عبادك الآية وكانت
صلاته بالليل ثلاثة أنواع
صلاته قائما * الثاني انه
كان يصلي قاعدا ويركع
قاعدا * الثالث انه كان
يقرأ قاعدا فاذا بقي يسير
من قراءته قام فركع
قائما والانواع الثلاثة
صحت عنه وأما صفة
جلوسه في محل القيام ففي
سنن النسائي عن عبد الله
ابن شقيق عن عائشة
قالت رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يصلي متربعا قال
النسائي لا أعلم أحدا
روى هذا الحديث غير
أبي داود يعني الحفري
وأبو داود ثقة ولا أحسب
الا أن هذا الحديث خطأ
والله أعلم

(فصل وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم) انه كان يصلي
بعد الوتر ركعتين جالسا
تارة وتارة يقرأ فيهما
جالسا فاذا أراد أن يركع
قام فركع وفي صحيح مسلم
عن أبي سلمة قال سألت
عائشة رضي الله عنها
عن صلاة رسول الله
صلى الله عليه وسلم
فقالت كان يصلي ثلاث

فقال اصبر ولفظ أنت مبتدأ خبره بأبي و يحتمل انه تأكيد لفاعل ترجو وبأبي قسم وحبس نفسه متعها وفي رواية ابن حبان فانتظره أبو بكر والسمر بفتح المهملة وضم الميم وقوله وهو الخبط مدرج من تفسير الزهري وفي قوله اربعة أشهر بيان المدة التي كانت بين ابتداء هجرة الصحابة بين العقبة الاولى والثانية وبين هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وما بين العقبة الثانية وبين هجرته صلى الله عليه وسلم شهرين و بعض شهر على التحرير انتهى من فتح الباري (ثم اجتمع قريش) قال ابن اسحق لما رأوا هجرة الصحابة وعرفوا انه صار له أصحاب من غيرهم فحذروا خروجه وعرفوا انه أجمع لحربهم فاجتمعوا (ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي) وذلك انه وقف على باب الدار في هيئة شيخ جليل عليه بت بفتح الموحدة وشد الفوقية قيل كساء غليظ أو طيلسان من خز قال في النور والظاهر أنه فعل ذلك تعظيما لنفسه فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذي اتعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى ان لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا ادخل فدخل (في دار الندوة) بفتح النون والواو بينهما مهملة ساكنة ثم تاء تانيث (دار قصي بن كلاب) قال ابن الكلبي وهي أول دار بنيت بمكة وحكى الازرقي أنها سميت بذلك لاجتماع الندي فيها يتشاورون والندي الجماعة ينتدون أي يتحدثون فلما حج معاوية اشتراها من الزبير العبدري بمائة ألف درهم ثم صارت كلها بالمسجد الحرام وهي في جانبه الشمالي وقال الماوردي صارت بعد قصي لولده عبد الدار فاشتراها معاوية من عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وجعلها دار الامارة وقال السهيلي صارت بعد بني عبد الدار الى حكيم بن حزام فباعها في الاسلام بمائة ألف درهم زمن معاوية فلامه وقال أبعت مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت والله المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها في الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف وأشهدكم ان ثمنها في سبيل الله فأينا المغبون ذكر ذلك الدارقطني في رجال الموطا انتهى (وكانت قريش لا تقضي أمرا الا فيها) قيل وكانوا لا يدخلون فيها غير قرشي الا ان بلغ أربعين سنة بخلاف القرشي وقد أدخلوا أبا جهل ولم تتكامل لحيته واجتمعوا يوم السبت ولذا ورد يوم السبت يوم مكر وخديعة (يتشاورون فيما يصنعون في أمره عليه الصلاة والسلام) وكانوا مائة رجل كما في المولد لابن دحية و زعم ابن دريد في الوشاح انهم كانوا خمسة عشر رجلا فقال أبو البختري بفتح الموحدة وسكون المعجمة وفتح الفوقية فراء فياء كياء النسب ابن هشام المقتول كافرا ببدر احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء قبله فقال النجدي ما هذا برأي والله لو حبستموه ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم تكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا برأي فانظروا في غيره فقال أبو الاسود ربيعة بن عمرو العامري قال في النور ولا أعلم ماذا جرى له نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالي أين ذهب فقال النجدي لعنه الله والله ما هذا برأي ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه و غلبته على قلوب الرجال بما يأتي به والله لو فعلتم ذلك ما أمنت أن يحل على حي من العرب فيغلب بذلك عليهم من قوله حتى يتابعوه عليكم ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فيأخذ أمركم من ايديكم ثم يفعل بكم ما اراد أديروا فيه رأيا غير هذا فقال ابو جهل والله ان لي فيه رأيا ما أراكم وقعتم عليه أرى ان تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمد اليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه و يتفرق دمه في القبائل فلا تقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدي لعنه الله القول ما قال لا أرى غيره (فأجمع رأيهم على قتله وتفرقوا على ذلك) هكذا رواه ابن اسحق وفي خلاصة الوفاء وصوب ابليس قول أبي جهل أرى أن يعطى

عشرة ركعة يصلي ثمان ركعات ثم يوتر ثم يصلي ركعتين وهو جالس فاذا أراد أن يركع قام فركع ثم يصلي ركعتين بين النداء والاقامة من صلاة الصبح وفي المسند عن أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الوتر ركعتين خفيفتين وهو جالس وقال الترمذي روي نحو هذا عن عائشة وأبي أمامة وغير واحد عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي المسند عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي ركعتين بعد الوتر وهو جالس يقرأ فيهما باذا زلزلت وقل يا أيها الكافرون وروى الدارقطني نحوه من حديث أنس رضي الله عنه وقد أشكل هذا على كثير من الناس فظنوه معارضا لقوله صلى الله عليه وسلم اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا وأنكر مالك رحمه الله هاتين الركعتين وقال أحمد لا أفعله ولا أمنع من فعله قال وأنكره مالك وقالت طائفة انما فعل هاتين الركعتين ليبين جواز الصلاة بعد الوتر وان فعله لا يقطع التنفل

خمسة رجال من خمس قبائل سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد انتهى فلعلهم استبعدوا عليه قوله من كل قبيلة اذ لا يمكن عشرون مثلا ان يضربوا شخصا ضربة واحدة فقال لهم خمسة رجال (فان قيل لم تمثل الشيطان في صورة نجدي فالجواب) كما قال السهيلي في الروض (لانهم قالوا كما ذكره بعض اهل السير لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم) أي ميلهم (مع محمد فلذلك تمثل في صورة نجدي انتهى) ووقع له ذلك أيضا يوم وضع الحجر الاسود قبل النبوة فصاح يا معشر قريش أقد رضيتم أن يليه هذا الغلام دون اشرافكم وذوي أسنانكم فان صح فلمعنى آخر (ثم أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه) بضم الصاد يرقبونه (حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه السلام عليا فنام مكانه وغطى ببرد) له صلى الله عليه وسلم بأمره بقوله كما رواه ابن اسحق وتسج بردي هذا الحضرمي الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شئ تكرهه منهم وكان صلى الله عليه وسلم ينام في برده ذلك اذا نام (أخضر) قيل كان يشهد به الجمعة والعيدين بعد ذلك عند فعلهما وعورض بقول جابر كان يلبس رداء أحمر في العيدين والجمعة وجمع باحتمال ان الخضرة لم تكن شديدة فتجوز من قال أحمر (فكان) علي (أول من شرى) باع (نفسه في الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم) واستشكل هذا بقوله عليه السلام ان يخلص اليك شئ تكرهه لانه بعد خبر الصادق تحقق ان لا يصيبه ضرر وأجيب بجواز انه أخبره بذلك بعد أمره بالنوم وامتثاله فصدق انه بالامتثال باع نفسه قبل بلوغ الخبر ويحتمل انه فهم انه لن يخلص اليك ما دام البرد عليك لجعله ذلك علة لامره بتغطيه به والبرد لا يؤمن زواله عنه بريح أو انقلاب في نوم فصدق مع هذا انه باع نفسه واما معارضة رواية ابن اسحق لن يخلص اليك بانه لم يذكرها المقريزي في الامتاع وانما فيه انه أمره أن ينام مكانه لامر جبريل له بذلك ففاسدة اذ الترك لا يقضي على الذاكر مع ان روايته لا علة لها الا ارسال الصحابي وليس بعلة وهب ان ما في الامتاع رواية لا علة فيها فزيادة الثقة مقبولة ولكن القوس في يد غير باريها (وفي ذلك يقول علي

وقيت بنفسي خير من وطئ الثرى * ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

رسول اله خاف أن يمكروا به * فنجاه ذو الطول الاله من المكر)

وبعدهما في الشامية وغيرها

وبات رسول الله في الغار آمنا * موقى وفي حفظ الاله وفي ستر

وبت أراعيهم وما يتهمونني * وقد وطنت نفسي على القتل والاسر

يتهمونني بضم التحتية من أتهمه بكذا اتهاما ادخل عليه التهمة كما في القاموس ووهم ما صوبه الزمخشري انه لم يقل الا بيتين مرا في أوّل من أسلم لكن في مسلم فقال علي أي مجيبا لمرحب اليهودي يوم خيبر

أنا الذي سمتني أمي حيدره * كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

الا أن يقال لم يقل في غير الافتخار الجائز في الحرب هذا وما في الاحياء ان الله أوحى الى جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر فأيكما يؤثر صاحبه بالحياة فاختار كل منهما الحياة فأوحى الله اليهما أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب آخيت بينه وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل عند رأسه وميكائيل عند رجليه ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن أبي طالب يباهي الله بك الملائكة وفيه نزل ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله الآية فقال الحافظ ابن تيمية انه كذب باتفاق علماء الحديث والسير

وقال

وجعلوا قوله اجعلوا آخر صلاتكم بالليل وترا على الاستحباب وصلاة الركعتين بعده على الجواز (والصواب) أن يقال ان هاتين الركعتين تجري مجرى السنة وتكميل الوتر فان الوتر عبادة مستقلة ولا سيما ان قيل بوجوبه فتجري الركعتان بعده مجرى سنة المغرب من المغرب فانها وتر النهار والركعتان بعدها تكميل لها فكذلك الركعتان بعد وتر الليل والله أعلم

(فصل) ولم يحفظ عنه صلى الله عليه وسلم انه قنت في الوتر الا في حديث رواه ابن ماجه عن علي بن ميمون الرقي حدثنا محمد بن يزيد عن سفيان عن زبيد اليامي عن سعيد بن عبد الرحمن بن ابزى عن أبيه عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوتر فيقنت قبل الركوع وقال أحمد في رواية ابنه عبد الله اختار القنوت بعد الركوع ان كل شئ ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت انما هو في الفجر لما رفع رأسه من الركوع وقنوت الوتر اختاره بعد الركوع

وقال الحافظ العراقي في تخريج الاحياء رواه احمد مختصرا عن ابن عباس شرى على نفسه فلبس ثوب النبي صلى الله عليه وسلم ثم نام مكانه الحديث وليس فيه ذكر جبريل وميكائيل ولم أقف لهذه الزيادة على أصل والحديث منكر انتهى وورد أيضا بان الآية في البقرة وهي مدنية اتفاقا وقد صحح الحاكم نزولها في صهيب (ثم خرج صلى الله عليه وسلم) من الباب عليهم (وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم) وروى ابن منده وغيره عن مارية خادم النبي صلى الله عليه وسلم انها طأطأت لرسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد حائطا ليلة فر من المشركين قال البرهان والاول أولى لان ابن اسحق أسنده وما فيه الا الارسال أي ارسال الصحابي وهو ابن عباس وحديث مارية فيه مجاهيل فان صحا وفق بينهما انتهى بأن يكون صعد الحائط ليراهم ثم رجع وخرج من الباب أو يكون أراد ذلك أولا كراهة رؤيتهم ثم ترك ذلك ثقة بالله تعالى وخرج من الباب (ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون) قال الامام السهيلي يؤخذ منه ان الشخص اذا أراد النجاة من ظالم أو من يريده بسوء أو أراد الدخول عليه يتلو هذه الآيات وقد روى ابن أبي اسامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر في فضل يس ان قرأها خائف أمن أو جائع أشبع أو عار كسي أو عاطش سقي أو سقيم شفي حتى ذكر خلالا كثيرة (ثم انصرف حيث أراد) روى أحمد باسناد حسن تشاورت قريش الحديث وفيه فاطلع الله نبيه على ذلك فبات علي على فراشه وخرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى لحق بالغار أي غار ثور كما في رواية ابن هشام وغيره فأفاد انه توارى فيه حتى أتى أبا بكر منه في نحر الظهيرة ثم خرج اليه هو وأبو بكر ثانيا وبهذا علم الجواب عن قوله في النور ولم أقف على ما صنع من حين خروجه الى ان جاء الى أبي بكر في نحر الظهيرة ووقع في البيضاوي فبيت عليا على مضجعه وخرج مع أبي بكر الى الغار وفي سيرة الدمياطي انه ذهب تلك الليلة الى بيت أبي بكر فكان فيه الى الليلة أي المقبلة ثم خرج هو وأبو بكر الى جبل ثور انتهى وفيه ان الثابت في الصحيح انه عليه السلام أتى أبا بكر في نحر الظهيرة وفي رواية أحمد جعل انتهاء خروجه بعد ان بيت عليا على فرشه لحوقه بالغار فيقيد بما قلنا والله أعلم (فأتاهم آت) قال في النور لا أعرفه (ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا) قال البرهان وحكمة وضع التراب دون غيره الاشارة لهم بانهم الارذلون الاصغرون الذين ارغموا والصقوا بالرغام وهو التراب أو انه سيلصقهم بالتراب بعد هذا (وانطلق لحاجته فما ترون ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا عليه تراب) بقية رواية ابن اسحق ثم جعلوا يطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا برد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه برده فلم يزالوا كذلك حتى أصبحوا فقام علي عن الفراش فقالوا لقد صدقنا الذي كان حدثنا وعند أحمد فبات المشركون يحرسون عليا يحسبونه النبي صلى الله عليه وسلم يعني ينتظرونه حتى يقوم فيفعلون به ما اتفقوا عليه فلما أصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا أين صاحبك قال لا أدري وعند ابن عقبة عن الزهري وباتت قريش يختلفون ويأتمرون أيهم يهجم على صاحب الفراش فيوثقه فلما أصبحوا اذا هم بعلي قال السهيلي ذكر بعض أهل السير انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها للسبة في العرب أن يتحدث عنا أنا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا فهذا الذي أقامهم بالباب حتى أصبحوا (وفي رواية ابن أبي حاتم مما صححه الحاكم من حديث ابن عباس فما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا) لا يشكل على القول بأنهم كانوا مائة وقتلى بدر سبعون لجواز ان التراب الذي كان بيده فيه حصى فمن أصابه الحصى قتل ومن أصابه التراب لم

ولم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الوتر قبل أو بعد شيء وقال الخلال أخبرني محمد بن يحيى الكحال انه قال لابي عبد الله في القنوت في الوتر فقال ليس يروى فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء ولكن كان عمر يقنت من السنة الى السنة وقد روى أحمد وأهل السنن من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما قال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن في الوتر اللهم اهدني فيمن هديت وعافني فيمن عافيت وتولني فيمن توليت وبارك لي فيما أعطيت وقني شر ما قضيت انك تقضي ولا يقضى عليك انه لا يذل من واليت تباركت ربنا وتعاليت زاد البيهقي والنسائي ولا يعز من عاديت وزاد النسائي في روايته وصلى الله على النبي وزاد الحاكم في المستدرك وقال علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم في وتري اذا رفعت رأسي ولم يبق الا السجود رواه ابن حبان في صحيحه ولفظه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو وقال الترمذي

يقتل (وفي هذا نزل) بعد ذلك بالمدينة يذكره الله نعمته عليه كما في نفس رواية ابن أبي حاتم هذه
(قوله تعالى وإذ يمكر بك الذين كفروا) وقد اجتمعوا للشاور في شأنك بدار الندوة (ليثبتوك)
يوثقوك ويحبسوك اشارة لرأي أبي البختري فيه (أو يقتلوك) كلهم قتلة رجل واحد اشارة لرأي أبي
جهل فيه الذي صوبه وصدقه ابليس لعنهما الله (أو يخرجوك) من مكة منفيا اشارة لرأي أبي
الاسود تل (الآية) أي بقيتها وهي ويمكرون ويمكر الله أي بهم بتدبير أمرك بأن أوحى اليك مادبروه
وأمرك بالخروج والله خير الماكرين أعلمهم به زاد ابن اسحق ونزل قوله تعالى أم يقولون شاعر نتربص
به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين هذا وروى ابن جرير عن المطلب بن أبي وداعة ان
أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم ما يأتمر بك قومك قال يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني
أو يخرجوني قال من حدثك بهذا قال ربي قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا قال أنا أستوصي به هو
يستوصي بي فنزلت وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية قال الحافظ ابن كثير ذكر أبي طالب فيه غريب
بل منكر لان القصة ليلة الهجرة وذلك بعد موت أبي طالب بثلاث سنين (ثم أذن الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم في الهجرة قال ابن عباس بقوله تعالى وقل رب أدخلني) المدينة (مدخل صدق)
ادخالا مرضيا لا أرى فيه ما أكره (وأخرجني) من مكة (مخرج صدق) اخراجا لا ألتفت اليها بقلبي
(واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) قوة تنصرني بها على أعدائك (أخرجه الترمذي وصححه)
هو و(الحاكم) في المستدرك (فان قيل ما الحكمة في هجرته عليه السلام) من مكة (الى المدينة واقامته
بها الى ان انتقل الى ربه عزوجل) وهلا أقام بها اذ هي دار أبيه اسمعيل التي نشأ ومات بها وفي حديث
قبر اسمعيل في الحجر رواه الديلمي عن عائشة مرفوعا بسند ضعيف (أجيب بأن حكمة الله تعالى قد
اقتضت انه عليه السلام تتشرف به الاشياء) حتى الازمنة والامكنة (لا انه يتشرف بها فلو بقي عليه
السلام في مكة الى انتقاله الى ربه لكان يتوهم انه قد تشرف بها اذ أن شرفها قد سبق بالخليل واسمعيل
فأراد الله تعالى أن يظهر شرفه عليه السلام فأمره بالهجرة الى المدينة) ولذا لم يمكن الى الارض المقدسة
مع انها أرض المحشر والمنشر وموضع أكثر الانبياء لئلا يتوهم ماذكر أيضا (فلما هاجر اليها تشرفت
به) لحلوله فيها وقبره بها (حتى وقع الاجماع) كما حكاه عياض والباجي وابن عساكر (على ان أفضل
البقاع الموضع الذي ضم أعضاءه الكريمة صلوات الله وسلامه عليه) حتى من الكعبة لحلوله فيه بل
نقل التاج السبكي عن ابن عقيل الحنبلي انه أفضل من العرش وصرح الفاكهاني بتفضيله على
السموات بل قال البرماوي الحق ان مواضع أجساد الانبياء وأرواحهم أشرف من كل ماسواها من
الارض والسماء ومحل الخلاف في ان السماء أفضل أو الارض غير ذلك كما كان شيخنا شيخ الاسلام
البلقيني يقرره انتهى يعني وأفضل تلك المواضع القبر الشريف بالاجماع واستشكله العز بن عبد
السلام بأن معنى التفضيل ان ثواب العمل في أحدهما أكثر من الآخر وكذا التفضيل في الازمان
وموضع القبر الشريف لا يمكن العمل فيه لان العمل فيه يحرم فيه عقاب شديد ورده عليه تلميذه
العلامة الشهاب القرافي بان التفضيل للمجاورة والحلول كتفضيل جلد المصحف على سائر الجلود
فلا يمسه محدث ولا يلابس بقذر لا لكثرة الثواب والا لزمه ان لا يكون جلد المصحف بل ولا المصحف
نفسه أفضل من غيره لتعذر العمل فيه وهو خلاف المعلوم من الدين بالضرورة وأسباب التفضيل
أعم من الثواب فانها منتهية الى عشرين قاعدة وبينها في كتابه الفروق ثم قال بل انها أكثر وانه لا يقدر
على احصائها خشية الاسهاب وقال التقي السبكي قد يكون التفضيل بكثرة الثواب وقد يكون لامر آخر
وان لم يكن عمل فان القبر الشريف ينزل عليه من الرحمة والرضوان والملائكة وله عند الله من المحبة

وفي الباب عن الحسن بن علي رضي الله عنهما هذا حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه من حديث أبي الحوراء السعدي واسمه ربيعة ابن شيبان ولا نعرف عن النبي صلى الله عليه وسلم في القنوت شيأ أحسن من هذا انتهى والقنوت في الوتر محفوظ عن عمر وابن مسعود والرواية عنهم أصح من القنوت في الفجر والرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم في قنوت الفجر أصح من الرواية في قنوت الوتر والله أعلم وقد روى أبو داود والترمذي والنسائي من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في آخر وتره اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وهذا يحتمل انه قبل فراغه منه وبعده وفي احدى الروايات عن النسائي كان يقول اذا فرغ من صلاته وتبوأ مضجعه وفي هذه الرواية لا أحصي ثناء عليك ولو حرصت وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ذلك في

ولساكنيه

ولما كنه ما تقصر العقول عنه فكيف لا يكون أفضل الامكنة وأيضا فباعتبار ماقيل كل أحد يدفن في الموضع الذي خلق منه وقد تكون الاعمال مضاعفة فيه باعتبار حياته صلى الله عليه وسلم به وان أعماله مضاعفة أكثر من كل أحد قال السمهودي والرحمات النازلات بذلك المحل يعم فيضها الامة وهي غير متناهية لدوام ترقياته صلى الله عليه وسلم فهو منبع الخيرات انتهى (وذكر الحاكم ان خروجه عليه السلام) من مكة (كان بعد بيعة العقبة بثلاثة أشهر أو قريبا منها وجزم ابن اسحق انه خرج أول يوم من ربيع الاول فعلى هذا يكون بعد البيعة لشهرين وبضعة عشر يوما) لان البيعة كما مر في ذي الحجة ليلة ثاني أيام التشريق فالباقي من الشهر ثمانية عشر يوم أن كان تاما والا فسبعة عشر (وكذا جزم الاموي) بفتح الهمزة وضمها كما ضبطه في النور في أول من أسلم نسبة لبني أمية قال الحافظ في تقريبه يحيى بن سعيد بن ابان بن سعيد بن العاصي الاموي أبو أيوب الكوفي نزيل بغداد لقبه الجمل صدوق يضطرب من كبار التاسعة مات سنة أربع وتسعين ومائتين روى له الستة انتهى فنسبه أمويا فليس هو الحافظ محمد بن خير الاموي بفتح الهمزة والميم بلا مد نسبة الى أمة جبل بالمغرب كما ترجى من مجرد قول التبصير له برنامج حافل فانه فاسد نقلا كما علم وعقلا لان التبصير قال انه خال السهيلي أي أخو أمه وزمنه متأخر عن هذا بكثير فقد أرخوا وفاة ابن خير في ربيع الاول سنة خمس وسبعين وخمسمائة وقد قال المصنف (في المغازي) وهو يروي فيها عن أبيه وغيره (عن ابن اسحق) وهو قد توفي سنة خمسين ومائة فلا يدرك ابن خير اتباعه وفي الالقاب للحافظ في حرف الجيم جمل يحيى بن سعيد الاموي صاحب المغازي من الثقات (فقال) كان مخرجه من مكة بعد العقبة بشهرين وليال أتى بنصه لفائدة فيه لم تستفد مما قبله (وخرج) صلى الله عليه وسلم من مكة (لهلال ربيع الاول وقدم المدينة لاثنتي عشرة خلت من ربيع) الاول على الراجح قيل لثمان خلت منه كما في الاستيعاب وقيل خرج في صفر وقدم في ربيع حكاه في الصفوة (قال في فتح الباري وعلى هذا خرج يوم الخميس وقال الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه كان يوم الاثنين ودخوله المدينة كان يوم الاثنين الا ان محمد بن موسى الخوارزمي قال انه خرج من مكة يوم الخميس) وهذا يوافق نقل الاموي ويخالف ما تواترت به الاخبار قال الحافظ (ويجمع بينهما بأن خروجه من مكة كان يوم الخميس وخروجه من الغار كان ليلة الاثنين لانه أقام فيه ثلاث ليال ليلة الجمعة وليلة السبت وليلة الاحد وخرج أثناء ليلة الاثنين) فقول الحاكم تواترت الاخبار ان خروجه يوم الاثنين مجاز أطلق اليوم مريدا به الليلة لقربه منها والمراد الخروج من الغار لا مكة وفي الاستيعاب عن الكلبي قدم المدينة يوم الجمعة والله أعلم (وكانت مدة مقامه بمكة من حين النبوة الى ذلك الوقت بضع عشرة سنة) ثلاث عشرة سنة كما رواه البخاري عن ابن عباس وروى مسلم عنه خمس عشرة قال الحافظ والاول أصح انتهى وهو قول الجمهور (ويدل عليه قول صرمة) بكسر الصاد ابن أنس ويقال ابن قيس ويقال ابن أبي أنس بن مالك بن عدي أبي قيس الانصاري النجاري صحابي له أشعار حسان فيها حكم ووصايا وكان قوالا بالحق ولا يدخل بيتا فيه جنب ولا حائض معظما في قومه الى أن أدرك الاسلام شيخا كبيرا وعاش عشرين ومائة سنة (ثوى) بمثلثة أقام صلى الله عليه وسلم (في قريش بضع) بكسر الباء وتفتح (عشرة حجة) بكسر الحاء على الراجح وتفتح (يذكر) الناس بما جاء به من عند الله فيدعوهم اليه وحده ويتحمل مشاقه ويود (لو يلقى صديقا مواتيا) موافقا ومطيعا فلو للتمني فلا جواب لها أو جوابها محذوف نحو لسهل عليه أمرهم وهذا البيت ثبت في بعض نسخ مسلم وهو من قصيدة لصرمة عند ابن اسحق (وقيل غير ذلك) فعن عروة انها عشر سنين رواه أحمد عن ابن عباس والبخاري في باب الوفاة عنه وعن عائشة لكن أول بأنهما لم يحسبا مدة الفترة بناء على قول الشعبي انها

السجود فلنفعله فانه في الصلاة وبعدها وذكر الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ووتره ثم أوتر فلما قضى صلاته سمعته يقول اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وفوقي نورا وتحتي نورا وامامي نورا وخلفي نورا واجعل لي يوم لقائك نورا قال كريب وسبع ٧ في القنوت فلقيت رجلا من ولد العباس فحدثني بهن فذكر لحمي ودمي وعصبي وشعري وبشري وذكر خصلتين وفي رواية النسائي في هذا الحديث وكان يقول في سجوده وفي رواية لمسلم في هذا الحديث فخرج الى الصلاة يعني صلاة الصبح وهو يقول فذكر هذا الدعاء وفي رواية له أيضا وفي لساني نورا واجعل في نفسي نورا وأعظم لي نورا وفي رواية له واجعلني نورا وذكر أبو داود والنسائي من حديث أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل

ثلاث سنين لقولهما أقام عشرا ينزل عليه القرآن والا فى ما رواه البخارى عقبه عن عائشة انه توفى وهو ابن ثلاث وستين (وأمره جبريل أن يستصحب أبا بكر) روى الحاكم عن على ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من يهاجر معى قال أبو بكر الصديق قال الحاكم صحيح غريب (وأخبر عليه السلام عليا بمخرجه) بفتح فسكون مصدر ميمى بمعنى الخروج أى بارادة خروجه (وأمره أن يتخلف بعده حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده للناس) قاله ابن اسحق وزاد وليس بمكة أحد عنده شئ يخاف عليه الا وضعه عنده لما يعلم من صدقه وأمانته (قال ابن شهاب) الزهرى فيما رواه عنه البخارى فى الحديث الطويل المتقدم بعضه فى ارادة أبى بكر الهجرة للحبشة ورجوعه فى جوار ابن الدغنة ثم قال قال ابن شهاب قال الحافظ هو بالاسناد المذكور أولا (قال عروة) بن الزبير بن العوام أحد الفقهاء (قالت عائشة فبينما) بالميم (نحن جلوس يوما فى بيت أبى بكر فى نحر) بفتح النون وسكون المهملة (الظهيرة) بفتح المعجمة وكسر الهاء قال الحافظ أى أول الزوال وهو أشد ما يكون من حرارة النهار والغالب فى أيام الحر القيلولة فيها وفى رواية ابن حبان فأتاه ذات يوم ظهرا وفى حديث أسماء عند الطبرانى كان النبى صلى الله عليه وسلم يأتينا بمكة كل يوم مرتين بكرة وعشية فلما كان يوم من ذلك جاءنا فى الظهيرة فقلت يا أبت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال قائل) قال الحافظ فى مقدمة الفتح يحتمل ان يفسر بعامر بن فهيرة وفى الطبرانى ان قائل ذلك أسماء بنت أبى بكر انتهى أى وهو لا يمنع الاحتمال المذكور لجواز انهما معا قالا (لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا) أى مغطيا رأسه قاله المصنف وقال الحافظ أى متطيلسا فى ساعة لم يكن يأتينا فيها وفى رواية موسى بن عقبة قال ابن شهاب قالت عائشة وليس عند أبى بكر الا أنا وأسماء قيل فيه جواز لبس الطيلسان وجزم ابن القيم بانه صلى الله عليه وسلم لم يلبسه ولا أحد من الصحابة وأجاب عن الحديث بان التقنع يخالف التطيلس قال ولم يكن يفعل التقنع عادة بل للحاجة وتعقب بان فى حديث أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يكثر التقنع وفى طبقات ابن سعد مرسلا ذكر الطيلسان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا ثوب لا يؤدى شكره انتهى ويأتى بسط ذلك فى اللباس ان شاء الله تعالى (قال أبو بكر فدى) بكسر الفاء والقصر وللحموى والمستملى فداء بالمد والهمز (له أبى وأمى) فيه حجة لاصح القولين بجواز التفدية بهما قال البرهان وما أظن الخلاف الا فى غير النبى صلى الله عليه وسلم لان كل الناس يجب عليهم بذل أنفسهم دون نفسه (والله ما جاء به فى هذه الساعة الا أمر) وفى رواية يعقوب بن سفيان ان جاء به بان النافية بمعنى ما ولابن عقبة فقال أبو بكر يا رسول الله ما جاء بك الا أمر حدث (قالت) عائشة (فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستأذن فاذن له) أبو بكر (فدخل) زاد فى رواية فتنحى أبو بكر عن سريره وجلس عليه رسول الله (فقال صلى الله عليه وسلم لابى بكر أخرج) بهمزة قطع مفتوحة (من عندك) هكذا فى البخارى فى الهجرة وله فى محل آخر ما عندك بما مرادا بها من يعلم نحو لما خلقت بيدى والسماء وما بناها ولا أنتم عابدون ما أعبد (فقال أبو بكر انما هم أهلك) يعنى عائشة وأسماء ففى رواية ابن عقبة فقال لا عين عليك انما هما ابنتاى وكذا فى رواية هشام (بابى أنت وأمى قال السهيلى وذلك) أى وجه قوله هم أهلك (ان عائشة قد كان أبوها أنكحها منه عليه الصلاة والسلام) قبل ذلك واسماء صارت بمنزلة أهله لنكاحه أختها فلا يخشى عليه منهما كما يرشد اليه قوله لا عين عليك وقيل كما فى النور أطلق عليهما أهله كقول الانسان حريمى حريمك وأهلى أهلك يعنى أنا وأنت كالشئ الواحد وقول من قال كانت أمهما عنده وتركها استرابرده قول عائشة وليس عنده الا أنا وأسماء وأيضا فام عائشة غير أم أسماء (فقال صلى الله عليه وسلم فانه) كذا رواه الكشميهنى وللا كثر فانى (قد أذن) بالبناء

للمفعول

يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد فاذا سلم قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات يمد بها صوته فى الثالثة ويرفع وهذا لفظ النسائى زاد الدارقطنى رب الملائكة والروح وكان صلى الله عليه وسلم يقطع قراءته ويقف عند كل آية فيقول الحمد لله رب العالمين ويقف الرحمن الرحيم وذكر الزهرى أن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت آية آية مالك يوم الدين وهذا هو الافضل الوقوف على رؤس الآيات وان تعلقت بما بعدها وذهب بعض القراء الى أن تتبع الاغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها واتباع هدى النبى صلى الله عليه وسلم وسنته أولى وممن ذكر ذلك البيهقى فى شعب الايمان وغيره ورجح الوقوف على رؤس الآى وان تعلقت بما بعدها وكان صلى الله عليه وسلم يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وقام بآية يرددها حتى الصباح وقد اختلف الناس فى الافضل من الترتيل وقلة القراءة أو السرعة مع كثرة القراءة أيهما أفضل على قولين

للمفعول (لي في الخروج) من مكة الى المدينة (فقال أبو بكر) أريد (الصحبة) و يجوز الرفع خبر مبتدا محذوف أي مطلوبي (بأبي أنت وأمي يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم نعم) زاد ابن اسحق قالت عائشة فرأيت أبا بكر يبكي وما كنت أحسب أن أحدا يبكي من الفرح وفي رواية هشام قال الصحبة يا رسول الله قال الصحبة (فقال أبو بكر فخذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله احدى راحلتي هاتين) اشارة للتين كان علفهما أربعة أشهر لما قال المصطفى انه يرجو الهجرة (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) لا آخذها مجانا (بل بالثمن) وعند ابن اسحق قال لا أركب بعيرا ليس هو لي قال فهو لك قال لا ولكن بالثمن الذي ابتعتها به قال أخذتها بكذا وكذا قال هي لك وفي حديث اسماء عند الطبراني فقال بثمنها يا أبا بكر فقال بثمنها ان شئت وأفاد الواقدي ان الثمن ثمانمائة درهم وان التي أخذها النبي صلى الله عليه وسلم هي القصواء وكانت من نعم بني قشير وعاشت بعده عليه السلام قليلا وماتت في خلافة أبي بكر وكانت مرسلة ترعى بالبقيع وذكر ابن اسحق انها الجدعاء وكانت من ابل بني الحريش وكذا في رواية ابن حبان عن هشام عن أبيه عن عائشة انها الجدعاء ذكره في فتح الباري وعجيب ابعاده النجعة بالعزو لابن حبان فقد رواه البخاري في غزوة الرجيع من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة بلفظ فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم احداهما وهي الجدعاء والحريش بفتح الحاء وكسر الراء المهملتين وسكون التحتية وشين معجمة وفي سيرة عبد الغني وغيره أن الثمن كان أربعمائة درهم كما في المقدمة فصدق حفظ البرهان اذ قال في النور في حفظي أنه أربعمائة انتهى وكانه مستند من قال الثمانمائة ثمن الراحلتين (فان قلت لم لم يقبلها الا بالثمن وقد أنفق عليه أبو بكر من ماله ما هو أكثر من هذا فقبل) بموحدة وحذف المفعول اي فقبله فقد روى ابن حبان عن عائشة قال أنفق أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألف درهم وروى الزبير بن بكار عنها ان أبا بكر لما مات ما ترك دينارا ولا درهما وفي الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم ليس أحد من الناس أمن علي في نفسه وماله من أبي بكر وروى الترمذي مرفوعا ما لاحد عندنا يد الا كافأناه عليها ما خلا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة (أجيب) كما ذكره السهيلي حدثني بعض أصحابنا قال ابن دحية يعني ابن قرقول عن الفقيه الزاهد أبي الحسن بن اللوان (بأنه انما فعل ذلك لتكون هجرته الى الله بنفسه وماله رغبة منه عليه السلام في استكماله فضل الهجرة الى الله تعالى وان تكون على أتم الاحوال) قال السهيلي وهو قول حسن (انتهى) وهذا الحديث الصحيح يعارض ما رواه ابن عساكر عن أنس رفعه ان أعظم الناس علينا منا أبو بكر زوجني ابنته وواساني بنفسه وان خير المسلمين مالا أبو بكر أعتق منه بلالا وحملني الى دار الهجرة والمنكر منه آخره فقط وهو حمله الى الهجرة فان كان محفوظا فالحمل مجاز عن المعاونة والخدمة في السفر وعلف الدابة أربعة أشهر حتى باعها للمصطفى بحيث لم يحتج لتطلب شراء دابة فلا معارضة (قالت عائشة) عند البخاري باسناده (فجهزناهما أحث) بمهملة ومثلثة أسرع وفي رواية بموحدة والاولى أصح (الجهاز) قال الحافظ بفتح الجيم وتكسر ومنهم من أنكره وهو ما يحتاج اليه في السفر وقال في النور بكسر الجيم أفصح من فتحها بل لحن من فتح والذي في الصحاح واما جهاز العروس والسفر فيفتح ويكسر انتهى (وصنعنا لهما سفرة من) كذا في النسخ والذي في البخاري في (جراب) قال الحافظ سفرة أي زادا في جراب لان أصل السفرة لغة الزاد الذي يصنع للمسافر ثم استعمل في وعاء الزاد ومثله المزادة للماء وكذا الراوية فاستعملت هنا على أصل اللغة وأفاد الواقدي انه كان في السفرة شاة مطبوخة انتهى (فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها) بكسر النون (فربطت بها على فم الجراب) بكسر الجيم وفتحها لغتان الكسر أفصح وأشهر وهو وعاء من جلد قاله النووي تبعا لعياض وفي القاموس الجراب ولا يفتح أو هو لغية فيما ذكره عياض وغيره المزود أو الوعاء (فبذلك سميت

مذهب ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما الى ان الترتيل والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها واحتج أرباب هذا القول بان المقصود من القراءة فهمه وتدبره والفقه فيه والعمل به وتلاوته وحفظه وسيلة الى معانيه كما قال بعض السلف نزل القرآن ليعمل به فاتخذوا تلاوته عملا ولهذا كان أهل القرآن هم العالمون به والعاملون بما فيه وان لم يحفظوه عن ظهر قلب وأما من حفظه ولم يفهمه ولم يعمل به فليس من أهله وان أقام حروفه اقامة السهم قالوا ولان الايمان أفضل الاعمال وفهم القرآن وتدبره هو الذي يثمر الايمان وأما مجرد التلاوة من غير فهم ولا تدبر فيفعلها البر والفاجر والمؤمن والمنافق كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر والناس في هذا أربع طبقات أهل القرآن والايمان وهم أفضل الناس والثانية من عدم القرآن والايمان الثالثة من أوتي قرآنا ولم يؤت ايمانا الرابعة من أوتي

بذات النطاقين) بالتثنية رواية الكشميهني ورواية غيره النطاق بالافراد قال الحافظ النطاق ما يشد به الوسط وقيل هو ازار فيه تكة وقيل ثوب تلبسه المرأة ثم تشد وسطها بحبل ثم ترسل الاعلى على الاسفل قاله أبو عبيد الهروي قال وسميت ذات النطاقين لانها كانت تجعل نطاقا على نطاق وقيل كان لها نطاقان تلبس احدهما وتحمل في الآخر الزاد قال الحافظ والمحفوظ كما سيأتي بعد هذا الحديث أي في البخاري انها شقت نطاقها نصفين فشدت بأحدهما الزاد واقتصرت على الآخر فمن ثم قيل لها ذات النطاق وذات النطاقين بالتثنية والافراد بهذين الاعتبارين وعند ابن سعد في حديث الباب شقت نطاقها فأوكت بقطعة منه الجراب وشدت فم القربة بالباقي فسميت ذات النطاقين انتهى (قالت) عائشة (ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر بغار ثور) بمثلثة ولفظ البخاري بغار في جبل ثور فكمنا ثلاث ليال (جبل بمكة) بجره على البدلية ورفعه على الخبرية وهو أولى لانه من كلام المصنف لامن الحديث قال في الانوار الغار ثقب في أعلى ثور في يمنى مكة على مسيرة ساعة وقيل انه من مكة على ثلاثة أميال وفي معجم ما استعجم انه منها على ميلين وارتفاعه نحو ميل وفي أعلا الغار الذي دخله النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وهو المذكور في القرآن والبحر يرى من أعلى هذا الجبل وفيه من كل نبات الحجاز وشجره وفيه شجر البان وفي القاموس ثور جبل بمكة فيه الغار المذكور في التنزيل ويقال له ثور اطحل واسم الجبل اطحل نزله ثور بن عبد مناة فنسب له انتهى فقول النووي انه كالثور الذي يحرث عليه أي في النطق ولم أر فيه انه سمي به لانه على صورة الثور كما تصرف عليه من زعمه ثم فصل المؤلف بين اجزاء حديث الصحيح بجمل وسيعود الى بقية منه أولها وكان يبيت عندهما عبد الله الخ فقال (وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة لما وقف على الحزورة) بفتح المهملة فزاي ساكنة فواو فراء سوق كان بمكة ادخلت في المسجد وعن الشافعي الناس يشددونها وهي مخففة (ونظر الى البيت والله انك) بكسر الكاف خطاب لمكة (لاحب أرض الله الي وانك لاحب أرض الله الى الله) من خطف العلة على المعلول (ولولا ان أهلك أخرجوني) تسببوا في اخراجي (ما خرجت منك) أخرجه أحمد والترمذي وصححه عن عبد الله بن عدي بلفظ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على الحزورة فقال والله انك لخير أرض الله وأحب أرض الله الى الله ولولا اني أخرجت منك ما خرجت وروى الترمذي أيضا وقال حسن صحيح عن ابن عباس رفعه ما أطيبك من بلد وأحبك الي ولولا ان قومي أخرجوني منك ما سكنت غيرك (وهذا من أصح ما يحتج به في تفضيل مكة على المدينة) وجوابه ان التفضيل انما يكون بين شيئين يأتي بينهما تفضيل وفضل المدينة لم يكن حصل حتى يكون هذا حجة ولو سلم ففي الحجج البينة هو مؤول بأنه قبل ان يعلم تفضيل المدينة أو بأنها خير الارض ما عدا المدينة كما قاله ابن العربي وهو أحد التأويلين في قوله عليه السلام لمن قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم ومعارض بما في البخاري عن عائشة رفعته اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد ونحن نقطع باجابة دعائه صلى الله عليه وسلم فقد كانت أحب اليه من مكة وفي الصحيحين مرفوعا اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلت بمكة من البركة انتهى وقال غيره قد استجاب الله دعوة المصطفى للمدينة فصار يجبي اليها في زمن الخلفاء الراشدين من مشارق الارض ومغاربها ثمرات كل شئ وكذا مكة ببركة دعاء الخليل وزادت المدينة عليها لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم ان ابراهيم عبدك وخليلك واني عبدك ونبيك وانه دعاك لمكة واني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه أخرجه الترمذي عن أبي هريرة شيئان أحدهما في ابتداء الامر وهو كنوز كسرى وقيصر وغيرهما وانفاقها في سبيل الله على أهلها وثانيهما في آخر الامر وهو ان الايمان يأرز اليها من الاقطار انتهى وقد اختلف السلف أي البلدين أفضل

أيمانا ولم يؤت قرآنا قالوا فكما ان من أوتي ايمانا بلا قرآن أفضل ممن أوتي قرآنا بلا ايمان فكذلك من أوتي تدبرا وفهما في التلاوة أفضل ممن أوتي كثرة قراءة وسرعتها بلا تدبر قالوا وهذا هدي النبي صلى الله عليه وسلم فانه يرتل السورة حتى تكون أطول من أطول منها وقام بآية حتى الصباح وقال أصحاب الشافعي رحمه الله كثرة القراءة أفضل واحتجوا بحديث ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول الم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف رواه الترمذي وصححه قالوا ولان عثمان ابن عفان قرأ القرآن في ركعة وذكروا آثارا عن كثير من السلف في كثرة القراءة والصواب في المسألة ان يقال ان ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجل وأرفع قدرا وثواب كثرة القراءة أكثر عددا فالاول كمن تصدق بجوهرة عظيمة أو أعتق عبدا قيمته نفيسة جدا والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم

فذهب الاكثر الى تفضيل مكة وبه قال الشافعي وابن وهب ومطرف وابن حبيب واختاره من متأخرى المالكية ابن رشد وابن عرفة كما قاله الابى وذهب عمر بن الخطاب فى طائفة وأكثر المدنيين الى تفضيل المدينة على مكة وهو مذهب مالك ومال اليه من متأخرى الشافعية السمهودي والسيوطى والمصنف فى المقصد الاخير واعتذر عن مخالفة مذهبه بان هوى كل نفس حيث حل حبيبها والادلة كثيرة من الجانبين حتى قال الامام ابن أبى جمرة بتساوى البلدين والسيوطي المختار الوقف عن التفضيل لتعارض الادلة بل الذى تميل اليه النفس تفضيل المدينة ثم قال واذا تأمل ذو البصيرة لم يجد فضلا أعطيته مكة الا وأعطيت المدينة نظيره وأعلى منه هكذا قال فى الحجج البينة وجزم فى أنموذجه بأن المختار تفضيل المدينة وأما التشبث بأن مكة حرمها الله يوم خلق السموات والارض والمدينة حرمها المصطفى وما حرمه الله أعظم فشبهة فاسدة لان الاشياء كلها حرامها وحلالها حرم وأحل من القدم بخطابه تعالى القديم النفسى وفى البخارى حرمت المدينة على لسانى فهذا صريح فى ان الله حرمها قال فى الحجج واما كون مكة بها المشاعر والمناسك فقد عوض الله تعالى المدينة عن الحج والعمرة بأمرين وعد الثواب عليهما أما العمرة ففى الصحيح صلاة فى مسجد قباء كعمرة وأما الحج فعن أبى امامة مرفوعا من خرج على طهر لا يريد الا الصلاة فى مسجدى حتى يصلى فيه كان بمنزلة حجة انتهى ومحل الخلاف كما فيما عدا البقعة التى ضمت أعضاءه صلى الله عليه وسلم فانها أفضل اجماعا ويليها الكعبة فهى أفضل من بقية المدينة اتفاقا كما قال الشريف السمهودي وذكر الدماميني ان الروضة تنضم لموضع القبر فى الاجماع على تفضيله بالدليل الواضح اذ لم يثبت لبقعة انها من الجنة بخصوصها الا هى فلذا أورد البخارى حديث ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة تعريضا بفضل المدينة اذ لا شك فى تفضيل الجنة على الدنيا كذلك قال ولا يخلو من نظر لما فيه من الاحتجاج بالاحتمال لان فى معنى روضة احتمالات كونها تنقل الى الجنة وكون العمل فيها يوجب لصاحبه روضة فى الجنة وكون الموضع نفسه روضة من رياض الجنة الآن ويعود روضة كما كان وان كان لا مانع من الجمع بين الثلاثة كما هو معلوم فى محله هذا وكان من قوله صلى الله عليه وسلم أيضا لما خرج مهاجرا الحمد لله الذى خلقنى ولم أك شيأ اللهم أعنى على هول الدنيا وبوائق الدهر ومصائب الليالى والايام اللهم أصحبنى فى سفرى واخلفنى فى أهلى وبارك لى فيما رزقتنى ولك فذللنى وعلى صالح خلقى فقومنى واليك رب فحببنى والى الناس فلا تكلنى أنت رب المستضعفين وأنت ربى أعوذ بوجهك الكريم الذى أشرقت له السموات والارض وكشفت به الظلمات وصلح عليه أمر الاولين والآخرين ان يحل بى غضبك او ينزل على سخطك أعوذ بك من زوال نعمتك وفجاءة نقمتك وتحول عافيتك وجميع سخطك لك العتبى عندى خيرما استطعت ولا حول ولا قوة الا بك رواه أبو نعيم عن ابن اسحق بلاغا (ولم يعلم بخروجه عليه السلام الا على) لكونه خلفه مكانه (وآل أبى بكر) لانه ذهب اليه فعلم به من عنده وآل الرجل لغة أهله وعياله فشمل عامر بن فهيرة لانه مولاه (وروى) عند الواقدى (انهما خرجا من خوخة) بفتح المعجمتين بينهما واو ساكنة باب صغير (لابى بكر فى ظهر بيته) بعد دخوله عليه فى نحر الظهيرة كما مر فخرجا (ليلا) ومضيا (الى الغار) وروى ان أبا جهل لقيهما فأعمى الله بصره عنهما حتى مضيا قالت أسماء وخرج أبو بكر بماله خمسة آلاف درهم قال البلاذرى وكان ماله يوم أسلم أربعين ألف درهم فخرج الى المدينة للهجرة وماله خمسة آلاف أو أربعة فبعث ابنه عبد الله فحملها الى الغار (ولما فقدت) بفتح القاف (قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أعلاها وأسفلها وبعثوا القافة) جمع قائف وهو الذى يعرف الاثر (اثره) بفتحتين وبكسر فسكون اى عقب خروجه (فى كل وجه) وذكر الواقدى انهم بعثوا فى اثرهما قاصدين

أو أعتق عدة من العبيد قيمتهم رخيصة وفى صحيح البخارى عن قتادة سألت أنسا عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم قال كان يمد مدا وقال شعبة حدثنا أبو جمرة قال قلت لابن عباس انى رجل سريع القراءة وربما قرأت القرآن فى ليلة مرة أو مرتين فقال ابن عباس لأن أقرأ سورة واحدة أعجب الى من ان أفعل ذلك الذى تفعل فان كنت فاعلا لا بد فاقرأ قراءة تسمع أذنيك ويعيه قلبك وقال ابراهيم قرأ علقمة على ابن مسعود وكان حسن الصوت فقال رتل فداك أبى وأمى فانه زين القرآن وقال ابن مسعود لا تهذوا القرآن هذا الشعر ولا تنثروه نثر الدقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة وقال عبد الله أيضا اذا سمعت الله يقول يا أيها الذين آمنوا فاصخ لها سمعك فانه خير تؤمر به أو شر تصرف عنه وقال عبد الرحمن بن أبى ليلى دخلت على امرأة وأنا أقرأ سورة هود فقالت يا عبد الرحمن هكذا تقرأ سورة هود والله انى فيها منذ ستة

أحدهما كرز بن علقمة ولم يسم الآخر وسماه أبو نعيم في الدلائل من حديث زيد بن أرقم وغيره سراقة بن جعشم كما في الفتح (فوجد الذي ذهب قبل) بكسر ففتح جهة (ثور أثره هنالك فلم يزل يتبعه حتى انقطع لما انتهى الى ثور) ويروى انه قعد وبال في اصل الشجرة ثم قال ههنا انقطع الاثر ولا أدري أخذ يمينا أم شمالا أم صعد الجبل وفي رواية فقال لهم القائف هذا القدم قدم ابن أبي قحافة وهذا الآخر لا أعرفه الا انه يشبه القدم الذي في المقام يعني مقام ابراهيم فقالت قريش ما وراء هذا شيء ولا يشكل هذا بما روي انه عليه السلام كان يمشي على أطراف اصابعه لئلا يظهر اثرهما على الارض ويقول لأبي بكر ضع قدمك موضع قدمي فان الرمل لا ينم بفتح أوله وضم النون وكسرها اي لا يظهر اثر القدم حين تضع قدمك موضع قدمي لجواز انهما ما فرا من الغار مشيا ووضع المصطفى جميع قدمه فلما وصل القائف وجد اثر القدمين فأخبر بما رأى (وشق على قريش خروجه وجزعوا) بكسر الزاي لم يصبروا (لذلك وجعلوا مائة ناقة لمن رده) عن سيره ذلك بقتل أو أسر فلا ينافي ما في الصحيح جعلوا الدية لمن قتله أو اسره (ولله در الشيخ شرف الدين) محمد بن سعيد بن حماد الدلاصي المولد المغربي الاصل البوصيري المنشأ ولد بناحية دلاص يوم الثلاثاء أول شوال سنة ثمان وستمائة وبرع في النظم قال فيه الحافظ ابن سيد الناس هو أحسن من الجزار والوراق مات سنة خمس وتسعين وستمائة ذكره السيوطي وقوله (الابوصيري) فيه نظر لان اسم القرية وهي أربعة بمصر بوصير بضم الموحدة واسكان الواو وكسر الصاد المهملة واسكان التحتية وراء والنسبة اليها بوصيري كما في المراصد واللباب وانه في باب الموحدة ولم يذكر واشيا في الهمزة وقال ابن حجر الهيتمي كان أحد أبوي المذكور من بوصير الصعيد والآخر من دلاص أي بفتح الدال المهملة قرية بالبهنسى أي كفر مصري كما في المراصد والقاموس فركبت النسبة منهما فقيل الدلاصيري ثم اشتهر بالبوصيري قيل ولعلها بلد أبيه فغلبت عليه انتهى أو لنشأته بها كما مر عن السيوطي ولو سلم ان القرية بلفظ الكنية فانما يقال في النسبة صيري بحذف الجزء الاول كما يقال بكري في النسبة الى أبي بكر اذ لا ينسب الى الاسمين معا المضاف والمضاف اليه لان اعراب أولهما بحسب العوامل والثاني مخفوض بالاضافة كما بينه الشاطبي والرضي وغيرهما (حيث قال ويح) نصب بفعل محذوف لا بالنداء كلمة ترحم لمن وقع في مهلكة لا يستحقها فالترحم من حيث قرابتهم له عليه السلام وانهم من عمود نسبه وجلدته ولا محظور فيه لا لان كثيرا منهم أسلم بعد فالترحم باعتبار المآل اذ لم يقعوا في هلكة أصلا فلا يقال فيهم ويح (قوم جفوا نبيا) أبغضوه وآذوه أشد الاذى بل قصدوا قتله (بأرض * ألفته ضبابها) جمع ضب (والظباء) جمع ظبي ويأتي حديثهما في المعجزات (وسلوه) أي نفرت قلوبهم عنه حتى هجروه مع نشأته فيهم وعلمهم بغاية نزاهته وكماله (و) الحال انه قد (حن جذع اليه *) كان يخطب عليه بالمدينة قبل أن يصنع له المنبر فصار يخور كما يخور الثور حتى نزل وضمه كما يأتي ان شاء الله تعالى في المعجزات (وقلوه) أبغضوه (و) الحال انه قد (وده الغرباء) كالانصار الذين ليسوا من عشيرته ولا عرفوا في ابتداء وداده هم له ما عرفه قومه من كماله الظاهر وفضله الباهر (أخرجوه) بدل من جفوه أي كانوا السبب في خروجه (منها) من تلك الارض التي هي وطنه ووطن آبائه (وآواه غار *) بجبل ثور (وحمته) منهم (حمامة ورقاء) لونها أبيض يخالطه سواد فباضت عليه (وكفته بنسجها عنكبوت *) دويبة تنسج في الهواء يقع على الواحد والجمع والذكر والانثى والجمع العناكب (ما) أي الاعداء الذين (كفته) اياهم (الحمامة الحصداء يقال) لغة (شجرة حصداء) اي كثيرة الورق فكأنه استعاره للحمامة لكثرة ريشها) أي استعارة مصرحة حيث شبه كثرة الريش بكثرة الورق واستعار له اسمها ووصفها بورقاء وحصداء لاجتماعهما فيها ومنع تعدد الوصف انما هو اذا كان بمتضادين

أشهر وما فرغت من قراءتها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسر بالقراءة في صلاة الليل تارة ويجهر به تارة ويطيل القيام تارة ويخففه تارة ويوتر آخر الليل وهو الاكثر واوله تارة واوسطه تارة وكان يصلي التطوع بالليل والنهار على راحلته في السفر قبل أي جهة توجهت به فيركع ويسجد عليها ايماء ويجعل سجوده أخفض من ركوعه وقد روى أحمد وأبو داود عن أنس بن مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد ان يصلي على راحلته تطوعا استقبل القبلة فكبر للصلاة ثم خلى عن راحلته ثم صلى أينما توجهت به فاختلف الرواة عن أحمد هل يلزمه ان يفعل ذلك اذا قدر عليه على روايتين فان أمكنه الاستدارة الى القبلة في صلاته كلها مثل أن يكون في محمل أو عمارة ونحوها فهل يلزمه أو يجوز له انه يصلي حيث توجهت به الراحلة فروى محمد بن الحكم عن أحمد من صلى في محمل فانه لا يجزيه الا ان يستقبل القبلة لانه يمكنه ان يدور وصاحب

أو منها ثلاثين وزعم ان البيت حرفه شراحه والمصنف واغماه وما كتبه الجنانة تجى بنونين لانها تجن البدن أى تستره والحصداء المحكمة النسج كما فى اللغة وده شيخنا بأن المناسب للسياق والقصة ماذكروه وهم ثقات وتلقوه بسندهم الى الناظم وأدرى بكلامه فلا وجه للعدول عنه الى غيره وان صح فى نفسه لغة (وفى حديث مروى فى الهجرة) وذكره عياض فى الشفاء (انه عليه السلام ناداه ثبير) لما صعده (اهبط عنى فانى أخاف ان تقتل على ظهرى فأعذب) بالنصب عطفا على تقتل وانما خاف العذاب لانه لولم يذكر له ذلك مع علمه بأنه لا مكان فيه يستره كان غشاه يستحق به العذاب اولانه لوقتل على ظهره غضب الله على المكان الذى يقع فيه مثل هذا الامر العظيم كما غضب على أرض ثمود فلا يرد كيف يعذب بذنب غيره ولا تزر وازرة وزر أخرى ويوجه بأن خوفه بمعنى حزنه وتأسفه عليه ونحو ذلك من الاوجه له (فناداه حراء الى يارسول الله) وهو مقابل ثبير مما يلى شمال الشمس وبينهما الوادى وهما على يسار السالك الى منى ولم يذهب له لسبق عبده فيه فخشى طلبهم فيه لما عهدوه من ذهابه اليه فذهب الى ثور دون غيره لحبه الفال الحسن فقد قيل الارض مستقرة على قرن الثور فناسب استقراره فيه تفاؤلا بالطمانينة والاستقرار فيما قصده هو وصاحبه قال السهيلى وأحسب فى الحديث ان ثورا ناداه أيضا لما قال له ثبير اهبط عنى انتهى وذكر بعضهم انه ذهب الى حنين فناداه اهبط عنى فانى أخاف ان تقتل على ظهرى فاعذب فناداه ثور الى يارسول الله فان صح ذلك كله فيحتمل انه ذهب له أولا فلما قال ذلك وناداه حراء لم يذهب له لما ذكر فناداه ثور ان صح أوذهب اليه دون نداء لكن الذى فى الحديث الصحيح انهما وعدا الدليل غار ثور بعد ثلاث ليال يقتضى انهما ماخرجا الا قاصدين اليه (وذكر قاسم بن ثابت) بن حزم أبو محمد العوفى السرقسطى الاندلسى المالكى الفقيه المحدث المقدم فى المعرفة بالغريب والنحو والشعر المشارك لابيه فى رحلته وشيوخه الورع الناسك مجاب الدعوة سأله الامير أن يلى القضاء فامتنع فاراد أبوه اكراهه فقال امهلنى ثلاثة أيام فمات فيها سنة ستين وثلثمائة فكانوا يرون انه دعا على نفسه بالموت (فى الدلائل) فى شرح ما أغفل أبو عبيد وابن قتيبة من غريب الحديث مات قاسم ولم يكمله فاتمه أبوه ثابت الحافظ المشهور (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وأبو بكر معه أنبت الله على بابه الراءة) بالراء المهملة والمد والهمز والجمع الراء بلا هاء كما فى القاموس (قال) قاسم المذكور (وهى شجرة معروفة) فحجبت عن الغار أعين الكفار الى هنا كلام قاسم كما فى النور قال المصنف تبعا لابن هشام (وهى أم غيلان) بفتح المعجمة ضرب من العضاه كما فى المصباح (وعن أبى حنيفة) الدينورى كما فى الشامية لا الامام الراءة من اعلاث الشجر (تكون مثل قامة الانسان لها خيطان و زهر أبيض يحشى به المخاد) بفتح الميم جمع مخدة بكسرها (فيكون كالريش لخفته ولينه لانه كالقطن فحجبت عن الغار أعين الكفار) من كلام قاسم كما علم قال فى النور هذه الشجرة التى وصفها أبو حنيفة غالب ظنى انها العشار كذا رأيتها بارض البركة خارج القاهرة وهى تنفق عن مثل قطن يشبه الريش فى الخفة ورأيت من يجعله فى اللحف فى القاهرة انتهى (وفى مسند البزار) من حديث أبى مصعب المكى قال أدركت زيد بن أرقم والمغيرة بن شعبة وأنس بن مالك يتحدثون ان النبى صلى الله عليه وسلم لما كان ليلة بات فى الغار أمر الله تعالى شجرة فنبتت فى وجه الغار فسترت وجه النبى صلى الله عليه وسلم و(ان الله عزوجل) أمر العنكبوت فنسجت على وجه الغار) هكذا أوله عند البزار ولوساقه المصنف من أوله كان أولى لان فيه تقوية ما ذكره قاسم وما كان يزيد به الكتاب وقدرواه أحمد عن ابن عباس وفيه ونسج العنكبوت على بابه أى فالشجرة لما نبتت على وجه الغار انتشرت أغصانها فغطت فمه ونسج العنكبوت عليه فصار نسجها بين أغصانها وفتحه الغار وقول بعض نسجت ما بين فروع الشجرة كنسج أربع سنين مخالف لرواية البزار

الراحلة والدابة لا يمكنه و روى عنه أبو طالب انه قال الاستدارة فى المحمل شديدة يصلى حيث كان وجهه واختلفت الرواية عنه فى السجود فى المحمل فروى عنه ابنه عبد الله انه قال وان كان محملا فقدر أن يسجد فى المحمل فيسجد وروى عنه الميمونى اذا صلى فى المحمل أحب الى أن يسجد لانه يمكنه وروى عنه الفضل بن زياد يسجد فى المحمل اذا أمكنه وروى عنه جعفر بن محمد السجود على المرفقة اذا كان فى المحمل وربما أسند على البعير ولكن يومئ ويجعل السجود أخفض من الركوع وكذا روى عنه أبو داود

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم) فى صلاة الضحى روى البخارى فى صحيحه عن عائشة رضى الله عنها قالت مارأيت صلى الله عليه وسلم يصلى سبحة الضحى وانى لاسبحها وروى أيضا من حديث مورق العجلى قلت لابن عمر أتصلى الضحى قال لا قلت فعمر قال لا قلت فابو بكر قال لا قلت فالنبى صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله وذكر عن ابن

ولرواية أحمد أشد مخالفة اللهم الا ان يراد انها نسجت على مقابل وجهه فيصدق بالملتصق بفمه
وعا بين أغصان الشجرة المقابلة لفم الغار لكن فيه رد الروايات المسندة الى كلام لا يعلم حاله
(وأرسل حمامتين وحشيتين فوقفتا على وجه الغار) فعششتا على بابه (وان ذلك مما صد المشركين
عنه وان حمام الحرم من نسل تينك الحمامتين) جزاء وفاقا لما حصل بهما الحماية جوزيا بالنسل
وحمايته في الحرم فلا يتعرض له وفي المثل آمن من حمام الحرم (ثم أقبل فتيان قريش من كل بطن
بعصيهم وهراويهم) بفتح الهاء الاولى جمع هراوة وهي العصا الضخمة فهو عطف خاص على عام
قال البرهان وكان ينبغي ان يكتب بالالف وينطق بها فيقال هراواهم أو أنه يقال هراوي وهراوى
كصحاري وصحارى (وسيوفهم فجعل بعضهم ينظر في الغار فرأى حمامتين وحشيتين بفم الغار) هذا
ظاهر في قربه منه جدا وفي الشامية حتى اذا كانوا من الغار على أربعين ذراعا جعل بعضهم ينظر فيه
ولا منافاة في الاكتفاء حتى اذا كانوا من النبي صلى الله عليه وسلم على قدر أربعين ذراعا تقدم أحدهم
فنظر فرأى الحمامتين (فرجع الى أصحابه فقالوا له مالك فقال رأيت حمامتين وحشيتين فعرفت انه
ليس فيه أحد) زاد في رواية فسمع النبي صلى الله عليه وسلم ما قال فعرف ان الله قد درأ عنه (وقال آخر
ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف) الكافر المقتول ببدر (وما أربكم) بفتحتين وبكسر فسكون أي
حاجتكم (الى الغار ان فيه لعنكبوتا أقدم من ميلاد محمد) تتمة الحديث ثم جاء فبال وفي حديث أسماء
عند الطبراني وخرجت من قريش حين فقدوهما وجعلوا في النبي صلى الله عليه وسلم مائة ناقة وطافوا
في جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله ان هذا الرجل
ليرانا وكان مواجهه فقال كلا ان ثلاثة من الملائكة تسترنا بأجنحتها فجلس ذلك الرجل يبول مواجه
الغار فقال صلى الله عليه وسلم لو كان يرانا ما فعل هذا ويرا ان القائف قعد يبول فيحتمل انه هو أو أمية
أو غيرهما (وقد روى ان الحمامتين باضتا في أسفل النقب ونسج) بالجيم (العنكبوت) والنسج في الاصل
الحياكة استعمل في فعل العنكبوت مجازا لما بينهما من المشابهة وفي حياة الحيوان العنكبوت دويبة
تنسج في الهواء ومنه نوع من حكمته أنه يمد السدى ثم يعمل اللحمة ويبتدئ من الوسط ونسجها ليس
من جوفها بل من خارج جلدها وفمها مشقوق بالطول وهذا النوع ينسج بيته دائما مثلث الشكل
وسعته بحيث يغيب فيه شخصها (فقالوا لو دخل لكسر البيض وتفسخ) بمعجمة تقطع (العنكبوت
وهذا أبلغ في الاعجاز من مقاومة القوم بالجنود) لانها معتادة ونبات الشجرة وبيض الحمام ونسج
العنكبوت في زمن يسير مع حصول الوقاية به خارق للعادة (فتأمل) انظر بعين البصيرة (كيف أظلت
الشجرة المطلوب وأضلت) حيرت (الطالب وجاءت عنكبوت فسدت باب الطلب وحاكت وجه المكان)
أي نزلت فيه وثبتت من قولهم حاك في صدري كذا اذا رسخ (فحاكت ثوب نسجها) أي أوجدت الثوب
الذي نسجته وهو ما على فم الغار من نسجها (فحاكت) أي آثرت (سترا) بما نسجته (حتى عمي على
القائف الطلب) من قولهم حاك الشيء اذا أثر وأنشد لغيره بيتا هو (والعنكبوت أجادت) أحكمت
(حوك) نسج (حلتها *) أي ما نسجته والحلة لغة ازار ورداء فاستعار له اسمها وأطلقه على ما نسجته
(فما تخال) تظن (خلال النسج من خلل) أي فبسبب ذلك الاحكام لا ترى خللا فيما نسجته وعبر عن
الرؤية بالظن مجازا (ولقد حصل للعنكبوت الشرف بذلك) وروى ان حمام مكة أظلته صلى الله
عليه وسلم يوم فتح مكة فدعا لها بالبركة ونهى عن قتل العنكبوت وقال هي جند من جنود الله وقد
روى الديلمي في مسند الفردوس مسلسلا بمحبة العنكبوت حديثا قال أخبرنا والدي قال وأنا أحبها
اخبرنا فلان وأنا أحبها حتى قال عن أبي بكر لا أزال أحب العنكبوت منذ رأيت النبي صلى الله عليه وسلم

أبي ليلى قال ما حدثنا
أحد انه رأى النبي صلى
الله عليه وسلم يصلي
الضحى غير أم هانئ فانها
قالت ان النبي صلى الله
عليه وسلم دخل بيتها
يوم فتح مكة فاغتسل
وصلى ثمان ركعات فلم
أر صلاة قط أخف منها
غير انه يتم الركوع
والسجود وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن
شقيق قال سألت عائشة
هل كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصلي
الضحى قالت لا الا ان
يجيء من مغيبه قلت هل
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرن بين
السور قالت من المفصل
وفي صحيح مسلم عن
عن عائشة قالت كان
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يصلي الضحى أربعا
ويزيد ما شاء الله وفي
الصحيحين عن أم هانئ
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم صلى يوم
الفتح ثمان ركعات
وذلك ضحى وقال الحاكم
في المستدرك حدثنا
الاصم حدثنا الصنعاني
حدثنا ابن أبي مريم حدثنا
بكر بن مضر حدثنا
عمرو بن الحرث عن بكر
ابن الاشج عن الضحاك
عن عبد الله عن أنس
رضي الله عنه قال رأيت

أحيراو يقول جزى الله العنكبوت عنا خيرا فانها نسجت علي وعليك يا أبا بكر في الغار حتى لم يرنا المشركون ولم يصلوا الينا وكذا رواه أبو سعد السمان البصري في مسلسلاته قال في العمدة الا ان البيوت تطهر من نسجها انتهى وأسند الثعلبي وابن عطية وغيرهما عن علي قال طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر وأخرج ابن عدي عن ابن عمر رفعه العنكبوت شيطان مسخه الله فاقتلوه وهو حديث ضعيف ورواه أبو داود مرسلا بدون مسخه الله (وما أحسن قول ابن النقيب) محمد بن الحسن الكناني من مشاهير الشعراء مات سنة سبع وثمانين وستمائة عن تسع وسبعين سنة (ودود القز ان نسجت حريرا * يجمل لبسه في كل شئ) أي في كل حال من الاحوال للابس فليست اشرف من غيرها مطلقا (فان العنكبوت أجل منها * بما نسجت على رأس النبي) فهو علة لجواب الشرط المحذوف وما مصدرية أي بنسجها (وروى انه صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم) بهمزة قطع (أبصارهم) اجعلها كالعمياء الادراك ولم يرد الدعاء عليهم بالعمى الحقيقي اذ لو أراده لعموا لانه مجاب الدعوة ولم يعموا كما أفاده قوله (فعميت عن دخوله) ويصرح به قوله (وجعلوا يضربون يمينا وشمالا حول الغار وهذا يشير اليه قول صاحب البردة أقسمت) حلفت (بالقمر المنشق) آية للنبي صلى الله عليه وسلم وجواب القسم (ان له *) أي للقمر المنشق (من قلبه نسبة) شبها بقلب المصطفى في انشقاق كل منهما وما أحلى قوله في الهمزية * شق عن قلبه وشق له البدر * (مبرورة القسم) صفة يمينا دل عليه أقسمت قيل والقسم جائز بالقمر ويحتمل تقدير مضاف أي برب القمر (وما) منصوب بتقدير اذكر أو مجرور عطفا على القمر وجوابه مقدر بما قبله أي ان له من قلبه نسبة أي واذكر من أو وأقسمت بمن (حوى) جمعه (الغار من خير ومن كرم *) يعني المصطفى والصديق وصفهما بما هو من شأنهما وجوز بقاءهما على معناها وحمل الخير والكرم على صفاتهما أي ما جمعه الغار من الخير والكرم الصادرين من النبي صلى الله عليه وسلم والصديق وقال المصنف من خير بكسر الخاء وقيل بفتحها فالكرم عطف خاص على عام وقال غيره بفتح الخاء وقيل بكسرها والخطب سهل (وكل طرف) بصر (من الكفار عنه) عن المحوى (عمى) والجملة حال من ما وعمى يحتمل الفعل والاسم ويمكن الياء على الاول للوقف وردها على الثاني له أيضا على لغة (فالصدق) أي النبي صلى الله عليه وسلم مبالغة أو فذو الصدق وهو (في الغار والصديق) وهو فيه (لم يرما *) بكسر الراء لم يبرحا يقال لا أريم مكانه أي لا أبرح وأصله يريما بياء قبل الميم حذفت تبعا لحذفها في اسناده الى المفرد لالتقاء الساكنين والمعروف في مثله اثبات الياء نحو فاستقيما (وهم) أي الكفار (يقولون ما بالغار من أرم) بفتح الهمزة وكسر الراء أي أحد نظرا الى حوم الحمام حول الغار ونسج العنكبوت على فمه كما أشار اليه قوله (ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على * خير البرية) الخلق (لم تنسج) بفتح التاء وكسر السين وضمها العنكبوت (ولم تحم) لم تدر الحمام حوله ففيه لف ونشر مقلوب (وقاية الله) حفظه بهذين الضعيفين جدا من عدوه مع شدة بأسه (أغنت) كفت (عن مضاعفة * من الدروع) بمهملة أي من الدروع المضاعفة وهي المنسوجة حلقتين حلقتين تلبس للحفظ من العدو (وعن عال من الاطم) بضم الهمزة والطاء الحصون التي يتحصن فيها (أي عموا عما في الغار مع خلق الله ذلك) العمى المفهوم من قوله قبل فعميت عن دخوله (فيهم) والمراد ان الله خلق في أعينهم هيئة منعتهم الرؤية مع سلامة أبصارهم (لانهم ظنوا ان الحمام لا تحوم حوله عليه السلام) لان عادته النفرة (وان العنكبوت لا تنسج عليه عليه السلام لما جرت) به (العادة ان هذين الحيوانين متوحشان لا يألفان معمورا فهم أحسا بالانسان فرا منه) وقد روى ان المشركين لما مروا على باب الغار طارت الحمامتان فنظروا بيضهما ونسج العنكبوت فقالوا لو كان هنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في سفر سبحة الضحى صلى ثمان ركعات فلما انصرف قال اني صليت صلاة رغبة ورهبة فسألت ربي ثلاثا فاعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألته ان لا يقتل أمتي بالسنين ففعل وسألته ان لا يظهر عليهم عدوا ففعل وسألته ان لا يلبسهم شيعا فأبى علي قال الحاكم صحيح قلت الضحاك ابن عبد الله هذا ينظر من هو وما حاله وقال الحاكم في كتاب فضل الضحى حدثنا أبو بكر الفقيه أخبرنا بشر بن يحيى حدثنا محمد بن صالح الدولابي حدثنا خالد بن عبد الله بن الحصين عن هلال بن يساف عن زاذان عن عائشة رضي الله عنها صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الضحى ثم قال اللهم اغفر لي وارحمني وتب علي انك أنت التواب الرحيم الغفور حتى قالها مائة مرة حدثنا أبو العباس الاصم حدثنا أسد بن عاصم حدثنا الحصين ابن حفص عن سفيان عن عمر بن ذر عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى

أحد لما كان هنا حمام فلما سمع صلى الله عليه وسلم حديثهم علم ان الله حماهما بالحمام وصرف كيدهم بالعنكبوت (وما علموا ان الله يسخر ماشاء من خلقه لمن شاء من خلقه) وقد سخر الاسد ولبوته ولدانيال في الجب حتى صارا يلحسانه وسخر العصا ثعبانا لموسى وهرون اذا نامتا تدور حولهما وتحميهما ولكن ماهنا أبلغ في اذلال المشركين لما نالهم من شدة الحسرة لما علموا بعد ذلك وأنهم منعوا بشئ لا يضرهم لو أزالوه بزعمهم بخلاف الاسد والحية (وأن وقاية الله عبده بما شاء تغني عبده عن التحصن بمضاعفة من الدروع وعن التحصن بالعالي من الاطم وهي الحصون فلله در الابوصيري من شاعر وما أحسن قوله في قصيدته اللامية) التي أولها

الى متى أنت باللذات مشغول ❊ وأنت عن كل ماقدمت مسؤل

(حيث قال) في الجمع بين هذا وما قبله تسامح (واغيرتا حين اضحى الغار وهو به ❊)عبر بالندبة أسفا على مافعله قومه معه حتى ألجؤه الى دخول الغار (كمثل قلبي)صفة مصدر محذوف أي تعميرا وتأهيل قلبي (معمور ومأهول) والجملة خبر أضحى (كانما المصطفى فيه وصاحبه الـ ❊ صديق ليثان) أسدان (قد آواهما غيل) بكسر المعجمة أجمة أو شجر كثير ملتف فلا يستطاع الوصول اليهما (وجلل) بجيم غطى (الغار نسج العنكبوت على ❊ وهن) ضعف (فياحبذا نسج وتجليل) تغطية (عناية) بكسر العين وفتحها مصدر عناه يعنيه ويعنوه (ضل) من الضلال ضد الرشاد (كيد المشركين) مكرهم وخديعتهم (بها ❊ وما مكايدهم الا الاضاليل) جمع أضليلة من الضلال (اذ ينظرون) الحمام وبيضه ونسج العنكبوت (وهم لا يبصرونهما) أي النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه (كأن أبصارهم من زيغها حول) وهذا من بقاء بصرهم أبلغ من عماهم (وفي) الحديث (الصحيح) الذي أخرجه البخاري في المناقب والهجرة والتفسير ومسلم في الفضائل والترمذي في التفسير والامام أحمد كلهم (عن أنس) قال (قال أبو بكر) وفي التفسير من البخاري حدثنا أنس قال حدثني أبو بكر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار وزاد في الهجرة فرفعت راسي فرأيت اقدام القوم (لوان أحدهم نظر الى قدميه) بالتثنية (لرآنا) لابصرنا قال الحافظ وفيه مجيء لو الشرطية للاستقبال خلافا للاكثر واستدل من جوزه بمجيء الفعل المضارع بعدها كقوله تعالى لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم وعلى هذا فيكون قاله حالة وقوفهم على الغار وعلى قول الاكثر يكون قاله بعد مضيهم شكر الله تعالى على صيانتهما (فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ماظنك) استفهام تعظيم أي أي ظن تظنه أي لا تظن الا أعظم ظن (باثنين الله ثالثهما) أي جاعلهما ثلاثة بضم ذاته تعالى اليهما في المعية المعنوية المشار اليها بقوله تعالى ان الله معنا وهو من قوله ثاني اثنين اذ هما في الغار ومن لازم ذلك الظن انه لا يصل اليهما سوء وذكر بعض أهل السير ان أبا بكر لما قال ذلك قال له صلى الله عليه وسلم لو جاؤنا من ههنا لذهبنا من ههنا فنظر الصديق الى الغار قد انفرج من الجانب الآخر واذا البحر قد اتصل به وسفينة مشدودة الى جانبه قال ابن كثير وهذا ليس بمنكر من حيث القدرة لعظيمة ولكن لم يرد ذلك باسناد قوى ولا ضعيف ولسنا نثبت شيأ من تلقاء أنفسنا (وروى ان أبا بكر قال نظرت الى قدمي رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وقد تقطرتا دما) أي سال دمهما فدما تمييز محول عن الفاعل أي تقطر دم قدميه حتى أسال دمهما (فاستبكيت) السين زائدة للتأكيد لا للطلب لما علم من رقة قلبه وشدة حبه للمصطفى المقتضي لغلبة البكاء بلا استجلاب له (وعلمت انه) بحذف مفعول علمت أي أن ما أصابه انما هو لما ناله من المشقة لانه (لم يكن تعود الحفى) بفتح المهملة مقصور المشي بلا خف ولا نعل (والجفوة) بفتح الجيم وتكسر أي الجفاء أي لم يتعود كونه مجفوا أولم

ركعتين وأربعا وستا وثمانيا وقال الامام أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا عثمان ابن عبد الملك العمري حدثتنا عائشة بنت سعد عن أم درة قالت رأيت عائشة رضي الله عنها تصلي الضحى وتقول مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الأربع ركعات وقال الحاكم أيضا أخبرنا أبو أحمد بكر بن محمد المروزي حدثنا أبو قلابة حدثنا أبو الوليد حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن مرة عن عمارة ابن عمير عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى قال الحاكم أيضا حدثنا اسماعيل بن محمد حدثنا محمد بن عدي بن كامل حدثنا وهب بن بقية الواسطي حدثنا خالد بن عبد الله عن محمد ابن قيس عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الضحى ست ركعات ثم روى الحاكم عن اسحق ابن بشير المحاملي حدثنا عيسى بن موسى عن جابر عن عمر بن صبيح عن مقاتل بن حيان عن مسلم بن صبيح عن

يتعود أن في قومه جفوة قاله قال في الرياض النضرة ويشبه أن يكون ذلك من خشونة الجبل وكان حافيا والا فبعد المكان لا يحتمل ذلك أو لعلهم ضلوا طريق الغار حتى بعدت المسافة ويدل عليه رواية فمشى رسول الله ولا يحتمل ذلك مشى ليلة الا بتقدير ذلك أو سلوك غير الطريق تعمية على الطالب انتهى ويروى انه عليه السلام خلع نعليه في الطريق وعند ابن حبان انهما ركبا حتى أتيا الغار فتواريا ولا ينافي ذلك ما روي من تعب المصطفى وحمل أبي بكر اياه على كاهله لاحتمال ان يكون ذلك في بعض الطريق قال في الوفا ولا ينافي ركوبهما مواعدتهما الدليل بأن يأتي بالراحلتين بعد ثلاث لاحتمال انهما ركبا غير الراحلتين أو هما ثم ذهب بهما ابن فهيرة الى الدليل ليأتي بعد ثلاث وفي دلائل النبوة من مرسل ابن سيرين وهو عند أبي القاسم البغوي من مرسل ابن أبي مليكة وابن هشام عن الحسن البصري بلاغا ان أبا بكر ليلة انطلق معه صلى الله عليه وسلم الى الغار كان يمشي بين يديه ساعة ومن خلفه ساعة فسأله فقال أذكر الطلب فأمشي خلفك وأذكر الرصد فأمشي أمامك فقال لو كان شئ أحببت أن تقتل دوني قال أي والذي بعثك بالحق فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ لك الغار فاستبرأه (وروى أن أبا بكر دخل الغار قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقيه بنفسه وانه رأى جحرا) بضم الجيم واسكان المهملة (فيه فألقمه عقبه) بعد أن سد غيره بثوبه فيروى انه قال والذي بعثك بالحق لا تدخله حتى أدخله قبلك فان كان فيه شئ نزل بي قبلك فدخله فجعل يلتمس بيده فكلما رأى جحرا قطع من ثوبه وألقمه الجحر حتى فعل ذلك بثوبه أجمع فبقي جحر فوضع عقبه عليه وروى ابن أبي شيبة وابن المنذر عن أبي بكر انهما لما انتهيا الى الغار اذا جحر فالقمه أبو بكر رجليه وقال يا رسول الله ان كانت لدغة أو لسعة كانت بي وهو صريح في القامه رجليه جميعا فتحمل رواية عقبه على الجنس فتصدق بهما وهي مبينة للمراد من رجليه (لئلا يخرج منه ما يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم) لاشتهاره بكونه مسكن الهوام فدخل فرأى غارا مظلما فجلس وجعل يلتمس بيده كلما وجد جحرا أدخل فيه أصبعه حتى انتهى الى جحر كبير فأدخل رجله الى فخذه كذا في البغوي (فجعلت الحيات والافاعي تضربنه وتلسعنه) عطف تفسير (فجعلت دموعه تتحدر من ألم لسعها (وفي رواية) عن عمر بن الخطاب ثم قال أي بعد استبرائه الغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم أدخل فاني سويت لك مكانا (فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضع رأسه في حجر أبي بكر) بكسر الحاء وسكون الجيم (ونام فلدغ) بمهملة فمعجمة لذوات السموم وعكسه للذع النار (أبو بكر في رجله من الجحر ولم يتحرك) لئلا يوقظ المصطفى (فسقطت دموعه على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالك يا أبا بكر قال لدغت فداك أبي وأمي فتفل) بالفوقية (عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فذهب ما يجده رواه ابن رزين) بفتح الراء وكسر الزاي ابن معاوية أبو الحسن العبدري السرقسطي الاندلسي المالكي مؤلف تجريد الصحاح جمع فيه الموطا والصحيحين وسنن أبي داود والترمذي والنسائي قال ابن بشكوال كان صالحا فاضلا عالما بالحديث وغيره جاور بمكة أعواما وبها مات سنة خمس وعشرين وقيل خمس وثلاثين وخمسمائة وفي الرياض النضرة فلما أصبحا رأى على أبي بكر أثر الورم فسأله فقال من لدغة الحية فقال هلا أخبرتني قال كرهت ان أوقظك فسحه فذهب ما به من الورم ولابي نعيم عن أنس فلما أصبح قال لابي بكر أين ثوبك فأخبره بالذي صنع فرفع صلى الله عليه وسلم يديه وقال اللهم اجعل أبا بكر معي في درجتي في الجنة فأوحى الله اليه قد استجبنا لك وعن ابن عباس فقال له صلى الله عليه وسلم رحمك الله صدقتني حين كذبني الناس ونصرتني حين خذلني الناس وآمنت بي حين كفر بي الناس وآنستني في وحشتي والظاهر كما قال شيخنا انه كان عليه غير ثوبه مما يستر جميع

مسروق عن عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما قالا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الضحى ثنتي عشرة ركعة وذكر حديثا طويلا قال الحاكم أخبرنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي حدثنا أبو قلابة الرقاشي حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي اسحق عن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى وبه الى أبي الوليد حدثنا أبو عوانة عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن مرة عن عمارة بن عمير العبدي عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه انه أى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى قال الحاكم وفي الباب عن أبي سعيد الخدري وأبي ذر الغفاري وزيد بن أرقم وأبي هريرة وبريدة الأسلمي وأبي الدرداء وعبد الله بن أبي أوفى وعتبان بن مالك وأنس ابن مالك وعتبة بن عبد الله السلمي ونعيم ابن همار الغطفاني وأبي أمامة الباهلي رضي الله عنهم ومن النساء عائشة بنت أبي بكر وأم هانئ وأم سلمة رضي الله عنهم كلهم شهدوا أن

البدن اذلم ينقل طلبه لغيره ممن كان يأتي لهما بالغار كابنه وابن فهيرة و روى ابن مردويه عن جندب ابن سفيان قال لما انطلق أبو بكر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغار قال يا رسول الله لا تدخل الغار حتى أستبرئه لقطع الشبهة عني فدخل أبو بكر الغار فاصاب يده شئ فجعل يمسح الدم عن أصبعيه و يقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت

وذكر الواقدي وابن هشام ان ذا البيت للوليد بن الوليد بن المغيرة الصحابي لما رجع في صلح الحديبية الى المدينة وعثر بحرتها فانقطعت أصبعه وروى ابن أبي الدنيا ان جعفر الما قتل بمؤتة دعا الناس بعبد الله بن رواحة فاقبل فاصيب أصبعه فارتجز يقول

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت
يا نفس الا تقتلي تموتي * هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيه فقد لقيت * ان تفعلي فعلهما هديت

وروى الشيخان وغيرهما عن جندب بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ أصابه حجر فدميت أصبعه فقال هل أنت البيت والذي يظهر انه من انشاء الصديق وأن كلا من المصطفى والوليد تمثل به والممتنع على النبي عليه السلام انشاء الشعر لا انشاده وضمنه ابن رواحة شعره المذكور (وروى أيضا ان أبا بكر لما رأى القافة) أتوا على ثور وطلعوا فوقه كما في رواية (اشتد حزنه) و بكى وأقبل عليه الهم والخوف والحزن (على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان قتلت أنا رجل واحد) لا تهلك الامة بقتلي فلا يفوتهم نفع ولا يلحقهم ضرر (وان قتلت أنت هلكت الامة) بهلاك الدين (فعندها) و بعد فراغه من الصلاة (قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحزن ان الله معنا) فروى عن الحسن البصري جاءت قريش يطلبون النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي وأبو بكر يرتقب فقال هؤلاء قومك يطلبونك أما والله ما على نفسي أبكي ولكن مخافة ان أرى فيك ما أكره فقال لا تحزن ان الله معنا (يعني بالمعونة والنصر) فالمراد المعنوية لاستحالة الحسية في حقه تعالى لا بالعلم فقط اذ لا يختص بهما وهو معكم أينما كنتم (فانزل الله سكينته) عليه (وهي) أي السكينة (أمنة) بفتحتين أي حالة للنفس (تسكن عندها القلوب) لامنها مما تكرهه (على أبي بكر) فالضمير في الآية عائد على صاحبه في قول الاكثر قال البيضاوي وهو الاظهر (لانه كان منزعجا) لا على النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم تزل السكينة معه قاله ابن عباس كما رواه ابن مردويه والبيهقي وغيرهما (وأيده يعني النبي صلى الله عليه وسلم بجنود لم تروها يعني الملائكة ليحرسوه في الغار وليصرفوا وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته) عطف سبب على مسبب أي ليحرسوه بصرف وجوههم عنه وفي نسخ باو يعني ان القصد أحد الامرين وان لزم أولهما الثاني وقيل معناه القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا حكاهما البغوي مصدرا بما اقتصر عليه المصنف (أنظر) تأمل بعين البصيرة في أمر المصطفى وشفقته على الصديق (لما رأى) علم (الرسول حزن الصديق) مفعول رأى الاول والثاني (قد اشتد) ويجوز أنها بصرية مجاز الانه لما رأى ما علامه من الكآبة نزل الحزن القائم به منزلة المبصر حتى جعله مرئيا وعليه فالجملة حال (لكن لا على نفسه قوى) الرسول عليه السلام (قلبه ببشارة لا تحزن ان الله معنا وكانت تحفة) بفتح الحاء وتسكن ما أتحفت به غيرك كما في المصباح بمعنى الاتحاف أي كان اتحاف المصطفى لابي بكر بكونه (ثاني اثنين مدخرة له دون الجميع) أي جميع الصحابة (فهو الثاني) من الرجال (في الاسلام والثاني في بذل النفس والعمر وسبب الموت) عطف تفسير والمراد انه لما جعل نفسه وقاية له كانه بذل نفسه وعمره حفظا عليه السلام (للموقى

النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليها وذكر الطبراني من حديث علي وأنس وعائشة وجابر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الضحى ست ركعات فاختلف الناس في هذه الاحاديث على طرق منهم من رجح رواية الفعل على الترك بانها مثبتة تتضمن زيادة علم خفيت على النافي قالوا وقد يجوز أن يذهب علم مثل هذا على كثير من الناس ويوجد عند الاقل قالوا وقد أخبرت عائشة وأنس و جابر وأم هانئ وعلي بن أبي طالب انه صلاها قالوا و يؤيد هذا الاحاديث الصحيحة المتضمنة للوصية بها والمحافظة عليها ومدح فاعلها والثناء عليه ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال أوصاني خليلي محمد صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام من كل شهر وركعتي الضحى وان أوتر قبل ان أنام وفي صحيح مسلم نحوه عن أبي الدرداء وفي صحيح مسلم عن أبي ذر يرفعه قال يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل

الرسول صلى الله عليه وسلم بماله ونفسه) مستأنف استئنافا بيانيا كأنه قيل ما كان جزاؤه فيما فعل فقيل (جوزي بمواراته معه في رمسه وقام مؤذن التشريف ينادي على منائر الأمصار) جمع منارة بفتح الميم والقياس كسرها لانها آلة (ثاني اثنين اذ هما في الغار ولقد أحسن حسان حيث قال) يمدحه (وثاني اثنين في الغار المنيف) الزائد في الشرف على غيره بدخول أفضل الخلق فيه واقامته به هو وصاحبه (وقد * طاف العدو به اذ) لمجرد الوقت (صاعد) بالالف لعله بمعنى صعد بالتشديد لكن لم يذكره الجوهري واشدو لا المصباح صاعد (الجبلا) نصب بنزع الخافض والالف للاطلاق والمعنى اذ ارتقى العدو على الجبل (وكان) الصديق (حب) بكسر الحاء محبوب (رسول الله قد علموا) أي عامة الناس العارفين بحال المصطفى والصديق مسلما أو غيره (من الخلائق) متعلق بيعدل من قوله (لم يعدل به بدلا) وأنشد الشامي رجلا والتقدير علم كل أحد انه عليه السلام لم يعدل بأبي بكر احدا أي لم ينزل أحدا منزلته بحيث يجعله قائما مقامه وروى ابن عدي وابن عساكر عن أنس انه صلى الله عليه وسلم قال لحسان هل قلت في أبي بكر شيأ قال نعم قال قل وانا أسمع فقال وثاني اثنين الخ فضحك صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال صدقت يا حسان هو كما قلت فصريح هذا انه قالهما في حياته وفي ينبوع الحياة الذي أعرف أنهما من أبيات رثى بها حسان أبا بكر فهذا يخالف ذلك اذ الرثاء تعداد المحاسن بعد الموت وجمع باحتمال انه مدحه بهما في حياته ثم أدخلهما في مرثيته بعد وفاته (وتأمل) عطف على أنظر (قول موسى لبني اسرائيل كلا ان معي ربي سيهدين وقول نبينا صلى الله عليه وسلم للصديق ان الله معنا) قدم المسند اليه للاشارة الى أنه لا يزول عن الخاطر لشدة التعلق به أو لانه يستلذ به لكونه محبوبا للعباد اذ لا انفكاك لاحد عن الاحتياج اليه أو لتعظيمه بوصفه بالالوهية لان سائر صفات الكمال تتفرع عليه (فموسى خص) من ربه (بشهود المعية) اه وحده (ولم يتعد) ذلك الشهود (الى أتباعه ونبينا تعدى منه) شهوده (الى الصديق) لهذا (لم يقل معي لانه أمد أبا بكر بنوره فشهد سر المعية ومن ثم سرى سر السكينة الى أبي بكر والا لم يثبت تحت أعباء هذا التجلي والشهود) اذ ليس في طوق البشر الا بذلك الامداد (وأين) استفهام تعجب وتعظيم للفرق بين المقامين (معية الربوبية في قصة موسى عليه السلام) حيث قال ان معي ربي والرب من التربية وهي التنمية والاصلاح (معية الالهية في قصة نبينا صلى الله عليه وسلم) حيث عبر بالاسم الجامع لصفات الكمال (قاله العارف شمس الدين بن اللبان) محمد بن أحمد الدمشقي ثم المصري الشافعي الفقيه الاصولي النحوي الاديب الشاعر قدم مصر من دمشق فأكرمه ابن الرفعة اكراما كثيرا اختصر الروضة ورتب الام مات بالطاعون في شوال سنة تسع وأربعين وسبعمائة هذا وما نقله الشارح عن شرح الهمزية هو معنى ما نقله المصنف عن ابن اللبان (وأخرج أبو نعيم في الحلية عن عطاء بن ميسرة) الخراساني صدوق يهم ويرسل كثيرا روى له مسلم والاربعة ولم يصح ان البخاري أخرج له كما زعم المزي مات سنة خمس وثلاثين ومائة (قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود) عليه السلام (حين كان طالوت) بن قيس من ذرية بنيامين شقيق يوسف عليه السلام يقال انه كان سقاء ويقال كان دباغا (يطلبه) لان داود لما قتل جالوت رأس الجبارين وكان طالوت وعد من قتله ان يزوجه ابنته و يقاسمه الملك فوفى طالوت لداود قتله وعظم قدر داود في بني اسرائيل حتى استقل بالمملكة فتغيرت نية طالوت لداود وهم بقتله فلم يتفق له ذلك ثم رآه في برية فقال اليوم أقتله ففر منه ووجد مغارة فتوارى بها فنسجت العنكبوت عليه فمر به طالوت فلم يره فتاب وانخلع من الملك وخرج مجاهدا هو ومن معه من ولده حتى ماتوا كلهم شهداء وكانت مدة ملك طالوت أربعين سنة وانتقل ملكه الى داود واجتمعت عليه بنو اسرائيل ولم تجتمع

تكبيرة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزئ عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى وفي مسند الامام أحمد عن معاذ بن أنس الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد في مصلاه حين ينصرف من صلاة الصبح حتى يسبح ركعتي الضحى لا يقول الا خيرا غفر الله له خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وفي رواية الترمذي وسنن ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على سبحة الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وفي المسند والسنن عن نعيم بن همار قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل يا ابن آدم لا تعجزن عن أربع ركعات في أول النهار أكفك آخره ورواه الترمذي من حديث أبي الدرداء وأبي ذر وفي جامع الترمذي وسنن ابن ماجه عن أنس مرفوعا من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له في الجنة قصرا من ذهب وفي صحيح مسلم عن زيد بن

على ملك واحد الا عاليه ومدة ملكه سبع سنين فى قصة طويلة مذكورة فى المبتدا لابن اسحق كما فى فتح البارى (ومرة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الغار) لان كل كرامة ومعجزة أوتيها نبى لا بد وان يكون للمصطفى مثلها أو نظيرها أو أجل فنسج عليه العنكبوت كداود وتعدى الى بعض أصحابه وذريته كما قال (وكذا نسجت على الغار الذى دخله عبد الله بن أنيس) بن أسعد الجهنى الانصارى السلمى (لما بعثه صلى الله عليه وسلم لقتل خالد) بن سفيان (بن نبيح) بضم النون وفتح الموحدة واسكان التحتية وحاء مهملة (الهذلى) فنسبه المصنف لجده بناء على قول ابن اسحق ان البعث لخالد بن سفيان ابن نبيح وذكر ابن سعد انه سفيان بن خالد بن نبيح وتبعه المصنف فيما يأتى واليعمرى وغيرهما لانه كان يجمع الجموع للنبى صلى الله عليه وسلم (بعرنة) بالنون وادى عرفة (فقتله ثم حمل رأسه ودخل فى غار فنسجت عليه العنكبوت فجاء الطلب فلم يجدوا شيأ فانصرفوا راجعين) ثم سار بالرأس فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال أفلح الوجه قال ووجهك يا رسول الله ووضع الرأس بين يديه وأخبره الخبر فدفع صلى الله عليه وسلم اليه عصا كانت بيده وقال تخصر بهذه فى الجنة فلما حضره الموت أوصى أهله أن يجعلوها فى كفنه ففعلوا (وفى تاريخ ابن عساكر ان العنكبوت نسجت أيضا على عورة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب) رضى الله عنهم أبى الحسين المدنى الثقة ولد سنة ثمانين وروى عن أبيه وجماعة وأخرج له أصحاب السنن (لما صلب عريانا) أربع سنين كما فى تاريخ ابن عساكر وبه جزم غير واحد وقيل خمس سنين وكان قد بايعه خلق كثير من أهل الكوفة وقالوا تبرأ من أبى بكر وعمر فأبى فقالوا نرفضك فسموا الرافضة وقالت طائفة نتولاهما ونتبرأ ممن تبرأ منهما فسموا الزيدية فخرجوا معه وحارب متولى العراق لهشام بن عبد الملك وهو يوسف بن عمر ابن عم الحجاج الثقفى فظفر به يوسف فقتله وصلبه ووجهوه لغير القبلة فاستدارت خشبته الى القبلة ثم أحرقوا جسده وخشبته وذرى رماده فى الرياح على شاطئ الفرات وكان قتله وصلبه (فى) صفر (سنة احدى وعشرين ومائة) فيما قاله سعيد بن عفير وأبو بكر بن أبى شيبة وخليفة وآخرون قائلين وبقى مصلوبا الى سنة ست وعشرين وقال ابن سعد ومصعب فى ثانى صفر سنة عشرين وقال الليث بن سعد وهشام الكلبى والهيثم ابن عدى والزبير بن بكار وآخرون قتل يوم الاثنين ليومين مضيا من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة وقال ابن عساكر صلب فى سنة ست وعشرين قال البرهان وعليه يكون فى خلافة الوليد بن يزيد لان هشاما مات سنة خمس وعشرين ومائة (وكان مكثه صلى الله عليه وسلم وأبو بكر فى الغار ثلاث ليال) كما فى الصحيح فكمنا فيه ثلاث ليال (وقيل بضعة عشر يوما) رواه أحمد والحاكم عن طلحة البصرى مرسلا قال قال صلى الله عليه وسلم لبثت مع صاحبى فى الغار بضعة عشر يوما ما لنا طعام الا طعام البرير (والاول هو المشهور) كما قال ابن عبد البر وغيره وجمع الحاكم بأنهما كمنا فى الغار وفى الطريق بضعة عشر يوما لكن قال الحافظ لم يقع فى رواية أحمد ذكر الغار وهى زيادة فى الخبر من بعض رواته ولا يصح حمله على حال الهجرة لما فى الصحيح كما تراه من ان عامر بن فهيرة كان يروح عليهما فى الغار باللبن ولما وقع لهما فى الطريق من لقى الراعى ومن النزول بخيمة أم معبد وغير ذلك فالذى يظهر انها قصة أخرى انتهى (وكان يبيت عندهما) فى الغار (عبد الله بن أبى بكر) الصديق أصابه سهم فى غزوة الطائف فاندمل جرحه ثم نقض بعد ذلك فمات فى خلافة أبيه قال الحافظ وفى نسخة من البخارى عبد الرحمن وهو وهم (وهو غلام شاب ثقف) بفتح المثلثة وكسر القاف ويجوز اسكانها وفتحها كما قال الحافظ وتبعه المصنف وجوز البرهان ضمها وأسقطه الفتح بعدها فاء (أى حاذق) ثابت المعرفة بما يحتاج اليه) تفسير من المصنف زائد على الحديث وهو من الفتح وما ألطف قوله فى مقدمته أى فطن وزنا ومعنى (لقن) بفتح اللام وكسر القاف وتسكن

أرقم انه رأى قوما يصلون من الضحى فى مسجد قباء فقال أما لقد علموا أن الصلاة فى غير هذه الساعة أفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الاوابين حين ترمض الفصال وقوله ترمض الفصال أى يشتد حر النهار فيجد الفصال حرارة الرمضاء وفى الصحيح أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الضحى فى بيت عتبان ابن مالك ركعتين وفى مستدرك الحاكم من حديث خالد بن عبد الله الواسطى عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحافظ على صلاة الضحى الا أواب وقال هذا اسناد قد احتج بمثله مسلم بن الحجاج وانه حدث عن شيوخه عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ما أذن الله لشئ ما أذن لنبى يتغنى بالقرآن قال ولعل قائلا يقول قد أرسله حماد بن سلمة وعبد العزيز بن محمد الدراوردى عن محمد بن عمرو فيقال له خالد ابن عبد الله ثقة والزيادة من الثقة مقبولة ثم روى

كما فى النور يفطنون أى سريع الفهم (فيدلج) بضم الياء وسكون الدال ولابى ذر بشد الدال بعدها جيم كما قال المصنف واقتصر الحافظ وتبعه الشامى على رواية أبى ذر أى يخرج (من عندهما بسحر) الى مكة (فيصبح مع قريش بمكة كبائت) لشدة رجوعه بغلس يظنه من لا يعرف حقيقة أمره مثل البائت (فلا يسمع بأمر يكادان به) بضم التحتية فكاف فألف رواية الكشميهنى ولغيره يكتادانه بفتح أوله وفوقية بعد الكاف أى يطلب لهما فيه المكر وهو من الكيد (الا وعاه) حفظه (حتى يأتيهما بخبر ذلك اليوم حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة) بضم الفاء مصغر (مولى أبى بكر) من السابقين الاولين ذكر ابن عقبة عن ابن شهاب أن أبا بكر اشتراه من الطفيل بن سخبرة فأسلم فأعتقه وهو مخالف لما رواه الطبرانى عن عروة انه كان ممن يعذب فى الله فاشتراه ابو بكر فأعتقه استشهد ببئر معونة (منحة) بكسر الميم وسكون النون وفتح المهملة شاة تحلب اناء بالغداة واناء بالعشى قال الحافظ وتطلق أيضا على كل شاة (من غنم) ذكر ابن عقبة عن الزهرى انها كانت لابى بكر فكان يروح عليهما الغنم كل ليلة فيحلبان ثم يسرح بكرة فيصبح فى رعيان الناس فلا يفطن له (فيريحها) بضم أوله أى يردها قال المصنف أى الشاة أو الغنم (عليهما حين تذهب ساعة من العشاء) فيحلبان ويشربان (فيبيتان فى رسل) بكسر الراء وسكون المهملة لبن طرى (وهو لبن منحتهما) أسقط من الرواية ورضيفهما حتى ينعق بها عامر بن فهيرة بغلس * رضيف بفتح الراء وكسر المعجمة بزنة رغيف لبن فيه حجارة محماة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخاوته وهو بالرفع ويجوز الجر * وينعق بكسر المهملة يصيح بغنمه ويزجرها وفى رواية بهما بالتثنية أى يسمع المصطفى والصديق صوته اذا زجر غنمه (يفعل ذلك فى كل ليلة من تلك الليالى الثلاث) ولابن عقبة عن ابن شهاب وكان عامر أمينا مؤتمنا حسن الاسلام وفى رواية وكانت أسماء تأتيهما من مكة اذا أمست بما يصلحهما من الطعام وعند ابن اسحق فاذا أمسى عامر أراح عليهما غنم ابى بكر فاحتلبا وذبحا فاذا غدا عبد الله بن أبى بكر من عندهما تبع عامر اثره بالغنم حتى يعفى اثره وخرج معهما حتى قدم المدينة ولا ينافى بيات ابن الصديق عندهما وتردد عامر واسماء نسج العنكبوت على فم الغار لانه خارق فيجوز عدم نسج العنكبوت أو تكرر النسج كل يوم أو غير ذلك (واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر) قبل خروجهما من مكة بدليل وغداة الغار وقال فى الصحيح رجلا من بنى الديل وبينه ابن عقبة وابن سعد فقالا استأجر (عبد الله بن أريقط) بالقاف والطاء مصغر وسماه ابن اسحق فى رواية ابن هشام عبد الله بن أرقد وفى رواية الاموى عنه اريقد بالدال بدل الطاء والطاء أشهر وقال مالك فى العتبية اسمه رقيط والديل بكسر الدال وسكون التحتية وقيل بضم أوله وكسر ثانيه مهموز ذكره فى الفتح (دليلا) حال منتظرة أو ليكون دليلا (وهو) أى الرجل الذى استأجراه (على دين كفار قريش) من عبدة الاوثان لا من أهل الكتاب ومع ذلك سخره الله لهما ليقضى الله أمره وهذا من جملة الرواية (ولم يعرف له اسلام) هكذا جزم به الحافظ عبد الغنى المقدسى فى سيرته وتبعه النووى وقال السهيلى لم يكن اذ ذاك مسلما ولا وجدنا من طريق صحيح انه أسلم بعد ولا يعترض بان الواقدى ذكر أنه أسلم لانه قيد بصحيح وضعف الواقدى معلوم خصوصا مع الانفراد وكأنه سلف الذهبى فى عده صحابيا وقد قال فى الاصابة لم أر من ذكره فى الصحابة الا الذهبى فى التجريد ووصفه فى الرواية بأنه كان هاديا خريتا أى سادا بالطريق قال والخريت أى بكسر الخاء المعجمة والراء الثقيلة وتحتية ساكنة وفوقية الماهر بالهداية أى هداية الطريق وهذا التفسير مدرج من كلام الزهرى كما بينه ابن سعد قال الاصمعى سمى خريتا لانه يهتدى بمثل خرت الابرة أى ثقبها وقال غيره لاهتدائه لاخرات المفازة وهى طرقها الخفية قال فى الرواية فأمناه بفتح الهمزة مقصورة وكسر الميم أى ائتمناه (فدفعا اليه راحلتيهما ووعداه) بعنى

الحاكم حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا محمد بن المغيرة السكرى حدثنا القاسم بن الحكم العرنى حدثنا سليمان بن داود اليمامى حدثنا يحيى ابن أبى كثير عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للجنة بابا يقال له باب الضحى فاذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الذين كانوا يداومون على صلاة الضحى هذا بابكم فادخلوه برحمة الله وقال الترمذى فى الجامع حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال حدثنى موسى بن فلان عن عمه ثمامة بن أنس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ثنتى عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب فى الجنة قال الترمذى حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وكان أحمد يرى أصح شئ فى هذا الباب حديث أم هانئ قلت وموسى بن فلان هذا هو موسى بن عبد الله ابن المثنى بن أنس بن مالك وفى جامعه أيضا من حديث عطية العوفى عن أبى سعيد الخدرى

التواعد وهو الذى فى البخارى بلفظ وواعداه (غار ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما براحلتيهما صبح ثلاث) وفى رواية موسى بن عقبة عن ابن شهاب حتى اذا هدأت عنهما الاصوات جاء صاحبهما ببعيريهما (وانطلق معهما عامر بن فهيرة) زاد ابن عقبة يخدمهما ويعينهما يردفه أبو بكر ويعقبه ليس معهما غيره (والدليل فأخذ بهم طريق السواحل) بسين وحاء مهملتين أسفل عسفان وفى رواية ابن عقبة فأجازهما اسفل مكة ثم مضى بهما حتى جاء بهما الساحل أسفل من عسفان ثم أجاز هما حتى عارض الطريق وقد بين الزبير بن بكار من حديث عائشة وابن عائذ من حديث ابن عباس سيرهما منزلة منزلة الى قباثم فصل المصنف حديث الصحيح بذكر قصة أم معبد وسنذكر منه بقية فى خبر سراقة وقدم واقبل ذلك كما فى الصحيحين بصخرة فنام المصطفى فى ظلها ورأى ابو بكر راعيا معه غنم فاستحلبه فحلب له منها فبرده أبو بكر حتى قام صلى الله عليه وسلم فسقاه ثم ارتحلو (فروا) كما رواه الحاكم وصححه البيهقى وصاحب الغيلانيات ومن طريقه اليعمرى عن ابى سليط الانصارى البدرى وابن عبد البر وابن شاهين وابن السكن والطبرانى وغيرهم عن أخى ام معبد حبيش صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما خرج صلى الله عليه وسلم فى الهجرة ومعه أبو بكر وابن فهيرة وابن اريقط يدلهم على الطريق مروا (بقديد) بضم القاف وفتح الدال الاولى اسكان التحتية موضع معروف (على أم معبد) بفتح الميم وسكون المهملة وفتح الموحدة ودال مهملة (عاتكة) بكسر الفوقية وبالكاف (بنت خالد) ابن خليد مصغر آخره دال مهملة كما صدر به ابن الاثير فى الجامع وقيل ابن خليف بفاء بدل الدال مصغر وقيل ابن منقذ بضم الميم وسكون النون وكسر القاف وذال معجمة وقال الطبرانى عاتكة بنت خليف ويقال بنت خالد بن منقذ وفى ثقات ابن حبان ام معبد عاتكة بنت خالد بن خليف بن منقذ بن ربيعة بن اصرم بن ضبيس وفى الاكمال عاتكة بنت خليفة بن منقذ بن ربيعة بن اصرم بن ضبيس بن حرام بن حبشية زاد السهيلى ابن كعب بن عمرو الكعبية (الخزاعية) بضم الخاء والزاى المنقوطتين ومهملة صحابية خرج لها أبو يعلى الموصلى وروى ابن السكن حديث نزول النبى صلى الله عليه وسلم عليها من حديثها نفسها من رواية اخيها حبيش عنها (وكانت برزة) كضخمة عفيفة جليلة مسنة أوغيرها وقيل هى المسنة التى برزت فلم تنخدر لسنها وخرجت عن حد المحجوبات حكاه ما ابن المنير وغيره (جلدة) قوية أوعاقلة (تحتبى) تجلس (بفناء القبة) الخيمة والفناء سعة امام البيت أوما امتد من جوانبه (ثم تسقى وتطعم) من يمر بها (وكان القوم مرملين مسنتين) بكسر النون والمثناة الفوقية أى أصابتهم السنة (فطلبوا لبنا أولحما) وعند أبى عمر سألوها لحما وتمرا فكأنهم طلبوا ما تيسر من الثلاثة (يشترونه منها فلم يجدوا عندها شيأ) وقالت والله لو كان عندنا شئ ما أعوزناكم القرى كما فى الرواية أى احوجناكم (فنظر صلى الله عليه وسلم الى شاة فى كسر الخيمة خلفها) بشد اللام (الجهد) بفتح الجيم وضمها أى الهزال (عن الغنم فسألها صلى الله عليه وسلم هل بها من لبن فقالت هى أجهد من ذلك) تريد انها لضعفها وعدم طروق الفحل لها دون من لها لبن فكأنها قالت هى على صفة دون المسؤل عنه (فقال أتأذنين لى أن أحلبها) بضم اللام وكسرها كما فى القاموس (فقالت نعم بأبى انت وأمى ان رأيت بها حلبا) بفتح اللام وسكونها أى لبنا فى الضرع (فاحلبها فدعا بالشاة) طلبها أن تاتى اليه فالباء زائدة فيكون معجزة لكن فى رواية فبعث معبدا وكان صغيرا فقال ادع هذه الشاة ثم قال ياغلام هات فاحضرها اليه (فاعتقلها) اى وضع رجلها بين ساقه وفخذه ليحلبها (ومسح ضرعها) زاد فى رواية وظهرها (وسمى الله) زاد فى رواية ودعا لها فى شاتها (فتفاجت ودرت ودعا باناء يربض الرهط) أى طلب اناء موصوفا بذلك كما يفيده العيون لانه طلب مطلق اناء فاحضر بتلك الصفة وفسره فقال (أى يشبع الجماعة حتى يربضوا)

بكسر

قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى الضحى حتى نقول لا يدعها ويدعها حتى نقول لا يصليها قال هذا حديث حسن غريب وقال الامام أحمد فى مسنده حدثنا أبو اليمان حدثنا اسمعيل بن عياش عن يحيى بن الحارث الذمارى عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من مشى الى صلاة مكتوبة وهو متطهر كان له كاجر الحاج المحرم ومن مشى الى سبحة الضحى كان له كاجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين قال أبو أمامة الغدو والرواح الى هذه المساجد من الجهاد فى سبيل الله عزوجل وقال الحاكم حدثنا أبو العباس حدثنا محمد بن اسحق الصنعانى حدثنا أبو الموزع محاضر بن المودع حدثنا أبو الاحوص بن حكيم حدثنى عبد الله بن عامر الهانى عن منيب ابن عيينة بن عبد السلمى عن أبى أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من صلى الصبح فى مسجد جماعة ثم ثبت فيه حتى الضحى ثم صلى سبحة الضحى

بكسر الموحدة (فحلب فيه ثجا) بمثلثة وجيم حلباقويا (وسقى القوم) بعد أن سقى أم معبد حتى رويت كما في رواية (حتى رووا وأتم شرب آخرهم) وقال ساقي القوم آخرهم شربا (ثم حلب فيه مرة أخرى) فشربوا (عللا) بفتح المهملة واللام الاولى (بعد نهل) بفتح النون والهاء وتسكن ولام أي شربا ثانيا بعد الاول (ثم) حلب فيه آخر و(غادره) بغين معجمة تركه (عندها) زاد في رواية قال لها ارفعي هذا لابي معبد اذا جاءك ثم ركبوا (وذهبوا فلما لبث) أي مالبث الا قليلا (أن جاء أبو معبد زوجها) وهذا كله صريح في انها لم تذبح لهم ووقع في بعض الروايات عن ام معبد قالت طلع علينا أربعة على راحلتين فنزلوا بي فجئت رسول الله بشاة اريد ذبحها فاذا هي ذات در فادنيتها منه فلمس ضرعها وقال لا تذبحها وجئت باخرى وذبحتها وطبختها فاكل هو واصحابه وملأ تسفرتهم منها ما وسعت وبقي عندنا لحمها او أكثر وبقيت الشاة التي مس ضرعها الى زمن عمر فان صحت مع انه لم يكن عندها الا شاة واحدة فيحتمل انها لما أتته بها وشاهدت فيها الآية البينة تسلفت من جيرانها التي ذبحت اكراما للمعجزة الظاهرة فشاهدت فيها آية اخرى والله أعلم (قال السهيلي ولا يعرف اسمه وقال العسكري) الحافظ الامام أبو الحسن علي بن سعيد بن عبد الله نزيل الري صنف وجمع ومات سنة خمس وثلثمائة (اسمه اكثم) بفتح الهمزة والمثلثة (ابن أبي الجون) بفتح الجيم وبالنون قال السهيلي له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم وتوفي في حياته وقال الذهبي قيل اسمه حبيش وقيل اكثم قديم الوفاة (ويقال ابن الجون) باسقاط أبي وحبيش بضم المهملة وفتح الموحدة وسكون التحتية وبالمعجمة على الاصح وقيل بمعجمة مضمومة ونون مفتوحة وسين مهملة وفي الاصابة أبو معبد الخزاعي ذكره ابن الاثير وقال تقدم في حبيش والمتقدم انما وصف بانه اخو أم معبد وأما زوجها فلم يسم وترجم ابن منده لمعبد بن أبي معبد ولم يسم اباه وأخرج البخاري في التاريخ وابن خزيمة والبغوي قصة ام معبد من طريق الحر بن الصباح النخعي عن ابي معبد الخزاعي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر هو وأبو بكر وعامر بن فهيرة ودليلهم عبد الله بن اريقط الليثي فمروا بخيمة أم معبد الحديث وفي آخره عند البغوي قال عبد الملك بلغني أن أم معبد هاجرت وأسلمت قال البخاري هذا مرسل فابو معبد مات قبل النبي صلى الله عليه وسلم (يسوق اعنزا عجافا) بكسر المهملة جمع عجفاء وهي المهزولة (يتساوكن هزلا) بضم الهاء وسكون الزاي (مخهن قليل) بخاء معجمة أي الودك الذي في العظم وسقط في نسخ لانه مساو لعجاف (فلما رأى اللبن أبو معبد عجب وقال ما هذا يا أم معبد أنى لك هذا والشاء عازب) بمهملة فالف فزاي فموحدة (حيال) بكسر المهملة وتحتية (ولا حلوب بالبيت) أي ليس فيه ذات لبن تحلب كما في المصباح فاعل للمبالغة (فقالت لا والله الا انه مر بنا رجل مبارك من حاله كذا وكذا) أي رأى الشاة ودعا لها فحكت له القصة فهي مركبة من كاف التشبيه وذا الاشارة كني بها عن غير عدد على أحد اوجهها (فقالت صفيه يا أم معبد فقالت رأيت رجلا ظاهر الوضاءة) بفتح الواو وضاد معجمة ومد الحسن والبهجة (مبلج الوجه) مشرقه (حسن الخلق) بضم الخاء واللام عرفت ذلك من حاله مع رفقته أو بفتح فسكون تاكيد لما علم من أوصافها والظاهر الاول (لم تعبه ثجلة ولم تزر به صعلة) لعدم وجودهما فيه وهو (وسيم قسيم) عطف مرادف اذ معناهما الحسن كما يجيء (في عينيه دعج) بفتح الدال والعين المهملتين وجيم (وفي اشفاره وطف) بفتح الواو الطاء المهملة وبالفاء ويروى عطف بغين معجمة بدل الواو ورجحها الحافظ عبد الغني المقدسي والقطب الحلبي ومعناهما طول ويروى بعين مهملة ويأتي بيانه (وفي صوته صحل) بفتح المهملتين ولام (أحوز أكحل أزج) بفتح الهمزة والزاي وشد الجيم يوصف به الرجل والحاجب في المدح (أقرن) مثله في حديث علي وهو مخالف لما في حديث هند بن أبي هالة أزج الحواجب سوابغ

كان له كاجر حاج أو معتمر تام له حجته وعمرته وقال ابن أبي شيبة حدثني حاتم ابن اسمعيل عن حميد ابن صخر عن المقبري عن الاعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بعث النبي صلى عليه وسلم جيشا فاعظموا الغنيمة وأسرعوا الكرة فقال رجل يا رسول الله ما رأينا بعثا قط أسرع كرة ولا أعظم غنيمة من هذا البعث فقال ألا أخبركم باسرع كرة وأعظم غنيمة رجل توضأ في بيته فاحسن وضوءه ثم عمد الى المسجد فصلى فيه صلاة الغداة ثم أعقب بصلاة الضحى فقد أسرع الكرة وأعظم الغنيمة وفي الباب أحاديث سوى هذه لكن هذه أمثلها قال الحاكم صحبت جماعة من أئمة الحديث الحفاظ الاثبات فوجدتهم يختارون هذا العدد يعني أربع ركعات ويصلون هذه الصلاة أربعا لتواتر الاخبار الصحيحة فيه واليه أذهب واليه أدعو اتباعا للاخبار المأثورة واقتداء بمشايخ الحديث فيه قال ابن جرير الطبري وقد ذكر الاخبار المرفوعة في صلاة الضحى واختلاف

من غير قرن قال ابن الاثير وهو الصحيح وقال غيره انه المشهور وان قول راويه وكان هند وصافا فاردلما
خالفه وأجيب بأن بينهما شعرا خفيا جدا يظهر اذا وقع عليه الغبار في نحو سفر وحديث أم معبد
سفري و بغير ذلك (شديد سواد الشعر في عنقه سطع) طول (وفي لحيته كثاثة) بمثلثتين (اذا صمت)
بفتح الميم (فعليه الوقار) بفتح الواو الحلم والرزانة (واذا تكلم سما وعلاه البهاء وكأن منطقه خرزات نظم
طوال يتحدرن) لعل وجه التشبيه التناسق بين كلماته وشدة اتصال بعضها ببعض فأشبهت
في تناسقها الكلمات وفي تواليها الخرزات اذا تتابعت (حلو المنطق) الحلو في المطعوم مستلذ فاستعير لما
يعجب السامع و يستلذ بسماعه (فصل) بمعنى فاصلا كذا بين الحق والباطل أو بين قاطع للشك
لا لبس فيه أو ذو فصل بين اجزائه كقول عائشة ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرد سردكم هذا
(لا نزر ولا هذر أجهر الناس) أرفعهم صوتا اذا تكلم من بعد (وأجله) أحسنه (من بعيد) يعني ان علو
صوته لا ينقصه بل يزيد معه حسنا وكمالا وهذا على ما في نسخ المصنف والذي في الشفاء أجمل الناس من
بعيد ولغيره أجمل الناس وأبهاه من الجمال الذي هو الحسن وجعل الجمال من بعيد لانه يحقق للناظر
النظر فيه لمهابته بحيث لا يطيل القريب منه النظر له الا الصغير أو المحرم أو الاعراب فاذا فعل ذلك
أدرك فوق الجمال مرتبة أخرى كما قيل

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

واليه أشار قولها (وأحلاه) من حلا بعينه وقلبه اذا اعجبه واستحسنه فالعطف تفسيري في قولها
(واحسنه من قريب) بافراد الضمير فيهما حملا على لفظ الناس أو على الجنس كأنها قالت أحلى
وأحسن هذا الجنس اولسد واحد مسدهم كما في التسهيل ومثله في شرحه بقوله تعالى وان لكم في الانعام
لعبرة نسقيكم مما في بطونه لان النعم تسد مسد الانعام (ربعة لا تشنؤه) بمعجمة ونون وهمزة مضمومة
فهاء الضمير (من طول ولا تقتحمه عين من قصر غصن) أي كغصن (بين غصنين) تعني الصديق
ومولاه لانهما المقصودان له بالصحبة والدليل كان على دينه فلم تعنه (فهو أنضر) بضاد معجمة (الثلاثة
منظرا وأحسنهم قدرا له رفقاء يحفون) بضم الحاء يطوفون (به) ويستديرون حوله (اذا قال استمعوا
لقوله واذا أمر تبادروا الامره محفود) أي مخدوم (محشود) أي عنده قوم (لا عابس ولا مفند) بكسر النون
كثير اللوم كما يأتي (فقال) أبو معبد (هذا والله صاحب قريش لو رأيته لاتبعته) ولأجتهدن ان أفعل
وفي رواية ولقد هممت ان أصحبه ولافعلن ان وجدت الى ذلك سبيلا وفي الوفاء فهاجرت هي و زوجها
وأسلما وفي خلاصة الوفاء فخرج أبو معبد في اثرهم ليسلم فيقال أدركهم ببطن ريم فبايعه وانصرف
وفي شرح السنة للبغوي هاجرت هي وزوجها وأسلم أخوها حبيش واستشهد يوم الفتح وكان أهلها
يؤرخون بيوم نزول الرجل المبارك (قالت أسماء بنت أبي بكر) فيما رواه في الغيلانيات من طريق ابن
اسحق قال حدثت عن أسماء فهو منقطع لكن رواه الحافظ أبو الفتح اليعمري متصلا من طريق هشام
ابن عروة عن أبيه عن أسماء قالت (لما خفي علينا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش
فيهم أبو جهل بن هشام فخرجت اليهم فقال أين أبوك) يا ابنة أبي بكر (فقلت والله لا أدري أين أبي قالت
فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة) واحدة (خرج منها) أي بسبب اللطمة
وفي رواية خرم وفي أخرى طرح منها (قرطي) بضم القاف وسكون الراء وبالطاء المهملة نوع من حلى
الاذن معروف (ثم انصرفوا) قالت (ولما لم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى رجل) بعد
ثلاث ليال كما في رواية الغيلانيات وفي رواية اليعمري فلبثنا اياما ثلاثة أو أربعة أو خمس ليال لا ندري
أين وجه ولا يأتينا عنه خبر حتى أقبل رجل (من الجن) من مؤمنيهم ولا أعرف اسمه قاله في النور

عندها وليس في هذه
الاحاديث حديث يدفع
صاحبه وذلك أن من
حكى أنه صلى الضحى
أربعا جائز أن يكون رآه
في حال فعله ذلك ورآه
غيره في حال أخرى صلى
ركعتين ورآه آخر في
حال أخرى صلاها ثمانيا
وسمعه آخر يحث على
أن يصلي ستا وآخر يحث
على أن يصلي ركعتين
وآخر على عشر وآخر على
ثنتي عشرة فأخبر كل
واحد منهم عما رأى
وسمع قال والدليل على
صحة قولنا ما روى عن
زيد بن أسلم قال سمعت
عبد الله بن عمر يقول
لابي ذر أوصني يا عم قال
سألت رسول الله صلى
الله عليه وسلم كما سألتني
فقال من صلى الضحى
ركعتين لم يكتب من
الغافلين ومن صلى أربعا
كتب من العابدين ومن
صلى ستا لم يلحقه ذلك
اليوم ذنب ومن صلى
ثمانيا كتب من القانتين
ومن صلى عشرا بنى الله
له بيتا في الجنة وقال
مجاهد صلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم
يوما الضحى ركعتين ثم
يوما أربعا ثم يوما ستا ثم
يوما ثمانيا ثم ترك فابان
هذا الخبر عن صحة
ما قلنا من احتمال خبر

وفى رواية عن أسماء اذ أقبل رجل من الجن من اسفل مكة تغنى بأبيات غنى بها العرب وان الناس يتبعونه (يسمعون صوته ولا يرونه) وفى رواية الغيلانيات عن أبى سليط حتى سمعواها تقاعلى أبى قبيس وليعمرى ذكر الروايتين وعذر شيخنا انه لم يقرأ الرواية الاولى التى عن أبى سليط (وهو ينشد هذه الابيات جزى الله رب الناس خير جزائه *) هكذا رواية أسماء ورواية أبى سليط جزى الله خيرا والجزاء بكفه (رفيقين) مفعول جزى (حلا) من الحلول كما فى نسخة صحيحة من الاستيعاب بالهامش ورواه اليعمرى قالا من القيلولة وضبب عليها فى الاستيعاب كما فى النور (خيمتى أم معبد) تثنية خيمة بيت تبنيه العرب من عيدان الشجر قال ابن الانبارى لا تكون عندهم من ثياب بل من أربعة أعواد ثم تسقف بالثمام وفى معجم ما استعجم من قديد الى المشلل ثلاثة اميال بينهما خيمتا أم معبد (هما نزلا بالبر) ضد الاثم (ثم ترحلا *) وفى رواية هما نزلا بالهدى واغتدوا به (فأفلح) وفى رواية هما رحلا بالحق وانتزلا به وفى أخرى هما نزلاها بالهدى فاهتدت به فقد فاز (من أمسى رفيق محمد) فعيل يستوى فيه الواحد والمثنى والجمع فيدخل فى قوله رفيقين عامر بن فهيرة وقد ينافيه حلا الا ان يكون ثنى نظرا للفظ (فيا لقصى) بضم القاف وفتح المهملة وشد التحتية (مازوى) بفتح الزاى والواو أى جمع وقبض (الله عنكم * به من فعال) قال البرهان وتبعه الشامى الظاهر أنه بفتح الفاء وخفة العين وهو الكرم ويجوز أن يكون بكسر الفاء جمع (لا تجارى) بالراء وفى رواية بالزاى (وسودد) بضم السين واسكان الواو مصدر ساد (ليهنا) بفتح الياء وتثليث النون أى ليسر (بنى كعب) هو ابن عمرو أبو خزاعة (مكان) فاعل يهنأ وفى نسخة مقام بفتح الميم (فتاتهم * ومقعدها للمؤمنين بمرصد) بفتح الميم والصاد أى مقعدها مكان ترصد أى ترقب المؤمنين فيه لتواسيهم (سلوا أختكم) أم معبد (عن) المعجزة التى شاهدتها فى (شاتها) التى حلبها المصطفى ولم يطرقها فحل ولم تستطع الرعى من الهزال (وانائها *) الذى حلب فيه منها مرارا فانها معجزة باهرة لا تنكر (فانكم ان تسألوا الشاة تشهد دعاها بشاة حائل) لا حمل بها (فتحلبت * له) مطاوع احتلبها وضمنه معنى سمحت فعداه بالباء فى (بصريح) بصاد وحاء مهملتين ابن خالص لم يخلط (ضرة) بفتح الضاد وشد الراء والفوقية أصل الضرع كما فى النهاية مرفوع فاعل تحلبت (الشاة مزبد) بضم الميم واسكان الزاى وكسر الموحدة فدال مهملة عليه الزبد (فغادرها) تركها (رهنا لديها الحالب * يرددها) الحالب (فى مصدر ثم مورد) أى يحلبها مرة ثم أخرى والمعنى ترك الشاة عندها ذات ابن مستمر (يردد الحالب الحلب) عليها مرة بعد مرة لكثرة لبنها (فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه صلى الله عليه وسلم) وفى الرواية فلما سمع حسان الابيات قال يجاوب الهاتف قال فى النور والظاهر انه انما قاله بعد اسلامه

لقد خاب قوم زال عنهم نبيهم * وقدس من يسرى اليه ويغتدى
ترحل عن قوم فضلت عقولهم * وحل على قوم بنور مجدد
هداهم به بعد الضلالة ربهم * وأرشدهم من يتبع الحق يرشد
وهل يستوى ضلال قوم تسفهوا * عمى وهداة يهتدون بمهتدى
وقد نزلت منه على أهل يثرب * ركاب هدى حلت عليهم باسعد
نبى يرى ما لا يرى الناس حوله * ويتلو كتاب الله فى كل مشهد
وان قال فى يوم مقالة غائب * فتصديقها فى اليوم أو فى ضحى غد
ليهنأ أبا بكر سعادة جده * بصحبته من يسعد الله يسعد

(وقوله مرملين أى نفدت) بالمهملة (أزوادهم ومسنتين أى مجدبين) بالمهملة أى أصابتهم

كل مخبر بشئ تقدم أن يكون أخباره لما أخبر عنه فى صلاة الضحى على قدر ما شاهده وعاينه * والصواب اذا كان الامر كذلك أن يصليها من أراد على ما شاء من العدد وقد روى هذا عن قوم من السلف حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن ابراهيم سأل رجل الاسود كم أصلى الضحى قال كم شئت * وطائفة ثانية ذهبت الى أحاديث الترك ورجحتها من جهة صحة اسنادها وعمل الصحابة بموجبها فروى البخارى عن ابن عمر أنه لم يكن يصليها ولا أبو بكر ولا عمر قلت فالنبى صلى الله عليه وسلم قال لا اخاله وقال وكيع حدثنا سفيان الثورى عن عاصم بن كليب عن أبيه عن أبى هريرة قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الضحى الا يوما واحدا وقال على بن المدينى حدثنا معاذ بن معاذ حدثنا شعبة حدثنا فضيل ابن فضالة عن عبد الرحمن بن أبى بكرة قال رأى أبو بكرة ناسا يصلون الضحى قال انكم لتصلون صلاة ما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عامة أصحابه وفى

سنة جدبة (ويروى مشتين) بشين معجمة اسم فاعل من اشتى القوم (أى دخلوا فى الشتاء) وحينئذ
يقل طعامهم (وكسر الخيمة بكسر الكاف وفتحها وسكون السين) المهملة (جانبها) وهذه رواية ابن
عبد البر والحاكم والبيهقى وفسرها ابن المنير وغيره بما ذكر ورواه اليعمرى بلفظ قال ماهذه الشاة التى
أرى لشاة رآها فى كفاء البيت قال البرهان بكسر الكاف وبالفاء المخففة ممدود قال المؤلف يعنى
اليعمرى فى الفوائد كفاء البيت ستره من اعلاه الى أسفله من مؤخره وقيل الكفاء الشقة التى تكون فى
مؤخر الخباء وقيل كساء يلقى على الخباء كالازار حتى يبلغ الارض وقد اكفأ البيت ذكره ابن سيده انتهى
والجمع بين الروايتين سهل بأن تكون الشاة فى جانب الخيمة تحت كفائها فالمعبر بهذا أو ذاك صادق
(وتفاجت بتشديد الجيم فتحت مابين رجليها ويربض الرهط بضم المثناة التحتية وكسر الموحدة أى
يرويهم ويثقلهم حتى يناموا ويمتدوا على الارض من ربض بالمكان يربض اذا الصق به وأقام) ملازما
له يقال اربضت الشمس اذا اشتد حرها حتى تربض الوحوش فى كناسها أى تجعلها تربض ويروى
بتحتية بدل الموحدة أى يرويهم بعض الرى من اراض الحوض اذا صب فيه من الماء ما يوارى ارضه
والمشهور والرواية الاولى بالموحدة كما فى النور ولذا اقتصر عليها المصنف (والثج) بمثلثة وجيم (السيلان
وفى رواية فحلب ثجا حتى علاه الثمال بضم المثلثة الرغوة) مثلث الراء ابن الزبد (واحدة ثمالة) لكن فى
تفسيره الجمع بالمفرد نظر والاظهر لو قال الثمال واحده ثمالة وهى الرغوة الا ان يراد جنس الرغوة وان
كل جزء ثمال على وجه اللبن رغوة (والبهاء بهاء اللبن وهو وبيص) بمهملة أى لمعان (رغوته وتساوكن هزلا
أى تمايلن) من الهزال (ويروى تشاركن) بمعجمة بدل المهملة والراء بدل الواو (من المشاركة أى
فى الهزال وغادره بالغين المعجمة) أى (أبقاه) تفسير باللازم اذ هو الترك (والشاء عازب أى بعيدة المرعى
والحيال بكسر الحاء المهملة جمع حائل وهى التى ليس بها حمل والابلج با) لموحدة والجيم المشرق الوجه
المضيئة) وفى النور مبلج الوجه مشرقه مسفره ومنه تبلج الصبح وابتلج فأما الابلج فهو الذى وضح
مابين حاجبيه فلم يقترنا والاسم البلج بفتح اللام ولم ترده ام معبد لانها وصفته بالقرن (والثجلة بفتح
المثلثة) كذا فى النسخ والذى فى النور والسبل بضم المثلثة (وسكون الجيم) وفتح اللام آخره تاء (عظم
البطن) وسعته يقال رجل أثجل بين الثجل وامرأة ثجلاء وقال أبوذر فى حواشيه فالثجلة عظم البطن يقال
بطن أثجل اذا كان عظيما (ويروى بالنون والحاء) المهملة (أى نحول ودقة) من الجسم الناحل وهو
القليل اللحم قاله ابوذر (والصعلة بفتح الصاد) واسكان العين المهملتين (صغر الرأس وهى ايضا الدقة
والنحول فى البدن) كما قال ابن الاثير وفى رواية سقلة بقاف وبسين معها على الابدال من الصاد وذكره ابن
الاثير بالصاد والسين مع القاف وبالعين المهملة وكذا الهروى فى الغريبين لكن لم يذكر السين ومعناه نحول
ودقة قال شمر من صقلت الناقة ضمرتها وصقلها السير أضمرها والسقل الخاصرة وقال غيره أرادت انه
لم يكن منتفخ الخاصرة جدا ولا ناحلا جدا انتهى وفى حواشى ابى ذر لم تزر أى لم تقصر والصقل والصقلة
جلدة الخاصرة تريد أنه ناعم الخاصرة وهذا من الاوصاف الحسنة انتهى وعلى كلام غيره وهو نفى
للاوصاف الغير الحسنة وقال ابن المنير الصعلة انتفاخ الاضلاع وقيل الرقة وقيل صغر الرأس واختير فى
هذه الكلمة فتح العين ذكر الهروى انتهى ولم أر ذلك فى الغريبين (والوسيم الحسن وكذلك القسيم
وفى عينيه دعج اى سواد) شديد (والوطف قال فى القاموس محركة) أى مفتوح الطاء (كثرة شعر
الحاجبين والعينين) وفى الغريبين فى اشفاره وطف أى طول قد وطف يوطف انتهى وفى حواشى
أبى ذر فى أشفاره غطف أو عطف ويروى وطف الوطف طول اشفار العين وفى كتاب العين الغطف
بالغين المعجمة مثل الوطف واما بالمهملة فلا معنى له هنا وفسره بعضهم بأن تطول أشفار العين حتى

تنعطف

الموطأ عن مالك عن ابن
شهاب عن عروة عن
عائشة قالت ما سبح
رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبحة الضحى
قط وانى لاسبحها وان
كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليدع العمل
وهو يحب أن يعمل به
خشية أن يعمل به
فيفترض عليهم وقال
أبو الحسن على بن بطال
فأخذ قوم من السلف
بحديث عائشة ولم يروا
صلاة الضحى وقال قوم
انها بدعة روى الشعبى
عن قيس بن عبيد قال
كنت اختلف الى ابن
مسعود السنة كلها فما
رأيته مصليا الضحى
وروى شعبة عن سعد
ابن ابراهيم عن أبيه عن
عبد الرحمن بن عوف كان
لا يصلى الضحى وعن
مجاهد قال دخلت أنا
وعروة بن الزبير المسجد
فاذا ابن عمر جالس عند
حجرة عائشة واذا الناس
فى المسجد يصلون صلاة
الضحى فسألناه عن
صلاتهم فقال بدعة وقال
مرة ونعمت البدعة وقال
الشعبى سمعت ابن عمر
يقول ما ابتدع المسلمون
أفضل من صلاة الضحى
وسئل أنس بن مالك عن
صلاة الضحى فقال
الصلاة خمس وذهبت

تنعطف انتهى واقتصر ابن المنير على المعجمة وقال لم يعرفه اثرياشى بغيرها (وفى صوته صحل) بالتحريك
أى فتح الحاء وكذا الصاد المهملتين فلام (هو كالبحة بضم الموحدة وان لا يكون حاد الصوت) قال
منه صحل الرجل بالكسر يصحل صحلا بفتحها اذا صار ابح فهو صحل وصاحل (وأحور) قال فى القاموس
الحور بالتحريك) أى فتح الواو (ان يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها) وهو المحمود المحبوب
ولذا كان اغزل ماقالت العرب قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن أضعف خلق الله انسانا

(والكحل بفتحتين سواد فى أجفان العين خلقة والرجل أكحل وكحيل) والمرأة كحلاء وكثر تغزل
المولدين بذلك كقول ابن النبيه

كحلاء كحلاء لها ناظر * منزه عن لوثة المرود

(والازج الدقيق طرف الحاجبين وفى القاموس والزجج محركة) أى مفتوح الجيم الاولى (دقة
الحاجبين فى طول) أى امتداد الى مؤخر العين والزجج خلقة والتزجيج ما كان بصنع كما قال وزججن
الحواجب والعيونا أى صنعن ذلك وهو ما تسميه العوام تحفيفا بمهملة (والاقرن المقرون الحاجبين)
قال ثابت فى كتاب خلق الانسان رجل اقرن وامرأة قرناء فاذا نسب الى الحاجبين قالوا مقرون الحاجبين
ولا يقال أقرن الحاجبين انتهى (وفى عنقه سطع بفتحتين أى ارتفاع وطول) كما قال الهروى وزاد يقال
عنق سطعاء وهى المنتصبة الطويلة ورجل أسطع ومن هذا قيل للصبح أول ما ينشق مستطيلا قد
سطع يسطع (وفى لحيته كثاثة بمثلثتين الكثاثة فى اللحية ان تكون غير دقيقة ولا طويلة وفيها كثاثة يقال
رجل كث اللحية بالفتح (وقوم كث بالضم) للكاف (واذا تكلم سما وعلاه البهاء أى ارتفع وعلا على
جلسائه وفصل بالصاد المهملة لانزر (بسكون المعجمة) التى هى الزاى أى قليل (ولا هذر بفتحها) أى
المعجمة التى هى الذال أى كثير بل وسط هكذا ضبطه الحافظ العلائى وغيره بالفتح وضبطه بعض
شراح الشفاء بسكون الذال مصدر وقال بفتحها الاسم وفى غريبى الهروى فى وصف كلامه عليه السلام
لا نزر ولا هذر أى لا قليل ولا كثير ورجل هذر وهذار ومهذار وهذر بان كثير الكلام وقوله (أى بين
ظاهر يفصل بين الحق والباطل) تفسير لقولها فصل وقال العلائى بغيره قولها لانزر ولاهذر (ولا
تشنؤه من طول كذا جاء فى رواية أى لا يبغض لفرط طوله ويروى لايشنى من طول ابدل من الهمزة ياء)
ثم قلبت ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها (يقال شنئته أشنؤه شنئا) بوزن فلس كما فى المصباح
(وشنآنا قاله ابن الاثير) فى النهاية (ولا تقتحمه عين من قصر أى لا تتجاوزه الى غيره احتقارا له
وكل شئ ازدريته فقد اقتحمته) قال أبو بكر بن الانبارى كما فى الغريبين (ومحفود أى مخدوم
والمحشود الذى عنده حشد) بفتح المهملة وسكون المعجمة وتفتح فدال مهملة (وهم الجماعة
ولا عابس من عبوس الوجه والمفند الذى يكثر اللوم) فهو اسم فاعل (وهو التنفيد والضرة لحمة
الضرع) وقال الهروى أصل الضرع (وغادرها أى خلف الشاة عندها مرتهنة بأن تدر) بضم
الدال (انتهى) ما أراده من شرح غريبه قال ابن المنير وفى الحديث من الفقه انه لا يسوغ التصرف
فى ملك الغير ولا اصلاحه وتنميته الا باذنه ولهذا استأذنها فى اصلاح شاتها وفيه لطيفة عجيبة وهو
ان اللبن المحتلب من الشاة لابد أن يفرض مملوكا والملك ههنا دائر بين صاحب الشاة وبين النبى
صلى الله عليه وسلم وأشبه شئ بذلك المساقاة فانها تكرمة الاصل واصلاحه بجزء من الثمرة وكذلك
فعل النبى صلى الله عليه وسلم اكرم الشاة وأصلحها بجزء من اللبن ويحتمل ان يقال ان اللبن مملوك

طائفة ثالثة الى استحبابها
فعلها غبا فتصلى فى
بعض الايام دون بعض
وهذا أحد الروايتين عن
أحمد وحكاه الطبرى عن
جماعة قال واحتجوا بما
روى الجريرى عن
عبد الله بن شقيق قال
قلت لعائشة أكان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلى
الضحى قالت لا الا أن
يجئ من مغيبه ثم ذكر
حديث أبى سعيد كان
رسول الله صلى الله
عليه وسلم يصلى
الضحى حتى نقول
لا يدعها ويدعها حتى
نقول لا يصليها وقد تقدم
ثم قال كذا ذكر من كان
يفعل ذلك من السلف
وروى شعبة عن حبيب
ابن الشهيد عن عكرمة
قال كان ابن عباس يصليها
يوما ويدعها عشرة أيام
يعنى صلاة الضحى
وروى شعبة عن عبد الله
ابن دينار عن ابن عمر أنه
كان لا يصلى الضحى
فاذا أتى مسجد قباء صلى
وكان يأتيه كل سبت
وروى سفيان عن منصور
قال كانوا يكرهون أن
يحافظوا عليها كالمكتوبة
ويصلون ويدعون يعنى
صلاة الضحى وعن
سعيد بن جبير انى لادع
صلاة الضحى وأنا

للنبي صلى الله عليه وسلم وسقاها تفضلا منه لانه ببركته كان وعن دعائه وجد والفقه الاول أدق وألطف انتهى (وأخرج ابن سعد وابو نعيم من طريق الواقدى) محمد بن عمر بن واقد الاسلمى أبى عبد الله المدنى قال (حدثنى حزام بن هشام) بكسر الحاء المهملة وبالزاى كما ضبطه الامير وغيره (عن أبيه) هشام بن خنيس بمعجمة ونون ومهملة مصغر عند ابراهيم بن سعد وسلمة بن الفضل عن ابن اسحق ولغيرهما عنه حبيش بضم المهملة وفتح الموحدة فياء فشين معجمة قال فى الاصابة وهو الصواب ابن خالد الخزاعى (عن) عمته (أم معبد قالت بقيت الشاة التى لمس عليه السلام ضرعها عندنا حتى كان زمن الرمادة) سنة ثمان أو سبع عشرة من الهجرة قيل لها ذلك لان الريح كانت اذا هبت ألقت ترابا كالرماد وأجدبت الارض الى الغاية حتى أوت الوحوش الى الانس (زمن عمر بن الخطاب) رضى الله عنه وآلى أن لا يذوق لحما ولا سمنا ولا لبنا حتى يحيى الناس أى يأتى اليهم الحيا بالقصر وهو المطر وقال كيف لا يعنينى شأن الرعية اذا لم يمسنى ما مسهم حتى استسقى بالعباس باشارة كعب فسقوا وفى ذلك يقول عقيل

بعمى سقى الله البلاد وأهلها * عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس فى الجدب داعيا * فما جار حتى جاد بالديمة المطر

(وكنا نحلبها) بضم اللام وكسرها كما فى القاموس وما بالعهد من قدم (صبوحا) بفتح المهملة وضم الموحدة ما شرب بالغداة مما دون القائلة (وغبوقا) بفتح الغين المعجمة الشرب بالعشى (وما فى الارض لبن قليل ولا كثير) وفى بقية حديث هشام هذا وكانت أم معبد يوم نزل عليها النبى صلى الله عليه وسلم مسلمة قال الواقدى وقال غير هشام قدمت بعد ذلك وأسلمت وبايعت كما فى الاصابة وذكر السهيلى عن هشام المذكور قال أنا رأيتها وانها لتأدم أم معبد وجميع صرمها أى أهل ذلك الماء وذكر الزمخشرى فى ربيع الابرار عن هند بنت الجون قالت نزل صلى الله عليه وسلم خيمة خالتى أم معبد فقام من رقدته فدعا بماء فغسل يديه ثم تمضمض ومج فى عوسجة الى جانب الخيمة فاصبحت كاعظم دوحة وجاءت بثمر كاعظم ما يكون فى لون الورس ورائحة العنبر وطعم الشهد ما أكل منها جائع الا شبع ولا ظمآن الا روى ولا سقيم الا برئ ولا أكل من ورقها بعير ولا شاة الا در لبنها فكنا نسميها المباركة حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها واصفر ورقها ففزعنا فما راعنا الا نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعد ثلاثين سنة أصبحت ذات شوك وذهبت صفرتها فما شعرنا الا بقتل أمير المؤمنين على فما أثمرت بعد ذلك وكنا ننتفع بورقها ثم أصبحنا واذا بها قد نبع من أسفلها دم عبيط وقد ذبل ورقها فبينما نحن فزعون مهمومون اذ أتانا خبر قتل الحسين ويبست الشجرة على أثر ذلك وذهبت والعجب كيف لم يشتهر أمر هذه الشجرة كالشاة كذا ذكره وعهدته عليه والله أعلم

(قصة سراقة)

(ثم) بعد رواحهم من عند أم معبد كما عند مغلطاى (تعرض) أى تصدى (لهما) يريد منعهما وردهما الى قومهما وذكر ابن سعد ان سراقة عارضهم يوم الثلاثاء (بقديد) ولا يخالفه قول مغلطاى فلما راحوا من قديد لان معناه لما ساروا وان لم ينفصلوا عنه تعرض لهما (سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم والشين المعجمة بينهما مهملة ساكنة ثم ميم وحكى الجوهرى فتح الجيم والشين نقله النووى فى التهذيب والبرهان فى النور وان انتقد بعدم وجوده فى نسخ الصحاح لانهما حجة أى حجة (المدلجى) بضم الميم وسكون المهملة وكسر اللام ثم جيم من بنى مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكنانى الحجازى أسلم سراقة عنده صلى الله عليه وسلم بالجعرانة منصرفه من حنين والطائف وروى عنه ابن عباس وجابر وابن أخيه عبد الرحمن بن مالك بن جعشم وابن المسيب وطاوس ومات سنة أربع وعشرين فى أول خلافة عثمان وقيل مات بعده والصحيح الاول أخرج له البخارى والاربعة وأحمد وسبب تعرضه لهما ما رواه

أشتهيها مخافة أن أراها حتما على وقال مسروق كنا نقرأ فى المسجد فنبقى بعد قيام ابن مسعود ثم نقوم فنصلى الضحى فبلغ ابن مسعود ذلك فقال لم تحملون عباد الله ما لم يحملهم الله ان كنتم لابد فاعلين ففى بيوتكم وكان أبو مجلز يصلى الضحى فى منزله قال هؤلاء وهذا أولى لئلا يتوهم متوهم وجوبها بالمحافظة عليها أو كونها سنة راتبة ولهذا قالت عائشة لو نشر لى أبواى ما تركتها فانها كانت تصليها فى البيت حيث لا يراها الناس وذهبت طائفة رابعة الى أنها تفعل بسبب من الاسباب وأن النبى صلى الله عليه وسلم انما فعلها بسبب قالوا وصلاته صلى الله عليه وسلم يوم الفتح ثمان ركعات ضحى انما كانت من أجل الفتح وان سنة الفتح أن تصلى عنده ثمان ركعات وكان الامراء يسمونها صلاة الفتح وذكر الطبرى فى تاريخه عن الشعبى قال لما افتتح خالد بن الوليد الحيرة صلى صلاة الفتح ثمان ركعات لم يسلم فيهن ثم انصرف قالوا وقول أم هانئ

البخاري عنه قال جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس في مجالس قومي بني مدلج أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة بالسواحل أراها محمداً وأصحابه قال سراقة فعرفت أنهم هم فقلت له أنهم ليسوا بهم ولكنك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ثم لبثت ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تخرج بفرسي من وراء أكمة فتحبسها علي وأخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت الحديث وفيه أنه لما دنا منهم سقط عن فرسه واستقسم بالأزلام فخرج ما يكره لا يضرهم ثم ركبها ثانياً وقرب حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكثر الالتفات فساخت يدا فرسه في الأرض إلى الركبتين فسقط عنها ثم خلصها واستقسم بالأزلام فخرج الذي يكره فناداهم بالأمان وفي رواية ابن عقبة وكنت أرجو أن أرده فآخذ المائة ناقة وفي رواية عن أبي بكر تبعنا سراقة ونحن في جلد من الأرض فقلت هذا الطلب لقد لحقنا قال لا تحزن إن الله معنا فلما دنا منا وكان بيننا وبينه رمحان أو ثلاثة قلت هذا الطلب لقد لحقنا وبكيت قال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك قلت أما والله ما على نفسي أبكي ولكن عليك (فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله أتينا قال كلا ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات) وعند الإسماعيلي وغيره فقال اللهم اكفناه بما شئت وفي حديث أنس عند البخاري فقال اللهم اصرعه فصرعه فرسه (فساخت) بسين مهملة وخاء معجمة أي غاصت (قوائم فرسه) حتى بلغت الركبتين كما في حديث عائشة وفي حديث أسماء عند الطبراني فوقعت لمنخريها وللبزار فارتطمت به فرسه إلى بطنها وللإسماعيلي فساخت في الأرض إلى بطنها (وطلب الأمان فقال) زاد ابن إسحق أنا سراقة انظروني أكلمكم فوالله لا يأتيكم مني شيء تكرهونه (أعلم أن قد دعوتما علي فادعوا لي) وللإسماعيلي قد علمت يا محمد أن هذا عملك فادع الله أن ينجيني مما أنا فيه (ولكما) خبر مقدم (أن أرد الناس) في تأويل المصدر مبتدأ أي لكما علي رد الناس (عنكما) وفي رواية فالله لكما مبتدأ وخبر أي ناصر وعلى أن أردو بالجر على القسم والنصب بإسقاط حرف القسم كأنه قال أقسم بالله فحذف فنصب (ولا أضركما) وفي حديث ابن عباس وأنا لكم نافع غير ضار ولا أدري لعل الحي يعني قومه فزعوا لركوبي وأنا راجع ورادهم عنكم (قال فوقفا لي) وفي حديث البراء قال ادع لي ولا أضرك فدعا له صلى الله عليه وسلم (فركبت فرسي حتى جئتهما قال ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت) من الحبس عنهم كما في حديث عائشة (أن سيظهر) مرفوع وأن مخففة أي أنه سيظهر (أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي رواية ابن إسحق أنه قد منع مني قال (فأخبرتهما أخبار ما يريد بهما الناس) من الحرص على الظفر بهما وبذل المال لمن يحصلهما وفي حديث ابن عباس وعاهدهم أن لا يقاتلهم ولا يخبر عنهم وأن يكتم عنهم ثلاث ليال (وعرضت عليهما الزاد والمتاع فلم يرزآني) بفتح أوله وسكون الراء فزاي فهمزة أي لم ينقصاني مما معي شيئاً وللإسماعيلي وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك تمر على إبلي وغنمي بمكان كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال لا حاجة لنا في إبلك ودعا له وفي حديث عائشة ولم يسألاني شيئاً إلا أن قال أخف عنا بفتح الهمزة وسكون المعجمة بعدها فاء أمر من الإخفاء فسألته أن يكتب لي كتاب أمن فأمر عامر بن فهيرة فكتب في رقعة من أديم وفي حديث أنس فقال يا نبي الله مرني بما شئت قال تقف مكانك لا تتركن أحداً يلحق بنا فكان أول النهار جاهداً على نبي الله وكان آخر النهار مسلحة له رواهما البخاري أي حارساً له بسلاحه وذكر ابن سعد أنه لما رجع قال لقريش قد عرفتم نظري بالطريق وبالأثر وقد استبرأت لكم فلم أر شيئاً فرجعوا وفي رواية ابن إسحق وابن عقبة فسألته كتاباً يكون بيني وبينك آية فأمر أبا بكر فكتب لي في عظم أو رقعة أو خرقة ثم ألقاه إلي فأخذته فجعلته في كنانتي ثم رجعت وجمع في

وقتك ضحى ترين أن فعله لهذه الصلاة كان ضحى لأن الضحى اسم لتلك الصلاة قالوا وأما صلاته في بيت عتبان بن مالك فإنما كانت لسبب أيضاً فإن عتبان قال له إني أنكرت بصري وإن السيول تحول بيني وبين مسجد قومي فوددت أنك جئت فصليت في بيتي مكاناً أتخذه مسجداً فقال أفعل إن شاء الله تعالى فغدا علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر معه بعدما اشتد النهار فاستأذن النبي صلى الله عليه وسلم فأذنت له فلم يجلس حتى قال أين تحب أن أصلي من بيتك فأشار إليه من المكان الذي أحب أن يصلي فيه فقام وصففنا خلفه وصلى ثم سلم وسلمنا حين سلم متفق عليه فهذا أصل هذه الصلاة وقصتها ولفظ البخاري فيها فاختصره بعض الرواة عن عتبان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى في بيتي سبحة الضحى فقاموا وراءه فصلوا وأما قول عائشة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى إلا أن يقدم من مغيبه فهذا من أبين الأمور أن صلاة

النور بأن عامر الماكتب طالب سراقة كتابة الصديق لشهرته وعظمته وعند ابن عقبة وابن اسحق فلم أذكر شيأ مما كان حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من حنين خرجت لالقاه ومعي الكتاب فلقيته بالجعرانة حتى دنوت منه فرفعت يدي بالكتاب فقلت يا رسول الله هذا كتابك قال يوم وفاء وبر ادن فدنوت منه وأسلمت وروى ابن مردويه وابن أبي حاتم عن الحسن عن سراقة فبلغني أنه يريد ان يبعث خالد بن الوليد الى قومي فأتيته فقلت أحب ان توادع قومي فان أسلم قومك أسلموا والا آمنت منهم فاخذ صلى الله عليه وسلم بيد خالد فقال اذهب معه فافعل ما يريد فصالحهم خالد على ان لا يعينوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أسلمت قريش أسلموا معهم فانزل الله الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق فكان من وصل اليهم كان معهم على عهدهم قال ابن اسحق ولما بلغ أبا جهل مالقي سراقة ولامه في تركهم أنشده

أبا حكم واللات لو كنت شاهدا * لامر جوادي اذ تسيخ قوائمه

عجبت ولم تشكك بان محمدا * نبي وبرهان فمن ذا يكاتمه

زاد بعضهم عليك بكف القوم عنه فانني * أرى أمره يوما ستبدو معالمه

وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى وذكر ابن المنير انه عليه السلام قال له ذلك يوم لحقهما في الهجرة فعجب من ذلك فلما أتي بهما عمر وبتاجه ومنطقته دعا سراقة فالبسه السوارين وقال ارفع يديك وقل الله أكبر الحمد لله الذي سلبهما كسرى بن هرمز وألبسهما سراقة بن مالك أعرابيا من بني مدلج ورفع عمر صوته ثم قسم ذلك بين المسلمين (واجتاز صلى الله عليه وسلم في وجهه) أي طريقه (ذلك) الذي هو مار به (بعبد) قال في النور أسود ولا أعرفه ولم أر من ذكره في الصحابة (يرعى غنما فكان من شانه ما رويناه من طريق البيهقي بسنده عن قيس بن النعمان) السكوني احد وفد عبد القيس الكوفي يقال قرأ القرآن على عهد المصطفى وأحصاه على عهد عمر له حديث في سنن أبي داود (قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر) حال كونهما (مستخفيين مرا بعبد يرعى غنما فاستسقياه اللبن فقال ما عندي شاة تحلب) بالبناء للمفعول (غير ان ههنا عناقا) بفتح العين الانثى من ولد المعز قبل استكمال الحول كذا في المصباح فلعله عبر بالعناق مجازا من تسمية الشئ بما يقرب منه والا فانافي قوله (حملت عام أول وما بقي لها لبن) فانه ظاهر في انه سبق لها حمل وولادة لكن رواية البيهقي كما في العيون حملت أول باسقاط عام وزيادة وقد أخدجت وما بقي لها لبن وأخدجت بفتح الهمزة واسكان المعجمة فهملة فجيم مفتوحتين فتاء تانيث أي ألقت ولدها ناقص الخلق وان تم حملها أو ألقته وقد استبان حمله كما في أفعال ابن القطاع ورواه أبو الوليد الطيالسي بلفظ حملت أول الشتاء وقد أخدجت وما بقي لها حمل (فقال أدع بها) فدعا بها كما في رواية البيهقي فكانه سقط من قلم المصنف (فاعتقلها صلى الله عليه وسلم ومسح ضرعها ودعا) ربه (حتى أنزلت) اللبن (وجاء أبو بكر بمجن) بكسر الميم وفتح الجيم وشد النون ترس سمي مجنا لانه يواري حامله أي يستره والميم زائدة (فحلب فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قال أو تراك) الهمزة داخلة على محذوف أي أأخبرك وتراك (تكتم علي حتى أخبرك قال نعم قال فاني محمد رسول الله قال أنت الذي تزعم قريش أنه صابئ) بالهمز خارج من دين الى دين سموه بذلك زعما منهم أنه خرج من دينهم الى الاسلام مع أنه ما دخل دينهم قط اجماعا وانما (قال) صلى الله عليه وسلم (انهم ليقولون ذلك) أي وهم فيه كاذبون (قال فاشهد أنك نبي وان ما جئت به حق وانه لا يفعل ما فعلت الا نبي وأنا متبعك) أي ذاهب معك الى ما تريد على المتبادر لانه أتبعه في الدين (قال انك

لن

لما انما كانت لسبب أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين فهذا كان هديه وعائشة أخبرت بهذا وهذا وهي القائلة ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الضحى قط فالذي أثبتته فعلها بسبب كقدومه من سفر وفتحه وزيارته لقوم ونحوه وكذلك اتيانه مسجد قباء للصلاة فيه وكذلك ما رواه يوسف ابن يعقوب حدثنا محمد ابن أبي بكر حدثنا سلمة ابن رجاء حدثتنا الشعثاء قالت رأيت ابن أبي أوفى صلى الضحى ركعتين يوم بشر برأس أبي جهل فهذا ان صح فهي صلاة شكر وقعت وقت الضحى كشكر الفتح والذي نفته هو ما كان يفعله الناس يصلونها لغير سبب وهي لم تقل ان ذلك مكروه ولا مخالف لسنته ولكن لم يكن من هديه فعلها لغير سبب وقد أوصى بها وندب اليها وحض عليها وكان يستغني عنها بقيام الليل فان فيه غنية عنها وهي كالبدل منه قال تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا قال ابن عباس

ان تستطيع ذلك يوسف) لعلمه انه اذا ذهب فحمه تبعه قومه ومنعوه من ذهابه معه وعاقبوه والمراد
باليوم مطلق الزمن لا خصوص اليوم الذى هو فيه بدليل قوله (فاذا بلغك انى قد ظهرت فأتنا) وهو
برد احتمال انا شبعنا فأظهر ايمانى وان تهم بخوف اعليه من الايذاء ثم هذا الحديث قطعا غير قصة
الراعى الذى أتى ير يد ظل الصخرة التى نام تحتها صلى الله عليه وسلم لانه قال ان فى غنمه لبنا وحلب هو
لابى بكر وبرد ابو بكر اللبن حتى استيقظ المصطفى كراهة أن يوقظه ثم سقاه وأما هذا العبد فذكر انه لا لبن
معه وانما أتى اللبن معجزة والنبى صلى الله عليه وسلم هو الذى حلب وسقاه بعد ابى بكر ثم شرب هو
آخرهم ففى ظن صاحب الخميس اتحادهما فانه ذكر قطعة من حديث الراعى وعقبها بخبر العبد ثم قال
أو رد فى المواهب قصة العبد الراعى بعد قصة أم معبد نظر ظاهر وقصة الراعى كانت قبل قصة سراقة
وهى بعد قصة أم معبد كما أفاده فى فتح البارى فقال قبل حديث سراقة فى قوله فأخذ بهم طريق الساحل
تقدم فى علامات النبوة وفى مناقب أبى بكر ما اتفق لهما حين خرجا من الغار من لقى راعى الغنم وشربهما
من اللبن انتهى (قال الحافظ مغلطاى بعد ذكره لقصة أم معبد وفى الاكليل) للحاكم أبى عبد الله (قصة
أخرى شبيهة بقصة أم معبد قال الحاكم فلا أدرى أهى هى أم غيرها) وفى قوله أخرى وقوله شبيهة رد
لتردد الحاكم فيها وقد رواه تلميذه البيهقى بسند حسنه ابن كثير عن ابى بكر قال خرجت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مكة فانتهينا الى حى من احياء العرب فنزلنا على بيت منه لم يكن فيه الا امرأة وذلك
عند المساء فجاء ابن لها باعنز يسوقها فقالت له أمه انطلق بهذه الشفرة والشاة لهذين الرجلين وقل لهما
اذبحاها وكلا منها وأطعمانا فرد النبى صلى الله عليه وسلم الشفرة وقال له ائتنى بقدح فقال له انها عزبة أى
لم يطرقها الفحل قال انطلق فانطلق فجاء بقدح فمسح صلى الله عليه وسلم ضرعها ثم حلب ملء القدح
وأرسلها الام الغلام معه فشربت حتى رويت ثم دعا صلى الله عليه وسلم بأخرى ففعل بها كذلك ثم سقى
أبا بكر ثم دعا بأخرى ففعل بها كذلك وشرب صلى الله عليه وسلم فلبثنا ليلتين ثم انطلقنا فكانت تسميه
المبارك وكثرت غنمها حتى جلبت جلبا الى المدينة فمر أبو بكر عليها فعرفها ابنها وقال لها هذا الذى كان
مع المبارك فسألته عنه فقال لها هو نبى الله صلى الله عليه وسلم فادخلها عليه فأطعمها وأعطاها قال
ولا أعلمه الا قال أسلمت قال البيهقى فى الدلائل وهذه القصة قريبة من قصة أم معبد ويشبه ان تكونا
واحدة وذكر ابن اسحق ما يدل على انهما واحدة فيحتمل انه رأى التى فى كسر الخيمة أولا ثم رجع ابنها
باعنز ففعل بها ما مر ثم لما أتى زوجها وصفته له والله اعلم انتهى والذى يظهر انها غيرها كما أشار اليه
مغلطاى كيف وفى قصة أم معبد ان الشاة التى حلب انما هى التى فى كسر الخيمة وسقى الجميع منها ثم
شرب وان الآتى بالاعنز انما هو زوجها بعد ما ذهبوا وأيضا فقد قال فى هذه فلبثنا ليلتين اذ لو لبثا هما
لادركهما زوجها على المتبادر ولا مانع من التعدد والى هذا جنح فى فتح البارى فقال أخرج البيهقى فى
الدلائل شبيها باصل قصة أم معبد فى ابن الشاة المهزولة دون ما فيها من صفته صلى الله عليه وسلم لكنه لم
يسمها فى هذه الرواية ولا نسبها فاحتمل التعدد انتهى والله أعلم * (خاتمة) * ومما وقع لهم فى
الطريق انه صلى الله عليه وسلم لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسى الزبير
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابا بيضا رواه البخارى عن عروة مرسلا ووصله الحاكم عن عروة عن أبيه
الزبير وكذا لقيهما طلحة بن عبيد الله وكساهما رواه ابن أبى شيبة وغيره وأخرج البيهقى عن بريدة بن
الحصيب قال لما جعلت قريش مائة من الابل لمن يرد النبى صلى الله عليه وسلم حملنى الطمع فركبت
فى سبعين من بنى سهم فلقيته فقال من أنت قلت بريدة فالتفت صلى الله عليه وسلم الى أبى بكر وقال
برد امرنا وصلح ثم قال ممن أنت قلت من أسلم قال سلمنا ثم قال ممن قلت من بنى سهم قال خرج سهمك يا أبا

والحسن وقتادة نحوهما
وخلفة يقوم أحدهما
مقام صاحبه فمن فاته
عمل فى أحدهما قضاه فى
الآخر قال قتادة فأدوا لله
من أعمالكم خيرا فى هذا
الليل والنهار فانهما
مطيتان يقحمان الناس
الى آجالهم ويقربان كل
بعيد ويبليان كل جديد
ويجيئان بكل موعود
الى يوم القيامة وقال
شقيق جاء رجل الى
عمر بن الخطاب رضى الله
عنه فقال فاتتنى الصلاة
الليلة فقال أدرك مافاتك
من ليلتك فى نهارك فان
الله عز وجل جعل الليل
والنهار خلفة لمن أراد أن
يذكر أو أراد شكورا قالوا
وفعل الصحابة رضى الله
عنهم يدل على هذا
فان ابن عباس كان يصليها
يوما ويدعها عشرة
وكان ابن عمر لا يصليها
فاذا أتى مسجد قباء
صلاها وكان يأتيه كل
سبت وقال سفيان عن
منصور كانوا يكرهون
أن يحافظوا عليها
كالمكتوبة ويصلون
ويدعون قالوا ومن هذا
الحديث الصحيح عن
أنس أن رجلا من
الانصار كان ضخما
فقال للنبى صلى الله عليه
وسلم انى لا أستطيع أن
أصلى معك فصنع للنبى

بكر فقال بريدة للنبي صلى الله عليه وسلم من انت قال انا محمد بن عبد الله رسول الله فقال بريدة اشهد أن لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فأسلم بريدة وأسلم من كان معه جميعا قال بريدة الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين فلما أصبح قال بريدة يا رسول الله لا تدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمح ثم مشى بين يديه حتى دخلوا المدينة (ولما بلغ المسلمين) حال كونهم (بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة) ولعله بلغهم لما سمع أهل مكة الهاتف أو نحو ذلك فلا ينافي انه لم يعلم بخروجه من مكة الا علي وآل أبي بكر (فكانوا) جواب لما أدخلته الفاء على قلة (يغدون) بسكون المعجمة يخرجون غدوة وأتى بقوله (كل غداة) أي بكرة النهار مع قوله يغدون اشارة الى تكرر ذلك منهم وهو أقوى من كان مع المضارع لان منهم من صحح انها لا تفيد التكرار أو لانه لما استعمل الغدو في الذهاب أي وقت كان كما ذكره الازهري أتى به ليعين المراد منه (الى الحرة) بفتح المهملة وشد الراء أرض ذات حجارة سود كانت بها الوقعة المشهورة أيام يزيد (ينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة) كما في حديث عائشة في البخاري وعند ابن سعد واذا أحرقتهم الشمس رجعوا الى منازلهم وللحاكم عن عن عبد الرحمن بن عويم بن ساعدة عن رجال من قومه كنا نخرج فنجلس بظاهر الحرة فنلجأ الى ظل المدر حتى تغلبنا عليه الشمس ثم نرجع الى رحالنا ولم أر عدة الايام التي فعلوا ذلك فيها ويحتمل انها الثلاثة التي مكثها في الغار واليومان اللذان لبثهما عند المرأة (فانقلبوا يوما بعدما طال انتظارهم) له عليه السلام (فلما أووا الى بيوتهم أوفى) بفتح الهمزة والفاء طلع (رجل من يهود) قال الحافظ لم أقف على اسمه (على أطم) بضم الهمزة والطاء (من آطامهم) هو الحصن ويقال انه كان بناء من حجارة كالقصر كما في الفتح (فبصر) بفتح الموحدة وضم المهملة أي علم (برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه) كأبي بكر ومولاه والدليل وبريدة حال كونهم (مبيضين) أي عليهم الثياب البيض التي كساها اياهم الزبير وطلحة وقال ابن التين يحتمل ان معناه مستعجلين قال ابن فارس يقال بائض أي مستعجلين ويدل عليه (يزول بهم) أي يرفعهم ويظهرهم (السراب) المرئي نصف النهار في شدة الحر كانه ماء وفي الفتح أي يزول بسبب عروضهم له وقيل معناه ظهرت حركتهم فيه للعين (فلم يملك اليهودي نفسه فصاح بأعلى صوته يا بني قيلة) بفتح القاف وسكون التحتية الجدة الكبرى للانصار والدة الاوس والخزرج وهي بنت كاهل بن عذرة (هذا جدكم) بفتح الجيم وشد المهملة (أي حظكم ومطلوبكم) وصاحب دولتكم الذي تتوقعونه وفي رواية هذا صاحبكم (قد أقبل فخرج اليه بنو قيلة وهم الاوس والخزرج سراعا بسلاحهم) اظهارا للقوة والشجاعة لتطمئن نفسه صلى الله عليه وسلم بقدومه عليهم ويظهر صدقهم في مبايعتهم اياه على أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم وأنفسهم (فنزل بقباء على بني عمرو بن عوف) بن مالك ابن الاوس بن حارثة على فرسخ من المسجد النبوي وكان نزوله على كلثوم بن الهدم قيل كان يومئذ مشركا وجزم به محمد بن زبالة (الحديث رواه البخاري) من حديث عائشة (وفيه ان أبا بكر قام للناس) يتلقاهم (وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق) بكسر الفاء وفتحها جعل (من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر) أي يسلم عليه يظنه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية ابن عقبة عن ابن شهاب وهو ظاهر السياق خلافا لقول ابن التين لمعرفتهم أبا بكر لكثرة تردده لهم في التجارة الى الشام بخلاف المصطفى فلم يأتها بعد ان كبر قاله الحافظ ملخصا أي وأما من رآه كأهل العقبات فانهم يحيونه لمعرفتهم به لكن لو وقع لعلمه غيرهم ممن لم يره بتحية الرأس فلعلهم تأخروا ذلك الوقت لعذر (حتى أصابت الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس رسول الله عند ذلك) وعند ابن عقبة عن الزهري فطفق من جاء من الانصار ممن لم يكن

صلى الله عليه وسلم طعاما ودعاه الى بيته ونضح له طرف حصير بماء فصلى عليه ركعتين قال أنس ما رأيته صلى الضحى غير ذلك اليوم رواه البخاري ومن تأمل الاحاديث المرفوعة وآثار الصحابة وجدها لا تدل الا على هذا القول وأما أحاديث الترغيب فيها والوصية بها فالصحيح منها كحديث أبي هريرة وأبي ذر لا يدل على أنها سنة راتبة لكل أحد وانما أوصى أبا هريرة بذلك لانه قد روي أن أبا هريرة كان يختار درس الحديث بالليل على الصلاة فأمره بالضحى بدلا من قيام الليل ولهذا أمره أن لا ينام حتى يوتر ولم يأمر بذلك أبا بكر وعمر وسائر الصحابة وعامة أحاديث الباب في أسانيدها مقال وبعضها منقطع وبعضها موضوع لا يحل الاحتجاج به كحديث يروى عن أنس مرفوعا من داوم على صلاة الضحى ولم يقطعها الا عن علة كنت أنا وهو في زورق من نور في بحر من نور وضعه زكريا بن دريد الكندي عن حميد وأما حديث يعلى بن أشدق عن عبد الله بن جراد عن النبي صلى الله عليه وسلم

رآه يحسبه اياه حتى اذا أصابته الشمس أقبل أبو بكر حتى أظله به وعند ابن اسحق عن عبد الرحمن بن عويم أناخ الى الظل هو وأبو بكر والله ما أدرى أيهما هو حتى رأينا أبا بكر ينحاز له عن الظل فعرفناه بذلك (وظاهر هذا انه عليه الصلاة والسلام كانت الشمس تصيبه وما تقدم من تظليل الغمام والملك له كان قبل بعثته كما هو صريح في موضعه) فلا ينافي ما هنا (قال موسى بن عقبة عن ابن شهاب وكان قدومه عليه السلام لهلال ربيع الاول أى أول يوم منه) فليس دخوله مقارنا لطلوع الهلال كما قد يتوهم من قوله لهلال اذ اللام بمعنى عند (وفى رواية جرير بن حازم) بن زيد بن عبد الله الازدى البصرى الثقة المتوفى سنة سبعين ومائة (عن ابن اسحق قدمها لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول) وهذا يجمع بينه وبين ما قبله بالاختلاف فى رؤية الهلال كما يأتى قريبا (ونحوه عند أبى معشر) نجيح بن عبد الرحمن الهاشمى مولاهم السندى بكسر المهملة وسكون النون فيه مقال لكن قال مغلطاى هو من المعتمدين فى السير فى بعض ترجمته (لكنه قال ليلة الاثنين) ومثله عن ابن البرقى وثبت كذلك فى أواخر مسلم قال مغلطاى وفيه نظر والدمياطى هو غير محفوظ ويأتى جمع الحافظ (وعن ابن سعد) ليس هو محمد بن سعد كاتب الواقدى كما هو المتبادر عند الاطلاق وانما هو هنا كما فى فتح البارى ابراهيم بن سعد عن ابن اسحق (قدمها لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول) وابراهيم هذا آخر من روى المغازى عن ابن اسحق كما فى الروض (وفى كتاب (شرف المصطفى) لابى سعد النيسابورى (من طريق ابى بكر) بن محمد بن عمرو (بن حزم) بمهملة وزاى الانصارى النجارى قاضى المدينة ثم أميرها مات سنة عشرين ومائة عن اربع وثمانين سنة (قدم لثلاث عشرة من ربيع الاول) قال الحافظ فى الفتح (وهذا) أى المذكور (يجمع بينه وبين الذى قبله) من القولين الاولين وهما الهلال والليلتين والاخيرين وهما الاثنتى عشرة ولثلاث عشرة (بالحمل على الاختلاف فى رؤية الهلال) زاد فى الفتح وعند ابى سعد فى الشرف من حديث عمر ثم نزل على بنى عمرو بن عوف يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ربيع الاول كذا فيه ولعله كان خلتا ليوافق رواية جرير بن حازم (وقيل كان حين اشتد الضحاء) بالفتح والمد كما فى النور أى قوى وكمل ببلوغه آخر وقته فلا ينافى ما مر ان اليهود رآهم يزول بهم السراب وأما الضحى بالضم والقصر فالشمس كما فى القاموس (يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت منه وبه جزم النووى فى كتاب السير من الروضة) وثنى به فى الاشارة (وقال ابن الكلبى) هشام بن محمد (خرج من الغار يوم) الذى فى الفتح عن ابن الكلبى ليلة (الاثنين أول ربيع الاول) قال الحافظ ويوافقه جزم ابن حزم بانه خرج من مكة لثلاث ليال بقين من صفر فان كان محفوظا فلعل قدومه قباء كان يوم الاثنين ثامن ربيع الاول انتهى وهذا الذى ترجاه صدر به مغلطاى فى الاشارة قال الحافظ وان ضم الى قول أنس أقام بقباء أربع عشرة ليلة خرج منه ان دخوله المدينة كان لاثنين وعشرين منه لكنه قال (ودخل المدينة يوم الجمعة لثنتى عشرة خلت منه) فعلى هذا تكون اقامته بقباء أربع ليال فقط وبه جزم ابن حبان فانه قال أقام بها الثلاثاء والاربعاء والخميس يعنى وخرج يوم الجمعة فلم يعد يوم الخروج وكذا قال ابن عقبة انه أقام فيهم ثلاث ليال فكأنه لم يعتد بيوم الخروج ولا الدخول انتهى (وقيل لليلتين خلتا منه) قاله ابن الجوزى قال مغلطاى وفيه نظر وعند ابن الزبير عن الزهرى قدم فى نصف ربيع الاول وقيل فى سابعه والاكثر انه قدم نهارا وفى مسلم ليلا وجمع الحافظ بان القدوم كان آخر الليل فدخل فيه نهارا (وعند البيهقى لاثنتين وعشرين ليلة) فيوافق قول أنس أقام بقباء أربع عشرة ليلة مع ضمه لقوله (وقال ابن حزم خرجا من مكة وبقى من صفر ثلاث ليال) فيكون خروجهما يوم الخميس والاقامة بالغار ليلة الجمعة والسبت والاحد والخروج منه ليلة الاثنين وهذا

من صلى منكم صلاة الضحى فليصلها متعبدا فان الرجل ليصليها السنة من الدهر ثم ينساها او يدعها فتحن اليه كما تحن الناقة على ولدها اذا فقدته وياعجبا للحاكم كيف يحتج بهذا وأمثاله فانه يروى هذا الحديث فى كتاب أفرده للضحى وهذه نسخة موضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى نسخة يعلى بن الاشدق وقال ابن عدى روى يعلى ابن الاشدق عن عمه عبد الله بن جراد عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة منكرة وهو وعمه غير معروفين وبلغنى عن أبى مسهر قال قلت ليعلى بن الاشدق ما سمع عمك من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جامع سفيان وموطأ مالك وشيأ من الفوائد وقال أبو حاتم بن حبان لقى يعلى عبد الله ابن جراد فلما كبر اجتمع عليه من لا دين له فوضعوا له شبيها بمائتى حديث فجعل يحدث بها وهو لا يدرى وهو الذى قال له بعض مشايخ أصحابنا أى شئ سمعته من عبد الله بن جراد فقال هذه النسخة وجامع سفيان لا تحل الرواية

يوافق الجمع السابق (وأقام علي بمكة بعد مخرج النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام) حتى أدى للناس ودائعهم التي كانت عند المصطفى وخلفه لردها (ثم أدركه بقباء يوم الاثنين سابع وقيل ثامن عشر ربيع الأول وكانت مدة مقامه مع النبي صلى الله عليه وسلم) بقباء (ليلة أو ليلتين) وفي روضة الاحباب وكان علي يسير بالليل ويختفي بالنهار وقد نقبت قدماه فمسحهما النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له بالشفاء فبرئتا في الحال وما اشتكاهما بعد اليوم قط (وأمر صلى الله عليه وسلم) وهو بقباء (بالتاريخ) قال الجوهري هو تعريف الوقت والتوريخ مثله يقال أرخت وورخت وقيل اشتقاقه من الارخ وهو الانثى من بقر الوحش كأنه شيء حدث كما يحدث الولد وقيل هو معرب ويقال أول ما أحدث التاريخ من الطوفان قاله في الفتح واصطلاحا قيل توقيت الفعل بالزمان ليعلم ما بين مقدار ابتدائه وبين أي غاية وضعت له فاذا قلت كتبت كذا في يوم كذا من شهر كذا ثم قرئ بعد سنة مثلا علم ان ما بين القراءة والكتابة سنة وقيل هو أول مدة من شهر ليعلم به مقدار ما مضى واختصت العرب بانها تؤرخ بالسنة القمرية لا الشمسية فلذا قدمت الليالي لان الهلال انما يظهر ليلا (فكتب من حين الهجرة) رواه الحاكم في الاكليل عن الزهري وهو معضل والمشهور خلافه وأن ذلك زمن عمر كما قال الحافظ (وقيل ان عمر أول من أرخ) أخرج أبو نعيم الفضل بن دكين في تاريخه ومن طريقه الحاكم عن الشعبي ان ابا موسى كتب الى عمر أنه يأتينا منك كتب ليس لها تاريخ فجمع عمر الناس فقال بعضهم أرخ بالمبعث وبعضهم بالهجرة فقال عمر الهجرة فرقت بين الحق والباطل فارخوا بها وبالمحرم لانه منصرف الناس من حجهم فاتفقوا عليه وذلك سنة سبع عشرة ورواه ابن أبي خيثمة عن ابن سيرين بنحوه قال وذلك في سنة سبع عشرة وقيل ست عشرة في ربيع الاول فلذا قال (وجعله من المحرم) لان ابتداء العزم على الهجرة كان فيه اذ البيعة وقعت أثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة وأول هلال استهل بعدها والعزم على الهجرة الهلال المحرم فناسب أن يجعل مبتدأ والمتحصل من مجموع آثار ان الذي أشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي وذكر السهيلي أن الصحابة أخذوا التاريخ بالهجرة من قوله لمسجد أسس على التقوى من أول يوم لان من المعلوم أنه ليس أول الايام مطلقا فتعين أنه أضيف الى شيء مضمر وهو أول الزمن الذي عز فيه الاسلام وعبد النبي صلى الله عليه وسلم ربه آمنا وابتدأ فيه بناء المسجد فوافق رأي الصحابة ابتداء التاريخ من ذلك اليوم وفهمنا من فعلهم ان قوله تعالى من أول يوم أنه أول التاريخ الاسلامي قال في الفتح كذا قال والمتبادر أن معنى قوله من أول يوم أي دخل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه المدينة انتهى وقد قال ابن المنير كلام السهيلي تكلف وتعسف وخروج عن تقدير الاقدمين فانهم قدروه من تأسيس أول يوم فكأنه قيل من أول يوم وقع فيه التأسيس وهذا تقدير تقتضيه العربية وتشهد له الآية وقيل أول من أرخ يعلى بن أمية حين كان باليمن حكاه مغلطاي ورواه أحمد باسناد صحيح عن يعلى قال الحافظ لكن فيه انقطاع بين عمرو ابن دينار ويعلى ولم يؤرخوا بالمولد ولا بالمبعث لان وقتهما لا يخلو من نزاع من حيث الاختلاف فيهما ولا بالوفاة النبوية لما يقع في تذكره من الاسف والتألم على فراقه وقيل بل أرخ بوفاته عليه السلام حكاه مغلطاي (و) اختلف في قدر اقامته في قباء فذكر موسى بن عقبة عن ابن شهاب عن مجمع بن جارية أنه (أقام عليه السلام بقباء في بني عمرو بن عوف اثنتين وعشرين ليلة) وحكاه الزبير بن بكار عن قوم من بني عمرو (وفي صحيح مسلم) لا وجه للاقتصار عليه بل والبخاري كلاهما عن أنس (أقام فيهم أربع عشرة ليلة) وبه يفسر قول عائشة بضع عشرة ليلة (و يقال أنه أقام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس) قاله ابن اسحق وجزم به ابن حبان قال اليعمري وهو المشهور عند أصحاب المغازي وقيل أقام ثلاثا فقط رواه ابن عائذ عن ابن عباس وابن عقبة عن الزهري

منه لمحال وكذلك حديث عمر بن صبيح عن مقاتل ابن حبان حديث عائشة المتقدم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى ثنتي عشرة ركعة وهو حديث طويل ذكره الحاكم في صلاة الضحى وهو حديث موضوع المتهم به عمر بن صبيح قال البخاري حدثني يحيى ابن علي بن جبير قال سمعت عمر بن صبيح يقول أنا وضعت خطبة النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عدي منكر الحديث وقال ابن حبان يضع الحديث على الثقات لا يحل كتب حديثه الا على جهة التعجب منه وقال الدارقطني متروك وقال الازدي كذاب وكذلك حديث عبد العزيز بن ابان عن الثوري عن حجاج بن فرافصة عن مكحول عن أبي هريرة مرفوعا من حافظ على سبحة الضحى غفرت ذنوبه وان كانت بعدد الجراد وأكثر من زبد البحر ذكره الحاكم أيضا وعبد العزيز هذا قال ابن نمير هو كذاب وقال يحيى ليس بشيء كذاب خبيث يضع الحديث وقال البخاري والنسائي والدارقطني

وقال ابن اسحق أقام فيهم خمسا وبنو عمرو بن عوف يزعمون أكثر من ذلك قال الحافظ أنس ليس من بني عمرو فانهم من الاوس وأنس من الخزرج وقد جزم بما ذكر فهو أولى بالقبول من غيره انتهى لاسيما مع صحة الطريق اليه لاتفاق الشيخين عليه وفي ذخائر العقبي أقام ليلة أو ليلتين (وأسس) صلى الله عليه وسلم (مسجد قباء) وصلى فيه روى ابن زبالة أنه كان لكلثوم ابن الهدم مربد فأخذه صلى الله عليه وسلم فاسسه وبناه مسجدا وأخرج عبد الرزاق والبخاري عن عروة وابن عائذ عن ابن عباس الذي بنى فيهم المسجد الذي أسس على التقوى هم بنو عمرو بن عوف وروى يونس في زيادات المغازي عن الحكم بن عتيبة لما نزل صلى الله عليه وسلم قباء قال عمار بن ياسر ما لرسول الله بد من أن نجعل له مكانا يستظل فيه إذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبنى مسجد قباء فهو أول مسجد بني يعني في الاسلام وروى ابن أبي شيبة عن جابر قال لقد لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين نعمر المساجد ونقيم الصلاة ولذا أقبل المتقدمون في الهجرة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والانصار بقباء قد بنوا مسجدا يصلون فيه فلما هاجر صلى الله عليه وسلم وورد بقباء صلى فيه الى بيت المقدس ولم يحدث فيه شيأ وجمع بينهما بما حاصله أنه لم يحدث فيه شيأ في أول بنائه لكن لما قدم وصلى فيه غير بناءه وقدم القبلة موضعها اليوم كما في حديث عند ابن أبي شيبة أيضا (الذي أسس على التقوى على الصحيح) في تفسير الآية وهو ظاهرها وقول الجمهور وبه جزم عروة بن الزبير عند البخاري وغيره كما علم وذهب قوم منهم ابن عمر وأبو سعيد وزيد بن ثابت الى أنه مسجد المدينة وحجته قوية فقد صح مرفوعا نصا أخرج مسلم عن أبي سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال هو مسجدكم هذا وروى أحمد والترمذي عن أبي سعيد اختلف رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى فقال أحدهما هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الآخر هو مسجد قباء فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه عن ذلك فقال هو هذا وفي ذلك خير كثير وأخرجه أحمد عن سهل بن سعد نحوه وأخرجه من وجه آخر عن سهل عن أبي بن كعب مرفوعا ولهذه الاحاديث وصحتها جزم الامام مالك في العتبية بأن الذي أسس على التقوى مسجد المدينة وقال ابن رشد في شرحها أنه الصحيح قال الحافظ والحق ان كلا منهما أسس على التقوى وقوله تعالى في بقية الآية يحبون ان يتطهروا يؤيد كون المراد مسجد قباء وعند أبي داود باسناد صحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزلت رجال يحبون ان يتطهروا في أهل قباء وعلى هذا فالسر في جوابه صلى الله عليه وسلم بأن المسجد الذي أسس على التقوى مسجده رفع توهم ان ذلك خاص بمسجد قباء قال الداودي وغيره ليس هذا اختلافا لان كلا منهما أسس على التقوى وكذا قال السهيلي وزاد غيره ان قوله من أول يوم يقتضي مسجد قباء لان تأسيسه في أول يوم حل النبي صلى الله عليه وسلم بدار الهجرة انتهى (وهو) في التحقيق كما قال الحافظ (أول مسجد بني في الاسلام وأول مسجد صلى فيه عليه السلام باصحابه جماعة ظاهرا وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة وان كان تقدم بناء غيره من المساجد) كبناء أبي بكر بفناء داره (لكن لخصوص الذي بناه) فلا يعادل هذا وقد روى الترمذي عن أسيد بن ظهير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلاة في مسجد قباء ركعتين أحب الي من ان آتي بيت المقدس مرتين لو يعلمون ما في قباء لضربوا اليه أكباد الابل وأخرج الشيخان عن ابن عمر كان صلى الله عليه وسلم يزور قباء أو يأتي قباء راكبا أو ماشيا واخرجا عنه أيضا رفعه من صلى فيه كان كعدل عمرة وروى ابن ماجه عن سهل بن حنيف رفعه من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان كاجر عمرة وأخرج مالك وأحمد والبخاري والنسائي والحاكم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتي مسجد قباء كل سبت راكبا أو ماشيا وكان عبد الله يفعله (ثم خرج عليه

متروك الحديث وكذلك حديث النهاس بن فهم عن شداد عن أبي هريرة يرفعه من حافظ على سبحة الضحى غفرت ذنوبه وان كانت أكثر من زبد البحر والنهاس قال يحيى ليس بشئ ضعيف كان يروي عن عطاء عن ابن عباس أشياء منكرة وقال النسائي ضعيف وقال ابن عدي لا يساوي شيأ وقال ابن حبان كان يروي المناكير عن المشاهير ويخالف الثقات لا يجوز الاحتجاج به وقال الدارقطني مضطرب الحديث تركه يحيى القطان وأما حديث حميد بن صخر عن المقبري عن أبي هريرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا الحديث وقد تقدم فحميد هذا ضعفه النسائي ويحيى بن معين ووثقه آخرون وأنكر عليه بعض حديثه وهو ممن لا يحتج به اذا انفرد والله أعلم * وأما حديث محمد بن اسحق عن موسى عن عبد الله بن المثنى عن أنس عن عمه ثمامة عن أنس يرفعه من صلى الضحى بنى الله له قصرا في الجنة من ذهب فمن الاحاديث الغرائب وقال الترمذي غريب

السلام من قباء يوم الجمعة) كما عند ابن عائذ وابن اسحق وانما يأتى على أنه أقام بقبا أربعة أيام كما قال زين الحافظ

أقام أربعا لديهم وطلع * فى يوم جمعة فصلى وجمع
فى مسجد الجمعة وهو أول * ماجمع النبى فيما نقلوا
وقيل بل أقام أربع عشره * فيهم وهم ينتحلون ذكره
وهو الذى أخرجه الشيخان * لكن ما مر من الاتيان
لمسجد الجمعة يوم جمعة * لايستقيم مع هذى المدة
الا على القول بكون القدمة * الى قبا كانت بيوم الجمعة

(حين ارتفع النهار فأدركته الجمعة) أى صلاتها وتعبيره بيوم الجمعة مشعر بقدم تسميتها بذلك وهو أحد الاقوال لجمع الخلائق فيه يوم القيامة أولان خلق آدم جمع فيه وقيل أول من سماه بذلك كعب بن لؤى وقيل قصى كما مر فى النسب الكريم وقيل التسمية به اسلامية لاجتماع الناس للصلاة فيه لما جمع اسعد ابن زرارة بالناس قبل الهجرة النبوية (فى) أرض أومساكن (بنى سالم بن عوف فصلاها) بمسجدهم (بمن كان معه من المسلمين وهم مائة) وقيل أربعون ولا ينافيهما رواية أنه حين قدم عليه السلام استقبله زهاء خمسمائة بقباء لجواز أنهم رجعوا بعد الى المدينة فلم يبق معه لما دخل بنى سالم الا هؤلاء (فى بطن وادى رانوناء براء مهملة ونونين ممدودا كعاشوراء وتاسوعاء واسم المسجد غبيب بضم الغين المعجمة) وفتح الموحدة وسكون التحتية فموحدة (بتصغير غب كما ضبطه صاحب المغانم المطابة فى فضائل طابة وهو المجد الشيرازى صاحب القاموس) ويقع فى بعض النسخ السقيمة زيادة وفى القاموس الغبغب كجندب وكان أصله طرة معارضة لضبط المصنف لان تصغيره على هذا غبيب بشد الياء فألحقها من لايميز وهى خطأ شنيع لان القاموس انما ذكره فى العين المهملة فقال العب شرب الماء الى ان قال والعيعب كجندب كثرة الماء وواد وصرح فى الغين المعجمة بمثل ماهنا فقال وكزبير موضع بالمدينة (والوادى) اسمه (ذى صلب) كذا فى نسخ بالياء وكان اسمه بالياء فقصد حكايته وفى نسخة ذو صلب وأخرى والوادى وادى صلب وهما ظاهرتان وفى القاموس الصلب بالضم وكسكر وأسير (ولذا) أى لصلاته عليه السلام فيه (سمى مسجد الجمعة) وهى أول جمعة صلاها وأول خطبة خطبها فى الاسلام كما قال ابن اسحق وجزم به اليعمرى وقيل كان يصلى الجمعة فى مسجد قباء مدة اقامته (وهو مسجد صغير مبنى بحجارة قدر نصف القامة وهو على يمين السالك الى مسجد قباء) أى وكان مختصا ببنى سالم لما مر ان أول مسجد بنى لعامة المسلمين مسجد قباء وبكونه للعامة لاينافيه قول جابر لقد لبثنا بالمدينة قبل ان يقدم النبى صلى الله عليه وسلم سنتين نعمر المساجد ولايرد ان التحرير ان بين ابتداء هجرة الصحابة وبين الهجرة النبوية شهرين وبعض شهر لان ابتداء الهجرة كان بعد العقبة الثالثة بتلك المدة وعمارة المساجد بعد الاولى ودفع استشكاله بزيادة المدة على سنتين بأنهم لم يعمروا بمجرد رجوع الستة الاولين الى المدينة بل بعد ظهور الاسلام بها (ثم ركب صلى الله عليه وسلم على راحلته بعد) صلاة (الجمعة متوجها الى المدينة و) روى أنس بن مالك أنه صلى الله عليه وسلم أقبل الى المدينة وهو (مردف أبا بكر) خلفه على الراحلة التى هو عليها اكراما له والافقد كان له راحلة كما مر وفى فتح البارى قال الداودى يحتمل أنه مرتدف خلفه على راحلته ويحتمل ان يكون على راحلة أخرى قال الله تعالى بألف من الملائكة مردفين أى يتلو بعضهم بعضا ورجح ابن التين الاول وقال لايصح الثانى لانه يلزم منه أن يمشى أبو بكر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم قلت انما يلزم ذلك لو كان الخبر جاء بالعكس كان يقول والنبى مرتدف خلف أبى بكر فأما ولفظه وهو مردف أبا بكر فلا وسيأتى فى الباب بعده يعنى فى البخارى من وجه آخر عن أنس فكأنى أنظر الى النبى

صلى

لاتعرفه الامن هذا الوجه * وأما حديث نعيم بن همار بن آدم لاتعجزلى عن أربع ركعات فى أول النهار أكفك آخره وكذلك حديث أبى الدرداء وأبى ذر فسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول هذه الاربع عندى هى الفجر وسنتها

(فصل) وكان من هديه صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه سجود الشكر عند تجدد نعمة تسر أو اندفاع نقمة كما فى المسند عن أبى بكرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه أمر يسره خر لله ساجدا شكرا لله تعالى وذكر ابن ماجه عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم بشر بحاجة فخر لله ساجدا وذكر البيهقى باسناد على شرط البخارى أن عليا رضى الله عنه لما كتب الى النبى صلى الله عليه وسلم باسلام همدان خر ساجدا ثم رفع رأسه فقال السلام على همدان السلام على همدان وصدر الحديث فى صحيح البخارى وهذا تمامه باسناده عند البيهقى وفى المسند من حديث عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد شكرا لما جاءه

صلى الله عليه وسلم على راحلته وأبو بكر ردفه انتهى وذكر ابن هشام انهم لما وصلوا الى العرج أبطأ عليهم بعض ظهرهم فحمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أوس بن حجر الاسلمي على جمل له الى المدينة وبعث معه غلاما يقال له مسعود بن هنيدة وأخرجه الطبراني وغيره عن أوس وفيه انه أعطاهما فحل ابله وأرسل معهما غلامه مسعودا وأمره أن لا يفارقهما حتى يصلا المدينة (وأبو بكر شيخ) قد أسرع اليه الشيب (يعرف) لانه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة كما في الفتح (والنبي صلى الله عليه وسلم شاب) لا شيب فيه (لا يعرف) لعدم تردده اليهم فانه كان بعيد العهد بالسفر من مكة (قال) انس (فيلقى الرجل أبا بكر فيقول يا أبا بكر من هذا الذي بين يديك فيقول هذا الرجل يهديني السبيل فيحسب) بفتح السين في لغة جميع العرب الابني كنانة فكسروها في المضارع والماضي على غير قياس (الحاسب انه انما يعني الطريق) الحسية (وانما يعني) أبو بكر (سبيل الخير الحديث) ذكر في بقيته تعرض سراقة وتلقي الانصار ثم ركوبه الى أن وصل دار أبي ايوب (رواه البخاري) في الهجرة (وقد روى) محمد (بن سعد) ما يبين سبب هذه التورية وهو (انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أله) بفتح الهمزة واسكان اللام (عني الناس فكان اذا سئل من أنت قال باغي حاجة فاذا قيل من هذا معك) حذف الموصول الاسمي وأبقى صلته أي الذي معك وهو جائز عند الكوفيين أو هو حال من ذا (قال هذا يهديني السبيل) وهذا من معاريض الكلام المغنية عن الكذب جمعا بين المصلحتين (وفي حديث الطبراني من رواية أسماء بنت الصديق (وكان أبو بكر رجلا معروفا في الناس فاذا لقيه لاق يقول لابي بكر من هذا) حال كونه (معك) أو الذي معك (فيقول هذا يهديني الطريق يريد الهداية في الدين) المتجددة المتكررة لتعبيره بالمضارع دون الماضي (ويحسبه الآخر) الذي سأله (دليلا) للطريق الحقيقي والى هنا انتهى ما نقله من رواية الطبراني وبين المصنف سند قول أنس يعرف ولا يعرف فقال (وانما كان أبو بكر معروفا لاهل المدينة لانه مر عليهم في سفره للتجارة) الى الشام مرورا وترددا ومخالطة حتى عرفوه لا مجرد السير اذ لا يستدعي المعرفة وفي الفتح لانه كان يمر على أهل المدينة في سفر التجارة بخلاف النبي صلى الله عليه وسلم في الامرين فانه كان بعيد العهد بالسفر من مكة أي لانه سافر مع عمه وهو صغير كما مر (وكان صلى الله عليه وسلم لم يشب) حينئذ ثم شاب بعض شعرات في رأسه ولحيته كما يأتي في شمائله (و) الا ففي نفس الامر (كان صلى الله عليه وسلم أسن من أبي بكر) فانه استكمل مدة خلافته سن المصطفى على الصحيح خلاف ما يتوهم من قوله شاب وأبو بكر شيخ وقد ذكر أبو عمر من رواية حبيب بن الشهيد عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الاصم انه صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر أيما اسن أنا أو أنت قال أنت أكرم يا رسول الله مني وأكبر وأنا أسن منك قال أبو عمر هذا مرسل ولا أظنه الا وهما قال الحافظ وهو كما ظن وانما يعرف هذا للعباس وأما أبو بكر ففي مسلم عن معاوية انه عاش ثلاثا وستين سنة وعاش بعد المصطفى سنتين وأشهرا فيلزم على الصحيح في سنه صلى الله عليه وسلم ان أبا بكر أصغر منه باكثر من سنتين انتهى ولا يرد عليه قول انس شيخ لانه من جاوز الاربعين كان في المصباح (وفي حديث أنس) عند البخاري (لم يكن في الذين هاجروا أشمط) بفتح الهمزة والميم بينهما معجمة ساكنة ثم طاء مهملة أي خالط سواد شعره بياضه (غير أبي بكر) فغلفها بالحناء والكتم حتى قنأ لونها غلف بفتح الغين المعجمة واللام الثقيلة كما قال عياض انه الرواية وبالفاء قال الحافظ أي خضبها والمراد اللحية وان لم يقع لها ذكر حتى قنأ بفتح القاف والنون والهمزة أي اشتدت حمرتها اهـ أي حتى ضربت الى السواد واطلاق الشمط على شيب غير الرأس نقله في المغرب عن الليث وخصه غيره بشيب الرأس والحديث شاهد للاول والكتم بفتح الكاف والمثناة الخفيفة وحكي تثقيلها ورق يخضب به

البشرى من ربه أنه من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه وفي سنن أبي داود من حديث سعد بن أبي وقاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه فسأل الله ساعة ثم خر ساجدا ثلاث مرات ثم قال اني سألت ربي وشفعت لامتي فاعطاني ثلث أمتي فخررت ساجدا شكرا لربي ثم رفعت رأسي فسألت ربي لامتي فاعطاني الثلث الثاني فخررت ساجدا شكرا لربي ثم رفعت رأسي فسألت ربي لامتي فاعطاني الثلث الآخر فخررت ساجدا لربي وسجد كعب ابن مالك لما جاءته البشرى بتوبة الله عليه ذكره البخاري وذكر أحمد عن علي عليه السلام أنه سجد حين وجد ذا الثدية في قتلى الخوارج وذكر سعيد ابن منصور أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه سجد حين جاءه قتل مسيلمة

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في سجود القرآن)

كان صلى الله عليه وسلم اذا مر بسجدة كبر وسجد وربما قال في سجوده سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه

كالآس ينبت فى أصغر الصخور فيتدلى حيطانا لطافا ومجتناه صعب ولذا قل وقيل انه يخلط بالوسمة
وقيل انه الوسمة وقيل هو النيل وقيل حناء قريش وصبغه أصفر (وكان عليه الصلاة والسلام كلما
مر على دار من دور الانصار يدعونه الى المقام) بضم الميم أى الاقامة (عندهم) بقولهم (يا رسول الله هلم
الى القوة والمنعة) العز والجماعة الذين يمنعونك ويحمونك بحيث لا يقدر عليك من استعمال المشترك
فى معنييه فالمنعة بفتحتين مشترك بين العز والجماعة الذين يحمونك وان سكنت النون فبمعنى العز
فقط قال الحافظ وسمى ممن سأله النزول عندهم عتبان بن مالك فى بنى سالم وفروة بن عمرو فى بنى بياضة
والمنذر بن عمرو وسعد بن عبادة وغيرهما فى بنى ساعدة وأبو سليط وغيره فى بنى عدى (فيقول) لكل
منهم (خلوا سبيلها يعنى ناقته) القصواء أو الجدعاء وفى انهما ثنتان أو واحدة لها القبان خلاف وفى
الالفية عضباء جدعاء هما القصواء لكن روى البزار عن أنس خطبنا النبى صلى الله عليه وسلم على
العضباء وليست بالجدعاء قال السهيلى فهذا من قول أنس انها غير الجذعاء وهو الصحيح (فانها
مامورة) قال ابن المنير الحكمة البالغة فى احالة الامر على الناقة ان يكون تخصيصه عليه السلام
لمن خصه الله بنزوله عنده آية معجزة تطيب بها النفوس وتذهب معها المنافسة ولا يحيك ذلك فى
صدر أحد منهم شيأ (وقد أرخى زمامها وما يحركها وهى تنظر يمينا وشمالا حتى اذا أتت دار بنى مالك بن
النجار بركت) بفتح الراء (على باب المسجد) كذا عند ابن اسحق ولابن عائذ وسعيد بن منصور مرسلا
عند موضع المنبر من المسجد وفى الصحيح عن عائشة عن مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو
فيه يومئذ رجال من المسلمين وفى حديث البراء عن ابى بكر فتنازعه القوم أيهم ينزل عليه فقال انى
أنزل على اخوال عبد المطلب أكرمهم بذلك وقد قيل يشبه ان يكون هذا أول قدومه من مكة قبل نزوله
قباء لا فى قدومه باطن المدينة فلا يخالف قوله انها مامورة (وهو يومئذ مربد) بكسر الميم وسكون الراء
وفتح الموحدة هو الموضع الذى يجفف فيه التمر وقال الاصمعى المربد كل شئ حبست فيه الابل او الغنم
وبه سمى مربد البصرة لانه كان موضع سوق الابل قاله الحافظ وفى النور أصله من ربد بالمكان اذا
أقام فيه وربده حبسه والمربد أيضا الذى يجعل فيه التمر لينشف كالبيدر للحنطة انتهى والمراد
هنا التمر ففى البخارى عن عائشة وكان مربدا للتمر (لسهل) مكبرا ذكره اليعمرى فى البدريين وقال
أبو عمر لم يشهدها وقال ابن منده يقال شهد أحدا ومات فى خلافة عمر (وسهيل) مصغر اشهد بدرا وما
بعدها وتوفى فى خلافة عمر قاله ابن عبد البر قال فى الاصابة وزعم ابن الكلبى انه قتل مع على بصفين (ابنى
رافع بن عمرو) كما عند ابن الكلبى وتبعه الزبير بن بكار وابن عبد البر والذهبى وغيرهم وقال الزهرى
وابن اسحق هما ابنا عمرو وقال اليعمرى وهو الاشهر والحافظ فى الاصابة هو الارجح وحاول
السهيلى التوفيق فقال هما ابنا رافع بن عمرو يعنى كما صرح به الجماعة فنسبهما الزهرى وابن اسحق
الى جدهما وهذا حسن وابن عقبة فى الاصابة بأن أرجح قول الزهرى وتلميذه لانه ذكر فى الفتح ما جمع
به السهيلى عن نص الزبير بن بكار وهو وابن الكلبى اماما أهل النسب فتعين جمع السهيلى (وهما
يتيمان فى حجر معاذ بن عفراء) كما عند ابن اسحق وأبى عبيد فى الغريب (ويقال أسعد) بالالف (ابن
زرارة) أبو امامة من سباق الانصار الى الاسلام ذكر ابن سعد ان أسعد كان يصلى فيه قبل ان يقدم
النبى صلى الله عليه وسلم (وهو الراجح) اذ هو الثابت فى البخارى وغيره قال فى الاصابة ويمكن الجمع
بأنهما كانا تحت حجرهما معا ولذا وقع فى الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم يا بنى النجار ثامنونى ووقع
فى رواية أبى ذر وحده للبخارى سعد بلا ألف والصواب كما فى الفتح والنور أسعد بالالف وهو الذى
فى رواية الباقين قال الحافظ وسعد تأخر اسلامه انتهى وذكره غير واحد فى الصحابة قال عياض
ولم يذكره كثيرون لانه ذكر فى المنافقين وحكى الزبير انهما كانا فى حجر أبو أيوب قال فى فتح البارى

وبصره بحوله وقوته
ودعا قال اللهم احطط
عنى بها وزرا واكتب لى
بها أجرا واجعلها لى عندك
ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها
من عبدك داود ذكرهما
أهل السنن ولم يذكر عنه
أنه كان يكبر للرفع من
هذا السجود ولذلك لم
يذكره الخرقى ومتقدمو
الاصحاب ولا نقل فيه عنه
تشهد ولا سلام ألبتة
وأنكر أحمد والشافعى
رضى الله عنهما السلام
فيه فالمنصوص عن
الشافعى أنه لا تشهد فيه
ولا سلام وقال أحمد أما
التسليم فلا أدرى ما هو
وهذا هو الصواب الذى
لا ينبغى غيره وصح عنه
صلى الله عليه وسلم أنه
سجد فى الم تنزيل وفى
ص وفى النجم وفى اذا
السماء انشقت وفى اقرأ
باسم ربك الذى خلق
وذكر أبو داود عن عمرو
ابن العاص أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
أقرأه خمس عشرة سجدة
منها ثلاث فى المفصل وفى
سورة الحج سجدتان وأما
حديث أبى الدرداء
سجدت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم
احدى عشرة سجدة ليس
فيها من المفصل شئ
الاعراف والرعد والنحل
وبنى اسرائيل ومريم

وأسعد أثبت وقد يجمع بأشهرا ثم أوباتها ان ذلك بعد أسعد الى من ذكروا واحد ابعد واحد (ثم ثارت وهو صلى الله عليه وسلم عليها) ومشت (حتى بركت على باب أبي أيوب) خالد بن زيد بن كليب (الانصارى) من بنى مالك بن النجار من كبار الصحابة شهد بدرا والمشاهد ومات غازيا بالروم سنة خمسين وقيل سنة احدى وقيل اثنتين وخمسين وهو الاكثر (ثم ثارت) ثالثة وفرقية قامت منه (وبركت في مبركها الاول) عند المسجد اشارة الى أن بروكها في الاول بطريق القصد لا الاتفاق قاله الحافظ أو الى انه منزله حيا وميتا وقد يكون مشيه قليلا ثم رجوعها اشارة الى الاختلاف اليسير الذى وقع في دفنه ثم الموافقة لرأى أبي بكر في انه يخط له تحت الفرش الذى توفي عليه قاله البرهان البقاعي (وألقت جرانها) بكسر الجيم (بالأرض يعني باطن عنقها) كما قاله السهيلي (أو مقدمه من المذبح) الى المنخر وبه جزم المجد وذكر السهيلي عن بعض السير أنها لما ألقت جرانها في دار بني النجار جعل جبار ابن صخر السلمي ينخسها بحديدة رجاء أن تقوم فتنزل في دار بني سلمة فلم تفعل (وأرزمت) بهمزة فراء ساكنة فزاى مفتوحة (يعني صوتت من غير أن تفتح فاها) قاله أبو زيد قال وذلك على ولدها حين ترأمه وقال صاحب العين أرزمت بالالف معناه رغت ورجعت في رغائها ويقال منه أرزم الرعد وأرزمت الريح انتهى ويروى وزمت بلا ألف أى نامت من الاعياء والهزال ولم تتحرك (ونزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله) باذنه صلى الله عليه وسلم (وأدخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بني النجار أوسط دور الانصار وأفضلها) عطف تفسير لاوسط كما في الصحيح مرفوعا خير دور الانصار بنو النجار (وهم أخوال عبد المطلب جده عليه السلام) ولذا أكرمهم بنزوله عليهم كما مر وروى ابن عائذ وسعيد بن منصور عن عطاف بن خالد انها استناخت به أولا فجاءه ناس فقالوا المنزل يا رسول الله فقال دعوها فانبعثت حتى أناخت عند موضع المنبر من المسجد ثم تحلحلت فنزل عنها فأتاه أبو أيوب فقال ان منزلي أقرب المنازل فائذن لي أن أنقل رحلك قال نعم فنقله وأناخ الناقة في منزله وذكر ابن سعد أن أبا أيوب لما نقل رحله قال صلى الله عليه وسلم المرء مع رحله وان أسعد بن زرارة جاء فأخذ ناقته فكانت عنده قال وهذا أثبت (وفي حديث أبي أيوب الانصارى) النجارى (عند أبي يوسف يعقوب) ابن ابراهيم الانصارى الامام العلامة الحافظ فقيه العراق الكوفي صاحب أبي حنيفة وروى عن هشام بن عروة وأبي اسحق الشيباني وعطاء ابن السائب وطبقتهم وعنه محمد بن الحسن وابن حنبل وابن معين وخلق نشأ في طلب العلم وكان أبوه فقيرا فكان أبو حنيفة يتعاهد أبا يوسف بمائة بعد مائة قال ابن معين ليس في أصحاب الرأى أكثر حديثا ولا أثبت من أبي يوسف وهو صاحب حديث وسنة مات في ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائة عن تسع وستين سنة (في كتاب الذكر والدعاء له قال) أبو أيوب (لما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة فكنت في العلو) وفي رواية ابن اسحق لما نزل صلى الله عليه وسلم في بيتي نزل في السفل وكنت أنا وأم أيوب في العلو فقلت يا نبي الله بأبي أنت وأمي اني أكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي فاظهر أنت فكن في العلو وننزل نحن ونكون في السفل فقال يا أبا أيوب ان الارفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في سفل البيت قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم في سفله وكنا فوقه في المسكن (فلما خلوت الى أم أيوب) زوجته بنت خالة قيس بن سعد الانصارية النجارية الصحابية لم يذكر لها اسما في الاصابة (قلت لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بالعلو منا تنزل عليه الملائكة وينزل عليه الوحي فما بت تلك الليلة لا أنا ولا أم أيوب) بحالة هنية بل بشر ليلة لتلك الفكرة أو استعمل المبيت في النوم كأنه قال ما نمنا من اشتغال الفكرة بذلك وفي رواية أن أبا أيوب انتبه ليلا فقال نمشي فوق رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحول فباتوا في جانب وفي رواية ابن اسحق فلقد انكسر لنا حب

والجمع وسجدة الفرقان والنمل والسجدة وص وسجدة الحواميم فقال أبو داود وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم احدى عشرة سجدة واسناده واه وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسجد في المفصل منذ تحول الى المدينة رواه أبو داود فهو حديث ضعيف في اسناده أبو قدامة الحارث بن عبيد لا يحتج بحديثه قال الامام أحمد أبو قدامة مضطرب الحديث وقال يحيى بن معين ضعيف وقال النسائي صدوق عنده مناكير وقال أبو حاتم البستي كان شيخا صالحا ممن كثر وهمه وعلله ابن القطان بمطر الوراق قال كان يشبهه في سوء الحفظ محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وعيب على مسلم اخراج حديثه انتهى كلامه ولا عيب على مسلم في اخراج حديثه لانه ينتقي من أحاديث هذا الضرب ما يعلم أنه حفظه كما يطرح من أحاديث الثقة ما يعلم أنه غلط فيه فغلط في هذا المقام من استدرك عليه اخراج جميع أحاديث الثقة ومن ضعف جميع حديث سيئ الحفظ

فيه ماء فقمت أنا وأم أيوب لقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها تخوفا أن يقطر على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شئ فيؤذيه (فلما أصبحت قلت يا رسول الله ما بت الليلة أنا ولا أم أيوب قال لم يا أبا أيوب قال قلت كنت) أنت (أحق بالعلو ومنا تنزل عليك الملائكة وينزل عليك الوحى) زاد فى رواية فقال صلى الله عليه وسلم الاسفل أرفق بنا فقلت (لا) يكون ذلك فهى داخلة على محذوف فقوله (والذى بعثك بالحق لا أعلو سقيفة أنت تحتها أبدا) تأكيد لاشتماله على القسم زاد فى رواية فلم يزل أبو أيوب يتضرع اليه حتى تحول الى العلو وأبو أيوب فى السفل (الحديث) تمامه وكنا نصنع له العشاء ثم نبعث به اليه فاذا رد علينا فضله تيممت أنا وأم أيوب موضع يده نبتغى بذلك البركة حتى بعثنا اليه بعشائه وقد جعلنا فيه بصلا أو ثوما فرده ولم أر ليده فيه اثرا فجئته فزعا قال انى وجدت فيه ريح هذه الشجرة وأنا رجل أناجى فأما أنتم فكلوه فأكلناه ولم نصنع له تلك الشجرة بعد أخرجه بتمامه ابن اسحق فى السيرة (ورواه الحاكم أيضا) وغيرهم (وقد ذكر) فى المبتدا لابن اسحق وقصص الانبياء (ان هذا البيت لابى أيوب بناه له عليه الصلاة والسلام تبع الاول) ابن حسان الحميرى الذى قال صلى الله عليه وسلم فيه لا تسبوا تبعا فانه قد أسلم أخرجه الطبرانى ذكر ابن اسحق فى السيرة ان اسمه تبان بضم الفوقية وخفة الموحدة فألف فوحدة ابن سعد وفى مغاص الجوهرى فى انساب حمير انه كان تدين بالزبور (لما مر بالمدينة) فى رجوعه من مكة (وترك فيها أربعمائة عالم) روى ابن عساكر فى ترجمته أنه قدم مكة وكسا الكعبة وخرج الى يثرب وكان فى مائة ألف وثلاثين ألفا من الفرسان ومائة ألف وثلاثة عشر ألفا من الرجالة ولما نزلها أجمع أربعمائة رجل من الحكماء والعلماء وتبايعوا أن لا يخرجوا منها فسألهم عن الحكمة فى مقامهم فقالوا ان شرف البيت وشرف هذه البلدة بهذا الرجل الذى يخرج يقال له محمد صلى الله عليه وسلم فاراد تبع أن يقيم وامر ببناء أربعمائة دار لكل رجل دار واشترى لكل منهم جارية وأعتقها وزوجها منه وأعطاهم عطاء جزيلا وأمرهم بالاقامة الى وقت خروجه (وكتب كتابا للنبى صلى الله عليه وسلم) فيه اسلامه ومنه

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله بارى النسم
فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب (ودفعه الى كبيرهم وسأله ان يدفعه للنبى صلى الله عليه وسلم) وعند ابن عساكر ودفع الكتاب الى عالم عظيم فصيح كان معه يدبره وأمره أن يدفع الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ان ادركه والا من أدركه من ولده وولد ولده أبدا الى حين خروجه وكان فى الكتاب أنه آمن به وعلى دينه وخرج تبع من يثرب فمات بالهند ومن موته الى مولده صلى الله عليه وسلم ألف سنة سواء (فتداول الدار) التى بناها تبع للنبى صلى الله عليه وسلم لينزلها اذا قدم المدينة كما فى المبتدا والقصص (الملاك الى ان صارت لابى أيوب وهو من ولد ذلك العالم) الذى دفع اليه الكتاب ولما خرج صلى الله عليه وسلم أرسلوا اليه كتاب تبع مع أبى ليلى فلما رآه صلى الله عليه وسلم قال له أنت أبو ليلى ومعه كتاب تبع الاول فبقى أبو ليلى متفكرا ولم يعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من أنت فانى لم أر فى وجهك أثر السحر وتوهم أنه ساحر فقال أنا محمد هات الكتاب فلما قرأه قال مرحبا بتبع الاخ الصالح ثلاث مرات (قال وأهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من ولد أولئك العلماء) الاربعمائة وفى رواية انهم كانوا الاوس والخزرج (فعلى هذا) المذكور من ان تبعا بنى للمصطفى دارا (انما نزل فى منزل نفسه لا فى منزل غيره كذا حكاه فى تحقيق النصرة) فى تاريخ دار الهجرة لقاضيها الشيخ زين الدين بن الحسين المراغى من مراغة الصعيد من فضلاء طلبة الجمال الاسنوى (وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم)

ثم الاولى طريقة الحاكم وأمثاله والثانية طريقة أبى محمد بن حزم وأشكاله وطريقة مسلم هى طريقة أئمة هذا الشأن والله المستعان وقد صح عن أبى هريرة أنه سجد مع النبى صلى الله عليه وسلم فى اقرأ باسم ربك الذى خلق وفى اذا السماء انشقت وهو انما أسلم بعد مقدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة بست سنين أو سبع فلو تعارض الحديثان من كل وجه وتقاوما فى الصحة لتعين تقديم حديث أبى هريرة لانه مثبت معه زيادة علم خفيت على ابن عباس فكيف وحديث أبى هريرة فى غاية الصحة متفق على صحته وحديث ابن عباس فيه من الضعف ما فيه والله أعلم

(فصل فى هديه صلى الله عليه وسلم فى الجمعة)

وذكر خصائص يومها ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال نحن الآخرون الاولون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع

وسلم) روى البخاري عن البراء بن عازب فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وروى أبو داود عن أنس لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لعبت الحبشة بحرابهم فرحا بقدومه (وأشرقت المدينة) بكونه فيها وسرى السرور الى القلوب قال أنس بن مالك لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء) فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء وما نفضنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الايدي حتى أنكرنا قلوبنا أخرجه الترمذي في المناقب وقال صحيح غريب وابن ماجه في الجنائز واقتصر المصنف على حاجته منه هنا وروى ابن أبي خيثمة والدارمي عن أنس أيضا شهدت يوم دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة لم أر يوما أحسن منه ولا أضوأ من يوم دخل علينا فيه صلى الله عليه وسلم المدينة (وصعدت ذوات الخدور على الاجاجير) بجيمين جمع اجار وفي لغة الاناجير بالنون أي الاسطحة (عند قدمه يقلن) تهنئة له حال دخوله

(طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * وجب الشكر علينا * ما دعا لله داعي)

زاد رزين أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

(قلت انشاد هذا الشعر عند قدومه عليه السلام المدينة رواه البيهقي في الدلائل) النبوية (وأبو بكر المقري) بضم الميم وسكون القاف الحافظ محمد بن ابراهيم بن علي بن عاصم الاصبهاني صاحب المعجم الكبير وغيره سمع أبا يعلى وعبدان وعنه ابن مردويه وأبو نعيم وأبو الشيخ مات سنة احدى وثمانين وثلثمائة (في كتاب الشمائل له عن ابن عائشة) عبيد الله بضم العين ابن محمد بن حفص بن عمر بن موسى ابن عبيد الله بن معمر التيمي ثقة مات سنة ثمان وعشرين ومائتين روى له أبو داود والترمذي والنسائي قال الحافظ ورمي بالقدر ولا يثبت ويقال له ابن عائشة والعائشي والعيشي نسبة الى عائشة بنت طلحة لانه من ذريتها وذكر ابن أبي شيبة أنه أنفق على اخوانه أربعمائة ألف دينار حتى التجا الى أن باع سقف بيته (وذكره الطبري في الرياض) النضرة (عن ابن الفضل الجمحي قال سمعت ابن عائشة يقول أراه) أظنه (عن أبيه) محمد بن حفص التيمي (فذكره وقال) المحب الطبري (خرجه الحلواني) بضم المهملة وسكون اللام نسبة الى حلوان آخر العراق الحسن بن علي بن محمد الهذلي أبو علي الخلال نسبة الى الخل نزيل مكة ثقة حافظ له تصانيف شيخ الجماعة خلا النسائي مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين (على شرط الشيخين انتهى) كلام الطبري وفيه معمر فالشيخان لم يخرجا لابن عائشة فلا يكون على شرطهما ولو صح الاسناد اليه (وسميت ثنية الوداع لانه عليه السلام ودعه بها بعض المقيمين بالمدينة في بعض أسفاره) هو غزوة تبوك (وقيل لانه عليه السلام شيع اليها بعض سراياه) هي سرية موتة (فودعه عندها) وهذان يعطيان أن التسمية حادثة (وقيل لان المسافر من المدينة كان يشيع اليها ويودع عندها قديما وصحح القاضي عياض الاخير واستدل عليه بقول نساء الانصار حين قدومه عليه السلام

* طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع * فدل على أنه اسم قديم) وهي في الاصل ما ارتفع من الارض وقيل الطريق في الجبل (وقال ابن بطال انما سميت بثنية الوداع لانهم كانوا يشيعون الحاج والغزاة اليها ويودعونهم عندها واليها كانوا يخرجون عند التلقي انتهى قال شيخ الاسلام الولي بن العراقي وهذا كله مردود ففي صحيح البخاري) في الجهاد والمغازي (وسنن أبي داود والترمذي عن السائب بن يزيد) بن سعيد بن ثمامة الكندي وقيل في نسبه غير ذلك صحابي صغير له أحاديث قليلة وولاه عمر سوق المدينة وهو آخر من مات بها سنة احدى وتسعين أو قبلها (قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك خرج الناس) كلهم رجالا ونساء وصبيانا ولا تدفر حابه وسر ور وا بضدها رجف به المنافقون اذ كانوا يخبرون عنه أخبارا السوء في غيبته ولانهن ألفنه صلى الله عليه وسلم بخلاف الهجرة

اليهود غدا والنصارى بعد غد وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه وحذيفة رضي الله عنه قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والاحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة ونحن الآخرون من أهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق وفي المسند والسنن من حديث أوس بن أوس عن النبي صلى الله عليه وسلم من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق الله آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت يعني قد بليت قال ان الله حرم على الارض أن تاكل أجساد الانبياء ورواه الحاكم وابن حبان في صحيحهما وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق الله آدم

صعدت المخدرات على الاسطحة لانهن لم يكن رأينه وان فشا فيهم الاسلام (يتلقونه من ثنية الوداع قال) ابن العراقي (وهذا صريح في أنها من جهة الشام) لا مكة فظهر منه رد كلام ابن بطال واثر ابن عائشة ولم يظهر منه رد كلام عياض لانه لم يقل حين قدومه من مكة فيحمل على أنه حين قدومه من تبوك وكذا القولان قبله في سبب التسمية لان بعض أسفاره وسراياه مبهم فيحمل على تبوك ومؤتة في قواه وهذا كله مردود تنظر بل بعضه (وهذا الناقل والدي) الحافظ عبد الرحيم (رحمه الله في شرح الترمذي كلام ابن بطال قال أنه وهم) بفتحتين غلط (قال وكلام ابن عائشة معضل لا تقوم به حجة انتهى) ونحوه قول الفتح هنا بعد نقل أثر ابن عائشة وعزوه لتخريج أبي سعد في الشرف والخلعي في فوائده هذا اسند معضل ولعل ذلك كان في قدومه من غزوة تبوك انتهى واما قوله في الفتح في تبوك في شرح حديث السائب أنكر الداودي هذا وتبعه ابن القيم وقال ثنية الوداع من جهة مكة لا من جهة تبوك بل هي مقابلها كالمشرق والمغرب قال الا ان يكون هناك ثنية أخرى في تلك الجهة قلت لا يمنع كونها من جهة الحجاز ان يكون خروج المسافر من جهتها وهذا واضح كما في دخول مكة من ثنية والخروج منها من أخرى وينتهي كلاهما الى طريق واحدة وقد روينا بسند منقطع في الخلعيات قول النسوة لما قدم المدينة طلع البدر علينا * من ثنيات الوداع فقيل ذلك عند قدومه من غزوة تبوك انتهى فهو مع ما فيه من المخالفة لكلام شيخه العراقي وابنه وكلامه نفسه هنا آخره مخالف لاوله ونقله عن ابن القيم مخالف لقول المصنف (وسبقه الى ذلك ابن القيم في الهدى النبوي) أي كتابه زاد المعاد في هدى خير العباد (فقال هذا وهم من بعض الرواة لان ثنية الوداع انما هي من ناحية الشام لا يراها القادم من مكة ولا يمر بها الا اذا توجه الى الشام وانما وقع ذلك عند قدومه من تبوك) وأجاب الشريف السمهودي بان كونها شامي المدينة لا يمنع كون هذه الابيات أنشدت عند الهجرة لانه صلى الله عليه وسلم ركب ناقته وأرخى زمامها وقال دعوها فانها مأمورة ومر بدور الانصار من بني ساعدة ودارهم شامي المدينة وقرب ثنية الوداع فلم يدخل باطن المدينة الا من تلك الناحية فلا وهم وهو جواب حسن وان كان شيخنا البابلي رحمه الله يستبعده بأنه يلزم عليه ان يرجع ويمر على قباء ثانيا فلا بعد فيه ولو لزم ذلك لارخائه زمام الناقة وكونها مأمورة (لكن قال ابن العراقي أيضا ويحتمل) في دفع الوهم (ان تكون الثنية التي من كل جهة يصل اليها المشيعون يسمونها بثنية الوداع) قال الخميس يشبه ان هذا هو الحق ويؤيده جمع الثنيات اذ لو كان المراد التي من جهة الشام لم تجمع قال ولا مانع من تعدد وقوع هذا الشعر مرة عند الهجرة ومرة عند قدومه من تبوك فلا ينافي ما في البخاري وغيره ولا ما قاله ابن القيم انتهى (وفي شرف المصطفى) لابي سعد النيسابوري (وأخرجه البيهقي) وشيخه الحاكم (عن أنس لما برك الناقة على باب أبي أيوب خرج جوار) في الطرقات (من بني النجار) زاد الحاكم يضربن (بالدفوف) جمع دف بضم الدال وفتحها لغة (وقلن) عطف على يضربن (نحن جوار) جمع جارية وهي الشابة أمة أو حرة وهو المراد لقولهن (من بني النجار *) دون لبني النجار (يا) قومنا (حبذا) فدخل حرف النداء على مقدر لانه لا يدخل على الافعال وحب فعل ماض (محمد من جار) تمييز (فقال صلى الله عليه وسلم أتحببنني) بضم التاء من أحب وبفتحها وكسر الموحدة من حب (قلن نعم يا رسول الله وفي رواية الطبراني في الصغير) زيادة (فقال عليه السلام الله يعلم ان قلبي يحبكم) بالميم يا معشر الانصار الذين أنتن منهم أو الميم للتعظيم كقوله

* وان شئت حرمت النساء سواكم * وفي رواية فقال والله وأنا أحبكن قالها ثلاث مرات فلعله قال الجميع أو ذا البعض وذا البعض (وقال الطبري وتفرق الغلمان) جمع غلام وهو الابن الصغير (والخدم) جمع خادم ذكرا أو أنثى صغيرا أو كبيرا (في الطرق ينادون) فرحا (جاء محمد جاء رسول الله) وهذا أخرجه الحاكم

وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة قال حديث حسن صحيح وصححه الحاكم وفي صحيحه أيضا عن أبي هريرة مرفوعا سيد الايام يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة الا يوم الجمعة وروى مالك في الموطا عن أبي هريرة مرفوعا خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ويسال الله شيا الا أعطاه اياه قال كعب ذلك في كل سنة يوم فقلت لا بل كل جمعة فقرأ التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة ثم لقيت عبد الله ابن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب قال قد علمت أي ساعة هي قلت فاخبرني بها قال هي آخر ساعة في يوم الجمعة فقلت كيف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الاكليل عن البراء ولفظه فخرج الناس حين قدم المدينة في الطرق والغلمان والخدم يقولون جاء محمد رسول الله الله أكبر جاء محمد رسول الله (و) لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (وعك) بضم الواو وكسر العين أي حم (أبو بكر وبلال) قالت عائشة فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك كما في رواية للبخاري وأخرج ابن اسحق والنسائي عنها لما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض الله أصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه واصابت أبا بكر وبلالا وعامر بن فهيرة فاستأذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيادتهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فأذن لي فدخلت عليهم وهم في بيت واحد قالت (وكان أبو بكر اذا أخذته الحمى يقول) وفي رواية ابن اسحق والنسائي فقلت كيف تجدك يا أبت فقال (كل امرئ مصبح) بضم الميم وفتح المهملة والموحدة الثقيلة أي مصاب بالموت صباحا وقيل يقال له صبحك الله بالخير وهو منعم (في أهله * والموت أدنى) أقرب اليه (من شراك) بكسر المعجمة وخفة الراء سير (نعله) الذي على ظهر القدم والمعنى ان الموت أقرب الى الشخص من قرب شراك نعله الى رجله وذكر عمر بن شبة في أخبار المدينة ان هذا الرجز لحنظلة بن سيار قاله يوم ذي قار وتمثل به الصديق رضي الله عنه وفي رواية ابن اسحق والنسائي فقلت انا لله ان أبي ليهذي وما يدري ما يقول ثم دنوت الى عامر فقلت كيف تجدك يا عامر فقال

لقد وجدت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

كل امرئ مجاهد بطوقه * كالثور يحمي أنفه بروقه

فقلت هذا والله ما يدري ما يقول أي لانها سألتهم عن حالهم فأجابوها بما لا يتعلق به والطوق الطاقة والروق القرن يضرب مثلا في الحث على حفظ الحريم قال السهيلي ويذكر ان هذا الشعر لعمرو بن مامة (وكان بلال اذا أقلعت) بفتح الهمزة واللام ولابي ذر بضم الهمزة وكسر اللام (عنه الحمى) أي تركته كما في رواية ابن اسحق والنسائي وزاد اضطجع بفناء البيت ثم (يرفع عقيرته) بفتح المهملة وكسر القاف وسكون التحتية وفتح الراء وفوقية أي صوته بالبكاء (ويقول ألا) بخفة اللام اداة استفتاح (ليت شعري) أي مشعوري أي ليتني علمت بجواب ما تضمنه قولي (هل أبيتن ليلة * بواد) هو وادي مكة (وحولي اذخر) بكسر الهمزة وسكون الذال وكسر الخاء المعجمتين حشيش مكة ذو الرائحة الطيبة (وجليل) بجيم نبت ضعيف (وهل أردن) بنون التوكيد الخفيفة (يوما مياه) بالماء (مجنة *) بفتح الميم والجيم والنون المشددة وتكسر الميم موضع على أميال من مكة كان به سوق في الجاهلية (وهل يبدون) بنون التأكيد الخفيفة يظهرن (لي شامة) بمعجمة وميم خفيفة على المعروف (وطفيل) بفتح المهملة وكسر الفاء وسكون التحتية قيل وهذان البيتان ليسا لبلال بل لبكر بن غالب الجرهمي أنشدهما لما نفتهم خزاعة من مكة فتمثل بهما بلال (اللهم العن) عتبة بن ربيعة و (شيبة بن ربيعة وامية بن خلف) هكذا ثبت لعنه للثلاثة في البخاري آخر كتاب الحج وسقط الاول من قلم المصنف سهوا وبه يستقيم الجمع في (كما أخرجونا) فلا حاجة للاعتذار بان المراد ومن كان على طريقهما في الايذاء ولذا جمع والكاف للتعليل وما مصدرية أي أخرجهم من رحمتك لاخراجهم ايانا (من أرضنا) التي توطناها ولا يشكل بان لعن المعين لا يجوز لامكان انه علم من النبي صلى الله عليه وسلم انهم لا يؤمنون وقد قيل في آية ان الذين كفروا سواء عليهم انها نزلت في معينين كأبي جهل واضرابه (الى أرض الوبا) بالقصر والمد المرض العام وهو أعم من الطاعون وقال المصنف في مقصد الطب الدليل على مغايرة الطاعون للوبا ان الطاعون لم يدخل المدينة وقد قالت عائشة دخلنا المدينة وهي أوبأ أرض الله وقال بلال أخرجونا من أرضنا الى أرض الوبا انتهى فلا يعارض قدومه اليها وهي وبئة نهيه عن القدوم على الطاعون

لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلي فيها فقال ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي وفي صحيح ابن حبان مرفوعا لا تطلع الشمس على يوم خير من يوم الجمعة وفي مسند الشافعي رضي الله عنه من حديث أنس بن مالك قال أتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرآة بيضاء فيها نكتة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هذه فقال هذه يوم الجمعة فضلت بها أنت وأمتك والناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير الا استجيب له وهو عندنا يوم المزيد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل ما يوم المزيد قال ان ربك اتخذ في الفردوس واديا أفيح فيه كثب من مسك فاذا كان يوم الجمعة نزل سبحانه ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين وحفت تلك المنابر بمنابر من ذهب

لاختصاص النهى به وبنحوه من الموت السريع لا المرض ولو عم (ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) بعد ان أخبرته عائشة بشأنهما ففى رواية البخارى عن عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته وفى رواية ابن اسحق والنسائى فذكرت ذلك لرسول الله فقلت يا رسول الله انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى فنظر الى السماء وقال (اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد) فاستجاب الله له وكانت أحب اليه من مكة كما جزم به السيوطى (اللهم بارك لنا فى صاعنا ومدنا وصححها لنا) فاستجاب الله له فطيب هواءها وترابها وساكنها والعيش بها قال ابن بطال وغيره من أقام بها يجد من تربتها وحيطانها رائحة طيبة لا تكاد توجد فى غيرها قال العلامة الشامى وقد تكرر دعاؤه عليه الصلاة والسلام بتحبيب المدينة والبركة فى ثمارها والظاهر ان الاجابة حصلت بالاول والتكرير لطلب المزيد فيها من الدين والدنيا وقد ظهر ذلك فى نفس الكيل بحيث يكفى المد بها ما لا يكفيه بغيرها وهذا أمر محسوس لمن سكنها (وانقل حماها الى الجحفة) بضم الجيم وسكون المهملة وفتح الفاء قرية جامعة على اثنين وثمانين ميلا من مكة نحو خمس مراحل وثمانية من المدينة وكانت تسمى مهيعة وبه عبر هنا فى رواية ابن اسحق والنسائى بفتح الميم والتحتية بينهما هاء ساكنة فعين مهملة فهاء على المشهور وحكى عياض كسر الهاء وسكون الياء على وزن جميلة وكانت يومئذ مسكن اليهود وهى الآن ميقات مصر والشام والمغرب ففيه جواز الدعاء على الكفار بالامراض والهلاك وللمسلمين بالصحة واظهار معجزة عجيبة فانها من يومئذ وبئة لا يشرب أحد من مائها الا حم ولا يمر بها طائر الا حم وسقط وروى البخارى والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر رفعه رأيت فى المنام كان امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى نزلت مهيعة فتأولتها ان وباء المدينة نقل اليها وفى رواية قدم انسان من طريق مكة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم هل لقيت أحدا قال له يا رسول الله الا امرأة سوداء عريانة ثائرة الرأس فقال صلى الله عليه وسلم تلك الحمى ولن تعود بعد اليوم ولا مانع من تجسيم الاعراض خرقا للعادة لتحصل الطمأنينة لهم باخراجها قال السمهودى والموجود الآن من الحمى بالمدينة ليس حمى الوباء بل رحمة ربنا ودعوة نبينا للتكفير قال وفى الحديث أصح المدينة ما بين حرة بنى قريظة والعريض وهو يؤذن ببقاء شئ منها بها وأن الذى نقل عنها أصلا ورأسا سلطانها وشدتها ووباؤها وكثرتها بحيث لا يعد الباقى بالنسبة اليها شيأ قال ويحتمل أنها رفعت بالكلية ثم أعيدت خفيفة لئلا يفوت ثوابها كما أشار اليه الحافظ ابن حجر ويدل له ما رواه أحمد وأبو يعلى وابن حبان والطبرانى عن جابر استأذنت الحمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من هذه فقالت أم ملدم فامر بها الى أهل قباء فبلغوا ما لا يعلمه الا الله فشكوا ذلك اليه فقال ما شئتم ان شئتم دعوت الله ليكشفها عنكم وان شئتم تكون لكم طهورا قالوا أو تفعل قال نعم قالوا فدعها انتهى (قالت يعنى عائشة وقدمنا المدينة) بعد ذلك والمسجد يبنى كما يأتى (وهى أوبأ أرض الله) أى أكثر وباء وأشد من غيرها زاد ابن اسحق قال هشام بن عروة وكان وباؤها معروفا فى الجاهلية وكان الانسان اذا دخلها وأراد ان يسلم من وبائها قيل انهق فينهق كما ينهق الحمار وفى ذلك يقول الشاعر

لعمرى لئن غنيت من خيفة الردى * نهيق حمار اننى لمروع

وفى حديث البراء عند البخارى ان عائشة وعكت أيضا وكان أبو بكر يدخل عليها وأخرج ابن اسحق عن الزهرى عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال أصابت الحمى الصحابة حتى جهدوا مرضا وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه حتى ما كانوا يصلون الا وهم قعود فخرج صلى الله عليه وسلم وهم يصلون كذلك فقال اعلموا أن صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشموا القيام أى تكلفوه على ما بهم من الضعف والسقم التماس الفضل (فكان بطحان) بضم الموحدة وحكى فتحها وسكون الطاء المهملة

معهما

مكللة باليا قوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون ٧ فجلسوا من ورائهم على تلك الكثب فيقول الله عز وجل أنا ربكم قد صدقتكم وعدى فسلونى اعطكم فيقولون ربنا نسألك رضوانك فيقول قد رضيت عنكم ولكم ما تمنيتم ولدى مزيد فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذى استوى فيه ربك تبارك وتعالى على العرش وفيه خلق آدم وفيه تقوم الساعة رواه الشافعى عن ابراهيم بن محمد حدثنى موسى بن عبيدة قال حدثنى أبو الازهر معاوية بن اسحق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد عن عمير بن أنس ثم قال وأخبرنا ابراهيم قال حدثنى أبو عمران ابراهيم بن الجعد عن أنس شبيها به وكان الشافعى رحمه الله حسن الرأى فى شيخه ابراهيم هذا لكن قال فيه الامام أحمد رحمه الله معتزلى جهمى قدرى كل بلاء فيه ورواه أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال قال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانى جبريل

مغهما وقيل بفتح أوله وكسر الطاء وعزاعياض الاول للمحدثين والثالث لغيرهم وبين واد بالمدينة وروى البزار وابن أبي شيبة عن عائشة مرفوعا بطحان على ترعة من الجنة بضم الفوقية أي باب أو درجة (تجرى نجلا) بفتح النون وسكون الجيم أي نزنزا أي ماء قليلا وقيل هو الماء حين يسيل وقيل الغدير الذي لا يزال فيه الماء وقال البخاري (تعنى) عائشة (ماء آجنا) أي متغير الطعم واللون وخطأه عياض ورده الحافظ بأنها قالته كالتعليل لكون المدينة وبئة ولاشك ان النجل اذا فسر بالماء الحاصل من النز فهو بصدد أن يتغير واذا تغير كان استعماله مما يحدث الوباء في العادة انتهى (و) استجاب الله لرسوله فسكن محبة المدينة في قلوب صحبه حتى (قال عمر اللهم ارزقني شهادة في سبيلك واجعل موتي في بلد رسولك) لما في كل منهما من الفضل العظيم فقد روى احمد والترمذي وابن ماجه وابن حبان عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها فاني أشفع لمن يموت بها أي أخصه بشفاعة غير العامة زيادة في اكرامه قال السمهودي فيه بشرى لساكنها بالموت على الاسلام لاختصاص الشفاعة بالمسلمين وكفى به مزية فكل من مات بها مبشر بذلك وقال ابن الحاج فيه دليل على فضلها على مكة لافراده اياها بالذكر انتهى واستجاب الله دعاء الفاروق فرزقه الشهادة بها على يد فيروز النصراني عبد المغيرة ودفن عند حبيبيه (رواه) أي هذا الحديث الذي أوله وعك أبو بكر (البخاري) عن عائشة في كتاب الحج وغيره ورواه أيضا مسلم وأحمد ابن اسحق والنسائي (وقوله يرفع عقيرته أي صوته لان العقيرة الساق) المقطوعة كما في القاموس فغيرها لا يسمى به (وكان) فعل ماض (الذي قطعت رجله رفعها) كما قال الاصمعي أصله ان رجلا انعقرت رجله فرفعها (وصاح ثم قيل لكل من صاح ذلك) وان لم يرفع رجله (حكاه الجوهري) قال ثعلب وهذا من الاسماء التي استعملت على غير أصلها انتهى فجعله مأخوذا من العقيرة بمعنى الساق اشارة الى انه الاصل لا انه لا يمكن غيره فانه يمكن تفسيره بالصوت الكائن من ألم الحمى التي أصابته ففي القاموس اطلاق العقيرة على صوت الباكي (وشامة وطفيل عينان بقرب مكة) كما ارتضاه الخطابي فقال كنت أحسبهما جبلين حتى مررت بهما ووقفت عليهما فاذا هما عينان من ماء وقواه السهيلي بقول كثير

وما أنس مشيا ولا انس موقفا * لنا ولها بالخب خب طفيل

والخب منخفض الارض انتهى وقيل هما جبلان على نحو ثلاثين ميلا من مكة وقال البكري مشرفان على مجنة على بريد من مكة وجمع باحتمال ان العينين بقرب الجبلين أو فيهما الا ان كلام الخطابي يبعد الثاني وزعم القاموس ان شامة بالميم تصحيف من المتقدمين والصواب شابة بالباء قال وبالميم وقع في كتب الحديث جميعها كذا قال وأشار الحافظ لرده فقال زعم بعضهم ان الصواب بالموحدة بدل الميم والمعروف بالميم انتهى (والمراد بالوادي) في قول بلال بواد (وادي مكة) وقد رواه النسائي وغيره بفج وهو أيضا واد خارج مكة يقول فيه الشاعر

ماذا بفج من الاسواق والطيب * ومن جوار نقيات عرابيب

(وجليل نبت ضعيف) له خوص أو شئ يشبه الخوص يحشى به البيوت وغيرها وهو الثمام بضم المثلثة قال السهيلي رحمه الله وفي هذا الخبر وما ذكر فيه من حنينهم الى مكة ما جبلت عليه النفوس من حب الوطن والحنين اليه وقد جاء في حديث أصيل الغفاري ويقال فيه الهذلي انه قدم من مكة فسألته عائشة كيف تركت مكة يا أصيل فقال تركتها حين ابيضت أباطحها وأحجن ثمامها وأغدق اذخرها وأمشر سلمها فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تشوقنا يا أصيل ويروى انه قال له دع القلوب تقر وقد قال الاول

ثم ذكره وروى محمد بن شعيب عن عمر مولى عفرة عن أنس ورواه أبو طيبة عن عثمان بن عمير عن أنس وجمع أبو بكر بن أبي داود طرقه وفي مسند أحمد من حديث علي بن أبي طلحة عن أبي هريرة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لاي شئ سمي يوم الجمعة قال لان فيه طبعت طينة أبيك آدم وفيه الصعقة والبعثة وفيه البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له وقال الحسن بن سفيان النسوي في مسنده حدثني أبو مروان هشام ابن خالد الازرق حدثنا الحسن بن يحيى الخشني حدثنا عمر بن عبد الله مولى عفرة حدثني أنس ابن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أتاني جبرائيل وفي يده كهيأة المرآة البيضاء فيها نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل فقال هذه الجمعة بعثت بها اليك تكون عيدا لك ولامتك من بعدك فقلت وما لنا فيها يا جبريل قال لكم فيها خير كثير أنتم الآخرون السابقون يوم القيامة وفيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي

ألاليت شعرى هل أبيتن ليلة * بوادى الخزامى حيث ربتنى أهلى
بلاد بها نيطت على تمائمى * وقطعن عنى حين أدركنى عقلى

انتهى وأصيل بالتصغير كما فى الاصابة (فأقام صلى الله عليه وسلم عند أبى أيوب سبعة أشهر) قاله ابن سعد وجزم به فى الفتح (وقيل الى صفر من السنة الثانية وقال الدولابى) أقام عنده (شهرا) حكى الاقوال الثلاثة مغلطاى والله أعلم

(ذكر بناء المسجد النبوى وعمل المنبر)

(وكان) عليه الصلاة والسلام (يصلى حيث أدركته الصلاة) فأراد بناء مسجد جامع للمصلين معه (ولما أراد عليه السلام بناء المسجد الشريف قال) الاظهر فلما بالفاء كما عبر بها أنس أخرج الشيخان وغيرهما عنه كان صلى الله عليه وسلم يحب ان يصلى حيث أدركته الصلاة ويصلى فى مرابض الغنم فارسل الى ملأ من بنى النجار فقال (يابنى النجار ثامنونى) بالمثلثة أى اذكروا لى ثمنه لاشتريه منكم قاله الحافظ فى كتاب الصلاة وقال هنا أى قرروا معى ثمنه أوساومونى بثمنه تقول ثامنت الرجل اذا ساومته واقتصر المصنف على الثانى ونحوه قول الشامى أى بايعونى وقاولونى انتهى وهو بالنظر الى الصيغة فقط اذ ليس ثم مغاعلة فالاول أولى وخاطب البعض بخطاب الكل لان المخاطب اشرافهم (بحائطكم) أى بستانكم وتقدم انه كان مربدا فلعله كان أولا حائطا ثم خرب فصار مربدا ويؤيده قوله أى أنس انه كان فيه نخل وحرث وقيل كان بعضه بستانا وبعضه مربدا قاله الحافظ ويؤيده أيضا حديث عائشة فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا ولا ينافيه حديث أنس لانه لا مانع من وجود النخل والحرث فى المربد وسماه حائطا باعتبار ما كان وفى رواية ابن عيينة فكلم عمهما أى الذى كانا فى حجره ان يبتاعه منهما (قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله) قال الحافظ تقديره من أحد لكن الامر فيه الى الله أو الى بمعنى من كما فى رواية الاسماعيلى وزاد ابن ماجه أبدا (فأبى) أى كره (ذلك صلى الله عليه وسلم) وامتنع من قبوله الا بالثمن (وابتاعها بعشرة دنانير أداها من مال أبى بكر الصديق رضى الله عنه) كما رواه الواقدى عن الزهرى أى ابتاعها من اليتيمين أو من وليهما ان كانا غير بالغين ولا ينافيه وصفهما باليتم لانه باعتبار ما كان أو كانا يتيمين وقت المساومة وبلغا قبل التبايع وفى حديث عائشة عند البخارى ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا قال الحافظ ولا منافاة بينه وبين حديث أنس فيجمع بانهم لما قالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله سال عمن يختص بملكه منهم فعينوا له الغلامين فابتاعه منهما وحينئذ يحتمل ان القائلين لا نطلب ثمنه الا الى الله تحملوا عنه للغلامين بالثمن وعند الزبير ان أبا أيوب أرضاهما عن ثمنه انتهى وكذا عند أبى معشر وفى رواية ان أسعد بن زرارة عوضهما نخلا فى بنى بياضة وفى أخرى ان معاذ بن عفراء قال أنا أرضيهما قال الشامى ويجمع بان كلا منهم أرضى اليتيمين بشئ فنسب ذلك لكل منهم ورغب أبو بكر فى الخير فدفع العشرة زيادة على ما دفعه أولئك أو انه صلى الله عليه وسلم أخذ ولا بعض المربد فى بنائه الاول سنة قدومه ثم أخذ بعضا آخر لانه بناه مرتين وزاد فيه فكان الثمن من مال أبى بكر فى احداهما ومن الآخرين فى الاخرى انتهى وذكر البلاذرى ان العشرة التى دفعها من مال أبى بكر كانت ثمن أرض متصلة بالمسجد لسهل وسهيل وعرض عليه أسعد ان يأخذها ويغرم عنه لهما ثمنها فأبى وجمع البرهان بانهما قضيتان وأرضان كلتاهما لليتيمين فاشترى كل واحدة بعشرة احداهما المسجد والاخرى زيادة فيه وأدى ثمنهما معا أبو بكر والواحدة عاقد عليها أسعد والاخرى معاذ قال وما ذكر من شراء أبى أيوب منهما فيحمل على المجاز انه كان متكلما بينهما أو

يسأل الله شيا الا أعطاه قلت فما هذه النكتة السوداء يا جبريل قال هذه الساعة تكون فى يوم الجمعة وهو سيد الايام ونحن نسميه عندنا يوم المزيد قلت وما يوم المزيد يا جبريل قال ذلك بان ربك اتخذ فى الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة من أيام الآخرة هبط الرب عز وجل من عرشه الى كرسيه ويحف الكرسى بمنابر من النور فيجلس عليها النبيون وتحف المنابر بكراسى من ذهب فيجلس عليها الصديقون والشهداء ويهبط أهل الغرف من غرفهم فيجلسون على كثبان المسك لا يرون لاهل المنابر والكراسى فضلا فى المجلس ثم يبتدى لهم ذو الجلال والاكرام تبارك وتعالى فيقول سلونى فيقولون باجمعهم نسالك الرضى يارب فيشهد لهم على الرضى ثم يقول سلونى فيسالونه حتى تنتهى نهمة كل عبد منهم قال ثم يسعى عليهم بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم يرتفع الجبار من كرسيه الى عرشه ويرتفع أهل الغرف الى غرفهم وهى

عقد معهما بطريق الوكالة أو الوصية أو انها أرض ثالثة وفيه بعد انتهى (وكان قد توجه من مكة عياله كله) وهو أربعة آلاف أو خمسة فأمره صلى الله عليه وسلم أن يعطيهما ثمنه عشرة دنانير ذكره ابن سعد عن الواقدي عن معمر وغيره عن الزهري وقبله لعموم نفع المسجد ولغيره على عادته من قبول ماله في المصالح بخلاف الهجرة فأحب كونهما من ماله عليه السلام كما مر (قال أنس) ابن مالك فيما رواه الشيخان وغيرهما (وكان في موضع المسجد نخل وخرب) بفتح المعجمة وكسر الراء فموحدة جمع خربة ككلم وكلمة هكذا ضبط في سنن أبي داود قال الخطابي وهي رواية الاكثر قال ابن الجوزي وهو المعروف وحكى الخطابي كسر أوله وفتح ثانيه جمع خربة كعنب وعنبة وللكشميهني بفتح المهملة وسكون الراء ومثلثة وهو وهم لان البخاري أخرجه من طريق عبد الوارث وبين أبو داود أن رواية عبد الوارث بمعجمة وموحدة ورواية حماد بن سلمة بمهملة ومثلثة ذكره الحافظ فالوهم انما هو في روايته في البخاري وان ثبتت في رواية غيره فهي ثلاث روايات وجوز الخطابي أنه حرب بضم المهملة وسكون الراء وموحدة وهي الخروق المستديرة في الارض أو حدب بمهملتين أي مرتفع من الارض أو جرف بكسر الجيم وفتح الراء ما تجرف فيه السيول وتأكله الارض قال وهذا الائق بقوله فسويت لانه انما يسوى المكان المحدودب أو الذي جرفته الارض أما الخراب فيبنى ويعمر دون ان يصلح ويسوى ورده الحافظ فقال ما المانع من تسوية الخراب بأن يزال ما بقي منه وتسوى أرضه ولا ينبغي الالتفات الى هذه الاحتمالات مع توجيه الرواية الصحيحة انتهى (ومقابر مشركين) زاد في رواية من الجاهلية (فأمر بالقبور فنبشت) زاد في رواية وبالعظام فغيبت (وبالخرب فسويت) بازالة ما كان فيها (وبالنخل فقطعت) وجعلت عمد المسجد فيه جواز التصرف في المقبرة المملوكة بالهبة والبيع ونبش القبور الدارسة اذا لم تكن محترمة قال ابن بطال لم أجد في نبش قبور المشركين لتتخذ مسجدا نصا عن أحد من العلماء نعم اختلفوا هل تنبش لطلب المال فأجازه الجمهور ومنعه الاوزاعي وهذا الحديث حجة للجواز لان المشرك لا حرمة له حيا ولا ميتا وفيه جواز الصلاة في مقابر المشركين بعد نبشها واخراج ما فيها وجواز بناء المساجد في أماكنها قيل وفيه جواز قطع الاشجار المثمرة للحاجة وفيه نظر لاحتمال ان تكون مما لا يثمر واحتج من أجاز بيع غير المالك بهذه القصة لان المساومة وقعت مع غير الغلامين وأجيب باحتمال انهما كانا من بني النجار فساومهما واشترك معهما في المساومة عمهما الذي كانا في حجره كما تقدم ذكره في فتح الباري في موضعين (ثم أمر باتخاذ اللبن) بفتح اللام وكسر الموحدة الطوب النيء (فاتخذ وبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت عمده) بفتح أوله وثانيه ويجوز ضمهما (خشب) بفتحتين وبضم فسكون (النخل) الذي كان في الحائط وفي حديث أنس قصفوا النخل قبلة المسجد وظاهر هذا الحديث الصحيح ان بناءه باللبن وتسقيفه بالجريد من يومئذ وروى الزبير بن بكار في أخبار المدينة عن أنس قال بنى صلى الله عليه وسلم مسجده أول ما بناه بالجريد وانما بناه باللبن بعد الهجرة بأربع سنين فان صح أمكن ان معنى أول ما بناه أي سقفه وانما بناه أي طينه ويؤيده ما أخرج جعفر بن زين عن جعفر بن محمد أنه بني ولم يطلح وجعلوا خشبه وسواريه جذوعا وظللوا بالجريد فشكوا الحر فطينوه بالطين فان ساغ هذا والا فما في الصحيح أصح ولا سيما وقد اتفق عليه أنس وابن عمر وعائشة وأبو سعيد وأحاديثهم في الصحيح وروى محمد بن الحسن المخزومي وغيره عن شهر بن حوشب لما أراد صلى الله عليه وسلم أن يبني المسجد قال ابنوا لي عريشا كعريش موسى ثمامات وخشبات وظلة كظلة موسى والامر أعجل من ذلك قيل وما ظلة موسى قال كان اذا قام أصاب رأسه السقف فلم يزل المسجد كذلك حتى قبض صلى الله عليه وسلم وثمامات بضم المثلثة جمع ثمام واحده ثمامة نبت ضعيف وذكر في الاوج ان قامة

غرفة من لؤلؤة بيضاء أو ياقوتة حمراء أو زمردة خضراء ليس فيها فصم ولا وصم منورة فيها أنهارها أو قال مطردة متدلية فيها ثمارها فيها أزواجها وخدمها ومساكنها قال فأهل الجنة يتباشرون في الجنة بيوم الجمعة كما يتباشر أهل الدنيا في الدنيا بالمطر * وقال ابن أبي الدنيا في كتاب صفة الجنة حدثني أزهر بن مروان الرقاشي حدثني عبد الله بن عرادة الشيباني حدثنا القاسم ابن الطيب عن الاعمش ابن أبي وائل عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاني جبريل وفي كفه مرآة كأحسن المرائي وأضوئها واذا في وسطها لمعة سوداء فقلت ما هذه اللمعة التي أرى فيها قال هذه الجمعة قلت وما الجمعة قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله في الدنيا وما يرجى فيه لاهله وأخبرك باسمه في في الآخرة فأما شرفه وفضله في الدنيا فان الله عز وجل جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجى فيه لاهله فان فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسأل الله

موسى وعصاه ووثبته سبعة أذرع فهو تشبيه تام لانه جعل ارتفاع سقف المسجد سبعة وعلى ماذكر ابن
كثير ان قامة موسى وعصاه ووثبته عشرة فالتشبيه فى ان السقف يصيب رأسه لا بقيد الطول ثم
مرسل ابن حوشب هذا لامعارضة فيه للخبر الصحيح أصلا لان ذلك لايمنع ان جدرانه باللبن كما هو
ظاهر ووقع عند ابن عائذ عن عطاف بن خالد أنه عليه السلام صلى فيه وهو عريش اثنى عشر يوما ثم بناه
وسقفه (وعمل فيه المسلمون) روى أبو يعلى برجال الصحيح عن عائشة والبيهقى عن سفينة مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالا لما بنى صلى الله عليه وسلم مسجد المدينة وضع حجرا ثم قال ليضع أبو بكر حجره
الى جنب حجرى ثم ليضع عمر حجره الى جنب حجر أبى بكر ثم ليضع عثمان حجره الى جنب حجر
عمر ثم ليضع على فسئل عن ذلك فقال هؤلاء الخلفاء من بعدى وأخرج أحمد عن طلق بن على قال بنيت
المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يقول قربوا اليمامى من الطين فانه أحسنكم له مسيسا
وروى أحمد عنه أيضا جئت الى النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يبنون المسجد وكأنه لم يعجبه عملهم
فأخذت المسحاة فخلطت الطين فكأنه أعجبه فقال دعوا الحنفى والطين فانه أضبطكم للطين وعند ابن
حبان فقلت يارسول الله أأنقل كما ينقلون قال لا ولكن أخلط لهم الطين فانت أعلم به (وكان) المسلمون
يحملون لبنة لبنة وكان (عمار بن ياسر ينقل لبنتين) كما فى البخارى عن أبى سعيد وزاد معمر فى جامعه
عنه (لبنة عنه ولبنة عن النبى صلى الله عليه وسلم) وفى رواية الاسماعيلى وأبى نعيم فقال صلى الله عليه
وسلم ياعمار الا تحمل كما يحمل أصحابك قال أنى أريد من الله الاجر (فقال له عليه السلام) بعد مسح ظهره
ونفض التراب عنه (للناس أجر ولك أجران) فيه جواز ارتكاب المشقة فى عمل البر وتوقير الرئيس والقيام
عنه بما يتعاطاه من المصالح (وآخر زادك من الدنيا شربة لبن) فكان كذلك أخرج الطبرانى فى الكبير
باسناد حسن عن أبى سنان الدؤلى الصحابى قال رأيت عمار بن ياسر دعا غلاما له بشراب فأتاه بقدح من
لبن فشرب منه ثم قال صدق الله ورسوله اليوم ألقى الاحبه محمدا وحزبه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان آخر شئ تزوده من الدنيا صبحة لبن ثم قال والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انا على
الحق وانهم على الباطل يعنى لقوله صلى الله عليه وسلم (وتقتلك الفئة الباغية) فقتل مع على بصفين
ودفن بها سنة سبع وثلاثين عن ثلاث أو أربع وتسعين سنة والباغية هم أهل الشام أصحاب معاوية
وروى البخارى فى بعض نسخه ومسلم والترمذى وغيرهم مرفوعا ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم
الى الجنة ويدعونه الى النار أى الى سببهما فيهما واستشكل بان معاوية كان معه جماعة من الصحابة
فكيف يجوز عليهم الدعاء الى النار وأجاب الحافظ بما حاصله انهم ظنوا انهم يدعونه الى الجنة وهم
مجتهدون لا لوم عليهم وان كان فى نفس الامر بخلاف ذلك فان الامام الواجب الطاعة اذ ذاك هو على
الذى كان عمار يدعوهم اليه كما أرشد له بقوله يدعوهم الى الجنة ويجعله قتلة عمار بغاة وقول ابن بطال
تبعا للمهلب انما يصح هذا فى الخوارج الذين بعث اليهم على عمارا يدعوهم الى الجماعة وهم اذ الخوارج
انما خرجوا على على بعد عمار اتفاقا وأما الذين بعثه اليهم فانما هم أهل الكوفة يستفزهم على قتال عائشة
ومن معها قبل وقعة الجمل وكان فيهم من الصحابة جماعة كمن كان مع معاوية وأفضل فما فر منه المهلب
وقع فى مثله مع زيادة اطلاقه عليهم الخوارج وحاشاهم من ذلك وفى الحديث فضيلة ظاهرة لعلى وعمار
ورد على النواصب الزاعمين ان عليا لم يكن مصيبا فى حروبه انتهى ملخصا (ورويناه) فى صحيح البخارى
فى حديث عائشة الطويل (أنه صلى الله عليه وسلم كان ينقل معهم اللبن) بفتح اللام وكسر الموحدة
الطوب النىء (فى بنائه) ولا يعارضه ان عمارا كان يحمل عنه لانه عليه السلام ابتدأ فى النقل ترغيبا لهم
فى العمل (ويقول وهو ينقل اللبن) هذا هو الصواب المروى عند البخارى فما فى بعض النسخ السقيمة

تعالى فيهما خيرا الا
أعطاهما اياه وأما شرفه
وفضله فى الآخرة وأسمه
فان الله تبارك وتعالى
اذا صير أهل الجنة الى
الجنة وأهل النار الى
النار جرت عليهم هذه
الايام وهذه الليالى ليس
فيها ليل ولا نهار وقد علم الله
عز وجل مقدار ذلك
وساعاته فاذا كان يوم
الجمعة حين يخرج أهل
الجمعة الى جمعتهم نادى
أهل الجنة مناديا أهل
الجنة أخرجوا الى وادى
المزيد و وادى المزيد
لايعلم سعته طوله وعرضه
الا الله فيه كثبان المسك
رؤسها فى السماء قال
فيخرج غلمان الانبياء
بمنابر من نور ويخرج
غلمان المؤمنين بكراسى
من ياقوت فاذا وضعت
لهم وأخذ القوم مجالسهم
بعث الله عليهم ريحا
تدعى المثيرة تثير ذلك
المسك وتدخله من تحت
ثيابهم وتخرجه فى
وجوههم وأشعارهم
تلك الريح أعلم كيف
تصنع بذلك المسك من
امرأة أحدكم لو دفع اليها
كل طيب على وجه
الارض قال ثم يوحى الله
تبارك وتعالى الى حملة
عرشه ضعوه بين أظهرهم
فيكون أول ما يسمعونه
منه الى ياعبادى الذى

الاجال تصحيف (هـذا الحمال لاحمال) بالرفع ولا وجه لنصبه قاله في النور (خيبر * هذا أبر) بموحدة وشد الراء يا (ربنا وأطهر) بمهملة أي أشد طهارة وهـذا البيت لعبد الله بن رواحة ويقول (اللهم ان الاجر أجر الآخره * فارحم الانصار والمهاجره) بكسر الجيم وهـذا البيت لابن رواحـة أيضا كما قال ابن بطال وتبعه في الفتح وغيره وبعضهم نسبه لامرأة من الانصار وفي حديث أنس عند الشيخين اللهم لاخير الا خير الآخره * فانصر الانصار والمهاجره وزعم الكرماني في كتاب الصلاة أنه كان يقف على الآخره والمهاجره بالتاء ليخرجه عن الوزن قال الحافظ ولم يذكر مستنده والكلام الذي بعده هـذا يعني كلام الزهري يرده انتهى بل فيه الوقف على متحرك وليس عربيا فكيف ينسب الى سيد الفصحاء وزعم الداودي أن ابن رواحة انما قال لاهم الخ فأتى به بعض الرواة على المعنى وانما يتزن هكذا ورده الدماميني بأنه توهيم للرواة بلا داعية فلا يمتنع انه قاله بألف ولام على جهة الخـزم بمعجمتين وهو الزيادة على أول البيت حرفا فصاعدا الى أربعة وكذا على أول النصف الثاني حرفا أو اثنين على الصحيح هذا الانواع فيه بين العروضيين ولم يقل أحد بامتناعه وان لم يستحسنوه وما قال أحد ان الخزم يقتضي الغاءها هو فيه على أن يعد شعرا نعم الزيادة لا يعتد بها في الوزن ويكون ابتداء النظم ما بعدها فكذا ما نحن فيه انتهى (قال ابن شهاب) محمد بن مسلم الزهري (ولم يبلغنا أنه صلى الله عليه وسلم تمثل بشعر تام غير هذا) البيت كما هو بقية قوله في البخاري ولابي ذر غير هذه الابيات أي البيتين المذكورين وزاد ابن عائذ عن الزهري التي كان يرتجز بهن وهو ينقل اللبن لبنيان المسجد (انتهى) قول الزهري قال الحافظ ولا اعتراض عليه ولو ثبت أنه صلى الله عليه وسلم أنشد غير ما نقله لانه نفى أن يكون بلغه ولم يطلق النفي واستشكل هذا بقوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولذا قال ابن التين أنكر هـذا على الزهري لان العلماء اختلفوا هل أنشد صلى الله عليه وسلم شعرا أم لا وعلى الجواز هل ينشد بيتا واحدا أو يزيد وقيل البيت الواحد ليس بشعر وفيه نظر (و) أجاب الحافظ وتبعه المصنف بأنه (قد قيل ان الممتنع عليه صلى الله عليه وسلم انشاء الشعر لا انشاده ولا دليل على منع انشاده متمثلا) فالمفهوم من الآية الكريمة منع انشائه لا انشاده قال ابن التين أيضا وأنكر على الزهري من جهة أنه رجز لا شعر ولذا يقال لقائله راجز وأنشد رجزا لا شاعر وأنشد شعرا وأجاب الحافظ بأن الجمهور على ان الرجز الموزون من الشعر وقد قيل أنه صلى الله عليه وسلم كان لا يطلق القافية بل يقولها متحركة ولا يثبت ذلك وسيأتي في الخندق من حديث سهل بلفظ فاغفر للمهاجرين والانصار وهذا ليس بموزون انتهى وقال في المصابيح لا نسلم ان هذا الحمال لاحمال البيت من الرجز وانما هو من مشطور السريع دخله الكشف والخبن انتهى (وقوله هـذا الحمال بكسر الحاء المهملة) وكذا في الاحمال ولابي ذر بفتحها فيهما ذكره المصنف (وتخفيف الميم) وهو جمع أي هذا الحمل أو مصدر بمعنى المفعول (أي) هذا (المحمول من اللبن أبر عند الله) قال الحافظ أي أبقى ذخرا وأكثر ثوابا وأدوم منفعة وأشد طهارة (من حمال خيبر أي التي يحمل منها من التمر والزبيب ونحو ذلك) وتفسيره بهذا مراد المتمثل به صلى الله عليه وسلم وقول القاموس يعني ثمر الجنة وانه لا ينفد مراد منشئ الشعر ابن رواحة (وفي رواية المستملي) أبي اسحق ابراهيم البلخي المتوفى سنة ست وسبعين وثلثمائة أحد رواة البخاري عن الفربري (بالجيم) المفتوحة على ما في بعض النسخ عنه كما في الفتح ولذا قال في العيون قيل رواه المستملي بالجيم فيهما وله وجه والاول أظهر ونحوه في المطالع أي لان وجه تخصيصها بالذكر كونها تأتي بما يحتاج اليه من تمر وزبيب ونحوهما (وفي كتاب تحقيق النصرة) للزين المراغي (قيل وضع عليه السلام رداءه فوضع الناس أرديتهم) أي ما كان على عواتقهم ففي رواية وضعوا أرديتهم وأكسيتهم (وهـم) يعملون و(يقولون لئن قعدنا والنبي

أطاعونى بالغيب ولم يروني وصدقوا أرسلي واتبعوا أمري سلوا فهذا يوم المزيد فيجمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا فيرجع الله اليهم ان يا أهل الجنة انى لو لم أرض عنكم لم أسكنكم داري فسلوني فهـذا يوم المزيد فيجمعون على كلمة واحـدة يا ربنا وجهك ننظر اليه فيكشف تلك الحجب فيتجلى لهم عز وجل فيغشاهم من نوره شئ لولا انه قضى ان لا يحترقوا لاحترقوا لما يغشاهم من نوره ثم يقال لهم ارجعوا الى منازلكم فيرجعون الى منازلهم وقد أعطى كل واحد منهم الضعف على ما كانوا فيه فيرجعون الى أزواجهم وقد خفوا عليهن وخفين عليهم بما غشيهم من نوره فاذا رجعوا تراد النور حتى يرجعوا الى صورهم التي كانوا عليها فتقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك لان الله عز وجل تجلى لنا فنظرنا منه قال وانه والله ما أحاط به خلق ولكنه قد أراهم من عظمته وجلاله ما شاء أن يريهم قال

يعمل * ذالذ اذا) التنوين عوض عن المضاف اليه أى ذالذ اذ افعلناه (للعمل المضلل) صاحبه ففيه حذف وايصال والذى رواه الزبير بن بكار عن مجمع بن يزيد ومن طريق آخر عن أم سلمة قال قائل من المسلمين فى ذلك قال فى النور ولا أعرفه

لئن قعدنا والنبى يعمل * لذاك منا العمل المضلل

وهو كذلك فى بعض نسخ المصنف (وآخرون يقولون) ورواه ابن بكار عن أم سلمة بلفظ وقال على بن أبى طالب (لا يستوى من يعمر المساجدا * بالف الاطلاق (يدأب) يجد فى عمله (فيها قائما وقاعدا * ومن يرى عن التراب حائدا *) أى مائلا قال ابن هشام سألت غير واحد من علماء الشعر عن هذا الرجز فقالوا بلغنا ان عليا ارتجزبه فلا يدرى أهو قائله أم غيره قال وانما قال على ذلك مباسطة ومطايبة كما هو عادة الجماعة اذا اجتمعوا على عمل وليس ذلك طعنا انتهى وعند البيهقى عن الحسن لما بنى صلى الله عليه وسلم المسجد أعانه أصحابه وهو معهم يتناول اللبن حتى اغبر صدره وكان عثمان بن مظعون رجلا متنطعا بميم مضمومة ففوقية فنون مفتوحتين فطاء مكسورة فعين مهملتين من تنطع اذا تغالى وتأنق وكان يحمل اللبنة فيجافى بها عن ثوبه فاذا وضعها نفض كمه ونظر الى ثوبه فان أصابه شئ من التراب نفضه فنظر اليه على ابن أبى طالب فانشد يقول لا يستوى الخ فسمعها عمار بن ياسر فجعل يرتجزها ولا يدرى من يعنى بها فمر بعثمان فقال يا ابن سمية لأعرفن بمن تعرض ومعه حديدة فقال لتكفن أو لأعترضن بها وجهك فسمعه صلى الله عليه وسلم فغضب ثم قالوا لعمار أنه قد غضب فيك ونخاف ان ينزل فينا قرآن فقال أنا أرضيه كما غضب فقال يا رسول الله مالى ولاصحابك قال مالك ولهم قال يريدون قتلى يحملون لبنة لبنة ويحملون على لبنتين فاخذ صلى الله عليه وسلم بيده وطاف به المسجد وجعل يمسح وفرته ويقول يا ابن سمية ليسوا بالذين يقتلونك تقتلك الفئة الباغية وقوله يحملون الخ استعطاف ومباسطة ليزول الغضب وانما كان يحمل عن المصطفى ارادة للاجر كما مر وفى هذه الاحاديث جواز قول الشعر وأنواعه خصوصا الرجز فى الحرب وفى التعاون على سائر الاعمال الشاقة لما فيه من تحريك الهمم وتشجيع النفوس وتحريكها على معالجة الامور الصعبة (وجعلت قبلته القدس) كما رواه ابن النجار وغيره ووقع فى الشفاء رواه الزبير بن بكار عن نافع بن جبير وداود بن قيس وابن شهاب مرسلا رفعت له الكعبة حين بنى مسجده وفى الروض روى عن الشفاء بنت عبد الرحمن الانصارية قالت كان صلى الله عليه وسلم حين بنى المسجد يؤمه جبريل الى الكعبة ويقيم له القبلة انتهى وأخرج الطبرانى برجال ثقات عن الشموس بنت النعمان الانصارية رضى الله عنها واسمعيل الازدى عن رجل من الانصار والغرافى بغين معجمة موقوفا من طريق مالك بن أنس عن زيد بن أسلم عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم أقام رهطا على زوايا المسجد ليعدل القبلة فاتاه جبريل فقال ضع القبلة وأنت تنظر الى الكعبة ثم قال بيده هكذا فاماط كل جبل بينه وبين الكعبة فوضع تربيع المسجد وهو ينظر الى الكعبة لا يحول دون بصره شئ فلما فرغ قال جبريل بيده هكذا فاعاد الجبال والشجر والاشياء على حالها وصارت القبلة على الميزاب واستشكل بانه صلى الله عليه وسلم لما هاجر كان يستقبل القدس واستمر بعد الهجرة مدة كما يأتى ولذا قال التجانى فى شرح الشفاء ان ما فيها غريب والمعروف أن جبريل أعلمه بحقيقة القبلة وأراه سمتها الا انه رفع له الكعبة حتى رآها ولذا جاءت الآثار من غير تقييد وقال أبو الوليد ابن رشد فى شرح قول مالك فى العتبية سمعت أن جبريل هو الذى أقام لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبلة مسجد المدينة يعنى أراه سمتها وبين له جهتها والصواب ان ذلك كان حين حولت القبلة لا حين بناء مسجده وكون جبريل أراه سمتها لا يقتضى رفعها انتهى وأجيب بانه لا مانع من ان يسال جبريل أن يريه

سمتها

فذلك قولهم فنظرنا منه قال فهم ينقلبون فى مسك الجنة ونعيمها فى كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ورواه أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث عصمة بن محمد حدثنا موسى بن عقبة عن أبى صالح عن أنس شبيها به وذكر أبو نعيم فى صفة الجنة من حديث المسعودى عن المنهال عن أبى عبيدة عن عبد الله قال سارعوا الى الجمعة فى الدنيا فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة فى كل جمعة على كثيب من كافور أبيض فيكونون بالقرب على قدر سرعتهم الى الجمعة ويحدث لهم من الكرامة شيأ لم يكونوا رأوه قبل ذلك فيرجعون الى أهليهم وقد أحدث لهم

(فصل فى مبدأ الجمعة)

قال ابن اسحق حدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل عن أبيه قال حدثنى عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبى حين كف بصره فاذا

سمتها حتى اذا وقع استقبالها لم يتردد فيه ولا يتحير في الاصابة يخطر لي في جوابه أنه أطلق الكعبة وأراد القبلة أو الكعبة على الحقيقة فاذا بين أجهتها كان اذا استدبرها استقبل بيت المقدس وتكون النكتة فيه أنه سيحوّل الى الكعبة فلا يحتاج الى تقويم آخر قال ويرجح الاحتمال الاول رواية محمد بن الحسن المخزومي بلفظ تراءى له جبريل حتى أمّ له القبلة انتهى وأكثر الناس الاجوبة عن ذلك بما فيه نزاع وهذا ان أحسنها (وجعل له ثلاثة أبواب باب في مؤخره) وهو المعروف بباب أبي بكر (وباب يقال له باب الرحمة) وكان يقال له باب عاتكة (والباب الذي يدخل منه) وهو المعروف بباب آل عثمان ولما حوّلت القبلة سدّ صلى الله عليه وسلم الباب الذي كان في مؤخره وفتح بابا بحذائه ولم يبق من الابواب الا باب عثمان المعروف بباب جبريل ذكره ابن النجار (وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره مائة ذراع) كما رواه يحيى بن الحسن عن زيد بن حارثة ورواه رزين عن محمد الباقر وروى ابن النجار وغيره عن خارجة بن ثابت قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده مربعا وجعل قبلته الى بيت المقدس وطوله سبعون ذراعا في ستين ذراعا أو يزيد فيحتمل أنه كان كذلك ثم زاد فيه فبلغ المائة ويؤيده قول أهل السير بنى صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أقل من مائة في مائة ثم بناه وزاد فيه (وفي الجانبين) أي العرض (مثل ذلك) كما في خبر محمد الباقر وزيد بن حارثة فكان مربعا (أو دونه) اشارة للقول بأن عرضه كان أقل من مائة حكاه غير واحد (وجعلوا أساسه) أي طرفه الثابت في الارض (قريبا من ثلاثة أذرع) بالحجارة ولم يسطح فشكوا الحر فجعل خشبه وسواريه جذوعا وظللوه بالجريد ثم بالخصف فلما وكف عليهم طينوه بالطين وجعلوا وسطه رحبة وكان جداره قبل ان يسقف قامة وشيأ رواه رزين عن جعفر بن محمد وذكر البلاذري ورواه يحيى بن الحسن عن النوار أم زيد بن ثابت انها رأت أسعد بن زرارة قبل أن يقدم النبي صلى الله عليه وسلم يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم في مسجد بناه في مربد سهل وسهيل قالت فكاني أنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم صلى بهم في ذلك المسجد وبناه هو فهو مسجده فان صح فكانه هدم بناء أسعد وزاد فيه أو زاد بدون هدم لضيقه عن المسلمين أو نحو ذلك والا فما في الصحيح أصح من أنه اشترى المربد وبناه كما قالت عائشة وقال يا بني النجار ثامنوني بحائطكم رواه أنس هذا وفي البخاري وأبي داود عن ابن عمر ان المسجد كان على عهده صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن وسقفه الجريد وعمده خشب النخل فلم يزد فيه أبو بكر شيأ وزاد فيه عمر وبناه على بنيانه في عهده صلى الله عليه وسلم وأعاد عمده خشبا ثم غيره عثمان فزاد فيه زيادة كثيرة وبنى جداره بالحجارة المنقوشة والقصة وجعل عمده حجارة منقوشة وسقفه بالساج قال ابن بطال وغيره هذا يدل على ان السنة في بنيان المسجد القصد وترك الغلو في تحسينه فقد كان عمر مع كثرة الفتوح في أيامه وسعة بيت المال عنده لم يغيره عما كان عليه وانما احتاج الى تجديده لان جريد النخل قد نخر في أيامه فكلم العباس في بيع داره ليزيدها فيه فوهبها العباس لله وللمسلمين فزادها عمر في المسجد ثم كان عثمان والمال في زمانه أكثر فحسنه بما لا يقتضي الزخرفة ومع ذلك أنكر عليه بعض الصحابة وأوّل من زخرف المساجد الوليد بن عبد الملك وذلك في أواخر عصر الصحابة وسكت العلماء عن انكار ذلك خوف الفتنة ورخص فيه بعضهم وهو قول أبي حنيفة اذا وقع تعظيما للمساجد ولم يصرف عليه من بيت المال وقال ابن المنير لما شيد الناس بيوتهم وزخرفوها ناسب ان يصنع ذلك بالمساجد صونا لها عن الاستهانة وتعقب بان المنع ان كان للحث على اتباع السلف في ترك الرفاهية فهو كما قال وان كان لخشية شغل بال المصلي للزخرفة فلا لبقاء العلة (وبنى بيوتا) أي بيتين فقط كما صرح به غير واحد (الى جنبه) أي المسجد (باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد) ويفيد انهما بيتان قوله (فلما فرغ من البناء) للمسجد (بنى لعائشة) لانها كانت زوجه وان تأخر

خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان لها استغفر لابي أمامة أسعد بن زرارة فكنت حينا أسمع ذلك منه فقلت ان عجزا أن لا أسأله عن هذا فخرجت به كما كنت أخرج فلما سمع الاذان للجمعة استغفر له فقلت يا أبتاه أرأيت استغفارك لاسعد بن زرارة كلما سمعت الاذان يوم الجمعة قال أي بني كان أسعد أول من جمع بنا بالمدينة قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في هدم من حرة بني بياضة في بقيع يقال له بقيع الخضمات قلت فكم كنتم يومئذ قال أربعون رجلا قال البيهقي ومحمد بن اسحق اذا ذكر سماعه من الرواية وكان الراوي ثقة استقام الاسناد وهذا حديث حسن صحيح الاسناد انتهى قلت وهذا كان مبدأ الجمعة ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاقام بقباء في بني عمرو بن عوف كما قاله ابن اسحق يوم الاثنين ويوم الثلاثاء ويوم الاربعاء ويوم الخميس أسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي وكانت

دخوله بها (في البيت الذي يليه شارعا الى المسجد) وكان باب عائشة مواجه الشام بمصراع واحد من عرعر أو ساج ذكره ابن زبالة عن محمد بن هلال (وجعل سودة بنت زمعة) بفتح الزاي وسكون الميم عند المحدثين وصدر به المجد فقول المصباح لم أظفر بالسكون في كتب اللغة قصور (في البيت الآخر الذي يليه الى الباب الذي يلي) باب (آل عثمان) ثم بنى عليه السلام بقية الحجرات عند الحاجة اليها قال الواقدي كان لحارثة بن النعمان منازل قرب المسجد وحوله فكلما أحدث صلى الله عليه وسلم أهلا نزل له حارثة عن منزل أي محل حجرة حتى صارت منازله كلها له عليه السلام قال أهل السير ضرب الحجرات ما بين بيت عائشة وبين القبلة والشرق الى المسجد ولم يضربها في غربيه وكانت خارجة من المسجد مديرة به الا من المغرب وكانت أبوابها شارعة من المسجد قال ابن الجوزي كانت كلها في الشق الايسر الى وجه الامام في وجه المنبر الى جهة الشام وعن عطاء الخراساني ومحمد بن هلال أدركنا حجر الزوجات من جريد على أبوابها مسوح من شعر أسود وروى البخاري في الادب عن داود بن قيس رأيت الحجرات من جريد النخل مغشى من خارج بمسوح الشعر وأظن ان عرض البيت من باب الحجرة الى البيت نحوا من ستة أو سبعة أذرع ومن داخل عشرة أذرع وأظن السمك ما بين الثمان والسبع وعند ابن سعد وعلى أبوابها المسوح السود من الشعر وكتب الوليد بن عبد الملك بادخالها في المسجد فهدمت قال ابن المسيب ليتها تركت ليراها من يأتي بعد فيزهد الناس في التكاثر والتفاخر وقال أبو امامة ابن سهل بن حنيف ليتها تركت ليرى الناس ما رضي الله لنبيه ومفاتيح خزائن الدنيا بيده قال ابن سعد أوصت سودة ببيتها لعائشة وباع أولياء صفية بيتها من معاوية بمائة ألف وقيل بثمانين ألفا وتركت حفصة بيتها فورثه ابن عمر فلم يأخذ له ثمنا وادخل المسجد قال ابن النجار وبيت فاطمة اليوم جوف المقصورة وفيه محراب وهو خلف حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقال السمهودي المقصورة اليوم دائرة على بيت فاطمة وعلى حجرة عائشة من جهة الزوراء وبينهما موضع يحترمه الناس ولا يدوسونه بأرجلهم ويذكر أنه قبر فاطمة على أحد الاقوال (ثم تحول عليه السلام من دار أبي أيوب الى مساكنه التي بناها وكان قد أرسل زيد بن حارثة) كما رواه الطبراني عن عائشة قالت لما هاجر صلى الله عليه وسلم وأبو بكر خلفنا بمكة فلما استقر بالمدينة بعث زيد بن حارثة (وأبا رافع مولاه الى مكة) قالت وبعث أبو بكر عبد الله بن اريقط وكتب الى عبد الله بن أبي بكر ان يحمل معه أم رومان وأم أبي بكر وأنا وأختي اسماء فخرج بنا وخرج زيد وأبو رافع (فقدما بفاطمة وأم كلثوم) وأما رقية فسبقت مع زوجها عثمان وزينب أخرت عند زوجها أبي العاصي بن الربيع حتى أسر ببدر فلما من عليه أرسلها الى المدينة (وسودة بنت زمعة واسامة ابن زيد وأم أيمن) وولدها أيمن كما في رواية الطبراني (وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبيه) ومنهم عائشة كما علم لانه اغنى بي بها بعد قالت عائشة واصطحبنا حتى قدمنا المدينة فنزلنا في عيال أبي بكر ونزل آل النبي صلى الله عليه وسلم عنده وهو يومئذ يبني مسجده وبيوته فادخل سودة أحد تلك البيوت وكان يكون عندها رواه الطبراني (وكان في المسجد موضع مظلل يأوي اليه المساكين يسمى الصفة) بضم الصاد وشد الفاء قال عياض واليها نسبوا على أشهر الاقاويل وقال الذهبي كانت القبلة قبل ان تحول في شمال المسجد فلما حولت بقي حائط القبلة الاولى مكان أهل الصفة وقال الحافظ الصفة مكان في مؤخر المسجد مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوى له ولا أهل وكانوا يكثرون فيه ويقلون بحسب من يتزوج منهم أو يموت أو يسافر وفي الحلية من مرسل الحسن بنيت صفة في المسجد لضعفاء المسلمين (وكان أهله يسمون أهل الصفة) قال عبد الرحمن بن أبي بكر كان أصحاب الصفة الفقراء وقال أبو هريرة أهل الصفة أضياف الاسلام لا يأوون على أهل ولا مال ولا على

أول جمعة صلاها بالمدينة وذلك قبل تأسيس مسجده قال ابن اسحق وكانت أول خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ونعوذ بالله ان نقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يقل انه قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال أما بعد أيها الناس فقدموا لانفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولي فبلغك وآتيتك مالا وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيأ ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يتقي بوجهه من النار ولو بشق من تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فانها تجزى الحسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال ابن اسحق ثم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أخرى فقال ان الحمد لله أحمده وأستعينه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت

أحد اذا أتته صلى الله عليه وسلم صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيأ واذا أتته هدية أرسل اليهم وأصاب منها وأشركهم فيها رواهما البخارى (وكان عليه السلام يدعوهم بالليل فيفرقهم على أصحابه) لاحتياجهم وعدم ما يكفيهم عنده (وتعشى طائفة منهم معه عليه السلام) مواساة وتكرما منه وتواضعا رب هو في حديث ان فاطمة طلبت منه فقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم (وفي البخارى من حديث أبي هريرة لقد) وفي رواية بحذف لقد (رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء) بكسر الراء ما يستر أعالى البدن فقط لشدة فقرهم لا يزيد الواحد منهم على ساتر عورته كما أفاده بقوله (اما ازار) فقط (واما كساء) على الهيئة المشروحة بقوله (قد ربطوا الاكسية فحذف المفعول للعلم به (في أعناقهم) لعدم تيسر ما يستر عورتهم وجمع لان المراد بالرجل الجنس (فمنها) أي الاكسية قال المصنف والجمع باعتبار ان الكساء جنس (ما يبلغ نصف الساق) وفي نسخة آخر الساق والذى في البخارى نصف الساقين بالتثنية وهو أنسب بقوله (ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه) الواحد منهم (بيده كراهية ان ترى عورته) لانه لا يستمسك بنفسه وربطه على تلك الهيئة انما يمنع سقوطه لا ظهور العورة قال الحافظ وزاد الاسماعيلى ان ذلك في حال كونهم في الصلاة ومحصله أنه لم يكن لاحد منهم ثوبان انتهى وفي شرح المصنف الاصيلى بدل الاسماعيلى وهو سبق قلم (وهذا) أي قوله من أصحاب الصفة (يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين) لان من للتبعيض على المتبادر وقد روى ابن أبي الدنيا عن ابن سيرين قال كان أهل الصفة اذا أمسوا انطلق الرجل بالواحد والرجل بالاثنين والرجل بالجماعة فاما سعد بن عبادة فكان ينطلق بثمانين (وهؤلاء الذين رآهم أبو هريرة غير السبعين الذين بعثهم) النبي صلى الله عليه وسلم (في غزوة بئر معونة) سنة ثلاث من الهجرة بعد أحد (وكانوا من أهل الصفة أيضا لكنهم استشهدوا قبل اسلام أبي هريرة) لانه كان عام خيبر سنة سبع وذكر المصنف قصتهم في المغازى فذكرها هنا تكثير للسواد (وقد اعتنى بجمع أصحاب الصفة ابن الاعرابى) الامام الحافظ الزاهد أبو سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصرى الصوفى الورع الثقة الثبت العابد الربانى كبير القدر صاحب التصانيف سمع أبا داود وخلقا عمل لهم معجما وعنه ابن منده وغيره ولد سنة ست وأربعين ومائتين ومات سنة أربع وثلثمائة (والسلمى) في كتاب تاريخ أهل الصفة بضم السين نسبة لجد له اسمه سليم هو الامام الزاهد محمد بن الحسين بن موسى النيسابورى أبو عبد الرحمن الرحال سمع الاصم وغيره وعنه الحاكم والقشيرى والبيهقى وحدث أكثر من أربعين سنة وكان وافر الجلالة وصنف نحو مائة وقيل نحو ألف وفي اللسان كاصله ليس بعمدة ونسبه البيهقى للوهم وقال القطان كان يضع للصوفية الاحاديث وخالفه الخطيب وقال انه ثقة صاحب علم وحال قال السبكى وهو الصحيح ولا عبرة بالطعن فيه مات سنة اثنتى عشرة وأربعمائة (والحاكم) في الاكليل (وأبو نعيم) في الحلية فزادوا عنده على مائة (وعند كل منهم ما ليس عند الآخر وفيما ذكروه اعتراض ومناقشة) لا يسعها هذا المختصر (قال في فتح البارى) وقال ابن تيمية جملة من أوى الى الصفة مع تفرقهم قيل أربعمائة وقيل أكثر (وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة الى جذع) بمعجمة واحد الجذوع وهو ساق النخلة قيل ولا يسمى جذعا الا بعد يبسه وقيل يسمى أخضر أو يابسا بعد قطعه (في المسجد قائما فقال ان القيام قد شق على فصنع له المنبر) من اثل الغابة كما في الصحيحين عن سهل بن سعد بفتح الهمزة وسكون المثلثة شجر كالطرفاء لا شوك له وخشبه جيد يعمل منه القصاع والاوانى والغابة بمعجمة وموحدة موضع بالعوالى واختلف في اسم صانعه فروى قاسم ابن أصبغ وأبو سعد في الشرف عن سهل أنه ميمون قال الحافظ وغيره وهو الاصح الاشهر والاقرب وهو مولى

أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ان أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينه الله في قلبه وأدخله في الاسلام بعد الكفر فاختاره على ما سواه من أحاديث الناس انه أحسن الحديث وأبلغه أحبوا ما أحب الله أحبوا الله من كل قلوبكم ولا تملوا كلام الله وذكره ولا تقس عنه قلوبكم فانه قد سماه خيرته من الاعمال والصالح من الحديث ومن كل ما أوتى الناس الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ واتقوه حق تقاته وأصدقوا الله صالح ما تقولون بافواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب أن ينكث عهده والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وقد تقدم طرف من خطبته عليه السلام عند ذكر هديه في الخطب

(فصل وكان من هديه صلى الله عليه وسلم) تعظيم هذا اليوم وتشريفه وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره وقد اختلف العلماء هل هو أفضل أم يوم عرفة على قولين هما وجهان

لأصحاب الشافعي وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ في فجره بسورتي الم تنزيل وهل أتى على الانسان ويظن كثير ممن لا علم عنده ان المراد تخصيص هذه الصلاة بسجدة زائدة ويسمونها سجدة الجمعة واذا لم يقرأ أحدهم هذه السورة استحب قراءة سورة أخرى فيها سجدة ولهذا كره من كره من الائمة المداومة على قراءة هذه السورة في فجر الجمعة دفعا لتوهم الجاهلين وسمعت شيخ الاسلام ابن تيمية يقول انما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هاتين السورتين في فجر الجمعة لانهما تضمنتا ما كان ويكون في يومها فانهما اشتملتا على خلق آدم وعلى ذكر المعاد وحشر العباد وذلك يكون يوم الجمعة وكان في قراءتهما في هذا اليوم تذكير للامة بما كان فيه ويكون والسجدة جاءت تبعا ليست مقصودة حتى يقصد المصلي قراءتها حيث اتفقت * فهذه خاصة من خواص يوم الجمعة * الخامسة الثانية استحباب كثرة الصلاة فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وفي ليلته لقوله صلى الله عليه وسلم أكثروا من الصلاة

امرأة من الانصار كما في الصحيح وقيل أنه مولى سعد بن عبادة فكأنه في الاصل مولى امرأته ونسب الى سعد مجازا واسم امرأته فكيهة بنت عمه عبيد بن دليم أسلمت وبايعت لكن عند ابن راهويه انه مولى لبني بياضة وقول جعفر المستغفري اسمها علاثة بمهملة ومثلثة تصحيف كما قاله أبو موسى المديني وعند الطبراني في الاوسط اسمها عائشة واسناده ضعيف وروى أبو نعيم ان صانعه باقوم بموحدة فالف فقاف فواو فميم الرومي مولى سعيد بن العاصي أو باقول بلام آخره وهي رواية عبد الرزاق أو صباح بضم المهملة وخفة الموحدة أو قبيصة المخزومي او مينا بكسر الميم أو صالح مولى العباس أو ابراهيم أو كلاب وهو أيضا مولى العباس أو تميم الداري روى أبو داود وغيره عن ابن عمر أن تميما الداري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما كثر لحمه ألا نتخذ لك منبرا يحمل عظامك قال بلى فاتخذ له منبرا الحديث قال في الفتح وليس في جميع الروايات التي سمي فيها النجار شئ قوي السند الاحديث ابن عمر فان اسناده جيد لكن لا تصريح فيه بان صانعه تميم بل بين ابن سعد في روايته من حديث أبي هريرة ان تميما لم يعمله وأشبه الاقوال بالصواب القول بانه ميمون لكونه من طريق سهل بن سعد وأما الاقوال الآخر فلا اعتداد بها لوهائها ويبعد جدا أن يجمع بينها بان النجار كانت له أسماء متعددة واما احتمال كون الجميع اشتركوا في عمله فيمنع منه قوله في كثير من الروايات السابقة لم يكن بالمدينة الانجار واحد يقال له ميمون الا ان حمل على المراد بالواحد في صناعته والبقية أعوانه فيمكن وكان ثلاث درجات الى ان زاده مروان في خلافة معاوية ست درجات وسبب ذلك ان معاوية كتب اليه أن يحمل اليه المنبر فامر بقلعه فقلع فاظلمت المدينة وانكسفت الشمس حتى رأوا النجوم فخرج مروان فخطب فقال انما أمرني أمير المؤمنين أن أرفعه فدعا نجارا فزاد فيه ست درجات وقال انما زدت فيه حين كثر الناس أخرجه الزبير ابن بكار في أخبار المدينة من طرق واستمر على ذلك الى ان احترق مسجد المدينة سنة أربع وخمسين وستمائة فاحترق فجدد المظفر صاحب اليمن سنة ست وخمسين منبرا ثم أرسل الظاهر بيبرس بعد عشر سنين منبرا فازيل منبر المظفر فلم يزل منبر بيبرس الى سنة عشرين وثمانمائة فارسل المؤيد شيخ منبرا فبقي الى سنة سبع وستين وثمانمائة فارسل الظاهر خشقدم منبرا (وكان عمله) أي المنبر النبوي (وحنين الجذع في السنة الثامنة بالميم) والنون احترازا من الثانية بنون وياء (من الهجرة) حكاه ابن سعد (وبه جزم ابن النجار) الحافظ الامام البارع المؤرخ أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله بن محاسن البغدادي الثقة الدين الورع الفهم ولد سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وسمع ابن الجوزي وطبقته وله ثلاثة آلاف شيخ وتصانيف ومات سنة ثلاث وأربعين وستمائة (وعورض بما في حديث الافك في الصحيحين) لما رقى صلى الله عليه وسلم المنبر وقال يا معشر المسلمين من يعذرني في رجل قد بلغني أذاه في أهلي يعني عبد الله بن أبي والله ما علمت على أهلي الا الخير فقام سعد بن معاذ فقال أنا يا رسول الله أعذرك فان كان من الاوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن عبادة فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل فقام أسيد بن حضير فقال لابن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه (قالت عائشة فثار الحيان الاوس والخزرج) بمثلثة أي نهض بعضهم الى بعض من الغضب (حتى كادوا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فنزل فخفضهم) بالتشديد أي تلطف بهم (حتى سكتوا) وتركوا المخاصمة وسكت عليه السلام وقصة الافك كانت في سنة خمس كما في مغازي ابن عقبة ونقل البخاري عنه سنة أربع وهم كما قاله الحافظ وغيره وقال ابن اسحق سنة ست فعلى كل لا يصح كون عمله في الثامنة قال الحافظ فان

حمل على التجوز فى ذكر المنبر الافهو أصح مما مضى انتهى يعنى القول بأنه سنة ثمان وبأنه سنة سبع ولولا ذكر تميم فيه لامكن الجواب باحتمال ان المنبر الذى رقاه فى قصة الاولى الجذع الذى كان يخطب عليه اذ المنبر كما فى الصحاح وغيره كل ما ارتفع وثم جواب شيخنا البابلى باحتمال انه منبر آخر غير هذا فيرده قول ابن سعد ان هذا أول منبر عمل فى الاسلام (وجزم ابن سعد بان عمل المنبر كان فى السابعة) بسين فألف فوحدة (وعورض بذكر العباس) بن عبد المطلب (وتميم) الدارى (فيه وكان قدوم العباس) المدينة (بعد الفتح) لمكة (فى آخر سنة ثمان وقدوم تميم سنة تسع) بفوقية فسين (وعن بعض أهل السير انه عليه السلام كان يخطب على منبر من طين قبل أن يتخذ المنبر الذى من خشب) ولو صح لامكن الجواب به وسقط الاشكال (و) لكن (عورض بان الاحاديث الصحيحة) المروية فى الصحيحين وغيرهما من عدة طرق (أنه كان يستند الى الجذع اذا خطب) قبل اتخاذه المنبر الذى من خشب (وستأتى قصة حنين الجذع ان شاء الله تعالى فى مقصد المعجزات) وهو الرابع

(ذكر المواخاة بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين)

وكانت كما قال ابن عبد البر وغيره مرتين الاولى بمكة قبل الهجرة بين المهاجرين بعضهم بعضا على الحق والمواساة فآخى بين أبى بكر وعمر وطلحة والزبير وبين عثمان وعبد الرحمن رواه الحاكم وفى رواية له بين الزبير وبين ابن مسعود وبين حمزة وزيد بن حارثة وهكذا بين كل اثنين منهم الى ان بقى على فقال آخيت بين أصحابك فمن أخى قال انا أخوك وجاءت أحاديث كثيرة فى مواخاة النبى صلى الله عليه وسلم لعلى وقد روى الترمذى وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى أما ترضى أن أكون أخاك قال بلى قال أنت أخى فى الدنيا والآخرة وأنكر ابن تيمية هذه المواخاة بين المهاجرين خصوصا بين المصطفى وعلى وزعم أن ذلك من الاكاذيب وأنه لم يواخ بين مهاجرى ومهاجرى قال لانها شرعت لارفاق بعضهم بعضا ولتتألف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمواخاته لاحد ولا لمواخاة المهاجرين ورده الحافظ بانه رد للنص بالقياس واغفال عن حكمة المواخاة لان بعض المهاجرين كان أقوى من بعض بالمال والعشيرة فآخى بين الاعلى والادنى ليرتفق الادنى بالاعلى ويستعين الاعلى بالادنى وبهذا تظهر حكمة مؤاخاته لعلى لانه هو الذى كان يقوم به من الصبا قبل البعثة واستمر وكذا مؤاخاة حمزة وزيد لان زيدا مولاهم فقد ثبتت اخوتهما وهما من المهاجرين وفى الصحيح فى عمرة القضاء ان زيدا قال ان بنت حمزة ابنة أخى وأخرج الحاكم وابن عبد البر بسند حسن عن ابن عباس آخى النبى صلى الله عليه وسلم بين الزبير وابن مسعود وهما من المهاجرين وأخرجه الضياء فى المختارة وابن تيمية يصرح بان أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرك انتهى والثانية هى التى ذكرها المصنف فقال (ولما كان بعد قدومه بخمسة أشهر) كما قال أبو عمرو وقيل بثمانية وقيل بسبعة وقيل بسنة وثلاثة أشهر قبل بدر وقيل والمسجد يبنى وقيل قبل بنائه (آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار) قال السهيلى ليذهب عنهم وحشة الغربة ويؤنسهم من مفارقة الاهل والعشيرة ويشد أزر بعضهم ببعض فلما عز الاسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة أبطل المواريث وجعل المؤمنين كلهم اخوة وأنزل انما المؤمنون اخوة يعنى فى التوادد وشمول الدعوة انتهى وقال العز بن عبد السلام الاخوة حقيقية ومجازية فالحقيقية المشابهة يقال هذا أخو هذا لانه شابهه فى خروجه من البطن الذى خرج منه ومن الظهر أيضا وآثارها المعاضدة والمناصرة فتستعمل فى هذه الآثار من التعبير بالسبب عن المسبب ومنه قوله تعالى انما المؤمنون اخوة هو خبر معناه الامر أى لينصر بعضهم بعضا وقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن أخو المؤمن خبر أيضا بمعنى الامر ولما انقسمت الحقيقية الى أعلى

على يوم الجمعة وليلة الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الانام ويوم الجمعة سيد الايام فللصلاة عليه فى هذا اليوم مزية ليست لغيره مع حكمة أخرى وهى أن كل خير نالته أمته فى الدنيا والآخرة فانما نالته على يده فجمع الله لامته به بين خيرى الدنيا والآخرة فاعظم كرامة تحصل لهم فانما تحصل يوم الجمعة فان فيه بعثهم الى منازلهم وقصورهم فى الجنة وهو يوم المزيد لهم اذا دخلوا الجنة وهو عيدهم فى الدنيا ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم ولا يرد سائلهم وهذا كله انما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده فمن شكره وحمده وأداء القليل من حقه صلى الله عليه وسلم ان يكثر من الصلاة عليه فى هذا اليوم وليلته * الخاصة الثالثة صلاة الجمعة التى هى من آكد فروض الاسلام ومن أعظم مجامع المسلمين وهى أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة ومن تركها تهاونا بها طبع الله على قلبه وقرب أهل الجنة يوم القيامة وسبقهم

المراتب كالشقيق والى ما دون ذلك كالاخ للاب أو للام كانت المجازية كذلك فالاخوة الناشئة عن الاسلام هي الدنيا من المجازية ثم انها كملت بالاخوة التي سنها صلى الله عليه وسلم بمؤاخاته بين جماعة من أصحابه ومعناها انه أمر ندب ان يعين كل واحد أخاه على المعروف ويعاضده وينصره وصار المسلمان في هذه الاخوة الثانية في أعلى مراتب الاخوة المجازية كالشقيقين في الحقيقة فان قيل هذه الاخوة مستفادة من أصل الاسلام فانه يقتضي المعاونة على كل أمر جوابه ان الامر الثاني مؤكد للامر الاول لانه لا يستوي من وعدته بالمعروف من المسلمين ومن لم تعده فان الموعود قد وجد في حقه سببان الاسلام والمواعدة وهذه الاخوة هي التزام ومواعدة ولا شك ان طلب الشارع للوفاء بالخير الموعود به أعلى رتبة من طلب الخير الذي لم يعد به فقد تحقق طلب لم يكن ثابتا باصل الاسلام وفيها فائدة أخرى وهي ان هذا العزم المتجدد من هذا الوعد يترتب عليه من الثواب على عدد معلوم انه لقوله صلى الله عليه وسلم ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ولا شك ان هذا ثواب عظيم وكذلك كل من وعد بخير فانه يثاب على عزمه ووعده ما لا يثاب على العزم المتلقى عن أصل الاسلام انتهى (وكانوا تسعين رجلا من كل طائفة خمسة وأربعون) كما ذكره ابن سعد باسانيد الواقدي قائلا وقيل مائة من كل طائفة خمسون وروى ابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم قال لهم تآخوا في الله أخوين أخوين ثم أخذ بيد علي فقال هذا أخي وآخى بينهم في دار أنس بن مالك كما في الصحيح وعند أبي سعد في الشرف آخى بينهم في المسجد (على الحق والمواساة) وبذل الانصار رضي الله عنهم في ذلك جهدهم حتى عرض سعد ابن الربيع على أخيه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه نصف ماله وكان له زوجتان فقال اختر احداهما أطلقها وتزوجها كما في الصحيح وروى أبو داود والترمذي عن أنس لقد رأيتنا وما الرجل المسلم أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم وعزاه اليعمري لمسلم والترمذي والنسائي عن ابن عمر وتعقبه في النور بانه لم يره فيهم بعد التفتيش (و) على (التوارث) وشدد الله عقد نبيه بقوله ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا الى قوله ورزق كريم فاحكم الله بهذه الآيات العقد الذي عقده بينهم بتوارث الذين تآخوا دون من كان مقيما بمكة والقرابات (وكانوا كذلك الى أن نزل بعد بدر) حين أعز الله الاسلام وجمع الشمل وذهبت الوحشة (وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض الآية) فانقطعت المؤاخاة في الميراث وبقيت في التوادد وشمول الدعوة والمناصرة (تتميم) روى البخاري عن عاصم قلت لانس أبلغك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا حلف في الاسلام فقال قد حالف النبي صلى الله عليه وسلم بين قريش والانصار في داري وأخرجه أبو داود بلفظ حالف بين المهاجرين والانصار في دارنا مرتين أو ثلاثا وروى أبو داود عن جبير بن مطعم مرفوعا لا حلف في الاسلام وأي حلف كان في الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة وروى أحمد والترمذي وحسنه عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رفعه أوفوا بحلف الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام قال في النهاية أصل الحلف المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال والغارات فذلك الذي نهى عنه بقوله لا حلف في الاسلام وما كان منه على نصر المظلوم وصلة الارحام كحلف المطيبين وما جرى مجراه فذلك الذي قال فيه وأي حلف الخ يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق انتهى وقول سفيان بن عيينة حمل العلماء قول أنس على المؤاخاة تعقبه الحافظ بان سياق عاصم عنه يقتضي انه أراد المحالفة حقيقة والا لما كان الجواب مطابقا وقول البخاري باب الاخاء والحلف ظاهر في المغايرة بينهما (وبنى بعائشة على رأس تسعة أشهر) من هجرته (وقيل ثمانية عشر شهرا) من الهجرة فيكون البناء في السنة الثانية وبه صدر المصنف في الزوجات وجزم به النووي في تهذيبه قال الحافظ ويخالفه ما ثبت انه دخل بها بعد خديجة بثلاث سنين (في شوال) كما في مسلم

الى الزيادة يوم المزيد بحسب قربهم من الامام يوم الجمعة وتبكيرهم * الخاصة الرابعة الامر بالاغتسال في يومها وهو أمر مؤكد جدا ووجوبه أقوى من وجوب الوتر وقراءة البسملة في الصلاة ووجوب الوضوء من مس النساء ووجوب الوضوء من مس الذكر ووجوب الوضوء من القهقهة في الصلاة ووجوب الوضوء من الرعاف والحجامة والقيء ووجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد الاخير ووجوب القراءة على المأموم وللناس في وجوبه ثلاثة أقوال النفي والاثبات والتفصيل بين من به رائحة يحتاج الى ازالتها فيجب عليه ومن هو مستغن عنه فيستحب له والثلاثة لاصحاب أحمد * الخاصة الخامسة التطيب فيه وهو أفضل من التطيب في غيره من أيام الاسبوع * الخاصة السادسة السواك فيه وله مزية على السواك في غيره * الخاصة السابعة التبكير للصلاة * الخاصة الثامنة ان يشتغل بالصلاة والذكر والقراءة حتى يخرج الامام * الخاصة

عنها ولذا كانت تحب أن تدخل أهلها وأحبتها على أزواجهن في شوال قاله أبو عمر وقيل بنى بها في الثامن والعشرين من ذي الحجة والاول أصح وقال الحافظ وإذا ثبت انه بنى بها في شوال من السنة الاولى قوى قول من قال دخل بها بعد الهجرة بسبعة أشهر ووهاه النووي في تهذيبه وليس بواه اذا عددناه من ربيع الاول انتهى

(باب بدء الاذان)

هو لغة الاعلام قال

آذنتنا ببينها أسماء * ليت شعري متى يكون اللقاء

وشرعا الاعلام بوقت الصلاة المفروضة بألفاظ مخصوصة وهو كالاقامة من خصائص الامة المحمدية واستشكل بما رواه الحاكم وابن عساكر وأبو نعيم باسناد فيه مجاهيل ان آدم لما نزل الهند استوحش فنزل جبريل فنادى بالاذان وأجيب بأن مشروعيته للصلاة هو الخصوصية واستطرد بعض هنا بعض خصائص سيذكرها المصنف في المقصد الرابع واستأنف فقال (وكان الناس كما في السير وغيرها انما يجتمعون الى الصلاة لتحين) بكسر اللام وفتح الفوقية وكسر الحاء المهملة وسكون التحتية مضافا الى (مواقيتها) ففي المختار والحين الوقت وربما ادخلوا عليه التاء فقالوا لتحين بمعنى حين فضبطه بفتح الحاء وشد التحتية مضمومة يخالفه مع عدم ظهور المعنى اذ التحين ضرب الحين أي الوقت الآن بوجه بانهم لا يحضرونها حتى يطلبوا لها وقتا يعرفون به دخولها بمعنى ان كل واحد منهم يتخذ له علامة يهتدى بها لدخول الوقت (من غير دعوة) بل اذا عرفوا دخوله بعلامة أتوا المسجد وقد أخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر كان المسلمون لما قدموا المدينة يجتمعون فيتحينون الصلاة ليس ينادى لها فتكلموا يوما في ذلك فقال بعضهم تتخذ ناقوسا مثل ناقوس النصارى وقال بعضهم بل بوقا مثل قرن اليهود فقال عمر أولا تبعثون رجلا منكم ينادي بالصلاة فقال صلى الله عليه وسلم يا بلال قم فناد بالصلاة (وأخرج ابن سعد في الطبقات) للصحابة والتابعين فمن بعدهم الى وقته فأجاد فيه وأحسن قاله الخطيب (من مراسيل سعيد بن المسيب) بفتح الياء على المشهور وبكسرها قاله عياض وابن المديني ابن حزن القرشي المخزومي التابعي الكبير فقيه الفقهاء ابن الصحابي مات سنة أربع أو ثلاث وتسعين (ان بلالا كان ينادي للصلاة) قبل التشاور والرؤيا وبعد قول عمر تبعثون رجلا ينادي بالصلاة فاستحسن عليه السلام ذلك فأمر بلالا أن ينادي (الصلاة جامعة) بنصب الاول على الاغراء والثاني على الحال ورفعهما على الابتداء والخبر ونصب الاول ورفع الثاني وعكسه قاله الحافظ وغيره وعن الزهري ونافع بن جبير وابن المسيب وبقي أي بعد فرض الاذان ينادي في الناس الصلاة جامعة للامر يحدث فيحضرون له يخبرون به وان كان في غير وقت صلاة (وشاور صلى الله عليه وسلم أصحابه فيما يجمعهم به للصلاة) لما كثر المسلمون وروى أبو داود باسناد صحيح اهتم النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة كيف يجمع الناس لها (وذلك فيما قيل في السنة الثانية) مرضه لقول الحافظ الراجح انه شرع في السنة الاولى من الهجرة وروى عن ابن عباس ان فرض الاذان نزل مع قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة رواه أبو الشيخ وذكر أهل التفسير أن اليهود لما سمعوا الاذان قالوا يا محمد لقد أبدعت شيأ لم يكن فيما مضى فنزلت واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا الآية وعدى النداء في الاولى باللام وفي الثانية بالى لان صلات الافعال تختلف بحسب مقاصد الكلام فقصد في الاولى معنى الاختصاص وفي الثانية معنى الانتهاء قاله الكرماني ويحتمل ان اللام بمعنى الى أو العكس انتهى (فقال بعضهم) الذي يجمع به (ناقوس) وفي أبي داود فقيل له أنصب راية فاذا رأوها أذن بعضهم بعضا فلم يعجبه ذلك فذكر له ناقوس (كناقوس النصارى) الذين يعلمون به أوقات صلاتهم وهو خشبة طويلة تضرب بخشبة أصغر منها

الانشعة الانصات للخطبة اذا سمعها وجوبا في أصح القولين فان تركه كان لاغيا ومن لغى فلا جمعة له وفي المسند مرفوعا والذي يقول لصاحبه أنصت فلا جمعة له * الخاصة العاشرة قراءة سورة الكهف في يومها فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة سطع له نور من تحت قدمه الى عنان السماء يضيء به يوم القيامة وغفر له ما بين الجمعتين وذكره سعيد بن منصور من قول أبي سعيد الخدري وهو أشبه * الحادي عشر أنه لا يكره فعل الصلاة فيه وقت الزوال عند الشافعي رضي الله عنه ومن وافقه وهو اختيار شيخنا أبي العباس بن تيمية ولم يكن اعتماده على حديث ليث عن مجاهد عن أبي الخليل عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كره الصلاة نصف النهار الا يوم الجمعة وقال ان جهنم تسجر الا يوم الجمعة وانما كان اعتماده على أن من جاء الى الجمعة يستحب له أن يصلي حتى يخرج الامام وفي الحديث الصحيح لا يغتسل رجل يوم الجمعة

فيخرج منهما صوت كما في الفتح والنور وغيرهما وقال في مقدمة الفتح وتبعه الشامي آلة من نحاس أو غيره تضرب فتصوت ولأبي الشيخ في كتاب الاذان فقالوا واتخذ ناقوسا فقال عليه السلام ذلك للنصارى ولأبي داود فقال هو من أمر النصارى (وقال آخرون بوق) بضم الموحدة قرن ينفخ فيه (كبوق اليهود) ولأبي الشيخ فقالوا واتخذ بوقا فقال ذاك لليهود ولأبي داود فذكر له القنع يعني الشبور فلم يعجبه ذلك وقال هو من أمر اليهود القنع بضم القاف وسكون النون ومهملة وروي بموحدة مفتوحة وروي بفوقية ساكنة وروي بمثلثة ساكنة بدل النون والنون أشهر قال السهيلي وهو أولى بالصواب والشبور بفتح المعجمة وضم الموحدة مشددة كما في الفتح وغيره وقول النور بفتحهما سبق قلم ففي القاموس وكتنور البوق (وقال بعضهم بل نوقد نارا ونرفعها فاذا رآها الناس أقبلوا الى الصلاة) ولأبي الشيخ فقالوا لو رفعنا نارا فقال ذاك للمجوس وعند أبي داود فانصرف عبد الله بن زيد وهو مهتم لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (فرأى عبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه) أبو محمد الانصاري العقبي البدري قال الترمذي لا نعرف له عن النبي صلى الله عليه وسلم شيأ يصح الا هذا الحديث الواحد في الاذان وكذا قال ابن عدي قال في الاصابة وأطلق غير واحد انه ماله غيره وهو خطأ فقد جاءت عنه أحاديث ستة أو سبعة جمعها في جزء مفرد مات سنة اثنتين وثلاثين وهو ابن أربع وستين وصلى عليه عثمان قاله ولده محمد بن عبد الله نقله المدائني وقال الحاكم الصحيح انه قتل باحد فالروايات عنه كلها منقطعة وخالف ذلك في المستدرك انتهى (في منامه رجلا) يحمل ناقوسا (فعلمه الاذان والاقامة فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما رأى) وفي حديث ابن عمر عند ابن ماجه ان عبد الله بن زيد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا وجمع باحتمال أن المراد فلما قارب الصباح (وفي رواية معاذ بن جبل عند الامام أحمد قال) عبد الله بن زيد ففيه من اللطائف رواية صحابي عن صحابي فليس معاذ رائيا ولا قائلا (يارسول الله اني رأيت فيما) أي الحالة التي (يرى النائم) فيها أشار من أول كلامه الى انه غير حقيقي وأفصح بذلك في قوله (ولو قلت اني لم أكن نائما لصدقت) لقرب نومه من اليقظة فروحه كالمتوسطة بين النوم واليقظة قال السيوطي يظهر من هذا أن يحمل على الحالة التي تعتري أرباب الاحوال ويشاهدون فيها ما يشاهدون ويسمعون ما يسمعون والصحابة رؤس أرباب الاحوال (رأيت شخصا عليه ثوبان أخضران) زاد في رواية ابن اسحق الآتية يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله أتبيع الناقوس قال وما تصنع به قلت ندعو به الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك فقلت بلى (فاستقبل القبلة فقال الله أكبر الله أكبر) بسكون الراء وضمها عامي لانه روي موقوفا قاله ابن الاثير والهروي وزاد وكان المبرد يقول الاولى مفتوحة والثانية ساكنة والاصل اسكان الراء فحركت فتحة الالف من اسم الله في اللفظة الثانية لسكون الراء قبلها ففتحت كقوله تعالى الم الله لا اله الا هو وفي المطالع اختلف في فتح الراء الاولى وضمها وتسكينها وأما الثانية فتضم أو تسكن (مثنى مثنى حتى فرغ من الاذان الحديث) وفيه (فقال عليه السلام انها الرؤيا حق) بالرفع صفة رؤيا والجر باضافة رؤيا اليه لادنى ملابسة أي انها مخصوصة بكونها حقا لمطابقتها للواقع (ان شاء الله قم مع بلال فالق) بفتح الهمزة ثلاثي مزيد (عليه ما رأيت فليؤذن به) ولأبي داود عن أبي بشر فاخبرني أبو عمير أن الانصار تزعم ان عبد الله بن زيد لولا انه كان مريضا لجعله صلى الله عليه وسلم مؤذنا وكأنه عبر بلفظ تزعم لانه مناف بحسب الظاهر لقوله (فانه أندى منك صوتا) بفتح الهمزة وسكون النون أي أرفع وأعلى أو أحسن وأعذب أو أبعد حكاها ابن الاثير ولا مانع من ارادة الثلاثة والظاهر كما قال شيخنا تساوي الاول والثالث بحسب التحقيق اذ يلزم من كونه أرفع وأعلى ان يكون أبعد وفي هذا رد للحديث المشهور

فيتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهن أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلي ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى رواه البخاري فندبه الى الصلاة ما كتب له ولم يمنعه عنها الا في وقت خروج الامام ولهذا قال غير واحد من السلف منهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وتبعه عليه الامام أحمد بن حنبل خروج الامام يمنع الصلاة وخطبته تمنع الكلام فجعلوا المانع من الصلاة خروج الامام لا انتصاف النهار وأيضا فان الناس يكونون في المسجد تحت السقوف ولا يشعرون بوقت الزوال والرجل يكون متشاغلا بالصلاة لا يدري بوقت الزوال ولا يمكنه أن يخرج ويتخطى رقاب الناس وينظر الى الشمس ويرجع ولا يشرع له ذلك وحديث أبي قتادة هذا قال أبو داود هو مرسل لان أبا الخليل لم يسمع من أبي قتادة والمرسل اذا اتصل به عمل وعضده قياس أو قول صحابي أو كان مرسله معروفا باختيار الشيوخ ورغبته

على الالسنة سين بلال عند الله شين وقد قال الحافظ المزي لم أره في شيء من الكتب وذكر بعضهم مناسبة اختصاص بلال بالاذان انه لما عذب ليرجع عن الاسلام كان يقول أحد أحد فجوزي بولاية الاذان المشتمل على التوحيد من ابتدائه وانتهائه (قال فقمت مع بلال فجعلت ألقيه عليه ويؤذن قال فسمع بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو في بيته فخرج يجر رداءه) استعجالا فرحا بصحة منامه وموافقة غيره لرؤياه يقول والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيت مثل ما رأى) وكأنه أخبر بذلك في طريقه قبل وصوله له عليه السلام قال الحافظ ولا يخالف ما رواه أبو داود باسناد صحيح عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الانصار قال وكان عمر قد رآه قبل ذلك فكتمه عشرين يوما ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ما منعك أن تخبرني فقال له ما صنعك ان تخبرني فقال سبقني عبد الله بن زيد فاستحييت لانه يحمل على انه لم يخبر بذلك عقب اخبار عبد الله بن زيد بل متراخيا عنه لقوله ما منعك (٢) ان تخبرنا أي عقب اخبار عبد الله فاعتذر بالاستحياء فدل على انه لم يخبره على الفور (ووقع في الاوسط للطبراني ان أبا بكر أيضا رأى الاذان) أخرجه من طريق زفر بن الهذيل عن أبي حنيفة عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة عن أبيه ان رجلا من الانصار مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حزين لامر الاذان بالصلاة فبينما هو كذلك اذ نعس فأتاه آت في النوم فقال قد علمت ما حزنت له فذكر قصة الاذان فلما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أخبرنا بمثل ذلك أبو بكر فأمر بلالا بالاذان قال الطبراني لم يروه عن علقمة الا أبو حنيفة (وفي الوسيط للغزالي انه رآه بضعة عشر رجلا وعبارة الجيلي في شرح التنبيه) رآه (أربعة عشر) فيمكن ان يفسر بها قول الغزالي بضعة عشر (وأنكره ابن الصلاح) فقال لم أجد هذا بعد امعان البحث (ثم النووي) في تنقيحه فقال هذا ليس بثابت ولا معروف وانما الثابت خروج عمر يجر رداءه (وفي سيرة مغلطاي) عن بعض كتب الفقهاء (انه رآه سبعة من الانصار قال الحافظ أبو الفضل بن حجر رحمه الله) في فتح الباري (ولا يثبت شيء من ذلك الا لعبد الله بن زيد وقصة عمر جاءت في بعض الطرق) في سنن أبي داود (قال السهيلي) في الروض (فان قلت ما الحكمة التي خصت الاذان بان يراه رجل من المسلمين في نومه ولم يكن عن وحي من الله لنبيه كسائر العبادات والاحكام الشرعية) فانها كلها عن وحي قال تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى ولا يرد هذا على القول بانه يجتهد لانه مأذون فيه من ربه ولا يقول الا حقا فكانه وحي (وفي قوله عليه السلام انها الرؤيا حق ثم بنى حكم الاذان عليها وهل كان ذلك) أي بناؤه حكم الاذان على الرؤيا (عن وحي من الله) عليه السلام يعني ان ابن زيد حين رأى ولم يكن عن وحي هل أوحي اليه بعد حتى بنى حكم الاذان عليها (أم لا) فهذا الاستفهام راجع لابتناء حكم الاذان فلا ينافي جزمه أولا بانه لم يكن عن وحي لانه مخصوص الرؤيا وجدت من ابن زيد (وأجاب بانه صلى الله عليه وسلم قد أريه ليلة الاسراء فروى البزار) في مسنده فقال حدثنا محمد بن عثمان بن مخلد قال حدثنا أبي عن زياد بن المنذر عن محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده (عن علي) ابن أبي طالب (قال لما أراد الله أن يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل عليه السلام بدابة يقال لها البراق) بضم الموحدة (فركبها حتى أتى الحجاب الذي يلي الرحمن) وهذا يأتي على انه عرج به على البراق كظاهر حديث البخاري والصحيح ان العروج انما كان على المعراج قال النعماني ولا مانع انه ركب البراق فوق المعراج (فبينما هو كذلك اذ خرج ملك من الحجاب) بالنسبة للمخلوق أما الخالق تبارك وتعالى فلا يحجبه شيء (فقال يا جبريل من هذا قال والذي بعثك بالحق اني لاقرب الخلق مكانا) في العالم العلوي (وان هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فقال الملك الله أكبر الله أكبر فقيل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا أكبر أنا أكبر وذكر بقية الاذان) وفي هذا انه شرع بمكة قبل الهجرة قال

عن الرواية عن الضعفاء والمتروكين ونحو ذلك مما يقتضي قوته عمل به وأيضا فقد بعضده شواهد أخرمنها ما ذكره الشافعي في كتابه فقال روى عن أسحق بن عبد الله عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة نصف النهار حتى تزول الشمس الا يوم الجمعة هكذا رواه في كتاب اختلاف الحديث ورواه في كتاب الجمعة حدثنا ابراهيم بن محمد عن اسحق ورواه أبو خالد الاحمر عن شيخ من أهل المدينة يقال له عبد الله ابن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد رواه البيهقي في المعرفة من حديث عطاء بن عجلان عن أبي نضرة عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن الصلاة نصف النهار الا يوم الجمعة ولكن اسناده فيه من لا يحتج به قال البيهقي ولكن اذا انضمت هذه الاحاديث الى حديث أبي قتادة أحدثت بعض القوة قال الشافعي من شأن الناس التهجير الى الجمعة والصلاة الى خروج الامام قال البيهقي

٢ قوله ان تخبرنا سبق تخبرني فليحرر

الحافظ ويمكن على تقدير صحته ان يحمل على تعدد الاسراء فيكون ذلك وقع بالمدينة وأما قول القرطبي
لا يلزم من كونه سمعه ليلة الاسراء ان يكون مشروعا في حقه ففيه نظر لقوله أوله لما أراد الله ان يعلم
رسوله الاذان وكذا قول المحب الطبري يحمل الاذان ليلة الاسراء على المعنى اللغوي وهو الاعلام فيه
نظر أيضا التصريح بكيفيته المشروعة فيه انتهى (قال السهيلي) بعد ميله الى صحة هذا الخبر مائلا لما
يعضده ويشاكله من حديث الاسراء (وهذا أقوى من الوحي لانه سماع بواسطة وهذا بدونها) فلما تأخر
فرض أو مشروعية (الاذان الى المدينة وأراد اعلام الناس بوقت الصلاة تلبث الوحي) أي تأخر نزوله
(حتى رأى عبد الله الرؤيا فوافقت ما رأى صلى الله عليه وسلم فلذلك قال انها الرؤيا حق ان شاء الله)
قاله تبركا أو قبل الوحي اعتمادا على رؤيته في السماء ان ثبت ولم يفهمه انها وحي جبراله ابتداء مع العزم
على اخباره بحقيقة الامر بعد لا تعليقا فينافي العلم بحقيتها حيث كانت عن وحي (وعلم حينئذ) أي
حين أقر المصطفى رؤياه وقال انها الرؤيا حق (ان مراد الله بما أراه له وفي نسخة بما رآه أي النبي عليه السلام
بارادة الله تعالى اياه ذلك (في السماء ان يكون سنة في الارض وقوى ذلك عنده موافقة رؤيا عمر
للانصاري) قال السهيلي لان السكينة تنطق على لسان عمر (انتهى) كلام السهيلي قال في الفتح وحاول
بذلك الجمع بين حديث كونه رؤيا وبين الاحاديث الدالة على انه شرع بمكة قبل الهجرة فتكلف
وتعسف والاخذ بما صح أولى (وتعقب بأن حديث البزار) لا يصح الاحتجاج به لان (في اسناده زياد بن
المنذر) وهو (أبو الجارود) الاعمى الكوفي الرافضي المتوفى بعد الخمسين ومائة (وهو متروك) وان خرج
له الترمذي بل قال ابن معين هو كذاب عدو الله وقال الذهبي وابن كثير هذا الحديث من وضعه قال
السهيلي أيضا ما ملخصه والحكمة أيضا في اعلام الناس به على غير لسانه صلى الله عليه وسلم التنويه بقدره
والرفع لذكره بلسان غيره ليكون أقوى لامره وأفخر لشأنه قال الحافظ وهذا حسن بديع ويؤخذ منه
حكمة عدم الاكتفاء برؤيا عبد الله بن زيد حتى أضيف عمر للتقوية التي ذكرها ولم يقتصر على عمر ليصير
في معنى الشهادة (وقال في فتح الباري وقد استشكل اثبات حكم الاذان برؤيا عبد الله بن زيد لان رؤيا غير
الانبياء لا ينبني عليها حكم شرعي) بل ورؤيا الشخص للنبي كذلك وان كان حقا لان النائم لا يضبط ما يقال
له (وأجيب باحتمال مقارنة الوحي لذلك) لم يجزم به لعدم وقوفه على التصريح به (ويؤيده ما رواه عبد
الرزاق) بن همام الحافظ الصنعاني (وأبو داود في المراسيل من طريق عبيد بن عمير) بن قتادة (الليثي
أحد كبار التابعين) المكي قاضيها ولد في حياة النبوة وقيل له رؤية ومات قبل ابن عمر (أن عمر لما رأى
الاذان جاء ليخبر النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الوحي قد جاء وفي نسخة قد ورد (بذلك فما راعه الاذان
بلال) أي ما أشعر عمر أي ما أعلمه قاله الشامي فحقيقة الروع هنا منتفية واستعمل في لازمه لان من
فزع من شيء استشعر وجوده ولكن قد لا يحصل من الشعور العلم فتدرج في البيان ففسره لغة ثم مرادا
(فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بذلك الوحي) فهذا يؤيد احتمال المقارنة وليس نصا فيه
لجواز ان الوحي انما جاء بعد اذنه في الاذان اعتمادا على ما ظهر له عند الاخبار بالرؤيا فيكون مقررا للامر به
(وهذا) المرسل (أصح مما حكى الداودي) أحمد بن نصر اليشكري أبو جعفر الاسدي الطرابلسي وبها
ألف شرح الموطأ وسماه النامي العالم الفاضل المالكي الفقيه المفتي المجيد له حظ من اللسان والحديث
والنظر ثم انتقل الى تلمسان وألف الواعي في الفقه وشرح البخاري وسماه النصيحة وغير ذلك وحمل
عنه أبو عبد الملك البوني وابو بكر بن محمد بن أبي زيد وتوفي بتلمسان سنة ثلاثين وأربعمائة (عن ابن
اسحق) محمد امام المغازي (ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يخبره عبد الله بن زيد وعمر
بثمانية أيام) ولو صح أمكن حمله كما قال شيخنا على أنه أوحى اليه باعلام الناس بوقت الصلاة من غير

بيان

والذي أشار اليه الشافعي
موجود في الاحاديث
الصحيحة وهو أن النبي
صلى الله عليه وسلم رغب
في التبكير الى الجمعة وفي
الصلاة الى خروج الامام
من غير استثناء وذلك
موافق هذه الاحاديث
التي أبيحت فيها الصلاة
نصف النهار يوم الجمعة
وروينا الرخصة في ذلك
عن عطاء والحسن
ومكحول قلت اختلف
الناس في كراهة الصلاة
نصف النهار على ثلاثة
أقوال أحدها أنه ليس
وقت كراهة بحال وهو
مذهب مالك رحمه الله
الثاني وقت كراهة في
يوم الجمعة وغيرها وهو
مذهب أبي حنيفة
والمشهور من مذهب
أحمد والثالث أنه وقت
كراهة الا يوم الجمعة
فليس وقت كراهة وهذا
مذهب الشافعي رحمه
الله تعالى * الثانية عشر
قراءة سورة الجمعة
والمنافقين أو سبح
والغاشية في صلاة الجمعة
فقد كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقرأ بهن
في الجمعة ذكره مسلم في
صحيحه وفيه أيضا أنه
صلى الله عليه وسلم كان
يقرأ فيها بالجمعة وهل
أتاك حديث الغاشية
وثبت عنه ذلك كله ولا

بيان ما علم به وبهذا الاجمال يرتفع المشاورة فيما يعلم به ثم بعدها جاء الوحي بخصوص كلمات الاذان ليلة الرؤيا فلما أخبره قال سبقك الوحي بهذه الكلمات وأجاب في الفتح أيضا عن الاشكال بأنه عليه السلام أمر بمقتضى الرؤيا لينظر أيقر على ذلك أم لا ولاسيما لما رأى نظمها يبعد دخول الوسواس فيه وهذا ينبني على القول بجواز اجتهاده صلى الله عليه وسلم في الاحكام وهو المنصور في الاصول انتهى (وقد عرفت) بالبناء للمفعول زيادة على ما مر (رؤيا عبد الله بن زيد برواية ابن اسحق) وليس عرفت بالخطاب كما ضبط بالقلم اذ لم تتقدم رواية ابن اسحق (وغيره) كأبي داود والترمذي وابن ماجه كلهم من طريقه (وذلك انه) أي عبد الله كما أخرجه ابن اسحق فقال حدثني محمد بن ابراهيم التيمي عن محمد بن عبد الله بن زيد قال حدثني أبي (قال) لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناقوس يعمل ليضرب به للناس لجمع الصلاة (طاف بي) أي دار حولي (وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده فقلت يا عبد الله) يقال لمن لا يعرف اسمه على أصل معناه الحقيقي لان الكل عبيد الله (أتبيع هذا الناقوس قال وما تصنع به قال ندعو) أنا ومن معي من المسلمين (به) الناس (الى الصلاة قال أفلا أدلك على ما هو خير لك من ذلك) ولم يقل أفادلك مع ان القصد الدلالة لا عدمها لانه لما رآه راغبا في طلب الناقوس نزله منزلة المعرض عن غيره الراغب في نفي ارادة الدلالة فاستفهمه عن النفي والهمزة داخلة على مقدر أي أأعرض عنك فلا أدلك أم لا فأدلك ولذا أجابه بقوله (فقلت بلى) الذي هو لرد النفي (قال) بعد أن استقبل القبلة كما مر (تقول الله أكبر الله أكبر وذكر بقية كلمات الاذان قال ثم استأخر عني غير بعيد ثم قال اذا قمت الى الصلاة فقل الله أكبر الله أكبر الى آخر كلمات الاقامة ورواه أبو داود) وفيه عنده ابن اسحق وهو ثقة يدلس لكنه صرح هنا بالتحديث فانتفت تهمة تدليسه ولذا قال (باسناد صحيح) وقال الترمذي بعد اخراجه من طريقه حسن صحيح وأخرجه من طريقه أيضا ابن حبان وابن خزيمة ناقلا عن الذهلي باللام انه ليس في طرقه أصح منه (ولم تعرف كيفية رؤيا عمر حين رأى النداء وقد قال رأيت مثل الذي رأى) وغاية ما تفيده المثلية المشاركة في أصل رؤيا الاذان ولا يستلزم انه رأى رجلا يطوف الى آخر ما وقع لابن زيد (وفي مسند الحرث) بن أبي اسامة بسنده واه عن كثير الحضرمي (أول من أذن بالصلاة جبريل أذن في سماء الدنيا فسمعه عمر وبلال فسبق عمر بلالا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بها) ثم جاء بلال (فقال عليه السلام لبلال سبقك بها عمر) وهذا لو صح لم يدل على تقدمها على رؤيا عبد الله لاحتمال سماعهما ذلك بعد رؤياه (وظاهره ان عمر وبلالا سمعا النداء في اليقظة) بفتحات ضد النوم ولا مانع من ذلك كرامة لهما (وقد وردت أحاديث تدل على ان الاذان شرع بمكة قبل الهجرة) لكن لا يصح منها شيء (منها اللطبراني من طريق سالم بن عبد الله ابن عمر) بن الخطاب أحد الفقهاء أشبه ولد أبيه به مات في ذي القعدة أو الحجة سنة ست أو خمس أو سبع أو ثمان ومائة (عن أبيه قال لما أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم أوحى اليه الاذان فنزل) ملتبسا (به) حيث علمه (وعلمه بلالا وفي اسناده طلحة بن زيد) القرشي أبو مسكين أو أبو محمد الرقي وأصله دمشقي روى له ابن ماجه (وهو متروك) كما في الفتح والتقريب وزاد فيه قال أحمد وعلي وأبو داود كان يضع (ومنها للدارقطني في الافراد) بفتح الهمزة (من حديث أنس ان جبريل أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاذان حين فرضت الصلاة واسناده ضعيف) فلا حجة فيه (ومنها حديث البزار عن علي المتقدم) قريبا وان فيه زياد بن المنذر متروك وغفل الشارح فنقل كلام ابن كثير في زياد هذا في قول المصنف في اسناده طلحة ومنها حديث عائشة عند ابن مردويه

يستحب أن يقرأ من كل سورة بعضها أو يقرأ احداهما في الركعتين فانه خلاف السنة وجهال الأئمة يداومون على ذلك * الثالثة عشر أنه يوم عيد متكرر في الاسبوع وقد روى أبو عبد الله بن ماجه في سننه من حديث أبي لبابة بن عبد المنذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوم الجمعة سيد الايام وأعظمها عند الله وهو أعظم عند الله من يوم الاضحى ويوم الفطر فيه خمس خلال خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم الى الارض وفيه توفي آدم وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيأ الا أعطاه ما لم يسأل حراما وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا رياح ولا جبال ولا شجر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة * الرابعة عشر أنه يستحب أن يلبس فيه أحسن الثياب التي يقدر عليها فقد روى الامام أحمد في مسنده من حديث أبي أيوب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب ان كان له ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج وعليه السكينة حتى يأتي

مرفوعا لما أسري بي أذن جبريل فظنت الملائكة أنه يصلي بهم فقدمني فصليت وفيه من لا يعرف كما في الفتح ومنها ما عند ابن شاهين عن زياد ابن المنذر المتروك قال قلت لابن الحنفية كنا نتحدث ان الاذان كان رؤيا فقال هذا والله باطل لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج به بعث اليه ملك علمه الاذان قال الذهبي هذا باطل (قال في فتح الباري) أيضا اذا الذي قبله كله منه (والحق أنه لا يصح شيء من هذه الاحاديث) الدالة على مشروعية الاذان بمكة ومر قوله أيضا لا يصح شيء من ذلك أي رؤيا الاذان لاحد من الصحابة الا لعبد الله بن زيد وهذا غير ذلك كما هو واضح جدا (وقد جزم ابن المنذر بأنه عليه الصلاة والسلام كان يصلي بغير أذان منذ فرضت الصلاة بمكة الى أن هاجر الى المدينة الى أن وقع التشاور في ذلك) فأمر به بعد رؤيا ابن زيد في السنة الاولى أو الثانية فجزمه بذلك دليل على ضعف تلك الاحاديث عنده (والله أعلم) بضعفها في نفس الامر وعدمه فان الحكم انما هو على ظاهر الاسانيد (فان قلت هل أذن عليه الصلاة والسلام بنفسه قط) فقد كثر السؤال عنه (أجاب السهيلي بأنه قد روى الترمذي من طريق يدور) يرجع وان تعددت طرقه (على عمر بن الرماح) هو ابن ميمون ابن بحر بن سعد الرماح البلخي أبي علي وسعد هو الرماح كما في التقريب فنسبه لجده الاعلى (قاضي بلخ) المتوفى سنة احدى وسبعين ومائة روى له الترمذي ووثقه ابن معين وأبو داود فلا يقصر حديثه عن درجة الحسن ولو انفرد به لانه ثقة (يرفعه الى أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم أذن في سفر وصلى وهم على رواحلهم الحديث قال) السهيلي (فنزع بعض الناس بهذا الحديث الى أنه عليه السلام أذن بنفسه) وتبع هذا البعض النووي (انتهى وليس هذا الحديث من حديث أبي هريرة انما هو) عند الترمذي والدارقطني (من حديث يعلى بن مرة) بن وهب الثقفي ممن بايع تحت الشجرة فسبق السهيلي حفظه أو سبق مستمليه قلمه لانه كان ضريرا فقال أبو هريرة (وكذا جزم النووي) في شرح المهذب وغيره (بأنه عليه السلام أذن مرة في السفر وعزاه للترمذي وقواه) فقال في الخلاصة حديث صحيح وفي المجموع قد ثبت فذكره انتهى وقال الترمذي غريب تفرد به عمر بن الرماح ولا يعرف الا من حديثه (لكن روى الحديث الدارقطني) بسند الترمذي ومتنه (وقال فيه أمر بالاذان) وفيه بعده فقام المؤذن فأذن (ولم يقل أذن) كما قاله في رواية الترمذي (قال السهيلي والمفصل يقضي على المجمل المحتمل) فلا يصح تمسك بعض الناس به وجزمه وان تبعه النووي وعجبت كيف لم يقف على كلام السهيلي مع انه متأخر عنه وجواب الشهاب الهيتمي بأن هذا انما يصار اليه لو لم يحتمل تعدد الواقعة أما اذا أمكن فيجب المصير اليه ابقاء الاذن على حقيقته عملا بقاعدة الاصول أنه يجب ابقاء اللفظ على حقيقته مردود بأن ذاك انما يصح اذا اختلف سند الحديث ومخرجه أما مع الاتحاد فلا ويجب رجوع المجمل للمفصل كما هو قاعدة المحدثين وأهل الاصول وقد قال بعض الحفاظ لو لم نكتب الحديث من ستين وجها ما عقلناه لاختلاف الرواة في اسناده وألفاظه وليس كل احتمال يعمل به خصوصا في الحديث فهذه قصة المعراج والاسراء وردت عن نحو أربعين صحابيا مع اختلاف أسانيدها ومتونها الى الغاية ومع ذلك فالجمهور على انها واحدة حتى قال ابن كثير وغيره من جعل كل رواية خالفت الاخرى مرة على حدة فقد أبعد وأغرب وهرب الى غير مهرب وحديث الاذان من هذا القبيل لقوله في رواية الدارقطني فقام المؤذن فأذن (و) لقوله (في مسند أحمد من الوجه) أي الطريق (الذي أخرج منه الترمذي هذا الحديث فأمر بلالا فأذن قال في فتح الباري فعرف) من روايتي أحمد والدارقطني (ان في رواية الترمذي اختصارا وان قوله أذن) معناه أمر (كما يقال أعطى الخليفة فلانا ألفا وانما باشر العطاء) اسم من الاعطاء ولم يعبر به لانه لا وجود لشيء من المصادر في الخارج بل آثارها (غيره ونسب

للخليفة

المسجد ثم يركع ان بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت اذا خرج امامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينهما وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن سلام أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر في يوم الجمعة ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته وفي سنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال ما على أحدكم ان وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبي مهنته * الخامسة عشر أنه يستحب فيه تجمير المسجد فقد ذكر سعيد ابن منصور عن نعيم بن عبد الله المجمر ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن يجمر مسجد المدينة كل جمعة حين ينتصف النهار قلت ولذلك سمي نعيم المجمر * السادسة عشر أنه لا يجوز السفر في يومها لمن تلزمه الجمعة قبل فعلها بعد دخول وقتها وأما قبله فللعلماء ثلاثة أقوال وهي روايات منصوصات عن أحمد أحدها لا يجوز والثاني يجوز والثالث يجوز للجهاد خاصة وأما

للخليفة لكونه أمر انتهى) كلام فتح البارى وهذا ساغ شائع نعم قال السيوطى فى شرح البخارى قد ظفرت بحديث آخر مرسل أخرجه سعيد بن منصور فى سننه حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الرحمن بن أبى بكر القرشى عن ابن أبى مليكة قال أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة فقال حى على الفلاح وهذه رواية لا تقبل التأويل انتهى فهذا الذى يجزم فيه بالتعدد لاختلاف سنده وانظر ما أحسن قوله آخر ولذا قال فى شرحه للترمذى من قال أنه صلى الله عليه وسلم لم يباشر هذه العبادة بنفسه وألغز فى ذلك بقوله ما سنة أمر بها ولم يفعلها فقد غفل انتهى وفى التحفة أذن مرة فقال أشهد أن محمدا رسول الله انتهى هذا وانما لم يواظب صلى الله عليه وسلم على الاذان مع فضله المنوه عليه بنحو قوله صلى الله عليه وسلم المؤذنون أطول أعناقا يوم القيامة أخرجه مسلم وفى شعب البيهقى عن داود السجستانى المؤذنون لا يعطشون يوم القيامة فأعناقهم قائمة لاشتغاله كما قال العز بن عبد السلام فى الفتاوى الموصلية بالقيام بأعباء الرسالة ومصالح الشريعة كالقتال والفصل بين الناس وغير ذلك التى هى خير من الاذان وأفضل ولذا قال عمر لولا الخليفى لاذنت ولانه كان اذا عمل عملا أثبته وداوم عليه وقول بعضهم مخافة ان يعتقد أن محمدا غيره اذا قال أشهد أن محمدا رسول الله غلط انتهى ملخصا وفى الفتح اختلف فى الجمع بين الامامة والاذان فقيل يكره وفى البيهقى عن جابر مرفوعا النهى عن ذلك لكن سنده ضعيف وصح عن عمر لو أطيق الاذان مع الخليفى لاذنت رواه سعيد بن منصور وغيره وقيل خلاف الاولى وقيل يستحب وصححه النووى انتهى وقول الشيخ أبى الحسن الشاذلى فى شرح الترغيب تبعا النيسابورى وغيره لان فيه ثناء وتزكية وشهادة للنفس وهى غير مقبولة ولان فى حى على الصلاة أمر ايجاب فان معناه أقبلوا فلو أذن لوجبت الاجابة مردود بأن النهى عن تزكية النفس انما هو اذا كان افتخارا وهو منه عليه السلام ليس كذلك بل تحدثا بالنعمة وعدم قبول الشهادة للنفس انما هو فى نحو حق مالى على غيره وهذا ليس منه بل هى شهادة أريد بها طلب ما أوجبه الله على الناس انقاذا لهم من الضلال ولا يزيد قوله فى الاذان أشهد أن محمدا رسول الله على قوله للناس أدعوكم الى وحدانية الله وشهادة انى رسوله فلم يخرج عن قوله تعالى بلغ ما أنزل اليك من ربك على ان من خصائصه ان يشهد ويحكم لنفسه وليس القصد بحى على الصلاة فى الاذان خصوص طلب الحضور بل الاعلام بدخول الوقت لانه شرع الاعلام بوقت الصلاة المفروضة (فان قلت هل صلى النبى صلى الله عليه وسلم خلف أحد من أصحابه قلت نعم) كذا فى نسخ وهو حسن وفى أكثرها اسقاط السؤال والاقتصار على نعم وليس استدراكا على ما قبله بل تقرير لسؤال نشأ منه تقديره هذا ما تقرر فى الاذان ومعلوم انه كان يؤم فهل أمه أحد أو هو استدراك من جهة نفيه اذانه مع تقرر امامته فقد يتوهم انه لم يقتد بغيره فنفاه بقوله نعم (ثبت فى صحيح مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف عبد الرحمن بن عوف) وهذا السؤال سئل عنه الصحابى قديما فاخرج ابن سعد فى الطبقات باسناد صحيح عن المغيرة بن شعبة أنه سئل هل أم النبى صلى الله عليه وسلم أحد من هذه الامة غير أبى بكر قال نعم فذكر الحديث (ولفظه) أى مسلم (عن المغيرة بن شعبة أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك) بعدم الصرف على المشهور للتانيث والعلمية كذا قال النووى وتبعه فى الفتح ورد بأنه سهو لان علة منعه كونه على مثال الفعل كتقول والمذكر والمؤنث فى ذلك سواء ومن صرف أراد الموضع (فتبرز) بالتشديد (صلى الله عليه وسلم) أى خرج لقضاء حاجته وعند ابن سعد لما كنا بين الحجر وتبوك ذهب لحاجته (قبل) بكسر ففتح أى جهة (الغائط) أى المكان المطمئن الذى تقضى فيه الحاجة فاستعمل فى أصل حقيقته اللغوية فليس المراد الفضلة والظاهر ان تبرز معمول لقال مقدرة ليظهر قوله (فحملت) وفى نسخة فحمل وهو أنسب بما قبله (معه اداوة قبل صلاة

مذهب الشافعى رحمه الله فيحرم عنده انشاء السفر يوم الجمعة بعد الزوال ولهم فى سفر الطاعة وجهان أحدهما تحريمه وهو اختيار النووى والثانى جوازه وهو اختيار الرافعى وأما السفر قبل الزوال فللشافعى فيه قولان القديم جوازه والجديد أنه كالسفر بعد الزوال وأما مذهب مالك فقال صاحب التفريع ولا يسافر أحد يوم الجمعة بعد الزوال حتى تصلى الجمعة ولا بأس أن يسافر قبل الزوال والاختيار أن لا يسافر اذا طلع الفجر وهو حاضر حتى يصلى الجمعة وذهب أبو حنيفة الى جواز السفر مطلقا وقد روى الدارقطنى فى الافراد من حديث ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سافر من دار اقامته يوم الجمعة دعت عليه الملائكة أن لا يصحب فى سفره وهو من حديث ابن لهيعة وفى مسند الامام أحمد من حديث الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فى سرية فوافق ذلك يوم الجمعة قال فغدا أصحابه

الفجر) أى الصبح ولابن سعد وتبعته بماء بعد الفجر ويجمع بأن خروجه كان بعد طلوع الفجر وقبل صلاة الصبح (الحديث الى ان قال) أسقطا منه فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت أهريق على يديه من الاداوة وغسل يديه ثلاث مرات ثم غسل وجهه ثم ذهب يخرج جبته عن ذراعيه فضاق كما جبته فأدخل يديه فى الجبة حتى أخرج ذراعيه الى المرفقين ثم توضأ على خفيه ثم أقبل (قال) المغيرة (فأقبلت معه حتى نجد) بمعنى الماضى أى وسرنا الى ان وجدنا (الناس قد قدموا عبد الرحمن بن عوف) ولابن سعد فأسفر الناس بصلاتهم حتى خافوا الشمس فقدموا عبد الرحمن (فصلى بهم) أى أمهم ولابن سعد فانتهينا الى عبد الرحمن وقد ركع ركعة فسبح الناس له حين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كادوا يفتتنون فجعل عبد الرحمن يريد أن ينكص فأشار اليه صلى الله عليه وسلم أن اثبت فليس المراد فرغ من صلاته والاتانى أيضا قوله (فأدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم احدى الركعتين) أى الثانية لقوله (فصلى مع الناس الركعة الآخرة) ودفع به توهم أن معنى أدرك حضر ولا يلزم منه الاقتداء لجواز صلاته مفردا أو بجماعة لم يصلوا أو انتظر سلامه فأتى بها كاملة وعند ابن سعد فصلى خلف عبد الرحمن بن عوف ركعة (فلما سلم عبد الرحمن بن عوف قام صلى الله عليه وسلم يتم صلاته فأفزع ذلك المسلمين) لسبقهم النبى صلى الله عليه وسلم (فأكثروا التسبيح) رجاء أن يشير لهم هل يعيدونها معه أم لا وليس لظنهم أنه أدرك الصلاة من أولها وأن قيامه لامر حدث كأنهم ظنوا الزيادة فى الصلاة لتصريحه فى رواية ابن سعد بأنهم علموا بالنبى صلى الله عليه وسلم حين دخل معهم فسبحوا حتى كادوا يفتتنون ويحتمل ان الفاء فى فأفزع بمعنى الواو ولرواية ابن سعد ان التسبيح حين رأوا النبى كما رأيت (فلما قضى النبى صلى الله عليه وسلم صلاته أقبل عليهم ثم قال أحسنتم أو قال أصبتم) شك الراوى قال ذلك (يغبطهم) بالتشديد أى يحملهم على الغبط لاجل (ان صلوا الوقتها) ويجعل هذا الفعل عندهم مما يغبط عليه وان روى بالتخفيف فيكون قد غبطهم لتقدمهم وسبقهم الى الصلاة قال فى النهاية (ورواه أبو داود) سليمان بن الاشعث السجستانى (فى السنن بنحوه ولفظه وجدنا) فأفاد هذا ان رواية مسلم نجد من استعمال المضارع بمعنى الماضى (عبد الرحمن وقد ركع بهم ركعة من الفجر) الصبح (فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصف) نفسه (مع المسلمين) بأن دخل معهم فى الصف أو هو لازم بمعنى اصطف أى دخل معهم فيه وصف جاء لازما ومتعديا (فصلى وراء عبد الرحمن بن عوف الركعة الثانية) ففى هذا بيان للعية فى رواية مسلم وتصريح بأنه صلى خلفه (ثم سلم عبد الرحمن فقام النبى صلى الله عليه وسلم يقضى صلاته الحديث) بنحوه والمراد من سوق هذا منه ايضاح ما قد يخفى فى رواية مسلم فالروايات تفسر بعضها (قال النووى) فى شرح مسلم (فيه) من الفوائد (جواز اقتداء الفاضل بالمفضول) وان كان تقديم الفاضل أفضل (وجواز صلاة النبى صلى الله عليه وسلم خلف بعض أمته واما بقاء عبد الرحمن بن عوف فى صلاته وتأخر أبى بكر ليتقدم النبى صلى الله عليه وسلم فالفرق بينهما أن عبد الرحمن كان قد ركع ركعة فترك النبى صلى الله عليه وسلم التقدم لئلا يختل ترتيب صلاة القوم) قال شيخنا لانه اذا قام لاتمام صلاته ربما لم يعلموه فيجلسون أو يغفلون عن كون المطلوب منهم نية المفارقة وعدم الانتظار لانه ان تقدم من غير سبق اقتدائهم لم يكن خليفته حتى يجلس موضع جلوسه فى التشهد الاخير بل يكون اماما مستقلا بحيث يحتاجون فى متابعته الى نية الاقتداء به وان اقتدى به ثم تأخر بعد اقتدائه بحيث ينقطع اقتداء القوم به احتاج عليه السلام الى الجلوس لنظم صلاة الاصلى لانه خليفته واذا قام مشير المجمعة ارقته فقد لا يفهمون انتهى وهذا على مذهب الشافعية وفرق أيضا بأنه أراد أن يبين لهم حكم قضاء المسبوق بفعله وان العمل اليسير مغتفر

لكن

وقال أتخلف وأصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ألحقهم فلما صلى النبى صلى الله عليه وسلم رآه فقال ما منعك أن تغدو مع أصحابك فقال أردت أن أصلى معك ثم ألحقهم فقال لو أنفقت ما فى الارض ما أدركت فضل غدوتهم وأعل هذا الحديث بأن الحكم لم يسمع من مقسم هذا اذا لم يخف المسافر فوت رفقته فان خاف فوت رفقته وانقطاعه بعدهم جاز له السفر مطلقا لان هذا عذر يسقط الجمعة والجماعة ولعل ما روى عن الاوزاعى أنه سئل عن مسافر سمع أذان الجمعة وقد أسرج دابته فقال ليمض على سفره محمول على هذا وكذلك قول ابن عمر رضى الله عنه الجمعة لا تحبس عن السفر وان كان مرادهم جواز السفر مطلقا فهى مسألة نزاع والدليل هو الفاصل على أن عبد الرزاق قد روى فى مصنفه عن معمر عن خالد الحذاء عن ابن سيرين أو غيره أن عمر بن الخطاب رأى رجلا عليه ثياب السفر بعد ما قضى الجمعة فقال ما شأنك قال أردت سفرا فكرهت أن أخرج حتى أصلى فقال عمر ان

لكن أي عمل فعله زائد على المطلوب حتى يقال مقتفر الآن يقال على بعد هو إشارة لتأخر أبي بكر فإنه ليس من أفعال الصلاة فر بما يتوهم إضراره وإن كان لمصلحة (بخلاف صلاة أبي بكر) فلا اختلاف فيها لأن الإمام إنما هو المصطفى وأبو بكر إنما كان يسمع الناس (نعم في السيرة الهشامية) لعبد الملك بن هشام روى سيرة ابن إسحق عن البكائي عنه وهذبها فنسب إليه (أن أبا بكر كان هو الإمام وأن رسول صلى الله عليه وسلم كان يأتم به) ولفظه قال ابن إسحق حدثني أبو بكر بن عبد الله بن أبي مليكة قال لما كان يوم الاثنين خرج صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه إلى الصبح وأبو بكر يصلي ففرح الناس فعرف أبو بكر فنكص على مصلاه فدفع صلى الله عليه وسلم في ظهره وقال صل بالناس (لكنه كما قال السهيلي حديث مرسل في السيرة) لأن ابن أبي مليكة تابعي (والمعروف في) الأحاديث (الصحاح) بكسر الصاد جمع صحيح والفتح لغة (أن أبا بكر كان يصلي بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس يصلون بصلاة أبي بكر) وفي رواية للشيخين أن أبا بكر كان يسمع الناس تكبير النبي صلى الله عليه وسلم (لكن قد روى عن أنس من طريق متصل) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح (أن أبا بكر كان الإمام يومئذ) فاعتضد به مرسل السيرة (واختلف فيه عن عائشة رضي الله عنها) فروى الأسود عنها وعبيد الله عنها وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم أم الناس وأبو بكر عن يمينه يسمع الناس تكبيره وروى مسروق وعبيد الله عنها وحميد عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان خلف أبي بكر في الصف (انتهى) كلام السهيلي (وفي الترمذي مصححا) له (من حديث جابر أن آخر صلاة صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثوب واحد متوشحا به خلف أبي بكر) ورواه النسائي من حديث أنس (قال ابن الملقن) الإمام الفقيه الحافظ ذو التصانيف الكثيرة سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أبي أحمد بن محمد الأنصاري أحد شيوخ الشافعية وأئمة المحدثين ولد سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة ومات ليلة سادس ربيع الأول سنة أربع وثمانمائة (وقد نصر هذا القول غير واحد من الحفاظ منهم الضياء) الحافظ الإمام الحجة ضياء الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد السعدي الحنبلي الثقة محدث الشام شيخ السنة الدين الزاهد الورع سمع ابن الجوزي وغيره مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة (وابن ناصر) الإمام الحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي بن عمر السلامي بالتخفيف نسبة إلى دار السلام بغداد محدث العراق الشافعي ثم الحنبلي روى عن جماعة وعنه خلق منهم ابن الجوزي وقال كان ثقة حافظا ضابطا من أهل السنة لا مغمز فيه توفي ثامن عشر شعبان سنة خمسين وخمسمائة وإياك أن تظن أن المراد الشمس بن ناصر الدمشقي لأن ابن الملقن ولد قبله بستين سنة فلا ينقل عنه (وقال صح وثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر مقتديا به) دفع به توهم أنه خلفه وأبو بكر مأموم له (في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات ولا ينكر هذا إلا جاهل لا علم له بالرواية) فقد جعل الإمام الشافعي اختلاف الأحاديث في كون المصطفى الإمام وأبي بكر المأموم وعكسه على التعدد لأنه صلى الله عليه وسلم مرض أياما واستخلف فيها أبا بكر فلا يبعد أن يكون خرج إلى الصلاة فيها مرارا (وقيل إنه كان) ما صلاه مع أبي بكر (مرتين) في مرضه اقتدى به في إحداهما وأمه في الأخرى (جمعا بين الأحاديث وبه جزم ابن حبان) الحافظ أبو حاتم البستي فقال ونحن نقول بمشيئة الله وتوفيقه أن الأخبار كلها صحاح وليس شيء منها يعارض الآخر ولكنه صلى الله عليه وسلم صلى في علته صلاتين في المسجد جماعة لا صلاة واحدة في إحداهما كان مأموما وفي الأخرى كان إماما قال والدليل على أنها كانت صلاتين لا صلاة أن في خبر عبيد الله بن عبد الله عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بين رجلين تريد أحدهما العباس وبالآخر عليا وفي خبر مسروق عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج بين بريرة ونوبة

*يحضر وقتها فهذا أقول من يمنع السفر بعد الزوال ولا يمنعه قبله وذكر عبد الرزاق أيضا عن الثوري عن الأسود بن قيس عن أبيه قال أبصر عمر بن الخطاب رجلا عليه هيأة السفر وقال الرجل أن اليوم يوم جمعة فلولا ذلك لخرجت فقال عمر إن الجمعة لا تحبس مسافرا فاخرج ما لم يجئ الرواح وذكر أيضا عن الثوري عن ابن ذؤيب عن صالح ابن دينار عن الزهري قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مسافرا يوم الجمعة ضحى قبل الصلاة وذكر عن معمر قال سألت يحيى بن أبي كثير هل يخرج الرجل يوم الجمعة فكرهه فجعلت أحدثه بالرخصة فيه فقال لي قلما يخرج رجل في يوم الجمعة إلا رأى ما يكرهه لو نظرت في ذلك وجدته كذلك وذكر ابن المبارك عن الأوزاعي عن حسان بن أبي عطية قال إذا سافر الرجل يوم الجمعة دعا عليه النهار أن لا يعان على حاجته ولا يصاحب في سفره وذكر الأوزاعي عن ابن المسيب أنه قال السفر يوم الجمعة بعد الصلاة قال ابن جريج

فهذا يدل على انهما كانت صلاتين انتهى وكذا جزم به ابن حزم والبيهقي وبين ان الصلاة التي صلاها أبو بكر وهو مأموم صلاة الظهر والتي صلاها النبي صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر هي صلاة الصبح يوم الاثنين وهي آخر صلاة صلاها واختلف في نوبة المذكور أرجل أم امرأة وهو بنون وموحدة (وروى الدارقطني) وأحمد والحاكم (من طريق المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما مات نبي) أراد به ما يشمل الرسول (حتى يؤمه رجل من أمته) وأخرجه البزار من حديث الصديق مرفوعا ماقبض نبي الخ وفي حديث المغيرة عند ابن سعد فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين صلى خلف عبد الرحمن بن عوف ماقبض نبي قط حتى يصلي خلف رجل صالح من أمته فان قلت هذا كله يرد قول الانموذج من خصائصه فيما حكى عياض انه لا يجوز لاحد أن يؤمه لانه لا يجوز التقدم بين يديه في الصلاة ولا غيرها الا لعذر ولا لغيره وقد نهى الله المؤمنين عن ذلك ولا يكون أحد شافعا له وقد قال أئمتكم شفعاؤكم ولذلك قال أبو بكر ما كان لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت كان معناه لا يجوز لاحد أن يؤمه ابتداء ولو لعذر أما اذا أم غيره لخفاء أو بقاء عليه السلام فيجوز بدليل قصتي أبي بكر وعبد الرحمن فأما الصديق فانما أم لغيبته لمرضه وأما ابن عوف فانما أم لغيبته بتقديم الناس له حين خافوا طلوع الشمس ولهذا لما أتى صلى الله عليه وسلم هم كل منهما ان ينكص حتى أشار اليه أن اثبت والله أعلم (ولما كان بعد شهر من مقدمه عليه الصلاة والسلام) المدينة (لاثنتي عشرة) ليلة (خلت من ربيع الآخر) كما في سيرة مغلطاي وصدر بعضهم بأنه الاول (قال الدولابي يوم الثلاثاء) بالمد والجمع ثلاثاوات بقلب الهمزة واوا كما في المصباح وعلى هذا التاريخ كان الاولى تقديمه على الاذان لكن أخره لتعلقه بالسفر المتعلق بالمغازي وأما صلاته خلف عبد الرحمن فتأخره عن هذا بكثير لتصريحه في الحديث بأنه في غزوة تبوك وهي آخر مغازيه فانما ذكرت استطرادا لمناسبة الاذان (وقال السهيلي بعد الهجرة بعام أو نحوه زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان) بالتكرير لافادة عموم التثنية لكل صلاة (وتركت صلاة الفجر) أي الصبح (لطول القراءة فيها) استحبابا والظهر وان وليتها في الطول دونها (وصلاة المغرب لانها وتر النهار) فلم تزد ولم تنقص (وأقرت صلاة السفر) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي عن عائشة قالت فرضت صلاة الحضر والسفر ركعتين ركعتين فلما قدم صلى الله عليه وسلم المدينة واطمأن زيد في صلاة الحضر ركعتان ركعتان وتركت صلاة الفجر لطول القراءة وصلاة المغرب لانها وتر النهار (وفي البخاري) في مواضع والمذكور هنا لفظه في الهجرة والتقصير من طريق معمر عن الزهري عن عروة (عن عائشة) قالت (فرضت الصلاة بمكة) وللبخاري في أول الصلاة من حديث مالك عن صالح بن كيسان عن عروة عن عائشة قالت فرض الله الصلاة حين فرضها (ركعتين ركعتين) زاد البخاري في الصلاة في الحضر والسفر وزاد أحمد من طريق ابن اسحق عن صالح عن عروة عنها الا المغرب فانها كانت ثلاثا (ثم هاجر عليه السلام الى المدينة ففرضت أربعا) أربعا (وتركت صلاة السفر) ركعتين ركعتين (على الفريضة الاولى) بضم الهمزة ولابي ذر على الاول أي من عدم وجوب الزائد بخلاف صلاة الحضر فزيد في ثلاث منها ركعتان وفي حديث مالك المذكور فأقرت صلاة السفر وزيد في صلاة الحضر واحتج بظاهره الحنفية وموافقوهم على أن القصر عزيمة لا رخصة فلا يجوز للمسافر الاتمام وأجيب بان معناه لمن أراد الاقتصار جمعا بين الاخبار لان عائشة نفسها أتمت في السفر والعبرة عند الحنفية برأي الصحابي لا بروايته فقد خالفوا أصلهم وأجاب الحافظ بان عروة الراوي عنها لما سئل عن اتمامها في السفر قال انها تأولت كما تأول عثمان فلا تعارض بين روايتها ورأيها فروايتها صحيحة

ورأيها

قلت لعطاء أبلغك أنه كان يقال اذا أمسى في قرية جامعة من ليلة الجمعة فلا يذهب حتى يجمع قال ان ذلك ليكره قلت فمن يوم الخميس قال لا ذلك النهار فلا يضره * السابعة عشر ان للماشي الى الجمعة بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها قال عبد الرزاق عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن أبي قلابة عن أبي الاشعث الصنعاني عن أوس بن أوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ودنا من الامام فأنصت كان له بكل خطوة يخطوها صيام سنة وقيامها وذلك على الله يسير ورواه الامام أحمد في مسنده قال الامام أحمد غسل بالتشديد جامع أهله وكذلك فسره وكيع * الثامنة عشر أنه يوم تكفير السيآت فقد روى الامام أحمد في مسنده عن سلمان قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدري ما يوم الجمعة قلت هو اليوم الذي جمع الله فيه أباكم آدم قال ولكني أدري ما يوم الجمعة لا يتطهر الرجل فيحسن طهوره ثم يأتي الجمعة فينصت حتى يقضي الامام صلاته

و رأيهما مبنى على ما تاولت انتهى واختلف العلماء فى تاويلهما والصحيح الذى عليه المحققون كما قال النووى انهما رأيا القصر جائزا والاتمام جائزا فاخذا باحد الجائزين وهو الاتمام انتهى ودليلنا كالشافعى وأحمد قوله تعالى فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة لان نفى الجناح لا يدل على العزيمة وقوله صلى الله عليه وسلم صدقة تصدق الله بها عليكم رواه مسلم (وقيل انما فرضت أربعا ثم خفف عن المسافر ويدل له حديث) الترمذى وصححه عن أنس بن مالك الكعبى القشيرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال (ان الله وضع) أى أسقط (عن المسافر شطر الصلاة) أى نصفها وأخرجه أبو داود والنسائى وأحمد وابن ماجه عن أنس المذكور مرفوعا بلفظ ان الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة ففيه انهما كانا واجبين ثم نسخ وجوبهما وجاز الفطر والقصر واطلاق الكل وارادة البعض لانه قال شطر وانما وضع شطر ثلاث على ان الشطر قد يطلق على غير النصف قاله الحافظ الزين العراقى (وقيل انما فرضت فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين وهو قول ابن عباس قال رضى الله عنه فرض الصلاة على لسان نبيكم فى الحضر أربعا وفى السفر ركعتين رواه مسلم وغيره) كابى داود والنسائى وهو من حجج من قال القصر عزيمة (وسيأتى مزيد) قليل (لذلك ان شاء الله تعالى فى أوائل الصلاة من مقصد عباداته عليه السلام) وهو التاسع (قال ابن اسحق وغيره ونصبت) أظهرت وتوافقت (احبار) جمع حبر بفتح الحاء وكسرها أى علماء (يهود) وسمى منهم حيى وياسر وجدى بضم الجيم وفتح الدال وشد الياء بنو أخطب وسلام ابن مشكم وكنانة بن الربيع وكعب بن الاشرف وعبد الله بن صوريا وابن صلوبا ومخيريق ثم اسلم وصحب وأوصى بماله وهو سبع حوائط للنبى صلى الله عليه وسلم كما قاله عياض وغيره وكان نصبهم عند الاذان فى العيون بعد ذكره ونصبت عند ذلك أحبار يهود (العداوة للنبى صلى الله عليه وسلم بغيا وحسدا) لما خص الله به العرب من أخذه رسوله منهم ولمشاهدتهم كمال شرف المصطفى وتأييد الله له بنصره وبعباده المؤمنين وتاليفه بين قلوبهم بعد مزيد العداوة وذلك يقتضى ضعف كلمتهم وجعلهم اتباعا بعد ان كانوا رؤساء فشمروا عن ساق العداوة وجعلوا يتعنتون على النبى صلى الله عليه وسلم ليلبسوا الحق بالباطل فكان القرآن ينزل فى غالب ما يسالون عنه ولما استمروا على العداوة وتزايدوا فيها حتى سحروا المصطفى بعد عوده من الحديبية ناسب أن يقول هنا (وسحره) بامرهم (لبيد) بفتح اللام وكسر الموحدة واسكان التحتية ودال مهملة (ابن الاعصم) بمهملتين وزن أحمر (وهو من يهود بنى زريق) بضم الزاى وفتح الراء كما روى عن عائشة وذكر الواقدى انه كان حليفا فيهم وبين السنة التى سحر فيها فروى بسنده عن عمر بن الحكم مرسلا لما رجع صلى الله عليه وسلم من الحديبية فى ذى الحجة سنة ست جاءت رؤساء يهود الى لبيد بن الاعصم وكان حليفا فى بنى زريق وكان ساحرا فقالوا أنت أسحرنا وقد سحرنا فلم نصنع شيأ ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير فسحره (فكان) كما فى الصحيح عن عائشة (يخيل اليه) فى أمور الدنيا (انه يفعل الفعل وهو لا يفعله) لانه فى ذلك عرضة لما يعرض للبشر كالامراض فغير بعيد أن يخيل اليه فى أمور الدنيا ما لا حقيقة له مع عصمته عن مثله فى أمور الدين قاله المازرى وأيد برواية الصحيح أيضا حتى كان يرى انه يأتى النساء ولا يأتيهن وقال غيره لا يلزم من التخييل ان يجزم بفعله وانما يكون من جنس الخاطر يخطر ولا يثبت (وجعل سحره) أى نفثه فى العقد الاحدى عشرة وتمثال الشمع الذى على صورة النبى صلى الله عليه وسلم فيه ابر مغروزة كما فى رواية (فى مشط) الآلة التى يمشط بها والجمع امشاط ووقع فى رواية القابسى مشاط الحديد وغلط قاله الحافظ وفى القاموس المشط مثلث الميم وككتف وعنق وعتل ومنبر آلة يمتشط بها (ومشاطة) بضم الميم ما يمشط من الشعر ويخرج فى المشط

الا كانت كفارة لما بينه وبين الجمعة المقبلة ما اجتنبت المقتلة وفى المسند أيضا من حديث عطاء الخراسانى عن نبيشة الهذلى أنه كان يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المسلم اذا اغتسل يوم الجمعة ثم أقبل الى المسجد لا يؤذى أحدا فان لم يجد الامام خرج صلى ما بدا له وان وجد الامام خرج جلس واستمع وأنصت حتى يقضى الامام جمعته غفر له وان لم يغفر له فى جمعته تلك ذنوبه كلها تكون كفارة للجمعة التى تليها وفى صحيح البخارى عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغتسل رجل يوم الجمعة ويتطهر ما استطاع من طهر ويدهن من دهنه أو يمس من طيب بيته ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين ثم يصلى ما كتب له ثم ينصت اذا تكلم الامام الا غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وفى مسند أحمد من حديث أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغتسل يوم الجمعة ثم لبس ثيابه ومس طيبا ان كان عنده ثم مشى الى الجمعة وعليه السكينة ولم يتخط أحدا

منه وروي بالقاف بدل الفاء ومعناه مثله وقيل ما يمشط عن الكتان قاله الحافظ زاد البخاري وجف
طلع نخلة ذكر بضم الجيم وتشديد الفاء وروي بموحدة أي في جوفه وهما معا وعاء طلع أي غشاؤه وقاله
ابن الاثير والهروي وغيرهما من شراح الكتاب فما في بعض نسخ الشامية بالقاف تحريف من النساخ
(ودفنه في بئر ذي أروان) كذا رواه الاصيلي وكانه الاصل فسهلت الهمزة ولكن غلطوه (و) لذا كان
(أكثر أهل الحديث يقولون) وهو رواية غير الاصيلي (ذروان) بفتح الذال المعجمة واسكان الراء
(تحت راعوفة البئر) براء فألف عند أكثر الرواة وبعضهم يحذفها فمهملة فواو ففاء وفي رواية بمثلثة
بدل الفاء وهي لغة وفيها لغة رابعة زعوبة بزاي وموحدة وهي صخرة تترك في أسفل البئر اذا حفرت
ليجلس عليها المستقي عند نزحها (كما ثبت في الصحيح) من حديث عائشة وهو رد على بعض المبتدعة
انكاره لانه بعد صحته لا ينكر وفي حديث كعب بن مالك عند ابن سعد انما سحره بنات لبيد ولبيد هو
الذي ذهب به فان صح فنسب اليه مجازا لكونه أخذه من بناته وذهب به الى البئر ومكث صلى الله
عليه وسلم في السحر أربعين يوما رواه الاسماعيلي وعند أحمد ستة أشهر وجمع بانها من ابتداء تغير مزاجه
والاربعين يوما من استحكامه (وليس هذا) أي سحره (بقادح في النبوة فان الانبياء يبتلون في
أبدانهم بالجراحات) كما جرح عليه السلام في أحد (والسموم) كسمه في الشاة (والقتل) كقتل يحيى
وغيره (وغير ذلك مما جوزه العلماء عليهم) وفي الحديث أشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل وانما
القادح فيها ما يخل بالمقصود منها كعدم ضبط ما يبلغه وهو معصوم منه فتجويزه عليه بنحو السحر
باطل لا يعول عليه قاله المازري وغيره (وانضاف) انضم (الى اليهود جماعة من الاوس والخزرج
منافقون على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا انهم قهروا بظهور الاسلام) بينهم
واجتماع قومهم عليه (فاظهروه واتخذوه جنة) وقاية (من القتل ونافقوا في السر) فالنفاق في القلب
وهو اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو فعل المنافق الذي يستر كفره ونفيه بالاسلام
كما يستر الرجل بالنفق بفتحتين وهو السرب في الارض له مخرج من موضع غير الذي يدخل اليه منه
فقيل اشتق من هذا وقيل من نافق اليربوع اذا دخل قاصعاءه وخرج من نافقائه وبالعكس فان لجحر
اليربوع النافقاء والقاصعاء والرهطاء والداماء (منهم عبد الله بن أبي) بالتنوين والجر ابن مالك ابن
الحرث الخزرجي (ابن سلول) برفع ابن وكتابته بالالف لان عادتهم اذا أضيف ابن الى أنثى كتب
بالالف وعدم صرف سلول للعلمية والتأنيث وهي خزاعية أم عبد الله على الصحيح كما في النور وقيل
جدته أم أبيه وبه جزم ابن عبد البر والسهيلي وابن الاثير (وكان رأس المنافقين) ومن نفاقه ما أخرجه
الثعلبي والواحدي بسندهما عن ابن عباس قال نزلت واذا لقوا الذين آمنوا في عبد الله بن أبي وأصحابه
وذلك انهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من الصحابة فقال ابن أبي انظروا كيف أرد عنكم هؤلاء
السفهاء فأخذ بيد أبي بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار
الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله
الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد علي فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا
رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتموني فعلت فأثنوا عليه خيرا فرجع المسلمون الى النبي
صلى الله عليه وسلم وأخبروه بذلك فنزلت هذه الآية (وهو الذي قال لان رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز) يعنون أنفسهم (منها الاذل) يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فرد الله عليهم بقوله ولله
العزة ولرسوله وللمؤمنين الآية (كما سيأتي ان شاء الله تعالى في غزوة بني المصطلق) والمنافقون كثير
ذكرهم ابن الجوزي واليعمري وغيرهما والله أعلم

ولم يؤذه وركع ما قضي له
ثم أنصت حتى ينصرف
الامام غفر له ما بين
الجمعتين * التاسعة عشر
ان جهنم تسجر كل يوم
الا يوم الجمعة وقد تقدم
حديث أبي قتادة في ذلك
وسر ذلك والله أعلم أنه
أفضل الايام عند الله
ويقع فيه من الطاعات
والعبادات والدعوات
والابتهال الى الله سبحانه
وتعالى ما يمنع من تسجير
جهنم فيه ولذلك تكون
معاصي أهل الايمان فيه
أقل من معاصيهم في
غيره حتى ان أهل
الفجور ليمتنعون فيه
مما لا يمتنعون منه في يوم
السبت وغيره وهذا
الحديث الظاهر منه أن
المراد سجر جهنم في الدنيا
وانها توقد كل يوم الا يوم
الجمعة وأما يوم القيامة
فانه لا يفتر عذابها ولا
يخفف عن أهلها الذين
هم أهلها يوما من الايام
ولذا يدعون الخزنة
أن يدعوا ربهم فيخفف
عنهم يوما من العذاب فلا
يجيبونهم الى ذلك
* العشرون أن فيه
ساعة الاجابة وهي
الساعة التي لا يسأل الله
فيها شيئا الا أعطاه ففي
الصحيحين من حديث
أبي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كتاب المغازى)

(وأذن الله تعالى لرسوله عليه السلام بالقتال) لاثنتى عشرة ليلة مضت من صفر فى السنة الثانية من الهجرة (قال الزهرى) محمد بن مسلم شيخ الاسلام (أول آية نزلت فى الاذن بالقتال) كما أخبرنى عروة عن عائشة (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير أخرجه النسائى باسناد صحيح) موقوفا عن عائشة كما هو فى النسائى وحكمه الرفع لا على الزهرى كما أوهمه المصنف نعم رواه ابن عائذ عن الزهرى معضلا باسقاط قوله كما أخبرنى عروة عن عائشة وزاد تلاوة الآية التى تليها الى قوله لقوى عزيز وأخرج أحمد والترمذى وحسنه والنسائى وابن سعد والحاكم وصححه عن ابن عباس قال لما أخرج النبى صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر أخرجوا نبيهم ليهلكن فنزلت اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا الآية قال ابن عباس فهى أول آية أنزلت فى القتال وقيل قوله تعالى قاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم أخرجه ابن جرير عن أبى العالية وفى الاكليل للحاكم أول آية نزلت فيه ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم (قال فى البحر) أى التفسير الكبير لابى حيان (والمأذون فيه أى فى الآية محذوف أى فى القتال لدلالة الذين يقاتلون عليه وعلل) فى الآية فهو مبنى للمفعول أو الفاعل أى الله الآذن لهم فى القتال (بأنهم ظلموا كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين مضروب ومشجوج فيقول لهم اصبروا فانى لم أومر بالقتال حتى هاجر فاذن له بالقتال) ولم يفرض عليهم وظاهره انه لم يؤمر بالصبر بعد الهجرة مع أنه أمر بالصبر على أذى اليهود ووعد بالنصر عليهم كما قال العلماء فيما نقله فى الشامية لكنه نزله كالعدم بالنسبة لاذى أهل مكة فانه كان بالمدينة فى غاية العزة والقوة من أول يوم وأذى اليهود غايته بالمجادلة والتعنت فى السؤال وكان جبريل يأتيه من ربه بغالب الاجوبة أو لقلة مدته أتى بالتعقيب أى فاذن له بعد صبر قليل على أذى اليهود لما قويت الشوكة واشتد الجناح (بعد ما نهى عنه فى نيف وسبعين آية) غالبها بمكة (انتهى) ثم فرض عليهم قتال من قاتلهم دون من لم يقاتل ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة وبين المصنف فى غزوة قينقاع ان الكفار بعد الهجرة كانوا معه ثلاثة أقسام (وقال غيره) فى بيان حكمة تأخر مشروعية الجهاد حتى هاجر (وانما شرع الله الجهاد فى الوقت الاليق به لانهم كانوا بمكة كان المشركون أكثر عددا فلو أمر) الله (المسلمين وهم قليل بقتال الباغين لشق عليهم فلما بغى المشركون وأخرجوه عليه السلام من بين أظهرهم وهموا بقتله) عطف على بغى (واستقر عليه السلام بالمدينة واجتمع عليه أصحابه) المهاجرون والانصار (وقاموا بنصره وصارت المدينة دار اسلام ومعقلا) بفتح الميم وكسر القاف ملجأ (يلجؤن اليه) تصريح بما علم من المعقل وفى هامش تفسير المعقل بالحصن الكبير (شرع الله جهاد الاعداء) جواب لما بغى وفى نسخة ولما استقر بزيادة لما وحذفها أولى لاحتياجها الى تقدير جواب لما بغى أى هاجر (فبعث عليه السلام البعوث والسرايا وغزا) بنفسه وقد جرت عادة المحدثين وأهل السير واصطلاحهم غالبا ان يسموا كل عسكر حضره النبى صلى الله عليه وسلم بنفسه الكريمة غزوة وما لم يحضره بل أرسل بعضا من أصحابه الى العدو سرية وبعثا (وقاتل هو وأصحابه حتى دخل الناس فى دين الله أفواجا أفواجا) جماعات بعد جماعات جاؤه بعد الفتح من أقطار الارض طائعين (وكان عدد مغازيه عليه السلام) قال فى الفتح جمع مغزى يقال غزا غزوا ومغزى والاصل غزو والواحد غزوة وغزاة والميم زائدة وعن ثعلب الغزوة المرة والغزاة عمل سنة كاملة وأصل الغزو القصد ومغزى الكلام مقصده والمراد بالمغازى هنا ما وقع من قصد النبى صلى الله عليه وسلم الكفار بنفسه أو بجيش من قبله وقصدهم أعم من أن يكون الى بلادهم أو الى الاماكن التى حلوها حتى دخل

الله عليه وسلم ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو قائم يصلى يسال الله شيا الا أعطاه اياه وقال بيده يقللها وفى المسند من حديث أبى لبابة المنذرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سيد الايام يوم الجمعة وأعظمها عند الله وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم الاضحى وفيه خمس خصال خلق الله فيه آدم وأهبط فيه آدم الى الارض وفيه توفى الله عز وجل آدم وفيه ساعة لا يسال الله العبد فيها شيا الا آتاه الله اياه ما لم يسال حراما وفيه تقوم الساعة ما من ملك مقرب ولا أرض ولا رياح ولا بحر ولا جبال ولا شجر الا وهن يشفقن من يوم الجمعة

(فصل) وقد اختلف الناس فى هذه الساعة هل هى باقية أو قد رفعت على قولين حكاهما ابن عبد البر وغيره والذين قالوا هى باقية ولم ترفع اختلفوا هل هى فى وقت من اليوم بعينه أم هى غير معينة على قولين ثم اختلف من قال بعدم تعينها هل هى تنتقل فى ساعات اليوم أو لا على قولين أيضا والذين قالوا بتعينها اختلفوا على أحد عشر قولا * قال ابن

مثل أحد والخندق انتهى (التى خرج فيها بنفسه سبعا وعشرين) كما قاله أئمة المغازى موسى بن عقبة وابن اسحق وأبو معشر والواقدى وابن سعد وأسنده عن هؤلاء وجزم به الجوزى والدمياطى والعراقى وغيرهم وقال ابن اسحق فى رواية البكائى عنه ستا وعشرين وجزم به فى ديباجة الاستيعاب قائلا وهذا أكثر ما قيل قال السهيلى وانما جاء الخلاف لان غزوة خيبر اتصلت بغزوة وادى القرى فجعلهما ابن اسحق غزوة واحدة وقيل خمسا وعشرين ولعبد الرزاق بسند صحيح عن ابن المسيب أربعا وعشرين وعند أبى يعلى باسناد صحيح عن جابر أنها احدى وعشرون غزاة وروى الشيخان والترمذى عن زيد ابن أرقم أنها تسع عشرة وفى خلاصة السير للمحب الطبرى جملة المشهور منها اثنتان وعشرون ويمكن الجمع على نحو ما قال السهيلى بأن من عدها دون سبع وعشرين نظر الى شدة قرب بعض الغزوات من غيره فجمع بين غزوتين وعدهما واحدة فضم للابواء بواطا لقربهما جدا اذ الابواء فى صفر وبواط فى ربيع الاول وضم حمراء الاسد لاحد لكونها صبيحتها او قريظة للخندق لكونها ناشئة عنها وتلتها ووادى القرى لخيبر لوقوعها فى رجوعه من خيبر قبل دخول المدينة والطائف لحنين لانصرافه منها اليها فبهذا تصير اثنتين وعشرين والى هذا أشار الحافظ فقال بعد نقل كلام السهيلى المار وقول جابر احدى وعشرين فلعل الستة الزائدة من هذا القبيل وأما من قال تسع عشرة فلعله أسقط الابواء وبواطا وكان ذلك خفى عليه لصغره ويؤيده ما قلته ما وقع عند مسلم بلفظ قلت ما أول غزوة غزاها قال ذات العسير أو العسيرة والعسيرة هى الثالثة انتهى (وقاتل فى تسع منها) قال ابن تيمية لا يعلم انه قاتل فى غزاة الا فى أحد ولم يقتل أحدا الا أبى بن خلف فيها فلا يفهم من قولهم قاتل فى كذا انه بنفسه كما فهمه بعض الطلبة ممن لا اطلاع له على أحواله عليه السلام انتهى ففى قوله (بنفسه) شئ وأجيب بأن المراد قتال أصحابه بحضوره فنسب اليه لكونه سببا فى قتالهم ولم يقع فى باقى الغزوات قتال منه ولا منهم قال فى النور قد يرد على ابن تيمية حديث كنا اذا لقينا كتيبة أو جيشا أول من يضرب النبى صلى الله عليه وسلم ويمكن تأويله (بدر وأحد والمريسيع والخندق وقريظة وخيبر وفتح مكة وحنين والطائف) وقال ابن عقبة قاتل فى ثمان وأهمل عد قريظة لانه ضمها للخندق لكونها اثرها وأفردها غيره لوقوعها مفردة بعد هزيمة الاحزاب وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين واحدة لكونها كانت فى اثرها هكذا فى فتح البارى وأيا ما كان لا ينفى انه قاتل فى جميعها غايته انه على عد الاثنتين واحدة بالاعتبار المذكور يكون قاتل فى موضعين منها (وهذا على قول من قال) وهم الجمهور (فتحت مكة عنوة) أى بالقهر والغلبة واما على قول الاول فتحت صلحا فيكون القتال فى ثمان (وكانت سراياه) أراد بها ما يشمل البعوث لقوله الآتى وكان أول بعوثه ولقوله (التى بعث فيها سبعا وأربعين سرية) كما رواه ابن سعد عمن ذكر فى عد المغازى وبه جزم أول الاستيعاب فيما قال الشامى والذى فى النور قال ابن عبد البر فى ديباجة الاستيعاب كانت بعوثه وسراياه خمسا وثلاثين من بعث وسرية انتهى وقال ابن اسحق رواية البكائى ثمانيا وثلاثين وفى الفتح عن ابن اسحق ستا وثلاثين والواقدى ثمانيا وأربعين وابن الجوزى ستا وخمسين والمسعودى ستين ومحمد بن نصر المروزى سبعين والحاكم فى الاكليل انها فوق المائة قال العراقى ولم أجده لغيره وقال الحافظ لعله أراد بضم المغازى اليها وقرأت بخط مغلطاى ان مجموع الغزوات والسرايا مائة وهو كما قال انتهى (وقيل) وحكاه اليعمرى بلفظ وفى بعض رواياتهم (انه قاتل فى بنى النضير) ولكن الله جعلها له نفلا خاصة وقاتل فى غزوة وادى القرى وقاتل فى الغابة انتهى ولم يقدم هذا على عد السرايا لانه أراد حكاية المروى عن الجماعة على حدة ثم تذكر ما فى بعض رواياتهم وأفاد صلى الله عليه وسلم حكمة بعوثه وسراياه فقال والذى نفسى بيده لولا أن أشق على المسلمين ما قعدت خلاف سرية

المنذر روينا عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال هى من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وبعد صلاة العصر الى غروب الشمس * الثانى أنها عند الزوال ذكره ابن المنذر عن الحسن البصرى وأبى العالية * الثالث أنها اذا أذن المؤذن بصلاة الجمعة قال ابن المنذر روينا ذلك عن عائشة رضى الله عنها * الرابع أنها اذا جلس الامام على المنبر يخطب حتى يفرغ قال ابن المنذر رويناه عن الحسن البصرى * الخامس قاله أبو بردة هى الساعة التى اختار الله وقتها للصلاة * السادس قاله أبو السوار العدوى وقال كانوا يرون أن الدعاء يستجاب ما بين زوال الشمس الى أن تدخل الصلاة * السابع قاله أبو ذر أنها ما بين ان ترتفع الشمس شبرا الى ذراع * الثامن أنها ما بين العصر الى غروب الشمس قاله أبو هريرة وعطاء وعبد الله بن سلام وطاوس حكى ذلك كله ابن المنذر * التاسع أنها آخر ساعة بعد العصر وهو قول أحمد وجمهور الصحابة والتابعين * العاشر أنها من حين خروج الامام الى فراغ

تغزو في سبيل الله أبدا ولكن لا أجد سعة فأحملهم ولا يجدون سعة فيتبعوني ويشق أن يقعدوا بعدي والذي نفسي بيده لوددت أني اغزو في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل رواه مالك وأحمد والشيخان عن أبي هريرة بتكرير ثم ست مرات (وأفاد في فتح الباري ان السرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتية هي التي تخرج بالليل) وجمعها سرايا وسرايات مثل عطية وعطايا وعطايات (والسارية) بالتحتية أيضا وقراءته بموحدة غلط (التي تخرج بالنهار) سموا بذلك لانهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء النفيس كما في النهاية (قال) في الفتح (وقيل سميت بذلك لانها تخفي ذهابها) فتسري في خفية (وهذا يقتضي انها أخذت من السر ولا يصح لاختلاف المادة) لان لام السر راء وهذه ياء قاله ابن الاثير وأجاب شيخنا بأن اختلاف المادة انما يمنع الاشتقاق الصغير وهو رد فرع الى أصل لمناسبة بينهما في المعنى والحروف الاصلية ويجوز انه أراد بالاخذ مجرد الرد للمناسبة والاشتراك في أكثر الحروف (وهي قطعة من الجيش تخرج منه) فتغير (وتعود اليه) وكأنه أريد بالجيش عسكر الامام فيشمل ما اذا بعث طائفة مستقلة كسرية حمزة (وهي من مائة الى خمسمائة) قضيته أن ما دونها لا يسمى سرية وهو مخالف لقوله نفسه في مقدمة الفتح قال ابن السكيت السرية ما بين الخمسة الى الثلثمائة وقال الخليل نحو أربعمائة انتهى ونحوه في القاموس بل في النهاية يبلغ أقصاها أربعمائة (وما زاد على الخمسمائة يقال له منسر بالنون ثم المهملة) بوزن مجلس ومنبر كما في القاموس وهذا لا يوافق المصباح ولا القاموس فانه حكى أقوالا أكثرها أن المنسر من المائة الى المائتين وصدر به المصباح وقابله بقول الفارابي جماعة من الخيل ويقال هو الجيش لا يمر بشيء الا اقتلعه (فان زاد على الثمانمائة) الاولى حذف أل لقولهم انها لا تدخل على أول المتضايفين مع تجرد الثاني باجماع كالثلاثة أثواب قاله في الهمع الا أن يقرأ مائة بالنصب باجراء أل في تصحيح المميز مجرى التنوين والنون كما في التصريح في نحوه (سمي جيشا) وقال ابن خالويه الجيش من ألف الى أربعة آلاف وأسقط المصنف من الفتح قوله وما بين المنسر والجيش يسمى هبطة لانه فسر الجيش بما زاد على ثمانمائة فلم يكن بين المنسر والجيش واسطة ثم حرر ضبط هبطة (فان زاد على أربعة آلاف سمي جحفلا) بفتح الجيم والفاء بينهما مهملة ساكنة وأسقط من الفتح قوله فان زاد فجيش جرار بفتح الجيم وراء مهملتين الاولى مشددة (والخميس) بلفظ اليوم (الجيش العظيم) الكثير وكذا الجبر والمدهم والعرمرم كما في سامي الاسامي وقال ابن خالويه الخميس من أربعة آلاف الى اثني عشر ألفا (وما افترق من السرية يسمى بعثا) وقدم ان مبدأها مائة فظاهره ان ما دون المائة يسمى بعثا لكن بقية كلام الفتح وهو فالعشرة فما بعدها تسمى حفيرة والاربعون عصبة والى ثلثمائة مقنب بقاف ونون وموحدة أي بكسر الميم وسكون القاف وفتح النون فان زاد سمي جمرة بجيم مفتوحة وسكون الميم انتهى يفيد تخصيص البعث بما دون العشرة (والكتيبة) بفتح الكاف وكسر الفوقية واسكان التحتية فموحدة فتاء تأنيث (ما اجتمع ولم ينتشر) وفي القاموس الكتيبة الجيش أو الجماعة المتحيزة من الخيل أو جماعة الخيل اذا أغارت من المائة الى الالف (انتهى) كلام فتح الباري في قول البخاري في أواخر المغازي باب السرية التي قبل نجد (ملخصا) يعني أنه أسقط منه ما ذكرته عنه لا التلخيص المتعارف ومقتضاه ان ما أرسله الامام مستقلا وهو دون مائة لا يسمى بعثا ولا سرية وفي القاموس البعث ويحرك الجيش جمعه بعوث وقال ابن خالويه أقل العساكر الجريدة وهي قطعة جردت من سائرها لوجه ما ثم السرية أكثرها وهي من خمسين الى أربعمائة ثم الكتيبة من أربعمائة الى ألف ثم الجيش من ألف الى أربعة آلاف وكذلك الفيلق والجحفل ثم الخميس من أربعة آلاف الى اثني عشر ألفا والعسكر يجمعها انتهى

الصلاة حكاه النووي وغيره * الحادي عشر أنها الساعة الثالثة من النهار حكاه صاحب المغني فيه وقال كعب لو قسم الانسان جمعة في جمع أتى على تلك الساعة ٧ وقال في عمر ان طلب حاجة في يوم ليسير وأرجح هذه الاقوال قولان تضمنتهما الاحاديث الثابتة وأحدهما أرجح من الآخر الاول أنها من جلوس الامام الى انقضاء الصلاة وحجة هذا القول ما روى مسلم في صحيحه من حديث أبي بردة بن أبي موسى أن عبد الله بن عمر قال له أسمعت أباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ساعة الجمعة شيا قال نعم سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين أن يجلس الامام الى أن يقضى الصلاة وروى ابن ماجه والترمذي من حديث عمرو بن عوف المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجمعة ساعة لا يسال الله العبد فيها شيا الا آتاه الله اياه قالوا يا رسول الله أية ساعة هي قال حين تقام الصلاة الى الانصراف منها والقول

روى أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي وحسنه عن صخر بن وداعة مرفوعاً اللهم بارك لأمتي في بكورها قال صخر وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية بعثها أول النهار وكان صخر تاجراً وكان لا يبعث غلمانه إلا من أول النهار فكثر ماله حتى كان لا يدري أين يضعه وروى الطبراني عن عمران كان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية أغزاها أول النهار وقال اللهم بارك لأمتي في بكورها

(بعث حمزة رضي الله عنه)

(وكان أول بعوثه صلى الله عليه وسلم) حال كونه (على رأس سبعة أشهر في رمضان) قاله ابن سعد أي تقريباً أو اعتبرت السبعة من أول تهيئه للخروج من مكة فلا ينافي ما مر ان قدومه كان لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول أو ثلاث عشر أو ثنتين وعشرين أو لليلتين (وقيل في ربيع الأول سنة اثنتين) قاله المدائني وقال أبو عمر بعد ربيع الآخر (بعث عمه حمزة) كما رواه ابن عائذ عن عروة وجزم به ابن عقبة والواقدي وأبو معشر وابن سعد في آخرين وقيل أولها بعث عبيدة وقيل عبد الله بن جحش قال ابن عبد البر والأول أصح (وأمره على ثلاثين رجلاً من المهاجرين) قاله ابن سعد وغيره (وقيل من الأنصار) كذا في النسخ وصوابه ومن الأنصار بالواو لأنه لم يقل أحد بخلوهم من المهاجرين وقد حكى مغلطاي وغيره القولين على ما صوب وذكر بعضهم أنهم كانوا شطرين من المهاجرين والأنصار (وفيه نظر لأنه) كما قال ابن سعد (لم يبعث أحداً من الأنصار حتى غزا بهم بدراً لأنهم شرطوا له) ليلة العقبة (أن يمنعوه في دارهم) ولذا لما أراد بدراً استشار يقول أشيروا علي حتى قال الأنصاري كأنك تريدنا يا رسول الله قال في النور وذكر ابن سعد في غزوة بواط أن سعد بن معاذ حمل اللواء وكان أبيض فهذا تناقض منه ويحتمل ان خروج سعد فيها من غير أن يندبه عليه السلام إلا أن حمل اللواء يعكر على ذلك والظاهر ان ابن سعد أراد أنه لم يبعث أحداً منهم وتخلف عليه السلام إلى غزوة بدر وبعدها جهزهم وقعد لكن آخر الكلام يعكر على هذا التأويل انتهى (فخرجوا يعترضون عير القريش) جاءت من الشام تريد مكة أي يتعرضون لها ليمنعوها من مقصدها باستيلائهم عليها (فيها أبو جهل اللعين فلقيه في ثلثمائة راكب) قاله ابن اسحق وابن سعد وقال ابن عقبة في ثلاثين ومائة راكب من المشركين (فبلغوا سيف) بكسر المهملة وسكون التحتية وبالفاء ساحل (البحر من ناحية العيص) بكسر العين وسكون التحتية وصاد مهملتين (فلما تصافوا) للقتال (حجز) بفتح الحاء والجيم وبالزاي فصل (بينهم مجدي) بفتح الميم وسكون الجيم وكسر الدال المهملة وياء كياء النسب (ابن عمرو الجهني) وكان موادعاً للفريقين أي مصالحاً مسالماً قال في النور ولا أعلم له إسلاماً فانصرف بعض القوم عن بعض ولم يكن بينهم قتال وأفاد الواقدي ان رهط مجدي قدموا عليه صلى الله عليه وسلم فكساهم وقال في مجدي انه ما علمت ميمون النقيبة مبارك الأمر أو قال رشيد الأمر (وكان عليه الصلاة والسلام قد عقد له) أي لحمزة (لواء) بكسر اللام والمد وروى أبو يعلى عن أنس رفعه ان الله أكرم أمتي بالألوية وسنده ضعيف (أبيض) زاد ابن سعد وكان الذي حمله أبو مرثد البدري أي بفتح الميم واسكان الراء وفتح المثلثة ودال مهملة كناز بفتح الكاف وشد النون فالف فزاي ابن الحصين بمهملتين مصغر الغنوي بفتح المعجمة والنون نسبة الى غني بن يعصر حليف حمزة (واللواء) كما قال الحافظ في غزاة خيبر (هو العلم الذي يحمل في الحرب يعرف به موضع صاحب) أي أمير (الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر) وفي الفتح أيضاً في الجهاد اللواء الراية ويسمى أيضاً العلم وكان الأصل أن يمسكها رئيس الجيش ثم صارت تحمل على رأسه (وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادف اللواء والراية) فقالوا في كل منهما علم الجيش ويقال أصل الراية الهمز وآثرت العرب تركه تخفيفاً ومنهم من ينكر هذا القول ويقول لم يسمع الهمز (لكن روى

أحمد

الثاني أنها بعد العصر وهذا أرجح القولين وهو قول عبد الله بن سلام وأبي هريرة والإمام أحمد وخلق وحجة هذا القول ما رواه أحمد في مسنده من حديث أبي سعيد وأبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه وهي بعد العصر وروى أبو داود والنسائي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الجمعة ثنتا عشر ساعة فيها ساعة لا يوجد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر وروى سعيد ابن منصور في سننه عن أبي سلمة بن عبد الرحمن ان ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمعوا فتذاكروا الساعة التي في يوم الجمعة فتفرقوا ولم يختلفوا أنها آخر ساعة من يوم الجمعة وفي سنن ابن ماجه عن عبد الله بن سلام قال قلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس انا لنجد في كتاب الله يعني التوراة في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله عز وجل شيئاً إلا قضى

أحمد والترمذي عن ابن عباس) قال (كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء ولواؤه أبيض ومثله عند الطبراني عن بريدة) بن الحصيب بمهملتين مصغر الاسلمي (و) مثله (عند ابن عدي) الحافظ عبد الله أبي أحمد الجرجاني أحد الاعلام مات سنة خمس وستين وثلثمائة (عن أبي هريرة) زاد مكتوب فيه لا إله الا الله محمد رسول الله) وروى أبو داود عن رجل رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء وجمع الحافظ بينهما باختلاف الاوقات قال وقيل كانت له راية تسمى العقاب سوداء مربعة وراية تسمى الرنية بيضاء وربما جعل فيها شئ أسود (وهو ظاهر في التغاير) بين اللواء والراية وبه جزم ابن العربي فقال اللواء غير الراية فاللواء ما يعقد في طرف الرمح ويلوى عليه والراية ما يعقد فيه ويترك حتى تصفقه الرياح وقيل اللواء دون الراية وقيل اللواء العلم الضخم والعلم علامة لمحل الامير يدور معه حيث دار والراية يتولاها صاحب الحرب (فلعل التفرقة فيه عرفية) فلا يخالف ما صرح به الجماعة من الترادف وقد جنح الترمذي الى التفرقة فترجم الالوية وأورد حديث البراء أنه صلى الله عليه وسلم دخل مكة ولواؤه أبيض ثم ترجم الرايات وأورد حديث البراء كانت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداء مربعة وحديث ابن عباس المذكور أولا (وذكر ابن اسحق) محمد امام المغازي (وكذا أبو الاسود) محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الاسدي النوفلي المدني يتيم عروة وثقه أبو حاتم والنسائي وأخرج له الجميع (عن عروة) بن الزبير أحد الفقهاء (ان أول ما حدثت الرايات) جمع راية (يوم خيبر وما كانوا يعرفون قبل ذلك الا الالوية) وهذا أيضا ظاهر في التغاير بينهما (انتهى) لفظ فتح الباري في خيبر

(سرية عبيدة المطلبي)

(ثم سرية عبيدة) بضم العين وفتح الموحدة واسكان التحتية فدال فهاء (ابن الحرث) بن المطلب بن عبد مناف المستشهد ببدر (الى بطن رابغ) بموحدة مكسورة وغين معجمة (في شوال على رأس ثمانية أشهر) من الهجرة تقريبا أو تحقيقا على ما مر وأوردها ابن هشام وأبو الربيع في الاكتفاء بعد غزوة الابواء في السنة الثانية في ربيع الاول ورواه ابن عائذ عن ابن عباس وبه صرح بعض أهل السير لكن ذكر غير واحد أن الراجح الاول فلذا اقتصر عليه المصنف (في ستين رجلا) أو ثمانين كذا عند ابن اسحق فيحتمل انه شك أو اشارة الى قولين ولفظه في ستين أو ثمانين راكبا من المهاجرين ليس فيهم من الانصار أحد (وعقد) عليه السلام (له) لعبيدة (لواء أبيض حمله مسطح) بميم مكسورة وسين ساكنة وطاء مفتوحة وحاء مهملات (ابن أثاثة) بضم الهمزة وخفة المثلثتين ابن عباد بن المطلب بن عبد مناف ابن قصي المطلبي اسمه عوف ومسطح لقبه أسلم قديما ومات سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان ويقال عاش الى خلافة علي وشهد معه صفين ومات تلك السنة سنة سبع وثلاثين (يلقى أبا سفيان) صخر (بن حرب) أسلم في الفتح رضي الله عنه (وكان على المشركين) كما قال الواقدي انه الثبت عندنا وصدر به مغلطاي (وقيل) أي قال ابن هشام عن أبي عمرو بن العلاء المدني يلقى (مكرز) بكسر الميم واسكان الكاف وفتح الراء وزاي كما ضبطه الغساني وغيره قال السهيلي وهكذا الرواية حيث وقع قال ابن ماكولا ووجدته بخط ابن عبدة النسابة بفتح الميم قال الحافظ وبخط يوسف بن خليل بضم الميم وكسر الراء والمعتمد الاول (ابن حفص) بن الاخيف بفتح الهمزة وسكون المعجمة وفتح التحتية وبالفاء ابن علقمة العامري وهو الذي جاء في فداء سهيل بن عمرو بعد بدر وجاء أيضا في قصة الحديبية قال في الاصابة والنور ولم أر من ذكره في الصحابة الا ابن حبان فقال في ثقاته يقال له صحبة (وقيل) أي قال ابن اسحق يلقى (عكرمة بن أبي جهل) أسلم في الفتح (في مائتين ولم يكن بينهم قتال الا أن سعد بن أبي وقاص) مالك

الله له حاجة قال عبد الله فأشار الي رسول الله صلى الله عليه وسلم أو بعض ساعة قلت صدقت يا رسول الله أو بعض ساعة قلت أي ساعة هي قال هي آخر ساعة من ساعات النهار قلت انها ليست ساعة صلاة قال بلى ان العبد المؤمن اذا صلى ثم جلس لا يحبسه الا الصلاة فهو في صلاة وفي مسند أحمد من حديث أبي هريرة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم لاي شئ سمي يوم الجمعة قال لان فيه طبعت طينة أبيك آدم وفيها الصعقة والبعثة وفيها البطشة وفي آخر ثلاث ساعات منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له وفي سنن أبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة الا الجن والانس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم

(رمى) يومئذ (بسهم فكان أول سهم رمى به فى الاسلام) كذا عند ابن اسحق والمراد جنس سهم فلا ينافى قول الواقدى انه نثر كنانته وتقدم امام أصحابه وقد تترسوا عنه فرمى بما فى كنانته وكان فيها عشرون سهما ما منها سهم الا ويجرح انسانا أو دابة قال ابن اسحق ثم انصرف القوم عن القوم وللمسلمين حامية وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة بن غزوان وكانا مسلمين ولكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار (قال ابن اسحق وكانت راية عبيدة فيما بلغنا أول راية عقدت فى الاسلام) قال وبعض العلماء يزعم أنه صلى الله عليه وسلم بعثه حين أقبل من غزوة الابواء قبل أن يصل الى المدينة قال (وبعض الناس يقول) كانت (راية حمزة) أول راية (قال وانما أشكل أمرهما لانه عليه السلام بعثهما معا فاشتبه ذلك على الناس) فكل من قال ذلك فى واحد منهما فهو صادق (انتهى) قول ابن اسحق بما زدته من سيرته (وهذا يشكل بقولهم ان بعث حمزة كان على رأس سبعة أشهر) فى رمضان وبعث عبيدة على رأس ثمانية فى شوال فكيف يشتبه مع هذا (لكن يحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم عقد رايتيهما معا ثم تأخر خروج عبيدة الى رأس الثمانية لامر اقتضاه) فيلتئم القولان (والله أعلم) بحقيقة الحال

(سرية سعد بن مالك)

(ثم سرية سعد بن أبى وقاص) واسمه مالك الزهرى آخر العشرة موتا من السابقين الاولين المختص بكثرة جمع المصطفى له أبويه يوم أحد حيث كرر له ارم فداك أبى وأمى رضى الله عنه (الى الخرار بخاء معجمة) مفتوحة (وراءين مهملتين) الاولى ثقيلة كما ذكره الصغانى فى خ ر ر والمجد فى فصل الخاء من باب الراء وهو الذى فى النور فى نسخة صحيحة مقروءة على ابن مصنفها فما فى نسخة محرفة منه ومن سيرة الشامى وتشديد الزاى الاولى لا يلتفت اليه ولعلها كانت همزة عقب الالف فصحفت ياء فظنت زايا من تحريف النساخ (وهو) كما فى سيرة مغلطاى (واد فى الحجاز يصب فى الجحفة) وفى ذيل الصغانى موضع قريب الجحفة وفى القاموس عين قرب الجحفة (وكان ذلك فى القعدة) بكسر القاف وفتحها (على رأس تسعة أشهر) عند ابن سعد وشيخه الواقدى وجعلها ابن اسحق فى السنة الثانية وتبعه أبو عمر فقال بعد بدر (وعقد له لواء أبيض حمله المقداد) بكسر الميم وسكون القاف ودالين مهملتين (ابن عمرو) بن ثعلبة الكندى البدرى المعروف بابن الاسود لانه تبناه (فى عشرين رجلا) من المهاجرين وقيل ثمانية (يعترض عيرا) ابلا تحمل الطعام وغيره من التجارات ولا تسمى عيرا الا اذا كانت كذلك كما فى النور وكانت (لقريش) فخرجوا على أقدامهم (فصبحوها) أى الخرار وانث لانها اسم عين وهى مؤنثة (صبح خامسة فوجدوا العير قد مرت بالامس) فرجعوا ولم يلقوا كيدا والله أعلم

(أول المغازى ودان)

قال الزهرى فى علم المغازى خير الدنيا والآخرة وقال زين العابدين على بن الحسين بن على كنا نعلم مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما نعلم السورة من القرآن رواهما الخطيب وابن عساكر وعن اسمعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص كان أبى يعلمنا المغازى والسرايا ويقول يا بنى هذه شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها (ثم غزوة ودان) بفتح الواو وشد المهملة فالف فنون قرية جامعة من أمهات القرى من عمل الفرع وقيل واد فى الطريق يقطعه المصعدون من حجاج المدينة (وهى) أى غزوة ودان (الابواء) بفتح الهمزة وسكون الموحدة والمد قرية من عمل الفرع بينها وبين الجحفة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلا قيل سميت بذلك لما فيها من الوباء وهو على القلب والا لقيل الاوباء والصحيح كما قال قاسم بن ثابت انها سميت بذلك لتبوء السيول بها ومراد المصنف ان منهم من أضافها لودان وبعضهم للابواء لتقاربهما فليس ضمير هى راجعا لودان لاقتضائه انه مكان واحد له اسمان

وهو يصلى يسأل الله عز وجل حاجة الا اعطاه اياه فقال كعب ذلك فى كل سنة يوم فقلت بل فى كل جمعة قال فقرأ كعب التوراة فقال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة فلقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسى مع كعب فقال عبد الله بن سلام وقد علمت اى ساعة هى قال أبو هريرة فقلت أخبرنى بها فقال عبد الله بن سلام هى آخر ساعة من يوم الجمعة فقلت كيف هى آخر ساعة من يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلى وتلك الساعة لا يصلى فيها فقال عبد الله ابن سلام ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو فى صلاة حتى يصلى قال فقلت بلى فقال هو ذاك قال الترمذى حديث حسن صحيح وفى الصحيحين بعضه وأما من قال انها من حين يفتتح الامام الخطبة الى فراغه من الصلاة فاحتج بما رواه مسلم فى صحيحه عن ابى بردة بن أبى موسى الاشعرى قال قال عبد الله ابن عمر أسمعت أباك

وهو خلاف الواقع كما يأتي (وهي) أي غزوة ودان (أول مغازيه) صلى الله عليه وسلم (كما ذكره ابن اسحق وغيره) وآخرها تبوك ولا يرجع ضمير هي للابواء وان كان أقرب مذكور لانه لا يتخيل تناف حتى يحتاج للجواب الآتي (وفي صحيح البخاري عنه) أي ابن اسحق تعليقا (أولها) أي المغازي (الابواء) ثم بواط ثم العشيرة ولا تنافي كما يأتي (خرج صلى الله عليه وسلم في صفر) لاثنتي عشرة مضت منه كما عند بعض الرواة عن ابن اسحق (على رأس) أي عند أول (اثني عشر شهرا) ففي المصباح رأس الشهر أوله (من مقدمه المدينة يريد قريشا) زاد ابن اسحق وبني ضمرة فكأنه قصره على قريش لانهم المقصودون بالذات والمراد غيرهم (في ستين رجلا) من المهاجرين ليس فيهم أنصاري (وحمل اللواء) قال أبو عمر كان أبيض (حمزة بن عبد المطلب) سيد الشهداء (فكانت الموادعة) أي فكان الاثر المترتب على خروجه الموادعة (أي المصالحة) مع بني ضمرة ولم يدرك العير التي أراد (على ان بني ضمرة) بفتح المعجمة واسكان الميم ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة (لا يغزونه ولا يكثرون عليه جمعا ولا يعينون عليه عدوا) وانه اذا دعاهم لنصر أجابوه قال ابن اسحق وابن سعد وأبو عمر عقد ذلك معه سيدهم مخشي ابن عمرو الضمري وقال ابن الكلبي وابن حزم عمارة بن مخشي بن خو يلد ومخشي بفتح الميم وسكون الخاء وكسر الشين المعجمتين ثم ياء مشددة كياء النسبة قال البرهان لا أعلم له اسلاما وقال الشامي لم أر من ذكر له اسلاما وكتب بينهم بذلك كتابا كما قال السهيلي وسيذكره المصنف بعد بواط والاولى تقديمه هنا (واستعمل على المدينة سعد بن عبادة) كما ذكره ابن هشام وابن سعد وابن عبد البر وغاب عنها خمسة عشر يوما ثم رجع ولم يلق كيدا (و) أفاد في فتح الباري انه (ليس بين ما وقع في سيرة ابن اسحق) من أن أول غزواته ودان (و بين ما نقله عنه البخاري) ان أولها الابواء (اختلاف لان الابواء وودان مكانان متقاربان بينهما ستة أميال) وبه جزم اليعمري (أو ثمانية) كما قال غيره زاد في الفتح ولهذا وقع في حديث الصعب بن جثامة وهو بالابواء أو بودان كما مر في الحج وفي مغازي الاموي حدثني أبي عن ابن اسحق قال ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم غازيا بنفسه حتى انتهى الى ودان وهي الابواء وعند ابن عائذ عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم وصل الى الابواء انتهى فكما وقع في العيون انه سار حتى بلغ ودان وقع في غيره أنه سار حتى بلغ الابواء وروى البخاري في التاريخ الصغير والطبراني عن عبد الله ابن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده قال أول غزوة غزوناها مع النبي صلى الله عليه وسلم الابواء

* (ثم غزوة بواط بفتح الموحدة) عند الاصيلي والمستملي من رواة البخاري والعذري من رواة مسلم وصدر به في الفتح فتبعه السيوطي والمصنف هنا قائلين (وقد تضم) صريح في قلته مع انه الاعرف كما قاله في المطالع واقتصر عليه في المقدمة والمصنف في الشرح وصاحب القاموس (وتخفيف الواو) فألف (وآخره) طاء (مهملة) جبل من جبال جهينة بقرب ينبع على أربعة برد من المدينة وقال السهيلي بواط جبلان فرعان لاصل واحد أحدهما جلسي والآخر غوري وفي الجلسي بنو دينار ينسبون الى دينار مولى عبد الملك بن مروان (غزاها صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الاول) قاله ابن اسحق وقال أبو عمر وتلميذه ابن حزم في ربيع الآخر (على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة حتى بلغها من ناحية رضوى) بفتح الراء وسكون) الضاد (المعجمة مقصور) جبل بالمدينة والنسبة اليه رضوي قاله الجوهري وفي السبل على أربعة برد من المدينة وبه يفسر قول المجد على أبراد وفي خلاصة الوفاء رضوى كسكرى جبل على يوم من ينبع وأربعة أيام من المدينة ذو شعاب وأودية وبه مياه وأشجار هذا هو المعروف ومنه يقطع أحجار المنارة قيل هو أول تهامة انتهى وهو مباين لكلام أولئك بكثير ويذكر أن رضوى من الجبال

تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شأن ساعة الجمعة قال قلت نعم سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين أن يجلس الامام الى أن يقضى الصلاة وأما من قال هي ساعة الصلاة فاحتج بما رواه الترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن عوف المزني قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان في الجمعة لساعة لا يسأل الله العبد فيها شيأ الا آتاه الله اياه قالوا يا رسول الله أية ساعة قال حين تقام الصلاة الى الانصراف منها ولكن هذا الحديث ضعيف قال أبو عمر بن عبد البر هو حديث لم يروه فيما علمت الا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده وليس هو ممن يحتج بحديثه وقد روى روح بن عبادة عن عوف عن معاوية بن قرة عن أبي بردة عن أبي موسى انه قال لعبد الله بن عمر هي الساعة التي يخرج فيها الامام الى أن يقضى الصلاة فقال ابن عمر أصاب الله بك وروى عبد الرحمن بن حجيرة عن أبي ذر أن امرأته سألته عن الساعة التي

التي بني منها البيت وأنه من جبال الجنة وفي حديث رضوى رضي الله عنه وقدس وتزعم الكيسانيه
أن محمدا ابن الحنفية مقيم به حي يرزق (في مائتين من أصحابه) المهاجرين وجال لواءه وكان ابيض سعد بن
أبي وقاص كما في الشامية وغيرها وفي العيون سعد بن معاذ فيما ذكر ابن سعد وتقدم مناقضة البرهان له
وتأويله ولكن الاقرب أنه ابن أبي وقاص للتصريح بأن الذين خرجوا من المهاجرين نعم قيل انه استخلف
ابن معاذ على المدينة قال شيخنا فلعله التباس للاستخلاف بالحمل (يعترض عيرا) لتجار قريش عدتها
ألفان وخمسمائة بعير قاله ابن سعد وشيخه الواقدي (فيهم أمية بن خلف الجمحي) ومائة رجل من قريش
(واستعمل على المدينة) فيما قال ابن هشام وابن عبد البر ومغلطاي (السائب بن عثمان ابن مظعون)
الجمحي أسلم قديما وهاجر الى الحبشة وشهد بدرا في قول الجميع الا ابن الكلبي فقال الذي شهدها عمه
ووهمه ابن سعد لمخالفته جميع أهل السير واستشهد يوم اليمامة وفي نسخة من سيرة ابن هشام كما في
الفتح استخلف السائب بن مظعون وجرى عليه السهيلي انتهى وهو أخو عثمان شهد بدرا عند ابن
اسحق ولم يذكره موسى بن عقبة فيهم وبما علم من أنهما نسختان عن ابن هشام سقط انتقاد البرهان
وتبعه الشامي على السهيلي بأن الذي في الشامية السائب ابن الاخ لا عمه وقال الواقدي استخلف عليها
سعد بن معاذ (فرجع) عليه السلام (ولم يلق كيدا أي حربا قال ابن الاثير) في النهاية أبو السعادات
المبارك بن أبي الكرم بن محمد الشيباني الجزري العالم النبيل أحد الفضلاء صاحب التصانيف الشهيرة
ولد في سنة أربع وأربعين وخمسمائة ومات بالموصل يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة
(والكيد الاحتيال والاجتهاد وبه سميت الحرب كيدا) مجاز الاقترانها بالاشتهار فيه وذكر القاموس
من معاني الكيد الحرب فقضاه اشتراكه فيه وفي غيره وضعا وجمع شيخنا بأن القاموس أراد التنبيه
على المعاني التي يصدق عليها الكيد أعم من أن يكون حقيقة أو مجازا والله أعلم

*(ثم غزوة العشيرة) بالعين المهملة المضمومة و بالشين المعجمة والتصغير آخره هاء) قال السهيلي
واحدة العشير مصغر (لم يختلف أهل المغازي في ذلك) الضبط قال في المشارق وهو المعروف قال الحافظ
وهو الصواب ووقع في الصحيحين خلافه فنبه عليه فقال (وفي البخاري) ومسلم والترمذي من طريق
أبي اسحق سألت زيد بن أرقم الحديث وفيه فأيهم كانت أول قال (العشير أو العسيرة) هكذا ثبت في
أصل الحافظ من البخاري فقال في الفتح (بالتصغير) فيهما (والاولى بالمعجمة بلا هاء والثانية بالمهملة
وبالهاء) وفي أصل المصنف من البخاري العسيرة أو العشير فقال بالتصغير فيهما وبالمهملة مع الهاء في
الأولى والمعجمة بلا هاء في الثانية ولأبي ذر العسير بالمهملة بلا هاء أو العشير بالمعجمة بلا هاء وللاصيلي
العشير أو العسير بالمعجمة في الاول والمهملة في الثاني مع حذف الهاء والتصغير في الكل وفي نسخة عن
الاصيلي العشير بفتح العين وكسر الشين المعجمة بغير هاء كذا رأيته في الفرع كأصله انتهى وفي مسلم
العسير أو العشير قال النووي هكذا في جميع نسخ صحيح مسلم بضم العين والاول بالسين المهملة والثاني
بالمعجمة انتهى ورواية الترمذي كرواية مسلم كما أفاده الحافظ وبهذا كله بان خطأ من زعم انه بالهمز
ومنشؤه قراءته العشيراء بالمد والعسيرة بالواو (وأما غزوة العسرة بالمهملة بغير تصغير فهي غزوة تبوك)
قال الله تعالى الذين اتبعوه في ساعة العسرة (وستأتي ان شاء الله تعالى) سميت بذلك لما كان فيها من
المشقة كما يأتي بيانه ولما كان يتوهم في هذه على ضبطه الثاني انها سميت بذلك لما
سميت به تبوك وصغرت دفع هذا الوهم وخصها دون السابقتين فقال (ونسبت
هذه الى المكان الذي وصلوا اليه وهو موضع لبني مدلج بينبع) ليس بينها وبين البلد
الا الطريق السالك كما في النور وغيره وفي القاموس موضع ناحية ينبع وفيه ينبع كينصر
حصن له عيون ونخيل وزرع بطريق حاج مصر فهو غير مصروف كيشكر وفي الفتح يذكر ويؤنث

قال

يستجاب فيها يوم الجمعة
للعبد المؤمن فقال هاهي
مع رفع الشمس بيسير
فإن سألتني بعدها فأنت
طالق واحتج هؤلاء
أيضا بقوله في حديث
أبي هريرة وهو قائم يصلي
وبعد العصر لا صلاة في
ذلك الوقت والأخذ
بظاهر الحديث أولى
قال أبو عمر يحتج أيضا
من ذهب الى هذا
بحديث علي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه
قال اذا زالت الشمس
وفاءت الأفياء وراحت
الارواح فاطلبوا الى الله
حوائجكم فإنها ساعة
الأوابين ثم تلا انه كان
للأوابين غفورا وروى
سعيد بن جبير عن ابن
عباس رضي الله عنهما
قال الساعة التي تذكر يوم
الجمعة ما بين صلاة العصر
الى غروب الشمس وكان
سعيد بن جبير اذا صلى
العصر لم يكلم أحدا حتى
تغرب الشمس وهذا هو
قول أكثر السلف وعليه
أكثر الاحاديث ويليه
القول بأنها ساعة الصلاة
وبقية الاقوال لا دليل
عليها وعندي ان ساعة
الصلاة ساعة يرجى فيها
الاجابة أيضا فكلاهما
ساعة اجابة وان كانت
الساعة المخصوصة هي
آخر ساعة بعد العصر

قال ابن اسحق موضع ببطن ينبع وفي الروض معنى العشير أو العسيرة انه اسم مصغر من العسرى والعسر واذا صغر تصغير ترخيم قيل عسير وهي بقلة تكون أذنة أي عصيفة ثم تكون سحاء ثم يقال لها العسرى (وخرج اليها صلى الله عليه وسلم في جمادى الاولى) قاله ابن اسحق وتبعه ابن حزم وغيره (وقيل الآخرة) قاله ابن سعد أي المتأخرة وفي نسخة الاخرى وعبر به لمقابلتها بالاولى فاندفع اللبس بالواحدة المتناولة للمتقدمة والمتأخرة وقد ذكر السيوطي في الشماريخ ما حاصله انه اذا دلت قرينة على المراد ساغ التعبير بالآخر والاخرى وفي نسخة الاول وقيل الآخر بتذكيرهما ذهابا الى معنى الشهر وان كان المصباح انما نقل تأويله اذا وقع في شعر والا فهما دان مؤنثان دون الشهور ويخرج تذكير الآخر أيضا على مفاد الشماريخ (على رأس ستة عشر شهرا من الهجرة في خمسين ومائة رجل وقيل في (مائتين) حكاهما ابن سعد وزاد من قريش من المهاجرين ممن انتدب ولم يكره أحدا على الخروج (رجلا) تمييز مائتين وهو شاذ كقوله

اذا عاش الفتى مائتين عاما * فقد ذهب المسرة والفتاء

ولا يقاس عليه عند الجمهور والقياس في مائتي رجل بالاضافة (ومعهم ثلاثون بعيرا يعتقبونها) يركبها بعضهم ثم ينزل فيركب غيره (وحمل اللواء وكان أبيض حمزة) أسد الله وأسد رسوله (يريد عير قريش التي صدرت من مكة الى الشام بالتجارة) وكانت قريش جمعت أموالها في تلك العير ويقال ان فيها خمسين ألف دينار وألف بعير ولا يرد على هذا ان العير الابل التي تحمل الميرة لقول المصباح انها غلبت على كل قافلة (فخرج اليها ليغنمها فوجدها قد مضت) قبل ذلك بايام وهي العير التي خرج اليها حين رجعت من الشام فكان بسببها وقعة بدر الكبرى كما في العيون وغيرها قال أبو عمر فاقام هنالك بقية جمادى الاولى وليالي من جمادى الآخرة وبه يعلم أن في قول اليعمري فاقام بها جمادى الاولى الخ تجوزا بدليل قوله أولا خرج في أثناء جمادى الاولى (ووادع) في هذه السفرة (بني مدلج) زاد ابن اسحق وحلفاءهم من بني ضمرة وتقدم في ودان انه وادع بني ضمرة فلعلها تأكيد للاولى أو أن حلفاء بني مدلج كانوا خارجين عن بني ضمرة لامر ما وبسببه حالفوا بني مدلج فكان ابتداء صلح لبني مدلج (من كنانة) هي تجمع بني مدلج وبني ضمرة لان كلا قبيلة من كنانة وذكر الواقدي أن هذه السفرات الثلاث كان صلى الله عليه وسلم يخرج فيها للتلقي تجار قريش حين يمرون الى الشام ذهابا وايابا وبسبب ذلك كانت وقعة بدر وكذلك السرايا التي بعثها قبل بدر *(تتميم)* روى ابن اسحق وأحمد من طريقه عن عمار ان النبي صلى الله عليه وسلم كنى عليا أبا تراب حين نام هو وعمار في نخل لبني مدلج مجتمع ولصق بهما التراب قال فجاء النبي صلى الله عليه وسلم يحركنا برجله وقد تتربنا فيومئذ قال لعلي بن أبي طالب مالك يا أبا تراب ويعارضه ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن سهل بن سعد قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا فقال لها أين ابن عمك قالت كان بيني وبينه شئ فغاضبني فخرج فلم يقل عندي فقال صلى الله عليه وسلم لانسان أنظر أين هو فجاء فقال يا رسول الله هو في المسجد راقد فجاء صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع قد سقط رداؤه عن شقه وأصابه تراب فجعل صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول قم أبا تراب وفي رواية اجلس أبا تراب مرتين قال سهل وما كان له اسم أحب اليه منه وغلط ابن القيم رواية السيرة وقال انما كناه بذلك بعد بدر وهو أول يوم كناه فيه وقال السهيلي ما في الصحيح أصح الا أن يكون كناه بها مرة في هذه الغزوة ومرة بعدها في المسجد ومال الحافظ وصاحب النور الى ذا الجمع لكنهما قالا فان صح فيكون كناه الخ اشارة للتوقف فيه فان اسناده لا يخلو من مقال قيل ولهذا اختص على بقولهم كرم الله وجهه دون غيره من الصحابة والآل وقيل لانه لم يسجد لصنم قط وقيل غير ذلك وروى

فهي ساعة معينة من اليوم لا تتقدم ولا تتأخر واما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت لان لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم الى الله تعالى تأثيرا في الاجابة فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الاجابة وعلى هذا تتفق الاحاديث كلها ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد حض أمته على الدعاء والابتهال الى الله تعالى في هاتين الساعتين ونظير هذا قوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن المسجد الذي أسس على التقوى فقال هو مسجدكم هذا وأشار الى مسجد المدينة وهذا لا ينفي أن يكون مسجد قباء الذي نزلت فيه الآية مؤسسا على التقوى بل كل منهما مؤسس على التقوى وكذلك قوله في ساعة الجمعة هي ما بين أن يجلس الامام الى أن تنقضي الصلاة لا ينافي قوله في الحديث الآخر فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر وشبه هذا في الاسماء قوله صلى الله عليه وسلم ما تعدون الرقوب فيكم قالوا من لم يولد له قال الرقوب من لم يقدم من ولده شيئا فاخبر

الطبراني عن ابن عباس وابن عساكر عن جابر انه صلى الله عليه وسلم لما آخى بين أصحابه ولم يؤاخ بين
علي وبين أحد غضب فذهب الى المسجد فذكر نحو حديث الصحيح قال الحافظ ويمتنع الجمع بينهما
لان المؤاخاة كانت أول ماقدم المدينة ودخول علي على فاطمة بعد ذلك بمدة ومافي الصحيح أصح
انتهى ولم يظهر من تعليله امتناع الجمع فانه يمكن بمثل ماجمعوا به بين الحديثين قبله فيكون كناه ثلاث
مرات أولها يوم المؤاخاة في المسجد وثانيها في هذه الغزوة في نخل بني مدلج وثالثها بعد بدر في المسجد لما
غاضب الزهراء وانما يمتنع لو قال في رواية الصحيحين انه أول يوم كناه فيه كما ادعى ابن القيم (وكانت
نسخة الموادعة) بينه صلى الله عليه وسلم وبين بني ضمرة الواقعة في غزوة ودان وذكرها هنا وان كان
الاولى تقديمها ثم كما فعل السهيلي وأتباعه لانه أراد ذكر الغزوات الثلاث على حدة ولم يخش لبس انها
لبني مدلج لتصريح الكتاب أنها لبني ضمرة ولذا أسقط أول قول ابن اسحق وحلفاؤهم من بني ضمرة
(فيما ذكر غير ابن اسحق) كما أفاده السهيلي في الروض (بسم الله الرحمن الرحيم) فيه ندب افتتاح
الكتب بالبسملة فقط وقد جمعت كتبه صلى الله عليه وسلم الى الملوك وغيرهم فوجدت مفتتحة بها دون
حمدلة وغيرها (هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة بانهم) بالباء الموحدة كما هو المنقول في الروض
وغيره ويقع في نسخ فانهم بالفاء وفي توجيهها عسر (آمنون على أموالهم وأنفسهم وأن لهم النصر على
من رامهم) أي قصدهم بسوء بشرط (أن لا يحاربوا) أي يخالفوا (في دين الله) بارادتهم ابطال ماجاء به
الشرع أو المعنى على من قصدهم بريبة منهم أن لا يحاربوا في نصرة دين الله (مابل بحر صوفة) كناية عن
تابيد مناصرتهم اذ معلوم ان ماء البحر لا ينقطع (وان النبي) صلى الله عليه وسلم (اذا دعاهم لنصر أجابوه
عليهم بذلك ذمة الله) بكسر الذال المعجمة أي عهده (و) عهد (رسوله) وفسرها الشامي بأمانه والاول
أولى وفي مقدمة الفتح ذمة الله أي ضمانه وقيل الذمام الامان زاد في الروض ولهم النصر على من بر منهم
واتقى وعلى بمعنى اللام أي لمن بر منهم واتقى النصر منا على عدوهم (قال ابن هشام) عبد الملك
(واستعمل) صلى الله عليه وسلم (على المدينة) في خروجه للعشيرة (أباسلمة) عبد الله (بن عبد الاسد)
بسين ودال مهملتين المخزومي البدري أحد السابقين

(ثم غزوة بدر الاولى)

(قال ابن اسحق ولما رجع عليه الصلاة والسلام أي من غزوة العشيرة لم يقم الا ليالي) قلائل لا تبلغ
العشر كما هو نص ابن اسحق (وقال ابن حزم بعد العشيرة بعشرة أيام) نقله عنه مغلطاي ونقل الشامي
عنه انه عليه السلام خرج في ربيع الاول على رأس ثلاثة عشر شهرا وهو مبني على أن هذه قبل العشيرة
كما ذهب اليه ابن سعد ورزين وغيرهما وابن اسحق الى أنها بعدها (حتى) غاية للاثبات المستفاد من
نقض النفي بالا فكانه قال استمرت اقامته الى أن (أغار كرز) بضم الكاف وسكون الراء وبالزاي (ابن
جابر الفهري) نسبة الى جده الاعلى فهر بن مالك بن النضر كان من رؤساء المشركين ثم أسلم وصحب
وأمر على سرية واستشهد في غزوة فتح مكة (على سرح المدينة) بفتح السين وسكون الراء وبالحاء
المهملات الابل والمواشي التي تسرح للرعي بالغداة كما في النور والسبل ولعل المراد بالمواشي المال
السائم كما في المختار في الشرح وان كانت المواشي كما في القاموس الابل والغنم وفي العيون السرح مارعوا
من نعمهم ويروى انه أغار عليهم من شعر وفي خلاصة الوفاء سعر كزفر جمع شعير الوادي جبل باصل
حمى أم خالد يهبط منه الى بطن العقيق كان يرعى بها السرح (فخرج صلى الله عليه وسلم حتى بلغ سفوان
بفتح المهملة و) فتح (الفاء) وبالنون (موضع من ناحية بدر) ذكره في النهاية وتبعه السمهودي فقال
سفوان بفتحات واد من ناحية بدر وقيل القاسا كنة (ففاته كرز بن جابر وتسمى بدرا الاولى قال ابن

هشام

ان هذا هو الرقوب اذ لم
يحصل له من ولده من
الاجر ماحصل لمن قدم
منهم فرطا وهذا لا ينافي
ان يسمى من لم يولد له
رقوبا ومثله قوله صلى الله
عليه وسلم ماتعدون
المفلس فيكم قالوا من
لا درهم له ولا متاع قال
المفلس من يأتي يوم
القيامة بحسنات أمثال
الجبال ويأتي وقد لطم
هذا وضرب هذا وسفك
دم هذا فيأخذ هذا من
حسناته وهذا من
حسناته الحديث ومثله
قوله ليس المسكين بهذا
الطواف الذي ترده اللقمة
واللقمتان والتمرة
والتمرتان ولكن
المسكين الذي لا يسأل
الناس ولا يتفطن له
فيتصدق عليه وهذه
الساعة هي آخر ساعة
بعد العصر يعظمها جميع
أهل الملل وعند أهل
الكتاب هي ساعة
الاجابة وهذا مما لا غرض
لهم في تبديله وتحريفه
وقد اعترف به مؤمنهم
* وأما من قال بتنقلها
فرام الجمع بذلك بين
الاحاديث كما قيل ذلك
في ليلة القدر وهذا ليس
بقوي فان ليلة القدر قد
قال فيها النبي صلى الله
عليه وسلم فالتمسوها في
خامسة تبقى في سادسة

هشام واستعمل على المدينة زيد بن حارثة وحمل اللواء) وكان أبيض كما في الشامية (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) فرجع ولم يلق كيدا

*(ثم سرية أمير المؤمنين عبد الله بن جحش) * بن رياب براء مكسورة فتحتية فموحدة ابن معمر الاسدي أحد السابقين البدري وهاجر الى الحبشة واستشهد باحد وروى أبو القاسم البغوي عن سعد ابن أبي وقاص بعثنا صلى الله عليه وسلم في سرية وقال لابعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش فكان أول أمير في الاسلام قال اليعمري سمي في هذه السرية أمير المؤمنين وقال غيره سماه صلى الله عليه وسلم أمير المؤمنين فهو أول من تسمى به في الاسلام ولا ينافيه القول بان أول من تسمى به عمر لان المراد من الخلفاء أو على العموم وهذا على من معه (في رجب) عند الاكثر وقطع به الحافظ في سيرته وفي الفتح وقيل في جمادى الآخرة (على رأس سبعة عشر شهرا وكان معه ثمانية) كما رواه ابن اسحق وسماهم فقال أبو حذيفة بن عتبة العبشمي وعكاشة بن محصن الاسدي وعتبة بن غزوان وسعد بن أبي وقاص وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله وخالد بن البكير وسهيل ابن بيضاء (وقيل اثنا عشر) فزيد عامر بن اياس والمقداد بن عمرو وصفوان بن بيضاء فلعل القائل بالثاني عد الامير منهم وهو ظاهر قول الحافظ في كتاب العلم وكانوا اثني عشر رجلا انتهى وزيادة بعضهم وجابر السلمي خطأ لانه انصاري وقد قال المؤلف كغيره (من المهاجرين) زاد ابن سعد ليس فيهم من الانصار أحد يعتقب كل اثنين منهم بعيرا (الى نخلة على ليلة من مكة) بين مكة والطائف وفي المعجم نخلة على يوم وليلة من مكة وهي التي ينسب اليها بطن نخلة التي استمعه الجن فيها روى ابن اسحق عن عروة مرسلا ووصله الطبراني باسناد حسن من حديث جندب البجلي أنه صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وكتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما أمره به ولا يستكره من أصحابه أحدا فلما سار يومين فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم فقال سمعا وطاعة وأخبر أصحابه انه نهاه أن يستكره أحدا منهم فلم يتخلف منهم أحد وسلك على الحجاز حتى اذا كان ببحران بفتح الموحدة وضمها أضل سعد وعتبة بعيرهما الذي كانا يعتقبان عليه فتخلفا في طلبه ومضى عبد الله وأصحابه حتى نزل بنخلة (يرتصد قريشا فمرت به عيرهم تحمل زبيبا وأدما) بفتح الهمزة والدال أي جلود زاد ابن القيم وغيره وتجارة من تجارة قريش أي مالا من أموالهم وفي الفتح لقوا أناسا من قريش راجعين بتجارة من الشام (فيها عمرو بن الحضرمي) بمهملة ومعجمة ساكنة واسمه عبد الله بن عباد أو ابن عمار له عمرو وهذا وعامر والعلاء وأختهم الصعبة أسلم والعلاء كان من أفاضل الصحابة وكذا الصعبة وهي أم طلحة بن عبيد الله وفيها أيضا عثمان ونوفل ابنا عبد الله المخزوميان والحكم بن كيسان فنزلوا قريبهم فهابوهم فارشدهم عبد الله الى ما يزيل فزعهم فحلق عكاشة رأسه وقيل واقد وأشرف عليهم فلما رأوهم أمنوا وقالوا عمار بضم العين وشد الميم أي معتمرون لا باس عليكم منهم فقيدوا ركابهم وسرحوها وصنعوا طعاما (فتشاور المسلمون وقالوا نحن في آخر يوم من رجب) ويقال أول يوم من شعبان وقيل في آخر يوم من جمادى الآخرة وفي الاستيعاب الاكثر أن سرية عبد الله في غرة رجب الى نخلة وفيها قتل ابن الحضرمي لليلة بقيت من جمادى الآخرة قال البرهان وهو تباين ولعله غلط من الناسخ صوابه لليلة بقيت من رجب فيتفق الكلامان مع تاويل أي قوله في غرة رجب وقوله بقيت من رجب على ما صوب مع تاويل اليوم بالليلة لقربها منه أو الليلة باليوم وقد يقال لا تباين ولا غلط بل هو اشارة للشك الذي وقع لهم في حديث جندب عند الطبراني وغيره لم يدروا أذلك اليوم من رجب

تبقى في سابعة تبقى في تاسعة تبقى ولم يجئ مثل ذلك في ساعة الجمعة وأيضا فالاحاديث التي في ليلة القدر ليس فيها حديث صريح بأنها ليلة كذا وكذا بخلاف أحاديث ساعة الجمعة فظهر الفرق بينهما * وأما قول من قال انها رفعت فهو نظير قول من قال انها رفعت ليلة القدر وهذا القائل ان أراد انها كانت معلومة فرفع علمها عن الامة فيقال له لم يرفع علمها عن كل الامة وان رفع عن بعضهم وان أراد أن حقيقتها وكونها ساعة اجابة رفعت فقول باطل مخالف للاحاديث الصحيحة الصريحة فلا يعول عليه والله أعلم * الحادية والعشرون ان فيه صلاة الجمعة التي خصت من بين سائر الصلوات المفروضات بخصائص لا توجد في غيرها من الاجتماع والعدد المخصوصات واشتراط الاقامة والاستيطان والجهر بالقراءة وقد جاء من التشديد فيها ما لم يات نظيره الا في صلاة العصر ففي السنن الاربعة من حديث أبي الجعد الضمري وكانت له صحبة أن رسول الله صلى

أومن جمادى وحاصله انهم شكوا فى اليوم أهو من الشهر الحرام أم لا (فان قتلناهم هتكنا حرمة الشهر الحرام (وان تركناهم الليلة دخلوا حرم مكة) فامتنعوا به منا ثم شجعوا أنفسهم عليهم (فاجمعوا على قتلهم) أى قتل من قدروا عليه منهم كما فى الرواية (فقتلوا عمرا) الحضرمى وفيه تجوز لانه لما كان برضاهم نسب اليهم والا فالقاتل له كما فى الرواية واقد بن عبد الله رماه بسهم فقتله (واستأسروا) أى أسروا (عثمان بن عبد الله) بن المغيرة المخزومى (والحكم بن كيسان) بفتح الكاف وسكون التحتية وسين مهملة ونون روى الواقدى عن المقداد قال أنا الذى أسرت الحكم فاراد واقتله فاسلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهرب من هرب) وسمى فى الرواية منهم نوفل بن عبد الله (واستاقوا العير) أى ساقوها فالمجرد والمزيد بمعنى كما فى القاموس أى أخذوها (فكانت أول غنيمة فى الاسلام) قال فى الفتح وأول قتل وقع فى الاسلام (فقسمها ابن جحش) بين أصحابه (وعزل الخمس من ذلك) باجتهاد منه لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قبل ان يفرض) الخمس كما رواه ابن اسحق عن بعض آل عبد الله قال ابن سعد فكان أول خمس خمس فى الاسلام (ويقال بل قدموا بالغنيمة كلها) المدينة فقسمها صلى الله عليه وسلم بعد بدر يقال تسلمها منهم وخمسها ثم قسمها عليهم ولم يحكه لمنابذته للمروى عند ابن اسحق والطبرانى بلفظ فقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما أمرتكم بقتال فى الشهر الحرام فاخر الاسيرين والغنيمة) لتوقفه فى حل ذلك وأبى أن يأخذ شيأ من ذلك وفيه أن شرع من قبلنا شرع لنا حتى يرد ناسخ قال فى الرواية فلما قال صلى الله عليه وسلم ذلك سقط فى أيدى القوم وظنوا انهم هلكوا وعنفهم اخوانهم فيما صنعوا (حتى رجع من بدر فقسمها مع غنائمها) على غانميها فقط لا انه خلطها مع غنائم بدر وعم بها الجميع وذكر ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم رد الغنيمة وودى القتيل قال ابن القيم والمعروف فى السير خلافه (وتكلمت قريش ان محمدا سفك الدماء وأخذ المال) أى أمر بهما (فى الشهر الحرام) أوهو حقيقة بان علموا أوظنوا وأخذه عليه السلام الغنيمة من أصحابه زاد ابن اسحق فى روايته وأسر فيه الرجال فقال من يرد عليهم من المسلمين ممن كانوا بمكة انما أصابوا ما أصابوا فى شعبان وقالت يهود تفاءل بذلك عليه صلى الله عليه وسلم عمرو بن الحضرمى قتله واقد بن عبد الله عمرو عمرت الحرب والحضرمى حضرت الحرب وواقد وقدت الحرب فجعل الله ذلك عليهم لا لهم (فانزل الله تعالى) بعد أن أكثر الناس القول (يسألونك) قال البيضاوى أى الكفار بعثوا يعيرون وقيل أصحاب السرية (عن الشهر الحرام قتال فيه) بدل اشتمال (الآية) قال فى الرواية ففرج الله عن المسلمين وأهل السرية ما كانوا فيه ولكنهم ظنوا أنه انما نفى عنهم الاثم فلا أجر لهم فطمعوا فيه فقالوا يا رسول الله أنطمع أن تكون لنا غزوة نعطى فيها أجر المجاهدين وفى رواية ان لم يكونوا أصابوا وزرا فلا أجر لهم فانزل الله ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم فوضعهم الله تعالى من ذلك على أعظم الرجاء (وفى ذلك يقول عبد الله بن جحش) كما قال ابن هشام وقال ابن اسحق الصديق ورجح البرهان الاول بما فى الاستيعاب عن الزهرى ان أبا بكر لم يقل شعرا فى الاسلام حتى مات فان صح فلا يعارضه كل امرئ مصبح فى اهله البيت لانه تمثل به وانما هو لحنظلة بن سيار كما قاله عمر بن شبة وقد ذكرها ابن اسحق ستة أبيات اقتصر المصنف كاليعمرى على ثلاثة واذكر ما حذفه فقال (تعدون قتلا فى الشهر الحرام عظيمة * وأعظم) أكبر وأشد (منه) من القتل الواقع منا فيه وجملة (لو يرى الرشد راشد *) معترضة وجواب لو محذوف أى لعلم ان فعلكم اعظم (صدودكم) خبر أعظم (عما يقول محمد * وكفر

الله عليه وسلم قال من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه قال الترمذى حديث حسن وسألت محمدا عن اسم أبى الجعد الضمرى فلم يعرف اسمه وقال لا أعرف له عن النبى صلى الله عليه وسلم الا هذا الحديث وقد جاء فى السنن عن النبى صلى الله عليه وسلم الامر لمن تركها أن يتصدق بدينار فان لم يجد فنصف دينار رواه أبو داود والنسائى من رواية قدامة بن وبرة عن سمرة ابن جندب ولكن قال أحمد قدامة بن وبرة لا يعرف وقال يحيى بن معين ثقة وحكى عن البخارى انه لا يصح سماعه من سمرة وأجمع المسلمون على ان الجمعة فرض عين الا قولا يحكى عن الشافعى انها فرض كفاية وهذا غلط عليه منشؤه انه قال وأما صلاة العيد فتجب على كل من تجب عليه صلاة الجمعة فظن هذا القائل ان العيد لما كانت فرض كفاية كانت الجمعة كذلك وهذا فاسد بل هذا نص من الشافعى ان العيد واجب على الجميع وهذا يحتمل أمرين أحدهما أن يكون فرض عين كالجمعة وان يكون

به والله راء وشاهد *) جملة حالية والثالث والرابع

وأخراجكم من مسجد الله أهله * لئلا يرى لله في البيت ساجد

فانا وان عيرتمونا بقتله * وارجف بالاسلام باغ وحاسد

(سقينا من) عمرو (بن) عبد الله (الحضرمى رماحنا * بنخلة لما) حين (أوقد الحرب واقد) ابن عبد الله التميمى برميه ابن الحضرمى بسهم قتله به ومفعول سقينا الثانى دما فى البيت السادس وهو

دما وابن عبد الله عثمان بيننا * ينازعه غل من القيد قاعد

وغل بضم المعجمة طوق من حديد يجعل فى العنق وأما بكسرها فالحقد كما فى المصباح ولم يذكر الناظم الحكم مع انه أسير أيضا لجواز أنه بعد اسلامه أو قبله وصرفه الله عن ذلك لعلمه بأنه من السعداء الشهداء (و بعثت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى فداء الاسيرين وهما عثمان بن عبد الله) المخزومى (والحكم بن كيسان) فقال صلى الله عليه وسلم لا نفديكموهما حتى يقدم صاحبانا يعنى سعدا وعتبة فانا نخشاكم عليهما فان تقتلوهما نقتل صاحبيكم فقدم سعد وعتبة بعدهم بأيام (ففداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم) كل واحد بأربعين أوقية كما فى الشامية (فأما الحكم) بن كيسان مولى عمرو المخزومى والد أبى جهل (فاسلم وحسن اسلامه وأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل يوم بئر معونة شهيدا) ذكره ابن اسحق وابن عقبة وعروة بن الزبير وروى الهيثم بن عدى عن يونس عن ابن عباس وعن أبى بكر بن أبى جهم قال تزوج الحكم بن كيسان مولى بنى مخزوم وكان حجاما آمنة بنت عفان أخت عثمان وكانت ماشطة ذكره فى الاصابة (وأما عثمان فلحق بمكة فمات بها كافرا) ومن يضلل الله فلا هادى له

(تحويل القبلة وفرض رمضان وزكاة الفطر)

(ثم حولت القبلة) أى الاستقبال لا ما يستقبله المصلى اذ لا يتعلق به تحويل أو حول أى غير وجوب استقبال المقدس (الى الكعبة) الترتيب ذكرى لا زمانى فلا يرد عليه جزمه ان السرية على رأس سبعة عشر شهرا فى رجب وحكايته الخلاف الآتى فى التحويل (وكان صلى الله عليه وسلم يصلى الى) صخرة (بيت المقدس) التى كان موسى يصلى اليها بحذاء الكعبة وهى قبلة الانبياء كلهم نقله القرطبى عن بعضهم وأخرج ابن سعد عن محمد بن كعب القرظى قال ما خالف نبى نبيا فى قبلة ولا سنة الا أنه صلى الله عليه وسلم استقبل بيت المقدس ثم تحول الى الكعبة وروى أبو داود فى الناسخ والمنسوخ عن الحسن فى قوله تعالى ان أول بيت وضع للناس الآية قال أعلم قبلته فلم يبعث نبى الا وقبلته البيت وهذا قواه الحافظ العلائى فقال فى تذكرته الراجح عند العلماء أن الكعبة قبلة الانبياء كلهم كما دلت عليه الآثار قال بعضهم وهو الاصح انتهى واختار ابن العربى وتلميذه السهيلى ان قبلة الانبياء بيت المقدس قال بعض وهو الصحيح المعروف فعد صاحب الانموذج من خصائص المصطفى وأمته استقبال الكعبة انما هو على أحد القولين المرجحين نعم ذكر فيما اختص به على جميع الانبياء والمرسلين ان الله جمع له بين القبلتين صلى الله عليه وسلم (بالمدينة) حال (ستة عشر) شهرا كما رواه مسلم عن أبى الاحوص والنسائى عن زكريا بن أبى زائدة وشريك وأبو عوانة عن عمار بن رزيق بتقديم الراء مصغرا أربعتهم عن أبى اسحق عن البراء بن عازب جزما ورواه أحمد بسند صحيح عن ابن عباس ورجحه النووى فى شرح مسلم وفى رواية زهير عند البخارى واسرائيل عنده وعند الترمذى عن أبى اسحق عن البراء ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا بالشك (وقيل سبعة عشر) شهرا رواه البزار والطبرانى من حديث عمرو بن عوف والطبرانى أيضا من حديث ابن عباس وهو قول ابن المسيب ومالك وابن اسحق قال القرطبى

فرض كفاية فان فرض الكفاية يجب على الجميع كفرض الاعيان سواء وانما يختلفان بسقوطه عن البعض بعد وجوبه بفعل الآخرين * الثانية والعشرون ان فيه الخطبة التى يقصد بها الثناء على الله وتمجيده والشهادة له بالوحدانية ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالرسالة وتذكير العباد بأيامه وتحذيرهم من بأسه ونقمته ووصيتهم بما يقربهم اليه والى جنانه ونهيهم عما يقربهم من سخطه وناره فهذا هو مقصود الخطبة والاجتماع لها * الثالثة والعشرون انه اليوم الذى يستحب ان يتفرغ فيه للعبادة وله على سائر الايام مزية بانواع العبادات واجبة ومستحبة فالله سبحانه جعل لاهل كل ملة يوما يتفرغون فيه للعبادة ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا فيوم الجمعة يوم عبادة وهو فى الايام كشهر رمضان فى الشهور وساعة الاجابة فيه كليلة القدر فى رمضان ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم سلمت له سائر جمعته ومن صح له رمضان وسلم سلمت له سائر سنته ومن صحت له

وهو الصحيح قال الحافظ والجمع بينهما سهل بأن من جزم بستة عشر لفق من شهر القدوم وشهر التحويل
شهرا والغى الايام الزائدة ومن جزم بسبعة عشر عدهما معا ومن شك تردد في ذلك وذلك ان القدوم كان
في شهر ربيع الاول بلا خلاف وكان التحويل في نصف شهر رجب من السنة الثانية على الصحيح وبه
جزم الجمهور ورواه الحاكم بسند صحيح عن ابن عباس وقال ابن حبان سبعة عشر شهرا وثلاثة أيام وهو
مبني على ان القدوم كان في ثاني ربيع الاول انتهى قال البرهان ويمكن أن هذا مراد من قال سبعة عشر
بالغاء الكسر (وقيل ثمانية عشر شهرا) رواه ابن ماجه من طريق أبي بكر بن عياش عن أبي اسحق عن
البراء قال الحافظ وهو شاذ وأبو بكر سيئ الحفظ وقد اضطرب فيه فعند ابن جرير من طريقه في رواية
سبعة عشر وفي أخرى ستة عشر قال ومن الشذوذ أيضا رواية ثلاثة عشر شهرا ورواية تسعة أشهر
أو عشرة أشهر ورواية شهرين ورواية سنتين ويمكن حمل الاخيرة على الصواب وأسانيد الجميع
ضعيفة والاعتماد على الثلاثة الاول فجملة ما حكى تسع روايات انتهى وكأنه لم يعد رواية
الشك والا كانت عشرة وكذا لم يعدها البرهان وعد الاقوال عشرة فزاد القول بأنه بضعة عشر
شهرا ولم يعده الحافظ لانه يمكن تفسيره بكل ما زاد على العشرة (وقال) ابراهيم (الحربي قدم عليه
الصلاة والسلام المدينة في ربيع الاول فصلى الى بيت المقدس تمام السنة وصلى من سنة اثنتين ستة
أشهر ثم حولت القبلة) وهذا محتمل لكون المراد ان مدة الصلاة لبيت المقدس دون ستة عشر ولذا قال
في النور هذا كاد أن يكون قولا انتهى ومحتمل لان يكون مراده ستة عشر بشهر القدوم (وقيل كان
تحويلها في جمادى) الآخرة وبه جزم ابن عقبة (وقيل كان يوم الثلاثاء في نصف شعبان) قاله محمد بن
حبيب وجزم به في الروضة مع ترجيحه في شرح مسلم رواية ستة عشر شهرا للجزم بها في مسلم كما قال
الحافظ ولا يستقيم انه في شعبان الا بالغاء شهري القدوم والتحويل انتهى نعم هو يوافق رواية سبعة
عشر بتلفيق واحد من شهري القدوم والتحويل والقول الشاذ بانه ثمانية عشر بالغاء الكسر واعتبار
شهري التحويل والقدوم (وقيل يوم الاثنين نصف رجب) رواه أحمد عن ابن عباس باسناد صحيح
قال الواقدي وهذا أثبت قال الحافظ وهو الصحيح وبه جزم الجمهور كما مر وهو صالح لروايتي ستة عشر
وسبعة عشر والشك فالحاصل في الشهر ثلاثة أقوال وفي اليوم قولان (وظاهر حديث البراء) بتخفيف
الراء والمد على الاشهر ابن عازب الانصاري الاوسي الصحابي ابن الصحابي (في البخاري انها) أي
الصلاة التي وقع فيها التحويل (كانت صلاة العصر) لقوله وانه أي النبي صلى الله عليه وسلم صلى
أول صلاة صلاها صلاة العصر أي متوجها الى الكعبة (ووقع عند النسائي من رواية أبي سعيد بن
المعلى) بضم الميم وفتح المهملة وشد اللام صحابي جليل اسمه سعيد وقيل رافع ووهاه ابن عبد البر وقوى
الاول (انها الظهر) وكذا عند الطبراني والبزار من حديث انس وعند ابن سعد حولت في صلاة الظهر
أو العصر وجمع الحافظ فقال في كتاب الايمان التحقيق ان أول صلاة صلاها في بني سلمة لما مات بشر بن
البراء بن معرور الظهر وأول صلاة صلاها بالمسجد النبوي العصر (وأما أهل قباء فلم يبلغهم الخبر الى
صلاة الفجر) أي الصبح (من اليوم الثاني) وقال في كتاب الصلاة لا منافاة بين الخبرين لان الخبر
وصل وقت العصر الى من هو داخل المدينة وهم بنو حارثة ووصل وقت الصبح الى من هو خارجها
وهم أهل قباء (كما في الصحيحين) البخاري في الصلاة والتفسير ومسلم في الصلاة وكذا النسائي (عن
ابن عمر) بن الخطاب (انه قال بينا الناس) المعهودون في الذهن (بقباء) بالمد والتذكير والصرف على
الاشهر ويجوز القصر وعدم الصرف ويؤنث موضع معروف ظاهر المدينة وفيه مجاز الحذف أي بمسجد
قباء (في صلاة الصبح) ولمسلم في صلاة الغداة وهو أحد أسمائها ونقل بعضهم كراهة تسميتها بذلك

مسجده وسلمت له صحت له
سائر عمره فيوم الجمعة
ميزان الاسبوع ورمضان
ميزان العام والحج ميزان
العمر وبالله التوفيق
* الرابعة والعشرون انه
لما كان في الاسبوع
كالعيد في العام وكان
العيد مشتملا على صلاة
وقربان وكان يوم الجمعة
يوم صلاة جعل الله
سبحانه التعجيل فيه
الى المسجد بدلا من
القربان وقائما مقامه
فيجتمع للرائح فيه الى
المسجد الصلاة والقربان
كما في الصحيحين عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه
قال من راح في الساعة
الاولى فكأنما قرب بدنة
ومن راح في الساعة
الثانية فكأنما قرب بقرة
ومن راح في الساعة
الثالثة فكأنما قرب
كبشا وقد اختلف
الفقهاء في هذه الساعة
على قولين أحدهما انها
من أول النهار وهذا هو
المعروف في مذهب
الشافعي وأحمد وغيرهما
والثاني انها أجزاء من
الساعة السادسة بعد
الزوال وهذا هو المعروف
في مذهب مالك واختاره
بعض الشافعية واحتجوا
عليه بحجتين احداهما
ان الرواح لا يكون الا بعد
الزوال وهو مقابل الغدو

(اذجاءهم آت) قال الحافظ لم يسم وان كان ابن طاهر وغيره نقلوا أنه عباد بن بشر ففيه نظر لان ذلك انما ورد في حق بني حارثة في صلاة العصر فان كان ما نقلوه محفوظا فيحتمل ان عبادا أتى بني حارثة أولا وقت العصر ثم توجه الى أهل قباء فاعلمهم بذلك في الصبح ومما يدل على تعددهما ان مسلما روى عن أنس أن رجلا من بني سلمة مر وهم ركوع في صلاة الفجر فهذا موافق لرواية ابن عمر في تعيين الصلاة وبنو سلمة غير بني حارثة انتهى وكون مخبر بني حارثة عباد بن بشر رواه ابن منده وابن أبي خيثمة وقيل عباد بن نهيك بفتح النون وكسر الهاء ورجح أبو عمر الاول وقيل عباد بن نصر الانصاري قال الحافظ والمحفوظ عباد بن بشر انتهى وقيل عباد بن وهب قال البرهان ولا أعرفه في الصحابة الا أن يكون نسب الى جده أو جد له أعلى أو الى خلاف الظاهر انتهى (فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم) أسقط من الحديث ما لفظه قد أنزل عليه الليلة قرآن قال الحافظ فيه اطلاق الليلة على بعض اليوم الماضي وما يليه مجازا والتنكير لارادة البعضية والمراد قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء الآية و(قد أمر) بضم الهمزة مبنيا للمفعول (أن) أي بأن (يستقبل) بكسر الموحدة أي باستقبال (الكعبة فاستقبلوها) بفتح الموحدة عند أكثر رواة الصحيحين على أنه فعل ماض أي تحول أهل قباء الى جهة الكعبة (وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة) وضمير استقبلوها ووجوههم لاهل قباء ويحتمل انه للنبي صلى الله عليه وسلم ومن معه وفي رواية الاصيلي للبخاري والعذري لمسلم فاستقبلوها بكسر الموحدة بصيغة الامر قال الحافظ وفي ضمير وجوههم الاحتمالان المذكوران وعوده الى أهل قباء أظهر وترجح رواية الكسر رواية البخاري في التفسير بلفظ وقد أمر ان يستقبل الكعبة ألا فاستقبلوها فدخول حرف الاستفتاح يشعر بأن الذي بعده أمر لا انه بقية الخبر الذي قبله انتهى وفي النور أن بعض الحفاظ قال الكسر أفصح وأشهر وهو الذي يقتضيه تمام الكلام بعده (وفي هذا) الحديث من الفوائد (أن الناسخ لا يلزم حكمه الا بعد العلم به وان تقدم نزوله لانهم لم يؤمروا باعادة العصر والمغرب والعشاء) زاد الحافظ واستنبط منه الطحاوي أن من لم تبلغه الدعوة ولم يمكنه استعلام فالفرض غير لازم له وفيه جواز الاجتهاد في زمنه صلى الله عليه وسلم لانهم لما تمادوا في الصلاة ولم يقطعوها دل على أنه رجح عندهم التمادي والتحول على القطع والاستئناف ولا يكون ذلك الا عن اجتهاد كذا قيل وفيه نظر لاحتمال أن عندهم في ذلك يقينا سابقا لانه عليه السلام كان مترقبا للتحويل فلا مانع من تعليمهم ما صنعوا من التمادي والتحول وفيه قبول خبر الواحد ووجوب العمل به ونسخ ما تقرر بطريق العلم به لان صلاتهم الى بيت المقدس كانت عندهم بطريق القطع لمشاهدتهم صلاته صلى الله عليه وسلم اليه وتحولوا الى جهة الكعبة بخبر هذا الواحد وأجيب بان الخبر المذكور احتفت به قرائن ومقدمات أفادت العلم عندهم بصدق المخبر فلم ينسخ عندهم ما يفيد العلم الا بما يفيد العلم وقيل كان النسخ بخبر الواحد جائزا في زمنه صلى الله عليه وسلم مطلقا وانما منع بعده ويحتاج الى دليل انتهى (وروى الطبري) محمد بن جرير من طريق علي بن أبي طلحة (عن ابن عباس) قال (لما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود أكثر أهلها يستقبلون) خبر ثان لليهود أو لمبتدا محذوف أي وهم يستقبلون (بيت المقدس أمره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس) ليجمع له بين القبلتين كما عده السيوطي من خصائصه على الانبياء والمرسلين وتأليفا لليهود كما قال أبو العالية (ففرحت اليهود) لظنهم أنه استقبله اقتداء بهم مع انه انما كان لامر ربه (فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم) وعند الطبري أيضا من طريق مجاهد عن ابن عباس قال انما أحب أن يتحول الى الكعبة لان اليهود قالوا يخالفنا محمد ويتبع قبلتنا وعند ابن

الذي لا يكون الا قبل الزوال قال تعالى غدوها شهر ورواحها شهر قال الجوهري لا يكون الا بعد الزوال الحجة الثانية ان السلف كانوا أحرص شئ على الخير ولم يكونوا يغدون الى الجمعة من وقت طلوع الشمس وأنكر مالك التبكير اليها في أول النهار وقال لم ندرك عليه أهل المدينة واحتج أصحاب القول الاول بحديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة اثنا عشر ساعة قالوا والساعات المعهودة هي الساعات التي هي اثنا عشر ساعة وهي نوعان ساعات معتدلة وساعات زمانية قالوا ويدل على هذا القول ان النبي صلى الله عليه وسلم انما بلغ بالساعات الى ست ولم يزد عليها ولو كانت الساعة أجزاء صغارا من الساعة التي تفعل فيها الجمعة فلم تنحصر في ستة أجزاء بخلاف ما اذا كان المراد بها الساعات المعهودة فان الساعة السادسة متى خرجت ودخلت السابعة خرج الامام وطويت الصحف ولم يكتب لاحد قربان بعد ذلك كما جاء مصرحا به في سنن أبي داود من حديث

سعدانه صلى الله عليه وسلم قال ياجبريل وددت ان الله صرف وجهى عن قبلة يهود فقال جبريل انما انا عبد فادع ربك وسله وعند السدى فى الناسخ والمنسوخ عن ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يصلى قبل الكعبة لانها قبلة آبائه ابراهيم واسمعيل فقال لجبريل وددت أنك سألت الله أن يصرفنى الى الكعبة فقال جبريل لست أستطيع أن أبتدئ الله عز وجل بالمسئلة ولكن ان سألنى أخبرته (فكان يدعو) دعاء محبة لذلك بالحال لا بالقال ففى الفتح فيه بيان شرف المصطفى وكرامته على ربه لاعطائه له ما أحب من غير تصريح بالسؤال وعليه فالعطف تفسيرى فى قوله (وينظر الى السماء) ينتظر جبريل ينزل عليه كما عند السدى وغيره ولانها قبلة الداعى (فنزلت الآية) يعنى قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام و بقية حديث ابن عباس هذا عند ابن جرير فارتاب فى ذلك اليهود وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها فأنزل الله قل لله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله (قال فى فتح البارى) فى كتاب الصلاة (وظاهر حديث ابن عباس هذا أن استقبال بيت المقدس انما وقع بعد الهجرة الى المدينه لكن أخرج أحمد من وجه آخر عن ابن عباس) قال (كان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه) فحصل تخالف بين حديثيه اذ مقتضى الاول انه انما أمر به فى المدينة وهذا صريح فى انه كان بمكة (قال) يعنى فى الفتح (والجمع بينهما ممكن بان يكون أمر) صلى الله عليه وسلم (لما هاجر أن يستمر على الصلاة لبيت المقدس) فالامر بابتداء استقباله كان بمكة والذى بالمدينة باستمراره ثم نسخ باستقبال الكعبة فلم يقع نسخ بيت المقدس الا مرة واحدة (وأخرج الطبرى) محمد بن جرير (أيضا من طريق ابن جريج) بجيمين مصغر عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الاموى مولاهم المكى الثقة الفقيه الحافظ أحد الاعلام مات سنة خمسين ومائة (قال صلى النبى صلى الله عليه وسلم أول ما صلى الى الكعبة ثم صرف الى بيت المقدس وهو بمكة فصلى ثلاث حجج) بكسر المهملة وفتح الجيم الاولى وكسر الثانية منون أى سنين بناء على ان الاسراء قبل الهجرة بخمس سنين أما على انه قبلها بسنة أو نحوها فالمراد ما كان يصليه قبل فرض الخمس (ثم هاجر فصلى اليه بعد قدومه المدينة ستة عشر شهرا ثم وجهه الله الى الكعبة) فهذا الاثر صريح فى الجمع المذكور فلا باس وقوله فى حديث ابن عباس الثانى والكعبة بين يديه يخالف قول البراء عند ابن ماجه صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ثمانية عشر شهرا وصرفت القبلة الى الكعبة بعد دخول المدينة فان ظاهره انه كان يصلى بمكة الى بيت المقدس محضا وحكى الزهرى خلافا فى انه كان بمكة يجعل الكعبة خلف ظهره أو يجعلها بينه وبين بيت المقدس قال الحافظ فعلى الاول كان يجعل الميزاب خلفه وعلى الثانى كان يصلى بين الركنين اليمانيين وزعم ناس انه لم يزل يستقبل الكعبة بمكة فلما قدم المدينة استقبل بيت المقدس ثم نسخ وحمل ابن عبد البر هذا على القول الثانى ويؤيد حمله على ظاهره امامة جبريل ففى بعض طرقه ان ذلك كان عند البيت وفى الفتح أيضا اختلفوا فى الجهة التى كان يصلى الى بيت المقدس لكنه كان لا يستدبر الكعبة بل يجعلها بينه و بين بيت المقدس وأطلق آخرون انه كان يصلى اليها بمكة فقال ابن عباس وغيره كان يصلى الى بيت المقدس وقال آخرون كان يصلى الى الكعبة فلما هاجر استقبل المقدس وهذا ضعيف ويلزم منه دعوى النسخ مرتين والاول أصح لانه يجمع به بين القولين وقد صححه الحاكم وغيره من حديث ابن عباس انتهى ولا يخالفه قول ابن العربى نسخ الله القبلة ونكاح المتعة ولحوم الحمر الاهلية مرتين مرتين ولا أحفظ رابعا وقال أبو العباس العزفى بفتح المهملة والزاى وبالفاء رابعها الوضوء مما مست النار ونظم ذلك السيوطى لان مراد الحافظ ان خصوص نسخ بيت المقدس لم يتكرر وما أثبته ابن العربى النسخ للقبلة فى الجملة يعنى انه أمر باستقبال

على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها الى الاسواق فيرمون الناس بالترابيث أو الربائث ويثبطونهم عن الجمعة وتغدو الملائكة فتجلس على أبواب المساجد فيكتبون الرجل من ساعة والرجل من ساعتين حتى يخرج الامام قال عمر بن عبد البر اختلف أهل العلم فى تلك الساعات فقالت طائفة منهم أراد الساعات من طلوع الشمس وصفائها والافضل عندهم التبكير فى ذلك الوقت الى الجمعة وهو قول الثورى وأبى حنيفة رحمه الله والشافعى رحمه الله وأكثر العلماء يستحب البكور اليها قال الشافعى رحمه الله ولو بكر اليها بعد الفجر وقبل طلوع الشمس كان حسنا وذكر الاثرم قال قيل لاحمد بن حنبل كان مالك بن أنس يقول لا ينبغى التهجير يوم الجمعة باكرا فقال هذا خلاف حديث النبى صلى الله عليه وسلم وقال سبحان الله الى أى شئ ذهب فى هذا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول كالمهدى جزورا قال

الكعبة ثم نسخ باستقبال بيت المقدس ثم نسخ بالكعبة كما هو مدلول كلاميهما ودل عليه أثر ابن جريج (وقوله في حديث ابن عباس الاول أمره الله يرد قول من قال) وهو الحسن البصري (انه صلى الى بيت المقدس باجتهاد) كذا قول الطبري كان مخيرا بينه وبين الكعبة فاختاره طمعا في ايمان اليهود ويرده أيضا سؤاله لجبريل اذ لو كان مخيرا لاختار الكعبة لانه أحبها من غير سؤال قال شيخنا الا أن يقال بعد اختياره وجب عليه لكنه استبعد هذا بجلسه لان فيه تضييقا عليه ولو خير كان كتخييره بين المسح على الخفين وغسل الرجلين والذي عليه الجمهور كما قال القرطبي أنه انما كان بأمر الله ووحيه (وعن أبي العالية) رفيع بضم الراء مصغر بن مهران بكسر الميم الرماحي بكسر الراء وتحتية مولاهم البصري التابعي الكبير أخرجه الجميع (انه صلى الى بيت المقدس يتالف أهل الكتاب) وعن الزجاج امتحانا للمشركين لانهم ألفوا الكعبة (وهذا لا ينفي ان يكون بتوقيف) فقد يكون الامر به لتاليفهم (واختلفوا في المسجد الذي كان يصلي فيه) حين حولت القبلة (فعند ابن سعد في الطبقات أنه) صلى الله عليه وسلم (صلى ركعتين من الظهر في مسجده) النبوي (بالمسلمين ثم أمر ان يتوجه الى المسجد الحرام) أي الكعبة وعبر به كالآية دون الكعبة لانه كما قال البيضاوي كان عليه السلام بالمدينة والبعيد يكفيه مراعاة الجهة فان استقبال عينها أي للبعيد حرج عليه بخلاف القريب (فاستدار اليه ودار معه المسلمون) فصلى بهم ركعتين أخريين لان الظهر كانت يومئذ أربعا فثنتان منها لبيت المقدس وثنتان للكعبة ووقع التحويل في ركوع الثالثة كما في النور فجعلت كلها ركعة للكعبة مع أن قيامها وقراءتها وابتداء ركوعها للقدس لانه لا اعتداد بالركعة الا بعد الرفع من الركوع ولذا يدركها المسبوق قبله (ويقال انه عليه السلام زار أم بشر بن البراء بن معرور) بمهملات يقال اسمها خليدة كما في التجريد (في بني سلمة) بكسر اللام والنسبة اليها بفتحها على المشهور وفي الالفية * والسلمي افتحه في الانصاري * وفي اللب كسرها المحدثون في النسبة أيضا (فصنعت له طعاما وكانت) أي وجدت (الظهر) أي دخل وقتها فكان تامة لكن المذكور في الفتح الذي هو ناقل عنه وكذا العيون والسبل عن ابن سعد بلفظ وحانت الظهر بمهملة أي دنا وقتها (فصلى عليه السلام باصحابه ركعتين ثم أمر) باستقبال الكعبة في ركوع الثالثة (فاستداروا الى الكعبة) بان تحول الامام من مكانه الذي كان يصلي فيه الى مؤخره فتحولت الرجال حتى صاروا خلفه وتحولت النساء حتى صرن خلف الرجال ولا يشكل بانه عمل كثير لاحتمال أنه قبل تحريمه فيها كالكلام أو اغتفر هذا العمل للصلحة أو لم تتوال الخطا عند التحويل بل وقعت متفرقة (فسمي مسجد القبلتين) لنزول النسخ وتحويله عليه السلام فيه ابتداء فلا يرد ان التحويل وقع في مسجدي قباء وبني حارثة ولم يسميا بذلك وأيضا فحكمة التسمية لا يلزم اطرادها (قال ابن سعد قال الواقدي هذا عندنا أثبت) من القول الاول ان التحويل وقع في المسجد النبوي (ولما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار) المشركين من قريش (واليهود ارتياب) شك (وزيغ) ميل (عن الهدى وشك) فيه وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها) على استقبالها في الصلاة (أي ما لهؤلاء تارة يستقبلون كذا وتارة يستقبلون كذا) وصريحه أن هذا قول الطوائف الثلاث وبه صرح البيضاوي وسيذكر المصنف مقابله أخيرا (فانزل الله جوابهم في قوله سيقول السفهاء من الناس ماولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها (قل لله المشرق والمغرب) أي الجهات كلها لانهما ناحيتا الارض فيامر بالتوجه الى أي جهة شاء لا اعتراض عليه كما في الجلال فحمله على

وأما مالك رحمه الله فذكر يحيى بن عمر عن حرملة أنه سأل ابن وهب عن تفسير هذه الساعات أهو الغدو من أول ساعات النهار أو انما أراد بهذا القول ساعات الرواح فقال ابن وهب سالت مالكا عن هذا فقال أما الذي يقع بقلبي فانه انما أراد ساعة واحدة تكون فيها هذه الساعات من راح من أول تلك الساعة أو الثانية أو الثالثة أو الرابعة أو الخامسة أو السادسة ولو لم يكن كذلك ما صليت الجمعة حتى يكون النهار تسع ساعات في وقت العصر أو قريبا من ذلك وكان ابن حبيب ينكر قول مالك هذا ويميل الى القول الاول وقال قول مالك هذا تحريف في تاويل الحديث ومحال من وجوه وقال يدلك انه لا يجوز ساعات في ساعة واحدة أن الشمس انما تزول في الساعة السادسة من النهار وهو وقت الاذان وخروج الامام الى الخطبة فدل ذلك على أن الساعات في هذا الحديث هي ساعات النهار المعروفات فبدأ باول ساعات النهار فقال من راح في الساعة الاولى فكأنما قرب بدنة ثم قال

الحقيقة وجهله المصنف على المجاز فقال (أي الحكم والتصرف والامر كله لله) لا يسئل عما يفعل (فحيثما وجهنا توجهنا) والطاعة في امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصريفه و (نحن) (خدامه حيثما وجهنا توجهنا) وقد قال تعالى ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله تقدم عن ابن عباس أن سبب نزولها انكار اليهود قال السيوطي واسناده قوي فليعتمد وفي سببها روايات أخر ضعيفة (ولله تعالى بنبينا عليه الصلاة والسلام وبأمته عناية) أي رعاية (عظيمة اذ هداهم الى قبلة خليله ابراهيم) وألقى حبها في قلب حبيبه عليه السلام ولم يفعل ذلك بغير أمته بل تركوا على ضلالهم الذي وقعوا فيه مع انها قبلة الانبياء كلهم على أحد القولين كما مر وربما يؤيده الحديث الذي ذكره بقوله (قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أحمد عن عائشة ان اليهود لا يحسدونا على شئ كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله اليها) قال الحافظ يحتمل بأن نص لنا عليه ويحتمل بالاجتهاد ويشهد له أثر ابن سيرين في جمع أهل المدينة قبل قدوم المصطفى فانه يدل على ان أولئك الصحابة اختاروا يوم الجمعة بالاجتهاد ولا يمنع ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم علمه بالوحي وهو بمكة فلم يتمكن من اقامتها ثم قد ورد فيه حديث ابن عباس عند الدارقطني ولذا جمع بهم أول ما قدم المدينة كما حكاه ابن اسحق وغيره وعلى هذا فقد حصلت الهداية للجمعة بجهتي البيان والتوفيق انتهى ملخصا (وضلوا عنها) لانه فرض عليهم يوم من الجمعة وكل الى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم فاختلفوا في أي الايام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة قاله ابن بطال ومال اليه عياض وقواه وقال النووي يمكن انهم أمروا به صريحا فاختلفوا هل يلزم بعينه أم يسوغ ابداله بيوم آخر فاجتهدوا فأخطؤا قال الحافظ ويشهد له ما للطبري عن مجاهد في قوله تعالى انما جعل السبت قال أرادوا الجمعة فأخطؤا وأخذوا السبت مكانه وقد روى ابن أبي حاتم عن السدي التصريح بانه فرض عليهم يوم الجمعة بعينه ولفظه ان الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا وقالوا ياموسى ان الله لم يخلق يوم السبت شيأ فاجعله لنا فجعل عليهم وليس ذلك بعجيب من مخالفتهم كما وقع لهم في قوله تعالى ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وغير ذلك وكيف لا وهم القائلون سمعنا وعصينا انتهى (وعلى القبلة التي هدانا الله اليها) بصريح البيان بالامر المكرر أولا للبيان تساوى حكم السفر وغيره وثانيا للتأكيد (وضلوا عنها) لانهم لم يؤمروا باستقبال الصخرة كما دل عليه هذا الحديث وهو يؤيد ما رواه أبو داود في الناسخ والمنسوخ عن خالد بن يزيد بن معاوية قال لم تجد اليهود في التوراة القبلة ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله على بني اسرائيل رفعه وكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشورة منهم وروى أبو داود أيضا أن يهوديا خاصم أبا العالية في القبلة فقال أبو العالية كان موسى يصلي عند الصخرة و يستقبل البيت الحرام فكانت الكعبة قبلته وكانت الصخرة بين يديه وقال اليهودي بيني وبينك مسجد صالح النبي عليه السلام فقال أبو العالية فاني صليت في مسجد صالح وقبلته الى الكعبة وفي مسجد ذي القرنين وقبلته اليها وفي البغوي في تفسير قوله تعالى واجعلوا بيوتكم قبلة روى ابن جريج عن ابن عباس قال كانت الكعبة قبلة موسى ومن معه انتهى وبه قطع الزمخشري والبيضاوي (وعلى قولنا خلف الامام آمين) فانها لم يعطها أحد ممن كان قبلكم الا هرون فانه كان يؤمن على دعاء موسى كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث أنس عند ابن مردويه وغيره (و) روى ابن اسحق وغيره عن البراء قال (قال بعض المؤمنين) لما حولت القبلة (فكيف صلاتنا التي صليناها نحو بيت المقدس وكيف من مات من اخواننا) من المسلمين قال في الفتح وهم عشرة فبمكة من قريش عبد الله بن شهاب والمطلب بن أزهر الزهريان والسكران بن عمرو العامري وبأرض الحبشة حطاب بالمهملة ابن الحرث الجمحي وعمرو بن أمية الاسدي وعبد الله بن الحرث السهمي

بيضة ثم انقطع التهجير وحان وقت الاذان فشرح الحديث بين في لفظه ولكنه حرف عن موضعه وشرح بالخلف من القول وما لا يكون وزهد شارحه الناس فيما رغبهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من التهجير من أول النهار وزعم ان ذلك كله انما يجتمع في ساعة واحدة قرب زوال الشمس قال وقد جاءت الآثار بالتهجير الى الجمعة في أول النهار وقد سقنا ذلك في موضعه من كتاب واضح السنن بما فيه بيان وكفاية هذا كله قول عبد الملك بن حبيب ثم رد عليه أبو عمر وقال هذا تحامل منه على مالك رحمه الله تعالى فهو الذي قال القول الذي أنكره وجعله خلفا وتحريفا من التأويل والذي قاله مالك تشهد له الآثار الصحاح من رواية الائمة ويشهد له أيضا العمل بالمدينة عنده وهذا مما يصح فيه الاحتجاج بالعمل لانه أمر يتردد كل جمعة لا يخفى على عامة العلماء فمن الآثار التي يحتج بها مالك ما رواه الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أن النبي

وعروة بن عبد العزى وعدى بن نضلة العدويان ومن الانصار بالمدينة البراء بن معرور بمهملات وأسعد ابن زرارة فهؤلاء العشرة متفق عليهم ومات في المدة أيضا اياس بن معاذ الاشهلي لكنه مختلف في اسلامه (وهم يصلون الى بيت المقدس فأنزل الله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم) أي صلاتكم الى بيت المقدس بل يثيبكم عليه لان سبب نزولها السؤال عمن مات قبل التحويل كما ترى قال في الفتح وقع النص على هذا التفسير عند الطيالسي والنسائي عن البراء بلفظ فأنزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم صلاتكم الى بيت المقدس انتهى وبهذا جزم الجلال فلا عليك ممن قال ايمانكم بالقبلة المنسوخة وروى البخاري من طريق زهير عن أبي اسحق عن البراء مات على القبلة قبل ان تحول رجال وقتلوا فلم ندر ما نقول فيهم فأنزل الله وما كان الله ليضيع ايمانكم قال الحافظ وباقي الروايات انما فيها ذكر الموت فقط وكذلك روى أبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم صحيحا عن ابن عباس ولم أجد في شئ من الاخبار ان أحدا قتل من المسلمين قبل تحويل القبلة لكن لا يلزم من عدم الذكر عدم الوقوع فان كانت هذه اللفظة محفوظة فتحمل على ان بعض المسلمين ممن لم يشتهر قتل في تلك المدة في غير جهاد ولم يضبط اسمه لقلة الاعتناء بالتاريخ اذ ذاك ثم وجدت في المغازي رجلا اختلف في اسلامه فقد ذكر ابن اسحق أن سويد بن الصامت لقي النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يلقاه الانصار في العقبة فعرض عليه الاسلام فقال ان هذا القول حسن وانصرف الى المدينة فقتل بها في وقعة بعاث بضم الموحدة واهمال العين ومثلثة وكانت قبل الهجرة قال وكان قومه يقولون لقد قتل وهو مسلم وذكر لي بعض الفضلاء انه يجوز أن يراد من قتل بمكة من المستضعفين كأبوي عمار قلت يحتاج الى ثبوت أن قتلهما بعد الاسراء انتهى (وقيل قال اليهود) مقابل ما فهم من كلامه المتقدم ان ما ولاهم عن قبلتهم صدر عنهم وعن المنافقين والمشركين (اشتاق الى بلد أبيه) مكة (وهو يريد أن يرضي قومه) قريشا (ولو ثبت على قبلتنا لرجونا أن يكون هو النبي الذي ننتظر أن يأتي) وهذا القول نقله في العيون عن السدي وزاد عنه وقال المنافقون ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها وقال كفار قريش تحير على محمد دينه فاستقبل قبلتكم وعلم أنكم أهدى منه ويوشك أن يدخل في دينكم (فانزل الله تعالى) في اليهود (وان الذين أوتوا الكتاب) أي التوراة (ليعلمون انه الحق من ربهم يعني أن اليهود الذين أنكروا استقبالكم الكعبة وانصرافكم عن بيت المقدس يعلمون أن الله تعالى سيوجهك اليها بما في كتبهم عن أنبيائهم) قال السدي وأنزل فيهم ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الآيتين قال أي يعرفون أن قبلة النبي الذي يبعث من ولد اسمعيل قبل الكعبة كذلك هو مكتوب عندهم في التوراة وهم يعرفونه بذلك كما يعرفون أبناءهم وهم يكتمون ذلك وهم يعلمون انه الحق يقول الله تعالى الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أي الشاكين وأنزل الله في المنافقين قل لله المشرق والمغرب وفي المشركين لئلا يكون للناس عليكم حجة (ثم فرض صيام شهر رمضان) ذكر بعضهم حكمة كونه شهرا فقال لما تاب آدم من أكل الشجرة تأخر قبول توبته لما بقي في جسده من تلك الاكلة ثلاثين يوما فلما صفا جسده منها تيب عليه ففرض على ذريته صيام شهر انتهى روى الواقدي عن عائشة وابن عمر وأبي سعيد الخدري قالوا انزل فرض شهر رمضان (بعد ما حولت القبلة الى الكعبة بشهر في شعبان) أي في نصفه بناء على أن التحويل في نصف رجب أو في أوله بناء على أنه في آخر جمادى الآخرة ولا يأتي هنا القول بأنها حولت في نصف شعبان لانه يلزم ان فرض الصوم في نصف رمضان (على رأس) أي أول (ثمانية عشر شهرا من مقدمه عليه السلام) المدينة تقريبا فلا بد من التجوز اما في شهر أو في ثمانية عشر (و) فرضت (زكاة الفطر) في هذه السنة كما في حديث الثلاثة

صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم الجمعة قام على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الناس الاول فالاول فالمهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه كالمهدي بقرة ثم الذي يليه كالمهدي كبشا حتى ذكر الدجاجة والبيضة فاذا جلس الامام طويت الصحف واستمعوا الخطبة قال ألا ترى الى ما في هذا الحديث فانه قال يكتبون الناس الاول فالاول فالمهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة ثم الذي يليه فجعل الاول مهجرا وهذه اللفظة انما هي مأخوذة من الهاجرة والتهجير وذلك وقت النهوض الى الجمعة وليس ذلك وقت طلوع الشمس لان ذلك الوقت ليس بهاجرة ولا تهجير وفي الحديث ثم الذي يليه ثم الذي يليه ولم يذكر الساعة قال والطرق بهذا اللفظ كثيرة مذكورة في التمهيد وفي بعضها المتعجل الى الجمعة كالمهدي بدنة وفي أكثرها المهجر كالمهدي جزورا الحديث وفي بعضها ما يدل على أنه جعل الرائح الى الجمعة في أول الساعة كالمهدي بدنة وفي آخرها كذلك وفي أول

وزاد المؤلف تبعا لما في أسد الغابة (قبل العيد بيومين) وهي كما في حديثهم (ان يخرج عن الصغير والكبير والحر والعبد والذكر والانثى صاع من تمر أو صاع من شعير) بفتح الشين وتكسر (أو صاع من زبيب أو صاع من بر) أي قمح كذا في حديث الثلاثة كرواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عند أبي داود وأحمد والترمذي وحسنه وذكر أبو داود ان عمر بن الخطاب جعل نصف صاع من بر مكان هذه الاشياء وفي الصحيحين ان معاوية هو الذي قوم ذلك وعند الدارقطني عن عمر أمر صلى الله عليه وسلم عمرو ابن حزم بنصف صاع من حنطة ورواه أبو داود والنسائي عن ابن عباس مرفوعا وفيه فقال علي أما اذ وسع الله فاوسعوا اجعلوه صاعا من بر وغيره وبروى صاعا من دقيق ولكنها وهم من سفيان بن عيينة نبه عليه أبو داود (وذلك قبل أن تفرض زكاة الاموال) من جملة حديث عائشة وابن عمر وأبي سعيد (وقيل ان زكاة الاموال فرضت فيها) أي السنة الثانية وقيل بعدها وقيل سنة تسع (وقيل) فرضت زكاة الاموال (قبل الهجرة) حكاه مغلطاي وغيره واعترض بانه لم يفرض بمكة بعد الايمان الا الصلاة كل الفروض بالمدينة وان قيل فرض الحج قبل الهجرة فالصحيح خلافه والاكثر أن فرض الزكاة انما كان بعد الهجرة (والله أعلم) بالصواب من ذلك وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

(باب غزوة بدر العظمى)

(ثم) بعد مجموع ما ذكر (غزوة بدر) أو في العطف تغليب أو الترتيب ذكرى فلا يرد تأخر زكاة الفطر عن وقت بدر (الكبرى) نعت لغزوة لا لبدر (وتسمى العظمى والثانية وبدر القتال) لوقوعه فيها دون الاولى والثالثة وتسمى أيضا بدر الفرقان (وهي قرية مشهورة) بين مكة والمدينة على نحو أربع مراحل من المدينة قاله النووي وفي معجم ما استعجم على ثمانية وعشرون فرسخا من المدينة يذكر ولا يؤنث جعلوه اسم ماء (نسبت الى بدر بن يخلد) بفتح التحتية واسكان الخاء المعجمة وضم اللام غير منصرف للعلمية ووزن الفعل هكذا في نسخة صحيحة وهو المنقول فما في أكثر النسخ كبعض نسخ الفتح مخلد بالميم تحريف من النساخ (ابن النضر) بضاد معجمة جماع قريش ولا يستعمل الا باللام فلا يلتبس بنصر بمهملة لانه بلا لام (ابن كنانة) لانه (كان نزلها) وعلى هذا اقتصر اليعمري وصدر به في الفتح (وقيل بدر بن الحرث حافر بئرها) وبهذا صدر مغلطاي وأسقط الاول قيلا وقيل بدر بن كلدة (وقيل) نسبت القرية الى (بدر) فهو مجرور منون (اسم البئر التي بها سميت) البئر بدرا (لاستدارتها) كبدر السماء (أو) يعني وقيل كما في سيرة مغلطاي سميت البئر بدرا (لصفائها) أي صفاء مائها (ورؤية البدر فيها) وقال ابن قتيبة كانت البئر لرجل يسمى بدرا من غفار وقيل بدر رجل من بني ضمرة وحكى الواقدي انكار ذلك كله عن غير واحد من شيوخ بني غفار وانما هي ماؤنا ومنازلنا وما ملكها أحد قط يقال له بدر وانما هو علم عليها كغيرها من البلاد قال البغوي وهذا قول الاكثر (قال ابن كثير وهو) أي يوم بدر (يوم الفرقان) المذكور في قوله تعالى وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان لان الله فرق فيه بين الحق والباطل قاله ابن عباس رواه ابن جرير وابن المنذر وصححه الحاكم (الذي أعز الله فيه الاسلام) قواه وأظهره (و) قوى (أهله ودمغ) الله (فيه الشرك) أخفاه وأذهب شوكته يقال دمغه كسر عظم دماغه فشبه الشرك بالدماغ المكسورة استعارة بالكناية وأثبت الدمغ له تخييلا أو الاستعارة في الفعل فهي تبعية (وخرب محله) أي أهله الذين كانوا يعظمونه أو خرب الاماكن التي كان ظاهرا فيها والاول أظهر لان تخريب أماكنه انما كان بعد فتح مكة بهدم العزى وتكسير هبل وازالة جميع الاصنام (وهذا) المذكور من عز الاسلام ودمغ الشرك حاصل (مع قلة عدد المسلمين وكثرة العدو) فهو آية ظاهرة على

الساعة الثانية كالمهدي بقرة وفي آخرها كذلك وقال بعض أصحاب الشافعي لم يرد صلى الله عليه وسلم بقوله المهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة الناهض اليها في التهجير والهاجرة وانما أراد التارك لاشغاله وأعماله من اغراض أهل الدنيا للنهوض الى الجمعة كالمهدي بدنة وذلك مأخوذ من الهجرة وهو ترك الوطن والنهوض الى غيره ومنه سمي المهاجرون وقال الشافعي رضي الله عنه أحب التبكير الى الجمعة ولا تؤتى الامشيا هذا كله كلام أبي عمر * قلت ومدار انكار التبكير أول النهار على ثلاثة أقوال * أحدها على لفظة الرواح وانها لا تكون الا بعد الزوال * والثاني لفظة التهجير وهي انما تكون بالهاجر وقت شدة الحر * والثالث عمل أهل المدينة فانهم لم يكونوا يأتون من أول النهار فاما لفظة الرواح فلا ريب أنها تطلق على المضي بعد الزوال وهذا انما يكون في الاكثر اذا قرنت بالغدو كقوله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر وقوله صلى الله عليه وسلم من غدا الى المسجد وراح

عناية الله تعالى بالاسلام وأهله (معما) أي حال (كانوا) أي العدو (فيمن) القوة الحاصلة لهم بلبس (سوابغ الحديد) أي الدروع الحديد السوابغ أي الواسعة من اضافة الصفة للموصوف وتقدير القوة الخ لان السوابغ ليست حالا حتى يبين بها ما كانوا عليه (والعدة) بضم العين (الكاملة) أي الاستعداد والتأهب والعدة ما أعددته من المال والسلاح أو غير ذلك كما في المصباح فعطفه على ما قبله عطف عام على خاص على الثاني ومسبب على سبب على الاول (والخيل) جمع لا واحد له من لفظه (المسومة) الراعية أو من السمة وهي العلامة أو البارعة الجمال وذكره بعد العدة من الخاص بعد العام (والخيلاء) بضم الخاء وكسرها الكبر (الزائد) فذكر رعاية لمعناه وفي نسخة الزائدة بالهاء رعاية للفظه لان فيه ألف التأنيث (أعز الله به رسوله وأظهر وحيه وتنزيله) أي القرآن عطف أخص على أعم أو تفسير ان أريد الاعم على أن الوحي بمعنى الموحى والتنزيل بمعنى المنزل أعم من أن يكون لفظا أو معنى (وبيض وجه النبي) كناية عن ظهور بهجة السرور فاطلق البياض وأريد لازمه نحو يوم تبيض وجوه أي أظهر سرور النبي صلى الله عليه وسلم (وقبيله) أي أتباعه بالنصب عطف على رسوله أو على وجه بتقدير مضاف أي وبيض وجه قبيله فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه (وأخزى الشيطان) ابليس وغيره من الشياطين (وجيله) أتباعه من أهل الضلال والزيغ نسبوا اليه لقبولهم ما وسوس به فضلوا عن الحق واتبعوه أو المراد ابليس وأعوانه من الشياطين والاول أولى لافادته العموم في أنه أخزى شياطين الجن والانس (ولهذا قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين) قال شيخنا أضافهم اليه تشريفا فالمراد الكاملون في الايمان فقوله (وحزبه) أي أنصار دينه (المتقين) مساو لما قبله بالنظر للتحقيق والوجود وهو ما صدق عليه المؤمن والمتقي له في المفهوم فان العبد معناه الذي لا يملك لنفسه شيأ مع سيده فكأنه قال على عباده الذين لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا بل كانوا منقادين له بامتثال أوامره واجتناب نواهيه (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة) حال من الضمير ولم يقل ذلائل ليدل على قلتهم (أي قليل عددكم) فهو من ذكر السبب وارادة المسبب والا فأذلة جمع ذليل ضد عزيز وقلة العدد سبب لذلك أي قليلون بالنسبة الى من لقيتم من المشركين من جهة أنهم كانوا مشاة الا قليلا وعارين من السلاح لانهم لم يأخذوا أهبة القتال كما ينبغي وانما خرجوا لتلقي العير بخلاف المشركين (لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله) كما قال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم (لا بكثرة العدد) بفتح العين (والعدد) بضمها جمع عدة كغرفة وغرف (انتهى) كلام ابن كثير (فقد كانت هذه الغزوة أعظم غزوات الاسلام) أي أفضلها وأشرفها قال في الاستيعاب وليس في غزواته ما يصل لها في الفضل ويقرب منها غزوة الحديبية حيث كانت بيعة الرضوان انتهى فليس المراد العظم من حيث كثرة الجند والشدة لان في غيرها ما هو أقوى منها في ذلك ويدل لهذا قوله (اذ منها كان ظهوره) أي كمال انتشار الاسلام وكثرة الداخلين فيه (وبعد وقوعها أشرق على الآفاق) جمع أفق بضمتين وبسكون الفاء أيضا كما في وضاعت بنورك الافق وفي القاموس الافق بضمة وبضمتين الناحية انتهى أي من الارض والسماء (نوره) عدله واصلاحه بعد الشدة التي كان فيها من المشركين سماه نورا لانه يزين البقاع ويظهر الحقوق (ومن حين) أي وقت (وقوعها أذل الله الكفار) بقتل صناديدهم وأسرهم (وأعز الله من حضرها من المسلمين) والملائكة (فهو عنده من الابرار) الاتقياء المقربين فقد قال صلى الله عليه وسلم لعل الله أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة أو فقد غفرت لكم وقال في حارثة بن سراقة الانصاري وقد أصيب يومئذ وانه في جنة الفردوس وجاء جبريل فقال ما تعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة

أعد الله له نزلا في الجنة كلما غدا أو راح وقول الشاعر

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضي

وقد يطلق الرواح بمعنى الذهاب والمضي وهذا انما يجيء اذا كانت مجردة عن الاقتران بالغدو وقال الازهري في التهذيب سمعت بعض العرب يستعمل الرواح في السير في كل وقت يقول راح القوم اذا ساروا وغدوا ويقول أحدهم لصاحبه تروح ويخاطب أصحابه فيقول روحوا أي سيروا ويقول الآخر ألا تروحوا ونحو ذلك ما جاء في الاخبار الصحيحة الثابتة وهو بمعنى المضي الى الجمعة والسير اليها لا بمعنى الرواح بالعشي وأما لفظ التهجير والمهجر فمن الهجير والهاجرة قال الجوهري هي نصف النهار عند اشتداد الحر تقول منه هجر النهار قال امرؤ القيس

فدعها وسل الهم عنها بجسرة ذمول اذا صام النهار وهجرا

ويقال أتينا أهلنا مهجرين أي في وقت الهاجرة والتهجير السير في الهاجرة فهذا ما يقرر به

رواها كلها البخاري وهي بشارة عظيمة وقد قال العلماء الترجي في كلام الله ورسوله للوقوع على أن أحمد وأباداود وغيرهما رووه بلفظ أن الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل النار من شهد بدرا والحديبية رواه مسلم (وكان خروجهم يوم السبت) كما جزم به مغلطاي وعند ابن سعد يوم الاثنين وقال الامعا (لثنتي عشرة) ليلة (خلت من رمضان) وزاد مغلطاي (على رأس تسعة عشر شهرا) لان باقي سنة القدوم عشرة أشهر تقريبا والماضي من السنة الثانية ثمانية أشهر كاملة ومامضى من رمضان في مقابلة الماضي من ربيع الاول (ويقال لثمان خلون منه قاله) أي هذا القول الثاني عبد الملك (بن هشام) تفسير القول شيخ شيخه ابن اسحق خرج لليال مضت من رمضان (واستخلف أبا لبابة) بشير أو قيل رفاعة بن عبد المنذر الاوسي رده من الروحاء والياعلى المدينة كذا قاله ابن اسحق قال الحا كم لم يتابع على ذلك انما كان أبو لبابة زميل النبي صلى الله عليه وسلم وبه مغلطاي عتابعته له هو في المستدرك قال وبنحوه ذكره ابن سعد وابن عقبة وابن حبان انتهى فيكون زميل المصطفى حصل قبل رده اياه من الروحاء فرده على ليلتين من المدينة وعند ابن هشام من زيادته أنه استعمل على الصلاة ابن أم مكتوم وفي الهدى أنه استخلفه على المدينة والصلاة معا قبل رد أبي لبابة من الروحاء انتهى أي فبقي على الصلاة فقط (وخرجت معه الانصار ولم تمكن قبل ذلك خرجت معه) وماظنوا أنه يقع قتال لان خروجهم انما كان لتلقي العير (وكان عدة البدريين ثلثمائة عشر كما) رواه أحمد والبزار والطبراني عن ابن عباس وهو المشهور وعند ابن اسحق وجماعة من أهل المغازي وللطبراني والبيهقي عن أبي أيوب قال خرج صلى الله عليه وسلم الى بدر فقال لاصحابه تعادوا فوجدهم ثلثمائة وأربعة عشر رجلا ثم قال لهم تعادوا فتعادوا مرتين فاقبل رجل على بكر له ضعيف وهم يتعادون فتمت العدة ثلثمائة وخمسة عشر وللبيهقي أيضا بسند حسن عن عبد الله ابن عمرو بن العاصي قال خرج صلى الله عليه وسلم يوم بدر ومعه ثلثمائة وخمسة عشر ولا تنافي لاحتمال أن الاول لم يعد المصطفى ولا الرجل الآتي آخرا وفي حديث عمر عند مسلم ثلثمائة وتسعة عشر قال الحافظ فيحمل على أنه ضم اليهم من استصغر ولم يؤذن له في القتال كابن عمر والبراء وأنس وجابر وللبزار من حديث أبي موسى ثلثمائة وسبعة عشر وحكى السهيلي أنه حضر مع المسلمين سبعون نفسا من الجن كانوا أسلموا واذا تحرر هذا فليعلم أن الجميع لم يشهدوا القتال وانما عدة (من خرج معه واستمر حتى شهد القتال (ثلثمائة وخمسة) قاله ابن سعد ولابن جرير عن ابن عباس وستة قال الحافظ فكان ابن سعد لم يعد النبي صلى الله عليه وسلم فيهم قال ابن سعد المهاجرون منهم أربعة وستون وسائرهم من الانصار وهو يفسر قول البراء عند البخاري كان المهاجرون يوم بدر نيفا على ستين والانصار نيفا وأربعين ومائتين وفي البخاري عن الزبير قال ضربت يوم بدر للمهاجرين بمائة سهم وجمع الحافظ بان حديث البراء فيمن شهدها حسا وحديث الزبير فيمن شهدها حسا وحكما أو المراد بالعدد الاول الاحرار والثاني بانضمام مواليهم واتباعهم وسرد ابن اسحق أسماء من شهدها من المهاجرين وذكر معهم حلفاءهم ومواليهم فبلغوا ثلاثة وثمانين رجلا وزاد عليه ابن هشام ثلاثة وسردهم الواقدي خمسة وثمانين ولاحمد والبزار والطبراني عن ابن عباس ان المهاجرين ببدر كانوا سبعة وسبعين فلعله لم يذكر من ضرب له بسهم ممن لم يشهدها حسا وقال الداودي كانوا على التحرير أربعة وثمانين ومعهم ثلاثة أفراس فاسهم لهم بسهمين وضرب لرجال أرسلهم في بعض أمره بسهامهم فصح انها كانت مائة بهذا الاعتبار قال الحافظ ولا بأس بما قاله لكن ظهر لي أن اطلاق المائة انما هو باعتبار الخمس وذلك أنه عزله ثم قسم ما عداه على ثمانين سهما عدد من شهدها ومن ألحق بهم فاذا

أضيف

قول أهل المدينة قال الآخرون الكلام في لفظ التهجير كالكلام في لفظ الرواح فانه يطلق ويراد به التبكير وقال الازهري في التهذيب روى مالك عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في التهجير لاستبقوا اليه وفي حديث آخر مرفوع المهجر الى الجمعة كالمهدي بدنة وقال ويذهب كثير من الناس الى أن التهجير في هذه الاحاديث من الهاجرة وقت الزوال وهو غلط والصواب فيه ماروى أبو داود المصاحفي والنضر ابن شميل أنه قال التهجير الى الجمعة وغيرها التبكير قال وسمعت الخليل يقول ذلك قاله في تفسير هذا الحديث قال الازهري وهو صحيح وهي لغة أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال لبيد

راح القطين بهجر بعد ما ابتكر

فقرن الهجر بالابتكار والرواح عندهم الذهاب والمضي يقال راح القوم اذا مضوا وسروا أي وقت كان وقوله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في التهجير

أضيف له الخمس كان ذلك من حساب مائة سهم انتهى وقد نازع فيما ظهر له بأن الخمس لا يكون نسبته للمهاجرين فقط وسرد اليعمري المهاجرين أربعة وتسعين والخزرج مائة وخمسة وتسعين والأوس أربعة وسبعين فذلك ثلثمائة وثلاثون وستون قال وانما ذلك من جهة الخلاف في بعضهم وفي الكواكب فائدة ذكرهم معرفة فضيلة السبق وترجيحهم على غيرهم والدعاء لهم بالرضوان على التعيين وقال العلامة الدواني سمعنا من مشايخ الحديث ان الدعاء عند ذكرهم في البخاري مستجاب وقد جرّب (وثمانية لم يحضروها) لكنهم (انما) تخلفوا للضرورات ولذا (ضرب لهم بسهمهم) بأن أعطاهم ما يخصهم من الغنيمة (وأجوهم) ان أخبرهم ان لهم أجر من شهدها (فكانوا كمن حضرها) فعدوا في أهلها وهم عثمان بن عفان تخلف على زوجته رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم باذنه وكانت مريضة مرض الموت فقال له صلى الله عليه وسلم كما في البخاري ان لك لأجر رجل ممن شهدها وسهمه وطلحة وسعيد بن زيد بعثهما يتجسسان عير قريش ومن الانصار أبو لبابة استخلفه على المدينة وعاصم بن عدي على أهل العالية والحرث بن حاطب على بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم والحرث بن الصمة وقع بالروحاء فكسر فردهؤلاء من الروحاء وخوات بن جبير أصابه حجر في ساقه فرده من الصفراء هؤلاء الذين ذكرهم ابن سعد وذكر الواقدي سعد بن مالك الساعدي والد سهل قال تجهز ليخرج لبدر فمات فضرب له بسهمه وأجره وممن اختلف فيه هل شهدها أو ردّ لحاجة سعد بن عبادة وصبيح مولى أبي أحيحة رجع لمرضه وفي المستدرك ان جعفر بن أبي طالب ضرب له صلى الله عليه وسلم يومئذ بسهمه وأجره وهو بالحبشة وأقره الذهبي فهؤلاء اثنا عشر (وكان معهم ثلاثة أفراس بعزجة) بفتح الموحدة واسكان المهملة فزاي فجيم مفتوحتين فتاء تأنيث كما في النور وحرّف نساخ الشامية الزاي بالراء فقد قال السهيلي البعزجة شدة جري الفرس في مغالبة كأنه منحوت من أصلين من بعج اذا شق وعزّ أي غلب انتهى (فرس المقداد) بن عمرو الشهير بابن الاسود كأنها سميت بذلك لشدة جريها ويقال اسمها سبحة بفتح السين واسكان الموحدة والحاء المهملتين وتاء تأنيث وبه صدر الشامي لكن صدر اليعمري بالاول وجزم به في الروض فلذا اقتصر المصنف عليه (واليعسوب) بفتح التحتية فعين فسين مضموم فمهملتين فواو ساكنة فموحدة (فرس الزبير) بن العوام وقيل اسمها السيل وبه صدر الشامي وعلى الاول اقتصر اليعمري (وفرس لمرثد) بفتح الميم وسكون الراء وفتح المثلثة ودال مهملة ابن أبي مرثد كناز بن الحصين (الغنوي) بفتح المعجمة والنون نسبة الى غني بن يعصر صحابي ابن صحابي بدري ابن بدري (لم يكن لهم يومئذ خيل غير هذه) الثلاثة وثبت ذكر فرس مرثد عند ابن سعد في رواية وجزم المصنف في المقصد الثامن بانه لم يكن معهم غير فرسين للمقداد والزبير وقال ابن عقبة ويقال كان معه عليه السلام فرسان واستشكل هذا بما رواه أحمد باسناد صحيح عن علي قال ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد وأجيب بحمل النفي على بعض الاحوال دون الباقي لكن في التقريب للحافظ لم يثبت انه شهدها فارس غير المقداد (وكان معهم) كما قال ابن اسحق (سبعون بعيرا) فاعتقبوها فكان صلى الله عليه وسلم وعلي وزيد بن حارثة و يقال مرثد يعتقبون بعيرا وهكذا وقد روى الحرث بن أبي اسامة وابن سعد عن ابن مسعود كنا يوم بدر كل ثلاثة بعير وكان أبو لبابة وعلي زميل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا كانت عقبة النبي صلى الله عليه وسلم قالا اركب حتى نمشي عنك فيقول ما أنتما بأقوى مني على المشي وما أنا بأغنى عن الأجر منكما وعليه فجملة الذين يعتقبون مائتان وعشرة فيحتمل أن الباقين لم يركبوا أو ان الثلاثة تركب مدة ثم يدفعونه الى غيرهم ليركبه مدة أخرى والعقبة النوبة كما في المصباح فالمراد أن كل واحد يركب مدة وركوب أبي لبابة معهم كان قبل رده من الروحاء وبعده أعقب مرثدا كما

لا ستبقوا اليه أراد التبكير الى جميع الصلوات وهو المضي اليها في جميع أول أوقاتها قال الازهري وسائر العرب يقولون هجر الرجل اذا خرج بالهاجرة وروى أبو عبيد عن أبي زيد هجر الرجل اذا خرج بالهاجرة قال وهي نصف النهار ثم قال الازهري أنشدني المنذري فيما روى لثعلب عن ابن الاعرابي في نوادره قال قال حصيبة بن جواس الربيعي في ناقته

هل تذكرين قسمي وتذري
أزمان أنت بعروض الجفر
اذ أنت مضرار جواد الخضر
على ان لم تنهضي بوفر
باربعين قدرت بقدري
بالخالدي لا بصاع حجر
وتصحبي أيانقا في سفري
يهجرون بهجير الفجر
ثمت تسري ليلهم فتسري
تطوي آثار الفجاج الغبري
طي أخي التجر برود التجر

قال الازهري يهجرون بهجير الفجر أي يبكرون بوقت الفجر وأما كون أهل المدينة لم يكونوا يروحون الى الجمعة أول

عند ابن اسحق أو زيدا كما عند غيره وذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم دفع اللواء وكان أبيض الى مصعب بن عمير قال وكان أمامه عليه السلام رايتان سوداوان احداهما مع علي والاخرى مع بعض الانصار وذكر ابن سعد أن لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب بن المنذر ولواء الاوس مع سعد بن معاذ قال اليعمري والمعروف أن سعد بن معاذ كان على حرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العريش وأن لواء المهاجرين كان بيد علي ثم روى بسنده عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى عليا الراية يوم بدر وهو ابن عشرين سنة وأجيب عن الاول بأن هذا كان عند خروجهم وفي الطريق فيحتمل أن سعدا دفعه لغيره باذنه صلى الله عليه وسلم ليحرسه في العريش اذ هو ببدر (وكان المشركون ألفا) كما رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن ابن عباس عن عمر ورواه ابن سعد عن ابن مسعود (ويقال) هم (تسعمائة وخمسون رجلا) مقاتلا (معهم مائة فرس وسبعمائة بعير) قاله ابن عقبة وابن عائذ والتقييد بمقاتلا لفظهما فيمكن الجمع بأن باقي الالف الخمسين غير مقاتلين وعند ابن اسحق أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا والزبير وسعد بن مالك في نفر الى ماء بدر يلتمسون له الخبر فاصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض أبو يسار غلام بني العاصي فاتوا بهما والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سلم قال أخبراني عن قريش قالا هم وراء هذا الكثيب الذي تراه بالعدوة القصوى قال كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا ما ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين التسعمائة والالف ثم قال فمن فيهم من أشراف قريش فسميا له خمسة عشر فاقبل صلى الله عليه وسلم على الناس فقال هذه مكة قد ألقت اليكم أفلاذ كبدها أي قطع كبدها شبه أشرافهم بفلذة الكبد بفاء ومعجمة المستور في الجوف وهو أفضل ما يشوى من البعير عند العرب وأمرؤه قال ابن عقبة وزعموا أن أول من نحر لهم عشر جزائر حين خرجوا من مكة أبو جهل ثم صفوان تسعا بعسفان ثم سهيل عشرا بقديد ومالوا منه الى نحو البحر فضلوا فاقاموا يوما فنحر شيبة تسعا ثم أصبحوا بالابواء فنحر مقيس الجمحي تسعا ونحر العباس عشرا والحرث تسعا وأبو البختري على ماء بدر عشرا ومقيس عليه تسعا ثم شغلهم الحرب فاكلوا من أزوادهم (وكان قتالهم يوم الجمعة) عند الاكثرين قال ابن عساكر وهو المحفوظ (لسبع عشرة خلت من رمضان) قاله ابن اسحق وتبعه في الاستيعاب والعيون والاشارة ولا يوافق ما مر أن خروجهم يوم السبت لثنتي عشرة خلت من رمضان الا أن يكون وقع خلاف في هلاله فالقائل بخروجهم ثاني عشره بناء على ان أوله الثلاثاء والقائل بان القتال في سابع عشره بناء على أن أوله الاربعاء (وقيل يوم الاثنين) رواه ابن عساكر في تاريخه باسناد ضعيف قال أبو عمر لا حجة فيه عند الجميع (وقيل غير ذلك) فقيل لسبع عشرة بقيت من رمضان وقيل لثنتي عشرة خلت منه ويقال لثلاث خلون منه حكاها كلها مغلطاي وعلى الاخير فخروجهم قبل رمضان (وكانت من غير قصد من المسلمين اليها ولا ميعاد كما قال تعالى ولو تواعدتم) أنتم وهم للقتال ثم علمتم حالهم وحالكم (لاختلفتم) انتم وهم (في الميعاد) هيبة منهم ويأسا من الظفر عليهم ليتحققوا أن ما اتفق لهم من الفتح ليس الا صنيعا من الله خارقا للعادة فيزدادوا ايمانا وشكرا (ولكن) جمعكم بغير ميعاد (ليقضي الله أمرا كان مفعولا) حقيقا بان يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه (وانما قصد صلى الله عليه وسلم والمسلمون التعرض لعير قريش) التي خرج عليه السلام في طلبها وهي ذاهبة من مكة الى الشام حتى بلغ العشيرة فوجدها سبقته بايام فلم يزل مترقبا رجوعها من الشام (وذلك) كما أخرجه ابن اسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة (أن أبا سفيان) صخر بن حرب المسلم في الفتح رضي الله عنه (كان بالشام في ثلاثين راكبا) كذا نقله الفتح عن ابن اسحاق والذي في

ابن

النهار فهذا غاية عملهم في زمان مالك رحمه الله وهذا ليس بحجة ولا عند من يقول اجماع أهل المدينة حجة فان هذا ليس فيه الا ترك الرواح الى الجمعة من أول النهار وهذا جائز بالضرورة وقد يكون اشتغال الرجل بمصالحه ومصالح أهله ومعاشه وغير ذلك من أمور دينه ودنياه أفضل من رواحه الى الجمعة من أول النهار ولا ريب أن انتظار الصلاة بعد الصلاة وجلوس الرجل في مصلاه حتى يصلي الصلاة الاخرى أفضل من ذهابه وعوده في وقت آخر الثانية كما قال صلى الله عليه وسلم والذي ينتظر الصلاة ثم يصليها مع الامام أفضل من الذي يصلي ثم يروح الى أهله وأخبر أن الملائكة لم تزل تصلي عليه ما دام في مصلاه وأخبر أن انتظار الصلاة بعد الصلاة مما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات وانه الرباط وأخبر أن الله يباهي ملائكته بمن قضى فريضة وجلس ينتظر أخرى وهذا يدل على أن من صلى الصبح ثم جلس ينتظر الجمعة فهو أفضل ممن يذهب ثم يجيء في

ابن هشام عن البكائي عنه في ثلاثين أو أربعين ونبعه اليعمري وغيره فاما انه اقتصار على المحقق أو رواية أخرى عنه (منهم) مخرمة بن نوفل و(عمرو بن العاصي) أسلما بعد ذلك وصحبا رضي الله عنهما وقال ابن عقبة وابن عائذ في سبعين رجلا وكانت عيرهم ألف بعير ولم يكن لحويطب بن عبد العزى شيء فلم يخرج معهم (فاقبلوا في قافلة عظيمة فيها أموال قريش) يقال كان فيها خمسون ألف دينار وكان لم يبق قرشي ولا قرشية له مثقال الا بعث به في العير (حتى اذا كانوا قريبا من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك) حذف الفاء أولى لان ما بعدها جواب اذا وهو ماض متصرف فلا تقترن به الفاء (فندب أصحابه) أي دعاهم (اليهم وأخبرهم بكثرة المال وقلة العدو) اذ غاية ما قيل انهم سبعون (وقال هذه عير لقريش فيها أموال) كثيرة (فاخرجوا اليها لعل الله أن ينفلكموها) مثله في العيون وفي نسخة يغنمكموها ومثله في السبل وكل عزى لابن اسحق والخطب سهل قال في الرواية فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم لانهم ظنوا انهم لم يلقوا حربا وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتجسس الاخبار ويسال من لقي من الركبان (فلما سمع أبو سفيان بسيره عليه السلام) عن بعض الركبان ان محمدا قد استنفر لك ولعيرك (استاجر ضمضم) بفتح المعجمتين بعد كل ميم أولاهما ساكنة (ابن عمرو الغفاري) بكسر المعجمة وتخفيف الفاء قال في النور الظاهر هلاكه على كفره (ان يأتي قريشا بمكة) بعشرين مثقالا وأمره ان يجدع بعيره أي يقطع أنفه ويحول رحله ويشق قميصه من قبله ومن دبره اذا دخل مكة (فيستنفرهم) يحثهم على الخروج بسرعة (ويخبرهم ان محمدا قد عرض) أي ظهر (لعيرهم في) مع (أصحابه) فلما بلغ مكة فعل ما أمر به وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم مع أبي سفيان قد عرض لها محمد في أصحابه لا أرى ان تدركوها الغوث الغوث فقالوا أيظن محمد وأصحابه ان تكون كعير ابن الحضرمي كلا والله ليعلمن غير ذلك (فنهضوا في قريب من ألف مقنع) وكانوا ما بين رجلين اما خارج واما باعث مكانه رجلا (ولم يتخلف أحد من اشراف قريش الا أبو لهب) وفي نسخة الا أبا لهب وكلاهما صحيح (وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة) أخا أبي جهل كان له عليه أربعة آلاف درهم أفلس له بها فاستاجره بها على ان يجزئ عنه بعثه واشتد حذر أبي سفيان فاخذ طريق الساحل وجد في السير حتى فات المسلمين فلما أمن أرسل الى قريش يامرهم بالرجوع فامتنع أبو جهل (وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم) قال ابن اسحق وضرب عسكره ببئر أبي عنبة كواحدة العنب على ميل من المدينة فعرض أصحابه ورد من استصغر وسار (حتى بلغ الروحاء) بفتح الراء وسكون الواو وحاء مهملة ممدودة قرية على نحو أربعين ميلا من المدينة وفي مسلم على ستة وثلاثين وفي كتاب ابن أبي شيبة على ثلاثين ونزل صلى الله عليه وسلم سجسجا بفتح السين المهملة وسكون الجيم بعدهما مثلهما وهي بئر الروحاء سميت بذلك قال السهيلي لانها بين جبلين وكل شيء بين شيئين سجسج انتهى وهو تفسير مراد ففي القاموس السجسج الارض ليست بصلبة ولا سهلة وما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس (فاتاه الخبر) بعد ان سار من الروحاء وقرب من الصفراء كما عند ابن اسحق (عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عن عيرهم) من رسوليه اللذين بعثهما يتجسسان الاخبار عن أبي سفيان أحدهما بسبس بموحدتين مفتوحتين ومهملتين أولاهما ساكنة ووقع لجميع رواة مسلم وبعض رواة أبي داود بسيسة بضم الموحدة وفتح المهملة واسكان التحتية وفتح السين وتاء تانيث والمعروف قال الذهبي وغيره وهو الاصح الاول وكذلك ذكره ابن اسحق والدارقطني وابن عبد البر وابن ماكولا والسهيلي قال في الاصابة وهو الصواب فقد قال ابن الكلبي انه الذي أراده الشاعر بقوله

أقم لها صدورها يا بسبس * ان مطايا القوم لا تحبس

وقتها وكون أهل المدينة وغيرهم لا يفعلون ذلك لا يدل على أنه مكروه فهكذا المجيء اليها والتبكير في أول النهار والله أعلم * الخامسة والعشرون ان للصدقة فيه مزية عليها في سائر الايام والصدقة فيه بالنسبة الى سائر أيام الاسبوع كالصدقة في شهر رمضان بالنسبة الى سائر الشهور وشاهدت شيخ الاسلام ابن تيمية قدس الله روحه اذا خرج الى الجمعة يأخذ ما وجد في البيت من خبز أو غيره فيتصدق به في طريقه سرا وسمعته يقول اذا كان الله قد أمرنا بالصدقة بين يدي مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالصدقة بين يدي مناجاته أفضل وأولى بالفضيلة وقال أحمد بن زهير بن حرب حدثنا أبي حدثنا جرير عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع أبو هريرة وكعب فقال أبو هريرة ان في الجمعة لساعة لا يوافقها رجل مسلم في صلاة يسأل الله عز وجل شيأ الا آتاه اياه فقال كعب أنا أحدثكم عن يوم الجمعة انه اذا كان يوم الجمعة فزعت له السموات والارض والبر والبحر

وهو ابن عمرو الجهني كما نسبه ابن اسحق قال السهيلي ونسبه غيره الى ذبيان الانصاري حليف الخزرج
والثاني عدي بن أبي الزغباء سنان الجهني حليف بني النجار الزغباء بفتح الزاي وسكون المعجمة
وموحدة ممدودة فمضيا حتى نزلا بدرا فاناخا الى تل قريب من الماء وأخذا يستقيان من الماء فسمعا
جاريتين تقول احداهما لصاحبتها ان أتاني العير غدا أو بعد غد أعمل لهم ثم أقضيك الذي لك فانطلقا
حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبراه بما سمعا (فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس)
أصحابه رضي الله عنهم (في طلب العير و) في (حرب النفير) القوم النافرين للحرب يعني خيرهم
بين ان يذهبوا للعير أو الى محاربة النافرين لقتالهم وأخبرهم عن قريش بمسيرهم (وقال ان الله
وعدكم احدى الطائفتين إما العير وإما قريش) كما قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
أنها لكم (وكانت العير أحب اليهم) كما قال تعالى وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم والمراد
بذات الشوكة الطائفة التي فيها السلاح قال أبو عبيدة في المجاز يقال ما أشد شوكة بني فلان أي
حدهم وكأنها استعارة من واحدة الشوك وروى الطبري وأبو نعيم في الدلائل عن ابن عباس أقبلت
عير لاهل مكة من الشام فخرج النبي صلى الله عليه وسلم يريدها فبلغ ذلك أهل مكة فأسرعوا اليها
فسبقت العير المسلمين وكان الله وعدهم احدى الطائفتين وكانوا أن يلقوا العير أحب اليهم وأيسر
شوكة وأحضر مغنما من أن يلقوا النفير (فقام أبو بكر) وفي الشامية استشار الناس فتكلم المهاجرون
فأحسنوا ثم استشارهم فقام أبو بكر (فقال فأحسن) أي جاء بكلام حسن ولم أر من ذكره (ثم قام عمر فقال
فأحسن) ذكر ابن عقبة وابن عائذ أنه قال يا رسول الله انها قريش وعزها والله ماذلت منذ عزت ولا
آمنت منذ كفرت والله لتقاتلنك فتأهب لذلك أهبته وأعد لذلك عدته وعزها بالنصب مفعول معه
أو مبتدأ حذف خبره أي ثابت لم يتغير (ثم قام المقداد بن عمرو) وعند النسائي جاء المقداد يوم بدر على
فرس (فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك والله لا نقول) بنون الجمع أي معاشر المسلمين
(لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى) وفي رواية البخاري كما قال قوم موسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا
ههنا قاعدون) قالوه استهانة وعدم مبالاة بالله ورسوله وقيل تقديره اذهب أنت وربك يعينك فانا
لا نستطيع قتال الجبابرة وقال السمرقندي أنت وسيدك هرون لانه أكبر من موسى بسنتين أو ثلاثة
(ولكن) نقول (اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون) هذه رواية ابن اسحق ورواية البخاري
ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك زاد ابن اسحق (فوالذي بعثك بالحق لو
سرت بنا برك) بفتح الموحدة عند الاكثر وفي رواية بكسرها وصوبه بعض اللغويين لكن المشهور
المعروف في الرواية الفتح والراء ساكنة وحكى عياض عن الاصيلي فتحها قال النووي وهو غريب
ضعيف آخره كاف (الغماد) بكسر المعجمة وتخفيف الميم قال الحازمي موضع على خمس ليال من مكة
الى جهة اليمن وقال البكري هي أقاصي هجر وقال الهمداني هو في أقصى اليمن قال الحافظ والاول
أولى وحكى ابن فارس ضم الغين والقزاز فتحها وأفاد النووي أن المشهور في الرواية الكسر وفي اللغة
الضم وفي فتح الباري قال ابن خالويه حضرت مجلس المحاملي وفيه زهاء ألف فأملى عليهم حديثا فيه
لو دعوتنا الى برك الغماد قالها بالكسر فقلت للمستملي هي بالضم فذكر له ذلك فقال لي وما هو فقلت
سألت ابن دريد عنه فقال هو بقعة في جهنم فقال المحاملي وكذا في كتاب أبي علي الغين ضمت
قال ابن خالويه وأنشد ابن دريد

واذا تنكرت البلا * د فأولها كف البعاد
واجعل مقامك او مقـ * ـرك جانبي برك الغماد

والجبال والشجر والخلائق كلها الا ابن آدم والشياطين وحفت الملائكة بأبواب المسجد فيكتبون من جاء الاول فالاول حتى يخرج الامام فاذا خرج الامام طووا صحفهم فمن جاء بعد جاء لحق الله وما كتب له عمل وحق على كل حالم أن يغتسل يومئذ كاغتساله من الجنابة والصدقة فيه أعظم من الصدقة في سائر الايام ولم تطلع الشمس ولم تغرب على مثل يوم الجمعة فقال ابن عباس هذا حديث كعب وأبي هريرة وأنا أرى ان كان لاهله طيب يمس منه * السادسة والعشرون أنه يوم يتجلى الله عز وجل فيه لاوليائه المؤمنين في الجنة وزيارتهم له فيكون أقربهم منه أقربهم من الامام وأسبقهم الى الزيارة أسبقهم الى الجمعة * وروى يحيى بن يمان عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قوله عز وجل ولدينا مزيد قال يتجلى لهم في كل جمعة وذكر الطبراني في معجمه من حديث أبي نعيم المسعودي عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة قال قال عبد الله سارعوا الى

لست ابن أم القاطنيـــن ولا ابن عم للبـــلاد

وبعض المتأخرين قال القول بأنه موضع باليمن لا نشأ لأنه صلى الله عليه وسلم لا يدعوهم الى جهنم وخفى عليه أن ذلك بطريق المبالغة فلا يراد به الحقيقة على أنه لا يتنافى بين القولين فيحمل قوله جهنم على مجاز المجاورة بناء على القول ان برهوت مأوى أرواح الكفار وهم أهل النار انتهى ملخصا وقد دلت رواية ابن عائذ فى قصة سعد بن معاذ بلفظ لو سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمد ذى يمن على انها من جهة اليمن وذكر السهيلى انه رأى فى بعض كتب التفسير انه (يعنى مدينة الحبشة) قال الحافظ وكأنه أخذه من قصة الصديق مع ابن الدغنة فان فيها انه لقيه ذاهبا الى الحبشة ببرك الغماد كما مر ويجمع بأنها من جهة اليمن مقابل الحبشة وبينهما عرض البحر انتهى ونقل عياض عن ابراهيم الحربى برك الغماد وشعفات هجر قال فيما تباعد ولذا قال شيخنا الاولى تفسيره هنا بأقصى معمور الارض كما هو أحد معانيه فى القاموس لانه أتم فى امتثال أمره واتباعه (لجالدنا) أى لضاربنا (معك من دونه) أى برك الغماد يعنى لو طلبتناله وعارضك قبله أحد جالدناه ومنعناه (حتى تبلغه فقال له صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير) هذا لفظ رواية ابن اسحق وروى البخارى عن ابن مسعود شهدت من المقداد مشهدا لأن أكون صاحبه أحب الى مما عدل به الحديث وفى آخره فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره يعنى قوله وروى ابن مردويه وابن أبى حاتم عن أبى أيوب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن بالمدينة انى أخبرت عن عير أبى سفيان فهل لكم أن تخرجوا اليها لعل الله يغنمناها ويسلمنا قلنا نعم فخرجنا فلما سرنا يوما أو يومين قال قد أخبروا خبرنا فاستعدوا للقتال فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال القوم فأعاد فقال المقداد لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى ولكن نقول انا معكما مقاتلون قال فتمنينا معشر الانصار لو أنا قلنا كما قال المقداد قال فأنزل الله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون (ثم قال عليه الصلاة والسلام) ثالث مرة (أيها الناس أشيروا على وانما يريد الانصار) كما ذكره سعد جوابا له والمصنف تابع للفظ الرواية عند ابن اسحق فلذا لم يذكر جواب سعد ثم يعلله بذلك وان كان أولى على انه قد يقال الاولى ما فى الرواية للاهتمام بحكمة تكرير الاستشارة من سيد الحكماء مع حصول الجواب الكافى من المقداد بحضورهم وسكوتهم عليه وتمنيهم لو كانوا قالوا مثله (لانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من زمامك) بكسر الذال فسره البرهان بالحرمة ويطلق على الضمان أيضا قال شيخنا ولعله المراد أى من ضمان مناصرتك (حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأبناءنا ونساءنا وكان صلى الله عليه وسلم يتخوف) يخشى (أن لا تكون الانصار ترى) تعتقد (عليها نصرته الا ممن دهمه) بفتح الدال وكسر الهاء وفتحها كما فى المصباح أى نزل به وفجأه (بالمدينة من عدوه) وذكر ابن القوطية ان اللغتين فى دهمتهم الخيل وأن دهمه الامر بالكسر فقط (وأن ليس عليهم أن يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك عليه الصلاة والسلام قال له سعد بن معاذ) السيد الذى هو فى الانصار بمنزلة الصديق فى المهاجرين صرح به البرهان فى غير هذا الموضع (والله لكأنك تريدنا يا رسول الله قال أجل) أى نعم (قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك [2] عهودا ومواثيقا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أردت) وفى رواية لما أمرت به وعند ابن عائذ من مرسل عروة وابن أبى شيبة من مرسل علقمة بن وقاص عن سعد ولعلك تخشى ان تكون الانصار ترى عليها أن لا ينصروك الا فى ديارهم وانى أقول عن الانصار وأجيب عنهم ولعلك يا رسول الله خرجت لامر فأحدث الله غيره فامض لما شئت وصل حبال من شئت واقطع حبال من شئت وسالم من شئت وعاد من شئت وخذ من أموالنا ما شئت وأعطنا ما شئت وما

[2] قوله عهودا ومواثيقا لعل الصواب عهودنا ومواثيقنا اه مصححه

الجمع فان الله عز وجل يبرز لاهل الجنة فى كل جمعة فى كثيب من كافور فيكونون منه فى القرب على قدر تسارعهم الى الجمعة فيحدث الله سبحانه لهم من الكرامة شيأ لم يكونوا قد رأوه قبل ذلك ثم يرجعون الى أهليهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم قال ثم دخل عبد الله المسجد فاذا هو برجلين فقال عبد الله رجلان وأنا الثالث ان يشا الله يبارك فى الثالث وذكر البيهقى فى الشعب عن علقمة بن قيس قال رحت مع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه الى جمعة فوجد ثلاثة قد سبقوه فقال رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد ثم قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس يجلسون يوم القيامة من الله على قدر رواحهم الى الجمعة الاول ثم الثانى ثم الثالث ثم الرابع قال وما أربع أربعة ببعيد * قال الدارقطنى حدثنا أحمد ابن سليمان بن الحسن حدثنا محمد بن عثمان ابن محمد حدثنا مروان بن جعفر حدثنا نافع أبو الحسن مولى بنى هاشم حدثنا عطاء بن أبى

أخذت منا كان أحب الينا مما تركت وما أمرت به من أمر فأمرنا تبع لامرك لئن سرت حتى تأتى برك الغماد من ذى يمن لفظ علقمة ولفظ عروة لو سرت بنا حتى تبلغ البرك من غمد ذى يمن وغمد بضم المعجمة وسكون الميم ودال مهملة تفسير معك وفى رواية ابن اسحق (فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت) أى طلبت أن تقطع (بنا) عرض (هذا البحر) أى الملح (لخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره أن نلقى عدونا انا لصبر) بضم الصاد والموحدة (عند الحرب صدق) بضم الصاد والدال (عند اللقاء) هكذا ضبطه البرهان وتبعه الشامى وهو جمع صبور وصديق بزنة فعيل وفعول بالفتح بمعنى فاعل على فعل بضمتين قياسا مطردا (ولعل الله أن يريك) منا (ما تقر به عينك) وقد فعل فأراه ذلك منهم فى هذا اليوم وفى غيره رضى الله عنهم (فسر على بركة الله تعالى فسر عليه السلام بقول سعد ونشطه) أى صيره (ذلك) مسرعا فى طلب العدو ووقع عن ابن مردويه عن علقمة أن سعدا قال فنحن عن يمينك وشمالك وبين يديك وخلفك ولا نكونن كالذين قالوا لموسى اذهب أنت وربك ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما متبعون قال الحافظ والمحفوظ أن هذا الكلام للمقداد وان سعدا انما قال ما ذكر عنه (ثم قال سيروا على بركة الله تعالى وأبشروا) بفتح الهمزة وكسر الشين أمر (فان الله قد وعدنى احدى الطائفتين) اما العير واما النفير وقد فاتت العير فلا بد من الطائفة الاخرى لان وعد الله لا يختلف والى هذا أرشد أيضا بقوله (والله لكأنى أنظر الآن الى مصارع القوم) الذين سيقتلون ببدر وأقسامه على ذلك وهو الصادق المصدوق زيادة فى تبشيرهم وطمأنينتهم (قال ثابت) البنانى فيما رواه مسلم من طريقه (عن أنس) بن مالك عن عمر كما فى مسلم ففيه من لطائف الاسناد صحابى عن صحابى (قال) عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم ليرينا مصارع أهل بدر يقول (عليه الصلاة والسلام هذا مصرع فلان) غدا ان شاء الله وهذا مصرع فلان (ويضع يده على الارض ههنا وههنا) يشير الى مواضع قتلهم اشارة محسوسة (قال فما ماط أحدهم أى ما تنحى) وفى شرح النووى أى تباعد (عن موضع يده عليه السلام) فهو معجزة ظاهرة قال الحافظ وهذا وقع وهم ببدر فى الليلة التى التقوا فى صبيحتها انتهى فقد بين الحديث أنه سمى وعين جماعة وفى رواية أنه أخبر بمصارعهم قبل الواقعة بيوم أو أكثر وفى أخرى أخبر بذلك يوم الواقعة وجمع ابن كثير بأنه لا مانع من انه يخبر به فى الوقتين (* تنبيه * قال ابن سيد الناس) الحافظ أبو الفتح اليعمرى (فى عيون الاثر) فى فنون المغازى والشمائل والسير (روينا من طريق مسلم أن الذى قال ذلك) المذكور عن سعد ابن معاذ (سعد بن عبادة سيد الخزرج) ولفظه عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاور حين بلغه اقبال أبى سفيان فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يا رسول الله والذى نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لاخضناها ولو أمرتنا أن نضرب [٢] أكبادنا الى برك الغماد لفعلنا الحديث (وانما يعرف ذلك) القول (عن سعد بن معاذ كذا رواه ابن اسحق وغيره) كابن أبى شيبة وابن عائذ وابن مردويه قال الحافظ ويمكن الجمع بانه صلى الله عليه وسلم استشارهم مرتين الاولى بالمدينة أول ما بلغه خبر العير وذلك بين من لفظ مسلم أنه شاور حين بلغه اقبال أبى سفيان والثانية كانت بعد أن خرج كما فى حديث الجماعة ووقع عند الطبرانى ان سعد بن عبادة قال ذلك بالحديبية وهذا أولى بالصواب انتهى (واختلف فى شهود سعد بن عبادة بدرا ولم يذكره) موسى (ابن عقبة ولا ابن اسحق فى البدريين وذكره الواقدى) محمد بن عمر بن واقد المدنى ابو عبد الله الاسلمى الحافظ المتروك مع سعة علمه (والمدائنى) أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله الاخبارى صاحب تصانيف وثقه ابن معين وقال ابن عدى ليس بالقوى مات سنة أربع وخمسين ومائتين عن ثلاث وتسعين سنة (وابن الكلبى فيهم اهـ) كلام العيون وفى فتح البارى اشارة الى انه ليس بخلاف

فيمنوں عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة رأى المؤمنون ربهم فأحدثهم عهدا بالنظر اليه من بكر فى كل جمعة وتراه المؤمنات يوم الفطر ويوم النحر حدثنا محمد بن نوح حدثنا محمد بن موسى بن سفيان السكرى حدثنا عبد الله ابن الجهم الرازى حدثنا عمرو بن أبى قيس عن أبى طيبة عن عاصم عن عثمان بن عمير أبى اليقظان عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتانى جبريل وفى يده كالمرآة البيضاء فيها كالنكتة السوداء فقلت ما هذا يا جبريل قال هذه الجمعة يعرضها الله عليك لتكون لك عيدا ولقومك من بعدك قلت وما لنا فيها قال لكم فيها خير أنت فيها الاول واليهود والنصارى من بعدك ولك فيها ساعة لا يسأل الله عز وجل عبد فيها شيأ هو له قسم الا أعطاه أو ليس قسم الا أعطاه أفضل منه وأعاذه الله من شر ما هو مكتوب عليه والا دفع عنه ما هو أعظم من ذلك قال قلت وما هذه النكتة السوداء

٢ قوله اكبادنا هكذا فى النسخ ولعله محرف عن اكبادها اهـ مصححه

حقيقي لانه قال لم يشهد سعد بن عبادة بدرا وان عد منهم لكونه ممن ضرب له بسهمه وأجره وفي العيون بعد ما نقله المصنف عنه وروينا عن ابن سعد انه كان يتهيأ للخروج الى بدر ويأتي دور الانصار يحضهم على الخروج فنهش قبل ان يخرج فأقام فقال صلى الله عليه وسلم لئن كان سعد لم يشهدها لقد كان عليها حريصا قال وروى بعضهم انه عليه السلام ضرب له بسهمه وأجره انتهى وهو أيضا ايماء الى ان الخلاف باعتبار لا حقيقي (ثم ارتحل) من المكان الذي كان فيه وهو ذفران بفتح المعجمة وكسر الفاء فراء فألف فنون واد قرب الصفراء وسار حتى نزل (قريبا من بدر ونزل قريش بالعدوة) بضم العين وكسرها وبهما قرئ في السبع وقرئ شاذا بفتحها جانب الوادي وحافته وقال أبو عمرو المكان المرتفع (القصوى) البعدى من المدينة تأنيث الاقصى وكان قياسه قلب الواو كالدنيا والعليا تفرقة بين الاسم والصفة فجاء على الاصل ٢ كالقعود وهو أكثر استعمالا من القصيا كما في الانوار (من الوادي ونزل المسلمون على كثيب) بمثلثة رمل مجتمع (أعفر) أحمر أو أبيض ليس بالشديد ولعله المراد (تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون الى ماء بدر فأحرزوه وحفروا القلب) جمع قليب البئر قبل أن تبنى بالحجارة ونحوها (لانفسهم) ليجعلوا فيها الماء من الآبار المعينة فيشربوا منها ويسقوا دوابهم ومع ذلك ألقى الله عليهم الخوف حتى ضربوا وجوه خيلهم اذا صهلوا من شدة الخوف وألقى الله الامنة والنوم على المسلمين بحيث لم يقدروا على منعه (وأصبح المسلمون بعضهم محدث وبعضهم جنب وأصابهم الظما) العطش (وهم لا يصلون الى الماء) لسبق المشركين له ثم نهض المسلمون الى أعدائهم فغلبوهم على الماء وعاروا القلب التي كانت تلي العدو فعطش الكفار وجاء النصر قاله السهيلي ويأتي قريبا في حديث الحباب (ووسوس الشيطان لبعضهم وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم أولياء الله وقد غلبكم المشركون على الماء وأنتم عطاش وتصلون محدثين) الحدث الاصغر (مجنبين) محدثين الحدث الاكبر لانهم لما ناموا احتلم أكثرهم كما في الانوار ولم تكن آية التيمم نزلت فرأى ابليس لعنه الله تلك الغرة (وما ينتظر أعداؤكم الا ان يقطع العطش رقابكم) قطعا مجازيا فلذا عطف عليه عطف تفسير (ويذهب قواكم) اذ لو كان حقيقة ما استقام قوله (فيتحكموا فيكم كيف شاؤا) من قتل من أرادوا وسبي من أرادوا فأرسل الله عليهم مطرا سال منه الوادي فشرب المسلمون) واتخذوا الحياض على عدوة الوادي (واغتسلوا وتوضؤا وسقوا الركاب) الابل التي يسار عليها الواحدة راحلة لا واحد لها من لفظها كما في المختار (وملؤا الاسقية وأطفأ) المطر (الغبار ولبد الارض) أيبسها (حتى ثبتت عليها الاقدام) والحوافر (وزالت عنهم وسوسة الشيطان) ورد كيده في نحره (وطابت أنفسهم) وضر ذلك بالمشركين لكون أرضهم كانت سهلة لينة وأصابهم ما لم يقدروا معه على الارتحال (فذلك قوله تعالى) اذ يغشاكم النعاس أمنة منه (وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أي من الاحداث والجنابة) وهو طهارة الظاهر (ويذهب عنكم رجز الشيطان أي وسوسته) وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وهو تطهير الباطن (وليربط على قلوبكم بالصبر) والاقدام على مجالدة العدو وهو شجاعة الباطن وفي الانوار بالوثوق على لطف الله بهم (ويثبت به الاقدام) أي بالمطر (حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض) وهو شجاعة الظاهر وفي الاساس تلبد التراب والرمل ولبده المطر ثم قال ومن المجاز كذا فأفاد أنه هنا حقيقة وقيل ضميره للربط على القلوب حتى تثبت في المعركة قال ابن اسحق فخرج صلى الله عليه وسلم يبادرهم الى الماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنزل به فقال الحباب بن المنذر بن الجموح يا رسول الله هذا منزل أنزلكه الله لا نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة فقال بل هو الرأي والحرب والمكيدة قال فان هذا ليس بمنزل فانهض

٢ قوله كالقعود هكذا في النسخ ولعله كالقصود فليتأمل اه مصححه

قال هي الساعة تقوم يوم الجمعة وهو عندنا سيد الايام ويدعوه أهل الآخرة يوم المزيد قال قلت يا جبريل وما يوم المزيد قال ذلك ان ربك عز وجل اتخذ في الجنة واديا أفيح من مسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بمنابر من ذهب فيجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب قال ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل فينظرون اليه فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي فسلوني فيسألونه الرضى قال رضاي أنزلكم داري وأنيلكم كرامتي فسلوني فيسألونه الرضى قال فيشهد لهم بالرضى ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم ثم يفتح لهم يوم الجمعة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ثم يرتفع رب العزة ويرتفع معه النبيون والشهداء ويجيء أهل الغرف الى غرفهم قال كل غرفة من لؤلؤة لا وصل فيها ولا

بالناس حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء
فنشرب ولا يشربون فقال صلى الله عليه وسلم أشرت بالرأي وعند ابن سعد فنزل جبريل فقال الرأي ما
أشار به الحباب فنهض صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فنزل حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل
عليه ثم أمر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذي نزل عليه فملئ ماء ثم قذفوا فيه الآنية وقوله
نغور بالغين المعجمة وشد الواو أي ندفنها ونذهبها وبالعين المهملة بمعناه عند ابن الأثير وقال أبو ذر معنى
المهملة نفسدها انتهى والسهيلي ضبطه بضم المهملة وسكون الواو على لغة من يقول قول القول وبوع
المتاع انتهى (وبني لرسول الله صلى الله عليه وسلم) بإشارة سعد كما رواه ابن إسحق حدثني عبد الله بن أبي
بكر أنه حدث أن سعد بن معاذ قال يا رسول الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى
عدونا فإن أعزنا الله وأظهرنا كان ذلك ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن
وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك
يمنعك الله بهم يناصحونك ويجاهدون معك فأثنى عليه صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير (عريش)
شبه الخيمة يستظل به قاله أبو ذر في حواشيه وقال السهيلي هو كل ما أظلك وعلاك من فوقك فإن علوته
أنت فهو عرش لا عريش وتعقبه مغلطاي بأن تفرقته بينهما لم يرها من لغوي والذي في العين أنهما ما
يستظل به (فكان فيه) قال السمهودي مكانه الآن عند مسجد بدر وهو معروف عند النخيل والعين
قريبة منه قال ويقربه في جهة القبلة مسجد آخر يسميه أهل بدر مسجد النصر ولم أقف فيه على شيء
(ثم) لما عدل صلى الله عليه وسلم صفوف أصحابه وأقبلت قريش ورآها عليه السلام وقال اللهم هذه
قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم
الغداة كما رواه ابن إسحق (خرج عتبة بن ربيعة) بن عبد شمس بن عبد مناف وقد رآه النبي صلى الله
عليه وسلم في القوم على جمل أحمر فقال إن يكن في أحد من القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن
يطيعوه يرشدوا وذكر ابن إسحق أنه قام خطيبا فقال يا معشر قريش والله ما تصنعوا بأن تلقوا محمدا
وأصحابه شيئا والله لئن أصبتموه لا يزال الرجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه وابن خاله
ورجلا من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فإن أصابه غيركم فذاك الذي أردتم وإن كان
غير ذلك ألفاكم ولم تعدموا منه ما تريدون وأرسل بذلك حكيم بن حزام إلى أبي جهل فأخبره فقال والله
ما بعتبة ما قال ولكنه رأى أن محمدا وأصحابه أكلة جزور وفيهم ابنه فتخوفكم عليه ثم أفسد على الناس
رأي عتبة وبعث إلى عامر بن الحضرمي فقال هذا حليفك يريد الرجوع بالناس وقد رأيت ثارك بعينك
فقم فانشد مقتل أخيك فقام عامر فصرخ واعمراه واعمراه فحميت الحرب وتعبوا للقتال والشيطان
معهم لا يفارقهم فخرج الأسود المخزومي وكان شرسا سيئ الخلق فقال أعاهد الله لأشربن من
حوضهم أو لأهدمنه أو لأموتن دونه فتبعه حمزة رضي الله عنه فضربه دون الحوض فوقع على ظهره
تشخب رجله دما ثم اقتحم الحوض زاعما أن تبر يمينه فقتله حمزة في الحوض ثم خرج بعده عتبة (بين أخيه
شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة) حتى فصل من الصف (ودعا إلى المبارزة فخرج إليه فتية من
الأنصار وهم عوف) بالفاء قال ابن عبد البر وسماه بعضهم عوذا أي بالذال وعوف أصح (ومعاذ) كذا
في النسخ والذي في الرواية معوذ (ابنا الحرث) الأنصاريان النجاريان (وأمهما عفراء) جملة استئنافية
لشهرتهما بها إلا أنها خرجت معهم وهي بنت عبيد بن ثعلبة الأنصارية النجارية الصحابية قال في
الإصابة لها خصوصية لا توجد لغيرها وهي أنها تزوجت بعد الحرث البكير بن ياليل الليثي فولدت له
إياسا وعاقلا وخالدا وعامرا وأربعتهم شهدوا بدرا وكذلك إخوتهم لأمهم بنو الحرث يعني عوفا ومعوذا

فصيرنا قوتة حمراء وغرفة
من زبرجدة خضراء
أبوابها وعلاليها مفتحة
وأغلاقها منها أنهارها
مطردة متدلية فيها
أثمارها فيها أزواجها
وخدمها قال فليسوا إلى
شيء أحوج منهم إلى يوم
الجمعة ليزدادوا من
كرامة الله عز وجل
ونظر إلى وجهه الكريم
فذلك يوم المزيد ولهذا
الحديث عدة طرق
ذكرها أبو الحسن
الدارقطني في كتاب الرؤية
* السابعة والعشرون
أنه قد فسر الشاهد الذي
أقسم الله به في كتابه بيوم
الجمعة قال حميد بن زنجويه
حدثنا عبد الله بن موسى
أنبأنا موسى بن عبيدة
عن أيوب بن خالد عن
عبد الله بن رافع عن أبي
هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليوم
الموعود يوم القيامة
واليوم المشهود هو يوم
عرفة والشاهد يوم الجمعة
ما طلعت شمس ولا
غربت على أفضل من
يوم الجمعة فيه ساعة
لا يوافقها عبد مؤمن
يدعو الله فيها بخير إلا
استجاب له أو يستعيذه
من شر إلا أعاذه منه
وروى الحارث بن أبي
أسامة في مسنده عن روح
عن موسى به وله طرق

ومعاذا فانتظم من هذا أنها صحابية فاسبعة أولاد شهدوا بدرا معه صلى الله عليه وسلم (وعبد الله بن رواحة) النقيب البدري الامير المستشهد بمؤتة (فقالوا من أنتم قالوا رهط من الانصار قالوا ما لنا بكم حاجة) وفي رواية لابن اسحق فقال عتبة أكفاء كرام انما نريد قومنا (ثم نادى مناديهم) قال في النور لا أعرف اسمه والظاهر انه أحد الثلاثة (يا محمد أخرج) بقطع الهمزة (الينا أكفاءنا من قومنا) وعند ابن عقبة وابن عائذ انه صلى الله عليه وسلم استحيا من خروج الانصار لانه أول قتال التقى فيه المسلمون والمشركون وهو عليه السلام شاهد معهم فاحب ان تكون الشوكة ببني عمه فناداهم أن ارجعوا الى مصافكم وليقم اليهم بنو عمهم (فقال صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحرث قم يا حمزة قم يا علي فلما قاموا ودنوا منهم قالوا من أنتم) لانهم كانوا متلثمين لم يخرجوا فلا يرد أنهم يعرفونهم لولادتهم بمكة ونشأتهم بينهم (فتسموا لهم) اختصار لقول ابن اسحق فقال عبيدة عبيدة وقال حمزة حمزة وقال علي علي (قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم) المسلمين (عتبة بن ربيعة) وكان أسن الثلاثة المشركين (وبارز حمزة شيبة بن ربيعة وبارز علي الوليد بن عتبة فقتل علي الوليد) وقتل حمزة شيبة واختلف عبيدة وعتبة بضربتين كلاهما أثبت صاحبه فكر حمزة وعلي باسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه الى أصحابه (هكذا ذكره ابن اسحق) محمد في السيرة (وعند موسى بن عقبة كما في فتح الباري برز حمزة لعتبة وعبيدة لشيبة وعلي للوليد ثم اتفقا) معا على قولهما (فقتل علي الوليد وقتل حمزة الذي بارزه) وهو شيبة عند ابن اسحق وعتبة عند ابن عقبة (واختلف عبيدة ومن بارزه) وهو عتبة أو شيبة على الروايتين (بضربتين) بان ضرب كل واحد منهما صاحبه ضربة أثخنتها (فوقعت الضربة في ركبة عبيدة) فمات منها لما رجعوا بالصفراء كما في الفتح قبل قوله (ومال حمزة وعلي على الذي بارز عبيدة فاعاناه على قتله) فهو قاتله باعانتهما وعلى رواية ابن اسحق هما اللذان قتلاه أي عجلا موته والا فعبيدة كان أثخنه (وعند الحاكم من طريق عبد خير) بن يزيد الهمداني أبي عمارة الكوفي قال في التقريب مخضرم ثقة لم يصح له صحبة (عن علي مثل قول موسى بن عقبة وعند أبي الاسود) محمد يتيم عروة (عن عروة) بن الزبير (مثله) فقويت رواية ابن عقبة على ابن اسحق (وأورد ابن سعد من طريق عبيدة) بفتح العين وكسر الموحدة ابن عمرو وقيل ابن قيس بن عمرو (السلماني) الكوفي التابعي الكبير أحد الاعلام أسلم قبل وفاته صلى الله عليه وسلم بسنتين ولم يلقه ومات سنة سبعين وقيل ثلاث وقيل أربع وسبعين (أن شيبة لحمزة وعبيدة لعتبة) مثل ما عند ابن اسحق (وعليا للوليد ثم قال) ابن سعد القول (الثبت) أي الاقوى (ان عتبة لحمزة وشيبة لعبيدة) لوروده عن علي الذي هو أحد الثلاثة من طرق عدة ومن وجوه الترجيح حضور الراوي للقصة ثم قد اعتضد بمرسل عروة وهو من كبار التابعين لاسيما ان كان حمله عن أبيه وهو من البدريين وجزم به موسى بن عقبة في مغازيه التي قال مالك والشافعي انها أصح المغازي قال في فتح الباري قال بعض من لقيناه اتفقت الروايات على أن عليا للوليد وانما اختلف في عتبة وشيبة أيهما لعبيدة وحمزة والاكثر أن شيبة لعبيدة قلت (و) في دعوى الاتفاق نظر فقد (أخرج أبو داود) من طريق حارثة بن مضرب (عن علي قال تقدم عتبة وتبعه ابنه وأخوه فنادى من يبارز فانتدب له) أي أجابه (شبان من الانصار فقال من أنتم فاخبروه فقال لا حاجة لنا فيكم انما أردنا بني عمنا فقال صلى الله عليه وسلم قم يا حمزة قم يا علي قم يا عبيدة فاقبل حمزة الى عتبة) فهذا طريق ثان عن علي انه له لا لشيبة (وأقبلت الى شيبة واختلف بين عبيدة والوليد ضربتان فاثخن كل واحد منهما صاحبه) فصرح بان الوليد لعبيدة وشيبة لعلي بخلاف ما ادعى عليه ذلك البعض الاتفاق مع صحته (ثم ملنا على الوليد فقتلناه واحتملنا عبيدة) الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخ ساقه يسيل فقال أشهيد

عن موسى بن عبيدة وفي معجم الطبراني من حديث اسمعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الاشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيامة والشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا وصلاة الوسطى صلاة العصر وقد روي من حديث جبير بن مطعم قلت والظاهر والله أعلم أنه من تفسير أبي هريرة فقد قال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة قال في هذه الآية وشاهد ومشهود وقال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة

* الثامنة والعشرون انه اليوم الذي تفزع منه السموات والارض والجبال والبحار والخلائق كلها الا شياطين الانس والجن فروى أبو الجواب عمار ابن رزيق عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس قال اجتمع كعب وأبو هريرة فقال أبو

أبابارسول الله قال نعم قال وددت والله ان أباطالب كان حيا ليعلم انا أحق منه بقوله

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم أنشأ يقول

فان يقطعوا رجلى فانى مسلم * أرجى به عيشا من الله عاليا

وألبسنى الرحمن من فضل منه * لباسا من الاسلام غطى المساويا

هذا بقية رواية أبى داود (قال الحافظ ابن حجر وهذا أصح الروايات) من جهة الاسناد لان اسناد أبى داود صحيح (لكن الذى فى السير من أن الذى بارزه على هو الوليد هو المشهور وهو اللائق بالمقام لان عبيدة وشيبة) مبارزة عند الاكثرين (كانا شيخين) فان سن عبيدة يومئذ ثلاث وستون سنة (كعتبة وحمزة) مبارزه على الارجح فان سن حمزة حينئذ كان ثمانيا وخمسين سنة (بخلاف على والوليد فكانا شابين) اذ سن على يومئذ عشرون سنة (وقد روى الطبرانى باسناد حسن عن على قال أعنت أنا وحمزة عبيدة بن الحرث على الوليد بن عتبة فلم يعب النبى صلى الله عليه وسلم علينا ذلك) ففيه جواز الاعانة لمن فرغ من قرنه (وهذا موافق لرواية أبى داود) فى أن الوليد لعبيدة فكيف يقول ذلك البعض اتفقت الروايات على أن عليا للوليد (والله أعلم) بما كان من ذلك (انتهى) كلام الحافظ وفيه جواز المبارزة خلافا لمن أنكرها كالحسن البصرى وشرط الاوزاعى والثورى وأحمد واسحق للجواز اذن أمير الجيش وفضيلة ظاهرة لعبيدة وحمزة وعلى رضى الله عنهم وقد أقسم أبو ذر ان هذان خصمان اختصموا فى ربهم نزلت فى الذين برزوا يوم بدر فذكر هؤلاء الستة وقال على أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة فينا نزلت هذه الآية هذان خصمان اختصموا فى ربهم رواهما البخارى وأخرج ابن جرير عن ابن عباس انها نزلت فى أهل الكتاب قالوا للمؤمنين نحن أولى بالله منكم وأقدم كتابا ونبينا قبل نبيكم فقال المؤمنون نحن أحق بالله آمنا بمحمد وبنبيكم وبما أنزل الله من كتاب وعن مجاهد انها مثل المؤمن والكافر اختصما فى البعث وهذا يشمل جميع الاقوال وينتظم فيه قصة بدر وغيرها فالمؤمنون يريدون نصرة دين الله والكافرون اطفاء نور الايمان وخذلان الحق وظهور الباطل واختار ابن جرير هذا واستحسن ولذا قال فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار (قال ابن اسحق و) لما قتل المبارزون وخرج صلى الله عليه وسلم من العريش لتعديل الصفوف ثم عاد اليه (تزاحف الناس) أى مشى كل فريق جهة الآخر (ودنا) قرب (بعضهم من بعض) وعند ابن اسحق أيضا أقبل نفر من قريش حتى وردوا حوضه صلى الله عليه وسلم فقال دعوهم فما شرب منه رجل يومئذ الا قتل الا حكيم ابن حزام ثم أسلم وحسن اسلامه فكان اذا اجتهد فى يمينه قال لا والذى نجانى من يوم بدر وأمر صلى الله عليه وسلم أصحابه أن لا يحملوا على المشركين حتى يأمرهم وان أكثبوكم فانضحوهم عنكم بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم واستبقوا نبلكم فقال أبو بكر يا رسول الله قد دنا القوم ونالوا منا فاستيقظ وقد أراه الله اياهم فى منامه قليلا فاخبر أصحابه فكان تثبيتا لهم وفى الصحيح عن أبى أسيد قال لنا صلى الله عليه وسلم يوم بدر اذا أكثبوكم فارموهم واستبقوا نبلكم قال ابن السكيت أكثب الصيد اذا أمكن من نفسه فالمعنى اذا قربوا منكم فامكنوكم فارموهم واستبقوا نبلكم فى الحالة التى اذا رميتم لا تصيب غالبا (ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى العريش ومعه أبو بكر ليس معه فيه غيره) وسعد بن معاذ متوشحا سيفه فى نفر من الانصار على باب العريش يحرسونه (وهو عليه الصلاة والسلام يناشد) أى يسال (ربه انجاز ما وعده من النصر) قال تعالى واذ يعدكم الله احدى الطائفتين وكان حقا علينا نصر المؤمنين ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون (ويقول) مع

سؤال

هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الجمعة لساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله فيها خير الدنيا والآخرة الا أعطاه اياه فقال كعب ألا أحدثكم عن يوم الجمعة انه اذا كان يوم الجمعة فزعت له السموات والارض والجبال والبحار والخلائق كلها الا ابن آدم والشياطين وحفت الملائكة بابواب المساجد فيكتبون الاول فالاول حتى يخرج الامام فاذا خرج الامام طووا صحفهم ومن جاء بعد جاء لحق الله وما كتب عليه ويحق على كل حالم أن يغتسل فيه كاغتساله من الجنابة والصدقة فيه أفضل من الصدقة فى سائر الايام ولم تطلع الشمس ولم تغرب على يوم كيوم الجمعة قال ابن عباس هذا حديث كعب وأبى هريرة وأنا أرى من كان لاهله طيب أن يمس منه ومشذوفى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة ومامن دابة الا وهى تفزع ليوم الجمعة الا هذين الثقلين من الجن والانس وهذا حديث صحيح وذلك انه اليوم الذى تقوم فيه

سؤال ذلك (اللهم ان تهلك هذه العصابة) قال النووى ضبطوه بفتح التاء وضمها فعلى الفتح العصابة بالرفع فاعل وعلى الضم بالنصب مفعول والعصابة الجماعة انتهى وجوّز نصبها مع فتح التاء على أنه متعد والثلاثة مع كسر اللام وفى لغة ابى تميم بفتح اللام مع فتح التاء ورفع ما بعده فهى أربعة لكن الرواية بالاولين فقط كما أفاده النووى بقوله ضبطوه بل اقتصر الحافظ على فتح التاء وكسر اللام ورفع العصابة ففيه اشارة الى انه أشهر الروايتين (من أهل الايمان اليوم فلا تعبد فى الارض أبدا) لفظ ابن اسحق الذى هو ناقل عنه اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد وفى حديث ابن عباس عند البخارى اللهم انى أنشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد وفى حديث عمر عند مسلم اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد فى الارض والاعتذار للمصنف بانه نقله بالمعنى اشارة الى أن المراد من الايمان والاسلام واحد انما يصح لو عزاه المصنف لمسلم وهو انما نقله عن ابن اسحق ولم يقع ذلك عنده وفيه اشعار بان من أسباب سؤاله ربه انجاز وعده بقاء عبادته فى الارض (وأبو بكر يقول) شفقة عليه ومحبة (يا رسول الله خل) أترك (بعض مناشدتك) مصدر مضاف لفاعله و(ربك) مفعوله وعلله بقوله (فان الله منجز) قاض أو معجل (لك ما وعدك) من النصر والظفر عليهم وغير ذلك (وعند سعيد بن منصور) بن شعبة أبى عثمان الخراسانى الحافظ الثقة أحد الاعلام صاحب السنن أخذ عن مالك والليث وخلق وعنه أحمد ومسلم وأبو داود وغيرهم مات بمكة سنة سبع وعشرين ومائتين وهو فى عشر التسعين (من طريق عبيد الله) بضم العين (ابن عبد الله) بفتحها (ابن عتبة) بضم العين واسكان الفوقية ابن مسعود الهذلى أبى عبد الله المدنى التابعى الوسط الثقة الثبت الفقيه كثير العلم والحديث أحد الفقهاء السبعة المتوفى سنة أربع أو ثمان أو خمس أو تسع وتسعين (قال لما كان) تامة أى حضر (يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين) الى (تكاثرهم) وفى نسخة فتكاثرهم بفتح المثلثة والراء من التفاعل وهى أنسب بقوله (والى المسلمين فاستقلهم) من القلة (فركع ركعتين) أى أحرم بهما لا فرغ منهما لما بعده (وقام أبو بكر عن يمينه) يحرسه لا يصلى معه ويؤيده قول على قام أبو بكر شاهرا السيف على رأسه صلى الله عليه وسلم لا يهوى اليه أحد الا أهوى اليه (فقال عليه السلام وهو فى صلاته) لعله فى سجودها اذ هو الاليق بمقام الدعاء لخبر أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد (اللهم) أسقط من رواية من عزاه لا تودع منى اللهم (لا تخذلنى) بفتح التاء وضم المعجمة أى لا تترك عونى ونصرى (اللهم انى أنشدك) بفتح الهمزة وسكون النون وضم المعجمة والدال أى أطلب منك (ما وعدتنى) وعند الطبرانى باسناد حسن عن ابن مسعود ما سمعنا مناشدا ينشد ضالة أشد من مناشدة محمد لربه يوم بدر اللهم أنشدك ما وعدتنى (وروى النسائى والحاكم عن على قال قاتلت يوم بدر شيأ من قتال ثم جئت) لاستكشاف حاله صلى الله عليه وسلم (فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى سجوده يا حى يا قيوم) أى لا يزيد على ذلك كذا قاله الشامى ولا يعارضه الحديث قبله لاحتمال انه قال ما فيه فى سجوده لانه قاله قبل اتيان على (فرجعت فقاتلت ثم جئته فوجدته كذلك) فعل ذلك أربع مرات وقال فى الرابعة ففتح عليه (وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر فى العريش مع الصديق رضى الله عنه أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم) فتور يتقدم النوم يحتمل بعد فراغه من صلاته ويحتمل فيها وعند ابن اسحق انه عليه السلام خفق فى العريش خفقة قال فى النور بفتح المعجمة والقاف أى حرك رأسه وهو ناعس انتهى ففيه انه لم يستغرق على انه لو استغرق ما ضر لان نومه ليس بناقض (ثم استيقظ متبسما فقال أبشر) بقطع الهمزة (يا أبا بكر) زاد ابن اسحق أتاك نصر الله (هذا جبريل على ثناياه النقع) بفتح النون وسكون القاف وعين مهملة الغبار

الساعة ويطوى العالم وتخرب فيه الدنيا ويبعث فيه الناس الى منازلهم من الجنة والنار * التاسعة والعشرون أنه اليوم الذى ادخره الله لهذه الامة وأضل عنه أهل الكتاب قبلهم كما فى الصحيح من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما طلعت الشمس ولا غربت على يوم خير من يوم الجمعة هدانا الله له وضل الناس عنه فالناس لنا فيه تبع هو لنا ولليهود يوم السبت وللنصارى يوم الاحد وفى حديث آخر ذخره الله لنا وقال الامام أحمد حدثنا على بن عاصم عن حصين بن عبد الرحمن عن عمرو بن قيس عن محمد بن الاشعث عن عائشة قالت بينا أنا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ استأذن رجل من اليهود فاذن له فقال السام عليك قال النبى صلى الله عليه وسلم وعليك قالت فهممت أن أتكلم قالت ثم دخل الثانية فقال مثل ذلك فقال النبى صلى الله عليه وسلم وعليك قالت فهممت أن أتكلم ثم دخل الثالثة فقال السام عليكم قالت فقلت بل السام عليكم وغضب الله اخوان

اشارة للاهتمام بمناصرته صلى الله عليه وسلم ليدخل عليه وعلى أصحابه السرور وفي البخاري عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه اداة الحرب قال الحافظ وأخرج سعيد بن منصور وتتمة لهذا الحديث مفيدة من مرسل عطية بن قيس ان جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بعدما فرغ من بدر على فرس حمراء معقودة الناصية قد عصب الغبار ثنيته عليه درعه وقال يا محمد ان الله بعثني اليك وأمرني أن لا أفارقك حتى ترضى أفرضيت قال نعم وروى البيهقي عن علي قال هبت ريح شديدة لم أر مثلها ثم هبت ريح شديدة وأظنه ذكر ثالثة فكانت الاولى جبرائيل والثانية ميكائيل والثالثة اسرافيل فكان ميكائيل عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وفيها أبو بكر واسرافيل عن يساره وأنا فيها انتهى ورواه ابن سعد وذكر الثلاثة جزما وقال فكانت الاولى جبريل في ألف من الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم والثانية ميكائيل في ألف عن يمينه والثالثة اسرافيل في ألف عن يساره وأخرج أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه والبيهقي عن علي قال قيل لي ولابي بكر يوم بدر مع أحدكما جبريل ومع الآخر ميكائيل واسرافيل ملك عظيم يحضر الصف ويشهد القتال قال الحافظ والجمع بينه وبين هبت ريح الخ ممكن (ثم خرج من باب العريش وهو يتلو سيهزم الجمع ويولون الدبر) قال الزجاج يعني الادبار لان اسم الواحد يقع على الجمع أي سيفرق شملهم ويغلبون وقيل أفرد لان كل واحد يولي دبره وقيل اشارة الى انهم في التولية والهزيمة كنفس واحدة ولا يثبت أحد فيهم دبر أحد وقيل لاجل رؤس الآي وفي هذا علم من أعلام النبوة لان هذه الآية نزلت بمكة وأخبرهم بأنهم سيهزمون في الحرب فكان كما قال وأخرج الطبري وابن مردويه عن ابن عباس لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر قال عمر أي جمع يهزم فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ولابن مردويه عن أبي هريرة عن عمر لما نزلت هذه الآية قلت يا رسول الله أي جمع فذكره ولابن أبي حاتم فعرفت تأويلها يوم بدر (فان قلت كيف جعل) أي شرع (أبو بكر يأمره عليه السلام) يسأله أو يلتمس منه على التسوية بين الامر والدعاء والالتماس (بالكف عن الاجتهاد في الدعاء ويقوي رجاءه ويثبته ومقام الرسول صلى الله عليه وسلم هو المقام الاحمد) الذي لا يصل اليه أحد ومقام الصديق رضي الله عنه دونه بمراحل فانه بعد النبيين ومقام النبي عليه السلام فوق الجميع (ويقينه فوق يقين كل أحد أجاب السهيلي نقلا عن شيخه) القاضي أبي بكر بن العربي الحافظ (بان الصديق في تلك الساعة كان في مقام الرجاء) ثقة بوعد الله نبيه (والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف) قال القاضي أبو بكر وكلا المقامين سواء في الفضل قال السهيلي لا يريد يعني شيخه ان النبي صلى الله عليه وسلم والصديق سواء ولكن الخوف والرجاء مقامان لابد للايمان منهما فكان الصديق في مقام الرجاء والنبي صلى الله عليه وسلم في مقام الخوف من الله (لان الله تعالى أن يفعل ما شاء فخاف أن لا يعبد الله في الارض) بعدها (فخوفه ذلك عبادة انتهى) ولا ريب أن خوفه أعلى من رجاء أبي بكر (وقال الخطابي لا يتوهم) لفظه لا يجوز أن يتوهم (أحد ان أبا بكر كان أوثق بربه من النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة بل الحامل للنبي صلى الله عليه وسلم على ذلك شفقته على أصحابه وتقوية قلوبهم فبالغ في التوجه) بان أقبل بجملته على الله باطنا (والدعاء) الطلب باللسان (والابتهال) التضرع والاخلاص في الدعاء (لتسكن نفوسهم عند ذلك لانهم كانوا يعلمون أن وسيلته مستجابة فلما قال له أبو بكر ما قال كف عن ذلك) الاجتهاد في الدعاء (وعلم أنه استجيب له لما) حين (وجد أبا بكر في ثقة من القوة والطمأنينة) اللتين هما علامة بحسب العادة الربانية مع المصطفى وصحبه على عدم ضررهم وحصول مطلوبهم (فلهذا أعقبه بقوله سيهزم الجمع) الذين قالوا نحن جميع منتصر (ويولون الدبر) قال

أتحيون رسول الله بما لم يحيه به الله عز وجل قالت فنظر الي فقال مه ان الله لا يحب الفحش ولا التفحش قالوا قولا فرددناه عليهم فلم يضرنا شيا ولزمهم الى يوم القيامة انهم لا يحسدونا على شئ كما يحسدونا على الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله قال الناس لنا فيه تبع اليهود غدا والنصارى بعد غد وفي بيد لغتان بالباء وهي المشهورة وميد بالميم حكاها أبو عبيدة وفي هذه الكلمة قولان أحدهما انها بمعنى غير وهو أشهر معنييها والثاني بمعنى على ان وأنشد أبو عبيدة شاهدا له

عمدا فعلت ذاك بيد اني
أخال لو هلكت لم ترني

في الفتح وزل من لاعلم عنده ممن ينسب الى الصوفية في هذا الموضع زللا شديدا فلا يلتفت اليه ولعل الخطابي أشار اليه (وقال غيره وكان النبي صلى الله عليه وسلم في تلك الحالة في مقام الخوف وهو أكمل حالات الصلاة) الدعاء أو الشرعية فإن وقوعها في الخوف أعلى الاحوال والدرجات (وجاز عنده) عليه السلام (أن لا يقع النصر يومئذ لان وعده بالنصر لم يكن معينا لتلك الواقعة وانما كان مجملا) فيفرض تأخره مدة لا ينافي انه أعطاه ما وعده به (هذا هو الذي يظهر من بادئ الرأي) وهذا غير جواب السهيلي لان ملحظه تجويز ان النصر لا يقع يومئذ بل يتأخر مدة وملحظ جواب السهيلي انه خاف أن لا يعبد الله في الارض و يأتي ما قاله النووي عن العلماء وذهب قاسم بن ثابت في معنى الحديث الى غير هذا فقال انما قال ذلك الصديق رقة عليه صلى الله عليه وسلم لما رأى من نصبه في الدعاء والتضرع حتى سقط الرداء عن منكبيه فقال له بعض هذا يا رسول الله أي لم تتعب نفسك هذا التعب والله قد وعدك بالنصر وكان رقيق القلب شديد الاشفاق عليه صلى الله عليه وسلم (وانما قال عليه الصلاة والسلام اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام) ساقه هنا بلفظ مسلم وفيما مر بمعناه (فلا تعبد بعد اليوم لانه علم انه خاتم النبيين فلو هلك هو ومن معه) أفاد أن العصابة هو وأصحابه لاهم فقط لجواز أنه يدعو غيرهم أفيؤمنون ويعبدون (لا يبعث أحد ممن يدعو الى الايمان) وذلك مستلزم عادة لعدم الايمان وان كان الله قادرا على ان الناس يعبدونه بغير واسطة رسول تتعلق ارادته بعبادتهم كما قال انما قولنا لشئ الآية (وأما شدة اجتهاده عليه الصلاة والسلام ونصبه) بفتحتين تعبه (في الدعاء فانه) كما قال السهيلي (رأى الملائكة تنصب) بفتح الصاد (في القتال وجبريل على ثناياه الغبار وأنصار الله يخوضون) يقتحمون (غمرات الموت) شدائده (والجهاد على ضربين جهاد بالسيف وجهاد بالدعاء ومن سنة الامام) عادته وطريقته (أن يكون وراء الجند) خلف الجيش (لا يقاتل معه فكان الكل في جد) بكسر الجيم (واجتهاد) عطف تفسير (ولم يكن) مريدا (ليريح نفسه من أحد الجدين وأنصار الله وملائكته يجتهدون) جملة حالية (ولا ليؤثر الدعة) الراحة (وحزب الله) المؤمنون (مع أعدائه يجتلدون انتهى) كلام السهيلي (وفي صحيح مسلم) وسنن أبي داود والترمذي (عن ابن عباس قال حدثني) (عمر بن الخطاب) قال (لما كان يوم بدر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف) هذا أولى بالصواب لصحته وكونه عن عمرو وافقه عليه ابن مسعود وهما بدريان ومر قول ابن عقبة وابن عائذ أنهم تسعمائة وخمسون مقاتلا وانه يمكن الجمع بان الخمسين باقي الالف غير مقاتلين وهذا خير من تأويل الحديث بانه في نظر الرائي لان فيه زد الحديث الصحيح المسند عن حضر الوقعة الى كلام أهل السير بلا اسناد على ان الرائي انما كان يراهم قليلا كما في القرآن واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا (وأصحابه ثلثمائة وتسعة عشر رجلا) بفوقية فسين مهملة وتسخة وبضعة عشر بموحدة فضاد تحريف من النساخ للعزو لمسلم فان بضعة رواية البخاري عن البراء أما رواية مسلم عن عمر فتسعة بفوقية وسين وكذا نقله عنه اليعمري والحافظ جامعا بانه ضم الى الثلثمائة والثلاثة عشر من لم يؤذن له في القتال (دخل العريش فاستقبل القبلة ومد يديه وجعل يهتف) بفتح أوله وكسر الفوقية قال النووي أي يصيح ويستغيث بالدعاء وفيه استحباب استقبال القبلة ورفع اليدين في الدعاء وانه لا بأس برفع الصوت فيه (بربه) يقول رافعا صوته (اللهم انجز) بفتح الهمزة (لي ما وعدتني) أسقط من رواية مسلم اللهم آتني ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة من أهل الاسلام لا تعبد في الارض (فما زال يهتف بربه مادا يديه) أسقط من الرواية مستقبل القبلة (حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأخذ أبو بكر رداءه فألقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كذاك) بالذال المعجمة يعني كفاك قال قاسم بن ثابت كذاك يراد بها الاغراء والامر بالكف

ترني تفعلي من الرسين * الثلاثون انه خيرة الله من أيام الاسبوع كما ان شهر رمضان خيرته من شهور العام وليلة القدر خيرته من الليالي ومكة خيرته من الارض ومحمد صلى الله عليه وسلم خيرته من خلقه قال آدم بن أبي اياس حدثنا شيبان أبو معاوية عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن كعب الاحبار قال ان الله عز وجل اختار الشهور واختار شهر رمضان واختار الايام واختار يوم الجمعة واختار الليالي واختار ليلة القدر واختار الساعات واختار ساعة الصلاة والجمعة تكفر ما بينها وبين الجمعة الاخرى وتزيد ثلاثا ورمضان يكفر ما بينه وبين رمضان والحج يكفر ما بينه وبين الحج والعمرة تكفر ما بينها وبين العمرة ويموت الرجل بين حسنتين حسنة قضاها وحسنة ينتظرها يعني صلاتين وتصفد الشياطين في رمضان وتغلق أبواب النار وتفتح فيه أبواب الجنة ويقال فيه يا باغي الخير هلم رمضان أجمع وما من ليالي أحب الى الله فيهن العمل من ليالي العشر * الحادية

عن التقعن وهو المراد هنا ومنه قول جرير

تقول وقد تراحمت المطايا * كذاك القول ان عليك عينا

أي حسبك من القول فاتركه قال الحافظ وأخطأ من زعم انه تصحيف وان الاصل كفاك اه وقال النووي قوله كذاك بالذال وبعضهم أي الرواة كفاك بالفاء وفي البخاري حسبك وكل بمعنى (مناشدتك) بالنصب على الأشهر بما فيه من معنى الفعل من الكف وبالرفع فاعل به قاله عياض ثم النووي (ربك) بالنصب قال السهيلي أي بالمفاعلة والرب لا ينشد عبده لانها مناجاة للرب ومحاولة لامر يريده وفي البخاري فأخذ أبو بكر بيده فقال حسبك قد ألححت على ربك (فانه سينجز لك ما وعدك) من النصر قال النووي قال العلماء انما فعل صلى الله عليه وسلم هذه المناشدة ليراه أصحابه بتلك الحال يتقوى قلوبهم بدعائه وتضرعه مع ان الدعاء عبادة وقد كان الله وعده احدى الطائفتين اما العير واما الجيش والعير قد ذهبت فكان على ثقة من حصول الاخرى ولكن سأل تعجيل ذلك من غير أذى يلحق المسلمين (فانزل الله تعالى اذ تستغيثون ربكم) تطلبون منه الغوث بالنصر عليهم بدل من اذ يعدكم او متعلق بقوله ليحق الحق أو على اضمار اذكر وجمع وان كان الدعاء من المصطفى وحده للتعظيم أو لانه يعم الجميع فكأنهم مشاركون له أو لان الصحابة كانوا يستغيثون أيضا كما روى انهم لما علموا ان لا محيص من القتال قالوا أي رب انصرنا على عدوك أغثنا يا غياث المستغيثين (فاستجاب لكم اني) قال البيضاوي أي باني فحذف الجار وسلط عليه الفعل وقرأ أبو عمرو بالكسر على ارادة القول أو اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (ممدكم) اي (مرسل اليكم مددا لكم بالف من الملائكة مردفين بكسر الدال اسم فاعل حال من الملائكة (أي متتابعين بعضهم في أثر) حكي تثليث الهمزة كما في النور (بعض) من أردفته اذا جئت بعده أو متبعين أنفسهم المؤمنين من أردفته اياه فردفه (وعلى قراءة فتح الدال) وهي قراءة نافع ويعقوب اسم مفعول معناه أردف الله عز وجل المسلمين) بالف من الملائكة (وجاءهم بهم مددا) وهو حال من مفعول من يمدكم أو من الملائكة والمعنى انهم مردفون بملائكة تعقبهم وتنضم اليهم قال النحاس ومكي وغيرهما وقراءة كسر الدال أولى لان أهل التاويل عليها ولان عليه أكثر القراء ولان فيها معنى الفتح قاله القرطبي (وفي الآية الاخرى) في آل عمران ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم (بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) قرأ جعفر بن محمد وعاصم الجحدري بآلف بضم اللام جمع ألف كافلس جمع فلس فلا خلاف بين الآيتين وعلى القراءة المشهورة بالافراد (فقيل في معناه) جمعا بينهما (ان الالف أردفهم بثلاثة آلاف فكان الاكثر مددا للاقل وكان الالف مردفين) بفتح الدال (بمن وراءهم) والمعنى ان الثلاثة آلاف قوت الالف وزادتهم (والالف هم الذين قاتلوا مع المؤمنين) والباقون كانوا عددا ومددا فاتفقت الآيتان وقيل في الجمع أيضا ان الالف كانوا على المقدمة أو الساقة أو هم وجوههم وأعيانهم (وهم الذين قال لهم فثبتوا الذين آمنوا) بالبشارة وتكثير سوادهم أو بمحاربة أعدائهم فيكون قوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب كالتفسير لقوله اني معكم وفيه دليل على انهم قاتلوا (وكانوا في صور الرجال) فكان الملك يمشي امام الصف في صورة رجل ويقول أبشروا فان الله ناصركم عليهم ويظن المسلمون انه منهم ذكره القرطبي (ويقولون للذين آمنوا اثبتوا) وعللوا ذلك بقولهم (فان عدوكم قليل) باعتبار ما انضم اليهم من الملائكة أو بخذلان الله لهم حتى قلوا في المعنى وان كثروا في العدد أو قليل في نظركم كما قال واذ يريكموهم اذ التقيتم في أعينكم قليلا حتى قال ابن مسعود لمن بجنبه أتراهم سبعين فقال أراهم مائة (وان الله معكم) بالنصر والمعونة وقد رأى المشركون الملائكة لتضعف قلوبهم وتنكسر

والثلاثون ان الموتى تدنو أرواحهم من قبورهم وتوافيها في يوم الجمعة فيعرفون زوارهم ومن يمر بهم ويسلم عليهم ويلقاهم في ذلك اليوم أكثر من معرفتهم بهم في غيره من الايام فهو يوم تلتقي فيه الاحياء والاموات فاذا قامت فيه الساعة التقى الاولون والآخرون وأهل الارض وأهل السماء والرب والعبد والعامل وعمله والمظلوم وظالمه والشمس والقمر ولم تلتقيا قبل ذلك قط وهو يوم الجمع واللقاء ولهذا يلتقي الناس فيه في الدنيا أكثر من التقائهم في غيره فهو يوم التلاق قال أبو التياح لاحق بن حميد كان مطرف بن عبد الله يبدو فيدخل كل جمعة فادلج حتى اذا كان عند المقابر يوم الجمعة قال فرأيت صاحب كل قبر جالسا على قبره فقالوا هذا مطرف يأتي الجمعة قال فقلت لهم وتعلمون عندكم الجمعة قالوا نعم ونعلم ما تقول فيه الطير قلت وما تقول فيه الطير قالوا تقول رب سلم سلم يوم صالح وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب المنامات وغيره عن بعض أهل عاصم الجحدري قال رأيت

كما في عدة أخبار (وقال الربيع بن أنس) البكري أو الحنفي البصري نزيل خراسان صدوق له أوهام ورمي بالتشيع مات سنة أربعين ومائة وقيل قبل الاربعين (أمد الله المسلمين بالف) أولا وهو الذي في الانفال (ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم) لما صبروا واتقوا (صاروا خمسة آلاف) كما قال تعالى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف الآية قال في فتح الباري كان الربيع جمع بذلك بين آيتي آل عمران والانفال (وقال سعيد بن أبي عروبة) مهران اليشكري مولاهم البصري مما رواه ابن أبي حاتم عنه (عن قتادة) بن دعامة الاكمه المفسر المشهور (أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف) من الملائكة وهذا موافق للربيع (و) روى ابن أبي حاتم بسند صحيح (عن عامر الشعبي) التابعي (ان المسلمين بلغهم يوم بدر ان كرز) بضم الكاف وسكون الراء وزاي (ابن جابر القهري) صحب بعد واستشهد في الفتح كما مر (يمد) بضم الياء وكسر الميم من الامداد أي يعين (المشركين فشق عليهم فانزل الله تعالى ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين) انكارا ان لا يكفيهم ذلك وانما جيء بلن اشعارا بانهم كانوا كالآيسين من النصر لضعفهم وقلتهم وقوة العدو وكثرتهم كذا في الانوار قال شيخنا وكان وجه الاشعار أنه لما أدخل همزة الاستفهام الانكاري على النفي للكفاية في المستقبل أفاد انهم كانوا لا يرجونه ولا يأملونه (الى قوله مسومين) معلمين من التسويم وهو اظهار سيما الشيء وقيل مرسلين من التسويم بمعنى الاسامة وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم ويعقوب بكسر الواو (قال) الشعبي (فبلغت كرزا الهزيمة) للمشركين (فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمون بالخمسة) وانما أمدوا بالالف ثم بالثلاثة وماذكره من ان هذه الآية في قصة بدر قال الحافظ هو قول الاكثر فهي متعلقة بقوله ولقد نصركم الله ببدر وبه جزم الداودي وعليه عمل البخاري وأنكره ابن التين فذهل وقيل متعلقة بقوله واذ غدوت من أهلك فهي في غزوة أحد وهو قول عكرمة وطائفة وقد لمح البخاري للاختلاف في النزول فذكر قوله تعالى واذ غدوت من أهلك وكذا لبس الشمن الاحرثي في أحد وذكر له غد اذلك في بدر وهو المعتمد انتهى (و) روى البيهقي وغيره (عن ابن عباس) قال (جاء ابليس يوم بدر في جند من الشياطين في صورة سراقة بن مالك بن جعشم) بضم الجيم وسكون المهملة وضم المعجمة على المشهور وحكي فتحها تقدم في الهجرة وكان جنده في صورة رجال من بني مدلج وذلك كما عند ابن اسحق ان قريشا لما فرغوا من جهازهم وأجمعوا السير ذكروا ما بينهم وبين بني بكر بن عبد مناة بن كنانة من الحرب فقالوا انا نخشى ان نؤتى من خلفنا فتبدى لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك الكناني المدلجي وكان من أشراف بني كنانة (فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار) مجير (لكم) وفي رواية ابن اسحق وانا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا (فلما أقبل جبريل عليه السلام والملائكة) الى ابليس كما في رواية البيهقي ورآه ابليس (كانت يده في يد رجل من المشركين) هو عمير بن وهب أو الحرث بن هشام ذكرهما ابن اسحق وأسلم كل منهما بعد ذلك وصحب (فانتزع يده ثم نكص على عقبيه) أي رجع بلغة سليم قال

ليس النكوص على الادبار مكرمة * ان المكارم ادبار على الاسل

وقال

وما ينفع المستأخرين نكوصهم * ولا ضر أهل السابقات التقدم

وليس هذا تقهقرى بل هو فرار كما قال اذا سمع الاذان أدبر وله ضراط قاله القرطبي قال في رواية البيهقي ثم ولى هاربا هو وشيعته (فقال الرجل يا سراقة أتزعم انك لنا جار) وقد خذلتنا وانهزمت لتكون سببا في هزيمتنا (فقال اني أرى ما لا ترون) من مجيء الملائكة لنصر المسلمين ولا ينافيه ان المشركين رأوا الملائكة لانهم رأوهم في صورة الرجال فظنوهم رجالا وابليس عرف انهم ملائكة او رأى جلتهم

عاصم الجحدري في منامي بعد موته لسنتين فقلت أليس قد مت قال بلى قلت فاين أنت قال أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا لكم قال نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله وليلة السبت الى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمته وذكر ابن أبي الدنيا أيضا عن محمد بن واسع انه كان يذهب كل غداة سبت حتى يأتي الجبانة فيقف على القبور فيسلم عليهم ويدعو لهم ثم ينصرف فقيل له لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وذكر عن سفيان الثوري قال بلغني عن الضحاك انه قال من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل له كيف ذلك قال

والمشر كون بعضهم أوغير ذلك (انى أخاف الله) قال الحسن خاف أن يكون يوم بدر اليوم الذى أنظر اليه اذرأى فيه ما لم يره وقال قتادة كذب ما به من خوف ولكن علم انه لا قوة له فاوردهم وأسلمهم وهذه عادته لمطيعه وقيل غير ذلك (والله شديد العقاب) قال البيضاوى يجوز انه من كلامه وانه مستأنف وفى ذلك يقول حسان

سرنا وساروا الى بدر لحينهم * لو يعلمون يقين العلم ما ساروا

دلاهمو بغرور ثم أسلمهم * ان الخبيث لمن والاه غرار

وحمل الآية على تصوره بصفة سراقة هو مذهب الجمهور وقيل المراد الوسوسة وقوله انى جار لكم مقالة نفسانية وقال صلى الله عليه وسلم ما رأى الشيطان يوما هو أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيظ منه فى يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عز وجل عن الذنوب العظام الا ما رأى يوم بدر قيل وما رأى يوم بدر يا رسول الله قال أما انه رأى جبريل والملائكة رواه مالك فى الموطا (وروى ان جبريل نزل فى خمسمائة وميكائيل فى خمسمائة فى صورة الرجال) لا ينافى هذا أن كلا نزل فى ألف كما رواه ابن سعد وغيره كما لجواز أنه أردف كل بخمسمائة أو الخمسمائة بقيد كونهم (على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض) من نور كما فى الرواية (قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم) ففى كونها من نور اشارة الى ان ذلك بالنظر لما تصوروا به اذ لم يكن عليهم شئ من العمائم المعروفة عليهم الصلاة والسلام (وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت سيما) خبر مقدم أى علامات (الملائكة يوم بدر عمائم) اسم كان (بيض) صفته (ويوم حنين عمائم خضر) رواه ابن اسحق والطبرانى وفى اسناده عمار بن أبى مالك ضعفه الازدى (وعن على كانت سيما الملائكة يوم بدر الصوف الابيض) أى النور المرئى للناظر مثل الصوف الابيض اذ الملائكة أجسام نورانية لا يليق بها الملابس الجسمانية (وكانت سيماهم أيضا فى نواصى خيلهم) وأذنابها كما هو بقية الرواية عند من عزاله بقوله (رواه ابن أبى حاتم) عبد الرحمن بن محمد ابن ادريس بن المنذر التميمى الحنظلى الرازى الحافظ ابن الحافظ (وروى ابن مردويه) بسند فيه عبد القدوس بن حبيب وهو متروك (عن ابن عباس رضى الله عنهما يرفعه) لفظة استعملها المحدثون بدل قال صلى الله عليه وسلم (فى) تفسير (قوله تعالى مسومين قال معلمين) بضم الميم وسكون العين اسم مفعول من أعلم الفارس جعل لنفسه علامة الشجعان أو بفتح العين وشد اللام من علم أو اللام مخففة من علم كنصر وضرب وسم (وكانت سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود) أى بعضهم فلا يخالف ما قبله ولا ما بعده اشارة للمسلمين بالسودد والنصر وأنهم يسودون عدوهم بالقتل والاسر كما لبس صلى الله عليه وسلم العمامة السوداء يوم فتح مكة (ويوم حنين عمائم خضر) موافق لما قبله (وروى ابن أبى حاتم عن الزبير) بن العوام البدرى الحوارى (ان الملائكة نزلت) يوم بدر (وعليهم عمائم صفر) ورواه ابن جرير باسناد حسن عن أبى أسيد الساعدى وهو بدرى ولفظه خرجت الملائكة يوم بدر فى عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم وذلك اظهار لامارات السرور للمسلمين وان هذا الحرب الذى هم فيه انما هو فرح بنالهم لا ترح وفى الاصفر من التفريح والسرور ما يشهد به قوله تعالى تسر الناظرين ولذا قيل من لبس نعلا صفرا لم يزل فى سرور ما دام لابسها ورفعه كذب كما قال أبو حاتم فعلم من هذه الروايات أن عمائمهم اختلفت ألوانها لكن قال السيوطى الذى صح من الروايات فى العمائم انها صفر مرخاة بين الاكتاف ورواية البيض والسود ضعيفة ثم هذا كله مع ما يأتى يرد قول عكرمة ومن وافقه ان نزول الملائكة فى غزوة أحد ويؤيد قول الاكثرين وهو المعتمد كما مر عن الحافظ انه فى بدر وقد قال البخارى فى صحيحه باب شهود الملائكة بدرا وقال مسلم فى الصحيح باب الامداد بالملائكة فى غزوة بدر وفى مسند اسحق بن راهويه عن جبير بن مطعم رأيت قبل هزيمة القوم ببدر مثل البجاد الاسود أقبل من السماء

لمكان يوم الجمعة * الثانية والثلاثون أنه يكره افراد يوم الجمعة بالصوم هذا منصوص أحمد قال الاثرم قيل لابى عبد الله صيام يوم الجمعة فذكر حديث النهى ان يفرد ثم قال الا أن يكون فى صيام كان يصومه وأما ان يفرد فلا قلت رجل كان يصوم يوما ويفطر يوما فوقع فطره يوم الخميس وصومه يوم الجمعة وفطره يوم السبت فصار الجمعة مفردا قال هذا الا ان يتعمد صومه خاصة انما كره ان يتعمد الجمعة وأباح مالك وأبو حنيفة صومه كسائر الايام قال مالك لم أسمع أحدا من أهل العلم والفقه ومن يقتدى به ينهى عن صيام يوم الجمعة وصيامه حسن وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه وأراه كان يتحراه قال ابن عبد البر اختلفت الآثار عن النبى صلى الله عليه وسلم فى صيام يوم الجمعة فروى ابن مسعود رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر وقال قل ما رأيته مفطرا يوم الجمعة وهذا حديث صحيح وقد روى عن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ما رأيت رسول الله صلى

كالنمل فلم أشك انها الملائكة فلم يكن الاهزيمة القوم والاخبار طافحة بقتالهم في بدر وهو ظاهر القرآن حتى (قيل ولم تقاتل الملائكة غير يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه عددا) بضم العين جمع عدة كغرف وغرفة (ومددا لا يضربون (وبذلك) بل وبتر جيحه (صرح العماد بن كثير في تفسيره فقال المعروف من قتال الملائكة) على العموم (انما كان يوم بدر ثم روى) باسناده (عن ابن عباس قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر) وهذا حجة على من زعم انهم لم يقاتلوا فيها (وقال ابن مرزوق ولم تكن تقاتل في غيرها بل يحضرون خاصة على المختار من الاقوال) الثلاثة (عند بعضهم) التي هي قاتلت فيها دون غيرها قاتلت فيها وفي غيرها لم تقاتل فيها ولا في غيرها وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والافلك واحد يكفي في اهلاك أهل الدنيا وهذه شبهة يدفعها ما يأتي عن السبكي (وفي نهاية البيان في تفسير التبيان عند تفسير قوله تعالى ويوم حنين وهل قاتلت الملائكة) يوم حنين (أم لا فيه قولان أحدهما وهو قول الجمهور انها لم تقاتل) لان الله انما قال وأنزل جنودا لم تروها ولا دلالة فيه على قتال (انتهى وهذا) أي القول بأنها لم تقاتل الا يوم بدر (يرده حديث مسلم في صحيحه) في المناقب لا المغازي (عن سعد بن أبي وقاص انه رأى عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن شماله يوم أحد رجلين) ملكين في صفة رجلين (عليهما ثياب بيض ما رأيتهما قبل ولا بعد) وفي رواية الطيالسي لم أرهما قبل ذلك اليوم ولا بعده (يعني جبريل وميكائيل عليهما الصلاة والسلام يقاتلان كأشد القتال) الكاف زائدة أو للتشبيه أي كأشد قتال بني آدم وانما عزاه لمسلم فقط مع أن البخاري أخرجه أيضا لزيادة مسلم يعني جبريل وميكائيل (قال النووي فيه) من الفوائد (بيان اكرامه صلى الله عليه وسلم بانزال الملائكة تقاتل معه وبيان أن قتالهم لم يختص بيوم بدر قال) النووي (وهذا هو الصواب خلافا لمن زعم اختصاصه) أي يوم بدر بقتال الملائكة (فهذا) الحديث (صريح في الرد عليه) ولا صراحة فيه وقد أجاب عنه البيهقي وغيره بما حاصله ان قتال الملائكة ببدر كان عاما عن جميع القوم وأما في أحد فانهما ما لكان وقتالهما عن النبي صلى الله عليه وسلم دون غيره على انه لا يلزم من ذلك قتالهما بل يجوز انهما كانا يدفعان عنه ما يرمى به من نحو السهام وعبر عن ذلك بالقتال مجازا (قال النووي (وفيه) أيضا (ان رؤية الملائكة لا تختص بالانبياء عليهم الصلاة والسلام بل يراهم الصحابة والاولياء) ولكن على غير صورهم الاصلية (انتهى) وقد يعلمون بأنهم ملائكة وقد لا يعلمون كما في حديث ولا يعرفه منا أحد وقال صلى الله عليه وسلم هذا جبريل جاء يعلمكم دينكم (قال ابن الانباري) بفتح الهمزة وسكون النون نسبة الى الانبار بالعراق (وكانت الملائكة لا تعلم كيف تقتل) بالبناء للمفعول (الآدميون فعلمهم الله تعالى بقوله فاضربوا فوق الاعناق أي الرؤس) فالتعبير بالاعناق مجاز فانها الوصلة بين الرأس والجسد والضرب على الرأس أبلغ لان أدنى شئ يؤثر في الدماغ وهذا قول عكرمة ويوافقه قول ابن عباس كل هام وجمجمة وقال الضحاك وعطية والاخفش فوق زائدة وخطأهم محمد بن يزيد لان فوق تفيد معنى فلا تجوز زيادتها ولكن المعنى أنه أبيح لهم ضرب الوجوه وما قرب منها (واضربوا منهم كل بنان قال ابن عطية) أي (كل مفصل) وهو قول الضحاك قال الزجاج واحده بنانة وهي هنا الاصابع وغيرها من الاعضاء قال ابن فارس البنان الاصابع ويقال الاطراف وقيل المراد بالبنان في الآية أطراف الاصابع من اليدين والرجلين لان ضربهما يعطل المضروب عن القتال بخلاف سائر الاعضاء ويؤيد الاول قوله (قال السهيلي جاء في التفسير انه ما وقعت ضربة يوم بدر الا في رأس أو مفصل وكانوا) كما رواه يونس ابن بكير في زيادات المغازي والبيهقي عن الربيع بن أنس قال كان الناس (يعرفون قتلى) جمع قتيل (الملائكة) ممن قتلوه (بآثار سود في الاعناق والبنان)

الله عليه وسلم يفطر يوم الجمعة قط ذكره ابن أبي شيبة عن حفص بن غياث عن ليث بن أبي سليم عن عمير بن أبي عمير عن ابن عمر وروى ابن عباس انه كان يصومه ويواظب عليه وأما الذي ذكره مالك فيقولون انه محمد بن المنكدر وقيل صفوان بن سليم وروى الدراوردي عن صفوان ابن سليم عن رجل من بني خيثم انه سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام يوم الجمعة كتب له عشرة أيام غرر زهر من أيام الآخرة لا يشاكلهن أيام الدنيا والاصل في صوم يوم الجمعة انه عمل بر لا يمنع منه الا دليل لا معارض له قلت قد صح المعارض صحة لا مطعن فيها البتة ففي الصحيحين عن محمد بن عباد قال سألت جابرا أنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الجمعة قال نعم وفي صحيح مسلم عن محمد بن عباد قال سألت جابر بن عبد الله وهو يطوف بالبيت أنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صيام يوم الجمعة قال نعم ورب هذه البنية وفي الصحيحين من حديث

مثل سمة النار قد احترق كما هو بقية الرواية ولعله الغالب أو أريد بالسواد ما خالف اللون المعتاد فيهم والا ففي مسلم في بقية الحديث الذي تقدم عنه المصنف قال أبو زميل فحدثني ابن عباس قال بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين أمامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم فنظر الى المشرك امامه فخر مستلقيا فنظر اليه فاذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الانصاري فحدث بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال حدثني رجل من بني غفار) قال البرهان لا أعرف اسمه وهو مذكور في الصحابة قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى صعدنا) أي علونا يقال صعد وأصعد بمعنى كما في المطالع (على جبل يشرف على بدر ونحن مشركان) أي كافران قال البرهان ورأيت في نسخة من سيرة ابن هشام مشتركان بزيادة تاء وصحح عليها انتهى فان صحت فتردد لها هنا أي مشتركان في الكفر وفي كوننا (ننظر الوقعة على من تكون الدبرة) بفتح الدال المهملة الهزيمة (فننهب مع من ينهب فبينا نحن في الجبل اذ دنت سحابة فيها حمحمة) بحاء بن مهملتين بعد كل ميم صوت (الخيل) دون الصهيل (فسمعت قائلا يقول اقدم) بهمزة قطع مفتوحة وكسر الدال من الاقدام كما رجحه ابن الاثير وصوبه الجوهري وقال النووي انه الصحيح المشهور أو بهمزة وصل مضمومة وضم الدال المهملة من التقدم وقدمه ابن قرقول أو بكسر الهمزة وفتح الدال واقتصر عليه في البارع قال أبو ذر كلمة يزجر بها الخيل (حيزوم) بحذف حرف النداء أي يا حيزوم بحاء مهملة مفتوحة فتحتية ساكنة فزاي مضمومة فميم فيعول من الحزم وتطلق أيضا على الصدر قال الشامي فيجوز انه سمي به لانه صدر خيل الملائكة ومتقدم عليها انتهى ورواه العذري بالنون بدل الميم قال عياض والصواب الاول وهو المعروف لسائر الرواة والمحفوظ (فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه) بكسر القاف وتخفيف النون وعين مهملة غشاؤه تشبيها بقناع المرأة (فمات) مكانه (وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت) مثله في العيون وفي السبل ثم انتعشت بعد ذلك (رواه البيهقي وابو نعيم) وابن اسحق (والدبرة بفتح الموحدة) وفي نسخة بسكون الموحدة وفي النور باسكان الموحدة ويجوز فتحها وفي السبل بفتحتين وتسكن (الهزيمة في القتال) وفي تذكرة القرطبي الدبرة ويروى الدايرة والمعنى متقارب قال الازهري الدايرة الدولة تدول على الاعداء والدبرة النصر والظفرية لمن الدبرة أي الدولة وعلى من الدبرة أي الهزيمة انتهى (وحيزوم اسم فرس جبريل قاله في القاموس) تبعا للجمع ورده الشامي بما رواه البيهقي عن خارجة بن ابراهيم عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل من القائل يوم بدر من الملائكة أقدم حيزوم فقال جبريل ما كل أهل السماء أعرف وجوابه أن قائله غير جبريل خاطب به فرس جبريل فلا ينافيه قوله ما كل الخ على ان ذا الحديث دال لمن قال انها فرس جبريل لقوله من القائل ولم يقل وما حيزوم قال البرهان ولجبريل فرس أخرى ويحتمل ان أحدهما اسم والآخر لقب الحياة وهي التي قبض من أثرها السامري فألقاها في العجل الذي صاغه فكان له خوار (وروى أبو امامة) أسعد وقيل سعد (بن سهل بن حنيف) الانصاري المعروف بكنيته المعدود في الصحابة لان له رؤية ولم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم فانه ولد قبل وفاته بعامين وأتى به النبي صلى الله عليه وسلم فحنكه وسماه باسم جده لامه أبي امامة أسعد بن زرارة وكناه وبارك عليه مات سنة مائة وله اثنتان وتسعون سنة روى له الجميع (عن أبيه) سهل بن حنيف بضم المهملة وفتح النون وسكون التحتية وبالفاء ابن واهب الانصاري الاوسي شهد المشاهد كلها وثبت يوم أحد وبايع يومئذ على الموت استخلفه علي على البصرة بعد الجمل ثم شهد معه صفين ومات في خلافته سنة ثمان وثلاثين وصلى عليه وصح انه كبر عليه خمسا وفي رواية

أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصومن أحدكم يوم الجمعة الا أن يصوم يوما قبله أو يوما بعده واللفظ للبخاري وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين سائر الايام الا أن يكون في صوم يصومه أحدكم وفي صحيح البخاري عن جويرية بنت الحرث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة فقال أصمت أمس قالت لا قال فتريدين ان تصومي غدا قالت لا قال فافطري وفي مسند أحمد عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تصوموا يوم الجمعة وحده وفي مسنده أيضا عن جنادة الازدي قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم جمعة في سبعة من الازد انا ثامنهم وهو يتغدى فقال هلموا الى الغداء فقلنا يا رسول الله انا صيام فقال أصمتم أمس قلنا لا قال فتصومون غدا قلنا لا قال فافطروا قال فاكلنا مع رسول الله

سنا وقال انه شهد بدرا (قال لقد رأيتنا يوم بدر وان أحدنا يشير بسيفه الى المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل اليه السيف) وماذاك الا من الملائكة ففيه حجة على من أنكره (رواه الحاكم وصححه و) تلميذه (البيهقي وأبو نعيم) أحمد بن عبد الله وروى ابن اسحق عن أبي واقد المازني قال انى لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفي فعرفت انه قتله غيرى لكن قال ابن عساكر في سنده من لا يعرف وهذه القصة انما كانت لابي واقد يوم اليرموك والصحيح قول الزهرى عن سنان الديلى ان أبا واقد انما أسلم عام الفتح وقال أبو عمر لا يثبت أنه شهد بدرا وكذا قال أبو نعيم (قال الشيخ تقى الدين) على بن عبد الكافى (السبكى سئلت عن الحكمة فى قتال الملائكة مع النبي صلى الله عليه وسلم مع ان جبريل عليه السلام قادر على أن يدفع الكفار) باجمعهم (بريشة من جناحه) كما روى انه رفع مدائن قوم لوط وهى أربع مدائن فى كل مدينة أربعمائة ألف مقاتل من الارض السفلى على قوادم جناحه حتى سمع أهل السماء نباح كلابها وأصوات بنيها ودجاجها وقلبها (فقلت) فى الجواب فعل (ذلك لارادة أن يكون الفعل للنبي صلى الله عليه وسلم ولاصحابه وتكون الملائكة مددا على عادة مدد الجيوش رعاية لصورة الاسباب وسنتها التى أجراها الله فى عباده والله فاعل الجميع انتهى) وذكر ابن هشام أن شعار الملائكة كان يوم بدر أحد أحد (ولما التقى الجمعان) بعد ما مر من الصلاة والابتهال النبوى وقتال على ورجوعه لمحمد المصطفى ساجدا وتزاحف الناس ونزول الملائكة وقول أبي جهل كما عند ابن اسحق اللهم أينا كان أقطع للرحم وأتانا بما لا يعرف فاحنه الغداة فكان هو المستفتح على نفسه (تناول صلى الله عليه وسلم كفا) أى ملء كف بأمر جبريل كما جاء عن ابن عباس (من الحصباء) بالمد صغار الحصى وفى رواية ثلاث حصيات كما يأتى وروى ابن جرير وابن أبي حاتم والطبرانى عن حكيم بن حزام سمعنا صوتا من السماء يوم بدر وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت فى طست ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك الحصاة فانهزمنا فذلك قوله تعالى وما رميت الآية وعن جابر سمعت صوت حصيات وقعت من السماء يوم بدر كأنهن وقعن فى طست وعن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلى ناولى قبضة من الحصباء وعنه أيضا أن جبريل قال له خذ قبضة من تراب والجمع بينها سهل بان تكون الحصيات نزلت من السماء وبعض عبر عنها بحصاة وبعض بحصيات بحسب ما تخيله ثم تفتتت فقال له جبريل خذها فقال لعلى ناولنى قبضة من الحصباء فناوله (فرمى به) أى بما تناوله فلذا ذكر الضمير لانه لو أراد الكف لانثه لانها مؤنثة (فى وجوههم وقال شاهت الوجوه) أى قبحت خبر بمعنى الدعاء أى اللهم قبح وجوههم ويحتمل أنه خبر لان جبريل لما أمره برميهم بالحصباء تحقق ذلك (فلم يبق مشرك الا دخل فى عينيه ومنخريه) وفمه كما فى رواية والمنخر بفتح الميم والخاء وكسرهما وضمهما وكمجلس وعصفور الانف كما فى القاموس وغيره (منها شئ فانهزموا) قال ابن عقبة وغيره فكانت تلك الحصباء عظيما شأنها لا يدرى المشرك أين يتوجه يعالج التراب ينزعه من عينيه فصار وا يقتلونهم ويأسرونهم (فقتل الله من قتل) أسنده اليه تعالى لكونه الخالق له والمميت حقيقة وان نسب الضرب للعبد (من صناديد قريش) أشرافهم وشجعانهم فمنهم أمية بن خلف أسره عبد الرحمن بن عوف وأراد استبقاءه لصداقة كانت بينهما فنظره بلال فنادى يا أنصار الله رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت ان نجا فهبروه باسيافهم وذكر الواقدى أن الذى تولى قتله خبيب بمعجمة وموحدة مصغر بن أساف بكسر الهمزة وخفة المهملة وفاء الانصارى وقال ابن اسحق رجل من بنى مازن من الانصار وفى المستدرك أن رفاعة بن رافع طعنه بالسيف وقال ابن هشام اشترك فى قتله معاذ بن عفراء وخارجة بن زيد وخبيب بن أساف ويقال قتله بلال والجمع أن الكل اشتركوا فيه وكان

صلى الله عليه وسلم قال فلما خرج وجلس على المنبر دعا باناء من ماء فشرب وهو على المنبر والناس ينظرون اليه يريهم انه لا يصوم يوم الجمعة وفى مسنده أيضا عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يوم عيد فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم الا ان تصوموا قبله أو بعده وذكر ابن أبي شيبة عن سفيان بن عيينة عن عمران بن ظبيان عن حكيم بن سعيد عن على ابن أبي طالب رضى الله عنه قال من كان منكم متطوعا من الشهر أياما فليكن فى صومه يوم الخميس ولا يصم يوم الجمعة فانه يوم طعام وشراب وذكر فيجمع الله له يومين صالحين يوم صيامه ويوم نسكه مع المسلمين وذكر ابن جرير عن مغيرة عن ابراهيم انهم كرهوا صوم يوم الجمعة ليقووا على الصلاة قلنا المأخذ فى كراهيته ثلاثة أمور هذا أحدها ولكن يشكل عليه زوال الكراهة بضم يوم قبله أو بعده اليه والثانى انه يوم عيد وهو الذى أشار اليه صلى الله عليه وسلم وقد أورد على

أمية قد عذب بلالا بمكة في المستضعفين فجعل الله قتله على يده وجمعه قيل قتله يومئذ بقتل ابنه على
ابن أمية قتله عمار بن ياسر حتى صاح أمية صيحة لم يسمع مثلها قيل وهنأ الصديق بلالا بقوله

هنيأ زادك الرحمن فضلا * فقد أدركت ثارك يا بلال

ومنهم عدو الله أبو جهل قال ابن اسحق أقبل يرتجز ويقول

ما تنقم الحرب العوان مني * بازل عامين حديث سني
لمثل هذا ولدتني أمي

فاذاقه الله الهوان بان قتله حقرا في زعمه وجعل ذلك حسرة عليه حتى قال لو غير أكار قتلني بشدة الكاف
أي زراع يعني أن الانصار أصحاب زرع فاشار الى تنقيص من قتله منهم والمعنى لو كان الذى قتلني
غير اكار لكان أحب الي وأعظم لشاني ولم يكن علي نقص في ذلك وروى البخاري وغيره عن
عبد الرحمن بن عوف قال اني لفي الصف يوم بدر اذا التفت فاذا عن يميني وعن يساري فتيان حديثا السن
اذ قال لي أحدهما سرا من صاحبه يا عم أرني أبا جهل فقلت يا ابن أخي وما تصنع به قال عاهدت الله ان
رأيته أقتله أو أموت دونه فقال لي الآخر سرا مثل صاحبه فما سرني أني بين رجلين مكانهما فاشرت
لهما اليه فشدا عليه مثل الصقرين حتى ضرباه وهما ابنا عفراء معاذ ومعوذ وفي الصحيحين عن أنس
قال صلى الله عليه وسلم من ينظر ما فعل أبو جهل فانطلق ابن مسعود فوجده قد ضربه ابنا عفراء حتى
برك فاخذ بلحيته فقال أنت أبا جهل فقال فهل فوق رجل قتله قومه أو قال قتلتموه وفي الرواية أنت
أبا جهل بالنصب ولها توجيهات معلومة من غريبها انه خاطبه باللحن قصد الاهانة وعند ابن اسحق
والحاكم قال ابن مسعود فوجدته بآخر رمق فوضعت رجلي على عنقه فقلت أخزاك الله يا عدو الله
قال ولم أخزاني هل أعمد رجل قتلتموه أي أشرف أي انه ليس بعار أخبرني لمن الدبرة اليوم أي النصر
والظفر قلت لله ورسوله قال وزعم رجال من بني مخزوم انه قال لابن مسعود لقد ارتقيت يا رويعي الغنم
مرتقى صعبا ثم احتززت رأسه وعند ابن عقبة وأبي الاسود عن عروة انه أي بعد هذه المكالمة وجده
لا يتحرك منه عضو فأتاه من ورائه فتناول قائم سيف أبي جهل فاستله ورفع بيضته عن قفاه فوقع رأسه
بين يديه وعند ابن اسحق والحاكم في حديث ابن مسعود فجئت برأسه الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال الله الذي لا اله الا هو فحلفت له ثم ألقيت رأسه بين يديه
فحمد الله وفي زيادات المغازي ليونس بن بكير فأخذ صلى الله عليه وسلم بيد ابن مسعود ثم انطلق حتى
أتاه فقام عنده ثم قال الحمد لله الذي أعز الاسلام وأهله ثلاث مرات وروى ابن عائذ من مرسل قتادة
رفعه ان لكل أمة فرعونا وان فرعون هذه الامة أبو جهل قتله الله شر قتلة قتله ابنا عفراء وقتلته الملائكة
وتذافه ابن مسعود بفتح الفوقية والذال معجمة ومهملة وشد الفاء أي أجهز عليه والحاصل ان معاذا
ومعوذا ابني عفراء وهي أمهما كما مر وأبوهما الحرث بلغا به بضربهما اياه بسيفهما منزلة المقتول
حتى لم يبق به الا مثل حركة المذبوح وفي تلك الحالة لقيه ابن مسعود فكلمه ثم ضرب عنقه بسيف
نفسه لكن في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن عوف انه قتله معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن
عفراء وان النبي صلى الله عليه وسلم نظر في سيفيهما وقال كلاكما قتله وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن
الجموح قال ابن عبد البر وعياض وأصح منه حديث الصحيحين عن أنس أي وعبد الرحمن أيضا كما مر
أن قاتله ابنا عفراء وجمع الحافظ باحتمال ان معاذ بن عفراء شد عليه مع معاذ بن عمرو وضربه بعد
ذلك معوذ بن عفراء حتى أثبته ثم حز رأسه ابن مسعود فتجتمع الاقوال كلها انتهى وسبقه اليه
النووي فقال اشترك الثلاثة في قتله لكن ابن الجموح أثخنه أولا فاستحق السلب وانما قال كلاكما قتله

هذا التعليل اشكالان
أحدهما ان صومه ليس
بحرام وصوم يوم العيد
حرام والثاني أن الكراهة
تزول بعدم افراده
وأجيب عن الاشكالين
بانه ليس عيد العام بل
عيد الاسبوع والتحريم
انما هو لصوم عيد العام
وأما اذا صام يوما قبله
أو يوما بعده فلا يكون
قد صامه لاجل كونه
جمعة وعيدا فتزول
المفسدة الناشئة من
تخصيصه بل يكون
داخلا في صيامه تبعا
وعلى هذا يحمل ما رواه
الامام أحمد رحمه الله في
مسنده والنسائي
والترمذي من حديث
عبد الله بن مسعود ان
صح قال قل ما رأيت
رسول الله صلى الله عليه
وسلم يفطر يوم جمعة فان
صح هذا تعين حمله على
انه كان يدخل في صيامه
تبعا لا انه كان يفرده
لصحة النهي عنه وأين
أحاديث النهي الثابتة
في الصحيحين من حديث
الجواز الذي لم يروه أحد
من أهل الصحيح وقد
حكم الترمذي بغرابته
فكيف يعارض به
الاحاديث الصحيحة
الصريحة ثم يقدم عليها
والمأخذ الثالث سد
الذريعة من أن يلحق

تطييبا لقلب الآخر من حيث أن له مشاركا في قتله وان كان القتل الشرعي الذي يستحق السلب وهو الاثخان واخراجه عن كونه ممتنعا انما وجد من ابن الجموح انتهى قال في النور وهو صحيح لكن عطاء ابن الجموح السلب يدل على انه الذي أزال امتناعه قلت هذا حاصل الجمع وبه صرح النووي كما ترى فلا معنى لاستدراكه وجاء انه قال لابن مسعود احتز من أصل العنق ليرى عظيما مهابا في عين محمد وقل له مازلت عدوا لي سائر الدهر واليوم أشد عداوة فلما أتاه برأسه وأخبره قال كما أني أكرم النبيين على الله وأمتي أكرم الامم على الله كذلك فرعون هذه الامة أشد وأغلظ من فراعنة سائر الامم اذ فرعون موسى حين أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وفرعون هذه الامة ازداد عداوة وكفرا وذكر عياض أن ابن مسعود انما وضع رجله على عنقه ليصدق رؤياه قال ابن قتيبة ذكر أن أبا جهل قال لابن مسعود لأقتلنك فقال والله لقد رأيت في النوم اني أخذت حدجة حنظل فوضعتها بين كتفيه ورأيتني أضرب كتفيك ولئن صدقت رؤياي لأطأن على رقبتك ولأذبحنك ذبح الشاة الحدجة بفتح المهملتين والجيم وتاء تأنيث الحنظلة الشديدة ومنهم ومنهم وقد أطلت الشوق النفس لقتل هذا الفرعون مع انه ما خلا من فائدة (وأسر من أسر) وهم سبعون (من أشرافهم) جمع شريف ويجمع أيضا على شرفاء ولعله خصهم بهذا والقتلى بالصناديد تنبيها على أن القتلى هم المعروفون بالشجاعة بينهم وان كانوا اشرافا وعند ابن اسحق انهم لما جعلوا يأسرون والنبي صلى الله عليه وسلم في العريش وسعد بن معاذ على بابه متوشح السيف في نفر من الانصار يحرسونه يخافون كرة العدو فرأى عليه السلام في وجه سعد الكراهة فقال له والله لكأنك يا سعد تكره ما يصنع القوم قال أجل والله يا رسول الله كانت أول وقعة أوقعها الله بأهل الشرك فكان الاثخان في القتل أحب الي من استبقاء الرجال (وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم) العدوي مولاهم المدني (في) تفسير (قوله تعالى وما رميت اذ رميت) أتيت بصورة الرمي (ولكن الله رمى) بايصال ذلك اليهم لان كفا من الحصباء لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بشر وقيل ما رميت الفزع والرعب في قلوبهم اذ رميت بالحصباء فانهزموا ولكن أعانك الله وظفرك وصنع ذلك حكاه أبو عبيدة في المجاز عن ثعلب (قال) عبد الرحمن وأعاده للفصل بين كلام الله وتفسيره (هذا يوم بدر أخذ صلى الله عليه وسلم ثلاث حصيات) نزلت من السماء وأمره جبريل بأخذها فتناولها اله على كافر (فرمى بحصاة في ميمنة القوم) جهة يمينهم (وبحصاة في ميسرة القوم) جهة شمالهم (وبحصاة بين أظهرهم) أي بينهم فأظهر زائدة (وقال شاهت) قبحت (الوجوه) زاد في الرواية اللهم أرعب قلوبهم وزلزل أقدامهم (فانهزموا) لا يلوون على شئ أي لا يلتفتون وألقوا دروعهم (وقد روي عن غير واحد) كعمر عند الطبراني وحكيم بن حزام عنده وعند ابن جرير وابن أبي حاتم وجابر وابن عباس كلاهما عند أبي الشيخ وقاله الجمهور وقال القرطبي وهو الصحيح والسيوطي هو المشهور (أن هذه الآية نزلت في رميه صلى الله عليه وسلم يوم بدر وان كان قد فعل ذلك) أي الرمي بالحصباء (يوم حنين أيضا) ويوم أحد أيضا كما عند الحاكم على شرط مسلم (كما سيأتي ان شاء الله تعالى) في غزوتيهما وقيل نزلت في طعنة طعنها عليه السلام لأبي بن خلف يوم أحد بحربته فوقع عن فرسه ولم يخرج منه دم فجعل يخور حتى مات رواه الحاكم بسند صحيح قال السيوطي لكنه غريب وقيل في سهم رماه يوم خيبر فسار في الهواء حتى أصاب ابن أبي الحقيق وهو على فراشه رواه ابن جرير باسناد مرسل جيد لكنه غريب وقيل في حصب يوم خيبر قال القرطبي ما حاصله وهذا كله ضعيف لان الآية نزلت عقب بدر وأما قوله فلم تقتلوهم فروي ان الصحابة لما صدروا عن بدر ذكر كل واحد منهم ما فعل فعلت كذا فعلت كذا فجاء من ذلك تفاخر ونحو ذلك فنزلت الآية اعلاما بأن الله هو المحيي المميت

بالدين ما ليس فيه ويوجب التشبه بأهل الكتاب في تخصيص بعض الايام بالتجرد عن الاعمال الدنيوية وينضم الى هذا المعنى ان هذا اليوم لما كان ظاهر الفضل على الايام كان الداعي الى صومه قويا فهو في مظنة تتابع الناس في صومه واحتفالهم به ما لا يحتفلون بصوم يوم غيره وفي ذلك الحاق بالشرع ما ليس منه ولهذا المعنى والله أعلم نهي عن تخصيص ليلة الجمعة بالقيام من بين الليالي لانها من أفضل الليالي حتى فضلها بعضهم على ليلة القدر وحكيت رواية عن أحمد فهي في مظنة تخصيصها بالعبادة فحسم الشارع الذريعة وسدها بالنهي عن تخصيصها بالقيام والله أعلم فان قيل ما تقولون في تخصيص يوم غيره بالصيام قيل أما تخصيص ما خصصه الشارع كيوم الاثنين ويوم عرفة ويوم عاشوراء فسنة وأما تخصيص غيره كيوم السبت والثلاثاء والاحد والاربعاء فمكروه وما كان منها أقرب الى التشبه بالكفار لتخصيص أيام أعيادهم بالتعظيم

والمقدر لجميع الأشياء وأن العبد إنما يشارك بكسبه وقصده انتهى (وقد اعتقد جماعة) كما قال العلامة ابن القيم في زاد المعاد في هدي خير العباد (أن المراد بالآية سلب فعل الرسول) صلى الله عليه وسلم (عنه وإضافته الى الرب تعالى) لعرضهم الفاسد المشار اليه بقوله (وجعلوا ذلك أصلا في الجبر) بجيم وموحدة ساكنة أي مذهب الجبريين الزاعمين جبر العبد على الفعل لا ينسب له منه شيء كما فسره بقوله (وإبطال نسبة الأفعال الى العباد وتحقيق نسبتها الى الرب وحده) تعالى عن ذلك علوا كبيرا (وهذا) كما قال ابن القيم (غلط منهم في فهم القرآن ولو صح ذلك لوجب طرده فيقال ما صليت إذ صليت ولا صمت إذ صمت ولا فعلت كذا إذ فعلت) بفتح التاء في الجميع خطابا على المتبادر أو بضمها للمتكلم (ولكن الله فعل ذلك فإن طردوا ذلك لزمهم في أفعال العباد) وبينها بقوله (طاعتهم ومعاصيهم إذ لا فرق) فلا ينسب لهم منها شيء فلا يكونون ممتثلين لفعل مأمور به ولا ترك منهي عنه فلا يثابون على طاعة ولا يعاقبون على معصية وهذا هدم للشريعة وإبطال للآيات والأحاديث الكثيرة (وإن خصوه بالرسول وحده وأفعاله) أي بأفعال الرسول (جميعها أو) خصوه (برميه وحده) دون باقي أفعاله (ناقضوا) أنفسهم حيث نفوا جملة الأفعال عن العباد ونسبوا بعضها الى بعضهم (فهؤلاء لم يوفقوا لفهم ما أريد بالآية و) إنما تأويلها مع الجواب أنه (معلوم أن تلك الرمية من البشر) وخصوصا من واحد (لا تبلغ هذا المبلغ فكان منه صلى الله عليه وسلم مبدأ الرمي وهو الحذف) بمهملة ومعجمة الرمي بالحصباء (ومن الرب تعالى نهايته وهو الإيصال فأضاف اليه رمي الحذف الذي هو مبدؤه) من إضافة الأعم الى الأخص أي الرمي الذي هو الحذف وكذا يقال في (ونفى عنه رمي الإيصال الذي هو نهايته) وذهب ثعلب في معنى الآية الى أن المنفي الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم حتى انهزموا كما مر ولكنه يقتضي انهزامهم بمجرد الرعب وهو خلاف الواقع من تسليط الملائكة والمسلمين بالقتل والأسر فأثر ذلك انهزامهم لا بمجرد الرعب فما عليه ابن القيم في فهم الآية كغيره أولى (ونظير هذا في الآية نفسها) باعتبار المآل إذ ليس فيها نفي قتل عنهم وإثباته لهم (قوله تعالى فلم تقتلوهم) لم تزهقوا روحهم بقوتكم وضربكم (ولكن الله قتلهم) إذ هو الذي أهلكهم وأماتهم وقيل قتلهم بتمكينكم منهم وقيل بالملائكة الذين أمدكم بهم حكاهما القرطبي ولم يقل إذ قتلتموهم كما قال إذ رميت لمشاركة الملائكة لهم في قتلهم بخلاف الرمي فلم يشاركه صلى الله عليه وسلم فيه أحد (ثم قال وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى فأخبر أنه تعالى وحده هو الذي تفرد بإيصال الحصباء الى أعينهم ولم يكن برسوله صلى الله عليه وسلم ولكن وجه الإشارة بالآية أنه سبحانه أقام أسبابا تظهر للناس فكان ما حصل من الهزيمة والقتل والنصرة مضافا اليه) صلوات الله عليه وحاصلا بفعله ولا يرجع الضمير للأسباب لتذكيره (وبه وهو خير الناصرين) كما قال في الكتاب المبين (قال) محمد (بن إسحق) بن يسار إمام المغازي (وقاتل عكاشة) بضم العين وشد الكاف وتخفف (ابن محصن) بكسر الميم وفتح الصاد ابن حرثان بضم المهملة وسكون الراء ومثلثة (الأسدي) ممن يدخل الجنة بغير حساب كما في الصحيحين (يوم بدر بسيفه حتى انقطع في يده فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاه جذلا) بكسر الجيم وفتحها وسكون الذال المعجمة واحد الأجذال وهي أصل الحطب قال الشامي والمراد هنا العرجون بضم المهملة أصل العذق بكسر العين الذي يعوج وينعطف ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخلة يابسا (فقال له قاتل به) يا عكاشة فأخذه منه (فهزه فعاد في يده سيفا طويل القامة شديد المتن) أي الظهر من إضافة الوصف الى فاعله أي شديدا متنه أو المراد بالمتن هنا الذات تسمية للكل باسم جزئه (أبيض الحديدة فقاتل به حتى فتح الله على المسلمين وكان ذلك السيف يسمى العون) بفتح المهملة وإسكان الواو وبالنون قاله البرهان وتبعه الشامي

والصيام فأشد كراهة وأقرب الى التحريم

الثالثة والثلاثون أنه يوم اجتماع الناس وتذكيرهم بالمبدأ والمعاد وقد شرع الله سبحانه وتعالى لكل أمة في الأسبوع يوما يتفرغون فيه للعبادة ويجتمعون فيه لتذكر المبدأ والمعاد والثواب والعقاب ويتذكرون به اجتماعهم يوم الجمع الأكبر قياما بين يدي رب العالمين وكان أحق الأيام بهذا الغرض المطلوب اليوم الذي يجمع الله فيه الخلائق وذلك يوم الجمعة فادخره الله لهذه الأمة لفضلها وشرفها فشرع اجتماعهم في هذا اليوم لطاعته وقدر اجتماعهم فيه مع الأمم لنيل كرامته فهو يوم الاجتماع شرعا في الدنيا وقدرا في الآخرة وفي مقدار انتصافه وقت الخطبة والصلاة تكون أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم كما ثبت عن ابن مسعود من غير وجه أنه قال لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة في منازلهم وأهل النار في منازلهم وقرأ ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم وكذلك هي في قراءته ولهذا كون

(ثم لم يزل) السيف (عنده يشهد به المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قتل وهو عنده) في قتال أهل الردة زمن الصديق قتله طليحة بن خو يلد الاسدي وروى الواقدي حدثني اسامة بن زيد الليثي عن داود بن الحصين عن رجال من بني عبد الاشهل عدة قالوا انكسر سيف سلمة بن أسلم بن الحريس يوم بدر فبقي أعزل لا سلاح معه فأعطاه صلى الله عليه وسلم قضيبا كان في يده من عراجين ابن طاب فقال أضرب به فاذا سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل يوم جسر أبي عبيدة ورواه البيهقي أيضا الحريس بفتح المهملة وكسر الراء وسين مهملة قاله البرهان محتجا بقول الزبير ليس في نسب الانصار حريش بمعجمة غير الحريش بن حجبي وما سواه بالمهملة وضبطه الشامي بالمعجمة وأعزل بفتح الهمزة وسكون المهملة فزاي وابن طاب بمهملة فالف فوحدة نوع من تمر المدينة نسب الى ابن طاب رجل من أهلها وجسر أبي عبيد كان سنة أربع عشرة (وجاءه عليه الصلاة والسلام يومئذ) أي يوم بدر (فيما ذكره القاضي عياض عن) عبد الله (بن وهب) بن مسلم الفهري مولاهم المصري الحافظ الامام الزاهد من أجلة الناس وثقاتهم ورجال الجميع مات في شعبان سنة سبع وتسعين ومائة (معاذ بن عمرو) قلد في ذلك اليعمري وانتقده محشيه البرهان بأن الذي في الشفا معوذ بن عفراء (يحمل يده ضربها عكرمة) ابن أبي جهل أسلم بعد الفتح وقلد في ذلك اليعمري أيضا ورده محشيه بان الذي في الشفا ان القاطع لها أبو جهل (فبصق عليه الصلاة والسلام) بالصاد والزاي أي أخرج ريقه ورمى به (عليها فلصقت) بكسر الصاد وفيه علم من أعلام النبوة باهر نعم روى ابن اسحق ومن طريقه الحاكم عن ابن عباس قال قال معاذ ابن عمرو بن الجموح أخو بني سلمة سمعتهم يقولون وأبو جهل في مثل الحرجة أبو جهل لا يخلص اليه فجعلته من شاني فصمدت نحوه فلما أمكنني حملت عليه فضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه قال فوالله ما شبهتها حين طاحت الا بالنواة تطيح من تحت مرضخة حين يضرب بها قال وضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة من جنبي وأجهضني القتال عنه فلقد قاتلت عامة يومي واني لاسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت عليها حتى طرحتها (قال ابن اسحق) في بقية ذا الحديث الذي ذكرته (ثم عاش بعد ذلك حتى كان زمان عثمان) رضي الله عنه ولم يذكر في حديثه هذا انه أتى بها المصطفى فتوهم اليعمري وتبعه المصنف أن كلام القاضي فيه فوهما الا انها قصة أخرى كما علم والحرجة بفتح المهملة والراء والجيم وتاء تأنيث شجر ملتف كالغيضة قاله في النهاية وفي حواشي أبي ذر الشجرة الكبيرة الاغصان وفي العين الحرجة الغيضة أطنت قدمه أسرعت قطعها مرضخه بضاد وخاء معجمتين كما في النهاية وفي الصحاح انه بحاء مهملة أيضا وأجهضني بجيم وهاء ومعجمة شغلني واشتغل على (و) روى ابن اسحق حدثني يزيد بن رومان (عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها) قالت (لما أمر صلى الله عليه وسلم بالقتلى) أي بعظمائهم (أن يطرحوا في القليب) ففي الصحيح عن أنس عن أبي طلحة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوى من أطواء بدر خبيث مخبث وعند ابن عائذ بضعة وعشرين قال الحافظ ولا تنافي فالبضع يطلق على الاربع أيضا قال ولم أقف على تسمية الاربع والعشرين جميعهم بل تسمية بعضهم ويمكن اكمالهم من سرد ابن اسحق من قتلى الكفار ببدر بان يقتصر على من كان يذكر بالرياسة ولو تبعا لابيه وفي حديث البراء في الصحيح ان قتلى بدر من الكفار سبعون فكان المطروحين في القليب الرؤساء منهم ثم من قريش وخصوا بالمخاطبة الآتية لما تقدم منهم من المعاندة وطرح باقي القتلى في أمكنة أخرى وأفاد الواقدي ان هذا القليب كان حفره رجل من بني النار فناسب ان يلقى فيه هؤلاء الكفار (فطرحوا فيه) بالفاء في جواب لما على رأي ابن مالك أو زائدة على رأي الجمال بن هشام لكن الثابت عند ابن اسحق

الايام ستة بعة أنما تعرفه الامم التي لها كتاب فاما أمة لا كتاب لها فلا تعرف ذلك الا من تلقاه منهم عن أمم الانبياء فانه ليس هنا علامة حسية يعرف بها كون الايام سبعة بخلاف الشهر والسنة وفصولها ولما خلق الله السموات والارض وما بينهما في ستة أيام وتعرف بذلك الى عباده على ألسنة رسله وأنبيائه شرع لهم في الاسبوع يوما يذكرهم فيه بذلك وحكمة الخلق وما خلقوا له وبأجل العالم وطي السموات والارض وعود الامر كما بدأه سبحانه وعدا عليه حقا وقولا صدقا ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في فجر يوم الجمعة سورتي الم تنزيل السجدة وهل أتى على الانسان لما اشتملتا عليه هاتان السورتان مما كان ويكون من المبدأ والمعاد وحشر الخلائق وبعثهم من القبور الى الجنة والنار لا لاجل السجدة كما يظنه من نقص علمه ومعرفته فيأتي بسجدة من سورة أخرى ويعتقد ان فجر يوم الجمعة فضل بسجدة وينكر على من لم يفعلها وهكذا كانت قراءته صلى الله عليه وسلم في المجامع

بدون فاء فهى زائدة من قلم المصنف أو نساخه (الا ما كان من أمية بن خلف فانه انتفخ فى درعه فملأها) أى الدرع لانها مؤنثة عند الاكثر (فالقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة) قال السهيلى رحمه الله فى الروض (وانما ألقوا فى القليب) لانه كان من سنته عليه السلام فى مغازيه اذا مر بجيفة انسان أمر بدفنه لا يسأل عنه مؤمنا كان أو كافرا كذا وقع فى السنن للدارقطنى فالقاؤهم فى القليب من هذا الباب (ولم يدفنوا الا انه عليه الصلاة والسلام كره ان يشق على أصحابه لكثرة جيف الكفار أن يأمرهم بدفنهم فكان جرهم الى القليب أيسر عليهم) قال ووافق أن القليب حفره رجل من بنى النار اسمه بدر فكان فالا مقدما لهم وهذا على أحد القولين فى بدر انتهى كلام السهيلى برمته ولا يرد على قوله لانه كان من سنته أن بدرا أول مغازيه التى وقع فيها القتل لجواز ان المراد انها طريقته التى كان يحبها فى نفسه ويميزها على غيرها ففعل ما سهل عليه فى بدر ثم داوم على ما يحبه فى بقية مغازيه (وفى الطبرانى عن أنس ابن مالك) روى أحمد بسند صحيح عنه انه سئل هل شهدت بدرا فقال وأين أغيب عن بدر قال الحافظ فى الفتح وكأنه كان فى خدمة النبى صلى الله عليه وسلم لما ثبت عنه انه خدمه عشر سنين وذلك يقتضى ان ابتداء خدمته له حين قدومه المدينة فكأنه خرج معه الى بدر أو مع عمه زوج أمه أبى طلحة وقال فى الاصابة انما لم يذكروه فى البدريين لانه لم يكن فى سن من يقاتل (قال أنشا) بفتح أوله وهمزة آخره أى ابتدأ (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه (يحدثنا عن أهل بدر فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرينا مصارع أهل بدر بالامس من بدر) وهذا ظاهر فى أنه كان ليلا وبه صرح الحافظ فقال وقع هذا فى الليلة التى التقوا فى صبيحتها كما روان فى رواية أخبر بذلك قبل الواقعة بيوم أو أكثر وفى أخرى يوم الواقعة وجمع ابن كثير بانه لا مانع ان يخبر بذلك فى الوقتين وعلى انه أراهم ليلا فيمكن انه مراد رواية يوم الواقعة باطلاق اليوم على ما يقرب منه من الليل ولا ينافيه قوله (يقول هذا مصرع فلان) لجواز أن قوله ذلك ليلا وحينئذ فقوله (غدا) مستعمل فى حقيقته (ان شاء الله) ويقع فى أكثر النسخ وفى الطبرانى عن أنس بن مالك قال أنشا فظاهره أن الحديث من مسند أنس وانه شهد تحديث المصطفى بذلك والذى فى الطبرانى انما هو عن أنس عن عمر كما سقناه وكذا أخرجه مسلم بنحوه عنه عن عمر وتلك النسخ فيها سقط ويدل عليه قوله (قال عمر فوالذى بعثه بالحق ما أخطؤا الحدود التى حدها صلى الله عليه وسلم حتى انتهى اليهم) غاية لمحذوف صرح به فى حديث أبى طلحة عند البخارى عقب قوله الذى قدمته قريبا عنه خبيث مخبث وكان اذا ظهر على قوم أقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث أمر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى وتبعه أصحابه فقالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم باسمائهم وأسماء آبائهم (فقال يا فلان بن فلان) جوز فى النور ضم فلان وفتح ابن وفتحهما وضمهما قال وذكر الثالث فى التسهيل انتهى فضم الاول على الاصل وفتحه على الاتباع لفتحه ابن واختاره البصريون والمبرد لخفته وضمهما قال الدمامينى على التسهيل رواه الاخفش عن بعض العرب قال وكان قائله راعى ان التابع ينبغى ان يتاخر عن المتبوع ولم يراع ان الاصل الحامل على الاتباع قصد التخفيف وفى التصريح حكى الاخفش ان بعض العرب يضم الابن اتباعا لضم المنادى نظير الحمد لله بضم اللام فى تبديل حركتها بنقل منها للاتباع وفى كون ذلك من كلمتين وفى تبعية الثانى للاول لكنه مخالف فى كونه اتباع معرب لمبنى والحمد لله بالعكس (ويا فلان بن فلان) كناية عن علم مذكر لعاقل واتناه فلانة بزيادة تاء وزادوا أل فى علم ما لا يعقل فرقا بينه وبين العاقل لكن فى الهمع انه وقع فى الحديث بغير لام فيما لا يعقل أخرج ابن حبان والبيهقى وأبو يعلى عن ابن عباس قال ماتت شاة لسودة فقالت يا رسول الله ماتت فلانة تعنى الشاة (هل وجدتم ما وعد كم الله حقا فانى وجدت ما وعدنى الله

حقا)

الكبار كالاعياد ونحوها بالسورة المشتملة على التوحيد والمبدأ والمعاد وقصص الانبياء مع أممهم وما نزل بمن كذبهم وكفرهم من الهلاك والشقاء ومن آمن منهم وصدقهم من النجاة والعافية كما كان يقرأ فى العيدين بسورتى ق والقرآن المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر وتارة بسبح اسم ربك الاعلى وهل أتاك حديث الغاشية وتارة يقرأ فى الجمعة بسورة الجمعة لما تضمنت من الامر بهذه الصلاة وايجاب السعى اليها وترك العمل العائق عنها والامر باكثار ذكره ليحصل لهم الفلاح فى الدارين فان فى نسيان ذكره العطب والهلاك فى الدارين ويقرأ فى الثانية بسورة اذا جاءك المنافقون تحذيرا للامة من النفاق المردى وتحذيرا لهم ان يشغلهم أموالهم وأولادهم عن صلاة الجمعة وعن ذكره وانهم ان فعلوا ذلك خسروا ولا بد وحضا لهم على الانفاق الذى هو من أكبر أسباب سعادتهم وتحذيرا لهم من هجوم الموت وهم على حالة يطلبون الاقالة ويتمنون

حقا) زاد في رواية عن أنس ان وقوفه على شفة الركي ومناداته لهم بذلك كان ليلا وشفة الركي طرف البئر
وللكشميهني شفا بفتح المعجمة والفاء مقصور حرفه والركي بفتح الراء وكسر الكاف وشد الياء البئر قبل
ان تطوى والاطواء جمع طي وهي البئر التي طويت وبنيت بالحجارة لتثبت ولا تنهار قال الحافظ ويجمع
بانها كانت مطوية فاستهدمت فعادت كالركي (وفي رواية) أخرجها ابن اسحق وأحمد ومسلم وغيرهم عن
أنس (فنادى يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أمية بن خلف ويا أبا جهل بن هشام) فسمى أربعة
من الاربعة والعشرين الذين ألقوا في القليب قال الحافظ ومن رؤساء قريش ممن يصح الحاقه ممن سمى
عبيدة والعاصي والدا أبي أحيحة سعيد بن العاصي بن أمية وحنظلة بن أبي سفيان والوليد بن عتبة
والحرث بن عامر وطعيمة بن عدي وهؤلاء من بني عبد مناف ومن سائر قريش نوفل بن عبد وزمعة
وعقيل ابنا الاسود والعاصي بن هشام أخو أبي جهل وأبو قيس بن الوليد أخو خالد ونبيه ومنبه ابنا
الحجاج السهمي وعلي بن أمية بن خلف وعمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ومسعود ابن أبي أمية
أخو أم سلمة وقيس بن الفاكه بن المغيرة والاسود بن عبد الاسد أخو أبي سلمة وأبو العاصي بن قيس بن
عدي السهمي وأمية بن رفاعة فهؤلاء عشرون تنضم الى الاربعة فتكمل العدة انتهى (وفي بعضه نظر
لان أمية بن خلف لم يكن في القليب لانه كان كما تقدم ضخما وانتفخ فالقوا عليه من الحجارة والتراب ما
غيبه) وقد أخرج ذلك ابن اسحق حديث عائشة كما مر (ولكن) قال الحافظ في الفتح (يجمع بينهما بانه
كان قريبا من القليب فنودي فيمن نودي لكونه كان من جملة رؤسائهم) وخصت الرؤساء بالمخاطبة لما
تقدم منهم من المعاندة كما مر عن الحافظ فتخصيصهم زيادة في اذلالهم (قال ابن اسحق حدثني بعض
أهل العلم أنه عليه الصلاة والسلام قال يا أهل القليب بئس العشيرة) أنتم فالمخصوص بالذم محذوف
(كنتم) ولفظ ابن اسحق بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم (كذبتموني وصدقني الناس) وأخرجتموني
وآواني الناس وقاتلتموني ونصرني الناس فجزاكم الله عني من عصابة شرا خونتموني أمينا
وكذبتموني صادقا الى هنا رواية ابن اسحق وهو مرسل أو معضل وذكر ابن القيم في الهدى أنه قال ذلك
قبل أن يأمر بطرحهم في القليب فان كان مراده خصوص رواية ابن اسحق هذه فمحتمل ولا يرد قوله
يا أهل القليب لانه سماهم أهله باعتبار الاول والا فحديث أبي طلحة في الصحيح يرد عليه فانه صرح بانه
أمر بطرحهم فلما كان اليوم الثالث قام على شفا الركي فجعل يناديهم باسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان
ابن فلان ويا فلان بن فلان أيسركم انكم أطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم
ما وعد ربكم حقا قال أي أبو طلحة فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح لها وفي
بقية رواية الطبراني التي قدمها المصنف عن أنس (فقال عمر بن الخطاب) مستفهما
(كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها) وفي رواية مسلم فسمع عمر صوته فقال يا رسول الله
أتناديهم بعد ثلاث وهل يسمعون ويقول الله تعالى انك لا تسمع الموتى (فقال)
صلى الله عليه وسلم زاد في رواية الصحيحين والذي نفسي بيده (ما أنتم باسمع لما أقول منهم)
بل هم أسمع منكم قال الحافظ بآذان رؤسهم على قول الاكثر أو بآذان قلوبهم انتهى
وان صدق النفي بالمساواة لغة لكن خصه الاستعمال ان المنفي عنه الحكم أقوى في ثبوت مدلوله ممن
فضل عليه ويؤيده رواية ما أنتم بافهم لقولي منهم أولهم أفهم لقولي منكم ويؤيد المساواة قوله
عند الطبراني بسند صحيح من حديث ابن مسعود يسمعون كما تسمعون ولكن لا يجيبون
(غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيئا) هذه رواية الطبراني ولفظ رواية مسلم لكن لا يستطيعون
أن يجيبوا أي لعدم الاذن لهم في اجابة أهل الدنيا كقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم

الرجعة لا يجابون اليها
وكذلك كان صلى الله
عليه وسلم يفعل ذلك
عند قدوم وفد يريد أن
يسمعهم القرآن وكان
يطيل قراءة الصلاة
الجهرية لذلك كما صلى
المغرب بالاعراف
وبالطور وكان يصلي
الفجر بنحو مائة آية
وكذلك كان خطبه صلى
الله عليه وسلم انما هي
تقرير لاصول الايمان
من الايمان بالله وملائكته
وكتبه ورسله ولقائه
وذكر الجنة والنار وما
أعد الله لاوليائه وأهل
طاعته وما أعد لاعدائه
وأهل معصيته فيملأ
القلوب من خطبته ايمانا
وتوحيدا ومعرفة بالله
وأيامه لا كخطب غيره
التي انما تفيد أمورا
مشتركة بين الخلائق
وهي النوح على الحياة
والتخويف بالموت فان
هذا أمر لا يحصل في
القلب ايمانا بالله ولا
توحيدا له ولا معرفة
خاصة ولا تذكيرا بايامه
ولا بعثا للنفوس على
محبته والشوق الى لقائه
فيخرج السامعون ولم
يستفيدوا فائدة غير أنهم
يموتون وتقسم أموالهم
ويبلي التراب أجسامهم
فياليت شعري أي ايمان
حصل بهذا وأي توحيد

فيعتذرون هذا هو الاصل فلا يقدح فيه ما تفق من كلام بعض الموتى لبعض الاحياء لاحتمال الاذان لذلك البعض (وتأولت عائشة رضي الله عنها ذلك فقالت انما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أنهم الآن ليعلمون أن الذى أقول لهم) من استعمال المضارع بمعنى الماضى اى ليعلمون ان ما قلت لهم فيما مضى من التوحيد والايمان وغيرهما هو (الحق ثم قرأت) مستدلة لما ذهبت اليه (انك لا تسمع الموتى الآية) وهذه عبارة اليعمرى والذى فى الصحيح عن عروة عن ابن عمر قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فقال هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم الآن ليسمعون ما أقول فذكر لعائشة فقالت انما قال النبي صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون أن الذى كنت أقول لهم هو الحق ثم قرأت انك لا تسمع الموتى حتى قرأت الآية (فقولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا) أى فى حالة استقرارهم فى النار وغيرها خلاف قول عروة فى البخارى تقول أى عائشة حين تبوؤا مقاعدهم من النار قال الحافظ مراده ان يبين مراد عائشة فاشار الى أن الاطلاق فى انك لا تسمع الموتى مقيد باستقرارهم فى النار وعلى هذا فلا معارضة بين انكار عائشة واثبات ابن عمر لكن قولها يدل على انها كانت تنكر ذلك مطلقا (لقولها) أن الحديث انما هو بلفظ (انهم الآن ليعلمون) وان ابن عمر وهم فى قوله ليسمعون اه فالمصنف أسقط من كلام الحافظ ما بين الاطلاق فتحير شيخنا فيه فقال لعله فى أهل القليب وغيرهم أولا بحالهم ولا باحيائهم فى قبورهم وانما يحيون بعد البعث انتهى قال البيهقى والعلم لا يمنع السماع والجواب عن الآية أنهم لا يسمعون وهم موتى (و) لكن أحياهم حتى سمعوا كما (قال قتادة) بن دعامة فيما رواه البخارى عنه عقب حديث أبى طلحة السابق (أحياهم الله تعالى) زاد الاسماعيلى باعيانهم وأسقط المصنف من قول قتادة حتى أسمعهم قوله صلى الله عليه وسلم كما فى البخارى قبل قوله (توبيخا وتصغيرا) قال الحافظ الصغار الذلة والهوان (ونقمة) بكسر النون وسكون القاف كما فى الناصرية وفى حاشية اليونينية بفتح النون وكسر القاف قاله المصنف (وحسرة) وندما كما هو بقية قول قتادة فى البخارى أى لاجل التوبيخ فالمنصوبات للتعليل (وفيه) أى قول قتادة هذا (رد على من أنكر انهم يسمعون) لانه اثبت سماعهم غايته انه بعد الاحياء (كما روى عن عائشة رضى الله عنها) انكار ذلك وفى التعبير بروى شئ لانه فى الضعيف وهذا ثابت عنها فى الصحيح ولذا عبر الحافظ بلفظ كما جاء عن عائشة (ومن الغريب) أى خلاف المشهور عنها (ان فى المغازى لابن اسحق رواية يونس بن بكير باسناد جيد) أى مقبول كما قال السيوطى والمقبول يطلقون جيدا (عن عائشة رضى الله عنها حديثا مثل حديث أبى طلحة السابق كما فى الفتح (وفيه ما أنتم باسمع لما أقول منهم وأخرجه الامام أحمد) عنها (باسناد حسن فان كان) ذلك (محفوظا) عن عائشة (فكأنها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية هؤلاء الصحابة) الذين رووا القصة وهم فصحاء عارفون بمواقع الكلام كيف وهم عمر وابن مسعود وعبد الله بن سيلان بكسر المهملة وسكون التحتية أخرج أحاديثهم الطبرانى وأبو طلحة وابن عمر أخرجهما البخارى وغيره (لكونها لم تشهد القصة) وهؤلاء شهدوها الا ابن عمر وابن سيلان فاما ابن عمر فاستصغر يوم بدر كما فى الصحيح وأما ابن سيلان فلم يذكر فيمن شهدها فارسلا ذلك عن غيرهما ومرسل الصحابى فى حكم الوصل وهو حجة كما تقرر وهذا كما هو ظاهر انما هو على رواية الصحيح عن عائشة ان المصطفى انما قال انهم الآن ليعلمون أما على ما قدمه المصنف انها تاولت انما أراد النبى الخ فلا يتاتى هذا فان نفى الارادة لا ينافى انه قاله بل التاويل فرع الثبوت اللهم الا ان يكون المراد انها رجعت عن انكارها بقاء اللفظ على ظاهره وان تاويله واجب وأبقته على ظاهره والمحوج لهذا التعسف عدول المصنف عن رواية الصحيح عنها الى عبارة اليعمرى كما مر ثم أتى بكلام الحافظ فى شرح الصحيح

(وقال)

ومعرفة وعلم نافع حصل به ومن تأمل خطب النبى صلى الله عليه وسلم وخطب أصحابه وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الرب جل جلاله وأصول الايمان الكلية والدعوة الى الله وذكر آلائه تعالى التى تحببه الى خلقه وأيامه التى تخوفهم من بأسه والامر بذكره وشكره الذى يحببهم اليه فيذكرون من عظمة الله وصفاته وأسمائه ما يحببه الى خلقه ويأمرون من طاعته وشكره وذكره ما يحببهم اليه فينصرف السامعون وقد أحبوه وأحبهم ثم طال العهد وخفى نور النبوة وصارت الشرائع والاوامر رسوما تقام من غير مراعاة حقائقها ومقاصدها فاعطوها صورها وزينوها بما زينوها به فجعلوا الرسوم والاوضاع سننا لا ينبغى الاخلال بها وأخلوا بالمقاصد التى لا ينبغى الاخلال بها فرصعوا الخطب بالتسجيع والفقر وعلم البديع فنقص بل عدم حظ القلوب منها وفات المقصود بها فما حفظ من خطبه صلى الله عليه وسلم أنه كان يكثر أن يخطب

(وقال الاسماعيلى كان عند عائشة رضى الله عنها من الفهم والذكاء) سرعة الفطنة كما فى القاموس (وكثرة الرواية والغوص على غوامض العلم ما لا مزيد عليه) أتى بذلك تأدبا وتمهيدا للاستدراك لئلا يتوهم غبى منه أنها لم يعرف مقامها (لكن لا سبيل) طريق (الى رد رواية الثقة الا بنص مثله) فى كونه رواية عن الثقة أيضا (يدل على نسخه أو تخصيصه) و يصار لهما بالرواية (أو استحالته) عطف على بنص أو على نسخه والاول أقرب بمعنى تدرك بالعقل والثلاثة منتفية هنا (فكيف) يصار الى انكارها مع انتفاء الثلاثة (والجمع بين الذى أنكرته وأثبته غيرها ممكن) وذلك (لان قوله تعالى انك لا تسمع الموتى لا ينافى قوله صلى الله عليه وسلم انهم الآن يسمعون لان الاسماع هو ابلاغ الصوت من المسمع فى أذن السامع فالله تعالى هو الذى أسمعهم بان أبلغهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم بذلك) ولم يسمعهم المصطفى فحصل التوفيق بين الآية والحديث (وأما جوابها بانه انما قال انهم ليعلمون فان كانت) بنته على فهمها الآية فقد علمت انه لا تنافى وان كانت (سمعت ذلك) من النبى صلى الله عليه وسلم بعد ذلك أو من غيره لانها لم تشهد القصة (فلا تنافى رواية يسمعون) اذ العلم لا يمنع السماع (بل تؤيدها) لان علم المخاطب فى العادة انما يكون بما يسمعه (وقال السهيلى ما محصله ان فى نفس الخبر ما يدل على خرق العادة بذلك) من الله (لنبيه صلى الله عليه وسلم لقول الصحابة له) كما رواه مسلم فى حديث أنس عن عمر (أتخاطب أقواما قد جيفوا) بفتح الجيم وشد الياء أى صاروا جيفا منتنين كما تقيده النهاية وغيرها وضبطه شيخنا فى النسخ الصحيحة خلاف ما فى بعضها من ضبطه بالبناء للمجهول فانه أمر بالضرب عليه وأثبت فتح الجيم كما قلنا (فاجابهم بما أجابهم) أجمله ليأتى على كل الروايات فيما أجابهم به والى هنا ما تصرف فيه على السهيلى ولذا احتاج أن يقول ما محصله ولفظه فى الروض عائشة لم تحضر وغيرها ممن حضر أحفظ للفظه صلى الله عليه وسلم وقد قالوا له يا رسول الله أتخاطب أقواما قد جيفوا فقال ما أنتم باسمع لما أقول منهم (قال) السهيلى تلو هذا ما لفظه (واذا جاز ان يكونوا فى تلك الحالة عالمين) كما أثبتته عائشة (جاز أن يكونوا سامعين) كما أثبته عمر وابنه وأبو طلحة وغيرهم اذ لا فرق وأيضا فالعلم لا يمنع السماع كما قال البيهقى (وذلك اما باآذان رؤسهم) على قول الاكثر واما باآذان قلوبهم هذا ما نقله الحافظ عن محصل كلام السهيلى وتبعه المصنف فى الشرح والشامى ولم ينقلوا ما زاده هنا عنه بقوله (اذا قلنا ان الروح تعاد الى الجسد) كله (أو الى بعضه عند المسئلة وهو قول أكثر أهل السنة واما باآذان القلب أو الروح على مذهب من يقول بتوجه السؤال على الروح من غير رجوع الى الجسد أو بعضه) ولعلهم حذفوه من كلامه لاشكاله لانه اذا قيل لا تعاد الروح لشئ من الجسد لزم أن لا يكون السماع باذن القلب فالمناسب ان يقول اما باآذان رؤسهم أو قلوبهم اذا قلنا الخ اللهم الا ان يكون لم يرد بالقلوب الشكل الصنوبرى بل الاحوال القائمة به فيحصل بها الادراك كما قال غير واحد فى معنى القلب وفى الفتح قال السهيلى وقد تمسك بهذا الحديث من قال السؤال يتوجه على الروح والبدن ورده من قال انما يتوجه على الروح فقط بان الاسماع لاذن الرأس لا لاذن القلب فلم يبق فيه حجة قلت اذا كان الذى وقع حينئذ من خوارق العادة للنبى صلى الله عليه وسلم لم يحسن التمسك به فى مسئلة السؤال أصلا انتهى (قال) السهيلى (وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها احتجت بقوله تعالى وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير) وفى الصحيح انها احتجت أيضا بقوله انك لا تسمع الموتى (و) لا حجة فيه لان (هذه الآية كقوله تعالى أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى أى ان الله هو الذى يهدى و يوفق ويوصل الموعظة الى آذان القلوب لا أنت) وان أوصلتها الى آذان الرؤس (وجعل الكفار أمواتا) فى انك لا تسمع الموتى صريحا وفى أنت بمسمع من فى القبور استلزاما (وصما) فى أفأنت

بالقرآن وسورة ق قالت أم هشام بنت الحرث بن النعمان ما حفظت ق الا من فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يخطب بها على المنبر وحفظ من خطبته صلى الله عليه وسلم من رواية على بن زيد بن جدعان وفيها ضعف يا أيها الناس توبوا الى الله عز وجل قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة وصلوا الذى بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة فى السر والعلانية تؤجروا وتحمدوا وترزقوا واعلموا ان الله عز وجل قد فرض عليكم الجمعة فريضة مكتوبة فى مقامى هذا فى شهرى هذا فى عامى هذا الى يوم القيامة من وجد اليها سبيلا فمن تركها فى حياتى أو بعد مماتى جحودا بها أو استخفافا بها وله امام جائر أو عادل فلا جمع الله شمله ولا بارك له فى أمره ألا ولا صلاة له ألا ولا وضوء له ألا ولا صوم له ألا ولا زكاة له ألا ولا حج له ألا ولا بركة له حتى يتوب فان تاب تاب الله عليه ألا ولا تؤمن امرأة رجلا ألا ولا يؤمن اعرابى مهاجرا ألا ولا يؤمن فاجر مؤمنا الا أن يقهره سلطان فيخاف سيفه

تسمع الصم (على جهة التشبيه بالاموات وهم أحياء وبالصم فالله هو الذي يسمعهم على الحقيقة اذا شاء لا نبيه ولا أحد فاذا لا تعلق بالآية من وجهين أحدهما أنها انما نزلت) أي وردت (في دعاء الكفار الى الايمان فهو مجاز (والثاني لو حملت على الحقيقة لم يكن فيها معارضة وذلك (أنه انما نفى عن نبيه أن يكون هو المسمع لهم وصدق الله وانه لا يسمعهم اذا شاء الا هو يفعل ما يشاء وهو على كل شئ قدير) الى هنا انتهى كلام السهيلي كما يعلم من رؤية روضه لا كما زعمه من قال الفصل بأي في قوله أي ان الله الخ مشعر بأنه ليس من كلامه بل هو كلام كلامه وأتى بأي ليفسر المراد بالآية وهذا ظاهر جدا يعني فحمل الحديث على أنه أسمعهم كلام نبيه صلى الله عليه وسلم لا ينافي الآية وفي فتح الباري اختلف أهل التأويل في المراد بالموتى وبمن في القبور فحملته عائشة على الحقيقة وجعلته أصلا احتاجت معه الى تأويل الحديث وهذا قول الاكثر وقيل هو مجاز والمراد بالموتى وبمن في القبور الكفار شبهوا بالموتى وهم أحياء والمعنى من هم في حال الموتى أو في حال من سكنوا القبور وعلى هذا لا يبقى في الآية دليل على ما نفته عائشة والله أعلم (ولقد أحسن العلامة) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن علي (بن جابر) فنسبه لجد أبيه لاشتهاره به الاندلسي الاعمى صاحب شرح الالفية الشهير بالاعمى والبصير (حيث قال بدا) ظهر صلى الله عليه وسلم (يوم بدر وهو كالبدر) الواو للحال (حوله * كواكب) رجال كالكواكب في الظهور والاشراق تشبيه بليغ بحذف الاداة أو استعارة (في أفق) بسكون الفاء على احدى اللغتين للوزن أي في ناحية (الكواكب) أو فيما يظهر من نواحي الفلك التي هي مطلع الكواكب ومظهرها أو في مهب الرياح ففي القاموس الافق بضمة و بضمتين الناحية جمعه آفاق أو ما ظهر من نواحي الفلك أو هي مهب الجنوب والشمال والدبور والصبا انتهى وفي نسخ المواكب بميم وكذا أنشده الشامي وقال جمع موكب أي بكسر الكاف وهو جماعة ركاب يسيرون برفق وهم أيضا القوم الركاب للزينة والتنزه (تنجلي) تظهر وتتميز عن غيرها (وجبريل في جند) أعوان وأنصار (الملائك) من اضافة الاعم الى الاخص أي جندهم الملائك جمع ملك ويجمع أيضا على ملائكة (دونه *) أي امامه صلى الله عليه وسلم وفرع على ما أيده له ولصحبه من كثرة الملائك المناصرين له قوله (فلم تغن) بالفوقية (أعداد) بفتح الهمزة جمع عدد أي كثرة (العدو) أي الاعداء ففي القاموس العدو ضد الصديق للواحد والجمع ويحتمل قراءة يغن بتحتية وكسر همزة اعداد مصدر أعد الشئ هيأه أي لم تغن تهيئة العدو السلاح وغيره شيأ (المخذل) اسم مفعول من خذله تخذيلا اذا حمله على الفشل وترك القتال كما في المصباح يعني ان شدة المسلمين وقوتهم في أعينهم حملتهم على ذلك حتى انهزموا وتمكن المسلمون من قتلهم وأسرهم (رمى بالحصى في أوجه القوم رمية * فشردهم) طردهم وبدد جمعهم وفي حديث عمر عند الطبراني لما كان يوم بدر وانهزمت قريش نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم مصلتا بالسيف يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ورماهم فوسعتهم الرمية وملأت أعينهم حتى ان الرجل ليقتل وهو يقذى عينيه وفاه (مثل النعام) حال كونه (بمجهل) بفتح الميم والهاء بينهما جيم ساكنة قال القاموس أرض مجهل كمقعد لا يهتدى فيها ولا يثنى ولا يجمع انتهى وأما قوله انا لنصفح عن مجاهل قومنا فعناه زلاتهم الحاملة لنا على الجهل وهو جمع مجهل ما يحمل على الجهل وزعم ابن سيده أنه اسم للارض ورد بأنه لا يصح اذ لا يتأتى الصفح عن الاراضي الا بتعسف وفي نسخة المجفل بشد الفاء أي المبالغ في طرده وله ما يهتدى اليه وفي أخرى بمجفل ٢ بفاء ساكنة دون أل أي بمحل يطرد منه والاولى أبلغ في المقام (وجادلهم) من المجادلة خاصمهم وضاربهم أو من الجود تهكما أي سمح لهم (بالمشرفي) بفتح الميم والراء السيف نسبة لمشارف بالفاء وهي كما في الصحاح وغيره قرية من أرض العرب تدنو من الريف (فسلموا

٢ قوله بفاء ساكنة كذا في النسخ ولعله بجيم ساكنة اه

*فؤاد)

نوسوطه وحفظ من خطبة أيضا الحمد لله أستعينه وأستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيأ رواه أبو داود وسيأتي ان شاء الله تعالى ذكر خطبه في الحج

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم)

في خطبه كان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ويقول بعثت أنا والساعة كهاتين ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى ويقول أما بعد فان خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة ثم يقول أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاهله ومن ترك دينا أو ضياعا فالي وعلي رواه مسلم وفي لفظ كانت خطبة النبي صلى

* فقاد) سمع (له بالنفس) وسلم فيها قهرا عليه (كل مجندل) مصروع مطروح على الارض ولم يقل منجدل للوزن وفي نسخ كل مجدل بشد الدال وهي أولى ففي المصباح جدلته تجديلا ألقيته الى الجدالة وطعنه فجدله (عبيدة) بضم أوله ابن الحرث المطلبي (سل عنهم و) سل (حمزة) الهاشمي (واستمع * حديثهم في ذلك اليوم من علي) بن أبي طالب وخصهم لانهم الذين برزوا لعتبة وشيبة والوليد الذين طلبوا المبارزة وأظهروا من أنفسهم الشدة وخص عليا بالاستماع منه لانه عاش وروى الحديث بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بخلاف عبيدة فاستشهد يومئذ وحمزة ثاني عام وزعم انه على الغدر وهو المصطفى خلاف الظاهر المتبادر بل ياباه قوله (هم عتبوا) بفوقية مخففا ومشددا للمبالغة أي ضربوا (بالسيف عتبة) بن ربيعة وهو مجاز عن اللوم أو مضمن معنى القطع (اذ غدا *) أي مبادر الطب البراز (فذاق) هو وابنه (الوليد الموت ليس له ولي) ناصر (وشيبة لما شاب) رأسه ولحيته (خوفا) من الخوف كناية عن الحزن الذي أصابه بحيث حصل منه الشيب في غير أوان (تبادرت * اليه العوالي) جمع عالية وهي السنان من القنا (بالخضاب المعجل) المنساق سريعا والمعنى أنهم أسالوا دمه بالرماح فشبهه بخضاب الحناء واستعار له اسمه تهكما (وجال) دار في مكان الحرب يظهر شدته (أبو جهل) فكان يقول في جولانه

ما تنقم الحرب العوان مني * بازل عامين حديث سني

كامر (فحقق جهله *) فعمل بمقتضاه فقتله الله شر قتلة (غداة) حين (تردى بالردى) الهلاك شبهه بالرداء فأثبت له ما هو من لوازمه فقال تردى أي تسربل (عن تذلل) هوان وحقارة (وأضحى قليبا) أي صار ملقى (في القليب) حين جر وطرح فيه (وقومه * يؤمونه) يقصدونه (فيه) ويسيرون به (الى شر منهل) مورد وهو عين ماء ترده الابل في المراعي عبر به عن النار التي وردوها تهكما واستهزاء (وجاءهم خير الانام) صلى الله عليه وسلم (موبخا *) لائما لهم حيث وقف وناداهم باسمائهم وأسماء آبائهم وقال يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم الى آخر ما مر (ففتح من أسماعهم كل مقفل) مغلق من قولهم أقفله اقفالا فهو مقفل يعني انهم كانوا في غفلة واعراض لما عليها من الختم المانع من حلول الحق فيها وأزيل بعد الموت فعلموا الحق عيانا كما أرشد الى ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فوصل خطابه الى أسماعهم على أكمل حالات السماع (وأخبر) عليه السلام من ساله مستفهما كيف تكلم أجسادا لا أرواح فيها بقوله (ما أنتم باسمع) لما أقول (منهم *) بل هم أسمع أو مساوون على ما مر (ولكنهم لا يهتدون لقول) كنبر أي لقول الجواب اذ هو اشارة لقوله عليه السلام غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا شيا (سلا عنهم) فعل أمر لاثنين على عادة الشعراء من فرض اثنين يخاطبونهما (يوم) وضع (السلا) بفتح المهملة مقصورا وعاء جنين البهيمة بين كتفيه صلى الله عليه وسلم وهو ساجد في صلاته عند الكعبة باشارة عدو الله أبي جهل (اذ تضاحكوا *) حتى مال بعضهم على بعض من الضحك وثبت عليه السلام ساجدا حتى ألقته عنه فاطمة الزهراء (فعاد) ضحكهم (بكاء عاجلا لم يؤجل) ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم عليك بقريش ثلاث مرات وغيره ذلك وقد مر شرح القصة مبسوطا في أوائل المبعث (ألم يعلموا) استفهام تقريري أي قد علموا الآن (علم اليقين) ما يتيقن (بصدقه * ولكنهم لا يرجعون) لا يتمكنون من الرجوع (لعقل) ملجا يخلصهم مما أصابهم والمعنى قد علموا صدقه فيما مضى علم اليقين بما شاهدوه من الآيات البينات الشاهدات بصدقه كما في شعر أبي طالب

لقد علموا أن ابننا لا مكذب * يقينا ولا يعزى لقول الاباطل

الله عليه وسلم يوم الجمعة يحمد الله ويثني عليه ثم يقول على أثر ذلك وقد علا صوته فذكره وفي لفظ يحمد الله ويثني عليه بما هو أهله ثم يقول من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وخير الحديث كتاب الله وفي لفظ للنسائي وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وكان يقول في خطبته بعد التحميد والثناء والتشهد أما بعد وكان يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر ويقصد الكلمات الجوامع وكان يقول ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الاسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم في خطبته اذا عرض له أمر أو نهي كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلي ركعتين ونهى المتخطي رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض والسؤال لاحد من أصحابه فيجيبه ثم يعود الى خطبته فيتمها وكان ربما نزل عن المنبر للحاجة ثم يعود فيتمها كما نزل لاخذ الحسن والحسين وأخذهما

ولكنهم لم يرعووا وفعلوا مافعلوا العدم رجوعهم لملجأ يهتدون به وانما اتبعوا الفخر والكبر (فياخير خلق الله جاهك ملجئي * وحبك ذخري) بضم الذال اعتمادي (في) يوم (الحساب وموئلي * مرجعي (عليك صلاة يشمل الآل عرفها *) رائحتها الذكية (و) يشمل (أصحابك الاخيار أهل الفضل *) بالنفس والمال (وحكى العلامة) محمد بن محمد (بن مرزوق) التلمساني المتوفى في ربيع الاول سنة احدى وثمانين وسبعمائة بمصر ودفن بين ابن القاسم وأشهب من بعض ترجمته أوائل الكتاب (أن ابن عمر) عبد الله (رضي الله عنهما مر مرة ببدر فاذا رجل يعذب ويئن) من وجع العذاب (فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر فلا أدري أعرف اسمي أم كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله) على عادة العرب نظرا الى المعنى الحقيقي لان الجميع عبيد الله (فالتفت اليه فقال اسقني فاردت أن أفعل) أي اسقيه (فقال الاسود) ولم يقل الملك (الموكل بتعذيبه) لاحتمال انه لم يعلم بانه ملك لانه انما رأى شخصا فيجوز انه عبد سلط عليه أو حيوان على صورته أو علم انه ملك ولكن عبر بالاسود تفظيعا له (لاتفعل) لاتسقه (فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر) هو أبو جهل فان هذا الذي حكاه ابن مرزوق قد رواه الطبراني وابن أبي الدنيا وابن منده وغيرهم عن ابن عمر قال بينما أنا سائر بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة في عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني فلا أدري أعرف اسمي أو دعاني بدعاية العرب وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لاتسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم مسرعا فاخبرته بذلك فقال لي قد رأيته قلت نعم قال ذاك عدو الله أبو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة وروى ابن أبي الدنيا عن الشعبي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك ففعل ذلك مرارا فقال صلى الله عليه وسلم ذاك أبو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة كذلك والرجل الذي أبهمه الشعبي الظاهر انه ابن عمر ويحتمل انه غيره فيكون الرائي لابي جهل تعدد (قال) أي ابن مرزوق في شرح البردة (ومن آيات بدر) أضافها اليها لترتبها على غزوتها فهي لادنى ملابسة (الباقية) على مدى الازمان وبه صرح الامام المرجاني فقال وضربت طبل خانة النصر ببدر فهي تضرب الى يوم القيامة ونقله الشريف في تاريخه وأقره والشامي وأقره (ما كنت أسمعه من غير واحد من الحجاج أنهم اذا اجتازوا بذلك الموضع) أي بدر (يسمعون هيئة الطبل طبل ملوك الوقت ويرون) يعتقدون (أن ذلك لنصر أهل الايمان قال وربما أنكرت ذلك وربما تأولته بان الموضع صلب) بضم فسكون أي شديد لاسهولة فيه (فتستجيب) تجيب (فيه حوافر الدواب) أي تقابل بصوت يشبه تصويتها في الارض وهو الصدى الذي يجيب بمثل الصوت في الجبال وغيرها (وكان يقال لي انه دهس) بهمتين سهل ليس برمل ولا تراب ولا طين كما في الصحاح والقاموس زاد في نسخة (رمل) أي أنه لينه يشبه المكان الذي به الرمل أو استعمل دهس في مجرد كون الارض لينة لاتقتضي سماع الصوت فقال رمل (غير صلب) صفة كاشفة (وغالب ما يسير هناك الابل وأخفافها لاتصوت في الارض الصلبة فكيف بالرمال) فانتفى تاويلك (قال ثم لما من الله علي بالوصول الى ذلك الموضع المشرق) المضيء (نزلت عن الراحلة أمشي وبيدي عود طويل من شجر السعدان) بفتح المهملة قال في القاموس نبت من أفضل مراعي الابل ومنه مرعى ولا كالسعدان وله شوك يشبه حلمة الثدي (المسمى بام غيلان) بكسر المعجمة ولعله عند العوام فلاينافي ما رأيت عن القاموس وفيه أيضا وأم غيلان من شجر السمر (وقد نسيت ذلك الخبر الذي كنت أسمع فما راعني وأنا سائر في الهاجرة) شدة الحر (الا واحد) فاعل راعني لان الاستثناء مفرغ (من عبيد الاعراب الجمالين)

وفي

ثم رقي بهما المنبر فاتم خطبته وكان يدعو الرجل في خطبته تعال اجلس يافلان صل يافلان وكان يامرهم بمقتضى الحال في خطبته فاذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها وكان يشير باصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه وكان يستسقي بهم اذا قحط المطر في خطبته وكان يمهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فاذا اجتمعوا خرج اليهم وحده من غير شاويش يصيح بين يديه ولا لبس طيلسان ولا طرحة ولا سواد فاذا دخل المسجد سلم عليهم فاذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه وسلم عليهم ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال في الاذان فاذا فرغ منه قام النبي صلى الله عليه وسلم فخطب من غير فصل بين الاذان والخطبة لا بايراد خبر ولا غيره ولم يكن ياخذ بيده سيفا ولا غيره وانما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ المنبر وكان في الحرب يعتمد على قوس وفي الجمعة يعتمد على عصا ولم يحفظ عنه انه اعتمد على سيف وما

وفي نسخة الاو وواحد بواو بن لكن الفاعل لا يقترن بالواو فان صحت ففيه حذف أى الأمر عرض لى وواحد فالعطف تفسيرى أو خبر مبتدأ محذوف أى وهو واحد أو مبتدأ خبره (يقول أتسمعون الطبل فأخذتني لما) حين (سمعت) أو اللام للتعليل أى لسماعي (كلامه قشعريرة) بضم القاف وفتح الشين (بينة) قوية لا تلتبس بغيرها (وتذكرت ما كنت أخبرت به وكان في الجو بعض ريح فسمعت صوت الطبل وأنا دهش) متحير (مما أصابني من الفرح أو الهيبة أو ما الله أعلم به) يعني حصل له حال لم يتحقق ماهي حتى يعبر عنها (تشككت وقلت لعل الريح سكنت في هذا العود الذي في يدي أو جدت مثل هذا الصوت وأنا حريص على طلب التحقيق لهذه الآية العظيمة فألقيت العود من يدي وجلست على الارض أو وثبت قائما أو فعلت جميع ذلك) شك فيما حصل له حين أخبر (فسمعت صوت الطبل سماعا محققا أو صوتا لا أشك انه صوت طبل وذلك من ناحية اليمن ونحن سائرون الى مكة المشرفة نزلنا ببدر فظللت) بكسر اللام الاولى واسكان الثالثة (أسمع ذلك الصوت يومي أجمع) بالنصب تأكيد ليومي (المرة بعد المرة) بالنصب على الحال أى متتابعا جميع يومه من ابتداء سماعه من الهاجرة فاستعمل اليوم في بقيته مجازا (قال ولقد أخبرت أن ذلك الصوت لا يسمعه جميع الناس انتهى) كلام ابن مرزوق قال صاحب الخميس ولما نزلت بدرا سنة ست وثلاثين وتسعمائة وصليت الفجر يوم الاربعاء أوائل شعبان وأقمنا يوما تذكرت نحو ذلك الصوت يجيء من كثيب ضخم طويل مرتفع كالجبل شمالي بدر فطلعت أعلاه وتتابع الناس لسماعه وكانوا زهاء مائة من رجال ونساء فما سمعت شيأ فنزلت أسفله فسمعت من سفح الكثيب صوتا كهيئة الطبل الكبير سماعا محققا بلا شك مرارا متعددة وسمعه الناس كلهم كما سمعت وكان الصوت يجيء تارة من تحتنا ثم ينقطع وتارة من خلفنا ثم ينقطع وتارة من قدامنا وتارة من شمالنا سمعناه سماعا محققا وكان الوقت صحوا راكدا لا ريح فيه انتهى ولما ذكر ما أراد من الغزوة شرع في ذكر الاسارى فقال (وروى الطبراني) والبزار (من حديث أبي اليسر) بفتح التحتية والسين المهملة وبالراء كعب بن عمرو الانصاري السلمي بفتحتين مشهور باسمه وكنيته شهد العقبة وبدرا والمشاهد ومات سنة خمس وخمسين بالمدينة وقول ابن اسحق كان آخر من مات من الصحابة كأنه يعني أهل بدر كما في الاصابة (أنه أسر العباس) بن عبد المطلب رضي الله عنه أخرج ابن اسحق عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم قال انى عرفت ان رجالا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ومن لقي أبا البختري فلا يقتله ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فانما خرج مستكرها فقال أبو حذيفة بن عتبة أنقتل آباءنا واخواننا وعشيرتنا ونترك العباس والله لئن لقيته لألجمنه السيف فبلغه صلى الله عليه وسلم فقال لعمر يا أبا حفص قال عمر والله انه لاول يوم كناني فيه بأبي حفص أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف فقال عمر يا رسول الله دعني فلاضرب عنقه بالسيف فوالله لقد نافق فكان أبو حذيفة يقول ما أنا بآمن من تلك الكلمة التي قلتها يومئذ ولا أزال منها خائفا الا ان تكفرها عني الشهادة فاستشهد يوم اليمامة رضي الله عنه (وقيل للعباس وكان جسيما) جميلا وسيما أبيض له ضفيرتان معتدلا وقيل طويلا والقائل ابنه ففي رواية الطبراني وأبي نعيم عن ابن عباس قال قلت لابي (كيف أسرك أبو اليسر وهو دميم) بدال مهملة قبيح المنظر صغير الجسم (ولو شئت) ان تجعله في كفك (لجعلته في كفك) فالمفعول محذوف دل عليه الجواب وفي رواية البزار ولو أخذته بكفك لوسعته (فقال) زاد البزار يا بني لا تقل ذلك (ما هو الا أن لقيته فظهر في عيني) بالتثنية أو الافراد مرادا به الجنس (كالخندمة) وفي رواية أبي نعيم لقيني وهو في عيني أعظم من الخندمة وهذا قاله جوابا لسائله كيف أسرك مع صغره وضعفه عنك جدا وفي السياق اشعار بانه

يظنه بعض الجهال انه كان يعتمد على السيف دائما وان ذلك اشارة الى ان الدين قام بالسيف فمن فرط جهله فانه لا يحفظ عنه بعد اتخاذ المنبر انه كان يرقاه بسيف ولا قوس ولا غيره ولا قبل اتخاذه انه أخذ بيده سيفا ألبتة وانما كان يعتمد على عصا أو قوس وكان منبره ثلاث درجات وكان قبل اتخاذه يخطب الى جذع يستند اليه فلما تحول الى المنبر حن الجذع حنينا سمعه أهل المسجد فنزل اليه صلى الله عليه وسلم وضمه قال أنس حن لما فقد ما كان يسمع من الوحي وفقده التصاق النبي صلى الله عليه وسلم ولم يوضع المنبر في وسط المسجد وانما وضع في جانبه الغربي قريبا من الحائط وكان بينه وبين الحائط قدر ممر الشاة وكان اذا جلس عليه النبي صلى الله عليه وسلم في غير الجمعة أو خطب قائما في الجمعة استدار أصحابه اليه بوجوههم وكان وجهه قبلهم في وقت الخطبة وكان يقوم فيخطب ثم يجلس جلسة خفيفة ثم يقوم فيخطب الثانية فاذا فرغ منها أخذ بلال في الاقامة وكان يأمر

بعدم معرفة أبي اليسر لان السائل له ابنه ولم يشهد بدرا فلا تعارض بينه وبين ما في مسند أحمد في حديث طويل عن علي فجاء رجل من الانصار بالعباس أسيرا فقال العباس ان هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح من أحسن الناس وجها على فرس أبلق ما أراه في القوم فقال الانصاري أنا أسرته يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم اسكت فقد أيدك الله بملك كريم لان هذا قاله أول ما رأى أبا اليسر بصورة خلقته فنفى أن يكون أسره لانه انما رأى وقت الاسر الصورة التي وصفها في الملك وفي أبي اليسر كالخندمة ولذا قال له المصطفى اسكت الى آخره اشارة الى انه لم يستقل بأسره وقوله أنا أسرته رد لانكار أسره من أصله فلا يعارض ما جاء أنه صلى الله عليه وسلم ساله كيف أسرته فقال قد أعانني الله عليه بملك كريم (وهي) أي الخندمة (بالخاء المعجمة) المفتوحة والنون الساكنة والدال المهملة المفتوحة فميم فتاء تانيث (جبل من جبال مكة) شرفها الله تعالى (قاله في القاموس) والعيون وغيرهما ويقع في نسخ من جبال تهامة بدل مكة وهو وان صح في نفسه لان مكة بعض تهامة غير صحيح العزو فالذي في القاموس مكة لا تهامة (والمولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه) كما روى ابن عائذ في المغازي من طريق مرسل أن عمر المولي (وثاق) بالفتح والكسر ما يوثق ويشد به (الاسرى شد وثاق العباس) رجاء اسلامه والا فقد علم تغيظ المصطفى ممن قال لالجمنه السيف (فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يئن فلم يأخذه النوم فبلغ الانصار) يحتمل من عمر (فاطلقوا العباس) كما جاء عن ابن عمر لما كان يوم بدر جيء بالاسرى وفيهم العباس وعدته الانصار أن يقتلوه فبلغ رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لم أنم الليلة من أجل عمي العباس وقد زعمت الانصار انهم قاتلوه قال عمر أفآتيهم قال نعم فأتاهم فقال ارسلوا العباس فقالوا والله لا نرسله فقال عمر فان كان لرسول الله رضا قالوا فان كان لرسول الله رضا فخذه فأخذه عمر فلما صار في يده قال له يا عباس أسلم فوالله لان تسلم أحب الي من أن يسلم الخطاب وما ذاك الا لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه اسلامك (فكان الانصار فهموا) بقرائن أو من تصريح عمر (رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه) ففكوه (وسالوا) أي سال بعض الانصار المصطفى والمذكور في الفتح عقب رواية ابن عائذ لفظه فكان الانصار لما فهموا رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفك وثاقه سالوه (أن يترك له الفداء طلبا لتمام رضاه فلم يجبهم) كما أخرجه البخاري من حديث ابن شهاب حدثنا أنس بن مالك ان رجالا من الانصار استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه قال والله لا تذرون منه درهما قال الحافظ وأم العباس ليست من الانصار بل جدته أم عبد المطلب هي الانصارية فسموها اختا لكونها منهم وعلى العباس ابنها لانها جدته وهي سلمى بنت عمرو الخزرجية قال وانما لم يجبهم لانه خشي أن يكون فيه محاباة لكونه عمه لا لكونه قريبهم من النساء وفيه أيضا اشارة الى ان القريب لا ينبغي له أن يتظاهر بما يؤذي قريبه وان كان في الباطن يكره ما يؤذيه ففي ترك قبول ما تبرع له الانصار به من الفداء تاديب لمن يقع منه مثل ذلك انتهى أو للتسوية بينهم حتى لا يبقى في نفوس أصحابه الذين لهم أقارب أسرى شيء بسبب مسامحته وأخذ الفداء منهم (وفي حديث أنس عند الامام أحمد استشار) عليه الصلاة والسلام (الناس في الاسرى يوم بدر) أي زمنه (فقال ان الله قد أمكنكم) وفي نسخة مكنكم وهما بمعنى (منهم) أسقط من رواية أحمد عن أنس وانما هم اخوانكم بالامس (فقام عمر) ظاهره انه تكلم قبل أبي بكر وفي حديث عمر عند مسلم ان أبا بكر تكلم قبل عمر ولفظه استشار النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعليا فقال أبو بكر يا نبي الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان واني أرى ان تاخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى الله أن يهديهم فيكونوا لنا عضدا فقال ما ترى يا عمر قال والله ما أرى ما رأى أبو بكر الحديث مطولا وأخرجه

بنحوه

الناس بالذنو متسه ويامرهم بالانصاف ويخبرهم ان الرجل اذا قال لصاحبه انصت فقد لغا ويقول من لغا فلا جمعة له وكان يقول من تكلم يوم الجمعة والامام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له انصت ليست له جمعة رواه الامام أحمد رحمه الله وقال أبي بن كعب قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة تبارك وهو قائم فذكرنا بايام الله وأبو الدرداء أو أبو ذر يغمزني فقال متى أنزلت هذه السورة فاني لم أسمعها الى الآن فاشار اليه ان اسكت فلما انصرفوا قال سالتك متى أنزلت هذه السورة فلم تخبرني فقال انه ليس لك من صلاتك اليوم الا ما لغوت فذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك وأخبره بالذي قال له أبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صدق أبي ذكره ابن ماجه وسعيد بن منصور وأصله في مسند أحمد وقال صلى الله عليه وسلم يحضر الجمعة ثلاثة نفر رجل حضرها بلغو وهو حظه منها ورجل حضر بدعاء فهو رجل دعا الله

بنحوه أحمد والترمذى وغيرهما عن ابن مسعود وابن مردويه عن ابن عباس ويمكن الجمع بانه صلى الله عليه وسلم استشار الناس عموما وخصوصا فلما خص تكلم أبو بكر قبل عمر ولما عم بادر عمر فى الجواب على عادته فى الشدة فى دين الله تعالى (فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم) أمر أو مضارع ويؤيد الاول رواية مسلم والجماعة بلفظ ما أرى ما رأى أبو بكر ولكن أرى ان تمكننى من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله انه ليس فى قلوبنا مودة للمشركين هؤلاء أئمة الكفر وصناديد قريش وأئمتهم وقادتهم فاضرب أعناقهم ما أرى أن يكون لك اسرى فانما نحن راعون مؤلفون (فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام) لما جبل عليه من الرأفة والرحمة فى حال ايذائهم له فكيف فى حال قدرته عليهم (ثم عاد صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم) فيه ترقيقهم عليهم واستعطافهم لان العفو بعد القدرة من شيم الكرام (فقال عمر يا رسول الله اضرب أعناقهم فاعرض عنه عليه الصلاة والسلام ففعل ذلك ثلاثا) وما تغير عمر عن رأيه (فقام أبو بكر الصديق) رضى الله عنه (فقال يا رسول الله أرى ان تعفو عنهم) بفتح الهمزة والواو أى فلا تقتلهم هكذا فى نسخ صحيحة (وأن تقبل منهم الفداء) بالفتح أيضا أى أرى عدم القتل استبقاء للقرابة ورجاء لاسلامهم مع أخذ الفداء مراعاة للجيش ليقووا على الكفار وفى نسخة ان تعف بحذف الواو فالهمزة فيهما مكسورة والجواب محذوف أى ان تعف مجانا فلا باس اذهم بنو العم والعشيرة وان تقبل منهم الفداء فلا باس لانا نستعين به ودعوى انها اليق بادب الصديق مع المصطفى فلا ينسب لنفسه أمرا مردودة بانه لكل مقام مقال والمقام هنا بيان الرأى الذى طلبه المصطفى خصوصا مع مخالفة عمر واعراضه عنه وأيضا فالكسر يقتضى انه خيره فى العفو مجانا والاحاديث تاباه كيف وقد صرح الصديق فى رواية مسلم بقوله أرى أن تاخذ منهم الفدية وفى رواية الترمذى وغيره استبقهم وانى أرى أن تاخذ الفداء منهم (فذهب من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان) ظهر (فيه من) التغير الدال على (الغم) من قول عمر وهوى ما قال أبو بكر (فعفا عنهم) فلم يقتلهم (وقبل منهم الفداء) فلم يسترقهم ولم يضرب عليهم جزية هذا ولم يذكر عن على جواب مع انه أحد الثلاثة المستشارين كما فى مسلم لانه لما رأى تغير المصطفى حين اختلف الشيخان عليه لم يجب أو لم تظهر له مصلحة حتى يذكرها ولهذا لما ظهر لعبد الله بن رواحة الجواب وان النبى صلى الله عليه وسلم لم يرد تخصيص الثلاثة قال كما رواه الترمذى والجماعة يا رسول الله انظر واديا كثير الحطب فاضرمه عليهم نارا فقال العباس وهو يسمع ما يقول قطعت رحمك وفى رواية ثكلتك أمك فدخل صلى الله عليه وسلم بيته فقال أناس ياخذ بقول عمر وأناس بقول أبو بكر وأناس بقول ابن رواحة ثم خرج فقال ان الله تعالى ليلين قلوب أقوام فيه حتى تكون ألين من اللبن وان الله ليشدد قلوب أقوام فيه حتى تكون أشد من الحجارة مثلك يا أبا بكر فى الملائكة كمثل ميكائيل ينزل بالرحمة ومثلك فى الانبياء مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى ابن مريم قال ان تعذبهم فانهم عبادك ومثلك يا عمر فى الملائكة مثل جبريل ينزل بالشدة والباس والنقمة على أعداء الله ومثلك فى الانبياء مثل نوح اذ قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك فى الانبياء مثل موسى اذ قال ربنا اطمس على أموالهم الآية لو اتفقتما ما خالفتكما أنتم عالة فلا يفلتن أحد منهم الا بفداء أو ضرب عنق فقال عبد الله بن مسعود يا رسول الله الا سهيل بن بيضاء فانى سمعته يذكر الاسلام فسكت صلى الله عليه وسلم فما رأيتنى فى يوم أخاف أن تقع على الحجارة من السماء منى فى ذلك اليوم حتى قال صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء (قال وأنزل الله تعالى لولا كتاب من الله سبق) باحلال الغنائم والاسرى لكم (لمسكم فيما أخذتم) من

عز وجل ان شاء أعطاه وان شاء منعه ورجل حضرها بانصات وسكوت ولم يتخط رقبة مسلم ولم يؤذ أحدا فهى كفارة له الى يوم الجمعة التى تليها وزيادة ثلاثة أيام وذلك ان الله عز وجل يقول من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ذكره أحمد وأبو داود وكان اذا فرغ بلال من الاذان أخذ النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطبة ولم يقم أحد يركع ركعتين البتة ولم يكن الاذان الا واحدا وهذا يدل على ان الجمعة كالعيد لا سنة لها قبلها وهذا أصح قولى العلماء وعليه تدل السنة فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يخرج من بيته فاذا رقى المنبر أخذ بلال فى أذان الجمعة فاذا أكمله أخذ النبى صلى الله عليه وسلم فى الخطبة من غير فصل وهذا كان رأى عين فتى كانوا يصلون السنة ومن ظن انهم كانوا اذا فرغ بلال من الاذان قاموا كلهم فركعوا ركعتين فهو أجهل الناس بالسنة وهذا الذى ذكرناه من انه لا سنة قبلها هو مذهب مالك رحمه الله وأحمد رحمه الله فى المشهور عنه وأحد الوجهين لاصحاب

القداء (عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا الآية) يريد واتقوا الله ان الله غفور رحيم وهذه رواية أحمد عن أنس وفي روايته هو والترمذي والحاكم عن ابن مسعود فنزل القرآن بقول عمر ما كان لنبي أن تكون له أسرى الى آخر الآيات وفي رواية مسلم عن عمر فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هوي أبو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وأبو بكر يبكيان فقلت يا رسول الله اخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت والا تباكيت لبكائكما فقال صلى الله عليه وسلم ابكي للذي عرض على أصحابك من الفداء لقد عرض على عذابكم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى حتى يثخن في الارض الى قوله عظيم وفي رواية ان كاد ليمسنا في خلاف ابن الخطاب عذاب عظيم ولو نزل العذاب ما أفلت منه الا ابن الخطاب زاد في رواية وسعد بن معاذ أي لانه كره يوم الوقعة الاسر وأحب الاثخان كعمر ولم يقل وابن رواحة لانه أشار باضرام النار وليس بشرع وهذه من جملة موافقات عمر المنتهية الى نحو الثلاثين وتحدث عمر ببعضها من باب وأما بنعمة ربك فحدث فقال كما في الصحيح وافقت ربي في ثلاث في الحجاب ومقام ابراهيم وفي أسارى بدر واستشكل هذا كله بانه وافق رأى المصطفى ولا أجل منه ولا أسد من رأيه (ويأتي الكلام عليها في ازالة الشبهات عن الآيات المشكلات من المقصد السادس ان شاء الله تعالى) في نحو ورقة بما يشفي ويكفي وفي فتح الباري هنا اختلف السلف في أي الرأيين كان أصوب فقال بعضهم كان رأى أبي بكر لانه وافق ما قدر الله في نفس الامر ولما استقر عليه الامر ولدخول كثير منهم في الاسلام اما بنفسه واما بذريته التي ولدت له بعد الواقعة ولانه وافق غلبة الرحمة على الغضب كما ثبت ذلك عن الله تعالى في حق من كتب له الرحمة وأما من رجح الرأي الآخر فتمسك بما وقع من العتاب على أخذ الفداء وهو ظاهر لكن الجواب عنه انه لا يدفع حجة الرجحان عن الاول بل ورد للاشارة الى ذم من آثر شيأ من الدنيا على الآخرة ولو قل قال وروى الترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم باسناد صحيح عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الاسرى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم عاما مقبلا مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا انتهى ورواه ابن سعد من مرسل عبيدة وفيه فقالوا بل نفاديهم فنقوى به عليهم ويدخل قابلا منا الجنة سبعون ففادوهم (وأخرج ابن اسحق من حديث ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه وسلم قال) هذا من مراسيل الصحابة لان ابن عباس لم يشهد ذلك بل كان صغيرا مع أمه بمكة فكأنه حمله عن أبيه أو غيره (يا عباس افد) بفتح الهمزة وكسرها (نفسك وابني أخيك عقيل) بفتح العين وكسر القاف (ابن أبي طالب ونوفل بن الحرث) أكبر ولد عبد المطلب (وحليفك عتبة بن عمرو وقال اني كنت مسلما ولكن القوم استكرهوني) بسين للتاكيد أو زائدة (قال الله أعلم بما تقول ان يكن ما تقول حقا فان الله يجزيك) الثواب الاخروي والدنيوي (ولكن ظاهر أمرك أنك كنت علينا) وشريعتنا العمل بالظاهر لا بما في نفس الامر وفيه رد على من قال لو كان مسلما ما أسروه ولا أخذوا منه الفداء (وذكر موسى بن عقبة ان فداءهم) أي الاسرى لا العباس ومن ذكر معه فلا ينافي ما بعده أي كل واحد منهم (كان أربعين أوقية ذهبا) وقال قتادة كان فداء كل أسير أربعة آلاف وفي العيون كان الفداء من أربعة آلاف الى ثلاثة آلاف الى ألفين الى ألف درهم وعارضه في النور بما في أبي داود والنسائي عن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم جعل فداءهم يوم بدر أربعمائة قال فبينهما تفاوت كبير انتهى وروى ابن سعد من مرسل الشعبي قال كان صلى الله عليه وسلم يفاديهم على قدر أموالهم وكان أهل مكة

الشافعي والذين قالوا ان لها سنة منهم من احتج انها ظهر مقصورة فيثبت لها أحكام الظهر وهذه حجة ضعيفة جدا فان الجمعة صلاة مستقلة بنفسها تخالف الظهر في الجهر والعدد والخطبة والشروط المعتبرة لها وتوافقها في الوقت وليس الحاق مسئلة النزاع بمورد الاتفاق أولى من الحاقها بموارد الافتراق بل الحاقها بموارد الافتراق أولى لانها أكثر مما اتفقا فيه ومنهم من أثبت السنة لها هنا بالقياس على الظهر وهو أيضا قياس فاسد فان السنة ما كان ثابتا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو سنة خلفائه الراشدين وليس في مسألتنا شيء من ذلك ولا يجوز اثبات السنن في مثل هذا بالقياس لان هذا مما انعقد سبب فعله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فاذا لم يفعله ولم يشرعه كان تركه هو السنة ونظير هذا ان يشرع لصلاة العيد سنة قبلها أو بعدها بالقياس فلذلك كان الصحيح انه لا يسن الغسل للمبيت بمزدلفة ولا لرمي الجمار ولا للطواف ولا الكسوف ولا الاستسقاء

يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فمن لم يكن عنده فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه وهذا يمكن أن يجمع به بين الأقوال ومن ثم قال في الشامية ومنهم من عليه لأنه لا مال له (وعند أبي نعيم في الدلائل بإسناد حسن من حديث ابن عباس أنه) قال كان فداء الرجل أربعين أوقية هذا أسقطه المصنف من الدلائل والأوقية أربعون درهما فمجموع ذلك ألف وستمائة درهم قال و(جعل على العباس مائة أوقية وعلى عقيل ثمانين أوقية) ومما أسقطه من الدلائل أوكأنه اكتفى بما قبله عن مومى وإن كان لا يليق لأنه دليله أو عم يتضح قوله (فقال له) صلى الله عليه وسلم (العباس ألقرابة صنعت هذا) يعاتبه إذ مقتضى القرابة التخفيف وقد شددت وأخذت منا أزيد مما أخذت من غيرنا وإنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اثر وة العباس حتى لا يكون في الدين محاباة وقد كان يفاديهم على قدر أموالهم قيل جعل عليه أربعمائة أوقية وقيل أربعين أوقية من ذهب (فأنزل الله تعالى يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى الآية) هذا يفيد أن سبب النزول خاص واللفظ عام لكن في الشامية قال جماعة له صلى الله عليه وسلم منهم العباس إنا كنا مسلمين وإنما خرجنا كرها فعلام يؤخذ منا الفداء فأنزل الله يا أيها النبي الآية (فقال العباس وددت لو كنت أخذت مني أضعافها لقوله تعالى) إن يعلم الله في قلوبكم خيرا أي إيمانا وإخلاصا (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) من الفداء بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثيبكم في الآخرة زاد في رواية فقد آتاني الله خيرا منها مائة عبد وفي لفظ أربعين عبدا كل عبد في يده مال يضرب به أي يتجر فيه وإني لأرجو من الله المغفرة أي لقوله تعالى ويغفر لكم والله غفور رحيم وروى الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال قال العباس في والله نزلت حين أخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسلامي وسألته أن يحاسبني بالعشرين أوقية التي وجدت معي فأعطاني الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر بمالي في يده مع ما أرجو من مغفرة الله وفي الصحيح عن أنس أتي النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين فقال انثروه في المسجد وكان أكثر مال أتي به فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس فقال أعطني فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا فقال له خذ فحثا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال يا رسول الله مر بعضهم يرفعه إلي قال لا قال فارفعه أنت علي قال لا فنثر منه ثم احتمله فألقاه على كاهله ثم انطلق وهو يقول إنما أخذت ما وعد الله فقد أنجز فما زال صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا عجبا من حرصه فما قام صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم وعند ابن أبي شيبة أن المال كان مائة ألف وهذا كله صريح في أنه لم يفد إلا نفسه وعقيلا قيل وفدى نوفلا لقوله صلى الله عليه وسلم فاد نفسك وابني أخيك نوفلا وعقيلا ولما أسلم نوفل آخى بينه وبين العباس ذكره ابن إسحق وقيل بل فدى نوفل نفسه فقد روى ابن سعد أنه صلى الله عليه وسلم قال لنوفل أفد نفسك قال ليس لي مال أفتدي به فقال أفد نفسك بأرماحك التي بجدة قال والله ما علم أحد أن لي بجدة رماحا غير الله أشهد أنك رسول الله وفدى نفسه بها وكانت ألف رمح ويمكن الجمع بأنه أمر العباس قبل أن يعلم أن لنوفل مالا فلما أعلمه الله بذلك أمر نوفلا بفداء نفسه ويؤيد ذلك قول العباس في الصحيح فاديت نفسي وعقيلا ولم يذكر نوفلا وصدر السهيلي بأن نوفلا أسلم عام الخندق وهاجر ومات بالمدينة سنة خمس عشرة وصلى عليه عمر (وكان قد استشهد يوم بدر من المسلمين أربعة عشر رجلا) قيل وأسهم لهم صلى الله عليه وسلم (ستة من المهاجرين) عبيدة بن الحرث المطلبي قطعت رجله في المبارزة فمات بالصفراء فدفنه صلى الله عليه وسلم بها وقيل مات بالروحاء ومهجع بكسر الميم وإسكان الهاء وفتح الجيم وعين مهملة مولى عمر قال ابن إسحق وابن سعد كان أول قتيل من المسلمين وأول من جرح قتله عامر بن

لأن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم يغتسلوا لذلك مع فعلهم لهذه العبادات ومنهم من احتج بما ذكره البخاري في صحيحه فقال باب الصلاة قبل الجمعة وبعدها حدثنا عبد الله ابن يوسف أنبأنا مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي قبل الظهر ركعتين وبعدها ركعتين وبعد المغرب ركعتين في بيته وقبل العشاء ركعتين وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف فيصلي ركعتين وهذا لا حجة فيه ولم يرد به البخاري إثبات السنة قبل الجمعة وإنما مراده أنه هل ورد في الصلاة قبلها أو بعدها شيء ثم ذكر هذا الحديث أي أنه لم يرو عنه فعل السنة إلا بعدها ولم يرد قبلها شيء وهذا نظير ما فعل في كتاب العيدين فإنه قال باب الصلاة قبل العيد وبعدها وقال أبو العلاء سمعت سعيدا عن ابن عباس أنه كره الصلاة قبل العيد ثم ذكر حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوم الفطر فصلى ركعتين لم يصل قبلهما ولا بعدهما ومعه بلال

الحضرمي بسهم أرسله اليه وقال صلى الله عليه وسلم يومئذ مهجع سيد الشهداء وروى الحاكم عن واثلة رفعه خير السودان لقمان وبلال ومهجع قال البرهان ونقل بعض مشايخي انه أول من يدعى من شهداء هذه الامة وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص الزهري ذكر الواقدي أنه صلى الله عليه وسلم رده لانه استصغره فبكى عمير فلما رأى بكائه أذن له في الخروج فقتل وهو ابن ست عشرة سنة قتله العاصي ابن سعيد قاله السهيلي وفي الاصابة يقال قتله عمرو بن عبدود العامري وعاقل بغين وقاف ابن البكير بالتصغير الليثي وصفوان بن بيضاء الفهري قتله طعيمة بن عدي ذكره ابن اسحق وابن عقبة وابن سعد وأبو حاتم وجزم ابن حبان بانه مات سنة ثلاثين والواقدي وتبعه أبو أحمد الحاكم بانه مات سنة ثمان وثلاثين وقيل مات في طاعون عمواس ذكره في الاصابة وذو الشمالين عمير وقيل الحرث ويقال عمرو بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي وكان أعسم وقيل اسمه خلف بن أمية وهو غير ذي اليدين فان اسمه الخرباق كما في مسلم ابن عمر والسلمي قال العلماء ووهم الامام ابن شهاب على جلالته وتبعه ابن السمعاني فقال انهما واحد وخالفه غيره وجعلوهما اثنين فان ذا اليدين عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم وقد روى أبو هريرة انه الذي نبه على السهو وأبو هريرة انما أسلم عام خيبر وذو الشمالين استشهد ببدر نعم ذكر البرهان عن بعض الحفاظ ان ذا اليدين كان يقال له أيضا ذو الشمالين وانه ليس هذا المستشهد ببدر (وثمانية من الانصار ستة من الخزرج) عوف بن عفراء ذكر ابن اسحق انه قال يا رسول الله ما يضحك الرب من عبده قال غمسه يده في القوم حاسرا فنزع درعا عليه فقذفها ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وشقيقه معوذ قال في الفتح بشد الواو وفتحها على الاشهر وجزم الوقشي بالكسر انتهى قال ابن الاثير وزعم ابن الكلبي ان شقيقهما معاذا استشهد ببدر أيضا لم يوافق عليه وحارثة بن سراقة بحاء مهملة ومثلثة وكان في النظارة أي الذين لم يخرجوا القتال فاتاه سهم غرب فوقع في نحره فقتله فجاءت أمه الربيع بضم الراء وفتح الموحدة وشد التحتية فقالت يا رسول الله قد علمت مكان حارثة مني فان يكن في الجنة أصبر وأحتسب والا فسترى ما أصنع فقال انها ليست بجنة واحدة ولكنها جنان كثيرة وانه في جنة الفردوس كما في الصحيح وقتله كما في العيون حبان بكسر المهملة وشد الموحدة ابن العرقة بفتح المهملة وكسر الراء ونقل الواقدي فتحها وفتح القاف فتاء تأنيث وهي أمه وأبوه قيس قال ابن اسحق وهو أول قتيل بعد مهجع والروايات الصحيحة في البخاري وأحمد والترمذي والنسائي وغيرهم ان حارثة هذا اقتتل في بدر ولم يختلف في ذلك أهل المغازي وما في بعض الروايات انه قتل في أحد وان اعتمده ابن منده أنكره أبو نعيم كما أوضح ذلك في الاصابة ويزيد بن الحرث بن قيس بن مالك ورافع بن المعلى قتله عكرمة بن أبي جهل وعمير بن الحمام بضم المهملة وخفة الميم ابن الجموح ذكر ابن اسحق انه صلى الله عليه وسلم خرج على الناس فحرضهم فقال والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر الا أدخله الله الجنة فقال عمير بن الحمام وفي يده تمرات يأكلهن بخ بخ أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه فقاتل القوم حتى قتل وهو يقول

ركضا الى الله بغير زاد * الا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد * وكل زاد عرضة النفاد
غير التقى والبر والرشاد

وقتله خالد بن الاعلم العقيلي وروى مسلم عن أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال قوموا الى جنة عرضها السموات والارض فقال عمير بن الحمام يا رسول الله جنة عرضها السموات والارض قال نعم قال بخ

الحديث فترجم للعيد مثل ما ترجم للجمعة وذكر للعيد حديثا دالا على أنه لا تشرع الصلاة قبلها ولا بعدها فدل على ان مراده من الجمعة كذلك وقد ظن بعضهم ان الجمعة لما كانت بدلا عن الظهر وقد ذكر في الحديث السنة قبل الظهر وبعدها دل على ان الجمعة كذلك وانما قال وكان لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف بيانا للموضع صلاة السنة بعد الجمعة فانه بعد الانصراف وهذا الظن غلط منه لان البخاري قد ذكر في باب التطوع بعد المكتوبة حديث ابن عمر رضي الله عنه صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سجدتين قبل الظهر وسجدتين بعد الظهر وسجدتين بعد المغرب وسجدتين بعد العشاء وسجدتين بعد الجمعة فهذا صريح في ان الجمعة عند الصحابة صلاة مستقلة بنفسها غير الظهر والا لم يحتج الى ذكرها لدخولها تحت اسم الظهر فلما لم يذكر لها سنة الا بعدها علم انه لا سنة لها قبلها ومنهم من احتج بما رواه ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة وجابر قال جاء

بخ فقال صلى الله عليه وسلم ما يحملك على قولك بخ بخ قال لا والله يا رسول الله الا رجاء أن أكون من أهلها قال فانك من أهلها فاخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي انها لحياة طويلة فرمى بما كان معه من التمر ثم قاتلهم حتى قتل قال ابن عقبة وهو أول قتيل قتل يومئذ ومر قول ابن اسحق وابن سعد أولهم مهجع وجمع في النور بانه أول قتيل بسهم وعمير بغيره أو من المهاجرين وعمير من الانصار ولا يعارضه ما حكاه ابن سعد أول قتيل من الانصار حارثة بن سراقة لانه أول قتيل من الفتيان انتهى وهو ظاهر لكن لا يعلم منه أول قتيل على الاطلاق (واثنان من الاوس) سعد بن خيثمة أحد النقباء بالعقبة الصحابي ابن الصحابي الشهيد ابن الشهيد قيل قتله طعيمة بن عدى وقيل عمرو بن عبد ود واستشهد أبوه يوم أحد ومبشر بن عبد المنذر وقيل انما قتل باحد قال السمهودي في الوفاء يظهر من كلام أهل السير انهم دفنوا ببدر ماعدا عبيدة لتأخر وفاته فدفن بالصفراء أو الروحاء انتهى وروى الطبراني برجال ثقات عن ابن مسعود قال ان الذين قتلوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر جعل الله تعالى أرواحهم في الجنة في طير خضر تسرح في الجنة فبينما هم كذلك اذ اطلع عليهم ربهم اطلاعة فقال يا عبادي ماذا تشتهون فقالوا يا ربنا هل فوق هذا من شئ قال فيقول ماذا تشتهون فيقولون في الرابعة ترد أرواحنا في أجسادنا فنقتل كما قتلنا موقوف لفظا مرفوع حكما لانه لا مدخل للرأي فيه والله أعلم (* تنبيه * لا يقدح في وعد الله تعالى) للمسلمين بالظفر بقوله سبحانه واذ يعدكم الله احدى الطائفتين (ان استشهد هؤلاء الصحابة رضي الله عنهم) لانه وعدهم بالظفر بقريش وقد فعل ولم يعدهم أنه لا يقتل أحد منهم فلا ينافي قتل هؤلاء (وانما هذا الوعد كقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله حتى يعطوا الجزية عن يد) حال أي منقادين أو بايديهم لا بوكلاء بها (وهم صاغرون) أذلاء منقادون لحكم الاسلام ووجه التشبيه ان هذه الآية دلت على أمرهم بالقتال حتى يتمكنوا من عدوهم باذلالهم وأخذ الجزية ان لم يؤمنوا وآية واذ يعدكم الله تدل على الظفر بالاعداء من غير دلالة على عدم قتل أحد منهم (فقد نجز الموعود) به (وغلبوا) بالبناء للفاعل (كما وعدوا) بالبناء للمفعول (فكان وعد الله مفعولا) أي موعوده (ونصره للمؤمنين ناجزا والحمد لله وقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون) كما في حديث البراء عند البخاري وابن عباس وعمر عند مسلم ووافقهم آخرون وبه جزم ابن هشام ونقله عن أبي عمرو قال ابن كثير هو المشهور وقال الحافظ وهو الحق وان أطبق أهل السير على ان القتلى خمسون قتيلا يزيدون قليلا أو ينقصون وأطلق كثير من أهل المغازي انهم بضعة وأربعون وسرد ابن اسحق أسماءهم فبلغوا خمسين وزاد الواقدي ثلاثة أو أربعة وسردهم ابن هشام فزادوا على الستين لكن لا يلزم من معرفة أسماء من قتل على التعيين أن يكونوا جميع من قتل وقد قال الله تعالى أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها اتفق علماء التفسير على أن المخاطب بذلك أهل أحد وان المراد باصابتهم مثليها يوم بدر وبذلك جزم ابن هشام واستدل له بقول كعب بن مالك من قصيدة

فاقام بالعطن المعطن منهم * سبعون عتبة منهم والاسود

يعني عتبة بن ربيعة وهو من قتله والاسود بن عبد الاسد المخزومي قتله حمزة انتهى وفي البخاري عن جبير ابن مطعم انه صلى الله عليه وسلم قال في أسارى بدر لو كان المطعم بن عدي حيا ثم كلمني في هؤلاء النتنى لتركتهم له والنتنى بنون وفوقية كزمنى جمع نتن سماهم بذلك لكفرهم كما في النهاية وغيرها وبه جزم الحافظ وقول المصنف المراد قتلى بدر الذين صاروا جيفا يرده قول الحديث في أسارى بدر قال الحافظ أي لتركتهم له بغير فداء وبين ابن شاهين من وجه آخر أن سبب ذلك اليد التي كانت له عند النبي صلى الله

سليك الغطفاني ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال له أصليت ركعتين قبل أن تجيء قال لا قال فصل ركعتين وتجوز فيهما واسناده ثقات قال أبو البركات ابن تيمية وقوله قبل أن تجيء يدل على ان هاتين الركعتين سنة الجمعة وليست تحية المسجد قال شيخنا حفيده أبو العباس وهذا غلط والحديث المعروف في الصحيحين عن جابر قال دخل رجل يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فقال أصليت قال لا قال فصل ركعتين وقال اذا جاء أحدكم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما فهذا هو المحفوظ في هذا الحديث وأفراد ابن ماجه في الغالب غير صحيحة هذا معنى كلامه وقال شيخنا أبو الحجاج الحافظ المزي هذا تصحيف من الرواة وانما هو أصليت قبل ان تجلس فغلط فيه الناسخ قال وكتاب ابن ماجه انما تداولته شيوخ لم يعتنوا به بخلاف صحيح البخاري ومسلم فان الحفاظ تداولوهما واعتنوا بضبطهما وتصحيحهما

عليه وسلم حين رجع من الطائف ودخل في جواره وقيل اليه انه كان من أشد القائمين في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم والمسلمين المحصورهم في الشعب وروى الطبراني عن جبير بن مطعم قال قال المطعم بن عدي لقريش انكم قد فعلتم بمحمد ما فعلتم فكونوا أكف الناس عنه وذلك بعد الهجرة ثم مات المطعم قبل وقعة بدر وله بضع وتسعون سنة وذكر الفاكهي باسناد مرسل ان حسان بن ثابت رثاه لما مات مجازاة له على ما صنع مع النبي صلى الله عليه وسلم انتهى ونقل ابن اسحق رثاء حسان وهو

عيني ألا أبكي سيد الناس واسفحي * بدمع وان أنزفته فاسكبي الدما
وبكي عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروفا له ما تكلما
فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده اليوم مطعما
أجرت رسول الله منهم فأصبحوا * عبيدك ما لبى مهل وأحرما
فلو سئلت عنه معد بأسرها * وقحطان أو باقي بقية جرهما
لقالوا هو الموفي بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ما تذمما
فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم * على مثله فيهم أعز وأعظما
وآبى اذا يأبى وألين شيمة * وأنوم عن جار اذا الليل أظلما

ورثاء حسان رضي الله عنه له وهو كافر لانه تعداد المحاسن بعد الموت ولا ريب في أن فعله مع المصطفى من أقوى المحاسن فلا ضير في ذكره به ونحوه مما ذكره وقد كفن المصطفى عبد الله بن أبي المنافق بثوبه مجازاة له على الباس العباس قميصه يوم بدر لما كان في الاسارى (وكان من أفضلهم العباس بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب) أسره عبيد بن أوس الذي يقال له مقرن لانه قرن أربعة أسرى يوم بدر قاله ابن هشام وأسلم قبل الحديبية وقيل عام الحديبية (ونوفل بن الحرث بن عبد المطلب) أسلم عام الخندق وهاجر ويقال بل أسلم حين أسر قاله السهيلي (وكل أسلم) رضي الله عنهم وهؤلاء من بني هاشم وممن أسلم من الاسرى من سائر قريش أبو العاصي بن الربيع زوج السيدة زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم أسلم قبيل الفتح وأثنى عليه المصطفى في مصاهرته ودعاه في زينب وأبو عزيز بفتح العين وكسر الزاي الاولى واسكان التحتية واسمه زرارة بن عمير أخو مصعب أسلم يوم بدر وله صحبة وسماع من النبي صلى الله عليه وسلم وقول الزبير بن بكار قتل كافرا يوم أحد رده ابن عبد البر بان ابن اسحق عد من قتل من الكفار من بني عبد الدار أحد عشر رجلا ليس فيهم أبو عزيز وانما فيهم يزيد بن عمير وقال السهيلي غلط الزبير فلا يصح هذا عند أحد من أهل الاخبار وقد روى عنه نبيه بن وهب وغيره ولعل المقتول باحد كافرا أخ لهم غيره انتهى وقد علم من كلام أبي عمر انه يزيد بن عمير فتوهم الزبير انه اسم أبي عزيز فغلط وانما اسمه زرارة وقد روى الطبراني في الكبير عنه قال كنت في الاسارى يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالاسارى خيرا قال الحافظ الهيثمي اسناده حسن والسائب بن عبيد أسلم يوم بدر بعد ان أسرى وفدى نفسه نقله الذهبي عن أبي الطيب الطبري وعدي بن الخيار والسائب بن أبي حبيش وأبو وداعة السهمي وسهيل بن عمرو العامري أسلموا في فتح مكة وخالد بن هشام المخزومي وعبد الله بن السائب والمطلب بن حنطب وعبد الله بن أبي بن خلف أسلم يوم الفتح وقتل يوم الجمل قاله أبو عمر وعبد ابن زمعة أخو سودة ووهيب بن عمير الجمحي وقيس بن السائب المخزومي ونسطاس مولى أمية بن خلف ذكره السهيلي وقال أسلم بعد أحد والوليد بن الوليد أسره عبد الله بن جحش فافتكوه وذهبوا به مكة فاسلم فحبسوه بها فكان صلى الله عليه وسلم يدعو له في القنوت فنجا وهاجر الى المدينة فمات بها في الحياة النبوية (وكان العباس فيما قاله أهل العلم بالتاريخ قد أسلم قديما وكان يكتم اسلامه) قال ابن عبد البر

وذلك

قال وبذلك وقع فيه اغلاط وتصحيف * قلت وبناء على صحة هذا ان الذين اعتنوا بضبط سنن الصلاة قبلها وبعدها وصنفوا في ذلك من أهل الاحكام والسنن وغيرها لم يذكر واحد منهم هذا الحديث في سنة الجمعة قبلها وانما ذكروه في استحباب فعل تحية المسجد والامام على المنبر واحتجوا به على من منع من فعلها في هذه الحال فلو كانت هي سنة الجمعة لكان ذكرها هناك والترجمة عليها وحفظها وشهرتها أولى من تحية المسجد ويدل عليه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر بهاتين الركعتين الا الداخل لاجل انها تحية المسجد ولو كانت سنة الجمعة لامر بها القاعدين أيضا ولم يخص بها الداخل وحده ومنهم من احتج بما رواه أبو داود في سننه قال حدثنا مسدد قال حدثنا اسمعيل حدثنا أيوب عن نافع قال كان ابن عمر يطيل الصلاة قبل الجمعة ويصلي بعدها ركعتين في بيته وحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك وهذا لا حجة فيه على ان الجمعة سنة قبلها وانما أراد

وذلك بين فى حديث الحجاج بن علاط أن العباس كان مسلما يسره ما يفتح الله على المسلمين ثم أظهر
اسلامه يوم الفتح (وخرج مع المشركين يوم بدر فقال النبى صلى الله عليه وسلم من لقى العباس فلا يقتله
فانه خرج مستكرها) ولا ينافيه قوله عليه السلام له ظاهر أمرك انك كنت علينا لان كونه عليهم فى
الظاهر لا ينافى انه مكره فى الباطن (ففادى نفسه ورجع الى مكة) فاقام بها على سقايته والمصطفى عنه
راض (وقيل أنه أسلم يوم بدر) ولكنه كتمه حتى تمكن من اظهاره (فاستقبل النبى صلى الله عليه وسلم
يوم فتح مكة بالابواء) وأظهر اسلامه (وكان معه حين فتح مكة) فشهده وحنينا والطائف وثبت يوم
حنين (وبه ختمت الهجرة) كما قال عليه السلام (وقيل أسلم يوم خيبر) قبل فتحها كما حكاه أبو عمر
(وقيل كان يكتم اسلامه وأظهره يوم فتح مكة وكان اسلامه قبل بدر) وهذا حاصل القول الاول (وكان
يكتب باخبار المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يحب القدوم على رسول الله صلى الله
عليه وسلم) لوده لاسلامه باطنا وعدم تمكنه من اظهاره قال مولاه أبو رافع لانه كان يهاب قومه ويكره
خلافهم وكان ذا مال رواه ابن اسحق (فكتب اليه عليه الصلاة والسلام ان مقامك بمكة خير لك) لما
علمه من ضياع عياله وأمواله لو تركهم وهاجر ولانه كان عونا للمسلمين المستضعفين بمكة (وقيل ان سبب
اسلامه أنه خرج لبدر بعشرين أوقية من ذهب ليطعم بها المشركين) لانه كان من الاغنياء المشهورين
بالكرم وكانوا ينحرون لهم الجزائر فلو لم يفعل لعيب عليه ونسب للبخل وإذا نحر لهم كان فلا ينافى هذا
خروجه مكرها ولا يصح هنا ان يقال لا ينافى ذلك اسلامه باطنا لان صاحب هذا القول لا يقول به اذ هو
قائل بانه انما أسلم يوم بدر وأن ذلك سبب اسلامه (فاخذت منه فى الحرب فكلم النبى صلى الله عليه وسلم
ان يحسب) بضم السين يعد (العشرين أوقية من فدائه فابى وقال أما شئ خرجت تستعين به علينا)
ظاهرا وان كرهته باطنا (فلا نتركه لك فقال العباس تتركنى أتكفف قريشا) أمد كفى اليهم بالمسئلة أو
آخذ الشئ منهم بكفى كما فى المصباح وفى رواية تتركنى فقير قريش ما بقيت (فقال له عليه السلام فاين
الذهب) استفهام انكارى (الذى دفعته الى أم الفضل) لبابة الكبرى زوجه رضى الله عنهما (وقت
خروجك من مكة فقال العباس وما يدريك قال أخبرنى ربى فقال أشهد انك صادق فان هذا لم يطلع
عليه الا الله وأنا أشهد أن لا اله الا الله وانك عبده ورسوله) وهذا القول كالشرح للقول الثانى فى كلامه
وفى رواية فنزل فى العباس يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم قال العباس فابدلنى الله عشرين عبدا كلهم تاجر
يضرب بمال كثير أدناهم يضرب بعشرين ألف درهم مكان العشرين أوقية وأعطانى زمزم وما أحب ان
لى بها أى بدلها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربى (ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من) جميع
أمر (بدر فى آخر) يوم من (رمضان وأول يوم من شوال) قاله ابن اسحق وقد كان القتال يوم الجمعة لسبع
عشرة خلت من رمضان على أرجح الاقوال المتقدمة وقول المقريزى فى امتاع الاسماع انه صلى الله
عليه وسلم دخل المدينة يوم الاربعاء الثانى والعشرين من رمضان مبنى على ان الخروج منها كان لثلاث
مضين من رمضان (بعث زيد بن حارثة) حبه ومولاه (بشيرا) بما فتح الله عليه الى أهل السافلة وبعث
عبد الله بن رواحة بشيرا الى أهل العالية قاله ابن اسحق وغيره (فوصل المدينة) يوم الاحد (ضحى وقد
نفضوا أيديهم من تراب رقية) بضم الراء وفتح القاف وشد التحتية (بنت النبى صلى الله عليه وسلم) بعد
دفنها بالبقيع وهى ابنة عشرين سنة وروى ابن المبارك عن يونس عن الزهرى انها كانت قد أصابها
الحصبة قال ابن اسحق ويقال ان ابنها عبد الله بن عثمان مات بعدها سنة أربع من الهجرة وله ست سنين
(وهذا هو الصحيح فى وفاة رقية) كما قاله السهيلى وغيره (وقد روى) عند البخارى فى التاريخ الاوسط
والحاكم فى المستدرك من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس (انه صلى الله عليه وسلم شهد دفن

بقوله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك انه كان يصلى الركعتين بعد الجمعة فى بيته لا يصليهما فى المسجد وهذا هو الافضل فيهما كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلى بعد الجمعة ركعتين فى بيته وفى السنن عن ابن عمر انه اذا كان بمكة فصلى الجمعة تقدم فصلى ركعتين ثم تقدم فصلى أربعا واذا كان بالمدينة صلى الجمعة ثم رجع الى بيته فصلى ركعتين ولم يصل بالمسجد فقيل له فقال كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يفعل ذلك وأما اطالة ابن عمر الصلاة قبل الجمعة فانه تطوع مطلق وهذا هو الاولى ان جاء الى الجمعة ان يشتغل بالصلاة حتى يخرج الامام كما تقدم من حديث أبى هريرة ونبيشة الهذلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أبو هريرة من اغتسل يوم الجمعة ثم أتى المسجد فصلى ما قدر له ثم أنصت حتى يفرغ الامام من خطبته ثم يصلى معه غفر له ما بينه وبين الجمعة الاخرى وفضل ثلاثة أيام وفى حديث نبيشة الهذلى

بنته رقية فقعد على قبرها ودمعت عيناه وقال أيكم لم يقارف بقاف وفاء لم يجامع (الليلة) أهله كما صرح به فى
رواية وقول فليح بن سليمان يعنى الذنب خطأ لان النبى صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذا قاله السهيلى
(فقال أبو طلحة) زيد بن سهل الانصارى (أنا فأمره ان ينزل قبرها) زاد فى رواية فقبرها ففيه ايثار بعيد
العهد بالملاذ بمواراة الميت ولو امرأة على الزوج وعلل بانه حينئذ يأمن أن يذكره الشيطان ما كان منه تلك
الليلة (وأنكر البخارى هذه الرواية) فى تاريخه فقال ما أدرى ما هذا فان رقية ماتت والنبى صلى الله
عليه وسلم ببدر لم يشهدها وهو وهم قال الحافظ ابن حماد فى تسميتها فقط (وخرج الحديث فى الصحيح
فقال فيه عن أنس شهدنا دفن بنت النبى صلى الله عليه وسلم وذكر الحديث) وهو وجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم على القبر وعيناه تدمعان وقال هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة فقال أبو طلحة أنا فقال
أنزل قبرها فنزل (ولم يسم رقية ولا غيرها وذكر) أى روى محمد بن جرير (الطبرى) والطحاوى والواقدى
وابن سعد والدولابى (انها) أى البنت التى شهد صلى الله عليه وسلم دفنها (أم كلثوم فحصل فى حديث
الطبرى) والجماعة (التبيين و) ان (من قال كانت رقية فقدوهم) بكسر الهاء غلط بلاشك ووقع فى
مقدمة الفتح أن ابن بشكوال صحح انها زينب انتهى لكنه لا يعادل رواية الجماعة وفى التاريخ
والمستدرك انه صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل القبر أحد قارف أهله البارحة فتنحى عثمان حكى ابن
حبيب أنه جامع بعض جواريه تلك الليلة قال ابن بطال أحرم صلى الله عليه وسلم عثمان انزالها فى قبرها
وكان أحق الناس لانه بعلها لانه لم يشغله الحزن بالمصيبة التى فقد فيها مالا عوض له منه وانقطاع صهره
من النبى صلى الله عليه وسلم عن المقورفة ولم يقل له شيأ لانه فعل حلالا غير أن المصيبة مع عظمها لم تبلغ
عنده مبلغا يشغله فحرم ما حرم بتعريض دون تصريح ولعله عليه السلام كان قد علم ذلك بالوحى انتهى
وقال الحافظ لعل مرض المرأة طال واحتاج عثمان الى الوقاع ولم يظن موتها تلك الليلة وليس فى
الحديث ما يقتضى انه واقع بعد موتها ولا حين احتضارها انتهى (وكان عثمان رضى الله عنه قد
تخلف) عن بدر (لاجل) مرض (رقية زوجته) بأمره صلى الله عليه وسلم ففى المستدرك خلف النبى صلى
الله عليه وسلم عثمان واسامة بن زيد على رقية فى مرضها لما خرج الى بدر فماتت حين وصل زيد بالبشارة
(فضرب له) لعثمان (رسول الله صلى الله عليه وسلم بسهمه وأجره) مع أحد عشر رجلا كما مر وجزم
الخطابى وتبعه السيوطى بان ذلك خاص بعثمان لما رواه أبو داود باسناد صالح عن ابن عمر انه صلى الله
عليه وسلم ضرب لعثمان يوم بدر بسهم ولم يضرب لغائب غيره والجواب أن المراد غائب تخلف لا لامر لا
تعلق له بمصالح المسلمين ولم يمنعه العذر فلا يرد أولئك الذين ضرب لهم لان منهم من تخلف للعذر ومنهم
للمصالح كما مر بسطه (وأمر صلى الله عليه وسلم عند انصرافه) من بدر عاصم (بن ثابت) بن أبى الاقلح بفتح
الهمزة واللام بينهما قاف ساكنة وحاء مهملة آخره واسمه قيس بن عصمة بن النعمان من السابقين
الاولين من الانصار وأصحاب العقبة وبدر والعلماء بالحرب كما أنزليت (٣) بالنص النبوى (وهو جد
عاصم بن عمر بن الخطاب) لامه قال فى الفتح هذا وهم من بعض رواته لان عاصم بن ثابت خال عاصم بن
عمر لا جده لان أم عاصم جميلة بنت ثابت أخت عاصم كان اسمها عاصية فغيرها النبى صلى الله عليه وسلم
جميلة انتهى وعاصم بن عمر هذا قال ابن عبد البر مات النبى صلى الله عليه وسلم وله سنتان وكان طوالا
جسيما جميلا شاعرا قال أخوه عبد الله أنا وأخى عاصم لا نغتاب الناس زوجه أبو فى حياته وأنفق عليه
شهرا ثم قال حسبك ومات سنة سبعين أو ثلاث وسبعين ثم هذا قول ابن اسحق وقال ابن هشام أمر على بن
أبى طالب (بقتل عقبة بن أبى معيط) أسير عبد الله بن سلمة بكسر اللام العجلانى قال ابن اسحق فقال
عقبة يا محمد من للصبية قال النار (فقتله) بعرق الظبية بكسر العين وسكون الراء المهملتين وقاف وبضم

أن المسلم اذا اغتسل يوم
الجمعة ثم أقبل الى
المسجد لا يؤذى أحدا
فان لم يجد الامام خرج
صلى ما بدا له وان وجد
الامام خرج استمع
وأنصت حتى يقضى
الامام جمعته وكلامه ان
لم يغفر له فى جمعته تلك
ذنوبه كلها ان تكون كفارة
للجمعة التى تليها هكذا
كان هدى الصحابة
رضى الله عنهم قال ابن
المنذر روينا عن ابن عمر
انه كان يصلى قبل الجمعة
ثنتى عشرة ركعة وعن
ابن عباس انه كان يصلى
ثمان ركعات وهذا دليل
على ان ذلك كان منهم
من باب التطوع المطلق
ولذلك اختلف فى العدد
المروى عنهم فى ذلك
وقال الترمذى فى الجامع
وروى عن ابن مسعود
انه كان يصلى قبل الجمعة
أربعا وبعدها أربعا
واليه ذهب ابن المبارك
والثورى وقال اسحق
ابن ابراهيم بن هانئ
النيسابورى رأيت أبا
عبد الله اذا كان يوم
الجمعة يصلى الى ان يعلم
ان الشمس قد قاربت أن
تزول فاذا قاربت أمسك
عن الصلاة حتى يؤذن
المؤذن فاذا أخذ فى
الاذان قام فصلى ركعتين
أو أربعا يفصل بينهما

الظاء المعجمة وسكون الموحدة وفتح التحتية فتاء تأنيث مكان على ثلاثة أميال من الروحاء مما يلى المدينة وثم مسجد للنبي صلى الله عليه وسلم ذكره الصغانى وقال السهيلى الظبية شجرة يستظل بها (صبرا) هو كل ذى روح يوثق حتى يقتل كما فى المصباح وروى أنه قال يا معشر قريش مالى أقتل من بينكم صبرا فقال عليه السلام بكفرك وافترائك على الله وانه قال انه لست من قريش هل انت الا يهودى من أهل صفورية وذلك لان أمية جد أبيه خرج الى الشام فوقع على يهودية لها زوج من صفورية فولدت ذكوان المكنى أبا عمرو وهو والد أبى معيط على فراش اليهودى فاستلحقه بحكم الجاهلية قال الاسماعيلى وهذا الطعن خاص بنسب عقبة من بنى أمية وفى نسب أمية نفسه مقالة أخرى وهى ان أم أمية يقال لها الزرقاء واسمها أرنب كانت فى الجاهلية من ذوات الرايات لكن قد عفا الله عن أمر الجاهلية ونهى عن الطعن فى الانساب ولو لم يجب الكف عن نسب أمية الا لموضع عثمان لكفى انتهى وفى معجم البكرى صفورية بفتح أوله وضم ثانيه المشدد وكسر الراء المهملة وخفة الياء موضع من ثغور الشام وفى الميزان روى أبو الهيثم عن ابراهيم التيمى مرسلا انه عليه السلام صلب عقبة الى شجرة وأبو الهيثم لا يدرى من هو (ثم أقبل عليه الصلاة والسلام قافلا) بقاف وفاء راجعا (الى المدينة ومعه الاسارى من المشركين واحتمل النفل) بفتح النون والفاء الغنيمة والجمع الانفال (وجعل عليه عبد الله بن كعب) بن زيد بن عاصم (من بنى مازن) بن النجار كما قال ابن اسحق قال الواقدى مات زمن عثمان سنة ثلاث وثلاثين وكنيته أبو الحرث وتبع الواقدى المدائنى وابن أبى خيثمة والعسكرى وغيرهم وأسقط ابن الكلبى وابن سعد زيدا من نسبه وتبعهما البغوى وغيره فجعلوا الكنية والوظيفة أى كونه على النفل والوفاة لعبد الله بن كعب بن عمرو بن عوف من بنى مازن بن النجار أيضا كما فى الاصابة والمصنف محتمل لهما لانه لم يسم جده فيحتمل انه زيد وأنه عمرو (فلما خرج من مضيق الصفراء قسم النفل بين المسلمين) وقد كانوا اختلفوا فيه كما رواه ابن اسحق وغيره عن عبادة بن الصامت فقال من جمعه هو لنا وقال الذين كانوا يقاتلون العدو ويطلبونه لولا نحن ما أصبتموه نحن شغلنا عنكم العدو فهو لنا وقال الذين كانوا يحرسونه صلى الله عليه وسلم لقد رأينا ان نقتل العدو حين منحنا الله اكتافهم ولقد رأينا ان نأخذ المتاع حين لم يكن له من يمنعه ولكن خفنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كرة العدو فما أنتم باحق به منا فنزعه الله تعالى من أيديهم فجعله الى رسوله وأنزل عليه يسألونك عن الانفال الآية فقسمه بينهم (على السواء) لفظ الرواية عن بواء بفتح الموحدة وخفة الواو وبالمد أى على السواء فأتى المصنف بمعناها لانه لم يتقيد بها ورواه أبو عبيدة عن فواق وقال معناه جعل بعضهم فوق بعض فى القسم ممن رأى تفضيله أو بمعنى سرعة القسم من فواق الناقة قال السهيلى ورواية ابن اسحق أشهر وأثبت عند أهل الحديث انتهى ويرد على تفسيره الاول للفواق ما جاء ان سعد بن معاذ قال يا رسول الله أتعطى فارس القوم الذى يحميهم مثل ما تعطى الضعيف فقال صلى الله عليه وسلم ثكلتك أمك وهل تنصرون الا بضعفائكم (وأمر) صلى الله عليه وسلم (عليا رضى الله عنه بالصفراء) كما ذكره ابن اسحق ومن لا يحصى وغلط من قال بعرق الظبية لان ذلك انما هو عقبة (بقتل النضر) بضاد معجمة (ابن الحرث) بن علقمة بن كلدة بفتحتين ابن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصى هذا هو الصواب فى نسبه كما ذكره ابن الكلبى والزبير بن بكار وخلق لا يحصون وغلط ابن منده وأبو نعيم فيه غلطين فاحشين فقالا كلدة بن علقمة وان النضر شهد حنينا وأعطاه صلى الله عليه وسلم مائة من الابل وكان مسلما من المؤلفة قلوبهم وعزيا ذلك لابن اسحق وهو غلط فالذى قاله ابن اسحق وأجمع عليه أهل المغازى والسير انه قتل كافرا بعد بدر صبرا

بالسلام فاذا صلى الفريضة انتظر فى المسجد ثم يخرج منه فيأتى بعض المساجد التى بحضرة الجامع فيصلى فيه ركعتين ثم يجلس وربما صلى أربعا ثم يجلس ثم يقوم فيصلى ركعتين أخريين وذلك ست ركعات على حديث على وربما صلى بعد الست ستا أخرا وأقل أو أكثر وقد أخذ من هذا بعض أصحابه رواية ان للجمعة قبلها سنة ركعتين أو أربعا وليس هذا بصريح بل ولا ظاهر فان أحمد كان يمسك عن الصلاة فى وقت النهى فاذا زال وقت النهى قام فاتم تطوعه الى خروج الامام فربما أدرك أربعا لم يدرك الا ركعتين ومنهم من احتج على ثبوت السنة قبلها بما رواه ابن ماجه فى سننه حدثنا محمد بن يحيى حدثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا بقية عن مبشر بن عبيد عن حجاج ابن ارطاة عن عطية العوفى عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم يركع قبل الجمعة أربعا لا يفصل بينها فى شئ منها قال ابن ماجه باب الصلاة قبل الجمعة فذكره وهذا الحديث فيه عدة بلايا

وقد أطنب الحافظ العز بن الاثير وغيره من الحفاظ في تغليطهما والرد عليهما لكن تعقب كما في الاصابة باحتمال أن يكون له أخ سمي باسمه فهو الذي ذكراه لا هذا المقتول كافرا انتهى لكن انما ينهض هذا الاحتمال لو وجدنا نسبا لابن اسحق فيه أماحيث لم يوجد فالمتبادر أنه غلط كما قال الجماعة نعم قال ابن عبد البر في كتاب المغازي قد ذكر في المؤلفة النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة أخو النضر بن الحرث المقتول ببدر صبرا وذكر آخرون النضر بن الحرث فيمن هاجرا الى الحبشة فان كان منهم فحال أن يكون من المؤلفة لانه ممن رسخ الايمان في قلبه وقاتل دونه لا ممن تؤلف عليه وفي قتله تقول قتيلة بضم القاف وفتح الفوقية وسكون التحتية وهي أخته في قول ابن هشام وتبعه جمع منهم النووي واليعمري وبنته في قول الزبير بن بكار وتبعه ابن عبد البر والجوهري والذهبي وغيرهم قال السهيلي وهو الصحيح وهو كذلك في الدلائل وذكر أبو عمر أنها أسلمت يوم الفتح وكانت شاعرة محسنة

يا راكبا ان الاثيل مظنة * من صبح خامسة وأنت موفق
أبلغ بها ميتا بأن تحية * ماان تزال بها النجائب تخفق
مني اليك وعبرة مسفوحة * جادت بوا كفها وأخرى تخنق
هل يسمعني النضر ان ناديته * أم كيف يسمع ميت لا ينطق
أمحمد يا خير ضن كريمة * في قومها والفحل فحل معرق
ما كان ضرك لو مننت وربما * من الفتى وهو المغيظ المحنق
أو كنت قابل فدية فلينفقن * بأعز ما يغلو به ما ينفق
فالنضر أقرب من أسرت قرابة * وأحقهم ان كان عتق يعتق
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تشقق
صبرا يقاد الى المنية متعبا * رسف المقيد وهو عان موثق

فيقال انه صلى الله عليه وسلم بكى حتى اخضلت لحيته وقال لو بلغني هذا الشعر قبل قتله لمننت عليه وفي رواية الزبير بن بكار فرق صلى الله عليه وسلم حتى دمعت عيناه وقال يا أبا بكر لو سمعت شعرها ماقتلت أباها قال الزبير سمعت بعض أهل العلم يغمز هذه الابيات ويقول انها مصنوعة قال ابن المنير وليس معنى كلامه صلى الله عليه وسلم الندم لانه لا يقول ولا يفعل الا حقا والحق لا يندم على فعله ولكن معناه لو شفعت عندي بهذا القول لقبلت شفاعتها ففيه تنبيه على حق الشفاعة والضراعة ولاسيما الاستعطاف بالشعر فان مكارم الاخلاق تقتضي اجازة الشاعر وتبليغه قصده انتهى والاثيل بمثلثة مصغر أثل موضع مظنة بفتح الميم وكسر المعجمة وفتح النون المشددة تخفق تسرع الواكف السائل تخنق بضم النون والضن الولد معرق بفتح الراء وكسرها العريق المغيظ بفتح الميم وكسر المعجمة واسكان التحتية وظاء معجمة وأقرب من أسرت أي من أقرب والا فالعباس وغيره أقرب منه (ثم مضى صلى الله عليه وسلم حتى دخل المدينة قبل الاسارى بيوم) فدخلها من ثنية الوداع مؤيدا منصورا قد خافه كل عدو له بها وحولها فاسلم بشر كثير من أهل المدينة ودخل عبد الله بن أبي في الاسلام ظاهرا وقالت اليهود تيقنا انه النبي الذي نجد نعته في التوراة ولكن من يضلل الله فلا هادي له (فلما قدموا فرقهم بين أصحابه وقال استوصوا بهم خيرا) ذكره ابن اسحق وزاد فكان أبو عزيز بن عمير شقيق مصعب بن عمير في الاسارى فقال مر بي أخي ورجل من الانصار يأسرني فقال له شد يديك به فان أمه ذات متاع لعلها تفديه منك قال فكنت في رهط من الانصار حين أقبلوا بي من بدر فكانوا اذا قدموا

* احدها بقية بن الوليد امام المدلسين وقد عنعنه ولم يصرح بالسماع * الثانية مبشر بن عبيد المنكر الحديث * الثالثة الحجاج بن أرطاة الضعيف المدلس * الرابعة عطية العوفي قال البخاري كان هشيم يتكلم فيه وضعفه أحمد وغيره وقال عبد الله بن أحمد سمعت أبي يقول شيخ كان يقال له مبشر بن عبيد كان بحمص أظنه كوفيا وروى عنه بقية وأبو المغيرة أحاديثه أحاديث موضوعة كذب وقال الدارقطني مبشر بن عبيد متروك الحديث أحاديثه لا يتابع عليها وقال البيهقي عطية العوفي لا يحتج به ومبشر بن عبيد الحمصي منسوب الى وضع الحديث والحجاج ابن أرطاة لا يحتج به قال بعضهم ولعل الحديث انقلب على بعض هؤلاء الثلاثة الضعفاء لعدم ضبطهم واتقانهم فقال قبل الجمعة أربعا وانما هو بعد الجمعة فيكون موافقا لما ثبت في الصحيح ونظير هذا قول الشافعي في رواية عبد الله بن عمر العمري للفارس سهمين وللراجل سهما قال الشافعي كانه سمع نافعا يقول للفرس سهمين

غداءهم وعشاءهم خصونى بالخبز وأكلوا التمر لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم اياهم بنا (وقد استقر الحكم فى الاسارى عند الجمهور أن الامام مخير فيهم ان شاء قتل كما فعل صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة وان شاء فادى بمال كما فعل باسارى بدر) أى بالنثر هم (وان شاء استرق من أسر) وان شاء من بلاشئ كما فعل ببعض أسرى بدر كأبى العاصى بن الربيع زوج بنته زينب بعثت بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها عليه حين بنى بها فلما رآها صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال ان رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها فافعلوا قالوا نعم يا رسول الله فاطلقوه وردوا عليها الذى لها رواه أبو داود وغيره من حديث عائشة وكذا من على المطلب بن حنطب وقد أسلم كأبى العاصى رضى الله عنهما وصيفى بن أبى رفاعة وأبى عزة الجمحى وأخذ عليه أن لا يظاهر عليه أحدا أبدا فلم يفعل فقتله صلى الله عليه وسلم يوم أحد صبرا (هذا مذهب الشافعى وطائفة من العلماء وفى المسئلة خلاف مقرر فى كتب الفقه والله أعلم) بالحق وذكر أبو عبيد أنه صلى الله عليه وسلم لم يفد بعد بدر بمال انما كان يمن أو يفادى أسيرا بأسير قال السهيلى وذلك والله أعلم لقوله تعالى تريدون عرض الدنيا يعنى الفداء بالمال وان كان قد أحل ذلك وطيبه ولكن ما فعله الرسول بعد ذلك أفضل من المن أو المفاداة بالرجال ألا ترى الى قوله تعالى فاما منا بعد واما فداء كيف قدم المن على الفداء فلذلك اختاره رسول الله وقدمه انتهى ومما يتصل بغزوة بدر هلاك أبى لهب فذكره المصنف كغيره فقال (و) روى ابن اسحق من حديث عكرمة عن أبى رافع قال (لما قدم أبو سفيان بن الحرث) بن عبد المطلب أخو المصطفى من رضاع حليمة لقى النبى صلى الله عليه وسلم وهو سائر الى غزوة الفتح الابواء أو غيرها فاسلم وشهدها معه وحنينا وثبت يوم حنين اسمه كنيته وذكر ابراهيم بن المنذر والزبير بن بكار وجماعة أن اسمه المغيرة لكن جزم ابن قتيبة وابن عبد البر والسهيلى بان المغيرة أخوه مات سنة عشر بن (سأله أبو لهب) عبد العزى (عن خبر قريش) فقال هلم الى فعندك الخبر (قال والله ما هو) شئ فهو مبتدأ وشئ خبره وما بعد الا بدل منه لكن لما حذف الخبر أعطى ما بعد الا حكمه فصار هو الخبر لفظا وان كان بدلا فى الاصل وكذا كل ما حذف فيه المستثنى منه وسبق بما يخرجه عن الايجاب من نفى نحو وما محمد الا رسول أو نهى نحو لا تقولوا على الله الا الحق أو استفهام انكارى نحو فهل يهلك الا القوم الفاسقون ولا فرق بين الجملة الاسمية كهذه الامثلة والفعلية نحو ما قام الا زيد أصله ما قام أحد حذف الفاعل وأعرب ما بعد الا باعرابه (الا ان لقينا) باسكان الياء (القوم) نصب مفعول ويجوز فتح الياء ورفع القوم قال البرهان الاول أحسن لقوله (فمنحناهم أكتافنا) ليتنسق الكلام (يقتلوننا كيف شاؤا ويأسروننا) بكسر السين (كيف شاؤا وايم الله) بهمزة وصل أو قطع أى قسمى (مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيض) هكذا رواية ابن اسحق كما فى العيون وأوردها الشامى رجالا بيضا (على خيل بلق بين السماء والارض والله لا يقوم لها شئ) والمصنف تصرف فى الرواية وحذف منها كثير الانهم يتقيد بها ولفظها هنا والله لا تليق شيأ ولا يقوم لها شئ بضم الفوقية وكسر اللام وسكون التحتية وقاف أى ما تبقى كما قال أبو ذر فى الاملاء (قال أبو رافع) أسلم أو ابراهيم أو صالح أو هرمز أو ثابت أو سنان أو يسار أو عبد الرحمن أو قزمان أو يزيد فتلك عشرة كاملة أشهرها الاول كما قال أبو عمر (مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم) أسلم قبل بدر وشهد أحدا وما بعدها وفتح مصر وزوجه المصطفى مولاته سلمى فولدت له ومات بالمدينة فى أول خلافة على كما قال ابن حبان قال فى التقريب وهو صحيح وقال الواقدى مات قبل عثمان أو بعده بيسير (وكان غلاما) مملوكا (للعباس بن عبد المطلب) فوهبه للنبى صلى الله عليه وسلم فاعتقه لما بشره باسلام العباس ومن الموالى النبوية آخر يقال له أبو رافع والد البهى قيل اسمه رافع كان عبد السعيد بن العاصى فلما مات أعتق كل بنيه العشرة نصيبه منه الا خالد بن سعيد فوهب

والراجل سهما فقال للفارس سهمين وللراجل سهما حتى يكون موافقا لحديث أخيه عبيد الله قال وليس يشك أحد من أهل العلم فى تقديم عبيد الله بن عمر على أخيه فى الحفظ * قلت ونظير هذا ما قاله شيخ الاسلام ابن تيمية فى حديث أبى هريرة لا تزال جهنم يلقى فيها وهى تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فيزوى بعضها الى بعض وتقول قط قط وأما الجنة فينشئ الله لها خلقا آخرين فانقلب على بعض الرواة فقال أما النار فينشئ الله لها خلقا آخرين * قلت ونظير هذا حديث عائشة ان بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم وهو فى الصحيحين فانقلب على بعض الرواة فقال ابن أم مكتوم يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن بلال ونظيره أيضا عندى حديث أبى هريرة اذا صلى أحدكم فلا يبرك كما يبرك البعير وليضع يديه قبل ركبتيه وأظنه وهم والله أعلم بما قاله رسوله الصادق المصدوق وليضع ركبتيه قبل يديه كما قال وائل بن حجر كان رسول الله صلى الله

حصته للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه فزعم جماعة انه هو الاول قال في الاصابة وهو غلط بين فالاول كان للعباس فالصواب انهما اثنان (قال وكان الاسلام قد دخلنا) أهل البيت فاسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت أنا وكان العباس يهاب قومه ويكره خلافهم فكان يكتم اسلامه وكان ذا مال هذا كله قول أبي رافع عند ابن اسحق (فقلت له) وقد سرنا ما جاءنا من الخبر (والله تلك الملائكة فرفع أبو لهب يده فضربني في وجهي ضربة) شديدة قال وثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك على يضربني (فقامت أم الفضل) لبابة الكبرى بنت الحرث بن حزن الهلالية أخت ميمونة أم المؤمنين قديمة الاسلام حتى قال ابن سعد انها أول امرأة أسلمت بعد خديجة لكن رده في الفتح بانها وان كانت قديمة الاسلام لكنها لا تذكر في السابقين فقد سبقتها سمية أم عمار وأم أيمن انتهى وجزم غيره بان أول من أسلم بعد خديجة فاطمة بنت الخطاب أخت عمر كما ر أنجبت للعباس بنيه الستة النجباء الفضل وعبدالله وعبيدالله وعبد الرحمن وقثم ومعبدا وأختهم أم حبيب ويقال أم حبيبة بالهاء ذكر ابن اسحق في رواية يونس انه صلى الله عليه وسلم رآها وهي طفلة تدب بين يديه فقال ان بلغت وأنا حي تزوجتها فقبض قبل أن تبلغ فتزوجها سفيان بن الاسود المخزومي (الى عمود) من عمد الخيمة وكانت جالسة عند أبي رافع بحجرة زمزم (فضربت به في رأس أبي لهب) لفظ الرواية فضربته به ضربة فلعت في رأسه شجة منكرة وفلعت بفتح الفاء واللام والعين المعجمة شدخت (وقالت استضعفته أن) بفتح الهمزة أي لان (غاب عنه سيده) وفي نسخة اذ وهي للتعليل بلا تقدير (قال) أبو رافع فقام موليا ذليلا (فوالله ما عاش) صحيحا سليما (الا سبع ليال) واستمر على ما هو عليه (حتى) الى أن (رماه الله) ابتلاه (بالعدسة) بمهملات مفتوحات آخره تاء تانيث (وهي قرحة كانت العرب تتشاءم بها وقيل انها) كذا جعله قولا والذي في تاريخ ابن جرير كانت العرب تتشاءم بها ويرون انها (تعدى) بضم أوله (أشد العدوى) أي تجاوز صاحبها الى من قاربه وفي النور العدسة بثرة تشبه العدسة تخرج في مواضع من الجسد من جنس الطاعون تقتل صاحبها غالبا وفي حواشي أبي ذر قرحة قاتلة كالطاعون (فتباعد عنه بنوه) عتبة ومعتب أسلما يوم الفتح وثبتا يوم حنين وأختهم مادرة لها صحبة وهي من المهاجرات واما عتيبة المصغر فقتله الاسد بالزرقاء من أرض الشام بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم رواه الحاكم وصححه وكان ذلك في حياة أبي لهب كما رواه أبو نعيم فتردد البرهان في انه هلك زمن أبيه أو بعده تقصير (حتى قتله الله وبقي بخلاف ثالث بعد موته ثلاثا لا تقرب) بالبناء للمفعول ونائبه (جنازته) بكسر الجيم أفصح من فتحها وهو من اضافة الاعم الى الاخص كشجر أراك أي لا يقرب هو فاطلاق الجنازة تجوز من تسمية المطلق باسم المقيد اذ هي الميت في النعش أو النعش وعليه الميت وكلاهما لا يراد هنا لانه لم يكن على نعش (ولا يحاول دفنه) لا يفكر فيه ولا يشرع في أسبابه من الحيلة (فلما خافوا السبة) بضم المهملة وشد الموحدة فتاء تانيث أي العار الذي يلحقهم فيسبون به (في تركه) أي بسببه (حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته) وقيل لم يحفروا له بل دفعوه الى ان ألصقوه بالحائط (وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه) قال اليعمري ويروى أن عائشة كانت اذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها قال البرهان الظاهر ان ذلك لنتنه اه فكأنه كان يظهر من قبره اهانة له أبدا ويحتمل أن فعلها ذلك لكونه محل عذاب كما فعل صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر فغطى وجهه بثوبه واستحث راحلته اشارة الى التباعد عنه هذا والقبر الذي يرجم خارج باب شبيكة ليس بقبر أبي لهب كما أفاده البرهان وانما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة في الدولة العباسية فلما أصبح الناس ورأوها كمنوا لهما فاخذا ثم صلبا في هذا الموضع ودفنا واستمر ارجمان الى الآن كما قاله المحب الطبري وانه لا أصل لما اشتهر عند المكيين أنه قبر أبي لهب وقيل انه قبر أبي الطاهر القرمطي بكسر القاف والميم عدو الله الذي قتل الحجيج في المسجد الحرام

عليه وسلم اذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه وقال الخطابي وغيره وحديث وائل بن حجر أصح من حديث أبي هريرة وقد سبقت المسئلة مستوفاة في هذا الكتاب والحمد لله وكان صلى الله عليه وسلم اذا صلى الجمعة دخل الى منزله فصلى ركعتين سنتها وأمر من صلاها أن يصلي بعدها أربعا قال شيخنا أبو العباس بن تيمية ان صلى في المسجد صلى أربعا وان صلى في بيته صلى ركعتين * قلت وعلى هذا تدل الاحاديث وقد ذكر أبو داود عن ابن عمر كان اذا صلى في المسجد صلى أربعا واذا صلى في بيته صلى ركعتين وفي الصحيحين عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي بعد الجمعة ركعتين في بيته وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربع ركعات والله أعلم

(فصل في هديه صلى الله عليه وسلم في العيدين)

كان صلى الله عليه وسلم يصلي العيدين في المصلى وهو المصلى الذي على باب المدينة الشرقي وهو المصلي الذي يوضع فيه

وطرح القتلى فى زمزم واقتلع الحجر الاسود فابتلى بالجدرى فقطع جسده (قال ابن عقبة) موسى الامام الحافظ (أقام النوح) أى دام من النائحات (على قتلى قريش شهرا) واستعمال القيام بهذا المعنى ماخوذ من قامت السوق اذا نفقت على حد ماذكر البيضاوى فى يقيمون الصلاة وروى ابن اسحق من مرسل عباد بن عبد الله بن الزبير قال ناحت قريش على قتلاهم ثم قالوا لا تفعلوا فيبلغ محمدا وأصحابه فيشمتوا بكم وقد اقتصر المصنف فى هذه الغزوة العظيمة على ماذكر فلنتبعه قصد اللاختصار وان كان بسطها يتحمل أضعاف ذلك والله يهدينا الى الصواب بجاه النبى صلى الله عليه وسلم

(قتل عمير عصماء)

(ثم سرية) أطلاقها على الواحد تجوز لان فيه خلافا فأمر أقله خمسة (عمير بن عدى) بن خرشة الانصارى ثم (الخطمى) بفتح المعجمة وسكون الطاء المهملة وميم نسبة الى جده خطمة بن جشم بن مالك بن الاوس الاعمى امام بنى خطمة وقيل انه أول من أسلم منهم وكان يدعى القارئ صحابى شهير كان صلى الله عليه وسلم يزوره روى عنه ابنه عدى وسماه ابن دريد غشمير بمعجمتين قبل الميم وقال انه فعليل من الغشمرة وهى أخذ الشئ بالغلبة قال الذهبى وقيل غشمين بنون آخره قال فى الاصابة صحفه ابن دريد ثم تكلف توجيهه وانما هو عمير لاشك فيه ولاريب انتهى (وكانت لخمس ليال بقين من) شهر (رمضان على رأس تسعة عشر شهرا من الهجرة) كذا قاله ابن سعد وهو منابذ لما مر أن فراغه من بدر كان آخر يوم من رمضان وأول يوم من شوال نعم هو باق على مامر عن الامتاع انه دخل المدينة ثانى عشر رمضان وقد ذكرها ابن اسحق بعد قتل أبى عفك وتبعه أبو الربيع وبعضهم ذكرها بعد قرقرة الكدر (الى عصماء) بفتح العين وسكون الصاد المهملتين والمد (بنت مروان) اليهودية (زوج) بلا هاء أفصح من زوجة أى امرأة (يزيد بن زيد) بن حصن الانصارى (الخطمى) الصحابى شهد أحدا وهو والد عبد الله الصحابى وجد عدى بن ثابت لامه وقول الاستيعاب فى ترجمة عمير بن عدى قتل أخته لشتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى الاصابة وهم وخلط قصة بقصة فان قاتل أخته عمير بن أمية كما رواه الطبرانى وغيره ولم يقف البرهان على هذا فتوقف فى كلام أبى عمر بانها يهودية وعمير أنصارى انتهى ولا يعارض كونها يهودية نسبة من نسبها الى بنى أمية بن زيد وهو فى الانصار لجواز أنها منهم بالحلف أو لكون زوجها منهم أو نحو ذلك (و) سبب ذلك انها (كانت تعيب الاسلام) بفتح فكسر من عاب يستعمل لازما ومتعديا أو بضم ففتح وشد التحتية من عيبه اذا نسبه العيب أو أحدث فيه عيبا (وتؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم) عطف لازم على ملزوم لان سب الاسلام يلزمه ايذاؤه أو أعم على أخص لان عيب الاسلام يكون بذكر خلل فى الدين وايذاء المصطفى يكون به وبغيره وكانت تحرض عليه وتقول الشعر ونافقت لما قتل أبو عفك وذكر ابن سعد انه صلى الله عليه وسلم لما كان فى بدر قالت فى الاسلام وأهله أبياتا فأقسم بها عمير ابن عدى فنذر اذا رده الله رسوله من بدر سالما ليقتلنها (فجاءها) لما قدم صلى الله عليه وسلم وسل سيفه ودخل عليها (ليلا وكان أعمى) وسماه المصطفى البصير (فدخل عليها بيتها وحولها نفر) بفتحتين والمراد هنا جماعة (من ولدها نيام) لا بقيد كونهم رجالا ولا ذكورا لقوله (منهم من ترضعه) اذ الرضيع لا يتبادر من الرجل وان أطلق عليه على أحد قولين فى القاموس (فجسها بيده) تأكيد فالجس المس باليد كما فى القاموس أو استعمله بمعنى اللمس لا بقيد كونه باليد فيكون تأسيسا (ونحى) أبعد (الصبى) الذى ترضعه (عنها) بمخافة أن يصيبه شئ فيهلك (ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه) أى أخرجه (من ظهرها ثم) رجع فأتى المسجد و(صلى الصبح معه صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأخبره بذلك) لما قال له كما رواه ابن سعد أقتلت ابنة مروان قال نعم فهل على فى ذلك من شئ (فقال لا ينتطح فيها عنزان) فكانت هذه الكلمة أول

محل الحاج ولم يصل العيد بمسجده الا مرة واحدة أصابهم مطر فصلى بهم العيد فى المسجد ان ثبت الحديث وهو فى سنن أبى داود وابن ماجه وهديه كان فعلهما فى المصلى دائما وكان يلبس للخروج اليهما أجمل ثيابه وكان له حلة يلبسها للعيدين والجمعة ومرة كان يلبس بردين أخضرين ومرة بردا أحمر ليس هو أحمر مصمتا كما يظنه بعض الناس فانه لو كان كذلك لم يكن بردا وانما فيه خطوط حمر كالبرود اليمنية فسمى أحمر باعتبار مافيه من ذلك وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم من غير معارض النهى عن لبس المعصفر والاحمر وأمر عبد الله بن عمر لما رأى عليه ثوبين أحمرين أن يحرقهما فلم يكن ليكره الاحمر هذه الكراهة الشديدة ثم يلبسه والذى يقوم عليه الدليل تحريم لباس الاحمر أو كراهيته كراهية شديدة وكان يأكل قبل خروجه فى عيد الفطر تمرات ويأكلهن وترا وأما فى عيد الاضحى فكان لا يطعم حتى يرجع من المصلى فيأكل من أضحيته وكان يغتسل للعيدين صح الحديث

ماسمعت من النبي صلى الله عليه وسلم (أي لا يعارض فيها معارض) ليأخذ بثارها (ولا يسال عنها) بطلب بدمها (فانها هدر) وفي النور أي ان قتلها هين لا يكون فيه طلب ثار ولا اختلاف انتهى وقد تحقق ذلك فذكر ابن اسحق وغيره أن عميرا رجع الى قومه بعد قتلها فوجد بنيها وهم خمسة رجال في جماعة يدفنونها فقال أنا قتلتها فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون فوالذي نفسي بيده لو قلتم باجمعكم ما قالت لضربتكم بسيفي هذا حتى أموت أو أقتلكم فيومئذ ظهر الاسلام في بني خطمة وكان يستخفي باسلامه فيهم من أسلم وأسلم يومئذ رجال لما رأوا من عز الاسلام لكن يعارضه ما وقع في مصنف حماد بن سلمة انها كانت يهودية وكانت تطرح المحايض في مسجد بني خطمة فاهدر صلى الله عليه وسلم دمها ولم ينتطح فيها عنزان فان المسجد صريح في ظهور الاسلام قبل ذلك الا أن يقال ظهر كل الظهور وان المعنى كان الضعيف الذي لم يقدر على الاسلام يستخفي باسلامه وأثنى صلى الله عليه وسلم على عمير بعد قتله عصماء فاقبل على الناس وقال من أحب أن ينظر الى رجل كان في نصرة الله ورسوله فلينظر الى عمير بن عدي فقال عمر بن الخطاب انظروا الى هذا الاعمى الذي يرى وفي رواية بات في طاعة الله فقال صلى الله عليه وسلم مه يا عمر فانه بصير وسماه البصير لما رأى من كمال ايمانه وقوة قلبه في الله حتى قتلها وهدد بنيها وقومها مواجها لهم مع عجزه الظاهر وكونه قاتلها هو المشهور وفي الروض أن زوجها قتلها وفي رواية أنه عليه السلام قال ألا رجل يكفينا هذه فقال رجل من قومها أنا فأتاها وكانت تبيع التمر فقال أعندك أجود من هذا التمر قالت نعم فدخلت البيت وانكبت لتاخذ شيئا فالتفت يمينا وشمالا فلم ير أحدا فضرب رأسها حتى قتلها (قالوا) ليس للتبري بل للاشارة الى شهرته حتى كانه اجماع (وهذا من الكلام المفرد الموجز البليغ الذي لم يسبق اليه عليه الصلاة والسلام وسيأتي لذلك نظائر ان شاء الله تعالى) في المقصد الثالث وذكر صاحب النور هنا جملة منها (وفي أول شوال صلى صلاة الفطر) وهذا مع ما يعطي انه صلاها بعد بدر وذكر ابن سعد باسانيد الواقدي انه صلى الله عليه وسلم خرج الى المصلى وحملت العنزة بين يديه وغرزت في المصلى وصلى اليها صلاة الفطر والله أعلم

(غزوة بني سليم وهي قرقرة الكدر)

(وفي أول شوال أيضا وقيل بعد بدر بسبعة أيام) وبه جزم ابن اسحق ومن تبعه وتقدم قوله فرغ من بدر في آخر رمضان وأول شوال ويمكن أن لا تنافي بين القولين (وقيل في نصف المحرم سنة ثلاث) وبه جزم ابن سعد وابن هشام (خرج عليه الصلاة والسلام) في مائتي رجل (يريد بني سليم) بضم المهملة وفتح اللام (فبلغ ماء يقال له الكدر) بضم الكاف وسكون المهملة لانه كما ذكر ابن اسحق وابن سعد وابن عبد البر وابن حزم بلغه صلى الله عليه وسلم أن بهذا الموضع جمعا من بني سليم وغطفان (وتعرف) غزوة بني سليم بالكدر (بغزوة ذي قرقرة) بفتح القافين وحكى البكري ضمهما قال الدميري وغيره والمعروف فتحهما بعد كل قاف راء أولاهما ساكنة ثم تاء تانيث قال ابن سعد ويقال قرارة الكدر وفي الصحاح قراقر على فعالل بضم القاف اسم ماء ومنه غزاة قراقر ففيها ثلاثة أوجه قرقرة قرارة قراقر وان عرف ما حكاه البكري يكون أربعة (وهي أرض ملساء والكدر) كما قال السهيلي وابن الاثير وغيرهما (طير في ألوانها كدرة تعرف بها ذلك الموضع) الذي هو قرقرة لاستقراره هذه الطيور به فهما غزوة واحدة وتبع المصنف على ذلك تلميذه الشامي فقال غزوة بني سليم بالكدر ويقال لها قرقرة الكدر وجعلهما اليعمري غزوتين وجعل شيخه الدمياطي غزوة بني سليم هي غزوة بحران الآتية ويجيء قول المصنف فيها وتسمى غزوة بني سليم (فاقام بها عليه الصلاة والسلام ثلاثا) قاله ابن اسحق والجماعة (وقيل عشرا فلم يلق أحدا) من سليم وغطفان الذين خرج يريدهم في

فيه وفيه حديثان ضعيفان حديث ابن عباس من رواية جبارة ابن مغلس وحديث الفاكه بن سعد من رواية يوسف بن خالد السمتي ولكن ثبت عن ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة أنه كان يغتسل يوم العيد قبل خروجه وكان صلى الله عليه وسلم يخرج ماشيا والعنزة تحمل بين يديه فاذا وصل الى المصلى نصبت بين يديه ليصلي اليها فان المصلى كان اذ ذاك فضاء لم يكن فيه بناء ولا حائط وكانت الحربة سترته وكان يؤخر صلاة عيد الفطر ويعجل الاضحى وكان ابن عمر مع شدة اتباعه للسنة لا يخرج حتى تطلع الشمس ويكبر من بيته الى المصلى وكان صلى الله عليه وسلم اذا انتهى الى المصلى أخذ في الصلاة من غير أذان ولا اقامة ولا قول الصلاة جامعة والسنة أنه لا يفعل شيء من ذلك ولم يكن هو ولا أصحابه يصلون اذا انتهوا الى المصلى شيئا قبل الصلاة ولا بعدها وكان يبدأ بالصلاة قبل الخطبة فيصلي ركعتين يكبر في الاولى سبع تكبيرات متوالية بتكبيرة الافتتاح يسكت

المحال وذكر ابن اسحق والجماعة انه أرسل نفرا من أصحابه في أعلى الوادي واستقبلهم صلى الله عليه وسلم
في بطن الوادي فوجد رعاء بالكسر جمع راع فيهم غلام يقال له يسار بتحتية ومهملة فسأله عن الناس
فقال لا علم لي بهم انما أورد لخمس وهذا يوم ربعي والناس قد ارتفعوا في المياه ونحن عزاب في النعم
فانصرف صلى الله عليه وسلم وقد ظفر بالنعم فانحدر بها الى المدينة واقتسموا غنائمهم بصرار على ثلاثة
أميال من المدينة وكانت خمسمائة بعير فأخرج خمسه وقسم أربعة أخماسه على المسلمين فأصاب كل رجل
منهم بكران وكانوا مائتي رجل وصار يسار في سهمه صلى الله عليه وسلم فأعتقه لانه رآه يصلي أي لانه
أسلم بعد الاسر وتعلم الصلاة من المسلمين واستشكل بانه لما أسلم لم يقم به رق فلا يكون غنيمة فكيف
وقع في سهمه وأجيب بان اسلامه انما يعصم دمه ويخير الامام فيه بين الرق والفداء والمن بلا شئ فيجوز
أنه صلى الله عليه وسلم اختار رقه بعد علمه باسلامه أو قبله ثم صار في سهمه حين القسمة فأعتقه لرؤيته
يصلي * والخمس بكسر المعجمة من أظماء الابل أن ترعى ثلاثة أيام وترد اليوم الرابع وقد أخمس الرجل
أي وردت ابله خمسا ومياه بالهاء وغلط فيه بعض المدرسين فقاله بالتاء وصرار بكسر المهملة وراء مهملة
مخففة فالف فراء ثانية كما قيده الدارقطني وغيره ووقع للحموي والمستملي بضاد معجمة وهو وهم كما في
المطالع موضع قريب من المدينة وقيل بئر قديمة على ثلاثة أميال منها من طريق العراق (وكانت
غيبته عليه السلام) كما قال ابن اسحق والجماعة (خمس عشرة ليلة) قال ابن اسحق وغيره وأقام بالمدينة
شوالا وذا القعدة وأفدى في اقامته تلك جل الاسارى من قريش (واستخلف على المدينة سباع) بمهملة
مكسورة فموحدة فالف فمهملة (ابن عرفطة) بمهملة مضمومة فراء ساكنة ففاء مضمومة فطاء مهملة
الغفاري ويقال له الكناني الصحابي الشهير واستعمله عليها أيضا عام خيبر فجاء أبو هريرة وصلى خلفه
الصبح (وقيل) وبه جزم ابن سعد وابن هشام استخلف عليها (ابن أم مكتوم) عمرا على الاكثر وقيل
عبد الله بن قيس بن زائدة القرشي العامري والصحيح الاول ففي مسلم أنه صلى الله عليه وسلم سماه عمرا في
حديث فاطمة بنت قيس وأم مكتوم لم تسلم واسمها عاتكة بنت عبد الله وجمع بينهما بانه استخلف
سباعا للحكم وابن أم مكتوم للصلاة على عادته في استخلافه للصلاة (وحمل اللواء) وكان أبيض كما عند
الجماعة (علي بن أبي طالب رضي الله عنه وذكرها ابن سعد بعد غزوة السويق) ضرورة جزمه بانها في
المحرم سنة ثلاث وأن غزوة السويق في ذي الحجة وكانه وجه جعل اليعمري لهما غزوتين لان الكدر
بعد بدر وقرقرة بعد السويق فترجم هنا غزوة بني سليم وذكر فيها ما حاصله انه بلغ ماء يقال له الكدر
فأقام عليه ثلاثا ثم رجع ولم يلق كيدا ثم بعد السويق ترجم غزوة قرقرة الكدر وساق فيها القصة
بتمامها من طريق ابن سعد فعليه يكون غزا بني سليم مرتين مرة وصل فيها الى ذلك الماء فلم يجد شيئا من النعم
ومرة وصل فيها تلك الارض ووجد فيها النعم والله أعلم

(قتل أبي عفك اليهودي)

(ثم) في شوال أيضا (سرية سالم بن عمير) ويقال ابن عمرو وقال ابن عقبة سالم بن عبد الله بن
ثابت الانصاري الاوسي أحد بني عمرو بن عوف العقبي شهد بدرا والمشاهد أحد البكائين مات
في آخر خلافة معاوية رضي الله عنهما (الى أبي عفك) بفتح المهملة والفاء الخفيفة وكاف
يقال رجل اعفك بين العفك أي أحمق (اليهودي) من بني عمرو بن عوف (وكان شيخا كبيرا قد
بلغ) من السن (عشرين ومائة سنة وكان يحرض) يحث ويحمل الناس (على) قتال (النبي
صلى الله عليه وسلم ويقول فيه الشعر) يهجوه به فقال صلى الله عليه وسلم كما عند ابن سعد وغيره
من لي بهذا الخبيث فقال سالم علي نذر ان أقتل أبا عفك أو أموت دونه فأمهل يطلب له غرة بكسر

بين كل تكبيرتين سكتة
يسيرة ولم يحفظ عنه ذكر
معين بين التكبيرات
ولكن ذكر عن ابن
مسعود أنه قال يحمد الله
ويثني عليه ويصلي على
النبي صلى الله عليه وسلم
ذكره الخلال وكان ابن
عمر مع تحريه للاتباع
يرفع يديه مع كل تكبيرة
وكان صلى الله عليه وسلم
اذا تم التكبير أخذ في
القراءة فقرأ فاتحة
الكتاب ثم قرأ بعدها ق
والقرآن المجيد في احدى
الركعتين وفي الاخرى
اقتربت الساعة وانشق
القمر وربما قرأ فيهما
سبح اسم ربك الاعلى
وهل أتاك حديث
الغاشية صح عنه هذا
وهذا ولم يصح عنه غير
ذلك فاذا فرغ من القراءة
كبر وركع ثم اذا أكمل
الركعة وقام من السجود
كبر خمسا متوالية فاذا
أكمل التكبير أخذ في
القراءة فيكون التكبير
أول ما يبدأ به في الركعتين
والقراءة تلي الركوع
وقد روي أنه صلى الله
عليه وسلم والى بين
القراءتين فكبر أولا ثم
قرأ وركع فلما قام في
الثانية قرأ وجعل التكبير
بعد القراءة ولكن لم
يثبت هذا عنه فانه من
رواية محمد بن معاوية

المعجمة وشد الراء المفتوحة فغفل له حتى كانت ليلة صائفة أى حارة نام أبو عفك بفناء منزله وعلم سالم به (فاقبل اليه سالم ووضع سيفه على كبده ثم اعتمد عليه حتى خش) دخل (فى الفراش فصاح عدو الله أبو عفك فثار) بمثلثة وراء كذا فى النسخ والذى فى العيون والسبل عن ابن سعد فثاب بمثلثة وموحدة أى اجتمع وهو أولى لان ثاب لغة اجتمع ورجع فاطلق على أحد استعماليه فانه لازم لمعنى ثاب لا مدلوله (اليه ناس ممن هم على قوله) فى موافقته على الكفر والتحريض (فادخلوه منزله فقتل) أى مات ولفظ ابن سعد فادخلوه منزله وقبروه وعند غير ابن سعد فقالت امامة المريدية فى ذلك

تكذب دين الله والمرء أحمدا * لعمرو الذى أمناك ان بئس ما يمنى
حباك حنيف آخر الليل طعنة * أبا عفك خذها على كبر السن

امامة بضم أوله ويقال اسامة المريدية بضم الميم وكسر الراء كما فى التبصير كاصله الذهبى وقال فى الالقاب بفتحها فتحتية ساكنة فدال مهملة فتحتية مشددة نسبة الى مريد بطن من بلى صحابية رضى الله عنهما ولعمر والذى أمناك أى وحياة الذى أنشاك وحباك بموحدة أعطاك وحنيف مسلم (وكانت هذه السرية) فيه تجوز كما مر (فى شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة) قاله ابن سعد قال اليعمرى وكان أبو عفك ممن نجم أى ظهر نفاقه حين قتل صلى الله عليه وسلم الحرث بن سويد بن الصامت وتوقف فيه البرهان بانه قتل بعد أحد كما قال ابن اسحق قال الا أن هذا ليس عن ابن اسحق انتهى والله أعلم

(ثم غزوة بنى قينقاع) بفتح القافين وسكون التحتية و(بتثليث النون) كما حكاه ابن قرقول وغيره (والضم أشهر) كما أفاده الحافظ وغيره (بطن من يهود المدينة) قال فى الوفاء منازلهم عند جسر بطحان مما يلى العالية وفى الصحيح عن ابن عمر وهم رهط عبد الله بن سلام (لهم شجاعة وصبر) هو لازم للشجاعة قيل كانوا أشجع اليهود وأكثرهم مالا وأشدهم بغيا (وكانت) كما قال ابن سعد (يوم السبت نصف شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة) النبوية (وقد كانت الكفار) كما أفاده الحافظ فى غزوة بنى النضير (بعد الهجرة مع النبى صلى الله عليه وسلم على ثلاثة أقسام قسم وادعهم) صالحهم (عليه الصلاة والسلام على أن لا يحاربوه ولا يؤلبوا) يحرضوا (عليه) على قتاله (عدوه) وقيل على أن لا يكونوا معه ولا عليه وقيل على أن ينصروه ممن دهمه من عدوه (وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة) بالظاء المعجمة المشالة (والنضير وبنو قينقاع) فنقض الثلاثة العهد فمكن الله رسوله منهم فقتل قريظة وأجلى الاخيرين (وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة كقريش) فنصره الله عليهم فقتل سبعين وأسر سبعين ببدر وقتل فى أحد اثنين وعشرين منهم أهل اللواء بنو عبد الدار وأبى بن خلف وفى الخندق عمرو بن عبد ود وغيره حتى فتح مكة فصار أعظمهم عليه أحوجهم اليه ثم فى حجة الوداع لم يبق قرشى الا أسلم وصاروا كلهم أتباعه ولله الحمد (وقسم تركوه وانتظروا ما يؤل اليه أمره) فان آل الى النصر والظفر بقريش تبعوه والا تبعوهم (كطوائف من العرب) الا أن هذا القسم ليسوا سواء بل (منهم من كان يحب ظهوره فى الباطن كخزاعة) ولذا دخلوا فى عقده وعهده عام الهدنة ولما استنصروه صلى الله عليه وسلم حين غارت عليهم بنو بكر قال لا نصرت ان لم أنصركم (وبالعكس كبنى بكر) ولذا دخلوا فى عهد قريش وعقدهم سنة الحديبية (ومنهم من كان معه ظاهرا ومع عدوه باطنا وهم المنافقون) فكانوا يظهرون الاسلام ويبطنون الكفر (وكان أول من نقض العهد من اليهود بنو قينقاع) ثم النضير ثم قريظة (فحاربهم عليه الصلاة والسلام فى شوال) أى نصفه على ما مر (بعد وقعة بدر) وهذا كله لفظ الحافظ فى الفتح فى أول

النيسابورى قال البيهقى رماه غير واحد بالكذب وقد روى الترمذى من حديث كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر فى العيدين فى الاولى سبعا قبل القراءة وفى الثانية خمسا قبل القراءة قال الترمذى سألت محمدا يعنى البخارى هذا الحديث قال ليس فى الباب شئ أصح من هذا وبه أقول وقال وحديث عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده فى هذا الباب هو صحيح أيضا * قلت يريد حديثه بان النبى صلى الله عليه وسلم كبر فى عيد ثنتى عشرة تكبيرة سبعا فى الاولى وخمسا فى الثانية ولم يصل قبلها ولا بعدها قال أحمد وأنا أذهب الى هذا قلت وكثير بن عبد الله بن عمرو هذا ضرب أحمد على حديثه فى المسند وقال لا يساوى حديثه شيأ والترمذى تارة يصحح حديثه وتارة يحسنه وقد صرح البخارى بانه أصح شئ فى الباب مع حكمه بصحة حديث عمرو بن شعيب وأخبر أنه يذهب اليه والله أعلم وكان صلى الله

غزوة بني النضير ثم قال فيه بعد قليل (قال الواقدي) أجلاهم في شوال سنة اثنتين يعني بعد بدر (بشهر) ويؤيده ماروى ابن اسحق بسند حسن عن ابن عباس قال لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا يوم بدر جمع يهود في سوق قينقاع فقال يامعشر يهود أسلموا قبل أن يصيبكم ما أصاب قريشا فقالوا انهم كانوا لا يعرفون القتال ولو قاتلتنا لعرفت انا الرجال فأنزل الله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى قوله أولي الابصار انتهى لفظ الفتح فأفاد أن المحاربة بعد بدر بنصف شهر والاجلاء بعد بدر بشهر وهو ظاهر لأنه حاصرهم نصف شهر وأما عبارة المصنف ففيها قلاقة لجزمه بأنها نصف شوال وأن الفراغ من بدر أوله فينافي نقله هنا عن الواقدي أن الحرب بعد بدر بشهر وأيضا فالواقدي لم يقل ذلك انما قال أجلاهم في شوال سنة اثنتين فقال الحافظ يعني بعد بدر بشهر فاختلط على المصنف رحمه الله الحرب بالاجلاء (وأغرب الحاكم) جاء بقول غريب لا يعرف (فزعم أن اجلاء بني قينقاع واجلاء بني النضير كانا في زمن واحد) حيث قال هذه وغزوة بني النضير واحدة وربما اشتبها على من لا يتأمل (ولم يوافق على ذلك لان اجلاء بني النضير كان بعد بدر بستة أشهر على قول عروة) بن الزبير وعمل عليه البخاري (أو بعد ذلك بمدة طويلة على قول ابن اسحق) انها بعد أحد ونصره ابن كثير بان الخمر حرمت ليالي حصار بني النضير وفي الصحيح انه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيدا فدل على انها كانت حلالا حينئذ وانما حرمت بعد ذلك ويأتي مزيد لذلك في غزوتها ان شاء الله (وكان) كما رواه ابن هشام (من أمر بني قينقاع أن امرأة) قال البرهان لا أعرف اسمها (من العرب) وفي الامتاع انها كانت زوجة لبعض الانصار أي من العرب فلا ينافي أن الانصار بالمدينة وفي الرواية انها قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع و(جلست الى صائغ يهودي) لا أعرف اسمه والظاهر انه من قينقاع قاله البرهان (فراودها على كشف وجهها) أرادوا منها ذلك ولفظ الرواية عند ابن هشام فجعلوا يريدونها على كشف وجهها (فابت فعمد) بفتح الميم وتكسر الصائغ (الى طرف) بفتح الراء (ثوبها) من ورائها (فعقده) ضمه (الى ظهرها) وخله بشوكة (فلما قامت انكشفت سوأتها) هو لفظ رواية ابن هشام أي عورتها (فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله فشدت اليهود على المسلم فقتلوه) فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود فغضب المسلمون (ووقع الشر بين المسلمين وبين بني قينقاع) وذكر ابن سعد انهم لما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد ونبذوا العهد والمدة فأنزل الله تعالى واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين فقال صلى الله عليه وسلم انا أخاف من بني قينقاع (فسار اليهم النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن استخلف) على المدينة (أبا لبابة) بشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة أو رفاعة أو منذر ووهم من سماه مروان (ابن عبد المنذر) الانصاري الاوسي المدني أحد النقباء عاش الى خلافة علي فحاربوا وتحصنوا في حصنهم (فحاصرهم أشد الحصار خمس عشرة ليلة الى هلال ذي القعدة) بفتح القاف وكسرها (وكان اللواء بيد حمزة بن عبد المطلب وكان أبيض) قال ابن سعد ولم تكن الرايات يومئذ (فقذف الله في قلوبهم الرعب) الخوف (فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن له أموالهم وأن لهم النساء والذرية فأمر عليه الصلاة والسلام المنذر بن قدامة) السلمي الاوسي البدري (بتكتيفهم) مصدر كتفه بالتشديد للمبالغة والاصل التخفيف أي بشد أيديهم خلف أكتافهم موثقا بحبل ونحوه قال ابن هشام فكتفوا وهو يريد قتلهم فكلمه فيهم ابن أبي فأرادان يطلقهم فقال له المنذر أتطلق أقواما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بربطهم والله لا يفعله أحد الا ضربت عنقه (وكلم عبد الله بن أبي بن سلول) رأس المنافقين (رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم) لما أراد قتلهم وهذا مشكل اذ مقتضى نزولهم على ان لهم النساء والذرية

و ينهاهم وان كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشئ أمر به ولم يكن هنالك منبر يرقى عليه ولم يكن يخرج منبر المدينة وانما كان يخطبهم قائما على الارض قال جابر شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة يوم العيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة بلا أذان ولا اقامة ثم قام متوكئا على بلال فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ووعظ الناس وذكرهم ثم مضى حتى أتى النساء فوعظهن وذكرهن متفق عليه وقال أبو سعيد الخدري كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج يوم الفطر والاضحى الى المصلى فأول ما يبدأ به الصلاة ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم الحديث رواه مسلم وذكر أبو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم كان يخرج يوم العيد فيصلي بالناس ركعتين ثم يسلم فيقف على راحلته مستقبل الناس وهم صفوف جلوس فيقول تصدقوا فأكثر من يتصدق النساء بالقرط والخاتم والشئ فاذا كانت له حاجة يريد أن يبعث بعثا

 يذكره لهم والا انصرف وقد كان يقع لي ان هذا وهم فان النبي صلى الله عليه وسلم انما كان يخرج الى العيد ماشيا

انهم نزلوا بامان ولا يتصور من المصطفى غدر الا ان يقال نزولهم على حكمه لا يقتضي موافقته لهم كما نزل بنو قريظة على حكم سعد فحكم فيهم بحكم الله (وأغ عليه من أجلهم) فقال كما ذكر ابن هشام وابن سعد وغيرهما يا محمد احسن في موالي وكانوا احلفاء الخزرج فابطا عليه صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد أحسن في موالي فاعرض عنه فادخل يده في جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلفه وكان يقال لها ذات الفضول فقال صلى الله عليه وسلم ويحك أرسلني وغضب عليه السلام حتى رأوا وجهه ظللا جمع ظلة وهي السحابة استعيرت لتغير وجهه الكريم لما اشتد غضبه ويروى ظلالا جمع ظلة أيضا كبرمة وبرام وهما بمعنى كما في الروض ثم قال ويحك أرسلني قال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمائة حاسر بمهملتين أي لا درع معه وثلثمائة دارع وقد منعوني من الاحمر والاسود تحصدهم في غداة واحدة اني والله امرؤ أخشى الدوائر فقال صلى الله عليه وسلم هم لك (فامر عليه الصلاة والسلام أن يجلوا) من كتافهم فقال حلوهم لعنهم الله ولعنه معهم (وتركهم من القتل وأمر ان يجلوا) بالجيم مبني للمفعول أي يخرجوا (من المدينة) قال ابن سعد وولي اخراجهم عبادة بن الصامت وقيل محمد بن مسلمة ولا مانع انهما اشتركا في اخراجهم (فيلحقوا باذرعات) بفتح الهمزة وسكون المعجمة وكسر الراء فمهملة وبالصرف بلدة بالشام (فما كان) زائدة (أقل بقاءهم فيها) قيل لم يدر عليهم الحول (وأخذ من حصنهم سلاحا وآلة كثيرة) وكان الذي ولي قبض أموالهم محمد بن مسلمة قاله ابن سعد فاخذ صلى الله عليه وسلم خمسه وقض أربعة أخماسه على أصحابه فكان أول ما خمس بعد بدر ووقع عند ابن سعد أخذ صفيه الخمس وتوقف فيه اليعمري بان المعروف الصفي غير الخمس فعند أبي داود عن الشعبي كان له صلى الله عليه وسلم سهم يدعى الصفي قبل الخمس وعن عائشة كانت صفية من الصفي قال فلا أدري أسقطت الواو أو كان هذا قبل حكم الصفي انتهى (و) اخرج ابن اسحق وابن أبي حاتم والبيهقي عن عبادة ابن الصامت قال (كانت بنو قينقاع حلفاء لعبد الله بن أبي وعبادة بن الصامت فتبرأ عبادة رضي الله عنه من حلفهم) بكسر المهملة واسكان اللام حين قال صلى الله عليه وسلم لما رأى من فعلهم القبيح ما على هذا أقررناهم (فقال يا رسول الله اتبرأ الى الله والى رسوله من حلفهم وأتولى الله ورسوله والمؤمنين وابرأ من حلف) جميع (الكفار وولايتهم) أو هو تأكيد لما قبله من اقامة الظاهر مقام المضمر وفائدته التشنيع عليهم بالكفر (ففيه وفي عبد الله) بن أبي (انزل الله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) فلا تعتمدوا عليهم ولا تعاشر وهم معاشرة الاحباب (بعضهم أولياء بعض) ايماء الى علة النهي أي فانهم متفقون على خلافكم يوالي بعضهم بعضا لاتحادهم في الدين واجتماعهم على مضادتكم من يتولهم منكم فانه منهم تشديد في وجوب مجانبتهم (الى قوله فان حزب الله هم الغالبون) أي فانهم هم الغالبون ولكن وضع الظاهر موضع المضمر تنبيها على البرهان عليه وكانه قيل ومن يتول هؤلاء فهو حزب الله وحزب الله هم الغالبون وتنويها بذكرهم وتعظيما لشأنهم وتشريفا لهم بهذا الاسم وتعريضا بمن يوالي غير هؤلاء بانه حزب الشيطان وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم قاله البيضاوي

*(ثم غزوة السويق) *هو قمح أو شعير يقلى ثم يطحن فيتزود به ملتوتا بماء أو سمن أو عسل أو وحده بالسين قال ابن دريد بنو العنبر يقولونه بالصاد وفي الجمهرة بنو تميم ولا خلاف فالعنبر هو عمرو بن تميم وكانت (في ذي الحجة) بفتح الحاء وكسرها (يوم الاحد لخمس) من الليالي (خلون منها على رأس اثنين وعشرين شهرا من الهجرة) قاله ابن سعد (وقال ابن اسحق في صفر) بمنع الصرف لانه أريد من سنة بعينها ففيه العلمية والعدل عن الصفر وانتقد صاحب الخميس المصنف بان الذي في ابن هشام عن

والعنزة بين يديه والمخاطب على راحلته يوم النحر بمنى الى أن رأيت بقي بن مخلد الحافظ قد ذكر هذا الحديث في مسنده عن أبي بكر ابن أبي شيبة حدثنا عبد الله ابن نمير حدثنا داود بن قيس حدثنا عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج يوم العيد من يوم الفطر فيصلي بالناس تينك الركعتين ثم يسلم فيستقبل الناس فيقول تصدقوا وكان أكثر من يتصدق النساء وذكر الحديث ثم قال حدثنا أبو بكر بن خلاد حدثنا أبو عامر حدثنا داود عن عياض عن أبي سعيد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج في يوم الفطر فيصلي بالناس فيبدأ بالركعتين ثم يستقبلهم وهم جلوس فيقول تصدقوا فذكر مثله وهذا اسناد ابن ماجه الا انه رواه عن أبي كريب عن أبي أسامة عن داود ولعله ثم يقوم على رجليه كما قال جابر قام متوكئا على بلال فتصحف على الكاتب براحلته والله أعلم فان قيل فقد أخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس قال شهدت صلاة الفطر مع نبي الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب قال فنزل نبي الله

البكائي عن ابن اسحق أن خروجه انما كان في ذي الحجة وهو كما قال وكذا نقله عن اليعمري وغيره ويحتمل أنها رواية غير البكائي لأن رواة سيرة ابن اسحق جماعة وفيها اختلاف بالزيادة والنقص وقد ذكر بعض أهل السير أن هذه الغزوة في سنة ثلاث فيصح كونها في صفر (وسميت غزوة السويق لأنه كان أكثر زاد المشركين) فكانوا يلقونه للتخفيف (وغنمه) بفتح الغين وكسر النون (المسلمون) أي استفادوه وأخذوه بلا عوض لكن فيه مجاز اذ الغنيمة كما قال أبو عبيد ما نيل من أهل الشرك والحرب قائمة والفيء ما نيل منهم بعد أن تضع الحرب أوزارها (واستخلف أبا لبابة) بشيرا أو رفاعة أو مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بفتح الزاي والموحدة بينهما نون ساكنة آخره راء (على المدينة وكان سبب هذه الغزوة) كما عند ابن اسحق وغيره (أن أبا سفيان) صخر بن حرب (حين رجع بالعير من بدر الى مكة) ورجع فل قريش من بدر بفتح الفاء وشد اللام أي منهزموهم (نذر) أن لا يمس رأسه ماء من جنابة هكذا الرواية عند ابن اسحق قال مغلطاي كني بحلفه عن ان لا يمس النساء والطيب فاقتصر المصنف على تفسير الرواية فقال (أن لا يمس النساء والدهن) لانه لم يتقيد بها أو هي رواية أخرى وردت باللفظ أو بالمعنى (حتى يغزو محمدا عليه الصلاة والسلام) ليأخذ بثار المشركين الذين قتلوا ببدر واستدل به السهيلي على أن غسل الجنابة كان في الجاهلية لبقية من دين ابراهيم واسمعيل كالحج والنكاح ولذا اسموها جنابة لمجانبتهم البيت الحرام وموضع حرماتهم وأطلق في وان كنتم جنبا فاطهروا واختلاف الوضوء فلم يعرف قبل الاسلام فبين بقوله اغسلوا وجوهكم الخ (فخرج في مائتي راكب) وقيل أربعين (من قريش ليبر) بضم التحتية وكسر الموحدة (يمينه) نصب على المفعولية أي يمضيها على الصدق قال ابن اسحق فسلك النجدية حتى نزل صدر قناة الى جبل يقال له نيب على بريد من المدينة أو نحوه ثم خرج حتى أتى بني النضير تحت الليل فأتى حيي بن أخطب فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له وخافه فانصرف الى سلام بن مشكم وكان سيد بني النضير في زمانه ذلك وصاحب كنزهم فاستأذن عليه فأذن له وقراه وسقاه وبطن له من خبر الناس ثم خرج في عقب ليلته حتى أتى أصحابه فبعث رجالا من قريش فساروا (حتى أتوا العريض) بضم المهملة وفتح الراء واسكان التحتية وضاد معجمة (ناحية من المدينة على ثلاثة أميال) وفي النور انه واد بالمدينة به أموال لاهلها انتهى ففي سياق ابن اسحق هذا الذي ذكرته أن أبا سفيان لم يأت العريض معهم خلاف ما يفيده المصنف وقناة بفتح القاف وخفة النون واد بالمدينة ونيب بنون فتحتية فوحدة قال البرهان كذا في نسختي أي من العيون واصولها ولم أره فلعله تصحيف يتيب بفتح التحتية وكسر الفوقية وسكون التحتية فوحدة بوزن يغيب جبل بالمدينة ذكره القاموس أو هو تيت بفوقيتين أولاهما مفتوحة بينهما تحتية ساكنة او مشددة كميت وميت جبل قرب المدينة ذكره في الذيل والقاموس انتهى ملخصا والذي يظهر أن ذا الاخير هو المراد لقوله على بريد أو نحوه من المدينة ولان الرسم لا يخالفه يتيب الذي بزنة يغيب وحيي بمهملة مصغر واخطب بخاء معجمة وسلام بالتشديد ويخفف ومشكم بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الكاف وقراه أضافه وسقاه أي الخمر كما قال أبو سفيان

سقاني فرواني كميتا مدامة ✽ على ظماء مني سلام بن مشكم

(فحرقوا) بخفة الراء وشدها مبالغة (نخلا) صغارا كما دل عليه قوله في الرواية فحرقوا في أصوار من نخل بها بفتح الهمزة وسكون الصاد المهملة وراء نخل مجتمع صغار كما في الصحاح (وقتلوا رجلا من الانصار) زاد في الرواية وحليفا لهم قال البرهان ولا أعرفهما وفيه تقصير فقد ذكر الواقدي أن الانصاري معبد بن عمرو (فرأى أبو سفيان أن قد انحلت يمينه) بقتل الرجلين وحرق الاصوار (فانصرف بقومه راجعين) الى مكة ونذر الناس بفتح النون وكسر الذال المعجمة علموا بهم (وخرج عليه الصلاة والسلام في طلبهم في مائتين من المهاجرين والانصار)

صلى الله عليه وسلم كأني أنظر اليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى جاء الى النساء ومعه بلال فقال يا أيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا فتلا الآية حتى فرغ منها الحديث وفي الصحيحين أيضا عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قام فبدأ بالصلاة ثم خطب الناس بعد فلما فرغ نبي الله صلى الله عليه وسلم نزل فأتى النساء فذكرهن الحديث وهو يدل على أنه كان يخطب على منبر أو على راحلته ولعله كان قد بني له منبر من لبن أو طين أو نحوه قيل لا ريب في صحة هذين الحديثين ولا ريب أن المنبر لم يكن ليخرج من المسجد وأول من أخرجه مروان بن الحكم فأنكر عليه وأما منبر اللبن والطين فأول من بناه كثير بن الصلت في امارة مروان على المدينة كما هو في الصحيحين فلعله صلى الله عليه وسلم كان يقوم في المصلى على مكان مرتفع أو دكان وهي التي تسمى مصطبة ثم ينحدر منه الى النساء فيقف عليهن فيخطبهن فيعظهن ويذكرهن والله أعلم وكان يفتتح خطبه كلها بالحمد لله ولم يحفظ عنه في حديث واحد أنه كان يفتتح خطبتي العيدين بالتكبير وانما روى ابن ماجه في سننه عن سعد مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى الله عليه

وسلم كان يكثر التكبير أضعاف الخطبة ويكثر التكبير في خطبتي العيدين وهذا لا يدل على انه كان يفتتحها به وقد اختلف الناس في افتتاح خطبة العيدين والاستسقاء فقيل

يفتتحان بالتكبير وقيل يفتتح خطبة الاستسقاء بالاستغفار وقيل يفتتحان بالحمد قال شيخ الاسلام ابن تيمية هو الصواب لان النبي صلى الله عليه وسلم قال كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجذم وكان يفتتح خطبه كلها بالحمد لله ورخص صلى الله عليه وسلم لمن شهد العيد أن يجلس للخطبة وأن يذهب ورخص لهم اذا وقع العيد يوم الجمعة أن يجتزوا بصلاة العيد عن حضور الجمعة وكان صلى الله عليه وسلم يخالف الطريق يوم العيد فيذهب في طريق و يرجع في أخرى فقيل ليسلم على أهل الطريقين وقيل لينال بركته الفريقان وقيل ليقضي حاجة من له حاجة منهما وقيل ليظهر شعائر الاسلام في سائر الفجاج والطرق وقيل ليغيظ المنافقين برؤيتهم عزة الاسلام وأهله وقيام شعائره وقيل لتكثر شهادة البقاع فان الذاهب الى المسجد والمصلى احدى خطوتيه ترفع درجة والاخرى تحط خطيئة حتى يرجع الى منزله وقيل وهو الاصح أنه لذلك كله ولغيره من الحكم التي لا يخلو افعاله عنها وروى عنه أنه كان يكبر من صلاة الفجر يوم عرفة الى العصر من آخر أيام التشريق الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد

وعند مغلطاي في ثمانين راكبا وجمع البرهان بان الركبان ثمانون وكل الجيش مائتان (فجعل أبو سفيان وأصحابه يلقون جرب السويق) بضمتين جمع جراب ككتاب وكتب ولا يفتح مفرده أوهو لغية فيما حكاه عياض وغيره كما في القاموس ويجمع أيضا على أجربة (وهي عامة أزوادهم) أي أكثرها أو جميعها من عمه بالعطاء اذا شمله (يتخففون للهرب) خوفا ممن نصر بالرعب (فيأخذها المسلمون) ولذا سميت غزوة السويق كما مر (ولم يلحقهم عليه الصلاة والسلام فرجع الى المدينة وكانت غيبته خمسة أيام) بيومي الخروج والرجوع فدخوله يوم التاسع بدليل صلاة العيد وأن خروجه لخمس خلون من الحجة أو دخل ليلا أو أول يوم العيد وأدركه قبل الزوال وعند ابن اسحق وقال المسلمون حين رجعوا يا رسول الله انطمع أن تكون لنا غزوة قال نعم وأورد ابن هشام وتبعه أبو الربيع في الاكتفاء هذه الغزوة قبل بني قينقاع وعند بعض أهل السير انها في سنة ثلاث

(ذكر بعض وقائع ثانية الهجرة)

(وفي ذي الحجة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد) بالمصلى وضحى بكبشين (وأمر الناس (بالاضحية) وهو أول عيد أضحى رآه المسلمون (وفيه مات عثمان بن مظعون) بالظاء المعجمة بن حبيب القرشي الجمحي البدري وقبله النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وعيناه تذرفان ودفنه بالبقيع وهو أول ميت من المهاجرين وأول من دفن به منهم ولما مات ولده ابراهيم قال الحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون وقد علم ان غرض المصنف بيان بعض وقائع السنة الثانية وان لم تتعلق بالمغازي ولذا قال (وفي أول شوال) سنة اثنتين بعد عشرين شهرا فيما جزم به الواقدي وتبعه جمع منهم ابن الاثير والذهبي (ولد عبد الله بن الزبير) قال الحافظ والمعتمد انه ولد في السنة الاولى لان هجرة أمه أسماء وعائشة وآل الصديق كانت بعد استقراره صلى الله عليه وسلم بالمدينة فالمسافة قريبة جدا لا تحتمل تأخر عشرين شهرا بل ولا عشرة أشهر وقد ثبت في الصحيحين عن أسماء انها هاجرت وهي حبلى به متم فولدته بقباء ثم أتت به النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شئ دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم دعا له و برك عليه وكان أول مولود ولد في الاسلام وزاد الاسماعيلي ففرح المسلمون فرحا شديدا لان اليهود كانوا يقولون قد سحرناهم حتى لا يولد لهم وللاسماعيلي أيضا انها لم ترضعه حتى أتت به النبي صلى الله عليه وسلم فذكر نحوه وزاد ثم صلى عليه أي دعا له ثم سماه عبد الله وهو أول مولود للمهاجرين بالمدينة وولد لهم بالحبشة عبد الله بن جعفر وأول مولود للانصار بعد الهجرة مسلمة بن مخلد رواه ابن أبي شيبة وقيل النعمان بن بشير انتهى ملخصا

(تم بعون الله الجزء الاول ويليه الجزء الثاني أوله ذكر تزويج علي بفاطمة رضى الله تعالى عنهما)

(فهرست الجزء الاول من شرح سيدي محمد الزرقاني على المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني)

(تمت)

(فهرست الجزء الاول من كتاب زاد المعاد في هدى خير العباد التي بالهامش)

صحيفة

صحيفة

(تمت)

